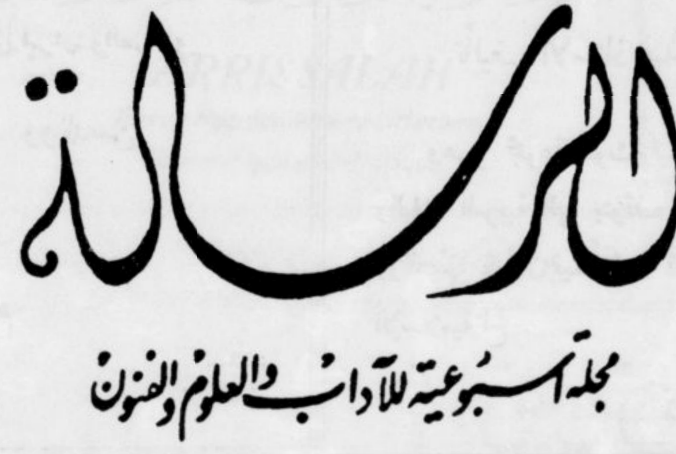
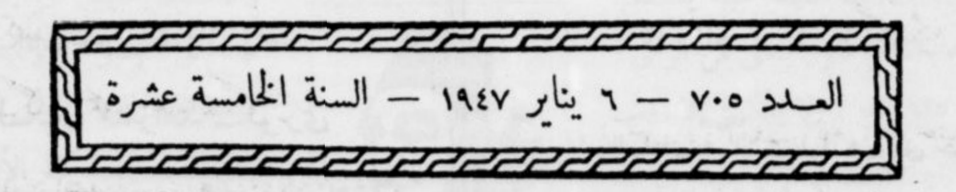


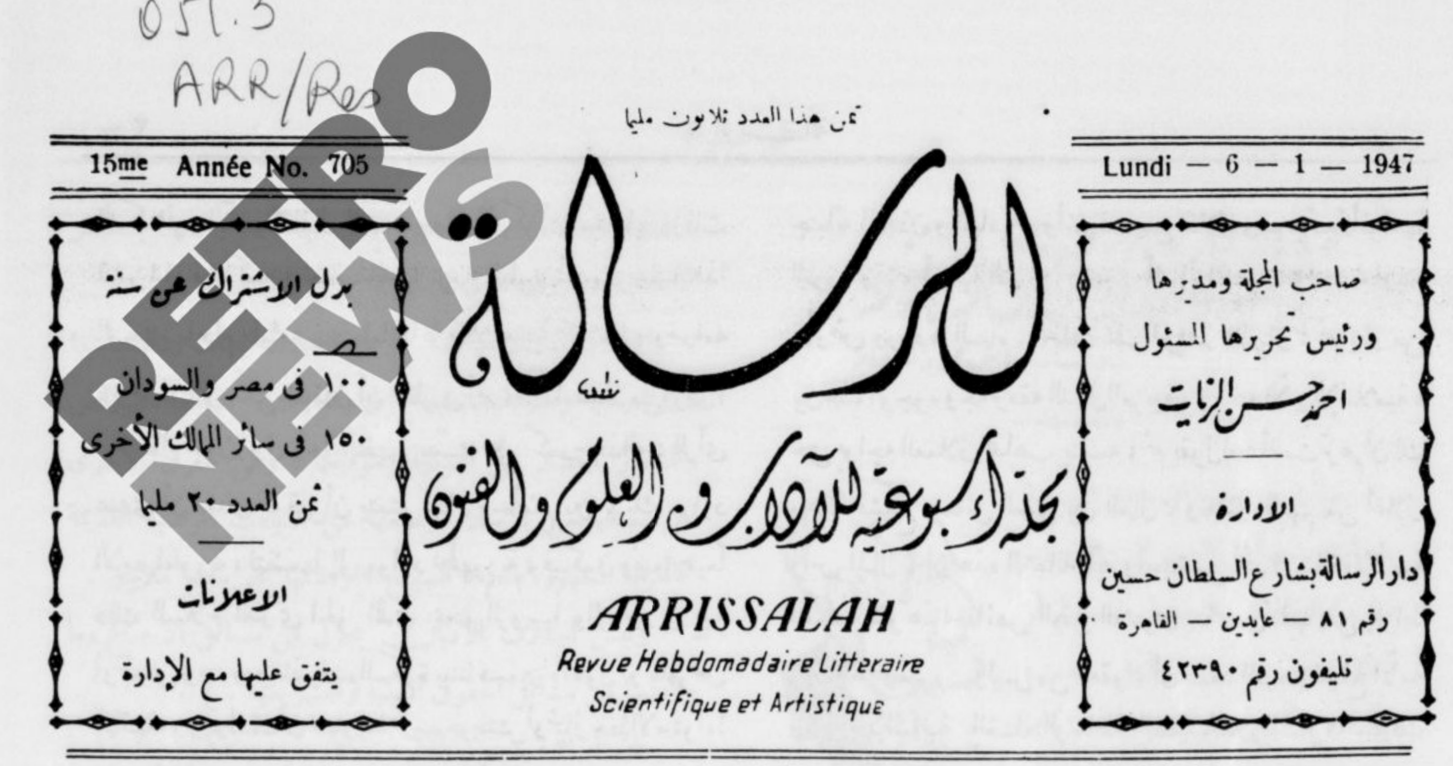



# عدد ممتاز


العدد ٧٠٥ — ٦ يناير ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة






العـــدد ٧٠٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ صفر سنة ١٣٦٦ — ٦ يناير سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

# لمن الملك اليوم؟

## نبوءة سيد غير نبي

يعيش جارنا طاهر افندى الكاشف بعد خروجه إلى المعاش عيشة الصوفى المتبتل ، يتعبد النهار ، ويتهجد الليل ، ويُزجّى ما بقى من فراغه بمطالعة الصحف ومتابعة السياسة ومراقبة الحوادث . وقد آتاه الله ألمعيّة عجيبة يستشف بها حجاب الغيب كأنه رسول ينطق عن الوحى ؛ فلا يتظنن إلا يحقق ظنه ، ولا يتكهن إلا وقعت كهانته . وكثيراً ما يرى فى المنام أموراً لا يلبث أن يراها فى اليقظة . وربما أخذته حال من الذهول عن الوجود الخارجى تنفذ بصيرته فيها إلى غيابة المستقبل ، فيكون كما يقول أشبه بالصبى الذى ينظر فى فنجال (المندل) يرى ما لا يُرى ، ويَسمع ما لا يُسمع!

قص على فى صباح هذا النيروز[1] رؤيا من رُؤَى يقظته لم أجد كلاماً خيراً منها أجعله مقدمة لهذا العدد ، وفاتحة لهذا العام .

قال : كنت فى الساعة التى تفرق بين عام وعام فى تقويم الزمن ، وتفصل بين فصل وفصل فى رواية الحياة ، قائماً فى غرفتى أصلى ركعتين لله توديعاً لعام قضى ، واستقبالا لعام أهلّ . . وكان الجو المتماطر[1] القارّ قد حبس الناس فى الدور فلا أسمع فى الشوارع المحيطة صوتاً ولا حركة ؛ فوجدت نفسى من جلال الساعة ورهبة الوحدة وعمق السكون ، كأنما تنسرح من ثوبها المادى وتندمج فى الروح العام والشعور المطلق ، ثم تغيب فى طوايا المجهول ، وتصفَّحُ كتاب الغد ورقة بعد ورقة ، حتى تقع على عنوان من الدم معقودٍ على ما سجلته يد الأقدار من قضايا الدول ومصاير الشعوب ، فتحدّق إلى العنوان ، وتدقق فى السطور . ثم خيّل إلىّ وأنا مغمض العينين أنى أرى نقطة مربعة من النور تنداح فى الحماليق[2] وتنبسط حتى تصير فى مثل الصحيفة الكبيرة ، وأنى قرأت فى هذه الصحيفة كلاماً كنت فى أكثر الأيام أفكر فى بعضه ، وقد وعته ذاكرتى حتى لأستطيع أن أؤديه إليك الآن على سرده . فقلت له أعد علىّ بعضه إن شئت . فقال : اجمع بالك إلىّ . ثم انطلق يتلو عن لوح قلبه :



«قال جون بول الماكر لصديقه العم سام بعد أن غسلا أيديهما من دم التنين الألمانى وحمدا الله على السلامة : ما هذا الدب الروسى الذى لجّ فى الخلاف وأصرّ على العناد حتى كدر بجموحه صفو السلام ، وزوّر بطموحه معنى النصر ؟ ألسنا بما جاهدنا فى سبيل الحرية والحق والعدل أولياء الله وخلفاءه ؛ جعل إلينا وراثة الأرض ، وكتب علينا سياسة العالم ؟ فما سكوتنا إذن عن هذا

(١) النيروز أول يوم فى السنة الشمسية .

(١) المتماطر : الذى يمطر ساعة ويكف أخرى . (٢) الحماليق : بواطن الجفون .

الدكتاتور الآخر؟ فقال العم سام وقد تذكر أن استجابة رزفلت لتشرشل قد كسبته نصف الدنيا : من الطبيعي أن ينبو علينا هذا الوحش ما دام طعامه غير طعامنا ، وكلامه غير كلامنا ، ومرامه غير مرامنا ، ونحن خليقان أن ننظر في أمره ؛ فما عندك من الرأي؟

قال جون بول وهو ينفض بيبته على كعب حذائه : الرأي عندي أن نتغدى به قبل أن يتعشى بنا . وسأضع بين يديك موارد الإمبراطورية ، لتضمها إلى موارد الجمهورية ، فيكون منهما جميعاً ذلك السلاح الذري الخفي الذي يمحو الروسيا والروس في يوم أو بعض يوم . وحينئذ نقسم الكرة بيننا قسمين بالطول أو بالعرض كما تشاء ، وأترك لك أن تختار إما غرب جرينتش أو شمال خط الاستواء!

وكان الدب في الوقت نفسه يقول لخليفة استالين : ما هؤلاء الذئاب الذين لبسوا مسوح الرهبان حتى سلموا وأمنوا ، وولغوا في دماء المغلوبين حتى بشموا وسمنوا ، وظنوا أن قذائفهم الذرية مانعتهم من الله فبغوا بغي (موسو) ، وطغوا طغيان (هتلر)؟ إن رسالة الشيوعية إعتاق الإنسان من رق الإنسان . ولن يزول من الأرض استعباد الأفراد برأس المال ، واستعباد الأمم في سبيل المال ، ما دام على ظهرها ناطق بالانجليزية . ومن المحال أن يتحالف الخير والشر ، ويتآلف الصلاح والفساد . فسبيلنا إذن أن نعمم رسالتنا ، ونتمم إنسانيتنا ، فنبيد هذه الجراثيم بما هيأه لنا الله من قوى المال ومعجزات العلم فيطهر الكون ويصلح المجتمع .

وما هي إلا مواضعة الرأي بين رب الشيوعية وزبانيتها حتى انبثت عيون الروس في مخابىء انجلترا وأمريكا تبحث عن أوكار الطاقة الذرية . وفي ساعة من ساعات الليل الكافر أرسلت عليها صواريخ روسية ألمانية لم يصل العلم السكسوني إليها بعد . فزلزلت الأرض كلها بضع ثوان ، ثم سكن الزلزال وسكن معه كل حي وانقضّ به كل قائم .

وأصبح الصباح الأغبر الداجي فإذا العالم قد أسلم وجهه لقوة واحدة ؛ وإذا عملاق أصلع من عماليق موسكو يخرج من الكرملين كما يخرج العفريت من القمقم ، فيطول ثم يطول حتى يضع رجلا فوق لندن ، وأخرى فوق وشنطون ؛ ثم يقول وقد ازدهاه النصر وتملكه الفخر : **لمن الملك اليوم ؟** فلا يجيبه في الغرب أحد ! ولكنه يطلع أمامه فيرى شفقاً من سنا الشرق تغشى بلاد الإسلام من مراكش إلى تركية وإيران وأفغانستان وباكستان وقسم عظيم من ملكوت الصين ، وقد تألقت في جنباته المآذن والقباب ، وأشرقت من خلاله وجوه تمج أفواهها النور ، وتشع أعينها الأمل ، وتجيب ألسنتها بصوت واحد تجاوبته الأرض ورددته السماء : **الملك لله الواحد القهار** ! ثم يعلو من بين هذه الوجوه وجه ترمقه الدول العربية ، وترقبه الأمم الإسلامية ، حتى يواجه العملاق الذاهب بنفسه ، ثم يقول له : ألست تزعم أن لك رسالة تشيع وسائل العمل بين العمال ، وتفك رقابهم من أغلال رأس المال ؟ إن هذه الرسالة آية واحدة من آي الرسالة الإلهية المحمدية شوهتها نقائص العقل البشري بما دس فيها من إفراط وإقساط وتهور . وليس من المعقول أن يسعد الفرد وتصلح الأمة وترقى الإنسانية بالغاء الوساطة الطفيلية بين المنتج والمستهلك وهي مشكلة واحدة من مشكلات الحياة . هناك علاقة الفرد بنفسه وقد تركتموها كعلاقة الآلة بالمحرك عليها أن تعمل ولها الوقود والزيت والشحم . وهناك علاقته بأسرته وقد جعلتموها كعلاقة الفرّوج بالفروج في معامل التفريخ الصناعي لا يعرف حنوّ الجناح ولا يدرك نعيم القنّ . وهناك علاقته بدولته وقد رددتموها كعلاقة قِطع الشطرنج باللاعب ينقلها من خانة إلى خانة ولا إرادة لها ولا وعي . وهناك علاقته بربه وقد قطعتموها فانقطع نور الوحي عن ضميره وعقله . وبمثل هذه العلائق الواهنة لا يتماسك مجتمع ولا يترابط شعب . فإذا كنت صادقاً في دعواك ، مخلصاً في دعوتك ، فاقتبس للعالم الجديد شريعة الإسلام ؛ فإنها وحدها هي النظام الذي يحقق الوحدة الإنسانية : يؤاخي بين الناس كافة في الروح والعقيدة لا في الجنس والوطن؛ ويسوي بين الأخوة جميعاً في الحقوق والواجبات فلا يميز طبقة على طبقة ولا جنساً على جنس ولا لوناً على لون؛ ويجعل للفقير حقاً معلوماً في مال الغني يؤديه إليه طوعاً أو كرهاً ليستقيم ميزان العدالة في المجتمع؛ ويجعل الحكم شورى بين ذوي الرأي فلا يحكم طاغ بأمره ، ولا يصر مستبد على غيه ؛ ويأمر معتقديه بالإقساط والبر لمن خالفوهم في الدين وعارضوهم في الرأي؛ ويوحد بين الدين والدنيا ليجعل للضمير السلطان القاهر في المعاملة ، وللإيمان الأثر الفعال في السلوك .

عندئذ يتصاغر عظموت العملاق ويتقاصر طوله ، ثم يقول في استسلام وإسلام : تلك مبادئ الفطرة ؛ فإذا كانت هي مبادئ الإسلام فسيدخل فيه الناس بالطبع ، ويعتقدونه بالضرورة كلما تقدم العلم وترقى العقل وتهذب الخلق وصحت المعرفة !

أحمد حسن الزيات

# المسألة الأساسية فى الهند

للأستاذ عباس محمود العقاد



قرأت فى بعض الصحف المصرية خطاباً موجهاً إلى السيد محمد على جناح زعيم الرابطة الإسلامية فى الهند لم أر كلاما أدل منه على الجهل بالقضية الهندية والتهجم على الشئون الكبرى بغير علم ولا بصيرة .

ونحن قد ألفنا فى صحافة مصر أمثال هذا التهجم العجيب على الشئون المصرية والشئون الخارجية ، ولكن التعرض لمشكلة الهند بمثل ذلك الجهل المطبق قد جاوز حدود التهجم المعهود فى الصحافة على إطلاقها إن صح أن يكون للتهجم حدود .

فالذين أساءوا الفهم وأساءوا إلى واجب الضيافة فى توجيه الخطاب إلى السيد جناح لم يفكروا فى موضوع الهند وإنما فكروا فى كلة واحدة وظنوا أن كلة الهند تقابل كلة مصر، فهما إذن قضيتان متشابهتان يصدق على إحداهما مايصدق على الأخرى بلا اختلاف ولا حاجة إلى بحث طويل أو قصير لمواطن ذلك الاختلاف .

وهذا هو الخطأ الأول .

وهذا كذلك هو الخطأ الأكبر .

فمصر غير الهند فى كثير من الاعتبارات ، ولاسيما اعتبارات القضية السياسية ؛ لأن مصر قومية واحدة ، تتكلم بلغة واحدة وتشترك فى مرافق واحدة ، ولا توجد فيها أقليات منعزلة أو قابلة للعزلة فى حيز السكان أو فى المصالح الإجتماعية .

أما الهند فعلى نقيض ذلك لاتشتمل على قومية واحدة بأى معنى من معانى التعريف الحديثة أو القديمة .

فاللغات واللهجات فيها متعددة تتجاوز المائة ، وقد شهدنا بأنفسنا ثلاثة أو أربعة من الهنود المتعلمين يجتمعون فى مكان واحد ولا يستطيعون التفاهم بينهم بغير اللغة الإنجليزية ، لأنهم يتكلمون فى بلادهم بلغات شتى تختلف فى الأصول ، ولا ينحصر الإختلاف بينها فى مجرد اللهجات .

واختلاف الأديان هناك أكبر من اختلاف اللغات واللهجات؛ لأن البرهمية وحدها متشعبة الفرق والمذاهب ، متعددة الفرائض والشعائر ، فضلا عن البوذية وطوائفها ، وعن الفرق الأخرى التى نصفها من الإسلام ونصفها من الديانات الوطنية القديمة كالفرقة المشهورة باسم « السيخ » وعدتها نحو سبعة ملايين .

وليس اختلاف الأديان بمعزل عن مسائل الاجتماع وما يلابسها من مسائل الحقوق الدنية والتشريعية .

فان البراهمة يدينون بالطبقات الأربع ، ويحكمون بالنجاسة على طائفة تسمى بالمنبوذين أو الذين لايجوز لمسهم قد يتجاوز عدد أبنائها فى الهند خمسين مليوناً من النفوس البشرية ، ولا ذنب للعالم البشرى فى اعتبار هؤلاء القوم من الآدميين إذا كان البراهمة لايعتبرونهم كذلك ، لعقيدة من العقائد التى هجرها الزمن ويأبى أن يهجرها البرهميون ! .

ويظهر لنا مبلغ التعصب فى رعاية هذه التقاليد من حقيقة واحدة ، وهى أن المهاتما غاندى على اعتباره مثلا فى السماحة الإنسانية قد أنذر بالصيام حتى الموت إذا منحت هذه الطائفة دوائر معينة فى قانون الانتخاب .

وفى الهند ثمانون أو تسعون مليونا من المسلمين لايعتبرون قلة فى قومية واحدة بأى معنى من معانى القلة المصطلح عليها ؛ لأنهم كثرة غالبة فى بعض الأقاليم ، ولهم أصول جنسية ولغة مكتوبة غير التى تشيع بين جمهرة الهنود . وقد يزيد عددهم على العدد المسجل فى دفاتر الاحصاء ؛ لأنهم يثبتون وثائق زواجهم فى غير دواوين الحكومة ، ولا يرجعون إلى تلك الدواوين فى وثائق الولادة والميراث .

وتشتمل الهند على مائة مليون موزعين فى سائر الأرجاء يحكمهم أمراء مستقلون أو على نصيب من الاستقلال .

وقد بينا هذه الحقيقة قبل سبع سنوات فى كتابنا عن هتلر حيث قلنا فى صفحة ١٥٨ منه إن « بين الأمم المستقلة والأمم التابعة أمما كأهل الهند يتقدمون فى طريق الاستقلال ، وقد تكون للنازيين مصلحة فى الحلول من أهل الهند محل الانجليز ...

ولـكن ماهى مصلحة أهل الهند ؟ وما هى مصلحة العالم ؟ وما هى مصلحة الأمم الغالبة أو الدول المغلوبة ؟ وما هى مصلحة الأمم الواقعة فى الطريق ؟ .

« على أننا لم نذكر الهند لنقرر هذه الحقيقة ، فهى غنية عن التقرير ، وإنما ذكرناها لنقول إن الحالة الحاضرة فى الهند لا ترجع إلى العوامل الخارجية كما ترجع إلى العوامل الداخلية ، وإن بريطانيا العظمى لو رفعت يدها اليوم عن تلك البلاد لـما زالت جميع الحوائل بينها وبين قيام الحكومة الوطنية الشاملة ، ولا قاربت الزوال .

« فهناك الأمراء الحاكمون فى ولاياتهم وهم لا يتفقون ولا يرضون أن يحكمهم مجلس فى عاصمة بعيدة عن عواصم الامارات .

« وهناك المسلمون وهم كثرة فى بعض الأقاليم وقلة فى بعض الأقاليم الأخرى ، ولو شملتهم حكومة واحدة لأصبحوا قلة ضائعة فى جميع الأقاليم .

« وهناك المنبوذون وهم عشرات الملايين ينظر إليهم البراهمة نظرتهم إلى الرجس الذى يفرقون من ظله ، ولا خير لهم فى حكومة تضمهم هذا الموضع وتهملهم هذا الاهمال .

« وهناك اختلاف الأقاليم فى الأجناس واللغات وعناصر الثروة ومعادن التربة الزراعية ، مما لا يجتمع نظيره إلا فى قارة من القارات الـكبار .

« فمسألة الهند العضال ليست مسألة السيادة الخارجية وحدها سواء كانت عالية أو مقصورة على بعض أجزاء العالم . إذ لو فرغت كل سيادة عالية فى الدنيا لـما فرغت المسألة الهندية ، بل لعلها تبدأ يومئذ من جديد ... » .

نعم وتبدأ على نحو لا يخطر على بال أولئك الواهمين الذين يحسبون «الهند» كلمة ولا تزيد معرفتهم بها عن هجاء حروف هذه الـكلمة .

فان نهرو زعيم المؤتمر الهندى شيوعى وليست الشيوعية على مسافة بعيدة من الحدود الهندية ، وليس طريق الزحف العسكرى على الهند بالطريق المسدود .

وعصبيات الدين فى داخل البلاد أعجب ماعرف الناس من مصائب العصبيات فى جميع الأقطار .

ففى تلك البلاد أناس يقدسون البقر ويحكمون بالنجاسة على خمسين مليونا من النفوس ، ويتحرجون من ذبح البقر وقد ذبحوا فى بيهار وما جاورها أربعين الف مسلم ، لأنهم تقربوا بضحاياهم فى عيدهم الـكبير ! .

فأوجز مايقال فى مشكلة الهند أن حكمها كلها بدستور واحد من هيئة واحدة وراء المعقول والميسور .

وإن نظام « الباكستان » ليس بالنظام العجيب كما يبدو للوهلة الأولى ، ولا يمكن أن يوصف بأنه انشقاق وطنى عن قومية واحدة ، كما تخيله بعض الواهمين فى هذه الديار .

ولم نقرأ فى صحافتنا مقالا يدل على الاحاطة بحقيقة المشكلة كالمقال الذى كتبه الدكتور هيكل باشا فى صحيفة السياسة حيث قال فى الثانى والعشرين من شهر ديسمبر الماضى : « ويدل على هذا الجور كذلك أن الهند ليست أمة لها مقومات الأمة من اتحاد فى اللغة أو فى العقيدة أو فى العنصر ، بل هى أدنى إلى أن تكون قارة بين أديانها ولغاتها وعناصرها من التباين مايزيد اضعافا على مابين دول أوربا .. »

وقال قبل ذلك : « ما كنا لنعالج هذا الموضوع لولا مانرى فى التعريض بالمسلمين من الدعاة إلى الباكستان من جور لاشىء من الانصاف فيه . يدل على هذا الجور أن هؤلاء الدعاة إلى الباكستان لم يطلبوا أى امتياز للأقليات الاسلامية الموجودة فى سائر ولايات الهند ... »

وهذه صورة قريبة من صورة المشكلة الـكبرى التى يعالجها نظام الباكستان . ونحن لانقرر هذه الحقيقة لأن الباكستان فى رأينا يحل المشكلة ويحسم الخلاف ، فإن الباكستان يحل بعضاً منها ويترك بعضها الآخر فى انتظار الحلول . ولـكننا نقرر تلك الحقيقة ليعلم الواهمون عندنا أن الهجوم على المسائل العالميـة هجوم على مايجهلون وخلط فى أمور لاتؤمن عاقبة الفتوى فيها بغير علم وبغير روية ، وإن الحـكاية ليست حكاية كلمة إزاء كلمة وثلاثة حروف إزاء ثلاثة حروف ، ولـكنها حكاية أمم وأرواح وقضايا تجور على سلام العالم كله إذا عولجت بغير حقها من الفهم والدراية وحسن التقدير لعواقب الأمور .

أما النقص فى نظام الباكستان كما نراه فخلاصته أن الأقاليم التى يراد لها الاستقلال لاتأوى اليها جميع المسلمين وليس سكانها

جميعاً من المسلمين ، وإن الرابطة الاسلامية يتبعها عدة ملايين وينفصل عنها فريق آخر بعضهم من الشيعة وبعضهم من السنيين، وأن تبادل السكان بين الأقاليم الاسلامية والأقاليم الهندوسية لتسوية عناصر القلة فى جميع الأقاليم ليس بالحل الميسور ولا يتأتى إتمامه فى بضع سنوات .

فربما كان نظام الاتحاد على المثال المتبع فى الولايات المتحدة أقرب إلى تسوية المشكلة مع الأخذ بالأساس المقرر فى نظام الباكستان .

وعلى ذكر الولايات المتحدة الأمريكية نعود إلى الواهمين ليفهموا مرة أخرى أن تقسيم الولايات شىء وجريمة الانشقاق شىء آخر ، وأنه إذا جاز هذا التقسيم فى بلاد كالبلاد الأمريكية لا تفرق بين أبنائها أمثال تلك الفوارق ولا تعترضهم أمثال تلك المشكلات ، فنظام الباكستان فى الهند أحق بالتدبر والمعذرة أدنى إلى القبول .

**عباس محمود العقاد**

# الفقر آفة البشرية
## كيف عالجه الإسلام
### لصاحب السعادة الأستاذ عبد الرحمن عزام باشا



الفقر أعظم آفات الاجتماع البشرى ، وأعظم مايثير السخط على الحياة ، وأشد مايفجع الناس فى حياة الكرامة والسكينة والاطمئنان ، ويثير بينهم الحقد والبغضاء ، ويرميهم بحروب الطبقات وحروب الأمم ، فإذا عولج المجتمع منه نجا من آثار قرينيه وهما الجهل والمرض اللذان يتبعانه ويكونان معه ثالوث الشقاء الانسانى الذى إذا خلا منه وجه الحياة بدا جمالها ورضى الناس عن الحياة ورضى الله عنهم ...

لقد نظر الإسلام فى حال الفقير فرآه إما أن يكون عاجزاً عن الكسب لعلة به ، وإما أن يكون عاجزاً عن الكسب لفقد الوسيلة إلى العمل .

فأما الذى يعجز لعلة لا علاج لها فقد جعل مواساته حقا على المجتمع لاتبرعا وتطوعاً . قال الله تعالى « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » فصان بذلك كرامته الإنسانية .

وأما الذى يعجز لفقد الوسيلة إلى العمل فقد أوجب على الدولة إيجاد الوسيلة لتكسبه ، وقد قبح الإسلام السؤال ودعا المسلم للترفع عنه ، فاليد العليا خير من اليد السفلى . وقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائلا درهما وأمره أن يشترى به فأساً وحبلا ويحتطب ، ولا يتعرض لذل السؤال .

والأصل فى الإسلام هو العمل والتكسب ، وقد حض عليه بجميع الوسائل ، حتى لقد فضله على الانقطاع لعبادة الله ، ولكنه كذلك أنصف المجتمع بإلزام الدولة أن تعين على إيجاد العمل لمن لايجده ، وأن تحمى من يعجز عنه .

وقد أراد الإسلام أن يجعل مستوى المعيشة متناسقاً ومتقارباً بين أتباعه ، فحارب الترف فى أعلى المجتمع ، وطارد البؤس فى أسفله ، واتخذ لذلك وسيلتين : وسيلة الضمير وهى أقواها ، ووسيلة القانون ، فجعل الحياة السعيدة الخالدة لاتنال إلا بالإنفاق على المستحقين من الأهل والأقربين والمساكين ، ولا ينال متاعها المسرفون الذين جعلوا شهواتهم فى هذه الحياة أهدافهم .

جعل ضمير المسلم لايستريح إذا طعم ولبس وتمتع ، وجاره ومن حوله قد عجزوا عن القوت ؛ وحضه حضا قويا على البذل والقناعة والحد من شهواته فى سبيل إغاثة اللهوفين والمحتاجين ؛ حتى لقد أمر أن يطعم السيد الخادم مما يطعم ، ويكسوه مما يكتسى قال المعرور بن سويد « رأيت أبا ذر رضى الله عنه عليه حلة وعلى غلامه مثلها ، فسألته عن ذلك فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « هم إخوانكم وخَوَلُكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليُلبِسه مما يلبس ، ولا تكلّفوهم من العمل مايغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه » .

ولم يكتف الإسلام بإيقاظ الضمير لهذا ، بل جعل للدولة أن تقتضى من فضلة مال الفرد مقادير لا يستهان بها لتكفل

بوسائلها هي أيضا حاجات الفقراء والمساكين .

وفي الحقيقة حين يحارب الإسلام الترف والاكتناز والربا ، ويقول : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » وحين يقول « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » وحين يقول . « يمحق الله الربا ويربي الصدقات » وحين يقتضي الزكاة على الأموال المكنوزة ويحرم الربا ، إنما يريد بذلك كله أن يرفع مستوى الطبقات الفقيرة ، ويخفض من مستوى المترفين ، ليجعل حياة الجميع سعيدة متناسقة .

فتحريم الترف يوجه الأموال إلى إنتاج أكثر فائدة للجميع ، وتحريم كنزها يوجب تداولها . وتداولها من غير ربا يؤدي إلى المشاركة فيها . وإذا لم يجد الناس في الترف لذتهم وجاههم ، وجدوهما في الاحسان والبر . وإذا لم يجدوا في الكنز ضمانا لهم وجدوه في ضمانة المجتمع الاسلامي المتكافل الذي لم يهمل أحداً ، ولم يحتقر أحداً . وإذا لم يجدوه في الربا وجدوه في لذة الكسب والمشاركة مع إخوانهم الذين يعملون في أموالهم .

ولو قامت الدولة بواجبها في كفالة المتخلفين من إخواننا لما يصيبهم في أنفسهم أو أبدانهم ، أوبما يصيبهم من انقطاع السبل بهم مع رغبتهم في العمل ، وذلك بأن تكون سياستها قائمة على أساس التكافل الذي جاء به الاسلام في قول رسوله « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » فوزعت الصدقة على من لا سبيل له غير الصدقة ، ووزعت العمل على الناس بقصد الخير العام ولو على سبيل الاجبار على عمل معين للقادر عليه ، لقاتلت هي أيضا الفقر بوسائلها الفعالة .

وقد جعل الاسلام في هذا سلطات واسعة لولي الأمر ، فله في سبيل الاصلاح العام أن يحدث أقضية بقدر مايحدث من المشكلات ، وله أن يكيف الأحوال لتسير وفق الغرض الأساسي للاسلام ، وهو الإحسان .

وقد قرر الإسلام في وضوح وعزم مبدأ المساواة ، وهو أعظم المبادئ في مقاومة الشرور الإجتماعية وأخصها الفقر ، وجعل هـذه المساواة مستقرة في ضمير المسلم ، وملاك زمام تصرفاته في العبادة والمعاملة والأدب .

ومن فضل الدعوة المحمدية على البشر أنها تبغض في الاستعلاء والترفع على الناس ، حتى ليكاد المسلم يفر من مجرد الخاطر الذي يخطر بذهنه بأنه أفضل من غيره . والمسلم الصادق لا يضمر في نفسه أنه خير من خادمه مع سيطرته عليه .

والله تعالى يشتد على الرسول نفسه ويعاتبه بالقرآن ، لأنه تصدى لقوم من رؤوس العرب يرجو من وراء إيمانهم إيمان أقوام يتبعونهم ، وتلهّى بهم عن رجل فقير ضعيف جاء راغباً في الايمان فقال :

« عبس وتولى أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزّكى ، أو يذكّر فتنفعه الذكرى . أما من استغنى فأنت له تصدّى . وما عليك ألا يزكى . وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى فأنت عنه تلهّى »

ولست تجد في أي تشريع احتفالا بالفقراء واعتناء بشأنهم مثل ما جاءت به الدعوة المحمدية ، إذ تحض المسلمين على رياضة أنفسهم على احترام الغير وتقديره « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء ، عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ، ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان » .

ومتى رسخ هـذا المعنى في أذهان الملوك والحكام والعامة والفقراء والأغنياء والملاك والعمال كما أرادته الدعوة المحمدية ، استحالت الفرقة الاجتماعية وما يثيرها من حسد وبغض ، وما يترتب عليها من خلاف وشر ثم قتال وحرب ، وما يكون من تسلط الأقوياء على المستضعفين ، أو مايكون من ظهور المستضعفين واستذلالهم لمن كانوا أقوياء .

ظاهر إذاً أن مبدأ المساواة بالمعنى الاسلامي هو من أكبر دعامات البر وأفتك الأسلحة بآفة الفقر .

وقد دعا الاسلام إلى البر بكل وسيلة ، دعا إليـه بالترغيب والترهيب ، ودعا إليـه بقوة القانون والدولة ، فقال تعالى : « يمحق الله الربا ويربي الصدقات » .

وقال « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » وقال « أرأيت الذي يكذّب بالدين . فذلك الذي يدُع اليتيم ، ولا

يحضّ على طعام المسكين » وقال . « كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين » .

وكتاب الله وحياة رسوله يفيضان بفضل الإنفاق فى سبيل الله ، واتخاذ الدنيا مطية للآخرة . ولم يكتف صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم بأن تكون دعوته موجهة بكل قوتها للبر بالفقراء والمساكين والضعفاء والمصابين والمعوزين ، بل جعل البر بهم حقا مفروضا لا سبيل إلى المماطلة فيه ، حتى إن العرب لما ارتدت عن دفع الزكاة عقب وفاة الرسول ، ونصح الخليفة الأول بأن يداريهم ، وقد تفاقم الشر ، قال رضى الله عنه « والله لومنعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه » . أى أنه يوجه كل قوى الدول لقتال قوم يمنعون حق الفقير فيما قيمته قيمة حبل يعقل به بعير .

فحقوق الفقراء فى الدولة الإسلامية مصونة ، وليس لأحد أن يمنّ بها فهى حق الله فى ماله وكسبه وملكه ، وقد بينت الشريعة الزكاة وأنواعها وكيفية أدائها ، كما بينت مستحقيها وما لهم وما عليهم بتفصيل دقيق .

وكان من أثر الدعوة المحمدية للبر والإحسان تلك الأوقاف المحبوسة على الخير فى المشرق والمغرب ، وكان من أثرها أن تطهرت نفوس المسلمين ، حتى حبسوا من أملاكهم على القطط والكلاب والحيوانات . ومن أمثلة هذا أن نور الدين محمود وقف أرضاً فى دمشق لتكون مأوى للحيوان الهرم ، يرعى فيها حتى يموت .

وتاريخ المسلمين فى كل أوطانهم يفيض بالبر والعطف والرحمة بالبؤساء والغرباء ، وما الكرم الذى كان به فخر البيوت والأسر والشعوب إلا أثر من آثار روح البر والإحسان الإسلامى .

ولم يكن البر فى الدعوة المحمدية خاصاً بأهل الجنس أو الدين ، ولكنه كان عاما للمساكين من البشر ، فما منع اختلاف فى الدين دون البر . قال تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين » « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل »

وتنظيم البر فى العصر الحاضر يجب أن يقوم على نفس الأسس والوسائل التى جاءت بها الدعوة المحمدية ، لأنها أفضل وأدوم ، ولكن يجب كذلك أن نتصرف ونجتهد كى نحقق المقصد والغاية ، وأن ننظر فى عصرنا ، وموارد الثروة فيه ، ومصادر الغنى ، وحالات الناس لنكفل الخير للجماعة ونرضى الله سبحانه وتعالى ، حتى يعود للظهور بيننا من كانوا يأبون أن يتعرضوا لوجوب أداء الزكاة عليهم بإنفاق أموالهم كلها ، حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة فى مائتى درهم فقال : أما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم ، وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع .

ولهذا المعنى تصدق أبو بكر رضى الله عنه بجميع ماله ، وعمر رضى الله عنه بشطر ماله .

ولا عجب فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، وروح الدعوة المحمدية واضحة فى أن الزكاة وحدها لا تبرئ أموال المسلمين من حقوق المحتاجين فيها ، فما دام محل للبر والصدقة فهى واجبة ، وحق المسلم لا ينتهى بأداء الزكاة .

يجب إذاً أن نستلهم من شريعة الإسلام الهدى ، وأن نستوحى من روح الدعوة المحمدية نظاماً للبر تقوم عليه الدولة ، لتوازن بين الثروات والحاجات ، وتقيم التكافل الاجتماعى ، وتقضى على حرب الطبقات « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

عبد الرحمن عزام

# فتربصوا حتى يأتى الله بأمره

للأستاذ محمد عرفه
مدير الوعظ والإرشاد



« قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين »

ما روعتنى آية من كتاب الله ما روعتنى هذه الآية ، وما قرأتها قط إلا ارتعدت فرائصى وخيل إلى أن الأرض تدور بى الفضاء ، ذاك لأنها توجب أن يؤثر المؤمنون الله ورسوله والجهاد فى سبيله على الآباء والأبناء والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن ، ولا ترضى منهم أن يؤثروا الله ورسوله والجهاد فى سبيله كما يؤثر المرء الدواء المر البشع ، بل لا ترضى إلا أن يكون ذلك الأيثار عن رضى ومحبة ، فإذا دعا داعى الجهاد ودعا المال والولد والعشيرة والمسكن وجب أن يستجيب المؤمنون لداعى الجهاد عن رضى ومحبة ؛ فإن لم يكونوا كذلك فليتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، وقد أبهم الله هذا الأمر لتذهب النفس فى أودية الخوف كل مذهب ، والله لا يهدى القوم الفاسقين الذين فسقوا عن أمر الله وانحرفوا عن الطريق القويم .

تكليف صعب شاق ، وهو على صعوبته ومشقته الطريق الوحيد إلى العزة والأمن والقوة والسمو ، فالأمة التى تؤثر الحق والجهاد فى سبيله على ما سواهما هى التى تمهد طريقها إلى المعالى ، وتسلك سبيلها إلى العزة القعساء .

أما الأمة التى انتكست فطرتها فآثرت الباطل على الحق ، والدعة على الجهاد فى سبيله ، فأقل ما يصيبها من أنواع العقوبات الضعف والذلة والاستكانة إلى الأقوياء ، والاستعباد للمغيرين ، يستذلونها ويستخدمونها كما يستخدم الإنسان الحيوان الأعجم ، وهذا البلاء الشديد وغيره مما يشمله قوله تعالى : « فتربصوا حتى يأتى الله بأمره » .

ولا عجب فالمعالى سبيلها غير معبد ، ولها صعداء مطلعها طويل ، وهى لا تنال على الدعة والراحة والطمأنينة والبلهنية ، إنما تنال بالتعب والنصب والكد وتهذيب النفس وتقوية الخلق والإرادة القوية والعزم الشديد . إنما الذى ينال على الدعة والراحة ، الهم الطويل ، والحزن الممض

فليقس كل امرىء إيمانه بهذه الآية ولينظر أيحزن إذا فاته حظ من دينه مثل ما يحزن إذا فاته حظ من دنياه ، أم هو لا يبالى بضياع دينه ويأسى على ما فاته من الحقير من دنياه .

أيجد من قوة اليقين ما يستحبه له دينه على الآباء والأبناء والأهل والعشائر والأموال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا وخيراتها ، أم يجد من ضعف اليقين ما يستحب له عرض الدنيا على دينه وآخرته .

ومن خدع الشيطان ما يوسوس به فى النفوس من أن هذا التكليف لم يتحقق ولن يتحقق؛ فإذا لم يحققه المرء فى نفسه فله فى جميع المكلفين أسوة . هذا ما يحدث به المرء نفسه ، والمرء يلتمس المعاذير ، ولكن التاريخ الإسلامى يحدثنا عن كثير من السابقين الأولين أنهم نالوا هذه الدرجة وكان الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما .

روى أنه قدم على النبى صلى الله عليه وسلم رهط من قبيلة عضل والقارة وقالوا إن فينا إسلاما فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا فى الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام ، فبعث رسول الله معهم نفرا ستة من أصحابه فيهم زيد بن الدثنة ، وخبيب بن عدى ، فخرجوا حتى إذا كانوا على الرجيع وهو ماء لهذيل استصرخوا عليهم هذيلا فلم يرع القوم وهم فى رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوهم فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم ، فقالوا لهم إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم ، فقال بعضهم والله لا نقبل من مشرك عهدا ولا عقدا أبدا ، فقاتلوا المشركين حتى قتلوا وأسر زيد وعدى ، وخرج بهما المشركون إلى مكة فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة ، فأخذ

# الإسلام في الهند

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

— ١ —

فتح المسلمون إيران وامتدّ بهم الفتح إلى كابل سنة أربع وأربعين من الهجرة ثم هبطوا أقليم الملتان؛ ولكنهم لم يستقروا به.

وكذلك حاول العرب فتح الهند من الجنوب من حيث ينصب نهر السند فى البحر فغزوا غزوات حتى أعدوا للفتح عدته فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك فسيّر الحجاج الثقفى جيشاً يقوده ابن أخيه محمد بن القاسم ففتح إقليم السند إلى الملتان؛ ولم يتوغل الفتح العربى فى الهند حينئذ؛ ولكن استقر للعرب سلطان هناك زهاء قرنين وبنو المدن وعمروا الأرض.

— ٢ —

وفى القرن الرابع الهجرى عزم السلطان محمود بن سبكتكين ثانى ملوك الدولة الغزنوية على فتح الهند فأعد لفتحها واحتفل وحشد واجتاز الجبال إلى سهول الهند أكثر من خمس عشرة مرة مابين سنة ٣٩١و٤١٧ ففتح بنجاب وكشمير وكُجَرات.

وبقيت بنجاب فى سلطان الدولة الغزنوية حتى غلب الغوريّون الغزنويين على غزنة دار الملك فاتخذوا لاهور حاضرة ملكهم سنة ٥٥٣. فصار فى الهند حاضرة دولة إسلامية لأول مرة فى تاريخها، وقد مهد فتح الغزنويين وسيطرتهم فى الهند لفتوح الدولة الغورية ودول إسلامية أخرى نشأت فى الهند أعظمها دولة سلاطين دهلى (من ٦٠٣ إلى ٩٦٢ هـ) وهى أول دولة إسلامية نشأت فى داخل الهند.

وقد فتحت هذه الدول شمالى الهند وبسطت سلطان الإسلام شرقا إلى خليج بنغاله.

— ٣ —

وفى القرن العاشر الهجرى توجه إلى فتح الهند داهية عبقريّ لا تُنشىء الأجيال أمثاله إلا قليلا: بابُر بن عمر بن أبى سعيد

---

حبيبا عقبة بن الحارث بن عامر ليقتله بأبيه الذى قتله المسلمون، وابتاع زيد بن الدثنة صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف الذى قتله المسلمون ببدر وبعث به أمية إلى خارج الحرم، وترامى الخبر إلى أهل مكة أن صفوان سيقتل زيدا بأبيه فخرجوا ليشهدوا مصرعه، وكان ممن خرج أبو سفيان فقال لزيد حين قدم ليقتل، أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمدا عندنا الآن فى مكانك نضرب عنقه وأنك فى أهلك؟ قال والله ما أحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإنى جالس فى أهلى. فقال أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمداً ثم قتل. وأما خبيب فلما خرجوا ليصلبوه قال لهم إن وأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا، قالوا دونك فاركع، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال أما والله لولا أن تظنوا أنى إنما طولت جزعا من القتل لا استكثرت من الصلاة، ثم قال حين أوثقوه ورفعوه على خشبة: اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا، ثم قال اللهم احصهم عددا، واقتلهم بددا، ولا تغادر منهم أحدا. فاضطجع المشركون لجنوبهم حين سمعوا الدعاء، وكانوا يقولون إن الرجل إذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه، ثم قتلوه رحمه الله، وكانت آخر كلمة قالها:

ولست أبالى حين أُقتَل مسلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى

فإذا كانت محبة الله ورسوله والجهاد فى سبيله، أكثر من الآباء والأبناء والمال والمساكن يمكن نيلها وقد نالها الرعيل الأول من المسلمين السابقين، وهى السبيل إلى العزة والكرامة، فما أحرى الأمم الإسلامية أن تربى أبناءها على حب الله ورسوله والجهاد فى سبيله، لتنال ما ناله السابقون من العزة والتمكين فى الأرض، ولتضيف مجدا طارفا إلى مجدها التليد، ولتنجو من هذا الوعيد الشديد، فتربصوا حتى يأتى الله بأمره، والله لا يهدى القوم الفاسقين.

محمد عرفة

ابن محمد بن ميرانشاه بن تيمورلنك ، ورث في سنة ٨٩٩هـ وسنُّه اثنتا عشرة سنة إمارة في فرغانة وسمرقند ، واقى الصبي من جور أعمامه ومن غِـيَر الدهر ، وتقلب الحدثان ما ذهب بأمارته بعد أن جاهد فيها سبع سنوات ، فبقي ثلاث سنوات شريداً في جماعة من خلصائه وجنوده . فلما يئس من إمارة أبيه أو كاد ، وجّه همته العالية ، وعزيمته الماضية إلى كابل ففتحها سنة ٩١٠ هـ

ولما تمكن مُلكه في كابل طمح إلى الأرض الواسعة سعةَ آماله وعزائمه ؛ طمح إلى الهند فأخذ يغزو أطرافها سنة ٩٢٥ ، حتى مكنته سياسته وعزيمته أن يمحو دولة سلاطين دهلي في موقعة پانيپات الماحقة التي انجلت عن السلطان ابراهيم اللودي قتيلا بين خمسين ألفاً من جنده .

ويوم الجمعة الرابع عشر من رجب سنة ٩٣٢ بعد موقعة پانيپات بستة أيام خُطب لمحمد ظهير الدين بابر على منبر دهلي .

وبعد سنتين مزق هذا القائد العبقريّ جموعاً حشدها أمراء كثيرون من أمراء الهند تألّبوا عليه لدرء خطره : قاد سانجا زعيم أمراء رَجْپوت جيشاً فيه ثمانون ألف فرس وخمسمائة فيل ومائة وعشرون قائداً . فلقيهم بابرُ في كندها وأدار عليهم من جنده وشجاعته وتدبيره حرباً لا قبل لهم بهـا فهزمهم هزيمة قاضية سنة ٩٣٤ هـ

وتوفي بابر سنة ٩٣٧ هـ في التاسعة والأربعين من عمره ، وقد وضع القواعد لدولة استمر سلطانها في الهند حتى سنة ١٢٧٥ ( ١٨٥٨ م ) . وهي الدولة التي اتسع سلطانها ، وعمّت سطوتها حتى خضعت الهند كلها لسيطرتها حيناً من الدهر ، وما أعرف دولة في تاريخ الهنــد الجاهلي والإسلاميّ جمعت الهند كلها في سلطانها إلا هذه الدولة .

توالى على عرش هذه الدولة ستة ملوك عظام في مائتي سنة من بابر إلى محيي الدين أورنك زيب ، وقد عمل هؤلاء الملوك في سياسة الهند وعمرانها وإصلاحها ما لم يؤثر عن دولة أخرى .

سنّ هؤلاء السلاطين سنناً في الدولة حسنة ، وسلكوا طرقاً في الاصلاح مأثورة ، وجمعوا حولهم — ولا سيما جلال الدين أكبر الذي ملك خمسين عاماً — العلماء والفلاسفة والأطباء والأدباء من الهند وأقطار أخرى .

وجمعوا الصنّاع من شتى البلاد ، وشادوا من الأبنية ما لا يزال قائماً يملأ الرائي عجباً ودهشة ، وتملأ مسلمي الهند فخراً وعزة وجلبوا إلى الهند كثيراً من أنواع الحيوان ، وأشجار الثمار والزينـة ، وأحسنوا الحضارة في كل مناحيها . فكان عهدهم أنضر عصور الهند فيما يعرف التاريخ .

— ٤ —

كانت الدول الاسلامية في الهند خيراً لها وسعادة . جلبت إليها حضارات مختلفة ، حضارات العرب والفرس والترك وحضارات أخرى أخذتها هذه الأمم عن غيرها .

كانت الدول الاسلامية في الهند قائمـة بعدل الاسلام ، رافعة راية الأخوّة بين البشر والحرية للناس جميعاً بين أمم فيها العابد والمعبود ، والمقدس والمنبوذ ، والطاهر والنجس ، وفيها السيد والعبد ، والعزيز والذليل ، وكانت داعيـة إلى التوحيد الخالص في بلاد تزدحم فيهـا الأوثان والخرافات والأوهام ، وعلمتْ ما علمـه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها من علوم وآداب وفنون وصناعات حتى لقد علموا تفصيل الثياب وخياطتها ولم يكن أهل البلاد بها عارفين . لقد عرّفوا الانسان كرامة الانسان ، وحرّروا العقول من الأباطيل ، وطهروا القلوب من الأرجاس ، ونزّهوا البشر عمـا لا يليق بالبشر ، وسجّلوا على التاريخ مآثر لا يزال يرددها مأثورة مشكورة .

— ٥ —

ولا يزال مسلمو الهند اليوم ، على كرّ العصور ، وتتابع الخطوب ، يؤدون واجبهم لدينهم وللناس جميعـاً . لا يزالون يجادلون عن أنفسهم ، ويناضلون عن دينهم ، ويدافعون عن حضارتهم ، ويطمحون إلى المقاصد العليا التي يدعوهم إليها دينهم وتاريخهم وحضارتهم .

ولا تزال جماعتهم ، التي تجمعها وتسـوّي بينها أخوّة الاسلام ، مفزع كل مظلوم ، وملجأ كل يائس من العـدل والحرية والمساواة . فمن لحق بهـم ممن لا حق له ، ولا حرية ، ولا كرامة شملته الأخوّة ، وأظلّته الحرية ، وحيّ قلبه ، وكرمت نفسه ، ووجد السبل ممهدة له إلى أبعد الغايات ، والسلّم منصوباً أمامه إلى أعلى المطامح .

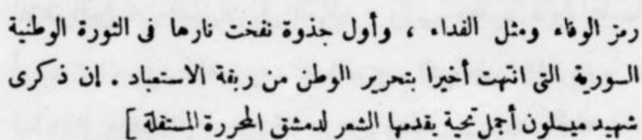
وإنا لموقنون أن المسلمين في الهند ماضون على خطتهم ، سائرون على سنتهم ، حتى يبلغوا المقصد ، ويستولوا على الأمر ، لخيرهم وخير الناس أجمعين .

**عبد الوهاب عزام**

# شهيد ميسلون

للأستاذ علي محمود طه

[ في فجر يوم السبت ٢٤ يوليو من عام ١٩٢٠ سار إلى ساحة ميسلون القائد السوري العظيم « يوسف العظمة بك » مدافعاً عن دمشق بما أمكن حشده من جنود سورية البواسل ، مواجها هجوما مفاجئا لجيش فرنسي يفوقه أضعافا في العدد والعتاد فكان ذلك البطل الصنديد أول مستشهد في المعركة ، وكان استشهاده



رمز الوفاء ومثل الفداء ، وأول جذوة نفخت نارها في الثورة الوطنية السورية التي انتهت أخيرا بتحرير الوطن من ربقة الاستعباد . إن ذكرى شهيد ميسلون أجل تحية يقدمها الشعر لدمشق المحررة المستقلة ]

هبَّ الكَمِيُّ على النفير الصادح    مهلا فديتك ما الصباح بواضح

أي الملاحم بين أبطال الوغى    فَجِئتك بالشوق الملح البارح

فقضيت ليلك لا هدوء ولا كرى    ووثبت في غسق الظلام الجانح

والشوق من خلف الجبال غمامة    حمراء ترعش في وميض لامح

سلت حراب البرق فوق سمائه    هوجاء تنذر بالقضاء الجائح

هي صيحة الوطن الجريح وأمة    هانت على سيف المغير الطامح

قرنت بمجدك حظها فتماسكت    ترعى خطاك على رُبى وأباطح

في موكب الغادين مجد «أمية»    بجوانح مشبوبة وجوارح

لو قستهم بعدوهم وسلاحه    أيقنت أنهمو فريسة جارح

الخائضين الفجر بحر مصارع    السابحين على السعير اللافح

الناهضين على السيوف وتحتها    شتى جماجم في التراب طرائح

الرابضين على الحصون خرائبا    مهجا تضرم في حطام صفائح

صرعى ولو فتشت عن أجسادهم    ألفيت ، ما ألفيت غير جرائح

يا « ميسلون » شهدت أي رواية    دموية ، ورأيت أي مذابح

ووقفت مثخنة الجراح بجومة    ماجت بباغ في دمائك سابح

تتأملين « دمشق » يا لهوانها    ذات الجلالة تحت سيف الفاتح

جرَّت حديد قيودها وتقدمت    شماء من جلادها المتصابح

نسيت أليم عذابها وتذكرت    في «ميسلون» دم الشهيد النازح

من هبَّ في غسق الظلام بحوطها    بذراع مقتتل وصدر مكافح

وتسمعت صوتا فكان هتافه    يا للحبيب من المحب البائح !

أماه ! خانتني المقادر فاغفري    قدري ، وإن قل الفداء فسامحي !

***

« فيحاء » إن نَصَّتْ حواليك القرى    أعلامها ، وازينت بمصابح

وتواكب الفرسانُ فيك وأقبلوا    بالغار بين عصائب ووشائح

وشدا الرعاة الملهمون وأغرقوا    أبهاء ليلك في خِضَمّ مفارح

أقبلت بين صفوفهم متقربا    بأزاهري ، مترنما بمدائحي

حيث الشهيد رنا لمطلع فجره    ورأى الغمائم في الفضاء الفاسح

وتلفتت لك روحه فتمثلت    وجه البطولة في أرق ملامح

حيث الربى في «ميسلون» كأنما    تهفو إليه بزهرها المتفاوح

وكأنما غسلته « بغدادية »    بدموع مَلْك في تراك مراوح

أسمو إليه بكل ما جمعت يدي    وبكل ما ضمت عليه جوانحي

وهو الحقيق بأن أحيي باسمه    في الشرق كل مناضل ومنافح

من كل نجد نافض مما اقتنى    يده ، ووهاب الحشاشة مانح

أو كل فاد بالحياة عشيره    لا القول في خُدَع الخيال السانح

***

قل للدعاة المحسنين ظنونهم    بالغرب ماذا في السراب اللائح ؟

لا تغرينكمو وعود محالف    يطأ المهالك في ادعاء مصالح

تمضي السنون وأنتمو في وعده    تتقلبون على ظهور أراجح

والله لو حسر القناع لراعكم    قيدٌ أعدَّ لكم وخنجر ذابح

من كل مصاص الدماء منوم    يدعى بمنقذ أمة ومصالح

يا « يوسف » العظمات غرسك لم يضع    وجناه أخلد من نتاج قرائح

قم لحظة وانظر « دمشق » وقل لها    عاد الكَمِيُّ مع النفير الصادح

ودعاك يا بنت العروبة فانهضي    واستقبلي الفجر الجديد وصالحي

**علي محمود طه**

# مادية النزعة العلمية فى الزمن الأخير

للأستاذ محمد فريد وجدى بك



اعتبر العلم منذ أول نشوئه منافساً للدين ، ثم مالبث أن تطور التنافس بينهما إلى تخاصم بسبب اختلاف وجهتيهما . سار كل منهما فى طريقه عاملا على هدم منافسه ، وتجاوزت المخاصمة بينهما فى آخر أدوارها حدود الكلام إلى الأخذ بالنواصى والأقدام ، وكان رجال العلم فى هذا الدور فى أوروبا هدفا لأقسى ضروب الإضطهاد ، ولم ينقذهم من الفناء إلا نشوء انقسام دينى خطير كانت نتيجته فى القرن السادس عشر حدوث عهد جديد من حرية البحث والتفكير ، خطا العلم بعدها خطوات سريعة ، وخاصة فى القرن التاسع عشر ، فى سبيل استكشاف مجهولات ، وإظهار مخترعات وجهت الأنظار إليه ، وجعلت المعول فى ترقية الانسانية عليه .

ظل العلم من الناحية الاعتقادية عدواً للدين ، رامياً إلى محو أثره من النفسية البشرية ، لاعتبـاره إياه عاملا انقضى زمنه ، وبطلت الحاجة إليه ، وما ليس إليه حاجة مادية أو أدبية ، كان وجوده معطلا الآخذين به من التأدى إلى الكمال المنشود .

ولـكن فى القرن التاسع عشر نفسه الذى نال العلم فيه أقصى مناه من الدين ، ظهرت آراء علمية ، قضت بها الضرورة ، كان لها أثر فعال فى إعادة سلطان الدين إليه ، منها الحاجة الملحة إلى إفتراض وجود عنصر أولى لطيف إلى أقصى حد ، مالىء للكون كله دعوه الاثير ، لا يخلو منه حيز فى الأرض ولا فى السماء ، وأنه كان موجودا من أزل الآزال ، وسيبقى موجوداً أبد الآباد ، وأنه أصل المادة منه نشأت وإليه تعود . وغلا الأستاذ (هيكيل) المدرس بجامعة ( يينا ) من ألمانيا فكتب فى كتابه وحدة الوجود ( المونيسم ) يقول :

« نعم ، إن نظرية الأثير إذا أخذت كقاعدة للايمان يمكنها أن تعطينا شكلا معقولا للدين ، وذلك إذا جعلنـا إزاء تلك الـكتلة الجامدة الثقيلة ، وهى المادة ، ذلك الأثير الموجود فى كل مكان ، الذى يمكن اعتباره إلها خالقاً » .

ثم أيد رأيه هذا الأستاذ ( شليسنجر ) الألمانى الذى أفضى به فى خطبة ألقاها فى ( التينبورغ ) بألمانيا وهو .

« إن أحقر مظهر من مظاهر الطبيعة غير الآلية ، وأ كبر مجلى من مجالى الحياة الآلية ، يمكن أن يعلل وجودهما بفعل قوى طبيعية واحدة . وبما أنهما من جهة أخرى يشتركان فى الصدور من الأصل الأصيل المتوحد ، الذى يملأ الوجود اللانهائى ، وهو الأثير ، فيمكن اعتبار هذا الأثير إلـها ، ويـكون نتيجة ذلك الحـكم أن الاعتقاد بالخالق يتفق والعلوم الطبيعية . » .

إلى هذا الحد وصل اعتداد الطبيعيين بالأثير ، وهو عنصر افتراضى ، اضطر الطبيعيون اليه ، لأنه لايمكن تعليل كثير من ظواهر الطبيعة بدون افتراض وجوده ، فهل بقى لهم وجه للاعتراض على الدينيين فى القول بوجوب وجود قدرة عليا أوجدت الوجود كله ، ومتعته بالقوى والنواميس الضرورية ، لبنائه على ماهو عليه ، من تنوع موجوداته ، وتباين كائناته ؟ .

لعمرى إن ماذكرناه لربح للدين من العلم أعاد إليه ما سلبه منه من الاحترام فى نظر أتباعه ، فـكان هذا جزاء للعلم من جنس العمل على نحو لايمكن إخفاؤه ، يجب أن يفطن له الذين يهيمنون على العقائد .

وكان مما فتن أهل العلم منذ أكثر من الفى سنة ما ارتآه ( ديمو كريت ) الفيلسوف اليونانى من أن أصل المادة جواهر فردة متناهية فى الصغر لاتقبـــل الانقسام تتألف مادة جميع الأجسام الـكونية منها .

انتشر هذا الرأى وأخذ به أهل العلم فى كل مكان وزمان ، وقارعوا به حجج الدينيين فى أن المادة محدثة كسائر الموجودات ، وظل الأمر على هذا المنوال قرونا ، ودرس الناس فى كل أمة علم الطبيعة على هذا النحو حتى أواخر القرن التاسع عشر ، فرأى الأستاذ اللورد ( رود زفورد ) من أساتذة جامعة منشستر أن الجوهر الفرد لايعقل أن يكون حصاة جامدة متناهية فى الصغر ، وأنها لابد من أن تـكون مجتمع قوى لو أمكنَ فض اجتماعها أحدث تفرقها قوى هائلة يمكن استخدامها فى الشئون الصناعية . وأخذ من ذلك الحين يحاول حلها . كان ذلك فى سنة ( ١٨٧٥ ) . وما جاءت سنة ( ١٩١٠ ) حتى كان بعض الطبيعيين قد تمـكنوا من تفتيت الذرة فثبت ثبوتا علمياً أنها مجتمع من القوى ، فزال من الأذهان ما كان يقوله الماديون من قدم

المادة حتى أن الدكتور ( فيلبون ) كتب فى مجلة ( العلم والحياة ) سنة ( ١٩١٧ ) يقول :

« لقد حلت كلة ( القوة ) محل كلة ( المادة ) ، فما يدرينا إذا كانت كلة ( روح ) لاتحل محل كلة ( قوة ) ؟ » .

وقال الفلسوف ( جيو ) فى كتابه ( اللاتدين فى المستقبل ) ولا يتهم بمشايعة الأديان ، قال فى طبعته السادسة :

« إن الرأى الذى مؤداه : إن الجوهر الفرد لايقبل الانقسام ولا التجزؤ ، يعتبر من الوجهة الفلسفية من الآراء الطفلية . فقد أثبت طومسون وهولولتز أن الذرات فى ذاتها زوبعات متشابهة ثم قال :

« إذا وسع المذهب المادى مدى نظره ، وجب عليه أولا نسبة الحياة إلى العنصر العام بدلا من أن يفرضه مادة عمياء » .

ثم نقل الفيلسوف جيو بعد ذلك عن سبنسر قوله :

« قال الفيلسوف سبنسر : » كل جيل من الطبيعيين يكشف فى المادة المسماة عمياء قوى ما كان يحلم بوجودها أعلم علماء الطبيعة قبل ذلك بسنين معدودة . » . فاننا لما رأينا أجساما جامدة تحس رغما من جمودها الظاهر بتأثير قوى لايحصى عددها ؛ ولما أثبتت لنا آلة التحليل الطيفى بأن الذرات الأرضية تتحرك موافقة حركة الذرات الموجودة فى الكواكب ، ولما اضطررنا إلى أن نستنتج من ذلك أن ذبذبات لا يحصى لها عدد تخترق الفضاء فى كل جهة وتحركه ، لما رأينا ذلك كله ، وجب علينا أن ندرك ماقاله ( سبنسر ) من أن الوجود ليس بمؤلف من مادة ميتة ، ولكنه وجود حى فى كل جهة من جهاته ، حى بأعم معانى هذه الكلمة ، إن لم يكن بأخص معانيها »

وهذا أيضاً ربح عظيم للدين آتاه به العلم بعدما ملأ الخافقين إيذاناً بأن الدين قد قضى زمنه ، وانتهت مهمته .

وفى العالم تدور بحوث منذ أكثر من مائة وخمسين سنة موضوعها النفس الإنسانية ، كان فى مقدمتها مادعاه مكتشفه الدكتور ( مسمر ) الألمانى حوالى سنة ( ١٧٧٠ ) بالتنويم المغناطيسى ، وقد ثبت بتجارب العلماء فيه من خصائص الروح الانسانية ماكاد لايصدق لولا أنه شوهد مشاهدة علمية لاتدع عذراً لمستريب . ثبت منه أن الانسان متى وقع فى ذلك الضرب من النوم ، ظهر له عقل أرقى من عقله ، وذاكرة لايفلت منها ما كبر او صغر من حوادثه ، فيدرك ما يراد منه إدراكه بذاته ، لا بأية آلة من آلاته ، وتظهر له من الخواص مايفوق ذلك ، خصائص روحية لاجدال فيها ، وهى مع ذلك تجريبية محسوسة.

وقد سلك العلماء سبيلا أخرى للوقوف على ما تجهله من خصائص النفس منذ قرن واحد وصلوا منها إلى غايات بعيدة ، ومكتشفات مدهشة .

كل هذا ربحه الدين من العلم فى مدى المائة وخمسين سنة الأخيرة ، وهى تكفى لدحض كل فلسفة مادية ، ولإكساب حجة الدين قوة تجعلها فوق متناول الشكوك .

أليس من العجيب بعد هذا أن رجال الدين لايأبهون لهذه الأسلحة العلمية، بل يوجد فيهم من يكذب بها ويعمل على ملاشاتها ! ألا فليتحققوا أن العصر الذى نعيش فيه هو عصر العلم ، وأن أى مدرك من المدركات ، لايمكن أن يأبه به أحد ممن يعتد بهم إلا إذا جاءه من طريق العلم ، فلا نجعلن بيننا وبينه حجابا ، ولنستفد مما وصل إليه من التطور لنجتذب القلوب إلى حظيرة الحقائق الإلهية الخالدة بما تقرر فيه من المكتشفات الباهرة ، فان كان لابد للقانعين بذلك من دراسة خاصة فلنقم بهما ، وما يذكر إلا أولو الألباب .

**محمد فريد وجدى**

من مذكرات عمر بن أبي ربيعة ..

# حديث غد ...

للأستاذ محمود محمد شاكر

( قال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة[١] ) : خرجتُ في صفر من سنة أربعين أريدُ المدينة أزورُ فتياناً من أصحابي بها ، وأتحسَّس الأخبارَ أخبار الفتن المشئومة التي توزَّعت قلوب المسلمين ، وأنظر ما فعل بسر بن أبي أرطاة بمُهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد بلغنا أنه أحدث فيها أحداثاً عظاماً .

غادرت مكة يوم غادرتها وهي كالتنُّور المتوقِّد ، فقد ذابت عليها الشمس ، واحتدمَ وهَجُها وبقينا تتنفس بين أخشبيها[٢] لظًى من فيح جهنم ، حتى يحس المرء كأنَّ الدمَ يفورُ فوراناً في عروقه ، وقد خدر النهارُ من حوله فلا ريحٌ ولا روْحٌ ، فلكل نفسٍ لذعة في الخياشيم والصدر تنشف الرِّيق حتى يكادُ اللسان ينشقُّ من فرط جفافه ، وحتى يكاد يظنُّ أنه الجنون . ما أصبرنا يا أهل مكة على صياخيدِها ، وما أحبها إلينا على شدة ما نلقى من لأوائها ! بوركتْ أرضاً وتعالى من حرَّمها وتقدَّست أسماؤه .

كان النهارُ حراً ماحقاً منعنا التأويب ، فكان سيرُنا كله إدلاجاً تحت غواشي الليل إلى أن يُسْفِرَ الفجر وطرفاً من النهار . ولشدَّ ما أعجبني الليل وراعني حتى تمنَّيتُ أيامئذٍ أن الدهر ليل كلُّه ، فقد كنت أسرى تحت سماء زرقاء ملساء صافية كأنَّ النجومَ في حافاتها وعلى صفحتها دُرٌّ يتلألأ على نحرِ غانيةٍ وأنا تحت أنفاسها كالشارب الثمل . وكيف تفعل هذه البيداء بنا وبقلوبنا ؟ قيظٌ يسلخُ جلد الحية ويذيبُ دُماغ الضبِّ ، لا يلبث أن تنفحنا بعده بنسيمٍ هفافٍ كأن الليل يتنفس به ليخفف عنا بلاء نهارنا ، ويفوح من بُرُود الليل شذَا الأقاحي فيغمر الفضاء كلَّه أحياناً حتى يخيل إلى أن البادية المجدبة قد استحالتْ روضة تنفث أزهارُها الطيبَ من حيث استقبلتُ ، فأجد لها روحاً على كبدي وراحة فأعبُّ من أنفاسها عباً حتى أقول لقد سكِرتُ من غير سُكرٍ . ثم ما أندى رويحة الفجر على قلوب السارينَ في هذه الهامه السحيقة المتقاذفة ! فإن عبيرَها وبَرْدها والنور المشعشع على أرجائها يجعلك تحسُّ حساً لا يكذب بأنك تحيى في لذاذات لا ينقضي منها أربٌ ولا يستحيل لها مذاقٌ . ولقد حبب إلى الخروجُ إلى البادية كلما وجدتُ في نفسي طائفاً من سآمة أو مللٍ ، فيا بُعدَ ما بين الحاضرةِ وجوِّها الكامِد الجاثم ليلا ونهاراً ، وبين هذه الرِّحاب المتمادية التي يبثُّها النهارُ لواعجه وحرقه ، ويأتي الليل فيناجيها نجوى خافتةً بما في ضميره العميق المشتمل على أسرار الحياة برِّها وفاجِرها ، وتقف النجومُ على أرجاء سمائها مصغياتٍ مشرقات زاهرات كأنما يومِضُ بعضُها لبعضٍ فرحاً بما سمعتْ من تلك الأسرار المصونة المكتمةِ .

***

كلما أوغلنا في البادية وفي قلب الليل ازددتُ فتنةً بليالي الصحراء وتهامُسِ رمالها وتَناجي كواكِبها ، وأسمعُ للَّيل هَسْهسةً كأنها أحاديثُ قلوبٍ عاشقةٍ قد تدانى بها السرارُ ، فتمضي الساعات والعيسُ ماضيةٌ بنا فلا نملّ ولا نكلُّ ولا نحسُّ وحدةً ولا مخافةً ، كأننا قد دخلنا الحرم الآمنَ الذي لا يراع اللائذ به . وجعلتْ نفسي تتجدَّد وتتطهر كأن برد الليل قد غسلها فما تشوبُ نقاءها شائبة .

وبعد ليالٍ أفضتْ بنا المسالك إلى « الرَّبَذَةِ » التي بها قبر أبي ذرٍّ الغفاري رضوان الله عليه ، فلم يبق بيننا إلى المدينة سوى ثلاثة أميال ، وأدركنا الفجر وإننا لعلى مشارفها ، فقلنا نعوجُ بها فنصلي الفجر ثم نرحل حتى نبلغ المدينة في نهار يومنا هذا . فلما أنخنا جمالنا وقمنا إلى الصلاة ، سمعت صوتَ قارىء قد تأدَّى إلينا من بعيدٍ ، فتلمَّسته حتى تبينتُ صوتاً رَاعِداً تقياً كأن الجبالَ والرمالَ والدنيا كلَّها تهتزُّ على نبراته القوية المنيفة

(١) كتب عمر هذه الكلمات وهو في السابعة عشرة من عمره ، فقد كان مولده ليلة الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين يوم مقتل عمر بن الخطاب .

(٢) الأخشبان جبلا مكة المطيفان بها ، وهما أبو قبيس والأحمر .

الصادقة ، وكأنه يمضي في إهاب الليل المهلهل فيفْرِيه فرياً ويمزقه بِمُدًى من النور ، وكأنه يسيلُ في البطحاء كالسَّيل المتقاذفِ فتموج فيه رمالها كأمثالِ الجبالِ نُسفتْ من قرارتها ، وكأنَّ ألفاظهُ هبَّاتُ عاصفة تفضُّ دُرُوع الليل فضاً ، وكأنَّ نغماته أنوار مشمشمة تخالطُ هذا كلَّه فتملأُ الفجر فجراً من نُورِها ونور ألفاظها ومعانيها . وأول ما تبيَّنْتُه حين دنوت منه بحيث أسمع قراءته : « كُنتُمْ خيرَ أمَّة أُخرِجَتْ للناس تأمرونَ بالمعروفِ وتنهونَ عن المنكرِ وتُؤْمنون بالله ، ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم ، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون . لن يَضرُّوكم إلاَّ أذًى ، وإنْ يُقاتلوكم يُوَلُّوكم الأدبارَ ثم لا ينصرون . ضربتْ عليهم الذلة أينما ثُقِفوا إلا بحبلٍ من الله وحبلٍ من الناسِ ، وباءوا بغضبٍ من الله وضُرِبَتْ عليهمُ المسكنةُ ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلونَ الأنبياء بغير حقٍّ ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » ، إلى آخر الآيات ، فلما أخذ يكبر سمعت التكبير يملأُ جنبات الأرضِ كلها متردداً ظاهراً كأن لم يبق في الدنيا شيء إلا كبر بتكبيره .

فرغ الرجل من صلاته ووضع عمامته وبقي حيثُ هو قليلا ثم قام ، فأضاءه لي ذَرْوٌ من نور الفجر الناهد من قبل المشرق ، فإذا رجل في السبعين من عمره وافر اللحية أبيضها ، أسمر شديد السمرة طوالٌ جُسامٌ فارعٌ كأنه صعدة مستويةٌ ، أصلعُ الرأس شديدُ بريق العينين ، نظر إلينا نظرةً وحيَّى ثم انفتل راجعاً إلى فسطاطٍ مضروب قريب من حيث كان يُصلّي . رأيتُه وهو يمشي كأنه قائدٌ يحسُّ كأن الجحافِلَ من ورائه تمشي على أثره . وبعد قليل جاءنا رجل كأشدِّ من رأيتُ من الناس نفاذَ بَصرَ ، فحيَّانا وقال : من الناس ؟ قلت : عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي . قال : ابنُ العِدْلِ [1] ؟ رحم الله أباك ، فقد شهد معنا المشاهد بعد عام الفتح . قلت : فمن يكون الرجل الذي أوى إلى فسطاطه يرحمك الله ؟ قال أو ما عرفته ؟ إنه محمد بن مَسلمة الأنصاريّ صاحبُ رسول الله وصاحبُ أبي بكر وعمر . قلت : فما جاء به ، وقد سمعنا أن رسول الله نهى عن أن يرتدَّ المرء أعرابياً بعد الهجرة ، وأنه ذكر ثلاثاً من الكبائر منها « التعرُّبُ بعد الهجرة » ، فيعود إلى البادية ويقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجراً . قال : صدقت يا بُنيّ ، ولكن لذلك خبرٌ :

كانَ محمد بن مسلمة فيمن ثبت مع رسول الله يومَ أُحُد ، فأعطاهُ رسول الله سيفاً وقال له : « إنه ستكون فتنة وفُرقة واختلافٌ ، فإذا كان ذلك فأت بسيفك أُحُداً فاضربْ به عُرْضَه حتى تقطعه ، واكسر نبلك واقطع وتَرَك ، واجلس في بيتك حتى تأتيك منيَّة قاضية أو يد خاطئة ، فإن دَخل عليك أحدٌ إلى البيت فقمْ إلى المُخدَع . فإن دخل عليك المخدع فاجثُ على ركبتيك وقل : بؤ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين » . وقد فعل حين كانت هذه الفتن بين عليّ ومعاوية فكسر حدَّ سيفه وقعد في بيته ، وأطاعَ نبيَّه وعصى الشيطان الذي استزلَّ هذه الناس التي يقتل بعضُها بعضاً . ولقد قضى في مكانه هذا ثلاث سنواتٍ يدعو ربه أن يصلح بين هاتين الفئتين من المسلمين التي جعلت تتفانى على دُنْيا فانيةٍ ، وعسى ربُّك يستجيبُ لدعاء هذا الرجل الصالح فتحقن الدماء وتوصَل الأرحامُ ويعزُّ بهم دين الله في هذه الأرض .

( قال عمر ) : فسألتُ الرجل أن يستأذن لي على أبي عبد الرحمن محمد بن مسلمة فذهبَ ثم جاء يُومئ إلى أن أقبِل . فدخلت على أبي عبد الرحمن فسطاطه فإذا فيه سيف مُعلَّقٌ على جانبٍ منه ، فلما سلَّمتُ ردَّ التحية وقال : مرحباً بك يا ابن أخي ! ما جاء بك ؟ قلت : زائرٌ إلى مدينة رسول الله يا أبتاه . فدعاني أن أجلس ، فوالله لقد أخذتني للرجل هيبَةٌ ما وجدتها لأحد ممن لقيت من صحابة رسول الله ، ولا من أمراء المسلمين ، وكانت عيناه تَبِيصَّان في سُدْفَة الفسطاط كأنهما قِنديلان يلوحانِ في ظلامٍ بعيدٍ . وجعلتُ أنظر يميناً وشمالا فلا ألبث أن أثبت نظري على سيفه المعلق ، فلما رأى العجَب في عينيّ قال : لعلك تقول ، لقد كسر سيفه وهذا السيفُ معلقٌ بحيث أرى ! ثم قام واستنزل السيف واخترطه فإذا هو سيفٌ من خشب .

(1) كانت قريش تلقب عبد الله « العدل » ، لأن قريشاً كانت تكسو الكعبة في الجاهلية بأجمعها من أموالها سنة ، ويكسوها من ماله سنة فكان وحده عدلا لقريش جميعاً في ذلك ، وكان تاجراً موسراً .

ثم قال : لقد فعلت ما أمرني به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم واتخذتُ هذا أُرْهِبُ به الناس .

***

( قال عمرَ بعد حديث طويلٍ ) : قلت له : يا أبتاه والله لقد آنستني وأدنيتني وأطلقت لساني فلو سألتك ! قال: سل ما بدا لك يا ابن أخي . قلت : لقد حدثني عن قتلك كعب بن الأشرف اليهودي ، وعن قتل يهودَ أخاك محموداً رضى الله عنه ، فهلا حدثتني عن إجلائك يهودَ عن جزيرة العرب في زمان عُمَر ؟ فقال :

رحم الله الرجل، فقد كان شديداً في الحق حافظاً للعهد ، ولكن يهودَ قومٌ غُدُرٌ ، أساءوا الجوار وخانوا العهد وتآمروا على المسلمين ، فعزمَ عمرَ على أن يجليهم عن أرض العرب ليقطعَ غدرهم ويحسم مادة النفاق في هذه البقعة المباركة . فأرسَلَ إليَّ وقال : « لقد عهد إليك رسول الله مراتٍ أن تجلي يهود ، فأنا أتبع سنته وأعهد إليك أن تجلي لي يهود عن أرض العرب ، فلا تظلمهم ولا تؤذِهم ، ولكن لا تدعْ منهم صغيراً ولا كبيراً ولا طفلا ولا امرأة حتى تستوثق من جلائهم بجموعهم عن أرضنا . ولئن عشت لأُجْلِيَنَّهم عن كل مكانٍ كبَّر فيه المسلمون لله ، فإنهم أهل فسادٍ ونفاقٍ وخَبَث » فخرجتُ إلى طوائف اليهود في خيبر وسقتهم مستقبلاً بهم الشام ، فلما بلغنا غايتنا أقبل عليَّ رجل من ولد الحارث أبي زينب اليهوديّ ثم قال لي : لقد كنت مسترضعاً فينا يا أبا عبد الرحمن ، وكنت أنت وابن الأشرف رضيعي لبانٍ ، فما لبث أن جاء هذا الدين واتبعتم ذلك النبيّ حتى قتلت أخاكَ ورضيعَك ، وها أنت تخرجُنا من ديارنا وأرضِ أجدادنا ، وترمينا في ديار الغُرْبة ، فهلا كنت تركت كل ذلك لغيرك أيها الرجل ! فقلت له : يا أخا يهودَ ، لئن كنت قتلتُ رضيعي فقد قتل قومُك أخي محمود بن مسلمة غدراً ، وعرضتم لحرم رسول الله بالتشبيب والبذاءة والسَّفَهِ ، وأردتم أن تغدروا بنبي الله وتدلوا عليه صخرة لتقتلوه ، أفتظن يا أخا يهودَ أنا تاركوكم تعيثون في الأرض فساداً ، وتكفرون النِّعم ، ولا ترعون حُرمة ولا ذِماماً ولا عهداً ، وتتآمرون على المسلمين تحت الليل ، وتمدون عليهم غارتكم آمنين؟ ووالله لقد صبر عليكم عُمَر صبراً طويلاً ، ولو كان حزّ رقابكم جزاءً بما تصنعون لقلّ ذلك لكم .

قال ابن الحارث : لشدّ ما تهتُم علينا أيها الناسُ ، فوالله ليكونن لهذا اليوم الذى أذللتمونا فيه وفضحتمونا وأجليتمونا عن أرضنا وأرض آبائنا يوم مثله يكون لنا عليكم ، فقد جاء في كتبنا أنه سوف يجيء يوم تدخل فيه اليهودُ على أبناء يعرب هؤلاء فتذيقهم بأساً شديداً وعذاباً غليظاً ، حتى ترى اللُّقمة في يد المسلم قد أدناها إلى فيه فإذا على رأسه رجالٌ من أشدّاء يهود تنفّره حتى يدعَها لهم . ولتدخلنّ نساؤنا على نسائكم حتى لا تبقى امرأة منكم إلا نامت بشرِّ ليلةٍ مما تَلْقى من نسائنا ، ولنسوقنكم كما سقتمونا حتى نجليكم عن ديار آبائكم وأجدادكم ولنفعلن الأفاعيل حتى تكون لنا الكلمة العليا ونحن يومئذ أحق بها . ووالله ما نصبر على ما آذيتمونا إلا انتظاراً لما يكون غداً كما قال لنا أنبياؤنا . وكأني أنظر إلى غدٍ ، فأرى وجوه الأحباب من بني إسرائيل قد سقطت عليكم من كل فج كأنهم جرادٌ منتشرٌ تأكل يابسكم وطريّكم ، ولا تدعُ لكم موطىء قدم إلا كان تحته مِثْل جَمْرِ النار . وإنكم لتقولون إن الله قد ضرب علينا الذلة والمسكنة ، فوالله لئن صدقتمُ اليوم إذْ أَمِرَ أمرُكُم ، لتعرفنّ غداً أننا شعب الله الذى لا يرضى له الله بالذلة والمسكنة ، ولقد كنّا ملوك الأرض فدالت دولتنا كما دالت من قبلها دول ، ولكن الله بالغُ أمره يوم تدولون كما دُلْنا ويعودُ الأمر إلينا ، فنحن قوم أولو بأس شديد ، ونحن أهل الكتاب الأوّل ، ونحن أتباع الحقّ . فإذا جاء ذلك اليوم يا أبا عبد الرحمن فستعلمون أيُّنا أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلا . فوالله لنتخذنّكم لنا أعواناً على أنفسكم ، ولنضرِبَنّ غاديكم برائحكم ومقبلكم بمدبركم ، ولنوقعنّ الفتنة بينكم حتى يُصْبِح الرجل منكم مؤمنا ويمسى كافراً ، وليكوننّ لنا من أنفسكم رجالٌ يُخْرِبون بيوتهم وبيوت آبائهم وهم عنا راضون ولنا مطيعون !

قال محمد بن مسلمة : فسمعتُ الرجل يقول قولاً كبيراً ، فقلت له : لئن صدقَ أنبياؤكُم فكانَ ذلك ، فما صدقوا إلا

# الأبد للأرض من هداية السماء

للأستاذ محمد محمد المدني
الأستاذ بكلية الشريعة



للانسانية أهداف ثلاثة إذا وصلت إليها وحققتها فقد وصلت إلى القمة، وحققت خلافة الله فى الأرض كما أرادها الله. هذه الأهداف الثلاثة هى: الحق، والخير، والجمال. وكل واحد منهما ضرورى ما دمنا نريد السعادة الشاملة للجنس البشرى، وننشد الكمال الذى به يكون الإنسان إنسانا.

ولقد مضى على الإنسان قرون وآماد كان فيها فريسة الجهل والوثنية، يعبد الشمس والقمر والنجوم، بل يعبد الأحجار والأشجار والحيوان، ولا يتمتع بلذة المعرفة وإدراك الحقائق، ولا تتصل روحه، ولا يسمو عقله إلى خالق هذا الكون العجيب، ولا يمتد تفكيره إلا إلى ما بين يديه كأنه واحد من هذه الحيوانات التى تعج بها الأرض لا يمتاز عنها كثيرا!

وكان الإنسان أيضا فريسة هينة مستسلمة لعوامل الشر والفساد التى تتمثل فى ضعفه وعجزه، وتتمثل فى تسخير الأقوياء للضعفاء، وتتمثل فى ظلم الرعاة والمملكين، وتتمثل فى البهيمية الحمقاء التى لا تعرف حدودا، ولا تهدف إلى غرض، وتتمثل فى الانحلال والتخبط والارتجال فى كل ناحية من نواحى الحياة!

وكان الإنسان محروما من إدراك الجمال والتمتع بلذته: فالقانون قانون القوة كما هو الشأن بين وحوش الغاب، وليس للأخلاق موازين، ولا للفضائل مقاييس، ولا للشرف قيمة، ولا للحياة مُثل تحتذى أو تراد.

وما لهذا خلق الإنسان، ولا بهذا استحق خلافة الله فى الأرض، ولا لهذا استحق بنو آدم التكريم على سائر ما خلق الله!

فلم يكن بد من « هداية السماء » تكفله وتهذبه وتقرب له السبيل، وترسم له الصراط المستقيم، وتخرجه من الظلمات إلى النور، وبذلك كانت الرسالات الإلهية التى تطورت وتركزت وانتهت إلى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وختمت بها كآخر قانون سماوى ضمن له الحفظ والبقاء، وألا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لا لمجرد أن ذلك هو ما قضت به الإرادة الإلهية، ولكن لأنه القانون الذى أتى وفقا للطبيعة، وزود من المبادئ بما يجعله صالحا لكل زمان ومكان، وبما يجعله قابلا لكل خير وصلاح تجود به العقول إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين!

* * *

ترى ماذا كان يتطور إليه الإنسان لو لم يمد بهداية السماء؟ لا شك أنه كان سيعرف بعض صور الواقع الصحيح، وبعض نواحى الخير، ويدرك بعض أسرار الجمال، ولكن إلى أى حد؟ وبعد كم من القرون والدهور؟ أعتقد أن « الهداية الإلهية »

---

ليصدقوا رسول الله فى خبره، فأنتم اليوم أشتاتٌ مبعثرون فى جنبات الأرض، وليزيدنكم ربُّكم فُرْقةً وشتاتاً، فإذا جاء ذلك اليوم فدخلتم علينا أرضَنا وعلا أمرُكم فى حيث يشاء الله منها، فلكى تتم فيكم كلمةُ الله وليعذّبكم وليستأصل شأفتكم من أرضه، ولتكونوا عبرةً للطاغين من أمثالكم، فقد قال الصادق المصدّق رسول الله: « تقاتلكم يهودُ فتسلَّطون عليهمَ حتى يقول الحجرُ: يا مسلم! هذا يهوديٌّ ورائى فاقتله »، فوالله ليكوننَّ ذلكَ كما أرادَ الله، ويومئذٍ يعضّ طغاتكم وطواغيتكم أطراف البنان من الندم، فالعربُ هى ما علمت يا ابن الحارث لا ينامُ ثائرها ولا يُخطم أنفها بخطام.

(قال عمر) قلت: يا أبا عبد الرحمن! وإن ذلك لكائنٌ؟ قال: يا بنى، ما علمى بالغيب! ولكنه إذا جاء فليقضينَّ الله بيننا قضاءه، ويكونُ يومئذ فناؤهم على أيدينا، فأمرُ المسلمين إلى ظهور، وأمر يهود إلى حُكم الله الذى ضربَ عليهم الذلّة والمسكنة إلا بحبلٍ من الله وحبل من الناس. والله يحكم لا معقّب لحكمه.

محمود محمد شاكر

قد عجلت على الأقل إلى حد بعيد ، وبعيد جداً ، بتهذيب الإنسان وتطويره ، وأن المبادئ التى اشتملت عليها الشرائع عامة كانت بمثابة بذور غرست فأنبتت وما زالت تنبت وتؤثر فى الغذاء الفكرى للانسان تأثيرا عميقا ، سواء أحس الإنسان بذلك أم لم يحس ، نعم قد يظن الإنسان أنه وصل إلى ما وصل إليه من الرقى بعقله وأنه لو لم تكن الأديان لكان العقل دينا وهاديا — وقد قال بذلك فعلا بعض فرق المسلمين — ولكن ما هى مقاييس العقل وهل كان العقل — إذا لم يلقح بهذه اللقاحات السماوية — يمضى قدما فى الطريق المستقيم لا يضل ولا يشقى ؟ إنى لفى شك من ذلك وينبغى أن يكون ذلك موضع شك ، فنحن نرى الأمم البدائية أو المنعزلة تقيم القرون والدهور فى عزلتها ، وهى على ما هى عليه فى أفكارها وعاداتها وتقاليدها ونظرها إلى الأشياء وإدراكها للمعانى دون أن تتطور ، ودون أن تتحرك ، ودون أن تنبت فيها نابتة من عقل أو أثارة من علم ، إلا إذا جاءها ذلك من خارجها ، كأن يتصل بها قوم آخرون ، أو يرحل عنها بعض أبنائها ثم يعود إليها ، أو نحو ذلك . ويومئذ تبدأ فى تفكير جديد ، وتنظر إلى ما هى فيه ، فتعرضه على العقل وتناقشه ، وتختلف فيه خلافا شديدا ، وينتهى أمرها بأن تأخذ منه وتدع وتعدل فيه وتقوم ، فربما تطورت وتطور التفكير العقلى فيها ، وتطورت أساليب حياتها على نحو جديد ، وما ذلك إلا لأن اللقاح فعل فعله ، وأثر آثاره ، وإن لم يدرك الإنسان فى أثناء هذا التفاعل أنه حاصل واقع ماض فى سبيله موف على غايته !

بهذا نستطيع أن نقيس حالة البشرية عامة لولم تمد الأرض بهداية السماء . إنها تكون فى غيابة من الجهل وضلال من التخبط وتظل فيهما ، وإن تلونا بألوان متعددة ، الحقب الطوال ، والأزمان المترامية والدهور المتعاقبة ، وهبنا سلمنا أنها تتحرر من هذا الجهل شيئاً بعد شىء عن طريق الصدفة ، أو التفكير العقلى فإن ذلك يحتاج — والفرض أنه لا مدد من الهداية والنور — إلى أحقاب وربما انقضى عمر الإنسان على هذه الأرض دون أن يصل إلى الغاية الحميدة التى أرادها الله له !

وأحب أن نلتفت فى هذا المعنى إلى آية كريمة فى كتاب الله تقول «هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيرا ، إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا » .

فهذه الآية تشير إلى الحقب المتطاولة التى مرت بالإنسان وهو فى طور الخمول وغمرة الجهالة حتى جاز أن يوصف بهذا الوصف البليغ ، فينفى عنه أنه شىء فى هذا الوجود يستحق الذكر !

والإنسان هو عماد هذه الأرض ، وهو خليفة الله فيها ، وهو أكرم من فيها على الله ، فإذا وصف من هذا شأنه بأنه لم يكن شيئاً مذكورا ، فلا بد أن يكون هذا الوصف تعبيراً عن حالة من الخمول والضعف والتفاهة — لا أقول وصلت به إلى مرتبة الحيوان فان الحيوان على كل حال شىء مذكور — ولكن أقول : إنه كان أسوأ حالا من الحيوان وأبعد وأوغل فى الضلال والتسخير!

ثم تذكر الآية بعد ذلك خلق الإنسان وأصله ، والغاية من هذا الخلق ، وما ركب فيه من استعداد فطرى له أدوات ظاهرة من الحواس كالسمع والبصر — سواء أكان المراد بهما هاتان الحاستان الساديتان أم كان مرادا بهما الاستعداد الفطرى للتقبل والفهم والإدراك عامة — وتردف الآية ذلك بنعمة الله عليه فى الهداية إلى السبيل ، والإرشاد إلى الحق وإلى الطريق المستقيم ، وبذر بذور المعرفة والعلم فى محيطه ، ينتفع بها من ينتفع ، ويزور عنها من يزور ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حى عن بينة « إما شاكراً وإما كفورا » ذلك بأنه لا يوصف بالشكر ولا بالكفران إلا من علم .

وكأنى بالآيه الكريمة حيث ذكرت هذه المعانى الثلاثة فى طراد واحد — فلفتت إلى حالة الإنسان فى طور جهالته وضؤولته ثم أتبعتها بخلقه واستعداده الذى هيأه الله عليه ، ثم ذكرت بعد ذلك الهداية والإرشاد — كأنى بها وقد ذكرت ذلك على هذا النحو ؛ تلمع إلى أن اعتماد الإنسان على هداية الله وإرشاده ليس بأقل من اعتماده عليه فى خلقه ، وفى استمداده الوجود منه ، فكما لا يوجد الإنسان بدون موجد ، ولا يخلق إلا من الخالق ؛ كذلك لا يهتدى بدون هاد ، ولا يرشد بدون مرشد ، ولا يتعلم بدون معلم !

من هنا يجب أن يعترف الإنسان وأن يكون خاشعاً فى هذا الاعتراف ، بالهداية الإلهية ، كما هو خاضع خاشع فى اعترافه بالخلق

والتكوين ويجب ألا يغره عقله ، ولا تسول له علومه ومعارفه أمرا مهما بلغ منها ، فيتردد فى الاعتراف بأنه محدود ، وبأنه محتاج ، وبأنه موضع فضل إلهى ، وفيض ربانى ، بهما قوامه وبهما عقله ، وبهما سموه عن كل ماخلق الله فى هذا الوجود ، ولولاهما ما كان ، ولولاهما ماصار شيئاً مذكورا ! !

* * *

وناحية أخرى تتصل بهذا البحث : ذلك بأن العقول تتفاوت وتتضارب ، ويرى بعضها الشىء حسنا بينما يراه الآخر قبيحا ، وهذه قضية يثبتها الواقع ، ولا يجادل فيها متصل بالحياة ! وإنما كان ذلك لاختلاف أسباب العلم واختلاف وسائل العلم ، واختلاف الأمزجة والأهواء والبيئات ، واختلاف العصبيات والجنسيات ، وميل الإنسان بطبيعته إلى الاعتزاز بنفسه ، والاعتداد برأيه ، وتنفيذ فكرته ، وفرضها على من سواه فرضا لا يخضع للمنطق ولا للعقل ، ولكن يعتمد على السلطان والنفوذ والقوة الذاتية ، فإذا ترك الناس يشرعون لأنفسهم ، ويضعون المثل لتفكيرهم وثقافاتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم فإنهم لا شك متأثرون بما أوضحنا من عوامل الشهوة والمزاج والبيئة والسلطان ، ولا يستطيعون أن يتحرروا منها مهما بلغوا من العلم والحضارة ، لأنها طبيعية تتغلب على كل ما سواها ، وإن استترت فإنما تستتر فى الظاهر ، وهى تعمل عملها فى الخفاء ملحة مثابرة لا يثنيها شىء من الأشياء :

ومن هنا رأينا الأمم الحديثة يعتنق كل منها فكرة ويجعلها مذهبا له فى الحياة ، ويحاول حمل الناس عليها تارة بالقوة ، وتارة بالدعاية . فهذه نازية ، وهذه فاشية ، وهذه اشتراكية ، وهذه شيوعية ، وهذه ديمقراطية وهكذا . وكل هذه أوضاع إنسانية متأثرة بما يتأثر به الإنسان عادة . وليس أصحابها وواضعوها من الملائكة المقربين ، ولا من القديسين المنزهين عن الأغراض والنزعات ، ولذلك اختلفت ، وتماركوا عليها ، واحتاجوا إلى القوة فى حمايتها ، فلما تخلت القوة عن بعضها انهار وأصبح فى عداد الذكريات التاريخية ، ولو كان حقا وخيرا لبقى وصار الجميع إليه متفاهمين «فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

أين هذه النظم من نظام الإله السميع العليم ، المنزه عن الأغراض والأخطاء ، الذى ينظر إلى عباده جميعا نظرة العدل والرحمة والمساواة ؟

أما بعد !

فقد وضح أن العقل وحده غير كاف — حتى فى عهود الحضارة والرقى الفكرى — للأخذ بيد الإنسانية وتحقيق أهدافها من الحق والخير والجمال ، وأنه لابد من الهداية الالهية لتوسيع آفاق هذا العقل ، ولكفالة استقامته ، وضبط تفكيره والحد من طغيانه !

بذلك ، وبذلك وحده ، يصل الإنسان فى هذه الحياة ، إلى الغاية التى أرادها الله .

محمد محمد المدنى
المدرس بكلية الشريعة

# نشيد الحرية في عيد الهجرة

للأستاذ محمود الخفيف

معصوبة العينين مغلولة
واهنة في أسرها شاحبه
لاهثة في القيد برية
ذاهلة عن قيدها واثبه
عصية هوجاء مأخوذة
نازعة للطير ما أذعنت
يوما لهذا الأسير أو هادنت
أو غلبت روح لها غالبه

أبية مهما يعض الحديد     فليس بالوهن إصرارها
من بأسه بأس لها أو يزيد     والنار تذكى إن طغت نارها
هازئة في قيدها بالوعيد     توعد من قيدها صيحة
تصغى إليها الأرض مرتجة
وتنقل الأيام أخبارها

تصيح بالسجان يا آسرى     غداً تريك الأرض زلزالها
تغدو بها المقهورَ يا قاهرى     يا صانعا للروح أغلالها
هيهات أخشى القيد من غادر     رنين أغلالى في سمعه
ألقى طيوف الرعب في نفسه
والرجفة النكراء أوحى لها

ما ألفت إلا فسيح الرحاب     طليقة في جوها طائره
في المرج والموج وفوق السحاب     خفاقة رايتها عابره
وضيئة تلمع لمع الشهاب     في ظلمة العيش سنا برقها
تهفو إليه الروح مشتاقة
وتجتليه الأنفس الثائره

كم من فؤاد باسمها خافق     مستشرف يرتقب الموعدا
وكم لها في الدهر من عاشق     محلق الروح وإن قيدا
في سجنه ينظر من حالق     يهزأ بالسجن وأصفاده
ما عرف الأذعان قلب له
يطلقه مما يسام الردى !

معشوقة الإنسان من يومه     حياته قبل ضلال الحياه
قبل الذي أغواه من علمه     وغره أن الهدى ما يراه
قبل الذي أطفاه من حكمه     في رأسه الريش وفي كفه
نصل يلوح الشر في ومضه
والغل والأصفاد صاغت يداه

مذ ألبس الناس لباس الحديد     والذهب الوهاج ما يلبس
يا سوء ما يشقى لديه العبيد     وليس من يهمس أو ينبس
أين ، وقيدٌ كل يوم جديد     والناس قطعان ورعيانهم
إن بسم الراعى صفا مرجُه
والغيم والأعصار إذ يعبس

وأصبحت من حلم الحالم     ومهده ، الحرية الساحره
كم من مُعَنّى باسمها هائم     يطلبها في الظل والهاجره
يعيش بالأحلام في عالم     ينسى به الإنسان أغلاله
بالحق والرحمة في أرضه
والسلم كم تربطه آصره

حورية كم سحرت مهجة     راحت بما تشقى به تسعد
ما إن ترى في عيشها بهجة     إلا الذي في حلمها توعد
والهول كم خاضت به لجة     من ظلمة تأوى إلى ظلمة
تهفو إلى النور الذي شاقها
حتى ترى صبحاً له يولد

عذراء كم أغلى الهوى مهرها     من الدم الغالى لها يبذل
كم ألهمت نضواً لها سرها     من روحها وحى الذى يعمل
يلمح في كل سناً سحرُها     وكل شاد بالهوى حوله
ذكره باللحن ممشوقة
لو تقتضيه الدمَ لا يبخل

كم راسف في قيده موثق     يأبى وإن مُنّى أن يذعنا
أشهى له في سجنه الضيق     أن يلبس الأغلال مستيقنا
عزاؤه في ضيقه المحرق     ما يحرق الطاغين من غيظهم
مما أصرت أنفس حرة
تأبى إلى الذلة أن تركنا

عذابه في القيد روح له     يكاد لولا كبره يطرب
ينسيه ما يطلبه هوله     يا هول ما حمله المطلب
في قلبه ومض محا ليله     فاض كما كان يفيض الضحى
وهو من السجن وأحجاره
في غيهب من فوقه غيهب
يذوى وفي أضلاعه جذوة     تدفئه في ركنه الأقتم

تذهله عن موته نشوة    فتفتره يبسم إذ يرتمي
تمضي إلى الموت به غفوة    فيها خيال رف من فوقه
يعرفه ! كم ذا رأى وجهه
بغيره في الأسر لم يحلم

فطرية تنشدها الأنفس    والأنفس الحرة قربانها
من نفس تحيا به أنفس    فيها من العزة برهانها
في لحنها النار التي تقبس    نار تظل الدهر مشبوبة
يخشى لظاها كل مستكبر
وينذر الطاغين بركانها

أبطالها في الدهر أيامهم    أجمل ما يشدو به شاعر
توحي إلى الحاضر آلامهم    كيف أبى أغلاله الحاضر
أسيافهم شهب وأقلامهم    لحن ، على الأيام أسجاعه
وحي قلوب خافقات به
في الأرض ما خوفها قاهر

شدوتُ والهجرة في خاطري    أنشودتي الحرية العانيه
إشراقها في قلبي الثائر    لحن به أذكيت ألحانه
تبقى بقاء الفلك الدائر    توحي إلى الأجيال حرية
ما ولدت « يونان » أختاً لها
والدهر ما جاد بها ثانيه !

خوانق الأغلال مفصومة    مهاجر حطمها واحد
من حوله الأوهام مهزومة    زلزلها المبتهل العابد
أسلحة الطغيان مثلومة    والناس سوى بينهم دينهم
ما عز إلا الله من حاكم
لغيره ما سجد الساجد

مهاجر عزمته أنطقت    بما تدين الأنفس الخائفه
منطلق من أسره أطلقت    هجرته الحرية الراسفه
رسالة للروح قد أشرقت    تضحى على الأنفس آياتها
قدسية الومض إلهية
جوانب الأرض بها هاتفه

الروح في منزعها حرة    من ربقة الذل الذي يوبق
والعقل قد ثارت به ثورة    تأبى من الأوهام ما يوثق
والجسم كم نامت به شرة    لا الترف الجامح ماض به
إلى مهاوي الغي يوما ولا
يخشى من الطغيان ما يرهق

محمد ، شرعته قوة    تذكي طموح الأنفس الطامحه
حمية توقدها دعوة    إلى المدى حجتها لائحه
في كل نفس حرة جذوة    صوب الملا تدفعها والفدا
كم ألهبت في زحفها عصبة
هزت بها أسيافها الفاتحه

ودينه الحرية الصادقه    لا عوجٌ فيها ولا زخرف
معارج الفكر به شاهقه    وسيفه من خلفه المصحف
مراشد الوحي بها ناطقه    في الدين لا إكراه من قيم
والأمر شورى فيه لا غاصب
يطغى ولا ذو نزق يعصف

يا مدلجاً أخرجه قومه    خطوت لا في البيد بل في الزمن
يا جاهداً تحت الدجى ، عزمه    والبغي داج ليله ، ما وهن
يا واحداً ضاق به خصمه    هجرتك الغراء من وحيها
في كل عصر ظالم ، هجرة
لكل شاك غربة في الوطن !

قصيدة رددها منشدا    ما هتف الدهر وما رجّعا
لحن له في كل قلب صدى    ما أصدق اللحن وما أروعا
شمس هدى كم ذا تشع الهدى    من أفق الوحي شعاعاتها
مطالعها الشرق وكم أشرقت
شمس به ، أكرم به مطلعا !

(البقية في العدد القادم)

**محمود الخفيف**

# في بيت المقدس

للأستاذ علي الطنطاوي



كانت (ماربيت) تدور في البيت ما تستطيع أن تستقر من جزعها على زوجها وإشفاقها أن يصيبه مكروه ، تضم ولدها الرضيع إلى صدرها ، تناجيه وتناغيه ، ثم يدركها اليأس، ويخيل إليها أنه قد غدا يتيماً لا أب له ، فتتساقط الدموع من عينيها على وجه الطفل فيفيق مذعوراً ويبكي، فتمتزج دمعة الحبّ بدمعة الطفولة ... وكان زوجها قد خرج من الغداة لردّ الأعداء المسلمين عن بيت المقدس ، ومالت الشمس ولم يعد ، ولم تعرف ماذا حلّ به ... وكانت (ماربيت) فتاة باسلة ، ثابتة الجنان ، لم تكن تعرف الخوف ولا تخلع الحوادث فؤادها ، ولكن وقعة (حطّين) لم تدع لشجاع من الأفرنج قلباً ، ولم تترك لفارس فيهم مأملا في نصر ، فقد طحنت جيوشهم طحناً ، وعركتها عرك الرحى ، وزعزعت قلوب الكماة عن مواضعها . فكيف بقلوب الغيد الحسان؟ وكان زوج (ماربيت) فارس الحلبة ، وبطل القوم ، وكان قد رأى البنات من الإفرنج والألمان والانكليز وكل أمة في أوربة ، يملأن جوانب القدس ، فلم ير فيهن من هي أفتن فتنة ، وأبهى جمالا ، من (ماربيت) فهام بها وهامت به ، وتزوجها فكانا خير زوجين ، وكانت حياتهما النعيم كله ، ودارهما كأنها لهما جنة عدن ... ولكن حبّه لها لم يشغله عن حبه لوطنه ، وتمسكه بصليبيته ، وحرصه على أن يبقى أبداً فارس النصرانية المعلم وبطلها فكان كلما سمع نأمة طار إليها ، وكلما دعا داعي القتال كان أول الملبّين ...

وفتح الباب ، فخفق قلب ماربيت وتلاحقت أنفاسها ، ولم تدر أهو البشير أم هو الناعي ، وتلفتت فإذا هي بزوجها يدخل عليها سالماً ، يمد لها ذراعيه فتلقي بنفسها بينهما ... ويحدثها حديث النصر : لقد ردّ يسوع الأعداء ، وفت في أعضادهم فانطلقوا هاربين ، قبل أن نباشر حرباً ، أو نشرع في قتال ، لقد استقر أيتها الحبيبة ملك المسيح في بيت المقدس إلى الأبد ، ويا ليتك أبصرتهم يا ماربيت ، وقد ذهب الفزع بألبابهم لما رأوا أسوار المدينة ، تطل من فوقها أبطال النصرانية ، وفرسان الصليب ، فهدوا خيامهم ، وولوا الأدبار لا يلوون على شيء لا يريدون إلا النجاة ... لما صدقت أن هؤلاء هم الذين فعلوا تلك الفعلة في (حطين) . لقد فروا كالنعاج الشاردة ... فياليت أبطال القدس كانوا في (حطين) ، ليروهم يومئذ ما القتال !

ألا تقدس الصليب ، وتبارك اسم الناصري ، إن أورشليم لنا إلى الأبد ! !

***

ومشت معه إلى الكنيسة الكبرى ، لتحضر الاحتفال بالنصر ، وكان يحدثها في الطريق عن هؤلاء الوحوش الكافرين ، ويصف لها فظاعة ديانتهم ، وقسوة رجالهم ، وكيف يأكلون لحوم أعدائهم ، ويشربون دماءهم ، ويصور لها ملكهم (صلاح الدين) ، كما وصفه له الكهنة ورجال الكنيسة. فترتجف أضالعها خوفاً وفزعاً من هذه الصورة المرعبة ، وتضم ولدها إليها وتصلّب وتستجير بالقديسين جميعاً ، وبيسوع وبالعذراء ، أن لا يجعلوا له سبيلا إليها ... وأن لا يروها وجهه المخيف ...

وينقضي الاحتفال ويرجعون من الكنيسة ، وهي تحس أن الدنيا قد ألقت إليهم مقاليد الأماني ، وأن الدهر قد حكمهم فيه ونزل على حكمهم ، وتستلقي على فراشها ، وهي تداعب الآمال وتناجيها ، حتى إذا بلغ بها التأميل أن ترى هذه البلاد كلها قد عادت للمسيح وأتباعه ، ولم تبق في جنباتها منارة مسجد ، ولم يعد يتردد في جوّها أذان ، وترى زوجها قد علا في المناصب حتى صار القائد الفرد ؛ أغمضت عينيها على هذه الصورة الحلوة ، وأخذتها معها في أحلامها ... ونامت ... ولكنها لم تجد إلا حلماً مزعجاً : لقد أحست كأن المدينة تتقلقل وتميد ، وكأن حصونها تدكّ دكاً ، وتخر حجارتها ، وتتهدم كما يتهدم عش عصفور ضعيف بضربة من جناح نسر كاسر ، وخالطت سمعها أصوات العويل والبكاء تتخللها صرخات الرجال ؛ فعلمت أنه ليس بحلم ولكنها الحقيقة ، فوثبت تحمل ابنها ، ونظرت إلى سرير زوجها فلم تلفه

فى مكانه ... فخرجت تسأل ما الخبر ، فخبرت أن (صلاح الدين) ، قد دار حول البلد حتى حط على جبل الزيتون ، ثم صدم المدينة صدمة زلزلتها وهزتهـا هزاً ، وكادت تقتلعها من آساسها ، كما تقتلع الشجرة من الأرض الرخوة ، ورماها بالمنجنيقات والعرادات ، وقذفها بالنيران المشتعلة وهجم جنوده على الأسوار كالسيل المنحط ، بل كأبالسة الجحيم ، لا تحرقهم نيراننا ، ولا يقطع فيهم حديدنا ، كأن المردة والشياطين كلها تقاتل معهم ...

وكانت (ماربيت) واثقة من قوة الدفاع ، فالقدس بلد النصرانية لبثت فى أيدى أهلها مائة سنة لا سنة ولا سنتين ، وفى القدس ستون ألفاً هم خيرة أجناد الصليب ، يقودهم (بليان) ويصرفهم البطريك الأكبر ، ولـكن هذه المفاجأة روعتها ، وأدخلت الشك إلى قلبها ...

وطفقت الأخبار تصل إليها متعاقبة تترى ، وكل خبر شر عليها من الذى قبله ، وكلما مرت دقيقة سمعت نبأ جديداً عن شدة الهجوم ومضائه ، وعن تحطم أدوات الدفاع ، حتى جاءها الخبر بأن الرايات البيض قد رفعت على الأسوار وأنها قد عقدت الهدنة ، على أن يخرج من شاء من المدينة فى مدة أربعين يوماً ، ومن أراد البقاء بقى فى حكم صلاح الدين ، وأن تفتح له المدينة أبوابها ، وأن يدفع الرجـل الذى يريد الخروج عشرة دنانير والمرأة خمسة والولد دينارين .

***

وتركت (ماربيت) القوم فى رجتهم وخرجت تفتش عن زوجها الحبيب ، ومشت فى الظلام تدور حول الأسـوار ، تنظر إلى الأبواب المفتحة ، والجنود الظافرين يدخلون بالمشاعل والطبول ، فتشد يدها على ولدها وتمضى متباعدة ، حتى تبلغ ساحة القتال ، فإذا هى تطأ على أعلام الصليبيين ممزقة محرقة ، مختلطة بجثث الأجناد مقطعة الأوصال ، فامتلأت نفسها رهبة وخوفاً ، وهمت بالعودة ولـكنها غالبت النفس ومشت ، فقـد كانت تفتش عن زوجها ، ولا تستطيع أن ترجع حتى تلقـاه أو تعرف خبره ، وكان حولها رجال ونساء كثيرون يبحثون كما تبحث ، عن قريب أو صديق ، وتمثلت ذلك الأمل الضخم : أمل (الوطن القـومى) الصليبى ، فألفتـه قد مات هو الآخر ، والقيت جثته ... ورأت هذه الأرض قد عادت للقوم الـكافرين يسوع وأمه ... وأحزنها ذلك كما أحزنها فقد زوجها ، وتضاعفت به مصيبتها وحاولت أن تتعرف وجوه القتلى ، من أحبابها وعشيرتها ، فأخفقت وعجزت ولم تبصر شيئاً من الظلام ومما أصابهم من التبديل والتغيير . وتمثلت لها حياتها كلها ، فإذا هى قد ذهبت وجاءت فى مكانها حياة جديدة ؛ حياة رعب وفزع وشقاء لا تعرف عنها شيئا ، ولا تدرى ولا يدرى أحد من قومها كيف يكون مصيره فى ظل الحـكم الجديد ، وذكرت ما قاله لها زوجها عن فظاعة هؤلاء الفاتحين ، فأحست عند ذكر زوجها كأن قلبها قد انتزع من صدرها ، وطار فى أثره ، وفكرت فيه : أى أرض تقله ؟ وأى سماء تظله ؟ وهل هو قتيل قد تمزق جسمه الجميل ، وانتثرت ثناياه الرطاب ، و... ولم تستطع المضى فى هذه الصورة فأغمضت عينيها ، وألقت عليهما غشاء من الدمع ، وأحست كأن فؤادها يسيل حزناً عليه ، فانـكبت على الولد تقبلـه بشدة ، وشغف ، كأنها تصب فى هـذه القبل أحزانها وعواطفها ، حتى أوجعت الطفل فصرخ وبكى ... ورغبت فى الفرار من هـذه المشاهد كلها ، ولم تقدر أن تتصور كيف يتبدل كل شىء بهذه السرعة ، وتتوهم حيناً أنها فى حلم ، وأنها ستتيقظ فترى كل شىء قد عاد كما كان ، ولـكن الحقيقة سرعان ما تفجعها بهذا الوهم ، وتبدده أمام عينيها ...

وكان أشد ما روعها وحز فى فؤادها انصراف الناس عنها ، وكف أيديهم عن مساعدتها ؛ فقد شغلت المصيبة الداهمة كل واحد بنفسه ، فـكأنه يوم المحشر كل يقول فيه : أنا ... وكرت راجعة وهى تعرض فى ذهنها فصول هذه الرواية التى مثلت الليلة ، فابتدأت بالظفر والمجد ، والحب والوصال . ثم انتهت بالخيبة المرة ، والهزيمة الماحقة ، والفراق الطويل ، ولم تفهم كيف يمكن أن يهوى فى لحظة الصرح الذى أقيم فى مائة سنة ، وكيف يهدم رجل واحد ما تعاون على إنشائه أهل أوربة جميعاً ، أيكون أمير مسلم واحد معادلا فى الميزان لملوك النصرانية كلهم وأمرائهم ؟ إذن كيف لو تحالف المسلمون كلهم ؟ كيف لو كانت هـذه الحروب فى أيام الخلافة ، إذ كانت مملـكتهم مملـكة واحدة تمتد من الصين إلى قلب فرنسا ؟

وجعلت تسأل كل من تلقاه عن زوجها ، فلا يقف لها أحد ولا يرد عليها ، وإذا لقيت كريماً منهـم رقيق القلب فسألته

فعطف عليها بجواب ، لم يكن جوابه غير ( لا أدرى ) !

وظهر القمر نحيلا هزيلا ، من بين فرج الغمام ، فألقى على الساحة ضياء شاحباً حزيناً ، جعل الدنيا كأنها وجه مريض محتضر ، فرأت قطع اللحم البشرى مخلوطة بالوحل ، تبرز من خلالها الدروع المذهبة ، وتبدو من بينها قطع الرماح المكسرة والسيوف ، فأشجاها التفكير فى هذه الجيف المنتنة التى كانت فى الصباح أبطالا كراماً تخطر على أرض الموعد ، وكانت حصن الصليبية وسياجها ، وعادت إلى البحث عن زوجها ، والتحديق فى الوجوه ، فر بها شيخ كان يحدب عليها ، ويحب زوجها ، فأدركته الشفقة عليها ، فأخذ بيدها فاستخرجها من الساحة ، وكأن الخطب قد حطم إرادتها وتركها كالتى تمشى فى نومها ، فانقادت إليه طيّعة وسارت معه ، وسألته هامسة كأنها تخاطب نفسها .

— يا أبتاه . هل رأيت زوجى ؟

فلم يحب أن ينبئها بما تكره فلوى الحديث وشغلها بغير ما تسأل عنه ، فقالت :

— وما تظن أنهم يصنعون بنا يا أبتاه ؟ هل يخطفون ولدى ليأكلوا لحمه أمام عينى ؟

— قال : ومن خبرك بهذه الأكاذيب ، إن المسلمين قوم كرام ، أهل وفاء ونبل ، وإن ملكهم صلاح الدين خير الملوك قاطبة ...

ومضى يحدثها عما عرفه من صفة المسلمين ، وهى فاتحة فمها دهشة لا تكاد تفهم ما يقول ولا تصدقه . فعاد يقول :

— ولو أنهم ذبحونا لما كانوا معتدين ، بل كانوا منتصفين منا ، فانا لما دخلنا القدس منذ مائة سنة قتلناهم فى البيوت والشوارع والمساجد ، وحيثما وجدناهم حتى صاروا يلقون بأنفسهم من فوق الأسوار لينجوا منا ، وحتى بلغ عدد من قتلنا منهم سبعين ألفاً ولم يتحرك قلب بشفقة ، ولا لسان بإنكار ...

وأصبح الصباح وهى لا تزال تفتش وتبحث ، والولد على يدها ينادى : بابا . فيذكرها به ، وما كانت ناسية ، وإن كلمة ( بابا ) لأجمل كلمة فى الدنيا ، وفاتحة اللغات وأمها . فهى أول لفظ بشرى يجرى به لسان الوليد ، وهى كلمة الإنسانية تختلف اللغات وتتحد فيها . وهى كلمة الطهر ينطق بها الطفل قبل أن يعرف الشر ويدرى ما المكر ، وهى أحلى من كلمة ( حبيبى ) لأن من الحب ما يمدح وما يذم ، أما الأبوة فخير كلها . والحب رابطة يصنعها الإنسان أما الأبوة فمن صنع يد الله

ولكن (ماريت) لم تكن ترى فيها هذا الصباح إلا ناراً تحرق كبدها ، وشفرة تمزقها ، وضاق بها أمرها ، فهرعت إلى جارات لها واجتمعن يترقبن ما يكون من الأهوال ، فإذا القدس ترتج بصرخة واحدة اجتمعت عليها حلوق المسلمين والنصارى ، أولئك ينادون : الله أكبر ، وهؤلاء يولولون ويبكون ، فنظرن فإذا أحد الجنود الفاتحين قد علا قبة الصخرة ، فأنزل الصليب الذهبى الذى لبث فوقها قرابة مائة سنة ، وحسبوه سيلبث إلى يوم القيامة ...

وجاءتهن الأخبار بما يصنع المسلمون فى المدينة ، فجعلوا يعجبون ، ولا يصدقون ، أن المسلمين لم يؤذوا أحداً ، ولم ينهبوا مالا ، وأن من شاء الخروج دفع ما اتفق عليه وحمل معه ما شاء وخرج ، وأن النصارى يبيعون ما فضل عنهم فى الأسواق فيشتريها منهم المسلمون بأثمانها ، وأنهم يروحون ويجيئون آمنين مطمئنين لم يروا إلا الخير والمروءة واللطف ، وأن المسلمين قوم أهل حضارة وتمدن ليسوا وحوشاً ولا آكلى لحوم البشر ، وروى لهن ما صنعوا فى الحرم ، فقد نزعوا منه كل ما أحدث النصارى ، وردّوه إلى حاله الأولى ، وجاؤوا بالمنبر الذى صنعه نور الدين الشهيد ليقام فيه ، فأقاموه فى الحرم ، وخطب عليه خطيبهم يوم الإسراء ...

قال الراوى : ودخلت فلم يمنعنى أحد ، ولم يسألنى من أنا ، فاختلطت بالمسلمين ، فإذا هم جميعا يجلسون على الأرض لا تتفاوت مقاعدهم ، ولا يمتاز أميرهم عن واحد منهم ، قد خشعت جوارحهم وسكنت حركاتهم ، وخضعوا لله ، فعجبت من هؤلاء الذين كانوا جنًّا فى المعارك ، وشياطين يوم القتال ، كيف استحالوا هناك رهباناً خشعاً ، ورأيت الخطيب قد صعد المنبر فخطب خطبة ، لو أنها ألقيت على رمال البيد لتحركت وانقلبت فرسانا ، ومضت حتى تفتح الأرض ، ولو سمعتها الصخور الصم لانبثقت فيها الحياة ، ومشت فيها الروح ، ووجدت هؤلاء الناس لا يغلبون

أبداً ما داموا مسلمين، ولو اجتمعت عليهم دول الدنيا، لأن قوة الإيمان أقوى فى نفوسهم من كل قوة، إنه لا يخيفهم شىء لأن الناس إنما يخيفون بالموت ومنه يخافون، وهؤلاء قوم يحبون الموت ويريدون أن يموتوا. كلا، لا يطمع قومنا بهذه الديار أبدا، أنا أقول لكم، وأنا قد عرفت القوم وتكلمت بلسانهم وخالطتهم ووقفت على دياناتهم وسلائقهم. كلا، إنه لا أمل لنا فيها، لقد أنزلوا الصليب اليوم، بعد ما لبث مائة سنة فلن يعود، لن يعلو هذه القبة إلا شعار محمد، فلا نصرانية، ولا يهودية، خسأت وخابت اليهودية، إن كل بقعة فى هذه الديار تنقلب إذا حزب الأمر وجد الجد (حطين)، وكل وليد فيهم يصير (صلاح الدين)، فلا يهرق قومنا دماءهم هدرا، ولا يزهقوا أرواحهم فى غير طائل.

ونظرت (ماريبت) فإذا قومها قد آثر فريق منهم البقاء فى ظل الراية الإسلامية، حينما رأوا فى ظلالها العدل والأمن والهدى، مع الحضارة والتمدن والغنى، وأبى فريق إلا الرحيل، فاختارت أن تكون مع هذا الفريق لا كرها بالمسلمين، فقد بددت شمس الحقيقة ظلام الأوهام؛ وكذب الواقع ما سمعت عنهم من الأحاديث، ولكنها لم تستطع أن تقيم وحيدة فى البلد الذى يذكرها كل شىء فيه، بزوجها، وبحبها، وبسعادتها التى فقدتها ...

ومشت القافلة وتلفتت ماريبت إلى الوراء، تودع هذه البلدة الحبيبة إلى قلبها المقدسة عندها، بلدتها التى ولدت فيها ولم تعرف لها بلدا غيرها، ونظرت إلى موضع الصليب الذهبى الذى كان يشرق كالشمس على قلبها فرأته خاليا منه. فأحست أنها تركت قلبها فى هذا البلد الذى كان لقومها، فصار لعدوها، والذى خلفت فيه زوجها لا تدرى فى بطن أى طير أو فى معدة أى وحش صار قبره ... وخلفت فيه ذكريات صباها وبقايا سعادتها وحبها ولكنها فرحت بالخروج منه، حتى لا ترى ما يذكرها كل يوم بما فقدت، ولتلحق بديار قومها، وأهل ملتها ...

سارت وهى سابحة فى أفكارها فتخيلت زوجها وهو يمشى معها فى الموكب الظافر تحت راية الصليب، فبكت واختلط نشيجها بنشيج النسوة من حولها وهن يبكين من خلفن من الأسرى والقتلى، وإذا بالجنود يقفوهن، فسكتن من الفزع ووقفن وأيقن بالهلاك، فأرجعوهن فإذا على رابية طائفة من المسلمين بينهم شيخ على فرس له، لم يرع (ماريبت) وصحبها إلا قولهم: هذا هو السلطان.

هذا هو السلطان، هذا (صلاح الدين) المخيف، آكل لحم البشر وشارب الدماء. وجعلت تختلس النظر إليه فلا ترى ملامح الوحش الكاسر، ولا تبصر الأنياب ولا المخالب، لا ترى إلا الهيبة والنور والجلال، فلما وقفن عليه، قال: ما تردن؟

قالت امرأة: رجالنا فى الأسر، أزواجنا ...

وتصايحن وبكين، فبكى السلطان رقة لهن، وأمر بإطلاق أسراهن، وأعطاهن الدواب والطعام والمال ...

* * *

لما رأت (ماريبت) زوجها صحيحا معافى، نسيت الشقاء والهزيمة، وألقت بنفسها بين ذراعيه، لم تخف أن يبصرها الناس، فقد جعل كرم السلطان كل واحد يشتغل بسعادته، ثم مشت الطريق بهؤلاء النازحين لم يعشوا همّ فيها، لأنهم ملؤوها فلم يعد يعرف أول لهم من آخر، فكأن الطريق كالنهر الممتلئ بالماء من منبعه إلى مصبه، نهر من الأسى والفرح، والهزيمة فى المعركة والظفر بلقاء الأحبة، وكره الغالبين وشكرهم على إحسانهم، وأحست (ماريبت) فى قلبها بالاعتراف بفضل هذا الرجل المحسن، ورأت خلال الإنسانية والحق والنبل تتمثل فيه هو، لا فيمن رأت من رجال قومها. وكادت تحبه ثم تنبه فى نفسها دينها وما علموها من بغض الإسلام فتوقفت وحاولت أن تذكر سيئة واحدة لهذا الرجل ولقومه تستعيد بها بغضاءها إياهم فلم تجد، وجعلت تقابل بينه وبين البطريرك الأعظم، الذى خرج مع القافلة بعدما استلب المعابد كنوزها، وكنس الكنائس وحمل كل ما كان فيها، ولم يعط من هذا المال أحدا، لم يجد به على امرأة ضعيفة تمشى معه، ولا على شيخ عاجز، وذكرت ما سمعت من أن السلطان تركه يخرج بهذا المال، مع أنه شرط لهم الخروج بأموالهم هم لا بأموال الكنائس، وذكرت ما كان يصنع قومها من إخلاف الوعود، والحنث بالعهود، فتمنت لو أنها كانت مسلمة، ولكنها لم تجهر بهذه الأمنية وخنقتها فى نفسها.

* * *

وتدفق هذا النهر البشرى يحمل أعجب أنواع السلائق

الإنسانية ، وأغرب المتناقضات ، ففيه حنو الأمهات وإيثارهن ، وفيه أثرة الأغنياء وقسوتهم ، وفيه الصبر وفيه الجزع ، وفيه الصدق وفيه التزوير ، وفيه هذا البطريرك الذى يزعم أنه خليفة المسيح ليساعد الفقراء ، ويزهد فى الدنيا ، ثم يأكل مال الله وحده ويعرض عن الفقراء والمحتاجين .

مشت هذه القافلة فى الطرق المقفرة ، والمسالك الموحشة ، لم تكن تحب أن تعرج على شيء من بلاد الاسلام ، كانت وجهتها طرابلس ، فلما بلغتها بعد الجهد البالغ ، والشقة المهلكة وبعد أن تركت فى الطريق ضحايا الجوع والتعب ، ماتوا وفى القافلة الأغنياء معهم الذهب ، وفيها البطريرك يحمل من أموال الله مائة ألف دينار ...

... لما بلغتها ، أغلق أميرها السور فى وجه القافلة وردها ، ثم بعث رجاله فاستلبوها ما كان معها[1] ، فانبرى لهم الشجعان والأبطال ليردوهم ، فأوقعوا بهم وقتلوهم ، وكان فيمن قتل زوج ( ماريت ) .

وتاه من بقى فى البرية كما يتيه الزورق فى لجة البحر ، وعاد أكثر أهلها إلى دنيا الأمن والمروءة والنبل دنيا المسلمين ؛ وكانت ماريت مع التائهين ، تمشى معهم قد مات حسها وتبلد شعورها ، ولم تعد تستطيع أن تفكر فى شيء ، تنزل بنزولهم وترحل برحيلهم ، وتأكل إن أطعموها ، وتصمت إن تركوها ، وكأنما قد خولطت فى عقلها ، أو أصابها مس من الجنون ؛ حتى بلغوا أسوار أنطاكية ، فطردهم أهلها وردوهم[1] ...

... فرجعوا إلى بلاد الإسلام وقد أيقنوا أنه لن يكون فى الأرض أنبل ولا أفضل من هذا الشعب الذى علمه محمد كيف تكون الإنسانية ...

أما (ماريت) فبقيت مكانها ذاهلة كأنها لا تبصر ولا تعى ، فأقبل عليها شاب من أهل أنطاكية من قومها ، فأخذ بيدها وواساها ، فانقادت له ، وسارت معه ، حتى احتواها منزله على سيف البحر ، فسقطت من التعب والاعياء نائمة ...

وأيقظها لغط حولها ؛ فاستفاقت فسمعت صوت رجل يقول لصاحبه :

— ما ندعك تنفرد بها إنها أجمل امرأة وقعنا عليها .

فيقول الأول :

— ولكنها صيدى أنا ... أنا الذى اصطادها .

فتفهم أن الخلاف عليها ، على شرفها وعفافها ، ويعود إليها ذهنها ، فتذكر الماضى كله ، وتدرك أنها فقدت زوجها وحاميها ويشد الغضب من عزمها . فتقول لهما :

— ويحكم ، أهذه هى مروءتكم وإنسانيتكم ، أهذا هو دينكم يا جنود الصليب ...

فيضحكان ويقهقهان ، فيشتد بها الغضب ، وتصرخ بهما :

— بأى لسان أخاطبكم ؟ بلسان الدين وأنا أراكم ملحدين كافرين ؟ بلسان الإنسانية وما أنتم إلا وحوش فى جلد بنى آدم ؟ بلسان المروءة وقد فقدتموها ونسيتم حدودها ؟ ويلكم ألا تستحيون أن يكون هؤلاء المسلمون أشفق على نسائكم ، واحفظ لشرفكم منكم ، وأن يكونوا أنبل وأفضل وأحفظ لوصايا السيد المسيح ؟ لا والله لستم للمسيح ولا لمحمد أنتم للشيطان أولئك هم الذين جمعوا المسيح ومحمداً ، أولئك أهل الفضائل أرباب الأمجاد ، خلاصة الإنسانية ، إنكم لن تغلبوهم ، لن تأخذوا أرضكم المقدسة من أيديهم أبداً ، كلا . إنهم أحق بها لأنهم أوفى منكم لمبادئ المسيح ، إنهم أعرق منكم فى الإنسانية إن المستقبل لهم ، إن لهم المجد والظفر ، ولكم أنتم اللعنة ، لكم الخيبة والخزى .

فلا تجد منهما إلا إيغالا فى الضحك ، وتتلفت حولها فلا تجد ناصراً وأين المعين على الحق ، المدافع عن الشرف فى بلد ليس فيه مسلم ؟ وتراهما قد أقبلا عليها بعيون محمرة ، فيجن جنونها ، فتلق بولدها فى اليم وترمى بنفسها .

وكان البحر ساكناً فصعدت من الماء فقاعتان ، فيهما اللعنة الحمراء التى خرجت من فؤادها المحترق ، على هؤلاء الكلاب ... (الواغلين على فلسطين) !

وعاد البحر ساكناً كما كان ...

وأسدل الستار على القصة التى تتكرر دائماً منا ومنهم : قصة نبل لا يدانيه فى عظمته البحر ، ونذالة لا يغسل البحر أوضارها ولا يطهر الأرض من عارها .

( القاهرة ) علي الطنطاوي

(١) كل ذلك حقائق تاريخية رواها مؤرخو أوربة رجعت فيها إلى ( حياة صلاح الدين ) للدكتور البيلي .

# قيادتنا الروحية

للأستاذ سيد قطب



فى حياة الأمم — كما فى حياة الأفراد — فترات خاصة ، ترتفع فيها على نفسها ، وتسمو فيها على مألوفها فتـأتى بالخوارق والمعجزات ، حتى لتتأمل فيما بعد ما أتمته فى هذه الفترات الصغيرة ، وما قامت به فى تلك الآماد القصيرة ، فلا تكاد تصدق ، ولا تدرى كيف تأتى لها أن تأتى بذلك العجب العجاب !

هذه الفترات الخاصة هى التى ترتفع فيها الجماعات — كما يرتفع فيها الأفراد — إلى ما هو أعلى من الحياة اليومية ، ومن المطالب العادية . وتتطلع إلى غايات عليا لا تتعلق بحياة فرد أو جيل ، ولا تقف عند رغبة شخص ، ولا أنانية فرد .

وفى هذه الفترات يجد الفرد لذته الكبرى فى أن يضحى بلذائذه . وغايته الأولى فى أن ينسى غاياته . وتنبثق من الجماعة حينئذ إشعاعات وطاقات عجيبة ؛ تتخطى اللذائذ والغايات المنظورة إلى لذائذ وغايات أخرى غير منظورة ؛ قد لا تستطيع تحديدها تماماً ، ولا فهمها نصاً . ولـكنها تساق إليها سوقاً بدوافع خفية كامنة فيبدو كأنما الـكل أبطال فى وقت من الأوقات .

هــذه الفترات هى التى تسمع فيها الجماعات والأفراد صوت الحياة الأزلية ، وتصغى فيها إلى إرادة الحياة الأبدية ، فتخفت حينئذ أصوات الرغائب الفردية ، وتنطوى رغبات الأفراد الزائلة فتندفع الحياة دفعة كبرى إلى الأمام ؛ وتدخر بعد هذه الدفعة رصيداً تنفق منه فى خطواتها التالية ، حتى إذا نفد ذلك الرصيد بطؤت خطاها ، وتراخت قواها ، وصحت الجماعة من تلك النشوة تتلفت إلى ذاتها ، وتحصر نفسها فى نطاقها ، وتطلع كل فرد إلى شخصه ، وصحت رغائبه ولذائذه ، وتفكـكت روابط الجماعة وعادت أفرادا وأنانيات ، وصغرت قيم الحياة العليا ، وانكمش المد الزاخر ، وانطوى كل فرد على ذاته ، يعبدها ، ويعلقها ، ولا يرى أبعد منها شيئاً ، إلى أن تنقضى الدورة ، وتزهد الجماعة فى هذه الحياة الرخيصة ، وتتطلع من جديد إلى آفاق أعلى ، وتكون قد ذخرت من الرصيد ما يكفى للوثبة فتفعلها .

والملاحظ فى هذه الدورات والفورات ، اتفاق يبعده التواتر عن أن يكون مجرد مصادفة . هذا الاتفاق هو وجود قيادة روحية فى كل وثبة من وثبات الأمم والجماعات . قيادة تهتف للجماهير بنسيان الذات الفانية ، وتضحية الرغبات القريبة . وتشير إليها نحو هدف آخر أبعد ، وأفق آخر أرفع . وكلما بعد الهدف ، وارتفع الأفق ، كانت الاستجابة أكبر ، والتلبية أسرع ، والقفزة أعلى ، والخطوة أوسع . وكلما كانت التضحية المطلوبة أوسع مدى ، كان الدعاء أسرع إجابة .

فإذا كانت تضحية رغائب فرد فى سبيل جماعة محدودة ، كان عدد الملبين للدعوة قليلا . وإذا كانت تضحية جماعات فى سبيل أمة على نسق الدعوات الوطنية — كانت التلبية أوسع . فأما إذا كانت تضحية الأفراد والجماعات والأمم فى سبيل فـكرة إنسانية ومبدأ أسمى ، فإن الصدى يكون أبعد ، والمدى يكون أفسح ، والامتداد يكون أقوى

هكذا كانت المسيحية ، ثم هكذا كان الإسلام .

كانت المسيحية تطهيراً للنفس الإنسانية من رغائبها وشهواتها واستعلاء على اللذائذ الشخصية بالحرمان والزهد ، وفناء للذات الفرد فى حب يسوع المخلص ... لهذا صمدت للتعذيب والاضطهاد والاستشهاد . صمدت لبطش الدولة الرومانية ، حتى استجابت لها الدولة الرومانية وظلت تصمد لما هو أقوى من الدولة وجندها وبطشها ... تصمد للغريزة والشهوة والأنانية وهى أقوى من كل قوة . ظلت تصمد إلى أن نفدت الطاقة ، وقل الرصيد . وطغت المراسم والشعائر على العقيدة والمشاعر . فاشترى رجال الدين بدينهم ثمناً قليلا . وانفلت الأفراد إلى أنفسهم وذواتهم عما كفين عليها . ووقف نمو المسيحية ، أو زادت شخوصاً ولم تزد ضمائر ... اللهم إلا الفلتات التى كان ينبغ فيها أفراد ممن يدعون الناس إلى السماء فيستجيبون لهم بقدر ما فى أرواحهم من رصيد . لم يرتفع مرة إلى القمة الأولى .

وهكذا كان الإسلام تجميعاً للطاقة الإنسانية كلها ، وتوجيهاً لها إلى الهدف الأعلى ، إلى معنى الإنسانية الأسمى : المساواة والحرية والكرامة والعمل والرحمة والاستشهاد ، وفى كل واحدة من هؤلاء كان يرتفع بالنفس الإنسانية إلى آفاقها العليا .

كان يرتفع بها فى « المساواة » إلى نسيان النعرة الشخصية ، والنعرة المحلية ، والنعرة القومية . وجميع النعرات التى تمزق الإنسانية طوائف ونحلا ، وتغرس العداوات والبغضاء ، وتموق النمو البشرى والتقدم الإنسانى .

وكان يرتفع بها فى « الحرية » إلى « المساواة » فى آفاقها التى رسمنا . ثم إلى التحرر من الشهوات والمطامع المذلة أو الظالمة « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا . وإن الله على نصرهم لقدير » « ليس الشديد بالصرعة ؛ إنما الشديد من غلب نفسه » .

وكان يرتفع بها فى « الكرامة » إلى « المساواة » وإلى « الحرية » . ثم إلى الترفع على عبادة العبيد ، والخضوع للمخلوقين . « إن العزة لله جميعاً » .

وكان يرتفع بها فى « العمل » إلى « المساواة » وإلى « الحرية » وإلى « الكرامة » جميعاً ... ثم إلى الإنتاج والتقدم بالإنسانية . « لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى بحزمة حطب على ظهره ، فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير من أن يسأل الناس : أعطوه أو منعوه » . « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

وكان يرتفع بها فى « الرحمة » إلى ما فوق الذات ، وإلى المشاركة الوجدانية مع الإنسانية ، وإلى الشعور بالرحم الأقوى رحم البشرية : « وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » . « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » « الفقراء عيال الله وأحبكم إلى الله أرأفكم بعياله » .

وكان يرتفع بها فى « الاستشهاد » إلى ضمان هذه الفضائل جميعاً ؛ وإلى الارتفاع عن الحياة المحدودة إلى حياة أخرى غير محدودة . وإلى الخلاص من أشد قيود الغريزة : من حب هذه الحياة المادية ، إلى حب الفكرة المجردة .

بهذا الرصيد الروحى الفخم وثب الإسلام بحفنة من الرجال فى الصحراء . شعث غبر . فارتفع بهم على هامات الامبراطوريتين الشامختين فى فارس والروم . وبهذا الرصيد الروحى الضخم انطلقت الشعلة فى الهشيم فأحالته ناراً ونوراً يهض بالبشرية وينير لها الطريق . واندفع الإسلام يعبر الصحارى والجبال والبحار حتى يصل إلى سد الصين شرقا وإلى بحر الظلمات غرباً فى مثل لمح البصر بالقياس إلى عمر الدهر . فكانت هذه إحدى معجزاته الكبرى

وعند ما انطلق الفاتحون فى مشارق الأرض ومغاربها لم ينطلقوا للاستعمار والفتح ، ولكن لنشر الفكرة العليا . وكلما هبطوا واديا حرروا أهله من مستعبديهم ومن حكامهم ومن ذات أنفسهم . حرروهم من السلطان الغاشم ، والاستغلال القبيح ، ومن الضلالات والأوهام أيضاً ؛ وردوا لهم كرامتهم الإنسانية وساووهم بأنفسهم « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

واختفت فى فجر الإسلام نزعات العصبية ، ونزعات اللون ، ونزعات الجنس ونعرات العزة بغير الله . كلكم لآدم ، وآدم من تراب » !

اندفع الإسلام بهذه السرعة الخارقة ، وبهذه القوة الجارفة ، لأن الذين اندفعوا به قد ارتفعوا على أنفسهم ، وتساموا على ذواتهم ، وخفتت فى أرواحهم سورة الفردية ، وغلت فيها فورة الغيرية . ولأنهم تخلصوا من أوهام الحياة المادية المجسمة ، وعشقوا فكرة روحية مجردة ... وصار لقاء الله فى سبيل مبادئه ، أحب إليهم من لقاء أهلهم وأبنائهم ، ورغبوا فى النعيم الموعود برضاء الله عن النعيم الذى يلذونه فى هذه الحياة : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ، ويقتلون . وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله : فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به . وذلك هو الفوز العظيم » .

هذه الروح الإسلامية العالية ، وهذا المد القوى الغامر ، كان أول من وقف فى طريقه ، وارتد به عن سبيله هو معاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص وإخوانهما وأمثالهما ممن تنكبوا طريق الفكرة الإسلامية الروحية النبيلة ، إلى الرغبات والأطماع الذاتية الوبيلة .

وكانوا أول من رد العصبيات الصغيرة المحدودة إلى مكانها ، وأول من برر الوسيلة بالغاية ، وأول من طعن روح الإسلام فى الصميم .

ولم تعد الروح الإسلامية إلى مدها العالى مرة أخرى بعد هذه الفعلة ؛ ولكنها كانت ترتفع فى فترات ، ثم تعود بعدها

إلى الهبوط . مع هذا فقد كان المد العالى الأول — وهو أعلى مد بلغته البشرية فى تاريخها كله كان كفيلا بأن تثب البشرية وثبة لا مرجع عنها مهما انحسرت موجتها الأولى فاستمر التيار إلى الأمام وجرف معه الإنسانية جميعاً .

***

الفكرة الروحية الضخمة تجد التلبية بمقدار ضخامتها . وتتسع موجتها بمقدار اتساعها . وقد ظل العالم الإسلامى بين مد وجزر منذ الموجة الأولى إلى أواخر القرن التاسع عشر ، وكان قد وصل إلى دور انحطاط وخمول وإفلاس روحى ومعنوى .

وعلى عادة الروح الإسلامية فى الانبعاث بين فترة وأخرى على مدى التاريخ رأيناها تنبثق فى جمال الدين الأفغانى .

كان هذا الرجل شعلة محرقة مضيئة ، مامست روحا إلا ألهبتها وأضاءتها بحسب ما فيها من استعداد للهب والإضاءة .

وكان فى هذه الروح رصيد ضخم ، تزود به كل من لاقى الرجل فى بلاد الشرق جميعاً .

ثم استقر فى مصر فترة فأودعها الشعلة المقدسة التى يحملها

ومنذ ذلك الحين ، وفى خلال السبعين عاما الأخيرة ، نهضت مصر ثلاث نهضات عامة ، وصلت فيها درجة اليقظة القومية حداً عاليا .

كانت النهضة الأولى نهضة « عرابى » لرفع شأن القومية المصرية ، وإحلالها المكان اللائق بكرامة الشعوب .

وكانت النهضة الثانية نهضة « مصطفى كامل » لمقاومة الاحتلال الانجليزى ، الذى لا يستند على أساس من الحق والعدل

وكانت النهضة الثالثة نهضة « سعد زغلول » للثورة على هذا الاحتلال ، وتقرير مصر فى الاستقلال .

وليست هذه النهضات الثلاث بمنفصلة فى حقيقة دوافعها — وإن فصلت بينها الأعوام — فهى جميعها تنبثق عن مصدر واحد ، هو هذه الطاقة الضخمة التى انطلقت من شعلة جمال الدين الدين قبل ثلاثة أرباع قرن فى الشرق الإسلامى .

ولم تكن شعلة جمال الدين سياسية صغيرة محصورة فى الأهداف الوطنية المحدودة . إنما كانت شعلة روحية ، تلهب النفس الإنسانية فتتفتح منافذها جميعاً . وهذا هو الذى كفل لها الامتداد طويلا .

وقد ظلت الأمة المصرية تنفق من هذا الرصيد فى ثوراتها السياسية الثلاث ، تنفق وتستهلك. ولا تضيف شيئا إلى الرصيد لأن الزعامات الثلاث ، كانت بالقياس إلى جمال الدين ، ضيقة محدودة . تطوى أنفسها على مطالب قريبة محدودة ، وليس لها رصيد روحى جديد .

وهنا كان موضع الخطر .

فالدفعة السياسية تفلح حين يكون وراءها رصيد روحى ضخم تنفق منه وتشتمل به ، وهذا الرصيد يحفظ مستواها من الهبوط، ويصونها من الخمود . فأما حين تنفد هذه الطاقة أو تضعف فالفورة السياسية وحدها لا تكفى وهى مهددة على الزمن أن تخبو

ولا يصعب على الباحث أن يرد ما اعتور نهضتنا القومية الأخيرة من نكسة وفساد تتبدى آثارها فى النزعات الحزبية على حساب الوطن ، وفى هبوط مستوى الصراع والأسلحة التى تستخدم فيه إلى نفاد الطاقة الروحية أو اضمحلالها ، لأن رصيدها المذخور من عهد جمال الدين لم يتجدد أبداً .

وبالمثل يمكننا أن نرد كثيراً مما نراه من الانحلال الخلقى الفردى والاجتماعى إلى خمود الشعلة المقدسة فى الوقت الذى تغمرنا فيه موجات من أوربا النحلة ، التى خبت روحها من قرون ، واستحالت آلة لا قلب لها ولا ضمير تنفق من رصيد قديم سينفد بعد حين .

والآن يجب أن نتنبه إلى هذا الخطر ... إن اليقظة السياسية وحدها لا تبقى ولا تعيش ، ولا يرتفع مستواها إلا إذا أمدتها طاقة روحية تنفخ فيها وتقويها ، فأين هى القيادة الروحية لهذا الجيل ؟ القيادة التى تخلق الشخصيات العظيمة كما خلقتها قيادة جمال الدين ؛ وترتفع بالأفراد والجماعات عن المطالب الوقتية إلى المطالب العليا ؟

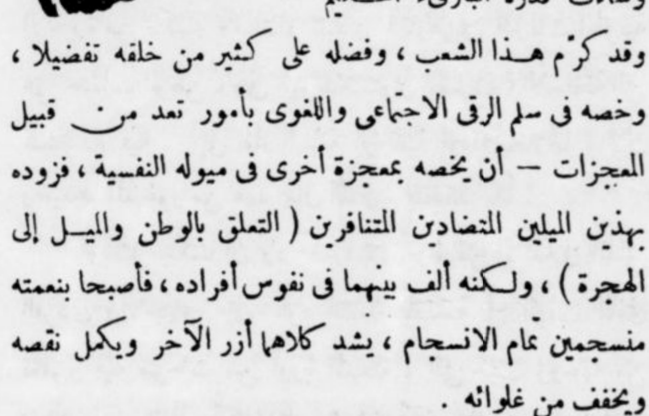
هنالك جماعات تدعو دعوات إسلامية . ولكنها جماعات هزيلة الروح ، ناضبة ، خامدة ، أضعف من أن تنفخ فى الجيل الهابط المنحل .

ترى يتمخض الانحلال عن قيادة روحية عظمى كما عودتنا روح الإسلام على مدى الزمان ؛ نرجو أن تكون هناك وثبة قريبة ، وأن يظلنا موعدها المرموق .

سيد قطب

# هجرة الرسول والطبع العربي

للدكتور علي عبد الواحد وافي
أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب



زود الله الشعب العربي المجيد بصفتين كريمتين لعلهما لم يتوافرا في أي شعب آخر بمقدار توافرهما لديه: إحداهما شدة التعلق بالوطن الأصلي؛ والأخرى شدة الميل إلى التنقل والهجرة، وشاءت قدرة الباريء الحكيم — وقد كرّم هذا الشعب، وفضله على كثير من خلقه تفضيلا، وخصه في سلم الرقي الاجتماعي واللغوي بأمور تعد من قبيل المعجزات — أن يخصه بمعجزة أخرى في ميوله النفسية، فزوده بهذين الميلين المتضادين المتنافرين (التعلق بالوطن والميل إلى الهجرة)، ولكنه ألف بينهما في نفوس أفراده، فأصبحا بنعمته منسجمين تمام الانسجام، يشد كلاهما أزر الآخر ويكمل نقصه ويخفف من غلوائه.

فما كان العربي لتنسيه هجرته حقوق وطنه الأول، ولا لتنال من مكانته عنده، أو تنقص من حبه له أو حنينه إليه. وما كان تعلقه بوطنه الأول ليحول بينه وبين الهجرة منه إذا كان في هجرته رفع لشأن بلاده، أو توسيع لرقعة ملكها، أو مدّ لنفوذها وسلطانها، أو تخفيف من أعبائها، أو دفاع عن مذهب يقتنع به، أو فرار من ضيم أصابه، أو ابتغاء للرزق، أو سعي لبغية المكارم والمجد. وفي هذا يقول الشنفرى شاعرهم الجاهلي.

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القلى متحول

لعمرك ما بالأرض ضيق على امرىء
سرى راغباً أو راهباً وهو يعقل

ويقول أدباء العرب إن أقذع ذم وُجّه إلى عربي هو قول الحطيئة يهجو الزبرقان بن بدر ويناضل عن بغيض بن لأى:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

أما حبهم لأوطانهم الأولى، وشدة حنينهم إليها، فلا أدل على ذلك من حنين الرسول عليه الصلاة والسلام إلى مكة بعد هجرته منها، مع أن أهلها قد أخرجوه منها وساموه وشيعته سوء العذاب، ومع أنه قد كان في هجرته منها نشر للاسلام وتوطيد لدعائمه. فقد روى أن أُصَيْلا الغِفاري قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة قبل أن يضرب الحجاب؛ فقالت له عائشة: «كيف تركت مكة؟»؛ فقال: «اخضرت جنباتها، وابيضت بطحاؤها، وأحْجن ثُمامها، وأغدق إذْخرها، وأنشر سَلَمها[1]»؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أثار هذا حنينه إلى وطنه الأصلي: «حسبك يا أصيل لا تُحَزِنّي» وفي رواية: «إيهاً يا أُصيل! تدع القلوب تَقر» وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة: «ما أطيبك من بلد وأحبَّك إليّ! ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك[2]». وعن الضحاك رضى الله عنه أنه قال: «لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة فبلغ الجُحفَة اشتاق إلى مكة، فأنزل الله تعالى عليه: «إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد» (قال أي إلى مكة)[3]» — ولا أدل كذلك على حب العرب لأوطانهم الأولى وشدة حنينهم إليها من عنايتهم في وثنيتهم بالحج إلى مكة، حتى لقد ارتقت هذه الشعيرة لديهم إلى مصاف الفرائض الدينية الهامة. وما الحج في نشأته الأولى إلا مظهر من مظاهر حنين العرب إلى وطنهم الأول ومنشأ أجدادهم الأولين وهو الحجاز. فمن المحقق أن الحجاز كان المهد الأصلي للشعب العربي، ومنه انتشر هذا الشعب الكريم في جميع أنحاء الجزيرة العربية وغيرها من بلاد العالم.

وأما شدة ميلهم إلى الهجرة كلما دعاهم إلى ذلك داع جدى

---

(١) أحجن أي بدا ورقه؛ والثمام على وزن غراب نبت يسد به خصاص البيوت الواحدة ثمامة؛ وأغدق أي أزهر؛ والاذخر حشيشة طيبة الرائحة تسقف بها البيوت فوق الخشب؛ وأنشر أي خرج ورقه واكتسى والسلم والطلح واحد. والحديث مروى عن الخطابي في غريب الحديث عن الزهري

(٢) أخرجه الترمذي

(٣) رواه الامام أحمد، قال أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عدى بن الحمراء أخبره أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم... الخ

فلا أدل عليه من هجراتهم المتوالية فى فجر تاريخهم وفى عصور جاهليتهم وإسلامهم .

فمن الحجاز واليمن اتجهت فى فجر التاريخ موجات الهجرة العربية إلى مختلف أنحاء الجزيرة العربية وإلى غيرها من بلاد العالم. — فمن هذا القسم نزح الساميون إلى العراق وغزوا بلاد السومريين وغلبوهم على أمرهم وأنشئوا مملكة بابل — ومن هذا القسم كذلك نزح الساميون إلى الشمال فتكونت من سلالاتهم الشعوب التى عرفت باسم الشعوب الكنعانية وهى التى تفرع منها الفينيقيون والعبريون . — ومن هذا القسم كذلك هاجر بعض قبائل الإسماعيليين ( أى أولاد إسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ) إلى خليج العقبة حيث تكون من سلالاتهم الشعب النبطى وهو مخترع الخط النبطى المتصل الحروف الذى انشعب منه خطنا العربى الحالى . — ومن هذا القسم كذلك هاجر عرب الرعاة أو الهكسوس إلى مصر حيث أنشئوا ملكا كبيراً ونشروا حضارتهم العربية على ضفاف النيل . — ومن هذا القسم كذلك هاجر فى أقدم العصور قبائل عربية كثيرة إلى الهند والحبشة والسودان وشمال أفريقيا وشرقها . — ومن هذا القسم كذلك هاجر فى أوائل التاريخ الميلادى بعض القبائل المدية ( أولاد معد ) التى كانت تقطن الحجاز إلى الشام وبعض القبائل القحطانية التى كان موطنها اليمن إلى الشمال والشرق . فنزلت منها غسان بالشام والأوس والخزرج بالمدينة ( وهاتان القبيلتان الأخيرتان قحطانيتان هاجرتا من اليمن إلى المدينة وإليهما هاجر الرسول عليه السلام ، وفيهما تكون الأنصار رحمة الله عليهم ورضوانه ).

وكذلك كان شأن العرب فى عصورهم التاريخية السابقة للاسلام مباشرة ، والتى اشتهرت باسم العهد الجاهلى . وقد جمعت لنا كتب الأدب طائفة كبيرة من أخبار هجراتهم وتنقلاتهم إلى مختلف أرجاء الجزيرة العربية وإلى غيرها من بلاد العالم ؛ حتى أننا لانكاد نجد قبيلة استقرت فى موطنها الأصلى . وقد ساعد على تتابع هجراتهم وكثرة تنقلاتهم عدم خصوبة أرضهم ، واشتغال معظمهم بمهنة الرعى ، وسعيهم وراء الكلأ والماء . وساعد على ذلك أيضاً كثرة حروبهم الأهلية التى لم يكد يخمد لها سعير فى هذه العصور ؛ فكانت القبيلة التى تكون فى موطنها عرضة للعدوان أو تغلب على أمرها تنزح فى الغالب عن ديارها ؛ كما حدث لمعظم بطون تغلب بعد أن هزمتها بكر فى حرب البسوس .

أما هجراتهم بعد الاسلام فحدث عنها ولا حرج ؛ فقد انتشروا فى جميع بلاد العالم المتحضر فى ذلك العصر من الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً ، ومن أقاصى السودان جنوباً إلى آسيا الصغرى والبلقان وفرنسا وإسبانيا شمالا ، فنشروا فى هذه البلاد دينهم وأخلاقهم وتقاليدهم ودمهم العربى ، وأسسوا بنيان ملكهم فيها على تقوى من الله ورضوان . وفى هذا يقول شاعرهم الرحالة أبو دلف ( وهو خزرجى من سلالة الأنصار الكرام ) .

فنحن الناس كل الناس فى البر وفى البحر
أخذنا جزية الخلق من الصين إلى مصر
إلى طنجة بل فى كل أرض خيلنا تسرى
إذا ضاق بنا قطر نزلنا عنه إلى قطر
لنا الدنيا بما فيها من الاسلام والكفر

* * *

فلم يكن إذن حادث هجرة الرسول عليه السلام وجماعة من أصحابه من مكة إلى المدينة غريباً على الطبع العربى ؛ بل كان هذا الطبع يحتمه تحتيما فى مثل الظروف التى تمت فيها هذه الهجرة ، كما حتم من قبل ذلك فى ظروف مشبهة لهذه الظروف هجرة نفر إلى بلاد الحبشة وإلى المدينة نفسها من السابقين الأولين إلى الإسلام . فقد أشرنا فيما سبق إلى أن العربى كان يندفع بطبعه إلى الهجرة من بلاده إذا دعاه إلى ذلك داع من مصلحة عامة أو خاصة أو أصابه ضيم بين عشيرته . وهذه الأسباب جميعاً كانت متوافرة فى هجرة الرسول عليه السلام .

ومع أن أهل المدينة كانوا يتألفون حينئذ من قبائل قحطانية تختلف فى أصولها الشعبية عن القبائل المدنانية التى ينتمى اليها الرسول عليه السلام ، فقد آثر الهجرة إليهم دون غيرهم لأسباب كثيرة أهمها فى نظرى ثلاثة أسباب :

( أحدها ) أن أخوال أبيه عليه السلام كانوا قحطانيين من أهل المدينة . فكان طبيعياً ، حسب مألوف العرب ، وقد خذله عصبته وساموه سوء العذاب ووقفوا فى سبيل دعوته ، أن يلجأ

إلى بعض فروع خئولته يلتمس منهم العون والحماية . فالخئولة أقرب الناس إلى العربى بعد عمومته . بل يظهر أن العرب فى مرحلة ما من أقدم مراحل تاريخهم كانت لحمة نسبهم بخئولتهم أوثق من لحمة نسبهم بعمومتهم .

(وثانيها) أنه قد آمن به قبل هجرته عدد كبير من أهل المدينة وبايعوه على الدفاع عن دينه . فكان طبيعياً أن يؤثرهم على غيرهم بهجرته ويتخذ منهم أنصاراً لنشر رسالته . «والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

( وثالثها ) أن أهل المدينة وضواحيها كانوا أكثر استعداداً لقبول فكرة التوحيد التى جاء بها الدين الإسلامى من بقية أهل الحجاز . ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى كثرة احتكاكهم بالموحدين من اليهود والنصارى الذين كانت تتألف منهم حينئذ جاليات كبيرة عربية وغير عربية فى المدينة نفسها وفيما يتاخمها من مواطن .

صحيح أنه قد ظهرت بمكة قبيل الإسلام مدرسة الحنيفيين الموحدين الذين انحرفوا عن الشرك والوثنية ( ومن أجل ذلك سموا بالحنيفيين أى المنحرفين ) وعبدوا الله وحده على ملة إبراهيم وأقاموا الصلاة وصاموا رمضان وكان من هؤلاء محمد بن عبدالله نفسه قبل أن يبعث رسولا ، كما كان منهم نفر من قريش ، ولكن أعضاء هذه المدرسة كانوا يتألفون من بعض النابهين والمتفلسفين من سكان مكة ، أما دهماء الشعب نفسه فكانت شديدة التعلق بدينها الوثنى ، سادرة فى ضلالها القديم ، تقتفى آثار آبائها فيما كانوا يعبدون . وهذا هو عكس ما كان عليه الأمر فى المدينة . فمع أنه لم ينشأ فى الأوس والخزرج مدرسة متفلسفة كمدرسة الحنيفيين بمكة ، فإن السواد الأعظم من الشعب نفسه كان مهيئاً تهيئة كبيرة لعقيدة التوحيد .

**على عبد الواحد وافى**

# كيف ننشئ أطفالنا

للأستاذ كامل كيلاني

أشرف القائد العام على إحدى القلاع ليزورها فلم يُطلق من القلعة مِدفعٌ واحد لتحيته والترحيب به . فدهِش لإهمال والى القلعة ، واستهانته بخطره واستدعاه ، فمثل بين يديه ليحاكم عسكريا على تهاونه وتفريطه فى أداء واجبه .

ثم سأله القائد العام ، وهو يكاد يتميز من الغيظ : « ما بالك قد استهنت بخطرى ، فلم تحيينى التحية المعتادة ؟ » فأجابه والى القلعة باسما : « لم يكن فى قدرتى أن أطلق - من مائة المدفع والمدفع — واحداً لتحيتك ، فقد منعنى من ذلك مائة سبب وسبب » فقال القائد العام : « هات ماعندك من الأسباب وقل فأنا أسمع » فأجابه والى القلعة : « أولا لم يكن فى القلعة بارود » فقال القائد العام وقد سرى عنه : « حسبك هذا عذرا ، فلسنا فى حاجة إلى سماع بقية الأسباب » .

ولقد أصاب القائد العام وأنصف فإن فى السبب الأول الذى ذكره والى القلعة غنية عما يليه من الأسباب . وثمة قضايا كبيرة يهدم كل أسبابها سبب واحد فلا تبقى لغيره قيمة بالقياس إليه . وقديما قال أبو العلاء :

« لقد أتوا بحـــديث لا يصدقه
عقل ، فقلنا عن اىّ الناس تحكونه ؟
فأخـــبروا بأسانيدٍ لهم كذب
لم تخـل من كـرّ شيخ لا يزكونهُ »

والأمثلة على هذا أكثر من أن يحصيها العد ! فإن صكا — بالغا مابلغت قيمته المالية — لا يساوى درهما واحدا إذا أعوزته الإمضاءة . ومن هذه القضايا التى نحن بسبيلها ، قضية اليوم . فإن السبب الأول من أسبابها إذا نقض هدم الأسباب التالية كلها فلم يبق لها خطر . قال لى أحد الوزراء المصريين الكرام :

« لقد أسلمت ولدى إلى مربية أجنبية ، لتعنى بأمره . وتنشئه أحسن تنشئة ، وتربيه على أكمل منهاج أقرته الحضارة ، فكان لنا ما أردنا ، ولكن وهنا تأتى قصة الإمضاءة التى لا تتم قيمة الصك إلا بها . قال الوزير : « وذا صباح ، بينا كنت أسير وولدى الصغير إذا مررنا على مسجد كبير فسألته ما اسم هذه البنية ؟ » فقال : « هذه كنيسة محمدية » فكدت أخر من هول ما سمعت صعقا ! ثم قال الباشا الكبير : « منذ ذلك اليوم وأنا أحذر — كل من أعرف ومن لا أعرف — خطر المربيات الأجنبيات ، لأنهم — على ما يسدين إلى أطفالنا من فضل عناية ورعاية — يسئن إلى وطننا العزيز أبلغ إساءة ويسلفن إلى قوميتنا ضررا يتضاءل بالقياس إليه كل نفع مهما جل وعظم .

وهنا بلغنا الجرثومة من الصميم ووصلنا نقطة البحث ومدار الحديث ، وتمثلت أمام أعيننا قصة الإمضاءة التى لا خطر للصك إلا بها ، ولا قيمة لما يحويه من المال بغيرها .

لقد أجمع رجال التربية ، وأساطين علم النفس ، على أن الطفل جدير بأن يتحلى بأكرم الأخلاق وأنبل الصفات — منذ نشأته — وتواصوا بتثقيفه وتكميله ، وتحبيب العلوم والفنون والآداب إلى نفسه بكل وسيلة شائقة مغرية . فإذا تم لهم ما أرادوا ، فقد كتب الصك وفيه الرقم الذى نريد ، ولم يبق إلا أن يُمضى ، والإمضاءة هى كل شىء فى الصك ، أو على الأصح الأدق : هى الشىء الذى لا تتم قيمة الصك إلا به .

نعم يبقى شىء نحرص عليه جاهدين ونتثبت منه مستوثقين ، وهو : « على أى أساس نشىء الطفل ؟ تنشئة عربية ، أم تنشئة أجنبية ؟ وهل قيد فى دفتر مولودينا نحن أبناء العرب ووارثى تاريخهم وتراثهم وأمجادهم ؟ أم أثبت فى دفتر مولودى غيرنا من الأمم ؟ » .

فإن كانت الأولى فهو من أبنائنا البررة الكرام العاملين على إعزازنا ورفقتنا . وإن كانت الأخرى قيدناه فى دفتر الوفيات وضرعنا إلى الله — سبحانه — أن يجعله فرطاً صالحاً ويعوضنا خيراً منه ، ويلهمنا الصبر والسلوان ويعزينا عن فجيعتنا فيه أحسن العزاء ، ولاغرو أن نثكله حياً فقد ثكل الشريف الرضى بعض رفاقه الغادرين أحياء فقال مبدعاً :

« أحيا إخاكم الهات ، وغيركم جرّبتهم فتكلتهم أحياء
إلا يكن جسدى أصيب فإننى قسّمته فدفنته أجزاء »

* * *

رحم الله تلك الأجزاء العزيزة التى ندفنها كل يوم . وماذا يجدينا أن يصبح بعض أبنائنا مثال العبقرية فى العالم بعد أن سُلخ منا ؟ وهل ينفعنا أن يصير أحدهم أشعر شعراء فرنسا أو إنكلترا أو ألمانيا — مثلا — فيضيف إلى تراثها صفحة خالدة مشرقة ما كان أشد حاجتنا إلى أن يزاد فى أسفار أمجادنا العربية الحديثة .

وماذا يعنينا من أمر هـذا وأشباهه — مهما عظم خطره وجل — بعد أن يسلخهم منشئوهم من أسرتنا العربية التى نسمى لرفعتها وعزتها مستميتين ؟ أو بأسلوب آخر . ماذا يجدى علينا أن تصبح بلادنا أغنى بلاد العالم وأوفرها قصوراً وأعظمها مصانع مادام أبناء البلاد لا يملكون من هذا كله شيئاً .

فمسألة المسائل الجوهرية — إن صح هذا التعبير — هى أننا نريد أن يكون كل إصلاح نقوم به فى بيت نملكه لا فى بيت نكتريه . وفى طفل ينتسب إلينا بعروبته وشمائله لا فى طفل ينتسب إلى غيرنا من الأمم برطانته ومواهبه . وجماع القول : إننا نريد أن نسخر قواتنا كلها لخدمتنا ورفعة مجدنا — نحن أبناء العرب — لا لخدمة غيرنا من الأمم وإضافة صفحات إلى أمجادهم ولن تمنينا ساقية تدور فى بلادنا ، مادامت تسقى أرضاً لا نملكها وتزيد فى ثروة لا تعود على مواردنا بفائدة . كما لا يعنينا أن يصبح أبناؤنا سادة العالم ومناط فخاره ، ومبعث مجده . ما داموا لا يمتون إلينا بصلة ولا تربطهم بنا آصرة .

ماذا ؟ إن الأمر أكبر من هذا كله فإن خطر هؤلاء الأبناء والأخوة لن يقف عند هذا الحد بل يتعداه إلى ما هو شر منه فإنهم بلا شك عامدون — وقد رأينا مصداق ذلك فى الكثيرين منهم — إلى تراثنا فيُحقِّرُونهُ ، وإلى أكرم تقاليدنا فيحاربونها ، وإلى أنبل مزايانا الشرقية فيُفَوِّقون إليها أخبث السهام وأفتك الأسلحة .

وقديماً قال أبو العلاء :

« ربيت شبلا فلما أن غدا أسداً عدا عليك فلولا ربه أكلك »

ولكن اللوم علينا فقد تنكبنا قول المعرى وخالفنا نصيحته التى أوصانا بها فى تلك القصيدة البارعة حين قال :

« فلا تعلم صغير القوم معصية فذاك وزر إلى أمثاله عدلك
فالسلك ما اسطاع يوماً ثقب لؤلؤة لكن أصاب طريقاً نافذاً فسلك »

وقد شكا الشاعر العربى من عقوق ولده فقال :

« وربيتــه حتى إذا ما تركتــه فتى الحرب واستغنى عن الطر شاربه
تغمد حقى ظالما ، ولوى يدى لوى يده الله الذى هو غالبه »

ولن نتمثل فى هؤلاء الخارجين عنا إلا بقول ابن الرومى :

« وإخوان تخذتهم دروعاً فكانوها ، ولكن للأعادى
وخلتهم سهاما صائبات فكانوها ، ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب لقد صدقوا ولكن عن ودادى »

ورحم الله القائل :

« أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى
وكم علمتــه نظم القوافى فلما قال قافية هجانى »

إلى هنا قد بلغنا المدى — فيما نظن — وأدركنا أن أول واجب علينا وعلى كل من يتصدى لتنشئة أطفالنا أن ينشئهم عربا قبل كل شىء . وبعد كل شىء ، وعلى الرغم من كل شىء . فما هى الوسيلة إلى بلوغ هذا المأرب الجليل !

الأمر على خطورته ، غاية فى اليسر فإن مفتاح كل جنسية من جنسيات الأمم المختلفة الأخرى هو لغتها التى تحوى تاريخ أهلها وتراثهم الأدبى الحافل ، ومزاياهم وشمائلهم النادرة وما إلى ذلك من ضروب الفضائل والأمجاد فليكن أول هدف يفوق إليه المصلحون سهامهم المسددة أن ينشئوا أطفالنا على الفصحى لنؤمن أولا أن السجل قد كتبهم فى دفاتر مولودينا ، ولم يقيدهم فى دفاتر وفياتنا ، فإن الطفل إذا أُنشىء على لغة أجنبية انسلخ عن قوميته ، وإذا أُنشىء على العامية انسلخ عن شعوب الشرق العربية كلها ، وأصبح بمعزل عن أسرته العظيمة المنتشرة فى أقطار تلك الامبرطورية الفكرية العربية الشاسعة . وأن كل تهاون — بالغ ما بلغ من التفه — بهذا المبدأ الأقدس الأسمى هو إساءة وقد كدت أقول « إجرام » فى حق الوطن العربى الخالد .

لقد حدثتنا الأساطير أن مصدر قوة « شمشون الجبار » كانت فى شعره . قالت الأسطورة . فلما قص أعداؤه شعره — بعد أن فطنوا إلى هذا السر — وهن الجبان واستكان . وقد حدثنا

التاريخ الصادق الأمين وقصت علينا حقائق الحياة وعبرها أن شعر شمشون يتمثل فى كل أمة — إذا فحصنا عنه — فى لغتها فإن قص هذا الشعر ، وهذه اللغة ، وهنت الأمة فى أثره وضاع خطرها وتفككت أواصرها الوثيقة .

ومتى أقررنا ذلك ، وجب علينا أن نمهد لهذه الغاية الجليلة وسائلها ونعبد لها طرائقها ونيسر للطفل منهاج العربية واضحاً لا عوج فيه ولا أمتا ، مستعينين على ذلك بكل أساليب التربية الصحيحة ، ومغربياتها الرشيدة على الاتسمح فى إثبات لفظة عامية أو عجمية دخيلة لا يقرها اللسان العربى ، ولا توائم أساليب الفصحى ، فإن كل خطأ فى ضبط الكلمات التى نقدمها لأطفالنا ، وكل تقصير أو إهمال فى تحرى فصاحتها والتثبت من صحتها جناية على لغتنا أى جناية وتعويق لنهضتنا أى تعويق .

وليضع كل من يتصدى لتعليم الأطفال أو التأليف لهم نصب عينيه ، وصك أذنيه وملء ضميره وجهد حبه للخير أن كل خطأ ينطبع فى أذهانهم وكل وهم أو زلل يعترض سبيلهم إنما هى فى الحقيقة مزالق أو حفر يتردى فيها الطفل الوادع المسكين وليس له من ذنب فى ترديه إلا وثوقه بكفاية معلمه وأمانة أستاذه الذى أبى قصوره أو تقصيره إلا أن يحقق قول أبى العلاء

« ما الناس إلا سالك مسترشد وأخ ـ على غير الطريق ـ يدله »

ولن يغفر التاريخ إثم من يتصدى لتعبيد الطرق للعابرين إذا عرّضهم للمخاطر والتلف ، ولن تشفع له جهوده العظيمة وحسناته المتوالية فى هذا الجرم الشائن .

أما بعد ، فليأذن لى القارئ متفضلا أن أصرخ — قبل أن أختتم هذه الكلمة — صرخة مدوية منبعثة من الأعماق فى وجه كل من يتصدى لوضع كتب لأطفالنا ممن لا يدينون بهذا المبدأ الأقدس الأسمى ، فيملأها رطانة وركاكة وأغلاطا ويجنى بذلك على نهضتنا عابثا أو جادا ، عامدا أو غير عامد ، أكبر جناية يسجلها تاريخ عزتنا ، ويدونها سجل قوميتنا ، ويقبح جانبها كل غيور على الاصلاح ، ويلعن جارمها كل محب للعرب منتصر للعروبة .

ألا هل بلّغت ، اللهم فاشهد .

**كامل كيلاني**



# وحي الشرق

**للأستاذ محمود غنيم**



مهدَ الهدى ومثابةَ الأقمار ... نورُ البصائرُ أنت والأبصارِ

فيكَ الشرائعُ والشموسُ تلاقتا ... فتلاقت الأنوارُ بالأنوار

لله سر فى اختيارِكَ مهبطاً ... للوحى يا مُستودعَ الأسرار

لمسوح عيسى فوق أرضك خطرةٌ ... وعصا الكليم وبردة المختار

وضمت شرائعك السماء وأين من ... وضع السماء نتائجُ الأفكار ؟

أبصرت غيرك مستعاراً مجدُهُ ... لكن مجدكَ أنت غيرُ معار

مجدٌ بأسباب السماء تعلقت ... أسبابُهُ صنعته كف البارى

* * *

قالوا الحضارة قلت أزهر نبتها ... فى الشرق قبل منابت الأشجار

أرض ينابيعُ البيان تفجرت ... من جوفها قبل النمير الجارى

سحر الطبيعة والبيان تسابقا ... فيها سباق الخيل فى المضمار

تتطامنُ الأيامُ إن مرّت بها ... ضمّتْ جوانبها من الآثار

* * *

هذا أديم الله خصّ برسْله ... وبيوته القدسيّة الأحجار

فى كل عام للحجيج تمسحٌ ... بالقدس أو بالبيت ذى الأستار

الشرق مهوى كل وجه ساجدٍ ... لله لا للقوت والدينار

وإذا النفوس عرين من دين ومن ... خُلُق فليس لهنّ أىُّ قرار

ليس السلام براجح فى عالم ... بارت به الأرواح أىَّ بوار

وتقطعت بين السماء وبينه ... شتى الصلات تقطع الأوتار

الغرب سار على هدى أطماعه ... فتعثرت قدماه أىَّ عِثار

أم سرت فى جنح ليل مظلم ... قد ضل فيه النجم قبل السارى

تبكى حضارتها بملء جفونها ... وتئن تحت جدارها المنهار

قل للأولى ضلوا وضلت فلكهم ... فى اليم شرعُ الله خيرُ منار

**محمود غنيم**

# الناحية العلمية من إعجاز القرآن

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

القرآن الكريم حجة الله البالغة على عباده ؛ وموضع الحجة القاهرة فيه إعجازه الخلق . وينبغى ألا يكون إدراك إعجازه موقوفا على فصحاء العرب ومن لف لفهم ، فإن الإنسانية كلها مخاطبة به ، مطالبة بالتسليم له بأنه كلام الله ليس لآدمى فيه كلمة ولا حرف . والانسانية أعجميها أكثر من عربيها ، ومع ذلك فلا بد من أن يتضح إعجاز القرآن لكل إنسان ، ولو كان أعجمى اللسان ، لتلزمه حجة الله إن هو أبى الإسلام .

هذا النوع من النظر والتفكير يؤدى إلى نتيجة لازمة : أن لإعجاز القرآن نواحى غير الناحية البلاغية ، وغير ناحية التنبؤات التى كانت فى ضمير الغيب حين نزل القرآن ، ثم حققها الله فعلا فيما استقبل الناس من زمان .

الواقع أن موضوع إعجاز القرآن لا يزال بكرا برغم كل ما كتب فيه . لكنى لست أريد أن أتناوله فى هذا المقال إلا من تلك الناحية التى لا يتوقف تقديرها والتسليم بها على معرفة لغة لا تتيسر معرفتها لكل أحد . هذه الناحية هى الناحية العلمية من الإعجاز

وإذا فهمنا الناحية العلمية على أوسع معانيها فإنها تشمل كل ما عدا الناحية البلاغية من النواحى : تشمل الناحية النفسية وكيف اقتاد القرآن النفس ويقودها طبق قوانين فطرتها ؛ وتشمل الناحية التشريعية وكيف نزلت أحكام القرآن طبق قوانين الفطرة للأفراد والجماعات ؛ وتشمل الناحية التاريخية التى لم يكن يعلمها البشر عند نزول ما اتصل بها من آيات القرآن ثم كشف عنها التنقيب الأثرى بعد ؛ ثم تشمل الناحية الكونية ناحية ما فطر الله عليه غير الإنسان من الكائنات فى الأرض ، وما فطر عليه الأرض وغير الأرض فى الكون .

هذه النواحى هى التى ينبغى أن يشمر المسلمون للكشف عنها وإظهارها للناس فى هذا العصر الحديث . ولن يستطيعوا ذلك على وجهه حتى يطلبوا العلوم كلها ليستعينوا بكل علم على تفهم ما اتصل به من آيات القرآن ، ويستعينوا بها جميعا على استظهار أسرار آيات القرآن التى اتصلت بالعلوم جميعا . ولا غرابة فى أن يتصل القرآن بالعلوم جميعا ، فما العلوم إلا نتاج تطلب الإنسانية أسرار الفطرة ، والقرآن ما هو إلا كتاب الله فاطر الفطرة ، فلا غرو أن يتطابق القرآن والفطرة ، وتتجاوب كلماتها وكلماته ، وإن كانت كلماتها وقائع وسننا ، وكلماته عبارات وإشارات تتضح وتنبهم طبق ما تقتضيه حكمة الله فى مخاطبة خلقه ، ليأخذ منها كل عصر على قدر ما أوتى من العلم والفهم ، وكذلك دواليك على مر العصور .

هذا التدرج فى إدراك تمام التطابق بين القرآن والفطرة أمر لا مفر منه فى الواقع ، ثم هو مطابق لحكمة الله سبحانه فى جعله الإسلام آخر الأديان ، وجعله القرآن معجزة الدهر ، أى معجزة خالدة متجددة : يتبين للناس منها على مر الدهور وجه لم يكن تبين ، وناحية لم يكن أحد يعرفها أو يحلم بها من قبل ، فيكون هذا التجدد فى الإعجاز العلمى هو تجديداً للرسالة الإسلامية ، كأنما رسول الإسلام قائم فى كل عصر يدعو الناس إلى دين الله ويريهم دليلا على صدقه آية جديدة من آيات تطابق ما بين الفطرة وبين القرآن .

هذا النوع من الاعجاز يعجز الإلحاد أن يجد موضعاً للتشكيك فيه إلا أن يتبرأ من العقل . فإن الحقيقة العلمية التى لم تعرفها الإنسانية إلا فى القرن التاسع عشر أو العشرين مثلا ، والتى ذكرها القرآن ، لابد أن تقوم عند كل ذى عقل دليلا محسوسا على أن خالق الحقيقة هو منزل القرآن .

وقبل أن نورد بعض الأمثلة التوضيحية يجب أن ننبه إلى أمرين مهمين : الأول أنه لاينبغى فى فهم الآيات الكونية من القرآن الكريم أن نعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا قامت القرائن الواضحة تمنع من حقيقة اللفظ وتحمل على مجازه . إن مخالفة هذه القاعدة الأصلية البسيطة قد أدى إلى كثير من الخطأ فى التفسير . وسنرى أن من أعجب عجائب القرآن أن المطابقة بين آياته وآيات الفطرة تكون أتم وأيسر كلما أخذنا بتلك القاعدة فى فهم كونيات القرآن . هذا أمر .

أما الأمر الثانى فهو أنه ينبغى ألا نفسر كونيات القرآن إلا باليقين الثابت من العلم ، لا بالنظريات ولا بالفروض . إن الحقائق هى سبيل التفسير الحق : هى كلمات الله الكونية ينبغى أن يفسر بها نظائرها من كلمات الله القرآنية ؛ أما الحدسيات والظنيات فهى عرضة للتصحيح والتعديل إن لم يكن للابطال فى أى وقت .

فسبيلها أن تعرض هى على القرآن بالقاعدة السابقة ليتبين مبلغ قربها منه أو بعدها عنه ، وعلى مقدار ما يكون بينها وبينه من اقتراب ، يكون مقدار حظها من الصواب .

فلنأخذ الآن فى تبيين طرف من إعجاز القرآن العلمى عن طريق ضرب بعض الأمثال . وستكون الأمثال فردية لأن الناحية العلمية العامة من الإعجاز قد سبق بيانها فى بعض أعداد الرسالة[1] ، إذ أثبتنا التطابق التام بين العلم الطبيعى الحديث والقرآن من ناحية الموضوع ومن ناحية الطريقة ، وبيّنا أن العلم بموضوعه مأمور به فى القرآن على التحديد ، وأن العلم بطريقته يقره ويؤيده القرآن

لنبدأ من الأمثلة بأول آية — بعد البسملة — فى أول سورة من القرآن . لنبدأ بالآية الكريمة فاتحة أم الكتاب . « الحمد لله رب العالمين » ولندع إعجاز شطرها الأول ، ولنأخذ فى إعجاز شطرها الثانى ، ولنقتصر من ذلك على ما يتمثل من الكلمة الأخيرة منه : كلمة « العالمين » .

لاشك أنها كلمة فاجأت العرب من ناحيتين على الأقل : ناحية الجمع ، وناحية تذكير الجمع . فالعرب لم يكونوا يعرفون إلا عالمًا واحدا هو الذى كانوا يعيشون فيه . والناس إلى اليوم لا يتحدثون إلا عن عالم واحد هو هذا الذى نبصر ونحس ونعيش فيه . فقَصْر الحمد على رب العوالم شىء فجأ الناس إذ ذاك ولم يألفه كل الناس إلى اليوم .

والتمس الناس تلك العوالم المتعددة فقالوا هى عوالم الإنس والجن والملائكة ، وقالوا هى عوالم الحيوان والنبات والجماد ، ولكن ليس كل ذلك بموف بمعنى ذلك اللفظ ، لفظ « العالمين » إنه جمعٌ معرف لا جمع منكَّر ، وأنت إذا قلت العالم لم تفهم إلا عالما واحدا هو هذا الشامل لكل ما ترى من أرض وسماء . وإذا أخذنا بحرفية اللفظة فى الفهم طبق قاعدتنا الأولى ، كان عالمنا هذا فرداً من أفراد ، وعالما من عوالم مثله . فأين هذا المعنى فى أى كتاب بأى لسان قبل القرآن ؟

ثم جاء علم الفلك الحديث بمراقبه ومراصده ، وتحليلاته الرياضية وغير الرياضية ، فبين أن المجموعة الشمسية التى نحن فيها ومنها ليست فى هذا العالم المجرّى شيئاً مذكوراً ؛ وبيّن أن هناك عوالم مجرية أخرى متراميــة الطارح تعد لا بالمئات ولا بالألوف ولكن بالملايين ؟ .

لكن العلم لم يهتد إلى الآن فى العوالم المجرية الأخرى إلى أرض كأرضنا ، وإن اهتدى إلى أن فى كل عالم مَجَرِّى آلافا مؤلفة وملايين من الشموس . وستجد أكثر الناس يقنع من التطابق القرآنى العلمى فى هذا اللفظ الكريم بهذا القدر ؛ لكن حرفية المعنى القرآنى لا تقنع بهذا وتؤدى إلى أكثر من هذا . إن عالمنا ، وهو العالم الذى نعرف عنه أكثر كثيرا مما نعرف الآن عن إخوته ، فيه أرض تدور حول شمس ، بكل ما فى الأرض وما فى الشمس من أسرار . فحرفية اللفظ القرآنى وحقيقة الجمع القرآنى يقتضيان أن تكون هناك عوالم أخرى فيها أرض تدور حول شمس . أى أنه لا بد حسب حرفية القرآن أن يكون فى ملايين العوالم المجرية الأخرى عوالم ولو قليلة يتحقق فيها ما هو متحقق لنا فى هذا العالم الذى جمعه الله سبحانه فى أول آية من كتابه جمع تذكير ، ليكون فى ذلك إشارة وتنبيه للناس إلى ما فى الكلمة الكريمة من أسرار ليطلبوها فلا يصرفوا أنفسهم عنها بتعليلهم صيغة الجمع بمراعاة الفاصلة ، أو التغليب ، أو ما أشبه ذلك من تعليل .

فما مبلغ ما وصل إليه العلم الحديث فى شأن هذا السر العظيم الذى أشار إليه الخالق سبحانه بكلمة «رب العالمين» ، سر وجود الحياة فى أرض غير أرضنا فى عالم كعالمنا ؟ كل ما وصل إليه من هذا أن وجود الحياة على غير كوكبنا هذا أمر ممكن ، بل أمر راجح . ومن يرد الاستزادة من وجهة العلماء فى هذا الأمر ، فليقرأ فصل : « الحياة فى العوالم الأخرى » من كتاب : « عوالم لا نهاية لها » للفلكى الملكى الإنجليزى هـ . سبنسر جونز .

وإذا لم يكن لدى العلم إلا ترجيح ما فهمنا من اللفظ الكريم ، فهل فى كتاب الله ما يؤيد هذا الفهم وهذا التخريج ؟ هل فى القرآن ما يفصل هذا السر المجمل فى لفظ « العالمين » ؟ فإن أوثق ما يفسر به القرآن هو القرآن .

( البقية فى العدد القادم )

محمد أحمد الغمراوي

## فى شهيد ميسلون :

وقع اضطراب فى ترتيب هذه القصيدة نصوبه فيما يلى : جاء بعد البيت الثامن الذى أوله : فى موكب القادين ( لا النادين ) قوله :

لو قستهم بعدوهم وسلاحه ... والصواب : أن موضع هذا البيت هو بعد البيت الثانى عشر الذى أوله : الرابضين على الحصون .

(١) انظر العددين ( ١٤٦ ، ١٤٨ من السنة الرابعة )

# المجدد المنتظر ...

## للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

كان المسلمون فى الماضى كلما حزبهم الأمر ، وبلغ اليأس بهم كل مبلغ ، وجدوا فى خبر المهدى الذى يأتى آخر الزمان ، أو المجدد الذى يبعث على رأس كل مائة سنة ، ما يحيي فيهم ميت الأمل ، ويبعث فيهم الرجاء بعد اليأس .

وهاهم أولاء الآن قد حزبهم الأمر بما لم يحصل مثله فى ما ضيهم ، فأصبحوا من الضعف بحيث طمع فيهم من لا ناصر له وغلب عليهم كل متغلب ، وشمخ عليهم من ضربت عليه الذلة والمسكنة ، فهم فى أشد حاجة إلى من ينهض بهم من هذا الضعف فيصلح ما فسد من أمرهم ، ويجدد ما بلى من أحوالهم ، ويقضى على ذلك الجمود المميت ، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه ، ويقود جنود الإصلاح إلى النصر ، وينظم صفوفهم فى الحرب القائمة بينهم وبين دعاة الجمود ، حتى ينتظم ما تفرق من صفوفهم ، وترتفع فى الخافقين أصواتهم .

فهل يقوم لهم بذلك ما يرجونه من المهدى المنتظر ، أو من المجدد الذى يبعث إليهم فى رأس كل مائة سنة ؟ والجواب عن ذلك يجرنا إلى النظر فيما مضى من أثر الفكرتين فى المسلمين .

لقد نبتت فكرة المهدى المنتظر بين فرقة الشيعة من المسلمين فانتظروه شخصا من آل بيت النبوة يوافق اسمه اسم النبى صلى الله عليه وسلم ، ويوافق اسم أبيه اسم أبيه أيضا ، فيكون إماما معصوما ، ويكون مؤيدا فيما يقوم به من الله تعالى ، ويكون له حكم المسلمين جميعاً ، فيرجعون إليه فى أمور دينهم ودنياهم .

ولا شك أن هذه أمور تغرى النفس كل الإغراء ، وتثير فى كل شخص أن يكون المهدى المنتظر ، لتكون له تلك القداسة الدينية ، وليكون له ذلك السلطان على المسلمين ، وكل ما كان من هذا القبيل يدخل فيه الاحتيال ، ويستعان عليه بالتصنع ، وما يدخل فيه الاحتيال لا ينطلى عند كل الناس ، وما يستعان عليه بالتصنع لا يلبث أن يظهر أمره ، فيفترق فيه المسلمون حيث يراد اجتماعهم ، ويكون وسيلة خصام ، لا وسيلة سلام ووئام .

وقد قامت محاولات كثيرة فى ذلك كان الفشل نصيبها كلها ولم يستفد المسلمون منها شيئا ، بل كانت تزيدهم فرقة إلى فرقهم وكان الخلاف يتسع بها بينهم ، ولم تفدهم محاولة منها ما يطلبونه من إصلاح ، ولم توصلهم إلى ما يريدونه من تجديد .

وكانت أول محاولة فى ذلك من أبى جعفر المنصور ثانى ملوك بنى العباس ، وكان من قبله من بنى العباس قد وضعوا تنبؤات فى ظهور أمرهم ، وفى ظهور المهدى من بينهم ، ومن ذلك ما روى عن ابن عباس — والظاهر أنه موضوع عليه — أن أم الفضل حدثته أنها مرت بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال لها : إنك حامل بغلام ، فإذا ولدت فأتينى به ، فلما ولدته أتت به النبى صلى الله عليه وسلم فأذّن فى أذنه اليمنى ، وأقام فى أذنه اليسرى ، وألبأه[1] من ريقه وسماه عبد الله ، وقال : اذهبى بأبى الخلفاء . فأخبرت العباس — وكان رجلا لباسا — فلبس ثيابه ، ثم أتى إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما بصر به قام فقبل بين عينيه ، فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم . فقال : هو ما أخبرتك ، هو أبو الخلفاء حتى يكون منهم السفاح ، حتى يكون منهم المهدى ، حتى يكون منهم من يصلى بعيسى ابن مريم .

ومن ذلك ما روى عن ابن عباس عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : اللهم انصر العباس وولد العباس — قالها ثلاثا — ثم قال : ياعم ، أما شعرت أن المهدى من ولدك موفقا راضيا مرضيا

وكان أبو جعفر المنصور يسمى عبد الله ، وكان له ابن يسمى محمدا ، فأراد أن يجعل منه المهدى الذى مهدوا لظهوره بهذه التنبؤات ، وكان أبو العباس السفاح قد بايع لأخيه أبى جعفر من بعده ، ثم لابن أخيه عيسى بن موسى من بعد أبى جعفر ، فلما صار الأمر إلى أبى جعفر المنصور عمل على أن يخلع عيسى بن موسى من ولاية العهد ، وأن يضع مكانه ابنه محمدا ، فلقبه المهدى . وأشاع حوله تلك الأحاديث والتنبؤات التى ترمى إلى تقديسه وتعظيمه ، وتشير إلى أنه يقوم بالأمر فيملأ الأرض عدلا ، ثم أخذ يرغب الناس فيه ، ويجتهد فى حمل وجوه دولته على الالتفاف حوله

(١) أى صب ريقه فى فيه كما يصب اللبأ فى فم الصبى ، وهو أول ما يحلب عند الولادة

فلما تم له ما أراد من ذلك جعله من فعل الله تعالى ، وأنه هو الذى أشرب قلوب الناس مودة المهدى ، وقسم فى صدورهم محبته ، فصاروا لا يذكرون إلا فضله ، ولا ينوهون إلا به ، ولا يجرى على ألسنتهم إلا ذكره ، لمعرفتهم إياه بعلاماته واسمه ، ثم أقدم على الغاية التى أرادها من ذلك ، فأراد أن يخلع عيسى بن موسى من ولاية العهد، ويولى مكانه ابنه المهدى ، تنفيذاً لما أراده الله من ولايته ، لأنه زعم أنه أمر تولاه الله وصنعه ، ولم يكن للعباد فيه أمر ولا قدرة ، ولا مؤامرة ولا مذاكرة .

ولـكن عيسى بن موسى لم ينطل عليه شىء من ذلك ، ولم يذعن لهذا الاحتيال الظاهر من عمه أبى جعفر ، ورأى أنه لا مهدى يراد ، وإنما تراد ولاية العهد لا غير ، والباطل يظهر أمره وإن حاول الناس إخفاءه، والحق لا يأتى بمثل هذا الاحتيال والتصنع ولا يقوم أمره على نقض العهود ، ولا تستبيح دعوته الحنث فى الأيمان

فلم يزل عمه أبو جعفر يأخذه تارة بالقهر ، وتارة بالإغراء ، حتى خضع لما أراد ، وترك ولاية العهد لابن عمه المهدى ، فقام بالأمر بعد أبيه أبى جعفر ، وإذا هو ملك كغيره من الملوك ، لم يملأ الأرض عدلا ، ولم يحقق للمسلمين أملا مما يرجونه من المهدى المنتظر ، بل سار فى الطريق التى سلـكها من مضى قبله من ملوك بنى العباس وبنى أمية ، وسلـكها من أتى بعده من الملوك ولم يكن ما قام به المنصور من الدعاية له إلا أمانى خادعة ، واحتيالات لما أراده من قيامه بالأمر بعده .

وكذلك كان أمر كل من ادعى أنه المهدى المنتظر قـديما وحديثا ، يحاول فى أمره أن يصله بأمر السماء ، ليأخذ الناس بدعوى الولاية ، وادعاء التأييد من الله تعالى ، ويحملهم على ما يريده من إذعانهم له ، حتى يقيم فيهم ملـكا له ولأولاده ، أو يجعل له سلطة دينية عليهم ، فلا ينخدع به فى ذلك إلا من تنطلى عليهم خديعته ، ويبقى جمهور المسلمين بعيدا عنه ، لا يؤمن بخداعه ، ولا يرى أن دعوته هى الدعوة التى يرجوها .

لأنهم يرجون إصلاحا لا ملـكا ، ويريدون مصلحا لا يبغى لنفسه من الإصلاح شيئا ، ولا يجعله وسيلة لمآرب شخصية ، دنيوية كانت أو دينية ، حتى تـكون دعوته خالصة لوجه الإصلاح لا يشوبها شك ، ولا تشوهها ريبة .

ولأنهم يرجون الإصلاح من طريق العلم والاجتهاد ، ويريدون أن يؤمنوا به بالدليل والبرهان ، لا بتلك التنبؤات الموضوعة ، ولا بدعوى الولاية والتأييد من الله تعالى ، لأن الإسلام قـد أغلق باب الإقناع بهذه الوسائل بعد النبى صلى الله عليه وسـلم ، وفتح باب الاجتهاد والإصلاح ، وجعل وسيلته الإقناع بالدليل ، حتى يؤمن الناس به عن بصيرة ، ويأخذوه عن علم لا عن تقليد ، كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه دينهم ، وكما كان الأصحاب يأخذون دينهم عنه .

ولأنهم يرجون مصلحا ينهض بهم والزمان مقبل ، والدنيا لا يزال فيها أمل ، فيستردون به ما ضاع من مجدهم ، ويعيدون به ما ذهب من عزهم ، ويكون لهم فى ذلك أمل كأفسح ما يكون الأمل ، ويكون لهم فيه رجاء كأقوى ما يكون الرجاء . ويواتيهم فيه الزمان كما واتاهم من قبل .

ولا يرجون مصلحا يأتى لهم فى آخر الزمان ، والدنيا مدبرة والآخرة مقبلة ، فلا يكون أمامهم من فسحة الزمان ما يشيدون فيه كما شيد آباؤهم ، ولا يكون عندهم من بعيد الأمل ما ينهض بهم كما نهض بسلفهم .

وهذا إلى أن أخبار المهدى المنتظر لا يتفق المسلمون على التصديق بها ، بل يذهب كثير من العلماء إلى إنكارها ، ويرون أنها تنبؤات وضعت لأغراض سياسية ، وقد أكمل الله الدين ببعثة النبى صلى الله عليه وسلم ، وقطع ببعثته حجة السماء على الأرض ، ولم يبق بعده حاجة إلى اتصال بينهما ، كالاتصال الذى تقوم عليه فـكرة المهدى المنتظر .

أما فـكرة المجدد الذى يبعثه الله فى كل جيل من أجيال المسلمين ، فلا تقوم على ما تقوم عليه فـكرة المهدى المنتظر من دعوى الولاية ، وادعاء التأييد من الله تعالى ، ولا يقصد صاحبها ملـكا بين الناس ، ولا سلطة دينية ينتفع بها فى دنياه ، ولا يلزم أن يكون شخصاً من آل بيت النبوة ، وإنما هو شخص من عامة المسلمين ، كمل عقله ، ونما علمه ، وعرف الداء والدواء ، وآمن بالتجديد والإصلاح ، فقام يدعو إلى ذلك بالنظر والاجتهاد ، ويؤيده بالدليل والبرهان ، ويضحى فيه بنفسه وماله ، ويستهين فيه بكل ما يلقى من كيد ، وما يصادف من عناء ، ويرجو من ذلك كله أن تظهر دعوته ، وينتصر حقه على باطل غيره ، فترتفع راية الإصلاح ، وتنتشر دعوة التجديد ، ولا يكون له بين المسلمين إلا شرف الجهاد ، وحسن الذكرى .

وتلك كانت غاية الأنبياء والرسل من دعوتهم ، من بعثة نوح عليه السلام ، إلى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقول نوح لقومه فى الآية (٧٢) من سورة يونس (فإن توليتم فما سألتكم من

# خطر تسرب الأهواء إلى صفوف المسلمين

## للأستاذ عبد المنعم خلاف

خبرت كثيراً من الهيئات الاصلاحية، فوجدت فيها نوعاً من الناس يشترك فى توجيهها مع أنها لم تنشأ إلا لتطهيره هو أو تطهير المجتمع منـه ! فـكيف تأتى لأمثـال هؤلاء أن يتسربوا إلى منابع الطهر ومناطق الإصلاح ؟ إنها لا شك غفلة وعبث ومجلبـة للأضرار حيث تلتمس المنافع ، وإنها خدعة لها مابعدها من انتكاس الحال وازدياد الفساد وانعكاس القصد وضياع الجهود هـدراً ، وإنها لفجيعة أن تلتمس لوجهك طهوراً فإذا به نجس !

وأنا أفهم أن الإنسان قد يلبس بعض الشر والضعف الخلقى ويقترفه وهو مؤمن بالفضيلة محب للصلاح والصالحين يدعو الله أن ينفعه وينقذه بهم وأن يمن عليه بسلوكه مسالـكهم ومع ذلك يبتعد عنهم كى لايلوثهم أو يعطلهم أو يؤثر على توجيههم للناس ، ولـكننى لا أفهم أن يقترب منهم ويشترك فى إرشاد الناس معهم مع أنه يعلم رأى الناس فيه وقلة بضاعته فى سوق الهدى والتوجيه .

إن المريض بمرض نفسى ينبغى له ألا يزاول التطبيب فيه ، إلا إذا كان له من الشجاعة ما يجعله يقـدم نفسه دليلا وحجة على فسـاد عكس ما ينصح الناس به ، وما يجعله يضرب نفسه مثلا مجسما أمام الجماهير ، يقول بصدقه وصراحته قولا بليغاً فى نفوسهم ؛ لأنه حينئذ يكون كذلك النوع النادر من الأطباء الذين يقدمون أنفسهم قرابين للعلم وفداء للناس بتعريض أجسامهم للأمراض الفتاكة ليخـبُروها ثم يخبّروا الناس عن نتائجها .

ولـكنا نجد كثيراً من مرضى النفوس وضعاف الأحلام ، ومثال الأنانية ، لايجدون مجالا لعرض أمراض نفوسهم وضعف أحلامهم وجلوشهرتهم إلا فى جبهات الإصلاح يتطرقون إليها فى جرأة ، ويتدسسون فيها فى خبث واستغلال ، حتى لتبدو للناقد الفاحص كأنها جبهات إفسادلا جبهات إصلاح ! !

وإن السماح لهذا التسرب الخطر هو نوع من الصد عن سبيل الله ، لأن الدرهم الزائف يطرد الدرهم الصحيح من السوق ويجعل طابع التعامل هو الغش والخداع ، ويحمل الجماهير على الشك فى صحة الدعوة الإصلاحية ، بل الشك فى جوهر الفضيلة ذاتها ... وهذا أمر فى غاية الخطورة على أمة تلتمس لنفسها السلاح الوحيد لإنقاذها وإنهاضها ، وهو الإيمان بالقيم الخلقية والعقائد التى تثير أعظم ما فى الطبائع البشرية وتوجهها نحو المجد والقوة والفوز أجر إن أجرىَ إلاَّ على الله وأمرتُ أن أكونَ منَ المسلمينَ )

ويقول هود لقومه فى الآية ( ٥١ ) من سورة هود ( يا قومِ لا أسألـكمْ عليه أجراً إن أجرىَ إلا على الذى فطرنى أفلا تعقلونَ )

ويقول الله تعالى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الآية (١٠٤) من سورة يوسف (وما تسألُهم عليه من أجر إن هو إلاَّ ذكرٌ للعالمينَ)

وهذا الإخلاص هو الوسيلة لنجاح الدعوة ، وجمع الـكلمة والثقة بالداعى ، إذ لا مأرب له يشوه دعوته ، ولا غاية له تشككك فى أمره ، وليس كالإخلاص فى نجاح الأمور ، ولهذا عول الدين عليه فيما أتى به من أصول وفروع ، وجعله أساسا لصحتها ، وركنا من الأركان التى تقوم عليها .

وقد آن للمسلمين أن يزيلوا من أدمغتهم فـكرة المهدى المنتظر وأن يطلبوا مجدداً ينهض بهم فى هذا الزمان ، لأنهم لا يجدونه إلا إذا طلبوه ، وشعروا بحاجتهم إليه ، وقد سبقت الإرهاصات وتوالت البشائر ، والأمل قريب بنجاح الطلب ، وظهور ذلك المجدد

ولعل هـذا الأمر هو السر فى أننا نجد كثيراً من تلك الجبهات الإصلاحية لا تلبث أن تنهض حتى تنهـار ، ولا يلبث رجالها أن يتعارفوا حتى يتناكروا ويختلفوا وتظهـر أعراض اختلافهم وتناكرهم على عيون الأشهاد ، وهذا من طبيعة الأشياء إذ كيف يتأتى أن تجتمع الأضداد والتناقضات من غير احتراب وشقاق ؟ وأى بذرة أو نواة استطاعت قوانين الحياة والنماء أن تخرج منها نخلة أوشجرة فارعة مثمرة إذا كانت عوامل السوس والفساد قد تسربت إليها وهى فى طور النمو الأول ؟ إن الله تعالى يحافظ على مناطق النمـو فى النبات والحيوان ويلففها بأقمطة ولفائف ويقيم حولها حراساً أيقاظاً تدرأ عنهـا عوامل الفساد وتحفظ فيها عوامل الحياة ولا تسمح لسوسة أو نملة أو جرثومة مخربة ضئيلة أن تتطرق إليها وتزعم أنها من عوامل التكوين والنمو . تلك هى سنة الله القادر العالم الحفيظ الغيور على ما يصنع حين يكون المصنوع فى دور الضعف دور النشوء ، حتى إذا قوى واشتد وصار قادراً على احتمال الصراع بين عوامل الحياة وعوامل الفناء تركه يبرز قواه الذاتية وأسراره الخفية فى الحرب الأبدية بين الخير والشر . فلماذا لا يصنع محبو الإصلاح المخلصون ما يصنع الله ويسترشدون بسننه وقوانينه ؟ أم هم يظنون أنهم قادرون على تبديل سنن الله ما داموا يتكلمون بحذق ومهارة ؟ إن الأمر فى إنشاء جيل على الصلاح ليكون أساساً لأجيال بعده ، أعظم من أن يكتفى فيه بتزاويق الكلام وتحابيره . إنه يلخص فى أمر واحد . عمل مجسم صامت فى جوانب الحياة لا يعلن عنـه أصحابه وإنما يتحدث عنه غيرهم !

وما ينبغى أن يخدعنا الكلام بعد أن وعينا عبرة الأيام التى هى عبرة العمل وحده فى الأمم التى تحب العمل ...

لقد وجـدتُ بعض الملحدين الفاسقين يحسنون القول فى الإيمان أكثر من إحسان المؤمنين الصادقين ...

ووجدت بعض المجرمين يجيدون القول فى احترام العدالة والقوانين أكثر من إجادة الطائعين الخاضعين للنظام ...

ووجدت بعض الضعفاء يعظمون القول فى القوة والسلطة أحسن من الأقوياء المسلّطين ...

ووجدت أعداء الحق والفضيلة والصلاح إذا حملتهم المناسبات على القول فى أضـداد ما يقترفون : أتوا بالقول الساحر والبيان الخالب ، طلباً لتصفيق الجماهير البلهاء ، لا لوجه الله ...

ووجدت الجماهير البلهاء أسرع إليهم وأشد احتفالا بهم من احتفالها بالعاملين الصادقين المحسنين ...

لقد وجدت هذا ... فصرت لا أخدع بالكلام ... وعلمت لماذا كان العمل هو الأمر الوحيد الذى جعله الله ميزان القلوب ومعيار الحساب ... وعلمت السر فى حديث (محمد) سيد المصلحين المخلصين — صلى الله عليه وسلم — فى وصف الدجالين الذين يدسّون أفواههم فى دعوات الإصلاح كما تدس الخنازير أفواهها فى وضوء المتطهرين المسلمين : « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق (1) أقتاب (2) بطنه فيدور كما يدور الحمار بالرّحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان : مالك ! ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟! فيقول : بلى قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه » .

**عبد المنعم خلاف**

(1)،(2) تندلق أقتاب بطنه : تسقط أمعاؤه من بطنه . الاندلاق الخروج والأقتاب الأمعاء .

تسبيحة الرمال ...

# في صلاة الصحراء ...

للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالي



تدفق سلسالا من الوحي صافيا
فغنت به الصحراء ركباً وحاديا
وطوف يسقي جدبها من روائع
تحدت رحجاها أحرفا ومعانيا
سقى فجرها تقوى وعدوانها هدى
لك الله من ظمأى تطارد ساقيا!

تدافعها للموت حمى تديره — على القوم تجنياً عليه وجانيا
يثور بهم طبع لئيم إلى الوغى — ليلقوا منايا صرن فيهم أمانيا

تمردت الصحراء وارْبدّ أفقها
وما حجب الأصباح كالأفق داجيا!

ترحل كالسر المحجب في الدجى — وكالهمس بين اثنين حين تناجيا
وكالحلم رفافا وكالطيف عابراً — وكالنفس المجهود ينساب خافيا

تسربل جنح الليل لم يخش ضاريا
من الوحش بل يخشى العصاة الضواريا

فندت رمال البيد ميمون خطوه
وهبت سوافيها عليه حوانيا

تقبل فيه الفجر أبلج رائعا — ينير النهار الحق أروع ضاحيا
جلاها من النور السماوي شرعة — أشعت فشقت بالضياء اللياليا
طرائف لم يبل الزمان جديدها — سيبلي جديداه؛ وتلك كما هيا!
بناها على حق وأرسى بناءها — فبورك من مبنى وبورك بانيا

تحدى بها الباغين فانْدك صرحهم
وشاد بها صرحاً على الحق عاليا

تجنوا فقالوا الحرب، كانت أداته
ولم يك إلا للأسنة شاكيا

إذا المنطق استعصى على الشر هديه
فليس سوى نطق الأسنة هاديا

وصاحت بهم أوهامهم: إنه فتى
من السحر، فاق الساحرين الدواهيا

لقد صدقت تلك الأفاعي بكذبها — فما كل سحار يروض الأفاعيا

وماذا عليهم لو يقولون: شاعر — يغني بليلاه ويشدو القوافيا
نعم. إنها «ليلى»، وأحمد «قيسها»
وما ضر أن يلقى عذولاً وشانيا

أضاليل من حمق الصحارى، كأنها
سراباً، وكالأغصان فيها عواريا
مزاعم من جدب الرمال، أتابها
إلى الرشد، من روّى الرمال الصواديا

تمهدها الراعي بجدواه فارتوت — وأخصب واديها وطاب مجانيا
أفاءت على الدنيا ظلالاً وريفة — ورفت على الدنيا قطوفاً دوانيا
وأملت على الأيام أكرم قصة — سيبقى لها الدهر الخاتل راويا
صحائف من مجد البطولة لو وعى — لها الشرق معنى ما تعثر وانيا
ولا التأم الجرح الذي بات ناغراً — ولاز دهر الغصن الذي بات ذاويا
ولانبثق الفجر المغلف بالدجى — ولانبلج الصبح المنور زاهيا
مواكب أجيال ودنيا رغائب — على يد فاروق سترتد ثانيا

# الجامعة الإسلامية بعد الحرب العالمية

للسيد محمد أكرم نعمانى
سكرتير جمعية العلماء فى الهند

قبل نشوب الحرب العالمية الأخيرة عمدت بريطانيا إلى التفرقة بين دول الشرق الأدنى ، مستخدمة شتى الوسائل لفصل بعضها عن البعض الآخر ، إلى حد جعل المبادئ الاسلامية العظيمة تنهار ، تلك المبادئ التى تدعو ، وتهدف إلى اتحاد جميع الدول الإسلامية .

ثم نشبت الحرب التى أثبتت أنه من المستحيل على الدول الصغرى أن تعيش فى عصر بلغت فيه الأسلحة وبالأخص القنبلة الذرية من القوة ما بلغت فى هذه الأيام .

وكيف تقف تركيا ، على سبيل المثال ، فى وجه الاعتداء الروسى إذا وقع ؟ إن القضاء على أداة الحرب التركية أمر سهل لسبب بسيط هو أن مساحة تركيا محدودة ، فلا يمكنها أن تنقل المصانع الحربية التى يعتمد عليها جيشها إلى حيث يعجز الأعداء عن الوصول إليها ، أما روسيا ، وهى الدولة الكبيرة ، فإن اتساع أراضيها من الأسباب التى جعلت الألمان يعجزون عن مد أيديهم إلى مصانعها الحربية ، لأنها أقيمت على مدى أبعد من أن تصله قاذفات قنابلهم .

إن « حياة » الدول الاسلامية ، وبينها تركيا ، تعتمد قبل كل شىء على استمرار الخلاف بين روسيا وبريطانيا ، وإذا حدث ، بطريقة ما ، أن تم الاتفاق بينها ، ثم تفرغت الدولتان لتقسيم الدول الاسلامية فيما بينهما ، فلن يكون لهذه الدول من مستقبل إلا أن تقيد إلى الأبد فى سلاسل العبودية ، ولن تكون قادرة فى يوم من الأيام على تحطيم هذه السلاسل .

وقد يقال إن اتحاد روسيا مع بريطانيا أمر مستحيل ، لأن الاختلاف فى مبادئ الدولتين اختلاف جوهرى ، ومع ذلك فإن بريطانيا دولة « نهازة للفرص » ولا يمكن الاعتماد على ميول سياستها الخارجية أو « وعودها » لسبب بسيط ، هو أن هذه الميول والاتجاهات عرضة للتغيير إذا اقتضت الحاجة ذلك !

وإذا قررت الدول الاسلامية أن تتحد وتقيم حكومة تشرف على هذا الاتحاد ، فسيعنى ذلك « بعث » العالم الاسلامى بطرقه الجوية ، والبحرية ، والبرية ، الممتدة من الشرق إلى الغرب ، عالم يتحكم فى سواحل البحر الأبيض المتوسط من مراكش إلى اسطنبول ، عالم يملك البحر الأحمر ، والخليج الفارسى وبحر العرب ويسيطر على آبار البترول العظيمة ، وعلى المواد الخام الأخرى المكنوزة داخل حدوده ، وهى من حقوقه الخاصة . إن مثل هذا العالم ، لو أنشىء ، أصبحت مساحته ٠٠٠ ر ٢٦٠ ر ٢٢ ميل مربع وتعداد سكانه ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٦٧١ مليون نسمة ، وستكون الحكومة التى تشرف عليه حكومة اتحادية أساسها ثقافة واحدة وفلسفة واحدة ودين واحد .

إن الحاجة شديدة اليوم إلى إقامة مثل هذا الاتحاد بين دول الإسلام ، لكى يتمكن العالم أجمع من الاحتفاظ بسلم دائم .

وإن فى إمكان عالم إسلامى متحد أن يحفظ التوازن بين الدول الكبرى ، وبصفة خاصة ، بين روسيا وبريطانيا .

إن سياسة روسيا الخارجية ، فى الوقت الحاضر ، هى الاحتفاظ بنفوذها « كدول حاجزة » إذا هاجمتها دول الغرب ، ومع ذلك فهى لا تسمح لهذه الدول بالاحتفاظ بقوة كبيرة قد تستغلها بمساعدة ، أو بدون مساعدة دول أجنبية فى تهديد روسيا نفسها ؛ ولا تحب روسيا أن تجد حكومة اتحادية قوية ملاصقة لحدودها الغربية كما أنها ستخاف أن يكون فى اتحاد الدول الإسلامية إغراء للجمهوريات التركمانية التابعة للاتحاد السوفيتى على الانضمام إلى هذا الاتحاد ، ومما يذكر أن روسيا تعتمد على هذه الجمهوريات .

ومع هذا فان إقامة هذه الحكومة الاتحادية قد تدفع بروسيا إلى القول بأن الوقت قد حان كى تسلم بريطانيا قناة السويس إلى مصر ( التى ستكون قادرة على حراستها ) بمقتضى الاتفاقية المبرمة بينهما ، وسيكون هدف روسيا مقصوراً على إخراج قناة السويس من القبضة البريطانية ؛ وهكذا يضعف النفوذ البريطانى فى شرق البحر الأبيض المتوسط . ولاشك أن هذا سيكون فى صالح روسيا .

وإذا اقتنعت روسيا بذلك فلن تكون قد أوغلت فى الخطأ ؛ لأن إقامة حكومة اتحادية إسلامية قوية ستمكن مصر من حراسة قناة السويس .

وهذا ما سيجعل بريطانيا تعارض فى إقامة هذا الاتحاد ؛ لأن طرقها الجوية والبحرية والبرية إلى بلدان الامبراطورية فى الشرق تمر بالدول الإسلامية ، ولن تحب بريطانيا أبداً أن

تتحد هذه الدول وتحتفظ بقوة تهدد طرق الامبراطورية ، ولهذا السبب لم تف بالوعد الذى بذلته فى الحرب العالمية الأولى ، باقامة حكومة عربية ، وعمدت إلى تمزيق الشرق إلى دول صغيرة .

أما اليوم فان الخطر الروسى قد يلزم بريطانيا الاحتفاظ بعلاقات ودية مع الدول الإسلامية لأنها ترى فى ذلك سلامة طرقها الجوية والبحرية وسلامة امبراطوريتها الهندية ، ومع ذلك فان بريطانيا لن تسمح للدول الإسلامية فى يوم من الأيام ، باقامة حكومة اتحادية تضم شملهم لأن ذلك يضرها أكثر مما يضر أى دولة أخرى

ومن الطبيعى أن واجبنا نحن هو أن نسعى إلى ما فيه مصلحتنا . ولهذا يجب أن نندمج جميعاً فى الحكومة الاتحادية للدول الإسلامية .

وفيما يلى بيان المبادئ الرئيسية التى أقترحها لتشكيل الحكومة الاتحادية التى تضم جميع الدول الإسلامية :

١ — تعلن جميع الحكومات الإسلامية القائمة ، أنها حكومات إقليمية محلية تابعة للاتحاد الإسلامى الدولى .

٢ — تسلم أعمال وزارات الخارجية والحربية والمواصلات إلى مجلس شورى مشترك من جميع البلاد الإسلامية .

٣ — على مجلس الشورى هذا أن ينتخب الرئيس .

٤ — على الرئيس أن يعين وزيراً مسئولا لكل من الوزارات الثلاث التى سبق ذكرها .

٥ — تقسم هذه الوزارات الثلاث إلى تسعة فروع بالصور الآتية:

( ا ) وزارة الخارجية . ١ — الشئون الخارجية . ٢ — الوحدة بين المسلمين .

( ب ) وزارة الحربية . ٣ — قوات برية . ٤ قوات جوية . ٥ — قوات بحرية . ٦ — دفاع .

( ج ) وزارة المواصلات . ٧ — المواصلات والنقل الجوى والبحرى . ٨ — المواصلات والنقل بالطرق والسكك الحديدية . ٩ — المواصلات والنقل بطريق البريد .

٦ — يعهد بكل فرع إلى مندوب عن جميع الولايات ( دول فى الوقت الحاضر ) .

٧ — تمثل كل ولاية ( دولة الآن ) بصورة متساوية مع باقى الولايات فى مجلس الشورى .

٨ — يختار كل حزب سياسى من كل ولاية ( دولة الآن مندوبيه بنفس النسبة التى يتمتع بها هذا الحزب فى برلمان ولايته .

٩ — تجرى الانتخابات مرة كل ثلاث سنوات .

١٠ — لن يكون للحكومة المركزية الحق فى التدخل فى منطقة نفوذ حكومة الولايات ( دول الآن ) .

١١ — لن تستعمل الحكومة المركزية أى قوة ، فى صالح ، أو ضد أى ملك مسلم .

١٢ — لا يعلن رئيس الحكومة المركزية الحرب أو الصلح ضد أو مع أى دولة غير إسلامية مستعملا سلطته الخاصة ، فان هذه مسألة تتقرر بأغلبية الأصوات فى جلسة مشتركة بين مجلس الشورى ، ووزراء الحكومة المركزية ، ورؤساء وزارات الولايات الإسلامية ( الدول الآن ) .

١٣ — الحكومة المركزية هى الحكم فى أى خلاف ينشب بين الولايات الإسلامية .

١٤ — تتطوع كل ولاية بنصيبها من الأيدى العاملة بنسبة تعداد سكانها وعليها أن تتحمل جميع الالتزامات المادية التى يتطلبها جيشها .

١٥ — تتحمل الولايات مرتبات الوزراء الذين يمثلونها فى الحكومة المركزية .

١٦ — تشكل لجنة استشارية للشئون الخارجية من وزراء خارجية جميع الولايات ، وتكون مهمتها مساعدة وزير خارجية الحكومة المركزية .

١٧ — تتحمل كل ولاية مرتبات عضوها فى اللجنة الاستشارية للشئون الخارجية .

١٨ — تشكل لجنة استشارية للشئون الحربية من وزراء حربية جميع الولايات ، وتكون مهمتها مساعدة وزير خارجية الحكومة المركزية .

١٩ — تتحمل كل ولاية مرتبات عضوها فى اللجنة الاستشارية للشئون الحربية .

٢٠ — تغطى باقى أبواب الميزانية من إيراد السكك الحديدية ، والبريد والضرائب الأخرى .

٢١ — جميع الاتفاقيات التى تعقدها الولايات الأعضاء مع دول غير إسلامية تؤيد ويتمسك بها مادامت لا تقف فى طريق تقدم دولة واستقلالها .

محمد أكرم نعمانى

# وزارة الأوقاف ـ مدينة الأوقاف الجديدة

## جلسات بيع قطع التقسيم

تعلن وزارة الأوقاف عن بيع لبعض قطع تقسيم أراضى المدينة الجديدة ، الواقعة على جانبى شارع الخديوى اسماعيل بالدق بالمزاد العلنى وذلك طبقاً لشروط البيع والخرائط والبيانات التى يمكن الحصول عليها من إدارة المدينة بالوزارة . جلسات المزاد فى أيام الثلاثاء ٤ و ١١ و ١٨ و ٢٥ فبراير سنة ١٩٤٧ و ٤ مارس سنة ١٩٤٧.

# مستشفى الخازندارة بشـــبرا

أنشأته وزارة الأوقاف تلبية لرغبات الجمهور ، وحاجته الملحة فى هذا الحى الآهل بالسكان وقد أعدته أكمل إعداد وزودته بأحدث الأجهزة .

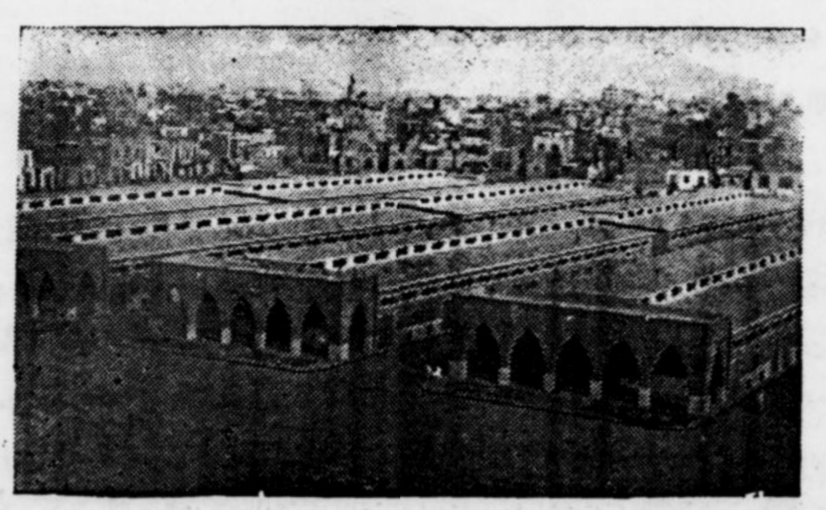
وقد بدأ القسم الداخلى للأمراض الباطنية والجراحة الصغرى فى استقبال المرضى الذين يتدفقون على المستشفى يومياً بالمئات .

وسيفتتح قسم الجراحة الكبرى فوراً بعد استكمال باقى المعدات اللازمة له

والمستشفى مكون من طبقات ثلاثة فوق الدور الأرضى ويحتوى الآن على سبعين سريراً ويعمل به خمسة من الأطباء مع صيدلى ورئيسة وحكيمة واثنتى عشرة ممرضة . عدا الممرضين والخدم البالغ عددهم عشرين أيضاً .

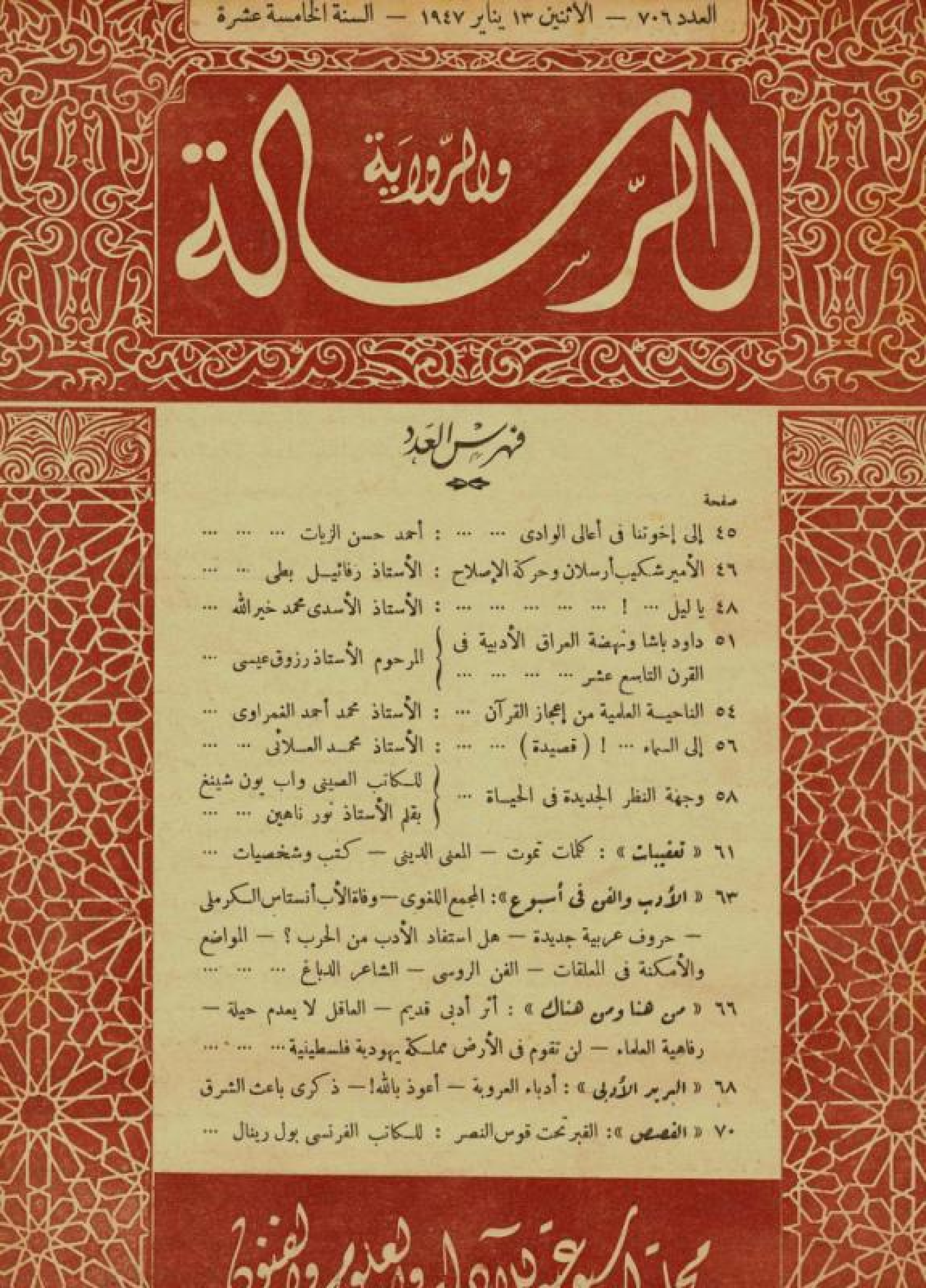
# ســـوق الجملة للخضر والفـــاكهة

## لمدينة القاهرة بروض الفرج



أقامت وزارة الأوقاف هذه السوق الحديثة على مساحة تبلغ خمسة عشر فداناً وكلفتها ما يقرب من نصف مليون من الجنيهات وتعد أكبر سوق من نوعها فى الشرق الأوسط وأحدثها استعداداً وقد جهزت بمخازن تبريد حديثة وعنابر لحفظ الموز وتدفئته بالكهرباء ، وتم الاتفاق بين وزارة الأوقاف ووزارة التجارة والصناعة على افتتاح هذه السوق الكبرى فى أوائل شهر يناير الحالى سنة ١٩٤٧ والصورة المنشورة تشير إلى هذه السوق الكبرى

مطبعة الرسالة



العدد ٧٠٦ — الاثنين ١٣ يناير ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

# الرسالة والرواية

## فهرس العدد


صفحة

٤٥ إلى إخوتنا فى أعالى الوادى ... ... : أحمد حسن الزيات ... ... ...

٤٦ الأمير شكيب أرسلان وحركة الإصلاح : الأستاذ رفائيل بطى ... ...

٤٨ يا ليل ... ! ... ... ... ... ... : الأستاذ الأسدى محمد خير الله ...

٥١ داود باشا ونهضة العراق الأدبية فى القرن التاسع عشر ... ... ... } المرحوم الأستاذ رزوق عيسى ...

٥٤ الناحية العلمية من إعجاز القرآن ... : الأستاذ محمد أحمد الغمراوى ...

٥٦ إلى السماء ... ! ( قصيدة ) ... : الأستاذ محمد العلائى ... ...

٥٨ وجهة النظر الجديدة فى الحياة ... } للكاتب الصينى واب يون شينغ بقلم الأستاذ نور ناهين ... ...

٦١ « تعقيبات » : كلمات تموت — المعنى الدينى — كتب وشخصيات ...

٦٣ « الأدب والفن فى أسبوع » : المجمع اللغوى — وفاة الأب أنستاس الكرملى — حروف عربية جديدة — هل استفاد الأدب من الحرب ؟ — المواضع والأمكنة فى المعلقات — الفن الروسى — الشاعر الدباغ ... ...

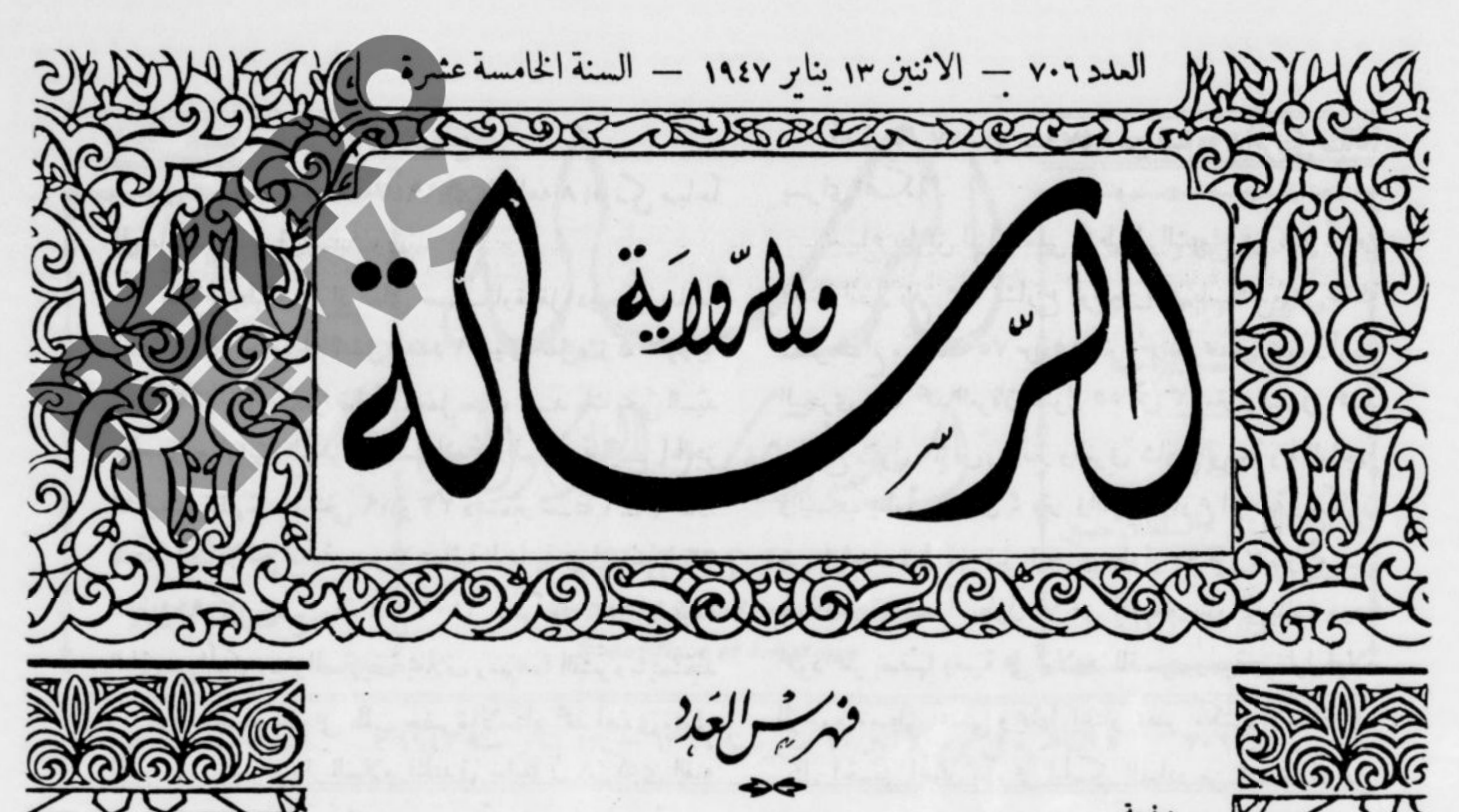
٦٦ « من هنا ومن هناك » : أثر أدبى قديم — العاقل لا يعدم حيلة — رفاهية العلماء — لن تقوم فى الأرض مملكة يهودية فلسطينية ... ...

٦٨ « البريد الأدبى » : أدباء العروبة — أعوذ بالله ! — ذكرى باعث الشرق

٧٠ « القصص » : القبر تحت قوس النصر : للكاتب الفرنسى بول رينال ...


مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٠٦ — الاثنين ١٣ يناير ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة




## فهرس العدد


صفحة

٤٥ إلى إخوتنا فى أعالى الوادى ... ... : أحمد حسن الزيات ... ... ...

٤٦ الأمير شكيب أرسلان وحركة الإصلاح : الأستاذ رفائيل بطى ... ...

٤٨ يا ليل ... ! ... ... ... ... ... : الأستاذ الأسدى محمد خير الله ...

٥١ داود باشا ونهضة العراق الأدبية فى القرن التاسع عشر ... ... ... : المرحوم الأستاذ رزوق عيسى ...

٥٤ الناحية العلمية من إعجاز القرآن ... : الأستاذ محمد أحمد الغمراوى ...

٥٦ إلى السماء ... ! ( قصيدة ) ... ... : الأستاذ محمد العلائى ... ...

٥٨ وجهة النظر الجديدة فى الحياة ... للكاتب الصينى واب يون شينغ بقلم الأستاذ نور ناهين ... ...

٦١ « تعقيبات » : كلمات تموت — المعنى الدينى — كتب وشخصيات ...

٦٣ « الأدب والفن فى أسبوع » : المجمع اللغوى — وفاة الأب أنستاس الكرملى — حروف عربية جديدة — هل استفاد الأدب من الحرب ؟ — المواضع والأمكنة فى المعلقات — الفن الروسى — الشاعر الدباغ ... ... ...

٦٦ « من هنا ومن هناك » : أثر أدبى قديم — العاقل لا يعدم حيلة — رفاهية العلماء — لن تقوم فى الأرض مملكة يهودية فلسطينية ... ... ...

٦٨ « البريد الأدبى » : أدباء العروبة — أعوذ بالله ! — ذكرى باعث الشرق

٧٠ « القصص » : القبر تحت قوس النصر : للكاتب الفرنسى بول رينال ...


٢٨٠٤

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

## إعلان بيع

فى يوم ٣٠ يناير سنة ١٩٤٧ من الساعه ٨ افرنكى صباحاً إلى ما بعدها بسوق السنبلاوين .

سيباع بطريق المزاد العلنى سيارة نقل دوجش سليمة ن ٢٢٨٧٠ مصر صالحه للعمل وعدد ١ سيارة نقل ماركة شفروليه ن ٢٢٥٣٧ نقل مصر صالحه للعمل ملك محمد بك يحيى السيد صاحب سيارات الكرنك بالسنبلاوين السابق توقيع الحجز التنفيذى عليهما بتاريخى ١٩ و ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٤٦ نفاذاً للحكم الصادر من محكمة مصر الابتدائية الوطنية فى القضية ن ٥٢ سنة ٩٤٤ كلى مصر وفاء لمبلغ ١١٠١ جنيهاً و ٥٣٠ مليما قيمة الباقى من المحكوم به والمصاريف بخلاف رسم هذا النشر وما يستجد

وهذا البيع بناء على طلب حضرة الأستاذ محمد أفندى متولى القيم بمصر بشارع دار السلام الخندق سابقا ن ٨ كبرى القبه ومحله المختار السنبلاوين مكتب حضرة الأستاذ عبد الحميد أفندى سعيد المحامى .

فعلى راغب الشراء الحضور للمزايده قانونا .

---

محكمة السيدة زينب الوطنية

## إعلان بيع

أنه فى يوم السبت الموافق ١٨ ثمانية عشر يناير سنة ١٩٤٧ من الساعة الثامنة أفرنجى صباحاً والأيام التالية إذا لزم الحال بالمنزل رقم ٥ شارع الغمراوى بمنيل الروضة قسم السيدة زينب بمصر سيباع بالمزاد العلنى حجرة صالون وهذه المنقولات السابق توقيع الحجز التنفيذى عليها بتاريخ ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٦ نفاذاً للحكم الصادر من محكمة السيدة زينب فى القضية رقم ٢٥٩٩ سنة ١٩٤٦ وهى مملوكة لكل من محمد أفندى سامى وزوجته السيدة نور محمود رضوان القيمان بالجهة المذكوره . ووفاء لمبلغ ١٧٠ جنيه و٦٣٥ مليم قيمة المحكوم به والمصاريف والإتعاب ورسم التنفيذ بخلاف مايستجد من المصاريف ورسم هذا ...

وهذا البيع بناء على طلب الأستاذ رضوان أفندى شلبى القيم بمصر والمتخذ له محلا مختاراً مكتب الأستاذ إبراهيم أباظه المحامى بشارع جامع شركس رقم ٧ قسم عابدين بمصر .

فعلى راغبى الشراء الحضور فى الزمان والمكان بعالية للمزايدة .

---

محكمة باب الشعرية الوطنية

## إعلان بيع عقار نشرة ثانية

فى القضية المدنية رقم ٢٠١ سنة ٩٤٧ مقربه

أنه فى يوم ٢٧ يناير سنة ٩٤٧ من الساعة ٨ أفرنكى صباحاً بسراى المحكمة .

سيباع بطريق المزاد العلنى ٣ ط على الشيوع فى كامل أرض وبناء المنزل رقم ٢٣ بشارع الوسعه قسم باب الشعرية محفظة مصر البالغ مسطحه ٧٥ س ٨٥ متر مربعاً محدود بحدود أربع البحرى ملك محمد العرفان بطول ٥٥ س ٦ متر والشرق محمد مطاوع بطول ٦٩ س ١ متر والغربى شارع الوسعة وبه الواجهة والباب بطول ٨٢ س ٤ متر والغربى شارع الوسعة ويتكون من خطين منقول من قبلى لبحرى بطول ٩٠ س ٧ متر ثم يميل لجهة الشرق مبحراً بطول ٩٠ س ١٠ متر بناء على طلب سيدة محمود عمر بصفتها وصية على أولادها القصر روحية وزغلول أولاد المرحوم مصطفى عيسى ومحلها المختار بمصر مكتب الأستاذ محمد كمال الحسينى المحامى بناء على الحكم الصادر من محكمة الوايلى الوطنية فى القضية رقم ٢١٧٦ سنة ٩٣٦ لصالح الطالبة ضد سيدة محمد إبراهيم غزلان وبناء على التنبيه المعلن بتاريخ ٧و٨ أغسطس سنة ٩٤٤ ومسجل بقلم كتاب محكمة مصر الوطنية بتاريخ ١٠ / ٩ / ٩٤٤ تحت رقم ١٢١ سنة ٦٤٤ وفاء لمبلغ ٢٤ جنيه و ٥٦٣ مليم بخلاف المصاريف وأن يكون البيع بثمن أساسى قدره ٣٢ جنيه وعلى من يرسى عليه المزاد يدفع حال انعقاد الجلسة عشر الثمن ومصاريف البيع وأن يقوم فى ظرف عشرة أيام من تاريخ مرسى المزاد بسداد باقى الثمن وإلا يعاد البيع على ذمته ويلزم بالفرق إن نقص وجميع الأوراق والمستندات مودعة بقلم كتاب المحكمة لمن يريد الاطلاع عليها . كاتب البيوع

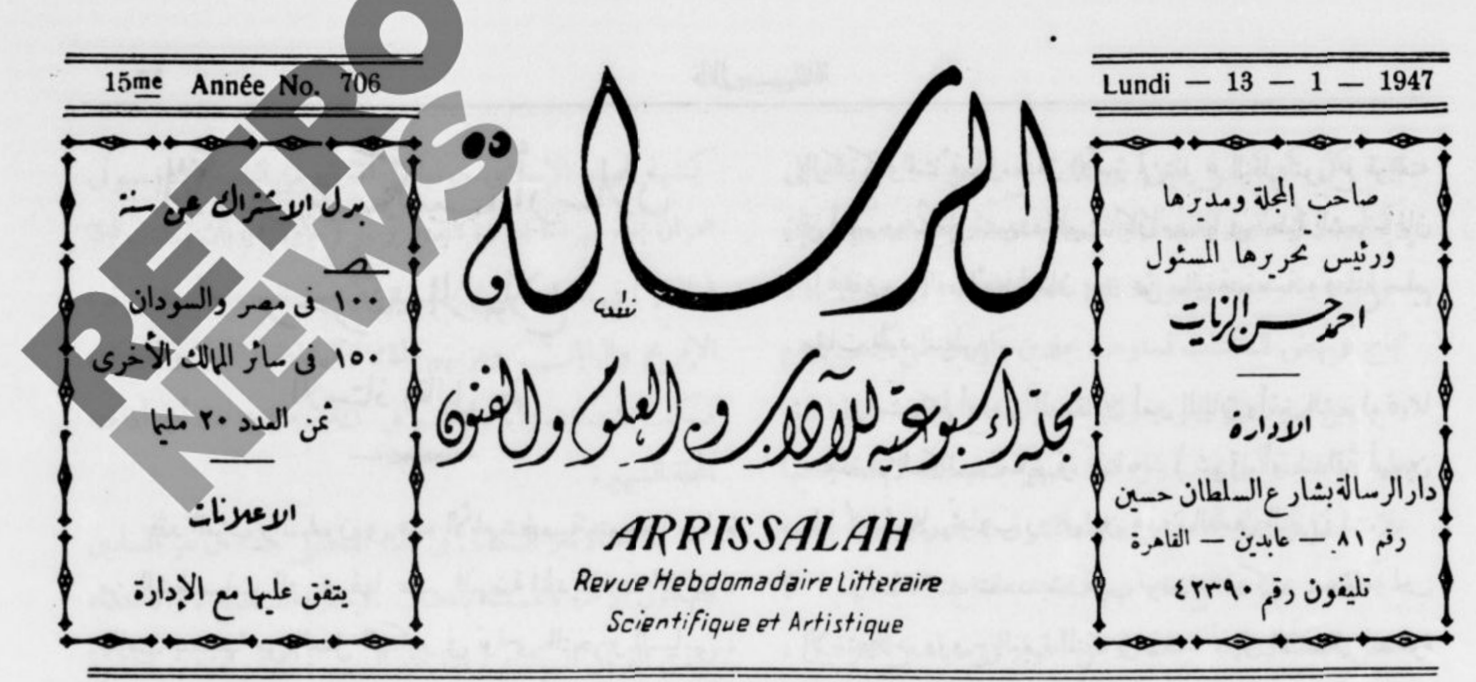
---

## إعلان بيع

أنه فى يوم الاثنين ١٧ فبراير سنة ١٩٤٧ من الساعة ٨ صباحاً للمساء بزمام ناحية نعيم مركز بنى سويف وفى نفس اليوم من الساعة ٨ صباحاً للمساء بزمام ناحية بنى سويف بجوار الكوم الأحمر مركز بنى سويف سيباع بالمزاد العلنى قطن مبين أوصافه وقيمته بمحضرى الحجزين المحفظين المؤرخين ١٨ و١٩ أغسطس سنة ١٩٤٦ تنفيذاً للحكم رقم ٣١٨ سنة ١٩٤٦ مدنى كلى بنى سويف ملك الشيخ مسلم حسان على المقاول ببنى سويف وفاء لمبلغ ٥٣٠ جنيه و٣٧٩ مليم بخلاف رسم هذا وما يستجد للسداد .

وهذا البيع كطلب حضرتى مصطفى بك نصرت والست كريمة هانم نامق ناظرى وقف المرحوم حسين بك نامق ببنى سويف

فعلى راغب الشراء الحضور





15me Année No. 706

Lundi — 13 — 1 — 1947

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٠٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ صفر سنة ١٣٦٦ — ١٣ يناير سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة


# إلى إخوتنا فى أعالى الوادى

يا أشقاءنا الأعزة فى أعالى الوادى ! ما بال نفر منكم يريدون أن يقطعوا ما أمر الله به أن يُوصَل ؟ نحن وأنتم شعب واحد ما فى ذلك غلو ولا تجوُّز . خلقنا الله جميعا من هذا النهر المبارك : من صلصال أرضه ومن سلسال مائه ؛ ثم سوَّانا على صور تتشابه فى الطباع والملامح ، حتى فى اللون ، فلا يكاد يختلف إلا فى الريف لكثرة ما تقلب عليه من أمم الأرض ؛ ثم أورثنا هـذا الفردوس الأرضى ، وارتضى لنا الإسلام دينا والعربية لغة ، فكيف يصح فى الدين أو فى العقل أو فى الطبيعة أن يساعد هذا النفر هذه الحية الحمراء على أن تنويكم بالوقيعة ، وتغريكم بالقطيعة ، وتمنيكم شجرة الخلد وملك الأبد ؟

إن حية الانجليز ليست من طينة السودان ومصر ، كما أن حية إبليس لم تكن من طينة حواء وآدم . إنما هى واغلة متطفلة ، غايتها الاستئثار بجنات الدنيا ، ووسيلتها الاستعانة بالحُوّ[1] الغريرات من صاحبات الهوى وطالبات اللذة . فإذا أصغيتم إلى وسوسة الفجَرة ، وأكلتم من ثمار هذه الشجرة ، هبطنا جميعا من الجنة بعضنا لبعض عدو ، وتنفرد الحية بأعلى الفردوس لتقبض به على أسفله ، ثم تأمر المستر رضوان أن يفتح أبوابه الثمانية لعلوج السكسون ، وشذّاذ اليهود ، ومفاليك الروم ، وصعاليك الأرمن ، ليجعلوا لها من ثرى الوادى ومجاريه وصحاريه ما لا عين رأت ولا أذن وعت .

لقد خدعت الحية هذا النفر بحق تقرير المصير ! ومن قبل زعم إبليس أنه يقرر مصير آدم إلى عيش لا يفنى ومُلك لا يبلى ، فأصاره إلى هذا الكوكب الشقى المظلم الذى لا بقاء فيه ولا دوام له ! وهل معنى تقرير المصير لكم إلا أن تكونوا لجنوب أفريقية وجورج السادس ، بعد أن كنتم لشمال القارة وفاروق الأول ؟ إن مصيرنا ومصيركم قرره رب السموات والأرض ، منذ أجرى الحياة فى هذه الصخور الموات ، وجعل بين عُدْوَتَى هذا الوادى المقدس وحدة بشرية متماسكة لا ترى مجالها الحيوى إلا على ضفافه ، ولا تجد قوتها الضرورى إلا فى شواطئه وأريافه .

إن أولى الناس بحق تقرير المصير أمم الدومنيون ، فإن ما بينها من بُعد الشقة وعوامل الفرقة وكال الانفصال يجعل علاقة بعضها ببعض علاقة ( أسطولية ) لا يجددها مدد من الطبيعة ، ولا يؤيدها سند من الحق . وإن أعجب ما فى منطق القوم أن التاج الذى يجمع بين أوتاوا وكَبِرّا ، وبين لندن والكاب ، وكل مدينة منها فى جهة من جهات الدنيا الأربع ، ينكر على تاج مثله أن يجمع بين القاهرة والخرطوم وهما بلدان صنوان عربيان يقعان فى قطر واحد ، ويُسقيان بماء واحد ؟ !

يا إخواننا فى أعالى الوادى ! إذا كان رضاع الثدى يؤاخى بين الجيران ، ورضاع الكأس يؤاخى بين الندمان ، فكيف لا يؤاخى رضاع النيل بين مصر والسودان ؟ ليس فينا ولا فيكم من لم يجر فى دمائه والحمد لله رحيق أوغندَه[2] ، ولكن فيكم نفراً يجرى فى عروقهم والعياذ بالله وِسْكى اسكتلندَه !

احمد حسن الزيات

(١) الحو : جمع حواء . (٢) حيث أوغندا منابع النيل

# الأمير شكيب أرسلان وحركة الاصلاح

للأستاذ رفائيل بطى

فقد العرب والمسلمون فى هذه الأيام شخصية متوهجة جبارة من الشخصيات التى عرفها عصر النهضة الحديثة عند العرب ، فقامت بنصيبها من العمل الكبير فى نواحى التحرر السياسى ، أو إيقاظ الرقود ، وبعث الهمم فى النفوس ، أو إبراز عبقرية هذه الأمة فى العلوم والآداب والفنون ، بحيث انبثق من هذه المساعى المشتركة والمتواصلة فجر الانبعاث الذى ينير لنا طريق المستقبل للناطقين بالضاد .

ومما يؤسف له أن هذا الطراز من رجال العلم والعمل قد قل فى العهد الأخير فصرنا كلما فقدنا واحداً منهم لا نجد من يشغل مكانه أو يسد الفراغ الذى أحدثه فقدانه . ولا سيما هؤلاء النوابغ الذين دفعتهم علو همتهم وأسعفتهم مواهبهم فجمعوا إلى التبحر فى اللغة والتمكن من أسرار البيان فحولة فى النظم والنثر ، ومعرفة واسعة بما يتصل بقومهم وعشائرهم ودينهم من تاريخ ، وخبرة بشؤونهم العامة فى السياسة والاجتماع والاقتصاد ، يتوج كل هذه القابليات حماسة فى الكتابة والتأليف ، حبا بأن يشارك القراء الكاتب أو الباحث فى صنوف المعارف التى تفيض بها صدورهم . ولعل فقيد العروبة والإسلام الأمير شكيب أرسلان خير مثال لهذه الطبقة من أعلام اليقظة .

تعددت مجالى النشاط الذى أخذ به أمير البيان لتنوير الأذهان ، وبعث الأمجاد الخالية ، وتوجيه الأفكار نحو طرق النهوض والإصلاح ، فقد عنى فى أول نشأته باللغة والأدب فنشر ( الدرة اليتيمية ) لابن المقفع من أول عهد شدا فيه الأدب قبل نحو خمسين سنة . ثم عالج الشعر فنظم فى أبوابه المنوعة وجرت له مساجلات ومراجمات فى القصيد مع بعض شعراء جيله ، منهم محمود سامى باشا البارودى ، الذى انعقد له لواء الزعامة فى تجديد ديباجة الشعر العربى البليغ بعد أن أخلقت وعفى عليها الزمن بالركاكة والغثاثة . ومع أن الأمير لم يتفرغ للنظم لتوزع قريحته فى أمور ومسائل متعددة بحيث كان مصليا فى حلبة الشعر ، فإن ما خلفه من القصائد الحسان يعبر عن سليقة خصبة ، وطبع سليم مؤات لجيد المنظوم .

واستحكام أواصر المودة بين أمير البيان وأمير الشعراء ، مما سجله قلم الكاتب العظيم فى كتابه : ( شوقى أو صداقة أربعين عاما ) يدل على تجاوب روحى بين هذين العلمين النيرين .

ولما اشتد ساعد شكيب ونضج فكره ، دفعه حب الاستطلاع وروح الغيرة المتقد فى ذهنه ، إلى الاتصال بالصفوة المختارة من رواد النهضة والإصلاح ، ولا سيما السيد جمال الدين الأفغانى ، والشيخ محمد عبده ، والشيخ طاهر الجزائرى ، فاقتبس من أنوارهم ، وثقف من مبتكراتهم ، وتطلع إلى سعة آفاقهم ، ما أنشأ هذه النشأة الحافلة فظل حياته مهموما بدراسة علل تأخر العرب والمسلمين ، وسر تقدمهم فى العصر الخوالى ، ووسائل إنهاضهم من كبوتهم . وكم جرى قلمه بمقالات وبحوث ، ووعت تواليفه من آراء وخطط تجرى فى هذه المسالك الرشيدة ، والمتابع لسيرة الرجل يجد أنه لم يقصر همه على الكتابة والتأليف فى السعى مع الساعين لخلق النهضة الجديدة ، إنما خاض غمار مداولات مع رجال الدول والممالك ، واتصل بهيئات وجماعات مختلفة الأجناس والمنازع جرياً وراء هذا الهدف القومى السامى .

وقد كان الأمير حريصاً على الكتابة طويل النفس فى المراسلة يمده روحه الحائر القالق بأهداب المجد ، بالجلد والمواظبة على هذا الجهد ، فلا يقف عند الكتابة ، والتصنيف فى الموضوعات التى يهواها .

وأمر واحد لم يشتهر به شكيب أرسلان هو الخطابة ، فلم يؤثر عنه مواقف خطابية ذات خطر ، ولعل لانقضاء أمد طويل عليه يطوف فى البلدان ، ويتنقل فى المهاجر ، حاملا رسالة البعث العربى الإسلامى وفى قلبه إيمان راسخ ، وفى يده قلم عسال ، مما احتسبهما لخدمة بنى أمه خدمة نصوحاً ، جعله أن يبقى بعيداً عن المنابر .

والميزة التى اشتهر بها الفقيد الجليل وستخلد آثاره على وجه الزمن هذه الإحاطة المدهشة بأحوال العرب وشؤون المسلمين

تحت كل كوكب ، ومن شواهد هذه الخصيصة تعليقاته على كتاب : ( حاضر العالم الإسلامى ) لستو دارد الأمريكى ، فإن حواشيه وشروحه والفوائد التى علقها على متن مترجمه الأستاذ عجاج نويهض للكتاب تستوعب مجلدين كبيرين من كتب اليوم وفيها من صفة ديار العرب والمسلمين وأوضاع أهليها ما قلما تعثر عليه فى مظنة أخرى . وفى هذا السفر صفحات لامعة كتبها علامتنا فى الترجمة لجماعة من زعماء الشرق عرفهم وخبرهم بنفسه ما يكشف عن مغاليق حياتهم ويوجد مفتاح شخصيتهم ، كما شحن الكتاب بذكريات له عن أطوار فى سياسة الشرقيين ، ووثبات التحرر والانعتاق فى ربوعهم .

ومما ألح فى هوايته فى سنيه الأخيرة وقد ساقه إليه شغفه بحب قوميته وإعجابه بحضارة أمته فى الأعوام المطوية ( تاريخ الأندلس ) بعد أن خلبت لبه آثارها الباقية فى بلاد المجد المفقود عندما وقف على مشاهدها فانصرف إلى تأليف كتابه النفيس : ( الحلل السندسية ) الذى طبع منه بضعة أجزاء ولما يتمه .

وشاء أن يسجل رحلته إلى البلاد المقدسة فى رسالة ممتعة هى (الارتسامات اللطاف). وحفزه وفاؤه لإخوانه وبره بأصدقائه إلى وضع كتاب : ( السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين عاما ) . تقف فى تضاعيفه على مراحل فكرة الجامعة الإسلامية والثورة العربية ، وكثير من مناورات دول أوربا وألاعيب الإستعمار فى هذه الرقعة من الشرق .

إن مخلفات الأمير شكيب وتصانيفه الخالدة كثيرة ، لا تستوعبها هذه الكلمة ، فحسبى أننى أشرت إلى بعضها ، وعندى أن من واجب أصحاب المروءة ، وأعوان الفضل ، والمقدرين للرجال أن تتألف منهم جماعة ( لتخليد ذكرى أمير البيان ) وأول عمل تتوجه إليه ، لإشادة بناء هذا التخليد البحث عن كتاباته ودراساته ورسائله التى لما تطبع ، فتطبعها فى كتب يتيسر اقتناؤها إحياء لذكراه ، وإتماماً لرسالته وتعزيزاً للفكرة العليا التى اهتدى بها الراحل الهمام فى جهاده .

ومن رسائله الطريفة التى تحمل فكرته الإصلاحية ما نشر بعنوان ( لماذا تأخر المسلمون ؟ ولماذا تقدم غيرهم ؟ ) وهى فصول كتبها المصلح الإسلامى جواباً على اقتراح من الشيخ محمد بسيونى عمران إمام مهراجا جزيرة سمبس برنيو ( جاوه ) ، بأن يكتب لمجلة ( المنار ) فى أسباب ضعف المسلمين فى هذا العصر وأسباب قوة الإفرنج واليابان وعزتهم بالملك والسيادة والقوة والثروة ، فكتب شكيب رأيه ، وطبع فى كتاب مرتين بعد أن أذاعته المجلة الشهيرة .

يعتقد الأمير الكاتب فى بحثه التحليلى هذا أن عز المسلمين قام أول الأمر بالتمسك بأهداب الإسلام الصحيح ، والاهتداء بهدى القرآن الكريم ، فلما فقد العرب والمسلمون هذه الحماسة وانحرفوا عن التعاليم القويمة ضعفوا وهانوا ، فلم يبق لهم اليوم سخاء الإفرنج فى المشروعات العامة ، والمفاداة فى الذود عن حياضهم ببذل الدم والمال ، وإن من أول أسباب تقهقرهم فى العصور المتأخرة فقدانهم كل ثقة بأنفسهم رغماً عن مقدرتهم على العمل ، واستشهد على هذه القدرة على العمل بمشروعى إنشاء خط الحجاز الحديدى ونبوغ طلعت حرب باشا فى تشييد بنك مصر والأخذ بمصانعه ومعامله الناجحة .

والسيد الارسلانى يؤمن بأن العلم كفيل ببعث الأمة ، العلم القائم على ركنين : العلم الطبيعى وعلم الدين . ومحصل نظريته فى نهضة الشرق العربى والأمم الإسلامية ، أن الأمة لا يتم لها النهوض والغلبة إلا بالتضحية أو الجهاد بالمال والنفس ، فإذا تعلمت هذا العلم وعملت به دانت لها سائر العلوم والمعارف ، وإن المضطلعين بالإصلاح غير محتاجين إلى أن يكونوا من كبار رجال العلوم والفنون بل يكفى إذا أوتوا العقل السليم والإرادة النافذة ، والتوجه نحو الأعمال ، لا الاكتفاء بالتمنى والآمال .

وبين ثنايا الكتاب لشواهد وفرائد عن أحوال الناطقين بالضاد وأتباع محمد بالقياس إلى أمم أوربا الناهضة ما يقنع القارىء ويورى زناد الفكر عند من يطلع فيدرك فيتأثر .

وفق الله الأمة ، لتعمل بإرشاد رجالها المصلحين ، فتفوز وتسعد .

رفائيل بطى

# يا ليـــل ...!

للأستاذ الأسدى محمد خير الله

[ بحث طريف قيم فى أصل هذه الكلمة وتطورها ، تفضل به على « الرسالة » الأستاذ الأسدى أديب حلب ونحويها ، وهو يزور مصر الآن فى مهمة ثقافية ، فعلى الرحب والسعة ] .

ياليل ! وكم أرسلت حناجر الشداة ترنم ياليل ! فهل للتحقيق اللغوى أن يتولاها بحظ من الدراسة ؟ سنحاول ذلك . سنبسط فى البداءة مذاهب معاصرينا الدائرة حولها ثم نمضى فى مناقشتها . حتى إذا دحضتها مقاييس التحقيق أفضى بنا البحث إلى الإدلاء بمذهبنا

**المذهب الأول :**

حدثنا ضيفنا الأستاذ رجب المصرى أن صديقنا الأستاذ خليل مردم بك يذهب إلى أن أصلها « ياليلى » بفتح اللام . من أعلام النساء ، كان يتغنى به العرب . فلما طرقت ديار الفرس التبست عليهم صورتها . فصحفوها إلى « ياليلى » بكسر اللام ، وجرى الناس على غرارهم .

وإذا جارينا نحن هذا المذهب كان علينا أن نقول : إن « ياليل » المرسلة المطلقة من الإضافة إلى ياء المتكلم إنما هى من مرخم ليلى ، كما فى قول الفرزدق :[1]

متى ما بعت عانيك يا ليل تعلمى

**المناقشة :**

١ – يفضى هذا المذهب إلى أن العرب نادوا ليلى صحيحاً ، ثم حرفه الفرس ، ثم استعاده العرب منهم محرفاً ، فهجروا لفظهم الصحيح ، واستعملوا لفظ غيرهم المحرف ، وهو ما يستبعد.

٢ – إن الغناء ألصق بحاسة السمع منه بحاسة البصر . فالأذن وهى السبيل الأوحد لدرك النغم – ليس لها بعد أن تتلقف من اهتزازات الهواء « ليلى » أن تأذن للفم أن يعيدها مكسورة اللام استجابة لما قد تتوهمه العين .

٣ – أقام الأصبهانى والنويرى وغيرهما معارض واسمة الأبهاء لما كان يتغنى به الأقدمون ، لم يسجل خلالها أن العرب تغنوا بليلى ، ولو أن اسمها تداخل الشعر كثيراً ، وبصورة أدق لم يكن « يا ليلى » لازمة غنائية تردد .

٤ – لم يقم بين يدى هذا المذهب حجة ما تدعمه ، أو تحملنا – على الأقل – على الاستئناس به

٥ – سألنا من عرفناه ممن يحسن الفارسية : هل هناك أثارة من يا ليلى فى الغناء الفارسى ؟ فنفى

**المذهب الثانى :**

جاء فى مجلة المجمع الملكى[1] ، من مقالة لصديقنا الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف : ومن القبطية . . . وقولهم فى الغناء « ياليلى » بمعنى ياطربى

**المناقشة :**

١ – انفردت العربية . دون اخواتها السامية باستعمال « يا للنداء » ، فما ظنك فى أن تشركها لغة حامية .

٢ – فى الهيرغليفية « ا » أو « ها » علامتان للمنادى ، والقبطية جذرها الهيرغليفية إلا ما استمدته من اليونانية .

٣ – ازدهرت القبطية فى القرن الثالث للميلاد ، وظلت هى اللغة الرسمية ، حتى أبطلها الوليد بن عبد الملك ، واستبدل بها العربية ، ثم جاء الحاكم بأمر الله الفاطمى فأمر بابطالها بالمرة ، وعاقب من يتكلم بها[2] ، وفى خلال كل هذا العهد لم يسجل تاريخ الغناء ولا غيره « ياليلى » .

٤ – تعد القبطية أقل الموارد التى رفدت العربية، فقصارى ما استمدته منها كلمات لا تعدو العقدين انفرد الأستاذ المعلوف بعد « ياليلى » منها

٥ – لعل ما أغرى الأستاذ بمذهبه هذا كون القبطية كالعربية من حيث أن المضاف يتقدم المضاف اليه – لا بعده – ثم من حيث أن ضمير التكلم المتصل هو الياء .

**المذهب الثالث :**

هو مذهب الجمهور القائل : أن « ياليل » إنما هو على حده، أعنى أنه مناجاة لدنيا الظلام ، لما أنه يسدل أستاره على المتحابين، فهو بهذا جدير أن يرعاه الشعر والغناء . كما فى الخانة الثانية من

(١) ديوان الفرزدق ، مط الصاوى ص ٢٥٨

(١) ج ٤ ص ٣١٠

(٢) مقدمة اللغة المصرية لأطون زكرى ص ٦٥ ، ١٢٠ ، ١٢٢ .

توشيح اما ومن بالجمال أنعم :

يا ليـــل إن الحبيب وافى فشد يا ليـــل دهم خيلك
وانهض ورد الصباح عنا دخلت ياليل تحت ذيلك

وكقول إبن خفاجة :

ياليل وجد بنجد أما لطيفك مسرى ؟

وقول سعيد بن حميد :

ياليـــل بل يا أبد أنائم عنك غـــد ؟
يا ليـل لو تلقى الذى ألقى بها أو تجد [1]

وعلى هذا المذهب جرى الأستاذ شلفون [2] ، مرددا قول شوقى فى عبده الحمولى :

يسمع الليل منه فى الفجر يا ليـ ـل فيصغى مستمهلا فى فراره

كما جرى عليه مؤتمر الموسيقى [3] ، قال : الغناء بكلمة يا ليل هو نداء الليل بألحان شجية مع مراعاة المقامات ، وقد يكون هذا موزونا بميزان يسمى البمب أو الوحدة المتوسطة أو أوزان أخرى مثل السماعى الدارج والأقصاق والسماعى الثقيل .

المناقشة :

١ — لاشك أن النفس تأنس بمذهب الجمهور هذا ، لما أن اللفظ جاء على حده فلا يحاد عنه إلا بدليل ، لكن هذه الظاهرة ظاهرة اللفظ جاء على حده دحضها جمهرة من الألفاظ تولاها الباحثون ، دون أن تفرهم هذه الظاهرة ، وما عهد قراء مقالتنا : « حلب » ببعيد .

٢ — إن الكثير بل الأكثر الأعم من الغناء ، لا مساس له بالليل .

٣ — قد تجىء « يا ليلى » مردفة بقولهم : يا عينى وياسيدى الأمر الذى يرجح أنها نداء الإنسان .

٤ — ليس فى الأدب العربى كله قصيدة افتتحت بيا ليل وتداولتها الألسن مثل قصيدة « يا ليل الصب متى غده » ادعاها الكثير ، وعارضها الأكثر ، وحفظها على توالى العصور مئات الألوف من شداة الشعر ، فما كان يقعد هؤلاء المعجبين بها النائلين بالإطراء عليها ، أن يشيدوا بأنها طبعت الغناء بطابع مطلعها ، لو كان ذلك صحيحا ؟ إن شيئا من هذا لم يكن .

(١) مجلة روضة البلابل العدد ٤ سنة ٩٢٢
(٢) ص ١٦٤ .
(٣) نهاية الأرب للنويرى ج ١ ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

المذهب الرابع :

يقول الصديق الطبيب فؤاد رجائى فى رده على موجز مقالتنا هذا وقد نشرناه فى مجلة الضاد : س ١٥ عدد كانون ٢ وشباط سنة ١٩٤٥ ، كما نشر رده فى المجلة نفسها عدد تموز وآب سنة ١٩٤٥ :

« ولا بد لى قبل تفنيد الشق الثانى من مذهبكم أن أذكر لكم مذهبا خامسا كنت قد قرأته منذ زمن بعيد ، ونسيت أين قرأته ، وهو يقول : « وكان فى الأندلس واد يسمى وادى الليل ، لأن أشجاره الملتفة كانت تحجب ضوء الشمس ، فيخال الجالس فى ظلها النهار ليلا ، وكان مجمع السمار والأهلين . وحين انقرضت الدولة الأموية فى الأندلس ، وهجر البلاد أهلها بقيت ذكراه عالقة فى الأذهان ، فجعل المغنون يرددون اسمه تخليدا لذكراه » .

ثم قال : « وسيكون دحض هذا المذهب حين نبرهن أن لفظ « يا ليلى » لم يظهر فى عالم الغناء ، إلا بعد انقراض الدولة الأندلسية بعصور عديدة ، وليس من المعقول بعث هذه الذكرى بعد عصور عديدة قضتها فى دياجير العدم » .

المناقشة :

رأيت أن الصديق الأستاذ ، أورد هذا المذهب على طريقة تسجيله صحيحا كان أو خطأ ، ثم رأيت أنه دحضه ، وله ملء الحق فى دحضه لشىء مما علق عليه ولما نورده فيما يلى :

١ — ذهبنا نبحث فى كتب الجغرافية القديمة عن وادى ليل فلم نجد له ذكرا ؛ والأسفار التى روجعت هى المسالك والممالك لابن خرداذبة ط ليدن ، أحسن التقاسيم للمقدسى ط ليدن ، الأعلاق النفيسة لابن رسته ط ليدن ، مسالك الممالك للاصطخرى ط ليدن ، المسالك والممالك لابن حوقل ط ليدن .

على أن معجم البلدان لياقوت يذكر فى الواو : والوادى بالأندلس من أعمال بطليوس .

٢ — ذهبنا أيضا نبحث فى تاريخ الأندلس ، فلم نعثر على ذكر له . وكانت مراجعنا : الصلة لابن بشكوال ط مجريط ، تكملة الصلة لابن الأبار ط مجريط ، بغية الملتمس للضبى ط مجريط ، تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ط مجريط ، المعجم فى أصحاب القاضى الصدفى ط مجريط ، المغرب فى حلى المغرب ط

ليدن ، المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب للبكرى ط الجزائر ، نفح الطيب المقرى المط الأزهرية .

٣ — ذاع استعمال يا ليل وما تفرع عنها فى الموشحات الأندلسية — كما سيأتى — ، فالقول بأنها استعملت بعد الجلاء تخليدا للذكرى لا يرد .

٤ — تحقيقنا الآتى يثبت أنها من أصل « يا مواليا » .

**المذهب الخامس :**

مذهب الصديق الطبيب فؤاد رجائى الرامى إلى أن فى الفارسية ألفاظا تعبر عن شعور الوداد ، وهى : جانم عمرم ميرم أفندم ياللا ياللان يا للان . وأن يا للا وما تفرع عنها هى مصدر يا ليـل ، نقلها زرياب إلى الأندلس ، فيما نقل ، أيام الحكم بن هشام ، فتداخلت الموشحات لتتلافى نقص الموازين الشعرية عن الموازين الموسيقية ، وفى هذا إخضاع الشعر للموسيقا ، بعد أن كانت الموسيقا هى الخاضعة للشعر .

استعملت هذه الألفاظ إذن لتملأ الفراغ الذى يقتضيه النغم فاملأت « جانم » فراغ تن تن ، و « أفندم » فراغ تتن تن ، ويا للا فراغ تن تتن وهكذا ، لذا أسموها ترنم : « ترل » .

ثم دخلتها ياء المتكلم العربية ، فكانت مع شىء من التحريف يا ليلى ، حدث هذا فى عهد الفاطميين ، أو ملوك الطوائف بدليل أن الموشحات التى هى فى حوزة الأستاذ الشيخ على الدرويش خالية من « يا ليلى » لكنها تظهر فجأة فى موشح : « أحن شوقا » ، وهو من تأليف عبد القادر المراغى وتلحينه ، وكان نديم السلطان حسين بن الشيخ أويس التركستانى وتوفى سنة ٨١٨ هـ كما يقول رؤوف بكتابك[1] ، فظهور هذه الياء حدث إذن بعد انقراض الدولة العربية فى الأندلس .

ثم تقلص ظل عمرم ميرم أفندم يا للا ، وحل محلها يا لالى ، وياعينى وياسيدى .

المناقشة :

١ — لم تتداخل ألفاظ الترنم الغناء الفارسى ، فيصار إلى نقلها إلى الغناء العربى .

٢ — كل ألفاظ الترنم ذات دلالة فى الفارسية إلا يا للا وما تفرع عنها ، فإن اللغة الفارسية خالية منها .

٣ — لو حكمنا بزيادة « يا » ، كان فى الفارسية « لا لا » ومدلولها : العبد والمربى ، وإنما كان من مدلولها المربى ، لأنه يكون غالبا من العبيد — كما ينص أحمد عاصم[1] — فنداء العبد والترنم بذكره ليس من موضوع الغناء .

٤ — تند « لا لا » عن رفيقاتها المعبرة عن شعور الوداد .

٥ — لم يسجل فى ترجمة زرياب الحافلة أنه أدخل هذه الألفاظ إلى الغناء العربى .

٦ — العرب أكثر الأمم عناية بلغتهم ، فهل يعد السكوت عن تسجيل هذه الألفاظ إلى العربية مما يتناسب مع العناية ؟

٧ — لم يكن لألفاظ الترنم ظل فى الغناء العربى فيتقلص اللهم إلا نحو « جانم » مما استمد حديثا من الأتراك .

هذا وإن كنا على غير ما يذهب إليه الأستاذ فى صدد « يا ليل » ، فإننا نسجل له على مقالنا هذا أنه خير من بحث فى الموضوع ، فكان رده على مقالنا هذا سببا فى ازدياد أواصر الصداقة ، ذلك لأن الهدف إنما هو العلم والعلم وحده .

( يتبع ) **الأسدى محمد خير الله**

(١) أساتيذ ألحان ص ١٤ .

(١) ترجمة البرهان القاطع المسمى تبيان نافع ط مصر مادة « لالا » .

# داود باشا

## ونهضة العراق الأدبية

### فى القرن التاسع عشر

للمرحوم الأستاذ رزوق عيسى

تذهب طائفة كبيرة من الأدباء والكتاب إلى أن العراق لم يكن له نهضة أدبية علمية فى القرن التاسع عشر كما كان فى ديار مصر وسورية ، وهذه فكرة خاطئة لأن تباشير تلك النهضة المباركة كانت بادية فى حواضر العراق كبغداد والموصل والبصرة والحلة وكربلاء والنجف . غير أن الأدباء الذين دونوا كتباً ورسائل عن النهضة العربية فى ذلك الزمن أغفلوا ذكر العراق وما كان عليه من النهوض فى العلم والأدب والاجتماع . ومصداقاً لقولنا أن الأستاذ أنيس زكريا النصولى لما وضع كتابه « أسباب النهضة العربية » الذى نشره عام ١٩٢٦ لم يشرك القطر العراقى فى تأليفه بصحيفة واحدة .

إن ما يؤاخذ به واضع ذلك السفر أنه لم يكتب كلمة واحدة تشير إلى ما كان عليه العراق فى أوائل القرن التاسع عشر من النهضة الأدبية والعمرانية مع أن عنوان الكتاب : « أسباب النهضة العربية » ، وقد اقتصر المؤلف على ذكر أسباب النهضة فى القطرين السورى والمصرى .

لقد استاء فريق من أدباء العراق وامتعض بعضهم وعدوا ذلك الإهمال والسكوت التام إهانة كبيرة لإقليم عربى كانت تباشير تلك النهضة بادية فى معظم حواضره ومدنه ، وقد انتقد المؤلف الأستاذ سليم أفندى حسون محرر جريدة ( العالم العربى ) والأب أنستاس الكرملى فى مجلته لغة العرب .

وفى نظرى أن صاحب الكتاب المشار إليه لم يكتب صحيفة واحدة عن أسباب تلك النهضة فى ديار العراق لسببين ، إما لجهله ما كانت عليه بلادنا من النشور الأدبى والعلمى أو لتجاهله ، فإن كان الأول فهو معذور ، وإن كان الثانى فلا يعذر إذ قد سكت عمداً عن قطر عربى أنجب طائفة كبيرة من العلماء والأدباء والشعراء والمصلحين والمجددين .

وعلى ذلك رأيت أن الواجب يحتم على كعراقى يهمه سمعة بلاده أن أدون بضع مقالات تتناول تلك النهضة فى فجرها ، ولكن يليق بى قبل الخوض فى هذا الموضوع أن أنشر ترجمة داود باشا والى بغداد فى القرن المنصرم المعدود من أكبر أركان النهضة الحديثة فى العراق .

ولد داود باشا عام ١٧٧٤م فى تفليس قاعدة ديار الكرج ، وكان مملوكا نصرانياً اشتراه أحد النخاسين وجاء به إلى بغداد وعمره لم يتجاوز يومئذ الحادية عشرة ليهديه إلى أحد أمرائها ، فاشتراه منه مصطفى بك الربيعى وباعه لسليمان باشا الكبير والى الزوراء منذ سنة ١١٩٣ — ١٢١٧هـ ، ١٧٧٩ — ١٨٠٢م ، وقد ظهرت على محياه مخايل الذكاء وشمائل الفطنة ، فلقنه العلم والأدب وأصول الديانة الإسلامية واعتنى بأمره أشد الاعتناء ، فشب داود محباً للعلوم والمعارف مغرماً بالفقه والشريعة شهماً فاضلا صادق اللهجة والعمل . وصفوة القول بذل سيده غاية جهده فى تثقيفه وتهذيبه ، ليكون له فى شيخوخته ركناً مكيناً ومعواناً صادقاً إذا تفاقمت عليه الخطوب والرزايا ، وقد تمتع فى حياته بغرس يمينه إذ رآه نابغة عصره فكان كاتباً نحريراً ، وسياسياً محنكاً ، وقائداً مدرباً ، وبطلاً مغواراً ، ذا مقدرة عظيمة فى فك المعضلات وحل المشاكل العويصة وأفاد الزوراء فوائد جمة حينما تولى إدارتها كما ستراه فيما يلى :

بعد أن تضلع داود من آداب اللغة العربية أخذ يتردد على أدبائها الكبار ويناظرهم فى المسائل المبهمة ، وكان أيضاً يناضل علماء الدين فيما وراء الطبيعة والقضاء والقدر والثواب والعقاب والخلود والحشر ونحوها من المسائل التى أرتجت عليه أبوابها ، وهكذا صرف شطراً من حياته ، ملازماً للعلماء الأعلام منزوياً للمطالعة ، وقد أتيح له أن يقرأ بعض المسائل الفقهية العويصة على يد السيد زين العابدين جمل الليل .

كان مجلس المترجم حافلا بوجوه الأدباء والشعراء ومشاهير الكتاب ، فكان يطارح هذا ويناقش ذاك ، وينظم القصائد ويذكى شعلة المنافسة والمباراة بين شعراء قطره ، ويحث الأدباء

على التأليف والتصنيف ويجزل العطاء لمن يفوق أخدانه حتى قيل إنه لم يقو على مفارقة الأصحاب ساعة واحدة ، وكان يصحب معه فريقا من خواصه فى رحلاته ، يجلس وإياهم فى وقت فراغه ، ويتناول المباحث على أنواعها من سياسية وإدارية وأدبية ، وقد اشتهر عند الخاص والعام بحب العلم والعلماء ، حتى لقب بعالم الوزراء ووزير العلماء ، وكانت ترد عليه القصائد الرنانة والرسائل البليغة فى مدحه والثناء على أعماله المجيدة ، وقد أناط بعهدة جماعة من أدباء بغداد أن يضعوا الكتب الأدبية والعلمية للقطر العراق فامتثلوا أمره ومنهم من جمع ديوانه وقد فقد ، وله غير آثار أدبية وكان عالماً شاعراً وإدارياً محنكا وقائداً مدرباً .

جلس داود باشا على منصة ولاية بغداد فى ٥ ربيع الآخر سنة ١٢٣٢ هـ — ٢٢ شباط ١٨١٧ م ، فقرت به العيون ، ووفد عليه العلماء والشعراء من كل فج عميق يهنئونه ببلوغ المراد ، وما كاد يجلس على منصة الحكم حتى أجرى إصلاحات عديدة ، منها إصلاح طريقة تعليم العربية . وقد رُوى أنه أراد أن يتقن العربية ويتفنن بأساليبها ، ويقف على شواردها ونوادرها ، فأحضر أحد لغوييها الفطاحل فى عصره وطفق يتلقن عنه آدابها مدة . ففى أحد الأيام بينما كان أستاذه يقرأ عليه نبذة من علم النحو ويفسر له قواعده وشوارده بأمثلة قديمة مستطرفة سئم تلك الأمثلة البالية كضرب زيد عمراً وقتل خالد بكراً ، وخطر له إذ ذاك أن يسأل شيخه على سبيل المداعبة عن الجناية التى جناها عمرو ليستحق أن يضربه زيد كل يوم ، وينكل به هذا التنكيل الشديد مع أنه ربما لم يأت أمراً فريا . وهل كان عمرو جباناً أو رجلا ساقط الهمة ذليل النفس إلى هذه الدرجة حتى أنه يغض الطرف عن الإهانة الللاحقة به فى كل لحظة ، ويتجرع غصص الآلام المبرحة عن طيب خاطر ، وهو ساكت لا يبدى أقل حراك .

استغرب الأستاذ ذلك الكلام كل الاستغراب وعدّه من قبيل الأوهام ، ولم يتمالك أن استلق على قفاه من شدة الضحك ، ثم قال لدولة الوالى ليس فى الواقع يا مولاى ضارب ولا مضروب بل اعتاد النحاة من قديم الزمان أن يأتوا بأمثلة لتقريب القواعد النحوية والصرفية من أذهان طلاب العربية . فلم يرقه ذلك الجواب وعده أو هى من نسيج العنكبوت؛ فلما طلب منه المزيد استاء الشيخ من لجاجته فى مسألة تافهة جداً فسكت ولم ينبس ببنت شفة ، فاستشاط الوالى غضباً وأخذ يحرق الأرم وعد ذلك السكوت احتقاراً لشأنه وإهانة ليس وراءها إهانة ، ثم قال للأستاذ بلهجة التهكم والشرر يتطاير من عينيه : أيها الشيخ الوقورما كان يدور فى خلدى أن بضاعة علمك خفيفة هذه الخفة ، وكنت أظنك أجل من أن تعجز عن الجواب فى مثل هذه المسألة البسيطة التى ربما أجاب عنها أولاد المكاتب ، ثم أمر الحاجب بأن يأتى بنفر من الشرطة ، ويقاد إلى السجن ذليلا صاغراً ليلقى هناك جزاء جهله وغباوته . ثم استحضر نحوياً آخر وألقى عليه ذلك السؤال بعينه ، فأجابه بنحو ما أجاب الأول ، فغضب عليه وأمر بسجنه أيضاً . وما زال يأتى بالنحويين واحداً بعد واحد ويسجنه حتى أتى على آخرهم ، فأقفرت المدارس والكتاتيب من النحويين ، وضاقت بهم غرف السجون على رحبها ، وأصبحت هذه القضية الشغل الشاغل له ولبطانته عن جميع شؤون الدولة ومصالحها . فلما ضاق ذرعاً ولم يدر ما يعمل فتق له عقله أخيراً أن يبث العيون فى اقتفاء خطوات النحاة ، ليعرض عليهم ذلك السؤال الذى أصبح لديه أعقد من ذنب الضب .

وبينما هو غائص ذات يوم فى بحر تلك الأوهام إذ بلغه أنه فى المدينة نحوى بارع طاعن فى السن قد تنحى عن منصة التعليم منذ بضع سنوات وهو ملازم داره ، فأمر فى الحال بإحضاره ، فلما مثل بين يديه أعاد عليه السؤال واستطلع رأيه فيه . فأطرق ساعة ، ثم رفع رأسه وأمارات الفوز بادية على محياه الجليل وقال: إن الجناية التى أتاها عمرو يا مولاى لجسيمة جداً ، ولا أرانى مبالغاً إذا قلت إنه يستحق أن ينال من القصاص أضعاف ما نال . فتنفس صاحب الترجمة الصعداء وذهبت عنه كربته ، ثم سأله بلهجة المتلهف : وما هى تلك الجناية يا عماه ؟ قال الشيخ بكل هدوء إن عمراً القليل الحياء هجم على اسم دولتكم بدون إذنكم

واغتصب منه الواو[1] ، ولما كان ذلك منافياً لحكم العدالة رأى النحويون من باب اللياقة والإنصاف أن ينتقموا من عمرو لوقاحته انتقاماً شريفاً ، فسلطوا عليه زيداً الصارم ، وأمروه أن يذيقه جهاراً كل يوم فى ردهات التدريس وغرف المكاتب من العذاب ألواناً ، حتى كثيراً ما يغمى على ذلك المسكين من شدة السياط جزاء سلبه وسرقته ، فأعجب صاحب الترجمة بذلك الجواب كل الإعجاب وأحله محلا رفيعاً بين أبناء الأعراب ، وقال له إنك حقاً لنادرة الزمان وأديب العراق وخراسان والعالم الكبير المشار إليه بالبنان . فأسألك ألا تخرج من هنا ما لم تطلب منى ما تشاء فأمرك مطاع وطلبتك مقضية ، فقال له الشيخ إذا كان لابد من طلبتى فأتوسل إليكم أن تطلقوا سبيل زملائى المسجونين الذين تركوا عيالهم ومن يلوذ بهم عالة على ذويهم ، فأمر فى الحال بإطلاقهم وأعاد عليهم رواتبهم التى كانوا يتقاضونها فى غرة كل شهر ، غير أنه اشترط عليهم أن يصلحوا طريقة تعليمهم العربية وينهجوا منهجاً جديداً ، ثم أنعم على ذلك الشيخ الرفيع المنزلة بالجوائز والصلات وقربه من مجلسه ، وأمسى من تلك الساعة مرشده الوحيد فى الملمات ، وساعده الأيمن فى حل المشاكل العويصة حتى وافاه الأجل المحتوم فعظم موته على صاحب الترجمة وحزن عليه حزناً شديداً ، وقد شيع نعشه بنفسه مع حشمه وأعيان المدينة .

وقد أفاد داود باشا الزوراء فوائد كثيرة ، فمن جملة هذه الفوائد تنظيمه الجيش على الطراز المشهور فى عصره وجلبه الصناع المهرة والأساتذة البارعين من ديار الإفرنج وسائر أقطار العالم المتمدين ، وإقامته دار صناعة « ترسخانه » ، أى معمل لصنع الأدوات الحربية والمدافع والقنابل والبنادق ونحوها من المهمات والذخائر العسكرية وتأسيسه المدارس ، وإنشاؤه دوراً للعلم والأدب وتشييده المكاتب العامرة الحاوية من الكتب المخطوطة النفيسة وغيرها من المطبوعات ، وإصداره جريدة باسم « جورنال العراق » وكانت تطبع بمطبعة حجرية ، وتعميره الجوامع ، وشقه الترع والأنهار . ومن بعض آثاره الباقية حتى الآن جامع الباب الشرقى المعروف اليوم بجامع السادة وجامع الشكنة فى الرصافة ،

(١) يشير الشيخ بذلك إلى زيادة واو « عمرو » لأن من حقها أن تكتب بدونها وإلى إسقاط الواو الثانية من داود فى الرسم إذ كان يجب أن يثبت لها واوان بناء على اللفظ أى « داوود » .

وهرى السيف[1] الواقع فى الجانب الغربى من بغداد « الكرخ » وقد أرخ بناءه الشيخ صالح التميمى بقوله :

| | |
|---|---|
| أقسم بـــالله الذى زينت | سماؤه بالخنس الكنس[2] |
| أن الذى شيد هـذا البنا | ذو همة بالفلك الأطلس |
| داود ذا الأيدى ومن حلمه | ماحل فى شخص سوى هرمس |
| فقل لمن يرغب فى مكسب | من ناطق فيه ومن أخرس |
| أوف إذا كلت ومن بعد ذا | أرخ وبالميزان لا تبخس |

١٢٤٠ هـ

( يتبع ) رزوق عيسى

(١) ذهب بعض العراقيين إلى أن لفظة « سيف » بالكسر أعجمية غير أنها عربية ومعناها : ساحل البحر وساحل الوادى ، وقد يقال لكل ساحل سيف ، ويراد بالسيف فى بغداد عدة مواطن متتالية منتسقة يدخر فيها القمح اليوم ، وإنما سمى بالسيف لكونه شيد على ضفة نهر دجلة على ما أظن .

(٢) الخنس الكواكب أو السيارة منها أو النجوم الخمسة . زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد ، والكنس هى كل النجوم لأنها تبدو ليلا وتخفى نهاراً

# الناحية العلمية من إعجاز القرآن

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

( تتمة ما نشر فى العدد الماضى )

نعم ! إن الله منزل القرآن ينبئنا فى كتابه العزيز أن هناك أرضين أخرى مثل أرضنا . وفرق مابين الأرض والكواكب الأخرى أن على الأرض حياة ، وإلا فالأرض أيضاً كوكب سيار كغيره من السيارات .

وأول مانجد آيات فى سورة فصلت تتعلق بالموضوع : تلك الآيات هى :

« قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداداً ؟ ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها ، وبارك فيها ، وقدّر فيها أقواتها فى أربعة أيام ، سواء للسائلين . ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض : ائتيا طوعاً أو كرهاً : قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات فى يومين ، وأوحى فى كل سماء أمرها ؛ وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ؛ ذلك تقدير العزيز العليم ! » .

هذه الآيات الكريمة الأربع فيها فنون من الإعجاز العلمى نكتفى منها بما يتصل مباشرة بالنقطة التى نحن بصدد بحثها . وأول ما نلاحظ من ذلك أن الآية الأولى نصٌّ فى صحة ما استنبطنا من أن العالم فى آية الفاتحة ليس هو مجرد عالم الإنس والجن ، أو عالم الحيوان والنبات ، ولكن هو العالم الفلكى الذى يتبادر إلى الذهن من اللفظ . ووجه كونه نصاً فى ذلك أن الآية والتى تليها تتناولان خلق الأرض على شطرين . ولما كان الشطر الثانى فى الآية الثانية متعلقاً بتطورات خلق الأرض الضرورية للحياة فيها فإن شطر خلقها فى الآية الأولى متعلق بتكوين أرضنا أول ما تكونت عند ميلادها ، وتكون خاتمة تلك الآية « ذلك رب العالمين » متعلقة على الأخص بالمعنى الفلكى الذى هو موضوع الآية . ومن لطيف ما ينبغى الانتباه إليه كمثل للاشارات القرآنية العلمية أن يومى الخلق المذكورين فى الآية الأولى داخلان طبعاً — فى الأربعة الأيام المذكورة فى الآية الثانية ، إشارة إلى أن طورى الخلق متداخلان كما هما فى الواقع . وهو مثل رائع للاعجاز فى الإيجاز . فاذا انتقلنا إلى الآية الثالثة وجدناها تنبئنا أن السماء عندما تم خلق الأرض كانت دخانا ، وأن السموات السبع لم يكنّ خلقن بعد ، بل كن كاهن سماء واحدة بدليل قوله تعالى فى الآية الرابعة : « فقضاهن سبع سموات فى يومين » . وإذن فقد كان هناك قبل خلق السموات السبع أرض واحدة تم خلقها ، وسماء واحدة كانت دخانا . وهذا عجيب من أسرار خلق السموات والأرض لايعرف العلم منها إلى أن السماء كانت يوماً ما دخانا . ولا تزال كتل هائلة مما سماه الله دخاناً يشاهدها الفلكيون بمراقبهم القوية اليوم فى السماء وان تكتل داخلُ أكثرها نجوما ، ويسمونها سُدُماً ، ماتكتل منها وما لم يتكتل . وهذا مثل عجيب من الإعجاز العلمى للقرآن : هذه الدخانية التى كانت عليها السماء .

وواضح أن تخلق السماء إذ ذاك سمواتٍ سبعاً المشار إليه فى الآية الرابعة كان طاعة من السماء لنصيبها من الأمر : « ائتيا » إذن فما هو نصيب الأرض وقد قالتا « أتينا طائعين » ؟ هل الأرض فى قوله تعالى : « فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً » هى نفس الأرض التى نحن عليها ؟ إن الجواب المتبادر هو نعم . لكن القرائن تمنع من هذا التبادر . وأول هذه القرائن وأهمها أن أرضنا هذه كان قد سبق تشكيلها ، وتم خلقها وخلق جبالها وخلق الحياة على ظهرها قبل أن يصدر الأمر ، بدليل « ثم » الترتيبية فى أول الآية الثالثة ، بعد تمام خبر خلق الأرض فى الآيتين الأوليين . والأمر أمر واحد : « ائتيا » ! فاذا كان أمرَ خلقٍ فيما يتعلق بالأرض المخاطبة . فهل يمكن أن تكون الأرض المخاطبة بذلك الأمر هى الأرض التى تم خلقها ؟ أليست هذه قرينة قوية جداً على أن الأرض فى الآية الثالثة غير الأرض فى الآية الأولى ، أى غير أرضنا هذه ؟ بلى ! وتكون أل للعهد فى الآية الأولى ، وللجنس فى الثالثة . فهل هناك قرائن أخرى على هذا الاستنتاج تؤيده وتزكيه ؟

إذا تذكرنا أن المقابلة تامة فى اللغة بين كلمتى أرض وسماء ، وكذلك هى تامة فى الآيات الثلاث الأولى حين لم يكن إلا أرض واحدة وسماء واحدة ، كان فى ذلك إشارة مغنية إلى أن السبع السموات المذكورات فى الآية الرابعة يقتضى وجودهن وجودَ سبع أرضين يقمن بإزائهن : أرض تقابل كل سماء . ولما كانت إحداهن موجودة تامة الخلق بالفعل حين صدر الأمر، كان المخاطب المعنى بالأمر فى « ائتيا » هو الأرضين الست الأخرى المقابلة للسموات الست الجديدة : خلقهن — سبحانه — كانهن من

السماء الدخانية الأولى . وتكون أل فى لفظ الأرض فى الآية الثالثة هى للجنس كما استنتجنا .

ويزداد هذا المعنى والتخريج تأييداً فوق تأييد، وتوضيحاً فوق توضيح، بالآية الأخيرة من سورة الطلاق « الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ، يتنزل الأمر بينهن، لتعلموا أن الله على كل شىء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شىء علما . »

إن ال فى الارض هنا هى حتما للجنس لا للعهد ، بدليل قوله تعالى « مثلهن » . والسموات السبع متعددة ، ليس فى ذلك شك فلا بد أن تكون الأرضون السبع متعددة أيضاً على نفس النحو والنمط لتتحقق المثلية المنصوص عليها فى الآية ، لا أنهن سبع طبقات فى أرضنا هذه كما فهم الناس ويفهمون . فأرضنا واحدة وليس يفهم العلم ولا الناس من لفظ الأرض إذا أطلق إلا أرضنا هذه جملة ، بجذافيرها وطبقاتها كلها . فتفسير الأرضين السبع بطبقات سبع فى هذه الأرض تفسير لا يتفق مع اللغة ، ولا العلم، ولا القرآن، ولا مع الحديث الكريم « اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن » لمن يدقق فى تفهم الحديث وتوجيهه على المعنى المألوف .

هذه النتيجة التى تتفق مع حرفية القرآن وحمله على الحقيقة اللغويه لا على المجاز تحل لنا وللانسانية مشكلة السموات السبع حلا حاسما . فقد عجز الناس إلى الآن عن الوصول إلى فهم للسموات السبع ليس عليه اعتراض . قالوا إنها السيارات السبعة فظهر من السيارات عشرة ليس من بينها القمر كما كان يقول اليونان . وقالوا إنها سبعة عوالم فى السماء فكانوا كأن لم يقولوا شيئاً ، إذ ليس هناك مايحدد معنى عوالمهم هذه ، والعوالم والأكوان أكثر من سبعة بكثير . لكن تعال الآن إلى المعنى القرآنى المتبين آنفاً ، وتذكر الإرتباط والمقابلة بين أرض ، وسماء فى اللغة لفظا ومعنى ، وطبق ما تفهم من السماء بالنسبة لهذه الأرض على كل أرض من الارضين الست الاخرى ، يتحدد معنى السماء وعددها بتحدد معنى الأرض وعددها ؛ أو إذا جئت المسألة من الطرف الآخر ، يتحدد معنى الأرض وعددها بتحدد معنى السماء وعددها . « الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن » ! سبع سموات وسبع أرضين ، كل أرض تحدد سماءها ! وأكبر الظن أن مرقب المائتى بوصة الجديد المنتظر إتمام صنعه قريبا سيكشف مع الزمن عن بعض هذه الارضين فتتجدد بذلك آيات أخرى من آيات إعجاز القرآن .

بقيت نقطة واحدة لعل من الخير استيفاءها . أخبرنا الحق سبحانه أن السموات السبع كن قبلُ سماء دخانية واحدة وهذه الأرض مخلوقة ، فهل أخبرنا سبحانه فى القرآن شيئاً عن هذه الأرض أين كانت قبل أن تخلق ؟ نعم . فى آية الأنبياء :

« أوَ لم يرَ الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رَتْقاً ففتقناهما ؟ » ! وإذا تركنا المجاز ولزمنا الحقيقة اللغوية طبق قاعدتنا نتج حتما من هذه الآية الكريمة أن السموات والأرض كانتا شيئاً واحداً متصل الأجزاء . وهذه عجيبة كبرى من عجائب إعجاز القرآن العلمى يؤيد القرآن بها العلم الحديث فى قوله بأن الكون كله شيئاً منبثاً واحداً قبل أن توجد فيه أرض أو نجم أو سديم .

وتأمل ان شئت واعجب ماشئت من إعجاز القرآن فى التعبير عن هذا السر الحق الهائل فى الآية الكريمة آية الأنبياء ! تأمل كيف لم يسم ذلك الكون الرتق سماء إذ لم تكن أرض ، وإذ كانت السموات والأرضين شيئاً واحداً منبثاً لعله كان دون الدخان

لكننا نكتفى الآن بهذا القدر من الأمثال التوضيحية لما أشرنا اليه فى صدر هذا المقال .

إن فيها على الأقل ثلاث معجزات يقينية يستيقنها العلم الآن : تعدد العوالم فلكيا ؛ ودخانية السماء فى البدء ؛ وانفصال الأرض عن السماء بعد أن كانت متصلة بها اتصالا فى الأول .

وتبارك الله فاطر الفطرة ومنزل القرآن .

**محمد أحمد الغمراوى**

---

# إلى السماء..!

للأستاذ محمد العلائي

لك الأمر لا يدرى عبادك ما بيا    لك الأمر لا للناصحين ولا ليا
وهذى معاذيرى وتلك صحائف    عليها خطاياها .. وفيها اعترافيا
وفيها من الأمس الدفين وحاضرى
وفيها من الآتى وفيها ابتهاليا
وفيها تهاويل .. ومهجة شاعر    ينام بها يأساً ويصحو أمانيا
وفيها أعاجيب يكفّر همها ..    ذنوبى وإن كانت جبالا رواسيا !!
ونازعنى شوق إليك وهزّنى    من الغيب ما يهفو إليه رجائيا
وجئت من الدنيا الأثيمة هارباً    بصفوىَ من أكدارها ونقائيا
وفى النفس ما أخشى ظلام ضبابه    على نور إيمانى ومسرى حيائيا
وذكرى من الماضى الشهيد وعالم    ورائىَ منه خدعة وأماميا !
وناديت أحلامى إليك وخافقاً    تهيّب أسباب المنى والتماديا !!
أناديك فى ضعف . وأخجل أن ترى
جراحَ أمانيه ولون دمائيا

---

لك الأمر . أشواقى ببابك والمنى    ولى أمل ألا يطول انتظاريا !
دعوتك بالسرّ المغيّب فى دمى    وألهمنى حبى وفاض عتابيا
ولاح نشيد جئت أشرع لحنه    فهابتك أرضى واستحتك سمائيا
وهابتك نفس لم يدع لى شبابها
من الروح ما يهدى إليك اشتياقيا
شباب أحس الدهر ثم حملته    إليك شهيداً لا يحس بكائيا !!
وداريت إلا عنك سر مماته    وموطن ذكراه ودمع رثائيا
بعدْ لكَ لا تمنح سواى مثيله !    ولا ترْوِ عنى ما طواه اعتزازيا !!
وبارك شهيداً مات بالأمس ظامئاً    وما زال مثواه أمامك صاديا !!
منحت جميل الصبر كل مُرزّأ    سواى فلم يلمس هداك عزائيا
زهورٌ على قبر الشهيد. عبيرها    أهاج ضميرى واستعاد اللياليا
وأخرج أسرارى وعاد بما مضى    وكشّف ما بينى وبين زمانيا

---

لك الأمر . مالى أرتجيك فيلتوى    لسانى وأمضى بالتوسّل شاكيا
ذكرتك فى نفس هداها ضلالها    إليك وعافت وحدتى وارتيابيا
ومنيت روحى من سناك بلمحة    أضمّد آلامى بها وجراحيا
وأرسلته فيما لديك لعله    يعود بأسباب المحبة راضيا
وأنسى تكاليف الظلام وما اختفى
وراء تعِلّاتى وخلفَ ابتساميا !!
وأشرعُ ألحان السماء فلم يَعدُ    جميلا بسمع الدهر لحن شقائيا
تعاليت لم أذكر سواك بمحنتى    ولم أرجُ إلا من يديك جزائيا
وفوّضتُ عن علم إليك إرادتى    وحسبى ما أدّى إليه اختياريا
ورائىَ آثام وخلفى خطيئة
كفاك شعورى نحوها وكفانيا !!
تهافتُ ظمآن الجوانح ساغباً    وأيأسنى مما سواك انتباهيا !
وأجهدَنى ما لا أُطيق بيانه    فجئتك مشبوب الوسيلة عارياً !!

---

لك الأمر . شاقتنى سماؤك وانتهى    إليك بأحلام الضمير مطافيا
وأزلتُ آمالى وفيها ملامح    تردُّ أمامى ما تركت ورائيا !
يطالعنى منها زمان عرفته    بريح لياليه ولون سهاديا !!
تقلّب ذكراه الدفين وماضياً    تهرّب منه فى الشباب خياليا !!
أطلّت مآسيه ببابك فاستمعْ    إليها حديثاً لم يسمه بيانيا
ضياؤك أغرى باليقين جوارحى    وفجّر أعماق وأفضى بذاتيا
وألهمنى حتى لخلت مشاعرى    أذابتْ كيانى فى سناك معانيا !
وأفردنى حتى رأيتُ معالماً    تلاشى زمانى عندها ومكانيا !!
وأحسست أن الدهرَ لمحة خاطر
وأن امتدادَ الكون بعض امتداديا !!
وأن دوىّ الحادثات بمسمعى    رواسب حلم زارنى فى مناميا !
وأوشكت أنسى غير أن هواجساً    من الأرض نادتنى ومست كيانيا

---

لك الأمر . أسبابى ضعافٌ وخاطرى
ببابك يخشى رجعتى وانحرافيا
دعوتك ملءُ النفس ألا تردّه    مغيظاً وألا تستعيد سؤاليا !!
ويشفع لى أنى أتيتك عاتباً    وأن لى المُبقى وأجر انطوائيا !
وهذا رجائى فى حماك وهيبته    لعدلك حتى تستجيب دعائيا !!

وحاشاك أن أرضى مع النفس مذهباً
بغير يقين منك يهـــدى شعاعيا !

كفانى أوهاماً فهب لى تميمة — بها أتـّقى نفسى وشرَّ ذكائيا !!
وبارك فجاج الأرض إلا مواضعاً — شربن دموعى أو شهدن عِثاريا
تناسيتها لولا حديث أهاجه — تلفت أشواق وخوف ارتداديا
وجدَّد لى همس الرحيل مكارها — تولّى شجاها والجراح كما هيا
وأيامى اللاتى ذهبن وعالماً — دفنت به عهدَ الصِّبى وشبابيا
وأودعته سرا حراما ولم أزلْ — أعود فأبـكيه دموعاً غواليا

---

لك الأمر .هذا من يديك عدالة — وهذا قليل فى مقام اتصاليا
أتيتك والحق الصريح يمدُّنى — إليك ولحن البشر ملء فؤاديا
وحولى من عرش الجمال ملائك — ترف أزاهيراً وتسرى أغانيا
وفى النفس فجر من يقين وموكب — من الخير يحدوه إليك ولائيا
وفيها رجاء فاض منك جلاله — وآفاق نور يستحيها ضيائيا
وأحببت حتى أسكرتنى مودّتى — وذاب يمينى رحمة وشماليا !!
وهامت بآلام الحياة وسائلى — وفاضت على ماليس منى هِباتيا
وأرسلت أنسامى عبيراً وبهجة — لتنفح أشواك الرُّبى والأفاعيا!!
وآمنت حتى كاد يذهب خاطرى — وتصعد أنفاسا إليك حياتيا !
ولم يبق حرف منك إلا أسرَّه — ضميرى وأبدته إليك سماتيا !!

وزُرْتُك ألحاناً ورَجْعَ مواهب
وأشهدت سمع الدهر فَيْضَ انسيابيا

---

لك الأمر آفاق تراءت لخاطرى — وعاودنى منها دبيب شكاتيا !
وذكرنى بشرُ السماء منازلا — أتيتك منها عابس الوجه داميا
أقلّب أوهامى يميناً ويسرة — وأرفع آمالا إليك روانيا !!
يتازعنى ماض شرقت بعذبه — وراودت فيه ما أشاب النواصيا
إذا طاف منه حول نفسى طائف — ذكرت زمانى والسنين الخواليا
هناك وفى أرض عليها ملاعبى — وأطياف آبائى ولغْوُ دياريا
وفيها تَملّأتُ وراح مشاربى — وزلات أهوائى ودمع متابيا
وأحلامى الموتى وذات مواجعى — وأطلال مأساتى ورجع بلائيا
على وطن أفنى شعورى هواجساً — وألبسنى ثوب الشبيبة باليا !!
ولم يرع لى حق الحياة بأرضه — ولم يرع آلامى له ووفائيا !!

بعدلك لاتمنح مشارق نوره — حياتى ولا تمنح ثراه رفاتيا !!!

---

لك الأمر . ألهانى حديث أعاده — عليك ضميرى واستحاه لسانيا!!
وأسرفت فى ذكر السماء ولم أكن — لأسرف لولا رجفة من صباحيا

وعذْرِىَ أن الكأس فوق مواهبى
وأن مقـــام الحب يشجى المآسيا !

وأن تباشير الصباح تنفست — وفاح شذاها واستنار ضلاليا !
ولاحت على وجه السماء بشائر — ولاحت أغاريدى ولاحت ظلاليا
وطاف ضيائى بالمواكب رحمة — لمن ذاق أيامى وذاق عذابيا
أرد جراحاتى عليهم مسرة — ونار جحيمى عزة وتساميا
وأنثر أشواكى عليها أزاهراً — وألوان يأسى حكمة وأمانيـا
وأمنح أرض الظامئين موارداً — تفجر فيهم نشوتى وسلاميا
رجاء وإيماناً وفيض محبـة — وتفتح للدنيا كنوز انفراديا!!
بعدلك مالى بعـد ذلك غاية — من العيش إلا أن تصون اتجاهيا

---

لك الأمر . نادت بالرحيل خواطرى
وهبت على نفسى رياح اغترابيـا

وذكَّرنها أن الشماب جديدة — وأن عليها من سناك هواديا !

وأن شمابَ الأمس واجهتُ غَيْبها
على غير إيمان فكانت مهاويا !!

هى الأرض تبلونى لتبلو خطبها — على نور إدراكى وضوء نفاذيا !!

---

لك الأمر . زلات الشعور تردُّنى
إلى الظن والأيقان فيما أماميـــا !

ضميران..هذا ملء نفسى غناؤه — وذاك يدارى ظنَّه فى غنائيا !!
لك الأمر . مالى فى وداعك باهتاً — ومالى أخطو شاحب النفس نائيا
لك الأمر .ليست للجديد روائح — وليس لهذا الدهر لون ولا ليا

لك الأمر . لاحت من بعيـد مذاهبى
وآذن حاديها وآن ارتحاليـــا !!

ورفت عليها من سناك مآثر — ورفت عليها غايتى وصلاتيـا
تنسمت أمواج الرحيل وأشرقت — علىّ أمانيه فبارك شراعيا !!

(الزقازيق ــ كفر الحمام)

**محمد العلالي**

# وجهة النظر الجديدة فى الحياة

**للكاتب الصينى الكبير واب بوبه شينغ**

[ حديث ألقاه في جمعية الثقافة المركزية بتشنغ كنغ ]

بقلم الأســـتاذ نور ناهين

إنى لم ألق محاضرة فى مكان عام ، فى تشنغ كنغ ، منذ بضع سنين لسببين : أولهما أنه لم يكن عندى كلام أحب أن أقوله فأحاضر فيه ، لذلك أمسكت عن الكلام ، لأستر فضيحتى عن أعين الناس . والآخر أنه لو كان عندى شىء من الرأى لاستطعت أن أنشره فى الجرائد والمجلات ، وما كنت أود أن أحتل مكانا يحتاج إليه العلماء والأدباء للتعبير عن رأيهم ... أما اليوم فقد اضطررت أن أقبل ذلك المركز حين دعتنى لجنة الثقافة المركزية ، وقد اخترت موضوع المحاضرة « وجهة النظر الجديدة فى الحياة » لعلى أسترعى انتباه السامعين .

وأبدأ كم بأن من الحق ألا أتهور فى هذه المحاضرة ، فانى لم أتعمق بحث الموضوع ، وكل ما جمعت فيه ليس إلا رأيا لا يكاد يجتمع على نفسه ولا نظام له يمسكه ؛ لكن يخيل إلى أنى ما دمت بشراً يحيا بين أرجاء العالم ، وما دام لى شىء بسيط من الفكر ، فمن حق أن يكون لى وجهة نظر فى الحياة فيما عدا الضروريات من أكل ونوم وعمل ، سواء أكان وجه النظر هذا عميقاً أم سطحياً . ومع هذا فانى أظن أن وجهات النظر فى الحياة لا تزال تتغير دائما بتغير الأوقات من حيث التقدم والتأخر . إذ من المستحيل أن تظل واحدة مدى الحياة ، لذلك طالما تغيرت وجهة نظرى فى الحياة وتطورت ، وأنا أرجو دائما أن يكون تطورها علامة التقدم .

وقع الشك فى قلبى من مسألتين ، حين قارنت نظم المجتمع ومستقبل الوطن بما أعرف من خلقى الشخصى ومعاملتى للناس .

الأولى أنه قد مضى علينا آلاف ومئات السنين ونحن نبحث عن العفة والفضيلة والخلق الحسن ، وندرس عوائد الإنسانية والرأفة والرحمة ، منذ عهد كونفشيوس ؛ ولكننا مع ما بذلنا من جهد فى البحث والدرس ، فقد بعدت سيرة الأمة عن القصد كل البعد ، حتى خرجنا عن كوننا أصحاب عفة وفضيلة ورحمة . إذن لا شك فى أنه لا يكفينا بحث الخلق الحسن ودراسة الفضيلة فقط فى هذا العصر .

والأخرى أننا تعودنا كلما تحدثنا فى تاريخ الشعوب أن نقول إن لنا تاريخاً مجيداً وحضارة تليدة منذ خمسة آلاف سنة . نعم ، ولا شك فى أن لنا تاريخا حافلا طويلا وحضارة مجيدة ، وهو تاريخنا وحضارتنا حقا . ولكن لماذا تأخرنا الآن ؟ لا شك أنه لا ينفعنا مجد أجدادنا منفردا .

بسبب هاتين المسألتين وشكى فيهما ، تذكرت ما قال الفيلسوف « نيتشة » . « من الضرورى تقدير قيمة كل شىء من جديد . »

***

لقد أفزعتنى مصيبة الوطن وأزمة الأمة التى أصابتنا منذ حادث[1] ١٨ سبتمبر جد الافزاع ، وحملتنى على أن أفكر فيما يستحق التهذيب من خلقى حسب قواعد المروءة خاصة ، ثم فيما يجب على لخدمة الوطن حسب القوانين عامة . وأخيراً رأيت أن أعرض على الناس اقتراحى فيما أسميه « خطوات المرء الثلاث » ، وهو يشير بأن لا نعمل شيئاً ، إلا (ا) لفائدتنا بدون خسارة الناس ، و (ب) لفائدتنا وفائدة الناس ، و (ج) لفائدة الناس وإن لم نستفد .

نعم ، إن الإنسان كان حيوانا أنانيا ، إذ كان يفتح فمه لشرب اللبن منذ أن ولد ، ثم يخاصم أمه على شىء من الأكل والشرب فى عهد الطفولة . ولكن مهما يكن الأمر ، فالواجب على من بلغ سن الرشد الذى هو وقت حاجة المجتمع إلى عناية الفرد أن لا يعمل شيئا إلا حيث يستفيد بدون أن يضر الناس

(١) فى ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣١ ادعى اليابانيون أن الجيوش الصينية خربت السكة الحديدية لمنشوريا الجنوبية ، والواقع أنهم هم المخربون لها ، فضربت جيوش اليابان مدينة (مكدون) بهذا السبب ، ولم يكتفوا بذلك ، بل احتلوا ولايات الصين الشمالية الثلاث ، وكونوا (منشوكو) المستقلة فى الظاهر المستعمرة فى الواقع . بذلك بدأ اضطراب السلام فى العالم .

ثم إن استفاد وأفاد فذلك خير ، أما إن أمكنه أن يضحى بنفسه وفائدتها فى سبيل فائدة المجتمع فذلك ممن بلغوا الذروة فى الفضل والتضحية .

إنا إذا ترسمنا خطوات هذا الطريق فى سبيل مصلحة الوطن والعالم ، ضمنا ألا يعمل إنسان إلا لفائدته بدون ضرر الوطن والعالم ، أولفائدته وفائدة الوطن والدنيا جميعا ، أو يضحى بنفسه فى سبيل الوطن والعالم ، وذلك منتهى الإيثار .

على أساس هـذه القاعدة ، كنت ألقيت خطابا فى جامعة « تسين هوا » بمدينة بنغ بين ، ثم كتبت ست مقالات تحت عنوان « إلى شبان الشمال » حين وصلت إلى شنغ هاى ، بنيتها على هذه الأساس أيضا . أما من ناحيتى ، فكنت ولا أزال أتمسك بهذه المبادىء ، لتهذيب خلق الشخصى خاصة ولأحسن معاملتى مع الناس عامة .

وفى الربيع الماضى الذى كان آخر مرحلة من مراحل حرب الدفاع المقدس ، حين بدا لنا بارق النصر ، استأنفت الجهاد فى إيقاظ أبناء وطنى ، ليعملوا جهدهم فى إشعال الروح القومية ونبذ الكراهية والتلاوم والمحاباة . وذلك لما لاحظت فى قلوب الناس من دلائل الأغلال واليأس من الحياة ، قاصداً بذلك الإيقاظ انتشال الناس من المنحدر الذى كادوا ينحدرون إليه ، ودفعهم إلى تيار جديد عاصف . ولكننى الآن قد شعرت إزاء أمنيتى تلك أن كل ما عنيت ليس كافيا .

ولماذا شعرت بعدم كفايته ؟ ذلك لأن كل ما بقى فيما أشرت إليه من المسألتين المذكورتين لا بد أن يعاد تقدير قيمته ثانية .

إنى متأكد كل التأكيد أننا لا نقدر أن نتفوق على الهنود فى بحث علوم الفلسفة . ذلك لأن فلاسفة الهنود قد بلغوا ببحوثهم أبعد حدود الخيال الجليل ، حتى كأنهم كشفوا مرج عبقر حيث يسكن الجن ، وكل هـذا بدأبهم على البحث ومزاولة الزهد والطمع فى نعيم الجنة ، حتى أنكروا الحياة وعدوها من البلايا والمصائب ، ولكنهم أصبحوا من أضعف الأمم فى العالم ولا يزال وطنهم مستعمرا .

وإنى لأعتقد كل الاعتقاد ، وقد زعمنا أن لنا تاريخا فى الحضارة منذ خمسة آلاف عام ، أننا لن نقدر أن نتفوق على المصريين من حيث ذلك التاريخ ، لأن أسلافهم قد بنوا الهرم الأقدم قبل خمسة آلاف عام ، وألفوا التقويم السنوى لمعرفة أيام السنة ، قبل ستة آلاف سنة ، وكل هذا ظاهر بين ، فمن الحقيقة أن المصريين كانوا من الذين بنوا الحضارة ، ولكنهم الآن لا يزالون من أضعف الأمم ، ولا بد أن يبذلوا أقصى جهدهم للنهضة على الرغم من أن بريطانيا سمحت بالاستقلال .

أما علوم الأخلاق وفلسفة الحياة ، فقد كان أهل الصين فيها مسهرة متفوقين على غيرهم ، ولكن شعب الصين ما يزال الآن متأخراً أيضا .

وكم شعرت دائما حين بدت لى علائم الضعف ، بأن ثمة شيئا من الخلل يعبث بحضارتنا ، ولا بد أن نبحث عن منشئه الأصلى خلف دائرة الهرج الظاهر فى حضارتنا .

بحث صديقى « لين تاو تزى » فلسفة نيتشة ونقدها ، ثم بين بحثه فى مقاله « نظرى إلى نيتشة » ، ولخص مذهب الفيلسوف فى كلمتين ، وهما : « إن الابتكار يكتشف ليعطى للناس ، ولكن ذلك الإعطاء ليس شفقة بهم » . أى أن القصد من الاختراع هو انتفاع العالم ، ولم يكن المخترع رحيما بالعالم فاخترع ، إنه يجهد فكره ليستفيد ويتمتع ، ثم حين يكتفى بالمتعة ، يعرضه على الناس ، إنما كان يخترع لنفسه ، وما كان يفعل كما فعل « يسوع وبوذا » رحمة للناس وإشفاقا عليهم .

إن النشاط لب الحضارة وروحها حقا ، إذ أنه لا تبقى حضارة إلا بالاختراع ، ولا يعيش ابن آدم ولا ينمو إلا والاختراع يقدمه من جهاته جميعا .

ومن يوم أن عرفت « أن الابتكار لنفع الناس ، ولكن انتفاع الناس ليس ناتجا عن رحمة المخترع بهم » ، اتسع نطاق فكرى أو امتدت مسافته ، فتمكنت من معرفة بعض أساليب الحياة . خذوا منها مثلا ، فالشمس لو أضاءت ونشرت أشعتها وحرارتها ، فسرت الحياة فى الكائنات ونما النبات وشب الحيوان ، ثم توجهنا إلى الشمس وسألناها : « أيتها الشمس ! هل أنت أشرقت ونشرت الحرارة من أجل الدنيا وما فيها ؟ » فقد تجيبنا الشمس مرتبكة حائرة : « لا أدرى ، لا أدرى ! » وإذا نحن كررنا السؤال وأبينا إلا أن نعرف السبب فى ضيائها ،

فربما أجابتنا مضطرة « إنى أنشر الحرارة لأنى أريد الحرارة ولا بد لى منها ! » تلك إحدى نظريات الحياة وأساليبها عرضتها عليكم أيها الكرام ، وهى قانون من قوانين الحياة التى تندفع إلى الأمام بدون تردد ، لذلك أعتقد أن الاختراع سيستمر كما فهمت من نظرية الشمس والحياة . وهذه النظرية وإن كانت من أنواع الفلسفة ، إلا أنها ليست مما يتفق مع مذهب « نيتشة » بل من فلسفة أعلى من فلسفة نيتشة .

لست أريد الغموض والخفاء بالبحث فى الفلسفة والنطق بها فى حديثى عن نظرية الشمس ، كلا ، فانه لا غموض فى الأمر ولا خفاء ؛ لأن ما قصدت من ذلك هو أن تكون وجهة نظرنا فى الحياة متجاوزة نطاق المتاع الشخصى إلى قوانين السماء ، المراد بالسماء ما وراء الطبيعة ، بل حقيقة الطبيعة ، وبكلام أكثر صراحة ينبغي أن تكون وجهة نظرنا فى الحياة متعدية تلك الحدود التى يعامل بها بعض الناس بعضا ، مسيطرة على الطبائع والكفايات ، مستعملة إياها فى الابتكار للحياة ، وهى ما دامت قد استخدمتها على ذلك الأساس فهى عين الفضيلة ولب السعادة للانسان ، وليست تلك الأمور فى حاجة إلى مراعاة وغاية ، بل هى داخلة فى نطاق منافع الحياة عن طريق الابتكار .

إن شدة العناية بالمتاع الشخصى والتجاوز عن مسايرة قانون الطبيعة هو الذى كلف حضارة الصين الخسارة والضرر . ولا شك أن أكثر العلوم العالية الصينية ، كان من فلسفة الحياة وأكثر علمائنا قد بحث علاقات الناس ببعض بحثاً عميقاً ظاهر العمق . خذ مثلا : ما يقال من أن كونفشيوس تشرف بزيارة الكاهن « لووتز » طالباً أدباً ؛ وكان كونفشيوس لا يزال شابا ناضج العقل ذا عزم وطموح ، فقال له « لووتز » بوقار الكهنة : « أترك ما فى نفسك من العناد والكبر ، ثم امح من نفسك ذلك الشره الذى غلب عليك . » يعنى ألا تكون مضطرم الفكر متبرم القسمات ؛ وألا تبق فى قلبك شيئا من حب الشهرة والطموح . ثم قال : « إن التاجر الغنى هو الذى يخزن سلعه فى أعماق متجره ، حتى كأن دكانه خال من البضائع ؛ وإن الإنسان الكامل من يكون فى عفته الموفورة كالأحمق . »

فأولى هاتين الكلمتين تعلم الإنسان أن يكون تاجراً خائنا ، يدخر بضائعه لينتهز فرصة للربح الفاحش ، وثانيتهما تعلم الناس أن يتحامقوا عمداً . إلا أن كونفشيوس احترم « لووتز » ورأيه كل الاحترام ، فانصرف وقال لتلاميذه : « إنى تشرفت اليوم بمقابلة السيد الكاهن « لووتز » ، وما هو إلا تِنّين ! »

وأعظم الظن أن كونفشيوس قد أخذ يكره تلميذه « تزلو » الشديد الجسور بعد أن أدبه ، وكان دائما يشتمه قائلا : « يا للمزاج الهمجى ! يا للطبع البربرى ! » ثم أخذ تلميذه الأستاذ « تزتوا » يتاجر بعد ذلك ، فكسب كسبا جزيلا . فلا جدال أن فلسفة « لووتز » فلسفة ماكرة . وأما فلسفة « جواتز » ، فقد كانت فلسفة الجبن والضعف ، لأنها ستار يحتمى به صاحبه من ضرر الملوك الجبابرة من جهة ، وطريق يدرج فيه من جهة أخرى .

ولا جدال فى أن الأمبراطورين « ياو » و « شون » كانا من المثل العليا للعفة وحسن الخلق ، فلذلك دأب الصينيون على ذكر اسميهما فى معرض أمثال العفة وحسن الخلق . ولقد كان « شون » يعتبر الدنيا كحذاء عتيق لما كان أمبراطوراً ، وكان يبكى بكاء مراً ، ويستغفر الله من قسوة أبيه « قوسى » ، حتى هم أن يفر من الدنيا . وفوق ذلك كان دائما يهتم بشأن أخيه « شينغ » التمس الشرير لقلبه الحنون ، فكان يسر لسرور أخيه ، ويحزن لحزنه أيضا : وإذا كانت شئون النبى أو الأمبراطور لم تخرج عن حيز المتاع الشخصى هكذا ، فما شأن من قلت منزلتهم عن النبى والأمبراطور ؟

قال لى الأستاذ « فوماوجيغ » إنه حاول أن يكتب مقالا ، يتحدث فيه عن شئون موظفى الصين . وقال : إن الصينيين تعودوا أن يقرنوا ذكر الوزراء بذكر السرايا والمحظيات ، بل إنهم يعدونهم طبقة واحدة من الناس ، حتى أصبحت السرايا والمحظيات يتخذن أسلوب الوزراء والموظفين فى الحديث ، وينظرن إلى الحياة نظرتهم تماما ، حيث يتملقون أسيادهم رجاء رضاهم وسرورهم ومحبتهم لهم . ويعودون على زملائهم بالكراهة والخصام والحسد ، ثم يظلمون من هم أقل منهم بسطوتهم النافذة كل الظلم .

قلت له : ما أصدق ماقلت ، إلا أننى أخشى ألا تسمح سلطة الرقابة الجديدة بنشر مقالك هذا ، ولست ضامنا لك قط ذلك .

البقية فى العدد القادم

نور ناهبين

# تعقيبات

## كلمات تموت :

هي كلمات رددت ، فتطلعت إلى الحياة ، وتطلبت غذاءها من تحقيق ما تدل عليه ، فعللت ومنيت ، وعاشت زمنا على التعلات والأماني ، حتى أصابها الشحوب والهزال من طول الحرمان ، وها هي ذي مشفية على الموت .

تلك هي كلمات « محاربة الأعداء الثلاثة ، العدالة الاجتماعية ، رفع مستوى المعيشة : إصلاح أداة الحكم ، مشروعات السنوات الخمس » وأمثال هذه الكلمات التي توضع في البرامج فتكون لها حلية وزينة ، ثم يفتر الحماس لها فتأخذ مكانها على ( الرفوف ) .

وحياة هذه الكلمات بحياة مدلولاتها ، فما مدى هذه الحياة عندنا ؟ يجيب عن ذلك الأستاذ مريت غالي في مقال له بالأهرام عنوانه « الحساب الختامي لسنة ١٩٤٦ القومية » قال في مطلعه :

« لو جرت العادة على إعداد تقرير سنوي عن شئون الأمة والوطن فكيف يكون التقرير عن سنة ١٩٤٦ ؟ أندون فيه نجاحا أحرزناه في نيل الأهداف القومية ، أو علاجا قدمناه لمشكلة الموظفين والإدارة ، أو معركة كسبناها ضد الأعداء الثلاثة التي تفتك بالشعب ، أو مشروعا اقتصاديا أو إصلاحا اجتماعيا حققناه لرفع مستوى المعيشة ؟ الواقع المؤلم أن التقرير لا بد أن يكون خاليا من كل هذا . »

ونحن جميعا نلمس مصداق هذا الكلام الصحيح ، فالأعداء الثلاثة لا تزال قوية منيعة الجانب ، الجهل لم ينل منه تجاذب الاختصاص وتبادل الموظفين بين الوزارات ، والمرض لا تزال ترى فيضه على أبواب المستشفيات وأفنيتها صفوفا متدافعة ، لا يرده جشع المرض ولا جفاء الطبيب ... والفقر ما فتىء يمد الجهل ويعين المرض ، ومستوى المعيشة هو هو ، والعدالة الاجتماعية أيضا هي هي ... وأداة الحكم ما تنفك في بطئها ووساطاتها وسائر فسادها ، والسنوات الخمس لست أدري متى تبدأ ... أمن وقت انتهاء الحرب ؟ وهل بدىء في مشروعاتها ؟ أم لا مبدأ لها ولا نهاية ...؟

وقد ظلت تلك الكلمات تتراقص في أحلام الناس وتهدهد آمالهم ، حتى كادت تسقط من فرط الإعياء . وليس من المستحسن أن تموت وفي مقدورنا إحياؤها ، وفي إحيائها حياتنا التي ينتفي فيها السخط والانحراف ، وتتم لنا فيها مقومات الأمة التي تدفع بها إلى أهدافها لا يقف أحد في سبيلها .

## المعنى الديني :

نشرت جريدة المصري أن البدراوي باشا يريد أن يقوم بنفقات مشروع إنارة مسجد الرسول عليه السلام وكسوة المقام النبوي الشريف . فبعث اسماعيل صدقي باشا إلى ( المصري ) بكتاب يقول فيه إنه يسعى منذ زمن للترخيص له بكسوة المقام النبوي الشريف ، ويرجو البدراوي باشا أن يكتفي بالإنارة ويترك له الكسوة . ولم نعلم بعد ذلك ماذا تم بين ( المليونيرين ) الكبيرين في هذا الموضوع ، وإن كنت أود ألا يقبل البدراوي باشا رجاء صدقي باشا ويتمسك بالإنارة والكسوة كليهما ، ولا أدع صدقي باشا حائراً لا يدري كيف ينفق ما أعد للكسوة من مال فيما يعوضه ما يفوته من الثواب ، فهو رجل غني ومؤمن ، وثمة مؤمنون كثيرون فقراء يحتاجون إلى أن يكون معهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، والوسائل إلى ذلك كثيرة .

هذا وقد تحدث الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر إلى محرر مجلة ( الأمانة ) في رسالة الأزهر ، فقال إنها تقوم على فهم « المعنى الديني الحقيقي » وقد أصاب فضيلته المحز ، فما أحوجنا إلى فهم حقيقة الدين والقصد إلى لبابه وجوهره ؟ وإني — على ما أفهم من حقيقة ديننا — أعتقد أن تواد المؤمنين وتراحمهم ، كأن يساعد الغني الفقير ، أرضى لصاحب المقام الشريف ، وأوفى إلى تلبية دعوته ، وأوفق للعمل بمقتضى رسالته ، وأدعى إلى نيل الثواب .

وعلى ذلك جرى أسـلافنا الذين كانوا أقرب منا إلى عهـد النبوة وأكثر فهماً لروح الإسـلام . ومن الملاحظ أن الاهتمام بالمظاهر والشكليات كثر أو وجد فى العصور المتأخرة ، حتى كان الحكام الذين أمعنوا فى أخـذ أموال الناس بالباطل ، ثم يرى أحدهم أنه ما عليه من ذلك بأس ما دام يمحو سيئاته ببناء مسجد أو إنشاء ( تكية ) . والله أعلم .

**« كتب وشخصيات » :**

عقب الأستاذ سيد قطب على ما كتبته فى الرسالة عن كتابه « كتب وشخصـيات » فبين وجهة نظره إزاء ما ارتأيته فى مسائل تضمنها الـكتاب ، وقد كنت أعتبر الأمر منتهيا بذلك — على اختلاف وجهة النظر بيننا فى تلك المسائل — لولا ما جاء فى رده خاصاً بنقده لتيمور ، فقد رأيت فيه ما يحتاج إلى هذه الـكلمة .

قلت : « ومما أخطأه الإنصاف فيه نقده لتيمور إذ يصف فنه بالفتور وبأنه يؤثر اللطف والدعة على الانفعال والحيوية » ولم آت بهذا من عندى ، بل أتيت به من « كتب وشخصيات » ( ص ١٨٩ ) حيث يقول الأسـتاذ فى أقصوصتين من أقاصيص تيمور « وكلتاهما تنبعان من قلب إنسان ولـكنه إنسان يؤثر اللطف والدعة على الانفعال والحيوية ، فضحكته ابتسامة فاترة ، وغضبته سحابة باهتة ، ووثبته خطوة وانية ، وإشارته إيمـاءة رتيبة ، ولـكنه على أية حال إنسان .

« هذه الظلال الإنسـانية التى تبـدو فى بعض أعمال تيمور — مع شىء من الشاعرية اللطيفة فى بعض الأحيان — هى وحدها التى تجمل الناقد لا يستطيع أن يغفل فن تيمور ، وهو يتحدث عن الأقصوصة ، مهما كان فى هذا الفن من فتور ... »

أفليس هذا يا أستاذ سيد من « حقيقة رأيك » فتقول « إن الأسـتاذ لم ينقل حقيقة رأيى » وتوهم بذلك أننى « أخطأنى الإنصاف » فى عرض رأيك ؟ ! وإن كنت تقصد أنى لم آت بما أتيت به فى الرد من كتابك على أنه مآخذ أساسية ، فإن المجال لم يكن يتسع لذلك ، وقد اكتفيت بما أتيت به من رأيك فى تيمور لأن اتجاهات المآخذ الأخرى تجتمع عنده ، فتماثيل الشمع مثلا التى مثلت بها شخوص تيمور ... أى شىء هى إن لم تـكن الفتور وعدم الانفعال والحيوية ؟

أما ما قلته غير ذلك فى هذا الموضـوع فإنما أقصـد به دفع استنكار لون من الأدب لخلوه من خصائص لون آخر ، والأدب مختلف ألوانه . وقد نطقت به وليس بينى وبين تيمور أسـباب المودة الآسرة التى قال الأسـتاذ سيد قطب إنه يتمتع بها ، والحمد لله على كل حال .

**أبو العباس**

---

# الأدب والفن في أسبوع

**المجمع اللغوى :**

فى مستهل الأسبوع المنصرم افتتح مجمع فؤاد الأول للغة العربية دورته الثالثة عشرة بمؤتمر عام جرياً على عادته فى افتتاح كل دورة ، وقد ألقيت فى المؤتمر عدة كلمات وأحاديث تتصل بمهمة المجمع وتتعلق برسالته فى خدمة اللغة العربية والنهوض بها .

فتحدث الدكتور عبد الرزاق السنهورى باشا وزير المعارف فى كلمة الافتتاح عن المهمة التى يضطلع بها المجمع والتى يصح أن تكون هدفه وغايته فقال : « إن مجمعنا الموقر هو حارس اللغة العربية والقائم عليها ، يحرسها ليحافظ على سلامتها ، ويقوم عليها ليجعلها ملائمة لحاجات الحياة فى عصرنا الحاضر ... وإننى أعتقد أن مهمة المجامع اللغوية ليست هى الخلق والإبداع ، بل هى الاثبات والتسجيل ، وعندى أن أعظم المجامع اللغوية نجاحاً هو أكثرها تواضعاً وأقلها ابتكاراً ، هو ذلك المجمع الذى يتجنب ما أمكن أن يبتدع لفظاً جديداً أو أن يحيى كلمة ميتة ، وإنما يقتصر ما استطاع على إثبات لفظ حى ، فهو إنما يقف من الألفاظ عند القائم منها الذى يجرى به الألسن ويقع به التفاهم ، ثم يعمد بعد المقارنة والمفاضلة والترجيح إلى تسجيل ما اختاره من ذلك ، يسجله كما هو أو مع تحوير بسيط قد تقتضيه صناعة اللغة ، وليست مهمة التسجيل هذه بالمهمة اليسيرة وإن بدت كذلك فى ظاهرها ، فهى تقتضى الذوق السليم ، والحس المرهف ، واليقظة البالغة ... » .

ثم ألقى الدكتور فارس نمر باشا الرئيس النائب كلمة قال فيها : « ولما كان فى طليعة أهداف المجمع أن يكون جهده لخير اللغة عاماً بين أبناء اللغة فى مختلف البلاد العربية وسواها فقد حرص بمعونة أعضائه فى الخارج على أن يعرض أعماله على الهيئات العلمية وجمهرة العلماء فى الشام والعراق وغيرهما وهو يتلقى ملاحظاتهم ويدرسها ، ومما يدل على أن هذا الغرض قد بدأ يتحقق منه قدر جدير بالاطمئنان أن وزارة العدلية فى الحكومة العراقية حين وضعت مشروع قانونها المدنى ضمنته بعض ما أقر المجمع من مصطلحات هذا القانون وقبلته فى كثير من مواده ونشرت كتيباً خاصاً بما وضع المجمع من مصطلحات القانون المدنى .. »

وتحدث من بعده الدكتور منصور فهمى كاتب سر المجمع عن أعمال المجمع ولجانه فى الدورة الماضية وما استعد به للدورة الحاضرة ، وقد عرض فى حديثه لصلة المجمع بالحياة العامة فقال : « فأهل العلم والأدب يتصلون بالمجمع ويغتبطون بجهده المشكور ، وأهل الصناعة والفن يقدرون ما يصيبهم من عمله الموفور ، حتى أهل الفكاهة والدعابة فلرصيدهم على حساب مجمعنا لطيف الفكاهات وطريف التندرات ، فالمجمع إذن يتصل بالحياة العامة على اختلاف ألوانها ، وله أن يغتبط حين يشهد انتفاع الجادين بجهوده ، كما أنه لا يضره أن يتنادر الظرفاء المتفكهون على حسابه ، ولعلنا لا ننسى قصة الشاطر والمشطور ، وحكاية الأرزيز والمرعور ... »

وفى النهاية أشار الأستاذ إلى أن مجلة المجمع ستعود للظهور عن قريب ، ولن المجمع سيستأنف العمل فى معجم فيشر بعد أن انقطع العمل فيه منذ قيام الحرب الماضية .

ثم ألقى الدكتور طه حسين بك بحثا ضافياً قيما موضوعه « فن من الشعر العربى يتطور بأعين التاريخ » ، وليس هذا الفن إلا الرجز الذى ظلمه علماء الشعر وسموه حمار الشعراء ، وقد عرض الدكتور الباحث لنشأة هذا الفن ، وتاريخه ، وتطوره ، كما عرض لذكر أعلامه والمبرزين فيه وما كانوا يؤثرون فى تعابيرهم وفى تناول موضوعاتهم ، وبعد أن استوفى نواحى البحث أهاب بالمجمع ورجاله أن يقرأوا هذا الفن من الشعر وأن يعنوا بدراسته فإنهم سيجدون فيها كنزاً للغة يمكن الانتفاع به واستخدامه فى النهوض بالعربية وتوسيع مادتها ...

وألقى بعد ذلك الأستاذ محمد كرد على بك بحثاً موضوعه « تطور الألفاظ والتراكيب والمعانى » ، فأشار إلى عناية العلماء السابقين بهذه الناحية ، وما كان من بالغ حرصهم فى تحرير اللغة ورعاية التراكيب العربية إبان نهضتهم العلمية ، ثم تحدث عن

صنيع الكتاب والمترجمين فى هذا العصر وما يرتجلونه من التراكيب الأعجمية والتعابير المخالفة لدستور العربية وأرجع ذلك إلى عجلة كتاب الصحافة حيث لا يجدون وقتاً للتروى والتفكير ثم أشار بما يجب من استغلال الكنوز القديمة التى حفظها لنا القدماء فى هذا الباب .

وتحدث أخيراً الأستاذ « ماسنيون » نيابة عن إخوانه المستشرقين ، فتكلم عن خصائص المعجم العربى فقال : « لقد ألزمنا الطلاب فى لجنة تخريج الأساتذة باستعمال المعجمات العربية المحضة كالمنجد وأقرب الموارد والقاموس المحيط واللسان والتاج وبذلك اضطروا أن يسبحوا فى البحر المحيط ومحيط المحيط ولا سفينة لنجاتهم من هذه المخاطر إلا بالالتجاء إلى معجم لا أجد الآن منه نموذجاً كاملا وإن كنت أجد صورة ناقصة منه فى المخصص لابن سيده وتهذيب الألفاظ لابن السكيت والألفاظ الكتابية للهمذانى وجواهر الألفاظ لقدامة ، ولهذا النوع من المعاجم مستقبل عظيم ونحن إليه فى حاجة ملحة لتخريج أساتذة العربية فى الخارج . »

وكانت كلمة الأستاذ « ماسنيون » ختام المؤتمر .

**الأب أنستاس الكرملى :**

نعى إلى أبناء الضاد منذ أيام العالم اللغوى الحجة المرحوم الأب أنستاس الكرملى صاحب مجلة « العرب » وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية .

ومكانة الأب الكرملى غير منكورة ولا خافية ، فقد أمضى حياته الطويلة باحثاً متقصياً موفراً كل جهده ونشاطه لخدمة العربية وفقهها والتوسع بمادتها ، وكانت له فى هذا جولات واسعة النطاق ، ومباحثات قوية عنيفة ، وكانت للأب أنستاس نظريات فى أصول العربية واشتقاقاتها ، وكان له فى ذلك اتجاه يناقشه فيه غيره من اللغويين ولكنها على أى حال نظريات تشهد بالجهد والتبحر فى فهم أسرار العربية والتمكن من فقه اللغات الأخرى .

ولقد كان رحمه الله طول حياته أوفى ما يكون نشاطا وهمة فى الدراسة والإنتاج ، وكان مناضلا من الطراز الأول فلا يسكت على مناقشة ولا يتغاضى على خطأ ، فلا شك أن فقده جاء خسارة للعربية ، وأن نعيه قد شق على زملائه خاصة وعلى أبناء الضاد عامة ، ولعلنا نجد من فراغ النطاق ما نوفيه به حقه فى ترجمة حياته وشرح نظرياته .

رحمه الله رحمة واسعة وعوض العربية فيه خيراً .

**حروف عربية جديدة :**

تحدثت الأنباء الواردة من « نيويورك » بأن السيد نصرى خطار قد ابتدع طرازاً جديداً من الحروف العربية ، ووضع لهذه الحروف قواعد لاستعمالها فى الطباعة والآلات الكاتبة ، وأن شركة الآلات الصناعية قدقررت استعمالها فملافى آلاتها الكاتبة .

وقد تحدث الأستاذ الخطار نفسه عن مميزات هذه الحروف فقال : إنها ترجع إلى تسهيل القراءة على المبتدىء ، والاقتصاد العظيم فى تكاليف الطبع ، وتصغير الكتابة دون الاخلال بشرط الوضوح .

ومن المعروف أن مسألة الحروف العربية مثار ضجة كبيرة فى دوائر المجمع اللغوى منذ عام ، وقد وضعت فى ذلك رسائل وكتب ، ومن قبل كانت هذه المسألة مثار مناقشة طويلة ومجال اقتراحات متعددة من علماء العربية وخاصة من المستشرقين . ففيهم من يريد أن يختصر المسألة من أقرب طريق ، فيقترح استعمال الحروف اللاتينية مكان العربية دفعة واحدة ، وفيهم من يقترح تحوير الحروف العربية وتهذيبها حتى تفى بالحاجة .

والطريقة التى آثرها السيد الخطار هى تحوير الحروف العربية إلى ما يشبه اللاتينية فى الشكل وكتابتها منفصلة ، ومن المعروف أن الحروف العربية فى الخط الكوفى وفى الخط النبطى ، كانت تكتب منفصلة ، فطريقة الانفصال قديمة ، وطبيعة الحروف العربية بشكلها الراهن لا تستعصى على الانفصال ، فلا ندرى لماذا آثر الأستاذ الخطار ذلك التحوير فيها إلى ما يشبه الحروف اللاتينية ، وهو تحوير ستكون الشقة به أكثر من الفائدة منه .

الواقع أن المسألة ليست مسألة تشابك الحروف وانفصالها ، وليس بنا من حاجة إلى ذلك التحوير فى هيئة الحروف التى ألفناها واعتادتها أنظارنا ، وإنما العناء يأتى من قواعد الكتابة العربية وتعقدها فى استعمال الهمزة والألف اللينة وغير ذلك مما يضجر

علماء العربية أنفسهم ، فهلا تكاتف علماء العربية على تذليل هذه المسألة فإن ذلك يكون أجدى وأنفع ؟ !

**هل استفاد الأدب من الحرب ؟**

هذا موضوع مناظرة ، أقامتها جماعة الفكر العربي في الأسبوع الماضي ، وأيد الرأي فيها الدكتور زكي مبارك والآنسة روحية القليني المتخرجة في كلية الآداب وعارضه الأستاذ علي الجندي والآنسة زينب عبد الحميد .

وموضوع المناظرة جدير بالبحث والدرس ، لأنه يمس ناحية كان لها أثرها الظاهر والباطن في الأدب وفي الاتجاه الفكري ، ولكن تبادل الكلام بين المتناظرين جرى على الشأن الدارج في مناظراتنا ومحاضراتنا وهو حب الغلبة ، والتأثير على الجماهير بالعبارات الضخمة والكلمات الرنانة والنوادر الفكاهية ومن ثم نستطيع أن نقول إن هذه المناظرة لم تصل إلى الحقيقة في الموضوع ، والواقع أن الوصول إلى الحقيقة في هذا الموضوع يقتضي بحثا للعوامل النفسية والاتجاهات الفكرية التي كانت نتيجة للحرب وللظروف التي فرضتها على المجتمع وهذا كله أعمق من أن تكشف عنه مناظرة كلامية في ناد .

**المواضع والأمكنة في المعلقات :**

تنشر جريدة « البلاد السعودية » بحثا مسلسلا للأستاذ محمد بن بلهيد يحقق فيه أسماء المواضع والأمكنة في المعلقات ، ويدل على مواقعها القديمة وما صار لها من الأسماء الحديثة .

وهذا بحث جليل مفيد ، يحتاج إليه أبناء العربية في دراسة الشعر الجاهلي . ومن الواجب أن يعمم هذا البحث في جميع الأقطار العربية وأن يحرر تحريراً علمياً ليرجع إليه الباحثون ، فقد درجت الجامعات والمعاهد في دراسة الشعر الجاهلي على الاكتفاء بالإشارة إلى المواضع والأمكنة في ذلك الشعر بأنها « أسماء أمكنة » وكفى ، ومن المعروف أن الأمكنة لم تزل في مكانها ، وإن كانت أسماؤها قد تغيرت ، فمن الواجب أن يكون بين يدي الباحثين تعريف لتلك الأمكنة في مواقعها وأسمائها الحديثة .

وبهذه المناسبة نقول إن أبناء العربية يجهلون مواقع البلاد العربية ولا يتحققون من أسمائها الحديثة ومعالمها الظاهرة على حين أن الرحالة الأجانب قد رادوا هذه الأماكن وقاموا بتحقيقها ، وألفوا عنها الكتب والبحوث الضافية ، ومن الأسف أن كثيرا من أبناء العربية يرجعون إلى تلك الكتب والبحوث فينقلون الأماكن والأسماء عنها محرفة ، مما يؤدي إلى الخلط وتوسيع الشقة في التضليل .

**الفن الروسي :**

تهتم المفوضية الروسية في القاهرة بتعريف المصريين بالفن الروسي وإطلاعهم على نماذجه ولوحاته ، وقد سبق أن أقامت أيام الحرب معرضاً بجمعية المهندسين عرضت فيه لوحات فنية لمشاهير الفنانين الروسيين تمثل المواقع الحربية والقواد البارزين في الجيش الأحمر

وأخيراً أقامت المفوضية معرضاً بمدارس الليسيه عرضت فيه رسوماً وصوراً للتماثيل التذكارية ومعالم الثقافة والمهارة في الاتحاد السوفيتي كما عرضت مجموعة فنية للحيوانات البرية والبحرية استلفتت الأنظار وحازت التقدير والإعجاب .

وحسنا فعلت المفوضية فان المصريين أشد ما يكونون حاجة إلى التعرف بالفن الروسي ، وخاصة بعد أن اتجهت مصر إلى الأدب الروسي وأقبل الأدباء على نقل روائعه إلى جانب ما ينقلون من روائع الأدب العالمي .

**الشاعر الدباغ :**

أقيمت أخيراً في يافا حفلة تأبين للمرحوم الشاعر إبراهيم الدباغ ولقد كانت يافا موطن الدباغ مولداً ، وهي موطن أسرته وذويه ، ولكنه وفد على مصر في صدر شبابه لطلب العلم ، وبين ربوعها تفتحت عبقريته ونضجت شاعريته ، وقد آثرها بالإقامة إلى آخر حياته ، وفي أرضها ووري جثمانه .

أجل ، لقد عاش الدباغ لمصر بشعره وفنه ، وفيها غنى بمقطوعاته وهزج بقصائده ، وكانت له صلات وثيقة برجال الأدب والصحافة ، وجولات واسعة في الأندية والمحافل ، ثم ألمت به محنة المرض المضل فاعتكف في مسكنه ، ثم وافاه الموت ، فنسي كما ينسى كل شيء في مصر ! !

ليت شعري أين أصدقاء الدباغ في مصر ، وأين أحباؤه وأصفياؤه ، أين الذين منحهم فنه وشعره مديحا وإشادة فضنوا عليه حتى بحفلة تأبين في مصر دلالة وفاء وحفظ للجميل وتقدير للأدب والفن ؟ !

**الجاحظ**




**أثر أدبي قديم :**

نشرت مجلة « الطرائف الأدبية » الفرنسية القصة التالية .

فى يوم من أيام « نيسان » عام ١٩٢٨ عثر فلاح بمنطقة رأس شمرة الواقعة على الساحل السورى تجاه قبرص على عدة قطع وأوان خزفية جميلة ، فأرسل حاكم اللاذقية إلى المفوضية الفرنسية يخبرها بهذا الكشف .

ودلت تحريات لجنة الآثار التى تولت بحث الموضوع على أن القطع والأوانى التى عثر عليها الفلاح وجدت فى مدفن ليس له شبيه فى سورية ، وهو يشبه مدافن القرن الثانى عشر قبل الميلاد التى اكتشفت على ساحل قبرص . فقررت أكاديمية الآثار القيام بالتنقيب فى هذه المنطقة ، وانتدبت لذلك بعثة بدأت العمل فى آذار عام ١٩٢٩ ، واستمرت تباشر البحث والتنقيب حوالى عشر سنين .

وأسفرت دراسات البعثة وتنقيباتها عن حقيقة تاريخية كانت مجهولة ، وهى أن مدينة عظيمة قامت فى منطقة رأس شمرة منذ القرن العشرين قبل الميلاد ، وقد استمرت هذه المدينة حتى القرن الحادى عشر حيث قضى عليها أقوام من الغزاة الخارجين

ومن أهم ما عثرت عليه البعثة المنقبة بقايا مكتبة مؤلفة من ألواح من الفخار على نحو مكاتب بابل وقد نقشت على هذه الألواح رموز و كتابات تبلغ الثلاثين عدداً ، ولم يعثر على ترجمة لهذه اللغات وقد تعذر فهمها وفك رموزها لأنها تنتمى إلى لغة غير معروفة بين اللغات الأثرية ، ولكن بعد مقارنات ودراسات تبين أنها لغة قريبة من العبرية ، وأنها أقدم بنحو عشرة قرون من سائر الكتابات الفينيقية التى اكتشفت إلى الآن .

وقد استطاع رجال الآثار أن يميزوا من تلك اللوحات الكتابية ثلاثة آلاف بيت من الشعر الذى يقوم موضوعه على الملاحم والأساطير ويرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وقد وقع عليها كلها باسم « إيليملك » .

هذا مجمل القصة التى روتها مجلة « الطرائف الأدبية » الفرنسية ، وهى قصة كشف أدبى سيكون له أثره فى تاريخ الأدب ، وعند ما تترجم هذه الأشعار إلى لغة حديثة يمكن لمؤرخى الأدب القديم أن يصححوا كثيراً من الأحكام فى ضوء هذا الكشف الجديد .

**العاقل لا يعدم حيلة :**

فى ( شرح النهج ) لابن أبى الحديد :

قال أبو عثمان ( الجاحظ ) حدثنى أبو عبيد الله الأفوه — وما كنت أقدم عليه فى زمانه من مشايخ المعتزلة إلا القليل — قال : كنت ألقى من الذر والنمل فى الرطب عندى وفى الطعام عنتاً كثيراً ، فاتخذت لطعامى منملة[1] ، وقيرتها وصببت فى خندقها الماء ، ووضعت سلة الطعام على رأسها ، فغبرت[2] أياماً أكشف رأس السلة بعد ذلك وفيها ذر كثير ، ووجدت الماء فى الخندق على حاله ، فقلت عسى أن يكون بعض الصبيان قد أنزلها وأكل مما فيها ، وطال مكثها فى الأرض وقد دخلها الذر ثم أعيدت على تلك الحال ، وتكلمت فى ذلك وعرفت الحال فيه ، فعرفت البراءة فى عذرهم والصدق فى خبرهم ، فاشتد عجبى ، وذهبت بى الظنون والخواطر كل مذهب ، فعزمت على أن أرصدها وأحرمها وأتثبت فى أمرى فإذا هى بعد أن رامت الخندق فامتنع عليها تركته جانباً وصعدت[3] فى الحائط ، ثم مرت على جذع فلما صارت محاذية للسلة أرسلت نفسها . فقلت فى نفسى : انظر كيف اهتدت إلى هذه الحيلة ولم تعلم أنها تبقى محصورة ثم قلت: وما عليها أن تبقى محصورة بل أى حصار على ذرة وقد وجدت ما تشتهى

( السهمى )

---

(١) فى مجلة المجمع اللغوى في القاهرة . ج ٢ ص ١١٠ : وافق المجمع العرف الشائع فى إطلاق هذه الكلمة ( النملية garde—manger ) على ما يحفظ فيه الطعام من لنمل والذباب ونحوها .

قلت : قالتها العربية منذ أيام أبى عثمان ، وربما كانت قبله ...

(٢) غبر — بالغين لا بالعين : مكث ، بقى .

(٣) صعد فى السلم وفى الدرجة صعودا ، وصعد فى الجبل وعليه تصعيد كأصعد إصعادا ولم يسمع صعد فيه أى كفرح (التاج) وصعد فى الجبل من باب تعب لغة قليلة (المصباح) قرأ الحسن إذ تصعدون جبل الصعود فى الجبل كالصعود فى السلم ، وقال ابن الأعرابى : صعد فى الجبل واستشهد بقوله تعالى : إليه يصعد الكلم الطيب ( التاج ) .

**رفاهية العلماء :**

جاء فى نبأ من موسكو أن الحكومة السوفيتية ستقوم ببناء منازل فى ضواحى المدن الكبيرة لأعضاء أكاديمية العلوم فى روسيا ، وسيتألف كل منزل من حجرة للاستقبال والجلوس وحجرة لتناول الطعام ، ومكتبة وحجرة للنوم فى الطابق الأرضى ومطبخ ومخزن للطعام وحمام فى مؤخر المنزل ، وغرفتين أخريين تواجههما شرفة واسعة ، وسيكون لكل منزل حديقة خلفية وحوش متسع ، وقطعة أرض مجاورة تزرع فاكهة وأزهارا ، ويبنى فيها غرفتان للسائق والميكانيكى الذى يتعهد السيارة بالرعاية ومخزن للأخشاب والوقود وكابينة صيفية وحظيرة للمواشى .

ويقول النبأ إن السلطات السوفيتية قد أرسلت إلى كل عالم تصميما ليوافق عليه فبقى أن تشرع فى البناء ، وأنها ستقوم بنفقات إنشاء هذه المنازل وتكاليفها ؛ كما ستقوم بالانفاق على هؤلاء العلماء وتتعهد بما يقلق خواطرهم من الناحية المادية حتى تتيح لهم الفرصة فى خدمة العلم وقصر جهودهم على العمل فى معاملهم .

ومن نحو خمسة عشر عاماً فكرت الحكومة الفرنسية فى بناء مدينة للأدباء والفنانين والعلماء على أن تكون فى الوضع الذى يلائم أمزجتهم راحة وهدوءاً وطمأنينة ، ولكن المشروع لم يخرج عن دائرة التفكير ، وعلق كاتب فكه على هذا النبأ قائلا فى سخرية : « أولى بالحكومة الفرنسية أن تقول إنها تريد أن نقيم مدينة للمجانين ، وإنها تريد أن تريح المجتمع من هذيان أولئك الذين يقولون عنهم إنهم أدباء وفنانون » .

وهذا التفكير الحديث فى أوربا قد سبق إليه آباؤنا وخرجوا به إلى دائرة التنفيذ والتحقيق منذ قرون ، فقد وقفوا على الأزهر الأوقاف الضخمة ، وأنشأوا به الأروقة والمساكن ، ورتبوا الرواتب للعلماء والطلاب حتى يكفلوا لهم الراحة المادية ، ويصرفوا أذهانهم عن التفكير فى شئون العيش إلى التفكير فى مسائل العلم .

والواقع أنه ليس هناك همٌّ أثقل على نفس العالم والأديب من التفكير فى شئون المال وتدبير العيش . ويروى عن الإمام أبى يوسف أنه قال : جلست فى بيتى وقد نشرت كتب العلم بين يدى وأخذت أجتهد فى تحرير مسائل الفقه والتشريع ، فدخلت الجارية علىّ وقالت ليس فى البيت دقيق ، فطارت من رأسى أربعون مسألة ولم تعد واحدة منهن أبداً .

فنحن نغتبط أن تهتم الحكومات بتوفير العيش والطمأنينة المادية لرجال الفكر حتى ينتجوا ويثمروا ، ولكننا لا نرى من الخير لهم وللمجتمع وللعلم أن يعزلوا فى أماكن خاصة ، لأن الفكر إنما يتعامل مع المجتمع ، فهو يأخذ منه ويعطيه ، وبهذا يكون عاملا من عوامل تطوره ، وإلزام العالم والمفكر بالانتاج لا يجدى ، فقد تخطر له الخاطرة ، أو تطوف برأسه الفكرة وهو سائر فى ضجيج الشارع أو فى مجتمع عام صاخب أو وهو يرى مشكلة تواجه المجتمع ، وليس من شك فى أن عزل العلماء والمفكرين سيصيرهم على مرور الأيام أشبه بطبقة الكهان ، وسرعان ما يضيق بهم المجتمع على هذا الوضع ، ويضيقون هم بأنفسهم .

(م . ف . ع)

**لن تقوم فى الأرض مملكة يهودية فلسطينية :**

دعا سليمان يوماً فاستجيب له ونال مالن ينال الناس من بعدُ
ترى أنال غنى ؛ والأغنياء على ظهر البسيطة لا يحصى لهم عد ؟
أم نال مملكة مهما علت وسمت ففى ممالك أخرى العز والمجد
ما نال إذ نال من شىء يميزه عن العوالم لولا العقل والرشد
أمسى (الحكيمَ) ووصفٌ غير مطردِ
أن خصَّ فيه . بمعنى ما له حد
فما انبغى قط أن يُعطى حكومته على اليهود يهوديٌّ وإن جدوا
ففوق حكمة أهل الأرض قاطبة جمع اليهود وإن لانوا أو اشتدوا
كالمال (معبودهم) قد بُعثروا بَدَداً
وليس مما قضى فى أمرهم بد
من معجزات سليمان تآلفهم والمعجزات (كأهليها) لها حد
عيشى فلسطين فى أمن وفى دعة فمعجزات سليمان لها عهد
قد قال : «رب هبنى ...» قالَ : « مملكة
على اليهود » ، وتمَّ الموقف الفرد
لا ينبغى لسواه بعده أبداً تجميع من ربهم فى المصرف النقد

**محمد النهامي وعبد اللطيف النشار**




**أدباء العروبة :**

نشرت مجلة الرسالة فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٤٦/١١/٣٠ كلمة تحت هذا العنوان عجبت كيف قبلتها وهى ملتقى أقلام أهل الأدب وميدان النابهين من رجال الفكر ، وقد أدهشنى ما جاء بهذه الكلمة من أحكام لا تصدر إلا عن تحيز أو غرور .

وأحب أن أبين للقراء ما دق على فهم الكاتب من أهداف (جامعة أدباء العروبة) فى رسالتها للنهضة بالأدب العربى ، والسير به قدُماً إلى الأمام .

فالجامعة تعمل على إيقاظ الذهن العربى وتوجيهه نحو الآفاق البعيدة الجديدة من آثار المفكرين النابهين النوابغ ، وتريد أن تصل الشرق بالغرب فى النافع من الثقافة والأدب ، وتجد فى سبيل توثيق الأواصر بين الأدباء ليسيروا متساندين فى خدمة الضاد ، سواء أكانوا من المنضوين تحت لوائها أم من أنصارها الذين يعملون للأدب العربى مستقلين لا يرون فى التقيد بالجمعيات خيراً كبيراً . فليس هناك احتكار للأدب فى أذهان القائمين بأمر جامعة أدباء العروبة كما زعم الكاتب . وإنه ليسر الجامعة أن تعاون كل من يدعو لخدمة الأدب العربى والنهوض به أفراداً وجماعات . وهنا أريد أن أشير إلى ما سماه الكاتب انقساما فى صفوف الجامعة ، فليس خروج واحد أو اثنين على جامعة الأدباء يعد انقساما يتساوى فيه الفريقان . على أن جامعة أدباء العروبة يسعدها أن تسمع كل يوم عن تأليف جماعة لخدمة الأدب والشعر ، وتدعو لها صادقة بالتوفيق والسداد .

ثم كيف تأتّى للكاتب — وأحسبه من قراء الرسالة — أن يفهم أن هؤلاء الذين توفروا على خدمة أغراض الجامعة ، يحتكرون الأدب ، وأنهم عدا واحد أو اثنين من غير الصف الأول ! لقد أخطأ خطأً مضاعفاً ؛ فإن الذين يعملون معنا ، إنما وقع عليهم الاختيار قبل كل شىء لنشاطهم فى خدمة أغراض الجامعة النبيلة فوق ما يتجملون به من أدب وثقافة . وهم فوق ذلك — فى مجموعهم — يقفون فى الصف الأول من رجال الأدب العربى فى هذا العصر .

والجامعة لا تتردد فى دعوة البارزين من رجال الفكر والقلم فى كافة أنحاء العالم العربى للمساهمة فى نهضة الأدب ورفع شأنه بغض النظر عن كونهم من أعضاء الجامعة أو من أنصارها ، أو من المستقلين عنها كل الاستقلال .

وإذا لم يكن شاعر مصر الكبير أستاذنا العقاد والشعراء النابهون : ناجى ، وغنيم ، والأسمر ، وأبو فاشا ، والغزالى ، والعوضى ، وعبد المنعم ، وشمس الدين ، وحمام ، والماحى ، وعماد ، وكامل الكيلانى ، ومخيمر ، والجرنوسى ، وعبد الحميد مرسى ، والجبلاطى ، وكبار كتابنا النابغين هم الذين تلمع أسماؤهم فى أول الصف الأول من أدباء العالم العربى ، فأين يكون هذا الصف الذى يعمل فى الخفاء ، وينشر رسالة الأدب فى خفر واستحياء !

أما ما جاء فى ثنايا كلام الكاتب من أن أحد الأعضاء نقل الأدباء فى سياراته إلى القناطر الخيرية ... إلخ فهو ضرب من المهاترات الرخيصة التى لا تستحق العناية .

دعونا نعمل ، فإننا نرمى لتحقيق غايات شريفة نقصد بها وجه الله وخدمة الوطن ، بعيدين عن السياسة والحزبية ، والأغراض الذاتية . نرفع راية الضاد عالية يتفيأ ظلها من أراد بشرط أن يكون كفأ ومخلصا فى السعى لما نرمى إليه ، والله ولى التوفيق .

*ابراهيم دسوقى أباظه*

**الرسالة :** نعتذر مخلصين إلى حضرة صاحب المعالى رئيس (جامعة أدباء العروبة) مما أخذه على كاتب الكلمة . ونؤكد لمعاليه أن من أمانىّ الرسالة أن تتألف فى كل طائفة من طوائف الأمة جماعة للأدب يقوم عليها وزير أو كبير . ولقد كانت الرسالة أول من سجل اهتزاز الأدب واعتزاز الأدباء بتولى معاليه الوزارة ؛ إذ لا يستطيع — والأدب من طبعه وفى استعداده — أن يخلى منه نفسه وهمه وعمله ومجلسه . وإنما عز الأدب بعز أهله . وحسب الأدب اليوم أن يكون من منتجيه ومشجعيه وزير ! ولو لم يعمل صاحب المعالى إبراهيم دسوقى أباظه باشا ما عمل للفن الرفيع فى وزارته وفى داره وفى حزبه لما تميز فى رأينا على نظرائه الذين تقدموا بالأدب وتعرفوا به ثم أخروه وأنكروه . وإذا كان فى الناس من ظن أن رياسة الباشا لجامعة الأدباء تشريف ودعاية ، فقد ثبت من هذا البيان الحازم أن رياسته لها تكليف ورعاية .

## أعوذ بالله !

أعوذ بالله من ... أأقولها ؟ من صورتى أنا ! ولست أعنى الصورة التى صورنى الله بها ؛ فإنى راض عنها أحمد الله عليها ، ولكن أعنى هذه الصورة التى وضعت مع مقالتى فى العدد الممتاز وقالوا ... إنها صورتى ! مع أنها لا تشبهنى ولا أشبهها وليس فيها ملامحى ولا سماتى ، ولم يرها أحد ممن يعرفنى إلا قال كما قلت : أعوذ بالله ! أهذه صورتك !

لا والله يا إخواننا ، ليست صورتى ، ولا أدرى من الذى صورها ، ولكن الذى أدريه أن هذا ( المصور ... ) مثل زميله الأول الذى بلغ من حذقه ومعرفته بصناعته ، أنه صور ( ديكا رومياً ) فما شك أحد ممن رأى الصورة ، بأنها ( خريطة الحبشة )

وأنا أفهم من التصوير الكاريكاتورى أنه لابد فيه مع إظهار المقابح ، وتعمد الاضحاك ، من إثبات الملامح والدلالة على الشخص المصور حتى لا يتردد كل من يعرفه إذ يرى الصورة ، فى أن يقول ضاحكا : هذا فلان ، فإذا لم يعرف من الصورة صاحبها ، ولم يوجد فيها مايدل عليه ، ولم تشتمل على فكرة ولا على إضحاك ولا تظهر معنى من المعانى ، فإنها لا تسمى صورة أصلا .

ولا عبرة بأن هذا ( المصور ... ) أبرز ملامح بعض كتاب الرسالة ، كعزام باشا مثلا ، وأنه يجيد تصوير الوزراء ورجال السياسة ، فإن كل إنسان إذا مرن على تصوير رجل يحذق صورته . ولقد كان عندنا فى الثانوية ناظر عجوز له شاربان ينزلان على شفتيه وأنف أعقف كمنقار الصقر ، وذقن غائص فى وجهه لا يكاد تظهر ، ووجنتان فيهما حفرتان ، فكنا نصوره بخطوط معدودة فتبرز ملامحه لا يعجز عن ذلك طالب فينا ، أما المصور البارع حقا فهو الذى تظهر براعته فى كل صورة ، ويصور كل إنسان ، وعندنا فى الشام من ينظر إليك دقائق ، فيصورلك صورة تضحك أنت منها ، ولا يشك أحد من أصحابك فى أنها صورتك

ثم إن هذه الصورة المنشورة مع مقالتى ، لفتى فى السادسة عشرة وأنا فى حدود الأربعين ، وهى لشاب حيى مسكين ، وأنا رجل شرس ما كنت ، ولله الحمد ، مسكينا قط .

فإن كان هذا هو ( الفن ) فى مصر ، فياضيعة الفن فى مصر !

**على الطنطاوى**

## ذكرى باعث الشرق :

فى منتصف شهر مارس من عام ١٨٩٧ ، انتقل المغفور له السيد جمال الدين الأفغانى إلى جوار ربه ، ففى مارس القادم يكون قد مضى على وفاة ذلك المصلح العظيم خمسون عاماً كاملة .

ومن نافلة القول أن تقول إن جميع أقطار الشرق الإسلامى مدينة فى نهضاتها ووثباتها ، وما تحقق لها من مظاهر التقدم والحرية للسيد جمال الدين الأفغانى ذلك الرجل الذى قضى حياته يكافح الاستبداد وينافح الاستعمار ، ويصيح بالشرق المستسلم أن يستيقظ ، وفى هذا السبيل عاش شريداً طريداً تدفعه يد الأقدار أو يد الاستعمار من قطر إلى قطر ، وتخرجه من بلد إلى بلد ، حتى قضى شهيداً فى مطارح الغربة ، وليس حول سريره زوج ولا ولد .

ليس من شك فى أن الأفغانى — نضر الله قبره ونور ضريحه — قد أقام دعائم النهوض للشرق الإسلامى ، وبنى لحراستها قلاعاً من الرجال وإن بقية الخير وطلائع الإصلاح فى الشرق هم تلاميذه ، أو تلاميذ تلاميذه ، وما كان للأفغانى مع هذا من ولد يريد أن يورثه المجد ، ويحفظ له المكانة ، وما كان له من مطمع فى رفاهية الحياة فقد احتقر عروض الدنيا من أيدى السلاطين والحكام ، وازدرى المال والرفاهية ، وعاش حياة خشنة أشبه بحياة الصوفية والمتزهدين ...

واليوم وقد مضى على وفاة ذلك الرجل الذى وهب حياته للشرق خمسون عاما ، فهل للشرق أن يذكره فى هذه المناسبة ، وأن يذكر أبناء الجيل بما كان فى حياته من قدوة ، وفى سيرته من أسوة ، وفى جهاده من قوة ...

إن أقل ما يجب فى هذه المناسبة ، أن ينهض الشرق الإسلامى ، شعوبه وحكوماته ، هيئاته وجماعاته ؛ مدارسه وجامعاته فتقيم أسبوعاً عاماً يدعى بأسبوع جمال الدين الأفغانى ، وليس ذلك يعلم الله واجبنا نحو الرجل . بل إنه واجبنا نحو أنفسنا قبل كل شىء حتى ندفع عن أنفسنا معرة النسيان ، وتهمة الجحود والكفران .

**محمد فهمى عبد اللطيف**




# القبر تحت قوس النصر

## مأساة عن الحرب العظمى فى ثلاثة فصول

### للكاتب الفرنسي بول رينال

نحن فى منزل بإحدى القرى الفرنسية أثناء الحرب العظمى ، وقد جلس رجل فى الستين من عمره مع فتاة فى العشرين تدعى أود وشاب يرتدى الثياب العسكرية . وسرعان ما تفهم أن هذا الجندى هو ابن الهرم وخطيب الفتاة وأنه قدم من ساحة القتال ليرى أسرته وليقوم بعقد زواجه على خطيبته « اود » فقد حصل من أجل ذلك على إجازة أربعة أيام . ولا يكاد الحديث يدور بينهم حتى يعلم من أبيه الشيخ أن خطيبته قد تكلفت إظهار السرور بعد أن غادرها وذهب إلى ساحة القتال . وأنها فعلت ذلك لكى ترضى والده . ولكنها بعد ذلك أخذ القلق يساورها فبدأت تستفسر عن نشأة ابنه الغائب وعن طفولته وشبابه . كان ذلك عزاءها فى غيبته . ويسأل الجندى عما إذا كانت قد وصلت رسالة باسمه إلى المنزل فينكران أولا ثم يحضران له الرسالة فإذا بها من مركز القيادة التابع له وفيها يأمره بأن يلغى إجازته ويعود إلى خط القتال . ولا يكاد يقرأ تلك البرقية حتى يضحك كما لو كان قد فوجىء مفاجأة سارة ، ثم يسأل خطيبته : لما ذا لم تخبرينى عند حضورى ؟ فتجيبه : لقد كنت مبتهجا . فيذكرها بالواجب الملقى على عاتقه ، وكيف استشهد من فرقته ألفان ، وأنه لا بد أن يكون قد صدر أمر بهجوم جديد ويصمم على السفر فى أول قطار يقوم فى الفجر إذ أن قائده لم يسمح له بالسفر إلا على شرط الرجوع إذا جد فى الأمر شىء . وأن هذا القائد عند ما سمح له بذلك كان يقدر الخدمات التى أداها للوطن كجندى باسل .

ولا يكاد الإبن يذكر مسألة الزواج التى قدم من أجلها حتى يبدى الأب اعتراضه وتقره « أود » على ذلك فزيارته قصيرة لا تسمح باستيفاء إجراءات الزواج .

ويخرج الجندى ويخلو الأب إلى « أود » فيذكر لها أنه واثق من أن ابنه لم يكن ليفكر فى الأخطار الكبيرة التى كان معرضاً لها بقدرما كان يفكر فيها هى . وفى تلك السعادة الجيلة التى قضت الظروف بحرمانه منها . فتسأله :

— وماذا أفعل لكي أعيش ؟ .

— سأعينك

أتحمينى من الشجن والشقاء ؟

وتتطور المناقشة بين الإثنين ، فتذكر له العروس أن واجبه نحو ابنه قد انتهى وأن عاطفته نحوه إنما هى استمرار آلى لما كان يشعر به عندما كان ابنه لا يزال طفلا . أما هى فواجبها لم يكد يبدأ بعد . وعندئذ يقول لها فى تأنيب خفيف :

— إنه ابنى ... فتجيبه بكل روحها : — إنه حياتى

ثم تنبهه إلى أنه ما دام قد حضر فمن غير اللائق أن يدور الحديث على شىء آخر غيره . وأن واجبها الأوحد هو أن تحبه وتذكره بالضحكة التى ضحكها عند ما قرأ البرقية الواردة باستدعائه ، وكيف أن هذه الضحكة الرهيبة قد أرعدتها وهى تشرح ذلك فتقول إنه يحمل طابع الحرب على شخصيته . ولقد أحست هى نفسها بكل هول الحرب عندما رأت كيف تقلصت عضلات وجه المحبوب واستحال إلى عنف مخيف بمجرد ان نظر إلى البرقية .

ويلاحظ الأب الشيخ أنها لم تعد تتحدث إلا عن خطيبها ، وأن ابنه لا يتحدث إلا عنها . ويبدو له أنهما يشعران بأنه ليس بين الأحياء سواهما . وهو يحس لذلك بغضاضة على نفسه ، ويشعر بشىء من الغيرة إذ يسيطر الشباب هذه السيطرة على منزله . ويتحداه كما كان الظافرون يتحدون خصومهم المغلوبين بالسيوف فيما مضى ! وهو يخشى أن يكون عقبة بين ابنه وبينها . وتدهش « أود » لذلك وتصارحه بأنه جد مخطىء إذ يفكر فى ذلك كله ولكنه يقول برغم هذا : — ما أسعد هؤلاء الشبان. إن الحرب لم تغير كل شىء ! مهما حدث على الأرض فلا يوجد دائما إلا مصيبة واحدة . تلك هى الشيخوخة ! .

ثم يعود الإبن فى ثياب مدنية ويخرج الأب بعد أن يحاول

استصحاب الفتاة معه فيرجو منه ابنه أن يتركها له قليلا . ولا يكاد العروسان يختليان حتى تلتمس منه « أود » أن يصفح عنها ، فإذا سألها عن أى شىء تطلب الصفح ، أجابته عن أنها استطاعت العيش بعده . ثم تقول له : — إنك تمثل لناظرى كل الأمور . إننى لا أملك من حطام الدنيا إلا التفكير فيك . إنه غذاء كيانى ونار نفسى ، وهدف عينى ، وطابع صوتى ، ومجرى دمى . إنه كل شىء . إنه أنا !.

ثم تذكره بمنشأ علاقتها به ، وكيف أنها طالما زهت وفاخرت بمعرفته وكيف تمنت أن تكون زوجته ، فإذا قال لها — ستكونين زوجتى يوماً ما .

أجابته بعد مجهود كبير : — كنت أود أن أكون زوجتك هذه الليلة .

فيذكر لها أنه ليس من حق أحد فى فرنسا أن يكون سعيداً فى هذا العام ، وأنه يود أن يدعو كل أصدقائه وزملائه فى الجيش إلى حضور حفلة زواجه ، ويشعر أنهم جميعا يشخصون اليه ، ويمدون إليه أيديهم الرقيقة سواء منهم الأحياء والأموات .

هى — الأموات ؟

هو — أصدقائى الذين استشهدوا والذين لو بقوا لكانوا هنا الآن . أين هم ؟ إننى أدعوهم . فلو ظلوا أحياء لكانوا الآن فى مراكزهم بساحة القتال . ولكنهم ماداموا قد ماتوا ففى مكنتهم الحضور ! إننى أنتظرهم . سيظهرون ، ليحضروا ، فلن أتمتع بكل بهجتى وسرورى بدونهم . إننى أناديهم .

ثم يبدأ فى مناداة أصدقائه من المحاربين الأموات إلى أن يصل إلى اسم صديق تعرفه خطيبته « أود » فيذكر لها كيف أن ذلك الصديق قد سقط مضرجا بدمه فى أحد الحصون وكيف أنه طلب إليه أن يرفع تمنياته الصادقة إليها وأن آخر كلماته له وهو يحتضر بين يديه : « كونا سعيدين » وتعجب « أود » بهذه العظمة التى تتجلى فى شخصية خطيبها . وتشعر أن نفسها عاجزة عن مجاراته فيها فتقول له : — إننى بجانبك أحس فى نشوة بعظمتك . وفى اضطراب بشقائى .. أنت توقن بأنك عظيم فيجيبها فى حزم وزهو : — أجل .

— هذا ظاهر ! إن هذه الروح التى لا تتجلى إلا فى جبهة القتال جعلتك مختلفا عنا وأسمى منا ، إننا لا نستطيع أن نفهمك .

ثم تطلب إليه أن يرفعها إلى مرتبته وأن يسمو بها إلى درجة البطولة ، أن يرفعها إلى تلك السماء التى تخضبت بدم الشرف الحربى فيقول لها : — إن من يطلب ذلك بهذه اللهجة فلا شك إنه يحصل عليه .

— كلا .

— إنك أنت تلك البطلة التى ترغبين فيها .

ثم يطمئنها بعد ذلك ويخبرها أن الحرب قد وضعت أوزارها وأنها لن يندلع لهيبها بعد . ويتجاذبان أطراف حديث قصير . ثم يهبط الستار وهما يضحكان .

فإذا كان الفصل الثانى فنحن فى غرفة العرس التى قضى فيها العروسان ليلتهما . وهما يتحدثان عن تلك الليلة فنفهم أن « أود » قد وهبت خطيبها الجندى أعز ما تملك الفتاة العذراء ! وهى تذكر له أن هناك أشياء كثيرة لا يزالان يجهلانها ومن بينها ماهو فى منتهى البساطة . وهى تعطى مثلا على ذلك أنها لم تره من قبل ، ذلك أنها لم تره قط وهو مغمض العينين . ولذا تطلب إليه أن يغمض عينيه ، فيفعل . ثم يخبرها أنه قد فهم ماتريده من وراء ذلك فإن عينيه المغمضتين تذكرانها بموته ! فتنكر ذلك فى ضعف . ولكنها تعود فتسأله ثانية عما إذا كانت الحرب قد انتهت حقا كما كان قد أخبرها . وتلح فى سؤالها إلحاحاً شديداً وعندئذ يصارحها بأن الحرب لم تنته وبأنه لا يزال أمام النصر النهائى مدة طويلة ؛ وهى تذعر من هذا النبأ وتلومه على أنه أطاعها وصارحها بالحقيقة ، وتخبره بأنه ما كان يجب أن يعبأ بإلحاح امرأة مفتونة ! وهو يلحظ مبلغ وقع النبأ عليها . وكيف أنها أحست بشبه خيبة فى حبها له . فسوف تضطر مرة أخرى إلى انتظار مدة طويلة وهى تتوسل إليه أن يبقى إلى جانبها ولكنه يجيبها أنه وحده دون باقى زملائه فى الثكنة قد استطاع الحصول على أجازة . وأن قائده قد اشترط عليه وجوب العودة بمجرد استدعائه . وها هو قد استدعى . ولا بد أن يكون الجيش فى خطر . فقد أخبره قائده أنه لن يستدعيه إلا إذا كان هناك خطر داهم . وهو بناء على معلوماته وبعد ورود تلك البرقية أصبح يوقن بأن المعركة الفاصلة ستدور رحاها يوم الأحد القادم ، ولذا يجب الرحيل عند الفجر . وهو ينتقل بعد ذلك فيلق كلامه كما لو كان ينطق بلسان كل جنود الجيش الفرنسى . فيذكر لها كيف يجب

أولئك الجنود نساء فرنسا . وكيف يموتون وهم يذكرونهن ويتمثلون ابتساماتهن الساحرة . وتتملكه فجأة نوبة يأس وأسى فيخبرها أن هذه الحرب لا تعدو أن تكون كسابقاتها من الحروب ، لا تكاد تضع أوزارها حتى يكتفى الشعب بأن يلبس الحداد فى استهتار وعدم اكتراث مدة ما . وتلقى بعض الخطب بجانب التماثيل القامة للشهداء . ثم سرعان ماينسى كل شيء ويعود الجميع إلى السرور والمرح واللهو والعبث . وهو لايغار من السعادة التى سوف يفوز بها الذين سيبقون بعد موت أولئك الشهداء ، فهو يعلم أنه يفنى حياته لكى يمهد السعادة للباقين ولكنه يرجو على الأقل أن تحتفظ فرنسا بذكريات أولئك الشهداء ، وهو يربأ بذلك التمثال الذى شادوه من حطام آلامهم وأحزانهم أن يدفن فى رمال الأجيال والقرون ، وهو يرى أنه يجب على فرنسا أن تستمر على معرفتهم وأن ترثى لهم وتترحم عليهم ! وتنصت « أود » إلى قوله فى صمت ثم تؤكد له أن الأموات من جنود الوطن يسمعونه ، فيناديهم بأسمائهم ، ويخبرها أنه قد تبين أصواتهم فقد أجابوه وقالوا له جميعاً : « كونا سعيدين » .

ثم تطلب إليه أن يدنو منها وهى تقول له فى لهجة شعرية رائعة أخاذة .

— دع شفتى حتى أستطيع أن أحدثك ... ضع فك بقربهما تماما . لا . اعطنى إياه . آه كم كنت أود أن أتمكن من إعطائك قبلاتى وكلماتى فى آن واحد ! أغمض عينيك كما أغمضهما أنا . أطفىء هذا الضوء الشرير ( يطفىء المصباح وعندئذ تظهر على زجاج النافذة بشائر الفجر ، الفجر الفظيع الرهيب الذى تحدد لرحيل الجندى العاشق . ولكنهما لا يزالان مغمضين عيونهما فلا يرياه ) إننى إذ أكون لك أنسى العالم . خذ منى كل ما فى من شباب . إننى أعطيك إياه . إنه لك . لك وحدك . لك دائما وإلى الأبد . أنت وحدك الذى سوف يعرف حرارة جسدى ، إننى أذوب فى حياتك . ثم تتذكر الفجر فتفتح عينيها وتقول وهى مضطربة : أنظر . ! لا تنظر . ! إنه هو . كلا . إنه ليس هو . قل إنه ليس هو . إنه ليس هو الفجر ! فيقف ويحييها فى جرأة وإقدام : إنه الفجر .

فتمسك به وهو على حافة الفراش وتقول : ليس هذا هو الفجر ، لا شك أنه هو !

ويتأثر الجندى الشاب لذلك الحنان العجيب الذى تظهره « اود » فيذهب إلى النافذة ويسدل عليها الستائر . وهو يقول :

إنه ليس الفجر ما دمت تريدين ذلك

— وماذا تساوى إرادتى ؟

ما دمت هنا فهى التى تسود العالم

— إذن فلا تسافر

— حسن . سأبقى

ثم يطلب اليها أن تنام لتستريح فتبدى له خوفها من أن يغادر المنزل وهى نائمة . فيؤكد لها أنه سيبقى . وتشعر أنها جد سعيدة إذ تراه بجانبها يتحدث اليها وهى فى الفراش . فهذا أبدع من سماع الموسيقى . فالموسيقى تدلل الجسد ، أما الحديث فهو وحده الذى يدلل الروح . وتلتمس منه أن يقسم لها بأنه لن يتركها فيقسم وعندئذ تتمتم : إننى سعيدة

وتنقضى فترة ثم يسألها : أتنامين ؟

( تجيبه هامسة : « اجل » فيذهب الى النافذة ويزيح الستار . ثم يرى « اود » نائمة فتخونه شجاعته ويذرع الغرفة ذهابا وإيابا فى تهيج واضطراب ويلمس فمها بأصبعه ليتأكد من نومها وهو يتمتم ) :

— « أتنامين ؟ »

فاذا وثق من أنها نائمة وضع رأسه على المائدة وأخفاه ثم أخذ يبكى وقد بدا ضوء المصباح يغمر الغرفة وهو يحاول جهد طاقته ألا يوقظ اود .. ويبكى ويبكى ... مع أنه لم يكن يعرف البكاء من قبل!

فاذا كان الفصل الثالث ، فنحن فى غرفة أخرى من غرف المنزل اجتمع فيها الأب الشيخ بابنه الجندى وخطيبته أود . وأنت تفهم منذ بداءة الفصل أن الجندى قد عدل عن الوعد الذى قطعه على نفسه أمام خطيبته ، واعتزم الرحيل من جديد والعودة إلى ساحة القتال . وهو يذكر ذلك لوالده ويلفت نظره فى سخرية إلى أن هذا الرحيل سوف يتيح له — أى للأب الشيخ — الفرصة للاستمتاع بذلك النظام اليومى الذى اعتاده فى حياته مع « أود » . سوف يعود إلى تلقى قبلتها فى المساء قبل أن تذهب إلى فراشها ، وإلى سماع صرير المفتاح فى باب غرفتها ، وإلى التلذذ بالسكون الفاتر يسود جو المنزل . وأنت تحس بأن الشيخ يحوم حول معرفة ما فعله الشابان فى الليلة الماضية ، وهو يرغب فى معرفة ذلك ، فهو يذكر أنه لم يرضوا فى غرفتهما عند ما أغلق نافذته فى منتصف الساعة الرابعة ويتساءل عن سبب ذلك وهو يستشف من خلال

إجابتهما ما يثيره ويستفزه ، فهو يهاجم ابنه إذ اجترأ على تلويث فتاة عذراء كانت تحت حمايته هو ! وأنت تحس من طريقة إلقاء ذلك الشيخ ولهجته أنه يغار من ابنه غيرة لا يكاد هو نفسه يشعر بها ، فهي غيرة تشتعل فى عقله الباطن ، ويتجاهل أن تلك الفتاة إنما هى خطيبة ابنه وحليلته ، وهو لا يستطيع أن يضبط غيرته من الشباب الذى يتمثل فى ابنه وخطيبته . ويشعر الإبن الجندى بذلك ويجابه أباه به ، وينكر أن للأبوة حقاً فى أن تتعرض لمثل ما تعرض له أبوه . فلا يمكن أن يحكم على تصرفات جندى إلا من عرض حياته للفناء فى ساحة القتال ، ويثور الإبن فيصارح أباه بأنه إنما ينتقده لأنه لا يريد أن يحرم من التمتع بذلك النظام الذى اعتاده فى حياته مع « أود » أثناء غيبته فى الحرب ، ثم يقول بمنتهى الصراحة : « إنه مما يضايقك أن أظل حياً ! وبدهش الأب الشيخ لذلك ، ولكن الإبن الجندى يعلل هذا بما سبق من أن أباه يغار منه دون أن يشعر بتلك الغيرة ، وهو يحس الآن بأن غيرته قد جرحت بعد الذى علمه مما دار بين الخطيبين فى الليلة الماضية » . ويثور الإبن على شيوخ العالم ويقول : « إن الشبان قد اختفوا فى هذه الحرب وعاد الشيوخ إلى احتلال مكانتهم كرجال وشبان من جديد . ويتهم والده بأنه يكرهه . وهنا تطلع « اود » والد خطيبها على ما ذكره لها خطيبها من أن الحرب ستطول وأنه أخفى عليهما ذلك . ويدهش الأب لهذا ، وتخشى « اود » أن يموت خطيبها فى تلك الحرب ! وعندئذ يقول الجندى لها :

إذا مت فانى أمانع فى بقائك هنا — ثم يبدى رغبته فى أن يصطحبها معه إلى باريس ، فتمانع فى ذلك ، ويظن الأب الشيخ أنها تمانع من أجله فيشكرها . ويلح الجندى فى ذلك ويطلب اليها أن تختار بينه وبين أبيه ؛ ويدور بينها وبين الشيخ هذا الحوار العجيب !

هى — سيرحل ؟

الشيخ — هل طرده أحد !

هى — سيذهب ؟

الشيخ — ليذهب

هى — سيعود إلى وطيس المعركة

الشيخ — فليؤد واجبه

هى — إنه يواجه الموت

الشيخ — يتوهمون ذلك دائما !

وفى تلك الأثناء تكون أود بجانب الشيخ فيظهر عليها الاشمئزاز منه وتتراجع وهى تنظر اليه فى احتقار وازدراء وتقول فى صوت قوى : إنك ترعبنى ! فيصيح الشيخ : « اود ! »

ولكنها تلتفت إلى الجندى وتقول : « خذنى ! » وتصارح الشيخ بأنها تشمئز منه وأنها لا تريد البقاء . وتؤكد لخطيبها أنها لم تفكر فى أحد غيره . وأنها له وحده . تفخر وتزهى بأنها زوجته أو بأنه جعلها زوجته ! ويسألها الشيخ عما إذا كانت لم تشعر بحبه لها أو بحبها له . ولكنه ينتبه إلى وجوب التزام الوقار والحكمة ! وتلتفت إلى خطيبها فتعاهده بأنه إذا مات مستشهداً فى ساحة القتال فسوف لا تعرف فى الحياة بعده إلا ذكراه ... وينصح لها الشيخ ألا ترتبط بمثل ذلك التعهد فتسخر منه وتكرر قسمها بأنها سوف تقنع بذكرى خطيبها إلى أن تلحق به ... فإذا عاد الشيخ إلى نصحها غالت فى قسمها وعاهدت خطيبها على أنه إذا مات فستلحق به . ثم يشتد بها الضجر من الجو الذى يحيطها فتطلب أن يأخذها معه فيتوسل الشيخ إلى ابنه قائلا: اتركها لى. وعندئذ تلتفت اليه وتقول : أتوجه اليه الكلام!

الشيخ للجندى — قل لها أن تبقى . وتسخر منه اود فيعترف بأنه وهب قلبه لها للمرة الأولى فى حياته . فتنبهه إلى أنه يجب أن يهبه لابنه وحده . ثم تسأله: هل تعرف شيئا عن الحرب؟

الشيخ — أعرف اليوم للمرة الأولى . ثم يعترف بأنه لا يمكن لامرىء معرفة الحرب إلا بعد أن تدميه وتمزق قلبه . وها هو يشعر بقلبه يتمزق ! وعندئذ تشير إلى الجندى قائلة : إذن أنظر اليه الآن !

الشيخ ( بذم ) — يا صغيرى المسكين !

وتطلب إليه أن يحييه ويستغفره فيتقدم الشيخ إلى ابنه ويسأله الصفح وهو يقول : إن البطولة أيها الشبان من حقكم الطبيعى . إننى أتوسل إليك أن تعفو عما ارتكبته من حطة وضعة. لا أطلب شيئا آخر ... سافرا ... انسيانى . (لابنه) ولكن لا تسافر قبل أن تقول لى أنك عفوت عنى .فها أنا ذا والدك أجثو تحت قدميك . عفوك . فيتأثر الإبن الجندى ويعفو عن أبيه ثم يقول : إنه لشىء جميل أن يكون رجل هرم مثلك بهذا الحنان . لا تأسف على ما شعرت به من الألم . فاذا تألم الشيخ أصبح شابا. لا وسيلة غير الألم لكى تقترب منا نحن الشبان .

وهذا هو فى الواقع محور القصة كلها ، فقد وفق المؤلف

توفيقاً تاماً إلى الغرض الذى يرمى إليه . إذ كان واجب الإبن الجندى أن يرفع خطيبته ووالده إلى مستوى البطولة ، وأن يسمو بهما إلى المثل العليا النبيلة التى وصل إليها حماة الوطن من جنود الجيش الفرنسى أثناء الحرب ... وها هما قد ارتفعا وسمت نفساهما إلى السماء ... وهـا هو الإبن يعرض على « أود » أن تبقى مع والده بعد أن صفح عنه ، فيأبى الوالد هذه المرة ويرفض . ولـكن الإبن يلح فيقبل الشيخ فى خجل وحياء أن يحمى زوجة ابنه . ويلتفت الجندى إلى خطيبته فيطلب إليها ألا تنفذ ما قالته له من أنها ستلحق به إذا مات فى ساحة القتال فهو لا يريد ذلك . بل هو يتوسل إليها أن تبحث لها بعده عن شاب يكون قد خاض غمار الحرب وأدى واجبه القومى . ويجب عليها ألا تترفع عن حبه إذا بادلها هو الحب . فإذا وصلت شخصيات القصة الثلاث إلى هذا الحد من السمو والتطهر اقتربت اود من خطيبها وهى تقول : أحبك ... ويقول الوالد لابنه فى صوت قوى : إبق حيا .

ويظهر الإبن الرضى والاطمئنان ويتقدم إلى الباب وهو يقول : حسن .

وتنتهى القصة هكذا .

الشيخ — عد إلينا ناجيا

هى — أحبك

الشيخ — إننى فى حاجة إلى يدك لـكى تنمض عينى .

هى — أحبك

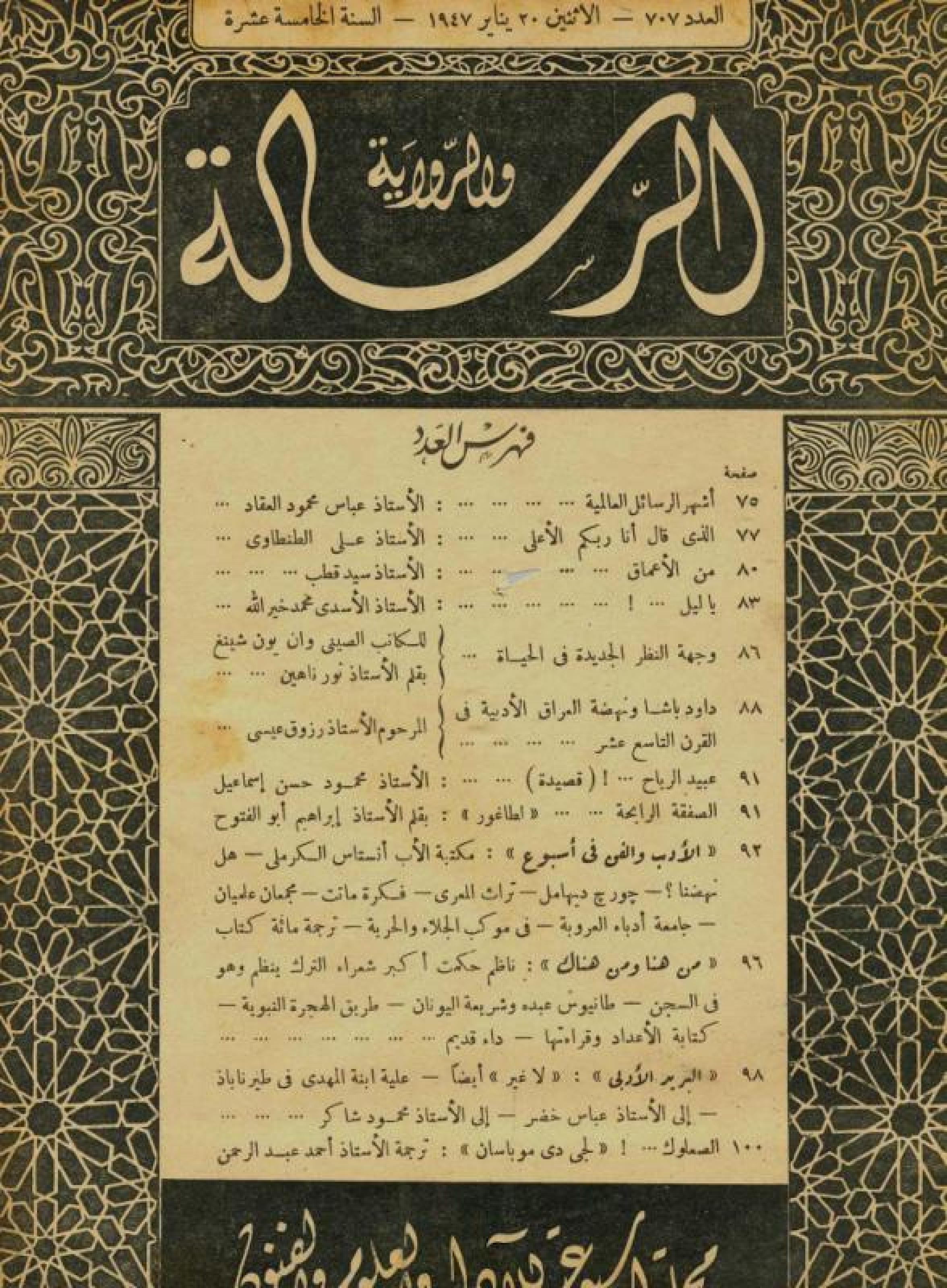
ويكون الجندى إذ ذاك قد بلغ الباب فيلتفت إليهما ويقول فى لهجة مفعمة بالحب : كونا سعيدين !

ثم يختفى ويسمع صوت الباب الخارجى وهو يغلق ثم صوت العربة وهى تبتعد . وتظهر علامات الأسى على « اود » فتسقط على أحد المقاعد ويشترك الشيخ والشابة فى البكاء والأنين !

( البصرة ) سهيل



مطبعة الرسالة



العدد ٧٠٧ — الاثنين ٢٠ يناير ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

# الرسالة والرواية

## فهرس العدد


صفحة

٧٥ أشهر الرسائل العالمية ... ... ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...

٧٧ الذى قال أنا ربكم الأعلى ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ...

٨٠ من الأعماق ... ... ... ... : الأستاذ سيد قطب ... ...

٨٣ يا ليل ... ! ... ... ... : الأستاذ الأسدى محمد خير الله ...

٨٦ وجهة النظر الجديدة فى الحياة ... { للكاتب الصينى وان يون شينغ / بقلم الأستاذ نور زاهين ... ...

٨٨ داود باشا ونهضة العراق الأدبية فى القرن التاسع عشر ... ... ... { المرحوم الأستاذ رزوق عيسى ...

٩١ عبيد الرياح ... ! ( قصيدة ) ... ... : الأستاذ محمود حسن إسماعيل

٩١ الصفقة الرابحة ... ... « لطاغور » : بقلم الأستاذ إبراهيم أبو الفتوح

٩٢ « الأدب والفن فى أسبوع » : مكتبة الأب أنستاس الكرملى — هل نهضنا ؟ — جورج ديهامل — تراث المعرى — فكرة ماتت — مهرجان عليان — جامعة أدباء العروبة — فى موكب الجلاء والحرية — ترجمة مائة كتاب

٩٦ « من هنا ومن هناك » : ناظم حكمت أكبر شعراء الترك ينظم وهو فى السجن — طانيوس عبده وشريعة اليونان — طريق الهجرة النبوية — كتابة الأعداد وقراءتها — داء قديم ... ... ... ... ... ...

٩٨ « البريد الأدبى » : « لا غير » أيضاً — علية ابنة المهدى فى طيرناباذ — إلى الأستاذ عباس خضر — إلى الأستاذ محمود شاكر ... ... ...

١٠٠ الصعلوك ... ! « لجى دى موباسان » : ترجمة الأستاذ أحمد عبد الرحمن


مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٠٧ — الاثنين ٢٠ يناير ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة




فهرس العدد


صفحة

٧٥ أشهر الرسائل العالمية ... ... ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...

٧٧ الذى قال أنا ربكم الأعلى ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ...

٨٠ من الأعماق ... ... ... ... ... : الأستاذ سيد قطب ... ... ...

٨٣ يا ليل ... ! ... ... ... ... ... : الأستاذ الأسدى محمد خير الله ...

٨٦ وجهة النظر الجديدة فى الحياة ... { للكاتب الصينى وان يون شينغ بقلم الأستاذ نور ناهين ... ...

٨٨ داود باشا ونهضة العراق الأدبية فى القرن التاسع عشر ... ... ... { المرحوم الأستاذ رزوق عيسى ...

٩١ عبيد الرباح ... ! (قصيدة) ... ... : الأستاذ محمود حسن إسماعيل

٩١ الصفقة الرابحة ... ... « لطاغور » : بقلم الأستاذ إبراهيم أبو الفتوح

٩٢ « **الأدب والفن فى أسبوع** » : مكتبة الأب أنستاس الكرملى — هل نهضنا ؟ — جورج ديهامل — تراث المعرى — فكرة ماتت — مجمان علميان — جامعة أدباء العروبة — فى موكب الجلاء والحرية — ترجمة مائة كتاب

٩٦ « **من هنا ومن هناك** » : ناظم حكمت أكبر شعراء الترك ينظم وهو فى السجن — طانيوس عبده وشريعة اليونان — طريق الهجرة النبوية — كتابة الأعداد وقراءتها ... — داء قديم ... ... ... ... ... ... ...

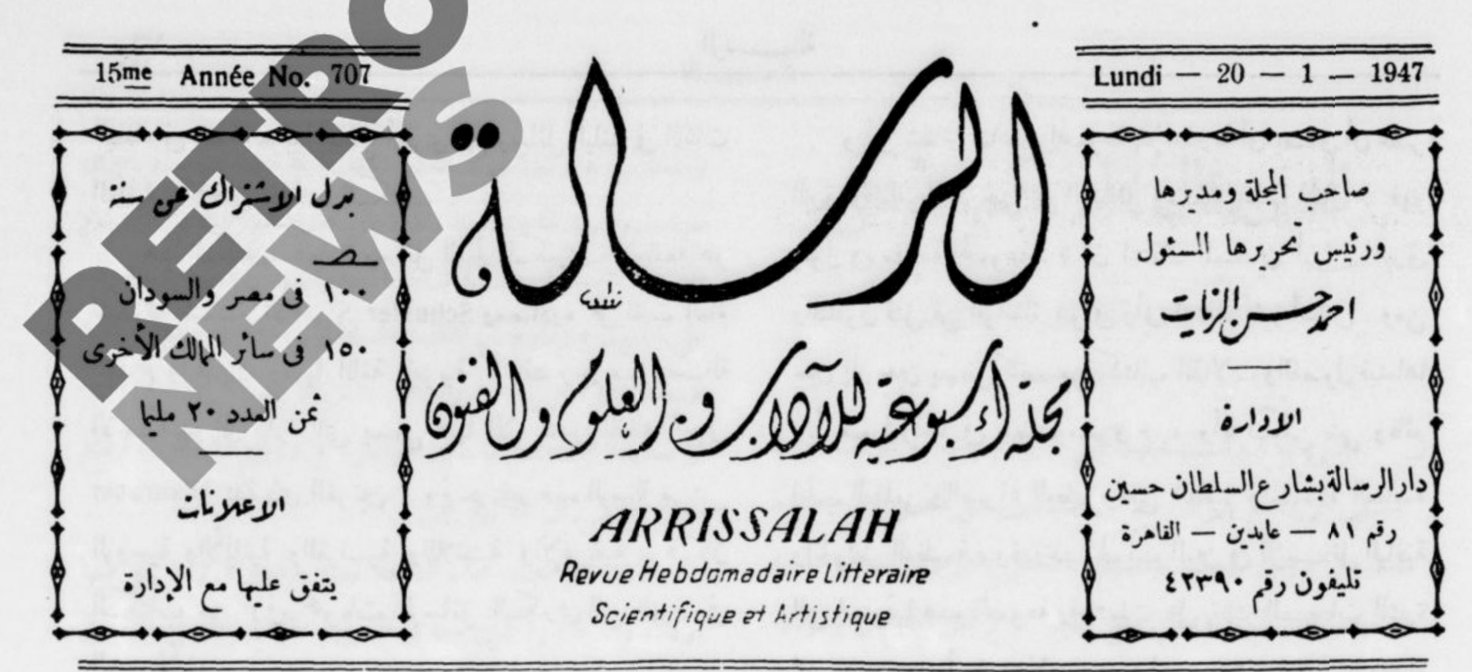
٩٨ « **البريد الأدبى** » : « لا غير » أيضاً — علية ابنة المهدى فى طيرناباذ — إلى الأستاذ عباس خضر — إلى الأستاذ محمود شاكر ... ... ...

١٠٠ الصعلوك ... ! « لجى دى موباسان » : ترجمة الأستاذ أحمد عبد الرحمن


٢٨٠٦

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون






15me Année No. 707 — Lundi — 20 — 1 — 1947

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٠٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٧ صفر سنة ١٣٦٦ — ٢٠ يناير سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة


# أشهر الرسائل العالمية

للأســــتاذ عباس محمود العقاد

كلمة الرسالة من الكلمات التى يستشهد بها على تطور الكلمات فى معانيها ودلالاتها على حسب أحوال الزمن ومناسباته ، فالرسالة مكتوب يرسل من إنسان إلى إنسان ، والرسالة دعوة دينية يؤديها رسول من الله ، والرسالة مهمة من مهام الإصلاح والإرشاد ، والرسالة فى المصطلح الحديث كتاب صغير فى بحث وجيز ، والرسالة اسم هذه المجلة التى تجمع بين هذه الدلالات ما عدا الرسالة السماوية التى يختص بها الرسل من الأنبياء .

وربما كان أصل الكلمة كلها من مادة « الرسل » بمعنى اللبن إذ يفيض سهلا من الأثداء ، ثم استعملت للخصب والسهولة والانطلاق الرخى الذى لا تعويق فيه ، ثم كان إرسال الشىء عامة هو نقله من مكان إلى مكان فى رفق ولين . ثم كان الإرسال لكل تحريك رقيق أو عنيف ورخى أو شديد .

وهكذا تتطور الكلمات فى اللغة العربية وتبقى أصولها كما تبقى معانيها المجازية وهى تتحول مع الزمان وتحولنا معها وإن أبينا عليها التحويل .

***

والرسائل التى نعنيها فى هذا المقال هى المكاتيب بين الآحاد وهى أيضاً قد تحولت مع الزمن وتطورت مع مستحدثاته السابقة واللاحقة ، ومنها تعميم الكتابة وتنظيم البريد وشيوع المطبعة على التخصيص.

فانتشار التعليم مع انتظام البريد قد جعل الرسالة كثيرة الأغراض يكتبها العامى الجاهل كما يكتبها الأديب المطلع ، وتكتب فى الشئون اليومية كما تكتب فى الشئون الإنسانية الباقية . فليست كتابتها اليوم موضع احتفاء وتنميق كما كانت يوم كان كتابها جميعاً من العلماء والأدباء . وكانت — لصعوبة انتظام البريد — تدخر للموضوعات النادرة والأساليب الأدبية أو الأساليب التى تلاحظ فى مخاطبات الدول والرؤساء .

وشيوع المطبعة قد جعل الطبع وسيلة لنشر المؤلفات العلمية والمصنفات الأدبية . فأصبحت الرسالة الخصوصية كالملابس الخصوصية فى قلة الاحتفاء والعناية ، وكادت العناية أن تقصر على الموضوعات التى تذاع وتشاع ، خلافا لما كان فى عصور الأمية ونقل الكتب بالأيدى فى نسخ معدودات .

فأقل ما يقال عن تطور الرسالة مع الزمن أنها لم تتقدم فى عصر المطبعة والبريد ، وأنها أصبحت من الموضوعات التى لا تخص بالتجويد والتحسين ، وقد تخص بالعجلة وقلة الاكتراث .

وهذا سبب من أسباب الحرص على هذا التراث الذى يستحق الاحياء والاستبقاء ، ولعلنا نحييه ونحبب العناية به إلى كتابه إذا أعدنا ذخائره القديمة إلى الذيوع والتداول ، وأضفنا إلى رسائل

البلغاء فى اللغة العربية نماذج أخرى من رسائل البلغاء فى اللغات العالمية ، كما فعل صاحب الـكتاب .

هذا الـكتاب هو « رسائل العالم الـكبرى » وجامعه هو لنكولن شستر الأمريكي Schuster ومصادره هى لغات العالم القديم والحديث ومنها اللغة العربية . فقد ترجم منها رسالة الاسكندر إلى دارا التى يسمى فيها الاسكندر بلفظه العربى Zu Ulkurnain ذى القرنين ، وترجم غير هذه الرسالة من الروسية والألمانية والفرنسية واللاتينية والإغريقية . فـكان الـكتاب من أوفى مجموعات الرسائل الـكبرى التى ظهرت فى العهد الأخير .

ومن أصحاب الرسائل المجموعة رجال من أعظم أعلام التاريخ فى العلم والفن والحرب والسياسة . نذكر منهم كولمبس وباكون وفولتير وواشنطون ونابليون وروبسبير وهكسلى الـكبير وبيتهوفن وبيرون ودستيفسكى ونيتشة ولنكولن وزولا ومارك توين وعشرات من هذه الطبقة فى العصور القديمة والحديثة ، يفرغون قلوبهم فى ودائع أدبية لم يقدروا لها — أو لأكثرها — أن تصل إلى أيدى القراء ، ويسرون فيها أحيانا غير ما يعلنون من الوساوس والآراء .

وفى المجموعة رسائل لأناس لم يشتهروا فى الشرق كما اشتهر الذين ذكرناهم فيما تقدم ، ولـكن رسائلهم فى الغرب ذخيرة من أنفس ذخائرهم المروية بين الأدباء والأديبات ، ومن هـذا القبيل رسـائل أبيلاب الفيلسوف الـكاهن وهلواز الفاتنة المترهبة ، وقصة حبها الفاجع كأغرب القصص التى تروى عن عشاق العرب المشهورين .

توفر على ترجمة نخبة من هذه الرسائل إلى اللغة العربية أديب قدير فى النقل من الإنجليزية إلى العربية ومن العربية إلى الإنجليزية ، وهو الأستاذ محمد بدران ، وأصدر الجزء الأول منها فى أكثر من مائتين وأربعين صفحة من القطع الـكبير ، وسماه أشهر الرسائل العالمية ، وأجاد النقل فى لغة سهلة صحيحة دقيقة التعبير . فهيأ لقراء العربية مادة من القراءة الممتعة النافعة لم تتهيأ لهم قبل هذا الـكتاب ، وأعطاهم فى كل رسالة من هذه الرسائل التى بلغت خمسا وستين زادا للفـكر والعاطفة يفعم القلب والخيال

ويأبى شستر صاحب المجموعة الإنجليزية أن يصدق أن عصر البرق والتلفون قد جنى على الرسائل وضـيق عليها المجال . فهو يقول فى مقدمة المجموعة : « إن اعتقاد المعتقدين أن البرق والتلفون قتل فن المراسلة هو فى رأيى اعتقاد بغير أساس . ومن حين إلى حين ينهض كاتب من كتاب المقالات والفصول فينعاها ويأسف لزوالها فى غضب مشروع ، وأنه لـكمن ينمى وقائع الحب العظمى والصراع العظيم والفن العظيم والمأساة العظيمة والخواطر العظيمة ، وقد نجد الجواب المبين فى الرسـائل الباقية التى احتوتها هذه المجموعة واشتملت على تلك الصيحات المثيرة التى بدرت من أميل زولا وروبرت لويس ستفنسون ومدام كورى وبارتوليو فانزيتى ولورنس وكونراد وتروتسكى وتوماس مان . وغيرهم من المعاصرين الذين انتخبنا لهم بعض الرسائل فى هذه المجموعة .. »

وعندنا أن هذا الإشفاق من الرجل المشغوف بفن المراسلة هو ضرب من إشفاق الوالدين على الأبناء .

فـكل فنان متعلق بفنه يأبى أن يسمع نعيه أو يترقب زواله ، وكل والد يحب وليده يأبى أن ييأس من حياته ولو أنذره باليأس منه أقدر الأطباء .

ومثل هذا الشغف معقول ومقبول ، ولـكنه لا ينفى الحقيقة التى تدل عليها عبارة المؤلف هذه وهو يسوقها لنفسـه وللقراء مساق الطمأنة والتبشير . فلو قيس ما كان ينبغى أن يكتب فى العصر الحديث من رسائل الأدباء إلى ما كتب فعلا واختاره فى المجموعة لظهر أن الواقع لا يتجاوز معشار المطلوب أو المأمول . فإن العصر الحديث يخرج لنا من الأدباء فى كل قطر ما يربى عدده فى الجيل الواحد على عدد أمثالهم فى جميع العصور اليونانية واللاتينية ، وهم مع هـذا لم يكتبوا جميعا مثل ما كتبه الأدباء الأقدمون أو ما كتبه معاصروهم من العظماء والرؤساء .

فلا شك فى جناية البرق والتلفون والبريد والمطبعة ومقابلات المسارح ودور الصـور المتحركة على تبادل الرسائل البليغة ومساجلات العاطفة والفـكر بين أبناء البلد الواحد فضلا عن البلاد القصية ، ولـكن الأمل فى دوام هذا الفن منوط بكثرة الـكاتبين وإن قل نصيبهم من الـكتابة . فإن ألفا يكتب عشرهم

# الذى قال أنا ربكم الأعلى

للأســـتاذ على الطنطاوى

لبس ثيابه واسـتعد ولـكن الباب لم يفتح ، فوقف وراءه يصغى فلم يسمع صوتا ، فضاق صـدره حتى أحس كأن مرارته ستنشق ، وأن أعصابه ستتمزق ، فجعل يدور فى الغرفة وساعته فى يده ينظر إليها ، حتى فتح الباب ، وأقبل الحراس ليقودوه إلى المحـكمة ...

وكان يرقب هذه الساعة ويعد لها الدقائق والثوانى ، لا حباً بالمحـكمة ورغبة فيها ، بل هربا من الوحدة وخوفا من لياليها ، فقد كان يمر عليه الليل طويلا ثقيلا ، وهو وحيد فى حجيرته (زنزانته) لا رفيق له إلا ذكرياته وأفـكاره ، ولا مسرح لنظره إلا هذه الغرفة الضيقة ، يحدق فى جدرانها التى يسيل عليها هذا الضوء الأصفر الشاحب ، ويوهمه طول تحديقه فيه أنه يرتجف ويضطرب ، وتتراءى له ظلال غامضـة لا تلبث أن تضح فيرى فيها صورة مشنقة منصوبة ، فيغمض عينيه عنها ويحاول أن ينام فتلاحقه هذه الصور وتزداد بشاعة وهولا... فيحس أنه مشرف على الجنون ، ويقوم إلى الباب يشـده ويعالجه حتى تكل يداه ، فيسقط إعياء ويأساً ... ولم يكن يتمنى إلا إنسانا يحدثه ، عدواً أو صديقاً يجد عنده صـدى خواطره ، ورجع أفـكاره ، ليقنع نفسه أنه لا يزال عاقلا لم يجن !

لذلك كان يجـد هذه الساعة نعمة سابغة ، لأنه يلقى فيها أولاده وصحبه ، راكبين معه فى السيارة مقيدين مثله بالسلاسـل والأغلال الثقال ، ولـكن ألسنتهم طليقة فهو يستطيع أن يكلمهم ويكلموه ، وهو يلمس من خضـوعهم له وإ كبارهم إياه ما يثلج صدره ، ويعيد له ثقته بنفسه وأنه لا يزال (ربا) معبوداً ، وإن قيد وسجن ، ولا يزال له عباد مخلصون ... لم تذهب المحنة سلطانه عليهم ، ألم تلق امرأة من أتباعه بنفسها تحت سيارة السجن لأنها لا تطيق أن ترى الرب ... أسيراً مغلولا ؟ ألم يشهد عليه واحد من عبيده غاضـاً بصره . فلما قال له الرئيس : أنظر فى وجهه .

---

وينقطع عن الـكتابة تسعة أعشارهم أوفر أثراً من عشرين أو ثلاثين يتبادلون الرسائل أجمعين ، ومن هنا يرجى دوام هذا الفن الجميل فى عصرنا الحديث على الرغم من مواعيد التليفون ومقابلات المسارح وقلة الا كتراث بالرسالة الخاصـة إلى جانب المطبوع والمنشور .

على أننا نحسب أن هذا الفن على جماله وإغوائه لا يستغنى عن التشجيع والاستبقاء ، وليس أدعى إلى استبقائه وإغراء القراء به من تزويدهم بالنماذج التى يلتذونها ويقبلون عليها ويستزيدون منها فقد يكون هـذا الإقبال مدعاة إلى المحاكاة أو إلى ابتداع فن للمراسلة لا يتوقف على مرسل ومرسـل إليه بل ينفرد به كاتب واحد يفتن فى الخطاب والجواب .

ولم يكن هذا التراسل المخترع بدعا فى العصـور الأولى وهى العصور التى ازدهرت فيها الرسالة ولم يكن لأصحابها غنى عنها بالبرق والتلفون . فقد حقق شميدلر Schmeidler الباحث الألمانى أن رسائل أبيلارو هلواز قد انفرد أبيلار بكتابتها كلها ولم تشاركه فيها هلواز على ما هو مشهور فى الآداب الأوربية ، وعرض برتراند رسـل لهذه الدعوى فى كلامه عن أبيلار فقال : « إننى لست من ذوى الاختصاص فى تمحيص هذه الدعوى ، ولـكنى أرى أنه ليس فى خلائق ابيلار المعهودة ما يمنع قبولها ويجعلها فى حكم المستحيل .

فإذا جاز هذا فيما مضى فهو أقرب إلى الجواز فى العصر الذى نحن فيه ، ولا شك أن صـدق الواقع أجدى فى كتابة الرسائل من صدق الفن أو صدق الإبداع . ولـكن صدق الفن لا بأس به على العلات إذا كان فيه تعويض لجناية البرق والتليفون على نوع جميل من الـكتابة يحيق به نذر الزوال

وليس أولى بتحقيق هذا الغرض المرجو من عمل كمعمـل الأستاذ بدران ، ولعل إقبال القراء على جزئه الأول يعجل بظهور الأجزاء التالية وإضافة النماذج الجديدة إلى النماذج القديمة ، من مصادر شتى تفتح له أبوابها معرفته الوافية بالإنجليزية ، وهى لا تخلو من أوسع المراجع فى هذا الموضوع .

عباس محمود العقاد

صاح : لا أستطيع ، لا أستطيع . ؟ ! فهل يسلمه هؤلاء ويدعونه يساق إلى الموت ؟ لا . واطمأن ووثق من النجاة ، ورأى الدنيا لا تزال على العهد بها ، فالشمس مشرقة ، والبلد يعج بأهله ، والناس يذهبون ويجيئون ، ويبيعون ويشترون ، ويضحكون ويمرحون ، وكان يخيل إليه فى وحدته أن الدنيا قد شملها الظلام الذى ملأ نفسه ، وأنها فقدت رواءها ، وغاضت منها بهجتها .

وسأل ولده : كم مضى من الشهر ؟ فلما أخبره نظر فرأى أنه قد مر على سجنه شهران شهران فقط وقد كان يحسبهما عمراً طويلا ؟ ! وجحظت عيناه دهشة وسبح بنظره فى الفضاء ، لقد انساه هذان الشهران حياته الماضية كلها ، ومحوا منها أيام الحرية والعز والربوبية ، فكأنه ولد سجيناً مقيداً ، لم يكن قط السيد الذى يطاع ، والرب الذى يعبد ، وكأنه لم يكن له شعب يعيش به وله ، ويبذل الروح فى سبيله . ولا يريد من الدنيا والآخرة إلا رضاه

وأيقظه من ذهوله صوت الجندى يدعوه إلى النزول من السيارة ، فقد بلغت المحكمة ، فرأى الناس مزدحمين لينظروا إليه ويتسلوا برؤيته ، وكان يعرف أكثرهم ويعرفونه ، فأغضى وامتلأت نفسه حنقاً على الحكومة لأنها جعلت محاكمته فى اللاذقية حيث قام عرش ربوبيته ليراه الناس ، ويعلموا مصيره ، ولم تجعلها فى دمشق المدينة الكبيرة التى لا يعرفه فيها إلا القليل ورأى الناس متلهفين على إشباع أبصارهم منه ، والشماتة به ، كأنهم فى رواية تمثل على المسرح ، يريدون أن يأخذوا بحظوظهم من التمتع بها ليعودوا إلى دورهم ، ويصلوا ما انقطع من أعمالهم ، الحلة هكذا : والرواية رهان على رأسه بين النائب العالم والمحامى أيهما أبلغ مقالا ، وأطول لساناً ، وأقدر على سرد مواد القانون . نعم سيعود الناس إلى دورهم ، إلا الرب ، فلن تبق له دار يعود إليها !

وكان فى جلسات المحاكمة الأولى ممتلئاً املاً ، واثقا بنفسه وبقيام شعبه بنصرته ، ولكنه سمع فى هذه الجلسة شهادات أتباعه عليه ، والوثائق تنهال على عاتقه كأنها ضربات معول صلد على جدار من اللبن ... تضيق عليه باب النجاة ، وتسد طريق الخلاص ، فتضعضع وأوشك أن يموت فى نفسه الأمل .

وسمع النائب العام يتكلم ، ويطلب له الموت ، ففكر أن يثب إلى عنقه ، فيضع يديه على رقبته فلا يرفعهما حتى يخنقه وليصنعوا بعد ذلك ما يريدون ، أيقدرون على أكثر من الموت ؟ وتصور الموت ففزع منه وخافه ، لا ، إنه لا يريد أن يموت ... وسمع محامى الدفاع يقول كلاما سخيفا ، فأعرض عنه ، وأبغضه ، وماذا يقول المحامى وهو نفسه لا يستطيع أن ينكر شيئا مما اتهم به ؟

ودنت ساعة الحكم .

***

تلى كلام طويل ، لم يستطع أن يتفهمه ، لأن ذهنه كان معلقا بكلمة واحدة ، هى التى تحدد مصيره ، قد حبس لها أنفاسه ، ووقف لها دقات قلبه ، وخال كل ثانية فى انتظارها دهراً ، فلما سمع هذه الكلمة خارت قواه ، ووهى عزمه ، وسقط على كرسيه لقد كانت هذه الكلمة : الإعدام[1] !

ورأى الناس يثبون إليه ، ويتدافعون ليحدقوا فى وجهه ، والمصورين يوجهون إليه آلاتهم ثم شعر كأنه انفصل عن هذه الدنيا ثم ابتعد عنها ، حتى رآها وهى تدور من حوله ، وقد تداخلت مشاهدها ، وخفيت معالمها ، ورأى الناس كأشباح تتحرك خلال ضباب الأوهام ، وأحس بالقيود توضع فى يديه ، وبأنه سيق إلى السيارة فألقى على مقعدها ، وسمع قهقهة كأنها صاعدة من جوف جب عميق ، ولفظاً فيه ذكر اسمه وذكر الشنقة . ثم أخذه الدوار ، ولم يعد يدرك شيئا .

ولما احتوته حجيرته أحس أنه انحطم وسحقت عظامه ، كأنما مشت عليه المسالف[2] ... لقد حكم عليه بالإعدام ... ولكن الليل قد انقضى وطلع الصباح ، ثم نزل الليل مرة ثانية ، وهو حى كما كان من قبل الحكم ، إلا أنه لم يعد يخرج إلى المحاكمة ، ولم يعد يرى أولاده ولا صحبه ، وكانت الأيام والساعات تمر به فارغة واسعة كأنها أبهاء قصر مهجور ، وقد كانت له أعمال يفكر فيها كما يفكر الناس فينسى بها مر الوقت وكر الزمان ، فأمسى وليس فى حياته إلا الانتظار ، وإذا كانت ساعة انتظار النعمة تبدو طويلة مملة ، فكيف بمن ينتظر الموت ؟ وكان يود لو يتحقق الأمل بالعفو الذى وعده به محاميه ، أو يعجل عليه بالموت

---

(١) لاعدام بهذا المعنى خطأ شائع

(٢) المسلفة هى ما يسمى للدحلة فى الشام ووابور الزلط فى مصر

ليستريح من هذا القلق الذى هو شر من الموت ، إذ كان يجهد خياله أبداً ليتصور ساعة الإعدام ، حتى ليحس كل لحظة شدة الحبل على عنقه ، وحرارة الرصاص فى صدره ، فكأنه كان يموت فى كل لحظة مرة .. وكان أشد ما يزعجه من الموت هذه الفضيحة ، وأن يراه ذليلا مهينا من كان يراه بالأمس سيداً وربا ، ولو جاءه الموت طبيعيا[1] كما يموت الناس لما آلمه هذا الألم ، أما أن يتحكم فيه بشر مثله ، وأن يملك نزع حياته من بين جنبيه وهو لا يملك منحها ولا ردها ، فذلك ما لم يستطع حمله ... وفكر فى العفو ، فرآه سهلا قريباً ، أنه فى يد رجل مثله مخلوق من لحم ودم ، لا يكلفه إلا أن يكتب بقلمه ثلاث كلمات فى ذيل العريضة التى قدمها محاميه ، فهل يضن بها ؟ وهل تهون حياته هذا الهوان حتى لا تساوى مشقة كتابة ثلاث كلمات ؟

وتنبه ضميره فذكر كيف كان يستهين هو بحياة الناس ، وذكر كم أزهق من أرواح ، وكم أهلك من نفوس ، وكيف كان يدع طعامه فيقتل الرجل ثم يعود ليتم طعامه كأنه لم يصنع شيئاً ، وكيف كان يقتل وهو يتحدث ثم يرجع إلى حديثه لا يقطعه ، لقد كان فيمن قتل أزواج عاشقون لهم نساء ، وآباء لهم أولاد ، وشباب لهم أمهات ، فما فكر فى نسائهم ولا أولادهم ولا أمهاتهم فهل يفكر أحد اليوم فى زوجاته وأولاده ؟

***

ومرت به الأصباح والعشايا وهو يرتقب وما من جديد وانحصرت حياته فى النوم والطعام والتفكير وما ينام وإنما يهده اليأس فيلقى بجنبه على الفراش يرى مروعات الأحلام ، وما يأكل وإنما يضعفه الجوع فيدس فى فمه لقيمات تقيه الموت ، وما يفكر وإنما يرى صور ماضيه ماثلات على جدار الغرفة ، فينظر إليها كما ينظر المرء إلى فيلم فى سينما .

فجعل ينظر إليه ...

رأى ( جوبة البرغال ) هذه القرية التى تتغلغل فى جبال العلويين حتى وجدت أقفر بقعة فيها وأوحشها وأبعدها عن العمران ، فى فجوة من الصخر ، يطيف بها جبل قائم فيطوقها من جهاتها الثلاث ، كأنه حصن حربى فلا يدع لها إلا بابا ضيقا يطل منه جبل آخر ، يمد إليه ( خشمه ) فينحدر إلى الفجوة حتى إذا توسطها اضطجع وتمدد ، فاستقرت الجوبة على عنق هذا الجبل النائم ، يحميها كتفه من هنا ومن هناك قلعات الصخر الراسيات من الجبل المستدير ، وذراه الشامخات الأعالى ، هذه هى عاصمة ملكه ، ومعقله ومثوى عرشه الربانى ... التى ظن أنها ستعصمه من جبابرة الأمس ومن عفاريت الجن ، ومن القنابل الطائرة والنازلة والذرية . . ثم تمده بالقوة والأيد حتى يقرأ منها على الدنيا ، مرة ثانية ، كتاب الذعر والخوف والاغتيال ، الذى كتبه من قبل فى هذه الجبال وهذه التلاع اتباع الحسن بن صباح وسنان شيخ الجبل ...

وتبدل المشهد وعاد به إلى الماضى ، إلى أول عهده بالدنيا يوم كان فتى غراً يرعى الأغنام فى هذى التلاع ، لا يحمل هما ، لأن الهم يحتاج إلى فكر ولم يكن له رأس يفكر ، ولا يطمع فى شىء إلا لقيمات تسد رمقه وتشد صلبه ؟ وفراشاً من القش يريح جنبه ألا ليت هاتيك الأيام قد دامت ، ودام الفقر والبؤس ، ولم يعرف طريق المجد الذى يوصل إلى المشنقة ، وذرفت من عينه دمعة ، فأسرع فمسحها وتلفت يخشى أن يراه أحد وهو يبكى ، وقد كان أشد شىء عليه أن يسخر منه اليوم عباده بالأمس ، فلم ير أحداً فاطمأن وعاد يستعرض ( فلم ) حياته على مهل ، فرأى أول فصل فى كتاب مجده ، وأول صفحة من شعر بؤسه ...

وكان ذلك فى يوم بارد من أيام الشتاء ، أقفرت فيه الأودية وسدت المسالك ، وبدت الدنيا كلها فى ملاءة بيضاء من الثلج ، ورجع الرعاة إلى القرية ، وعكف الناس على البيوت ، وهبط فيه القرية شيخ علوى ذكى مشعبذ ، فمر به فرآه مغمى عليه ، وكان به داء الصرع .. فصحاه وأخذه معه ، فعلمه فنون الشعوذة ، وأقنعه أنه المهدى المنتظر ، وطفق يمخرق به على العامة من أهل الجبل ، وأهل الجبل كلهم من العامة ، وهم أجهل من الأنعام ، وأوحش من الوحوش ، يكفرون بالله ويؤمنون بالمهدى ، وينكرون الوحدانية ويقولون بالتقمص ، ويتسلون بالقتل ، ويدينون بالنهب ، ويتبعون شريعة الذئاب ، فسرعان ما آمنوا به وصدقوه والتفوا حوله ، وكان ذلك سنة ١٩٣٣ .

ويتغير المشهد فيراه وقد قبض عليه وعلى شيخه وحوكما وسجنا ، ثم نفيا من الأرض ... ثم يعود وكله حنق على الشيخ

(١) طبيعيا لا طبعيا كما يقال فى هذه الأيام .

# من الأعماق

للاستاذ سيد قطب

— ١ —

هأنذا هارب من الدار ، يا توت[١] ، لأبعد عن مواقع خطاك ، وأهرب من رؤى مصرعك ؛ ولكن كيف أهرب من نفسي ؟ الصور ، والخيالات ، والمشاعر المكنونة ، والرؤى الحية …

أولئك أعدائى … وهم معى بين جنبى يا توت — وأنت معنا !

رصاصة صماء ، ويد بلا قلب … وتنطفىء الشعلة ، ويطوى سفر ، وينطوى عالم … وبأيسر من هذا تم تلك النقلة التى تدير الرءوس هولا . والأحياء مع ذلك تعيش ، وترجو ، وتأمل … ألا ما أقسى السخرية البلهاء !

كلب !

ما أيسر ما تلوكها الألسن ، وما أهون ما تتلقاها المدارك ، وما أقل ما تحفل بها المشاعر ! ولكن حين يستحيل هذا اللفظ إلى عشرات من الصور والذكريات ، وعشرات من الرؤى والطيوف ، وعشرات من الاهتمامات الوجدانية والمشاعر الحية . هنا يستحيل كل حرف فيها وكل صوت من مقاطعها ، إلى أفاعى مسمومة تنهش القلب ، وتجرح الضمير ، وتقتات من دماء الأحياء دماء ! ويحى ! ما الذى دس هذه اللفظة فى تعبيرى الآن ؟ دماؤك أنت — يا توت — تلك التى خضبتك وعفرتك ! ويحى ! لم أنسكا نفسى هكذا ، وأتكىء على جرحى بقسوة ؟ إنها صورتك الأخيرة يا توت لا تبرح تواجه خيالى ، حين يفرى جوانحى ألم ضار مسموم

(١) « توت » كلب لطيف نظيف ذكي . قتلته الحكومة وسرقت طوقه ، بيد أحد « الشاويشية » الأجلاف الذين تطلقهم يتصيدون كلاب الناس بالرصاص . كما تطلقهم أحيانا يتصيدون شباب الوادى وكل ألف من هؤلاء الأجلاف لا يحمل نفوسهم من « الشعور » عشر ما كانت تحمله « نفس » « توت » المسكين . وما كان يمكن أن تخطىء عين فطنة كلبا شاردا وقد قتل على باب الدار وسلب قاتله طوقه إدارى جريمته . ومضى ذلك الوحش الجلف ، وترك قلوبنا تدمى .. وقد كان المتبع أن تجمع الكلاب فى عربة ليتعرف أصحابها عليها ولم تكن هذه الطريقة الوحشية المزرية بالانسانية تتبع فماذا جرى ؟

---

وعلى الحكومة وعلى الفرنسيين وعلى الدنيا كلها ، فبدأ بالشيخ فقتله ، وأراد أن يمد يده إلى الفرنسيين فاذا هم يمدون إليه أيديهم يعرضون عليه المال والعتاد والألوهية فى الجبل على أن يكون عبداً لهم …

فصار المهدى ربا[١] …

***

وكر الفلم فرأى هذه الليلة التى أعلن فيها ربوبية ماثلة أمامه : هذا هو القائد الفرنسى ، يزوره متذللا خاشعاً ويقول لقومه : ( هذا هو ربنا وربكم ) ، ثم يطلب إليه أن يطلع الشمس فى نصف الليل ، فيأخذ الرب الجديد مصباحا فى يده فيلوح به ، فيرى الجبليون الشمس ساطعة على الجبل الغربى ، أطلعها الجنود الفرنسيون بالأنوار الكاشفة ، و ( البطاريات ) القوية ، لما رأوا المصباح يتحرك .

وتتتابع الصور ، أمام عينيه ، فيرى ( الرب ) يتخذ أنبياء وملائكة ، ويتزوج النساء بالعشرات ويأخذ ما يطيب له من الأراضى ، ومن يستحلى من النبات ، ويقتل ويضرب ويحبس ، حتى إذا انتهت الحرب ، وأحس الفرنسيون أن أجلهم قد دنا ، أقبلوا عليه يحالفونه على أن يمدوه بالمال والسلاح ، ويجعلوه ملكا على الشام كله كما جعلوه ربا على الجبل ، وتمت المحالفة ، وصار ملك الشعب الحيدرى الغسانى (؟!) يسن له القوانين ، ويشرع له الشرائع ، ويجبى الضرائب ، ويولى الولاة … ويفعل ما يشاء لا يسأل عما يفعل !

وتمر به صور أخرى من حياته ، فيرى الوطنيين يقبلون عليه يسألونه أن يقبل عليهم ، وأن ينفض يده من الفرنسيين ، فيأبى ويمتنع . أيدع أحلافه الأقوياء لقوم لا حول لهم ولا قوة ، أيعود واحداً من هذه الأمة ضائعاً وقد صيره الفرنسيون ربا ؟ أيرد ما اغتصب من الأراضى ويحمل وزر ما اجترم من الجرائم ؟

كلا . إنه لن يصافح اليد الوطنية ، إن الفرنسيين لا يمكن أن يخرجوا من الشام أبداً …

( لها بقية )

علي الطنطاوي

(١) ولم ينفرد بذلك الفرنسيون ، فالانكليز أيضا يستطيعون أن يجعلوا ( المهدى ) ربا ، ليكون لهم عبداً

لقد تماسكت ؛ وتماسكت ، وحاولت أن أغلف المسألة كلها بغلاف من عدم المبالاة . ولكن حين حملتك — يا توت — بين يدى جثة جريحة دامية ، لأواريك القبر الخبيء فى جوف الثرى . خذلتنى قواى كلها . وبدا لى التماسك سخافة كبرى !

ونمت هناك — يا توت — فى مقرك الأبدى الذى سويته لك بيدى الراعشة ... ولكن أنى لى أن أطيق تلك الصورة الواقعة المستحيلة : إن عينى لن تعود فتراك أبدا. إن أذنى لن تعود فتسمعك أبدا. إن هذا الجسد الهامد لن يعود فيتحرك أبدا ... إن شيئا مما كان كله لن يكون أبدا ... مستحيل مستحيل ذلك الواقع الذى لن يزول !

« * »

توت . توت . توت !

سأقولها ، وأقولها ، وأقولها . فلا تجيب أيضا. وسأعود فلا أجدك فى الحديقة ، ولا فى الشرفة ، ولا فى الردهة ، ولا فى حجرتى ، ولا فى المطبخ ، ولا فى المكتب ، ولا فى مأواك ، ولا فى مكان ما على ظهر هذه الأرض الدوارة ... ؟

وحينما يحين موعد انطلاقك من مأواك فى الصباح ، وموعد غدائك فى الظهر ، وموعد لعبك فى الغروب ، وموعد مبيتك فى المساء ، لن تنبح ، ولن توصوص بعينيك ، ولن تبصبص بذنبك ، ولن تتواثب على أقدامنا وأحضاننا ، ولن تزوم احتجاجا ولن تزق شكرانا ، ولن « تصوصو » شكوى . ولن يكون شىء من ذلك أبدا ... ؟

وحين أشتاق إليك كالطفل الحبيب ، وحين أذهب لأطل عليك فى مخدعك قبل أن أمضى صباحا . وحين أتوقع أن تطلع لى من حيث لا أعلم عند عودتى ظهراً وحين أجلس للطعام فأسرع لأخلص لك العظم المحبوب . وحين أخشى أن تعبث بكتبى وأوراقى التى تحبها حبا جما ... عند ذلك تكون أنت — يا توت — هنالك فى تلك الحفرة الصغيرة المنعزلة التى سويتها لك بيدى !

وكرتك النطاطة ستظل هامدة على الأرض ، ليس فيها من حراك . وصحفة طعامك ، وآنية شرابك ، وبيتك الخشبى الصغير كل أولئك لن يعود أحد يسأل : أهى مليئة أم خواء ؟ !

ويدخل الليل ، ويلفنا الظلام ، وتغمرنا الوحشة ... وبين فترة وفترة يشق السكون « نباح » هنا أو هناك ، فأنسى أنك هناك وأتلفت بنفسى المتطلعة إلى هجمتك الحبيبة على أطراف ثوبى أو قدمى بأنيابك الصغار ؟

ويصبح الصباح ، ويمتع الضحى ، ويميل الأصيل ، ويدخل الليل . وتكر الأيام وأنت أيضا هناك . ساكن فى ذلك المأوى القريب ، تفصلنى عنك الآباد ؟

يا دنيا !

لم كانت هذه السخرية الكبرى سخرية الحياة ... للفناء؟ !

— ٢ —

لن أصدق ... لن أصدق !

لقد مضى أمس الأول . ثم مضى أمس . ونحن هؤلاء اليوم . فلم لا تجىء يا توت ؟

إنك قد مُتَّ ! أعرف ذلك . ولكن ! لم لا تجىء ؟ !

اليوم هو الجمعة . وأنا هنا فى الدار — يا توت — ألا تعلم ؟

لقد صحوت فى النوم ، فمالك لم تجىء لتوقظنى بهمهمتك ؟ مالك لا تحاول القفز إلى سريرى ، مالك لا تزوم محتجا لأننى لم أستمع إلى ندائك ؟ مالك لا تملأ الحجرة نباحا وقد يئست من إصغائى إليك ، فإذا تحركت حركة واحدة عدت تزق فرحا وابتهاجا بصوتك الودود الجميل ؟

أم لعلك جئت وهممت واحتججت ويئست ، ثم انصرفت — لتعود — إلى المطبخ ، لتتناول نصيبك اليومى من العظام وقد أحضرته لك فى الميعاد صديقتك — رقية — التى تحبها وتحبك ، وتلاعبها وتلاعبك ، وتملأ أوقات فراغها وأوقات خدمتها كذلك مرحا ووثبا وصياحا وزياطا وحيوية ، كما تملأ حياة الدار جميعا !

لا . لست فى المطبخ . فهاهى ذى شقيقتى هناك وحيدة ، ساهمة ، كئيبة ، مفردة ، موحشة ... هى لا تحاول اليوم أن تحسم الخلافات التى تقع بينك وبين « سوسو » فى توزيع الجلد والعظام وزوائد اللحوم . أنت لا ترفع صوتك احتجاجا لأن زميلك قد عدا على نصيبك ، وهو لا يعوء صارخا لأنك عدوت على نصيبه . إنه هادىء ساكن . أم لعله حزين !

ألا تكون فى الحجرة الأخرى — يا توت — تعابث صديقتك الأخرى شقيقتى الصغيرة ؟ تشد منها كرة الخيط المدلاة وتختفى بها تحت السرير فلا تحس بك ولا بها إلا أن تشد خيطها فلا ينشد . فتعلن سخطها عليك ، وتحذرها إياك . حتى إذا نظرت إلى عينيك الجميلتين ، ورأت فيهما كل معانى الشيطنة

والبراءة ، داعبتك باللفظ الذى تعرف ، وبالصوت الذى تفهم ، وبالإيماءة التى تجيب ؟

هأنذا يا توت فى حجرة المكتب ... يا توت ! تعال يا توت ! ألا تجىء أيها الشيطان الصغير ؟ تعال فالشمس التى تحبها تملأ الحجرة ، والورق الذى تهيم به ينتظرك للشد والتمزيق .

أوه ! رحمتك يا الله !

إن آثار فنجانة القهوة التى سكبت من يدى على المكتب ، وأنا أضطرب للنبأ الأليم ، نبأ مصرعك الوحشى الغادر ، لا تزال . لم يزلها أحد منذ ثلاثة أيام ! وهل بقيت فى أحد هنا بقية يا توت ؟

الفراغ ! الفراغ !

ذلك الخواء الموحش العميق المترامى الأطراف ، ذلك المخلوق الكئيب الهائل .

ذلك الذى تراه على امتداد البصر وآماد الآفاق .

والصور ، والرؤى ، والأطياف ، والأشباح !

تلك الحيات الكامنة فى الضمير ، تنهش القلب ويضم عليها جوانحه ، وتسمم الحياة والحياة بدونها محال .

والذكريات !

أولئك اللواتى يثبن كلما سكن الحس ، وساد الصمت . ولفنا الظلام : ظلام النفس أو ظلام الأرجاء

وإنا لنهرب إلى أنفسنا — يا توت — فنلقاك هناك . ونهرب من أنفسنا فنلقاك هناك . ونهرب إلى الناس فنحدثهم عنك ، وحينما انجر حديث قفزت إليه من بعيد ، واندست ذكراك فى مجراه .

ياتوت لم اعترضت طريقنا . مادمت لا تنوى إلا عمر الأزهار؟ العذاب ! العذاب فى هذه الحياة !

— ٣ —

أبداً لست هنا يا توت . ولو كنت هنا ونحن عائدون هكذا إلى الدار جميعاً ، لما وسعتك الحديقة كلها من الفرح ، ولملأتها جريا ووثباومراحا ، ولجئتنا عن أيماننا وعن شمائلنا ، ولأخذت علينا طريقنا وراء وقداما ، ولتواثبت على صدورنا وأقدامنا كالبرق الخاطف أو القذيفة المندفعة ، ولملأت الدار حركة وضجيجا نتابع بهما حركتك وضجيجك ، ونهدىء بهما هذه الشعلة المتوقدة فى جوارحك . ولكنك لست هنا يا توت .

فلنخرج صامتين لا نتلفت وراءنا لترجعك إلى الدار فلا تتبعنا . ولندخل صامتين يجلل الأسى وجوهنا ، وتغشى الكآبة نفوسنا ، ولنتخاطب فيما بيننا همسا من الكمد ، ولتتجاذب عيوننا وقلوبنا بالهم الذى يغمرها جميعا .

أجل يا توت . ولتمت على شفاهنا ألفاظ قاموس كامل كان لك أنت وحدك ألفاظ التدليل والتنبيه والزجر والتخويف والنداء والاسترضاء فقد انطوى ذلك كله ، وعادت ذكراه تلذع أفئدتنا لذعة الجمر كلما هجست فى الضمير .

وودت يا توت — لو أنساك ! فقد كدت أفقد كل مايعرف عنى من اتزان وتماسك ؛ وتفزعت أعصابى فلست أنام ، وفى جوانحى ذلك اللذع الذى لم يعد يطاق ... ولكن لا أريد أن أنساك — يا توت — لا أريد أن أفقدك كلك . فعزيز على نفسى أن تفرغ من كل شىء حتى من لذعة ذكراك !

— ٤ —

كلنا هنا على المائدة — يا توت — فأين أنت ؟

لست إلى يمينى هنا باسطا يديك على الأرض فى انتظار نصيبك فى النهاية ، وعيناك تلتممان بكل ما تريد أن تقول !

عيناك الذكيتان المبرتان ، لقد كانت بيننا وبينهما لغة مفهومة ؛ كما كان بينك وبين أعيننا تلك اللغة المفهومة بلا أصوات!

ولكنهما أطبقتا — يا توت — وانطفأت فيهما تلك الشعلة من الذكاء الحاد ، والحس المرهف ، والإخلاص الودود .

أطبقتا . أطبقتا إلى الأبد . وهذه هى قسوة الموت ... العدم . العدم المطلق . المطلق إلى غير حد ... يا للقساوة الصماء !

وأسرع فى ازدراد طعامى — يا توت — لا لأخلص لك نصيبك المعلوم ، ولكن لأهرب من الخيال المفزع .

لا . لا . لا طاقة لى بهذا العذاب الدائم المتكرر فى كل موضع قدم فى هذه الدار .

فى كل لفتة ذكرى ، وفى كل خطوة صورة ، وفى كل خطوة عذاب . عذاب قاس ممزق لذاع

ولكننى أهرب إلى الخارج ، فتصاحبنى فى كل موضع قدم ، وفى كل خطرة فكر ، وفى كل لفتة بال .

ياتوت يا توت . لم — يا بنى ! — ألمت بنا فى الطريق ؟!
يا رب . يا رب : رحمتك يا الله !

سيد قطب

# ياليل ... !

للأستاذ الأسدى محمد خير الله

— ٢ —

المذهب السادس :

وقبل أن نمضى فى تحقيقنا نورد هنا مذهبا لنا سادسا ، كنا على أن نجهر به قبل أن نتولى البحث بما يفرده العلم من حجج ، أى أننا كنا نتحسس به ، كما هو شأن أرباب المذاهب المتقدمة ، دون حجة ولا بينة ، ذلك أننا كنا نرى فى « يا ليل » مجرد إرسال النغم ، أو قل : تجسيده بالفاظ لا معنى لها ، شأن موسيقى اليوم لدى إرسالها بالنغم : لى للى لى لم .

والبحث الذى نستقبله كفيل أن يعلم أن الكلمة تنتمى إلى أصل ذى معنى ، ثم استعملت لهذا التجسيد .

نعم كثر ما جاء فى الغناء من ألفاظ لا معنى لها ، غير أن « يا ليل » ليست من قبيلها . ومن هذه الألفاظ : « عل يادر يادر يادر يابو العبيسية » ، ومنها « دلى يا دلى دلعونا » ، ومنها ما يستعمله العراقيون فى مقام البنج كاه — كما يحدثنا الصديق الطبيب رجائى — فى قولهم : « هى داد بداد هى جان دلى دلى داد

فالكلمة إذن ذات معنى مجهول سيأتى كشفه كما كشف لنا الأب بخاش[1] عن سر « الله يسوى دوص ها بيباها » الترتيلة المستعملة فى أعراس حلب دون غيرها .

مذاهب أخرى :

وهناك مذاهب سمعناها من شتى المصادر لا تنتمى إلى شىء مما يحفل به العلم ، وهى أن أصل « يا ليل » يا ويلى « وشفيعه أن الحزن من مستلزمات الغناء العربى ، ولا يزال العلويون يغنون :

ويل ويـلى بوطنجو عـلا جنبو قريبينه

أو أن أصلها يا لآلى ، جمع لؤلؤ ، كأنما ينادى أحبابه الجميلين الشبهين اللآلى . أو أن أصلها يا آلى أى يا أهلى . أو أن أصلها يا لى يالى أى يا من أنت لى . أنشدنى زجّال لبنانى فى دار الأستاذ الفيكونت دى طرازى :

قلتلا شـو اسمك قالـت لولـو
قلتـلا لى لى قالت لى : لا لا

وهو من تلاعب البديعيين ، وقد سبق إليه .

أو أن أصلها يا أليلى بمعنى يا أنينى مما أبدلت نونه لاما ، كقول ابن ميادة :

وقولا لها ما تأمرين بوامق له بعد نومات العيون أليل

أو أن أصلها يا ليل بكسر اللام : صنم أضيف إليه ، كعبد يغوث وعبد مناة وعبد ود استعملت بعد التحريف للغناء ، لأنه ربما يكون إلها للحب كما كان لليونان إله له . أو أن أصلها هلل العبرية ، بمعنى سبح ، وقد سميت مزامير داود تهليم ، أو تصدر جل أبياتها بهللويه أى : سبحوا الله .

تحقيقنا فى يا ليل :

لنمض بعد ما تقدم إلى مهمتنا فى التحقيق ، ولنتساءل : يا ليل : وأين يا ترى تردد يا ليل ؟ أليست تردد فى مطلع هذا الضرب الغنائى المسمى لدى العامة بالموال؟حسن . لنبحث الآن عن الموال فى معاجمنا العصرية التى فسحت بعض المجال للمفردات العامية . ها هم أولاء الأساتذة لويس المعلوف فى المنجد ، وفؤاد البستانى فى منجد الطلاب ، وحليم دموس فى قاموس العوام ينصون فى معاجمهم هذه على أن الموال والجمع المواويل محرف المواليا . لنركن إذن إلى هذا النص ، ولو جدلا ، ثم لنتساءل : ما المواليا ؟ ذلك ما يجيب عنه الزبيدى اسمع مؤدى ما ينقل عن حاشية الكعبية للبغدادى ، وإذا ذكرت البغدادى لا أتمالك من إبداء عاطفة الزهو والاغتباط ، إذ أنه احتفظ فى آثاره بكثير مما وعته الخزانة العربية الضائعة . نعم لنسمع صدى البغدادى يقول : المواليا نوع من الشعر ، اخترعه أهل واسط من مدن العراق ، اقتطعوا من بحر البسيط بيتين ، وقفوا شطر كل بيت بقافية ، تعلمه عبيدهم والغلمان ، وصاروا يغنون به على رؤوس النخل لدى جنيه ، وفوق مراقى سلالم البناء ، ولدى سقى المياه ، وفى

---

(١) أنشودة العرس فى الفيحاء ط لبنان .

نحو هذا من الأعمال ، وكانوا يرددون آخر كل صوت : « يا مواليا » إشارة إلى سادتهم ، فسمى بهذا الإسم ، ثم استعمله البغداديون فلطفوه حتى عرف بهم دون مخترعيه إلى أن شاع .

أقول : ولعل فى المطلع القديم المشهور الماعا إلى ما ذكر :

القول قول العجم : آه يا مواليا يا بيض لا ترحلوا ضلوا حواليا

ثم اسمع مؤدى ما يحدثنا به زيدان[1] : وفى العصر المغولى الممتد من القرن السابع الهجرى إلى القرن العاشر وضع ضرب من الشعر العامى يقال له : المواليا ، كان فى بغداد .

وها هو ذا ابن خلدون يقول[2] : وكان لعامة بغداد أيضاً فن من الشعر يسمونه المواليات ، وتحته فنون كثيرة ، يسمون منها القوما وكان وكان ، منه مفرد ومنه فى بيتين ، يسمونه دوبيت على الاختلافات المعتبرة عندهم فى كل واحد منها ، وغالبها مزدوجة من أربعة أغصان ، تبعهم فى ذلك أهل مصر القاهرة وأتوا فيها بالغرائب ... بمقتضى لغتهم الحضرية .

ثم يمضى ابن خلدون فى سرد طائفة منها « نجتزىء » بذكر واحد :

طرقت باب الخبا ، قالت من الطارق ؟

فقلت : مفتون ، لا ناهب ولا سارق

تبسمت لاح لى من ثغرها بارق رجعت حيران فى بحر أدمعى غارق

والأبشيهى[3] يعقد فصلا لمختارات المواليا ، نورد منها :

وقد أوعدونا القضايا أننا نخلو فى ظل بستان حافف بالتمر نخلو

والظل من فوقنا قد بلنا نخلو ومن كلام الأعادى قط ما نخلو

والبستانى[4] يتحدث عن المواليا : وفى أصل المواليا أقول أشهرها أن هارون الرشيد أمر بعد نكبة البرامكة أن لا يرثيهم أحد بشعر ، فرثت إحدى جواريهم جعفرا بشعر غير معرب ، حتى لا يعد شعراً ، وجعلت تقول بعد كل شطر يامواليا ، قالت :

يا دار أين ملوك الأرض أين الفرس

أين الذين حموها بالقنا والترس

(١) تاريخ الأدب السطر ٢ ج ٣ ص ١١٧

(٢) المقدمة الخيرية ص ٣٤٩ .

(٣) المستطرف ط المحمودية ج ٢ ص ٢٨٦ .

(٤) الالياذة ص ١٥٢ .

قالت : تراهم رمم تحت الأراضى الدرس

سكوت ، بعد الفصاحة ألسنتهم خرس

قال الأستاذ ويل well[1] وهو أول ما عرف من الموال .

وقال مؤتمر الموسيقا ، يقال إن أول ظهوره كان فى بغداد ، بعد الفتك بالبرامكة ، قال الجلال فى شرح الموشح ( ثم ذكر القصة المتقدمة وزاد عليها ) :

قيل إن الرشيد حينما بلغه ذلك دعا الجارية ، وأراد معاقبتها على مخالفة أمره ، فقالت : يا أمير المؤمنين ! أنت منعت رثاءهم بالشعر ، وهذا ليس بشعر لأنه لا يجرى على الفصيح ، فاقتنع

والمواويل نوعان : الخضر والحمر ، والنوع الأخير شائع فى صعيد مصر ، ويمتاز بالإكثار من التغيير فى ألفاظ قوافيه حتى تتجانس[2] .

وأعاريضه يشبهها ضربها ، وهى فاعلن وفعلن وفعلان[3] .

والأستاذ ويل well[4] يطلق كلمة « موال » « لا » « مواليا » حين سرده بعض المعلومات المتقدمة ذاهبا إلى أن الإسمين لمسمى بعينه وأن الثانى محرف الأول — على ما نتصور — ثم زاد : والموال هو أحد الفنون السبعة المعروفة اليوم فى الأغانى الشعبية بل هو أكثرها شهرة ، تصادفه فى كل مكان من العراق حتى مراكش ، ومنشأه المدن خلاف العتابا الذى نشأ فى الصحراء ، ويجوز فيه استعمال اللغة الفصحى ولغة المحادثة ...

ويكون غالباً من أربعة أشطر أو خمسة أو سبعة .

والقافية فى الأول واحدة ، أو يشذ عنها الشطر الثالث فقط

وشاع استعمال ذى الأشطر الخمسة فى مصر وتلمسان ، والقافية فيه واحدة دون الشطر الرابع ، ويسمى بالموال الأعرج ، وتلمسان تسميه بالخوفى . ومن الطريف أن نشير إلى أن ابن خلدون ذكر هذا الإسم وعده من فروع الموال ، ولكن طبعة بولاق استبدلته بالقوما .

أما ذو الأشطر السبعة فيدعى بالموال البغدادى أو النعمانى

(١) الموسوعة الاسلامية الفرنسية ١ : ٤٧٤ .

(٢) مؤتمر للموسيقا العربية ص ١٧ .

(٣) ميزان الذهب للهاشمى ص ١٠٢ .

(٤) الموسوعة الاسلامية الفرنسية ١ : ٤٧٤ .

ويطلق مايسنر meissner عليه إسم الزهيرى « بالإمالة » أو الزُهيرى كما هو اسمه فى بغداد ، والقافية فيه قافيتان ، فالأشطر الثلاثة الأولى بقافية ، والأشطر الثلاثة الأخرى بقافية مغايرة ، والشطر الأخير يرجع إلى القافية الأولى .

أما شهاب الدين فى سفينة الملك[1] فيسمى الموال المخمس بالأعرج ، والمسبع بالنعمانى مقتصراً على ذلك .

وعند جميع المحققين أن الفنون السبعة (المتقدمة) منها ثلاثة معربة أبداً ، لا يغتفر اللحن فيها ، وهى الشعر القريض والموشح والدوبيت ، ومنها ثلاثة ملحونة أبداً وهى الزجل والكان وكان والقوما ، ومنها واحد هو البرزخ بينهما يحتمل الإعراب واللحن وهو المواليا ، وقيل : لا يكون البيت منه بعض ألفاظه معربة وبعضها ملحونة ، فان هذا من أقبح العيوب التى لا تجوز وإنما يكون المعرب منه نوعا بمفرده ويكون الملحون فيه ملحونا لا يدخله الإعراب ، وقد أوضح قاعدة الجميع وأمثلتها صفى الدين أبو المحاسن الحلى فى ديوانه وسماه بالعاطل الحالى والمرخص الغالى[2] .

* * *

انتهى حديث المصادر . ومنها يتضح صحة ما ذهب إليه معجميونا المعاصرون من أن الموال من المواليا ، يؤيده :

١ — التقارب اللفظى بين الموال والمواليا .

٢ — كون النظم فى كليهما تمتوره العامية .

٣ — كون الوزن فى كليهما من بحر البسيط .

٤ — كون أحكام القافية فى كليهما واحدة .

٥ — كون الأعاريض فى كليهما يشبهها ضربها .

٦ — كون الأعاريض وضربها فى كليهما فاعلن وفعلن وفعلان .

٧ — أن فى كليهما لازمة تردد : هناك يا موالى وهنا يا ليلى

٨ — أن المواليا والموال للغناء .

٩ — الغناء فى كليهما مرسل .

١٠ — أن كليهما مصدر بيا .

١١ — إطلاق الموسوعة الإسلامية كلمة المواليا .

فاذا كانت هذه القرائن كفيلة أن تقيم الدليل على أن الموال من المواليا كان من الحق أن نحكم أن لا زمة هذا لا زمة ذاك ، وبعبارة أوضح أن « يا ليلى » تحدرت من يا موالى محرفة مطورة تطور الطبيعة حافر الفرس من زعانف السمك ، ما فى ذلك عندنا من ريب .

فالموال إذن من المواليا ، لا فمال من موله بمعنى صيره ذا مال كأنما يمول صاحبه — كما يذهب الزميل الأستاذ أحمد إيرى — ولا أصله مؤول ، لما أن القافية الأخيرة تؤول إلى القافية الأولى — كما يذهب الصديق الطبيب فؤاد رجائى —[1] .

وظنى أن لازمة الشرقاوى « يابابا » أو « ياباباى » عدول أتى به الأشراف أو غير الموالى ، بعد أن تبوأ الموال مكانه فى الغناء العربى ، فكأنما أقاموا أباهم مقام المولى .

سبيلنا الآن بعد أن بلغنا غايتنا أن نعقد الصلة بين يا موالى ويا ليل — إن كان ذلك متاحا — الحقيقة أن كرور العصور وكثرة التداول طمسا معالم الأصل فى يا ليلى ما خلا النداء واللام والياء فيمد الشبه ، حتى لا تكاد تتوسم فى هذا الفرع ملامح الأصل إذ ليس ثمة لون من ألوان الاشتقاق المعهود فى اللغة يصار إليه ، الأمر الذى يجمل الملتمس من وراء الطاقة ، وإن كانت إجابة ، فانما هى ضرب من الظن والتخيل ، إلا أن نذهب إلى أنه اشتقاق على غير حدود الاشتقاق القياسية ، بل ما لنا نطلق كلمة الاشتقاق وللاشتقاق حدود ، لنقل : هذه وتلك محرفة بعامل الزمن وبعامل كثرة الاستعمال ، كما هو شأن هذه العاديات فى المتاحف ، وأجدنى الآن على حفافى الاطمئنان ، وقد لمع فى مخيلتى غمر من الكلمات كان شأنها شأن هذا .

(البقية فى العدد القادم) **الأسدى محمد خير الله**

(١) ص ٣٨١ .

(٢) والموال هو شطرات من بحر البسيط غالبا ويرتجل تلحينها مع عدم مراعاة أحد الأوزان الموسيقية ، بل يراعى فيها المقامات. مؤتمر للموسيقا العربية ص ١٦٤

(٣) المستطرف ط المحمودية . ٢ ، ص ٢٧٧ .

(١) ولا أصله ممول — كما يذهب الصديق الأستاذ حسام الدين الخطيب ، قال : ألا ترى أن حفلة الطرب المكينة تبدأ بتقاسيم العود من الرصد مثلا ، يتلوها عزف صامت من الجوقة كلها على النغم نفسه ، ثم تعزف الكمان تقاسيمها للتأكيد به ، ثم يولج في موشح رافد للرصد ، ثم يمهد القانون بلياليه الرصدية ، وهنا تكون مخيلة المغنى مترعة بنغمة الرصد وتعليلاتها أو قل : ساطنت على حد تعبير الموسيقيين ، فتنطلق بالموال في أفانين الرصد فى جو حر فسيح ، وعلى هذا فالموال قد مولته كل هذه الممهدات ، فهو ممول .

# وجهة النظر الجديدة فى الحياة

للكاتب الصينى الكبير واه يوه شينغ

[ حديث ألقاه فى جمعية الثقافة المركزية بتشنغ كنغ ]

بقلم الأستاذ نور ناهين

[ تتمة ما نشر فى العدد الماضى ]

ومع ذلك فإن فى تاريخ الصين ما ينزع إلى الأمور الشخصية مثل الذى ذكرت ، فمثلا فى عهد أسرة « تنغ » قد استولت على أفرادها النواحى الحزبية ، واستعلن النزاع بين « نيو » و« لى » ، حيث عقدوا عهدا سريا على أن يخصوا الأمبراطور ، وهذا أمر داخلى ، وأما الأمر الخارجى فإنهم اتصلوا بالأجانب وشايعوهم ، ثم اشترك أنصارهم « نان شاو » و« هون تسن » فى النزاع واحدا بعد الآخر ، حتى غرقت الدولة كلها فى بحر المصائب والبلايا . وهذا مثل آخر ، أحدث فى عهد أسرة « سونغ » من النزاع الحزبى بين « وان غان شى » و« يان يو » حيث نفثوا سم خصامهم حتى انتشر وأهلك دولة « سونغ » . وأشد ما يحزن ما عم فى آخر عهد أسرة « مين » من بلاء حزب « دان لين » الذى أثر على مدة حكم الملك أسوأ التأثير . أما ما حدث بعد إعلان الجمهورية الصينية من النزاع الحزبى والخصام ، فخير لنا ألا نذكره مؤقتا ، لنتركه إلى التاريخ

إن مجتمع الصين كله ككتاب تاريخى شامل لما يترتب على الاهتمام بالأمور الشخصية . فكم من الناس من قديم وحديث نجحوا نجاحا باهرا فى الاعتماد على المتعة الشخصية ! وكم من الأشخاص ، قد تحاربوا وتنافسوا بسبب الأمور الشخصية أيضا ، ذلك لأن الصينيين لا يهمهم إلا ما يعامل به بعضهم بعضا ويهملون ما ينبغى عليهم أن يتعاملوا به كأفراد للطبيعة .

فيجب علينا بعد هذا نحن الصينيين ، فى هذا العصر أن نقصد إلى هدف فى الحياة ، ولا بد أن نهدم ما يحيط بالناس من حدود ، ونبتعد عن نطاق المتاع الشخصى ، لنتغلب على الطبيعة مع بعض ، ثم نجدد نظم المجتمع ونصلح شئون الدولة .

يجب علينا أن نجل المستر « لنكولن » زعيم أمريكا المشهور ، ونحترم رأيه العظيم كل الاحترام إذ أنه يريد ألا يسترق الناس أحد من الناس ، ولا يرضى أن يهدد بنى البشر أمثالهم ، ولم يتردد فى إشعال الحرب لإعتاق الرقيق . وكان يبذل جهده لتحرير الرقيق من جهة ، ويحث الناس على الهجرة من جهة أخرى ، حيث دعاهم بأن يتقدموا نحو غرب أمريكا متحدين ، ليفتحوا كنوز طبيعتها البكر ، وهكذا مهد الطريق إلى رقى أمريكا بيديه .

إن أسلوب « لنكولن » العظيم ، هو هدم الحدود بين البشر لقهر الطبيعة ، أو بتعبير آخر أن يتعدى الناس الحدود الضيقة الشخصية فى معاملة بعضهم لبعض ، ثم حثهم على الكفاح والجهاد لاقتطاف الثمرات الطبيعية للحياة ، وهو أسلوب أشبه ما يمكن بأسلوب المخترعين والمكتشفين ، بل إنهم من منبع واحد .

وبمناسبة ذكر الكفاح والحياة المثالية الطبيعية ، أذكر ما أملاه على ركوب البحر من أفكار ، ذلك أننى كنت غارقاً فى أعمال إدارة جريدتى ، فى ربيع سنة ١٥ للجمهورية الصينية ، إذ كنت فى منصب رئيس التحرير والمدير العام ، وكان هدف الإدارة من نواحى العمل والنظم والمقالات كخيط مستقيم ، إذ نبهت أبناء وطنى للثورة على الضباط الشريرين الذين يضرون الوطن ويزعجون الشعوب . ثم تركت إدارة جريدتى مضطراً ، وفررت راكباً من « تينى جبى » إلى شنغ هاى ، حين وصل « تشوبى يو » و « لى جنغ لين » إلى « تين جين » مع قواتهما . ولما خرجت الباخرة من ميناء « تان قو » ، لم أر فى الدنيا إلا الماء العميق والسماء المرتفعة والتقاءهما عند الأفق ، وسارت الباخرة فى البحر الواسع رويداً رويداً كنغرفة القرع ، وحينئذ شعرت فجأة بسعة الدنيا وصغر البشر ، وفكرت فى الذين لا يزالون يتنافسون ويتنازعون ويتحاربون فى « تين جين » ، مثلهم كمثل عرمة الديدان ، لو أن تلك الجملة من الناس ألقيت فى البحر ، لم يبد شئ إلا الزبد والرغوة فحسب . وعندئذ اعتقدت كل الاعتقاد أن مستقبل الإنسان لن يكون فسيحاً متسعاً ، إلا بعد أن يبتعد الناس عن نطاق المتاع الشخصى الضيق ، ويبذلوا أقصى جهدهم فى سلوك طريق الطبيعة العظيمة الأبدية

ما أشد ما يعلق مستقبل الإنسان بآثار الحرب الحاضرة !

فإن من حسن الحظ أن قام الأمريكيون يساعدون انجلترا بقانون الاعارة والتأجير ، ثم يساعدون روسيا والصين أيضاً حتى حولوا موقف دول الحلفاء من الهزيمة إلى النصر ، وكان سبباً فى هزيمة المحور ، وأصبح العالم كله يحلم بمستقبل منير .

وربما رأى بعض الحاذقين أن الأمريكيين من أشد الناس حمقاً، لأنهم يسلمون ما أنتجوا من السلاح والغذاء إلى حلفائهم بدون أي شرط، وهم قد دفعوا الضرائب الثقيلة، وسكبوا عرقاً ودماء. ولكن الأمريكيين أنفسهم ما زالوا يخترعون هكذا، ويعطون هكذا، بل إنهم سيستمرون في الاختراع والاعطاء، وبذلك أصبحت أمريكا زعيمة دول الحلفاء، وصار الرئيس روزفلت أول السياسيين في العالم، وصار أهل أمريكا أكثر الناس سعادة. وإن مثل أمريكا الآن مثل الشمس تبعث الحرارة والنور باستمرار، فحصلت عظمتها وجلالها من بذل الحرارة والنور، وهي نفسها لا تعني بتنعمها قط.

وإذا لاحظنا مسألة الأمريكان الاقتصادية بعد الحرب الحاضرة، وقد نفذت اليوم فعلا ما عرضته على آذان المستمعين الآن من نظرية الشمس والحياة، ظهرت لأعيننا مشكلة النزاع العلني بين فريقين: أولهما « Expans onist » الذين يقترحون أن يبق الإنتاج الجليل كما كان بعد الحرب الحاضرة، كي تتجدد مسألة البطالة، وهم لا يلاحظون حينئذ دفع الضرائب الثقيلة وتحمل الديون. وثانيهما: « Consrvitist » الذين يقترحون اختصار ميزانية الوطن بعد الحرب الحاضرة والنقص من مدى الإنتاج تجنباً للتضخم المالي.

وإني لموافق على رأي « xpans on st » من التوسع في الإنتاج، فأرجو من أمريكا أن لا تنفذ قرار « Conservitist » الذي يشير بإنقاص الانتاج بعد الحرب الحاضرة، بل يجب عليها أن تستمر في الاختراع والإنتاج، لتتمتع الجماهير بالنتائج ويرتفع المستوى المعيشي، ثم تبيع ما يبقى من الإنتاج بعد الاستعمال، ولو بقي شيء من الإنتاج بعد البيع، فما عليها إلا أن تقدمه للناس هدية. إذ أن ثمة بعد الحرب كثيرا من البلدان تنتظر نهضة، وكثير من الأمم تحتاج إلى المساعدة والإنقاذ. ولما كانت لأمريكا هذه القوة على الاختراع وتلك القدرة على الإنتاج، فكيف يجوز أن لا ترفع قواتها إلى أقصى الحد، كي توفر النعمة لجمهورها خاصة وللعالم كله عامة؟

إن السياسيين الأوربيين إذا تحدثوا عن سياستهم الداخلية، طالبوا دائماً برفع المستوى المعيشي » أما السياسيون الصينيون فقد تعودوا أن يبثوا في الناس حب الاقتصاد والزهد، وذلك يوضح مذهب الفريقين المختلفين وفلسفتهما، ويمثل نوعين من السياسة متميزين.

أما كيف يرفع مستوى المعيشة فذلك بالبحث في خامات الطبيعة وقوانينها والأخذ عنها بالاختراع والعمل على زيادة الانتاج. وأما كيف يكون الزهد والاقتصاد فذلك بالقصد في الطعام والكساء، وجمع النقود مليما بعد مليم، وتكديس المئونة قيراطا بعد قيراط، حتى أصبح الشحاذون هم أصحاب الثراء، وفوق ذلك فان أكبر ضرر ينتج عدم الانتاج والابتكار، والزهد والشح هو فتح باب الخداع والرشوة، ولهذا كان ضعف الصين وفقرها.

لقد كان صاحب كتاب « الدول الثلاثة » أعظم الناس عقلا وأكثرهم تجريبا؛ إذ قال في أول كتابه القيم: « لا بد أن تتطور حالة الدنيا بحيث يتحد الناس بعد مدة الفراق من جهة، ويفترقون بعد مدة الاتحاد من جهة أخرى ».

ولو أننا رجعنا إلى الخلف خطوة، نبحث في تاريخ الصين عن أسباب السلام والصلح من جهة، وعن أسباب التمرد والعصيان من جهة أخرى، لوجدنا أن السبب الوحيد هو وقوف سياستنا في حدود نطاق المتاع الشخصي الضيق، وحدود الاقتصاد في إنتاج الزراعة البسيطة، وعدم استغلال الطبيعة لتحسين حال المجتمع وخصوصاً العجز عن رفع مستوى المعيشة.

لقد كانت مصر من بناة الحضارة بين أبناء آدم، بل كانت الأولى في العالم من قديم الحضارة وبعد التمدن؛ إلا أن أهلها ما زالوا يعيشون على ماء النيل فقط، فاذا لم يرتفع فيضان النيل إلى درجة موفورة، نقص حصاد الزراع، ومات الناس جوعا. وإذا لم تكف المؤونة بأن كان إنتاج الزراعة ومحصولها محدودا مع زيادة السكان، حدثت المصائب دائما، فلذلك ظلت مصر ضعيفة.

وإلى هنا كشفت المشكلة أمام أعيننا علانية، فلا بد أن ننزع ما بين البشر من حدود، ونبعد عن نطاق المتاع الشخصي، ثم نتجه إلى السماء بقصدنا المبين، ونستغل الطبيعة بقوتنا المتحدة وعند ذلك تحسن حالة المجتمع وتصلح شئون الوطن، ونرى أنفسنا متقدمين نحو الأمام مشغولين بالاختراع. تلك هي وجهة نظري الجديدة في الحياة، وهي نفسها نظرية الشمس والحياة.

نور ناهين

# داود باشـــا

## ونهضة العراق الأدبية

### فى القرن التاسع عشر

للمرحوم الأستاذ رزوق عيسى

— ٢ —

ومن آثاره الجامع المسمى باسمه فى الكرخ قرب مقام الخضر، والشارع الذى وسعه والباب الذى فتحه فى الرصافة بالقرب من رأس الجسر القديم بجانب الثكنة « القشلة » وقد نقشت فوق رتاجه هذه الأبيات :

آثار داود آثار بها لبست | بغدادُ حسناً يروق العين واضحه
تشكو الرصافة قدماً ضيق مسلكها
ويكره الضيف غاديه ورائحه
فأُمنحتَ بطريق لازحام به | وباب جسر حُبِى بالنصر فاتحهُ
يخاطب الملكَ الأعلى كأن به | شوقاً إلى المشترى يبغى يصافحهُ
أعيا أبا جعفر المنصور حين بنى | حظُّ أبو يوسف المنصور رابحهُ
داود من أيدت بالنصر دولتهُ | وعن لسان الثنا سارت مدائحه
لازلت تسمع خيراً من مؤرخه | بابٌ وداود ربُّ الفتح فاتحهُ
١٢٤١ هـ

ومن آثاره أيضاً الجامع القائم بسوق الهرج الذى شيد معالمه بعد دروسها وقد كتب فوق بابه ما يلى :

ذا جامع كان قدماً لا شبيه له | فى حسن بنيانه والدهر غيرهُ
وكم وزير أتى الزوراء ثم مضى | ولا لغير خيام الجند صيرهُ
حتى أتى ذا العلى داود آصفنا
من حاك بالسبعة الأفلاك مفخره
فشاد أطنابه من بعد ما انهدمت | للعابدين ووشاه وصوره
وحين ثم غدا الداعى يؤرخه | ذا جامع بالندى داود عمره
١٢٤٢ هـ

اهتم داود باشا اهتماما عظيما بتوسيع نطاق التجارة والزراعة وترقيتهما فكرى الأنهر وشق الربح ومنها نهر عيسى المعروف اليوم باسم أبى غريب الواقع فى الجانب الغربى من بغداد ، وقد نظم الشيخ صالح الخيمى قصيدة عامرة الأبيات مطلعها :

لونهر عيسى يحاكى فيض محييه | لصير الماء فى أعلى روابيه
نهر عليه ظباء الوحش عاكفة | دهراً فعادت ظباء الأنس تأويه

ولما تم كرى نهر عيسى شرع فى كرى نهر النيل الواقع فى لواء الحلة ، فأمر بحشد خمسة آلاف فاعل ، وقد أنجز حفره عام ١٢٤٢ هـ ، فأكثر الشعراء من مدح المترجم بقصائدهم ومنهم الشيخ صالح الخيمى الشاعر المطبوع القائل فى مطلع قصيدته هذه :

دع نهر عيسى وحدثنى عن النيل | واجر الحديث بإجمال وتفصيل
نيل ولا مصر لكن فى جوانبه | نضارة لم تكن فى مصر والنيل

ومن مآثره اهتمامه بفتح المدارس وإنشاء المعاهد العلمية والأدبية وقد بلغت فى زمن ولايته نحو ثلاثين مدرسة بين عالية وابتدائية ومنها المدرسة المعروفة باسمه وقد نالت شهرة واسعة .

شعره

كان صاحب الترجمة يحسن العربية ويجيد قواعدها وشواردها وله وقوف على آدابها ، وقد نظم قصائد عديدة ، ودبجت يراعته رسائل كثيرة بعث بها إلى أصحابه وإخوانه ؛ غير أن آثاره الأدبية فقد معظمها ولم يثبت منها سوى الشيء النزر فى بطون الدواوين وعلى صفحات المهارق ، وقد ورد فى سجع الحمامة وهو ديوان بطرس كرامة ص ٣٢٤ ما نصه : وقال مخمساً والأصل بيتان لبعض شعراء العراق شطرهما داود باشا والى بغداد سابقا :

زند الأسى بين الجوانح قدورى | لما تأخر ذو الأمام إلى ورا
أين الوفا والغدر قدعم الورى | ولقد يشق على النواظر أن ترى
ذاهمة فى ذلة وصغار
أضحى النبيل الفرد منفصم العرى | مما يؤمل جاهداً فوق العرا(١)
يا لهف نفس مرة مما عرى | ما كنت أو ترانى أشاهد أو أرى
كبراء قوم فى أكف صغار
فالدهر خصم إن بدا اطراقه | وإذا الزمان تراجعت أخلاقه
سلب الرئاسة من يد الأحرار

(١) ساحة الدار .

لعب الزمان بنا فليس بغـادر ... شهماً يعز عاذراً من غادر
يا طالباً شمسـاً بليل غادر (١) ... ما ذا تؤمل من زمان جائر
جعل الخيـار بقبضة الأشرار

ومنها قصيدته المعروفة بالدرع الداودية ، فقد وجدت فى خزانة جرجس بك صفا ، أوقفه عليهـا الأمير سعد حفيد الأمير بشير الشهابى الـكبير ، وهى من مخلفات شعر جده بطرس كرامه ، وها نحن أولاء ندرجها كلها لأننا لم نقف على غيرها من نظم ذلك الوزير الشاعر :

## الدرع الداوودية

أما آن للأحباب أن ينصـفوا معنا
فزاغوا وما زغنـا وحالوا وما حلنا
نعم هجروا واستبدلوا الوصـل بالجفا
وخانوا عهـوداً ماضيات وما خنا
رعينا حقوقاً لا علينا نعم لنا ... عليهم حقوق سالفات ولا منا
وفينا ولم نغـدر فـكان جزاؤنا
جـزاء أم عمرو فافهم اللفظ والمعنى
وإنا لقـوم نحفظ الود غـيرة
ونرعى ذماماً إن حضرنا وإن غبنا
وإن جيشوا جيشـاً من الصد والجفا
بنينا من الصبر الجميل لهم حصنا
هم زعموا أن كل برق يخيفنا ... تخابوا بما قالوا وقلنا وما خبنا
إذا ضـيعوا حقى فهم يعرفوننى
إذا هبت النـكباء كنت لهم ركنا
وإنى أبىٌّ أن ألم بريبة ... وأستعطف الخب اللئيم أو الأدنى
وما كان عيبى عندهم غير أننى ... إذا بيعت الأرواح لا أدعى الغبنا
وإن قام سوق الحرب إنى أشدهم ... لأعدائهم بأساً وأكثرهم طعنا
وأثبتهم جاشـاً وأطولهم يداً ... وأوفاهم عهداً وأكبرهم سنا
وأحكمهم عقـداً وأمنعهم حمى ... وأصدقهم قولا وأوسعهم مغنى
أجامـل أقواماً ولا لا مهابة ... فيزعم قوم أننـا منهم خفنا
وأسـكت إبقاء لود علمته ... وعندى مقال يحطم الظهر والبطنا

ولو وقفوا يوم الرهان مواقفى ... لأهديتهم روحى ومالى وما يغنى
فيا أسـفى ضيعت عصر شبيبتى
بكل خفيف القـدر لا يعرف الوزنا
فإن وصلوا حبلى وصلت حبالهم ... وإن قرعوا سنى جدعت لهم أذنا
إذاهمُ فى إسـعادنا لمة ... ألمت بنا قد أسعفونا فلا عشنا
وظنوا بأن الآل يشفى من الصدى ... تخاضوا به للورد جهلا وما خضنا
وقد بدلوا الغالى الذى تعرفونه ... بصفقة غبن لا نقيس بها غبنا
ولو علموا ما يعقب الغبن فى غد ... لقيل لهم تبت يدا كم وما أغنى
صحائف عنـدى غيرة قد طويتهـا
ولو نشرت يوماً لقصـوا لها ذقنا
أجـول بطرفى فى العراق فلا أرى
من الناس إلا مظهر البغض والشجنا
تخيرهم للأجنبى وقبحهم ... على بعضهم بعض يعدونه حسنا
وشبانهم شـابوا المودة بالجفا ... وشبنا وما للصفو فى كدر شبنا
حضرنا متى غابوا بموقف حـربهم
وإن حضروا فى موقف للخنـا غبنا
سمرنا مع السـمر العوالى لياليا
وهم سمروا فى ذكر سـعدى وفى لبنى
جفوا فوصلنا حبلهم بعد قطعه ... فدع منهم يبدو الجفاء ولا منا
ألا نخوة منهم فيصغون للذى ... أيادى سبا قد لاعبت ذلك المغنى
ألا حازم للرشـد شد حزامه ... لداهية ينسى بها الطائر الوكنا
ألا مرشد منهم عن الغى قومه ... فيوقفهم منه على السنن الأسنى
ألا رافع عن قومه بنى ظـالم
إذا فقدوا فى الحرب من ينطح القرنا
وكان إذا أبدى التشاجر نابه ... يفرون مثل الجر عنه وما كنا
ومن كل ناموس وبأس تخلصوا ... كما نحن من غل وغش تخلصنا
لقد حملوا ما يثقل الظهر من خنى ... كأنهم من ماله حمـلوا سفنا
متى تعتذر أيامنا من ذنوبها ... وهيهات من غدر لمومسة لخنا
فـكم طحنت قوماً بجؤجؤ صـدرها
وما أصلحت يوماً دقيقاً ولا طحنا
وعصبة لؤم قد تناجوا لحربنا ... فياويحهم ما ذا يلاقونه منا
تراموا وحاشا المجد أن يتقدموا ... علينا وهاموا بالأمانى وما همنا

(١) مظلم .

وطاشوا ببرق خلب لا أبالهم وسلوا علينا المرهفات وما خفنا

فقل لى بماذا يفخرون على الورى إذا عدت الآباء أو ذكروا الإبنا

فهبهم على المجد الأثيل تسنموا ألا يعلمون المجد بالقول لا يبنى

ألا غيرة تدعو الصريخ إذا دعا ليوم عبوس شره يوقظ الوسنى

طوينا عن الزوراء لادر درها بساطا متى ينشر نعد به طعنا

وإنى وإن كنت ابنها ورضيعها فقد أنكرتنى لا سقاها الحيا مزنا

إلى الله أشكو من زمان تخاذلت خيار الورى فيه وساؤوا بنا ظنا

وباع بفلس كل خل خليله وصار الكريم الحر يستر فد القنا

ألا مبلغ عنى سراة بين الوغى وأقيال عرب كيف صبرهم عنا

أهم بأمر الحزم فى حومة الوغى ومن ناهز الستين أنى له أنى

إذا كفى اليسرى أشارت لناقص قطعت لهـــا زنداً وألحقتها اليمنى

وأنا إذا صاح الصريخ لحادث أجبنا ولبينا ان فيه أنبــأنا

على الكرخ فى الزوراء منى تحية وألف سلام ما بها ساجع غنى

صحبتهم طفـلا على السخط والرضى وشبت فلا ســيفى أفاد ولا أغنى

وبعد مضى أربع عشرة سنة على ولايته فى بغداد سولت له نفسه أن يستقل بالقطر العراق ويعصى أميره كما فعل محمد على باشا والى مصر ، غير أنه لم يفز بوطره إذ فشا على أثر خروجه على الدولة العثمانية طاعون شديد الوطأة فى بغداد وما جاورها من البلاد بحيث ثبط عزمه وشتت شمل جيوشه . فلما انتهى إلى الآستانة خبر عصيانه أرسل السلطان محمود خان نحو عشرين ألف مقاتل يقودهم على رضا باشا والى حلب لكبح جماح الوالى المتمرد ، فباغت قائدهم مدينة بغداد وشدد عليها الحصار بينما كان أميرها المستقل منهمكا فى تحصين أسوارها وتقوية حاميتها ، وبعد مناوشات عديدة وهجوم ودفاع رأى أن لا طاقة له على القراع والكفاح لموت معظم جنوده بالوباء ، فأذعن لخصمه وسلم نفسه أسيراً ، فأرسل على الفور إلى الآستانة مخفوراً ، وقد برح عاصمة العباسيين قاصداً القسطنطينية عام ١٢٤٧ هـ — ١٨٣١ م حيث عفى عنه ، ولقى مزيد الحفاوة والإكرام لكثرة خدماته السالفة للدولة ، وبقى مشمولا بالرعاية والالتفات ، مــدة إقامته فى عاصمة المملكة .

لقد جمعت المترجم لحمة الأدب بالشاعر المفلق المعلم بطرس كرامة الذى أتحفه بقصيدته الخالية التى بعث بها إلى طائفة من أدباء وشعراء بغداد وطلب منهم أن ينسجوا على منوالها ويباروا صاحبها وهاك مطلعها وبعض أبياتها :

أمن خـــدها الوردى أفتنك الخال فسح من الأجفان مدممك الخــال[1]

وأومض برق من محيا جمالها لعينيك أم من ثغرها أومض الخال[2]

رعى الله ذياك القوام وإن يكن تلاعب فى أعطافه التيه والخال[3]

ولله هاتيك الجفون فإنهـــا على الفتك يهواها أخو العشق والخال[4]

مهـــاة أفتــديها ووالــدى وإن لام عمى الطيب الأصل والخال[5]

اقترح صاحب الترجمة على الشيخ عبد الباقى العمرى أن ينسج على منوال خالية بطرس كرامه فعارضها بقصيدة غراء مطلعها :

إلى الروم أصبو كلما أومض الخـال فأسكب دمعاً دون تسكابه الخال

وعن مدح داود وطيب ثنـائه فلا القد يثنينى ولا الخد والخال

وقد ختمها بهذين البيتين :

وإنى وإن كنت الرديف نظامه لمسبوقة حسن الردى لها الخال[6]

فذى معجزاتى ما أرى ابن كرامة يعارضها حتى يصـــاحبه الخال[7]

(يتبع) **رزوق عيسى**

(١) الخال فى الشطر الأول شامة الخد وفى الثانى السحابة الماطرة .
(٢) الخال : أبرق .
(٣) الخال : العجب والكبرياء .
(٤) الخال ضد العاشق : أى الخالى من الحب .
(٥) الخال : أخو الأم .
(٦) الخال : النقطة .
(٧) الخال : الكفن .

من أغاني الروح:

# عبيـــد الرياح

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

[ في غروب يوم قائظ، ماتت رياحه وسكن فيه كل شيء، إلا غناء شجي يتهاتر أنينه من هؤلاء المعذبين الأبطال. ساروا مصفدين بحبال السفن، يصارعون تيار النيل في عراك جبار مع الطبيعة، علهم يشقون في صدرها طريقهم إلى الجنوب! ]

رأيتهمُ في غروبٍ كئيبْ … يعز على شمسهم أن تغيبْ

حدتهم بأشلاء ضوء ذبيح … يعصفر أشباحهم باللهيب

جبـــابرة عوذوا للهواء … وبشوا رقاهم لريح المغيب

يلوحون صفاً وئيد الحراك … كأنهمُ صُلبوا في الكثيب

يسيرون سير الهوان المريب … ويمشون مشى الزمان الكئيب

فتحسبهم أوغلوا في الخيال … وعينُك تأخذهم من قريب!

على صدرهم من غضون الكفاح … أفاعى حبال تلف الجُنوب

تجـــاذبهم خطوهم للوراء … فهم من عناد بقايا حروب

ســواعدهم موثقات الزنود … ولكنها عـــدة للهبوب

تشق الفضـــاء بأصفادها … فتنشق أجوازه أو تذوب

وأجسادهم حانيات لهـــا … ركوع المحمَّل ثقل الذنوب

كأنهمُ في سفوح الزمان … شياطين تحدو المساء الرهيب

حواميمهم خلف نعش الرياح … (هواهو) (هواهو) غناء رتيب

سقاهم «سليمان» من سره … فكادوا يعشُّون سمع الغيوب

أقاموا جنازاً يئن الفضاء … بأصدائه، وينوح الغروب

يكاد يعزى، ويمشي النخيل … وراءهمُ، وتلوذ السهوب

شدوا واستجاروا وخاب النداء … فغاصت خطاهم وشقوا الجيوب

وصروا حفـــاة عراة لهم … شهيق الثكالى وزفر الغريب

على الأرض خُرْسٌ وإن همهموا … فهذى صلاة تذيب القلوب

يجرون أيامهم خلفهم … وذكرى شقاواتهم والكروب

عبيدَ الرياح، كلانا رقيق … فغنوا وسلوا عبيد الخطوب!!

محمود حسن اسماعيل

# الصـــــفقة الرابحة...

اطاغور

« تعال يا من يستأجرني » .

رفعت صوتي بهذا النداء وأنا أذرع شارعا معبداً في الصباح. أقبل الأمير في عربته الفاخرة وسيفه في يده، ثم أمسك يدي وقال « لأستأجرنك بقوتي وسلطاني، ثم مضى ... »

ولكن قوته لا تساوي شيئا.

وفي مر الظهيرة والشمس حانقة على الوجود، كانت المنازل مغلقة الأبواب، غير أني تابعت سيري في الدروب الملتوية، وأقبل رجل كبير السن في يده حقيبة ملأى بالذهب ... فكر ملياً ثم قال:

« لأستأجرنك بذهبي ... »

ثم وزن ذهبه قطعة بعد قطعة، ولكنني تركته يعد ذهبه وانفلت هاربا.

أقبل المساء وأسوار الحدائق تكللها الأزاهير، وبدت فتاة جميلة وقالت:

« لأستأجرنك بابتسامة .. »

شحبت ابتسامتها، وذابت في دموع غزيرة، ثم عادت أدراجها وحيدة وغابت في الظلام.

تلألأت الشمس على الرمال، وهدرت أمواج البحر في عنـاء، وجلس طفل يلعب بالقواقع على رمال الشاطىء. رفع رأسه وكأنه يعرفني وقال:

« أما أنا فإني أستأجرك بلا شيء ... »

ومن ذلك الوقت تعلمت معنى الحرية من صفقة طفل يلهو بقواقعه على الشاطىء.

( بغداد ) إبراهيم أبو الفتوح

# الأدب والفن في أسبوع

**مكتبة الأب أنستاس الكرملي :**

كلفت اللجنة الثقافية بالجامعة العربية مندوب العراق الاتصال بالحكومة العراقية على أن تحرص على اقتناء مكتبة فقيد اللغة والأدب الأب أنستاس الكرملي قبل أن تتبعثر وتتخطف الأيدى كنوزها النادرة .

وقد كان الأب الكرملى — رحمه الله — من الباحثين الذين يهتمون باقتناء الكتب النادرة ، وقد صرف كثيراً من عنايته إلى هذه الناحية . ومما يذكر أنه فى صدر حياته جمع مكتبة ضخمة فى خزانة دير الآباء الكرمليين ، وقد كانت هذه المكتبة تضم حتى عام ١٩١٤ أكثر من ١١ ألف كتاب عربى مطبوع وأكثر من ٨ آلاف كتاب أفرنجى مطبوع و ٧٨٣ كتاباً من نوادر المخطوطات كان ضمنها ديوان امرئ القيس وديوان السموأل وديوان المزرد ونسخة كاملة فى ٣٢ جزءاً من كتاب مرآة الزمن لابن سبط الجوزى ، ونسخة كاملة من الخصائص لابن جنى ، ونسخة من كتاب العين للخليل بن أحمد ، ونسخة تامة من ديوان الأدب للفارابى . ولكن هذه المكتبة النفيسة ضاعت إبان الحرب العالمية الأولى ، فكان ضياعها لجيعة قاسية على نفس الأب الكرملى ، وظلت الحسرة على ضياعها تلازمه حتى مماته .

على أنه — رحمه الله — أخذ فى تجديد تلك المكتبة ، وجهد فى جمع النوادر لها ، وقد استطاع أن يضم فيها قرابة ٢٠ ألف كتاب مطبوع وألفى كتاب مخطوط . ومما يذكر أن الكرملى ألف أكثر من أربعين كتاباً فى اللغة والأدب والتاريخ ، وقد طبع بعض هذه الكتب ، ولكن أكثرها لا يزال مخطوطاً ، وفيها ما لم يكمل تأليفه . وكان — رحمه الله - يعتز بهذه المؤلفات ويبالغ فى المحافظة عليها ، ولما قامت الحرب جمعها فى خزائن حديدية ودفنها تحت الأرض حتى لا تفتك بها الأحداث ، وقد صرف الكرملى حقبة طويلة من عمره فى تأليف قاموس عربى كبير قسمه إلى ثلاثين جزءاً ، أنجز منها ٢٢ جزءاً ، وكان فى آخر حياته شديد الحرص على إتمام هذا الأثر ، ولكن المنية عاجلته قبل أن يبلغ غايته .

ومما هو معروف أن الفقيد كان عضواً فى المجمع العلمى العربى بدمشق ، وعضواً فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، فإذا كانت الحكومة العراقية ستقوم من جانبها باقتناء مكتبته ، فلعل هذين المجمعين يقومان بالواجب عليهما نحو الفقيد ونحو أبناء العربية فيحرصان على نشر آثاره الخاصة وطبع مؤلفاته ، حتى لا يضيع جهد ذلك الباحث المظيم على اللغة ، وتكون نهايته أن يدفن فى خزانة …

**هل نهضنا ؟**

زميلتنا مجلة « الأديب » البيروتية دعامة من دعامات النهضة الأدبية العربية ، وصفحة مشرقة تنشر مفاخر الآباء ومآثر الأبناء وتسجل حلقات التطور فى الفكر العربى ، ثم هى تجمع إلى ذلك روائع التفكير الغربى ، فهى بحق تضطلع بمهمة شريفة كريمة فى خدمة القومية العربية والنهضة الفكرية .

ولكن هذه الزميلة العزيزة كتبت فى عددها الأخير تقول إنها تواجه أزمة مالية تهددها ، وإنها لذلك وضعت مستقبلها بين يدى أنصارها وأصفيائها ، وطالبتهم أن يعينوها باشتراك مادى مضاعف حتى تستطيع السير فى خطتها ؛ وتقول « الأديب » : إنها تقصد بالأنصار أنصار الرسالة الواعية والفهم القوى ، وإنها تأمل أن يجد نداؤها صداه البعيد فى نفوس الذين فى وسعهم تلبيته

وهذا داء معضل نعرفه فى الشرق العربى ، فلا نجد صحيفة أدبية تخدم الأدب الصحيح ، وترفع لواء الرأى الصريح ، وتخلص للقومية والعقيدة الرشيدة تصيب من التقدير والإقبال ما يعينها فى مهمتها ، ويساعدها على ما تضطلع به من أعباء ، على حين نجد عشرات الصحف والمجلات التى تعيش على تملق الغرائز والتجارة بالكلام التافه تصيب من التقدير والإقبال ما يغدق عليها وفير المال .

يقولون إننا فى الشرق العربى قد نهضنا فى الأدب ، وأنا أقول أجل ! إننا نهضنا ولكن بغرائزنا لا بعواطفنا ، ونهضة الغرائز

ضراوة وانحلال ، ويوم أن تنهض عواطفنا ، وتتهذب مشاعرنا ، نستطيع أن نقدر الفكر القويم، والأدب الكريم، والإنتاج المهذب

إنها في الواقع ليست محنة « الأديب » إذ لا تجد ، ولكنها تهمة لأبناء العروبة إذ لا يقدرون .

كتب الله السلامة « للأديب » ، وبصر بحالها كل ندب أريب ...

**جورج ديهامل :**

يزور مصر في هذه الأيام مفكر ممتاز وأديب فرنسي كبير له صيته ومكانته ، هو الأستاذ جورج ديهامل عضو الأكاديمية الفرنسية . وليس مسيو ديهامل بالمجهول لأبناء العربية عامة ولأبناء مصر خاصة ، فقد سبق له أن زار مصر كما زار بلاد الشرق ، وقد ترجم الدكتور طه حسين بك نخبة من آثاره إلى العربية ، كما ترجم له الدكتور محمد مندور كتاب « دفاع عن الأدب » فأدى بذلك خدمة جليلة للأدب العربي في مرحلة التطور التي يواجهها الآن .

ومسيو ديهامل في نحو الستين من عمره ، وقد درس في أول حياته الطب ، واشتغل بهذه المهنة ، وكانت نفسه تنزع إلى الأدب فاستجاب لهذه النزعة وأخذ يجمع بين الطب والأدب، ولما قامت الحرب العالمية الأولى خدم فيها ، واشتغل طبيباً في المستشفيات الحربية ، وقد كان هذا من عوامل التطور في حياته وفي تفكيره . لأنه لمس آلام الإنسانية بيديه ، وتمثلت مشاكلها الباطنية لعينيه .

وقد خرج من ذلك بعقيدة ثابتة وهي أن القلب موطن السعادة ومبعثها ، وأن العلم والعقل والحضارة لا تستطيع أن تسعد إنساناً إذا لم تشف قلبه وتغمره بالرضا والبهجة والاطمئنان وهذه العقيدة هي محور التفكير عند هذا الأديب الكبير في كل ما ينتج .

وإيماناً بهذه العقيدة يحب ديهامل وطنه فرنسا ويفني في هذا الوطن كما يقول ، لأنه نشأ فيه وترعرع ، ولأن فرنسا قد أسدت أكثر من أي أمة خدمات جليلة إلى الفن والأدب وبذلت كثيراً لإسعاد الروح الإنسانية ، وقد كان مسيو ديهامل في بيروت قبل أن يصل إلى مصر وقد ألقى هناك عدة محاضرات ، وسيلقي في مصر عدة محاضرات أخرى . وفي مساء الأربعاء الماضي ألقى المحاضرة الأولى بدار جريدة « البروجريه اجبسيان » ، وكان موضوع المحاضرة « فرنسا حياتي » فقال إنه ابن فرنسا ، وإنه نما وترعرع تحت سمائها ؛ وعاصر فيها عدة مراحل سياسية وتاريخية ، ولهذا فهو خبير بها مخلص لها ، ثم تساءل : بأي مقياس نحكم أن دولة أعظم من دولة ، أبكثرة عدد سكانها ، أم بما تملك من وسائل الإنتاج الاقتصادي والرواج التجاري ، أم بما تحشد من عدد الجنود والأساطيل ، ثم أجاب على هذا التساؤل قائلا : كلا ، بل بما تهب الدولة للعالم الإنساني من رجال عظام يخدمون الإنسانية في شتى نواحي الأدب والفن والعلم والاختراع ، ثم أشاد بما وهبته فرنسا للعالم من رجال عظام ونساء عظيمات خدموا الإنسانية في كل فن ومذهب .

ويظهر أن مسيو ديهامل لا يقوم الآن بزيارة الشرق لمجرد الرحلة ، بل ليؤدي واجبه نحو الوطن الذي يقول « إنه حياتي » وسيذيع سلسلة محاضرات في تمجيد الثقافة الفرنسية في وقت تتطاحن فيه الدعايات في الشرق للثقافة الأمريكية والثقافة الإنجليزية .

**تراث المعري :**

لما تجمع أدباء العربية في العراق منذ ثلاثة أعوام للاحتفال بذكرى أبي العلاء المعري رأى الدكتور طه حسين بك — وكان يومذاك مستشاراً فنياً لوزارة المعارف — أن خير ما يجب لأحياء ذكرى ذلك المفكر العظيم هو إحياء تراثه وطبع مؤلفاته . وقد اسرع بتنفيذ هذه الفكرة فألف لجنة من وزارة المعارف قوامها الأساتذة ابراهيم الأبياري وعبد السلام هارون وحامد جادو وعبد الرحيم محمود ومصطفى السقا ، وضم إلى اللجنة السيدة ابنة الشاطىء ولكنها لم تقدر على احتمال هذه المهمة الشاقة فانصرفت أو صرفت عنها .

واعتكفت هذه اللجنة في حجرة بدار الكتب ، وجمعت حولها كل تراث المعري وكل ما تحتاج إليه من الأضابير ومجفو الطوامير ، واستطاعت أن تحصل على المصادر التي ليست بالدار وما

تبعثر من آثار المعرى فى سائر الأقطار ، وقد استطاعت بعد قليل أن تخرج كتاب « تعريف القدماء بأبى العلاء » جمعت فيه كل ما قاله السابقون فى المعرى ، وهو كتاب يغنى الباحث عن الرجوع إلى عشرات الكتب كما يجد فيه ما لا يمكن أن يصل إليه لندرة المصادر

ثم أخذت فى إخراج كتاب « سقط الزند » مكملا بالشروح الثلاثة للتبريزى والبطليوسى والخوارزمى وقسمت الكتاب إلى أربعة اجزاء على أن يضم إليه خامس يشمل فهارس مفصلة ، وقد أنجزت منه إلى الآن ثلاثة اجزاء

وإنه لعمل جليل نافع ، يزينه اخلاص أعضاء اللجنة وما يتحلون به من صبر العلماء وتفرغهم لخدمة العلم والأدب منقطعين عن ضجيج الحياة الفارغ ، على حين أن الوزارة لا تكافئهم بما يكفى من الأجر ، ولا تجازيهم حتى بكلمة شكر ...

ولكن الأمر الذى يؤسف له أن اللجنة تخرج ما تنجزه من الكتب ثم تسلمه لوزير المعارف ليتصرف فيه بحكمته . ووزارة المعارف توزع الكتب هدية ، ولكنها تكون هدية إلى من يستحق ومن لا يستحق ، بل إن الوزارة تحبس كثيراً من النسخ لديها ولا تسمح لأحد بالحصول عليها ، أليس معنى هذا أن الوزارة تبعث تراث المعرى لتقبره من جديد !

**فكرة ماتت :**

كان تفكير القائمين على دار الكتب المصرية قد اتجه إلى بعث مصادر الأدب المصرى التى لا تزال إلى الآن مخطوطة مطمورة بالدار ، على أن ننشر نشراً علميا يستوفى الأسباب والوسائل الكافية ، ويقوم بتصحيح كل كتاب أستاذ معروف بقدرته وخبرته .

والفكرة وجيهة رشيدة ، بل إن النهوض بها واجب يقتضى الإسراع فى إنجازه ، فإن من العار أن يبقى أدبنا الذى يمثل شخصيتنا والذى هو منار فخارنا مطموراً منسياً إلى اليوم ، وإن من الهوان أن يبقى الأدب المصرى فى أزهى عصوره مجهولا حتى الآن .

ولكن يؤسفنا أن نقول إن هذه الفكرة الطيبة قد ماتت وطوى خبرها كما تطوى كل فكرة طيبة فى مصر ، وليس لهذا من سبب إلا لأن الذين فكروا فيها واتجهوا إليها قد بعدوا فى مجال العمل عن الإشراف على دار الكتب ، فلما جاء الخلف عز على نفوسهم أن ينفذوا فكرة صالحة للسلف .

فهل للقائمين بأمر الدار أن يمضوا فى هذه الفكرة ، وأن يعجلوا بانجازها وتنفيذها تقديراً للقومية وللعربية وإحياء لتراث عظيم مبعثر ، قبل أن يندثر ويقبر ؟ !

**مجمعاند علميانه :**

أخذت الحكومة العراقية بالأسباب لإنشاء مجمع علمى عربى على نظام المجمع العلمى العربى بدمشق ، وستجعل من مهمته التأليف والترجمة والنشر ، على أن تلغى اللجنة التى تضطلع بهذه المهمة .

وكان دولة رياض الصلح بك رئيس الوزارة اللبنانية يفكر فى إنشاء مجمع على هذا الغرار فى بيروت ، فلما عاد إلى الوزارة فى هذه الأيام كان أول ما انصرف إليه اتجاهه ، هو تنفيذ تلك الفكرة ، ويقولون إنه بسبيل تحقيقها وإخراجها إلى الواقع .

وإنشاء المجامع من هذا الطراز يخدم العلم واللغة والأدب ، وينظم الإنتاج الفكرى ويدعمه ، ثم هو يقوى الروابط بين الأقطار العربية ، لأن صلات الهيئات تكون أقوى وأشمل من صلات الأفراد .

وإذا ما تم إنشاء هذين المجمعين إلى جانب مجمع دمشق ومجمع اللغة فى مصر يكون فى بلاد الجامعة العربية أربعة مجامع ، أى أربع دعامات لخدمة العلم والأدب واللغة ، والهدف الذى نرجو أن تتوجه إليه جهود هذه المجامع هو أن تعمل متحدة متضافرة على جمع التراث العربى المبعثر فى الآفاق ، الموزع فى الأقطار ، فمنه جانب فى مكاتب الأستانة ، وجانب فى الاسكوريال ، وقسم كبير فى مكاتب أوروبا ومتاحفها ، ولقد انقضت السنون وما زلنا نعيش على انتظار ما تجود به علينا أيدى المستشرقين من هذا التراث .

**جامعة أدباء العروبة :**

افتتحت جامعة أدباء العروبة فرعاً لها بمدينة الفيوم ، وأقامت لذلك حفلا رائعاً ، فى مساء الخميس الماضى خطب فيه معالى

دسوقى أباظة باشا وزير المواصلات فتحدث عن أغراض الجامعة ومراميها ، وشرح ما تهدف إليه من غاية فى رعاية الأدب وتقوية الروابط ، ثم تعاقب الشعراء والخطباء فى إلقاء قصائدهم وكلماتهم فأنشد وخطب الأساتذة الدكتور إبراهيم ناجى ، وطاهر أبو فاشا وأحمد عبد المجيد الغزالى ، وخالد الجرنوسى ، والعوضى الوكيل ، وعبد المنعم إبراهيم ، وطه عبد الباقى سرور ، وعبد الوارث الصوفى ، وهم من الفريق القاهرى ، وعبد العظيم بدوى ، ونبيه أبو زهرة ، ومحمد النشرتى ، وغيرهم من الفريق الفيومى . وكان موضوع القصائد والخطب الحديث عن الفيوم ، من الوجهة التاريخية والأدبية ، وإنه لموضوع له قيمته ، ويا حبذا لو أن الشعراء والخطباء عنوا بتجريده وتخليصه من شوائب المناسبة وسجلوه لتعميم الفائدة .

**فى موكب الجلاء والحرية :**

أقام لبنان الشقيق فى مطلع هذا الشهر احتفالا رائعاً شاملا احتشدت فيه المواكب المختلفة بمناسبة جلاء الفرنسيين عن البلاد وخلوصها من براثن الاستعمار ، ولقد ظلت بيروت أربعة أيام كاملة وهى تفيض بالسرور وتهزج أهازيج الفرح والنشوة .

هذه المناسبة الطيبة الرائعة كانت ربيعا للشعراء والأدباء ، فقد هزت عواطفهم بخالد الشعر وروائع البيان ، فانطلقوا يتحدثون عن تاريخ حافل بمآثر الأدباء والأجداد ، وذكر عاصر بمواقف النضال والجهاد ، كما راحوا يشيرون بأصابعهم إلى ما كان من بلايا الاستعمار ورزايا الاستعباد :

إرث من الماضى البغيض مجمع ... فى كل عضو منه سوس ناخر
مشت السياسة فى حواشيه كما ... يمشى على البلد الأمين الغادر
وطفت على حركاته أمواجها ... فغامر من أجلها ومقامر
ومؤامرات تشترى فى سوقها ... وتباع بالسلع المجاف ضمائر

ولقد مضى أسبوعان وما زالت صحف لبنان تفيض أنهارها بآيات البيان شعراً او نثراً فى تمجيد يوم الجلاء والابتهاج بيوم الحرية والخلاص ، وكنا نود أن نسجل هذه الآثار ولكنها شىء كثير ؛ فلعل المسئولين فى لبنان يعنون بجمع هذه الآثار وتسجيلها فى كتاب يذاع إكباراً لتلك المناسبة الكريمة ، وتمجيداً لتلك الذكرى المجيدة

**ترجمة مائة كتاب :**

من بين القرارات التى اتخذتها أخيراً لجنة الثقافة بالجامعة العربية العمل على اختيار مائة كتاب من الكتب التى صدرت باللغات الأجنبية ، والقيام بترجمتها وتوزيعها على بلاد الشرق الأوسط ، وقد ألفت لجنة خاصة للاشراف على هذا العمل والقيام بتنفيذه .

وتقول اللجنة فى تبرير هذا العمل إنه مما يقوى العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب ، ونقول نحن إنه كذلك يؤدى خدمة ثقافية لأبناء العروبة ، ويعينهم على تتبع التطور الفكرى فى العالم ، ولكن ألا توافقنا هذه اللجنة على أن هذا العمل ينطوى على دعاية للغرب فى الشرق ، وهى دعاية تحرص عليها الأمم الغربية فى الظروف الراهنة وترصد للقيام بها الأموال الكبيرة .

هذا صحيح ! ولقد كنا نود من اللجنة أن تحرص أولا على اختيار مائة كتاب عربى وتعمل على نقلها إلى اللغات الأجنبية الذائعة وتقوم بتوزيعها فى أوروبا وأمريكا لتكون دعاية للشرق فى الغرب ، وليعلم أولئك الذين لا يزالون يتصوروننا شعوباً بربرية أننا لا نتخلف عنهم فى كثير إن لم نكن لا نتخلف عنهم فى شىء ، وما أحوج الشرق العربى فى هذه الظروف إلى الدعاية السياسية والدعاية الفكرية !

« الجاحظ »




**ناظم حكمت أكبر شعراء الترك ينظم وهو في السجن :**



فى أحد السجون التركية يعيش الآن ناظم حكمت أكبر شعراء الترك فى العصر الحديث وقد انقطع عن دنيا الناس منذ عشر سنين ولا يزال يرسل خواطره وأحاسيسه إلى العالم المفكر كأنه يقول لهؤلاء الذين قيدوه وحدوه أن الفكر الحر لا يحصره مكان ولا يعقله قيد .

وولد ناظم حكمت فى أوائل هذا القرن فى مهد مترف من مهود الأسر التركية الأرستقراطية. ولما أتم دراسته العامة أدخل المدرسة التجهيزية البحرية ، فقضى فيها ردحا من الزمن ثم فر منها عام ١٩١٨ ليقصر وقته وجهده على بعث الشعر التركى من جوده ، وتحرير الشعب التركى من قيوده ، فدخل جامعة موسكو ليضيف إلى ثقافته الفرنسية التى شب عليها ، الثقافة السلافية التى صبا إليها . ولكن الثقافات الأجنبية لم تشغله عن ثقافته التركية ، فأحيا فى شعره ما مات من الأساطير التركية والأغانى الشعبية ، ووصل بين قديم الشعر وحديثه دون أن يحمل باله لما نظم الشعراء الانتقاليون بين هذا العصر وذاك . فهو فى الشعر التركى بمثابة مياكوفسكى ولوركا فى الشعر الروسى ، وهو فى ذيوع الإسم وسمو المكانة بمنزلة يحيى كمال أمير الشعر القديم ، فلا غرو إذا جعلوه خليفته فى إمارة الشعر الحديث .

وناظم حكمت يعشق الحرية ويركب فى سبيلها الأهوال ، لذلك لم يُغض الكماليون طويلا عن آرائه ( الهدامة ) ، فاتجهوا بالنظر السياسى إليه ، وفتشوا داره فيما فتشوا من دور الضباط التلاميذ فى الجيش والبحرية ، فعثروا على طائفة من قصائده تبرر اتهامه بالتحريض على قلب نظام الحكم الحاضر وإفساد الشباب ، فقدموه إلى المحاكمة ، فحكم عليه مجلس الجيش ومجلس البحرية بالسجن أربعين عاما . وقد قضى الشاعر من هذه المدة عشر سنين لم يكف أثناءها عن الكتابة .

ولقد نظم فيما نظم قصيدة مطولة فى الشاعر التركى الفيلسوف بدر الدين أحد شعراء القرن الخامس عشر الذى حاول أن يؤلب الشعب على طغيان السلاطين فألقوه فى السجن ولم يخرج منه إلا إلى المشنقة . وظل ناظم حكمت كما كان بدر الدين مؤمنا بخلوص الفطرة فى شعبه المكظوم المظلوم . فأخذ يقويه بالغذاء الأدبى النافع من مآثر أجداده وتقاليد أبطاله . وهو ينظم الآن ملحمة كبيرة شارفت على التمام عنوانها : ( أسطورة الاستقلال ) ، وموضوعها الحرب التى شنها الشعب التركى على مضطهديه ما بين سنتى ١٩٢٠ و ١٩٢٢ ، ومن فصولها فصل عن (نساء الأناضول) وهن يجددن عهود البطولة بنقل الذخائر والمؤن إلى المقاتلين فى سهول الأناضول المقفرة .

ذلك هو ناظم حكمت الذى قضى عشر سنين سجينا فى بلاده وهى ربع المدة التى حكم عليه بها ، وكل ما اقترفه من الذنوب أنه فكر بحرية ، وكتب ما يعتقد فى سبيل الحرية ! !

**طانيوس عبده وشريعة اليونان :**

قرأ الشاعر الرقيق المرحوم طانيوس عبده ، أن شرائع اليونان تعاقب المرأة الخائنة بجدع أنفها ، والرجل الخائن بقلع عينه ، فكتب على هامش الكتاب ما يلى :

| | |
|---|---|
| فلو وصلت شرائعهم الينا | على ما نحن فيه من المجون |
| لأصبحت النساء بلا أنوف | وأصبحت الرجال بلا عيون |

**طريق الهجرة النبوية :**

خرج النبي صلوات الله عليه ومعه الصديق رضوان الله عليه من غار ثور بمكة فرا بالبحرة ، والمستدل ، وخيمات أم معبد ، وقديد ، وحذوات ، وثنية الرحاء ، وثنية الكوبة ، والمرة ، وذات كشد ، والمدلجة ، والمسيانة ، وأمج ، والحزار ، وثنية المرة ، ولقف ، ومحاج ، ومرجح ، والأجرد ، وذى سمرة ، وتمهن ، والقاحة ، والعرج ، وثنية الاعتبار ، وكوبة ، ورثماء ، وقباء ، فالمدينة المنورة ، على ما ذكر فى عيون الأثر فى فنون

المغازى والشمائل والسير لابن سيد الناس » و « مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى » وخريطة الهجرة النبوية للأستاذ الحصانى ، ومعجم البلدان لياقوت ، وغيرها .

محمد عبد الوهاب فايد

**كتابة الأعداد وقراءتها :**

ورد فى كتاب النحو الواضح المقرر للمدارس الإبتدائية (ج ٢ ص ١٩١ الطبعة الثالثة عشرة ) المثالان الآتيان :

« غزا المدينة جيش يتألف من ألفين وأربعمائة ... »

« قرأت من الكتاب مائة وعشرين ... »

لقد قدم الأستاذان الفاضلان ماحقه التأخير وأخرا ماحقه التقديم : قدما الألفين على الأربعمائة والمائة على العشرين مع أن الأصل — على ما أرجح — تقديم الأربعمائة على الألفين والعشرين على المائة ، لأن التمييز لا يكون إلا للعدد الكبير دون الصغير إذا اجتمعا أى للألفين لا للأربعمائة وللمائة لا للعشرين ، ولهذا يمتنع الفصل بين المميز المضاف والتمييز المضاف إليه إلا للضرورة .

هذا من جهة ومن جهة أخرى لا يجوز كتابة الأعداد وقراءتها من اليسار إلى اليمين ، لأن اللغة العربية على عكس غيرها من اللغات لا تكتب ولا تقرأ إلا من اليمين إلى اليسار . فالألوف مثلا لا تكتب قبل المئات والمئات لا تكتب قبل العشرات والعشرات لا تكتب قبل الآحاد .

وقد ظل أبناء هذه اللغة يكتبون الأعداد ويقرءونها من اليمين إلى اليسار كما هو شأنهم فى كتابة الجمل وقراءتها حتى أوائل العصر التركى أو الفترة المظلمة ؛ وفى هذا العصر استعجمت الأعداد وبعض الألفاظ أو بعبارة أصح استتركت وأصبح أكثر الكتاب والمؤلفين منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا يكتبون الأعداد ويقرءونها من اليسار إلى اليمين خلافا للقاعدة المتبعة فى كتابة اللغة العربية وقراءتها .

وإنى لأرجو أن يقوم الأستاذان الفاضلان بتصحيح المثالين المذكورين عند إعادة طبع هذا الكتاب حتى لا يلقن الطلاب فيما بعد قواعد مغلوطة .

( عمان ) لطفى عثمان

**داء قديم :**

جاء فى كتاب الكامل للمبرد فى أخبار الخوارج هذه القصة « خرج مصعب بن الزبير الى « باجميرا » ثم أتى الخوارج خبر مقتله بمسكن ، ولم يأت المهلب وأصحابه فتوقفوا يوما على الخندق فناداهم الخوارج : ما تقولون فى المصعب ؟ قالوا : إمام هدى . قالوا : فما تقولون فى عبد الملك قالوا : ضال مضل . فلما كان بعد يومين أتى المهلب قتل مصعب ، وأن أهل الشام اجتمعوا على عبد الملك بولايته فلما تواقفوا ناداهم الخوارج ما تقولون فى مصعب قالوا لا نخبركم . قالوا فما تقولون فى عبد الملك ؟ قالوا ! أمام هدى . قالوا يا أعداء الله بالأمس ضال مضل ، واليوم إمام هدى ! يا عبيد الدنيا عليكم لعنة الله »

قلت : وهذه قصة الدنيا مابقى فيها عبيدها ، فلست تجدز منا خلا منها ، ولا جماعة من الجماعات تحللت من هذه العبادة المخزية ، غير أن القصة إذا جرت بين قوم يحرمون على الناس عبادة الشهوات كانت أدعى إلى العجب ، وأبعد عن الأدب .

على العمارى




« لا غير »(١) أيضا :

إلى الأستاذ الكبير محمد إسعاف النشاشيبي

تحية وإجلالا .

إن النقطة الأساسية فى ملاحظتى حول « لا غير » هى بيان علة التلحيق وأنها ليست كما ذكرتم أولا . وقد جاء فى ردكم الأخير ما يشعر بتأييدكم لما ذهبت إليه ، وبذلك تم البحث فى هذه النقطة كما هو تام فى خصوص صحة تلك العبارة « لا غير » لدى المحققين ، وأحسب أننى قد أشرت إلى ما فى عبارة « التاج » التى نقلتموها بقولى : « كما جنح إليها كثير من المحققين » الخ .

أما فيما يتعلق بالاستشهاد بما جاء فى تلك « الجريدة » إزاء الرد على ابن هشام فإننى لا زلت غير مطمئن إليه لأن ابن هشام قد لحن جميع عبارات المولدين التى انتظمت « لا غير » بحجة أنها لم تسمع عن العرب ، ومن ضمن هذه العبارات ما شملته « الجريدة » فالاستشهاد بها ضده استشهاد بما هو منتقد وخطأ فى نظره ، وهذا ما لا تسمح به قوانين البحث التى تحظر الاستدلال بموضع النزاع ، ومن أجل هذا أرى أن الرد عليه لا يكون بهذا الوضع ، على أن الاستدلال بكلام أئمة اللغة من المولدين موضع نزاع بين العلماء ، والجمهور على عدم جوازه كما هو مبسوط فى الخزانة للبغدادى وغيرها من كتب هذا الفن .

والسؤال عن الفاء فى « فلم تقنع » فجوابه أن الفاء واقعة فى موضعها والتحريف فيما بعدها حيث انقلبت النون ميما والصواب « فلن تقنع » بالنون كما هو مرسوم فى الأصل المحفوظ ولا أدرى أكان هذا التحريف وقت الكتابة أم كان وقت التصفيف بالمطبعة ومثل هذا فإن جواب الشرط قد يقترن بالفاء ، ولو لم يكن من نوع ما أشار إليه ابن مالك بقوله :

واقرن بفا حتما جوابا لو جعل شرطا لأن أو غيرها لم ينجعل

وممن نص على جواز دخولها على الجواب المنفى بلم أبو على أحمد بن جعفر الدينورى كما نقله عنه غير واحد من النحاة .

وأما السؤال عن صحة هذا التعبير : « فيا حبذا لو أن الأستاذ الخ ... » فجوابه أننى لم أهتد إلى ما يمنع من صحة هذا التركيب بعد ما صرح النحاة بأن لو تكون مصدرية كما فى قوله تعالى : « ودوا لو تدهنوا فيدهنون » وبعد ما ذكروا أن المخصوص يحذف كما فى قول مداد بن هماس الطائى :

ألا حبذا لولا الحياء وربما منحت الهوى ماليس بالمتقارب

وأظن أن مبالغتكم فى التحدى بقولكم : « وعن ورود مثل هذا التركيب « فيا حبذا لو أن الأمر كذا وكذا » فى كلام قديم أو مولد متقدم أو متأخر » مما ساعدت على الإجابة بما يأتى :

جاء فى مقال الأستاذ الكبير محمد كرد على الذى نشرته الرسالة فى عدد ٩٢ تحت عنوان : « الدرر الكامنة » ما نصه : وحبذا لو شفع الناشر . وجاء فى قصيدة رواية المصاهرة للأستاذ غنيم التى نشرتها الرسالة أيضا فى عدد ٣٠١ :

هذا كلام واضح صريح يا حبذا لو أنه صحيح

---

إن الأوان هذه الأيام يا حبذا لو صحت الأحلام

وفى الختام أشكر لحضرتكم الاعتناء بتلك الملاحظة والرد عليها حياكم الله وبياكم والسلام عليكم ورحمة الله .

( طرابلس الغرب ) عبد الرحمن الفلهود

علية ابنة المهدى فى طبرناباذ :

أذكرنى المقال الذى دبجه الأستاذ الفاضل شكرى محمود أحمد بشأن طيزناباذ وما قيل فيها ( الرسالة ذات الرقم ٧٠٢ ) بأبيات صاحبة الفن علية ابنة المهدى التى تعتذر فيها إلى أخيها الرشيد — رجل الدنيا وواجدها فى ذلك الزمان — وكان قد انتهى إليه أنها أقامت فى تلك المدينة أياماً بعد انصرافها من الحج فغضب . فقالت :

أى ذنب أذنبته أى ذنب أى ذنب لولا رجائى لربى

بمقامى بطيرناباذ يوماً بعده ليلة على غير شرب

---

(١) أعتذر عن تأخر نشر هذه الكلمة حيث لم أتصل بعدد ٦٩١ إلا متأخرا مع عدة أعداد بعده .

ثم باكرتهـا عقاراً شمولا    تفتن الناسـك الحليم وتصبى
قهوة قرقفاً يراهـا جهولا    ذات حلم فراجة كل كرب

قالوا : وصنعت فى ذلك لحناً ، فلما سمع الرشيد الشعر واللحن رضى عنها .

قلت : هذا الاعتذار أفظع من الذنب . . . ولـكنها شفاعة الشعر والفن .

وفى أخبار هذه ( العلية ) الظريفة ، ممـا رواه أبو الفرج فى أغانيه ، هذه الحـكاية اللطيفة :

قال أخوها إبراهيم بن المهدى — وهو مثلها صاحب فن — ما خجلت قط خجلتى من علية أختى ؛ دخلت عليها يوماً عائداً فقلت : كيف أنت يا أختى جُعلت فداءك ، وكيف حالك وجسمك ؟ فقالت : بخير والحمـد لله . ووقعت عينى على جارية كانت تذب عنها ، فتشاغلت بالنظر إليها فأعجبتنى وطال جلوسى ، ثم استحييت من علية فأقبلت عليها فقلت : كيف أنت يا أختى جعلت فداءك ، وكيف حالك وجسمك ؟ فرفعت رأسها إلى حاضنة لها وقالت : أليس هذا قد مضى وأجبنا عنه ؟

قال إبراهيم : فخجلت خجلا ما خجلت مثله قط وقمت وانصرفت .

***

ورجعة إلى طيرناباذ نسأل فيها الأستاذ الفاضل بعد السماح :

هل الأطلال التى ما تزال ماثلة للعيان فى تلك المدينة المندثرة هى القباب التى ذكروا فقالوا : « لم يبق بطيرناباذ إلا قباب يسمونها قباب أبى نواس » .

هذا وللأستاذ أفضل الحمد .

( نابلس )    فدوى عبد الفتاح طوقان

## ١ — إلى الأستاذ عباس خضر :

استوقفتنى بعض التعقيبات التى نشرها الأستاذ فى العددين ٦٩٩ ، ٧٠٢ من الرسالة الغراء ، فليسمح لى بهذا التعليق المتواضع :

١ — لا أستطيع أن أوافق الأستاذ على رأيه فى « رؤيا لم نقص » فى قصة : « قطر الندى » للأستاذ العريان ، فهو يرى بعض النقص فى هذا الوضع ويسأل كيف عرف المؤلف تمام رؤيا لم يقصه رائيها .

ونحن نعرف أن للقصة أصلا تاريخيا ، ولعل ذلك هو الذى دفع إلى هذا التساؤل ، ولـكننى أحب أن أقول إن مؤلف القصص التاريخى لا يقف عادة موقف المؤرخ المحقق ، وإنما له حقه — كأديب فنان — فى أن يخلق بعض الحوادث الخيالية لـكى يتم لقصته ما يريد من التأثير ما دامت الغاية فنية ، وليست تحقيقية .

ونحن لن نسأل سؤال الأستاذ قبل أن نسأل أسئلة كثيرة أخرى من قبيله : كيف رأى دانتى صنوف العذاب فى جحيمه ؟ وكيف رأى شوقى قرية الجن فى قصـة المجنون ؟ وكيف يعرف توفيق الحـكيم حوادث قصصه ومعظمها خيالى ؟ ؟

ومع أننا جميعا نعرف أن أدباء المهجر لا يعبأون بقواعد اللغة كما يقول الأستاذ ، إلا أننى لا أصدق بمثل هذه السهولة أن الـكاتب يخطىء هذين الخطأين الواضحين الفاضحين ، وأرجح أنه أراد فى الأولى « مجيمون » على صيغة إسم الفاعل من « أجاع » وأن فى الثانية خطأ مطبعيا لا نستطيع أن نجزم بعدم وجوده لأنه خطأ مطبعى بسيط منتظر ، ولو أنه خطأ لغوى كبير غير منتظر .

وإلى الأستاذ سلامى وتقديرى .

## ٢ — إلى الأستاذ محمود شاكر :

رأيتك أيها الأستاذ الفاضل تورد هذا البيت هـكذا :

فقالت من أى الناس أنت ؟ ومن تـكن ؟    فإنك راعى صرمـة لا يزينهـا

بعلامة استفهام بعد « ومن تـكن » .

وأغلب ظنى أن « من » هنا شرطية وليست استفهامية ، والدليل على ذلك هذا الجزم فى الفعل المضارع ، فإنه لا محل له هنا فى حالة الإستفهام ، وهذا هو رأيى الضعيف والسلام .

محمد أحمد عبد




# الصعلوك ...

لجي دي موباسان

ترجمة الأستاذ أحمد عبد الرحمن

لقد عرف في حياته أياماً خيرا من هذه ، على رغم ما به من عاهة وبؤس . كان قد فقد ساقيه وهو في الخامسة عشرة من عمره حينما صدمته عربة في شارع فارفي الكبير . ومنذ ذلك الحين وهو يطلب الصدقة ماضيا في الطرقات متنقلا بين المزارع متكئا على عكازيه اللذين جملا كتفيه يرتفعان إلى ما فوق أذنيه ، فكانت هامته تبدو كأنها غائصة بين مرتفعين

وإذ كان طفلا لقيطا قد عثر عليه راع بيبت في نفق ، أمسية يوم الموتى فسماه معمده بهذا السبب نيقولا توسان . ثم كانت تربيته مما يجود به أهل الخير فنشأ بعيداً عن كل ثقافة مجرداً عن أية معرفة ، قد جرى له هذا الحادث عقب شربه بعض أقداح من الزبيب قدمها إليه خباز القرية ، وكان أضحوكة بين الناس ثم غدا منذ ذلك الحين شريدا ، فأنه لم يكن يحسن عملا من الأعمال إلا أن يمد يده

كانت البارونه أثاري فيما مضى قد تركت له إلى جانب حظيرة الدجاج بالمزرعة الملاصقة للدار كوخا حقيرا مليئا بالقش ينام فيه . وكان هو واثقا في أشد الأيام مجاعة أنه واجد دائما كسرة من الخبز وكوبا من شراب التفاح في المطبخ . وكثيرا ما كان يتلقى بعض الدريهمات من السيدة العجوز تلقيها عليه من أعلى الدرج أو من نوافذ حجرتها . أما الآن فقد ماتت هذه السيدة

لم يكن يظفر بشيء في القرى . فلقد عرفه الناس جيد المعرفة وقد برموا به وعيوا بأمره منذ أربعين سنة وهم يرونه يتنقل ببدنه البشع وأثوابه المرقعة على اقدامه الخشبيه بين الخرائب والأنقاض ، ومع هذا فهو لم يكن يريد أن يبرح المكان . لأنه لم يكن يعرف على الأرض شيئا غير هذه الزاوية من البلد ، هذه القرى الثلاث أو الأربع التي قضى فيها حياته التعسة . لقد وضع حدودا للامكنة التي يزاول فيها مهنته . وما كان ليجاوز هذه الحدود التي قد اعتاد أن لا يعدوها ألبتة

كان يجهل ما إذا كان العالم يمتد إلى ما وراء الأشجار التي تحيط ببصره ، ولم يكن يسائل نفسه في هذا الشأن . وحينما كان الفلاحون يضيقون بملاقاته على أطراف حقولهم وحافات أنفاقهم كانوا يصيحون به : لماذا لا تذهب إلى القرى الأخرى بدلا من تنقلك هنا على الدوام ؟ لم يكن يحير جوابا ، بل يبتعد عنهم وهو يشعر بنوع من الخوف المبهم من المجهول ، خوف البائس الذي يخشى أمورا كثيرة لا يتبينها ، كالوجوه الجديدة ، أو اللعنات ، أو النظرات المرتابة التي يرميه بها أناس لا يعرفونه ، أو الشرطة الذين يمرون بالطريق اثنين أثنين ، والذين كانت رؤيته اياهم تحمله بالغريزة على الاممان في الشجيرات الوحشية أو الاختفاء وراء كومة من الحطب

حينما كان يلحظهم من بعيد ، ويرى بريق ثيابهم تحت أشعة الشمس ، كان يجد للتوّ خفة غريبة خفة الوحش الذي ينشد الملاذ ويطلب النجاة . فينسلت من بين عكازيه ويسقط على الأرض كالخرقة ، ثم يتدحرج كالكرة ولا يلبث أن يتصاغر ويتضاءل كمنظر أرنب في جحرها وقد اختلطت أسماله القاتمة بالأرض

ومع هذا لم يسبق أن كان له معهم شأن من الشئون . ولكنه كان يحمل هذا الشعور في دمه كما لو كان قد ورث هذا الخوف والمكر عن أبويه اللذين لم يعرفهما ألبتة

لم يكن له بيت يؤويه ، فلا سقف يظله ولا كوخ يضمه ولا ملجأ يحميه . كان في الصيف ينام في أي مكان . وفي الشتاء كان ينفذ إلى مخازن الغلال أو في زرائب الماشية بمهارة ملحوظة ، كان يبادر دائما إلى الفرار قبل أن يحس وجوده أحد . وكان يعرف الثقوب التي يمكن بواسطتها النفاذ إلى المنازل والأبنية . ولما كان طول استخدام عكازيه قد أكسب ذراعيه قوة غير عادية ، فقد كان يصعد متسلقا إلى سطوح الأهراء معتمدا على قوة راحتيه وحدهما حين يظل أحيانا أربعة أو خمسة أيام دون حركة حينما يكون قد جمع في تجواله مؤونة كافية

كان يحيا كوحش الغاب وسط الناس دون أن يعرف أحداً أو يحب أحداً . ولم يكن يترك في نفوس الفلاحين إلا نوعا من

الاذدراء الخالى من الاكتراث ، والبغض الذى يمازجه الأغضاء وقد لقب كلوش [1] لأنه كان وهو يترجح بين قدميه الخشبيتين أشبه بالناقوس وهو يترجح بين محوريه

وقد مضى عليه يومان لم يطعم فيهما شيئا ولم يمنحه أحد شيئا ، فقد ضاق به الناس جميعاً وأرادوا أن يفارقهم ويذهب عنهم وكان الفلاحات يصحن به على أبوابهن حينما يرونه مقبلا من بعد : ألا تريد أن تذهب عنا أيها الوغد ، ألم أعطك قطعة خبز منذ ثلاثة أيام

فكان يدور على وتديه ، ثم يمضى إلى البيت المجاور حيث يستقبل كما استقبل فى الأول

وتصايح النساء من باب لآخر :

ليس من سبيل مع هذا إلى كفاية هذا المتبطل الكسول من الطعام طوال السنة

ومع هذا فان المتبطل الكسول كان فى حاجة إلى الطعام كل يوم

كان قد طاف فى شوارع سانتهلير وفارفى وبييت دون أن يربح سنتيما أو يحصل على كسرة من الخبز ، ولم يبق له من أمل إلا فى تورنولا ؛ ولكن كان عليه أن يقطع إليها فرسخين على الشارع الكبير ، وقد كان به من الاعياء ما لا يستطيع معه السير ، إذ كان خاوى البطن كما كان خاوى الجيب

ومع هذا فقد استأنف السير

كان الوقت فى ديسمبر . وكانت ريح باردة تهب فوق الحقول وتصفر من خلال الاغصان اليابسة . وكانت السحب تتلاحق وسط السماء القاتمة الغائمة مغذة فى السير إلى حيث لا يعلم لها غاية ، والمعوه يسعى يبطء ناقلا عكازيه الواحد بعد الآخر فى جهد واعياء معتمدا على ساقه الملتوية التى بقيت له والتى تنتهى بقدم بشعة المنظر قد لفت ببعض الخرق البالية

ومن حين لآخر كان يجلس على حافة النفق ويستريح بضع دقائق . وقد ألقى الجوع فى نفسه الكثيفة المظلمة شعورا بالغم والحزج . ولم يكن يحمل إلا فكرة واحدة : وهى الأكل ، ولكنه لم يكن يعرف الوسيلة إلى هذا

وشعر بالألم والاعياء بعد مسير ثلاث ساعات على الطريق الطويل ولما بصر بأشجار القرية من بعد جد فى السير

وأجابه أول فلاح التقى به وسأله كاوش الصدقة

ها أنت لا تزال على حالك القديم ، أليس من سبيل إذن إلى التخلص منك ؟

فابتعد كلوش وجعل يمر بالمنازل وينتقل من باب إلى آخر فيرده الناس ردا جافيا ويصرفونه دون أن يعطوه شيئا ، فيواصل مع هذا تجواله فى صبر واصرار ، فلا يحصل فلسا واحداً

ثم قصد إلى المزارع وجعل يعبر الطرق المبللة بالمطر ، وقد أخذ منه التعب ونالت منه المشقة حتى ما يستطيع أن يرفع عكازيه ولكنه طورد فى كل مكان فقد كان هذا يوما من هذه الأيام التى يشتد فيها البرد وتشيع فيها الكآبة فتنقبض لها القلوب وتضيق فيها الصدور وتظلم لها النفوس ولا تنبسط فيها اليد لاعطاء أو معونة

فبعد أن طاف بكل المنازل التى يعرفها قصد إلى حظيرة السيد (شيكيه) فاستلق هناك فى زاوية نفق عند طوال الحظيرة ، وفك وثاقة كما كان يقال تعبيرا عن الكيفية التى كان يترك بها نفسه يسقط بين عكازيه بأن يدفعهما من بين ذراعيه . ومكث وقتا طويلا لا يتحرك ، وقد اشتد به الجوع وطغى عليه الألم ، ولكنه كان من البلادة والسذاجة بحيث لا يستطيع ادراك ما هو فيه من بؤس وسوء حال

كان ينتظر شيئا مجهولا ، فلقد اعترته تلك الحالة التى نجدها كثيرا فى انفسنا وهى حالة الانتظار الغامض لشىء مجهول . كان ينتظر فى هذا الركن من الحظيرة تحت هذا الجو القارس تلك المعونة التى يتوقعها المرء دائما من السماء أو من الناس دون أن يسأل نفسه كيف ولماذا وعلى يد من ستبلغه ، ومر به عدد من الدجاج الأسود يبحث عن غذائه فى الأرض التى تطعم جميع الكائنات ، وبين اللحظة والأخرى كانت الطير تميل بمنقارها فتلتقط من الأرض حبة أو تصيب بعض الحشرات الدقيقة ، ثم تواصل بحثها البطىء الوئيد

وكان كلوش ينظر إليها دون أن يفكر فى شىء . ثم عرض له ( وأحرى أن يقال إنه أحس من أن يقال إنه فكر أو قدر ) أن احدى هذه الدجاجات يطيب أكلها إذا هى اصلحت وانضجت على النار

---

(١) كلوش بمعنى الجرس فى الفرنسية

وما اختلج فى نفسه قط أنه مقدم على سرقة ثم تناول حجراً كان على مقربة منه . ولما كان بارع اليد فقد اصات للتو أقرب دجاجة منه . فسقطت على جانبها وهى ترفرف بجناحيها ، وفرت بقية الدجاج متحاملة على مخالبها الدقيقة ، وعاد كلوش فركب عكازيه ثم سار إلى حيث يأخذ القنيص بحركات اشبه بحركات الدجاج .

وما إن اقترب من الجسم الصغير الأسود وقد انتشرت على رقبته بعض النقط الحمراء ، حتى تلقى فى ظهره دفعة رهيبة أطارته عن عكازيه وأرسلته على الأرض إلى مسافة عشرة أقدام . وانقض السيد شيكه على السارق وقد اشتد به الغيظ وزاد به الغضب فأوسعه ضرباً . فكان وهو يضربه كالمطروق أو كمن به مس ، كان يضربه كما يضرب كل فلاح من سرقه أوسلبه شيئاً ، فانهال ركلا ولكما على المعوه الذى لم يستطع عن نفسه دفاعا .

وجاء أهل المزرعة بدورهم فاشتركوا مع السيد فى ضرب المتسول بما لديهم من الآلات ، حتى تعبوا من ضربه ، ثم حملوه إلى حظيرة الحطب فأودعوه فيها ريثما يرسلون فى طلب الشرطة .

ومكث طريحاً على الأرض وقد سالت دماؤه وأهلكه الجوع وأشرف على الموت حتى جاء المساء ثم تبعه الليل وأعقبه الفجر دون أن يطعم شيئاً . وأقبل اثنان من الشرطة عند الظهيرة ففتحا بشىء من الحذر إذ كانا يتوقعان مقاومة . فقد زعم السيد شيكه أن الصعلوك قد هاجمه وأنه لم يدفع عن نفسه إلا بجهد جهيد .

وصاح به الشرطى أن قف .

ولكن كلوش لم يقو على الحركة . وقد حاول أن يتحامل على عكازه فلم يستطع ؛ فظن الشرطة أنه يتصنع العجز ويلجأ إلى الحيلة وينوى شراً ، فأمسك به الرجلان المسلحان بعنف وشدة وحملاه بالقوة على عكازيه .

وأذهله الخوف ، هذا الخوف الفطرى فى نفسه من الحائل الصفراء ، خوف الطريدة من الصائد . أوخوف الجرذ من القط . فبذل جهداً خارقا حتى استطاع الوقوف .

وأمره الشرطى بالسير ، فسار على مشهد من عمال المزرعة وهم يرمقونه جميعاً بنظراتهم فكان النساء يشرن إليه مهددات ، والرجال يتضاحكون ويسبونه ويحمدون الله أن وقاهم شره وأراحهم منه .

ومضى كلوش بين حارسيه ولايزال به رمق من حياة وفضل من قوة كان لابد منهما لكى يواصل السير إلى المساء ، واستغلق عليه الأمر واشتد به الانزعاج بحيث لم يستطع أن يفهم شيئاً مما نزل به . وكان المارة يقفون فى الطريق لمشاهدته ويتحدث الفلاحون عن لصوصيته ؛ وبلغوا قصبة المقاطعة نحو الليل ، ولم يكن قد سبق لكلوش أن بلغ قط إلى هذا المكان ، فلم يكن يتصور ما وقع له ولا يفكر فيما عسى أن يحل به . وقد أصابه الوجوم واستولت عليه الدهشة لهذه الحوادث المباغتة وهذه الوجوه والمنازل التى لم يكن له بها عهد .

ولم ينطق بكلمة واحدة ، وما كان لديه ما يقوله إذ لم يكن يفهم شيئاً ، وقد مضى عليه سنوات لم يتحدث فيها إلى أحد حتى فقد على التقريب سهولة النطق ومرونة اللسان ، وكانت أفكاره من الغموض والاختلاط بحيث لا يمكن الإبانة عنها بالألفاظ وأودع فى سجن القرية . ولم يفرض الشرطيان أنه قد يكون فى حاجة إلى الطعام ، ثم ترك إلى اليوم التالى .

ولكن حين جىء لاستجوابه فى الصباح المبكر وجد على الأرض طريحاً وقد أسلم الروح ، فياللمفاجأة !

**أحمد عبد الرحمن**

# الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى فى الموسم الغنائى الكبير

تقـــدم الأوبريت الخالدة

# العشرة الطيبـــة

## علي مسرح حديقة الأزبكية ابتداء من ٢٣ يناير



زكى طليمات

اخراج

زكى طليمات



حسين رياض

مع كبار

ممثلى الفرقة

ألحانه

سيد درويش



فؤاد شفيق



المطربة شهر زاد



المطرب عبد الغنى السيد



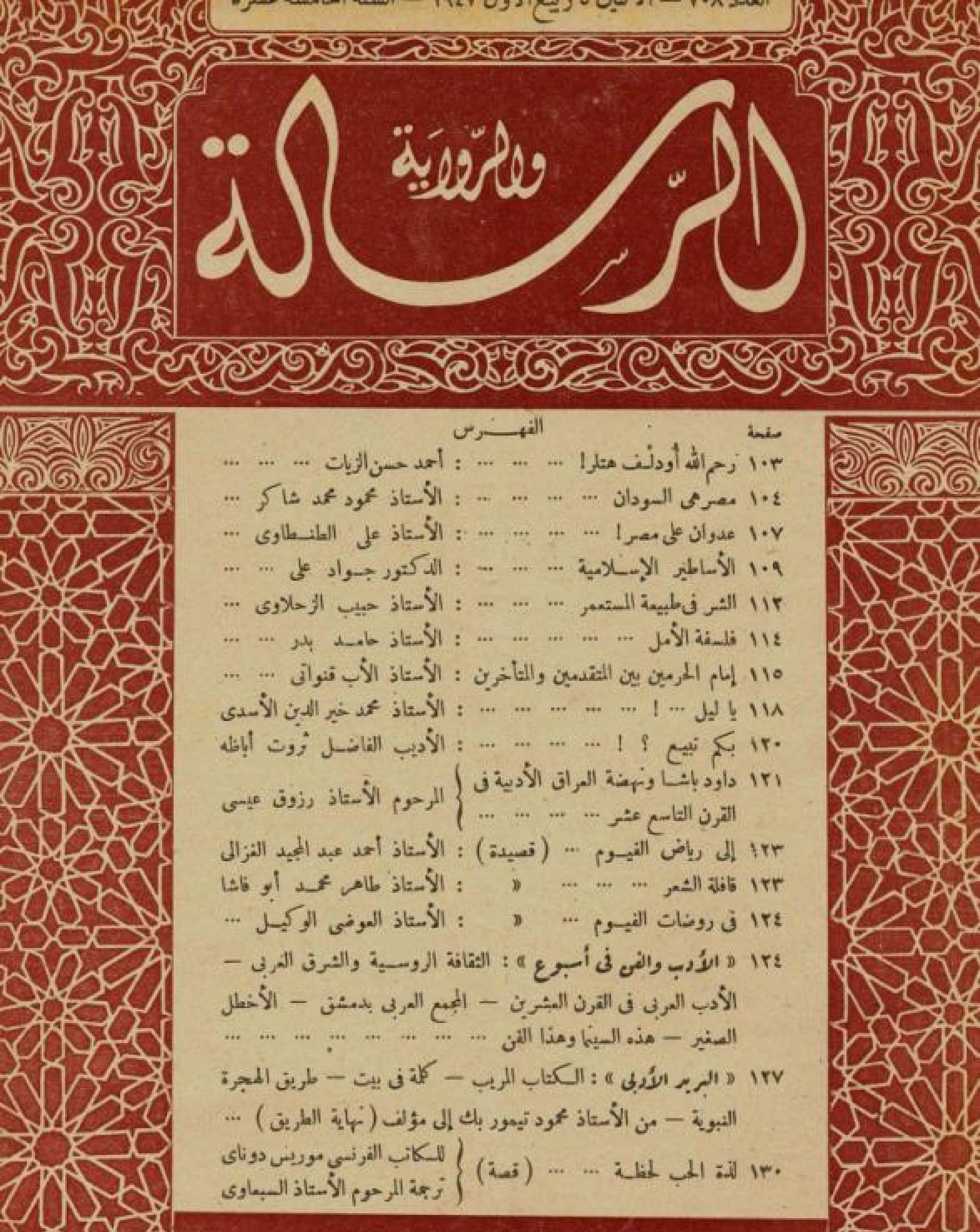
المطربة بديعة صادق

# «الرسالة» فى يوم الحداد الوطنى

تصدر الرسالة فى هذا الغلاف القاتم مشاركة للأمة فى حدادها العام على ذكرى اتفاقية السودان التى اغتصب الإنجليز موافقتها عليها في مثل هذا اليوم من عام ١٨٩٩ . وهو يوم من أيام الاحتلال السود لا تزال الأمة تجاهد في دفع أوزاره أو تخفيف أضراره .



مطبعة الرسالة





الفهرس

صفحة
١٠٣ رحم الله أودلف هتلر! ... ... ... : أحمد حسن الزيات ... ... ...
١٠٤ مصر هي السودان ... ... ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ...
١٠٧ عدوان على مصر! ... ... ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ...
١٠٩ الأساطير الإسلامية ... ... ... : الدكتور جواد على ... ...
١١٣ الشر في طبيعة المستعمر ... ... ... : الأستاذ حبيب الزحلاوى ...
١١٤ فلسفة الأمل ... ... ... ... ... : الأستاذ حامد بدر ... ...
١١٥ إمام الحرمين بين المتقدمين والمتأخرين : الأستاذ الأب قنواتى ... ...
١١٨ يا ليل ... ! ... ... ... ... ... : الأستاذ محمد خير الدين الأسدى
١٢٠ بكم نبيع ؟ ! ... ... ... ... : الأديب الفاضل ثروت أباظه
١٢١ داود باشا ونهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر ... ... ... ... } المرحوم الأستاذ رزوق عيسى
١٢٣ إلى رياض الفيوم ... (قصيدة) : الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى
١٢٣ قافلة الشعر ... ... ... « : الأستاذ طاهر محمد أبو فاشا
١٢٤ في روضات الفيوم ... « : الأستاذ العوضى الوكيل ...
١٢٤ « الأدب والفن في أسبوع » : الثقافة الروسية والشرق العربي — الأدب العربي في القرن العشرين — المجمع العربي بدمشق — الأخطل الصغير — هذه السينما وهذا الفن ... ... ... ... ... ... ...
١٢٧ « البريد الأدبي » : الكتاب المريب — كلمة في بيت — طريق الهجرة النبوية — من الأستاذ محمود تيمور بك إلى مؤلف (نهاية الطريق) ...
١٣٠ لذة الحب لحظة ... ... (قصة) } للكاتب الفرنسي موريس دوناى ترجمة المرحوم الأستاذ السباعى

العدد ٧٠٨ — الاثنين ٥ ربيع الاول ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة




الفهرس


صفحة

١٠٣ رحم الله أودلف هتلر! ... ... ... ... : أحمد حسن الزيات ... ... ...

١٠٤ مصرهي السودان ... ... ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ...

١٠٧ عدوان على مصر! ... ... ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ...

١٠٩ الأساطير الإسلامية ... ... ... : الدكتور جواد على ... ...

١١٢ الشر فى طبيعة المستعمر ... ... ... : الأستاذ حبيب الزحلاوى ...

١١٤ فلسفة الأمل ... ... ... ... ... : الأستاذ حامد بدر ... ...

١١٥ إمام الحرمين بين المتقدمين والمتأخرين : الأستاذ الأب قنواتى ... ...

١١٨ يا ليل ... ! ... ... ... ... ... : الأستاذ محمد خير الدين الأسعدى

١٢٠ بكم تبيع ؟ ! ... ... ... ... : الأديب الفاضل ثروت أباظه

١٢١ داود باشا ونهضة العراق الأدبية فى القرن التاسع عشر ... ... ... ... } المرحوم الأستاذ رزوق عيسى

١٢٣ إلى رياض الفيوم ... (قصيدة) : الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

١٢٣ قافلة الشعر ... ... ... « : الأستاذ طاهر محمد أبو فاشا

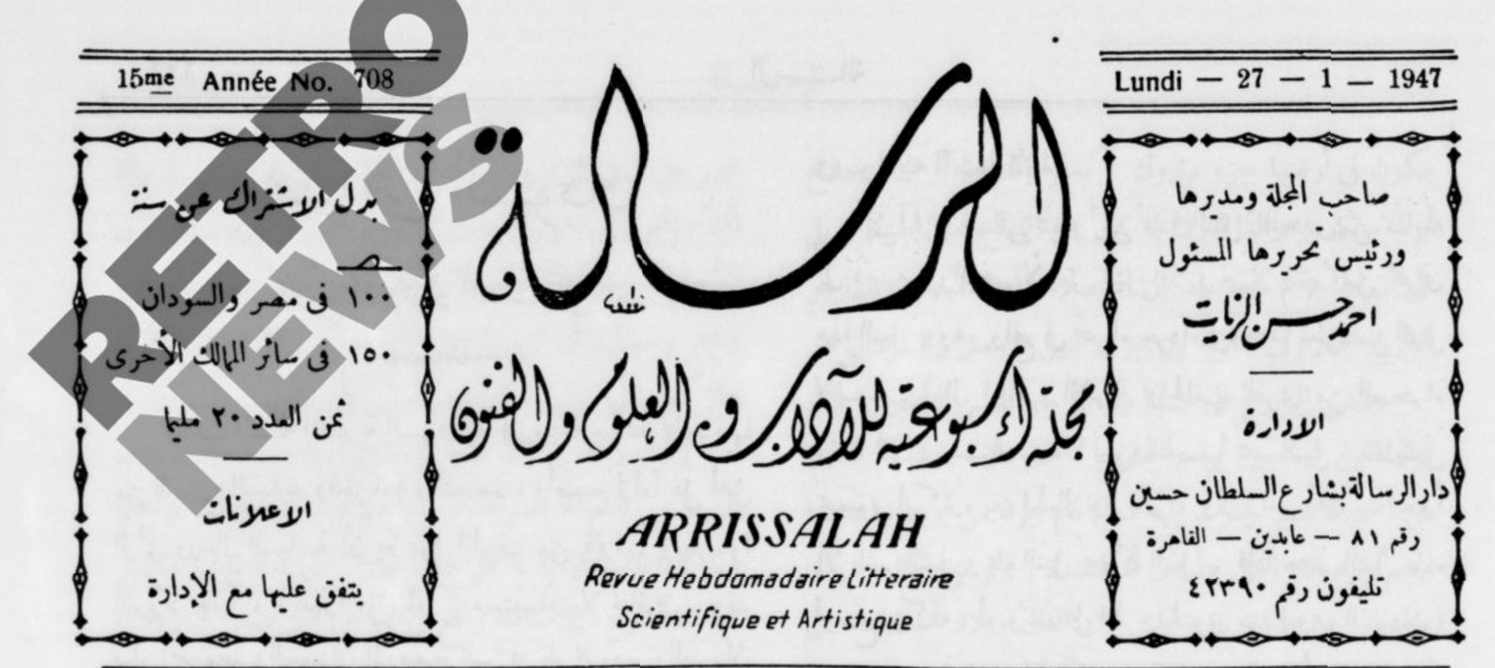
١٢٤ فى روضات الفيوم ... « : الأستاذ العوضى الوكيل ...

١٢٤ « الأدب والفن فى أسبوع » : الثقافة الروسية والشرق العربى — الأدب العربى فى القرن العشرين — المجمع العربى بدمشق — الأخطل الصغير — هذه السينما وهذا الفن ... ... ... ... ... ... ... ...

١٢٧ « البريد الأدبى » : الكتاب المريب — كلمة فى بيت — طريق الهجرة النبوية — من الأستاذ محمود تيمور بك إلى مؤلف ( نهاية الطريق ) ...

١٣٠ لذة الحب لحظة ... ... (قصة) } للكاتب الفرنسي موريس دوناى ترجمة المرحوم الأستاذ السبعاوى




15me Année No. 708
Lundi — 27 — 1 — 1947
الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique
صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠
بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة


العـــدد ٧٠٨ «القاهرة فى يوم الاثنين ٥ ربيع الأول سنة ١٣٦٦ — ٢٧ يناير سنة ١٩٤٧» السنة الخامسة عشرة

# رحم الله أُدلف هتلر !

رب يوم بكيت فيــه فلما صرت فى غيره بكيت عليه !

كان هتلر — سقى الله ضريحه إن كان له ضريح — رجلا صحيح النية صريح الرأى يقول لنفسه المكروبة بعد ما أجال النظر فى معاهدة فرساى : نحن جياع وفى رءوسنا الفكر ، وفى صدورنا العلم ، وفى أيدينا العمل ؛ والآخرون شِباع وفى رءوسهم المكر ، وفى صدورهم الحقد ، وفى أيديهم السرقة ؛ فما الذى أجاع العالم وأشبع الجاهل ، وأفقر العامل وأغنى المحتال ؟

وفى ساعة من ساعات التجلى ، وفى حانة من حانات (ميونيخ) أُلقى عليه الجواب أن الذى أسغب هنا وأتخم هناك ، إنما هو رأس المال ! ورأس المال لفظ معناه اليهود وسماسرتهم من هذه الطفيليات التى تعيش على دم المجتمع كما يعيش البعوض والقمل على دماء الناس . فإذا قُطعت (رءوس الأموال) قُطعت الألسنة التى تكذب ، والأيدى التى تسرق ، والأسباب التى تفرّق .

وعلى ذلك حكم المرحوم بالإعدام على وايزمان ورينو وتشرشل ! ولو شاء ربك السلام للأرض والوئام للناس لما نقض هذا الحكم رزفلت واستالين . ولكنه لأمر يريده قضى أن يُشنق القاضى ويُطلق المجرم ! ولو كان فى قدَر الله أن يكون هتلر قاضى (نورمبرج) لما كان لفلسطين قضية ، ولا للسودان مشكلة ، ولا فى شمال أفريقية مأساة ، ولا فى الهند الصينية مجزرة .

مَن هؤلاء اللقون بجُثثهم على موارد المسلمين فى مراكش والجزائر وتونس وطرابلس ، يخضمون أرزاقهم خضمَ الخنازير ، ويحتلون بلدانهم احتلال الصراصير ، ويفسدون أخلاقهم إفساد الأرَضة ؟ ومَن هؤلاء الوالغون فى النيل الطَّهور من منبعه إلى مصبه ، يسممونه بالجرائيم ، ويكدّرونه بالشوائب ، ويحرّشون على أهله التماسيح والأفاعى ؟ ومَن هؤلاء الجاثمون على صدور العرب فى فلسطين والعراق ، يُبيحون العدو ذِمارهم ، ويمنحون الغريب ديارهم ، ويتصرفون فى شؤونهم تصرف القيم السفيه ؟

هم الفرنسيون طلقاء الحلفاء ، وعتقاء القدَر الذين يزعمون أنهم أعلنوا حقوق الإنسان ، وأقاموا صروح الحضارة ، وعبّدوا طرق الثقافة ، وورثوا اليونان فى الآداب والرومان فى القوانين ! !

وهم الانجليز أموات دنكرك وأحياء العلمين وصنائع الحظ الذين لا يزالون يتبجحون بأنهم رسل الحرية وجنود الديمقراطية ومنقذو العالم من طغيان نابليون وغليوم وهتلر .

فليت شعرى متى تنكشف أغشية الغرور عن قلوب هؤلاء المساكين فيعلموا أنهم لم ينتصروا ، وأن خصومهم النازيين لم ينكسروا ؛ إنما انتصر الضمير الإنسانى فلن يجوز عليه خداع ، وانهزم الروح الاستعمارى فلن يغنى عنه بعد ذلك دفاع !

وما أجدر الذى يتنكر اليوم لمصر الكريمة أن يعرف أن الفَلك لا يجرى بأمره ، وأن البحر مهما ارتفع مدُّه فلا بد من جَزْره ! !

احمد حسن الزيات

# مصر هى السودان

للأستاذ محمود محمد شاكر

دخلت المسألة المصرية السودانية فى ساعة حاسمة لا بد فيها من العمل والتسديد والحزامة والتصميم ، وأصبح لزاماً على أهل الرأى ورجال السياسة أن ينزعوا الخوف من قلوبهم ويطرحوا التردُّدَ جانباً ، ويقبلوا على المعركة مستبسلين لا يخافون . وقد صار أمر مصر والسودان إلى مصير ليس فى تاريخ مصر والسودان أسوأ منه ، فكل نكولٍ عن أداء الواجب وعن التنبيه والتحذير خيانة لوادى النيل لا يغتفرها لنا آباؤنا ولا أحفادنا من بعدنا . وإذا أضعنا اليوم حق مصرَ والسودان علينا ، فقد ضاع كلُّ ما ترجوه بلادُ العرب والمسلمين من أطراف الصين إلى أقاصى المغرب الأقصى ، وإذا الفرصة السانحة قد أفلتتْ من يد هذه الأمم إلى غير رجعة . فمسألة مصر والسودان ليست إذن مسألة مفردة برأسها بل هى أمّ المسائل العربية والشرقية جميعاً ، وموقفنا حيالها هو المحكُّ لكل ما يرجوه الشرق ويؤمله .

بيد أن مسألة مصر والسودان قد أصابها من البلبلة على مر السنين الطوال ما يُخشى معه أن يدعَ للعدوّ منفذاً يتدسّسُ منه إلى إحداث الفرقة والتنابذ ، وقد بدا شئٌ من آثارها فى العهد الأخير بعد أن استطاعت الدولة الخدّاعة أن تستميل قلوب نفر من أهل المطامع ورجال السوء فى السودان وغير السودان . فلا بُدّ إذن أن نبدئْ ونعيدَ فى بيان الحقيقة التى لا تطمس نورها الأكاذيب الملفّقة ، ولا يُطفىء رونقها طول الإهمال والترْك . وإنا لنأسف أن قد مضى على كبار ساستنا زمانٌ وهم يظنون أن علاج المسألة المصرية مفصولة عن السودان هو الطريقُ إلى نيل الحق من غاصب وادى النيل ، فأصبح الناس وإذا هم يرون ضلال الساسة الغابرين فى بتر قضية وادى النيل وشطرها إلى شطرين سموها باسم المسألة المصرية والمسألة السودانية . ولو هم عملوا منذ ولاّهم الله سياسة هذه الأمة ، على أن القضية واحدةٌ ، وتجزئتها مفسدة للجزءين كليهما ، لسار تاريخ مصر والسودان غير هذا السير الخبيث الذى ساقتنا بريطانيا فى سراديبه المضللة المظلمة .

إن الجزء المسمى بمصر من هذا النيل المنحدر من منابعه إلى مصبه فى البحر الأبيض المتوسط ، جزءٌ يسيرٌ من مجرى هذا النيل ، وهو واقع فى صحراء جرداء لولا هذا الجزء من النيل لاتّصلت رمال الجانب الشرقى والجانب الغربى من الصحراء وتصافحت على مسيله . وهذا الجزء الخصبُ بمدّ النيل ، خط ضيق محصور أكثره بين الجبال والرمال ، ولا يرجو أهله منه خيراً إلا باسم النيل وبماء النيل وبركة النيل . فإذا حبس النيل ماءه أو منع بركته ، أو وُجد على الجزء الجنوبى منه (وهو السودان) من يحبس ماءه ويمنع بركته ، انقلبت هذه الأرض المصرية نقمة على أهله وشراً وبلاء . والتاريخ يحدّث منذ قديم الأزمان بأنه ما امتنع ماء النيل أو قلّ إلاّ حدثت فى مصر المجاعات والقحوط التى أهلكت الحرث والنسل ، حتى اضطُرّ أهل مصر فى كثير من أزمان القحط أن يأكل الرجل لحم أخيه وولده من شدة المتربة التى حاقت بهذا البلد الخصيب . فالنيل هو كل شىء فى بلدٍ لا تمطره السماء إلا غبًّا ، وليس فيه ما يُغنى أهله عن أن يجعلوا مادة حياتهم وأرزاقهم مما تخرجه الأرضُ ، التى يكدحون فى زراعتها كدحاً شديداً ، والتى لا تنفع فيها زراعة إلا إذا استوفت حظّها من ماء هذا النيل .

وقديماً قامت فى هذا الجزء الأدنى من النيل أممٌ وحضارات لا تزال آثارها باقية إلى هذا اليوم ، وكان أولى بقيام هذه الأمم والحضارات الجزء الأعلى وهو السودان ، لولا أن أهل الزمن الماضى فرّوا من وقدات الشمس المحرقة فى السودان إلى هذا الجزء الأدنى فأقاموا الحضارات على حِفافيه ، ولكنهم ما فعلوا ذلك إلا وهم مطمئنون إلى أن الجزء الأعلى ليس فيه دولة قائمة يمكنها أن تردّ هذا النيل عن مجراه إلى قرارة هذا الوادى الذى سُمى « مصر » . ولو كان هناك شىء مثل ذلك لرأينا ، كما رأينا فى شأن الوجه القبلى والبحرى ، رجالا ينصبون أنفسهم لضمّ الشمال إلى الجنوب وتوحيدها حتى لا يكون فى الأرض الواحدة دولٌ متقسّمة يناوئْ بعضها بعضاً ، فلا تقوم لواحدة منهما قائمة ، ولا يكون لواحدة منهما مجدٌ أو حضارة أو تاريخ . وبذلك بقى النيل الأعلى (السودان) فى سَلْم دائمة ، إذ لم تكن فيه دولة مناوئة ، وبقيت صلته بمصر كصلة أى بلدٍ من بلاد الدنيا

يكون في أرضها جزء متروك لم يُعمر بالهجرة أو الاستصلاح أو الاستثمار . وهذا الترك لا يدلُّ على اقتطاع هذا الجزء ، بل على أن الحاجة لم تدفع بعدُ إلى استصلاحه أو استثماره . هذا هو التاريخ القديم في العلاقة بين جزئي النيل « مصر والسودان » .

ومضى التاريخ على هـذا إلى أن جاء العصر الأخير ، فقام شمال النيل « مصر » ليضم الجنوب « السودان » ، كما قام الشمال من أمريكا لضم الجنوب إليه ، وكما قام جزء من بريطانيا نفسها ليضمَّ إليه بلاد الغال وأرض أسكتلندة . ولو بقى شمال أمريكا منفصلاً عن جنوبه ، وبقيت بلاد الغال وبلاد أسكتلندة على أحوالها التي كانت عليها منذ قرون ، لما كان في الدنيا شيء يسمى الولايات المتحدة ، ولا شيء يسمى بريطانيا . وإذن فضَمُّ السودان إلى مصر بالحرب لا يمكن أن يسمى «فتحاً» بل هو ضمٌّ فحسب فلذلك يخطىء بعض الساسة الذين يحتجون في المسألة المصرية السودانية بهذا الشيء السخيف الذي يسمونه « حقُّ الفتح » . وكل ما هنالك هو أن هذا الجزء المتروك من أرض مصر أو أرض السودان — كما تشاء — كان لا بد في ضمه من بعض الحرب حتى تستقر الحال ويستتبَّ النظام ، كما حدث في كل بلاد العالم منذ أقدم عصور التاريخ ، في الشرق والغرب والشمال والجنوب ، وهذا شيء بديهيٌّ لا يحتاج إلى زيادة .

ويتبع هذا الخطأ في الاحتجاج بحق الفتح خطأ آخر أقبح منه ، وهو احتجاجُ من يحتجُّ بمـا أنفقت الأرض الشمالية على الأرض الجنوبية من الأموال ، وهذا أيضاً فاسدٌ كل الفساد . فـكل دانق أنفقته مصر في السودان هو حق السودان على مصر ، كحقِّ أي قرية في أرض مصر ، وكحق كل شارع أو مديرية . فينبغي إذن أن ننفي من احتجاجنا كلَّ شيء يسمى نفقات أنفقت في السودان ، فإن كل ذلك هو حق السودان الذي إذا قصَّرْنا في أدائه وجب عليه أن يطالبنا به بالـكلام أو بالسيف أو بكليهما . ومن المؤلم أن يكون هذا الأسلوب الذي جَرَى ولا يزال يجرى على ألسنة بعض الساسـة ، هو خديعة بريطانية قديمة لم نزل نتزلق في مداحضها وزلَّها ، حتى كادت تكون نكبة عقلية ألمَّتْ بهؤلاء الساسة .

فلا بد إذن من وضع هذه الحجج حيث ينبغي أن توضع في زوايا الإهمال ، وأن ينظر الساسة إلى الحق الطبيعي الذي يجب لمصر على السودان ، والذي يجبُ للسـودان على مصر ، وأنا أقدِّم فأقول إن حق السودان على مصر هو الأصل ، وهو الحق الأعظم ، وهو الحق الذي لا يمكن مصر مهما بلغت من قوة ومجد وحضارة أن تتنصَّل منـه أو تتبرأ ، فإذا فعلت ، فذاك هلا كها وضياعها في هذا العصر وإلى الأبد البعيد .

إن السودان كما كان قديماً ، وكما هو الآن ، هو حياة الأرض التي تسمى باسم « مصر » ، فزراعتها وتجارتها ومالها وأهلها وتاريخها وحضارتها ، كل ذلك فضلٌ أتى به النيل . والنيل فيما بعد أسواره إلى منابعه واقع في الأرض التي تسمى السودان ، فإذا أبى السودان أن يُفْضِلَ على مصر بالقدر الـكافي من ماء النيل ، فقد حدثت المجاعات ، وهلـكت الزراعة وبارت التجارة وذهب المال واندثرت الحضارات وانطمس التاريخ ، ولم يبق في الدنيا دولة تسمى نفسها الدولة المصرية ، بل مكان في الصحراء يقال له مصر ليس إلا ، مجَرداً من كل ما تكون به دولة أو أمة . فالحقيقة التي ينبغي أن لا نتمارى فيها بالعصبية أو الـكبرياء هو أن السودان هو سيِّد هذا الوادي الذي يمدّه النيل بمائه ، وإذن فالسودان هو أحق الشقيقين باسم الدولة ، فإما أن يسمى وادي النيل كله باسم الدولة المصرية برضى أهل السودان ، أو أن يسمى هذا الوادي باسم الدولة السودانية برضى أهل مصر . فهذا هو الوضع الصحيح للمسألة المصرية السودانية .

ومن البيِّن الذي لا خفاء فيه أن السودان كَنْزٌ كله ، بمائه ومعادنه وغاباته وحيوانه وكل شيء فيه ، والذي في مصر من ذلك لا يعدل واحداً من ألف من هـذه القوى الطبيعية المـكنوزة في أرضه وجباله وسمائه . وهذه القُوَى هي التي تجعل لصاحبها السيادة العليا على الذي يستمدُّ من فضلهـا . فمصر تستمد من قُوى السودان جزءاً يسيراً وهو المـاء ، وتستمدّه برضى أهل السودان ومسالمتهم وأخوَّتهم ، فمن العبث إذن أن تدَّعي مصر « سيادة » على السودان ، بل الحقيقة التي لا مراء فيها هي أن سيادة السودان هي العليـا ، وأن مصر جزء من السودان ، وهو جزء عظيم خصب صالح للاستثمار في الزراعـة وغيرها استثماراً عظيما ، فمن مصلحة السودان أن يُفْـضِل المـاء على هذا الجزء لتزدهر زراعته وحضارته ويكون للسودان ذخراً من القوة يضارع القوة التي فيـه . والسودان محتاج إلى هذا

الإنفصال لأن المنطقة الصالحة للزراعة فى مصر أعظم وأجدى من المنطقة الواقعة فى الجزء المعروف اليوم باسم السودان . ومن هذا تعرف كيف دبّر الله لهذين الشطرين العظيمين أن لا يجد أحدهما مندوحة تغنيه عن صاحبه ، وتفرض على كل واحد منهما أن يتشبث بصاحبه ، فإذا تنابذا وتنافرا وتدابرا وتقاطعا ، حاق بهما جيعاً ما يحيق بكل أخوَين متنابذين متدابرين ، وهو الهلاك والضياع الذى تخاف مغبّته .

وأنا لا أظن أن فى الدنيا شيئاً هو أوضح للعقل السليم من هذا الذى ينبغى أن يكون بين مصر والسودان ، أى الحقوق الطبيعية التى يفرضها وجود هذين الشطرين المتجاورين : شطر لا بقاء له وحده وهو مصر ؛ وشطرٌ هو القوى الكامنة التى تعطى البقاء للشطر الأول ، وذلك هو السودان . والشطر الأول منهما « مصر » هو الذى مهد الله له سبيل القوة والتاريخ والعلم فكان فى الوجود أسبق الشطرين إلى قيام الدولة فيه ، والشطر الآخر باقٍ ساكنٌ قارٌّ ... شيخ وقور رزين لا يفارق خَلْوَته إلا بسببٍ من العطايا والمنح التى يرسلها إرسالا إلى الشطر الأول ليحيى ويقوى ويكون سلطاناً فى أرضه ، وتاريخاً فى الزمن ، وحضارة فى العالم ، ولكن الشيخَ هو سرّ السلطان والتاريخ والحضارة — هو السودان . وذلك حسْبُه .

وقد كتب الله لمصر أن تكون كما هى الآن ، وأن تكون دولة فى الدول لها سلطان ظاهر ولها عمل فى بعض السياسة ، ولها آمال فى تحرير نفسها وتحرير العرب وتحرير الشرق من بُناة الاستعمار فى أوربة وأمريكا وروسيا ، فكيف يجوز فى عقل عاقلٍ أن تدع أباها الذى يمدها بكل هذه القوة ينخزلُ عنها وينفصل ليقع فى يد الدولة المستعمرة المعروفة فى الناس باسم بريطانيا ؟ إن مصر هى السودان ، ولا مصر بلا سودان ، وإذا كانت إنجلترا نفسها تدّعى أن الهند لازمة لها ، وقناة السويس لازمة لها ، وكذلك روسيا فيما تدّعيه ، وكذلك أمريكا فى دعوى مصالحها فى الأرض والبحر والجوّ ، فكيف يجوز فى عقل عاقل أن يُراد لدولة ترجو أن تكون دولة فى هذه الدنيا العريضة المتراحبة ، وهى ليست إلا خطًّا محروماً حظَّ الحياة وأسباب البقاء بانفصال السودان المفضل المتكرّم عليها بأسباب القوة التى تمكنها من أن تكون دولة ؟

إن واجبنا اليوم هو أن نموت فى سبيل السودان ، لأن السودان هو حياتنا ، ونحن بضْعَةٌ منه ، فدفاعنا عنه وموتنا فى سبيله هو دفاع الولد البارّ عن أبيه ، والذى لا حياة له ولا عزّ ولا مجد إلا بحياته وعزه ومجده . نحن لا نريد سيادة على السودان بهذا المعنى العامىّ الجلْف ، فإن السودان هو سيّد هذا الوادى ، ولكننا نريد أن تبقى مصر حيّة قوية فى كنف السودان أبينا ومادة حياتنا . إننا لن نفرِّط ساعة فى السودان لأن الدولة المصرية ليست شيئاً ، ولن تكون شيئاً فى هذا الوجود إلا بالسودان . ولو أنصف القدَرُ وأنصف الناس ، لكان ينبغى أن تسمى «الدولة المصرية» الدولة السودانية . أما بريطانيا فهى تريد السودان ، لأنها تدرك هذا كله حق الإدراك وتعلم أنها إذا بقيت فى السودان ، تحكمت فى حياة مصر كلها ، وزادت عليه ما فى السودان من كنوز لا تزال مطمورة تحت تاريخ الحياة الإنسانية المتقادمة منذ أبعد الآباد . فليحذر السودان ولتحذر مصر ، فإن مصر هى القوة الحقيقية لأهل السودان ، والسودان هو الحياة الحقيقية لمصر . فإذا انفصل أحدهما عن الآخر ماتا كلاهما بين أنياب الوحش الذى لا تشبع نهمته ولا تسكن ضراوته .

محمود محمد شاكر

# عدوان على مصر!

للأستاذ على الطنطاوى

[ جل الأمر عن المجاملة والهزل ،
فدعونا نتكلم بصراحة وجد . . ]

يعرض فى مصر الآن فلم اسمه ( لبنانى فى الجامعة ) ، تظهر فيه الجامعة أولا ببنائها وقبتها حتى لا يبقى عند أحد شك أنها الجامعة المصرية ، جامعة فؤاد الأول التى فى الجيزة ، وأن الذى يأتى من الوصف إنما هو لها ، هى ، بعينها وأذنها لا لجامعة غيرها وأنها ليست قصة جامعة خيالية ، حتى إذا وثق صاحب الفلم من أنك عرفتها وحققتها ، ساق لك مشاهدها ، وعرض عليك صورها ، فلم تر فيها مظهر علم ، ولا دلائل تهذيب ، لم تر إلا الاختلاط الشائن واللهو المحرم ، والغرام والغناء ، كأن هذا كل ما فى الجامعة ، وكأنها أنشئت لمثله : يجيئها الطالب اللبنانى فيستقبله طالب مصرى ، يأبى واضع الفلم إلا أن يجعله مغفلا كأنه ثالث المضحكين لوريل وهاردى ، وأن يسميه ( سونه ) ... فلا يمر على التقائه به ثلاث دقائق فقط حتى يعرف به الطلاب فيهتفوا له ، ويقودوه رأساً لا إلى بهو المحاضرات ولا إلى المكتبة ، بل إلى البركة ، مع أنه جاء فى وقت الدرس لا فى وقت اللعب فترى فى بركة الجامعة الطلاب والطالبات بالأجساد العارية ، والعورات البادية ، ثم تبصرهم يعمدون إلى طالبة لابسة ثيابها الكاملة فيحملونها فيلقونها فى الماء ، فإذا خرجت كالقطة المبللة حفوا بها ضاحكين عابثين ، وتمضى المشاهد على هذا النمط لا تظهر غرفة الدرس إلا مرة واحدة ، يدخلها عم الطالب اللبنانى وهو فى الرواية ( المضحك ) المعروف بشارة واكيم فيقطع على الأستاذ محاضرته ، ويفسد عليه درسه ، ويسخر منه ، ويستخرج ابن أخيه بلا إذن ، لأن عاشقته ... تطلبه ...

ويعرض ( الفلم ) بيت الطلبة الذى أنشأته الحكومة المصرية بأموالها لإيواء الغرباء من الطلاب ، فاطمأن بذلك آباؤهم فى الشام والعراق والحجاز ونجد والمغرب واليمن ، لأنهم غدوا فيه بأمانة هذه الحكومة فما يخشى المرض على أجسامهم ، ولا الفساد على أخلاقهم ، فلا يجمل بيت الطلبة إلا ( ماخورا ) فظيعاً ... وترى اللبنانى يدخله فيسقط فى حفرة كان إخوانه احتفروها له ، فينزلون عليه بجماعتهم فينضون عنه ثيابه كلها إلا ما يستر العورة الكبرى ولا يكاد ، وتجىء طالبة ، طالبة فى بيت الطلبة — هل تسمعون أيها القراء ؟ تقبل عليه فيستحى هو ويخجل ، ولا تخجل هى ولا تستحى ، وتجره من يده فتلبسه من ثيابها ... فيستنوق الجمل ، ويتأنث الرجل ، ثم يجلسان على مائدة الشراب والغزل ، والطلاب ينظرون ، ولا يكتفى واضع الفلم بهذا كله حتى يجىء بـ( سونة ) ، فيقفه عليهما وقفة أبله ، فيقول للبنانى : هذه خطيبتى فكيف تأخذها منى ؟ ثم يضحك ويولى عنه كأن الأمر لا يعنيه ، وكأن هذا الفلم قد تعمد فيه أن يكون لعنة على الرجولة والشرف ومصر وجامعتها معاً ، وعدوانا على أولئك جميعا ...

وما هذا الذى ذكرت إلا مثالا مما فى هذا ( الفلم ) فهل يبلغ أعداؤنا منا أكثر من هذا ؟ وماذا يقول الناس غدا عن الجامعة المصرية وعن دار طلبتها إذا عرض هذا ( الفلم ) فى بلاد العرب ورآه أهلها الذين يعدون مصر كعبة الثقافة ومورد العلوم ؟ هل يرسلون أبناءهم إليها ؟ أم يقولون إن هذه هى حقيقة الجامعة ولولا ذلك ما صورها مصريون فى هذا الفلم المصرى ، ولما سمحت حكومة مصر بعرضه ، ولما سكتت عنه إدارة الجامعة فلم تطلب منعه ، ولم تقاض أهله ، ولم تحرك من أجله ساكنا ؟

وهذا الفلم مثال مما جرنا إليه تركنا ديننا وأخلاقنا ، وتقليدنا الغربيين فى رذائلهم وحدها ، وحسباننا أن هذا هو التمدن وهذى هى الحضارة . وإذا كان هذا الفلم قد سبق الزمان فصور الجامعة بهذه الصورة المزورة ، فإنه سيأتى علينا يوم تكون هذه هى الصورة الحقيقية للجامعة وللمستشفى وللمكتب وللدائرة وللمخزن وللشارع وللترام ، ويكون كل مكان يلتقى فيه الرجل بالمرأة ملهى من الملاهى ، ولم لا ؟ واللذة مطلوبة ، والرغبة موجودة ، وما ثمة حجاب يمنع العين ، ولا قانون يكف الجوارح ، ولا دين يزع النفس ، ولا

شهامة تلجم الشهوات ، لم لا ؟ ونار الشهوة الكامنة فى كل نفس ، تؤججها هذه المجلات المصورة ، وهذه الأفلام الداعرة ؟

أوليس من العجيب أنك تدخل فى القاهرة السينما التى تعرض الفلم الإفرنجى فترى له فكرة وموضوعا وهدفا ، وربما رأيت فيها الفلم العلمى أو التاريخى الذى يمر كله فلا تسمع فيه كلمة غرام ، ولا ترى فيه قبلة . وتدخل لترى الأفلام المصرية فتجدها كلها إلا النادر منها ، سخيفة النسج ، مضطربة الموضوع ، عمادها العرى والخلاعة والتخنث ورقص البطن ؟

أوليس أعجب منه أن تكون المجلات الفرنسية أعفّ فى الجملة من مجلاتنا التى لا يخلو أكثرها من صور الأفخاذ والسيقان والبطون والنهود ، تسابقت فى ذلك حتى بلغت الوقاحة ببعضها أن نشرت صور نساء عاريات لا يسترهن قليل ولا كثير ؟

أوليس أعجب من هذا كله ، أنى ذهبت مساء الخميس الماضى إلى مجلس يجتمع فيه عادة فريق من أكابر رجال التأليف والتعليم فى مصر ، فتكلمنا فى هذا الموضوع ، فإذا أكثر الحاضرين بين غافل عن هذا الداء لا يبصره ، أو متهاون به لا يكبره ، أو راض به لا ينكره ، وإذا هم جميعا يتسلّون فى ساعة الخطر ويلهون يوم الجد، ويردّدون هذه الكلمات الحلوة (حرية الرأى) و ( ضرورات الفن ) و ( مقتضيات العصر ) ، والنار مشتعلة فى البلد ؟ !

***

يا أيها السادة المبجلون :

فكروا قليلا فإنكم قادة الرأى فينا ، فلا تكونوا تبعا للعامة من أهل أوربة ، فما يفلح قوم قادتهم تبع للعوام من أعدائهم، فكروا بعقولكم التى فى رؤوسكم لا بعقول أصحاب الوجوه الشقر ، تروا أن الحريات كلها ، والفنون جميعا ، والحضارة من أساسها ، إنما كانت لتزداد بها الأمم قوة ، والناس إنسانية؛ فإذا أساء قوم استعمالها وأخذوها من ذنبها جاءت فى أيديهم مقلوبة منكسة حتى تبدل وضعها وضاعت فائدتها ، وصارت للأمة ضعفا لا قوة ، وأعادت الناس إلى البهيمية لم ترتق بهم فى سلّم الإنسانية ، فقد وجب فى شرعة العقل وجوبا درء ضررها ، ودفع أذاها ، وإلا كانت كالسيف يأخذه الأحمق الغرير ، فيجرح به نفسه ، وما كان السيف إلا ليرد به العادى ويذاد به عن الحمى ، وما أظن أن على ظهر الأرض عاقلا واحداً ، يرضى أن يضحى بأخلاق أمته وعفافها ، من أجل مقالة فيها كلام جميل ، أو قصة فيها وصف رائع ، أو صورة فيها فن بارع ، وإن الأمم تعيش من غير أدب مكشوف ، وفن عار ، ولكنها لا تعيش بلا أخلاق .

وأنا أحب الأدب ، وأقدس الحرية ، ولكنى أفضل أن نبقى مقيدة ألسنتنا وأقلامنا بقيد الإسلام والأخلاق ، على أن نهلك ونحن أحرار نقول ما نشاء ، فمن هو الذى يخالف فى هذا من القراء ؟

***

لقد صارت المجلات تخاطب الشهوات بالصور العارية ، بعد أن كانت تخاطب العقول بالعلم الحق ، والقلوب بالأدب السامى ، وهبط الأدباء إلى درك السفلة من القراء بعد أن كان عمل الأديب رفع القراء إلى الملاء ، وانقلبت الجامعات مسرح ظباء وموعد لقاء بعد أن كانت دار العلم والتقى والصلاح ، وغدت السينما عندنا ( تهريجا ) فاجرا ، بعد أن كانت السينما عند الناس درسا وعبرة وفناً ، وأوشكت هذه ( الحرية ... ) وهذه ( الحضارة ... ) أن تكون تعديا لحدود الشرع، وهدما لأركان الخلق ، ودعوة إلى الفسوق ، لا عمل لها إلا هذا ، ولا ثمرة لها غيره .

أفيرضى عقلاء مصر أن تظل على هذا الطريق ؟

***

يا أهل مصر ! إن هذه المجلات ، وهذه الأفلام ، عدوان على مصر وعلى الفضيلة والعروبة والإسلام ، فإذا أنتم لم تقاطعوها وتقتلوها ، فمزقوا كتب الدين والأدب والتاريخ ، لأن كل صفحة منها تمجيد للمرض ، وامتداح للنخوة .

يا أهل مصر !

لقد جرب أجدادنا العمل بالقرآن فكانوا سادة الدنيا كلها ، فجربوا أنتم مخالفته وانظروا ما ذا تكونون ! !

القاهرة

**على الطنطاوى**

# الأساطير الاسلامية

للدكتور جواد على

من الموضوعات الجديرة بالعناية موضوع : « الأساطير الإسلامية وأثرها على العقلية الأوربية » ، وهى أساطير عربية جاهلية اختلطت بعناصر أعجمية فى العصور الإسلامية التى امتزجت فيها ثقافات مختلفة متنوعة .

ولما بحث العالم الإسبانى « ميكول آسين Miguel Asin » فى « الكوميدية الإلهية Divina Comedia »[١] للشاعر الإيطالى الشهير « دانتى Dante »[٢] ، تطرق إلى ذكر العناصر التى أخذ منها هذا الأديب « الفلورنسى » الكبير تلك الصورة البديعة التى رسمها من أوربية وشرقية ، وقد اضطر إلى التعرض للقصص الإسلامية التى كانت قد شاعت فى إيطاليا أيام هذا الشاعر ، فقسمها إلى أقسام وفصول مثل الأساطير الأوربية التى أخذت من « معراج الرسول » ، والقصص التى انتزعت من وصف الجحيم عند المسلمين ، ثم القصص التى أخذت من أوصاف الجنة ؛ وبحث فى القصص المختلفة المعروفة مثل أصحاب الكهف والخضر وقصة «بولوقيا» والرحلات المخيفة إلى البحار، وقصص الحيتان البحرية التى تظهر فى البحر على صورة جزر عائمة[٣] .

وقد بحث مستشرقون آخرون فى تأثير القصص الإسلامية فى القصص الأوربية ، وفى أثر الأساطير العربية فى أساطير أوربا فى القرون الوسطى[٤] ، وفى كيفية انتقالها إلى أوربا . وعلى بعض هذه القصص طابع إسلامى واضح ، وعلى بعضها أثر التكييف الجديد الذى طرأ عليها فى المحيط الأوربى الذى حلت به .

(١) Miguel Asin,islam and The Divine comedy London 1926

(٢) Pietro ·Fraticelli, Daute operc minori di dante Alighieri3 aols Flsreuee 1908-12

(٣) Asin P, 204

(٤) أثر الشرق فى الغرب . تأليف جورج يعقوب ترجمة الدكتور فؤاد حسنين القاهرة ١٩٤٦ ، ٧٤ .

ومن الأساطير الأوربية القديمة قصص مغامرات البحارة ومخاطرات البحار وعجائب المخلوقات فى هذه المحيطات الشاسعة ، وهى قريبة من القصص العربية الواردة فى كتاب عجائب المخلوقات[١] ، وفى الكتب المؤلفة فى حياة الحيوان[٢] ، وفى كتب السياح العرب الذين دونوا ما شاهدوه فى تلك البحار .

ومن أمثال هذه الأساطير الأوربية القريبة من الأساطير العربية قصة رحلة « هارولد النرويجى »[٣] ، ورحلة « كورم الداغاركى Gorm of Denmark » ، ورحلة « مالدون السكلتى »[٤] ورحلة « أبناء كونال درك أو كورا »[٥] ، ورحلة « سانت برندن »[٦] وهى رحلة حج بحرية مشهورة جداً لراهب إرلندى وقد جمع فيها عدة قصص لرهبان آخرين مثل « St Barintur » و « St Mernoc » و « St malo » و « St amorus » ، ومجموعة الرهبان « الأرموريكن Armorican monks »[٧]

وقد انتشرت فى القرن العاشر للميلاد بين المسلمين كثير من القصص البحرية ، ويعود ذلك إلى توسع الحركة التجارية فى خليج البصرة ، وبين سواحل البلاد العربية ، وسواحل الهند والصين وإفريقية الشرقية ، وقد تفرعت منها قصص عديدة ، منها مادون فى الكتب ومنها ما ذكر عرضاً بصورة مختصرة أو مبتورة. ومن هذه القصص قصة البحث عن الخضر ، وقصة رحلات السندباد البحرى وقصة الجزيرة الخضراء وقصص الحيتان[٨] .

وقد قارن المستشرق الهولندى « دى كويه » بين قصة «سانت برندن» ، وهى من القصص الإرلندية وبين رحلة السندباد البحرى ، وبعض قصص بحرية ذكرها الشريف الإدريسى ، وقصة « بولوقيا » « Bolugiya »

(١) راجع كتاب « عجائب المخلوقات » للقزوينى طبعة وستنفلد ١٨٤٩ .

(٢) كتاب الحيوان للجاحظ .

(٣) Asin p, 204

(٤) Dancona p, 105

(٥) Grof I, 93-126

(٦) Shroder Sanct Branden Erlangen 1871

(٧) Yoyè, 47

(٨) الثعالبى .

اختار « سانت برندن » الذهاب إلى قلعة نائية لم تكن مأهولة فى جزيرة لم تعرف إنساناً من قبل ، ولشد ما تملكه العجب حينما وجد مائدة غنية بأنواع الأطعمة والأشربة فأكل منها وشبع وأطعم أصحابه ولم يؤثر ما أكلوه على كمية الطعام[1].

وفى قصة « بلوقيا » التى رواها « عبد الله بن سلام » وهو يهودى اعتنق الإسلام تشابه مع قصة « سانت برندن » ، فبلوقيا وهو حبر يهودى ، وكان والده « أوشيا » من أحبار اليهود وأغنيائهم أراد البحث عن « محمد » وأمته ، فطاف بلاد الشام حتى بلغ جزيرة من جزائر البحر ، فإذا هو بحيات كأمثال الإبل عظما كلهن ثم مر بشجر كثير وبعالم غريب يشبه ذلك العالم الذى مر به ذلك الراهب[2].

وقصة « بلوقيا » هذه التى قصها الثعالبى استناداً على رواية « أبى بكر بن عبد الله الخزدق » باسناده عن عبد الله بن سلام هى قصة ، وإن كانت مطبوعة بطابع إسلامى إلا أنها من القصص الإسرائيلية البحت . ولابن سلام قصص أخرى تحمل نفس الطابع ، ويحشره العلماء وأصحاب الحديث لهذا السبب فى تلك المجموعة التى اشتغلت فى إدخال « الإسرائيليات » إلى المسلمين بصورة حديث عن الرسول أو موعظة من المواعظ[3].

ووجد هذا الراهب فى جزيرة من الجزر أشجاراً فاقتطع من أغصانها مقداراً وأوقد ناراً ليصنع طعاماً ، فلما تأججت النار تحركت تلك الجزيرة العظيمة وأخذت تموج ، فرمى الراهب وأصدقاؤه بأنفسهم فى اليم طلبا للنجاة ؛ إذ لم تكن تلك الجزيرة سوى سمكة عظيمة من نوع الحيتان البحرية[4].

ويرى بعض المستشرقين مثل « دى كوية » « De goeje » و « Reinaud » و « D' avenyae » ، أن هذه الجزيرة تشبه الجزيرة الأولى التى وصل إليها « السندباد البحرى » وأصدقاؤه[1] وقصة السندباد من القصص العربية المعروفة ولعلها النموذج الأصلى لقصة « روبنسن كروسو » .

ونجد مثل هذه القصص فى الكتب الدينية القديمة مثل : « التلمود » وهو بعد التوارة عند اليهود وعليه عندهم العمل فى الأحكام الفقهية[2] . ومثل « الأفستا » « Avesta » كتاب الفرس المجوس . وقد انتشرت أمثال هذه القصص بين المجائز والأطفال ولا زالت معروفة حتى اليوم .

وزعم نفر من المستشرقين أن قصة « سانت برندن » ، والقصص المشابهة لها هى من القصص الإيرلندية القديمة ، وقد عرفها الشرق عن طريق الصليبيين أوعن طريق أسبانيا ؛ ودليلهم على ذلك أن سمكة « الحوت » التى وصفت بالكبر والضخامة لا تعيش فى مياه الشرق[3] .

وهذا الرأى لا يستند بالطبع إلى دليل ملموس ، ولا يعقل انتقال هذه القصة من إرلندة إلى الشرق . وهناك أدلة علمية واضحة تنفى انتقالها من إرلندة . فالجاحظ الكاتب البصرى وقد عاش فى نهاية القرن الثامن للميلاد إلى ما بعد منتصف القرن التاسع « ٧٨١ — ٨٦٩ م » يصف قصص البحارة عن الحيات البحرية فيقول : « فقد زعم هؤلاء أنهم ربما قربوا إلى بعض جزائر البحر وفيها النياض والأودية واللحاقيق وأنهم فى بعض ذلك أوقدوا ناراً عظيمة فلما وصلت إلى ظهر السرطان ساح بهم وبكل ما عليه من النبات حتى لم ينج منهم إلا الشريد[4] » .

ويظهر من كتاب الحيوان أن مثل هذه الأساطير كانت معروفة فى العراق ، وعلى الأخص فى البصرة فى أيام الجاحظ ، وربما كانت معروفة قبل عصر الجاحظ ، وأن قصة « السندباد البحرى » التى شاعت بين الناس فى القرن العاشر وما بعده أخذت من هذه القصص البحرية . وقد تطرق للغزالى فى كتابه « إحياء

---

(1) Rossi vittorio Storia della Lettera tura jtaliana, vol 1-5 ed milan 1911

(٢) عن عبد الله بن سلام راجع دائرة المعارف الاسلامية فى هذه المادة قصة « بلوقيا » الثعالبى . قصص الأنبياء صـ ٢٠٧ .

(٣) Encyclopiedia of jslam vol, 1, artic, abdallah ibn Salam.

(٤) Asin p, 20L قارن ذلك برحلة عبد المطلب الحكيم . Chauvin vol 7 p, 46

---

(1) Asin p 207

(2) Asiu p 207 Haotings arte Telmud.

(3) Asin Abenmassarra, Appendix 1-133

(٤) كتاب الحيوان للجاحظ صـ ٣٣ ، ٣٤ .

علوم الدين » إلى ذكر الحيتان[١] .

أما الجزيرة الثانية من مجموعة الجزر التى زارها القديس فهى جزيرة نائية كانت مأهولة بالطيور المتكلمة وكانت أرواحها من طبيعة أرواح الملائكة[٢] . وفى قصة « بلوقيا » مثل هذه الطيور . فلما سأل « بلوقيا » أحدها قال « أنا من طيور الجنة ، وأن الله قد بعثنى إلى آدم بهذه المائدة لما هبط من الجنة ، وإنى كنت معه حين لقى حواء وأباح الله له الأكل ؛ وأنا ههنا من لدن ذلك الوقت ، فكل غريب وعابر سبيل من عباد الله الصالحين يمر بها يأكل منها وأنا أمين الله عليها إلى يوم القيامة . فقال بلوقيا ولا تتغير ولا تنقص؟ فقال طعام الجنة لا يتغير ولا ينقص. قال بلوقيا أفآكل منها ؟ قال كل ، فأكل حاجته ، ثم قال له أيها الطائر وهل معك أحد ؟ فقال معى أبو العباس يأتينى . فقال ومن أبو العباس قال الخضر عليه السلام ، فلما ذكر الخضر وإذا به قد أقبل وعليه ثياب بيض فما خطا خطوة إلا نبت الحشيش تحت قدميه . ثم قال غمض عينيك فغمضهما ، ثم قال له افتح عينيك ففتحهما فإذا هو جالس عند أمه ، فسألها من جاء بى إليك ؟ قالت طير أبيض يطير بك بين السماء والأرض فوضعك قدامى[٣] » .

وتشبه هذه الطيور الطيور المذكورة فى قصة : « سانت مكاريوس » St. macarius[٤] » . وقد ورد فى الأحاديث المنسوبة إلى الرسول ذكر الطيور البيضاء ، وقد فسرها المفسرون بأنها الملائكة[٥] . وهو تفسير يتفق مع مذهب الأوربيين فى تصوير الملائكة على أنها على صورة طيور بيضاء ذات جناحين طويلين .

ووجد « القديس » فى جزيرة رهباناً كانوا يقتاتون بخبز الجنة لا يعرفون الهرم ولا يصل إليهم المرض ، وكانوا لا يتكلمون

---

(١) إحياء علوم الدين جـ ٣ صـ ٣١٨ طبعة القاهرة ١٣١٢ .

(٢) Asin p, 209 قارن ذلك بكتاب السيوطى شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور القاهرة ١٣٢٩

(٣) العرائس صـ ٢٠٨ وهناك قصص تشابهها فى اللغات الأوربية . راجع خاتم سليمان .

(٤) Asin p, 210 .

(٥) Asiu, 211 تذكرة صـ ٨٧ مختصر تذكرة القرطبي للشعرانى القاهرة ١٣٠٨ .

وفى قصة « ذى القرنين[١] » وقصة « جزيرة الحكماء[٢] » . شبه كبير بهذه القصة . أما « العنب » العجيب الذى عثر عليه القديس فى الجزيرة فله أصل فى الحديث المنسوب إلى الرسول إذ روى أن جماعة سألوا الرسول عن الكرم وهل ينبت فى الجنة ، فأيد الرسول وجوده فيها ، وأبان لهم أن الحبة الواحدة لتكفى الرجل وعائلته[٣] . وهو يمثل على كل حال رأى الناس فى العنب وهو رأى يشابه رأى الأوربيين فى عنب جزيرة القديس .

وفى الأدب العربى عدد لا يحصى من هذا النوع من القصص وقد جمع قسما منها الثعالبى فى كتابه « قصص الأنبياء » ونجد طائفة أخرى فى تفسير الخازن[٤] ، وأكثرها من صنع من أسلم من اليهود مثل عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ووهب ابن منبه وأضرابهم . وروى بعضها عن عبد الله بن عباس[٥] .

وتعرف هذه القصص عند المسلمين « بالإسرائيليات » . والظاهر أنها عرفت عند المسيحيين كذلك إما عن طريق الكتب الدينية والتفاسير الموضوعة على هذه الكتب ، وإما عن طريق اليهود الذين انتقلوا إلى أوربا فى عصر الإمبراطورية الرومانية . غير أن وجود العناصر الإسلامية فيها يشعر أنها انتقلت بعد ظهور الإسلام ، ولعل ذلك حدث بعد اختلاط الأوربيين بالعرب فى الأندلس وفى إيطاليا وفى بلاد الشام وفلسطين ، وبعد وقوفهم على كتب الأدب العربية ولا سيما كتب القصص منها ، وفيها طائفة كبيرة تلائم العقلية الأوربية والذوق الدينى الذى كان يتحكم فى نفوس أوربا فى القرون الوسطى حيث كان الحكم البابوى هو الحكم السائد ، والثقافة الدينية هى الثقافة السائدة ، وفى هذه القصص لون من ألوان هذه الثقافة .

**جواد علي**

---

(١) العرائس صـ ٢١١ .

(٢) Asin p 215 خريدة صـ ٩٣ — ٩٤ .

(٣) مختصر تذكرة القرطبي للشعرانى صـ ٨٧ Asin .

(٤) الخازن ، تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل للخازن القاهرة ١٣١٨ . تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادى القاهرة ١٣١٦ .

(٥) عن عبد الله بن عباس راجع Encyclopoedia of yrolam vol p 19noeldeke yeschichę des gosran vol Z p 190.

على هامش محاضرة :

# الشر فى طبيعة المستعمر

للأستاذ حبيب الزحلاوى

يحار المرء فى تفسير ظاهرة الشر الواضحة فى الشعوب الغربية المستعمرة ، أهى طبيعة أصيلة فيهم أم هى نتيجة مباشرة لعوامل الاعتداد بالقوة وحياة الترف ولوازم المدنية ؟

لا شك فى أن الشعوب الغربية المستعمرة بلغت من الرق الاجتماعى ومن الآداب والعلوم والثقافة العامة والتسامى فى التهذيب أو كادت تبلغ أوج التعاليم الانسانية ، فما السر فى أنها تقتتل فى الحروب قتال الإبادة والفناء والتدمير والتخريب ، ويعمل الظافر فيها على سحق أخيه المغلوب ؟

ثم ما بال هذه الشعوب الغربية كالجزّار تعمل مداها فى تلك الأغنام التى تدر الثروة عليها كلما أحست بحركة تدب فى هذه القطعان ؟ وما هى إلا الشعوب الشرقية الواقعة تحت سلطانها ودائرة نفوذها ؟

أفهم أن يستمسك الوارث بما ورثه عن الآباء والأجداد ، كما أفهم أن فى طبيعة الغنى القوى جشعاً يدفعه إلى تنمية ثروته وتوسيع جاهه ومد سلطانه كالشعب الانجليزى المستعمر ، أما الذى لا أفهمه ولا أجد سبيلا إلى إدراكه فهو كيف يجوز لمبذر متلاف كالشعب الفرنسى الذى أضاع ما ورثه عن آبائه وأجداده وفقد بسفهه الأخلاق والاجتماعى ، كيف يسوغ له وهو القاصر المريض أن يزود بأسلحة الشر يعملها فى رقاب من أرادوا الخلاص منه والانعتاق من رزاياه من سكان شمالى أفريقيا ، خصوصاً وأن الفرنسى كالانجليزى يستويان فى ادعاء تهذيب الشعوب وتدريبها على الحكم الذاتى .

أفهم أن نهم الاستعمار يسيل لعاب الانجليزى ويدفع يده إلى امتلاك كل بقعة من الأرض مجاورة لما اغتصبته يده من قبل ، ولكل قطر مهما كان أو جبلا ، نهراً أو قناة ، يقع فى طريق امبراطوريته المترامية الأطراف .

أفهم ذلك والامبراطورية البريطانية خارجة ظافرة من حرب بذلت فى سبيلها مهجاً وأموالا ، واكتسبت من جرائها عطف العالم عليها وإعجابه بها ، وبذلك لا أستغرب أن أراها تمد يدها تنتزع قطراً من هنا وتحتل مقاطعة هناك ، وتتطلع إلى ما هنالك ، وهى تتذرع بروح الديمقراطية وإسعاد البشرية وتهذيب الشعوب وإنقاذها من الخوف والمرض والجوع ، إنما الذى يدهشنى حقاً هو أن أرى دولة فرنسا فى حال من الهوان والبؤس والذل ، والفقر والضعف والجوع ، ومن الضعة الروحية والفاقة المعنوية ، يدهشنى أن أراها تشمر عن سواعد نخرة بالية تحمل سلاحاً فتاكا ترمى به العزل من أبناء تونس والجزائر ومراكش ، قطعانها التى تعيش على صوفهم وتشبع من لحومهم كأنها تنتقم من الألمان وقد داسوا كبرياءها بحوافر خيولهم .

***

حفزنى إلى هذا التساؤل والاستطراد محاضرة سمعتها من الأستاذ محمود عزمى ألقاها فى نادى الرابطة العربية عن مشاهداته فى شمال أفريقيا فبدا لى أن أقارن بين الحكومتين الانجليزية والفرنسية فى طريقة استعمارهما الشعوب الشرقية المستضعفة الواقعة تحت حكمهما ، مكتفياً بهما وحدهما ، لأن الحكومات الأوروبية المستعمرة الأخرى وإن كانت أكثر ظلماً ، وأوفر شراهة وجشعاً ، تهتدى دائماً بهدى الانجليز والفرنسيين فى استذلال الأمم واستعبادها ، وتحذو حذوهما فى كل ما يقترفان من شرور ومظالم وما يدبران لها من أغشية للتضليل والتمويه .

نعرف أن السياسة الانجليزية رأت أن تقف سداً دون انتشار التعليم فى مصر فرمت وزارة المعارف بطاغية يدعى دنلوب عمل جاهداً على أن يجعل من النشء الجدد موظفين لدوائر الحكومة محدودى المعرفة مسلوبى الإرادة .

وما كنا نعرف قبل أن عرّفنا الأستاذ عزمى أن الفرنسيين فى تونس والجزائر ومراكش لا يسمحون بإنشاء مدرسة ابتدائية أو ثانوية إلا بإذن خاص من القيم الفرنسى العام ، وما أندر ما يأذن ذلك الحاكم الأجنبى بافتتاح مثل تلك المدارس بحجة

أن التعليم يجب أن يبقى قاصراً فى الـكتاتيب على حفظ القرآن ، وأن ما نسمع عن المدارس العالية هناك فأنما أمرها بيد الفرنسيين وحدهم وأن برامجها موضوعة وفق مشيئة الروح الاستعمارى وهو ولا شك أضل وأسوأ من مشيئة دنلوب .

نعرف أن الشعوب الشرقية التى يحتل الانجليزى بلادها يحكمهم وفق قوانين موضوعة ومحاكم قائمة وأحكام تنشر وتذاع، بيد أن أقطار شمال أفريقيا تحكم ، كما روى الأستاذ عزمى ، بغير قوانين ، وأن ليس فى « رباط » قانون عقوبات ، إنما لها محاكم شرعية تحكم فى الأحوال الشخصية وتفصل فى الملكيات الوراثية ، ولها محاكم أخرى تسمى محاكم الباشا عليها مراقبون فرنسيون من رجال الإدارة يرشدون الحاكم الدنى إلى الحكم على المتهم .

نعرف أن الإنجليز فى مصر من حاكمين ومقيمين أقل الناس استملاكا واستثماراً للأراضى الزراعية ، بيد أن الحال يختلف مع الفرنسيين من حاكمين ومقيمين فى شمال أفريقيا فى امتلاك الأرض ، وقد سمعنا من الأستاذ المحاضر أن المستعمر الفرنسى يملك الأرض ويستأجر الأهالى لاستغلالها بأبخس أجر ويقرضهم مالا لا يقوون على سداده ، وبذلك المال المقرض يبقى الفرنسى المالك قابضاً على عنق المغربى الأجير طول حياته .

نعرف أن المندوب السامى الانجليزى فى مصر حاكم يربض وراء الستار يعمل متوارياً ما يصون مصالح حكومته ومنافعها ، وما عرفت مصر مندوباً سامياً يحمل عصا الديكتاتورية المقنعة سوى كروم و كتشنر واللنبى ، وقل من عرفت منهم من عاش فى ظل الأحكام العرفية فى أيام السلم . بيد أن الحال فى بلاد المغرب تستوى فى السلم وفى الحرب ، فان الأحكام العرفية هناك معلنة منذ عام ١٩١٢ وحجة الفرنسيين فى إعلانها كما قال الأستاذ عزمى أنها تمنح القيم العام حرية مطلقة فى الحكم والتصرف الإدارى ولولاها لوجب عليه أن يراجع باريس فى كل كبيرة وصغيرة من شؤون السياسة والإدارة والقضاء .

نعرف أن الانجليز فى مصر منعوا الخديو عباس من العودة إلى بلاده وأنهم خلعوه من ولايته الشرعية ، وأنهم هيأوا أحد راجات الهند لاعتلاء العرش المصرى ، وأن السلطان حسين أنقذ البيت المالك بقبوله ولاية السلطنة إبان الحرب العالمية الأولى ، وإننا نعرف جيداً أن حادث شهر فبراير المشؤوم ثابت فى ذهن كل مصرى ، ونعرف فوق ذلك أن الحكومات المصرية التى تولت الحكم إبان الحرب الأخيرة أبت على الحكومة الانجليزية الاشتراك رسمياً معها فى الحرب مستمسكة بمعاهدة ١٩٣٦ التى تنص على حرية الحياد ، وعرفنا أن الحكم الفرنسى يستوى والحكم الانجليزى فى معاملة الحاكمين ، حدثنا الأستاذ المحاضر عن « المنصف » باى تونس قال : التزم هذا العاهل المخلص لوطنه شروط الحياد التام لبلاده ، وقد أبى على الألمان ما أباه على الأمريكان والانجليز ، وقد وقف كذلك فى وجه الفرنسيين يصدهم عن تجنيد أبناء رعيته ، وقال : كان الجنرال جيرو يداً من أيادى المرشال بتان وذنباً من أذناب حكومة فيشى ، وأن هذا القائد عند ما جاء تونس لينضم إلى الجنرال ديجول أو يعمل معه ، كان أول ما عمله ترحيل المنصف الباى إلى فرنسا وأنه احتجزه فى الصحراء ستة شهور حتى اضطره إلى كتابة صك تنازله عن العرش، وعندها حملته طيارة إنجليزية إلى باريس تحرسها شرذمة من الجند البريطانى ، فى حين أن الضباط الفرنسيين والطيارين الفرنسيين رفضوا نقل هذا العاهل المحبوب من شعبه ومن كل من عرفه أو اقترب من بلاطه .

يعرف كل من عاصر الثورة المصرية عام ١٩١٩ أن أحداث السنوات الخمس التى تلتها كانت أحداثاً جساماً ، وأن الانجليز لم يجابهوا الثورة مجابهة إلا عند ما كانوا يدعون دفع الأخطار عن مصلحتهم أو يتذرعون بحماية أرواح الأجانب وممتلكاتهم ، وعندها كانوا يمتشقون السلاح يعملون به ما يتوهمون أنه يقضى على روح الثورة المتأججة . فكم من دماء أهدرت ، وشباب ذوى ، وأمهات ثكلت ، وزوجات ترملت ، وأرواح صعدت إلى باريها تشهد على ظلم الظالمين ! وكم من صفحات أضيفت إلى تاريخ الاستعمار البريطانى سطرها اللورد اللنبى بسيفه وقد حاول المرشال ويفل تبريرها وتمزيزها بقلمه ، وما تلك الصفحات سوى شهادة صادقة على خنق حرية الشعوب الفتية بأيدى دعاة أنصار الحرية .

أما موقعة الجزائر الأخيرة فقد رواها الأستاذ محمود عزمى ، وعززها الأستاذ أمين الجامعة العربية . قال الأول : فعلت دعاية الحلفاء فعلها فى نفوس المغربيين وتأثروا كما تأثر سواهم بميثاق

الأطلنطى . وسحرتهم الديمقراطية الفاتنة واجتذبتهم الحرية ، فما إن ألقى الغربيون المتحاربون سلاحهم حتى هب الشعب الجزائرى هبة واحدة يظهر شعور الفرح والغبطة بدنو الحرية ، فمشى فى الشوارع أفواجاً منظمة يحمل أبناؤه الأعلام واللافتات فيها دعاء للحرية ومطالبة بالاستقلال .

هال المستعمر سماع صوت الشعب وحرارة ندائه فأمر القيم العام البوليس بتفريق المتظاهرين وتمزيق أعلامهم ولافتاتهم ، فنفذ البوليس الأمر بغلظة وقسوة . هاج الشعب وغضب لهذه المقابلة الظالمة فعاد ثانية إلى التجمع والمناداة بغضب للحرية والاستقلال، فقابلهم البوليس ثانية برصاص البنادق ، ففر الشعب إلى الضواحى يصب غضبه على بيوت الفرنسيين .

قامت قيامة القيم العام فأمر الجيش بإخماد الثورة .. مشى الجيش بجانبه أصحاب الأراضى من الفرنسويين وقد نضوا ثيابهم المدنية وأخذوا يعملون سلاحهم معه فى رقاب الأهلين ونيرانهم فى أكواخهم ، وما زالوا بهم تقتيلا وتحريقاً حتى طرحوا بقاياهم فى الصحراء وقد انجلت الواقعة عن ثلاثين ألفاً من القتلى .

وقد عزز هذه الحكاية سعادة الأستاذ أمين الجامعة العربية بقوله : لما كنت فى باريس حادثت أولى الأمر هناك بهذه الواقعة المحزنة فلم أسمع منهم إنكاراً لها ، ولكنهم قالوا إن فيها مبالغة ، والحقيقة التى اعترفوا بها هى أن عدد القتلى لم يتجاوز الثمانية عشر ألفاً !

وددت لو اتسع المجال لعرض كل ما سمعت من الأستاذ المحاضر ومقارنة أعمال المستعمرين بعضها ببعض ، ولكن ما إلى هذا رميت ، ولا إلى التشهير قصدت ، إنما مرماى هو كشف النقاب عن الظلم الكامن فى نفوس الغربيين المستعمرين ، ثم ما هو الواجب علينا حيالهم .

أنا لست مؤمناً بالإنسان ولا بعلومه ، ولا بعقله ، وقد كشف الكثير من أسرار الطبيعة ، وأنكر كل الإنكار المدنية والحضارة والتهذيب والكياسة وكل الأخلاق الفاضلة فى الشعوب الأوروبية التى لم تقو على محو روح الشر المتأصل فيها ولا اقتلاع جذور الظلم الكامن فى جوانبها ، ولا هبوط حمى الجشع المستعر فى ضلوعها ، إنما أومن عن عقيدة بأن الشر يدفع الشر وأن الظلم لا يقتله إلا الظلم .

**حبيب الزحلاوى**

خواطر مسجوعة :

## فلسفة الأمل . . .

سأل سائل : ما الأمل؟ قلت : مصحح العلل ، ومبدد الملل ، ومتقن العمل . مذلل الصعاب ، ومهون العذاب . مُمسجد التراب ، ومكوثر السراب . مُصغّر ما جل ، ومكثّر ما قل ، ومُمنّى المقل ، بعسى ولعل ! الأمل ساحر مُزوّق، بالأوهام يسرق، وكاذب ملفّق، فلما يصدق! الأمل سالب الأحلام ، وناهب الأيام ، وغالب الآلام ، ومصاحب المولود حتى الحِمام ! ما أحب الأمل إلى القلب ، وإن استحق الثلب ! فوعده عذب ، وكذبه خطب . خياله فتنة ، وحقيقته محنة . بدايته جَنة ، ونهايته جِنة ! الأمل يصور المستقبل أجمل تصوير ، وما تصويره إلا تزوير ؛ ويُقدّر المخبوء أحسن تقدير ، وما تقديره إلا تغرير! الأمل كالأفق الممتد ، يظهر على بعد ، وكأنه بعد خطوات تُعدّ ، يكون فى متناول اليد ! يُجسم لنا الوهم ، فنخطئ الفهم ، وتتسرع فى الحكم ، على المخبّآت الصم البكم ! رونقه جذاب ، ومنطقه خلاب . خمرته أشهى من ابنة الأعناب ، ونشوته عزم متوقد وثاب ؛ فإذا حسرت الحقيقة عن وجهها نقاباً ، وكشفت الخيبة عن سرها حجاباً ، تبدلت خمرة الأمل صاباً ، ونشوته أوصاباً ! فهو الهم المرغوب ، والمرض المحبوب ، والصديق الكذوب ، والجاد اللعوب ! يُثقِل ولا يُقيل ، ويُطمِع ولا يُنيل ، ومن عجب أنه بخيل ، وكل الناس له خليل ! بيد أن له فى الحياة شأناً يُؤثر ، وأثراً يُذكر ؛ فإذا قلنا : إن الحى بدونه كن يقبر ، فهو بلا شك البعث الأصغر ! يخلق من البعوضة جملا ، ومن الذرة جبلا ، ومن الضيق سبلا ، ومن الظلمة بدراً مكتملا ؛ ومن الضعف قوة ، ومن الشيخوخة فتوة ، ومن مرارة العيش لذة سائغة حلوة ، ومن الشقاوة سعادة مرئية مرجوة!

فلولا الأمل ما ثابر مثابر ، ولا خاطر مخاطر ، وما تسابق قاصر وماهر ، ولا تنافس عاجز وقادر . ولولاه ما حلا زاد ، ولا طاب رقاد ، ولا تسلّى فؤاد ، بميعاد بعده ميعاد !

**حامد بدر**

# إمام الحرمين
## بين المتقدمين والمتأخرين

للاستاذ الأب قنواتي

النضال بين المتقدمين والمتأخرين نضال قديم ساير الاجتماع على ممر الأجيال . فلكل جيل طموح ونزعات تجمله ينظر إلى الجيل السابق بعين الاستخفاف بل العدوان ... ولئن أردنا أن نقيم دليلا على هذه الحقيقة البسيطة وجدنا التاريخ حافلا بالأمثلة العديدة الشائعة فى الميادين المختلفة من مذاهب أدبية أو فنية أو سياسية ونظريات علمية ومناهج تاريخية ... الخ ، وقد يرجع هذا النضال إلى طبيعة الإنسان وشغفه بالجديد ... « سنة الله فى خلقه » ... ولكنه قد يرجع أحيانا إلى التقدم الحقيقى والتعمق فى البحث . فقبل أن يكتب النصر للجديد المتأخر لابد له من مقاومة القديم وإقناع مشيعيه ، وهناك تغيرات واتجاهات لا تخلو من الخطورة على خفائها وقلة ظهورها فى الخارج يجدر بالباحث أن يحاول إماطة اللثام عن سرها وإبرازها بوضوح لأنها كثيراً ما تكون « مفتاحاً » لفهم تطورات أخرى ضخمة . ونريد اليوم أن نقف برهة عند نضال كان له أثره الخطير فى تكييف علم الكلام ، ونحن نعنى طريقة المتأخرين التى حلت محل طريقة المتقدمين فى القرن الخامس الهجرى .

* * *

يقول ابن خلدون فى مقدمته إن أول من كتب فى الكلام على طريقة المتأخرين هو الغزالى[1] ، وقد ردد هذا الرأى كثيرون ممن أرخوا لتطور علم الكلام ولاسيما الشيخ محمد عبده[2] . ما هى فى رأى ابن خلدون ، هذه الطريقة ؟ وكيف تتميز من طريقة المتقدمين ؟ وهل أصاب ابن خلدون فى رأيه : تلك هى النقط التى أحب أن أعرض لها اليوم على صفحات « الرسالة » .

أما طريقة المتقدمين فقد رآها ابن خلدون متحققة فى الأخص

(١) طبعة مصر ص ٤٦٦

(٢) رسالة التوحيد ، طبعة ١٣٦١ ص ٢٢

عند الباقلانى ( المتوفى سنة ٤٠٣/١٠١٣ ) . فبعد سرد الظروف التى هيأت لعلم الكلام نشأته والتكلم عن الأشعرى أخذ يقول :

« وكثر أتباع الشيخ أبى الحسن الأشعرى واقتفى طريقته من بعده تلاميذه كابن مجاهد وغيره ، وأخذ عنهم القاضى أبو بكر الباقلانى فتصدر للأمامة فى طريقتهم ووضع المقدمات العقلية التى تتوقف عليها الأدلة والأنظار وذلك مثل إثبات الجوهر الفرد والخلاء وأن العرض لا يقوم بالعرض وأنه لا يبقى زمنين وأمثال ذلك مما تتوقف عليه أدلتهم ، وجعل هذه القواعد تبعاً للعقائد الإيمانية فى وجوب اعتقادها لتوقف تلك الأدلة عليها ، وأن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول . وجملت هذه الطريقة وجاءت من أحسن الفنون النظرية والعلوم الدينية ، إلا أن صور الأدلة تعتبر بها الأقيسة ولم تكن حينئذ ظاهرة فى الملة . ولو ظهر منها بعض الشىء فلم يأخذ به المتكلمون للابستها للعلوم الفلسفية المباينة للعقائد الشرعية بالجملة[1] » . إننا — والحق يقال — لا نجد فى هذا النص ما يشفى غلتنا . — فما هو محور طريقة المتقدمين ؟ . أهو استعمال العقل فى شرح العقائد ؟ هذا لا يكفى ، إذ العقل سيظل مستعملا فى طريقة المتأخرين بل سيكون ركنها الركين . هل هو عدم الاكتراث بالمسائل الفلسفية ؟ . . ولكننا نجد الباقلانى وهو بلا شك من المتقدمين يتكلم فى الجوهر والعرض الخ فلنواصل قراءتنا فى مقدمة ابن خلدون . يقول مؤرخنا الشهير إن المتكلمين أخذوا على مر السنين يفرقون بين علوم المنطق وبين علوم الفلسفة إلى أن قال : « ثم نظروا فى تلك القواعد المقدمات فى فن الكلام للأقدمين فخالفوا الكثير منها بالبراهين التى أدت إلى ذلك ، وربما أن كثيراً منها مقتبس من كلام الفلاسفة فى الطبيعيات والالهيات ، فلما سبروها بمعيار المنطق ردهم إلى ذلك فيها ولم يعتقدوا بطلان المدلول من بطلان دليله كما صار إليه القاضى . فصارت هذه الطريقة من مصطلحهم مباينة للطريقة الأولى وتسمى طريقة المتأخرين » . ففى رأى ابن خلدون يرجع الفرق الحاسم بين الطريقتين إلى هذا : يعتقد المتقدمون أن بطلان الدليل يؤدى إلى بطلان المدلول ويرفض المتأخرون هذا الزعم .

(١) ص ٤٦٥ — ٤٦٦

وأقر بكل بساطة ، مع احترامى لابن خلدون وسعة اطلاعه ، بأنى لم أرتض هذا الرأى لأنى حاولت أن أطبقه على كتابَى إمام الحرمين — الإرشاد والشامل[1] فلم أعثر على المبدأ الذى يقول به المؤرخ العربى الشهير . كما أنى لم أجد فى كتب الغزالى الخاصة بعلم الكلام — على القدر الذى أعرفه — دحض هذا الرأى الذى يظهر فساده من أول وهلة . ومن يدرس عن كثب المناقشات الطويلة التى وردت فى « الشامل » لايلبث أن يتحقق أن الأمر خلاف ما ذهب إليه ابن خلدون . ولقد تبادر إلى ذهنى أن الفرق الحاسم بين الطريقتين قد يرجع إلى نوع المنطق المستعمل فيهما، أوبالأحرى إلى مدى استعمال المنطق اليونانى فيهما . والذى هدانى إلى هذا الرأى هو حدوث شبيه هذا المظهر فى القرون الوسطى عند المسيحيين ؛ فقد كان يوجد فى العالم العلمى الأوروبى حتى القرن الحادى عشر منطق أرسطو فى مختلف أقسامه ، وكان يستعمل فى المناظرات اللاهوتية ولكن من الوجهة الجدلية فقط . فعند ما ترجمت كتب أرسطو الأخرى وخاصة كتابه ما بعد الطبيعة أحدثت فى كهان علم اللاهوت انقلاباً عظيما ... أصبح القياس الأرسطى محور البحث الدينى نفسه ، والمبادئ الأرسطية - بقدر ماتكون غير مخالفة للعقائد — القالب العلمى لتقديم العقائد وربط بعضها ببعض والدفاع عنها والتعمق فى مضمونها . ولقد تساءلنا عما إذا لم يحدث ما يشبه ذلك فى علم الكلام عند المفكرين المسلمين . فلا شك أنهم عرفوا أرسطو منذ القرن الثانى للهجرة فقد كان بعض المعتزلة يقرؤون كتبه ويستفيدون منها . ومن المحتمل بل من المرجح أن مبادئه المنطقية أخذت تتسرب رويداً رويداً إلى علماء الكلام من طريق المجادلات والمناظرات مع الفلاسفة أو الملحدين ، وأخيراً اندمج فى علم الكلام نفسه وأصبح من آلاته الأساسية .

ولقد تحدثنا مع الأستاذ الكوثرى فى هذا الموضوع ، فتفضل وأرشدنا إلى مخطوط لتلميذ للباقلانى أبو جعفر محمدبن أحمد السمنانى ( المتوفى سنة ٤٤٤ / ١٠٥٢ ) ، وعنوان المخطوط : « البيان عن أصول الإيمان ، والكشف عن تمويهات أهل الطغيان[1] » يحوى هذا المخطوط باباً خاصا « بالفرق بين الأدلة الصحيحة وبين فاسدها وذكر أقسامها » ، يمكننا أن نعتبرها أنموذجا خالصا لطريقة المتقدمين ، فلا ذكر هنا لقياس أرسطو ، ولا ذكر لإبطال المدلول بأبطال الدليل الذى جعله ابن خلدون معيار طريقة المتقدمين ، بل يكتفى السمنانى فى القسم الأول من الأدلة بذكر « حجة العقول التى نبه الله عليها بقوله تعالى لقوم يعقلون، ويتذكرون ، أفلا يتدبرون» وهذا القسم يقع الاحتجاج به من وجوه :

الوجه الأول : أن يقسم الشىء فى العقل إلى قسمين أو أكثر من ذلك ، ومحال أن تكون كلها صحيحة أو كلها فاسدة ، فمتى أفسد الدليل أحد القسمين أو كلها إلا قسما واحداً ثبت صحة القسم الباقى .

الوجه الثانى : أن يجب الحكم والوصف للشىء فى الشاهد لعلة ، فيجب القضاء على أن كل من وصف فى الغائب بتلك الصفة وثبت له ذلك الحكم فإنه لأجل مثل تلك العلة ما يستحقه .

الوجه الثالث : أن تعلم أن الذى يصحح الحكم والصفة إنما هو وجود المصحح ، فيجب القضاء لكل من له تلك الصفة أن يكون مصححها مثل ذلك المصحح .

الوجه الرابع : أن تعلم أن حقيقة الشىء هو صفة له ، فيجب الحكم بمثل تلك الحقيقة لمثل تلك الذات فى الغائب ، وكذلك الحد .

الوجه الخامس : أن تستدل بصحة الشىء على صحة مثله وما هو بمعناه ، وباستحالة على استحالة مثله وما هو بمعناه .

هذه هى الحجج العقلية التى يبنى عليها علماء علم الكلام

---

(١) نشكر الأستاذ الخضيرى الذى أعارنا نسخته الشامل . ومن طريف هذه النسخة أن الناسخ قد أردف الجزء الأول من الشامل بجزء من تبصرة الأدلة النسفى بدون أن يذكر المؤلف .

(١) لم يذكر هرتن Horten هذا الكتاب فى مؤلفه المشهور Die spekulativen Systeme der spekulativen Theologen imIslam عندما تكلم عن السمنانى ص ٥٦٢ — ٥٦٤ . والنسخة التى نقل عنها الأستاذ الكوثرى موجودة فى المكتبة العثمانية بحلب ضمن مجموعة مخطوطة تحت رقم ٥٧٧ كان السمنانى قاضيا بالموصل وكان يقول الباقلانى عنه : « هذا مؤمن آل فرعون » باعتبار أنه كان حنفيا أشعريا . ويضيف الأستاذ الكوثرى « هذا كلام بارد لكن قائله لا يخلو من ترق فى كل مواقفه على سعة علمه » انظر ترجمة السمنانى فى تاريخ الخطيب البغدادى ج ١ ص ٣٥٥ .

المتقدمين براهينهم ، وهى على ما أظن لا تتجاوز الدلائل العقلية المستعملة فى أصول الفقه[1] ، ولا صلة لها صلة أساسية بالمنطق اليونانى .

أما الأقسام الأخرى من أقسام الأدلة التى يذكرها السمنانى فهى الاستدلال بموجب اللغة ، والاستدلال بظهور المعجزات على صدق من ظهرت على يده ، لأنها تجرى مجرى الشهادة له بالقول، والاستدلال بكتاب الله، والاستدلال بقول الرسول، وإجماع الأمة من أهل كل عصر، والقياس على الكتاب والسنة، والإجماع فى الأحكام الشرعية التى لا مجال للعقل فيها بحال .

ومما جعلنا نؤمن بصحة نظريتنا مطالعتنا لرسالة الأستاذ على محمد جبر من علماء الأزهر : « إمام الحرمين وأثره فى بناء المدرسة الأشعرية » . فقد درس الأستاذ إمام الحرمين درسا وافيا ، راجعا إلى مؤلفاته : ( البرهان ولمع الأدلة والشامل والإرشاد ) وإلى مخطوطات أخرى مثل ( المطالب العالية للرازى وإبكار الأفكار للآمدى ) . فتمكن من إبراز شخصيته العقلية والاتجاه الجديد الذى أعطاه لعلم الكلام . وقد انتهى الأستاذ جبر إلى أن إمام الحرمين هو رأس المتأخرين ، وأن التميز بين المتقدمين والمتأخرين يرجع إلى ناحيتين :

أولا : بالنسبة لطريقة الاستدلال على العقيدة ، فقد يخالف إمام الحرمين الأشعرى والباقلانى ، إذ هو جعل الاستدلال على العقيدة بطرق ثلاث : السبر والتقسيم المنحصر بين طرف النفى والإثبات ، قياس الخلف الذى يثبت الشىء بإبطال نقيضه ، القياس المستقيم . والأشعرية قبله لم يستعملوا قياس الخلف ولا القياس المستقيم بل كانوا يستعملون طرقا خطابية تارة وقضايا مشهورة أخرى والسبر والتقسيم بقسميه المنتشر والمنحصر .

ثانيا : بالنسبة لبعض الموضوعات الكلامية مثل الكلام على الصفات الخبرية التى وردت فى الكتاب والسنة . فطريقة الأشعرية قبل إمام الحرمين هو عدم التأويل وعدم بيان المراد منها . أما إمام الحرمين فقد أول وبين المراد منها . ويقول الأستاذ جبر إن إمام الحرمين هو أول من جعل الأبحاث الكلامية مثل البحث فى الجوهر والعرض والسكون والطفرة والجزء الذى لا يتجزأ وسيلة وطريقة تؤدى إلى الغاية المطلوبة من نفس علم الكلام وهو إثبات الله وصفاته ونفى القدم عن سواه أكان قدما ذاتيا أم زمنيا .

وليس يتسع لى المجال هنا لمناقشة الأستاذ فى جميع نتائجه فهذا يستحق بحثا على حدة ، غير أنى أوافقه فى جعل إمام الحرمين ممن أثروا تأثيرا حاسما فى توجيه علم الكلام توجيها جديدا . ولو أنى أميل إلى وضعه لا فى رأس المتأخرين كما يفعل الأستاذ بل فى محل وسط بين الفريقين ، وكحلقة اتصال بين طريقة المتقدمين وطريقة المتأخرين .

ومهما يكن من أمر ، فإنى على يقين أننا لا نزال محرومى التفاصيل الشافية فيما يخص تاريخ الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام وذلك للعدد الضخم من المخطوطات التى لا تزال مطوية فى أجواف المكاتب ، ولو كان لى أن أقدم رجاء فهو أن يهتم شبابنا المثقف من أزهريين وجامعيين (بمعاونة الأزهر والجامعة معاونة روحية ومادية) بنشر النصوص الفلسفية والكلامية القديمة فقد حان الوقت فى هذا الميدان أن نطير بأجنحتنا كما يقول الغربيون وألا نظل إلى الأبد عالة على المستشرقين .

إننا نلفت نظر من يهتم بتاريخ الفلسفة الإسلامية والمسيحية فى القرون الوسطى إلى ثلاثة كتب قيمة ظهرت حديثاً فى هذا الموضوع :

أولا — كتاب مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان واليهود ، وهو للأستاذ بينس Pines وقد عربه الأستاذ أبو ريده تعريباً دقيقاً .

ثانياً — كتاب إبراهيم بن سيار النظام وآراؤه الكلامية والفلسفية للأستاذ أبو ريده ( الذى يستحق كل الثناء لما بذله فى ميدان نشر الفلسفة الاسلامية ) .

ثالثاً — تاريخ الفلسفة الأوروبية فى العصر الوسيط للأستاذ يوسف كرم وهو لا يقل تركيزاً وتعمقاً من كتابه فى تاريخ الفلسفة اليونانية .

**الأب قنواتى**

(١) مع وجود الاستعانة بالسبر والتقسيم فى تعيين العلة فى بحث القياس الفقهى .

# يا ليـــل ...!

للأستاذ محمد خير الدين الأسدى

( تتمة ما نشر فى العددين السابقين )

نعود الآن فنرهب الموقف ، وقد بدا لنا توجيه آخر ، ذلك أن الغناء العربى من طابعه الإعادة والترداد ، بأن تعاد الكلمات وأحيانا مقاطع هذه الكلمات ، على نحو ما نسمعه اليوم ، فهل يبعد أن كان ردد مغن مجيد مقطع « لى » من موالى ، فكان من وراء هذا الترداد « لى لى » أو قل : ليلى مصدرة بأداة النداء القائمة بالأصل ، ثم استحسن هذا التفنن وجرى الناس عليه إلى يومنا .

ولعل ما أغرى المغنين بالتمسك بصورة يا ليلى نزوعهم إلى التفرقة بين الغناء الغرامى والغناء الدينى المفتتح بيا مولاى — كما هو شأن التمجيد فى المآذن — .

عرفنا بعد ما تقدم أن يا ليلى أصلها يا موالى ، فلنسجل هذا المذهب بجازم اليقين ، لما أن البينات تدعمه ، ثم لنسجل ما تبقى من تطورها بشىء من التحفظ ، لما أن تاريخ الغناء ومرور الزمن تألبا على الغموض والإبهام .

**انتقال يا ليل مع الموال :**

وكتب ليا ليل أن تفارق الموال إلى غيره من ضروب الغناء متنكرة بمظهر جديد — كما نرى نحن — منها .

**يا ليل في الموشحات :**

انتقلت يا ليل إلى الوشح بشكل « يالا » و « يالالا » و « يالان » و « يالالالا » و « يا للى » كما فى موشح « أحن شوقا » وتلحين الوشح كما يحدثنا الأستاذ رجائى :

أحن شوقا إلى ديا إلى ديار رأيت فيها جمال سلمى آه يالان جانم يا لا يا لالا يا لان جانم يالالالا يا للى ...

وقد تظهر بمظهرها الأصلى : يا ليل أو يا ليلى ، كما فى الموشح الحديث : « زالت الأفراح عنا » ، وتلحينه كما يحدثنا الصديق رجائى :

ليلى يا عينى يا ليل زالت زالت يا عينى ...

وقد تكون يا للى ، كما فى موشح « ما احتيالى » وقد تدخل فى صلب الوزن الشعرى بصيغة يا لالى ويا ليا وهوليا ، كما فى « يا لالى هوانم آه يا لالى » و « يامه يا ليا يا زرد خلخالى » و « هوليا هوليا عينى يا لينية » .

وقد تبقى سالمة بإزالة تضعيف الياء ، كما فى لازمة من أغانى رقص السماح « مواليا يا مواليا والعشق غير حاليا » . وقد تحذف الألف كما فى طقطوقة « زوالف يابو الزلف عينى يا مواليا » .

**يا ليل فى الغناء الفارسى :**

انتقلت يا ليل إلى الغناء الفارسى بشكل « دلاى » ، وكان لها هذا التحريف لتتلاقى مع لفظ ذى دلالة فى الفارسية ، ذلك أن « دلاى » كلمتان : « دل » بمعنى القلب و « أى » أداة نداء وهكذا تبوأ يا قلبى — وما أحلى هذا النداء — مكانه فى الغناء الفارسى ، حذو أمها « يا ليلى » فى الغناء العربى ، فتكرر كثيرا ولا تزال دولتها قائمة ، وإن كان معاصرونا يقللون من تردادها . حدثنا بذلك موسى أفندى البهائى ابن أخى عبد البهاء فى حفلة أقامها لنا الأستاذ ثابت عريس قنصل سورية بحيفا .

**يا ليل في الغناء الكردى :**

معظم الغناء الكردى من نوع الموال ولازمته التى تردد هى « لو لو Lo Lo » وقد تقسم بين جزئى اللازمة « بده » الدالة على التكرار .

وليست لو لو من لو الكردية بمعنى « يا » : أداة النداء ، إنما هى عندنا تحريف « ليلى » على شكل ينسجم مع مدلول آخر فى الكردية .

يردد المغنى الكردى « لو لو » كثيرا وكثيرا ، ولقد عاب أحدهم كرديا بهذا الترديد الكثير الممل ، فأجابه — وكنت أسمع — : جانم ، وانتوليش بيقول: يا ليلى يا ليلى ، فرد الحجر من حيث أتاه .

**يا ليل فى الغناء التركى :**

وانتقلت إلى الغناء التركى ، إلى ضرب من غنائهم المسمى « غزل » وهو ما يشبه الموال عند العرب لكنها تحرفت كثيرا ، إذ كان مظهرها « يارى » أو « يارمى » يذكرنا بكلمة « يار » الفارسية بمعنى حبيب[١] مذيلة « بأى » أو « هى » أداة الهتاف وكثيرا ما تلحق بأمان امان .

وإذا لاحظت إمالة الراء فى « يارى » وإمالة الهاء فى « يارمى » بدا لك أن وزنهما ووزن « يا ليل » المهالة واحد .

هذا فى نوع الغزل ، أما ما عداه من الغناء التركى فقد استعملوا فيه « واره للى للى للى » حتى جاء منير نور الدين مغنى أتاتورك فاستعمل هذه الأخيرة فى المقامين : الغزل وغير الغزل .

وبمناسبة الغناء التركى ويا ليلى نورد لطيفة يتحدث بها أهل استنبول ، تلك أنهم زعموا أن عربيا صحب شيطانا فى سفر له من استنبول إلى بغداد ، واقترح عليه أن يقطعا الطريق بالغناء على أن يركب صاحب الدور فى الغناء ظهر صاحبه إلى أن ينتهى ، فيؤول الدور إلى الثانى وهكذا .

ها هو ذا الشيطان على ظهر العربى وها هى ذى أغنيته تردد البرارى صداها ، حتى إذا ما انتهى نزل وكان الدور للعربى ، فركب وأرسل الصوت بيا ليلى يا ليلى ... قالوا بلغ بغداد ولم ينته من يا ليلى ...

**يا ليل فى الغناء الأرمنى :**

تستعمل يار الفارسية فى الغناء الغرامى Troubadour المدعو عندهم « أشوغا كان » ونلاحظ التقارب اللفظى بين هذه الكلمة وكلمة « عشق » العربية .

وتستعمل «لو لو o Lo » فى غير هذا الضرب وتتجلى فى أغنية « سيبانا كاجر » أى أبطال جبل سيبان ، وهو قرب مدينة وان ، وهذه الأغنية قديمة العهد ، وشاعرها مجهول .

وقد تستعمل « لى لى » بالإمالة وهذه مستفيضة . وأن « لو لو » و« لى لى » كلاهما لا مدلول لها فى الأرمنية .

(١) قاموس شمس الدين سامى ط استنبول .

**يا ليل فى الغناء القوقازى :**

قبيلة غموق فى داغستان تستعمل « دلاى » أو « دللاى » فى ضرب من غنائها ، يرددها المغنى كثيرا ، وقد رددها الجوقة دون المغنى ، وهى لا مدلول لها عندها

**يا ليل فى الغناء الدينى ليهود حلب :**

يهود حلب دون كل يهود العالم يحتفظون فى تقاليدهم بكثير من التراث القديم ، ولقد كتب لنا أن درّسنا فى مدارسهم اثنين وعشرين عاما ، اطلعنا فيها على الكثير من دينهم ولغتهم وأساطيرهم وما إلى ذلك .

ومما نعرفه ونحن فى صدد يا ليلى أنهم ينقلون النغم العربى إلى حفلاتهم الدينية الفرعية بألفاظ عبرانية تشابه جدا الألفاظ العربية كل هذا بتوخ وقصد ، ولطالما سمعنا طلابنا الشادين يغنون « يه الى » بامالة الهمزة ، فهى على وزن يا ليلى ، وهى قريبة اللفظ منها ، ومعنى يه الى : الله إلهى ، إذ أن « يه » المقطع الأول من يهوه .

**يا ليل فى الغناء الغربى :**

يستعمل الغربيون عامة لدى تجسيد النغم « لى للى ... لم » وظنى أن هذه الألفاظ التى أهملتها معاجمهم هى من « ليلى » مقفاة بالميم المؤذنة بالوقفة ، أو بأمد من السكوت يوحى به إطباق الفم بها .

فإذا صح ما قدمته صح معه أن دولة يا ليل العربية تمتد من مراكش فشمال أفريقية فجزيرة العرب ما خلا البادية فالعجم فتركية فأرمينية فالقوقاز فسائر أوروبا ، ومن اصطبغ بمدنيتها من أمريكا وسائر المعمورة .

وعلى هذا الامتداد لا يكاد يدور دولاب الزمن نحواً من الدقيقة ألا يتموج الهواء بيا ليل ليل نهار دون انقطاع ، وهذا مجد ما بعده من مجد .

(تم البحث) **محمد خير الدين الأسدى**

# بكم تبيع ؟!

للأديب الفاضل ثروت أباظه

كان اليوم يوم جمعة ، والشتاء يرسل نذره لطيفة حيناً ، عنيفة أحياناً ، ولا عاصم من تلك النذر إلا الشمس نضحّى لها حيث نتوقعها ...

وبالجيزة قهوة توثقت الصلة بينها وبين الشمس : فهي دفء ونعيم ومنظر ، لجأتُ إليها وحدى مترقباً صديقاً على موعد .. جلست أنتظر فإذا رجل منتفخ الأوداج ، غليظ الشفتين ، حليق اللحية والشارب ، أسمر الوجه ذو شعر لولبي يأبى على الطربوش أن يطمئن على الرأس ، قصير القامة منبعج فى امتلاء ، يحاول أن يتأنق ما أتاح له جسمه ذلك ، وقليلا ما يتيح ... إنه عبدالشكور افندى .. استغفر الله .. بل عبد الشكور بك ... ولم لا ؟! ألم يهبط من عربة فخمة يقودها بنفسه ؟ ! ألم يغدُ صاحب أملاك وعمارات ...لا... إنه عبد الشكور بك . وباشا إذا لزم الأمر !

كنت أعرفه معرفة قليلة ، ويظهر أنه هو الآخر جاء على موعد ، فهو يقصد إلى منضدة قريبة ولكنه حين يمر عليّ لم ينس هذه الإنحناءة التى تحاول أن تكون أرستقراطية فيقف دون ذلك قوام أفقى ! يفعلها على أى حال تمرين رياضة جسدية ، على أنه إن لم تكن تحية ودية ، ويقصد إلى المنضدة فيجد عليها رجلا أنيق الملبس ، أشيب الفودين ، طويل القامة ، مليح القسمات ، يقف ويسلم على عبد الشكور بك فى حركات مهذبة رشيقة ، ويجلس الرجلان ؛ وأظل شاخصاً إليهما حتى يأتى صديقى ويسألنى عمن أنظر إليه فأحدثه حديث عبد الشكور الذى كان كما سمعت بائع دقيق ، ثم .. ثم صار عبد الشكور ( بك ) منذ سنتين ! فيؤكد لى هذه المقالة ويخبرنى أن الرجل الجالس إليه موظف كبير بوزارة...وأنه يتمتع بسمعة لا يحسد عليها ... التفت إلى رفيقى وقلت :

— أتعرف كلمة هذا العهد ؟

— ماذا تقصد ؟

— ألم تعلم يا صديقى أن لكل عهد كلمة تميزه من سائر العهود ، كلمة يخلقها الجو العالى وتنميها ألسنة الناس ، كلمة عهدنا هذا: بكم تبيع ؟ . بكم نبيع شرفك ؟! بكم تبيع كرامتك ؟ وخلقك ما ذا يساوى ..؟!؟» تسمع الآن هذه الأسئلة وتسمع بجانبها ناصحاً يقول للمسئول : « قل ! أخبره ! إنه سيدفع » وآخر يقول للسائل : « ادفع ! إنه سيبيع ! » ولكل من الناصحين فائدته من بذل هذه النصيحة...

— ولكن ألا ترى معى يا أخى أن هذا السؤال لا يعترض إلا صغار الموظفين والذين لا يملكون إلا القليل مما تصبو إليه نفوس السائلين ، أما الغالب فى كبار الموظفين فضمير كبير تجاه احترام الموظفين الصغار .

— ضمير !! أنت تفهم مدلول هذه الكلمة ، ولعل كبار الموظفين يفهمونه ؛ ولكنه فى نظر عبد الشكور شىء معوّق يجب أن يزول .. فتراه حين يرى ثورة الرجل الكبير يعرف أن الضمير فى هذه المرة غالى السعر قليلا فهو يبذل ويبذل حتى تخمد ثورة وتبدأ مفاوضة .. مفاوضة غير مقطوعة .. فالموظف الكبير لا يقبل الدخول فى هذه المفاوضة إلا إذا كان السعر المبذول باهظاً والغنى الجديد يعلم أن الضمير إن لم يكن بالسعر المفروض فهو بما يقاربه،وكأننى بابن الرومى قدرأى الشارى والبائع فأرسل هذين البيتين:

إن للحظ كيمياء إذا ما مس كلباً أحاله إنسانا
يفعل الله ما يشاء كما شا ء متى شاء كائناً ما كانا

كلا الرجلين كلب من كلاب الحظ ..

— هل تريدنى أن أفهم المصامية والنشاط الاقتصادى مجرد كيمياء من الحظ .. لا يا أخى أنت مخطىء . إن عبد الشكور رجل عظيم انتشل نفسه من وهدة الفقر فعمل وعمل حتى تسنم ذروة الغنى . أنا لا أفهم مطلقاً أن يشرع الكتاب أقلامهم لمحاربة قوم عملوا فربحوا . أنا لا أفهم ...

— اسمع لى قليلا حتى تفهم ... تقول إن الكتاب مخطئون حين يهاجون هؤلاء . ولو لم أكن وثيق الصلة بك لأيقنت أنك لم تكن حياً فى أيام الحرب ، ولكن الغريب أنك كنت معى وكنا نتشاكى الغلاء معاً .. فلا شك أنك كنت حياً ..

المصامية — يا سيد — شىء نقدره — نحن الشرقيين — نقدره إذا كان عن طريق شريفة .. والتاجر الذى يربح فى السوق الشريفة يحتاج إلى لباقة وكياسة ، ومادام يربح شريفاً فلا حاجة للربح الدنس، فهو يحتقر السوق الملوثة ويحاربها ، عندنا من هؤلاء

# داود باشـــا
## ونهضة العراق الأدبية
### في القرن التاسع عشر

للمرحوم الأستاذ رزوق عيسى

( تتمة ما نشر في العددين السابقين )

أعجب داود باشا بهـذه الخريدة كل الإعجاب فأهدى إلى ناظمها إمامة قليون نفيسة فأنشد الشيخ طرباً .

إلىّ إمامـة القليون وافت فتاهت في محاسنهـا عيونى
من المولى المشير إلى المعالى بأيد حطت الفضـلاء دونى
فقبلها في ألفـــا ونادى مفا كهة لقـــوم يجهلونى
أنا ابن جـلا وطلاع الثنايا متى أضع الإمامة تعرفونى

وقد مدحه بطرس كرامة بقصائد عديدة منها قوله :

وزير إذا ما سار في حلبة العلى على مهل يأتى أمام ذوى الركض
هو البدر للمجد الرفيع وللندا وللعلم والعليا هو الحكم المرضى
وذو الحزم والرأى السـديد مؤيدٌ بكل صواب ما يقول وما يمضى
مهيبٌ حليمٌ جهبذ متجلبب من العلم والآداب بالشرف المحض

ومنها قوله :

إن البلاغة والبراعة عنـــد داود الوزير
وسمت من ألفاظـــه داود يلهـــج بالزبور
فكأنمـــا آدابـــه روض تنـوع بالزهور
إن قال نظما خلتـه بعقوده درر النحـور
صدر العـــلوم وبدرها بدر لـكل ذوى الصدور
شهـم إذا حضر النزا ل يصول كالأسد الهصور

وقد مدحه أيضاً عبد الغفار الأخرس الشاعر العراقى الذائع الصيت بقصيدة أرسلها إلى الأستانة نقتطف منها هذه الأبيات :

بوادى الفضا للمالـكية أربع سقتها الحيا منا جفون وأدمع
ومرتع لهو كان للريم ملعباً على أنه للضيغم الورد مصرع

إلى أن قال :

أرانى مقيما بالعراق على ظما ولا منهل للظامئين ومرتع
وكيف يورد الماء والماء آجن يبل به هـذا الغليل وينقع
لعل وما يجدى لعل وربمـا غمائم غم أطبقت تتقشع
يعود زمان مرّ حلو مذاقه وشمل أحبائى كما كان يجمع

***

وكنت إذا طاشت سهام قسيها وقتنى الردى من صنع (داود) أدرع
فمن جوده أنى ربيت بجوده وزير له الإحسان والجود أجمع

---

الشرفاء قلة ولـكنها محترمة لأنها كانت فى أمانه فوصلت .. هذه القلة لم تساعدها كيمياء الحظ مساعدتها لعبد الشكور ، وإن كان لم يبخل على اجتهادها بقطرة .. ولـكن ذلك العبد الشكور الذى أصبح غنياً فى سـنة أو اثنتين لا نستطيع أن نُجرى غناه على سَنَن الشرف ... وإلا فما أيسر الغنى وما أسهل أن تـكون غنياً ... والحقيقة أن هناك مانعـاً بسيطاً يحول بينك وبين الغنى المفاجىء ... أتدريه ؟ ... إنه الضمير ! ! انزعه من بين ضلوعك واقذف به على سلم الفقر الذى تقف عليه تجد نفسك ارتقيت درجات الغنى بخفة وسرعة ، ولـكنه غنى رخيص

— ترى أبنفسك ترة تحفظها لعبد الشكور ؟ أم إنها ... ؟ !

— لا ! إنها ترة كل مواطن استنزف عبـد الشكور قوته وقوت عياله . إنها ترة وطن ودين وخلق ، وليس فى هـذا الـكلام ما يشفى هذه الترة ، ولـكن هناك واجباً على الحـكومة لا بد أن تقوم به .

— ويك وما ترى الحـكومة فاعلة ؟ !

— كأنك لم تسمع ! لقد سنَّت مشروع قانون تسألهم فيه « من أين لـكم هذا ؟ » ولـكن يظهر أن « بكم تبيع ؟ » أومضت فجأة فى عيون الموظفين فمشى المشروع بنفسه إلى درج من الأدراج ونام ، وعلى الناس السلام ... أريد من الحكومة أن تفتح الدرج وتوقظ مشروع القانون ، أريد منها أن تمنع الموظفين الـكبار أن يسمعوا تلك الـكلمة السامة التى إذا لم تصب الهـدف فى الرمية الأولى أصابته فى الثانية أو فى الثالثة ... بكم تبيع ؟ !

ثروت أباظة

وردّ شموس الفضل بعد غروبها كما ردها من قبل ذلك يوشع
وقام له فى كل منـــبر مدحة
خطيب من الأقلام بالفضل مصقع
ومستودع علم النبيين صدره ولله سر فى معاليه مودع
كأن ضياء الشمس فوق جبينه على وجهه النور الإلهى يسفع
وزر ومرّ الحادثات تزيده ثباتاً وحلماً فهو إذ ذاك أروع

***

(أبا حسن) هل أوبة بعد غيبة فللبدر فى الدنيا مغيب ومطلع
لئن خليت منك البلاد التى خلت فلم يخل من ذكرى جميلك موضع
ففى كل أرضٍ من أياديك ديمة
وروض إذا ما أجدب الناس ممرع
يفيض الندى من راحتيك وإنها حياض بنو الآمال منهن تكرع
وإنى على خصب الزمان وجدبه إليك وإن شط المزار لأهرع
ولو أننى وفقت للخير أصبحت نياقى بأرض الروم تخدى وتسرع

وكان المترجم مكرماً ومحبوباً من الجميع لما كان يأتيه من العدالة والمساواة والاخاء ، وقد مدحه الشيخ صالح التميمى وعدد مناقبه بقصيدة طويلة نثبت منها ما يلى :

زهت الرياض وغنت الأطيار وزها المقام ورنّت الأوتار
وصفابها العيش الأنيق وروقت فيها الميـاه وجادت الأمطار
وعلت على دوح الأراك حمائم وتزاهرت بغنائها الأقمـار
وزها بها ورد الاقاح ونرجس وشقائق النعمان والأزهار

وبعد أن مكث فى الآستانة مدة عيّنه السلطان عبد المجيد شيخاً على الحرم النبوى ، وأرسله إلى المدينة المنورة عام ١٢٦٠هـ ١٨٤٤ م ، وهناك أكب على الدرس والمطالعة والتأليف والتعليم وهوشيخ ، وقد أفاد أهل المدينة من وجوه كثيرة ، وكان الغرض الذى ينشـده هو أن يؤسس كلية إسلامية فقهية تكون بمثابة كعبة للعلوم الدينية يؤمهـا جميع الطلاب المسلمين من أقصى أطراف المعمور وذلك لإنارة أذهانهم وتوسيع نطاق معرفتهم بيد أن المنية أنشبت أظفارها به قبل بلوغ المرام فى سنة ١٢٧٧هـ ١٨٥١ م وقد عظم موته على جميع معارفه ومحبيه لما كان له من الدالة عليهم والمنزلة الرفيعة بين ظهرانيهم ودفن بحـذاء مدفن عثمان بن عفان ، وقد أوصى قبيل موته أن لا تبنى قبة على ضريحه بل أن ينصب شباكا من الحديد حول قبره ووقف فى المدينة بستانه العامر المسمى بالداودية ، وكان قد أرّخ بنـاءه وغرس أشجاره الشيخ صالح التميمى بقصيدة عامرة الأبيات فأعجب بها الوزير غاية الإعجاب حتى أنقده ألف ريال ، وكان رحمه الله ندى الـكف للعلمـاء والشعراء والأدباء ، وقد غمر الـكثيرين منهم بالجوائز والصلات السنية مقتدياً بالخلفاء العباسيين الذين كانوا يسبغون العطاء على أرباب العلم والأدب .

ومما يجدر بنا أن نجعله مسك الختام لسيرة هذا العالم العامل هو إنشاؤه خزانة كتب فى المدينة وقد جمع فيها طائفة كبيرة من التصانيف على اختلاف موضوعاتها وبينها مخطوطات عديدة ، وإن أردنا أن نلمّ بكل الاصلاحات التى قام بها فى بغداد والآستانة ضاق بنا المقام عن نشرها ، ولما نعته الصحف رثاه شعراء عصره من عراقيين وسوريين بقصائد عددت مناقبه الحميدة وما كان له من الهمة الشماء واليد البيضاء فى نشر العلم والأدب فى الأقطار العربية . وقد جمع أحـد أدباء بغداد كل القصائد التى نظمت فى مدحه والثناء على عبقريته وهذا الـكتاب لا يزال خطاً .

( بغداد ) رزوق عيسى

في مهرجان جامعة أدباء العروبة بالفيوم

# إلى رياض الفيوم

للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالي

من لِسارٍ إليك يطوي الصحارى ... هزَّه الشوقُ أن يزورَ فزَارا
عابراً كالطُّيوف، ولهْانَ كالأنسام هيمانَ كالأماني الحيارى
مُجْـهَداً، علَّ في ظلالك مأوى ... قلقاً علَّ في رُباك قرارا
صادياً، علَّ في سرابك ماء ... ساهداً، علَّ في دجاكِ نهارا
يا جنان الفيوم، نازحُ أيكِ ... بان عن عشّه إليكِ وطارا
قد خلا العش من رفيق صباه ... فمتى تألفُ القطاةُ الهَزارا؟
نسلتْ ريشَه الليالي طوالا ... أترى تصبح الليالي قصارا؟
يعبرُ الليل في خداع الأماني ... ويمنّي آصاله الأسحارا
ويناغي دراريَ الليل حتى ... تتوارى فيَشهدُ الأقمارا
ويناجي الصَّدى البعيد بعود ... شدَّ أضلاعه به أوتارا
آه، هنا سيمسي قريراً ... في رياض الفيوم، طابت جوارا
يا عذارى الرياض من كلِّ شاد ... أنا أشكو إلى العذارى العذارى
لست بالصادح الذي سئم الصدْ ... ح وعاف الأسمار والسُّمارا
غير أن القيثار أغفى فمن ذا ... غيرها موقظٌ ليَ القيثارا؟!
أنا أشدُو لها جراحي شعراً ... فعساها تضمِّدُ الأشعارا
وعساها في جانب النيل تُصغي ... لِنشيد يشعُّ نوراً وناراً
ذكرتني هنا بحيرة قارو ... ن به والدجى يحوك الستارا
والشَّوادي من حولنا مرهفات ... سمعَها تستبيننا الأسرارا
وأنا الشاعر الذي أطلق الرو ... ح شراعاً يغالبُ التيّارا
كيف أخشى من أن يضل شراعي ... والجبين الوضّاء أمسى منارا
والتي قد تخِذتُها بجدافي ... خُصَلَ أُرسلتْ عليَّ نثارا
والشريدان يذهبان مع المو ... ج يميناً، ويرجعان، يسارا
يقذفان الأنفاس لفحَ سعير ... ينسم الجو شعلة وأوارا ...
وهتافاً في ضفة النيل يسرى ... مقلةً ثرةً، وقلباً مطارا
يا أحبّايَ والديار تنبّأت ... كيف أنسى أحبتي والديارا؟
لست أنسى ملاعبي والضفاف الخضر تجري من تحتهنَّ نُضارا
لست أنسى بها مواثيق عشْنا ... نتحدَّى بصدقها الأقدارا
لست أنسى ولا إخالك تنْسين ... فحتى متى نُطيق انتظارا

# قافلة الشعر

[ مهداة إلى أدباء العروبة في الفيوم ]

للاستاذ طاهر محمد أبو فاشا

موكب للبيان فيه اللواء ... يفزع الدهرَ وخدُه، والحداء
ضاربٌ في صحرائها يسبق الركـ ... بَ جلال من هديه، ورواء
مثلما يسبق الشعاعُ إذا ما ... أعلن الصبحَ للوجود ذُكاء
الطريقَ الطريقَ: قافلة الشعـ ... ر، وركبُ الوزير، والشعراء
لو تحس البيداء من سار فيها ... لتغنتْ من شجوها البيداء
شاعر في محرابه يَعبدُ الفـ ... ن، وتستهدي ضوءه الأضواء
ذو بيانٍ لو عاقرته الندامى ... لتناهتْ عن شربها الندماء
وهتوف يكاد يشرق في ألـ ... حانه الخير، والمنى، والرجاء!
ومن الشعر ما يبشّر بالرحـ ... ـة دنيا طغى عليها الشقاء
ومن الشعر ما يعلمك الحـ ... ق إذا موَّه الوجودَ الرياء
ربما استغنت الحياة عن العلـ ... م على رغم ما أتى العلماء
وعلى الفن وحده عاش أجدا ... دُك دهراً وهم به سعداء!
إن من أطلقوا المقول علينا
لست تدري: أأحسنوا أم أساءوا؟
والذي ظنها تراباً، وماء ... هو ـ في نفسه ـ تراب، وماء!!
شدَّ ما تجنح الحياة إلى الرُّو ... ح وإن كان في الطريق التواء

---

موكب للبيان فيه اللواء ... ترصد الأرضُ وخدَه والسماء
فيه من طاقة البديع أفا ... ينُ، وفيه الأبدال، والأدباء
(أجمعوا أمرهم عشاء فلما ... أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء)
والوزير الضخم المبين مع الركـ ... ب دليلٌ برأيه يستضاء!
شخصت حوله النواظرُ حتى ... قال: سيروا ... فكان هذا اللقاء
وإذا نحن في رياضٍ من الشعـ ... ر لها رونق، وفيها صفاء
طرق الشعر بابها، فاذا شعـ ... ر يقول: ادخلوا.. وطاب الثواء
رحمُ الفن ... ! والقرابة في الرو ... ح وما كان بيننا غرباء ...
فسبأنا راووقها وشربنا ... من رحيق مُنغَّمٍ ما نشاء
وسقينا بجامه شعراء ... وسقانا أولئك الشعراء
من أديب يبلُّ قلب أديب ... وفصيح تحفَى به فصحاء
صلة وثّقَ البيان عُراها ... وغذاها ... فكلنا أقرباء
جمع الشعر بيننا في صميم ... ومن الشعر منسب وإخاء

# في روضات الفيوم

للأستاذ العوضي الوكيل

حدا الركبَ حاديه فأبن مكانيا أبين من الأشواق ما كان خافيا
على شفتي من خمرة الحب نشوة تلهّب ترنيمي بها وغنائيا
لنا ذكريات في الليالي بعيدة ألا من يعيد اليوم تلك اللياليا
أطلُّ عليها والسنون ستائر وينفك قلبي شاخص الحس رانيا

ليالىَ نطوى الليل ، والصبح بعده فيطويهما قولا ، وأطويه صاغيا
وآخذُ أزوادَ النشيد مَلاحماً وأقبسُ أحلام الفؤاد معانيا
وقد زعموا لحظَ الأحبة قاتلا فما باله قد كان للجرح شافيا ؟!

وما يستتيه القلب إلا هواتفٌ تطيل على بُعدِ الزمان نجائيا
فتأخذني منها خوالفُ نشوة ترى الزمن الماضي من العمر آتيا
فأحيا على أني دنوتُ من المنى وما كنتُ لولا أن تذكرت دانيا

سقى الله في الفيوم روضات فتنة ونضّر فيها أربُعاً ومغانيا
تخيّلتها معنىً فلما رأيتها حسبتُ كأنى جئتها اليوم ثانيا
فراديسُ : منضورٌ بها الظل والجنى تألّقُ نوّاراً وتسحرُ شاديا
وأين السّواقي والنسيم يديرها وإن كان خفّاقاً، وإن كان وانيا!
وأين الطيور البيض أمّتْ بحيرة ترامتْ على صدْر الفلاة تراميا
تسرُّ إلى الشطآن بالحب والهوى وتوسعُها فرطَ الغرام تناجيا
وتأخذ من روادها كل لهفة فترسلها لحناً مع النسْمِ ساريا

سقى الله في الفيوم روضات فتنة ونضّرَ فيها أربُعاً ومغانيا
هدانا إليها في السّباسب طيبُها على أن روحَ الشوق قد كان هاديا
فجئنا لإخوانٍ كرامٍ وصحبة سقونا من الود المطهر صافيا
إذا ما انتسبنا فالعروبة منسبٌ طوانا كما يطوى القصيد القوافيا
بناه على الأخلاق يُدعم أسُّه وحسبك أن كان الدسوقيُّ بانيا

# الأدب والفن في أسبوع

**الثقافة الروسية والشرق العربي :**

إجابة لدعوة من الحكومة السوفيتية تسافر فى هذا الأسبوع بعثتان ثقافيتان إلى روسيا ، إحداهما من سوريا ، والأخرى من لبنان ، وسيقوم أعضاء هاتين البعثتين بزيارة أنحاء الاتحاد السوفيتي للوقوف على مظاهر النشاط الثقافى والعلمى هناك

هذا هو النبأ الذى أذاعته وكالات الأنباء البرقية ، وهو نبأ يدل دلالة واضحة على ما تتجه إليه روسيا اتجاها جديا واسع النطاق فى الدعاية لثقافتها فى الشرق العربى ، ووصل عناصر هذه الثقافة واتجاهاتها بتفكير أبناء العروبة واتجاهاتهم العلمية والأدبية .

وإنها فى الواقع لفرصة تنتهزها روسيا فى الآونة الحاضرة ، فقد مضت أحقاب طويلة والثقافة الروسية معزولة عن الشرق العربى بسد حصين أقامته السياسة والأوضاع الدولية ، فى القديم كانت روسيا هى العدو اللدود لتركيا ، ولما كانت تركيا هى المسيطرة على الشرق العربى يومذاك فقد كان أبناء هذا الشرق ينظرون إلى روسيا نظرة بغض وشحناء ، فلم تستطع الثقافة الروسية من خلال هذا أن تنفذ إلى نفوسهم وتفكيرهم ، وحاولت روسيا أن تتلافى هذا وأن تجد له الأسباب والوسائل فأنشأت فرعا للاستشراق والدراسات العربية والإسلامية بجامعة « بطرسبرج » ، واستقدمت من الشرق العربى الأساتذة لتدريس العلوم العربية ، وكان من هؤلاء الأساتذة الشيخ النشرتى والشيخ محمد عياد الطنطاوى من مصر ، والسيد سليم نوفل من لبنان ، ولكن هذا العمل كله كان ضعيف الأثر ، ولم يمن أبناء الشرق بشىء من مآثر الثقافة الروسية واتجاهاتها إلا بما كان من مآثر الفيلسوف الروسى المشهور « تولستوى » لأنه جنح إلى حياة صوفية تلائم الروح الشرقية ، ولأنه كتب كتابة طيبة عن النبى محمد صلوات الله عليه حمدها أبناء الشرق .

وبعد الحرب العالمية الأولى وقع الشرق العربى جميعه تحت

سيطرة الإنجليز والفرنسيين ، ونظراً للفكرة الشيوعيـة التى تمخضت عنها الثورة الروسية فقـد قام هؤلاء بتحصين الشرق العربى تحصيناً منيعاً أمام الثقافة الروسية وكل اتجاه روسى ، ولم يكن يصل إلى الأقطار العربية من عناصر الثقافة الروسية إلا بضع قصص كانت تأتى عن طريق البريد الإنجليزى والفرنسى مؤداه باللغة الانجليزية والفرنسية .

ولما قامت الحرب العالمية الأخيرة ، وقضت تطوراتها بانضمام روسيا إلى الحلفاء ، وجـدت روسيا الفرصة السانحة للاتصال بالشرق العربى عن قرب ؛ فتبادلت التمثيل السياسى مع دوله ، وغمر طوفان الدعاية الروسية بلاده ، وكان أن ظهرت فى اللغة العربية ألوان كثيرة من الثقافة الروسية فى شـتى نواحى العلم والأدب والفن ، وتعتبر سوريا ولبنان أفسح مجال لهذا النشاط اليوم.

فإذا كانت روسيا اليوم تستقدم البعوث من أبناء الشرق العربى للوقوف على مظاهر النشاط الثقافى فى بلادها ، وإذا كانت هى ترسل البعوث الثقافية من جانبها لارتياد الشرق ، فذلك لأنها تريد أن تستغل الفرصة على أوسع مـدى فى إيجاد تيار للثقافة الروسية بالشرق العربى إلى جانب تيارات الثقافات الانجليزية والفرنسية والأمريكية ، وكل ما نرجو للشرق العربى أن يجد شخصية وذاتية فى مهب هذه التيارات العنيفة .

**الأدب العربى فى القرن العشرين :**

هذا عنوان كتاب أخرجه حديثاً المستشرق الروسى الشهير « يوليفتش كراتشكوفسكى » تناول فيـه بالبحث والتحليل التيارات الأدبيـة فى العالم العربى ومؤلفات الـكتاب العرب البارزين ، وعقد فصلا خاصاً للحديث عن الأدباء المصريين الذين امتد تأثيرهم إلى العراق وسوريا والأقطار العربية المختلفة ، وختم الـكتاب بفصل مطول عن المؤلفات التى ظهرت لـكتاب العرب فى مرحلة الحرب العالمية الثانية وما بعدها ، كما تحدث فى هذا الفصل عن قصائد الشعراء العرب فى الموضوعات الحربية وما نظم منها خاصة فى تمجيد بطولة « ستالينجراد » .

و « كراتشكوفسكى » وثيق الصـلة بالشرق العربى من قديم ، وله صداقات كثيرة بعلماء العربية ورجال الأدب العربى ، فقد قام برحلة طويلة إلى الأقطار العربية فى عام ١٩٠٨ ، فزار مكتباتها وتعرف برجالها ، ونسخ كثيراً من المخطوطات النادرة ، وهو الآن عضو فى المجمع الملمى العربى بدمشق .

وقد نشر « كراتشكوفسكى » كثيراً من الآثار العربية النادرة بعد أن قام بتصحيحها واستكمالها ، وفى عام ١٩٣٠ ألف كتاباً خاصاً عن الشيخ عياد الطنطاوى الذى سافر من مصر لتدريس اللغة العربية فى روسيا فعاش هناك من عام ١٨٤٧ حتى عام ١٨٦١ وتوفى ودفن هناك ، وفى العام الماضى أخرج كتاباً طريفاً بعنوان « مع المخطوطات العربية »، وقد تحدث فيه حديثاً قصصياً خلاباً عن رحلته إلى بلاد الشرق العربى وما وقع له من النوادر فى البحث عن المخطوطات النادرة وما وفق إلى اكتشافه من هذه المخطوطات .

فالمستشرق « كراتشوفسكى » وثيق الصلة بالأدب العربى القديم والحديث ، وقد عاصره عن قرب أكثر من أربعين عاماً ، فاذا ما تحدث عن « الأدب العربى فى القرن العشرين » فلا شك أن حديثه حديث العالم الخبير .

**المجمع العربى بدمشق :**

يعتبر القسط الذى نهض به المجمع الملمى العربى بدمشق فى خدمة التراث العربى وبعثه ، قسطا واسع المدى محمود الأثر ، فقد نشر هذا المجمع كثيرا من النوادر المطمورة ، وجمع كثيراً من المخطوطات الغالية التى بعثرتها واستبدت بها أحداث الزمن وعوادى الأيام ، وكان آخر ما أخرج فى هذه الناحية ديوان الشاعر ابن عنين الذى قام بتصحيحه وشرحه الشاعر الأديب خليل مردم بك الأمين العام للمجمع ، ثم كتاب : « المستجاد من فعلات الأجواد » لعبد المحسن بن على التنوخى وهو يشتمل على أخبار الأجواد ومآثرهم فى الجاهلية والأسلام ، وقد عنى بتصحيح هذا الـكتاب وتحقيقه الأستاذ محمد كرد على رئيس المجمع وعضو المجمع اللغوى بمصر .

ونحن إذ نشيد بأثر المجمع العلمى الدمشقى فى هذا ، نرجوا أن يحرص على تعميم آثاره ومطبوعاته فى العالم العربى ، وأن ييسر الحصول عليها لأبناء العربية ، وذلك بانشاء مكاتب فرعية

له تقوم بعرض هذه الآثار فى كل قطر ، فإن كثيراً من الباحثين وأساتذة الجامعات والمعاهد وطلابها ، يعييهم أن يحصلوا على آثاره ومطبوعاته .

**الأخطل الصغير :**

من أخبار بيروت أن الشاعر الكبير الأستاذ بشارة الخورى المعروف باسم « الأخطل الصغير » قد اعتزم ترشيح نفسه لعضوية مجلس النواب اللبنانى فى المعركة الانتخابية القادمة ، وقد علقت إحدى الصحف البيروتية على هذا النبأ قائلة فى سخرية خفية : « إن الأخطل الصغير سيرشح نفسه معتمداً على سمعته الأدبية ، ورأس ماله فى الشعر والأدب ... » .

وأى غرابة بربكم أيها الناس فى أن يكون الأدب طريقاً للنيابة ومرشحاً لها ! أليس للأديب والشعر فى خدمة الفن والثقافة وتهذيب العواطف الإنسانية ، ما هو أجدى وأنفع من مال ضخم يملكه حيوان آدمى لا يرضيه إلا أن يمشى على الرؤوس والرقاب ، وأن يحتل على كراسى النيابة أكبر فراغ بكرشه المدلى وأوداجه المنفوخة ؟ !

إن للأخطل الصغير مئات الأبيات التى تعمر أفئدة الآلاف من أبناء العروبة ، وتردد ألسنتهم نبراتها ومقاطعها فى شغف وسحر ، ترى لو أن له بيتا أو بيتين يسكنهما الناس بالكراء ، ويدران عليه وفير المال كان ذلك أجدى فى نظر أولئك المستهزئين وكانت أصوات المتملقين ترتفع : يجب على « النيابة » أن تسعى إليه ، وأن تركع عند قدميه .

لقد آن لنا أن نفهم أن « النيابة » رسالة إنسانية قبل كل شىء ، رسالة قوامها العواطف المهذبة الشريفة ، ويوم أن ترسخ هذه العقيدة فى نفوسنا ، سنرى أن أولى الناس بهذه الرسالة « الأخطل الصغير » ، وإخوانه من الشعراء والأدباء وحملة المشاعل الإنسانية .

**هذه السينما وهذا الفهم :**

« من أخلاق الصغار تقليد الكبار ، ومن أخلاق الأمم الضعيفة الإفتتان بكل ما يصدر عن الأمم القوية ، ونحن كأمة ناشئة ، ضعيفة ، أخنى عليها الاستبداد طويلا ، ورسفت فى قيود الجمود قرونا ، نميل إلى التقليد ونسعى إليه سعى المستميت ، ولكن أغلب تقليدنا فى القشور دون اللباب ، وفى العرض لا فى الجوهر » ... ! !

« ولنخص بالقول هنا السينما ، هذه الدنيا الزاخرة الموارة التى أقبلنا عليها إقبال الصادى على المنهل العذب ، فلم نتقيد بواجب أو نحتط لمحذور ، فكان من أثر هذه الشراهة وهذا التفريط أن أصيبت نفوس ناشئتنا العزيزة الغريرة ونسائنا الساذجات بعادات وخلائق ليس بينها وبين عاداتنا وخلائقنا الأصيلة النبيلة أى ارتباط أو صلة ، فهبط المستوى الخلقى والأدبى إلى حيث لا ينفع النصح والإرشاد . وإن تسعة وتسعين فى المائة من هذا الهبوط والتدنى قد جاءنا عن طريق هذه السينما اللعينة التى يعب عشاقها وروادها من شرورها ومساوئها ولا يستوحون منها غير ما يسمم العقول والنوازع لأن فكرة الأفلام لم تستوح إلا تملق غرائز الجماهير واستهواءهم » .

« فماذا يمنع حكومتنا ووزارة الداخلية خاصة ، أن تقلد الحكومات الراقية فى فرض لجان من أهل الرأى والثقافة والغيرة لتراقب كل « فلم » ينقل إلى بلادنا ، وماذا يمنعها أن تتقدم إلى أرباب صالات الصور المتحركة بأن يمنعوا القاصرين من أطفالنا ، وكذلك الجنس اللطيف من غشيان دورهم إلا فى عرض روايات خاصة تخلو مما لا يتفق والمدارك الساذجة والعفة المصونة ؟ ! لماذا لا تعمد الحكومة إلى هذا ؟ وإلى متى نحلل كل ما يسىء إلى أخلاقنا وآدابنا باسم الحرية الشخصية وباسم التمدين الحديث ؟ ! »

قرأت هذه الكلمة لكاتب أديب فى جريدة « القبس » السورية فقلت يظهر أن العلة شائعة فى أقطار الشرق العربى فى النكبة بتلك الأفلام التى يسمونها فنا ، وما هى فى الواقع إلا استهتار رخيص وتملق سافر لأحط الغرائز فى الجماهير ؟ ! وإن هذا الذى يقال فى سوريا هو الذى يقال أيضا لحكومتنا فى مصر . فإن الأفلام السينمائية التى تعرض فى مصر والشرق لم تعد بحال من الأحوال أداة للثقافة وتهذيب العواطف ، بل إنهما عدوة لكل ثقافة وتهذيب ، ومعول مسلط على أخلاقنا وتقاليدنا وقوميتنا ، سواء فى ذلك الأفلام المحلية أو الوافدة من الخارج ، ولقد بحت الأصوات فى الإهابة بالمسئولين أن يفزعوا لهذا الخطر ولكن القائمين بتلك الأفلام يملكون من المال ما يغرى ، ويقدمون من الوسائل ما يحطم كل رقابة ... وهيهات ! !

« الجاحظ »




**الكتاب المريب :**

مجلة « المقتطف » من المجلات العزيزة على كل مثقف ، يعرف تاريخها المجيد ، وتقاليدها العلمية النبيلة ولكنها — مع الأسف — تعانى فى هذه الأيام أزمة قاتلة من هذه الناحية ، كما أنها تحتضر وتوشك على البوار . وذلك من جراء إشراف الأستاذ إسماعيل مظهر عليها ، بعد ما كان يشرف عليها من قبل من يعرفون كيف يحافظون على تلك التقاليد .

ولقد كان من أول هذه التقاليد ألا تشتم الناس ، وألا تهاتر مهاترات الوريقات الرخيصة ، فجاء الأستاذ مظهر يحيد بها عن منهجها ، ويقودها إلى الموت الوشيك الذى يأسف له كل من أحبوا هذه المجلة فى تاريخها الطويل . أولئك الذين يرجون الله أن يقيض لها من ينتشلها من وهدتها ، فلا تصير إلى ما صارت إليه « مجلة المصور » على يد الأستاذ رئيس التحرير !

ولقد سمح الأستاذ مظهر أن ينشر فى العدد الأخير من المقتطف شتيمة واطية لجميع من تعرضوا لنقد ذلك الكتاب المريب : « الأغلال » ومن بينهم كاتب هذه السطور . وسواء كان هذا الذى نشر من قلمه ، وقد خزى أن يوقعه ، فرمز إلى نفسه بتوقيع « مسلم حر » . أو كان بقلم ذلك الرجل المريب صاحب الكتاب — كما يبدو — فإن الأستاذ مظهر هو المسئول عن تمريغ المقتطف فى هذا الوحل .

وكل ما قاله كلام مضحك . وهو منشور فى مجلة محتضرة — بفضل رئيس التحرير — فلا عد له نشره فى مجلة يقرؤها الناس ، فلمل هذا يرضيه ، ولعله كذلك يضحك القراء .

قال الرجل المريب أو قال رئيس التحرير :

« وثمة خصم ثالث لهذا الكتاب . وهو رجل يتعاطى صناعة الأدب الصناعى ؛ ولكن مقاومته لهذا الكتاب ، والأسلوب الذى اختاره للمقاومة ، كانا برهانين على براءته من كل صلة بالأدب بكل معانيه ومبانيه » .

أفادكم الله يا مولانا ! ! !

لقد انتهى « سيد قطب » ، فما عاد له فى عالم الأدب وجود ، بعد هذا الكلام المفيد . فلا حول ولا قوة إلا بالله !

* * *

أما بعد ، فذلك الكتاب المريب قد انتهى . واسأل يا مولانا من شئت من الناس ، فستعلم صدق هذا الذى أقول . انتهى لا لأننى كتبت عنه كلمة أو أكثر . ولكن لأننى « كشفت » فقط عن مدى « نظافته » وعن جرائم الفناء فيه !

ولست — بعد هذا — أوافق على إيصال الأذى الشخصى لصاحبه ، كما اقترح بعض النجديين والمصريين ، فهو وصاحبه أهون من ذلك جدا . وليس الإيذاء الشخصى علاجا وأنا أكره مصادرة حرية الناس الفكرية ، ولو كان الذى يكتبونه تفيح منه روائح غير نظيفة فالموت الأدبى الذى لقيه الكتاب وصاحبه يكفى ، ما لم تثبت على الرجل جريمة أخرى غير نظيفة يتناولها القانون العادى ، وإنى لأحسبه أحرص من أن يترك أدلة مادية !

أما أنت يا أستاذ مظهر — وأنا أسميك باسمك ولقبك ولا أشير إليك كما أشرت إلى ، لأن الأدب الواجب يحتم على الناس المؤدبين ذلك — أما أنت فأنا شديد الرثاء لك .

إننى أعلم تلك العقدة النفسية التى توجهك . إنها عقدة الفشل ، الفشل فى كل مشروع هممت به . وأنت تعزو إلى رجال الدين تبعة هذا الفشل فى حياتك ... فكل شتم للدين ورجاله يغذى هذه العقدة فيك . فلا تسأل بعدها إن كان نظيفا أو غير نظيف ، محقا أو غير محق . ومن هنا تعصبك لكاتب مريب وكتاب غير نظيف وأنت فى هذا تستحق المرثية ، فالكتاب لا يحارب الدين وحده ، ولكنه ينعى على كل خلق نظيف ، ويسمى الضمير والخلق والمروءة وما إليها « أغلالا » ، ثم يهدف إلى إخضاعنا الدائم للمستعمرين . والناس يعرفون من ماضى الرجل وتاريخه ما يخزى ، ويعرفون ما لا أستطيع نشره لأنه يقع تحت طائلة القانون ، وأنت مندفع مع عقدتك النفسية . فالله يرحمك ويرحم المقتطف والسلام .

سيد قطب

## كلمة فى بيت :

قرأت كلمة الأستاذ محمد أحمد عيد فى عدد الرسالة (٧٠٧) تصحيحاً لخطأ وقعت فيه فى نص قول الشاعر : « فقالت من أى الناس أنت ؟ ومن تـكن ؟ » إذ جعلت : « من تـكن » استفهاماً وهو شرط ، كأنه قال: «ومهما تـكن، فإنك راعى صرمة لا يزينها » . والبيت بهذا التصحيح أدق معنى وأبلغ فى سياقة العاطفة التى أوحت بالشعر. ويكون قولى فى شرحه أيضاً خطأ . وأنا لا أزال أشكر الأخ الكريم على حسن تسديده للمخطىء ، وكال أدبه فى دقة القراءة . وقد أحسن إلى من حيث أساء غيره ممن جعلهم الله على مَدْرجة المثل الذى جرى على لسان الأوائل ، والذى وضعوه لمن يضع نفسه حيث لا يستأهل ، وهو قولهم : « متى كان حكم الله فى كرَب النخل !! » .

على أنى أحب أن أقول قولا آخر أخشى أن يكون له وجه وإن كنت أوثر هنا القول الأول ، وهو أن هذا الفعل كـكثير من الأفعال التى كثر استعمالها ، قد تلعَّبت به العرب لـكثرة دورانه على ألسنتها ، حتى حذفوا منه الحرف الذى لا يحذف من أمثاله كقولهم « لم يك » فى « لم يكن » وهو حرف من نفس الفعل . فلست أرى ما يمنع هذه العرب الجريئة الألسنة ، أن تلعب به فى الاستفهام فى قولك : « من تـكونُ ؟ » ، فإنها إذا وقفت عليه كما تقف على قولك : « من تعرفْ ؟ » وهى تنوى الرفع، فيـكون عندئذ « من تـكونْ ؟ » فتحذف أضعف أحرفه لالتقاء السا كنين فتقول : « من تـكنْ ؟ » فى الاستفهام أيضاً. وقد فعلت العرب مثل ذلك فى قولك : « لم أبالِ » فتوهمت الوقف على حرف لا وقف فيه لأن أصله « أبالى » المـكسورة اللام من نفس الفعل بعد حذف الياء للجزم ، فـكانت عندها : « لم أبالْ » فحذفت الحرف المستضعف فى الـكلمة وهو ألف العلة وقالت : « لم أبَلْ » ، واعتمدت ذلك وجرت عليه فى غير الوقف .

وكالذى رُوى عنهم أيضا (رواه سيبويه وغيره) من قولهم « لا أدرِ » فحذفوا الياء لـكثرة استعمالهم له كقولهم : لم أبل ولم يك . قال ابن سيده ونظيره ما حكاه اللحيانى عن الـكسائى : أقبل يضربه لا يألُ ، مضموم اللام بلا واو . وقال الأزهرى ربما حذفوا الياء من قولهم : « لا أدرِ » فى موضع : « لا أدرى » ، يكتفون بالـكسرة منها ، كقوله تعالى : « والليل إذا يسرِ » والأصل يسرى . وقال الجوهرى بمثل الذى قال به سيبويه أيضا فى تأويل الحذف فى « لا أدر » . وهناك شواهد أخرى لا خير فى الإطالة بذكرها .

فهذا رأى عسى أن يكون فيه وجه من الحق ، ودلالة على مقطع من مقاطع الصواب . فإن العرب أجرأ على لغتها وأعرف بها وبما ينبغى لها وما لا ينبغى . ولولا ما تبعثر من ذخائر الذاكرة لاعتمدت هذا الرأى بشاهد آخر فى هذا الحرف بعينه ، كان مر بى فأنسيته . ولعل الأخ يجمل باله إليه عسى أن يجده أو يقع له .

محمود محمد شاكر

## طريق الهجرة النبوية :

كتب الأستاذ محمد عبد الوهاب فايد فى الرسالة الغراء كلمة وجيزة نقل فيها عن « عيون الأثر » و « مجمع الزوائد » أسماء الأماكن والمواضع التى مر بها ذلك الداعى الـكريم محمد المظيم عليه الصلاة والتسليم ، أثناء هجرته من مكة المـكرمة إلى المدينة المنورة ؛ وهو بهذه الـكلمة يشارك فى تحقيق ذلك المقصد الجليل وهو تحقيق المواضع التاريخية وتحديد مواضعها ؛ ولـكنى ألاحظ أن مجرد سرد هذه الأسماء فى الـكتب أو المقالات ، لا يغنى كثيرا ، فنحن نعرف سلسلة طويلة من هذه الأسماء ، ولـكنا لو طولبنا بتوضيحها على الخريطة الجغرافية ، أو أردنا العثور عليها فى مواضعها الحسية ، لما استطعنا إلى ذلك سبيلا ، ولذلك أرى فيما يتعلق بتحديد هذه المواضع ، ومقابلة أسمائها بمواقعها من البسيطة ، أن تنصرف جهود الباحثين والمؤرخين والعارفين إلى تحقيق « الصورات الجغرافية » التى يوضحون عليها مواقع هذه الأسماء ، وإلى تنظيم الرحلات العلمية إلى هذه المواقع ليصفوا لنا حاضرها ، أو ما أصابها من تغيير بمرور الزمان ، وتتابع الحدثان .

ويسرنى أن أزف إلى قراء الرسالة الغراء بشرى طيبة ، وهى أن الأستاذ الفضال الشيخ محمود السيد الحصانى — وهو مدرس بمدرسة التعاون الإنسانى بدمنهور ، وقد شباب فى سبيل الله

والوطن والتاريخ ، وضحى بالكثير من ماله وأعصابه قد حقق مواضع القرى والآبار والأماكن التى مر بها النبى صلى الله عليه وسلم فى هجرته ، وأفنى فى ذلك سنوات قضاها فى الرحلة والبحث والضبط والاستقصاء ، ورسم بيده خريطة جليلة مضبوطة سماها « خريطة الهجرة النبوية » ؛ وأبان فيها جميع هذه الأماكن ، وعلق عليها بقوله : « ليست خريطة الهجرة مجرد شكل يفرح المتأمل لرؤيته ، ولكنها إرشاد يوحى بأمجد ذكرى لأكبر حادث فى تاريخ البشر ، تغير له وجه الأرض بظهور نور الإسلام على سائر الأديان ، فما كاد صلى الله عليه وسلم يخطو فى طريق هجرته حتى بدأت الدنيا تتقلقل ، كأنما مر بقدميه على مركز الأرض فحركها ، وكانت خطواته تخط فى الأرض ، ومعانيها تخط فى التاريخ ، وكانت المسافة بين مكة والمدينة ، ومعناها بين الشرق والغرب » ! ! ...

وعندى أنه يجب — تقديراً لمجهود الأستاذ محمود الحصانى ، وتشجيعا لغيره من الباحثين على متابعة التحقيق والضبط — أن تطبع هذه الخريطة ، بالملايين ، وتوزع على تلاميذ المدارس وطلبة المعاهد ، ليستفيدوا منها تاريخيا وجغرافيا ، حتى يتسع أفقنا التاريخى ، ونحيط علما بأجزاء وطننا الأكبر ، وسيرة رسولنا الأعظم .

وبمناسبة هذه الكلمة أذكر أن للأستاذ الحصانى خريطة ثانية وضح فيها « مناسك الحج » ، وخريطة ثالثة وضح فيها مشروعا « لتيسير الحج » عن طريق « رأس بناس » الواقع على ساحل البحر الأحمر ، وهو مشروع يجعل الوصول إلى مكة ميسورا فى ثلاثة أيام بالسفر الطبيعى ، ولذلك المشروع الجليل حديث مفصل قد عرضه صاحبه فى مذكرة مطبوعة يرحب بكل من يطلبها منه ، فجزى الله العاملين ! ! ...

**أحمد الشرباصى**

المدرس بمعهد الزقازيق الثانوى

## من الأستاذ محمود تيمور بك إلى مؤلف (نهاية الطريق):

تحيات خالصة مشفوعة بجزيل الشكر على هديتكم النفيسة « نهاية الطريق » وإنى أتقدم إليكم بتهنئتى الصادقة على توفيقكم فى هذه المجموعة الفريدة التى راعنى فيها طلاوة أسلوبها وما فيه من عذوبة وسلاسة ، وما حوته فى تضاعيفها من معان طريفة ، وخواطر جديرة بالتقدير والإعجاب .

ولا ريب فى أنكم بهذه الباكورة الأدبية قد قفزتم قفزة ملحوظة فى ميدان الأدب دلت على ما أنتم عليه من نبوغ وتفوق فى كتابة القصة الحديثة ، فأكرر لكم تهنئتى ، وأرجو لكم دوام التوفيق ، شاكرا لكم حسن عواطفكم وجميل التفاتكم .

وتقبلوا خالص مودتى ووافر احترامى .

**محمود تيمور**




**غرامي الأول :**

# لذة الحب لحظة ...

للكاتب الفرنسي موريس دوناي

ترجمة المرحوم الأستاذ يونس السبعاوى

سأحدثكم عن حبي فى أيام شبابى منذ نصف قرن مضى . ومالى لا أعيد تلك الصفحات وأنا أرى هذا الشباب الجديد سابحاً فى عالم بعيد عن الشعر والخيال ؟...

ومن حقه أن يكون كما تراه ، فهو فى زمن أزمات وضيق سدت فى وجهه أبواب الأمل ونشرت على خطواته ظلام اليأس فلم يأمن على المستقبل ولم يطمئن إلى الغد .

منذ نصف قرن مضى كان العهد عهد خيال ، وكان للنساء فى أفكارنا وتصوراتنا مقام غير مقامهن فى هذه الأيام ، ولقد قرأنا الكثير من روايات الغرام ، وكان أدبنا كما قال عنه (بركسون) شهوانى الاتجاه . فلا تقرأ فيه إلا ما يحدثك عن الحب والنساء .

***

عرفت أنجيل فكانت يوم عرفتها فتاة فى الثامنة عشرة ولكنها جمعت نضوج النساء ودل وضعها على أن لها ماضياً ماحاولت أن أسألها عنه . وكانت تعمل فى أحد محال الأزياء وتعيش مع أبوين فقيرين من عامة الناس . ولقد طالما سألت نفسى كيف استطاع هذان الأبوان البسيطان أن يلدا هذه الحسناء البارعة الجمال ! فقد كانت تمثل فى امتشاق قامتها واعتدال جسمها واتساق حركاتها نضرة الربيع فتسى الناظرين بيدين ورجلين طويلة ناعمة وبشعر أصفر ذهبي وأنف صغير وعينين كبيرتين .

رأيتها لأول مرة فى ثوب فتان وتحدثت إليها فلم أر منها ازوراراً عن أحاديث الأدب ، وهى وإن لم تكن بارعة الثقافة فان لها إلماما بكل ما يتيسر لواحدة من طبقتها من العلوم . فكنت أنظم فيها الشعر فتقرأه وتلحن ، وما ذا يضيرنى أن تلحن أنجيل وهناك كثير من الفتيات يقرأن الشعر أحسن قراءة فلا يجدن من يقول فيهن شعراً ؟ وكانت تهوى الفن وملاعب الفنانين وتحب الموسيقى والشعر والرسم فتحب معها الموسيقين والشعراء والرسامين ، ولكنها تفضل الأخيرين لأن هذه الحسناء الفتونة بحسنها يعجبها أن ترى رسمها فى صورة رسام أكثر مما تراه فى أبيات شاعر أو أنغام موسيقى .

وكان لى أصدقاء من الموسيقيين والشعراء والرسامين فعرفتها بهم وأنا فخور ، ولكن الغرور قرين الرعونة كما يقولون ...

وكانت فى أول أيام تعارفنا لا تعرف غير الأناشيد القديمة تعلمتها من روايات سخيفة فتنشدها بصوتها الهادىء الحزين فتخرج على تفاهتها حاملة للسامع كل معانى الحزن والألم ، فأخذت بعد حين تحدثنى عن أحدث الأناشيد وتنشد مالم أكن قد سمعته ، وأصبح صوتها شيئاً آخر غير ذلك الصوت الهادىء الحزين . وقد راعنى هذا منها ولكنى لم أسألها عمن علمها هذا الغناء الجديد .

وسارت أنجيل على هذا المنوال فأصبحت تقرأ أحدث الروايات وأولعت ببعض الكتاب دون أن أدلها عليهم ، فأخذت ألمس فيها تغيراً ورقياً كنت أعزوهما لتأثيرى عليها فأزداد تيهاً .

ثم أصبحت تتغيب عن مواعيدى كثيراً . ولقد طالما انتظرتها حتى إذا ما دنت ساعة اللقاء جاءنى منها كتابها الأزرق الصغير الذى أعرف خطها فى عنوانه فأفتحه بقلب واجف وأقرأ ما فيه بهلع لأنتهى منه فأعرف ما كنت أخشاه ، وهو أنى حرمت متعتى فى ذلك المساء فتنتابنى الهموم وتساورنى الشكوك فأسأل نفسى أين هى الآن ؟ وماذا تعمل ؟ وأكثر من هذه الأسئلة التى طالما رددها المحبون المظلومون وسألوا فيها عن أحبابهم الغائبين .

وأعود إلى غرفتى فأجلس فى مقعدها الوحيد ثم آخذ كتاباً فأحاول أن أقرأ فيه ولكن الأفكار تساورنى من جديد فأسأل نفسى أين هى الآن ؟ وماذا تعمل ؟

ولقد أولعت من أيام الدراسة بالفريد دى موسيه فحفظت له (الليالى) عن ظهر قلب ، وعودت قلبي على احتمال الآلام فكنت أذكر لقاءنا الأول وأيام حبنا الأولى فتأخذنى الأفكار وتمر

الساعات وتكون الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وهكذا أقضى ليلة الفرح المنتظر فى ترح وشجون وأبيت حليف الآلام والهموم.

وكان لى صديق ظريف كنت أتحدث إليه ذات يوم عن الحب والنساء فبادرنى بهذا السؤال :

— أتجتمع كثيراً بأنجيل ؟

— أجتمع بها ولكن أقل مما أريد .

— وهل تحبها ؟

— وكيف لا ؟

— وهل تحبك ؟

— ومن يعرف حقيقة قلوب النساء؟ ولكن أعتقد أنها تحبنى

— وهل أنت واثق من إخلاصها لك ؟

وسكت عند هذا السؤال وسكت معه طويلا ، وكنت أعرف فى هذا الصديق ميلا إلى المزح والنكتة ، فأخذت أحدق فيه عسى أن ألمح عليه علامات المزح فيما يقول فوجدت أثر الجد ظاهراً عليه ففار دمى وزاد ألمى؟ وأحس بهذا منى فأراد التراجع قائلا : إنه لم يقصد شيئاً بما قال . فألححت عليه أن يبوح بما يسر لأنى أريد أن أعرف الحقيقة ، فقد أصبحت من شهور رهين الوساوس والشكوك ، وإن الذى ينقذنى من هذه الشكوك يسدى إلىّ جميلا لا أنساه مدى الحياة .

فقال على عادته فى المزح : تقصد أنك لا تنسى له هذه الإساءة ما دمت حياً . فقلت له : إنك لا تعرفنى جيداً وإن عليك أن تبوح لى بكل ما تعرف .

وهنا أخذت أصف له آلامى وصفاً صادقاً . فرق لحالى وحمله قلبه الطيب أن ينير الطريق أمام هذا الصديق الأعمى ؛ فراح يصف لى خياناتها وتعلقها الآن بصديق من أصدقائنا لا يخلو من الرقة على ضخامته .

والواقع أنى لم تدهشنى هذه الاخبار فقد أعددت لها نفسى من زمن فأشبعت رغبتى فى معرفة أحوال أنجيل ، ولم يكذبنى صديقى فيما قال فقد سألتها أول مرة رأيتها فيها بعد هذا الحادث وطلبت منها أن تفصح لى عن الحقيقة فإذا بها تثور ثورة اللبكة المغضبة وتركتنى بلا كلام ولا سلام .

فعدت لنفسى وقلت إنى قد أكون مخطئاً فى حكمى ، وإن من الخير لى أن أعرف الخبر اليقين من صديقها الجديد . فعثرت عليه فى ليلة حالكة من ليالى الشتاء ودام بيننا الحديث ساعة أو تزيد وكنت أكلم هذا المنافس السعيد بصراحة تامة آملا أن يصارحنى بمثلها ولكنه أخذ يفند ما اتهمته به ويقسم أنه لا يعرف شيئاً مما قلت ، وإن علاقته بأنجيل علاقة صداقة لا غير ، ولكن اضطرابه واحمراره ومغالاته فى التظاهر بالبراءة حملتنى على الاعتقاد بأنه يكذب فيما يقول .

---






مطبعة الرسالة



العدد ٧٠٩ « القاهرة في يوم الاثنين ٣ فبراير سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة




الفهـــرس

صفحة

١٣١ أوليـاء ... وأعـداء ... ... ... : أحمد حسن الزيات ... ... ...

١٣٢ أفراح الحياة وآلامهـا ... ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...

١٣٤ لغة العبيد ... ! ... ... ... : الأستاذ سـيد قطب ... ...

١٣٧ المعجز قوة ... ... ... ... : الأستاذ عبد المنعم خلاف ...

١٣٨ يا سيدى يا رسول الله ! ... ... ... : الأستاذ على الطنـطاوى ...

١٤١ تولستوى ... ! ... ... ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ... ...

١٤٤ اكتبوا للأطفال ... ... ... ... : الأديب محمد سيد كيلانى ...

١٤٦ « **الأدب والفن فى أسبوع** » : تراجم جديدة للقرآن — مصر التى علمت العالم — كتاب له قصـة — حرية الرأى والحـكومة — فن وتجـارة ! — المسرح الشعبي ... ... ... ... ... ... ...

١٥٠ « **من هنا ومن هناك** » : الضريبة والحية — مكافحة المسكرات عند قدماء المصريين — الإنسان الآلى معجزة القرن العشرين ... ... ...

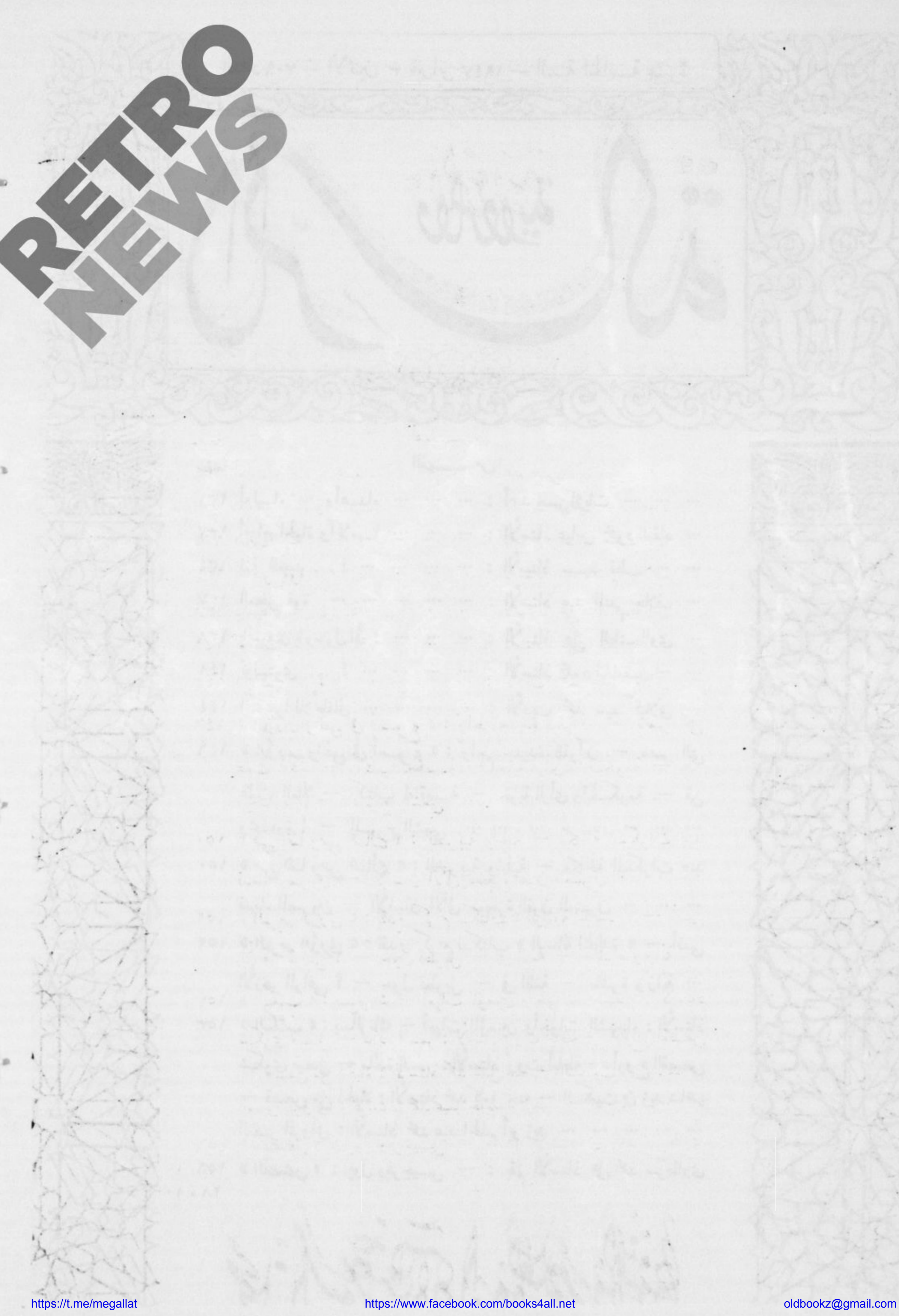
١٥٢ « **البريد الأدبى** » : تقدير كريم لـكتاب « الرسالة الخالدة » — أنسى الأزهر المراغى ؟ — حول قطربل — فى اللغة — حاشرة زنزانة ...

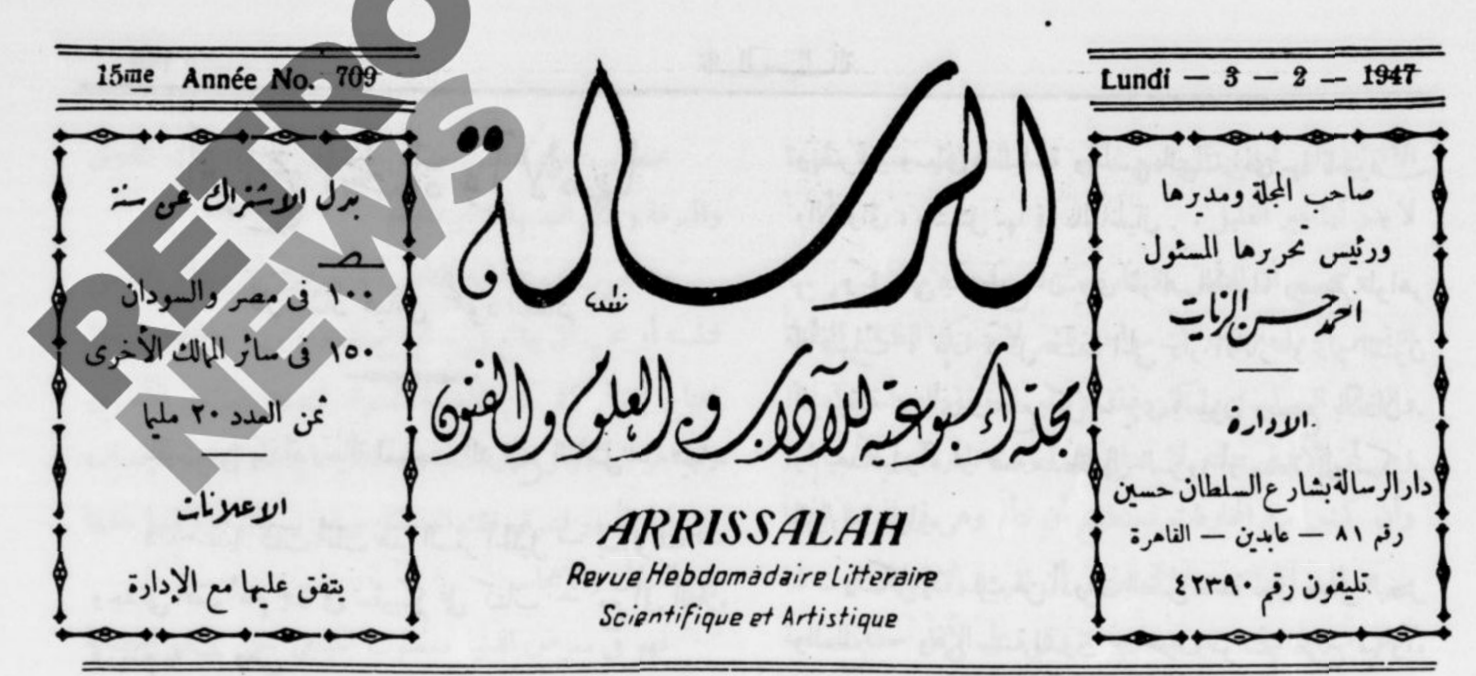
١٥٣ « **الكتب** » : يسألونك — أمهات المؤمنين وأخوات الشهداء : الأستاذ شكرى فيصل — مائدة السمر : الأستاذ ثروت أباظه — أروع القصص — قصص من الحياة : الأستاذ محمد كامل حته — الـكميت بن زيد شاعر العصر المروانى : الأستاذ محمد عبد الحليم أبو زيد ... ... ... ...

١٥٦ « **القصص** » : بول وفرجيـنى ... : بقلم الأستاذ على محمد سرطاوى

١٠ ٥ ٢٨

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون






العـــدد ٧٠٩ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٦٦ — ٣ فبراير سنة ١٩٤٧» السنة الخامسة عشرة

# أوليـــاء ... وأعداء

حياكِ الله يا سورية! ورعاك الله يا لُبنان! لشدّ ما قضيتما حق الأُخُوة، وبيضتما وجه العروبة! آسيتما النيل حين صرّح البغى عن محضه، وحسر الباغى عن قناعه؛ وآزرتما النيل حين صمم أن يدافع عن حوضه، وأن يعبىء كل القوى فى دفاعه.

أما شرق الأردن ففيه جلوب؛ وأما العراق ففيه كرنواليس! والرجلان رِجلان من أرجل الأخطبوط الضخم الذى أمن الحوت فسيطر على معظم الماء وأكثر اليبس. ورِجل الأخطبوط ختْم على أفواه الساسة؛ يوضع بحذر، ويرفع بقدر. ولطالما كابد ساستنا مشقة هذا الختم أيام كانوا للأخطبوط أرقاء أو أصدقاء!

والاستعمار — كشف الله عنا ضره — على الأفواه كمامة، وعلى العيون غمامة، وعلى الآذان حجاب، وفى الأعناق غلّ. ولكن الأمم العربية التى تستمد غذاءها الروحى من عقيدة الإسلام، وآداب العرب، وتاريخ الفتوح، وحضارة الرشيد، وثقافة المأمون، لا يسعها إلا أن تخالف الرؤساء والزعماء لتتفق فى الشعور، وتتحد فى الوجهة، وتتعاطف فى المكروه، وتتناصر فى الشدة. ولن تكون هذه المقارب التى يبسّها الأخطبوط على دعاة الوحدة العربية إلا طعمة للنار المقدسة التى يشبها شباب العرب لتذيب الغش وتنفى الخبث وتكشف عن المعدن الصحيح.

برح الخفاء ونصل صِبْغ الرياء عن طبع إنجلترا فبدا على لونه الأصيل من خبث العنصر ولؤم الفطرة. وأصبح الأمر بيننا وبينها فى ذمة مجلس الأمن، وهو الجهة التى زعموها موئل الحق ومثابة العدالة. فهل كان يظن جون بول أن مصر التى ظل خمسا وستين سنة يتصرف فى حكومتها وشعبها تصرف الراعى فى القطيع، تقف منه موقف الند من الند فى مجلس القضاء الأممى تدمغ باطله بالحق، وتدحض مِراءه بالمنطق؟ الحق أن صرح الامبراطورية يوشك أن ينهار ما دام أمرها قد انتهى إلى سلطان العدل. وهل هى إلا بنيان شاهق من الزور المتراكم والظلم المتراكب يسنده دعامتان من دهاء السياسة وضخامة الأسطول؟ على أن الدهاء قد فضحته يقظة الناس، والأسطول قد نسفته طاقة الذرة. فما ذا بقى لسيدة البحار؟ إن إنجلترا غنية بغيرها، فلا تستغنى بنفسها إلا يوم تروض حلوقها ثانية على ازدراد القواقع والسمك. والرجل الذى يعيش على الناس يكون مع القوة لصاً يسلب، ومع الضعف متسولا يستجدى. وقد زالت وسائل اللصوصية عن انجلترا باستيقاظ الوعى فى الأمم المستعمرَة، وانخزال السلاح البحرى عن الأسلحة الحديثة، والتجاء الدول إلى تحكيم القانون فرَقا من المدمرات الخفية، فلم يبق لها إذن غير التسول بالمفاوضة، والتملل بالمعارضة، والتسلل إلى البلاد فى ثياب الخونة من طلاب الملك أو الحكم أو المال، كما تتسلل الجراثيم إلى الأجساد على أرجل الذباب وأفواه الكلاب وأجسام الفِيَرة! فإذا عرفنا نقلة الجراثيم عرفنا مصدر الوباء، وإذا أمنا دسائس الخصم أمِنّا جور القضاء.

احمد حسن الزيات

# أفراح الحياة وآلامها

للأستاذ عباس محمود العقاد

تلقيت من بغداد رسالة لصاحب التوقيع الفاضل جاء فيها :

« ... بينما كنت أقلب هذا السفر الجليل — يسألونك — وجدتنى أقف أمام جملة فى تعقيبكم على كتاب — مع أبى العلاء فى سجنه — وهى :

« ... ما زلت أعتقد وأزداد مع الأيام اعتقاداً أن بغض الحياة أسهل من حب الحياة ، وأن الأدوات النفسية التى نلمس بها آلام الحياة أعم وأشيع وأقرب غوراً من أدوات النفس التى نلمس بها أفراح الحياة العليا ومحاسنها الكبرى . فالفرح أعمق من الحزن فى رأيى ولا مراء . أما الفرح فهو القدرة والانتصار »

فهلا تفضل سيدى بشرح هذه العبارة ... الخ .

الكاظمية جعفر آل ياسين

والموضوع يستحق التفصيل ؛ لأننا فى الشرق لا نزال قادرين على الحزن عاجزين عن الفرح ، أو قادرين على التشاؤم عاجزين عن التفاؤل . وربما كان فرضاً أقرب إلى السلوب منه إلى الثبوت . فكثير من أفراحنا ناشىء من قلة الفكر وقلة المبالاة ، وقليل منها ناشىء من فهم أسباب الكمال ومعارض الجمال فى هذه الحياة .

والألم أسهل من السرور لأن أدوات الألم ميسرة للطفل والجاهل مقصورة على الإنسان .

وأدوات الألم هى الحواس الجسدية ، وهى كافية لإشعار صاحبها بجميع المؤلمات والأوجاع التى يشتمل عليها عالم الحس المتسع لجميع الأحياء ، ومنها الإنسان .

كل حىّ يستطيع أن يشعر بشوكة الوردة ، لأن الشعور بها لا يحتاج إلى أكثر من جلد وأعصاب .

ولكن الجلد والأعصاب لا تكفى للشعور بجمال الوردة ونضرتها ومعانى الصباحة والحسن التى تتراءى بها للعيون والأذواق ، وتتمثل بها فى عالم الخيال .

وكل حى يستطيع أن يرى ظواهر الأشياء ويسمع ظواهر الأصوات ، فإذا دخل هذا الحى دار الآثار أو دار الفنون الموسيقية ، رأى وسمع كل ما يرى بالعيون ويسمع بالآذان . ولم يجد فيما رآه أو سمعه مدعاة إلى السرور أو مدعاة إلى تكرار الزيارة باختياره .

ولكن إذا ملك من أدوات النفس حاسة فوق حاستى البصر والسمع — وهى حاسة الذوق — عرف مواضع الفرح فيما رآه وسمعه . ونظر فى دار الآثار إلى جمال الصناعة ودلالة المعانى التاريخية الخالدة ، وسمع فى دار الفنون الموسيقية آيات التعبير المتسق وأسرار العاطفة الخفية التى تترجم عن نفسها بلغة الألحان .

كل إنسان يستطيع أن يخسر فى الحياة ، لأن الخسارة فيها مضمونة للعاجز الذى لا يحسن الفهم ولا يحسن العمل . فكل عاجز « قادر » على أن يأخذ نصيبه من خسائر الحياة بغير عناء ، وقادر على أن يأخذ الألم مع الخسارة ، لأنه يأتى معها بغير دعوة !

ولكن القدرة على الانتصار فى الحياة لا تشيع بين الناس شيوع العجز والقصور .

نعم إن القادرين قد يخسرون والعاجزين قد يكسبون . ولكنّ هذا لا ينفى الحقيقة التى يعرفها القادرون والعاجزون ، وهى أن القدرة أندر من العجز وأن أدوات العجز ميسرة للأكثرين ، وأدوات القدرة لا تتيسر لغير القليل .

***

كل إنسان يستطيع أن يجد فى تمثال المرمر وسيلة إلى الألم ، لأنه يحصل على الألم بصدمة فى الرأس ، والقدم . ولكنه لا يحصل على السرور الذى يوحى به التمثال إلا إذا أدرك محاسن الفنون وعرف صاحب التمثال وما عمله فى حياته وما استحق به هذا التخليد بين قومه وقادرى فضله وجهاده .

ولا يعنينا هنا أن تكون الأفراح فى الحياة أكثر من الآلام أو تكون الآلام فيها أكثر من الأفراح .

وإنما يعنينا أن أدوات الألم ميسرة للأكثرين ؛ وأن

الأفراح التي تحتاج إلى فهم غير فهم الظواهر حقيقة مقررة لا يدركها غير القليل .

وصحيح أن النفس إذا ارتفعت شعرت بآلام لا تشعر بها النفوس الوضيعة وأدركت مواطن للشر لا تدركها الطبائع المغلقة والضمائر المعماء ؛ ولكن هذا لا يغير الحقيقة التي أسلفناها ! وهي أن الألم في جملته لا يحتاج إلى أدوات نادرة بين الأحياء ، وأن كثيراً من المخلوقات تستطيع أن تتألم وهي في المرتبة الدنيا من مراتب الحياة ، ولا تستطيع أن تفرح إلا إذا توافرت لها صفة « وجوبية » غير مسلوبة ، وهي على الأقل صفة الصحة واعتدال المزاج .

ونعمم هذه الحقيقة فنقول إن المؤلمات سلوب وإن المفرحات ثبوت . لأن الألم يأتي من الفقد ، والفرح يأتي من وجود شيء يُفرح أو يصدر منه الفرح . ولا حاجة بالإنسان إلى أداة للفقد والخسارة ، ولكنه يحتاج إلى أدوات كثيرة للإيجاد والتحصيل .

وقد مضى على الشرق زمن لم نسمع فيه غير الشكاية والحزن في شعره ونثره ، وغير الشكاية والحزن في مواعظه وخطبه ، وغير الشكاية والحزن في جملة أحواله وأعماله . ولم يكن ذلك الزمن الذي عمت فيه الشكاية والحزن زمن القدرة والعمل بل زمن الفقد والكسل . لأن الأدوات النفسية التي نلمس بها آلام الحياة أعم وأشيع وأقرب غوراً من أدوات النفس التي نلمس بها أفراح الحياة العليا ومحاسنها الكبرى .

والطفل يبكي في اللحظة الأولى من حياته ، ولكنه لا يعرف الابتسام قبل بضعة أشهر . لأنه في البكاء لا يحتاج إلى أكثر من صوت وهواء . ولكنه يحتاج قبل الابتسام أن يعرف وجه أمه وأبيه وأن يدرك العطف بينه وبين أمه وأبيه .

***

وإذا تركنا شعور الضرورة إلى شعور المشيئة والاختيار تبين لنا أن الإنسان سريع إلى كشف النقائص والعيوب في الناس بطيء في كشف المحاسن والمزايا . بل مغالط فيها بعد كشفها ومكابر في الشهادة بها لأصحابها .

فهو محجوب عن المحاسن باختياره وبغير اختياره :

محجوب عن محاسن الدنيا ما لم يتهيأ لها بأدوات الذوق والمعرفة وعمق البديهة وسمو الخيال .

ومحجوب عن محاسن الناس ، لأنه يحب أن يستأثر بالمحاسن لنفسه أو يحب أن يبالغ في تعظيم مزاياه وتصغير مزايا غيره . فلا يحتاج إلى أكثر من الأنانية العمياء ليجهل فضائل الآخرين ومظاهر الكمال في المخلوقات ؛ ولكنه يحتاج إلى النبل والإنصاف ورحابة الصدر ليعرف تلك الفضائل وينعم بعرفانها ويوفيها حقها من العطف والإعجاب .

فهو في معرض الدنيا معصوب العينين حتى ترتفع العصابة عن عينيه فيتعلم بعد جهل ويقتدر بعد قصور ، ويغتبط بجمال من يراه بعد أن كان لا يراه .

وهو في معرض الحياة البشرية يضع كفيه على عينيه باختياره ولا يرفعهما حتى ترتفع عن ضميره عصابة الأثرة والجحود ، وينفذ إليه شعاع النور من عالم الحق والإنصاف .

لهذا صح أن يقال إن أدوات الآلام أسهل وأعم من أدوات الأفراح ، وإن كثيراً من الناس قادرون على الشعور بالألم في أعم حالاته ، ولكنهم لا يقدرون على الشعور بجميع الأفراح ولا بجميع الرضيات .

وإذا طبقنا هذه الملاحظة على أبي العلاء وجدنا أنها تنطبق عليه وعلى زمانه ، وتدل في حالته أيضاً على سهولة أسباب الألم وصعوبة أسباب الفرح بالنظر إليه وبالنظر إلى الزمان الذي عاش فيه .

فهو حسير كسير في عقر داره ، وزمانه زمان الفتن والحروب وزمان التقلب والنفاق ، وغاية الأمل فيه أن يسلم من الشرور أو يتغلب عليها بشرور أكبر منها ، وكلاهما بلاء على الكريم وبلاء على اللئيم ، وقضاء يلوذ منه الحائر بالقبوع أو بالقنوع .

***

وبعد فيكفي أن نعلم أن الإنسان مطالب بتحقيق أسباب الفرح وغير مطالب بتحقيق أسباب الألم ، لنعلم أن الفرح محتاج إلى الأداة وأن الألم لا يحتاج إلى أداة ، بل إلى نجاة !

**عباس محمود العقاد**

# لغـــة العبيد . . !

للأستاذ سيد قطب

عندما قام الرئيس « لنكولن » بحركة تحرير العبيد فى أمريكا لم يكن خصومه هم « السادة » وحدهم ، بل كان بعض « العبيد » أيضا حرباً عليه !

كان بعضهم يهرب من « الحرية » التى يهبها له « لنكولن » ليرتد إلى « العبودية » فى بيت أسياده لأنه لا يطيق تكاليف الحرية ولا يستطيع مواجهة الحياة مستقلا !

ليس عبيد أمريكا وحدهم هم الذين يهربون من الحرية ؛ فعندنا فى مصر ، وفى سائر بلاد الشرق « عبيد » من نوع آخر عبيد يتزيون بزى الأحرار ، ولكن فى أعماق نفوسهم تلك العبودية التى يهربون إليها بين الحين والحين !

فى عـدد ديسمبر من مجلة « الكاتب المصرى » قرأت للدكتور حسين فوزى مقالا بعنوان « جولة فى ما بعد الحرب » جاءت فيه هذه الفقرات :

« شمور واحـد يتملكنى فى عشرة أيامى الأولى بلوندرة : شعور الإعجاب المتناهى بعاصمة الدولة التى أنقذت العالم من أعظم الشرور التى حاقت به فى تاريخه الطويل . قلب الأمة الباسلة العنيد التى وقفت وحدها فى مواجهة الأفاقين البرابرة الذين تحدوا البشرية جمعاء ، والتى تلقت الضربات الوحشية تنصب عليها من السماء حمما ونارا ، ومن قاع البحر حمما ونارا .

« كنت فخورا بإنسانيتى ، إذ وجدت من هؤلاء الناس درعا وواقيا للحضارة . وسـواء عندى أن يكون دفاع الإنجليزى عن بلاده وحضارته وإمبراطوريته ، ما دام هذا الدفاع فى ذاته ذودا عن الحضارة والإنسانية قطعا .

« أنا هنا بين رجال ونساء راضين بما حققوا . غلبوا على أمرهم ، وطردوا من أوربا والملايا ، وقطعت عليهم أغلب طرقهم البحرية ، وهاجمتهم الطيـارات والقنابل الطائرة والغواصات فى كل مكان ، وأنذروا بالفناء قبل الغزو ، أو بالغزو فالفناء . ضيق عليهم أعداء البشرية الخناق ، على حدود مصر والسودان ، وفى العراق وكريت ومالطة والهند ، ولـكنهم ثبتوا كصخور مالطة ودوفر وجبل طارق ، وردوا الضربات بأقل منها ، فبمثلها ، فبأضعاف أضعافها . ثم جاء دورهم فى الغزو ، فنزلوا بالقارة الأوربية ، وحرروا فرنسا والبلجيك وهولاندة وإيطاليا ، ثم استعادوا بورما والملايا ، واكتسحوا قطعان الذئاب الفاشيستية يردونها إلى عقر أوكارها ، حتى قضوا عليها . وهم اليوم يتحكمون فى ديارها . إن قدموا الخير فبشمور إنسانى كريم ، وإن أعملوا الشر فبروح انتقام مفهوم ، عادل أو غير عادل تبعا لمزاج من يريد أن يبدى حكما » .

... « والصورة التى انطبعت فى رأسى لبريطانيا بعد إقامتى القصيرة فى لوندرة هى صورة شعب عامل مجد ، محب للنظام والعدالة ، يحترم حكومته لأنه اختارهـا ، ويتبرم بها تبرم الأخ بأخيه يوما أو بعض يوم . صورة شعب أمين فى معاملاته ، منطقى فى عمله ، دون أن يكون للمنطق حسـاب فى تفكيره ، يتولاه القلق على معاشه ومستقبله فى العالم ، مع تمسكه بالقيم الروحية المطلقة التى تترجم بالعلم والفن والأدب ، والقيم الروحية فى السياسة التى تترجم بالنظر إلى العالم نظرة الشعب المسئول عن الخير العام للبشرية . وهذه فى رأيى مقومات الحضارة فى شعب كبير وأمة عظمى » . ثم يقول عن فرنسا :

« لحظة اللقاء ، لمست أقدامى أرض فرنسا بعد طول الغياب ، « أمّنا فرنسا » ، كما يقول أهل لبنان ، ومربيتنا باريس . لن أنساك يا فرنسا قبل أن أنسى نفسى . تقطع يداى قبل أن يغدر بك ربيبك يا باريس ! » .

كاتب هذه الفقرات مصرى شرقى وهو رجل أعرفه ، وبينى وبينه مودة ، ولـكن مودات الأرض كلها لا تخدر ضميرى وأنا أقرأ له هذه السطور !

هذا الرجل مصرى شرقى ، يرى كيف تعامل انجلترا بلاده ، وكيف تعامل فرنسا أمم الشمال الإفريقى ، ويعرف كيف تصنع انجلترا فى الهند ، وكيف تصنع فرنسا فى الهند الصينية ... ثم يكتب كل هـذا « الغزل » فى الدولتين الاستعماريتين اللتين تدوسان قومه وأقرباءه بالأقدام !

وأعجب شىء أنه كان « فخوراً بانسانيتـه » فى لوندرة ! أية إنسانية تلك التى ترى الاستعمار ينتهك كل حرمات الإنسانية ، ويمتص دماء المستعمرات ، ويذل أهلها ويسلب أقواتهم وأرزاقهم ، ويبقيهم فى ربقـة الجهل والتأخر والتوحش أحيانا حتى لا يفقد

قدرته على استغلالهم . ثم لا تغضب ، ولا تتألم ، ولا تثور ؟

فخور بإنسانيته . لأن الإنجليز يسلبون بلاده إنسانيتها . يفقرونها إلى حد أن يعيش الفلاح فى مستوى أقل من مستوى الماشية . يسرقونها فى أسهم قناة السويس ، وفى ثمن قطنها وصادراتها لهم فى الحرب وغير الحرب ، وفى صفقات المناقصات العامة ، ويستنزفون غذاءها وفاكهتها وملابسها فى زمن الحرب بلا مقابل فينشرون فيها السل والأنيميا وشتى أمراض التغذية ثم يكادون يتنصلون من ديونهم القليلة . يستخدمونها فى الحرب بكل قواها ، ثم يتنكرون لها بعد الانتصار ... أولئك هم السادة الذين يفخر العبيد بإنسانيتهم حينما يرونهم ينتصرون !

فخور بإنسانيته . لأن الإنجليز بعد نصف قرن فى السودان لا يزال سكانه فى الجنوب عرايا وسكانه فى الشمال مبعدين عن إخوانهم فى الجنوب . بدافع التعصب الدينى . لأن دماء الصليبيين لا تزال تجرى فى دماء المستعمرين . وبدافع الاستغلال القذر لأن موارد الجنوب يجب أن تبقى للاستعمار !

فخور بإنسانيته . لأن الهند بعد ثلثمائة عام فى الحكم البريطانى ، لا تزال أفقر الشعوب وأقذرها . وهذه القذارة تنفر الدكتور حسين فوزى وتطلق لسانه بشتيمة الهند والهنود فى كتاب سابق له . ولكنها لا تحنقه إطلاقا على الحكم البريطانى القذر لأن السادة لا يحنق عليهم العبيد !

فخور بإنسانيته . لأن الإنجليز حاربوا الصين مرة لسبب واحد ، وهو أنها عزمت على تحريم تدخين الأفيون . حينما تقتضى « الإنسانية » أن يظل الصينيون « مساطيل » لا يفيقون لأن « الانبساط » والانسجام خير يجب أن يتمتع به الصينيون .

فخور بإنسانيته . لأن الإنجليز نشروا وباء الكوليرا فى حربهم مع « البوير » فى جنوب أفريقيا ؛ فكانت هذه وسيلة « إنسانية » للانتصار فى الحروب !

فخور بإنسانيته . لأن فاجعة « دنشواى » كانت انتصاراً للروح الإنسانية وللضمير الانسانى فى تاريخ الشعوب !

فخور بإنسانيته . لأن الإنجليز يقفون فى وجه التحرر لا فى مستعمراتهم فقط ، ولكن فى مستعمرات سواهم ، كما صنعوا فى أندونسيا ، حينما هبت تحارب الوحوش الهولنديين !

فخور بإنسانيته . لأن الإنجليز يرتكبون فى فلسطين من الجرائم الإنسانية ما تقشعر له الأبدان فى سنة ١٩٣٧ . واليوم يجلدهم اليهود علناً فلا يتحركون !

ثم « أمنا فرنسا ، ومربيتنا باريس » . . . إلى آخر هذا الغزل السخيف !

« أمنا فرنسا — كما يقول أهل لبنان — ولم يكن منصفا فيقول : « كما كان يقول أهل لبنان » :

لقد تحرر لبنان من تلك العبودية يا دكتور فوزى . لقد تحررت أرضه ، كما تحرر ضميره . ولعلك لا تذكر واقعة اعتقال رئيس الجمهورية وأعضاء حكومته فى قلعة راشيا . تحرر لبنان فلم يعد ينطق تلك الكلمة المجرمة المخنثة : « أمنا فرنسا » .

تحرر لبنان ، وتحررت سوريا . وبقى أن تتحرر مراكش ، وأن تتحرر تونس ، وأن تتحرر الجزائر . وبقى أن تنكمش هذه الدولة المتبربرة فى حدودها القومية . فإذا شئتم حينذاك أن تلجأوا إلى حضن أمكم الحنون . فمع السلامة . ولتذهبوا إليها هناك أجمعين !

واسمع هذه البرقية لمراسل الأهرام فى نيويورك :

« تلقت جريدة ( نيويورك تيمس ) رسالة من السيد محمد أبو الأحرص سكرتير ( لجنة المطالبة بحرية شمال أفريقيا ) طالب فيها بالحاح بوجوب رفع الستار ( الحديدى ) المضروب حول مراكش والجزائر وتونس وبالسماح للصحفيين الأجانب بحرية الدخول فى هذه البلاد الثلاثة .

وذكر السيد أبو الأحرص الذى يقول إنه يمثل عشرين مليونا من سكان شمال أفريقيا أنه حدث فى يوم ١٢ مايو سنة ١٩٤٣ أن قتل عشرة آلاف وطنى تونسى وسجن أربعون ألفا من غير محاكمة ؛ وأن عبد المنصف باى تونس عزل ونفى مع أن الحلفاء يملكون من الوثائق ما يثبت أنه كان يقاوم سلطات الاحتلال الألمانية مقاومة شديدة .

وزعم أخيراً أنه فى يوم النصر فى سنة ١٩٤٥ ذبح أربعون ألفاً من الجزائريين وسجن مائتا ألف ونهبت بيوت ثلاثة آلاف من الوطنيين » .

وعلام كل هذا الغزل ؟ و« شعور الإعجاب المتناهى » ؟ لأن هذه الأمة ، إنجلترا « وقفت وحدها فى مواجهة الأفاقين البرابرة الذين تحدوا البشرية جماء » !

أى أفاقية ؟ وأى بربرة ؟ يا دكتور فوزى ؟ وأية بشرية تلك التى تحدوها ؟

الأفاقون والبرابرة هم أولئك المستعمرون الذين يمتصون دماء البشرية ، ليتوافر للانجليزى الزبد والويسكى والديكة الرومية فى عيد الميلاد !

الأفاقون والبرابرة ، هم الذين يتسببون فى إصابة مليون مصرى بالسل فى زمن الحرب ، لأنهم يسرقون المواد الغذائية مقابل عملة ورقية لا رصيد لها ؛ ثم يتنكرون لمصر وللدين المصرى الزهيد !

الأفاقون والبرابرة هم الذين يجلدهم اليهود علنا فى الشوارع ، فلا يحركون ساكنا ، بينما يمثلون بالجثث أشنع تمثيل حينما يهب العرب للمطالبة بحقهم المشروع !

ولقد كان جائزاً أن تنتشر هذه الأسطورة : أسطورة أن الإنجليز غير الألمان وأن هؤلاء وحدهم أفاقون وبرابرة ، وأن الإنجليز حماة الإنسانية المتحضرون . حينما كانت رحى الحرب دائرة . حينما كان الذهب الإنجليزى — أو البنكنوت المزيف — يتدفق على مراكز الدعاية ، وفى جيوب الصحفيين والكتاب ، فتنطلق الألسنة بالحمد والثناء لحماة الديمقراطيـة ، وللحرية ، وتنطلق بالهجاء والاتهامات للبرابرة الألمان ، وحينما كانت الدعاية الإنجليزية تملأ الآفاق بتبشريات الحرية العالمية ، والأمن من الجوع والخوف والمرض والجهل . وحينما كان المخدوعون يستغرقون فى الأحلام اللذيذة على صدى هذه الوعود الجميلة .

ويومها كم من أصوات ارتفعت فى محطات الإذاعة بالشرق ، وكم من أقلام انطلقت فى صحافة الشرق ، تمجد أولئك الملائكة الأطهار الذين يريقون دماءهم فى سبيل البشرية المهددة بالوحوش النازيين ! ذلك أن الذهب الإنجليزى — أو البنكنوت المزيف — كان من القوى والتدفق بحيث ينطق البكم ، ويسمع الصم . وذلك أن الوعود المعسولة خدعت بعض المخدوعين ، فتاهوا فى أحلام الحرية والاستقلال والجلاء . وإن كان ضمير الأمة لم ينخدع لحظة واحدة ، لأنه كان أصدق حساسية من أولئك المذيعين والصحفيين والكتاب !

أما اليوم ، فكيف تبقى عين واحدة مغلقة . اليوم وقد خلع الإنجليز القفاز الحريرى وارتدوا جلد النمر . اليوم ما الذى يخدع مصرياً واحداً ، أو شرقياً واحداً ، فيطلق لسانه بمثل هذا الغزل العجيب ؟!

وفرنسا ، فرنسا أم الحرية ، كما يقول عشاقها ، كيف بعد حادث راشيا ، وكيف بعد مؤامرتها على قتل وزراء سوريا ونوابها فى البرلمان ، تلك المؤامرة القذرة التى لم تتم بسبب وقوع وثائقها فى يد الحكومة السورية فى الوقت المناسب .

فرنسا التى تذبح فى يوم النصر أربعين ألفاً من الجزائريين . والتى تقيم سوراً حديدياً حول الشمال الإفريقى كله ، يمنع عنه العلم والنور والحرية والتقدم . فرنسا هذه كيف يختلج بحبها ضمير إنسانى واحد ، بله أن ينطلق لسان لها بمثل هذا الغزل العجيب !

وليس المتغزلون فى انجلترا وفرنسا وحدهم هم عبيد الشرق المنكوب ! هنالك من يتغزل فى «روسيا» فى هذه الأيام . وحقيقة إن بعدنا عن فم الدب بعض الشىء قد يجعلنا أقل حنقاً عليه . ولكن هنالك من ينسى مصريته ليذكر «روسيا» العزيزة او تلك لغة العبيد.

لقد سمعنا طويلا : أمنا فرنسا ، أمنا انجلترا ، أمنا روسيا ! بابا ستالين ! كما سمعنا من يقول : تقدم يا روميل ! أيام العلمين !

ولقد آن أن يخفت صوت العبودية فى هذا كله ، ليرتفع صوت واحد : أمنا مصر . عمنا الشرق . أبونا النيل .

أيها العبيد ! تحرروا مرة من لوثات الضمير

أيها الدعاة فى الحرب وغير الحرب !

كفروا عن جريمتكم وعودوا مصريين . وشرقيين !

إن أوربا المتبربرة قطيع واحد من الوحوش الواغلة فى دماء البشرية ، المعتدية على كرامة الإنسانية ؛ فليس بإنسان من لا يغضب لكرامته ولكرامة «الإنسان» التى يذلها الاستعمار فى كل مكان .

وهذه البشرية لن ترفع رأسها إلا يوم أن تسحق هذه اللعنة البغيضة لعنة الاستعمار والمستعمرين . ونحن فى الشرق لا ينبغى أن يقوم بيننا وبين هذا الغرب المتبربر سلام ، إلا حين تنكمش هذه الوحوش الآدمية فى داخل حدودها أو فى داخل أقفاصها !

وما يجوز أن يرتفع صوت واحد بالثناء على قوم حاربوا لأنفسهم ، دفاعا عن الزبد الذى يأخذونه من بين شفتى العالم ، ليستمتعوا ، ويصاب بالسل آخرون

إن هؤلاء المستعمرين هم لعنة هذه الأرض التى لا يجوز أن نضمر لها غير الحقد والضغن . فهم الذين يثيرون الحروب العالمية ويتمسحون فى الألمان وغير الألمان .

والألمان مثلهم . . . كلهم سواء . وحوش آدمية متبربرة ، تتبدى فى أزياء من الحضارة خادعة . فلن تكون حضارة صادقة مع ضمير متعفن كضمير الاستعمار .

الحقد ! الحقد المقدس أيها الشرق المنكوب هو وحده المنقذ حين يفتح فاه ، فيلتهم قطاع الطرق اللصوص .

أما أولئك المتغزلون فى أوربا فليتواروا حياء ، فليس الوقت وقت الغزل ، بل الساعة ساعة الصراع ألا ولتنطلق من كل فم وقلب صيحة واحدة مدوية : الموت للاستعمار والويل للمستعمرين !

سيد قطب

# العجز قـــوة

للاستاذ عبد المنعم خلاف

حينما أرى شيخوخة متهدمة فانية مدبرة الحياة تجرجر جسمها المتهالك كأنما تحمله حملا يبهر الأنفاس ويعيى الأوصال ، فى مزدحم طريق مكتظ بأجسام القادرين على الزحام من الرجال ذوى الألواح العريضة والأرجل الخفيفة والخطوات الماضية فى خيلاء الشباب وطفور القوة وعزة القدرة على نيـل الأشياء ، وغرور الخدعة بالحياة ، وقد احتدمت الحركة والجلبة ومضت «دواماتها» العنيفة بتلك الشيخوخة ترمى بها المرامى وسط هذا العباب الزاخر خينئذ أشعر أن هذا العجز يقبض على قلبى بقوة غالبة تجيش لها نفسى وتستجيب لها استجابة لا أحسها فى كثير من الأحيان التى يطالعنى فيها مشهد من مشاهد القوة والاجتياح .

وحين أرى طفلتى الصغيرة تبدأ حياتها منذ أن فصلت عن حياة الرحم وكل سلاحها للعيش وآلاتها فى الـكفاح هو الصراخ واستنجاد بقوى من يحيطون بها من الوالدين والأقربين ، وتلك الغمزات الخفية على قلبى الأم والأب ، غمز الرحمة لهذا الضعف فى هذا الجسم الصغير الضئيل الطريح الذى لا يملك دفع الذباب والنمال عن نفسه ولا جلب غذائه ، ومع ذلك فجميع من فى البيت وما فيه مسخر لرضاها والسهر على الدفاع عنها وجلب المسرة والمنفعة لها ، أشعر كذلك أن العجز قوة يسخر لها جهاد الأقوياء ، وأشرف ما فى النفوس البشرية من أريحية كريمة هى التى تبنى الاجتماع وتجمل الأخلاق وتعلو بمستوى الإنسان بل والحيوان .

ولقد أدركت من شيخوخة أمى رحمها الله فى سنتيها الأخيرتين ما كان يثير فى نفسى لونا من الحنان الغامر والأشفاق والحساسية التى تبعث الدمع الهادىء اللذيذ حين كنت أرى ذلك العجز الذى طرأ عليها بعد قوة ولـكنه مع ذلك سلحها بقوى جميع من فى البيت ، وسخرهم لها يخدمونها فى لهفة ويكفونها كل حاجاتها فى رضا ويسألونها كذلك الرضا .

وعجز الشيخوخة أشـد إثارة للرحمة والشعور والعاطفة من عجز الطفولة ؛ لأنه يريك الهيكل البشرى فى حالة من تاريخ قوته ، فتشعر أنك معه إزاء طلل لبناء عزيز كان عامرا فأضحى غامرا ، تعفيه الرياح ، وينال منه الإمساء والإصباح ، ويدبر منه ما كان مقبلا . وقديما بكى الشعر على الأطلال وبحث فى أصباغها الناصلة وشواخصها الماثلة عن الأشباح التى كانت تعمرها والصور والظلال والأصوات والذكريات التى وقعت عليها والنفس إزاء عوامل الفنـاء أشد حساسية وإرهافا منها إزاء عوامل الحيـاة ، لأن النفس من عالم الوجود فليست عوامل الحياة غريبة عليها غربة عوامل الفناء . وعوامل الحياة تمـدها بالطمأنينة والأمل والشعور بالاستمرار والامتداد ، أما عوامل الفناء فتأخذ منها الطمأنينة وتعطيها الرهبة والشعور بالنهاية وتقفها على حافة المجهول الذى مضى إلى هاويته كل ما كان ويمضى إليها كل ما هو كائن .

والعجز هو مدخل الإيمان وحجته الهادئة التى لا جدال معها لمنطق . فهو إن كان يثير أشرف ما فى النفس وأعظمه أثرا فى بناء روابط الاجتماع على أسس من الرحمة والعاطفة ، فهو كذلك يثير أشرف ما فيها وأعظمه أثراً فى بناء الإيمان وروابط الإنسان بالله على أسس من الفكر والادراك . وقفة واحدة مخلصة من فكر الإنسان الضئيل المحدود وسط هذا الـكون الجبار الحافل بالقوى ذات الهول والاجتياح والرحابة والدوام ، والأجرام السماوية ذات الأحجام والأرقام الفلـكية ، كافية لأن تطلق من صـدر الإنسان آهة عميقة فيها الإقرار بالعجز والاستسلام والانكار لمزاعم القدرة والاستطالة ، وصرخة وجلة دامية فيها طلب اللياذ والاحتماء فى صدر كن رحيم حنون ، وكنف قوى مأمون هو كنف « الذى » بنى هذا الـكون الهائل العاقل من هذه القوى الجبارة العمياء المجنونة التى تسير فى نظم ولجم تمسكها يد القهر فلا تفلت ولا تلتوى ولا تجمح !

وإذا كان غرور الحياة فى بعض النفوس البشرية قد سـوّل لها أن تزعم مزاعم الاستكبار والإنكار ، فذلك لأنها نسيت عجزها وضعفها وسجنها فى هذا الـكون الذى لا يستطيع منه مهربا إذ دخلته على غير اختيار وستخرج منه على كره .

وهؤلاء الذين يثيرون بمنطقهم وجدلهم وزخرف قولهم الشغب والثورة على حكومة الـكون ، ويعييك أن تقنعهم بالحجة الفالجة والحق الدامغ ، تستطيع أن تراهم يسرعون إلى الدخول فيما دخل إليه جمهور الناس من إيمان إذا ما ضربهم الزمان بالعجز وقيدهم بقيوده وطرحهم مطارح يرون فيها أنفسهم كائنات تافهة لا تملك لنفسها

في يوم المولد النبوي :

# ياسيدي يا رسول الله !

للأســـتاذ علي الطنطاوي

[ تسمعون السنة كلها حديث الدنيا
فاسمعوا اليوم حديث الدين ]

الصلاة والسلام عليك ياسيدي يارسول الله ورحمة الله وبركاته

هـذا يوم تشرفت في مثله الأرض بمولدك ، واستضاءت بنورك ، قد جعلناه بعدك عيداً — وأشهد ما شرعت لنا إلا «العيدين» — فنصبنا الأعلام ، و «أذعنا» الأنغام ، واجتمعنا على الخطب والكلام ، والشراب والطعـام ، فالطرقات مزدحمة بالسرادقات ، والمساجد والمقابر ملأى بالزائرين والزائرات ، والصحف والمجلات ، فياضة بالفصول والمقالات ، وفي كل مكان مظاهر الأفراح والمسرات : في الشوارع والساحات ، والأزقة والحارات ...

فعلنا ذلك حباً بك ، وابتهاجاً بمولدك ، ثم أبنا إلى ما كنا فيه فجعنا هادئة ضمائرنا ، هانئة سرائرنا ، إذ قد وفينـا لهذه الذكرى ، التي لم يمر على ذهن التاريخ الإنساني أعظم منها أثراً ، ولا أعلى قدراً ، ولا أبقى ذكراً ...

أما اتباع دينك ، والاهتداء بهديك ، والوقوف عند أمرك ونهيك ، فلم نفكر فيه ولم ندخله في « برنامج الاحتفال » !

فهل يعجبك يا رسول الله ما فعلنا ؟ هل يرضى به ربك عنا ؟

لقد بعثت بـ « لا إله إلا الله » . دعوت العرب إليها فأبوها ، فأمرت أن تقاتلهم حتى يقولوها ، وخيّرتهم بين السيف وبينها فاختاروا السيف عليها ، وآثروا أن يهلكوا عن أن ينطقوا بها ، استصعبوها لأنهم عرفوا معناها ، فعلموا أنها ليست كلمة تقال بطرف اللسان ، ولكنها دستور للحياة كلها ، وصرف لها عن وجهتها ، وتبديل لكل صغيرة أو كبيرة فيها .

---

نفعا ولا عنها دفعا ، لا يحفل بهم الليل والنهار ، ولا تنظر إليهم السماء والأرض ، ويرون أنفسهم تذهب كما تمضي ورقة جافة أو تبنة تافهة .. عندئذ يأخذهم العجز بقوته السالبة الغالبة إلى عتبات ربهم يطرحون عليها قلوبهم ويعفرون بترابها وجوههم ويبللونها بدموعهم ويقولون مع أبي نواس :

ذهبت جِدَّتي بطاعة نفسي  وتطلبت طاعـة الله نِضوا

ومن رحمة الله بالناس أن جعل الدور الأخير من حياة أكثرهم فترة عجز وضعف وخمود يدركون فيها حقيقة حياتهم وحقيقة الحياة كلها ويخلصون فيها لأنفسهم ، يصفون ما بها من غرور ويبصرون الطريق إلى الايمـان ، وتصح أحلامهم ويرعوى بالحلم ويتركون ميادين النزاع والأباطيل ويقولون مع ابن المعتز :

أخذت من شبابيَ الأيام  وتولى الصبا عليـه السلام

وارعوى باطلي وبان حديث  النفس مني وصحت الأحلام

ولو استمر شباب الجسم وعنفوانه يصحب الناس إلى نهاية حياتهم ما ارعوى باطلهم ولا خف طيشهم ونزاعهم ، ولا صفت طباعهم من ثورة الأكدار التي تثيرها نوازع الشباب واحتداماته واندفاعاته ؛ لأن السر في اندفاع الشباب أنه يعتمد على ذخيرة من قوى الحياة التي تقتضيها آلات الجسم الصحيح والعيش الصحيح ، ولأنه لم يبصر كثيراً من الأحكام الصحيحة على الحياة إذ هو مشغول باحساسه بفيض الحياة ونشوتها الغامرة ، فلم تترك له عجلتها الدائرة في جلبة وقوة أن يبصر الأشياء الثابتة ، لأن حركة الحياة في نفسه تزيغ نظره عن الأوضاع الصحيحة . فإذا ابتدأت العجلة تهدئ من دورانها شيئاً فشيئاً استطاع المرء أن يبصر الأمور في رَيْثٍ وهَيْنةٍ ويتملى في أوضاعها المختلفة فيحكم عليها حكماً صحيحاً .

فلتردَّ النفس في فتراتٍ إلى الشعور بالعجز وسط جبروت الكون وهول الطبيعة وإصرارها على قوانينها ، ودوامها في سلطانها ، حتى تشعر دائماً أنها في الكون شيء ربما يكون غير مذكور .. ولنأخذ من العـدل قوانين تعدل قوانين القوة والبطش التي لا يدين الناس لغيرها

وليكن ما في العجز من ظلال عكسية لأوضاع القوة في الحياة سبيلاً لإيقاظنا إلى واجبات لا نراها إلا في هذه الظلال ، تلك الواجبات التي لا تسوقنا إليها القوة ، وإنما تسوقنا إليها الرحمـة .

عبد المنعم خلاف

لا إله إلا الله : لاينفع ولا يضر إلا الله ، فلا تخش فى الحق غيره ، ولا تذلّ فى الرجاء لسواه .

لا إله إلا الله : هو القادر فلا تخف أحداً إن كنت معه ، هو البصير فلا تستتر بذنبك منه ، هو الرحمن فلا تيأس من رحمته ، هو الجبار فلا تأمن غضبه ، هو معك حيثما كنت يراك أبداً فاعبده كأنك تراه . هو الخالق البارئ المصور ، أعطاك البصر فلا تنظر به إلى عورة ، والسمع فلا تلقه إلى سوء ، واللسان فلا تحركه بمحرّم ، واليد فلا تستعملها فى عدوان ، والرجل فلا تمش بها إلى ظلم ، والبطن فلا تدخل فيه إلا حلالا ، وأنت منه وإليه لا تخرج لك عن ملكه . وهو المحيى المميت ، منحك الحياة فلا تنفق دقيقة منها فيما يكره ، وكتب عليك الموت فاذكره أبداً وتهيأ له ولا تنس أنه ملاقيك !

لقد كانوا أذكياء ففهموا معناها ، وكانوا أشرافاً فلم يحبوا أن يقولوا بأفواههم ، ما لا يحققونه بأفعالهم ، ولذلك استسهلوا القتل واليتم والثكل عن النطق بها ، ثم لما أعدهم الله لها ، وكتب السعادة لهم فقالوها ، صاروا بها سادة الدنيا ، وخلاصة الإنسانية ، وملائكة البشر .

ونحن يا سيدى يا رسول الله ، نحن نقولها كل يوم ، على منائرنا ومنابرنا ، وفى أسواقنا ومنازلنا ، وعند دهشتنا ومسرتنا ، لا نرى كلمة أخف منها على اللسان ، ولكنها لا تجاوز ألسنتنا ، ولا تبلغ أفئدتنا ، ولا يكون لها أثر فى حياتنا فهل نحن مسلمون ؟

وجئتهم بالقرآن فحاربوه ، ومنعوا القارئين أن يتلوه ، وفروا منه حتى لا يسمعوه ، ولكنهم كانوا إذا وقعت إلى أحدهم الآيات منه ، بدلته تبديلا وجعلته رجلا آخر : أقبل عمر الغليظ الجافى ، عدو الإسلام الألد ، ليأتى الجريمة الكبرى ، فسمع آيات معدودات ، فإذا هو ينقلب إلى عمر المؤمن الرقيق العبقرى الذى أدار وحده إحدى عشرة حكومة من حكومات هذه الأيام بسلمها وحربها ، وقضائها وماليتها ، وداخليتها وخارجيتها ، وجليل أمرها وحقيره ، ما قصر فى شىء منه ولا أساء ، فكان نادرة الزمان ، وأعجوبة الفلك ، ونحن نسمع المرتلين يتلون القرآن فى كل لحظة وفى كل مكان ، فى الأفراح والأتراح والحفلات والإذاعات ، بحلوق لعلها أندى من حلق قارىء عمر ، ونغمات أحلى ، وأصوات أشجى ، ومعرفة بالتجويد وضبط للمخارج والأداء ، وبصر بالألحان ، ولكنها لا تصنع بنا ما صنعت بعمر ، ما نجد لها إلا الاهتزاز والطرب ، كما نهتز لكل أغنية حلوة تسمعها آذاننا ، ونطرب لكل صوت شجى تعيه أسماعنا ، ثم نقوم عنها فنمضى فى الحياة حيث توجهنا عقولنا وأهواؤنا ، فهل نحن مسلمون ؟

ودعوتهم إلى الإيمان ، فآمنوا بالله إيمان مراقبة وخشية وتقى ، واستحيوا منه أن يراهم عاصين مخالفين ، فاستقاموا على الطريقة ، وجعلوا أهواءهم تبعاً لما جئتهم به ، فإذا غلبتهم نفوسهم فألموا بذنب ، ومن هو الذى لا يذنب ؟ تابوا إلى الله وأنابوا ، ولم يصروا ويستمروا .

وآمنوا بالملائكة ، فتشبهوا بهم ما استطاعوا فى طاعتهم وعبادتهم ، وأحيوا الملكية فى نفوسهم ، فماتت بحياتها البهيمية والشيطانية ، ورب إنسان هو أقرب إلى البهيمة وأدنى إلى الشيطان ...

وآمنوا بالكتب ، وصدقوا بالقرآن ، فتلوه تلاوة تدبر واستنباط ، فأتوا ما أمر به وانتهوا عما نهى عنه ، وجعلوه لهم إماماً ، وحاكما مطاعاً .

وآمنوا بالرسل وبك خاتمهم وإمامهم ، فاستمعوا لقولك ، وأطاعوا أمرك ، واتبعوا سنتك ، وكنت أحبّ إليهم من آبائهم وأبنائهم ومن نفوسهم التى بين جوانبهم .

وآمنوا بالقضاء والقدر ، فسعوا للدنيا سعيها ، وطلبوا المال من حله ، وأعدّوا للعدو ما استطاعوا من القوة ، ولم يدخروا وسعاً فى سعى ولا طلب ولا إعداد ، ولكنهم رضوا بما قدر الله عليهم بعدُ من نتائج ، وما قسم لهم من حظوظ ، ولم يجعلوا الدنيا أكبر همهم ، ولا منتهى أملهم ، ولم يتكلوا على المال ولا الولد ، لأن الله هو المعطى المانع ، ولم يتكالبوا على الدنيا لأن الله هو المطعم الرازق ، ولم يقعدوا عن الجهاد خوف الموت ، لأن الأعمار بيد الله ، فلا تموت نفس حتى يجىء أجلها .

فكان إيمانهم ظاهراً فى كل عمل من أعمالهم ، وفى كل لحظة من أعمارهم ، فى عبادتهم يخلصونها لله لا يريدون بها إلا وجهه ، فلا يتبعون بها عادة ، ولا يبتغون بها رياء ، وفى معاملتهم الناس لا يغشونهم ولا يظلمونهم ، ولا يكذبونهم ولا يؤذونهم وفى بيوتهم وأسواقهم ، وسفرهم وحضرهم . وصحتهم ومرضهم ،

وأسرارهم وأعلانهم فهل نحن مؤمنون كإيمانهم ؟

يا سيدى يا رسول الله ، لقد أقمت الإسلام على خمسة أركان فما زال الشيطان يغرينا بأركانه الخمسة حتى هدمناها أو أزلزلناها ، فكان فينا من يقول كلمة الشهادة ولا يؤدى حقها ، ومن يدعى الإسلام ولا يصلى ، ومن يصلى بجوارحه ولسانه لا بقلبه وجنانه ، يقوم إلى الصلاة ليستريح منها لا ليستريح بها ، لا يجد فيها أنس نفسه ولا قرة عينه ، فلا تنهاه صلاته عن فحشاء ولا منكر ، فكأنه ما وقف بين يدى الله ، ولا ناجى بلسانه مولاه ، ومن يدعى الإسلام ولا يصوم ، ومن يصوم عن أكله وشربه ، لا يصوم عن قول الزور والعمل به ، ولا يسلم المسلمون من لسان صائماً ولا يده ، فلا يرقق له الصوم له قلباً فيعطف على جائع ، أو يحسن إلى فقير ومن يدعى الإسلام ولا يزكى ولا يحج ، ومن يحج ليسيح فيرى البلاد ، ويتجر فيجمع المال ، ويكسب من حجه الذكر والجاه ما طهر بالحج قلبه ، ولا غسل ذنبه ، ولا أرضى ربه .

وتركتنا على بيضاء نقية ليلها كنهارها ، حلالها بين وحرامها بين ، وقلت لنا إن لكل ملك حمى ، وإن حمى الله محارمه ، ونهيتنا أن نحوم حول الحمى لئلا نقع فيه ، فتعدينا حدود الله ودخلنا حماه ، وأتينا المعاصى جهاراً نهاراً ، لا نخشى عاراً ، ولا نخاف ناراً ، ولا رباً جباراً ، بلغتنا قانون الله الذى أنزله لنحكم به ، وسقت إلينا أشد الوعيد ، وأبلغ التهديد ، إن نحن لم نحكم به ، فتركناه وحكمنا بقانون فرنسة . فهل نحن مسلمون ؟ !

يا سيدى يا رسول الله صلى الله وسلم عليك .

لقد كان معك أربعون تخفيهم دار الأرقم فى أصل الصفا ، فأظهرهم الحق حتى فتحوا المشرق والمغرب ، وكان لك منبر واحد درجات من الخشب لا مزخرفات ولا منقوشات ، فأسمعت منه الدنيا كلها صوت الحق ، دعوتها فلبت ، وأمرتها فأطاعت ، ولنا اليوم مائة ألف منبر ، فيها النقش البارع ، والزخرف الرائع يعلوها الخطباء فينادون : « يا أيها الناس اتقوا الله » . فلا يتقى أحد ، لأن الخطيب ما قال إلا بلسانه ، والمصلى ما استمع إلا بآذانه قد فسد العلماء فهم يعلمون ولا يعملون ، ويزهّدون من الدنيا ولا يزهدون ، ويقولون : « الساكت عن الحق شيطان أخرس » . ويسكتون ، ويتلون : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ويذلون للوزراء والأغنياء والسلاطين . فسد العلماء ففسد الناس فمن أين ينتقى الصلاح ؟

فنحن اليوم أربعمائة ألف ألف ، أمرنا بالجهاد لنفتح الدنيا فقعدنا حتى فتح العدو أرضنا ، وملك ديارنا ، وحكم رقابنا ، ولا نزال قاعدين نلهو ونلعب ، نعينه على أنفسنا ، ونهدم معه دورنا وديننا بأيدينا ، وننظر مالم يأتنا هو به من شروره ، فنأخذه نحن بأنفسنا : أخذنا قوانينه وتركنا لها قرآننا ، وعاداته وتركنا لها أخلاقنا ، وفسوقه فأضعنا فيه أعراضنا .

وقد غدونا دولا وحكومات وأحزاباً وجماعات ، وما المسلمون إلا أخوة فى أسرة واحدة ، وما هم إلا أحجار البناء المرصوص يشد بعضه بعضا .

* * *

ولكننا لم ننسَ أن نحتفل بمولدك ، وأن ننصب الأعلام ، ونذبح الأنعام ، ونجتمع على الخطب والكلام ، والشراب والطعام ، فهل يكفر هذا ما أذنبنا ؟ هل يعجبك يا رسول الله ما فعلنا ؟ هل يرضى به ربك عنا ؟ !

يا رسول الله ! لقد ركبتنا ظلمات فوق ظلمات ، وحاقت بنا مصائب بعد مصائب ، وخفت صوت المصلحين ، وعلا نداء الضالين المضلين ، وتوارى الحق وجال الباطل ، فما العمل ؟ ضاقت الحيل ، وضعف الأمل ، وانسدت طرق الأرض ولم يبق إلا طريق السماء ؟ !

(القاهرة) على الطنطاوى

الأدب في سير أعلامه :

# تولســــتوى . . . !

[ قمة من القمم الشوامخ في أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه ]

للأستاذ محمود الخفيف

— ١ —

## طفولة ونسب



أطل من نافذة قصر أنيق أقيم على مرتفع في ضيعة ياسنايابوليانا الجميلة، طفل في الخامسة من عمره ، وقد أعجبه ذلك المنظر البهيج من حوله ، ذلك المنظر الذي ألفته نفسه وباتت تأنس به روحه ويتعلق بجماله حسه .

كان الطفل يمد عينيه الصغيرتين الحالمتين إلى كل ما يحيط به إلى الغابات التي تتناثر هنا وهناك ، وإلى النهر الذي تنثني صفحته بين هاتيك الغابات فيظهر لعينيه جزء منه وتتوارى خلف الشجر أجزاء ، ثم إلى القرية الهادئة التي تتراءى لعينيه من بين الخمائل تحيط بهـا على مقربة من النهر برك صغيرة وأخرى كبيرة ، وتبدو كنيستها المتواضعة بجانب الأكواخ والعشش الصغيرة المبنية من الطين وجـذوع الشجر ، والتي يفصل بينها طريق عريض هو طريق القرية الرئيسي ؛ ثم يمد الطفل عينيه إلى ذلك الطريق البعيد الذي سمع عنه فيما سمع أنه ينتهي عند مدينة تولا على مسافة عشرة أميال إلى الشمال وهي مسافة يصورها له خياله طويلة بعيدة ؛ وكم يتمنى أن يرى مدينة تولا هذه التي يسمع عنها وعن حياتها الشيء الكثير . وثمة طريق آخر يمتد إليه بصره هو الطريق المؤدي إلى كييف ، وإنه ليتمنى أن يرى كييف تلك المدينة التي يذكر اسمها الناس في احترام وتقديس ، والتي يتقاطر إليها الحجاج مارين بضيعة أبيه في هذا الطريق القديم ...

وإذا رد الطفل بصره وقع على الطريق المنحدر من القصر تحيط به أشجار الليمون ويقوم على جانبي مدخله برجان أبيضان جيلان . ولم يكد يتحول الطفل ببصره عما يرى حتى مشت في صفحة وجهه سحابة خفيفة من الهم ، فقد تذكر أن عهده باللعب قد انتهى كما أخبرته العمة تاتيانا ، وأنه من غده سيدخل حجرة الدراسة كل يوم في ساعة معينة من النهار فلا يبرحها إلا متى شاء معلمه أن يطلقه ... وهو منذ تلك السن يكره القيود كرهاً شديداً فكيف يطيق حجرة الدراسة ويطيق أن يأتمر بما يقضي به المعلم ؟ ذلك ما كان يكرب نفسه الصغيرة ، بعد أن أخذ ذلك المنظر بمجامع عينيه ، فهو يطل على مسارح لعبه ومجال حريته تحت هاتيك الخمائل وفي فناء ذلك القصر .

ولكن الصبي يعود فيذكر أن لا بأس من حجرة الدراسة وما فيها ؛ أو ليس معنى غدوه إليها أنه يغدو كبيراً فيقرأ ويكتب كما يقرأ إخوته ويكتبون ؟ فلا يدل عليه أحدهم بشيء ينقصه هو ولا حيلة له في هـذا النقص ، ولا يفاخره منهم أحد بكتبه ودفاتره فسوف تكون له كتب ودفاتر . وتطيب نفس الصبي بهذه الأفكار فهو يكره أشد الكره أن يتفاخر عليه أحد ، أو أن يشعر أنه دون من يحيطون به . وكثيراً ما دمعت عيناه غيظاً إذ يرى لغيره من دواعي الفخر ما ليس له . وهو سريع البكاء إذا غيظ لأنه لا يحب أن يغيظ أحـداً . فليقبل إذاً على حجرة الدراسة في غير نكد بل ليقبل عليها في ارتياح . هكذا توحي إليه كبرياء نفسه الصغيرة ، وإنه منذ صغره لذو كبرياء ، وإن كان إذا غضب سريع البكاء .

وكان للطفل واسمه ليو ، ثلاثة إخوة أكبر منـه وأخت هو أكبر منها . أما إخوته فهم : نيقولا وكان يكبره بخمسة أعوام ، وسيرجي وكان يكبره بعامين ونصف عام ، وديمتري وكان يكبره بعام وأربعة أشهر ، وأما أخته فهي ماريا ، وكانت دونه بسنة ونصف سنة .

وكانت تعيش مع صغار الأسرة بنت ليست منها وهي بنت غير سفيحة لأحد الأصدقاء المقربين من عميدها ، وكان أبناء الأسرة يحسنون معاملتها كما لو كانت أختاً لهم ، وماذا تصنع غير ذلك نفوس بريئة كهاتيك النفوس التي لم تدر بعد لؤم الحياة ؟ . .

هؤلاء هم أفراد الأسرة الصغار ؛ فأما الكبار ففي مقدمتهم أبوه ، ثم تأتي بعد أبيه العمة تاتيانا ، ولم يعرف الصبي منذ بدأ إدراكه أماً له غيرها ، فقد ماتت أمه كما يذكر أحياناً أخوه نيقولا في همس وحزن عقب مولد أخته الصغيرة بأيام .

وهناك جدته لأبيه وهي تعيش في هذا القصر منذ مات زوجها ، ثم عمته ألين التي جاءت لتعيش في حماية أخيها بعد أن أصيب زوجها بالجنون فقد بلغ به الجنون أن أطلق الرصاص ذات يوم على صدرها . وكانت ألين هذه عمته حقاً ، أما تاتيانا فكان يناديها بالعمة كما يفعل إخوته ؛ ولكن نيقولا يفهمه ذات مرة أنها ليست عمتهما فهي ليست أختاً لأبيهما فيعجب ليو لماذا إذاً يدعوها الجميع عمتهم ولا يدرك مكانها من أبيه ولا موضعها من الأسرة ، ولعل نيقولا كذلك لم يكن أقل منه جهلا بهذا الأمر . وكيف يتسنى له أن يعرف أن أباه أحبها في صدر شبابه وأنها أحبته ولكنها أفسحت له الطريق ليتزوج بسيدة غنية يصلح بثروتها حال معيشته إذ رأت منه هذا الميل على الرغم من حبه إياها حباً وثقت منه ؛ وكانت تلك السيدة الغنية هي أمه ، فلما ماتت أمه عاد أبوه يطلب يدها فرفضت أن تتزوجه ولكنها وعدت أن تكون أماً أخرى لبنيه ، وها هي ذي تبر بوعدها فتكون لهم أماً في مكان أمهم .

لم يكن يعرف ذلك نيقولا مفصلا هذا التفصيل فما يجدر أن يتحدث إلى الأطفال بمثل هذه الأمور ، وحسب أولئك الأطفال أنها تحبهم وأنهم يحبونها حباً شديداً ، وعلى الأخص ليو فقد كان شديد الحب لها قوى التودد إليها ...

على أن عطف العمة تاتيانا عليه لم يشغله منذ هذه السن الباكرة عن التفكر في أنها ليست أمه ، وإن كان يرى منها مثلما يرى الأطفال من أمهاتهم ؛ وإنه ليسأل نفسه أين أمه ؟ لقد ذكر له نيقولا مرات أنها ماتت وإنه ليرى على وجه نيقولا أمارات الغم كما أشار إلى ذلك ويرى كذلك دلائل الرهبة والألم . فما هذا الموت الذي حرمه من أمه ؟ إن خياله يصوره له شيئاً كريهاً مخيفاً وإنه ليخاف من إسمه وينفر منه ولكنه لا يدري ما هو .

وإن الطفل ليرهف أذنيه كلما تحدث متحدث عن أمه ، ولئن كان يحزنه أنه لم يرها فإنه يطيب نفساً بما يسمع من صفاتها والثناء عليها ، وإنه ليجد من عطف عمته تاتيانا ما يخفف حزنه ؛ ثم إنه ليزداد حباً لهذه العمة كلما سمعها تذكر بالخير أمه ، وتظهر الأسف على فقدها بكلماتها أو بما يبدو من صور الهم على ملامح وجهها ..

وتقع عينا الطفل في القصر على عدد من المربين والمربيات ، ومن الخدم على اختلاف مراتبهم وتنوع أعمالهم ؛ ويجد لأبيه السيطرة على هؤلاء جميعاً ، فما يلقاه أحد منهم إلا بعبارات التجلة وتحيات الاحترام ، فيداخل نفس الطفل شعور الفخر بجاه أبيه وعظمته ، ثم إنه إذا مثل بعض هؤلاء الفلاحين الذين يسكنون القرية القريبة بين يدي أبيه رآهم يحنون رؤوسهم خاشعين ، ويخاطبونه بألقاب السيادة والعظمة ، والسعيد منهم من ظفر بلثم يده إذا شاء أن يمدها إليه ، ويعجب إذ يرى أباه يخاطبهم أحياناً في ازدراء ويعنف عليهم في لهجة الأمر والنهي ، ويتساءل بينه وبين نفسه لم يترفع عليهم أبوه هذا الترفع ، ولم لا يعاملهم كما يعاملونه ، ولكن نيقولا يخبره إذا سأله أن الفلاحين في الضيعة كلها ملك أبيه وملك أجداده كما حدثته بذلك العمة تاتيانا .

على أنه يعلم فيما يعلم أن القصر والضيعة كانا من أملاك أمه ورثتهما عن آبائها من أسرة فولكنسكي ، ولكن رأسه الصغير لا يتسع لما يقال عن نسب أمه ونسب أبيه ، وإن أخاه نيقولا نفسه الذي كثيراً ما علمه ما لم يكن يعلم يبدو منه العجز والتناقض إذا تحدث عن هذا النسب ، ولا تحدثه العمة تاتيانا عنه إلا بقدر ما تعتقد أنه يفهم .

***

لم يكن يستطيع الطفل في تلك السن أن يدرك حديث نسب أبيه ونسب أمه فإنه حديث طويل وتاريخ قديم ...

كان بطرس أندرفتش تولستوي أول فرع سامق من فروع أسرة تولستوي التي نبت أصلها في ألمانيا من زمن بعيد ؛ وقد

بدأ سموق هـذا الفرع فى عهد العاهل العظيم بطرس الأكبر الذى ولى أمر الروسيا فى أواخر القرن السابع عشر .

حارب بطرس أندروفتش تولستوى فى معركة أزوف عام ١٦٩٦ ؛ وأرسله القيصر بعد ذلك إلى أوروبا ليتعلم بناء السفن ؛ وفى مستهل القرن الثامن عشر عينه سفيرا لروسيا لدى الباب العالى ، ولما اشتبكت الدولتان فى حرب عام ١٧١٠ ألقى به فى سجن الأبراج السبعة ، وكان يلقى فيه السلطان بالسفراء الذين يكون بينه وبين دولهم حرب ، ولما عاد بطرس إلى بلاده عام ١٧١٤ وصل إلى منصب الوزارة ...

ولم ينس العاهل الجبار بطرس الأكبر صنيع وزيره هذا إذ أرسله إلى إيطاليا ليعود بابنه أليكسى ، وكان قد هرب من بلاده خوفاً من غضب أبيه عليه لما كان من معارضته إياه فى إصلاحاته ، ولم يزل به ذلك الوزير الماكر يغريه ويمنيه ، ويستعين عليه سراً بخليلته حتى عاد به إلى روسيا حيث أسلمه إلى الموت نـكال أبيه ، وجزى بطرس رسوله بالمال والضياع المترامية . ومما يروى عن القيصر العظيم أنه فى أواخر أيامه كان يمس بكفه رأس وزيره قائلا : « أيها الرأس ... ! أيها الرأس ، لولا ما أنت عليه من مهارة لمضى اليـوم زمن طويل على الاطاحة بك من فوق كتفيك » .

ويأتى دوران الفلك إلى عرش روسيا بنجل أليكسى بعد ، فيـكون أول ما يعنى به القيصر الجديد أن يقتص من ذلك الذى خدع أباه حتى جره إلى مواطن الحتف ، ولئن سقاه أمس جده الـكأس عسلا فانه اليوم يجرعه إياها علقماً ، فقد جرده من ألقاب شرفه ونفاه إلى أركينجل نفياً لم تـكن منه عودة ...

على أن ذلك الفلك الدوار يضع على العرش عام ١٧٤١ القيصرة إليزابت إبنة بطرس الأكبر فترد إلى أسرة تولستوى شرفها وضياعها فى شخص أندرو إيفانوفتش تولستوى حفيد ذلك الذى قضى نحبه فى أركينجل .

وينمو من هذا الفرع الجديد السامق فرع هزيل رخو هو ابنه إليا تولستوى ، فلقد كان ماجناً مستهتراً ضيق العقل ، بسط يده كل البسط فى ثروته العظيمه فبددها ، ثم بدد بعدها ثروة زوجه الغنية ، ولولا أن تداركه بعض ذوى النفوذ والثراء من أقربائه لحاق به سوء ما فعل ، فبفضل هؤلاء عين إليا تولستوى حاكما لقازان واستطاع أن يسترد بعض ما فقد ...

ورزق حاكم قازان بغلام سماه نيقولا ، وترك له بعد موته ما بقى من أملاك الأسرة ، وفى عهـد نيقولا هذا وهنت ثروة الأسرة وهناً شديداً ولـكن لم تـكن له يد فى ذلك وإنما حدث هذا بسبب غيابه إذ أسره الفرنسيون ، وكان لم يتجاوز الثامنة عشرة أثناء حملة نابليون على روسيا ، وظل سجيناً بفرنسا حتى غلب نابليون على أمره فأطلقت سراحه جيوش الحلفاء الظافرة بعد دخولها باريس ... ولم يجد نيقولا مايرأب به ما تصدع ويصلح ما فسد خيراً من زواجه بذات ثراء ، وتم له ذلك بزواجه من مارى فولـكنسكى العظيمة الثراء الـكريمة المحتد .

وكان لأسرة فولـكنسكى إلى الثروة وعراقة الأصل ، الشمم والبطولة وقوة الروح واستقلال الرأى وصرامة العزم فتلك خلال ظهرت كلها أو بعضها فى أفرادها ، ومن هؤلاء ثائر اشترك فى ثورة الديسمبريين وعوقب بالنفى ثلاثين عاماً فى سيبيريا حيث صحبته زوجته عن طوع ، ومنهم ابن عم له خاض المعارك ضد نابليون فى حماسة وبسالة أعجب بهما نابليون إعجاباً حمله على أن يرسل فى طلبه وهو جريح أسـير وعرض عليه أن يرد إليه حريته إذا قطع على نفسه عهداً ألا يحاربه مدة عامين ولـكنه رفض هذا العرض فى شمم وكبرياء ...

وعرفت كذلك أسرة فولـكنسكى بصلة النسب بين كثير من أفرادها وبعض ذوى المقدرة الفنية من المؤرخين والأدباء والنقاد والشعراء ، وكانت تربط مارى فولـكنسكى وشائج الرحم من بُعد بشاعر روسيا الأكبر بوشكين .

وكانت ضيعة ياسنايا بوليانا من نصيب مارى فولـكنسكى عند زفافها إلى نيقولا تولستوى نالتها من أبيهـا كما نالت ذلك القصر الأنيق الذى استقرت فيه وزوجها عقب زواجهما ، وكان ذلك القصر الأنيق الذى تستوقف الأعين أخشابه الزاهية اللون فى وسطه ويمتد جناحاه الحجريان العظيمان يمنة ويسرة إلى مسافة بعيدة ، يقع فوق مرتفع على مقربة من الضيعة . وفى اليوم الثامن والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٨٢٨ ولد فيـه ذلك الغلام الذى يقف الآن وهو فى الخامسة من عمره يطل من شرفته على الضيعة والنهر والغابات والقرية القريبة ، ويذكر ما أخبرته به العمة تاتيانا فى رفق وهو أنه لم يعد بعـد صغيراً وأنه سيدخل حجرة الدراسة من غده فلا يبرحها إلا متى شاء معلمه أن يطلقه .

( يتبع )

الخفيف

# اكتبوا للأطفال

للأديب محمد سعيد كيلاني

الشبان عندنا منصرفون عن كتب الأدب ، وفيها زاهدون بل إن طلبة الجامعة ينظرون شزراً إلى قسم اللغة العربية ، ويركبونه — غفر الله لهم — بالدعابة والسخرية .

ولا غرابة فى ذلك فإننا لم ننشئهم تنشئة تطبعهم على احترام لغتنا القومية ، وحب هذا التراث القيم من نظم ونثر . أجل ! لقد أهملنا تغذية عقول أطفالنا إهمالا شنيعاً فى حين أن الأمم الأوربية اهتمت بهذا النوع من التأليف وأنفقت فى سبيل ذلك أموالا طائلة .

## ١ — فرنسا :

وكانت فرنسا أسبق هذه الأمم إلى إخراج كتب للأطفال . ففى القرن السابع عشر جلس على عرش تلك البلاد الملك العظيم لويس الرابع عشر .

وفى عصره ظهر عدد كبير من الكتاب والشعراء ، وألفت مسرحيات رائعة ، ونهض غير واحد من الكتاب بالتأليف للأطفال ، ونخص بالذكر منهم « بيرو » الشاعر المعروف والعضو بالأكاديما الفرنسية ، فقد أخرج بعض القصص بأسلوب سهل وعبارة جذابة ، بيد أنه استنكف أن ينسبها إلى نفسه فنحلها ابنه . ثم أخرج مجموعة « أقاصيص وحكايات الزمان الماضى » باسمه هو لا باسم ابنه كما فعل من قبل .

ومضى بعد وفاة « بيرو » زمن طويل لم يعن فيه أحد بإخراج شىء من أدب الأطفال حتى جاء القرن الثامن عشر فظهرت « لبرنس دى بومون » وكانت تزاول تعليم الأطفال فى فرنسا فكتبت عدداً عظيما من القصص ، ولعل من أهمها قصة « مخزن الأطفال » ولكنها لم ترزق خيالا واسعاً ولا أسلوبا قويا ، فلا عجب أن اندثرت حكاياتها ولم يبق منها شىء يذكر .

وفى ذلك القرن ظهر « جان جاك روسو » ونشر آراءه فى تعليم الأطفال وتربيتهم فآمن بها كثيرن فى فرنسا وغيرها من البلدان . فقامت « مدام دى جنلس » (١٧٤٦ — ١٨٣٠) بتأليف كتب كثيرة للأطفال . وكانت تسير فى تعليمهم على مبادىء «روسو» . ولم تمن بتربية الخيال عندهم ولكنها حرصت حرصاً شديداً على سلامة أخلاقهم .

وظهر بين عامى (١٧٤٧ ١٧٩١) أديب كبير منح الأطفال قسطا كبيرا من عنايته فأنشأ لهم صحيفة خاصة بهم أطلق عليها « صديق الأطفال » وقد عرف هو نفسه بهذا اللقب . وامتاز بأسلوب فى منتهى السهولة واللين . ولم يكتف بما فى لغة بلاده بل نقل كثيراً مما ورد فى لغات الأمم الأخرى . وبهذا استطاع أن يسد فراغا كبيراً ، وأن يشبع رغبة الصغار فى القراءة

ولم تشرق شمس القرن التاسع عشر حتى كثر عدد الكتاب الذين زاولوا هذا النوع من التأليف .

وفى القرن العشرين بلغ عدد ما يطبع سنويا من قصص الأطفال بضعة ملايين ، كما أن الصحف الخاصة بهم كثرت وانتشرت فى كل مكان .

## ٢ — فى انجلترا :

ويغلب على الظن أن العناية بكتب الأطفال فى انجلترا بدأت بعد ظهورها بفرنسا . فأنشأ « نيوبرى » مكتبة خاصة للأطفال حوت كثيراً من الكتب التى تستهوى أفئدتهم ، ومن بينها قصص ألفت عن خرافات العصور الوسطى . ولما مرت تعاليم « روسو » و « لوك » وغيرهما من المفكرين إلى بلاد الإنجليز تأثر بها كتابهم إلى أبعد حد . ولا شك فى أن « توماس داى » كان من أعظم كتاب الإنجليز تأثرا بتعاليم « جان جاك روسو» وقد ألف للأطفال قصة دعاها «ستانفورد ومرتون» تدور حول غلام سىء الأخلاق والتربية يدعى « توماس مرتون » وهو من أب انجليزى هاجر إلى الهند وأثرى ثراء عظيما . ولما رجع إلى بلاده نشأت صداقة بين ابنه هذا وبين ابن أحد جيرانه وهو « هارى ستانفورد » وكان حسن الأخلاق طيب التربية بفضل تعاليم قس القرية « المستر بارلو » ولما فطن والد « توماس » إلى

حقيقة الأمر ناط بهذا القس تعليم ابنه وتهذيبه . فنتج عن هذا أن أصبح الصبي « توماس » صالحا لا عوج في أخلاقه .

وظهر بعد « توماس داي » كتاب كثيرون منهم «دي فو» مؤلف قصة « روبنصن كروزو » التي نالت شهرة واسعة ونقلت إلى جميع لغات العالم وقام في كثير من البلاد الأوربية من قلدها ونسج على منوالها .

ولد « دي فو » سنة ١٦٦٠ وتوفي سنة ١٧٣١ واشتغل بالتجارة ولكنه أصيب بالفشل . واشتغل بغير التجارة فصادفه الإخفاق التام . وكان مشغوفا بالسياسة فأصدر في عام ١٧٠٣ نشرة أغضبت ملك الإنجليز فأمر بإلقاء القبض عليه ومحاكمته . وأخيراً اضطر إلى مغادرة لندن والالتجاء إلى الريف . وهناك كان يقضي وقته في الكتابة والتأليف . وفي سنة ١٧١٩ أخرج هذه القصة الشهيرة .

ثم ظهرت قصة رائعة أخرى وهي « أسفار جوليفر » لمؤلفها « سويفت » وكان هذا الكاتب فقيراً جداً . وحاول أن يشتغل بالسياسة ولكنه لم يفلح فاضطر إلى الرجوع إلى موطنه الأول ارلندا وفي سنة ١٧٢٩ أخرج هذه القصة في أسلوب مشرق الديباجة .

ثم تتابعت قصص الأطفال في انجلترا . ومن أشهرها « أليس في بلاد العجائب » لمؤلفها « لويس كارول » (١٨٦٥) و « بيتربان » ( ٢٦ ديسمبر ١٩٠٤ ) وغيرهما مما لا يتسع المجال لذكره . وظهرت صحف يخطئها العد للأطفال دون سواهم . وقد ساهم في تحريرها الأطفال من الأمراء والنبلاء .

**٣ — في الأمم الأخرى :**

وقد تسابقت الأمم الغربية الأخرى في هذا المضمار وقطعت فيه شوطا بعيدا . فأنشأت أمريكا مكاتب عامة للأطفال ووكلت إدارتها إلى فريق منهم . وتطبع في أمريكا ملايين القصص في كل عام ، وتصدر مئات الصحف التي يشرف عليها الأطفال وتدبجها أقلامهم .

واهتمت فنلندة وغيرها من أمم شمال أوربا بأدب الأطفال كل اهتمام . وامتازت قصصهم بخيال خصب ، ترى عليها مسحة من الهزل والطرافة ، ولوناً من الحزن يقربها إلى النفس . وممن برع من كتاب أهل الشمال في هذا الباب الأديب الفنلندي « اندرسن » الذي ولد عام ١٨٠٥ وتوفي عام ١٨٧٥ . ومن خير كتبه التي أخرجها للأطفال قصة « ملكة الثلج » .

ولم يقصر أهل الجنوب في هذا الميدان ، بل أعطوه قسطاً كبيراً من عنايتهم . وقد كان لقصص الأطفال أكبر تأثير في العمل على وحدة كل من إيطاليا وألمانيا . وامتازت قصص أهل الجنوب بالدرس والتحليل والبحث والتمحيص ، وتحكيم المنطق في كثير من الأمور ، فلم يكن للخيال عندهم نصيب مذكور .

**٤ — في الشرق :**

أما في الشرق فلم يمن أحد بالاتجاه في هذه الناحية وذلك لتفشي الأمية وعدم العناية بتثقيف النشء . وبقيت هذه الحال حتى عام ١٩٢٨ إذ قام في مصر الأديب المعروف الأستاذ كامل كيلاني فأوقف مجهوده ووقته لخدمة الأطفال فأخرج في ذلك العام قصة « جوليفر » في أسلوب سهل وضبطها بالشكل وحلاها بكثير من الصور فصادفت رواجا كبيراً شجعه على نقل غيرها من روائع الغرب . ثم اتجه هذا الأديب إلى ما ورد في اللغة العربية من نفائس القصص فبسطها وحذف منها ما لا يتفق مع عقليات الأطفال وأذواقهم فبدت شائقة جذابة ، وانتشرت في أنحاء الشرق العربي كما ترجمت إلى جميع اللغات الشرقية وبعض اللغات الأوربية وعلى هذا يمكننا أن نقول إن الأستاذ كامل كيلاني قد سد فراغا كبيراً كان من الضروري أن يُسد ، ووضع أساسا صالحا لأن نشيد فوقه بناء لا يتطرق إليه الخلل .

فما لا شك فيه أن أدباءنا الذين حصروا أنفسهم في الأدب العالي قد شيدوا الجدران والسقف قبل أن يضعوا الأساس . وهذا هو السر في إعراض شباننا عن قراءة كتب الأدب وانصرافهم إلى الروايات التافهة الساقطة التي تنقل عن الغرب .

محمد سيد كيلاني

# الأدب والفن في أسبوع

**تراجم جديدة للقرآن :**

ظهرت أخيراً ثلاث تراجم للقرآن الكريم ، الأولى باللغة الأنجليزية ، وقد قام بهذه الترجمة الشيخ عبد الله يوسف من رجال المفوضية السعودية بالولايات المتحدة ، وأشرف على طبعها الشيخ خليل الرواف ، وتقع هذه الترجمة فى مجلدين ، يشتمل كل منهما على ألف وخمسين صفحة .

والثانية باللغة الفرنسية ، وقد قام بطبعها المستشرق « ريجيس بلاشير » أستاذ الأدب العربى فى معهد الدراسات الأسلامية بباريس ، ومؤلف كتاب « نقاد المتنبى » .

والثالثة باللغة الأسبانية وقد قام بها الأستاذان « سيف الدين رحال » و« ستنيا غوم بير الله » ، وتقع فى ثلاثة أجزاء ، وقد كتب المترجمان للترجمة عدة مقدمات باللغتين الأسبانية والعربية تناولا فيها اعجاز القرآن وتاريخ الأنبياء وروح الأسلام وما تضمنه القرآن من نظريات فى العلم والاجتماع والعمران .

وللقرآن تراجم كثيرة فى كل لغة ، ثم هو لا يزال مقصد المترجمين وموضع اهتمامهم ، ونحن نذكر أنه منذ سنوات قامت ضجة كبيرة فى مصر بين العلماء حول ترجمة القرآن ، ونذكر أن الرأى اتجه يومذاك إلى ما سموه بترجمة معانى القرآن ، ووضع مشروع رسمى لهذا ، وألفت لجنة من المختصين لتضطلع بهذه المهمة ، وأرصد لها المال اللازم فى ميزانية الدولة ، وقالوا إن هذه اللجنة باشرت عملها فعلا ، وانتظرنا ، ثم انتظرنا ، وإلى اليوم لم نر أى أثر لهذا كله ، ولم نسمع أدنى خبر عن تلك اللجنة !! ولسنا ندرى ما الذى عطل ذلك المشروع وعاق سبيله .

إن ترجمة القرآن ، أو معانى القرآن كما يقولون أصبحت ضرورة لازمة وواجباً يتحتم علينا أداؤه ، وإن من المحتم أن تكون هناك ترجمة مقومة مصححة ينهض بها علماء ثقات فى علوم القرآن وإدراك أسراره ، ويجب أن تكون هذه الترجمة بجميع اللغات الحية الذائعة ، أما أن نظل جامدين ، ونترك الباب مفتوحاً للمستشرقين ولغيرهم من أصحاب الجهود الفردية يترجمون القرآن كما يشاءون وعلى قدر ما يفهمون ، فأننا لا شك نجنى على القرآن الكريم بجمودنا وإهمالنا . وإذا كان الأزهر — وهو أكبر جامعة إسلامية — لم يستطع أن ينهض بهذا ، ولم يمكنه أن يمضى فى ذلك المشروع الذى وضع من قبل ، فأن لنا كبير الأمل فى الجامعة العربية أن تحمل هذه المهمة ضمن غاياتها الثقافية .

**مصر التى علمت العالم :**

أشرنا فى عدد سابق إلى وصول الأديب الفرنسى الكبير « جورج ديهاميل » إلى مصر ، وقلنا إنه سيذيع فى مصر عدة محاضرات ثقافية ، ونقول اليوم إنه ألقى فعلا ثلاث محاضرات كلها إشادة بالثقافة الفرنسية وتمجيد لآثارها فى الفن والأدب وخدمة الأنسانية ؛ ولكن أسلوب « ديهاميل » الرائع البارع يضفى عليها جدة وخلابة ، وقد عرض « ديهاميل » فى إحدى محاضراته هذه إلى الحديث عن مصر القديمة بأسلوب طلى فقال :

« قلما تدهشنى مناظر الأرض حين أراها من عل . حقاً إنها تبدو فى هذه الحال غريبة بمقتضى مقاييسنا الأنسانية ، وكثيراً ما أكون كلفاً بهذه الجغرافية المجردة ، ولكنى لا أتأثر بها إلا نادراً ، ومع ذلك فقد شعرت بتأثر لا شك فيه عند ما تكشفت لى دلتا النيل فجأة ، بعد أن أمضيت ساعات فوق صحراء جرداء عابسة . ولست أعزو هذا التأثر إلى شعورى بأنى استمدت مرة أخرى الحياة والخضرة وهما رمز الرجع الأبدى ، كلا ! فأن الذى هزنى وغير إحساسى فجأة أن ألمح هكذا وبنظرة واحدة بعد التنقل من حال إلى حال ، إحدى البقاع المقدسة التى انبعثت منها حضارة الغرب ، وهى مصر ... » .

« لقد تشكلت هذه الحضارة وتهذبت فى بطء على ضفاف النيل ، ثم انتشرت — كمياه النهر الكبير — فى شرق البحر المتوسط ، فبلغت الجزر ، وامتدت إلى آسيا الملساء ، وغزت شيئاً فشيئاً كل ما سماه « فاليرى » بحق : قارة البحر المتوسط ،

ومن هذا المكان قفزت إلى أوروبا كلها ، ومن شواطئها وثبت إلى القارات الأخرى ثم تهذبت هذه الحضارة تهذيباً كبيراً واسعاً على ممر الأيام ، وظلت مصر التي كان لها في المهد القديم مكانة مرموقة وهي غريبة عن أجيالنا ، فقصارى القول أنها ظلت في الظاهر — على الأقل — بعيدة عن الأسهام في البناء القريب الذي كرست له كل شعوب الغرب جهودها » .

« ولكن مصر البدائية هذه التي تبدو لنا غامضة كالطلسم ، والتي يتعذر فهمها على الرغم من جهود العلماء التي تبعث الإعجاب ، قد علمتنا درساً كبيراً في الماضي ، ولا تزال تعلمنا هذا الدرس إلى اليوم ، وإلى آخر الدهر ، هذا الدرس الذي يخطىء هذا المجتمع المتحضر كل الخطأ إذا هو غمطه ، فقد أرتنا منذ بداية التاريخ أن من أهم ما يجب على الإنسان أن يجاهد من أجله ، هو أن يستخلص من النسيان شيئاً ، وأن يخلف من شخصه أو من جهده أثراً خالداً . وكثير من الناس يشيرون في كل وقت إلى الخلود والأبدية ، ولكن كثيراً منهم لا يفرقون بين الخلود والأبدية ، فهم حين يستعملون هاتين الكلمتين اللتين تبعثان في النفس الرهبة والخشية إنما يعربون في بساطة ساخرة أو مستترة عن اعتقادهم بأنهم فانون،وعن رغبتهم كذلك في أن يظلوا أحياء بعد موت غيرهم ، إن لم يكن بأشخاصهم فلا أقل من أن يكون بأثر من آثارهم يحيي ذكراهم بعد مماتهم .. » .

« .. ذلك هو الدرس الذي تلقيه علينا مصر القديمة ، وقد عرفته من أول زيارة لها ، فبهرني وأنا أنظر من أجواء عالية فأرى النهر القديم ينساب في جلال بين آثار إنسانية باقية . ولا شك عندي أن أكثرها دواماً وخلوداً تلك التي خلفها لنا الألى لا نكاد نعرف عنهم شيئاً إلا أنهم دفنوا أحقادهم وكل أمر يدعو إلى الخصام .. » .

**كتاب له قصة :**

في العدد السابق من « الرسالة » أشرت إلى ما نهض به السيد محمد كرد على بك في نشر وتحقيق كتاب « المستجاد من فعلات الأجواد » للمحسن بن علي التنوخي ، وأشدت بهذا الصنيع على أنه مأثرة حميدة في خدمة التراث العربي ، وبعث آثاره المطمورة ، ووصل حلقاته المفقودة .

وقد حدثني أديب فاضل بقصة عجيبة غريبة عن نشر هذا الكتاب قال : « لقد كانت الفكرة في هذا فكرة الأديب الباحث الأستاذ السيد صقر ، فهو الذي جمع أصول الكتاب ، وقام بتصحيحه وتحقيقه ، وتأهب لنشره ، وأعلن ذلك في الصحف لأهل العلم والأدب ، وكان قد التقى في العام الماضي بالسيد كرد على بك وأطلعه على هذه الغاية ، وطلب منه أن يفيده بما لديه من خبرة في ذلك .. ومضت أيام ، وبينا الأستاذ صقر ماض في خطته إذا بنبأ من الشام يقول حسبك ، فأن الأستاذ كرد على قد قام بنشر الكتاب . وإن أخانا صقرا الحائر فلا يدرى ما ذا يصنع؟ أيصرف نفسه عن هذه الغاية على ما بذل في الكتاب من جهد وعناء ، أم يقوم بنشر الكتاب وفيه ما أسدى وأفاد »

قلت إنها قصة تروى .. وإني لأعرف من أمثالها كثيرات ، ولكني أقول ما قال « الجاحظ » من قبل « ولولا أن أكون عيابا ، وللعلماء خاصة ، لأريتك من هو أبو عبيدة ، ومن هو في وهمك أبعد من أبي عبيدة » .

فحسب أخينا الأديب صقر ما قدم ، ولعله يحتسبها إحدى « فعلات الأجواد » وإن كان صنيع شيخنا كرد على ليس « بالمستجاد » .. وإن مما يروى عن عبد الله بن الزبير أنه دخل على معاوية فأنشده لنفسه ..

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته
على طرف الهجران إن كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه
إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

ثم دخل معن بن أوس وأنشده قصيدته التي مطلعها :

لعمرك ما أدرى وإني لأوجل
على أينا تعدو المنية أول

حتى أتى عليها وفيها البيتان السابقان بلفظهما ، فأقبل معاوية

على عبد الله بن الزبير قائلا : ألم تخبرنى أنهما لك ! فقال : نعم ، وهو أخى من الرضاع ، وأنا أحق الناس بشعره ! . .

**حرية الرأى والحكومة :**

أخرج الأديب اللبنانى الأستاذ « مارون عبود » كتاباً بعنوان « الرؤوس » تناول فيه العرب وعاداتهم وتقاليدهم وطرق معيشتهم وأوضاعهم بأسلوب سفساف ، تجاوز الحق والأنصاف

وقد تناولت إحدى المجلات « السورية » هذا الكتاب بالنقد ، فوصفته بأنه « باطل جرىء فى لفظ بذىء » ، ونعت على مؤلفه أن يشوه الحقائق استجابة لنزعة طائفية ممقوتة ، ثم قالت : « ونحن نلفت نظر حكومة لبنان الرشيدة إلى أن الحرية لا تمنح إلا ضمن إطار محدود ومقيد ، فمجال الأدب والأديب يتسع لكل قول لأن الأدب والأديب ليس وقفاً بين حدود طبيعية ، ولكن العناصر والأجناس والأديان والرسل لها مكانتها التى يجب أن تحفظ ، ويجب بالتالى أن يراقب كل ما يكتب بشأنها » !

وأنا أقول كلا ، فأنه مهما كان من إسفاف الرأى وضلاله ، وتهافت الحكم وانحلاله ، ومهما كان من المؤلف فى التجاوز والشطط والخلط ، فلا يصح بحال أن نستعين عليه بالحاكم ليردعه ، وبصاحب السلطان ليقنمه ، وإلا كان هذا اعترافاً منا بأن للرأى الفاسد قوة تمكنه من البقاء ، وتستحق منا كل هذا العناء .

لقد كان « ابن الراوندى » أشد اسفافا وأحط صنيعا ، فكان يصبح مع المسلمين ، ويضحى مع النصارى ، ثم هو فى الظهيرة مع اليهود ، وفى المساء مع المجوس ، ولا أدرى مع أى طائفة يكون فى الليل ، وكان يؤلف الكتب لكل فرقة على هواها ، فكان يلعن كل دين ، ويطعن على كل نبى ، ويصب على رؤوس الأجناس والعناصر السباب والشتم ، ومع هذا كله فقد وسعه الأسلام بسماحته ، واحتمله الحكم الأسلامى وهو فى عنفوان صولته ، ثم مات « ابن الراوندى » ، وطارت كل آثاره ومؤلفاته هباء فى الهواء ، ولو كان منها شىء ينفع الناس لمكث فى الأرض . .

ليس للفكرة التافهة أى ضمان للبقاء إلا أن نأبه بها ، ولولا أن « ابن الخياط » رد على « ابن الراوندى » فى كتابه « الانتصار » وتناول اراءه بالتفنيد ، لما بقى ظل لتلك الآراء على الأرض ، فهل تريد الزميلة السورية أن تجعل « لرؤوس المارون عبود » رجع الصدى فتهيب بالحكومة اللبنانية لتمحيصها ومحاسبته عليها ؟

**فن وتجارة ! ..**

أرسل الأستاذ يوسف وهبى بك بوصفه نقيباً لممثلى المسرح والسينما البرقية التالية إلى معالى وزير الشئون الاجتماعية ننشرها بنصها وبلغتها :

« نقابة ممثلى المسرح والسينما بالقاهرة تهيب بمعاليكم أن تدرأوا عن صناعة السينما المصرية ومستقبل آلاف المشتغلين بها الخطر الداهم من جراء السماح للشركات الأجنبية بعمل نسخ من أفلامها ناطقة باللغة العربية . إن المنافسة ستكون خطرة غادرة لعدم توازن القوى المادية والفنية بيننا وبينهم ، فنستصرخكم لشد أزرنا بأصدار قرار بمنع عرض هذه الأفلام فى دور السينما المصرية ، أبقاكم الله درعاً لحماية الفن والفنانين ! »

فأنت ترى من هذه البرقية أن نقيب الممثلين المسرحيين والسينمائيين يستصرخ ويستنجد ويستغيث بمعالى وزير الشئون الاجتماعية لمنع عرض « أفلام للشركات الأجنبية ناطقة باللغة العربية » لا لشىء إلا لامتيازها « المادى والفنى » على الأفلام المصرية ، مما يجعل المنافسة خطيرة ، ويجنى على مستقبل آلاف المشتغلين بالسينما فى مصر كما يقول حضرة النقيب .

والمعنى الواضح لهذا الكلام أن ما يسمونه فى مصر بالفن المسرحى والسينمائى ليس باباً للامتياز والأجادة والحرص على المثل الأعلى ، وإنما هو تجارة و « أكل عيش » لا أكثر ولا أقل ، ومتى صار الفن هو هذا ... فكل شىء جائز ، حتى ذلك الكلام الذى يقوله نقيب المسرحيين والسينمائيين .

إننا لا ندافع عن الأجنبى بأية حال من الأحوال ، ولو أن حضرة النقيب طلب إجراء بأزاء الأفلام التى تذاع بيننا باللغة الأجنبية لظاهرناه فى رأيه بدافع القومية على الأقل ، ولكنه يطالب بمنع « أفلام ناطقة باللغة العربية » ، ونحن نعرف أن الشركات الأجنبية بقوتها واستعدادها المادى والفنى ستخدم

اللغة العربية وستخدم الفن بيننا ، وستكون منافستها داعياً للأجادة وللقضاء على ذلك الفن الرخيص الذى هو أشبه بسامر الطبالين فى القرية . .

لا يا حضرة النقيب ، فأن الفن أجل وأطهر من أن يتدلى حتى يصبح مجرد تجارة ، وضماناً لأكل العيش ، ولو صح هذا الكلام الذى تقوله لجاز أن يطالب الأدباء بمنع ترجمة المؤلفات الأجنبية لأنها تقضى على مستقبل آلاف من المؤلفين المصريين ، ويا لها من حجة هى حجتك ، ومنطق هو منطقك !! .

**المسرح الشعبي :**

انتهت وزارة الشئون الاجتماعية من الاستعداد لأنشاء مسرح شعبي يقوم بعرض تمثيليات وأدوار تتصل بالحياة الشعبية فى الأحياء الوطنية وفى أقاليم الريف .

والقصد من إنشاء هذا المسرح هو معالجة المشاكل الاجتماعية والخلقية بين طبقات العامة وجماهير الشعب بأسلوب من الفن يلائم مداركهم وعقلياتهم لغة وأداء وموضوعاً ، حتى يكون أسهل فى التأثير ، وأبلغ فى التوجيه ، وأجدى فى الفائدة .

والفكرة فى إنشاء هذا المسرح ليست بنت اليوم ، ولكنها فكرة لجأت فرنسا إلى تحقيقها منذ زمن ، وقد كان القصد من إنشاء هذا المسرح أن يكون درجة قريبة الصعود لطبقات الشعب ، إذ كان التمثيل على المسرح الفنى يجرى بأسلوب رفيع ، ويتناول موضوعات قوية عميقة المغزى، بعيدة على المدارك ، فكان المسرح الشعبي أشبه ما يكون بمرحلة الإعداد للمسرح الأعلى ، كمرحلة التعليم الابتدائى بالنسبة للثانوى ، والثانوى بالنسبة للعالى

ولكن عندنا تجرى الأمور معكوسة مقلوبة ، فما يسمونه بالفن التمثيلي والسينمائى بيننا يجرى منحطاً مع عواطف الجماهير ، ويتدلى إلى ما هو أدنى من مداركهم ، ونحن الذين كنا من قبل نهيب بهذا الفن أن يخفف من غلوائه ، وأن يقدر لإدراك الجماهير قيمة فى حسبانه ، أصبحنا اليوم نطالب بأن يسمو الفن فى مهمته وأساليبه ، وأن يترفع عما تردى فيه من عامية منحطة فى الأداء والموضوع . فمن مبلغ أولئك المسئولين أن الفن عندنا جميعه قد أصبح شعبياً ، وأن الذى نحتاجه هو الفن الرفيع المهذب الذى يسمو بالنفوس والعقول ؟ !

« الجاحظ »

---




**الضريبة والحية :**

( للأديب الصينى « ليتزو ايو » ( ٧٧٣ — ٨١٩ )

كان فى مدينة « بان جون » حية رقطاء ، ما لدغت إنسانا إلا قتلته ، وما مست نباتاً إلا أيبسته ، وما عرف الناس أخبث من سمها ، ولكنه إذا استخلص وصب فى القوارير كان دواء للجمرة وللبرص والجذام والناسور والطاعون .

ولما استفحل شرها ، وعمّ ضرّها ، أعلن الملك أن من قتل حية فقدمها إلى طبيبه أعفاه من الضريبة . فتسابق أهل البلد إلى جمعها واختصت بذلك أسرة ( شيانج شى ) فانقطعت إليه ثلاثة بطون . ولقد لقيت واحداً من هذه الأسرة فسألته عن حاله فقال:

— « لقد قتلت هذه اللذة أبى وقتلت جدى من قبله ، وأنا أمارسها منذ اثنتى عشرة سنة ، تعرضت فيها للموت غير مرّة » .

وبدت الكآبة على قسماتّ وجهه ، وشاع الأسى فى صوته ، فرثيت له وقلت :

— لماذ لا تدعها إذا كان فيها هذا الخطر ، وتطلب من الحكام أن يأخذوا الضريبة منك ؟

فقال — وهو يبكى بكاء موجعاً :

— أتريد أن ترحمنى وتحيينى ؟ لا إن عملى هذا ليس شراً من دفع الضريبة — وإنه ليخيل إلىّ أنى لولاه لم أبق حياً إلى الآن . ولقد مرت على هذه القرية ستون سنة وأهلها ينقصون يوما بعد يوم ، إذ قد وجب عليهم أن يقدموا جميع ما تخرجه أرضهم ، فكانوا لا يصبرون على هذا فيدعونها ويرحلون ، أو يسقطون جوعا وإعياء . وتصيبهم الأمراض والأوباء . ومنهم من لا يستطيع اصطبارا فيجنى الجناية ويأكل من حاصلات أرضه ، فتفانوا وذهبوا ، فلم يبق من الأسر التى عاصرت جدى واحدة من العشر ، ولم يبق ممن عاصر أبى غير اثنتين أو ثلاثا — ولم يبق ممن عرفت أنا منذ اثنتى عشرة سنة إلا أربع أو خمس — وأنا الوحيد الذى بقيت أسرته حية بفضل هذه الحية .

ولو أبصرت حين يصل إلى القرية الجباة الجبارون . فيملأون القرية صياحا وضوضاء ، ويهددون بالقتل أهلها ، ولا ينجو من شرهم الدجاج ولا الكلاب ورأيتنى أقوم متباطئا فأنظر إلى قدورى لأطمئن على وجود الحية — وحين أطعمها وأغذيها ، وأنتظر الموسم لأقدمها إلى الطبيب ، ثم أرجع إلى بيتى فآكل من ثمرة أرضى مطمئنا ، لعرفت فضل هذه الحية علىّ .

على أنى لا أقدم على الموت مخاطرا بحياتى إلا مرتين فى السنة وأعيش أيامى الباقية عيشا هنيئا لا يشوبه هذا القلق الذى يتجرع القرويون غصصه طول السنة .

ولاريب أنى سأموت من هذا العمل يوما من الأيام ، ولكن أجلى يكون أطول على كل حال من آجال أهل القرية ، فلماذا أتذمر من هذه المهنة وأعدل عنها » .

وحزّ فى قلبى كلامه ، وانصرفت وقد فهمت معنى قول كونفشيوس : « إن الحكومة الظالمة أرهب من النمر وأشد افتراساً .

نور ناهين

**مظاهر المسكرات عند قدماء المصريين**

بلغت الحياة الاجتماعية عند قدماء المصريين درجة عالية من الرقى، فالمصادر التى تحت أيدينا من النقوش والنصوص تدل على أن المصرى كان كثيراً ما يقيم الولائم لاصدقائه وجيرانه فى داره وأن الزوجة كانت تصحب زوجها فى الحفلات الخاصة وفى الأعياد العامة حيث كان القوم يسمعون الموسيقى ويحتسون الخمر .

وقد عثر علماء الدراسات المصرية القديمة على كثير من النقوش التى تصور المصرى وقد غرس أشجار العنب والنخيل وغيرها لأكل ثمارها أو تحويل هذه الثمار إلى خمور لعلاج بعض الأمراض .

وكانوا يضعون المصير فى قدور أو جرار تسد سداً محكماً حتى لا يتسرب الهواء إليها ويكتب عليها اسم الملك واسم المكان وتاريخه وكان يذكر نوع الخمر للتمييز بين أصنافها المختلفة .

وعلى مرور الزمن أخذوا يستعملون الخمر فى غير ما وضعت

له فيمد أن كانت دواء أصبحت داء .

ففى إحدى المقابر نرى صورة جميلة تمثل حالة سكير قد فقد رشده وخارت قواه وضعفت ساقاه ، فحمله بعض الرفاق على رؤوسهم وعلى وجهه علامات التعب . وفى مقابر مدينة طيبة نرى صورة أخرى تمثل امرأة ثملة تتقيأ ما احتسته من الخمر . وفى بعض نصوص مقبرة الموظف « بحرى » نقرأ حديثا لامرأة تطلب من الساقى أن يناولها نبيذاً لأن جوفها قد جف ( حرفيا : « صار كالقش » ) ولعل هذه الحوادث وأمثالها مما حدا بالمشرع المصرى القديم أن يوقع العقوبة على السكارى إذا ضبطوا فى شوارع المدن .

فمن ذلك ما ورد فى بردية أن أحد السكارى قاده رجل الأمن إلى السجن .

وقد عاون الأدباء رجال التشريع والأمن على مكافحة المسكرات فمن ذلك أن بعض أوراق البردى تحدثنا أن أديبا نصح ابه قائلا « لا تدخل حانة السكر وتفاخر أنك تستطيع أن تشرب ابريق نبيذ لئلا ينقل عن لسانك ما تقوله وأنت لا تدرى به . فاذا وقعت على الأرض انكسرت أعضاؤك ولا يمد أحد من رفاقك إليك يده ، ويصيحون قائلين ابتعدوا عن هذا السكير » .

وجاء فى بردية أخرى ما ترجمته « السكير كمعبد بلا إله أو بيت بلا خبز أو سفينة بمجداف مكسور »

ومن هذا نرى أن مصر القديمة كافحت المسكرات بوسائل لا تختلف جوهريا فى الواقع عن الوسائل التى نتبعها فى عصرنا الحاضر .

دكتور باهور لبيب

## الانساق الآلى معجزة القرن العشرين

اخترع العلماء الأمريكيون فى أواخر عام ١٩٤٥ آلة حاسبة تستطيع أن تحل فى خلال فترة قصيرة أعقد المسائل الحسابية التى كانت قبل ذلك تحتاج إلى ملايين من عمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة ، كما عرف العالم الخارجى أن تلك الآلة الجبارة تضبط كما يضبط « المنبه » عندما يطلب إليها حل إحدى المسائل الحسابية ، وهذا كل ما يفعله الانسان ، أما الباقى فإن الآلة تتكفل به من تلقاء ذاتها ، ولا تلبث أن تقدم النتيجة المطلوبة دون خطأ ما .

وقد تنبأ أحد العلماء الامريكيين — وهو الدكتور فانفر بوش مدير معهد الفنون والصناعة فى ولاية ما ساشوسيتس الأمريكية بأن هذه الآلات ستتطور فى المستقبل بحيث يتمكن الانسان من أن يحصل منها على « حجج منطقية » خارج نطاق علم الحساب نفسه ، ولكنه يعترف مع ذلك بأن من المستحيل على كل حال صنع آلات تستطيع أن تتمنى ، أو تنتقد ، أو تخترع .

ويبدو أن لمثل هذا البحث أهمية قصوى فى عصرنا هذا ، فإن المشكلة الكبرى التى تواجه هذا العصر هى مشكلة الجماعات والجماهير ، والعمل الجماعى بوجه عام ، ولم يعد فى هذا العالم مكان لأولئك الفلاسفة الارستقراطيين ، من أمثال « نيتشة » وغيره من فلاسفة أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . إن العصر الجديد هو عصر الذرة ، والرادار ، والالكترون ، وسيطرة الانسان على الجماد ، وعلى الطبيعة .

ولا شك أن الأعوام الباقية من القرن العشرين ستشهد انقلابا عظيما فى عالم الاختراع لم يحلم به المفكرون والعلماء فى القرن الماضى ، وسيكون الجزء الأكبر من هذا الانقلاب منصبا على الآلات التى تكاد تصل إلى مرتبة الانسان فى القدرة على التصرف وعلى مجابهة الصعاب .

مجلة لامرسليز — أوريان نوربيل




**تقدير كريم لكتاب الرسالة الخالدة :**

بعث سعادة الأمين العام لرئاسة الجمهورية السورية الكتاب التالي :

إلى مقام رئاسة مجلس الوزراء :

ظهر كتاب الرسالة الخالدة من تأليف المفكر العربي الغني عن التعريف عبد الرحمن عزام باشا (الرسالة الخالدة) وقد اطلع فخامة الرئيس على هذا السفر الجليل فألفاه طافحا بالإيمان القوى حافلا بالفكرة الروحية التي قام عليها مجد الآباء والتي يهمنا أن تنتظم نفوس شبيبتنا في عصر طغت فيه المادة وضعف فيه الرادع الخلق .

وإن فخامة الرئيس يرغب إلى مقامكم أن تأمروا بأن تقتنى دور الكتب الحكومية والبلدية هذا السفر الجليل وأن توصى المعاهد طلابها بمطالعته حرصاً على أن يعم الانتفاع به من الشبيبة والقراء ، ولكم خالص الاحترام .

دمشق فى : { ١ ربيع الأول سنة ١٣٦٦ / ٢٣ كانون الثانى سنة ١٩٤٧ }

**الأمين العام لرئاسة الجمهورية**

**أنسى الأزهر المراغى ؟**

أنسى الأزهر المراغى فلا يؤبنه بحفل ، ولا يشيد به فى جمع ، ولا يخلده بمنشأة ، ولا يذكره فى مناسبة ، وقد أخذ بيده هرماً ، تحامل عليه الداء ، واستبد به المرض ؟ ...

لقد كان المراغى عالماً من طراز نادر ، يجود به الزمان على قلة وبعد ، ... تمدى تفكيره سور الأزهر وجوانب الدرس ، وتخطى فهمه مماحكات العلماء ، ومجادلات القدامى ، إلى ما يلائم تطور الزمن ، ويساير تقدم الجماعة ، ويتفق وطبائع البيئة ، مستمداً من روح الإسلام السمحة ، ومرونته العجيبة ، قوانين توائم بين العلم والدين ، وتؤاخى بين الفلسفة والشريعة ، وأحكاماً تنير للناس ما غمض من قضايا ، أو خفى من آيات ...

فلما توفاه الله إليه ، كان أسوأ الناس ظناً بالعلماء ووفائهم ، يؤمن بأن حفلة تأبينه ستقام على الأكثر فى يوم ذكرى الأربعين ، وإنها لن تكون بالمعنى الذى تواضع عليه الناس ، وإنما تكون مهرجاناً دينياً يردون فيه إلى الرجل بعض ما أسدى إليهم من معروف ، وأن فيضاً من تخليده وتقديره سيتبع الذكرى ، ولكن — وا أسفاه — مات المراغى ، فلم يقم له حفل ، ولم يذكره عالم ، ولم يخلد له أثر !

من كان يظن أن رجلا أقام جامعة ، وأحيا منصباً ، وفتح بيوتاً ، وهذب نفوساً ، وصقل أرواحاً ، وهز السياسة كما هز أعواد المنابر ، مات ومر على موته عام وبضع عام ، ومع هذا فقد ضن عليه مريدوه ، وأصدقاؤه وخلصاؤه ، وزملاؤه وإخوانه ، والذين نفعهم فى الشدائد ، بحفلة ولو متواضعة ، فى حى الأزهر العتيق ! ...

والعجيب ، أن الذين أحسن إليهم المراغى فى حياته ، فبوأهم المناصب ، وبلغهم المراتب ، وصنعهم رجالا . هم فى طليعة محاربيه والداعين إلى نسيانه ، وإهالة التراب على ذكراه ؟ ! .

عفاء على الوفاء عفاء . . ! !

**الطاهر أحمد مكى**

**حول « قطربل » :**

فى العراق كثير من الآثار الجليلة لكثير من البلدان والقرى تحدثنا عنها كتب التاريخ والأدب بإسهاب ... منها ما طمست معالمها فلم تعد تظهر إلا كتلول ومرتفعات . وما أكثرها فى فيافى بين النهرين ... ومنها ما لا يزال ماثلا للعيان ينتظر جهود العلماء والباحثين . فنى تضافرهم ما يسد هذه الثلمة المزرية فى تاريخنا المجيد .

وقطربل واحدة من قرى بغداد حدثنا عنها الأستاذ شكرى محمود أحمد فى العدد ٧٠٤ من الرسالة الغراء حديثاً أدبياً ممتعاً . وقد أبدع فى وصف جمالها الضاحك ومناظرها الفاتنة ما شاء له الإبداع . ولكن شيئاً واحداً لفت نظرى فى حديثه وهو قوله عنها : (قرية بين بغداد وعكبرا) . فهذا القول لا يتفق والحقيقة وقد قاله قبل هذا ياقوت الحموى فى معجم البلدان وعليه اعتمد الأستاذ كما أعتقد ... وقد صحح ابن عبد الحق الحنبلى هذا الغلط الثابت وأشار إليه فى كتابه مراصد الاطلاع بقوله (قطربل ...




## «يسألونك»

[للأستاذ عباس محمود العقاد]

ذلك كتاب قيم من أدب المقالة أخرجه الأستاذ العقاد يضيف به حلقة إلى سلسلة كتبه (الفصول) و (المطالعات) و (المراجعات) و (ساعات بين الكتب)؛ لأن هذه المقالات وإن شابهت تلك الحلقات في الموضوع والحيز وأسلوب التناول: «لا تدخل تحت عنوان من تلك العناوين لأنها كانت على الأكثر أجوبة لأسئلة معينة يوجهها القراء إلى صاحب الكتاب، فهي تخالفها في المناسبة وإن وافقتها في موضوعها وخطتها وإيثارها الجوانب العامة على الجوانب الشخصية.»[1] والكتاب يشتمل على خمسين مقالة في المسائل المتنوعة والأغراض المختلفة، عالجها الأستاذ الجليل بما تميز به من عمق الفكر وأصالة الرأي وتقصي الموضوع وبلاغة الأسلوب. وقد نشرته «لجنة البيان العربي» مطبوعاً في مطبعة مصر فاجتمع لهذا الكتاب قوة الإنتاج وجمال الإخراج.

(م)

## أمهات المؤمنين وأخوات الشهداء

[للسيدة وداد سكاكيني]

ليست السيدة «وداد سكاكيني» غريبة عن قراء الرسالة، ولا عن المتتبعين للحركة الأدبية النسائية في الشرق العربي. فقد كان لها جولات كثيرة موفقة في هذا الميدان الأدبي.

وآخر هذه الجولات كتابها الذي نعرض له اليوم عن «أمهات المؤمنين وأخوات الشهداء» وهو كتاب عرضت فيه اسيرة طائفة من فضليات النساء العربيات فوقفت عند أبرز

(١) من مقدمة الكتاب

---

قرية. قال بين بغداد وعكبرا. قلت بين بغداد والمزرفة لأن عكبرا في الجانب الشرقي وهي في الغربي وبينهما فراسخ. وإليها ينسب الطسوج التي هي فيه فيقال طسوج قطربل ... وما فوق الصراة من أسافل سقي دجيل فهو من طسوج قطربل ...

وبعد فلقطربل ذكر حميد في مختلف كتب التاريخ ولعل الأستاذ أن يعود إلى الحديث عنها بإسهاب. وبذلك يسدي إلى التاريخ خدمة جلى تذكر فتشكر.

الكاظمية — العراق **محمد موسى الموسوي**

**١ — في اللغة:**

أشاع بعضهم استعمال مثل: (جميل وجميل جدا) بإقحام حرف العطف في التأكيد اللفظي.

وإذا عذر في تقليده الناشئون فلن يعذر الراسخون كالجارم والمدني.

قال الأستاذ الجارم في مقالته الخامسة في المعارضات في الشعر العربي المنشورة بعدد يناير ٤٧ من مجلة الكتاب الغراء:

(وغير هؤلاء كثيرون وكثيرون) أي كثيرون جدا. والوجه أن يقال: كثيرون كثيرون بلا عطف.

وقال الأستاذ محمد المدني في ص ١٨ من العدد الممتاز من الرسالة الغراء (٦ يناير ٤٧):

(إلى حد بعيد وبعيد جدا) والوجه: بعيد بعيد جدا، أو بعيد جد بعيد — إن أراد —

**٢ — حاشرة (زنزانة):**

وضع الأستاذ علي الطنطاوي في مقاله بعدد الرسالة الأخير كلمة حجيرة لزنزانة. والأستاذ الطنطاوي موفق فيما يضع من أسماء لمسميات لم تكن.

وقد كنت سميت الزنزانة باسم (حاشرة) وأظن أنه أدل على المعنى من حجيرة الذي لا يفيد سوى التصغير.

ولعل الأستاذ والسادة الأدباء يوافقون على ذلك فيستعملونه.

**فلسطيني**

صفاتهن ، وجلت هذه الصفات مبينة عنها ممجّـدة لها ، حاثة على الاتصاف بها والاقتداء فيها .

والكتاب فى أربعة عشر حديثاً تناولت فى كل حديث منه سيدة كريمة فبدأت بأم الزهراء ، ثم أم الحسنين ، فأم المؤمنين عائشة ، فوفاء بنت الرسول زينب ، فأخت الحسين ، فذات النطاقين ، فأم سلمة ، فزينب الأسدية ، فمارية المصرية ، فالخنساء فسكينة ، فأم معاوية ، فأخت ضرار ، ثم انتهت أخيراً إلى أم الأمين السيدة زبيدة .

ولقد استطاعت المؤلفة الفاضلة أن تعرض مناحى العظمة فى هؤلاء الفضليات من النساء فى صور فنية لم تحل بينها وبين الحقيقة التاريخية فلم تخلع عليها من خيالها ما يحجب حقيقتها ، ولم تسدل عليها من جمال الفنّ القولى ما يذهب بواقعها ، وإنما التزمت — كما تقول فى مقدمتها — أن تمضى على طريقتها التى جعلت سداها الحقيقة ولحمتها التاريخ .

وفضيلة الكتاب ، فوق فضيلته فى نفسه ، أننا نحتاج إليه أشد الحاجة فى بيوتنا ومدارسنا .. إن بناتنا وأخواتنا لا يجدن ما يقرأن فى بيوتهن إلا هذا الأدب الرخيص ، وهذه المجلات التى لا تتقى الله فى حرمة أو شرف أو إباء .

على أنه لا بد من أن نلاحظ فى أسلوب الكتاب على سموه بعض القسوة والتزمّت ، فقد كانت بعض الصفحات ، وهى قليلة ، كأنها ماء متجمد ، على حين جرت صفحات أخرى ، وهى كثيرة عذبة سائغة فى طلاقة وبريق .

ولعلّ من ذلك أن المؤلفة الفاضلة كانت تنساق فى سجع لا يملك الأذن ، ولا يقع منها موقع الارتياح والرضا ، وأرجو ألا أكون فى ذلك متجنياً ، فقد عهدناها طلقة الاسلوب بعيدة عن قيوده ، ولكن هذا الذى وقعتُ عليه .

والثالثة من هذه الملاحظات أن الكتاب مجموعة أحاديث ألقيت فى المذياع ، أو هكذا يُخيل إلىّ .. ولذا جاء أسلوبه وفيه هذا اللون الغالب من الخطاب وما يستتبعه من بعض الصيغ الاخرى التى لا يحس لها القارىء وقعاً طرياً بينه وبين نفسه

القاهرة **شكرى فيصل**

## مائدة السمر

[ للأستاذ كامل محمد عجلان ]

مجموعة أقاصيص طريفة نضدها الأستاذ عجلان فأبان عن سعة اطلاعه وطول باعه . . . تنقسم المجموعة إلى قسمين : عربى قديم ومدنى حديث . . أما العربى فيجمع بضع أقاصيص عن شعراء من الأعراب ذكر المؤلف لكل منهم طرفة مليحة . ولكن يخيل إلى أن القارىء العادى الذى لا يعرف العرجى وإخوانه من الشعراء القدامى كان ينتظر من الأستاذ كامل نبذة صغيرة عن حياتهم؛ فما كل قارىء يقرأ الأغانى ، ولا يضير هذا الأستاذ فى شىء !

وفى غمار قصص الشعراء هذه كانت هناك قصص أخرى عن بدو ليسوا من الشعراء . . من هذه القصص « السهم الطائش » ولا أدرى ما الذى حدا بالأستاذ كامل أن يختار هذه القصة والورد أمامه ثَرٌّ .. أى جمال يراه الأستاذ فى قصة عاشق قتل عشيقته .. كم كان « السهم الطائش » غريبا بين « أجمل العالمين » و « منفل وغانية » و « المذارى على الغدير » وغيرها من القصص الجميلة التى تجمع الرقة والمعنى فى آن . غير أن هناك أقصوصة بل رواية من ثلاثة فصول عنوانها « المـآرب من الحب » . . محب باع حبيبته وكانت جاريته ثم رجعت إليه مرة أخرى . . موضوع جميل ولكنه صغير على رواية من ثلاثة فصول ننتقل مع أشخاصها من حجرة إلى حجرة ثم من بلد إلى بلد لنعرف نهاية متوقعة. ولو كنا رأينا فى هذا الانتقال حادثا أو شهدنا واقعة لهان علينا السفر الذى كان خلوا من أى شىء . . القصة جميلة والحوار جميل ، ولكنه كان محتاجا لشىء من الضغط .

لننتقل الآن إلى القاهرة لنشاهد « ست الملك فى صحن الأزهر » . . . طريف هذا العنوان ، يراه القارىء فيتوقع قصة شائقة جميلة ؛ لكن الأستاذ كامل وفق إلى هذا العنوان دون أن يوفق إلى موضوعه إذ ليس فى الأمر قصة ولكن هناك حُلما.. كانت « ست الملك » موضوعا إنشائيا أحسن اختيار عنوانه .

كانت صدمة لى أن أجده فى أول القصص الحديثة ، وأشفقت أن أجد بقية الأقاصيص على هذا النمط ، ولكن . . . لم يكن الأمر كذلك . هناك قصة بعد « ست الملك » تدل على أن القلم ناضج وأن الأقصوصة الأولى كانت كبوة يتبعها القفز

والارتفاع . . « قبلة عند باب الضريح » أقصوصة وصورة من أجمل ما كتب فى هذا الباب . . وموضوعها السخرية من أولئك المشعوذين الذين يجلسون على أبواب الأضرحة يتخذون من الدين شراكا وحبائل . بعد هذا نجد « عش من الحديقة » . . قصة رمزية التوى بها الطريق فخرجت عن الرمزية ، ثم التوى مرة أخرى فعادت وهكذا . . الحقيقة أنها غير مفهومة ولعل الأستاذ كامل قصد بها صديقه « س » فحسب .

والأستاذ كامل دقيق الجسم سريع الحركة . وكذلك هو فى أسلوبه خفيف سريع التنقل يعتمد كثيرا على ذهن القارئ، مما يكسب الأسلوب جمالا ويرغم القارئ على المتابعة فى يقظة ذهنية وديعة ومائدة السمر فى مجموعها شهية أحسن الأستاذ كامل تنظيمها ، وإنا لنرجو أن يضاعف هذا الإحسان فى المجموعة القادمة إن شاء الله

ثروت أباظة

## ١ – أروع القصص
## ٢ – قصص من الحياة

### للكاتب الإنجليزي شارلز دكنز

[ تعريب الأستاذ محمد عطية الابراشي ]

اختار الأستاذ محمد عطية الإبراشي مجموعة من قصص الأديب الإنجليزي المشهور « شارلز دكنز » وأصدرها فى جزأين تحت عنوان « المكتبة الثقافية » .

وقد عنى الأستاذ الإبراشي بتعريب هذه القصص ؛ لما تهدف إليه من غايات اجتماعية ، وما يتميز به أدب « دكنز » من معالجة كثير من نواحى الحياة القاسية فى المجتمع .

يقول الأستاذ الابراشي «وقد دعانى إلى تقديم هذه المجموعة شغف بالتقويم الخلقى ، وحب للاصلاح الاجتماعى ، فى مصر والشرق ، وما رأيته من التشابه بين الأمم فى الأحوال الاجتماعية التى تحيط بها من حين لآخر ، فالإنسان هو الإنسان فى غرائزه وميوله ، وما يتصل بشعب يتصل بآخر . وإنى آمل أن يكون لها فى مصر وجميع البلاد العربية من الأثر ما كان لها فى انجلترا من إصلاح اجتماعى وخلقى » .

ونحن مع تقديرنا للاهداف الاجتماعية التى ترمى إليها هـذه القصص ، وللدوافع الطيبـة التى حملت الأستاذ الابراشى على اختيارها ؛ ليكون لهـا من الأثر فى مصر والشرق ما كان لها فى بلاد الإنجليز — نخالف الأستاذ فيما يراه من التشابه بين الأمم فى الاحوال الاجتماعية ، والاتفاق فى الغرائز والميول ؛ فإن لكل أمة طبيعتها وخصائصها النفسية والاجتماعية .

على أن هذه القصص برغم ماتصطبغ به من ألوان محلية ، فإنها تمس الجانب الإنسانى فى كثير من العواطف المشتركة والشعور العام وتثير فى النفس كثيرا من عوامل العطف والرحمة على الفقراء والمحرومين

وقد اصطنع الاستاذ الابراشى فى تعريب هذه القصص أسلوب « المدرس » الذى يعنى بعرض الفكرة وإبراز جوانبها فى صورة بيانية ، وعبارات مختارة « بحيث يجد القارئ ثروة فكرية ، وخيالية ، ولغوية ، فى كل قصة يقرؤها » كما حرص على ضبط كثير من الكلمات وتذييلها بالشرح والبيان .

محمد كامل حته

## الكميت بن زيد

### شاعر العصر المروانى

[ للأستاذ عبد المتعال الصعيدى ]

من الشعراء الذين ظلمهم التاريخ الأدبى ورماهم بالخمول فباءوا فى الأعصر المتعاقبة بهذا الوزر ، الكميت بن زيد ، فقد أخذ عليه سبيل الشهرة شعراء ثلاثة استبدوا بالمحال وتفردوا بالعناية ، وهم الفرزدق ، وجرير ، والاخطل ، حتى كاد يغمره النسيان ، والكميت فى رأى المؤلف أعظم من هؤلاء الشعراء وأحق منهم بالتقديم . وقد عز عليه أن يجنى الجهل أو التجاهل أو التحامل على هـذا الشاعر فشمر لإنصافه ، ورد حقوقه ، والتمكين له حيث يجب أن يأخذ مكانه اللائق ، فدرس هـذا الشاعر وأبان عن خصائصه الفنية ، وصور لنا البيئة التى كان يحيا فيها — الكميت — وقد مهد لهـذه الدراسة بهذه التمهيد الذى تناول فيه الاجتهاد فى الأدب ، وفتح الكميت فى الشعر ، وتعصب بنى مروان عليـه ، وجمود الشعر فى عصرهم ، وتجديد — الكميت — وشهادة الفرزدق له ، وأثره فى سقوط بنى مروان وتناول حياته ومنزلته فى الشعر ، والهاشميات ، وأشعاره الأخرى ومناقضاته ، ومؤاخذات — الكميت — ثم ختم هذه الدراسة بديوان الهاشميات ؛ وهـذا أجمل وأحق ما يجب بذله إزاء هؤلاء الأشخاص الذين لأمر ما وقف منهم التاريخ هـذا الموقف الغامض الظالم .

محمد عبد الحليم أبو زيد




روائع ملخصة من قصص الحب العالمية

# ١ - بول وفـــــرجينى

للكاتب الفرنسى برناردين دى سان بيير

بقلم الأستاذ على محمد سرطاوى

## حياة المؤلف :

« ولد فى مدينة الهافر فى فرنسا عام ١٧٣٧ ، ولما بلغ الثانية عشرة من عمره ، رحل إلى جزر المارتنيك الأميركية فأثارت الرحلة فى نفسه رغبة شديدة فى دراسة نباتات المنطقة الحارة ولما أتم دراسته وتخرج فى فن الهندسة ، التحق بخدمة الجيش الروسى ، مدة قصيرة ، ثم رحل إلى جزيرة موريتوس Mauritius فى المحيط الهندى ، وكانت تابعة لفرنسا فى ذلك الوقت ، فأفادته تلك الرحلة علما . وعاد إلى فرنسا عام ١٧٧١ يعتنق آراء جان جاك روسو الحرة فيما يتصل بالحضارة وإنها مفسدة لطبيعة الانسان . وفى عام ١٧٨٤ نشر ثلاثة مجلدات تحت عنوان : « دراسات فى الطبيعة » قال عنها العلماء فى عصره إنها أفكار شعرية أكثر منها افكار علمية ، ولم تصادف ما كان يقدر لها من الانتشار .

وبعد سنوات قليلة نشر قصة « بول وفرجني » فلقيت رواجا عظيما ، وعين بعد ذلك مديرا لحدائق النبات الملكية ثم استاذا للدراسات الأخلاقية . ولما أحيل علي التقاعد زمن نابليون بونابرت أجزل له العطاء فعاش سعيدا فى عزلة شعرية ، ورزق فى هذه الفترة طفلة سماها ( فرجيني ) ولما بلغ سن الواحد والستين من عمره رزق طفلا سماه ( بول ) . وعاش المؤلف بعدها إلى السابعة والسبعين ومات سنة ١٨١٤ قبل موقعة واترلو بسنة واحدة » .

---

## القصة :

أراد المؤلف من قصته الوصول إلى غايتين : الأولى تصور تربة ونباتات المنطقة الحارة وما بينها وبين أوربا من فروق .

الثانية : أن يرسم صورة رائعة لمجتمع ساذج مثالى لم تعرف المدنية الطريق إليه .

الراوية : شيخ صادفه المؤلف خلال إقامته فى جزيرة موريتوس قال الشيخ :

فى أوائل القرن الثامن عشر ، عاشت سيدتان متجاورتان فى بقعة قريبة من ميناء سنت لويس . كانت إحداهما مدام دى لا تور ، وهى أرملة شاب نور مندى ، مات وهو يحاول ابتياع عدد من الرقيق فى جزيرة مدغشقر ، وكانت الأخرى شابة ريفية من مقاطعة بريتانى واسمها مرغريت ، فرت من مسقط رأسها لتفتش عن عالم جديد لا يتصل علمه بزلة اقترفتها . ولدت للأولى طفلة سمتها ( فرجينى ) وولد للثانية طفل سمته ( بول ) . عاشت السيدتان فى ود متبادل ، تتعاونان على ما تطلبه الحياة من كدح ومجهود .

وشب الفتى والفتاة وفى نفسيهما شعور الأخ لأخته ، ولما بلغا أشدهما كان فى نية السيدتين تزويجهما وربط قلبيهما برباط متين من قداسة الزواج ، لولا أن حاكم الجزيرة اقترح إرسال فرجينى إلى فرنسا لتتابع دراستها عند أقربائها الأغنياء هناك ... وقد اتفق الرأى على ذلك ودنت ساعة الوداع والفراق .

***

دنت ساعة العشاء فالتففنا حول المائدة ، وحالت العواطف المتباينة التى تعصف بنفوسنا بيننا وبين الطعام ، إذ كان يلفنا صمت رهيب ... وكانت فرجينى أول من ترك المائدة وتبعها بول وشيكا ، واتخذا مجلسهما تحت ظل هذه الشجيرات التى نتفيأ ظلها الآن وصمتا ... وكانت الليلة نموذجا رائعاً لليالى المناطق الحارة الساحرة التى يعجز القلم عن وصفها : فقد أطل القمر من السماء وعلى جوانبه هالة فتانة من غيوم مبعثرة موشاة باللجين ؛ وأخذ نوره ينتشر ويمتد إلى جبال الجزيرة ، وبدت قممها البعيدة غارقة فى يم عميق من النور ؛ وسكنت الريح ، وأخذت الأحراج البعيدة والوديان العميقة والقمم الصخرية الحالمة تردد صدى أصوات جميلة من حناجر الطيور التى طفقت تتداعب فى أعشاشها مرحة بما يضفيه عليها جمال الليلة من فرح وحنان. ورغبة فى

الوجود ... ، وتلألأت النجوم فى محيطها البعيد مضطربة تبعث بنورها إلى الدنيا النائمة وكأنها محبات يطفن بحبيب ...

كانت فرجينى تتطلع إلى الأفق البعيد وكأنها تفتش عن مجهول ، فرأت على جبين الأفق مما يلى الميناء أنواراً حمراء مبعثرة على الشاطىء من قوارب الصيد ، ورأت نوراً قويا وقد وقف إلى جانبه خيال جسم كبير ... فأعادها ما رأت إلى نفسها وأيقنت أن ذلك الجسم الكبير ليس إلا تلك السفينة التى ستفرق بينها وبين بول ، فأدارت وجهها وهى تغالب مالا تحتمل من آلام قلبها مخفية دموعها عن الذى تبكيه . وكنت أنا ومدام دى لاتور ومرغريت غير بعيدين عنهما ، وقد ساعدنا سكون الليل على الاستماع إلى مادار بينهما من حديث ما زال يعيش فى ذاكرتى :

بول : لقد علمت بأنك ذاهبة عنا وشيكا إلى فرنسا ، وكأنك غير وجلة من أخطار البحر التى كان يرهبك مجرد ذكرها ! ؟

فرجينيا : إنما هو واجب علىّ يتطلب منى إطاعة أهلى .

بول : اتتركيننا من أجل قريب بعيد لم تقع عينك عليه ؟ !

فرجينيا : شـد ما يؤسفنى أن أكون مضطرة إلى ذلك ! فوالدتى تدفعنى إليه ، والكاهن الذى اعتدت أن أعترف له قال لى : إنها إرادة الله ، ولا بد من الذهاب ، وان الحياة مسرح للتجارب ... ويا حسرتاه ! ما أمر ذلك وأوجعه فى نفسى !

بول : ماذا ؟ ! تجدين أسبابا كثيرة لتبرير ذهابك عنا ، ولا تجدين سبباً واحداً لبقائك بيننا ! ! السبب الحقيق لسفرك تذكريه ! إنه الثروة التى تغرى النفوس ! إنك لواجدة فى ذلك العالم الذى ستذهبين إليه الثروة وإلى جانبها أشخاصاً أكرم منى مولدا وأرومة وأوسع ثراء ، تستطيعين فى سهولة ويسر أن تتخذى منهم أخا وصديقاً ! شدّ ما يؤلمنى أننى لا أستطيع أن أقدم إليك شيئاً من هذه الأمور ! أتكونين أسعد منك الآن إذا تم لك ذلك ؟ ! أى شاطئ ستذهبين إليه وتجدينه أعز عليك من هذه البقعة التى فتحت عينـك على نور الحياة فيها ؟ وأية مخلوقات فى مقدورك إيجادها أحب إليك وأحنى عليك منا ! كيف تحتملين العيش بعيدة عن حنان أمك التى اعتدت عليه وماذا يكون شأنها ، وقد تقدمت بها السنون ، حينما تتلفت فلا تجدك على المـائدة إلى جانبها ، ولا تستعين بك إذا ما همت بالتحرك من مكان إلى مكان ! ! ماذا يكون حظ أمى من اللوعة عليك وهى تكن لك أقوى العواطف وأخلصها ؟ ! ماذا أستطيع من القول لهما وهما تجهشان فى بكاء مرير موجع عليك ؟! أما عن نفسى ! فلا أقول لك شيئاً أيتها الظالمة ! ماذا يكون مصيرى حينما لا أراك فى الصباح ، ولا نتلاقى فى المساء ! وعند ما أحدق فى هاتين النخلتين اللتين غرستا يوم ولادتنا ، واللتين بقيتا شاهدتين على ودنا الذى لا يزول !

ليس فى مقدورى أن أثنيك عما اعتزمتِ ! ولـكن أليس فى اسـتطاعتك السماح لى بمرافقتك وركوب البحر إلى جانبك ! سأحرسك من عواصف البحر وأحميك ! سـأضع رأسى على صدرك وأبعث الدفء من قلبى المحترق إلى قلبك الرحيم ، وهناك فى فرنسا سأكون خادمك الأمين ، وإذا احتاجت سعادتك إلى حياتى فسأبذلها رخيصة تحت قدميك !

وما وصل إلى هذا الحد من الألم حتى غلبت عاطفته المنيفة لسانه عن الكلام فصمت ... واسـتمعنا بعد ذلك إلى فرجينيا تتحدث إليه بصوت مرتجف تقطعه شهقات من بكاء عنيف مكبوت .

***

قالت فرجينيا : إننى مغتربة لأجلك !؟ أنت الذى أراه يرهق جسده بالعمل المضنى كل يوم ليقيم أود أسرتين بائستين ! وإذا كنت قد قبلت هذه الفرصة لأكون غنية فذلك لأننى أود أن أرد لك جميلك مضاعفاً ألف مرة ! أتحسب أن كنوز الدنيا تعادل حبى وحنينى إليك ! لماذا جرحت عواطفى بالتحدث عن نسبكَ ؟ وإذا كان ممكنا أن أختار لى أخا ، فهل تحسب أننى أعدوك فى الاختيار ؟ إنك يا بول لأعز إلى قلبى من الأخ والأهل جميعاً ! كم جاهدت نفسى لأروضها على احتمال البعد عنك ! ، أعنى على انتزاع نفسى من هذا المكان العزيز إلىّ كالحياة نفسها ، إلى أن يبارك الله زواجنا حينما أعود إليك . إننى أستطيع احتمال كل لون

من ألوان الألم والحرمان فى الحياة ولكننى لا أستطيع احتمال منظر هذا الحزن العميق المخيم عليك !

وما كادت تتم فرجينيا حديثها حتى صرخ فى ألم حزين وضمها إلى صدره وهو يصيح : سأذهب معك ! لن تستطيع قوة فى الدنيا التفريق بيننا !

واقتربنا منهما فقالت له مدام دى لاتور أم فرجينيا : يابنى ! وماذا يكون مصيرنا إذا ذهبت معها ؟

قال بول فى صوت متهدج حزين يردد ما قالته : يابنى ! يابنى ! أنت الأم التى تريد التفريق بيننا ، كيف تريدين ذلك وقد نشأنا أخوين لا نفترق أبدا ! كيف ترسلينها وحيدة إلى أوربا ، إلى تلك البلاد غير الكريمة التى ضنت عليك بمأوى فى الماضى ! وإلى أقارب لم يسألوا عنك وعنها أبدا ؟ فى استطاعتك القول إنها ليست شقيقتى وأن ليس لى سلطان عليها . إنها كل شىء لدى ! هى ثروتى ، وحياتى ، وأسرتى . لقد جمعنا فى الماضى سقف واحد ومهد واحد ، وسوف يجمعنا قبر واحد أيضا ! فإذا ذهبت فإنى لاحق بها .

سيمنعنى الحاكم من ذلك كما يخيل إليك . وهل يستطيع الحاكم منعى من إلقاء نفسى فى البحر ؟ هل فى مقدوره منعى من اللحاق بها سابحا ؟

سيكون البحر أحب إلى من اليابسة بعد سفرها على متن أمواجه ! وما دام قد قدر لى أن لا أعيش معها فلا أقل من أن أموت وأغمض عينى وهى آخر ما أبصر فى الوجود . أيتها الأم الوحشية ! أيتها المرأة التى لا تعرف الرحمة ! ليت المحيط الذى تدفعين بها إليه ألا يرجعها إليك أبدا ! وليت الأمواج التى ستعيد جسدى وجسدها إليك يثير مرآها عذابا لا ينقطع من تأنيب الضمير فى قلبك الجلمود !

فأسرعت إليه وأمسكت بذراعيه ، لأن اليأس قد جرده من عقله ، فقد جحظت عيناه ، وتصبب جبينه عرقا ، واصطكت ركبتاه ، وأحسست بقلبه يخفق خفقانا شديدا .

قالت فرجينيا : يا عزيزى بول ! إننى لأشهد أيام طفولتنا الغالية وآلامك وآلامى ، وكل ذكرى حبيبة يمكن أن تربط مخلوقين بائسين مثلنا ، بأننى سأكون لك ! إننى لأسألكم أن تشهدوا أيضا أيها الذين ربيتمونا منذ طفولتنا على ما أقول ! وأنت يارب الذى لم أدنس اسمه الكريم بالكذب كن شاهدا على ! وأنت أيها البحر الذى سأعتلى متن أمواجك ، ويا أيها الهواء الذى أملأ رئتى منك — كونا شاهدين على ما أقول !

لقد عاد إليه هدوؤه ، فطأطأ رأسه على أثر سماع كلماتها الحبيبة وبكى بكاء مرا اختلطت دموعه بدموع أمه التى أسرعت إليه محتضنه وتردد صدى آلامه بسيل من الدموع . ثم قالت لى مدام دى لا تور : إننى لا أستطيع احتمال هذا ، فلن تذهب ابنتى إلى فرنسا مهما كان الثمن الذى سأدفعه . خذه معك إلى منزلك فلم يذق أحد منا النوم منذ أسبوع ونحن على مثل ما ترى من اللوعة والحزن والدموع .

قلت لبول : إن فرجينيا لن تسافر يا بنى ، وغدا سنتحدث إلى الحاكم فى أمر بقائها . هيا بنا إلى منزلى واترك فرصة لأسرتك تذوق بعض الراحة ، فقد انتصف الليل . استجاب بول إلى رغبتى متحاملا على نفسه يجر رجليه خلفه وكأنما مربوطتان فى جسم غيره وقضى الهزيع الأخير من الليل فى نوم قلق متقطع ... وعاد مسرعا إلى أسرته عند بزوغ الفجر .

***

سافرت فرجينيا إلى فرنسا وأدخلتها عمتها الغنية إحدى المدارس ، وبعد عامين أعدت لها زواجا ملائما رفضته الفتاة رفضا قاسيا احتفاظا بالعهد الذى قطعته على نفسها لبول . وما عتمت أن فرت إلى المحيط الهندى على ظهر سفينة كانت تقصد الجزيرة ، وما كادت تقترب من الشاطىء حتى ثارت عاصفة أغرقت السفينة وغرقت مع الركاب فرجينيا التى كانت تطوى نفسها على أسعد ما تكنه النفوس من الفرحة بلقاء بول ووالدتها والجزيرة والشجيرات .

وحاول بول أن يصارع العاصفة فيصل إلى السفينة قبل غرقها ولكن الموج رده إلى الشاطىء مهشما محطما ، وما لبث أن مات ودفن إلى جانب فرجينيا فى قبر واحد .

**على محمد سرطاوى**

---

استعنا على تلخيص الرواية بكتاب :
Great Love Scenes From Famous Novels Mason

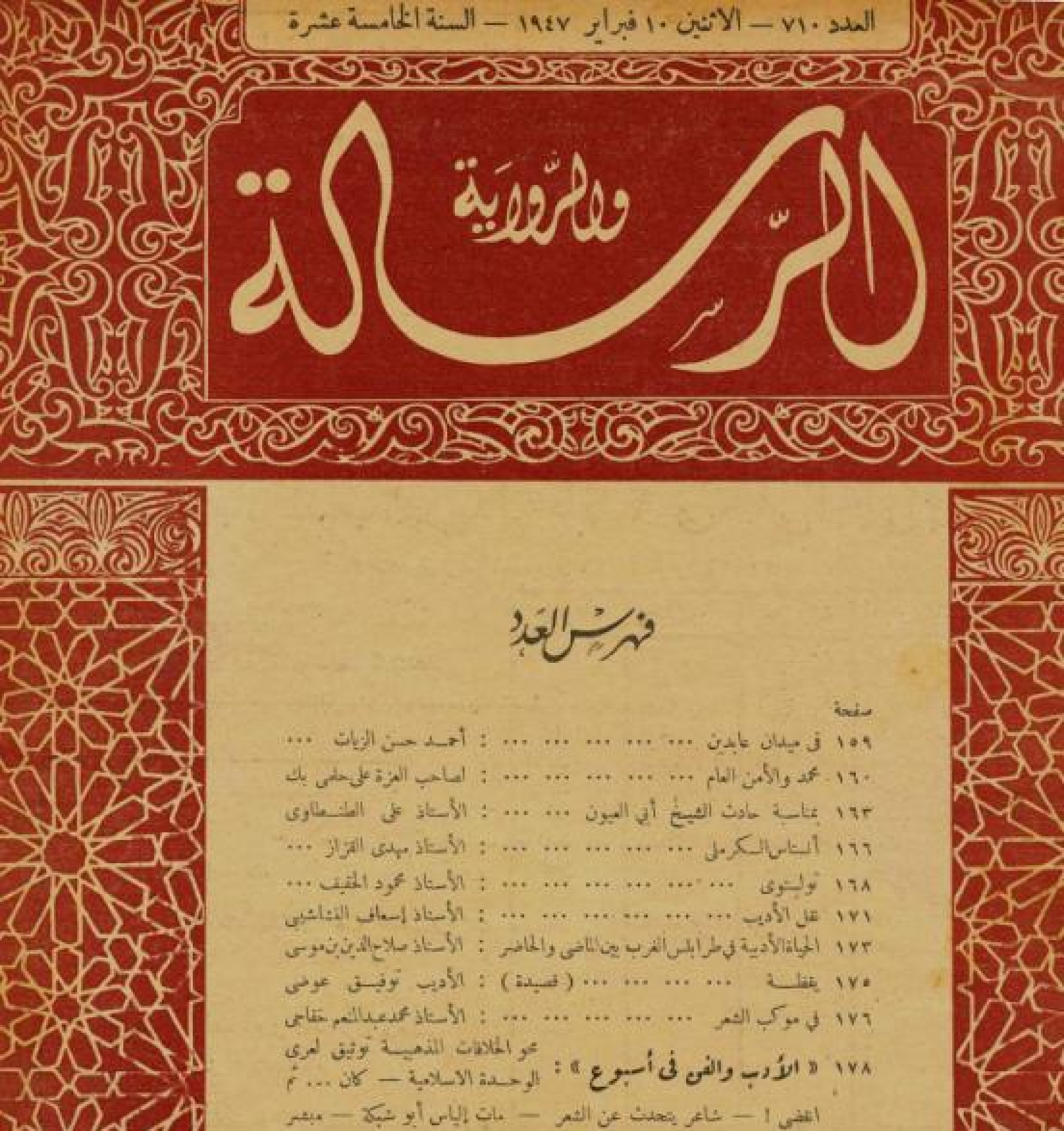

RETRO
NEWS






مطبعة الرسالة

العدد ٧١٠ — الاثنين ١٠ فبراير ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة




## فهرس العدد

صفحة

١٥٩ فى ميدان عابدين ... ... ... ... ... ... : أحمد حسن الزيات ...

١٦٠ محمد والأمن العام ... ... ... ... ... ... : لصاحب العزة على حلمى بك

١٦٣ بمناسبة حادث الشيخ أبي العيون ... ... : الأستاذ على الطنطاوى

١٦٦ أنستاس الكرملى ... ... ... ... ... ... : الأستاذ مهدى القزاز ...

١٦٨ تولستوى ... ... ... ... ... ... ... : الأستاذ محمود الحفيف ...

١٧١ نقل الأديب ... ... ... ... ... ... ... : الأستاذ إسعاف النشاشيبى

١٧٣ الحياة الأدبية فى طرابلس الغرب بين الماضى والحاضر : الأستاذ صلاح الدين بن موسى

١٧٥ يقظة ... ... ... ... ... (قصيدة) : الأديب توفيق عوضى

١٧٦ فى موكب الشعر ... ... ... ... ... ... : الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

١٧٨ « الأدب والفن فى أسبوع » : محو الخلافات المذهبية توثيق لعرى الوحدة الإسلامية — كان ... ثم انقضى ! — شاعر يتحدث عن الشعر — مات إلياس أبو شبكة — مبشر ثقافى أم سياسى ؟ — شىء مضحك ! — فن وتجارة ... ... ... ...

١٨٣ ذكريات عشرين عاماً فى مصحة حلوان (كتاب) ― للدكتور عبد الرؤوف بك حسن ― بقلم الدكتور لويس دوس

١٨٤ على الحصان ... ... ... ... (قصة) ― للقصصى الفرنسى دى موباسان ― بقلم الأستاذ كمال الحريرى

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧١٠ — الاثنين ١٠ فبراير ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة




فهرس العدد


صفحة

١٥٩ في ميدان عابدين ... ... ... ... ... ... : أحمد حسن الزيات ...

١٦٠ محمد والأمن العام ... ... ... ... ... : لصاحب العزة علي حلمي بك

١٦٣ بمناسبة حادث الشيخ أبي العيون ... ... : الأستاذ علي الضنضاوي

١٦٦ أنستاس الكرملي ... ... ... ... ... ... : الأستاذ مهدي القزاز ...

١٦٨ تولستوي ... ... ... ... ... ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ...

١٧١ نقل الأديب ... ... ... ... ... ... : الأستاذ إسعاف النشاشيبي

١٧٣ الحياة الأدبية في طرابلس الغرب بين الماضي والحاضر : الأستاذ صلاح الدين بن موسى

١٧٥ يقظة ... ... ... ... ( قصيدة ) : الأديب توفيق عوضي

١٧٦ في موكب الشعر ... ... ... ... ... ... : الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

١٧٨ « الأدب والفن في أسبوع » : محو الخلافات المذهبية توثيق لعرى الوحدة الاسلامية — كان ... ثم انقضى ! — شاعر يتحدث عن الشعر — ممات إلياس أبو شبكة — مبشر ثقافي أم سياسي؟ — شيء مضحك ؟ — فن وتجارة ... ... ... ...

١٨٣ ذكريات عشرين عاماً في مصحة حلوان ( كتاب ) : للدكتور عبد الرؤوف بك حسن — بقلم الدكتور لويس دوس

١٨٤ على الحصان ... ... ... ... ( قصة ) : للقصصي الفرنسي دي موباسان — بقلم الأستاذ كمال الحريري


٢٨٠١٢

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



بيــــان المصورات التى ظهرت إلى الآن تطلب من

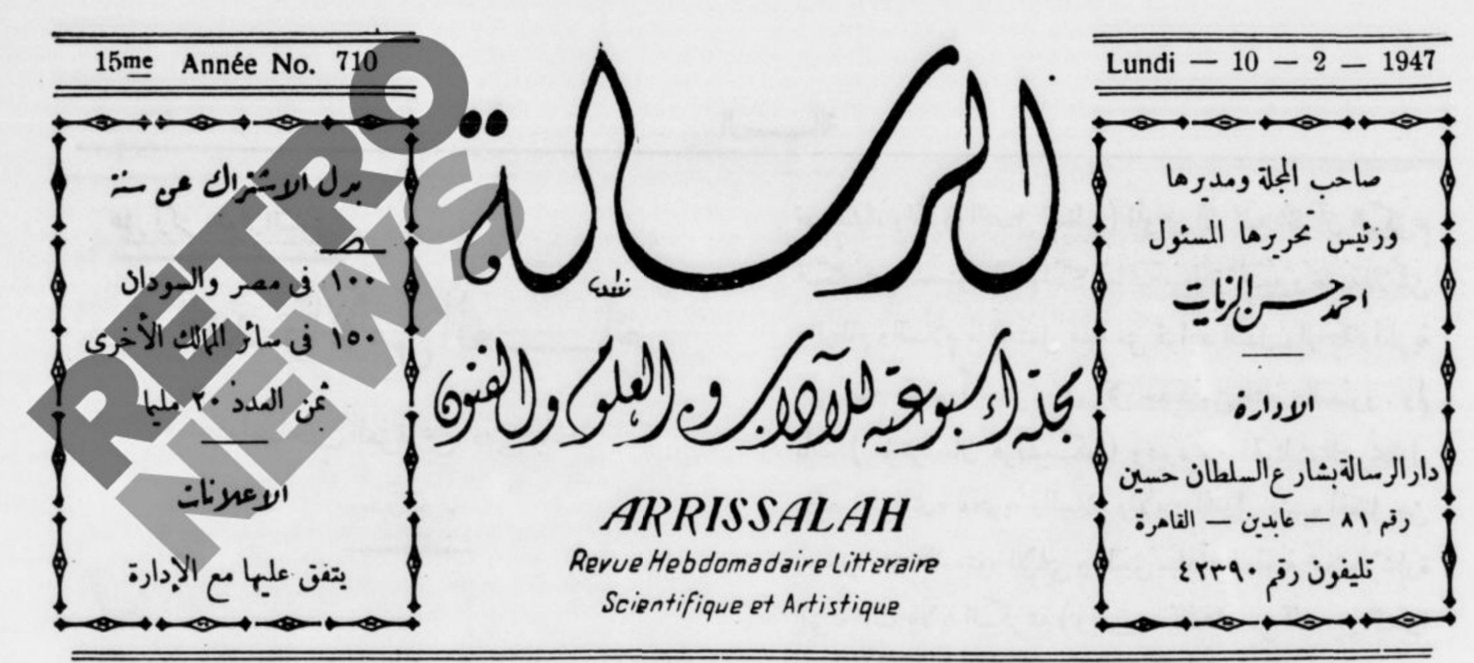
## دار إحياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابى الحلبى وشركاه

صندوق بريد الغورية رقم ٢٦ — تليفون ٥٠٨٥٦

| حيوانات | طيور | حشرات | أشجار ونبات | شعوب العالم |
|---|---|---|---|---|
| الأسد | الخفاش | العنكبوت | السنط | اليابانيون |
| النمر | النسر | البعوض | النخل | الصينيون |
| الدب | العصفور | دودة القطن | البرتقال | الأحباش |
| الضب | الهدهد | النحلة | قصب السكر | السودانيون |
| الذئب | الببغاء | الذباب | التوت | الاستراليون |
| الشاة | الدجاج الرومي | الجراد | الجميز | اليونانيون |
| الماعز | أبو قردان | العقرب | العنب | الايرانيون |
| القط | الحدأة | النمل | البن | العرب |
| الفأر | الإوز | زواحف | الشاى | الهنود |
| الثعلب | البط | وأسماك | الكاكاو | الأتراك |
| الحمار | الدجاج البلدى | التمساح | الأرز | الانجليز |
| البقرة | | الثعبان | القطن | أنواع مختلفة |
| الجاموسة | | الضفادع | القمح | مناقير الطيور |
| الأرنب | | السلحفاة | الشعير | أرجلها |
| القرد | | | | أوجه القمر |
| الكلب | | | | حروف التاج |
| | | | | الجهاز الدورى |
| | | | | الهيكل العظمى |

وهى وفق منهج وزارة المعارف العمومية . وقد أخذت منها الحكومة المصرية ومجالس المديريات لجميع المدارس الأميرية والحرة وقررتها سائر الحكومات العربية

جميع المصورات مطبوعة على ورق مبطن بالقماش ومثبتة على خشب وسعر الواحدة للمدارس والمكتبات عشرون قرشاً صاغاً ما عدا مصور الجهاز الدورى والهيكل العظمى فان سعر الواحدة منهما ثلاثون قرشا صاغا لأن حجمهما كبير . وهذه الأسعار غير مصاريف الإرسال .


15me Année No. 710 — Lundi — 10 — 2 — 1947

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧١٠ «القاهرة في يوم الاثنين ١٩ ربيع الأول سنة ١٣٦٦ — ١٠ فبراير سنة ١٩٤٧» السنة الخامسة عشرة

# في ميدان عابدين ...

شهد ميدان عابدين يومين من أيامهم السود سيظلان في تاريخ الاستعمار عنوانين على الخزي واللعنة: يومَ صحّت أحلامهم فأخذوا يدخلون، ويومَ زلت أقدامهم فأخذوا يخرجون! أما اليوم الأول فهو التاسع من سبتمبر عام ١٨٨١ يوم وقف عرابي في ساحة القصر، ومن خلفه الجنود، ومن خلف الجنود الشعب، يطلب من وليّ الأمر في احتشام واحترام أن يسقط وزارة ويقيم وزارة ... وكان كلفن ابن جون بول واقفاً بجانب الخديو يشير عليه بقتل القائد الثائر. فلما نبا (توفيق) في يد الحية، واستجاب لرغبة الأمة، قبض مشير السوء وسفير الاستعمار بكلتا يديه على ناصية الفرصة المجلي حتى لا تفوت، وأخذ يزرع بين القصر والحكومة الزرع الخبيث، حتى فسد الأمر واستطار الشر، وعصفت رياح الفتنة. وحينئذ وضع الماكر الخدّاع يديه على قوائم العرش يوهم صاحبه أنه يمسكه، وهو الذي يحركه. ثم وجد من طغام الطابور الخامس من أعانه بالخيانة على جيش الثورة، فاحتل البلاد ونفى القواد وسيطر على الحكم!

وأما اليوم الآخر فهو الرابع من فبراير عام ١٩٤٢ يوم وقف مايلز لمبسون حيث كان يقف عرابي، ومن ورائه فلول الدبابات التي طحنها روميل، يطلب من مليك النيل في صفاقة وحماقة أن يسقط وزارة ويقيم وزارة ... ولكن جون بول في هذه المرة كان هواه مع عرابي لا مع القصر؛ فوضع الكرسي بإزاء العرش، والطربوش بجانب التاج؛ ثم دفعه فجور النفس وخبث الضمير أن يقول لمصر وهو يقتحم أبواب القصر بيأس الحديد: أريد أن يحكم هذا الوزير أو لا يملك هذا الملكُ!!

كلمة مجرمة لم يقلها في ذلك اليوم البعيد عرابي الثائر، وإنما قوّله إياها الكذاب ليحكم عليه بالمصادرة والنفي وعلى وطنه بالاحتلال والحماية! ولكن المجرم قالها في هذا اليوم القريب بلسانه البذيء وسلاحه الجريء، فنزت في الرؤوس نوازي الغضب، وثارت بالنفوس عواصف الحميّة، وكاد الزمام يفلت من يد الحليم فيلتاث الأمر على انجلترا لولا أن سبق في حكم الله أن الجبان يهزم الشجاع، وأن العصا تكسر السيف، وأن (الملمين) تدمر ألمانيا!

لقد أثار جون بول الجيش يوم عرابي، والجيش قد ينهزم لأنه عتاد وعَدَد؛ ولكنه أثار الشعب يوم لمبسون، والشعب لا ينهزم لأنه روح ومدد! وإذا دخل اللص منصوراً وراء الجيش، فإنه سيخرج مدحوراً أمام الشعب. وإذا كان في يوم الدخول قد وجد الخائنَ الذي تلقاه في التل الكبير، ودله على الباب الخلفي، وقاده إلى فناء القلعة؛ فلن يجد بعون الله يوم الخروج إلا ألسنة تجري باللعن، وأرجلا تمتد بالركل، وأيديا تشير إلى جهنم!!

إلى القضاء يا مجرم!! إلى المحكمة التي أنشأتها سنختصم، وإلى القوانين التي سننتها سنحتكم. فإذا كنت أنت وحلفاؤك جادّين، فسيحكمون عليك بما حكمت به على عرابي؛ وإن كنتم هازلين فارتقب يوم ينذرك القضاء بحكم القدر، وتأخذك الصيحة الكبرى فلا تبقى عليك ولا تذر!

احمد حسن الزيات

على ذكر المولد النبوى:

# محمد والأمن العام

لصاحب العزة على حلمى بك

مدير جرجا

تمهيد:

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عصر مروع الأمن مضطرب النظام تسوده الفوضى من جميع نواحيه: عصبيات جاهلية، ووأد للبنات، وارتكاب لأشنع المنكرات، سلب ونهب، وقتل وعدوان؛ تغير القبيلة على الأخرى فتبدد شملها وتسلبها حرياتها ومالها وتعتدى على أعراضها فكان الحق للقوة الغاشمة والسيف المسلول. وبديهى أن يتبع هذه الفوضى انحلال فى الأخلاق وإزهاق للنفوس وسلب للأموال وضياع للحريات. كل ذلك كان فى جزيرة العرب. وما كانت الممالك المجاورة ذات المدنية والحضارة كالفرس والروم خيراً من بلاد العرب من هذه الناحية، بل كانت الحروب فيها قائمة يضطرم أوارها ويشتد لهيبها، وكان العالم يتردى فى بؤر الفساد ويرقص على بركان ثائر ينذر بالحروب والويلات - لذلك اقتضت الحكمة الإلهية أن يقوم على أنقاض هاتين الامبراطوريتين أمة أخرى فتية متوثبة متطلعة للنهوض، لا تعوزها الشجاعة المادية والأدبية ولا ينقصها قوة الجنان ولا تأبه بخوض غمار الحروب للذود عن الإنسانية وأمنها. وقد ألفت التقشف واعتادت شظف العيش، وكانت هذه الشروط موفورة فى أصحاب النبى محمد صلى عليه وسلم وتابعيه من أولئك العرب الذين سما الإسلام بنفوسهم، حتى جعل منهم أمة أخرى لا شاغل لها إلا إعلاء كلمة الله وإصلاح أمور المجتمع الإنسانى.

ولقد أعد الله هذه الأمة للنهوض بالعالم وتوحيد كلمته فأرسل من بينها رسولا عرف بالاستقامة والأمانة وحسن السيرة وقوة الشخصية وشرف المحتد وكرم الأصل، وكان لسلوكه الشخصى وسياسته الحكيمة وتأييده بالمعجزات الباهرة ما جعل من أخيارهم القلوب الواعية والأذن الصاغية (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً) (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم) فأوحى الله إليه بالقرآن الكريم فكان هو الدستور العام لكل ما فيه سعادة المجتمع وخاصة للأمن والنظام والسلام لما اشتمل عليه من قواعد العدل والرحمة والحرية حتى صار دستوراً يعمل به فى كل جديد من مختلف العصور. ولم يأت (مؤتمر سان فرنسيسكو) وغيره من الهيئات التى تحاول وضع مبادىء للحرية والسلام والأمن الدولى بشىء أفضل من مضمون هذا الدستور الإلهى وتطبيق مبادئه السامية عملا بالإشارة التى جاءت بالآية الكريمة (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله؛ فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) فرسالة محمد صلى الله عليه وسلم من أهم مقاصدها هداية الخلق وحقن الدماء ونشر السكينة والسلام. فبعد أن تمت له الهجرة وبلغ رسالة ربه كانت الحكومة فى عهده قائمة على العدل والحرية والإخاء المستمد من هدى القرآن الكريم ولم يستعن فيها النبى بعسس ولا شرط للمحافظة على الأموال والأنفس والثمرات. وكان مما ساعد على ذلك:

١ - الهيبة التى كان يتمتع بها صلى الله عليه وسلم؛ فقد ملأت قلوب المؤمنين والكافرين والمنافقين على السواء، وقلما كانت نفس مجرم أو قاطع طريق تحدثه بارتكاب ما حرم الله لما غشيهم من خشية الله وهيبة رسوله وقد روى أن أعرابياً دخل عليه صلى الله عليه وسلم فارتاع من هيبته فقال له: «خفف عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد».

٢ - إن الناس فى الصدر الأول من الإسلام ما كادوا يتلقون الدعوة ويدخلون أفواجا فى دين الله حتى فاضت قلوبهم بتقوى الله ورهبته وقلت الجرائم التى كانت ترتكب فى الجاهلية. وأصبح كل إنسان على نفسه حسيباً ورقيباً، فمن ارتكب جرماً فى السر أو العلانية سارع إلى الاعتراف للمصطفى صلى الله عليه وسلم بما ارتكبه فكان الجانى شرطى نفسه. روى أن رجلا أتى النبى فقال هلكت يا رسول الله! فقال وما أهلكك؟ قال أصبت امرأتى فى نهار رمضان قال: هل تجد ما تعتق رقبة؟ ومن أجل ذلك كان واجب الحاكم سهلا هينا، غير أن طبيعة البشر الطغيان، والظلم من شيم النفوس، والنفس أمارة بالسوء، فوجب الردع والزجر استئصالا للفساد وتثبيتا للاصلاح. ولذلك قال جل شأنه:

(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض).

وقد رمت الشريعة الإسلامية فيما جاءت به إلى المحافظة على الدين والنفس والعرض والعقل والمال وتلك أقصى غايات السعادة فى الدين والدنيا، فمثلا للمحافظة على الدين حرم الكفر والإلحاد وشرعت الصلاة والعبادات، وللمحافظة على النفس حرم القتل والانتحار. وللمحافظة على العرض حرم القتل والزنا. وللمحافظة على العقل حرمت الخمر ونحوها. وللمحافظة على المال فرضت الزكاة وحرم الميسر والسرقة.

وسنتكلم فيما بعد عن التشريع الجنائى الذى كفل تحقيق هذه الأغراض.

## القواعد الأولى التى وضعتها الشريعة الإسلامية لصيانة الأمن العام

تتلخص فى أن تصان النفس البشرية من العوامل التى تحملها على الإجرام وذلك:

أولا — بتهذيب النشء بالوعظ والإرشاد وإقرار العقائد الصحيحة التى تنير القلب وتجعله فى شغل دائم بمراقبة الخالق والخوف من عقابه واجتناب ما نهى عنه.

ثانيا — بفرض الزكاة والترغيب فى الصدقات صيانة للمجتمع من عوامل الإجرام. فقد قال الله تعالى (والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) وقال تعالى (فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث) وقال تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وقال عليه الصلاة والسلام «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة؛ ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة» وبذلك تزول حاجة الفقير فلا يفكر فى ارتكاب الجرائم. فلو علم كل فقير أن له حقا فى مال الغنى ما وجد عليه، ولساعده فى استثمار أمواله لعلمه أن ذلك يعود عليه بالمنفعة فيعمل مجداً مع الغنى فى زيادة الإنتاج فى جو من الأمن والسلام. إذ لا يخفى أن الجرائم إنما ترتكب غالباً بدافع الفقر والعوز وما (مشروع بفردج) وغيره من المبادىء الحديثة الخاصة بتأمين حياة الفقير ورفع مستوى معيشته إلا للأغراض التى توختها الشرائع السماوية.

على أنه ينبغى للغنى أن يذكر دائما أنه لا يعطى حين يعطى تبرعا بالمعنى الصحيح بل إن ذلك فى الحقيقة حق عليه كما تقدم ذكره فى الآية الكريمة، يأخذه الفقير وهو محفوظ الكرامة الإنسانية التى حفظها له الشارع. فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام «اليد العليا خير من اليد السفلى».

ولا شك أن فى ترغيب الشريعة الإسلامية فى العمل والتكسب والاحتراف إقامة لعماد الكرامة فقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائلا درهماً وأمره أن يشترى حبلا وفأساً ويحتطب حتى لا يتعرض لذل السؤال.

ثالثا — القصاص الحازم ممن يرتكبون الجرائم ليكون فى ذلك ما يردعهم عن ارتكابها، وقد بينت الشريعة الإسلامية تفصيلات الحدود والقصاص وسنوضحها فيما بعد.

رابعاً — العناية بالقضاء، وجعل منصبه أكبر مناصب الدولة بعد الإمارة فلا يعهد به إلا لمن تفقه فى الدين وعرف ما يصلح المجتمع وما يدفع عنه الشر وذلك بتطبيق أحكام الكتاب والسنة واتباع رأى المجتهدين من السلف الصالح، وقد امتازت الشريعة الإسلامية فى قضائها بمراعاة المصلحة العامة.

وهناك قواعد إيجابية وأخرى سلبية، وسنحاول بإيجاز بيان الهدى الإسلامى من الناحية السلبية فى منع الجريمة قبل وقوعها وما لذلك من أثر فى الأمن ضاربين بعض الأمثلة من مشاهداتنا العملية.

### القتل:

هو أفظع الجرائم. فقد حرمته جميع الشرائع السماوية. قال تعالى (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق) ولما كان إزهاق الروح من طبيعة الحيوان الوحش فارتكاب الآدمى له يدل على أن فطرته خلت من أخص المزايا البشرية، وإن فى ارتكاب هذه الجرائم ما يهدم كيان المجتمع ويفضى إلى الإخلال بالأمن. فكثيراً ما تثأر للقتيل أسرته وهذا شائع الحصول وكثير الوقوع خصوصاً فى بلاد الوجه القبلى فتقع بسبب ذلك معارك دموية بين الأسرتين أو الأسر وتسيل الدماء وتزهق الأرواح.

وكثير من حوادث القتل يكون نتيجة الغضب وحب الانتقام كما نلمس ذلك بوضوح فى الصعيد وسائر بلاد الريف، والغضب شر

أمراض النفس . وقد عالجه الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله : « ليس الشديد بالسرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » وكان هو نفسه المثل الأعلى فى الحلم وكظم الغيظ واحتمال المكروه حتى أثنى الله عليه فقال ( وإنك لعلى خلق عظيم ) .

**الانتقام والأخذ بالثأر :**

ولقد كانت الفوضى فى بلاد العرب ضاربة أطنابها . ومن أمثال ذلك الانتقام والأخذ بالثأر إذ كان من مظهر ذلك أن النساء لا يرضين فى الثأر إلا أن يصبغن ملابسهن بدم القتيل ، وبعضهن يأكل من كبده وقلبه كما حصل لسيدنا حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم فى إحدى الغزوات . وكن يعيرن من يمسك عن الانتقام لنفسه أو الأخذ بالثأر لذويه ، فوضعت الشريعة الإسلامية الغراء لذلك حداً وشرعت القصاص فى قوله تعالى ( ولكم فى القصاص حياة يا أولى الأبصار ) فإن إعدام القاتل فيه حقن للدماء لما فيه من الزجر والاعتبار فيكف كل جان عن ارتكاب هذه الجناية وبذلك يسود الأمن ويعم السلام .

وما زالت آثار هذه العادة الممقوتة باقية فى الريف وخاصة فى الصعيد وهى من التراث المكروه ويجب العمل على استئصالها بكل الوسائل الميسورة ؛ ومن أهمها العناية بالمصالحات والقضاء على الأمية ونشر نور العلم والعرفان بين هذه الأوساط وأن تكون إجراءات المحاكم سريعة وأحكامها رادعة زاجرة .

**شهادة الزور وأثرها وعلاجها :**

حرمت الأديان جميعها شهادة الزور — وعدتها الشريعة الإسلامية من أكبر الكبائر ، ومن دستور محمد القرآنى فى ذلك ( يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ) وقوله سبحانه وتعالى ( ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم ) وفى آية أخرى ( ولا تكتموا الشهادة وأنتم تعلمون ) ومما يثقل كاهل رجال الأمن فى مهمة كشف الجرائم التواء الشهادة أو الإعراض عنها . فما أحكم محمداً حيث يقول ما معناه « لا ينبغى لأحد شهد مقاماً فيه حق إلا تكلم به فإن ذلك لا ينقص أجله ولا يمنع رزقه »

ومما يؤسف له أشد الأسف أن الشاهد وخاصة فى الريف قلما يجد من الشجاعة ما يدفعه إلى أداء الشهادة معاونة منه للعدالة فى الاهتداء إلى الجانى لينال الجزاء العادل . ويكون من نتائج ذلك استفحال الإجرام — ويرجع الإحجام عن أداء الشهادة فى الغالب إلى الرهبة من الجناة والخشية من سطوتهم أو نفوذ ذويهم نظراً لطول إجراءات المحاكمة الجنائية

وعلاج ذلك تبسيط هذه الإجراءات واختصارها خصوصاً وقد دلت التجارب والمشاهدة على أن طول الزمن كثيراً ما يدفع ذوى الشأن فيها إلى الانتقام بأنفسهم فضلا عن أنه يقلل من أثر الأحكام فى نفوس الجناة ويضعف وقعها عند أمثالهم من المجرمين ، كما أن ذلك إن لم ينس الشهود الوقائع التى شاهدوها من عهد طويل فإنه يتيح الفرص للجناة لإضعاف أدلة الاتهام والتلفيق لإفلاتهم من يد العدالة .

وفى بلد كمصر تعددت فيه الهيئات القائمة على التحقيق وتوزعت المسئوليات يجب وضع القواعد الكفيلة بتبسيط العمل بحيث تقوم كل هيئة بما يفرض عليها ؛ حتى لا تتعدد الإجراءات تعدداً قد يؤدى إلى الاضطراب فى التحقيق والإضعاف من قيمته .

**المصالحات والوعظ والإرشاد :**

ومما جاءت به الشريعة الغراء للمحافظة على الأمن العام : الأمر بإصلاح ذات البين فقد قال الله تعالى : ( وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ) وقال الله تعالى ( إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ) وقال الرسول عليه السلام : « لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا » من أجل ذلك يكون لجهود الوعاظ فى هذا الميدان مجال فسيح عظيم الأهمية فى معاونة هيئات الحكومة للوصول إلى الهدف المنشود وهو إحلال الصفاء محل النزاع بما يسدونه إلى الفريقين من الموعظة الحسنة والإرشاد الحكيم

وقد قامت دعوة النبى عليه الصلاة والسلام على هذا الأساس فالله يقول ( فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر ) ويقول

**إلى إخواننا الأزهريين :**

# بمناسبة حادث الشيخ أبي العيون

## للأستاذ علي الطنطاوي

ما عرفنا علماء الأزهر إلا ملوكا ، لا أمر فوق أمرهم ، ولا كلمة بعد كلمتهم ، إذا قال واحدهم لبّت الأمة ، وإذا دعا هبّ الشعب ، وإذا أنكر على الحكومة منكراً أزالت الحكومة المنكر ، وإذا امرها بمعروف أطاعت بالمعروف ، فكانوا هم السادة وهم القادة ، وهم أولو الأمر : هذى حكومة مصطفى فهمى باشا تستجيب سنة ١٨٩٩ لرغبة الانكليز فى إضعاف القضاء الشرعى ، فتضع مشروعها المشهور ؛ لتعديل اللائحة الشرعية وضم اثنين من أعضاء الاستئناف الأهلى إلى المحكمة الشرعية العليا ، ويبلغ من ثقتها بقوتها ، وتأييد مجلس الشورى لها أن لا تبالى باحتجاج الحكومة العثمانية على المشروع ، وتعرضه على المجلس . (وكان من أعضائه الشيخ حسونة النواوى ، الذى جمعت له مشيخة الأزهر وفتوى الديار المصرية ) فيقول كلمة موجزة فى إنكار المشروع ، وينسحب من المجلس ويتبعه القاضى التركى ، فتكون هذه الكلمة كافية لقتل المشروع ، فيردّه المجلس كله ، وتحاول الحكومة إنفاذه على رغمه فلا تجد عضواً استئنافياً واحداً يقبل الانضمام إلى المحكمة العليا ، (عرضت ذلك على الشيخ محمد عبده وكان من أعضاء الاستئناف الأهلى وسعد زغلول وأحمد عفيفى ويوسف شوقى ويحيى ابراهيم . فأبوا جميعاً ) وتمشى كلمة الشيخ فى الناس مشى النار فى يابس الحطب ، فتهبّ الأمة كلها تؤيده حتى تَرضى الحكومة بالهزيمة وتسترد مشروعها[1] .

ولم يكونوا يخشون فى الحق لومة لائم ، ولا يخافون غضبة ملك جبار : هذا حسين باشا الجزائرلى ، يصل مصر فيفر منه أمراؤها إلى الوجه القبلى ، فيأخذ أموالهم كلها ولا يرضيه فى عتوه وجبروته أن يستولى على عروضهم حتى يسطو على أعراضهم ، فيقبض على نسائهم وأولادهم ، ويسوقهم إلى السوق ليبيعهم زاعماً أنهم أرقاء لبيت المال ، وكانت الأحكام عرفية ، وسيوف الظلم مصلتة ، ولواء البغى مرفوعاً ، ولكن ذلك لم يمنع علماء الأزهر من إنكار هذا المنكر ، ولم يرهبوا بطش الباشا وهم يروون أن أفضل الشهداء رجل قال كلمة حق عند إمام جائر فقتله بها ، فمضوا إليه وتكلم الشيخ محمد أبو الأنوار فقال له : « أنت أتيت إلى هذه البلدة وأرسلك السلطان لإقامة العدل ورفع الظلم كما تقول ، أوليبيع الأحرار وأمهات الأولاد وهتك الحريم ؟ » فقال : « هؤلاء أرقاء لبيت المال » . قال : « هذا لا يجوز ولم يقل به أحد » فغضب أشد الغضب وطلب كاتب ديوانه ، وقال : « اكتب أسماء هؤلاء وأخبر السلطان بممارضتهم لأوامره » فقال له الشيخ محمود البنوفرى : « اكتب ما تريد بل نحن نكتب أسماءنا بخطنا[2] » ، وكانت النصرة لهم عليه ، فأحقوا الحق وأبطلوا الباطل ، ووضع الله فى قلبه هيبتهم ، لأن من خاف الله خافه كل شىء . فكانوا بذلك ( أجل من الملوك جلالة[3] ) ،

---

(١) عن كتاب الأستاذ محمد فرج السنهوري .
(٢) القصة فى الجبرتى ٣ – ٢٠١
(٣) شوقى .

---

( وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغاً ) ويقول ( ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ) .

وبما أن هذه الدعوة هى رسالة الوعظ فحبذا لو ذللت سبل الانتقال لحضرات الوعاظ ليتمكنوا من كثرة التردد على البلاد التى تقع فى دائرة عملهم وليتيسر لهم أداء رسالتهم على الوجه الأكمل . وحبذا لو عنى كذلك خطباء المساجد بمعالجة العادات السيئة والمنكرات الشائعة والجرائم المنتشرة فى دائرة عملهم بما يلائم روح العصر وتطورات الزمن بعبارة سهلة مفهومة لعامة الشعب بالحث على التمسك بالدين وغرس صفات الرفق بالضعيف وإغاثة الملهوف ونصرة المظلوم والتحذير من الكذب وشهادة الزور والترغيب فى أداء الشهادة والصدق وما إلى ذلك من الفضائل . والمأمول أن يتم على أيديهم جميعاً تحقيق رسالتهم على أكمل وجه فيساعدون على استتباب الأمن وإسعاد البشر .

(البقية فى العدد القادم)

علي حلمي
مدير جرجا

وكانت إشارتهم للحكام أمراً ، وطاعتهم عليهم فرضاً ، حدّث الشيخ محمد سليمان[1] أن أباه قدم لطلب العلم فى الأزهر ، أواخر أيام الشيخ إبراهيم البيجورى ، فشكا إليه ظلم تلك الأيام ، وما كان فيها من السخرة والمونة فكتب له ورقة بمساحة إصبعين هذا نص ما كان فيها : « ولدنا مدير الدقهلية . رافعه من طلبة العلم يجب إكرامه. خادم العلم والفقراء. الخاتم (ابراهيم البيجورى) » فدفعها إلى المدير ، فقبلها ووضعها على رأسه ، ودفعت عنه هذه الورقة كل مظلمة ، وأنالته كل مكرمة ، ورفعت قدره عند المدير وعند الناس .

وكان الشيخ الأزهرى موقراً فى الجامع وفى البيت وفى السوق ، مبجلا عند الطلبة والعامة والحكام ، وكان أقصى أمل الطالب أن يخدم الشيخ وأن يحمل له نعله ، وإذا سبّه عدّ سبه إكراماً ، وتحمله مسروراً ، ورآه من أسباب الفتوح .

وكان الطالب الأزهرى المجاور ، يذهب إلى بلده فى العيد أو فى الإجازة ، فيقبل البلد كله عليه يقبل يده ، ويتبرك به ، ويشم فيه عبق الأزهر ، ويكون المرجع لأهله فى الجليل من شؤونهم والحقير، ويكون فقيههم والحاكم بينهم، لا مردّ لحكمه ولا اعتراض عليه ، لأنه يحكم بشرع الله ، ويبين حكمه فى فتواه

هذا ما عرفناه . فما الذى جرى حتى تبدلت الحال ، ووقع حادث الشيخ أبى العيون ؟

ما الذى نزع هيبة المشايخ من القلوب وأنزلهم من مكانتهم عند الحكام ؟

أأقول ؟ أنتم أيها الأزهريون فعلتم هذا كله ! أنتم تنكبتم سبيل أسلافكم ، فما الشيخ اليوم شيخ مسلّك ولكنه موظف محاضر ، وما التلميذ مريد طيّع ، ولكنه على الغالب مشاغب ، وما يطلب علماً ولكن يبتغى شهادة . أنتم ثرتم على مشايخكم وعلمتم الناس الثورة عليهم . أنتم أيها الطلاب .. أنتم مددتم أيديكم إلى مدرسيكم ، فجرأتم هؤلاء أن يمدوا أيديهم إلى أبى العيون . أنتم أطلقتم ألسنتكم فيهم فشجعتم هذه الصحف أن تتطاول حزبية إلى الكلام على شيخ الأزهر . أنتم أيها الأزهريون جميعاً جعلتموها جامعة فكان فيها ما يكون فى الجامعات ، وقد كانت جامعاً لا يكون فيه إلا ما يكون فى الجامع . لقد كان الأزهر لله فصار للناس ، وكان للآخرة فغدا للدنيا ، وكان يجيئه الطالب يبتغى العلم وحده ، يتبلغ بخبز الجراية ، وينام على حصير الرواق ، ويقرأ على سراج الزيت ، ولكنه لا ينقطع عن الدرس والتحصيل من مطلع الفجر إلى ما بعد العشاء ، ينتقل من شيخ إلى شيخ ، ففى كل ساعة درس ، ولكل درس كتاب ، ولكل كتاب ساعة للتحضير والمراجعة ، لا يدع الدرس إلا للصلاة فى المسجد صلاة خشوع وتبتل ، أو للأكل فيه أكل قناعة وتقشف ، أو لشرب العرقسوس أو الخرنوب . هذه ملذاتهم من دنياهم ، لا يخرجون من المسجد إلا عصر الخميس ، يؤمون الرياض والحياض ، للاستجمام والاستحمام ، لا يأملون من العلم مالا وقد كان أقصى مرتب الشيخ الأزهرى إلى عهد قريب ثلاثة جنيهات فى الشهر ، ولا يبلغها إلا نفر قليل ، فراضوا نفوسهم على القناعة ، وعودوها الصبر وألزموها الرضا. هذا المرصفى يحدّث عنه الأستاذ محمود حسن زناتى أنه كان فى دار بالية فى حى قديم وقد جلس على حصير ألقى عليه كتبه وأوراقه ، ومن حوله خيط من عسل القصب مرشوش على البلاط يدرأ عنه هجوم البق[1] لم يمنعه هذا الحصير الخلق فى هذه الدار البالية من أن يشرح عليه الكامل . وأورثهم هذا الفقر عزة فى نفوسهم : أورثهم كبر العلم ، وكل كبر مذموم إلا كبر العلم ، فلم يكونوا يحفلون أحداً من أبناء الدنيا ، لأنهم لم يتذوقوا لذتها حتى يداجوا فيها ، ولم يميلوا إليها حتى يتزلفوا إليهم من أجلها . كسروا قيودها وتخلصوا من رقها ، وهانت عليهم وهان أهلها . هذا هو اللورد كروم ، وما أدراك ما اللورد كروم ؟ ! يدخل على الشيخ محمد الانبابى شيخ الأزهر ، ويسلم عليه ؛ فيرد الشيخ التحية وهو قاعد ، فيعظم اللورد قعوده ويقعد إلى جنبه فيقول له مغضباً : « يا سيدنا الشيخ ألست تقوم للخديو ؟ » قال : « نعم » . قال : « فلم لم تقم لى ؟ » قال : « إن الخديو ولى الأمر وأما أنت فلست منا » . فيزيد ذلك اللورد إجلالا له ، ويكتبه فى أحد تقريراته لحكومته[1] .

وهذا هو رياض باشا وكان رئيس الحكومة وناظر المالية

(١) فى كتابه الحايل ( من أخلاق العلماء ) .

(١) من أخلاق العلماء .

يزور مدرسة دار العلوم ، وكان الشيخ حسن الطويل مدرساً فيها ، فلا يسلم الرئيس ويدخل ؛ حتى يبتدره الشيخ من آخر القاعة ، فيقول له : « يا باشا أما آن لكم أن تجعلونى معكم ناظراً ؟ » . فيدهش الباشا ويقول : « ما هذا يا شيخ حسن؟ » فيقول : « ما تسمع يا باشا ؟ » قال : « فأى نظارة تريد ؟ » قال : « المالية » قال : « لماذا ؟ » قال : «لأستبيح أموالها![1]» فذعر الباشا وخرج يرتجف، وقال لعلى مبارك باشا ناظر المعارف : « لا بد أن تخرج هذا الرجل من خدمة الحكومة » قال : « كيف ؟ وماذا أصنع مع علماء الأرض ، وهو عالم عالمى؟ [2] » .

كذلك كانوا . زهدوا فى الدنيا فجاءتهم الدنيا ، وأعرضوا عنها فأقبلت عليهم ، وهابوا الله فهابهم الناس ، فكيف حالكم اليوم يا إخواننا الأزهريين ؟

***

يا إخواننا ، إن هذا الأزهر المعمور ، لبث خمسمائة سنة من عمره ، وهو منار العلم المفرد فى الدنيا لولاه لتاهت فى ظلمات الجهل ، وهو حارس الدين واللغة ، فأدركوه لا ينطفئ المنار ، ويهجع الحارس ، وتترك الدنيا للظلام وللصوص .

يا إخواننا ، ما عاش الأزهر ولا عز بالعلم وحده ، وما العلم بلا عمل ؟ ولكن عز بالتقوى وبالعمل وبالخلق المتين . لقد كانت لعلماء الأزهر أخلاق لا أقول ضاعت ولكن اختفت عن الناس تلك الأخلاق ، كانوا يجلّون مشايخهم فيجلهم الناس كلهم . هذا هو الشيخ الباجورى شيخ الجامع كان يجلس بعد المغرب فى الصحن فيقبل عليه العلماء والطلبة يقبلون يده ، وكان الشيخ مصطفى البلط وهو أكبر منه ، ناظره فى طلب المشيخة ولم ينلها ، يندس فيهم ويقبل يد الشيخ ، فانتبه إليه مرة فأمسك به وبكي وقال : « حتى أنت يا شيخ مصطفى ؟ لا . لا » فقال الشيخ مصطفى : « نعم . وأنا ! لقد خصك الله بفضل وجب أن نقره ، وصرت شيخنا فعلينا أن نوقرك[2] » ، وكانوا يقدمون العلم على المنصب ، ويعرفون لأهله حقهم . هذا هو الشيخ الشربينى شيخ الجامع يجيء إلى الشيخ الأشمونى فيراه مضطجعاً على جنبه فيضع حذاءه بعيداً ويقبل عليه على مشهد من أهل الجامع حتى يلثم يده . وكان الأشمونى ربما قال له : « إزّيك يا عبد الرحمن ؟ » فيكون الشيخ كأنما حيّيته من فرحته بذلك الملاطفة[1] ، ولم يكونوا يدعون للعدو ثغرة يدخل منها إليهم ، ويجعلون خلافهم إذا اختلفوا ، بينهم ، هذا هو الشيخ الأمير كانت بينه وبين الشيخ القويسنى جفوة بلغت الحاكم ، وزاره الأمير فسأله عنها ، وأوهمه أن القويسنى أخبره بها وكان يريد معرفة حقيقتها ليزيلها . فقال الشيخ الأمير : « ليس بيننا إلا الخير ، وما أظن الشيخ القويسنى حدثك بشيء من هذا » وأثنى عليه ومدحه ونزل من عند الحاكم فمر به على ما كان بينهما ، وأنبأه بما كان ، فقال القويسنى : « صدقت فى ظنك ما قلت للحاكم شيئاً » قال الشيخ الأمير : « هكذا أهل العلم يسوون أمورهم بينهم ، أما مظهرهم فيجب أن يكون قدوة فى التآلف إمساكاً على عروة الإسلام ، وحفظاً لكرامة العلم ، وزال بذلك ما كان بينهما[1] .

***

فيا إخواننا الأزهريين ، سألتكم بالله ، ارجعوا بالأزهر إلى سبيله التى درج عليها . أعيدوه سنته الأولى . أفيضوا عليه الدين والتقوى ، فالتقوى روح العلم ، فإن فارقته كان جسماً بلا روح . أحيوا فيه أخلاق الأسلاف ليكن لكم تقاهم وزهدهم ، فتكون لكم عزتهم ومكانتهم . يا إخواننا ، لم نجد والله خيراً فى الجامعة الأزهرية ، فردوا علينا الجامع الأزهر !

**علي الطنطاوي**

(١) تعريضا برياض باشا . (٢) من أخلاق العلماء .

(١) من أخلاق العلماء .

# أنستاس الكرملي

## ١٨٦٦ - ١٩٤٧

للأستاذ مهدي القزاز

وفاة الكرملي :

فى صباح اليوم السابع من شهر يناير سنة ١٩٤٧ توفى فى المستشفى الملكى ببغداد العلامة (الأب أنستاس مارى الكرملى الحافى) أثر أمراض لازمته منذ مدة من الزمن كان يتغلب عليها بحيويته ونشاطه حتى تغلبت عليه فى الأيام الأخيرة فاضطرته إلى دخول المستشفى . وكان وهو يصارع هذه الأمراض داخل المستشفى ، يطالع ما يأتيه من الكتب ويرد على الرسائل التى ترده من الشرق والغرب ويجيب على الأسئلة ويستقبل زواره الذين كانوا يتوافدون للاطمئنان على صحته . حتى أصبحت الغرفة التى ينام فيها مجلساً للشعر والأدب والنقد اللغوى ! وكان يشترك فى بعض الأحاديث — بالرغم من مرضه الشديد ويستأنس بهذا الجو العابق بأحاديث الشعراء والأدباء الذين يفدون للسلام والاطمئنان .

وقبل وفاته بثلاثة أيام منعه الأطباء من المطالعة والكتابة ومنعوا أيضاً عنه الزيارات فعاش — رحمه الله — أيامه الأخيرة فى وحدة قاسية متألما من شدة المرض الذى هجم عليه هجوماً عنيفاً وترك هيكله الضخم حطاماً لا يعرف ، ولم يفد سهر الأطباء والعمليات التى أجريت له ومختلف أنواع العقاقير فقضى مأسوفا عليه ، وأذاعت نعيه محطة الإذاعه العراقية ثم لجنة الترجمة والتأليف والنشر فى وزارة المعارف وتناقلت محطات الإذاعة فى الشرق والغرب هذا النعى وأبنت الفقيد بما تستحقه مكانته الأدبية وخدماته للغة العرب وتاريخهم .

تاريخ الكرملى :

ولد الكرملى فى بغداد فى اليوم الخامس من شهر آب سنة ١٨٦٦ منحدراً من أم عراقية . ولما بلغ سن الدراسة ألحقه والده بمدرسة الكنيسة اللاتينية الابتدائية ، واهتم منذ صغره بدراسة اللغة العربية ومفرداتها . وفى سنة ١٨٨٦ رحل إلى بيروت ودخل المدرسة اليسوعية الاكليركية ، وعلى يد أساتذتها درس اللاتينية واليونانية ونبغ فيهما نبوغاً عظيما دهش له الأساتذة . وكان إلى جانب دراسته هذه يدرس العربية أيضاً دراسة متصلة لا تنقطع .

ولما كان طبعه الجسور لا يستقر ولا يهدأ ، ومطامعه لا تقف عند حد فقد ترك بيروت قاصداً مدينة (شيفرمونت) فى بلجيكا فانخرط هناك فى سلك الرهبنة وانغمر فى الدراسات الفلسفية واللاهوتية ، وقد فتحت له هذه الدراسات أجواء جديدة من المعرفة . ثم ترك (شيفرمونت) إلى مدينة (لاغنو) ثم مدينة (مونبليبه) فى فرنسا ، فأنجز دراسته فى الدير الكرملى هناك ورسم كاهنا باسم (أنستاس الكرملى) ولما تم له هذا النجاح سافر إلى أسبانيا وأقام هناك مدة يتنقل فى المدن الأسبانية ويدرس آثار العرب ومخلفاتهم وما تركوا من ذخائر نفيسة فى التاريخ والشعر واللغة والأدب ، واستنسخ عدة مخطوطات هامة من الأديرة والكنائس والمتاحف لا تزال محفوظة فى مكتبته العامرة إلى الآن .

وبعد أن أنهى رحلته فى أسبانيا رجع إلى بغداد فسلمت إليه إدارة المدرسة الكرملية وتولى فيها تدريس اللغتين العربية والفرنسية . ثم رأى أن هذا الجو يضيق بمعارفه وبتفكيره وما طبع عليه من انطلاق وتحرر وما فى جبلته من حب للاستزادة من البحث والدرس فترك المدرسة وانصرف للتنقيب والتأليف فى اللغة العربية وتاريخها والوقوف على أسرارها فكان لا يدخر وقتاً ومالا فى سبيل الحصول على كل مخطوط أو كتاب يرى فيه عوناً لأبحاثه ودراساته .

وفى هذا التاريخ لمع اسم (الكرملى) باحثاً وعالماً لغويا لا يجارى ، فأخذ يضع التآليف القيمة والبحوث الهامة والدراسات المفيدة وينشر فصولا فى المقتطف والهلال والمشرق وفى المجلات الأوربية التى قدرت سعة اطلاعه ونبوغه فأخذت تراسله وتعتمد عليه وتستشيره فى الشؤون التى اختص بها . كما أن دوائر الاستشراق رأت فيه عالما مطلعاً وباحثاً عبقريا فاعتمدته فى أبحاثها ودراساتها والإشراف على بعض ما يشكل عليها فى تاريخ اللغة والأدب .

وفى سنة ١٨٩٦ أنشأ ( الكرملى ) جريدة ( العرب ) فعاشت أربع سنوات ثم مجلة ( دار السلام ) التى عاشت سنة واحدة . وفى سنة ( ١٩١١ ) أصدر مجلة ( لغة العرب ) فكانت من أرقى المجلات العربية فى العالم العربى حرر فيها نخبة من كتاب العراق والبلاد العربية ، وقد عاشت هذه المجلة عدة سنوات ثم أغلقت . وعند إعلان الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ نفى الكرملى خارج العراق بسبب ميوله الوطنية ثم أفرج عنه ، وفى هذه الأثناء انتخب عضواً فى مجمع المشرقيات الألمانى وذلك سنة ١٩١٦ وبعد ذلك انتخب عضواً فى المجمع العلمى العربى بدمشق ثم عين عضواً فى المجمع الملكي المصرى للغة العربية .

وانصرف الفقيد بعد ذلك إلى التأليف وحضور المؤتمرات اللغوية ، وكان دائب السفر بين بغداد والقاهرة والقدس وبيروت باحثاً ومستقصياً ومستنسخاً ، حتى تمكن من تأليف ما يقارب الأربعين مؤلفاً فى الآداب واللغة والفلسفة والدين ، ومن أهم كتبه المطبوعة ( الفوز بالمراد فى تاريخ بغداد ) و ( مختصر تاريخ العراق ) و ( جمهرة اللغات ) و ( كتاب الجموع ) و ( كتاب العجائب ) و ( كتاب أديان العرب ) وغير ذلك من الكتب المهمة ؛ كما أنه وضع معجماً عربياً خطيا يعد حجة فى بابه . وله معجم (عربى فرنسى) مطول . أما كتبه وتآليفه غير المطبوعة فكثيرة ومهمة جداً نأمل أن تقوم وزارة المعارف بطبعها خدمة للغة العربية وتاريخها ولذكرى الفقيد الراحل .

وكان الكرملى يتقن إلى جانب اللغة العربية اللغات اللاتينية واليونانية والفارسية والتركية والانكليزية والفرنسية والأسبانية؛ وله أبحاث عديدة فى هذه اللغات نشرتها مجلات الغرب فى حينها وكلها تتناول لغة العرب وتاريخهم وآثارهم .

**مكتبة الكرملى :**

يملك الفقيد مكتبة تعد من أنفس المكتبات فى العالم العربى بما حوته من كتب مخطوطة ومطبوعات نادرة . جمعها من مختلف بلاد الشرق والغرب وبذل فى سبيلها أموالا كثيرة حتى كان رحمه الله يتجشم مشاق السفر فى سبيل الحصول على مخطوط أو استنتاخه مهما بعد المكان والقطر . ويقال إن مكتبته تحوى فى الوقت الحاضر على ما يقرب من ( ١٤ ) ألف مجلد بمختلف اللغات جمعها الفقيد فى خمسين سنة .

وحرصا على هذا الكنز النفيس من الضياع وحرمان الجمهور من فوائده وتمكينا للعلماء والباحثين والمطالعين من ارتياد هذه المناهل فقد تقرر بمدوفاته تأليف لجنة لتنظيم شؤون هذه المكتبة وإدارتها وإيجاد عمارة خاصة بها تفتح أبوابها للباحثين من رواد العلم . وتأخذ هذه اللجنة على عاتقها طبع تآليف العلامة الفقيد والمخطوطات النفيسة الأخرى . والمتوقع تأليف هذه اللجنة من صاحبى المعالى الدكتور حنا خياط ويوسف غنيمة وبعض الأفاضل .

وقد علمنا أن اللجنة الثقافية فى الجامعة العربية قد عهدت إلى مندوب العراق فى الجامعة إبلاغ الحكومة العراقية رجاء اللجنة فى أن تقتنى الحكومة مكتبة المرحوم الكرملى قبل أن تضيع وتتبعثر

**أدب الكرملى :**

نشأ الكرملى نشأة دينية وتثقف ثقافة فلسفية، وعكف على دراسة اللغة العربية واللغات الأخرى وانصرف لبحوث التاريخ . وبرع فى علوم اللاهوت واشتغل أكثر سنوات عمره بتأليف الكتب التاريخية والفلسفية والدينية . وكان رائداً من رواد اللغة العربية وتاريخها . ولذا تجلت عبقريته فى هذا اللون من الأدب وحده . وكان حافظاً وراويا من الطراز الأول لكثرة ما قرأ من الكتب وطالع من الأسفار وتتبع من الحوادث .

كان الفقيد يعقد مجلساً أدبياً بداره فى ( دير الكرمليين ) فى يوم الجمعة من كل أسبوع ، وكان يختلف إلى هذا المجلس صفوة مختارة من الشعراء والأدباء والمؤرخين والصحفيين وبعض الأساتذة والطلاب. تختلف أذواقهم ومشاربهم. ولكن تجمعهم رابطة الأدب واللغة وحب البحث والجدل وتذوق هذه الألوان الفكرية التى كانت تدور فى هذا المجلس الذى كان دائماً يعمر بالرواد فيبحثون فى قضايا الأدب والنقد والشعر ويثيرون بعض المسائل الفكرية التى تتخذ فى النهاية شكلا من أشكال الجدل يطلع منه المرء على تيارات مختلفة من الأفكار والمنازع والأهواء .

وكان الكرملى يشترك فى جميع الباحثات والمناقشات الفكرية التى تدور فى مجلسه ويديرها ، وإذا لزم الأمر يبرز ما لديه من المراجع والمستندات والوثائق التى تزدحم بها مكتبته العامرة فى مختلف اللغات واللهجات للبرهنة على وجهة نظره وتأييد فكرته

وكنت من الذين يحضرون مجالس الكرملى الأدبية هذه ويشتركون فى بعض المناقشات التى تثار فى قضايا الأدب والفكر

**الأدب فى سير أعلامه :**

# ٢ ـ تولســـتوى . . . !

[ قمة من القمم الشوامخ فى أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه ]

للأستاذ محمود الخفيف

## طفولة ونسب



دخل ابو حجرة الدراسة وأسلم إلى مرب يعلمه ويقوم على تنشئته ، وكان هـذا المربى ألمانى الجنس وهو تيودور رويـل ، وكان من عادة سراة الروس أن يختاروا لأبنائهم مربين من الأجانب ليعلموا هؤلاء الأبناء اللغة الأجنبية التى تراد لهم وهم صغار وذلك بالحوار والمرانة لا بالقراءة فى الـكتب فحسب ، ولقد كان تيودور رويل هـذا من الشخصيات التى تأثر بها الصبى تأثراً شديداً منذ دخل حجرة الدراسة ، والتى ظل أثرها عالقاً بنفسه مدى حياته الطويلة ؛ إذ كان المربى مستقيم الخلق كريم الطبع عطوفاً على تلميذه فى غير ضعف ، شديداً عليه فى غير عنف ، مخلصاً فى عمله إذا هم بأداء واجب ، ولا يبخل بجهد يرى فيه صلاح تلميذه مهما أرهقه هذا الجهد ، وبهذه الصفات الطيبة أو بهذه القدوة الحسنة أثر المعلم فى تلميذه وهيأ الجو الصالح لنمو الصفات الطيبة فى نفس ذلك الصبى ...

فإذا انطلق الطفل من حجرة الدراسة كانت العمة تاتيانا أول من يلق فـا يطيق البعد عنها ، وإن حبه إياها ليصغر دونه كل حب ، وإن أثرها فى نفسه ليقل عنده كل أثر ، وسيكبر الصبى ويخرج من نطاق البيت إلى مضطرب الحياة ويظل أثر العمة تاتيانا قوياً فى نفسه ، ويظل شخصها حياً فى حسه ، وتظل صورتها ماثلة فى خاطره . وسيعبر عن هذا كله فيما يتناوله قلمه من ذكريات الحياة ومشاهدها . نجد مثلا لذلك فى قوله : « إنى لأذكر ذات يوم وأنا ابن خمس كيف اندسست خلف أريكة كانت تجلس عليها فى الثوى ، وكيف مدت إلىّ يدها ومست جسدى فى حنو ورفق ، وكيف أمسكت بيدى تلك اليد وقبلتها

---

فـكان لا يرضينى هذا التزمت فى الأدب الذى تفرضه أبحاث العلامة الـكرملى ومناقشاته ، فقد كان يحاول دائماً أن يضع للأدب مقاييس وقيوداً وحدوداً لا يتعداها ولا يرى فى الانطلاق والتحرر إلا خروجا وخطأ وجريمة ... وكان تفكيره الرتيب الذى جاء نتيجة دراساته الجافة لا يسمح له بالتجوال إلا فى آفاق محدودة ودوائر خاصة لا يتعداها ولا يسمح لنفسه بالخروج منها . ولذا كان لا يستسيغ هذا اللون من الأدب الحديث الذى برع فيه ناشئة الأدب فى البلاد العربية وتحرروا فيه من قيود الماضى وانطلقوا يكتبون فى أجواء حرة وأساليب حديثة .

لم يكن الـكرملى أديباً خلاقا أو باحثاً مبدعا ، ولم يترك له أثرا فى الحياة الفكرية فيه هذا اللون المشرق الذى يغذى العواطف ويهز القلوب ، ويفتح كوى مشرقة فيها أضواء وأخيلة وأنداء وجنائن مسحورة يعبق جوها بالأمانى والأحلام تترك الشعور يحلق فى متاهات بعيدة وآباد مجهولة فيها أمواج من النعيم وسحر غريب له لذة وفيه نشوة ، كما نشاهد فى أدب الزيات وطه حسين والحكيم وغيرهم من أساتذة اللغة والبيان .

إن عبقرية الـكرملى وإشراق ذهنه فى اللغة العربية وتاريخها ودراسته المتصلة للغات القديمة والحديثة ونشـاطه المعروف فى التتبع والبحث والتأليف لو أضاف إلى كل ذلك إشراق العبارة وذهنية تشرك عقلها وقلبها فيما تنتج وتفكر لعد من العباقرة الخالدين فى الأدب العربى . ولـكن هذا التحنيط والجمود فى أسلوبه قلل من أثره فى الحياة الفكرية وجعله أشبه بمعجم لا يراجع إلا عند الحاجة إليه .

إن اسم ( الـكرملى ) سيخلد فى مجامع الشرق والغرب كعلم من أعلام اللغة والدين والفلسـفة خدم بتتبعه لغة العرب وترك فيها آثارا عديدة ونور عقولا وأذهانا ؛ وكان فخر أمته ، وعقلا عبقريا من عقولها فى الخارج .

بغـداد — مهدى فرزان

ودموع الحب فى عينى ... لقد كان للعمة تاتيانا أعظم الأثر فى حياتى ، فمنذ الطفولة الباكرة علمتنى كيف تكون بهجة النفس فى روحانية الحب ، ولقد علمتنى هذه الفرحة لا بكلامها فحسب بل إنها ملأتنى حباً بكيانها كله . لقد رأيت ولقد أحسست كيف كانت تمتع نفسها بنعمة الحب ، ومن ذلك فهمت بهجة الحب ، وهذا أول ما علمتنيه . ثم إنها بعد ذلك علمتنى نعيم الحياة المطمئنة الهادئة » .

وحق له أن يحب هذه السيدة التى يدعوها عمته كما يفعل إخوته والتى تقوم منهم جميعاً مقام الأم وقد حرموا من أمهم . وكان ليو منذ صغره مرهف الحس متقد العاطفة تأسره الكلمة الطيبة وتثيره الكلمة القاسية فما يملك أن يحبس دمعه . وعرفت عمته تاتيانا كيف توحى إليه ما تحب من المعانى العاطفية ...

وليس يذكر ليو أمه فقد ماتت وهو دون الثانية بقليل ، وكانت سيدة كريمة المحتد نبيلة الخلق عالية الثقافة ، تقية رحيمة القلب مرهفة الحس مهذبة الذوق ، تتكلم خمس لغات ولها بالموسيقى شغف عظيم ولها مقدرة ملحوظة فى العزف على البيان ، وموهبة فى سرد القصص جعلت لها شهرة عظيمة فى هذا الباب حتى لقد كانت فى حفلات الرقص تجتذب إليها كثيرين ممن يفضلون أن يستمعوا إليها على أن يشهدوا ما يدور فى تلك الحفلات ، وكان الطفل يستمع إلى سيرتها فى اهتمام كلما تحدث عنها الخدم أو تحدثت عنها العمة تاتيانا ، فتقوم فى ذهنه صورة لها تطمئن لها نفسه ويبتهج فؤاده ، وتظل هذه الأحاديث تهجس فى خاطره فتزداد صورة أمه وضوحاً فى نفسه كلما تقدم به العمر فاذا كتب عن أمه غدا فيما يكتب قال : « لست أذكر أمى ؛ لقد كنت ابن سنة ونصف حين ماتت ، وبسبب مصادفة عجيبة لم تحفظ لها صورة ، وعلى ذلك فلا أستطيع أن أرسم فى خيالى صورتها المادية . وإنى لفرح بهذا من وجهة نظر هى أن ما يقوم بذهنى لها إذ أتصورها إنما هو صورتها الروحية ، وكل ما أعلمه عنها من هذه الناحية جميل ، وأظن أن ذلك لم يكن مرده إلى أن من يتحدثون عنها لا يذكرون لى إلا الخير وإنما كان مرده إلى أن نفسها كانت تنطوى على كثير من الخير حقاً » .

ويبقى فى ذاكرته من أحاديث الناس عنها الشىء الكثير ، ولكنه معجب بصفة من صفاتها يراها خير الصفات جميعاً ويشير إلى ذلك فى قوله « إن أرفع خلالها قيمة هى أنها كانت على حرارة مزاجها وسرعة تأثرها تضبط نفسها أبداً ، ولقد يحمر وجهها ولقد تبكى كما أخبرتنى خادمها ولكنها لا تلفظ قط لفظة نابية بل إنها لا تعرف واحدة من تلك الكلمات » ، ويقول عنها كذلك « إنها كانت تبدو فى خيالى مخلوقاً علوياً روحياً طهوراً وبلغت من ذلك حداً جعلنى فى الحقبة الوسطى من عمرى إبان جهادى ضد المغريات والوساوس القاهرة أتجه إلى روحها مصلياً مبتهلا إليها فى صلواتى أن تأخذ بيدى . ولقد كان لى فى أكثر الأحيان فى هذه الصلوات كثير من العون » .

ذلك أثر أمه فى نفسه وإن لم يرها ، أما أبوه فقد كان يحس ليو طيب قلبه وشدة عطفه على أبنائه ، وكان يحب قصصه التى يتلوها عليهم أثناء الطعام كما كان يراه رفيقاً بهم لا يمنعهم على زياطهم ولا يضيق بهم إذا دخلوا عليه حجرة مكتبه ؛ وكان يعجب ليو بوجاهة أبيه وأناقة ملبسه إذا تأهب للذهاب إلى المدينة ، وبمهارته ونشاطه وجمال طلعته إذا خرج للصيد . وكم كان ينظر إليه فى إعجاب ومحبة وهو جالس فى مركبته وحوله عن قرب خدمه وكلاب صيده ... كم كان يداخل الطفل شعور الإعجاب به لما يرى من هيبته ؛ واستطاع خياله الناشئ واستطاعت عيناه الصغيرتان أن تنفذا إلى سر تلك الهيبة وهو احترام الرجل نفسه وصونه كرامته فما يطأطئ أبوه رأسه أو يخفض صوته أو يغير لهجته لدى أى كبير من الحاكمين مهما علا مقامه ؛ ثم إنه يفطن إلى معنى آخر يحبب أباه إليه ، وذلك أنه على ترفعه واستكباره أحياناً على مزارعيه ، يعطف عليهم فلا يرضى لهم بالعقوبة البدنية ولا يحب أن يرهقهم بالعمل ، فإذا حدث لهم شىء من ذلك كان على غير علم منه وإذا علم بشىء منه نهى عنه واشتد فى النهى وأخلص فيه .

وسيرث ليو صفات أبيه فيكون عطوفاً رؤوفاً يكره العنف على المزارعين ويحب أن يعلمهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور ؛ ولكنه كذلك سوف ينشأ معتداً بذاته كثير الذهاب بنفسه سريع الميل إلى ازدراء غيره ، ومهما حاول التغلب على تلك النزعات فى طبعه غلبته على أمره فى كثير من المواقف فيزهى ويتكبر ولا يقوم فى نفسه إلا شعوره بما نشأ فيه من أيامه من دلائل العظمة والثراء وعراقة الأصل ، وحسبه أن ليس هناك فى ياسنايابوليانا وما حولها قوم لهم السيادة والجاه منذ عهد بطرس الأكبر إلا آل تولستوى ...

وأحب ليو إخوته حباً شديداً وأحب اللعب معهم كلما أطلقهم المربى من حجرة الدراسة ؛ أحب أ كبرهم نيقولا لأنه يعلمه كل شيء ولأنه عطوف عليه مرح فكه الحديث ، يراه ليو لا يبارى فى سرد الحكايات والقصص الجميلة وفى رسم الصور المختلفة الأشكال والألوان ، وأحب سيرجى لوجاهة منظره وأعجبه منه حبه الغناء واللهو وكبرياؤه وعدم مبالاته بما عسى أن يقول عنه القائلون ؛ أما ديمترى وهو أقرب الثلاثة إليه سناً فكان يأنس بهدوئه وابتسامته الحلوة وعاطفته الرقيقة ...

وكانت من أحب الألعاب إليه تلك اللعبة التى ابتكرها نيقولا ؛ فقد أسر إليه أنه اهتدى إلى نوع من السحر يستطيع به أن يجعل الناس جميعاً على ظهر الأرض أحباباً بعضهم لبعض ، وأن سحره هـذا منقوش على غصن أخضر دفنه فى مكان ما بالقرب من موضع حدده لهم ، ثم دعاهم إلى الجلوس معاً جنباً إلى جنب فى بقعة صغيرة يظللهم سقف واحد كما تفعل النمل لتكون لهم مثل أخوة النمل ومحبة جماعاته ، فأقبلوا حيث جلسوا تحت غطاء من القماش وضعوه على بعض الكراسى وتلاصقوا هنا وهناك فى تعاطف ومودة ، وأخذ يحدثهم نيقولا أنه بالحب المشترك المتبادل يستطيع الناس أن يكونوا إخوة ، وهكذا صارت هذه اللعبة من أحب الألعاب إلى الأخوة ؛ ولكم تجمعوا تحت خوان أو فى ركن من الأركان ومثلوا أخوة النمل ، وأحدثت اللعبة أثرها فى خيال ليو ووجدانه فقبل أن يبلغ السادسة من عمره يستقر فى نفسه حلم لذيذ عن عالم جديد يرتبط فيه الناس بعضهم ببعض برباط الحب والمودة حتى يصبحوا بذلك إخوانا ...

استقر هذا الحلم فى نفس الطفل وهو دون السادسة وما زال مستقراً فيها حتى بعد أن جاوز السبعين من عمره فقد كتب إذ ذاك يذكر ذلك الحلم فقال : « إن ذلك المثال وهو أخوة النمل وتعلقنا بعضنا ببعض متحابين بقى قائماً فى نفسى لا يتغير وإن لم يعد كما كان أمس تحت قماش يظلل كرسيين عاليين فهو اليوم عندى تعلق البشر بعضهم ببعض متحابين تحت غطاء عظيم هو قبة السماء ، وكما صدقت يومئذ أن هناك عصاً صغيرة خضراء نقشت عليها تلك الرسالة التى تمحق الشر كله فى نفوس الناس وتهيىء لهم السعادة العامة فكذلك أعتقد اليوم أن هذه حقيقة ممكنة وسوف تنكشف للناس وسوف يمنحهم كشفها كل ما تعدهم به من سعادة » .

ولقد أوصى تولستوى فيما بعد أن يدفن حين يموت حيث دفنت تلك العصا الخضراء ، فى تلك البقعة التى صارت حبيبة إلى قلبه من أجل ذلك الغصن الأخضر الذى أوحى إلى نفسه أن يتحاب الناس جميعاً ويتآخوا على نحو ما تنطق به قصة أخيه ؛ ولقد دفن فعلا الكاتب العظيم فى الموضع الذى عينه أخوه مثوى للغصن الأخضر وذلك بعد ستة وسبعين عاماً من قصة ذلك الغصن !

وحدثهم نيقولا حديثاً آخر أبهج نفوسهم الصغيرة وملأها شوقاً وتطلعاً وذلك أنه سيقودهم إلى تل ما وسيبلغ بهم قمته ، فاذا بلغوها وطلبت نفوسهم أى شيء فلا يلبثون دون أن يكون بين أيديهم ، ولكنه لن يقودهم إلى ذلك التل إلا أن يجيبوه إلى ما يطلب إليهم أداؤه ، فعلى كل منهم أن يقف فى ركن فلا يتجه ذهنه لحظة إلى دب أبيض أى عليه ألا يخطر بباله هذا الدب ، وعليه أن يمشى مستقيماً على شق بين الألواح الخشبية فلا يميل ، ثم عليه أن يمتنع عاماً كاملا عن رؤية أرنب حى أو ميت أو معد للمائدة ، ومن أخـذ نفسه منهم بهذه الشروط فليقسم أن تظل سراً لا يفشيه إلى أحد .

وكم اتجه ليو بخياله ووجدانه إلى ذلك الغصن الأخضر يود أن يعلم ما نقش عليه من سحر ، وإلى ذلك التل العجيب يتوق أن يبلغ قمته ، وما علمه أخوه إلا أخوة النمل وإلا تلك الشروط التى لا بد من أدائها لمن يطمع أن يبلغ قمة التل ...

ويتطلع ليو إلى سرجى يريد أن يكون مثله ، تحدثه نفسه إذا قارن بينه وبين نيقولا أنه يفضل أن تكون له وجاهة سيرجى ولو أنه معجب بأقاصيص نيقولا وسحره ونكاته ؛ وهو مولع بتقليد سيرجى فيما يعمل ، ولكنه يألم ألا يستطيع أن تكون له مثل وجاهته فلن يجدى فى ذلك تقليد ، وكانت وجاهة أخيه أحب صفاته إليه فما أشقاه أن تكون هى الصفة التى تستعصى عليه ؛ وإنه مهما حاكاه فى الغناء واللهو والاعتداد بالنفس فلن يزال يشعر بعدم الرضا إن لم يكن له ما لأخيه من حسن السمة وجمال الطلعة ؛ وثمة شيء آخر لا يستطيع ليو أن يحاكى فيه أخاه ، وذلك عدم مبالاة سيرجى بما عسى أن يقول الناس عنه ، فهو لم يكن يوماً معنياً بنفسه وإنما يسير على سجيته لا يشغل باله بالتفكير فى ذاته ، وقد خلق ليو على نقيض أخيه فهو بنفسه معنى منذ صغره ، عظيم الاهتمام بآراء الناس عنـه ، شديد الإحساس بذاته ، كثير الانطواء على نفسه ، وتلك خلة أتعبته منذ نشأته وستكون منبع كثير من متاعبه فى مستقبل الأيام .

( يتبع ) **الخفيف**

# نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

## ٨٥٦ — قرآن النبي وقرآن المتنبي ...!

تاريخ بغداد للخطيب : أبو على بن أبى حامد قال : سمعت خلقاً بحلب يحكون — وأبو الطيب المتنبي بها إذ ذاك — أنه تنبأ فى بادية السماوة ... وكان قد تلا على البوادى كلاماً ذكر أنه قرآن أنزل عليه ، وكانوا يحكون له سوراً كثيرة ، نسخت منها سورة ضاعت ، وبقى أولها فى حفظى ، وهى : « والنجم السيار والفلك الدوار والليل والنهار إن الكافر لفى أخطار . امض على سننك ، واقف أثر من كان قبلك من المرسلين ، فان الله قامع بك زيغ من ألحد فى دينه ، وضل عن سبيله » وهى طويلة ، لم يبق فى حفظى منها غير هذا ...

قال أبو على بن أبى حامد : قال لى أبى ونحن فى حلب وقد سمع قوماً يحكون عن أبى الطيب هذه السورة : لولا جهله[1] ، أين قوله : امض على سننك إلى آخر الكلام من قول الله تعالى : [ فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين ، إنا كفيناك المستهزئين ] .

إلى آخر القصة ، وهل تتقارب الفصاحة فيهما ، أو يشتبه الكلامان .

## ٨٥٧ — هل (الكتاب) عمه الشبيه

فى شرح النهج لابن أبى الحديد :

قد اشتملت كتب المتكلمين[2] على المقايسة بين كلام الله

(١) لم يقل مقولته . حذف الجواب للعلم به .

(٢) علماء الكلام : التوحيد . فى صبح الاعشى : سمي بذلك (علم الكلام) لأنه لما وقع القول بخلق القرآن فى صدر الاسلام ممن وقع كثر الكلام والخوض فى ذلك فأطلق على أصول الدين علم الكلام وبقى علما عليه .

تعالى وبين كلام البشر ليبينوا فضل القرآن وزيادة فصاحته على فصاحة كلام العرب نحو مقايستهم بين قوله تعالى (ولكم فى القصاص حياة) وبين قول القائل : القتل أنفى للقتل[1] ونحو مقايستهم بين قوله (خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين) وبين قول الشاعر :

فإن عرضوا بالشر فاصفح تكرماً
وإن كتموا عنك الحديث فلا تسل

ونحو إيرادهم كلام مسيلمة وأحمد بن عبد الله بن سليمان المعرى وعبد الله بن المقفع والموازنة والمقايسة بين ذلك وبين القرآن المجيد وإيضاح أنه لا يبلغ ذلك إلى درجة القرآن العزيز فى الفصاحة ولا يقاربها .

## ٨٥٨ — ... لا يأتوا بمثل هذا القرآن

فى (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) لتقى الدين ابن تيمية :

الصواب المقطوع به أن الخلق كلهم عاجزون عن معارضة القرآن ، لا يقدرون على ذلك ، ولا يقدر محمد نفسه من تلقاء نفسه على أن يبدل سورة من القرآن ، بل يظهر الفرق بين القرآن وبين سائر كلامه[2] لكل من له أدنى تدبر كما أخبر به فى قوله : (قل : لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) وأيضاً

(١) فى مقالتى : (قصة الكلمة المترجمة) فى الرسالة الغراء : ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ س ٦ بحث مستفاض فيه فى هذه الكلمة وأصلها وقائلها .

(٢) فى (الفصل فى الملل والاهواء والنحل) : لابن حزم :

ما منهم أحد يتكلف معارضة القرآن الا افتضح وسقط ، وصار مهزأة يتماجن به وبما أتى به . وقد تعاطى بعضهم ذلك يوما فى كلام جرى بيني وبينه فقلت له : اتق الله على نفسك ، فان الله قد منحك من البيان والبلاغة نعمة سبقت بها والله لئن تعرضت لهذا الباب باشارة ليسلبنك الله هذه النعمة ، وليجعلنك فضيحة وشهرة ومسخرة وضحكة كما فعل بمن رام هذا من قبلك ، فقال لى : صدقت (والله) وأظهر الندم والاقرار بقبحه .

فى (إعجاز القرآن) للباقلانى : والذى يصور عندك ما ضمنا تصوره ويحصل عندك معرفته ... — أن تنظر أولا فى نظم القرآن ثم فى شيء من كلام النبي (صلى الله عليه وسلم) فتعرف الفصل بين النظمين والفرق بين الكلامين .

فالناس يجدون دواعيهم إلى المعارضة حاصلة لـكنهم يحسون من أنفسهم العجزعن المعارضة ، ولوكانوا قادرين لعارضوه، وقد انتدب غير واحد لمعارضته لـكن جاء بكلام فضح به نفسه ، وظهر به تحقيق ما أخبر به القرآن من عجز الخلق عن الأتيان بمثله .

## ٨٥٩ — المتنبي

فى خزانة الأدب للبغدادى : إيضاح المشكل لشعر المتنبى من تصانيف أبى القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهانى :

حدثنى ابن النجار ببغداد أن مولد المتنبى كان بالـكوفة فى محلة تعرف بكندة بها ثلاثة آلاف بيت ، واختلف إلى كتاب ، فيه أولاد أشراف الـكوفة ، فـكان يتعلم دروس العلوية شعراً ولغة وإعراباً ، فنشأ فى خير حاضرة ، وقال الشعر صبياً ، ثم وقع إلى خير بادية فادعى الفضول الذى نبز به ... وهو فى الجملة خبيث الاعتقاد ، وكان فى صغره وقع إلى واحد يكنى أبا الفضل بالكوفة من المتفلسفة فهوسه وأضله كما ضل ، وأما ما يدل عليه شعره فتلون وقوله :

هون على بصر ما شق منظره  فإنما يقظات العين كالحلم

مذهب السوفسطائية ، وقوله :

تمتع من سهاد أو رقاد  ولا تأمل كرى تحت الرجام
فإن لثالث الحالين معنى  سوى معنى انتباهك والمنام

مذهب التناسخ وقوله :

نحن بنو الموتى فما بالنا  نعاف ما لا بد من شربه
فهذه الأرواح من جوه  وهذه الأجسام من شربه

مذهب الفضائية ، وقوله فى أبى الفضل بن العميد :

فإن يكن المهدى من بان هديه
فهذا وإلا فالهدى ذا فما المهدى ؟

مذهب الشيعة وقوله :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم
إلا على شجب والخلف فى الشجب
فقيل تخلد نفس المرء باقية
وقيل تشرك جسم المرء فى العطب[1]

(١) رواية الديوان : فقيل تخلص نفس المرء سالمة .

فهذا من يقول بالنفس الناطقة ، ويتشعب بعضه إلى قول الحشيشية[1] . والإنسان إذا خلع ربقة الإسلام من عنقه ، وأسلمه الله (عز وجل) إلى حوله وقوته وجد فى الضلالات مجالا واسعاً ، وفى البدع والجهالات مناديح وفسحاً .

## ٨٦٠ — وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

المتنبى :

تركت مدحى للنبى تعمدا  إذ كان وصفاً مستطيلا كاملا
وإذا استطال الشىء قام بنفسه
وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا[2]

(١) الاسماعيلية الباطنية . ومن ألفاظ الجماعة : النفس الـكلية والعقل الفعال ... وللامام الغزالى فى الباطنية هذا القول : « الباطنية ظاهرها الرفض وباطنها الـكفر المحض » ومن أقوالى فى الاسماعيلية : « الاسماعيلية جسر بين الاسلام والالحاد » .

(٢) وجدت الشعر فى كتابين منسوبا الى المتنبى ، وفى إحدى روايتيه « الوصي » والوصي عند إخواننا الأمامية هو على (رضي الله عنه) والوصية عندهم من الاركان .

# الحيـــاة الأدبية

## فى طرابلس الغرب

### بين الماضى والحاضر

للأستاذ صلاح الدين بن موسى

لعل الحديث عن الأدب وأهله فى هذا القطر العربى البائس أمر فيه شىء كثير من الغرابة عند أبناء العروبة الذين ارتسمت فى مخيلتهم وأفكارهم صور مبهمة غامضة عن طرابلس الغرب — أو (لوبيا) كما يحاول أن يسميها بعض المتأخرين — فهم لا يعرفون عن هذه البلاد إلا قوماً خربت ديارهم وخربت مدنهم، وأصابهم من ويلات الحرب ما تركهم فى غفلة أو حيرة، هم بسببها بعيدون كل ماله صلة بالحياة الروحية شعرية كانت أم نثرية، وإن أسباب المعيشة وذلك الفقر المدقع فى الغذاء والكساء كانا حائلا دون انصراف القوم لتثقيف عقولهم وتحقيق النهضة الأدبيـة بينهم، تلك هى الصورة الخاطئة التى ترتسم هذه الأيام فى أذهان بنى يعرب ويصرحون بها فى مجتمعاتهم الأدبية وأنديتهم الثقافية. لهذا وقد وقفت على الحقيقة الناصعة ولمست روح النهضة الأدبية فى بلاد (ليبيا) أحببت أن أجمل من حديثى هذا على صفحات «الرسالة» معرضاً للفكر الحديث والنهج الأدبى فى طرابلس عساى بذلك أكون قد حققت قسطاً من واجبى نحو قطعة غالية من بلاد العروبة ...

قبل الحديث عن نهضة طرابلس الغرب الحديثة سأحاول أن أعطى للقارئ صورة صادقة لتدرج الحياة الأدبية منذ العهـد العثمانى حتى وقتنا هذا فيرى تطور الروح الأدبى ونمو الذوق الشعرى خلال هذه الحقب المتتالية ومبلغ التقدم الذى حازته هذه البلاد فى زهاء ربع قرن تقريباً ..

كانت النهضة الأدبية زاهرة يانعة، قبل احتلال الطليان طرابلس الغرب وكان فيها كثير من الأدباء المجيدين والشعراء الملهمين نذكر منهم: الشيخ على سيالة صاحب الملقات الشهيرة، والشيخ محمود نديم بن موسى، والشيخ ابراهيم باكير، والأستاذ العلامة سعيد المسعودى وآخرين ممن ساعدوا على نشر اللغة العربية وبعث مبادئ الحرية والحياة الصحيحة المستقلة.

وكانت جريدة (الرقيب العتيد) خير رسول أمين للنهضة الأدبية تنقل منتجات عقول الأدباء ووحى شعورهم أو تفكيرهم، وكان لصاحبها الشيخ محمود نديم بن موسى اليد الطولى فى تشجيع الأدباء ورفعهم إلى المستوى الثقافى الرفيع، فأنشأ بمساعدة بعض الأدباء نادياً للثقافة والأدب كان يلقى فيه المحاضرات المختلفة فى السياسة والأدب والإجتماع ويعقـد الإجتماعات الأدبيـة والمساجلات الشعرية والملاحم التمثيلية.

وكان الإستعمار الإيطالى، فطغى على تلك الأفكار الوثابة وغمرها بسيل من التبلبل والإرتباك وسد عليها المنافذ فلم تجد ما تتسرب منه وتسمع صوتها، وأمسى هـذا الوضع السياسى يسيطر على العقول ويصرف نتاج الأدباء فيما يعود عليه بالراحة والإطمئنان ويعمل مامن شأنه جلب الأهلين إليه ومحبتهم له واستسلامهم لما يريد بهم المستعمر، فكنت ترى الأديب منهم يذيب دماغه ويشحذ قريحته فى نظم قصيدة أو رصف مقال فى مدح الحاكم وسياسة دولته مما أقعدهم عن مجاراة الأمم العربية وأبعدهم عن الأدب المصرى الذى يتناول كل ناحية من نواحى الحياة وحصره ضمن نطاق ضيق، فالإستعمار الإيطالى أطفأ هذا السراج الذى أخذ يضىء ماحوله وأخمد جذوة هذا الروح الفياض، وأضحى الأدب منصرفاً إلى غير مايقوم الحياة الحقيقية والإستعمار يناهضه ويسعى بكل ما أوتيه من قوة فى إبعادهم عما يرتجى من الأدب وإقصائهم عن غايته الشريفة ويقف عثرة فى سبيل الوصول إلى حقائقه المرجوة.

... كانت الحرب الثانية وبالا على طرابلس الغرب قاسى أهلوها من مصائبها الشىء الكثير، فتشردوا فى أقاليم القطر المختلفة وهجروا المدن العامرة، وصواعق الأساطيل وقذائف

الطائرات تدك البيوت القائمة وتهدم شوامخ القصور بين عويل النساء وأنين الشيوخ .

لهذا كان من الطبيعى أن تهمد الروح الأدبية تماماً فى هذه البلاد ويسود القطر ظلام وجهل يبعث الأسى فى النفوس ، وكانت سنو الحرب فى طرابلس مرحلة فتور وجمود فى الحياة الأدبية بل فى الحياة العلمية بصورة أعم ، فكانت مدارس القطر مغلقة والطلاب مشردين والشباب الذى كان يتذوق شيئاً من الأدب أضحى طريداً فى القفار ، وبات القلق يسيطر على السكان ويبعث فيهم الرهبة والخوف . وانجلت الحرب عن ديار أصابها الخراب والدمار ، وشعب أخره التفرق والشقاق وقد تربع الجهل على منصة البلاد فلا علم ولا أدب ولا صحف ولا نواد .

وكان فى طرابلس الغرب بعض من ذوى العلم والعرفان ممن سلموا من براثن الحرب الضروس فشمروا عن ساعد الجد والعمل وبدأوا صراعاً عنيفاً بين الجهل والعلم ، يؤازرهم فى عملهم هذا عدد من رجال الدين وضباط الوصاة البريطانيين فكان لنشاطهم هذا أثره فى ازدهار الحياة العلمية والأدبية فى سنين قليلة وانتشار المدارس العلمية والأندية الثقافية المنوعة فأقبل الشباب الطرابلسى ينهل من موارد العلم والأدب فى مصر ويعود إلى بلاده مزوداً بثقافة رفيعة ساعدت على تطور الحركة العلمية والأدبية فى البلاد .

وكان إقليم برقة أسبق من طرابلس فى مضمار الحياة الأدبية ، ولعل قربه من مصر خصه بهذه المزية السامية الرفيعة ، فسرعان ما أنشئت فيه نواد مختلفة للأدب والعلم ، منها نادى عمر المختار ، والنادى الثقافى اللذان كان عملهما مقتصراً على مدينة ( بنغازى ) إذ بعثا فيها الروح الأدبية شعرية كانت أم نثرية فنبغ الشعراء والكتاب الذين رأوا فى صحيفة ( برقة الجديدة ) ميداناً فسيحاً للتعبير عن شعورهم والإفصاح عما تجيش به نفوسهم . ولعل صاحب هذه الجريدة الفتية الأستاذ « صالح البوصير » فى طليعة الشباب العاملين فى الحقل الأدبى فقد قرأنا له فى صحيفته مقالات مختلفة فى الأدب والعلم والإجتماع . وهناك الشاعر الملهم السيد « ابراهيم محمد الهوينى » وله قصائد رائعة نشرتها له « برقة الجديدة » تباعاً وفى إحداها قوله مادحاً سمو الأمير إدريس السنوسى :

نظمت شعور القلب حتى غدا شعراً
وهذبت هذا الشعر حتى انثنى درا

ومن ذا الذى يستطيع مدحاً لمنصر
تسامى فكان النجم والشمس والبدرا

أمير كأن الله أعطاه حكمة ... أذل بها الأعداء وقاد بها الدهرا

فأهلا بعهد قد أنيرت سماؤه ... وبعداً لهذاك الزمان الذى مرا

***

ومن الشعراء الشبان الذين أنجبتهم برقة السيد « محمد بشير المغربى » ومن درر قوله هذه القطعة الجميلة فى شكوى الحياة والأصحاب :

على أى جنب فى الحياة أميل ... ومالى فى ظل الزمان مقيل

وأى سراب قد أضل مشاعرى ... وظل به ماء اللجين يسيل

أسير وما هذا الطريق بموصل ... لأمر وقد لايستطاب وصول

دعوت رفاق للوقوف وإنهم ... قليل وما بين الرفاق دليل

فجاوبنى منهم تقلب أوجه ... رأيت به ما فى الصدور يجول

فقلت لهم سيروا وحسبى وقفة ... وصبر على قبح المقام جميل

وأى مقام قد أقمت فليتنى ... رحلت ولو أن الرحيل قفول

نسير فرادى والطريق إلى المنى ... له شعب دون المدى ووصول

وللدهر والآمال بين صدورنا ... صراع ودقات القلوب طبول

ألا إن أسباب النجاح قليلة ... وأكثرها دون النجاح كليل

***

وتكاد تكون مدينة « درنة » بمناظرها الجميلة الفاتنة ملهما لكثير من الشعراء والأدباء الذين قدموا للأدب العربى فصولا أدبية قيمة وقصائد شعرية خالدة ، فهاهوذا شاعرها الأول السيد « إبراهيم أسطه عمر » يعبر لنا عن شعور بلاده نحو سمو الأمير السنوسى :

إلى الأمير فدته النفس أهديها ... مقالة كنت قبل اليوم أخفيها

لكننى لم أجد ظرفاً يلائمها ... غير الذى نحن فيه قد يواتيها

مقالة ملؤها الإخلاص أرفعها ... لقائد الشعب، قلب الشعب يمليها

آن الأوان فما التأجيل يغنمنا ... لنعلن الحق إقراراً وتنبيها

وحقنا وحدة القطرين نتبعها ... حرية أنت معناها وراعيها

وفى « برقه » خلا هذين الشاعرين الشابين كثيرون وإنما لم يصلنا شىء من آثارهم المديدة ، منهم الشاب « أحمد فؤاد شنيب » وهو شاعر صغير السن عاش فى دمشق وعاد أخيراً إلى وطنه الأم ليبدأ نضالا أدبياجديداً فى بلاده العزيزة . ومن لطيف قوله وهو فى دمشق يصف ليلة المولد :

مالى أراك كدرة تتلالا شعت فأكسبها البهاء جلالا
وكسوت هذا الكون أسنى شعلة سطعت فألهب نورها الأجيالا

وللنثر مكانه المرموق فى برقة والمحاضرات الأسبوعية تحفل بأروع الكلمات الأدبية والإجتماعية والسياسية ونحوها يلقيها شباب توفر على درس الأدب واللغة العربية وأسرارها وتلك هى قطعة نثرية لأديب درنة « فرج بن جليل » يتحدث فيها عن وحى الهجرة :

« فى سجل الخلود ساعات فاصلة ولحظات حاسمة إذا انحرف فيها ميزان القدر يمنة أو يسرة نبعته نتائج كبيرة خالدة وآثار عظيمة باقية تجر وراءها الخير الكثير أو الشر المستطير وتبعث فى الدنيا ضياء باهراً أو انتشر ظلاماً دامساً . ومن أخطر تلك اللحظات وأعظم تلك الساعات تلك التى هاجر فيها محمد بن عبد الله ، تلك اللحظة الخالدة فى تاريخ الإسلام ذات الفضل الأكبر فى تغيير مجرى تاريخ البشرية . »

وهذه قطعة أخرى لأديب شاب من شباب طرابلس الغرب يصور لنا كيف راقب الهلال وصحبه ليلة العيد :

كنا بربوة جماعة نترقب ظهور الهلال ، وكانت أنظارنا معلقة بالسماء نجوب بها فى أجوائها باحثين منقبين فى صفحاتها نريد بصيصاً من نور يكون حجة لنا بالعيد ، وبعد لأى من زمن طال فيه اتجاهنا إلى السماء إذا بخط وضاء لاتكاد تدركه الأبصار يتجلى فى كبدها ، أشار بعضنا إلى أنه الهلال ... الخ ...

***

تلك هى ياقارئى نماذج صادقة شعرية ونثرية من أدب طرابلس الغرب، ولعلك أدركت أنه لم يصل بعد إلى درجات الكمال والسمو شأنه فى البلاد العربية الأخرى ، ولكن الأمل العظيم أن يشمر الأدباء الليبيون عن ساعد الجد فيبعثوا الأدبهم ماضيه القديم وتغدو مؤلفاتهم الأدبية وكتبهم العلمية فى صدارة مكتبات البلاد العربية فإن عهد الخمول وكبت الملكات وخنق الحريات قد زال بخلاص هذه البلاد من جور الإيطاليين وظلمهم وأصبح الطريق ممهداً أمام الأدباء ليعززوا أدبهم ويجددوا للغة العربية منزلتها فى بلادهم . وليس هذا ببعيد إن شاء الله

صلاح الدين بن موسى

## يقظة ...

[ مهداة إلى الصديق الكريم الأستاذ محمد العلائى ]

شاب الظلام وفارقته الأنجم والأفق عن إصباحه يتبسم
وتحدث الزهر الضحوك مبيناً معنى السرور وإن يكن لا يفهم
فاعجب لشارح قصة هو جاهل أسبابها ، ولعالم لا يعلم
وقد اشرأب النخل يزهى جيده بقلائد مرجانها يتضرم
مرحاً تداعبه الصبا فترى له رقصاً عن المرح الرزين يترجم
فافرح بأعياد الطبيعة إنها متجددات ، كل صبح موسم

---

وإذا تجهمت الحياة هنيهة فاصبر ، فوجه المزن فيه تجهم
كم نعمة لبست ثياب رزية حتى تداعب من بها يتبرم
فإذا التجهم بسمة ، وإذا الشقا (م) ء سعادة ، وإذا الرزايا أنعم
أو ما ترى الدخلاء فى أوطاننا قد أيقظوا الأفكار رغماً عنهم
كم أبرموا أمر الجلاء وقرروا فإذا غدوا نقضوا الذى قد أبرموا
فأفادنا التسويف عزماً لا ينى عما نروم ، وهمة لا تحجم
هم أقوياء بالعتاد حقيقة لكننا بالحق أقوى منهم

( الزقازيق ) توفيق عوضى

حول مهرجان جامعة أدباء العروبة بالفيوم :

# فى موكب الشعر

للاستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

قرأت هذه القصائد الثلاث التى أنشدها الأساتذة الغزالى وطاهر والعوضى فى مهرجان أدباء العروبة بالفيوم والتى نشرتها « الرسالة » فوجدت فيها من قبس الفن، وروح الشاعرية ، واختلاف المواهب الفنية فى الشعر ، ومن طريقة كل شاعر فى التصوير ، وأساليبه فى البيان ، ما يستحق النقد والدراسة .

شعراؤنا الثلاثة متشابهون فى الثقافة ، متقاربون فى النزعات ؛ ربطتهم صلاتُ الصداقة والأدب والدراسة فى مدرسة واحدة ، والحياة فى ميدان واحد ، أو كالواحد ، بروابط قوية متينة ؛ ولكنهم مع ذلك يختلفون فى نزعاتهم الفنية اختلافاً كبيراً .

فالغزالى شاعر وصاحب فن فى شعره ؛ وطاهر شاعر يعلن بشعره الثورة على الحياة ؛ والعوضى شاعر صناع يحفل شعره بالصنعة الهادئة الجميلة ؛ وهذه النزعات الفنية المتفاوتة تكاد تلمسها فى هذه القصائد الثلاث كما تفرقها فى ملامح وجوههم وألوان حياتهم

طوى « الغزالى » الصحارى فى سفره لرياض الفيوم الساحرة بعد ما هزه الشوق لزيارتها ، وصور ذلك كله فى مطلع قصيدته الرائع :

من لسارٍ إليكِ يطوى الصحارى
هزهُ الشوقُ أن يزور فزارا

ثم يصور عواطفه وإجهاده وقلقه ومهده قبل سفره وتطلعه إلى الفيوم لتزيل عنه أثر كل هذا العناء فى تصوير جميل أخاذ فاتن :

عابراً كالطيوف ولهانَ كالأنسام
هيمان كالأمانى الحيـارى
مُجْهَداً علَّ فى ظلالكِ مأوى
قلِقاً علَّ فى رُباكِ قرارا

وممَّ كان هذا الأجهاد والقلق والشقاء ؟ لقد فارق الشاعر محبوبه و « رفيق صباه » فعاش عيشة البائس الشقى المحروم من أجمل ما فى الحياة :

يا جنان الفيوم نازحُ أيكٍ بانَ عن عشه إليك وطارا
قد خلا العش من رفيق صباه فتى تألف القطاةُ الهزارا
نسلتْ ريشه الليالى طوالا أترى تصبِحُ الليالى قصارا ؟

ويستمر الشاعر يصور آلامه وآماله وعواطفه فى حبه ؛ متمنياً أن يكون له فى رياض الفيوم سلوى ، شاكياً إلى عذارى الرياض ما يلقاه من أترابهنَّ العذارى :

أتراه هنا سيمسى قريراً فى رياض الفيوم طابت جوارا
ياعذارى الرياض من كل شاد أنا أشكو إلى العذارى العذارى
أنا أشدو لها جراحى شعراً فمساها تُضَمِّد الأشعارا

ثم تذكره بحيرة قارون فى دجى الليل بمحبوبه ، فيشدو ويصدح مؤكداً وفاءه لعهد الأحباب :

يا أحبَّاى والديار تناءت كيف أنسى أحبتى والديارا
لست أنسى ملاعبى والضفاف (م) الخضر تجرى من تحتهن نضارا
لست أنسى بها مواثيق عشنا نتحدى بصدقها الأقدارا
لست أنسى ولا إخالك تنسين فحتى متى نطيق انتظارا

* * *

أما « طاهر » فقد شاهد قافلة الشعر تسير إلى الفيوم وفيها الأدباء والشعراء والوزير الضخم فعنى بتصوير هذا الموكب وجماله أكثر من أى شىء ، إنه لموكب رائع للبيان وكما يقول :

موكب للبيان فيه اللواء يفزعُ الدهرَ وخدُه والُحداء
ضاربٌ فى صحرائها يسبق الركب
جلالٌ من هديه ورُواء
مثلما يسبق الشعاعُ إذا ما أعلن الصبحَ للوجود ذُكاء

والشاعر لا ينسى نفسه فى هذا الموكب ، وكيف ينسى وهو الذى « فى محرابه يُعبد الفن وتستهوى ضوءه الأضواء » ؟

لو تحس البيداء من سار فيها لتغنت من شجوها البيداء
شاعر فى محرابه يُعبد الفنُّ وتستهوى ضوءه الأضواء
ذو بيان لو عاقرته الندامى لتناهت عن شربها الندماء
وهتوف يكاد يشرق فى ألحانه الخير والمنى والرجاء

ثم يعلى شأن الفن فى الحياة ويثور على العلم الذى أصبح المعول الهدَّام فى صرح الحضارة :

ومن الشعر ما يملك الحق إذا موَّه الوجــودَ الرياء

ربما استغنت الحياة عن العلم على رغم ما أتى العلماء

وعلى الفن وحده عاش أجــدادُك دهراً وهم به سعداء

ثم يعود إلى قافلة الشعر وموكب الشعراء ومن فيه من « الأبدال والأدباء » و « الوزير الضخم » ، حتى يحط رحاله فى رياض الفيــوم :

وإذا نحن فى رياض من الشعر لها رونق وفيها صفاء

ثم يشيد برحم الفن وصلات الأدب التى جمعت بين أدباء الجامعة وبين أدباء الفيوم :

صلة وثَّق البيان عراها ونماها فكلنا أقرباء

جمع الشعر بيننا فى صعيد ومن الشعر منسب وإخاء

***

أما « العوضى » فقد وصف ذكرياته فى الليالى البعيدة مع أحبائه ، وأثر هذه الذكريات فى قلبه ، ثم وصف روضات الفيوم وجمالها ، و « الأخوان الكرام » الذين استقبلوه هو وصحبه فيها ، وصلات الأدب والعروبة التى تجمع بين الأدباء والشعراء ، يقول :

حدا الركبَ حاديه فأين مكانيا أبين من الأشواق ما كان خافيا

على شفتيّ من خمرة الحب نشوة تَلهَّبَ ترنيمى بها وغنائيا

لنا ذكريات فى الليالى بعيدة ألا من يعيد اليوم تلك اللياليا

ثم يستمر فى شدوه الهادىء وتصويره المصنوع ، فيصف الفيوم وفتنتها :

سقى الله فى الفيوم روضات فتنة ونضر فيها أربعاً ومغانيا

فراديس منضورٌ بها الظل والجنى

تألَّقُ نوَّاراً وتسحر شاديا

وإخوانه الكرام فيها الذين سقوه صافى الود :

لجئنا لأخوان كرام وصحبة سقونا من الودِّ المطهر صافيا

ويشيد بصلة العروبة التى جمعت بين الجميع وبذلك ينتهى من قصيدته :

هذه هى الأغراض العامة لكل شاعر فى قصيدته ، وهى تجمع بين العواطف الوجدانية والوصف الفنى ، وكنا نودُّ أن تكون قصائد هؤلاء الشعراء أوسع نطاقاً من هذا الأفق المحدود ؛ ما ضرهم لو كانت قصائدهم فى القرية والحياة فيها أو فى النيل وأثره فى وحدة الوادى ، أو فى العلم وآثاره على الحضارة فى عصر الذرة ، أو فى شتى الأغراض القومية أو الأنسانية العليا ؟ ولكنهم آثروا تلك السبيل الفنية وحدها فلم يشعروا إلا فيها وفيما يتصل بها من العواطف الوجدانية ، وإن كان « طاهر » قد خرج قليلا عن هذا المجال فأشاد بالفن وأعلن الثورة على العلم والعلماء :

إنَّ من أطلقوا العقول علينا لست تدرى : أأحسنوا أم أساءوا

ربما استغنت الحياة عن العلم على رغم ما أتى العلماء

أما من حيث الأسلوب : فالغزالى يشعر ويسحر ويبلغ فى التصوير منزلة كبيرة ، نجد ظلا لها فى كثير من أبياته كما يقول عن نفسه :

عابراً كالطيوف ولهان كالأن سام هيمان كالأمانى الحيارى

وقوله يعبر عن نفسه أيضاً :

يعبر الليل فى خداع الأمانى وتغنّى آصاله الأسحارا

وقوله :

والشوادى من حولنا مرهفاتٌ سمعَها تستبينُنَا الأسرارا

وقوله :

لست أنسى بها مواثيق عشنْا نتحدَّى بصدقها الأقدارا

وسوى ذلك من قصيدته التى تمتاز بما فيها من « عيون » كما يقول النقاد ؛ ولكنه على رغم ذلك يخطىء سبيل الفن أحياناً . فبيته :

يا عذارى الرياض من كل شاد

أنا أشكو إلى العذارى العذارى

يقصد فيه العذارى حقاً ؛ فوصْفهن بالسحر والفتنة ورقة العاطفة أولى من وصفهن بالشدو ، بل وصفهم بالشدو يكاد يكون لا معنى لتخصصهن به من بين سائر الأوصاف . ولو قال « من كل أحوى » ، مثلا لكان أولى ؛ وتضميد الأشعار فى بيته :

أنا أشدُو لها جراحى شعرا فمساها تضمِّدُ الأشعاراً

لا معنى له ، فما ألفْنا فى القول بأن الأشعار تمثلت جراحاً بل هى استعارة نافرة عن سمع العربى وذوقه . والبيت :

والتى قد تخذْتُها بجداف خصل أرسلتْ علىَّ نثارا

لم أفهمه فوق ما فيه من « تشعيث » قافيته ، وهذه الهنات

# الأدب والفن في أسبوع

**محو الخلافات المذهبية توثيق لعرى الوحدة الإسلامية :**

تألفت في مصر لجنة من كبار رجال الفكر وعلماء الفقه والمعنيين بالدراسات الأسلامية هدفها رفع الخلافات المذهبية بين المسلمين وتمحيص المسائل التي هي مثار هذه الخلافات في ضوء البحث الحر والتغاضي عن النزعات التي تدعو إلى التعصب في الفروع والمسائل الشكلية .

وهذا في الواقع عمل جليل ، فأن هذه الخلافات التافهة كانت شر ما منيت به الوحدة الأسلامية ، وكانت عامل التفرقة بين صفوف المسلمين ، حتى شتتت شملهم وصدعت بنيانهم الأصيل ، فلم يقو على رد المستعمر الدخيل .

لم تكن هذه الخلافات في شيء من أصول الدين الواضحة ، ولكنها كانت من صنع السياسة وأصحاب الأغراض والمآرب في الملك والحكم يوم كان الدين هو الأساس في الملك والحكم ، فأخذ هؤلاء يؤلفون العصبيات ويخلقون الجماعات ، بما يختلقون من الأخبار والآثار ، وبما يعملون في إثارة النفوس وتأريث المداوات ، وزاد في البلاء بهذا صنيع الجهلة من الفقهاء الذين كانوا يستجيبون لأهل السلطان وطلاب الحكم بما يقوى نعراتهم ويتمشى مع أهوائهم . ومن العجيب أن الأيام تطورت ، والأحداث تواترت ، وفتح على المسلمين من أبواب البلاء والعناء ما بصرهم بعاقبة الوبال في تلك الخلافات التي فرقت الصفوف ، وباعدت بين القلوب ، ولكنهم لم يتبصروا الحالهم ، ولم يدبروا لشأنهم ، ولم يسارعوا إلى إنقاذ أنفسهم من أنفسهم ، حتى يمكنهم أن ينقذوا أنفسهم من غيرهم ! !

وكثيراً ما أشفق عقلاء المسلمين من هذه الحال الأليمة ، وكثيراً ما أهاب المصلحون والغُيُر على الأسلام والوحدة الأسلامية بالمسلمين أن يتلافوا تلك الصغائر ، وأن يوحدوا بين اتجاههم في الرأى لتتم لهم الوحدة في الغاية والهدف بأزاء الاستعمار الأجنبي وتنلفل الدول الأوروبية في بلادهم ، وقد كان السيد

---

لا تنفضُّ من القصيدة ومكانتها الأدبية .

أما « طاهر » فمستوى الشاعرية في أسلوبه ، ولكنه في ثورته الفنية التي يستمدها من روحه الثائرة ، يبعد أحياناً عن الإجادة ، كما تراه في قوله :

الطريقَ الطريق : قافلةُ الشعر وركب الوزير والوزراء

وفي قوله يتحدث عن حلمهم برياض الفيوم :

طرق الشعر بابها ، فإذا شعر يقول : ادخلوا وطاب الثواء

وذلك سبيله في فنه ، يثور حتى على سبل الفن الواضحة المألوفة .

و « الموضى » أظهر استواء في شاعريته لأن أسلوبه أسلوب مصنوع تأنَّق الشاعرُ في صوغه كما أراد ، وهو فيه هادىء واضح ، من حيث كان « طاهر » مفكراً ثائراً ، والنزالي فنَّانا شاعراً .

وفي قصيدة « طاهر » روح الحارث ومعلقته :

آذنتنا ببينِها أسماء رب ثاو يملُّ منه الثواء

بل هو يستعير بعض أبياتها :

أجمعوا أمرهم عشاء فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

كما يستعير بعض ألفاظها وقوافيها ، ولكنه مع ذلك ذو شخصية قوية مستقلة في قصيدته .

والنزالي يشترك في بعض معانيه مع بعض الشعراء ؛ فبيته :

نسلتْ ريشه الليالي طوالا أترى تصبح الليالي قصارا ؟

شبيه بقول ابن أبي ربيعة في المعنى والوزن والقافية من قصيدة طويلة :

والليالي إذا نأيتِ طوالٌ وأراها إذا دنوتِ قصارا

ولكن قوله « نسلت ريشه الليالي » زيادة بليغة ليس لها نظير في بيت عمر .

أما الموضى فتكاد قصيدته تشبه قصيدة جرير — في الفن والروح :

ألا أيها الوادى الذى ضمَّ سيله إلينا نوى ظمياء حُيِّيتَ واديا

إذا ما أراد الحى أن يتفرقوا وحنَّت جمال الحىّ حنَّت جماليا

وإن كانت تختلف عنها في كثير من الأوصاف الفنية .

هذا ما أردت أن أذكره من نقد أدبي لهذه القصائد الثلاث لشعراء لهم من بين شعرائنا الشبان مكانة ممتازة ومجد أدبي نرجو أن يعملوا له ليكون لذلك أثره في مستقبل القريض وبالله التوفيق .

محمد عبد المنعم خفاجي
أستاذ في الأدب والبلاغة

جمال الدين الأفغاني رضوان الله عليه — وهو شريف النسب يعتد بنسبه كثيراً — أول من ندد بهذه الحال ، وسخر من المسلمين لأصرارهم عليها ، وهزىء بأولئك الذين يتخذونها مجالا للكلام ، ومن كلماته المأثورة في ذلك : « لا يصح بحال أن نجسم أمر هذه الفروق في الفروع ونجعلها واسطة للتفرقة وللنزاع فالخصام والاقتتال ، وإذا سلمنا أن وجود تلك الأمور التي مهل وجودها جهل الأمة وسفه الملوك الطامعين في توسيع ممالكهم — كان مفيداً في الزمن الماضي ، أو يرجى من ورائه إحقاق حق وإزهاق باطل ، فأن بقاء هذه النعرة إلى اليوم ليس فيه إلا محض الضرر ، وتفكيك عرى الوحدة الأسلامية ، وقد آن للمسلمين أن ينتبهوا من هذه الغفلة ، ومن هذا الموت قبل الموت .. » .

هذه الصيحة التي هتف بها السيد جمال الدين الأفغاني منذ أكثر من ستين عاماً كثيراً ما تداولتها الألسن ، وتناولتها الأقلام ، وهتف بها المشفقون على الوحدة الأسلامية والداعون لجمع كلمة المسلمين ، حتى اقتنع السواد الأعظم بضرورة تحقيقها ووجوب العمل على تنفيذها . وإني لأذكر أنه لما عقد المؤتمر الأسلامي في القدس عام ١٩٣١ تقدم فضيلة السيد آل كاشف الغطاء وأم وفود المسلمين للصلاة في المسجد ، فطرب المسلمون في سائر أنحاء الأرض لهذا النبأ ورأوه بشير خير ، وتمنوا أن تكون هذه بداية للقضاء على الفروق المذهبية القائمة . وقد كان من الطبيعي أن يفزع الاستعماريون لهذا ، وأن يتساءلوا عن الخطوة التي تكون بعده ، ولذلك أخذت الصحف الأجنبية يومذاك تعلق على هذا النبأ بمختلف التأويلات ، والتهويلات ، وقالت إحداها وهي بسبيل تحذير الاستعمار الأوربي : يظهر أن المسلمين بدأوا يجمعون كلمتهم للقيام بحرب مقدسة ضد الغرب من أجل إبقاء فلسطين .

وفي مقام الأنصاف نذكر أن المغفور له الشيخ المراغي طالما ردد الدعوة إلى هذا الغرض ، ونادى جهاراً للعمل على تلافي تلك الخلافات التي لا مبرر لها ، والتي تؤدي إلى الأضرار بالمسلمين بقدر ما تفيد الاستعمار والمستعمرين . .

ولعل القراء يذكرون أن « الرسالة » كثيراً ما أهابت بهذا في كل فرصة سانحة ومناسبة داعية ، وكثيراً ما باركت أصوات الدعاة لهذا العمل ، والحداة للركب أن يسير ، ثم كثيراً ما تعجبت للمسلمين أن تظل بينهم هذه الخلافات قائمة وهم الذين يتوجهون جميعاً إلى قبلة واحدة ، ويأخذون بكتاب واحد هو القرآن ويسيرون بهدى نبي واحد هو محمد صلوات الله عليه ، فأذا ما تألفت اليوم لجنة من أكابر الفضلاء والعقلاء للعمل على محو هذه الخلافات وتمحيص الآراء في دائرة الفكر الحر ، فأن مما يطرب الرسالة أن تبارك هذا العمل وأن ترجو التوفيق فيه ، كما يطربها ويسرها أن تسهم في ذلك ، وأن تفسح في صفحاتها لما يكون من تمحيص فكرة ، أو تصحيح رأي ، أو تحقيق مسألة ، أو إذاعة دعوة في هذا السبيل .

### كان . . . ثم انقضى !

إلى عهد أدركناه كان المولد النبوي الشريف موسماً للأدب والشعر والفن والغناء ، وكان في هذا مجلى العبقريات الكبيرة ، والأصوات الرخيمة ، والمواكب الضخمة الحافلة بكل لون ، وكانت مصر تمضي على هذا ثمانية أيام ، وكأنها في فرح شامل عام وكأني بالناس قد ابتدعوا بدعة الحلوى في المولد النبوي حتى يتخففوا من الطعام الثقيل ليفرغوا إلى ما ينشدون في مباهج المولد من متع الفن ومجاليه ...

كان المولد النبوي موسماً للسهرات العظيمة الممتعة يقيمها الأثرياء والوجهاء من أرباب البيوتات الكبيرة العريقة، ويستقدمون لإحيائها عباقرة المغنين وأهل الفن من أمثال عبده الحمولي ويوسف المنيلاوي وأحمد ندا وعبد الحي ومحمد عثمان وغيرهم ؛ ويفتحون أبوابها لرواد الحظوظ والسماع من سائر الطبقات ، ويمدون في أسبابها إلى نفوس الفقراء بنحر الذبائح وإطعام الطعام ...

وكان المولد النبوي موسماً لأقامة الحضرات الشعبية الفخمة ، يقيمها أبناء الطريق على شروطهم ، ويحييها كبار المنشدين على ذوقهم ، ويقبل عليها الناس من كل لون ، يستمتعون لرائع التواشيح وروائق الفن . .

وكان المولد النبوي ذكرى تهز عواطف الشعراء ، وتملأ وجداناتهم ، وتسمو بنفوسهم وأرواحهم ، فتجيش شاعريتهم بأقوى القصيد وبارع النشيد ، ويهل « شوقي » على العالم

الإسلامي ليهز عواطفه بقوله : ولد الهدى فالكائنات ضياء .. »

وأخيراً كان المولد النبوى صلة بين الحاكين والمحكومين ، فكان الشعب والحكومة يلتقيان فى ساحه ، ويتقابلان فى أحيائه ، ويتقاربان فى ذلك على المحبة والألفة والتخلص من الأوضاع الرسمية والبرامج الأميرية ، ولهذا كان الشعب يشعر دائماً بأنه قريب من نفوس الحاكين ...

كان هذا كله.. وكان المولد النبوى يأتى كل عام بجديد فى هذا كله

أما اليوم فقد انقضى هذا كله ، وأصبح الشعب بسائر طوائفه وطبقاته لا يحس بهذا المولد إلا على وضع رسمى آلى، فالموظف لا يعنيه منه إلا أنه يوم راحة من عناء الديوان ، والتاجر لا يحفل فيه إلا ببيع لعب الحلوى للأطفال ، وطوائف الشعب لا تستقبله إلا على أنه عادة خلفتها الأيام ، أما أبناء الذوات والبيوتات فلم يعد هذا الموسم منهم على بال،وهيهات أن يبلغ فى تقديرهم مبلغ سهرة من سهرات (بديعة) . وأما أرباب الشعر والفن فأنهم يعتقدون أن المناسبة فيه مناسبة قديمة عتيقة . وهكذا مضى المولد النبوى هذا العام، وكل ما بدا من مظاهره : حفلات أقامتها بعض الهيئات وكأنها الرسوم المحيلة ، وكلمات ألقاها بعض الوعاظ والخطباء وهى لا تعدو الألفاظ والتعابير التى تموت على الشفاه ... فما الذى عدا مما بدا ؟ أهى طبيعة العصر ووجهته ، أم ظروف العيش وقسوته ، أم هو صنيع الآلة بنا حتى أصبحنا لا نحس الحياة فى أجلى مظاهرها إلا على وضع آلى ؟!...

**شاعر يتحدث عن الشعر :**

ألقى الأستاذ عمر أبو ريشه الشاعر المعروف فى « النادى العربى » بدمشق حديثاً عن الشعر وما ينشد من المثل الأعلى فى الحياة قال فيه :

« .. كم شعرت برعشة وأنا أقرأ بعض الشعر ! وكم حاولت أن أتبين المواطن التى أثارت عندى هذه الرعشة فكنت أبوء بالخيبة »

« أنا فى كل يوم أحب وأكره ، وأومن وأكفر ، فلا أقيم على رأى ، ولا أستقر على اتجاه .. قرأت منذ أمد بعيد الملاحم فى الشعر، فأسكرتنى روعتها ، وهزتنى حيويتها ، حتى إذا كدت أحسبها ما ينتهى إليه طموح شاعر، سمعتنى أتمتم بينى وبين نفسى : ما لى ولهذا الشعر الذى ترضعه الخرافة ، ويربيه المجهول ، ليصبح تسبيحاً للماضى السحيق الموهوم ؟ ومرت الأيام ، وإذا أنا فى إحدى العشيات ، وبعد أن شيعت صديقاً عزيزاً على إلى مقره الأخير أمد يدى إلى « الألياذة » مندفعاً برغبة ملحة إلى قراءة دموع « أخيل » على جثمان صديقه « بتروكلس » ، تلك الدموع التى قرأها قبلى الشاعر « بيرون » ، فشعرت بميل خفى نحو « هومير » ، فرجعت إليه وقرأته مرة ثانية فى نشوة وطرب وأصبحت أجد فى الملاحم متعة للنفس المثقلة بأسرار الحياة وبأعبائها ، فاذا كانت غاية الشعر كما تقول بعض الآراء أن يرفه عن النفس ، ويخرجها من أفقها الضيق ، وينسيها ما يحيط بها من متاعب الدنيا ولو إلى حين ، فلما ذا أربأ بالشعر أن يكون مشحوناً بالخرافات والأوهام ؟ » .

«وقد قرأت الشيء الكثير من القصائد والمقطوعات الشرقية والغربية حتى إذا ارتويت ، أو ظننت أنى ارتويت ، سمعتنى مرة أتمتم بينى وبين نفسى : ما لى ولهذا الشعر الذى يخنق الروح الحساسة المرهفة ، ثم ينشرها أشلاء مشوهة بألفاظه وتعابيره .. إن الحياة والطبيعة ينبوع الشعر ، وهو ما تعيه الروح قبل أن يعيه السمع والأدراك ، وليس إلى هذا الشعر الذى يروى ظمأ الروح من سبيل ؟.. » .

« إذن ما هو مثلى الأعلى فى الشعر ؟ أأريد من الشعر أن أشم فيه روائح الحياة ، وأسمع منه أنفاسها ، وأتذوق به نكهاتها ؟ أم أريد من الشعر أن يغيبنى فى هذه الحياة حتى لا أعود أشعر بكيانى الذاتى ؟ لا أدرى ماذا أريد !!.. » .

« إلى هذه الدرجة انتهى بى القنوط من فهم الشعر فهماً منطقياً ، فعجيب إذن أنى ما أزال أكتب الشعر ! وأعجب من هذا كله أننى أحدثكم هنا عن كيف أكتب الشعر ! والواقع أنى إذا تركت جانباً الموازين المنطقية التى تزن بها قيم الشعر ، والتى أراها لا تشفى غلة ولا تبلغ غاية لأن الأحساس بالجمال — كما أرى — مصدره العاطفة والذوق لا العقل والعلم ، أقول إنى إذا تركت تلك الموازين جانباً ، والتفت إلى الشعر الذى أكتبه ، وجدتنى فيه شاعر قصيدة لا شاعر بيت ومقطع ، والقصيدة عندى فكرة معينة ينطوى تحت أجنحتها الثلاثة: الخيال، واللون، والنغم »

هذا ما تحدث به الشاعر « عمر أبو ريشة » عن الشعر، وإنه فى حديثه لشاعر أيضاً يفهم الشعر بعاطفته وذوقه، ويعترف بعجزه عن أن يجد فى ذلك سبيلا للموازين المنطقية، ومقتضيات العقل والعلم، وهذه الحقيقة هى التى عناها رجل المنطق « سقراط » منذ آلاف السنين إذ قال : لقد وجدت جميع الناس يفهمون الشعر أكثر مما يفهمه الشعراء أنفسهم .. » .

والخلاف القائم بين الشعراء والنقاد يبتدىء من هنا، فالشعراء يقولون إن الشعر مجرد عاطفة وذوق وينتهون عند هذا، والنقاد يقولون إن الشعر منطق وفهم ويتشبثون بهذا، وقد آن لنا أن نفهم أن الشعر هو الجانبان معاً . وعجيب من الشاعر أبى ريشة أن يقول : « إن ينبوع الشعر هو الحياة والطبيعة » ، ثم ينتهى بعد ذلك إلى إنكار الموازين المنطقية فى فهم الشعر ، وهل « الحياة والطبيعة » عاطفة وذوق فقط ، أو هما عقل ومنطق فقط ؟.. كلا ! ولكنهما كل ما فى الإنسان ..

**مات إلياس أبو شبكة :**

هتف الناعى من بيروت منذ أيام بموت الأديب الشاعر إلياس أبو شبكه، فمز نعيه على أصدقائه وعارفى فضله، وهز فقده وجدان أبناء العروبة القادرين لفضله ..

مات إلياس ابو شبكه وهو فى عنفوان الحياة، إذ كان فى حدود الخامسة والأربعين، وكان أوفى مايكون نشاطاً وإنتاجاً، وكانت آثار قلمه البليغ، وفنه الرفيع تتناثر على أبناء العروبة كأنهما قطرات الطل على أوراق الزهر . وهكذا تحطمت « القيثارة » فجأة وهى لما تزل مشدودة الأوتار، تردد أعذب الألحان وأطيب الأناشيد .

نشأ إلياس رحمة الله عليه فتى يتيما، فقد فتكت يد أثيمة بوالده فى مطارح الغربة بعيداً عن زوجه وصغاره، فكانت فاجعة قاسية أفعمت نفس الفتى بالألم، وأرهفت قلبه بالأسى والشجن، ثم كانت الحرب العالمية الأولى وآثارها فى لبنان موطن الشاعر .. أرض لايعمرها « إلا أشلاء الجائعين، ونسمات لا تحمل إلا عبق البارود وأبخرة الدماء والدموع، وأطيار ماتت فى الحقول على الأغصان المتكسرة والأوراق اليابسة الصفراء، وليس من حداء الحياة إلا أنين المتألمين وحشرجة البائسين » ، ومن هذا كله تغذت نفس إلياس، وعلى هذا كله تفتحت شاعريته، فنبت كالزنبقة البيضاء على قم لبنان وفى أحضان أغواره يتموج بالنشيد، ويهتف بالقصيد ..

وصف فقيد الأدب « فيلكس فارس » شاعريته وهى تتماثل للتمام عام ١٩٢٥ فقال : « لقد قرأت شعر إلياس أبى شبكة قبل أن أعرفه، فجزعت نفسى عليه من نفسه .. سمعته ينطق بأرق مافى القلب من الحب، وبأرق مافى الحب من الوحدة والأخلاص، فقلت إنه قلب معد للسحق، مهيأ لأن يذبح على مذبح غواية الغانيات فى زمان وفى وطن تتمرد فيه المرأة على كل شىء لتمد عنقها صاغرة أمام آلهة التقليد والبذخ والمطامع .. » .

« ورأيته يترامى متهالكا على المغاور المظلمة وقد رفع بيمناه قبس النور، ونبضات قلبه تتدفق بآيات الحكمة من فيه، فارتعشت نفسى أمام هذا الشاب المتلاعب بالحياة والموت، وقلت إن مغاور الظلمة ستبتلعه، وإن قبس النور سيحرق يمناه .. » .

« وشاهدته يتهدد سلطات النفوذ والجهل والمال، ويصرخ بالأمة داعياً إلى النهضة والحياة، وسمعت فى شعره أجمل ما يقول شاعر لنصرة الحق على الباطل، فأمسكت على قلبى وسترت عينى بيدى حتى لا أرى ضحية جديدة وشهيداً جديداً .. » .

« ثم رأيت إلياس أبى شبكه بعد أن قرأته، فعاينت شعره فيه، كما عاينته فى شعره .. إن فى لفتاته لمحات ليست من هذه البلاد ولا من هذا الزمان، لقد انتقم جسده من روحه قبل أن تنتقم السلطات منه، ويبتسم الشعب المستعبد لأقواله .. » .

ذلك هو إلياس أبو شبكه الذى فقده الأدب والشعر، وتلك هى شاعريته التى خسرها الفن والحق، نمت وا كتملت، وظهر من آثارها الخالدة ما أكبره أبناء العروبة وقدروه حق قدره . على أنه إلى جانب الشعر كان كاتباً له أسلوبه المشرق، وتعبيره المونق، وفنه المتدفق، فلا شك أن كان فقده نكبة للأدب وخسارة على العربية .

**مبشر ثقافى أم سياسى :**

لقينى صديق كريم من أبناء سوريا فحدثنى عما نشرته « الرسالة » عن رحلة الأديب الفرنسى الكبير الأستاذ جورج

ديهاميل إلى بلاد الشرق العربية قال : « لقد قرأت ما كتبتموه في عددين سابقين عن هذه الرحلة التي يقوم بها مسيو « جورج ديهاميل » الآن ، ووصوله إلى مصر لألقاء بعض الأحاديث والمحاضرات ، وقد أعجبني أن فطنتم للغرض من هذه الأحاديث والمحاضرات إذا قلتم أنه يقصد بهذا إلى الدعاية للثقافة الفرنسية ، وأحب أن أقول لحضرتكم ولقراء الرسالة الكرام ، إن ديهاميل قدم إلى أقطار الشرق العربي وفي برنامجه الرسمي الموضوع أن يرى بعينيه ما يريد العرب والمسلمون ، وأن يستمع بأذنيه إلى ما عندهم من الآراء فيما يقصدون ويهدفون ، وعليه في ضوء ما يرى وما يسمع ، أن يذكر بما أدته الحضارة الغربية عامة ، والفرنسية خاصة إلى العرب والمسلمين وإلى التراث الأسلامي ، وأن يوجه أنظار الذين يقابلهم ويتحدث إليهم إلى أن مطامحهم لا يمكن أن تتحقق إلا بتمام الاتفاق والحرص على الاتصال بالحضارة الغربية ، أو بمعنى أخص وأجلى بالحضارة الفرنسية .. فهو في الواقع مبشر سياسي يصبغ فكرته بصبغة الثقافة ، ولعل ديهاميل يقتنع في نهاية الأمر بأن الشرق قد أصبح على بينة من أمره ، وأنه صار يدرك تمام الأدراك أن نفوذ الثقافة لا حد له ، ولا وطن له ، ولكن نفوذ السياسة يجب أن يكون محدوداً بالحدود الطبيعية ، محصوراً بالدعائم القومية ، وعلى هذا الأساس الذي هو ضمان السلام في الأرض يريد الشرق أن يصفي حسابه مع الغرب » .

### شيء مضحك ؟ ؟

نشرت إحدى الصحف اليومية برقيه لمراسلها الخاص يقول فيها : « إن أنباء تونس تدل على أن في هذه البلاد نهضة كبيرة في ميدان الأدب العربي بصفة خاصة ، والعلوم بصفة عامة ، ومن الأدلة على ذلك أن مسرحية هامة بعنوان « هرون الرشيد » ستمثل قريباً برعاية جمعية النهضة التمثيلية ، وستتبعها رواية « فتح العرب لصقلية » بأشراف جمعية الاتحاد المسرحي ، كما مثلت رواية « مجنون ليلى » من قبل على مسرح المدينة الرئيسي ، ورواية « طارق بن زياد » ثلاث مرات » .

ثم تقول البرقية : « ومن النواحي الأخرى في هذه النهضة زيادة عدد الصحف اليومية والأسبوعية ، فقد ظهرت جريدة « المرآة » وهي وطنية ، ومجلة الشعب التونسي — وهي تنطق بلسان نقابات العمال » .

وأخيراً تقول هذه البرقية « وقد ساهمت المرأة التونسية في تثقيف بنات جنسها ، واشتركت كثيرات منهن في إلقاء المحاضرات ، ومنهن الآنسة — ليلى حلواني — التي تذيع رسائل بالراديو عن فائدة الرياضة للمرأة ، وتجمع الآن ا كتتابات لإنشاء مدينة جامعية في ضواحي تونس على مثال مشروع المدينة الجامعية في مصر ، وما زالت التبرعات تتدفق على العاصمة لهذا الغرض ، وقد زادت حتى الآن على عدة ملايين من الفرنكات » .

قرأت هذه البرقية فضحكت ، وإنها لشيء يدعو إلى الضحك ، وإلى السخرية ، وإلى الإشفاق ! وهل ثمة أعجب وأغرب في هذا العصر من أن يعتبر تمثيل رواية ، أو إنشاء مجلة ، أو إذاعة آنسة لحديث دلائل « نهضة كبيرة في ميدان الأدب العربي بصفة خاصة والعلوم بصفة عامة » ! !

إن هذه الأمور التي تعددها البرقية وتشيد بها ليست إلا أمورا بدائية ينهض بها التلامذة في مدارسهم . ففي أي مدرسة ثانوية يمثلون الروايات ، ويصدرون المجلات ، ويذيعون المحاضرات والمناظرات ، فكأن هذه «النهضة الكبيرة» في تونس بعد هذا الدهر الطويل ليست إلا نهضة مدرسة ثانوية لا أكثر ولا أقل .

على أنك إذا علمت أن هذه البرقية إنما أذيعت من باريس ، وأنها دعاية استعمارية هدفها التمويه والتلبيس، تبينت حقيقة الحال في ذلك القطر الشقيق ، وأدركت أن هذا الذي يمن به الفرنسيون في تلك البرقية قد كشف صنيعهم ، وأظهر للناس كيف أن الحياة الأدبية في قطر عربي عتيد لا تزال عند ذلك الوضع البدائي التافه الذي لا يعدو مشاهدة رواية تمثيلية ، وذلك كله بفضل الاستعمار الفرنسي العريق العتيد ! !

لقد آن لفرنسا أن تعلم أن كل هذا العناء في التمويه أصبح لا يجدي ولا يخفي حقيقة الحال في تونس ، فإن أبناء العرب في سائر الأقطار يدركون الحقيقة فيما تفرضه على الثقافة هناك من حجر ، وعلى حرية الرأي من حصر، وعلى الإنتاج الفكري من رقابة أشبه بالرقابة العرفية ..

« الجاحظ »

### فن وتجارة :

أرسل إلينا الأستاذ يوسف وهبي بك في آخر لحظة كلمة يرد بها على ما كتبه ( الجاحظ ) في العدد الماضي تحت هذا العنوان فأجلنا نشرها مضطرين إلى العدد القادم .




## ذكريات عشرين عاما فى مصحة حلوان

تأليف الدكتور عبد الرؤوف بك حسن مدير المصحة

**عرض وتعليق فى خطاب مودة وتقدير**

للدكتور لويس دوس

أستاذى القديم وصديقى الكريم :

أهديت إلىّ مع الكتاب مودتك وتقديرك ، فإذا مودتك يثب إليها من مهجتى صنو يأتلف وإياها كأقوى ما يأتلف من الأرواح المجندة ، وإذا تقديرك فيما ينم عليه من تواضع العلماء الفضلاء يبتعث فى نفسى مالك فيها من كامن الشعور المضاعف بالنظير . وإنى لأعكف على كتابك قارئاً ملتهماً فآتى عليه فى ساعة أو نحوها ، وإذا شاعريتك المتأججة الجياشة وراء علمك وطبك تهز مشاعرى ترجيعاً لمشاعرك ، وإذا ذكرياتك تهتاج فى نفسى مثيلات تتداعى لها فينشط قلمى ليجلوها عليك .

بدأت كتابك من حيث بدأت صلتك بمصحتك ، وقبيل تلك البداية كان أول عهدى بك ، إذ كنت معيداً بكلية الطب ردحاً من الزمن ، وكنتُ مستهلا دراستى الطبية فى غمار جم من الطلاب غفير . وأشهد لقد كان يروقنى أسلوب تدريسك — والرجل ، بله المعلم ، هو الأسلوب — وكنت أستشف منه روح الشاعر الأديب وراء ذهن المعلم الطبيب ، وتلك روح مافتئت أراها مناط التمايز فى التدريس الطبى ، وقليل من يؤتاها ، ولقد أوتيتها حديثاً وكتابةً بما تغبط عليه ، حتى لأذكر أننى ضننت فى محفوظاتى إلى أمد قريب بمجالة لك بالإنجليزية عن البلهارسيا تشهد لك فى هذه اللغة — فضلا عن العربية — بجودة البيان .

ولقد شاقنى من بعد ما تأتّى لى من كتاباتك ، فلا غرو أن يشوقنى كتابك عن مصحة حلوان ، وإن فى موضوعك هذا لخافية لست أدرى ما كنهها ، ولكننى عليم أنها تشوق كل طبيب أديب . ألم تصف كيف شاقتك ، بل ألهبت خيالك فكرة إنشاء المصحة ، ولما تزل طبيباً ناشئاً مغترباً عن الأوطان ، فساقتك إليها مستدرجاً متدرجاً حتى أضحيت لها نعم المدبّر المدير ، وإذا هى تملك عليك أقطار مشاعرك فتتفانى فيها كما يتفانى الربان فى سفينه وكأنما هى دنياه ، وإذا أنت تستهل كتابك بقصيدة بلغ من براعة استهلالها أن وقفت بالدار ، وبكيتها مؤذنة باندثار ، وشبّبت فيها بعروس أفكار ، كل ذلك فى اتساق وفى آن ، وكأروع ما ينوح على منازل القلوب صب ولهان !

أى سحر هذا الذى استحوذ عليك من مصحة حلوان ؟ وأية فتنة تلك التى تتجلى فى استهواء المصحة للأطباء الأدباء : على ما هو معروف من هوايتك ، وما وصفت من هواية الدكتور « برناند » مدير المصحة الأول . وإن شئت مزيداً فانى لأذكر — وإن بَعُد المهد — غدوات لى إلى المصحة وروحات ، كنت أعود بها ، وأنا بعد طالب طب ، زميلا فاضلا لى كان ثمة يستشفى ، وكان هو أيضاً يهوى الأدب وما يزال ، وقد أبرأته المصحة بمنة الله ، فلم يكد يتم دراسته حتى التحق بها ضمن من تناوبوا عليها ممن سميت من أطباء . ولعلى سمعت عن أطباء غيره بمثل قصته ، وعجيب أن تترادف الأمثلة بهذه الظاهرة فى جانب الأطباء ، وأن يقابلها فى جانب المرضى ما يؤكدها بما هو متواتر مشهور : من تفزز حسهم ، وحدة خيالهم ، وسطوة مشاعرهم وغرائزهم ، حتى ليكثر بينهم الموهوبون بالفنون ، على ما ألمت إليه فى كتابك ، وما حفلت به روائع القصص وافتن فيه كتابها المبدعون .

على أننى رأيتك ، يا صديقى ، أوشكت تتنصل فى قصيدتك من هوايتك الأدب ، فتقول إنك آثرت على يراعتك مبضعك ومسماعك ، كأنما أصبح الأدب للأطباء فى هذا البلد تهمة تدفع ، وزلة يعتذر منها ، وإنه فى سائر بلاد الله لمحمدة تذاع ومفخرة يشاد بها — تنبىء عن ذلك مطابعهم — فما تكاد تخرج إلى عالم الأدب كتاباً لطبيب حتى تتلقفه الأيدى فلا يساعفها منه تلاحق الطبعات . ألا فهوّن عليك ، يا صديق ، تحرجك من الأدب ، ولا تولع منه بفرط إشفاق : وخذ بنا فى تلك الظاهرة




# على الحصـــان

للقصصي الفرنسي جي دي موباسان

بقلم الأستاذ كمال الحريري

كانوا في فقر وعوز، يزجون أيامهم تزجية على راتب الزوج الضئيل. ولقد رزقوا ولدين من زواجهم، أما فقرهم، فقد كان من نوع البؤس المخبوء الخجل. بؤس عائلة نبيلة، تريد أن تتمسك بتقاليدها وتأخذ مكانها بين أندادها الأشراف مهما كلفها الأمر. لقد نشأ هكتور «دي كريبلين» في الريف تحت كنف أب مدرس، ولم تكن الأسرة في رغد من العيش، وإن كانت تحافظ على مظاهر النعمة. فحين بلغ «هكتور» العشرين من عمره، سمت له أسرته فأدخلته موظفاً في وزارة البحرية. براتب ١٥٠٠ فرنك. فأصطدم الفتى بتلك الصخرة التي يصطدم بها كل من لم يعد نفسه في بكورة العمر لمعركة الحياة القاسية.

فهو يرى الوجود من خلال ضباب كثيف، ثم هو يجهل كل الجهل وسائل العيشة وأساليب المناضلة والمقاومة. لأنه لم يتزود منذ حداثته بمؤهلات كفاحية لمجابهة مرارة الحياة وشظف العيش، إنما أتى به إلى هذا الوجود، وليس في يده آلة أو سلاح لمنازلة حوادثه.

لقد كانت سنوات «هكتور» الثلاث الأولى في دائرة عمله، مدعاة للتوبيخ. فلقد ألف من عائلته لفيفاً من الأصدقاء قليلي المال مثله، كانوا يحيون في أوساط النبلاء، أي في الشوارع الحزينة من ضاحية «سانت جرمان» فربط هكتور معهم حلقة تعارف وصداقة. وباغترابهم عن الحياة العصرية كان هؤلاء الأرستقراطيون الموزون، يقطنون في تواضع، الطوابق المرتفعة من المنازل والمساكن الهادئة. ومن أعلى إلى أسفل هذه المنازل كانت ألقاب المستأجرين الضخمة تتردد على كل لسان، ولكن يظهر أن النقود، كانت هي البضاعة المفقودة عندهم من الطابق

---

التي لفتتك — وما أخالك إلا كنت ملتفتاً إليها — فخض فيها بالاستقصاء والاستقراء عالماً طبيباً، وبالمنظوم والمنثور شاعراً أديباً، فما حشدت لتجلية هذه الظاهرة مواهب كواهبك، ولا ظروف كظروفك، وإن تجليتها لفتح طبي وأدبي لا يتملق به إلا من كان في همتك، وفي الحق إنك لها!

ولقد اصطرعت في قصة مصحتك من شخصيتك شعب ثلاث: نفحتك الشاعرية، وذهنيتك العلمية، وصفة عملك الرسمية، وفي النطاق الذي قسرك عليه هدفك، لقد استطعت أن تبلغ بهذه الشعب في اصطراعها حد الإبداع، وكأنما قُدِّر للداء الذي أدرت حوله موضوعك أن يطل عليه أبداً — من حيث يدري المرء أو لا يدري — شبح المأساة. ولم تباطئ المأساة مصحتك، إذ أوعدتها العوادي أن تجعلها حصيداً كأن لم تغن بالأمس، وكأن لم تبرح طوال عشرين عاماً جمة المآثر، جلية الآثار! فوا أسفاه على بلد تُرتجل سياسته فلا يقر لها قرار، ولا ترعى فيه حرمة دار حياها الله من دار! هذا ومن ورائنا أوائل شيدوا، وأمامنا أقوام بنوا، فإذا دورهم العامة معالم مكتملة المقومات، بل شخصيات معنويات، تذكر بذكريات، وتمجد بأمجاد، وتعيد لها الأعياد، ويطاول بها الدهر خوالد باقيات

تُرى لو صح أن الأرواح تحوّم هائمات، والأصوات تختزن مكنونات، حيثما تجري تصاريف الأقدار، ويُطاح بالآجال والآمال، ولو أتيح بما أجن في ضمير الغيب من أفانين المخترعات، أن تتبدى تلك الأرواح مرئية، وتنطق هذه الأصوات المبية، فأي روع وهول كان عساه يتفجر من أرجاء المصحة حمماً ودوياً، إزاء أمانة أشفقت من حملها الرواسي ولم ترع إنسياً! لكأني إخال ما أتخيل، وأتسمع بين تلك الأصوات المدوية صديق دراستي، ذلك الطبيب النافع الذي يفيء الآن على مرضاه مما أفاء الله عليه من العافية بالمصحة، وهو يجأر مستصرخاً: لا تنخبوا الدور على منخوبي الصدور، وقد وسع الله عليكم رحاب الأرض وجنبات القصور.

وبعد، أي صديقي عبد الرؤوف! لئن ضاق صدرك، فقد انطلق لسانك، وبلاغاً أبلغت، وربك أشهدت، ولله الحكم، وإليه ترجع الأمور!

دكتور لويس دوس

الأول حتى الطابق السادس .

أما أعذارهم لهذا السكن المتطرف ، فهى خطورة مراكزهم وتقدم حقوق عائلتهم على بقية الناس ، واهتمامهم بعدم التسفل أمام العامة . وقد كانوا ما كانوا فى سمو المنزلة وعراقة الأصل . لقى هكتور « دى كريبلين » فى هذا الوسط فتاة نبيلة فقيرة مثله ، فعقد قرانه عليها ، وفى خلال أربعة أعوام كان لهما ولدان . مرت أربع سنين أخر ، لم يعرف خلالها « هكتور » المسكين من ملاهى الشباب ومتع الحياة غير التنزه فى حدائق الشانزليزه أيام الآحاد ، أو حضور ملاعب التمثيل مرتين أو ثلاثا طيلة الشتاء وذلك بفضل تذاكر كان يجود بها عليه بعض زملائه وأصحابه . ولـكن ها هو ذا الربيع يقبل فإذا مهمة يكافه الرئيس بها ، يتسلم بعد انجازها من الرئيس منحة فوق العادة مقدارها ثلاثمائة فرنك .

ولما حمل هكتور هذا المبلغ إلى امرأته قال : عزيزتى « هنريت » ينبغى أن نبهج أنفسنا بعسرة أو متعة تدخل على طفلينا السرور والبهجة وبعد جدال طويل قر الرأى على أن يصحب هكتور زوجه وابنيه إلى نزهة خلوية : وهتف هكتور : لعمرى إن السير على الأقدام أمر مبتذل لا يليق؛ لهذا سوف نستأجر عربة نزهة لك وللطفلين وللوصيفة . أما أنا فسأحصل على جواد فى بداءة ترويضه . فإن ركوبه يثير فى نفسى نوعاً من الفرح واللذة .. وفى خلال أسبوع لم يـكن حديث العائلة ليتناول أمراً غير النزهة المقبلة ومشروع امتطاء الحصان .

وعند المساء ، حين آب هكتور من عمله ، كان يتناول طفله البكر فيتخذ له من ركبتيه ممتطى كصهوة الجواد ، ثم يقول له وهو يحركه ويقفزه .

— هكذا سيعدو وركض بحصانه أبوك فى الأحد المقبل وقت نزهتنا يابنى . فكان الطفل طول النهار يهمز الـكراسى ويشد عليها بساقيه ، ثم يجرها حول الغرف قائلا :

— هو ذا أبى فى حالة الركوب . حتى لقد كانت الوصيفة ذاتها ترمق سيدها بعين الدهشة والإكبار حين تتخيله راكباً ظهر حصانه وسائراً بحذاء العربة . وفى أثناء وجبات الطعام كانت تصغى إليه وهو يتحدث عن فروسيته ومفاخره السابقة فى ترويض الجياد . فهو ماهر فى الركوب من الدرجة الأولى . ويكفى أن يكون الحصان العتيد الشموس بين ساقيه وتحته . إنه وقتذاك لن يخاف شماسه أو حرنه . ولقد كان يكرر لامرأته وهو يفرك كفيه ابتهاجاً :

آه لو أنهم آجرونى يوم الأحد المقبل حصاناً شكساً غير مروّض! إنى سأكون إذن جدّ مبتهج وستبصُرين كيف أمتطيه وأعلوه . وإذا أحببت يا عزيزتى ، فلتـكن عودتنا من نزهتنا عن طريق « الشانزليزه » حين إياب المتنزهين من الغابة . وبما أن منظرى على ظهر الجواد لن يكون مخجلاً فلا بأس أن نلتقى بأحد موظفى البحرية ، خصوصاً وأن التباهى بين الرؤساء شىء مستحب يدعو إلى الإحترام .

وفى اليوم الموعود ، وصلت العربة والجواد فى وقت واحد إلى منزل هكتور، فنزل فجأة ليفحص الحصان ، ثم خاط لبنطلونه سيوراً لركوبه ، وأصلح سوطاً للضرب اشتراه البارحة ، ورفع بالتعاقب قوائم الحصان وراح يجس عنقه وخاصرتيه وثنيات قوائمه ثم تحسس بأصبعه كليتيه وفتح فمه ، ونقب عن أسنانه فاحصاً عمره . وحيث أن العائلة ، كانت تستعد للنزول ، فقد خطر له أن ينطلق به حول المنزل ، ويطبق فى ركوب هذا الجواد الـكريم ، ما عنده من نظريات فى فن الركوب . ولما أخذوا جميعاً أمكنتهم من العربة ، راح يتأكد من متانة سيور السرج ، ثم قفز إلى ظهر الجواد فسقط على ظهره سقوطاً أرقص الحصان فأخذ يثب تحت هذا الحمل ، وقد قام فى نفسه أن يُربك راكبه . وتأثر هكتور من هذه الوثبات ، فاجتهد أن يهدّئ من حدته . فقال له : هيّا . ولـكن برفق ياصديق وعلى مهل . ولما ثابت للحصان سكينته هتف صائحاً :

— هل أنتم مستعدون ؟! فانطلقت الأصوات تقول نعم .

وحينئذ قال آمراً هيا إلى الطريق . . . ثم ابتعدت القافلة الصغيرة شيئاً فشيئاً . ولـكن الحصان أخذ يعلو بصاحبه ويتهادى كأنما هو فى حفلة رقص ، حتى لقد خيل لهـكتور أنه موشك على السقوط عن ظهره . لهذا ثبت عينيه فى الأرض وقد علت محياه صفرة الرعب . وكانت امرأته وهى تحمل أحد الطفلين إلى صدرها ، والمربية وهى ترفع الثانى لا تفتران عن الهتاف فى أذن الطفلين : ألا تنظران أباكما ؟ ! وسكر الطفلان بنشـوة النزهة وهزة الفرح واعتلال الهواء فـكانا يصرخان ويزيطان زياطاً أجفل الجواد المسكين ، فجرى يركض ويعدو . وبينما كان فارسه

يجهد فى كبح جماحه تدحرجت قبعته على الأرض . فتحتم على سائق المركبة أن ينزل من مقعده لالتقاطها ومناولتها لصاحبها وبحصول هكتور عليها بدأ يوجه عن بعد إلى امرأته :

— ألا تريدين إسكات الطفلين عن الصراخ والضجيج ؟! إن صياحهما يغيظنى ... ونزلت القافلة فتناولت طعام الإفطار فوق العشب الخضل تحت ظل غابة من صندوق ملىء مؤنة وطعاماً، وبالرغم من أن سائق العربة لم يقصر فى الإعتناء بالجياد ، كأن هكتور بين حين وآخر ينهض ليرى ما إذا كان جواده لا ينقصه حاجة . وحينئذ يأخذ فى مداعبته فى عنقه ثم يناوله بيده الخبز الأبيض وفطائر « الـكاتو » اللذيذة وقطع السكر الفاخرة . وكان لا يفتأ يعلن أن جواده مسباق . . نعم إنه هزنى وزلزلنى من على صهوته أول الأمر ، ولـكنك أبصرت يا « هنريت » كيف استمسكتُ عليه ، والآن وقد عرفنى فلن يبدى أى حركة مطلقاً . ورجعت العائلة من طريق « الشانليزه » كما كان مقرراً . كانت الجادة حافلة بالعربات والمركبات وعلى جانبى الطريق ازدحمت الأرصفة بجموع المتنزهين ، وكان سيلاً دافقاً من أشعة الشمس يسقط على هذه الخلائق ، فيؤلــق دهانات العربات ويلمــع نمال الأفراس ، ويضوّى مقابض ومطارق الأبواب . وكأنّ جنون الحركة ونشوة الحياة كانتا تحركان جمـاهير الناس وجماعات المتنزهين وأسراب الحيوانات . وما كاد حصان فـكتور يجتاز « قوس النصر » حتى مسته حماسة جديدة . وبالرغم من كل محاولات راكبه لضبطه ورد جماحه أخذ ينطلق فى الطريق كالسهم المنقذف . كانت العربة وراءه بعيدة عنه . فلما واجه هكتور قصر « باله لانذوسترى » شاهد الجوادُ الطريق أمامه منفسحاً كميدان السباق فانطلق يعدو كالريح ، وكانت امرأة عجوز فى ثياب الخدمة تقطع الرصيف بخطوات بطيئة ، فرأت نفسها بغتة فى طريق حصان هكتور ، وكان الجواد قد تنكب الجادة وتوسط الرصيف . ورأى هكتور نفسه عاجزاً عن كبح حرن الجواد ، فبدأ يصرخ بملء صوته ، هه ... هولا . وراءك ، ولـكن ربما كانت العجوز صماء ، لأنها واصلت سـيرها هادئة حتى اللحظة التى التطمت فيها بصدر الجواد ، الذى كان مقذوفاً كمحرك القطار . فتدحرجت العجوز عشر خطوات بعد أن أكبت ثلاث مرات على رأسها وبعد أن طار عنها صدار الخدمة وتعالت أصوات من الشارع : اقبضوا عليه ، أمسكوه ! فضاع رشد هكتور ، وتمسك بظهر الجواد ، ثم انطلق يقول : النجدة ، الغوث . ولـكن صدمة عنيفة ألقت به من سرج حصانه ، فانقذف كميار نارى من فوق رقبة الجواد . وإذا به يقع بين يدى ضابط من ضباط الجيش هجم عليه كى يمسكه ، وفى لحظة ، تحلق حوله رهط من الناقين ، ولـكن سيداً متقدماً فى السن يزدان صدره بكثير من الأوسمة المستديرة ، ويعلو فمه شارب أبيض ضخم اغتاظ منه أكثر من الحاضرين فقال :

تباً لك ! حين يكون المرء أخرق مثلك يقتضى أن يلزم منزله فلا يخرج ليقتل الناس على قارعة الطريق بعدم استطاعته قيادة جواده . وفى هذه اللحظة ظهر أربعة رجال يحملون المرأة العجوز ، وكانت كأنها الميتة بوجهها الأصفر الـكالح وقبعتها الملوثة بغبار الطريق قال الرجل المسن :

احملوا هذه المرأة إلى صـيدلية إسعاف . وهيا بنا إلى ضابط الشرطة .

ومشى هكتور فى الطريق بين حارسـين من الشرطة وثالث كان يقود حصانه بينما أسراب من الناس تتبعه . وفجأة ظهرت عربة زوجه فانقذفت منها فى حين كانت الوصيفة كأنها فقدت صوابها والأطفال كانوا يجهشون بالعويل والصراخ . فشرح لهم هكتور الموقف ، وقال : إنه دهس امرأة والأمر لا يهم مطلقاً . فمضت العائلة وقد جن جنونها من الرعب والقلق ، وعند ضابط الشرطة كانت إفادة هكتور قصيرة . قال « للقوموسير » اسمه « هكتور دى كريبه لين » موظف فى وزارة البحرية . ثم تهيأ القومسير لسماع تفاصيل الجريمة . وجاء شرطى نيط به الإستعلام عن حال العجوز يقول : إنها صحت من غشيتها وثابت لرشدها بيد أنها تشكو آلاماً مبرحة فى جوفها . وهى امرأة فى الخامسة والستين من سنيها . يدعونها مدام « سيمون » ولـما تأكد هكتور من عدم وفاة ضحيته عاد إليه عازب الأمل . فتـكفل أن يقوم بنفقات المريضة حتى يوم شفائها . ثم هرول عجلاً إلى صيدلية الإسعاف ، فأبصر جماً من الناس مرابطاً حول الباب وكانت العجوز مستريحة إلى أريكة تشكو وتتوجع ويداها جامدتان ووجهها يعلوه شحوب الموت . كان هناك طبيبان يفحصانها أيضاً ولم يكن فى جسمها عضو مكسور ، ولـكن يُخاف من جرح داخلى . كلمها هكتور . هل تتألمين كثيراً ؟ — أوه نعم . وأين موضع الألم ؟

— إنى لأشعر بمثل النار تتقد فى معدتى ، واقترب طبيب فقال :

— وإذن يا سيدى فأنت بطل الحادث ؟!

— نعم يا سيدى .

— ينبغى لك إرسال هذه المرأة إلى مصحة من مصحات المرضى ، وإنى سأدلك على واحدة تتقبلها بستة فرنكات فى اليوم . أتود أن أتولى عنك هذه الخدمة ؟ . فاستطير قلب هكتور وشكر الطبيب ، ثم انقلب إلى بيته مستريحاً ناعم البال ، وكانت زوجته تنتظره بين الآهات والعبرات ، فهدّأها قائلاً :

لا بأس علينا من هذه المرأة الجريح إن صحتها فى تحسن . وبعد ثلاثة أيام لن يبقى فى جسمها موضع شكوى أو ألم . لقد بعثت بها إلى مصحة فلا تقلق من أجلها . وفى الغد ، فور خروجه من دائرة عمله انطلق يستعلم أخبار مدام سيمون فألفاها تتهيأ لاحتساء مرق من الحساء ، كثيرة الدهن . وهى جدُّ راضية قريرة العين . فقال لها : إه ! أراك بصحة جيدة ؟ فأجابت :

— أوه يا سيدى المسكين ، إن حالى هى حالى لم تتغير ، وإنى لأشعر بأنى صائرة إلى العدم ما دامت صحتى تتدهور . أما الطبيب فقد أعلن أنه من الواجب الانتظار فقد يعرض للمريضة حال من اشتباك العلة لا يعلمها الطبيب . وانتظر الفتى ثلاثة أيام ثم عاد بعدها ، فاذا المرأة العجوز بصفرة وجهها المضيئة وعينها الزائغة تأخذ فى ترداد ألمها حين مشاهدته .

— إنى لا أستطيع حتى التحرك يا سيدى المسكين ، لا أقدر على ذلك حتى نهايتى الأخيرة . فمرت عظام هكتور رعشة ، ومضى يستفهم الطبيب ورفع الطبيب يديه قائلا :

— ماذا تريد منى يا سيدى ؟ أنا نفسى لا أعلم عن حالها شيئاً . إنها تصرخ وتعوى حين يراد إجلاسها وإنهاضها ، حتى إنه لا يمكننا تحريك مقعدها دون أن نمرّض آذاننا لصرخاتها الداويات المزعجات ، وإذن فأنا علىّ تصديق ما تدعيه . لأنى لست بداخلها ولا فى جوفها . وما دمت عاجزاً عن أن أجعلها تمشى وتسعى فليس من حقى أن أفترض أى وهم من ناحية مرضها . وكانت العجوز تسمع كلامه هادئة لا تتحرك ، وفى عينيها الخبث والمكر .

ومرت ثمانية أيام ، فخمسة عشر … فشهر ، ولم يبارح مدام سيمون مقعدها المريح ، لقد كانت تأكل من الصباح إلى المساء ، وكانت تكتظ شحما ولحماً . ثم إنها كانت تتحدث بسرور إلى بقية المرضى فى المصحة ، وكأنهـا بتعودها على عدم الحركة والنهوض كانت تكتسب فرصة للاستجمام من عناء خمسة وستين عاماً للخدمة ، قضتها فى صعود ونزول الأدراج ، وتهيئة الأفرشة والأسرّة ، وفى حمـل قطع الفحم من طابق إلى طابق ، وفى كنس الغرف وتنظيف الثياب .

وضاع رشاد هكتور ، فكان يعودها كل يوم ، وفى كل يوم كان يراها هادئة تعلن إليه :

— أواه إنى لا أستطيع الانتقال أو الحركة يا سيدى المسكين ! لا أستطيع ، لا أستطيع . وعند كل مساء كانت مدام دى كربيه لين تسأل زوجها وهى فريسة القلق . ومدام سيمون ؟ فيجيبها فى خمود يائس :

— لا جديد عنها . فهى لم تتغير أبداً . وسرحت العائلة الوصيفة من الخدمة لأن راتبها أصبح عبئاً باهظاً عليها . ثم أخذت عائلة هكتور تمضى فى الاقتصاد ، لأن المنحة التى أخذها الزوج من رئيسه نفدت تماماً . وفى ذات يوم جمع هكتور أربعة أطباء التفوا حول سرير المريضة ، فتركتهم العليلة يجسونها ويفحصونها ، ولكن عينيها الماكرتين ما كانتا لتحولان عنهم ، قال واحد منهم :

— يجب إجبارها على المشى ، فصرخت قائلة :

— لا أستطيع يا سادتى الكرماء لا أستطيع ، ولكنهم قبضوا عليها وأجلسوها عنوة ، ثم جروا بها عدة خطوات ، ولكنها تملصت من أذرعتهم وتدحرجت على البلاط ، وهى تصرخ صرخات كانت من الشدة والإزعاج بحيث اضطروا إلى إعادتها ثانية لمقعدها فى احتراس شديد ، وتشاور الأطباء فيما بينهم ، فاستقر رأيهم على استحالة محاولتهم تحريكها …

ولما حمل هكتور هـذا النبأ إلى زوجته تركت جسمها ينحط على مقعد وهى تجمجم ، وإذاً فمن الخير أن نجلبها إلى منزلنا فان ذلك يقلل من نفقتها ، شيئاً . وقفز هكتور .

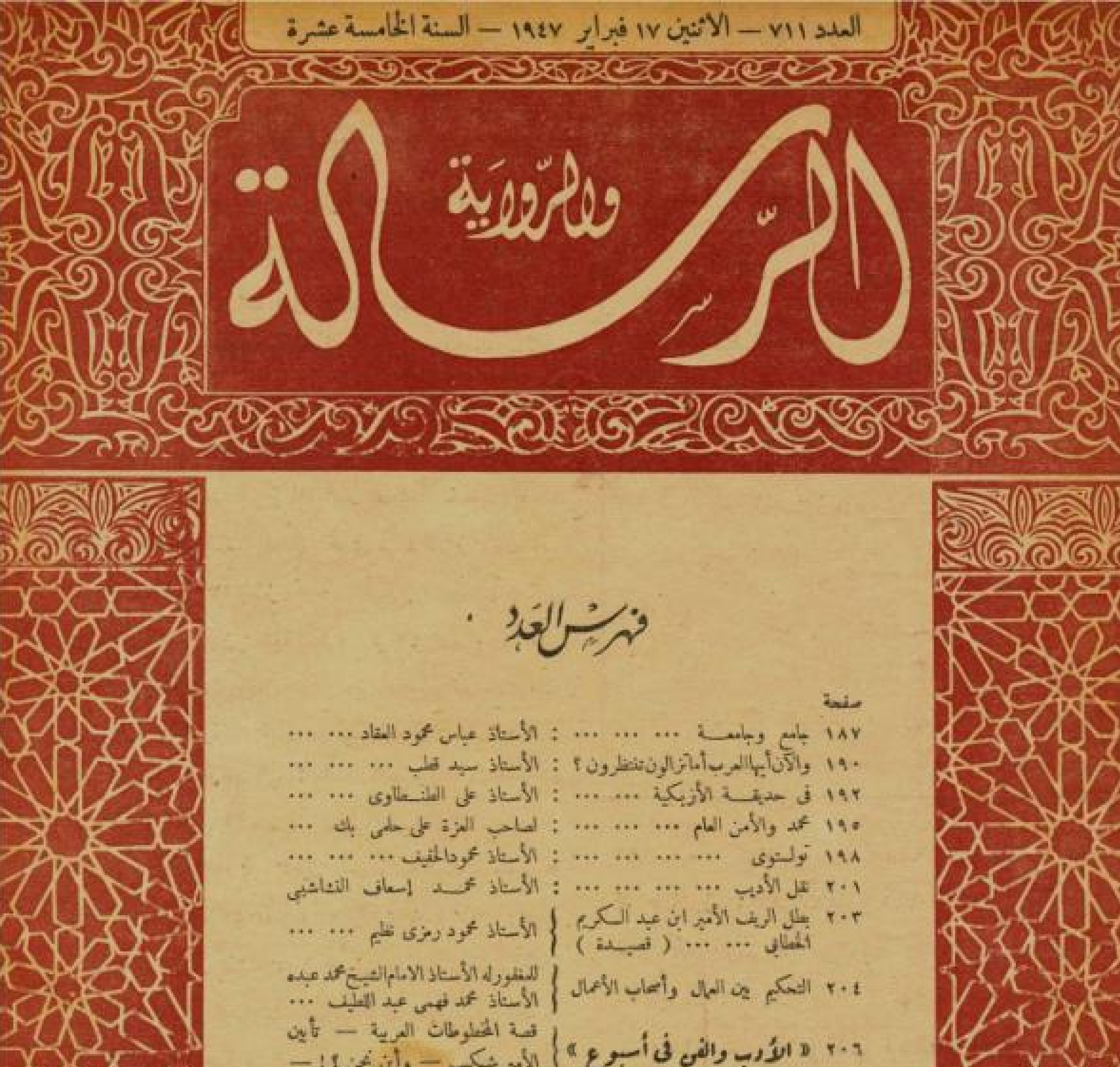
— هنا عندنا فى دارنا ؟ أتفكرين فى هذا ؟ ! ولكنها أجابت وقد وطنت نفسها على المكروه ، وفاضت من عينيها الدموع :

— وماذا تريد أن نفعل غير هـذا يا صديقى ؟ إن الغلطة لم تكن غلطتى .

(حلب) كمال الحريري

مطبعة الرسالة

العدد ٧١١ — الاثنين ١٧ فبراير ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة



# الرسالة والرواية

## فهرس العدد


| صفحة | | |
| --- | --- | --- |
| ١٨٧ | جامع وجامعة ... ... ... | الأستاذ عباس محمود العقاد ... ... |
| ١٩٠ | والآن أيها العرب أما تزالون تنتظرون ؟ | الأستاذ سيد قطب ... ... ... |
| ١٩٢ | فى حديقة الأزبكية ... ... | الأستاذ على الطنطاوى ... ... |
| ١٩٥ | محمد والأمن العام ... ... ... | لصاحب العزة على حلمى بك ... |
| ١٩٨ | تولستوى ... ... ... ... | الأستاذ محمود الحفيف ... ... ... |
| ٢٠١ | نقل الأديب ... ... ... ... | الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى |
| ٢٠٣ | بطل الريف الأمير ابن عبد الكريم الخطابى ... ... ( قصيدة ) | الأستاذ محمود رمزى نظيم ... ... |
| ٢٠٤ | التحكيم بين العمال وأصحاب الأعمال | للمغفور له الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده<br>الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ... |
| ٢٠٦ | « الأدب والفن فى أسبوع » | قصة المخطوطات العربية — تأبين الأمير شكيب — وأين نحن ؟ ! — الفلسفة الهندية القديمة — كتاب من غير أقلام ... ... ... ... ... |
| ٢١٠ | « البريد الأدبى » | فن وتجارة — موسم محاضرات تفسير القرآن الكريم — حول « الشاعر الطموح » ... |
| ٢١٢ | أعلام المحاماة فى كتاب الأستاذ عبد الحليم الجندى ... ... ... | لصاحب العزة عبد الرحمن الرافعى بك |
| ٢١٣ | لوىز للكاتب الانجليزى سومرست موم | : ترجمة الأديب السيد مصطفى غازى |


مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧١١ - الاثنين ١٧ فبراير ١٩٤٧ - السنة الخامسة عشرة




## فهرس العدد


صفحة

١٨٧ جامع وجامعة ... ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ... ...

١٩٠ والآن أيها العرب أما تزالون تنتظرون ؟ : الأستاذ سيد قطب ... ... ...

١٩٢ فى حديقة الأزبكية ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ...

١٩٥ محمد والأمن العام ... ... ... : لصاحب العزة على حلمى بك ...

١٩٨ تولستوى ... ... ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ... ... ...

٢٠١ نقل الأديب ... ... ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

٢٠٣ بطل الريف الأمير ابن عبد الكريم الخطابى ... ... ( قصيدة ) : الأستاذ محمود رمزى نظيم ... ...

٢٠٤ التحكيم بين العمال وأصحاب الأعمال : للمغفور له الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده — الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ...

٢٠٦ « الأدب والفن فى أسبوع » : قصة المخطوطات العربية — تأبين الأمير شكيب — وأين نحن ؟ ! — الفلسفة الهندية القديمة — كتاب من غير أقلام ... ... ... ... ...

٢١٠ « البريد الأدبى » : فن وتجارة — موسم محاضرات تفسير القرآن الكريم — حول « الشاعر الطموح » ...

٢١٢ أعلام المحاماة فى كتاب الأستاذ عبد الحليم الجندى ... ... ... : لصاحب العزة عبد الرحمن الرافعى بك

٢١٣ لويز للكاتب الانجليزى سومرست موم : ترجمة الأديب السيد مصطفى غازى


٢٨٥١٤

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

محكمة دير مواس الجزئية الوطنية

إعلان بيع

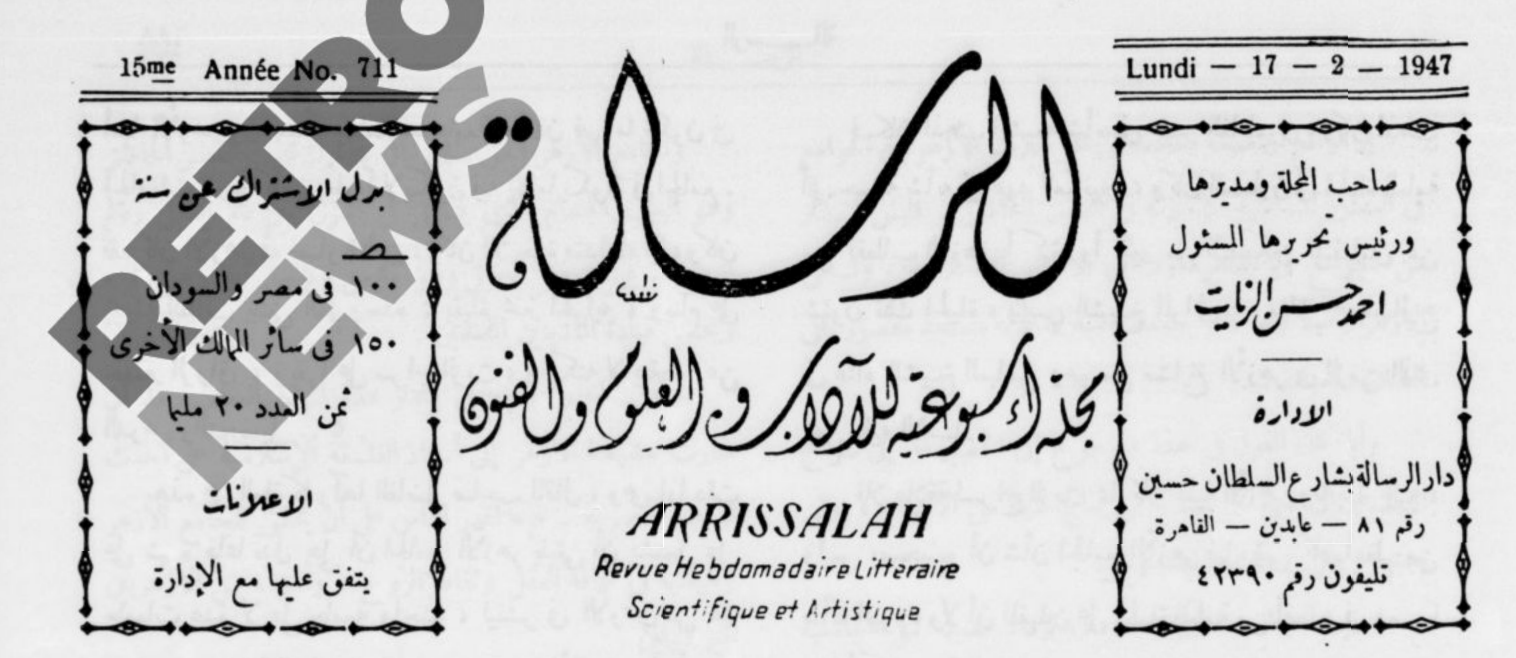
نشرة خامسة بعد تقرير الزيادة فى القضية المدنية رقم ٥٦٥ سنة ١٩٤٧ دير مواس إنه فى يوم ٣١ مارس سنة ١٩٤٧ م الساعة ٧ افرنكى صباحا بأول المزايدات بسراى المحكمة سيباع بطريق المزاد العلنى العقارات الآتية بعد المملوكة بالاشتراك بين كل من عبد الحليم كامل عبد العزيز سمهان المحامى بشارع مراد رقم ٢٣ بالجيزة واحمد افندى حيد العزيز كهان من منشاه سمهان مركز دير مواس وعبد العزيز بك كهان بصفته الشخصية وبصفته وليا شرعيا على القاسر مصطفى افندى عبد العزيز سمهان المقيم بشارع مراد رقم ٢٣ بالجيزة ثم عبد المحسن افندى سمهان المقيم بشارع الخليفة المأمون بمنشية البكرى رقم ٤٢ بمصر وعبد العليم بك سمهان من منشاه سمهان مركز دير مواس ومحمد افندى عبد العليم سمهان عمدة منشاه سمهان مركز دير مواس ثم الست اجلال محمد سمهان طرف زوجها العمدة والست انعام زوجة المرحوم محمد افندى سمهان بصفتها الشخصية وبصفتها وصيه على القاصر اعتدال وطلعت ولدى المرحوم محمد سمهان المقيم بمنشية البكرى شارع الخليفة المأمون رقم ٤٢ بمصر وأمين افندى محمد سمهان ونجيب افندى محمد سمهان بمنشاة سمهان مركز دير موسى لعدم امكان القسمه وهذا بيان العقارات المطلوب بيعها لعدم امكان القسمة وهى كائنة بزمام ناحية بنى عمران ومنزلتى الحسابية ومحمد سمهان مركز دير موسى مديرية أسيوط .

٥ س ١٦ ط ٢ ف فدانين وستة عشر قراريط وخمسة أسهم بحوض المستحجر ٩ ضمن ٢ حيضا البحرى سالم افند سمهان بطول ١٣٢ قصبة والقبلى عبد العليم بك سمهان بطول ١٣٢ قصبة والغربى جسر تلك الحكومة بطول ٦٣¾ والشرقى جسر بطول ٦٣¾ قصبة وكان محدد البيع هذه العقارات أمام محكمة ديروط الوطنية بجلسة ١٧ ابريل ١٩٤٦ وقد رسى مزادها على عبد العزيز بك سمهان بصفته الشخصية بالثمن الأساسى وقدره ٩٢٥ مليم ١٩٢ جنيه بتاريخ ١٧ ابريل سنة ١٩٤٦ وقد حضر ابن افندى محمد سمهان بزيادة العشر ٨٨٧ م و ٢٦١ ج وقد دفع مقرر الزيادة خمس الثمن والرسم المستحق وقد تحدد للبيع يوم الثلاثاء ٢١ مايو سنة ١٩٤٦ .

وهذا البيع بناء على طلب عبد العزيز بك سمهان بصفته الشخصية المقيم بشارع مراد رقم ١٣ بالجيزة وبناء على تقرير الزيادة المؤرخ بتاريخ ١٧ ابريل سنة ١٩٤٦ وعلى حكم الصادر من محكمه ديروط الوطنية بتاريخ ٢٦ مايو سنة ١٩٤٦ لعدم امكان القسمة المراد بصفتها .

والبيع قسما واحدا ومنح مراده على الثمن الأساسى بعد زيادة العشر بمبلغ ٨٨٧ م و ١١١ ج فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان المحددين بعاليه للمزايدة .

كاتب البيوع


15me Année No. 711

Lundi — 17 — 2 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧١١ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٦٦ — ١٧ فبراير سنة ١٩٤٧» السنة الخامسة عشرة

# جامع وجامعـــة . . .

للأســتاذ عباس محمود العقاد

أوشك الترام أن يفوته، ولكنه أدركه بعد جهد ومخاطرة، فاستقر في مكانه وهو يلهث ويرسل اللعنات على الترام:

— يقطعه ويقطع أيامه!

قال صاحبه وهو أصغر منه: ولم؟ إنه قرب البعيد ويسر الأمور .... لقد كان الانتقال من امبابة سفرة في أرض مهجورة، فأصبحنا نأتي منها ونعود إليها في ساعة أو أقل من الساعة!

قال الشيخ: ولهذا «عفرت» الدنيا. ركبها عفاريت، وقل خيرها. وقد كنا قبل أيامه نشترى رطل اللحم بقرش وربطة الملوخية الكبيرة بمليم. فجاء هذا الزمن «المقرت» الذي لم يدع للفلوس بركة ولا في شيء من الأشياء خيراً يرتجى... واوافرحتاه بعد ذلك بهذه المراحل التي تنطوي في غمضة عين!

مثـل هذا الحديث قد سمع في القاهرة مرات، ومثل هذا القياس يجرى في النظر إلى كثير من الأمور، وهو من الأحكام التي تستند إلى مقارنات شعورية ولا تستند إلى مقارنات منطقية، لأنها ترضي الشعور لأول وهلة ولا ترضي العقل بعد النظرة الأولى.

ومن قبيل هذه الأحكام الشعورية مقارنات بين ماضي الجامع الأزهر وحاضره، قرأتها لفاضل من كتاب الرسالة في عددها الماضي وفيها يقول كاتبها — الأستاذ علي الطنطاوي — بمناسبة حادث الشيخ أبي العيون: «.. ما عرفنا علماء الأزهر إلا ملوكا، لا أمر فوق أمرهم، ولا كلمة بعد كلمتهم، إذا قال واحدهم لبت الأمة، وإذا دعا هب الشعب، وإذا أنكر على الحكومة منكراً أزالت الحكومة المنكر، وإذا أمرها بمعروف أطاعت بالمعروف، فكانوا هم السادة وهم القادة، وهم أولو الأمر: هذي حكومة مصطفى فهمي باشا تستجيب سنة ١٨٩٩ لرغبة الإنكليز في إضعاف القضاء الشرعي فتضع مشروعها المشهور لتعديل اللائحة الشرعية وضم اثنين من أعضاء الاستئناف الأهلي إلى المحكمة الشرعية العليا ويبلغ من ثقتها بقوتها وتأييد مجلس الشورى لها ألا تبالي باحتجاج الحكومة العثمانية على المشروع وتعرضه على المجلس— وكان من أعضائه الشيخ حسونه النواوي الذي جمعت له مشيخة الأزهر وفتوى الديار المصرية — فيقول كلمة موجزة في إنكار المشروع وينسحب من المجلس ويتبعه القاضي التركي فتكون هذه الكلمة كافية لقتل المشروع ..».

ثم قال بعد سرد الأمثلة من هذا القبيل وغير هذا القبيل: «هذا ما عرفناه. فما الذي جرى حتى تبدلت الحال ووقع حادث الشيخ أبي العيون؟ ما الذي نزع هيبة المشايخ من القلوب وأنزلهم من مكانتهم عند الحكام؟

وأجاب قائلا: أنتم أيها الأزهريون فعلتم هذا كله .... أنتم

أيها الأزهريون جميعاً جعلتموها جامعة فكان فيها ما يكون فى الجامعات ، وقد كانت جامعاً لا يكون فيه إلا ما يكون فى الجامع . لقد كان الأزهر لله فصار للناس ، وكان للآخرة فغدا للدنيا ، وكان بجيئه الطالب يبتغى العلم وحده : يتبلغ بخبز الجراية ، وينام على حصير الرواق ، ويقرأ على سراج الزيت ، ولكنه لا ينقطع عن الدرس والتحصيل .. » .

هذه هى العلة كما رآها الفاضل صاحب المقال ، وهى إذا دلت على شىء فإنما تدل على أن الجامع الأزهر ينبغى أن يشتمل على جامعات عدة لا على جامعة واحدة ، لينشر فى الأرض من علم المنطق ، ومن صحة القياس ، ما يعصمهم من خطأ التعليل فى أمره ، بله جميع الأمور .

فلا علاقة لسراج الزيت وبين ما كان عليه الأزهر أو ما صار إليه ، إلا كالعلاقة بين الترام وقلة البركة فى المبيعات والمشتريات .

ولم يتغير الحال فى جملته اليوم عما كان عليه فى شىء من تلك الأشياء التى عددها الأستاذ .

فنى الزمن الذى يحن إليه الأستاذ حدث أن مديراً للأوقاف جلس على كرسيه فى صحن الجامع الأزهر وجىء إليه بفريق من الأزهريين يجلدهم على مرأى ومسمع من الناس .

وفى العصر الحاضر لا يزال أقطاب الجامع الأزهر قادرين على منع كل تشريع يرون فيه مساساً بأحكام الدين . وقد منعوا تشريعات كثيرة أعدتها الوزارات فى شئون الزواج والطلاق ، واشتركوا فى درس كل قانون يدور على الميراث أو الوصية أو الوقف أو حقوق الآحاد المرتبة على أحكام الدين .

وفى الزمن الذى يحن إليه الأستاذ أنكرت فئة من علماء الأزهر تشريح الجثث فى مستشفى « قصر العينى » فلم يكن هذا الإنكار فصل الخطاب .

وفى ذلك الزمن — بل فى جميع الأزمان منذ بناء الجامع الأزهر — كانت الصلة بين طلاب الأزهر وعلمائه وبين الحكومات المتوالية على أوثق ما تكون . لأن جامعاً كالجامع الأزهر لا ينبغى أن تنقطع الصلة بينه وبين حياة الجماعة الإسلامية ، إذ ليس فى الإسلام انقطاع عن الدنيا على النحو المعروف فى غيره من الديانات

فكان لمذهب الشيعة شأنه فى عصر الفاطميين ، وكان لمذهب أبى حنيفة شأنه فى عهد العثمانيين ، وكان العاملون فى الحياة العامة من أقطاب الأزهر أكثر وأكبر من المتنسكين المنقطعين عن شئون تلك الحياة ، وليس الشيخ المراغى — مثلا — بمضارع فى غناه للشيخ العباسى وهو من مشايخ الأزهر فى الزمن الذى يحن إليه الأستاذ .

فلا علاقة لسراج الزيت بما كان عليه الأزهر وما صار إليه ، وليس بصحيح أن شأن الجامع الأزهر فيما مضى كان أعظم من شأنه اليوم ، ولا أن المقبلين على الحياة العامة من أقطابه فى عصرنا هذا أكثر ممن كانوا يقبلون عليها فى العهود الغابرة ، بالقياس إلى عددهم فى كل زمان .

والصحيح أن هيبة العالم الدينى تتوقف على مكانة الدين فى النفوس لا على ما يأكله العالم من خبز الجراية أو ينام عليه من أصناف الفراش .

وفى البلاد الأوربية لا ينام رؤساء الأديان على الحصير ولا يقرأون على السراج ولا ينقطعون عن الشؤون العامة ، ولكن هتلر فى جبروته كان يتقيهم ويداريهم ويتقبل منهم ما لم يكن يتقبله من كبار القادة والوزراء . وكذلك كان موسولينى يفعل فى دولته الفاشية ، وكذلك فعل ساسة الروس الشيوعيين فى العهد الأخير بعد أن جربوا مناضبة الكنيسة ومحاسنتها ، ثم اختاروا بين الخطتين .

وقد يتقى الرجل لمكانته فى أمته وفى سائر الأمم وإن لم يكن من رجال الدين . فإن تولستوى — كاتب الروس الأشهر — لم يكن ممن يصانعون القيصر ولا ممن يصانعون أحبار الكنيسة الروسية ، وكان مع هذا يخاطب القيصر بكلام لا يباح لغيره ، فيتقبله ويتغاضى عنه ، لمكانة الرجل العالية بين قراء الأدب فى القارة الأوربية ، وفى العالم بأسره .

فرجل الدين يستطيع أن يكون للدين وللدنيا ولا يخسر مكانته ولا يحط من هيبته ووقاره ، ويستطيع أن يكون جامعياً بالنسبة إلى الجامعة الأزهرية كما يكون جامعياً بالنسبة إلى الجامع الأزهر ، فيزداد ولا ينقص بهذا الانتساب .

إذ الواقع أن صبغة الجامعة هي التي ميزت الأزهر بين الجوامع في العصور الماضية كما ميزته في العصر الحاضر. فليس أكثر من الجوامع في القاهرة ولا في الأقطار الإسلامية، ولكن الأزهر وحيد بينها لأنه جامعة علمية لا لأنه مسجد مقصور على الصلاة والعبادة.

وأيا كان القول في هذا فالرجوع إلى الحصير أو إلى سراج الزيت أو إلى صومعة النسك لن يعالج شيئاً من الأشياء، ولن يستطاع ولن يحمد إذا استطيع.

وخير ما يطلب للأزهر هو أن يزداد نصيبه من الجامعية العلمية، وأن يزداد نصيبه من المشاركة في الأعمال الدنيوية، وأن يحال بينه وبين العزلة والانقطاع.

ونحن من المؤمنين بماضي الأزهر العظيم، ولكننا أشد إيماناً بمستقبله بنا بماضيه. لأن وظيفته في الماضي كانت وظيفة واحدة لا منازع فيها. أما وظيفته في المستقبل فوظيفتان ينهض بهما فيكون له شأنان متعادلان في حكمة الإسلام وحكمة العلم الذي يعمل به المسلمون وغير المسلمين.

فالجامع الأزهر أحق مكان بأن يحيى الفلسفة القديمة التي عاشت فيه وحده يوم ماتت في جوانب الدنيا بأسرها، ومن إحياء هذه الفلسفة أن يزاوج بينها وبين مستحدثات التفكير في كل عصر وبين كل قبيل.

والجامع الأزهر أحق مكان بتوسيع المنطق الذي تمكنت فيه أسسه وتهيأت لما يضاف إلى هذه الأسس من أركان جديدة، في مذاهب الناطقة المحدثين.

والجامع الأزهر أحق مكان بأن يعرض العقيدة الاسلامية المستنيرة على أهل الشرق والغرب، لأنه أقدر على هذه الرسالة من الآحاد أو الجماعات التي تصدت لها في غير مصر من الأقطار الإسلامية.

والجامع الأزهر أحق مكان بأن يقصده الصيني من أقصى الشرق كما يقصده « الفنلاندي » من أقصى الشمال، أو يقصده الزنجباري من أقصى الجنوب. لأنهم يتعلمون فيه ما لا يجدونه في غيره من الجامعات المقصورة على العلوم الطبيعية.

والجامع الأزهر أحق مكان بأن يتدارك عيب العصر الحاضر وهو العيب الجسام الذي يتمثل في العزل بين عالم العقل وعالم الروح. فيتعلم فيه الرجل وهو مؤمن ويؤمن فيه وهو عالم، ويحسن قيادة المتدينين المتعلمين.

ونحن كبيرو الرجاء في إنجاز هذه المهمة العظمى بعد أن صارت مشيخة الأزهر إلى أستاذ الفلسفة الإسلامية على أحدث المناهج العصرية. فإنه أقدر الناس على أن يحقق للجامع الأزهر وظيفتيه في ثقافة العقل وثقافة الروح، وأعوانه من الأزهريين غير قليلين.

فليكن الأزهر جامعة ما دام.

بل ليظل الأزهر جامعة كما كان منذ كان.

وفي ذلك الخير كل الخير والبركة كل البركة. أما أن تكون البركة مرهونة بالحصير وسراج الزيت فهو قول لا بركة فيه ولا يدل على الحاجة إلى شيء في الأزهر ألزم من الحاجة إلى توسيع الجامعة لتحويل الأفكار في الشرق من مقارنات الشعور إلى مقارنات العقول، ولا سيما في المقارنة بين الجوامع والجامعات.

عباس محمود العقاد

---

حول قضية فلسطين :

# والآن أيها العرب

## أما تزالون تنتظرون ؟ !

للأستاذ سيد قطب

قصة العرب مع الاستعمار الانجليزى فى فلسطين هى بعينها قصتهم معه فى كل بلد عربى آخر ؛ وخديعة الاستعمار الانجليزى للعرب فى فلسطين هى خديعته الخالدة لكل بلد عربى آخر .

وتسميتها قصة هى فى الواقع تجوز ، فهى فى حقيقة الأمر مأساة أليمة متكررة ، وأشد ما يؤلم فيها هو هذا التكرار الذى لا يفتح عيون العرب على الخديعة ، ولا يغير طريقهم التى سلكوها فخابوا فى كل مرة ، ولا يجنبهم الجحر الذى لدغوا منه بدل المرة مرات .

هى مأساة الثقة بالضمير الانجليزى ، بل مأساة الاعتقاد بأن هناك ما يسمى الضمير الانجليزى ! وذلك هو الجحر الذى لدغ العرب منه مرات ، فى كل بلد عربى ، ثم هم مع ذلك لايتوقونه ، فيصدق عليهم الحديث : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » وحاشا لهؤلاء أن يكونوا مؤمنين ، وهم فى كل يوم يلدغون !

حفنة من الساسة قعدت بهم عن الجهاد مشقات الجهاد ، فاختاروا لشعوبهم الطريق الأهون ، والخطة السهلة ؛ وراحوا يضيعون أوقات الشعوب بالمؤتمرات والمفاوضات والمحادثات ؛ ودعوا الشعوب للهدوء والانتظار فى ارتقاب النتائج من هذه الطرق الهينة المأمونة .

وكان من غضب الله على هذه الشعوب أنها سمعت كلام أولئك الساسة الضعفاء المهازيل ، واستجابت لدعوة الراحة والدعة ، « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

تكررت هذه المأساة فى مصر ، كما تكررت فى فلسطين ، كما تكررت فى كل بلد عربى دنسته أقدام المستعمرين الطغاة . وهب الشعب فى مصر ، كما هب فى فلسطين ، كما هب فى كل بلد عربى يكافح هذا الاستعمار البغيض ، يكافحه كما ينبغى أن يكافح. يكافحه بالدم المبذول ، والروح المسترخصة ، والتضحية بالنفس والمال .. وكان هذا هو الطريق الصحيح . الطريق الذى سلكته من قبل الولايات المتحدة ، وإرلندا الحرة ؛ كما سلكته أخيراً سورية الأبية ، ولبنان الأشم .

وبينما الشعوب فى فورتها ، والتضحية فى عليائها ، صاح عليها الأغربة المشئومة : حسبك أيتها الشعوب فقد أديت واجبك حسبك ودعى الأمر لأولى الأمر . دعيه للساسة يعالجونه بالحكمة والدبلوماسية ، بعد ما عالجته بالدماء والتضحية !

ومنذ هذه اللحظة المشئومة وقضايا العرب تخسر فى كل مكان ، ومنذ هذه اللحظة المشئومة والاستعمار يكسب فى كل مكان . لقد التقط الاستعمار أنفاسه بعد الجهد العنيف ، بعد ما كاد يسلم للشعوب بحقها المغصوب . ولكن لماذا يسلم ، وهؤلاء جماعة من هذه الشعوب يخدرونها لتنام ، ويروّحون على وجوهها لتنعس ، ويلوحون لها بالأحلام الجميلة لتستغرق فى الأحلام الجميلة ؟

ألا قاتل الله اللحظة المشئومة التى استسلمت فيها الأمم العربية لهذه الغربان المشئومة !

والآن أيها العرب . أما تزالون تنتظرون .

فأما مصر فقد هداها الله إلى نصف الحق ، هداها إلى قطع المفاوضات والمحادثات والمداولات . هداها إلى الخروج من تلك الدائرة البغيضة التى دارت فيها ودارت خمسة وعشرين عاماً كما يدور ثور الساقية ، أو حمار الطاحون !

ولكنه لم يهدها بعد إلى النصف الآخر . لم يهدها إلى أن زمام الأمر فى يدها هى لا فى يد هيئة الأمم المتحدة ، ولا فى يد مجلس الأمن ، ولا فى يد محكمة العدل الدولية ، ولا فى يد كائن من كان على ظهر هذه الأرض إلا المصريين !

لم يهدها إلى أنها تخطو إلى منتصف الطريق عندما تلجأ إلى هذه الهيئات الدولية ؛ فأما نصفها الآخر . نصفها المؤدى إلى الغاية ؛ فهو أن تعزم على الاستقلال فى ضميرها ، وأن تنبذ العبودية من روحها ، وأن تطهر دماءها من لوثة الذل الذى فيها . وأن تنبذ على سواء إلى هذا الاستعمار فتواجهه بنفسها مواجهة من اعتزم وصمم وانتهى .

ولو فعلت مصر لنظرت فى تطهير المصالح المصرية من كل موظف انجليزى منذ هذا الصباح . وفى تطهير الاقتصاد المصرى

من كل نفوذ انجليزى منذ هذه الليلة . وفى تطهير التعليم المصرى من كل أثر انجليزى دسه الاستعمار على نظمه وبرامجه وكتبه ، وحقائقه التاريخية والجغرافية . وفى تطهير الحياة المصرية من كل ما هو انجليزى مهما اشتدت حاجتنا إليه .

ولو فعلت مصر لرفض أى مصرى أن يخاطب أى انجليزى على ظهر الوادى ولو للسلام العابر . ولأغلقت منذ اللحظة ذلك النادى العجيب الذى يسمى النادى المصرى الانجليزى ، ولأعدمت جميع المصورات الجغرافية التى تكتب ذلك العنوان الآثم : « السودان المصرى الانجليزى » وجميع كتب التاريخ فى أيدى التلاميذ التى تتحدث عن « الاصلاحات التى تمت فى عهد الاحتلال » !

ولو فعلت مصر لأطلقتها من الأعماق صيحة عداء مدوية للبرابرة المستعمرين . ولأعلنت أنها ستلقن ناشئتها ذلك العداء ، وستسقيهم إياه مع الرضاع !

ولو فعلت مصر لأرسلت دعاتها كالمبشرين فى كل مكان على ظهر هذه الأرض يفضحون مساوىء الاستعمار ، ويتحدثون عن مآسيه الوحشية ، ويكشفون للعالم عن فجائع دنشواى والعزيزية و ٤ فبراير ، وعشرات من هذه المآسى التى يقشعر لها ضمير الإنسانية فى كل مكان .

ولو فعلت مصر لسكتت صيحة الحزبية الحقيرة الخسيسة التى تهتف بها الأحزاب التى شاخت ، ويلوكها الجيل الذى أنتن ، ويرددها الرجال الذين لم ينسحبوا فى الوقت المناسب من الميدان !

ولو فعلت مصر لأدرك الانجليز من فورهم أنها جادة فى هذه المرة لا هازلة ؛ ولاشتروا منها مصالحهم فى العالم وسمعتهم بالثمن الذى تريد ؛ ولوجدوا ارضاء مصر أكسب لهم من تشبثهم باستعمارها وقد صرح المداء !

ولكن مصر تقف فى منتصف الطريق . تقف لأن الجيل الذى يقودها — فى الحكومة وفى المعارضة على السواء — هو الجيل الذى شاخ . الجيل الذى دعاها فى فورة الحماسة إلى الهدوء . الجيل الذى أفسد عليها طريقها حينما اختار الطريق الأسهل . طريق المفاوضة والمحادثة والمؤتمرات !

وأما فلسطين فقد فارت فورتها فى وجه الظلم الذى لم تعرف له البشرية شبيهاً . وكانت آخر فوراتها فى عام ١٩٣٨ . ورأى الانجليز أن الأمر جد لا هزل ، وأن الأمة العربية هناك لا تنوى التراجع ، ولاتبغى المهادنة . فلجأوا إلى وسيلتهم الخالدة . وسيلتهم التى جربوها فى مصر من قبل فعادت عليهم بالخير والأمن والهدوء ، دعوا فلسطين إلى مؤتمر المائدة المستديرة ! ودعوا معها العرب جميعاً . ومع الأسف صدقت فلسطين ، وألقت السلاح ، وانتظرت نتائج المائدة المستديرة !

ومن الإنصاف أن نذكر أن الخديعة فى هذه المرة لم تأت عرب فلسطين الأباة من جهة الإنجليز ، إنما جاءتهم من جهة من يسمونهم الزعماء ، الزعماء هنا فى مصر وفى بعض البلاد العربية . وخدع العرب الأباة بذلك الكتاب الأبيض الذى أسفر عنه المؤتمر . وجاءت الحرب فوقفوا فى صف انجلترا هم وسائر العرب فى بلاد العرب .

وقيل لهم : إن الانجليز سيعرفون لهم فضل مناصرتهم فى ساعة العسرة فصدقوا . وكانوا بلهاء حينما صدقوا ! واشترك فى خديعتهم أولئك الساسة والأدباء والكتاب والصحفيون المغفلون والمأجورون الذين راحوا يشيدون بالديمقراطية ، والدافعين عن الديمقراطية !

ثم وضعت الحرب أوزارها ، وهب الإرهابيون اليهود يجلدون الانجليز فى الشوارع ، وينسفون مقر القيادة الانجليزية ، ويخطفون القضاة والقواد ؛ ويطلقونها صيحة مدوية : فلسطين لليهود !

وقيل للعرب : اسكتوا واصمتوا واطمئنوا . فقد وقع الصهيونيون فى شر أعمالهم ، وسينالون عداء الانجليز ، ما فى ذلك شك ، وسيجازيهم الانجليز على ذلك بالتمكين للعرب فى فلسطين!

وقيل للعرب : حذار من أن تكونوا حمقى كاليهود . كونوا « عقلاء » أيها العرب لتكسبوا مودة الانجليز ... قالها لهم أولئك الساسة الذين اختاروا من أول الأمر طريق المفاوضات والمحادثات والمؤتمرات ، استسهالا واستغلالا !

وصدق العرب المساكين ، منطق ساستهم المحنكين ! وباتوا « عقلاء » عقلاء جداً ؛ لا يحركون ساكناً ، ولا يرفعون صوتاً ولا يعكرون صفواً .

وبدأ الانجليز يحنقون على الإرهابيين ، ويميلون للعرب ... فألغوا سياسة الكتاب الأبيض ، وسمحوا بالهجرة اليهودية بعد ما انتهى الأجل الذى حدده للهجرة ذلك الكتاب ! ثم دعوا العرب واليهود إلى مؤتمر فى لندن لوضع حل حاسم لقضية فلسطين

من صميم الحياة :

# فى حديقة الأزبكية

للأستاذ على الطنطاوى

كنت أمس عند الأستاذ الزيات فدخل علينا شاب فى نحو الثامنة عشرة عراق ، فسلم وقعد صامتاً لا ينبس ، وجعل ينظر إلىّ كأن فى فيه كلاماً يريد أن يقوله ، ولكنه لا يحب أن يظهرنى عليه ، فهو يتبرم بمجلسى ، ويرقب قيامى ، فلما طال منه ذلك ، قال له الأستاذ : « تفضل ! » . فقال متردداً : « كنت أريد أن أقص عليكم قصتى ... علّها ... تكتب فى الرسالة ... ولكن ... سأجئ فى وقت آخر » ، وألقى علىّ نظرة لا أقول من نار ، ولكن من حروف وكلمات تقول : « لولا هذا الرجل ! » .

فقال الأستاذ معرّفاً بى : « إنه فلان ، وهو من أسرة الرسالة فقص القصة أمامه ، فلعله إذا سمعها منك كتبها هو » . فلما عرفنى أشرق وجهه واطمأن وانطلق يقول ...

***

وصلت مصر للدراسة فى مدارسها فى أكتوبر الماضى ، وكانت تلك أول مرة أقدم فيها القاهرة ، وأرى فيها الدنيا ، أمضيت عمرى قبلها فى قرية لا تعرف إلا الجد ، ولا تقبل على غير الحرث والدرس ، ما فيها إلا الحلقة والحقل ، ما فيها سينما ولا ملهى ، ولا تلتى فى طرقها امرأة سافرة ، ولا تصادف فى حقولها فتاة ، لم أخرج منها إلا مرة واحدة وأنا صغير زرت فيها النجف مع لدات لى فرأيتها مدينة عظيمة فيها كل ما يبهج ويهيج ، وسعدت فيها أياماً ، ثم عدنا إلى القرية ، وإلى حلقة الشيخ ، فقرأنا عليه كتب الدين والنحو والصرف والبلاغة ، ثم أقبلنا على الأدب ، نعبّ الشعر الغزل ، كما يعبّ من النبع العذبِ الصادى الظمآن ، ونحفظه فى صدورنا كما يحفظ الشحيح الموسر ماله فى صندوقه ، فيكون لقلوبنا الفتية المشتعلة بالعاطفة حطباً يابساً يزيدها اشتعالا ، ولكنه يكون لقرائحنا مدداً ، ولألسنتنا ثقافاً ، ولنفوسنا صقالا ، وكانت لنا صبوات يحركها سواد المرأة وهى تخطر فى سوق القرية بعباءتها السوداء السابغة ، وظلُّها من خلف زجاج النافذة ، وصوتها من وراء الباب ، لا نرى منها أكثر من ذلك ، فكان يثير سواكن هذه القلوب التى ما عرفت طريق الإثم ... وإن لم تخل القرية من آثمين ( من الشباب ) ومن آثمات .

— قلت : فما فائدة الحجاب ؟

— قال : إن الخير المطلق ليس من طبيعة هذه الدنيا ، والعبرة بالغالب ، فالحجاب خير فيه شر قليل ، ولكن السفور شر قد يكون فيه خير قليل ، وما الإثم فى العاطفة يفيض بها القلب ، أو الشهوة تضطرم بنارها الأعصاب ، ولكن الإثم فى عمل الجوارح .

وعاد إلى قصته ، فقال :

وكنت قد سمعت عن القاهرة أنها ، لا تؤاخذونى ، أنها كباريز ، بلد لذة وانطلاق ، وأنها عالم فيه من كل شىء ، فيه العلم والجهل ، والغنى والفقر ، والتقى والفجور ، والعفاف والفسوق ، يصنع كل فيها ما يريد ، لا يسأل أحد أحداً ما ذا يصنع ؟ ولا يقول له : دع ذا ، فانه حرام . وكف عن ذا فانه عيب ، وان ... إنى لأستحى والله أن أتكلم ...

قلنا له : قل يا أخى ، إنك تقول الصدق ابتغاء الإصلاح ، ولا حياء فى الإصلاح

---

ولج اليهود «المجانين» فى إثارة أحقاد البريطانيين . ولج العرب العقلاء فى الصمت والهدوء .. ثم إذا الانجليز يزدادون مع اليهود حنقاً ويزدادون للعرب مودة . وإذا مستر بيفن يعرض حلا يتفق مع ذلك الحقد ومع هذه المودة ... إنه يقترح السماح لمائة ألف يهودى بالهجرة إلى فلسطين فى خلال خمسة وعشرين شهراً ! أليس الرجل حانقاً على اليهود « المجانين » ؟!

سخرية ! سخرية لا تطاق ! ولكن الزعماء لا يزالون هناك يتفاوضون ويتباحثون ويتجادلون !

والآن أيها العرب . أما تزالون تنتظرون ؟!

سيد قطب

فتردد قليلا ، وغض بصره . ثم قال :

— وأن النساء فى مصر ، استغفر الله ، ما هذا أعنى ، أعنى أن فى مصر نساء كثيرات أ ... الحاصل أن الصورة التى كانت لمصر فى مخايلنا لم تكن صورة الأزهر بحلقاته ، ولا الجامعة بأبهائها ، ولا الجميات الإسلامية ، ولا النوادى الأدبية ، كلا . بل صورة ( البلاج ) ومشاهده ، والسفور والاختلاط ، وأن الصوت الذى يصل إلى قريتنا عالياً ليس صوت الرسالة والثقافة والكتاب ، فانه صوت خافت فينا ، ولكن صوت الاثنين والأخبار والمسامرات ، منها تكونت للقاهرة هذه الصورة ، فتخيلناها فتاة عابثة مستهترة ، لا شيخاً وقوراً صالحاً ...

أنا أقول لكم الحق ، فأرجو أن يتسع لسماعه صدركم ، ولا يضيق به حلمكم ...

ولما تقرر سفرى إلى مصر ، أرقت ليالى بطولها ، لا أستطيع الرقاد من فرط الانفعال ، ثم سافرت وكلما نقصت من الطريق مرحلة زاد شوقى مراحل ، وكلما اقتربت منها ابتعدت عن الصبر ، ولست أطيل عليكم ، فقد دخلتها ليلا ، فنزلت فى فندق فى العتبة الخضراء بلدىّ ، كانوا دلونى عليه من قبل أن أسافر ، اسمه (فندق البرلمان) ، فنمت نوماً متقطعاً تتخلله ثائرات الأحلام ، يؤرقنى ما أرقب من لذائذ هذه الجنة التى دخلتها بعد طول تشوق إليها فأنهض ساعة ، ثم يسحقنى السهر والسفر فأهجع أخرى ، حتى طلع الصباح .

ونزلت الساعة العاشرة ، فمشيت خطوات ، فوجدت فى وجهى حديقة الأزبكية ، وكنت قد قرأت فى ( النظرات ) للمنفلوطى رحمه الله ، أن الأزبكية ، ولا مؤاخذة ، هى المكان الذى تميل إليه نفس كل شاب ، لأنه أوسخ معابد الشيطان ، السوق التى تباع فيها اللذائذ ، فاقتربت منها وقلبى يجف كأنى مقبل على جريمة قتل ، وهل الزنا إلا أخو القتل ؟ وتمثل لى ماضى وأخلاق ، وطلعة الشيخ ، فارتددت وتلفت أنظر هل رآنى من أحد — لا تضحكوا أرجوكم فإنى أصف لكم ما وقع لى ، ومرّ رجال ، خيل إلىّ أن واحداً منهم يحدّق فىّ ، ويحدّ النظر إلىّ ويتبسم فشعرت أن دمى كله قد صعد إلى رأسى ، وأن أذنى قد صارتا جمرتين ملتهبتين ، وتصبب العرق من جبينى ، لما وقع فى نفسى من أن الرجل يعرفنى ، ويعلم ما أسعى إليه ، فأسرعت فى مشيتى حتى نبهت الناس إلىّ بإسراعى ، فجعلوا ينظرون إلى متعجبين من عجلتى ، وكلما رأيت ذلك منهم ازددت عجلة ، كأنى الجواد الأصيل يقرع بالمقارع ليقف ، وكلما أحس وقعها طار جرياً ، حتى إذا ابتعدت وقفت ، ووجدت راحة الخلاص من الإثم ، كما يجد الغريق راحة الوصول إلى الهواء ، ومشيت لا أعرف لى وجهة ، فعاد الشيطان يوسوس إلىّ ، فثارت الرغبة فى نفسى كرة أخرى ، وندمت على أن أضعت هذه الفرصة التى انتظرتها دهراً مديداً ، وفكرت فيها مسهداً ليالى طوالا ، وقطعت من أجلها قفراً وخضت بحراً ، ومشيت من مشرق الشمس إلى مغربها ، فعدت وجعلت أدور حول سور الحديقة ، وقلبى يكاد يمزق بوجيبه جدار صدرى ، وكان اليوم يوم أحد ، فرأيت غوانيها من خلال السور قاعدات باديات الفاتن أو مضطجعات أو منبطحات على الكلأ ساحرات بالمقل النواعس ، وبالسوق والأفخاذ ، فكدت أجنّ ، ولا تنسوا أنى لا أزال أعتقد أن الحديقة هى ( أزبكية المنفلوطى ) ...

وشددنا أشداقنا كيلا يفلت الضحك منا ، ومضى فى قصته .

قال : ورأيت على مقعد شاباً وفتاة ، وهما يتناجيان ، وعلى وجهيهما من ظلال الحديث ، مثل ما يكون على وجه البحيرة الساكنة من شعاع القمر ، وقد تدانى الرأسان ، والتفت الأيدى بالمناكب ، وتعارض الساقان ، وأحاطهما بجناحيه إبليسُ الهوى ، فجن جنونى ، ودفعتنى موجة الانفعال التى ماجت فى نفسى ، فأقدمت حتى إذا ضعفت الموجة وماتت ، كما تموت أمواج البحر وسط اللجة ، ألفيتنى عند الباب ، فوقفت لا أدرى ماذا أعمل ، وتخيلت كأنى قد أقمت على عمود فى رحبة القرية والناس كلهم ينظرون إلىّ يقولون : هـذا الذى دخل الأزبكية التى لم يعرف ( المنفلوطى ) من تحديدها إلا أنها فوق الغبراء وتحت السماء ، وتمنيت من الخجل أن أغوص فى الأرض وأحسست أن الدنيا تدور من حولى ، ولم ينقذنى إلا رجل دخل فتوسط الباب الدوار ، فدفع ( قرش تعريفة ) فأداره له البواب حتى صار فى الحديقة ، فصنعت صنيعه وأنا لا أعقل ما أصنع ...

جُلْت فى الحديقة فوجدت نساء من كل لون وجنس ،

ولكنى كنت كمن ألقى فى الماء قبل أن يتعلم السباحة ، فلم أدر كيف السبيل إليهن ، وحاولت أن أتذكر ما قرأت من القصص وماذا يعمل أبطالها فى مثل هذا الموقف ، وما حفظت من أشعار الغزل ، فلم يخطر على بالى إلا أبيات ( سأت الله يجمعنى بسلمى ) فقد كانت حالى كحال هذا الشاعر ، أرقب أن تجىء إحداهن فتأخذ هى بيدى وتجرنى إليها ، ولكنى لم أر غرفاً ولا مخادع ، ثم وجدت بناء فى الحديقة فعلمت أن المخادع والغرفات فيه ، وبقيت إلى المساء ، أدور لا أفكر فى طعام ، ولا أشكو التعب ، حتى إذا قيل اخرجوا ستغلق الحديقة ، خرجت وما أظن أن على ظهر الأرض إنساناً أخيب منى ...

وجعلت أعود إليها ، كل يوم ، فلما كان بعد ثلاثة أيام ، وكنت قاعداً على مقعد وأمامى امرأة قصيرة الثوب ، عارية الساق قد رفعت رجلا على رجل ، فأبدت ما أحسست به كالبارود فى أعصابى ، وجعلت أنظر إليها ، علها تلقى بصرها علىّ ، فأغمزها بعينى — وقد فكرت فى ذلك الليلة البارحة كلها ، ورأيته هو الطريق إليها ، بعد ما أعيانى الوصول ، وجربته أمام المرآة حتى حسبتنى أتقنته — والتفتت إلىّ فغمزت بعينى ، فإذا بها تشمخ بأنفها ، وتقوم فتمضى وعلى وجهها مثل أمارات الاشمئزاز ... وسمعت ضحكا من ورائى فتلفت مذعوراً ، فإذا أنا بشاب على رأسه كمّة بيضاء يلبس ( قفطاناً ) يبدو عليه أنه فلاح ، تلوح عليه سيماء الفقر ، ورأى ذعرى فقال : « إزّيك » . قلت : « كُلُّشْ زَين » ففهم أنى غريب ، وأنى عراقى . فقال : « عجبتك ؟ » فاستحييت أن أجيب . فقال الخبيث : « ليه ؟ انت مكسوف ؟ ما تتكسفشى ! تعال أودّيك واحدة أحلى منها » .

إنكم لا تستطيعون أن تتصوروا ماذا صنعت بى هذه الكلمة وأنا الذى عاش عمره يشتهى أن يشم ريح امرأة من مسافة فرسخ وتشجعت فقلت له بصوت مخنوق : « شْلُونْ ؟ » . قال : « شلون يعنى إيه ؟ تعال معايا . تعال » وأخذ بيدى وأخرجنى من الحديقة ، وقال : « تحب ناخد تاكسى ولاّ نركب الترام؟ » وكنت نافد الصبر ، مجنون الرغبة ، فقلت : « تاكسى » . ولو كانت طيارةٌ لركبت إلى ما يأخذنى إليه طيارة ، ولم أسأله إلى أين ، حتى نزلنا من السيارة ، فسألت السائق : « كم تريد » ؟

قال : « ثلاثين قرشاً » فارتمت لحظة ولكنى لم أبال ، ونقدته الأجرة ونظرت فإذا الذى بقى فى جيبى اثنان وعشرون قرشاً ، وسائر فلوسى عند الفندق . نفقة الشهر كله خمسة عشر جنيهاً ...

قال الشاب : « إيدك على جنيه بأه » . قلت : « جنيه ؟ » قال : « أمّال ؟ دى بنت تمانطاشر ، زى الأمَر » . فنظرت هنا وهناك أبغى مهرباً ولا أعرف الطريق . فقال : « ماكشى مزاج ولا إيه ؟ » . قلت : « فى وقت تانى » . قال الخبيث : « على خاطرك . هات تعبتى بأه ! » فأعطيته خمسة قروش ، ولم يحب أن يفلتنى قبل أن ينتف ريشى فعاد يحدثنى حديث الرجس ، وقال لى إن عنده بنات أخر ، ولكنْ لكل ثمن ، فبنت مصرية سمراء كأن عينيها عينا غزال شارد ، وبنت شامية من صفتها كذا ، وبنت عراقية من بلادنا من نعتها كذا ، وبنت رومية كأن جسمها العاج المشرب بعصير الورد ، وكان شعرها أسلاك الذهب ، تسقى من فمها خمراً ، ومن مقلتها سحراً ورآنى أرتجف من الانفعال ، ورأى وجهى شاحباً ، فقال : هى بنت بيت « مش من دول » لا تأخذ فلوساً ، لأن أباها من كبار أصحاب المصارف ، ولكنْ للبواب جنيهان ليغض النظر ، وله هو جنيه ، واثنان لوصيفتها لتكتم الأمر ، وتحفظ الباب ...

وسحرنى اللعون . فقلت : « لا بد لى من الذهاب إلى الفندق لآتى بالفلوس » قال : « هيا بنا » .

وتسلم الجنيهات الخمسة ، وأدخلنى عمارة فخمة فى شارع الملكة نازلى ، فأصعدنى إلى الطبقة السابعة ، وأشار إلى باب فقال : إنها هنا . ولكنه لا يستطيع أن يدخل معى ، فهو ينتظرنى عند البواب ، ونزل بـ « المصعد » الذى صعدنا به ، وأقدمت مضطرباً فقرعت الباب بيد ترتجف ، ففتحه لى خادم أسود مسنّ ، ووقف ينظر ما أقول له ، ووقفت مبهوتاً فقال : « إيه ؟ عاوز مين ؟ » فسكت . قال : « الله ! إنت عاوز مين ؟ » قلت : « جورج » ، وكان هذا هو الإسم الذى خطر على لسانى . قال « جورج ؟ ! دا منزل أحمد بك صالح المحامى » وأغلق الباب فى وجهى ، ولم أجد المصعد فنزلت على الدرج ، من الطبقة السابعة ، فلما بلغت الباب لم أجد الشاب ولا البواب !

( طبق الأصل ) **على الطنطاوى**

على ذكر المولد النبوى :

# محمد والأمن العام

لصاحب العزة على حلمى بك

مدير جرجا

[ تتمة ما نشر فى العدد الماضى ]

## التشريع الجنائى فى الاسلام

### القواعد الإيجابية التأديبية للأمن

لا قوام للأمن بغير عقوبة توضع للجريمة التى ارتكبت ردعاً للجانى وزجراً لغيره ، ولا قيمة لهذه العقوبة إلا إذا نفذت فعلا على المجرم الآثم ، فهل وضعت الشريعة المحمدية عقوبات للجرائم التى تزعزع أركان الأمن وتسبب شقاء المجتمع .

نعم. وما الحدود التى شرعها الله وأوصى بها الرسول الكريم إلا عقوبات تحد من الإجرام وتقف بالإنسان عند حده . وإليك بيانها بإيجاز :

أولا — عقوبة الإعدام « القصاص » : لاشك فى أن أول جريمة تقض مضاجع الناس وتروعهم فتشقى بها الإنسانية إنما هى جريمة سفك الدماء وإزهاق الروح . وقد شرع الله لها القصاص فقال ( وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ) وهى مادة أساسية فى قانون محمد الجنائى .

ثانياً — حد قطاع الطرق : وهم العصابات المسلحة التى تتربص بالمارة ليلا أو نهاراً وتقتل للسلب والنهب .

وحكم الشريعة فيهم ينحصر فيما يلى :

ا — الإعدام : إن ثبت أنهم ارتكبوا القتل .

ب — الصلب مع القتل : إن قتلوا وسلبوا الأموال على خلاف بين الأئمة فى الصلب .

ج — قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف : « اليد اليمنى والرجل اليسرى » هذا إن اقتصروا على سلب المال دون سفك الدماء

د — النفى : إن استعملوا الإرهاب ولم يقتلوا أو يسلبوا ، وقد فسر بعض الأئمة النفى بالحبس . على أنه ثبت أن عقوبة النفى للمجرم فيها إصلاح وأمن ، وأن إبعاد المجرمين الخطرين الذين لا يرجى إصلاحهم وعزلهم عن المجتمع كما حصل أخيراً باتباع هذا النظام فى معتقل الطور أدى إلى تحسن حالة الأمن وخاصة فى الجهات التى نفى منها هؤلاء . — وحبذا لو رأى ولاة الأمور استخدامهم فى استصلاح الأراضى الزراعية البور كأرض البرارى فى شمال الدلتا أو العمل بالمحاجر والمناجم أو تشغيلهم فى إنشاء الطرق فى الجهات النائية كمديرية قنا وأسوان فى سبيل العمران والرخاء والأمن .

هذه العقوبات الموضوعة لقطاع الطرق مستقاة من قول الله عز وجل شأنه ( إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ) .

ثالثاً — السرقة : وهى الجريمة الدنيئة التى تتمثل فى سلب الأموال وهى قوام الحياة يلجأ إليها المجرمون من الكسالى والمتواكلين رغبة فى الاستمتاع بالعيش السهل على حساب غيرهم من المجدين العاملين .

ولهذه الجريمة اسوأ الأثر فى اضطراب الأمن وانتشار الفوضى ، لهذا كانت العقوبة التى وضعها الإسلام لمرتكبها عقوبة صارمة . وهى قطع يد السارق إذا ثبت عليه الجرم بلا شبهة وليس هنا موضع الحديث عن المقدار الذى يجب فيه القطع ولا عن المال المسروق ولا عن الشبهة التى تمنع الحد (فمرجع ذلك كتب الفقه) لكننا قصدنا إلى بيان أن عقوبة السرقة التى وضعها الله تعالى هى العقوبة الطبيعية لمنع هذا الجرم ودفعا للكسالى والمتواكلين إلى العمل والسعى إلى الرزق وحفظا لأموال الناس من عبث المجرمين. وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يشتد فى عقاب السارق ولا يعفو عنه حتى ولو عفا المجنى عليه ، روى أن صفوان بن أمية عفا عن سارق ردائه فقال عليه الصلاة والسلام « لا عفا الله عنى إن عفوت » وأمر بقطع يد السارق وهو الذى يقول فى لهجة الغاضب الآسف لجماعة يريدون الاستشفاع لامرأة سرقت ما يوجب الحد عليها « والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » فلئن دل هذا الحادث على شىء فإنما يدل على أن إقامة حدود الله وهى روادع البشرية وزواجر الإنسانية لم يكن للعاطفة فيها نصيب ولا للرحمة عندها منفذ . فهذه فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وهى أحب

ذريته إليه ومع ذلك يقسم صلوات الله وسلامه عليه أنه لو سرقت هـذه المحبوبة صاحبة المنزلة الكريمة فى نفسه لأوقع عليها الحد وأنزل بها العذاب ، فأى معنى من معانى السمو الخلق أسمى من هذا الخلق الكريم فلا شفاعة ولا استشفاع ولا محبة ولا عاطفة تمنع من إقامة الحدود مهما يكن الداعى إليها والمسوغ لها ، لذلك انعدمت الجرائم أوقلت كثيراً وعم الأمن وشمل العالم فعمه النظام وطمأنينة البال . وما كان يقع من شرور أو يحصل من آثام فإنما هى أمور شاذة معدودة أمكن علاجها وأصبح من المستطاع استئصالها . ولا محل إذن لقول متحامل على الإسلام من مدعى المدينة بأنها أمور وحشية وعقوبات غير إنسانية ، فالإسلام لم يكن مبتدعاً لهذه العقوبات ولـكنه أقر ماجاء منها فى الشرائع السماوية ، فكان العالم على ما قدمنا يرزح تحت نيران الفتن وعوامل الفساد ، وكانت الحال على أشدها فلا مال يصان ولا نفس تحفظ ولا عرض يحترم . وجاء الإسلام فرعى الحقوق وحقن الدماء ونشر السـلام وأمن النفوس وجمع القلوب على دين واحد ومبدأ واحد وتعاليم شاملة ومبادىء سامية .

وإن كثيراً من حوادث السرقات إنمـا يقع بسبب إهمال صاحب المال وعدم الحيطة والحذر كأن يترك مثلا متاعه أو دابته أو سيارته فى الطريق ثم يذهب لقضاء عمل يستغرق وقتاً ، فيكون فى ذلك إغراء للسارق وتشجيع له على السرقة . وقد يكل بعض الناس أمور الحراسة لغير الأمناء بلا حذر أو مراقبة فيستمين الجانى بالحارس على ارتكاب الجريمة .

ولم يهمل المشرع العظيم هـذه الناحية . إذ يقول الله تعالى (وخذوا حذركم) ويقول عليه الصلاة والسلام «اعقلها وتوكل»

رابعا — عقوبات أخرى : شرع الله سبحانه وتعالى على لسان محمد وشريعته الغراء عقوبات أخرى خلقية لها أثرها فى الأمن أى أثر

**الجرائم الخلقية :**

لا تقتصر الجريمة على الماديات فحسب . بل تتعداها إلى غيرها ، فهناك الجرائم الخلقية كهتك العرض والفسق التى كثيراً ما تنشأ عن عدم عناية بعض أولياء الأمور بتربية أولادهم وعدم مراقبتهم والمحافظة عليهم .

**الزنا :**

هو شر أدواء المجتمع : يقوض دعائم الشعوب ويهدم أركان الممالك وحسبك أن انتشاره يقطع التناسل ويؤدى إلى انقراض النوع الإنسانى ويهدم صرح الأسرة وهى اللبنة التى يكون منها الأمة . أضف إلى ذلك ما ينشأ عن هذا الجرم الشنيع من انتشار أمراض المدنية (الأمراض الخبيثة) وما يترتب عليها من شقاء الزانى وألمه المرير طوال حياته فيعيش مشوها فى خلقه متألما فى جسمه ونفسه منبوذاً من المجتمع الذى يحيط به . ثم إن الزانى جرثومة قذرة إن لم يبـادر بإبادتها نمت وفشت فتصيب بمرضها الوبيل كل من يقترب منها أو يتصل بها .

ولنا أن نستنتج ما يأتى :

١ — إن الزنا جريمة يمتـد أثرها إلى المجتمع نفسه فيصيبه بالانهيار والانحلال .

١ — إنه يفقد الشرف والكرامة وهما أسمى آيات الإنسانية الـكاملة .

٣ — إنه سبيل المرض . ولا خير فى أمة مريضة الشباب ضعيفة الرجال .

٤ — إنه وسيلة الفقر وذهاب المال والمال قوام الحياة .

٥ — إنه أساس لـكثير من الجرائم الأخرى التى تؤثر شر تأثير فى الأمن العام كالسرقة والتزوير والغصب فضلا عما يؤدى إليه الانتقام للعرض كالقتل كما هو حاصل فى أنحاء البلاد وخاصة فى الوجه القبلى . والتاريخ يحدثنا أن الأمم التى ترتكب الشهوات وتنغمس فى اللذائذ والمنـكرات تكون عاقبتها الانحلال والضعف وفقدان الشخصية مهما تكن على قسط من الغنى والقوة أو الحضارة والمدنية (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) .

وليس هناك من علاج حاسم إلا ما قررته الشريعة الإسلامية من عقاب الزانى والزانية فى حزم وبساطة (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) فلو نفذ حد الزنا من جلد أو رجم لـكفانا ذلك العمل على بساطته مؤونة البحث والتنقيب والخطابة والتأليف والـكتابة والنشر وتأليف اللجان وما إلى ذلك مما لا يجدى نفعاً فى كبح جماح هـذه الغريزة الجنسية ولاسترحنا من الويلات والمشاكل والقضايا المترتبة على هذه الجريمة التى تشغل بالنا وتؤثر فى أمتنا

وهذا لا يمنع من إيجاد علاج شاف للنساء الساقطات اللاتى كن يحترفن البغاء العلنى بمـا يمنع تسربهن إلى البغاء السرى وذلك بإنشاء مؤسسات تكفل لهن العيش الشريف وضمـان المستقبل يعملن فيها بأشغال يدوية كالحياكة وغيرها ويمنحن مكافآت مالية بقدر ما يعملن وتيسير زواجهن إلى أن ينقرض هذا الوباء بعلاج حاسم حازم سريع .

ولنتكلم عن عقوبة الزنا بشيء من الإيضاح لنبين الغرض منها: قيدت الشريعة السمحة ثبوت هـذه الجريمة واستحقاق العقوبة عليها بقيود شديدة تجعلها نادرة التنفيذ ووجهة النظر فى التشريع الإسلامى هنـا تنحصر فى أمرين : الأول منع الجريمة الثانى ستر العرض .

فالإسلام يبغى من وراء هذه العقوبة الصارمة الإرهاب. والخوف كان ولا يزال غريزة من غرائز النفس البشرية كثيراً ما يفيدنا فى التشريع والإصلاح الاجتماعى لأن الدين الحنيف يريد استئصال الجريمة من أساسها لما فى ذلك من استقرار النظام الاجتماعى وإسعاده ويريد بدوره ستر الأعراض وعدم الفضيحة والعار لقبح هـذه الجريمة وشناعتها . لذلك كان ثبوتها من الصعوبة بمكان .

وإليك البيان :

أولا — اشترطت فى رجم الزانى :

١ — أن يكون بالغاً فلا يرجم الصبى طبعاً .

٢ — أن يكون عاقلا فليس المجنون محصناً فلا يرجم .

٣ — أن يكون مسلماً .

٤ — أن يكون الزانى متزوجاً وأن يدخل بمن تزوج منها .

٥ — أن يكون فاعلا باختياره فلا يرجم من أكره على الفعل

ثانياً — أسقطت الشريعة الحد إن وجدت أية شبهة لقوله عليه الصلاة والسلام « ادرءوا الحدود بالشبهات » .

ثالثاً — اشترطت لثبوت الزنا واستحقاق الحد سواء أكان رجماً للمحصن أم جلداً لغيره أن يتقدم للشهادة عليه أربعة شهود عدول فى مجلس واحد شهدوا وقوع الجريمة ورأوا الفعـل رأى العين على حد قول الفقهاء (كالمرود فى المكحلة) فلو اختلفوا فى الرؤية وتأخر أحدهم عن المجلس الواحد (الجلسة عينها) لم تثبت التهمة ولا حد . بل يحد الشهود الأول حد القذف لأنهم رموا إنسانا بالزنا والجريمة لم تثبت عليه .

رابعاً — رأى بعض الأئمة أن ترك الشهادة فى جريمة الزنا أولى إلا إذا كان الزانى متهتكا فاجراً .

خامساً — حتمت الشريعة على القاضى فى حالة إقرار الزانى على نفسه أن يرده أربع مرات وأن يتغافل عنـه وأن يقول له (لعلك قبلت أو لمست) فى كل مرة يعـود فيها للستر من جهة ولصرامة العقوبة من جهة أخرى .

سادساً — إذا رجع المقر عن إقراره بعد ذلك ولو بعد صدور الحـكم سقط الحد . من هذا كله نرى أن الشريعة قصدت إلى أمرين هما (منع الجريمة وستر الأعراض) إذ أن إنزال العقاب يكاد يكون مستحيلا مع كل هذه القيود التى سبق سردها ، على أن العقوبة نفسها مناسبة لأن هتك الأعراض وفساد المجتمع ليس بالشيء الهين الذى يحتمل الهوادة واللين .

**الخمر :**

إذا تحدثنا عن الخمر فإنمـا نتحدث عن أم الخبائث وأساس المنكرات ومبعث الجريمة . وسنبين فيما يلى الحقائق التالية ليتبين منها أثر الخمر فى الأمن العام :

أولا — أن الغول (الـكحول) الموجود بالخمر يؤثر على المجموع العصبى ويحدث التخدير والنشوة فلا يشعر الثمل بما يأتى من الأعمال ولا يقدر النتيجة المترتبة على فعله ، لهذا نجد كثيراً من المجرمين كالقتلة واللصوص يتعاطون المسكرات قبل شروعهم فى إجرامهم ليزدادوا جرأة وإقداماً .

ثانياً — ثبت فى بعض البلاد الأجنبية التى تنتج الخمر وتعتمد عليها كحاصلات أن نسبة الإجرام تزيد فى موسم محصول الخمر زيادة تلفت النظر .

ومن الحوادث التى روتها الـكتب أن شبانا كانوا يحتسون الخمر فرت بهم عجوز فدعوها وناولوها كأساً فلما شربتها شعرت بخفة وسرور، ثم لما شربت الثانية أخذت تضحك وتداعب الشبان وقالت لهم: أيشرب نساؤكم هذا الشراب ؟ قالوا : نعم قالت: لقد زنين ورب الـكعبة .

والواقع الملموس أن كثيراً من حوادث الشغب وما يؤدى إليه من ارتكاب الجريمة يحدث فى مواطن شرب الخمر من الحانات والشوارع التى يكثر فيها تناول الخمور . وهناك أقسام البوليس لا يهدأ لها بال ولا تكاد تخلو كل مساء من عدة حوادث

**الأدب فى سير أعلامه :**

# ٣ـ تولستوى . . . !

[ قمة من القمم الشوامخ فى أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه ]

للأستاذ محمود الخفيف

## طفولة ونسب



ويتصف الطفل منذ نشأته بصفة لعلها وليدة شعوره القوى بذاته ، وتلك هى سرعة بكائه ، وما يبكى من غيظ فحسب ، فإن عينيه لتدمعان إذا لاقى حنواً أو مودة ممن هم أكبر منه ، وإن عجباً أن يبكى فى موضع السرور ليعبر بدمعه عن امتنانه ، فهل كان لذلك سبب آخر هو إحساسه بيتمه منذ أن فطن إلى موت أمه ؟ ولكنه بكاء شكاه من قبل أن يفطن إلى ذلك ، وهو لايملك أن يحبس دمعه إذا رأى غيره يبكى وإن لم يدر ما بكاؤه ولقد يُغضب غيره حتى يبكيه ثم لا يستطيع إلا أن يبكى معه ؛

كتب فيما بعد عما كان بينه وبين تلك البنت التى كان يربيها أبوه فى أسرته فقال : « أتذكر أنى أخذت وقد تعلمت الفرنسية أعلمها حروفها الهجائية ، وسار ذلك سيراً طيباً أول الأمر ، وكنا يومئذ كلانا فى نحو الخامسة من عمره ؛ ولكن التعب أدركها فأمسكت عن نطق الحروف كما طلبت إليها ، فألححت عليها فبكت ثم إذا بى أبكى مثلها ، ولما دخل علينا من هم أكبر منا لم نجد ما نقوله بسبب ما كنا نذرف من الدمع » .

وكان ليو أكثر من غيره من الأطفال حباً للثناء عليه وابتهاجاً بما يسمع من عباراته ، وذلك أنه يفطن إلى أن الثناء عليه ينصرف بالضرورة إلى ما يبدى من دلائل الذكاء والنشاط والطموح ، إذ ليس يطمع فى ثناء عليه بسبب منظره أو ملاحة وجهه أو رشاقته كما عسى أن يطمع سيرجى أو نيقولا ؛ فما أبعده عن ذلك كله ، وهو شىء ليس فى طوقه ، وإن كان يتمنى بينه وبين نفسه لو وقعت معجزة فغيرت شكله إلى ما يحب من وجاهة

---

إجرامية منشؤها السكر والعربدة . وهى الأقسام القريبة من بؤر الدعارة ومحال الخمور .

ومن أجل ذلك حاولت بعض الدول الكبرى تحريم الخمر فى داخل أراضيها كأمريكا ، وحرمت بعضها تناولها فى أوقات معينة وهى ترمى إلى تقليل ضررها الجسمى والاجتماعى ما أمكن ذلك .

وبعد : فقد علم الله العليم الحكيم ما فى الخمر من ضرر جسيم وبلاء عظيم فحرمها الإسلام الحنيف وأوجب عقاب شاربها .

ويلاحظ أن العقوبة التى وضعت لهذا الجرم فيها إيذاء مادى للبدن . كما أن فيها إيلاماً وامتهاناً للنفس يتناسب مع امتهان الشارب لنفسه وحقارتها لسكره وعربدته حتى تكون زاجرة رادعة له ولغيره من العابثين المستهترين وهنا يستقر النظام ويستتب الأمن

ثمانون جلدة : عقاب فيه بساطة التشريع وبساطة التنفيذ جريا على عادة البساطة فى الشريعة الإسلامية السمحة والإسلام دين الفطرة ، ولكن الإسلام مبالغة فى الكرامة الإنسانية وإرادة للستر وتخفيفا على العباد اشترط أن يؤخذ الشارب ورائحة الخمر فى فمه .

فأوجب لثبوت الجريمة أن تكون مادتها موجودة وهى رائحة الخمر إلا إذا ذهبت الرائحة لبعد المسافة وطول الوقت ، واشترط لذلك أن يشهد على الشارب اثنان تتوفر فيهما العدالة وعدم التجريح وتنتفى التهمة وتنتفى معها العقوبة بأية شبهة يظنها القضاء كأن يثبت أن المتهم شربها للعلاج مثلا .

ولو رجع فى إقراره بعد أن أقر بالشرب لا يحد ، وكذلك لو شهد الشاهدان ولا رائحة للخمر فى فمه .

فلله ما أسمى هذا التشريع وما أعدله وما أبعد أثره فى تقويم النفوس وتهذيب الأخلاق وسعادة المجتمع .

إن هذا التشريع هو مايتطلبه المجتمع اليوم للقضاء على مافيه من شرور وجرائم ليستريح الناس ويتطهر العالم مما علق به من رجس وآثام ويسير مطمئنا إلى حياة الاستقرار والسعادة والنور والسلام . ( كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور )

**على حلمى**
مدير جرجا

وحسن ؛ ولن تقع هذه المعجزة أبداً فليس له إلا أن يرق بنفسه ويبدى مقدرته ، ولهذا كان إذا دعى إلى عمل جمع عزمه وحرص الحرص كله على أن يكون فى أحسن حالاته ، ومن ذلك مايكون منه بين يدى أبيه حين يدعوه إلى تلاوة قصيدة من شعر بوشكين أو غيره من الشعراء ، أو تلاوة أقصوصة من كتاب أو من ذا كرته أو حين يناقشه فى دروسه ليعلم مبلغ فهمه .

وكان شغفه بالموسيقى عظيما يتفتح لها قلبه وتنفعل لها نفسه ويبتهج خاطره إذا سمع لحناً وانشغل غيره عنه فهو مقبل عليه بقلبه ولبه كأنه مسحور به لا يكاد يعى دونه شيئاً .

ويحب ليو الناس جميعاً لا يضمر سوءا لأحد ، ولا يتجهم لأحد ، ويكره أن يرى شخصاً يتألم أو تمشى فى وجهه كدرة الهم كما يكره أن يعبس أحدهم فى وجه صاحبه أويتنكر له أو يتجهمه بالقول ، فالصفاء والمحبة والمودة من خصائص طبعه ومقومات خلقه

## غلام نابه

تمكنت من نفس الصبى روح المحبة للناس جميعاً ، ولسوف تتوثق على الأيام وتزداد فيكون لها أثرها البعيد فى تكوين آراء الكاتب العظيم فى غد ، وفى توجيه روحه وتحديد مسلكه فى مواطن كثيرة من مواقف حياته .

وكان يحب الطفل فيمن أحب فى طفولته كبيرة الخدم العجوز التى لبثت من عمرها فى القصر سنين طويلة لايدرك مدى طولها ، والتى تقص عليه أجمل القصص عن أجداده وأحداث أسرته وتلاعبه وتضاحكه كلما ذهب إليها أو كلما لقيته فى إحدى ردهات القصر أوحجراته ، وتخبىء له الحلوى فى ثيابها لتلاقيه بها أوتفتح له خزانتها ليأخذ منها ما يحب ؛ وكان كذلك يحب كبير خدم المائدة لأنه يهش له دائماً ويظهر المودة والعطف ؛ والحق أنه كان يحب الخدم جميعاً وإنما يختص بمحبته من هم أكثر تودداً إليه .

دخل يوماً على العمة تاتيانا يشكو إليها أنه رأى منظراً كدره وآلمه ، وذلك أنه شاهد أحد الفلاحين يساق إلى حظيرة حيث أوثقه رئيسه وضربه ، ولما سألته عمته لم يحل بينه وبين الضرب أطرق فى خجل ولم يحر جواباً ، وكأنما يزداد ألماً ألا يستطيع أن يتدارك ما فاته .

وبينما كان أفراد الأسرة كبارهم وصغارهم فى البهو الكبير ذات ليلة من ليالى الشتاء أشار الكونت نيقولا رب الأسرة بسبابته إلى الحجرة المقابلة وكانت مفتوحة ، فوقعت أعين الجالسين على منظر أثار ضحكهم ودهشتهم فقد عكست المرآة فيها صورة أحد الخدم يمشى على أطراف أصابعه ، وما زال حتى بلغ صندوق الطباق فسرق منه قدراً وانصرف ، وكان الكونت ينظر إليه ضاحكا لم تزل عنه بشاشته ، بل لقد صحب تلك البشاشة شىء من التسامح والرفق ، ولما رأى ليو تسامح أبيه امتلأ سروراً منه وازداد إعجاباً به ، وعند انصرافه لثم يده فى حماسة ظاهرة ليريه مقدار ما فى نفسه من رضاء على ما أظهر من رحمة ورفق .

وامتد عطف الصبى حتى وسع الحيوان فقد أحزنه ذات يوم مرأى كلب مربيه والخدم يشنقونه ، وكان ذلك الكلب العزيز الرمادى اللون ذو العينين الجميلتين والشعر الناعم الجعد على حد وصفه قد أصيب بكسر ساقه إذ مرت فوقه عربة ، فأعدم إذ لم تعد بهم حاجة إليه فى الصيد ؛ وعجب الصبى لما رأى بقدر ما تألم منه. وإنه ليروى هذا الحادث بعد فيما يروى من حوادث الصغر مما يدل على شديد تأثره به ، قال : « كان الكلب يعانى الألم وكان مريضاً وقد شنق بسبب ذلك . لقد أحسست أن هناك خطأ فيما يقع ، ولكنى لم أجرؤ على الثقة فى شعورى حيال ما أرى من تصميم ثابت من جانب قوم أحترمهم » .

ووقف الصبى ذات يوم يمسح بكفه الصغيرة حصانه ، وقد وثب عن ظهره إلى الأرض إذ نبهه أحد الفلاحين وقد رآه يضربه ألا جدوى من ضربه لأنه متعب ، ونظر الصبى إلى الحصان وهو يلهث ويخرج أنفاسه فى زفرات مؤلمة متقطعة ، وجنباه يرتعشان والعرق يتبخر منهما ، فبلغ من حزنه أنه « أخذ يقبل عنقه الذى بلله العرق ويسأله الصفح عما أوقع به من أذى » ...

وممن وسعهم عطف الصبى وشملهم بره أولئك الفقراء الذين كان يعدهم الناس من الصالحين الأولياء ، وكانوا كثيرين فى تلك المنطقة لقربها من كييف حيث يتقاطر الحجيج ليزوروا مواضعها المقدسة ، وكان مرأى هؤلاء فى أسمالهم البالية وبلاهتهم وتمتماتهم وعدم اكتراثهم لأى شىء أمراً يثير الدهشة فى نفس الصبى كما يبعث فيها كثيراً من الرهبة ، ويوحى إلى خياله أطيافاً مبهمة وصوراً غامضة ؛ وكان ينبئه إخوته أن فى هؤلاء الصالحين سراً لا يمكن كشفه يجعلهم على الرغم من حقارة مظهرهم وقذارة

أسمالهم أقرب الناس إلى مرتبة القديسين ، وقد وصف تولستوى هذه الطائفة فى شخص « جريشا » الذى تحدث عنه فى كتابه « عهد الطفولة » وقد كتبه وهو فى الخامســة والعشرين من عمره قال : « كان جريشا شخصية مخترعة ، وكان يغشى منزلنا كثير من هؤلاء البله الطيبين ، وقد عُلِّمت أن أنظر إليهم نظرة الاحترام الشديد وهو صنيع أحفظه لمن قاموا على تربيتى ، ولئن كان بين هؤلاء من يعوزه الإخلاص أو من قضى فيما سلف أياما فى حالة من الضعف والادعاء فان غايتهـم فى الحياة كانت على ما يبدو من سخفها فى الواقع بالغة السمو ؛ حتى إنه ليسرنى أنى تعلمت فى طفولتى على غير وعى منى ما وصلوا إليه بأعمالهم من علو ، لقد صنعوا ما تحدث عنه ماركس أورليوس حين قال : « ليس هنالك أسمى من أن يتحمل المرء الازدراء من أجل أن يحيا حياة صالحة طيبة » إن الطموح الإنسانى إلى المجد والمعظمة أمر لا يمكن تجنبه وهو كذلك بالغ الضرر إذ أنه يفسد كل عمل حميد ، فلا يسع المرء إلا العطف على أولئك الذين لا يقتصرون على بذل جهدهم لتجنب أن يحمدوا فحسب بل ويتعرضون فوق ذلك للاحتقار ...

ومما كان يبهج نفس الصبى ويحبب إليـه الحياة ما كانت تحتشد له الأسرة من مظاهر الفرح فى أعيادها وعلى الأخص عيد الميلاد ، فكانت تشيع البهجة فى البيت كله فترى دلائلها فى كل وجه وتحس روحها فى كل ناحية ، فرب الأسرة وسيداتها وأبناؤها وجميع من فى القصر من خدم يتبادلون المحبة والمودة ويبدون سعداء فى ثيابهم الجديدة ويستمتعون بما طاب من الطعام والشراب ، حتى الفلاحين ينالهم حظ من هذا الفرح فتطيب نفوسهم وهذا ما ينشرح له صدر الصبى .

وكان خروجه إلى الغابة للصيد مع أبيه وإخوته فى العربات الجميلة أو على ظهور الخيل المسومة الفخمة يحيط بهم رهط من الأتباع وعدد من كلاب الصيد مما يملأ قلب الصبى سروراً وبهجة ، وكثيراً ما كان يبهجه كذلك الخروج إلى الغابة لغير الصيد فى صحبة العمة تاتيانا أو فى صحبة جدته أو غيرهما من المربين فيرتع ويلعب وينتطف ما شاء من الزهر ، ويستمع إلى القصص حتى يعود إلى البيت وهو يطفر كما يطفر العصفور من فرط المرح .

وفى ليالى الشتاء كان تحلق الأسرة حول الموقد والاستماع إلى الموسيقى أو القصص الممتعة ، وتبادل العطف بين الكبار والصغار وبين بعضهم مع بعض مما يحبه الصبى ويأنس به ويحرص كل الحرص على شهوده ...

وليس ثمـة إلا حجرة الدراسة تخلو من البهجة ويلقى فيها من دروسه عنتاً ورهقاً ، على أن عطف معلمه عليه يخفف عنه ، ورغبته فى أن يرق بنفسه ويكتسب من دواعى الفخر ما يباهى به إخوته يجعله يتكىء على نفسه ويصبر على مكاره الدرس .

وفيما عدا هذا كانت طفولته بهيجة محببة إلى نفسه ولن تجد وصفاً لهاتيك الأيام السعيدة الحلوة أبلغ مما كتبه عنها بعد ذلك فى أول كتاب له وهو كتابه « عهد الطفولة » قال « ما أسـعد هاتيك الأيام الحلوة أيام الطفولة التى لا تنمحى ذكراها ، وكيف ينسى امرؤ أن يحب ذكرياتها وأن ينعم بها ؛ إن هذه الذكريات لتنعش روحى وتسمو بها ، وهى المنبع لأعظم فيض من السرور يغمرنى ، وأى وقت هو خير من ذلك الوقت الذى لا يكون للحياة فيه من دوافع غير دافعين هما فى الفضائل أجمل فضيلتين : اللهو البرىء ورغبة النفس فى الحب رغبة لا تحد » .

( يتبع ) الخفيف

# نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

## ٨٦١ — تهنئة بإسلام

عيون الأخبار : كتب رجل من الكتاب إلى (صديق له) قد أسلم يهنئه :

الحمد لله الذي أرشد أمرك ، وخص بالتوفيق عزمك ، وأوضح فضيلة عقلك : ورجاحة رأيك ، فما كانت الآداب التي حويتها ، والمعرفة التي أوتيتها لتدوم بك على غواية وديانة شائنة لا تليق بلبك ، ولا يبرح ذوو الحجى من موجبي حقك ينكرون إبطاءك عن حظك ، وتركك البدار إلى الدين القيم الذي لا يقبل الله غيره ، ولا يثيب إلا به ، فقال : [ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً[1] فلن يقبل منه ] وقال : [ إن الدين عند الله الإسلام ] ، والحمد لله الذي جعلك في سابق علمه ممن هداه لدينه ، وجعله من أهل ولايته ، وشرفه بولاء خليفته ، وهنأك الله نعمته ، وأعانك على شكره ، فقد أصبحت لنا أخاً ندين بمودته وموالاته ، بعد التأثم[2] من خلطتك ، ومخالفة الحق بمشايعتك ، فإن الله (عز وجل) يقول: [لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم[3]]

(١) العكبري : (دينا) تمييز ، ويجوز أن يكون مفعول يبتغ و (غير) صفة قدمت عليه فصارت حالا .

(٢) الأساس : تقول : فلان من الحياء يتلم ، ومن الئم يتأثم أي يتحرج .

(٣) الكشاف : (لا تجد قوماً) من باب التخييل ، خيل أن من الممتنع المحال أن تجد قوماً مؤمنين يوالون المشركين ، والغرض به أنه لا ينبغي أن يكون ذلك ، وحقه أن يمتنع ، ولا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب في مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراس من مخالتهم ومعاشرتهم ، وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله : (ولو كانوا آباءهم) ... وفيه في تفسير (إنه ليس من أهلك ، إنه عمل غير صالح) : تعليل لانتفاء كونه من أهله ، وفيه إيذان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وأن نسيبك في دينك ومعتقدك من الأباعد في المنصب — وإن كان حبشيا وكنت قرشيا — لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك — وإن كان أمس أقاربك رحما — فهو أبعد بعيد منك ...

## ٨٦٢ — بالعدل قامت السموات والأرض

مفاتيح الغيب للرازي : العدل واجب الرعاية في جميع الأحوال ، ومن الكلمات المشهورة : (بالعدل قامت السموات والأرض) ومعناه أن مقادير العناصر لو لم تكن متعادلة متكافئة بل كان بعضها أزيد بحسب الكمية وبحسب الكيفية من الآخر لاستولى الغالب على المغلوب ، ووهى المغلوب ، وتنقلب الطبائع كلها إلى طبيعة الجرم الغالب . ولو كان بعد الشمس من الأرض أقل مما هو الآن لعظمت السخونة في هذا العالم واحترق كل ما هذا العالم ، ولو كان بعدها أزيد مما هو الآن لاستولى البرد والجمود على هذا العالم ، وكذا القول في مقادير حركات الكواكب ومراتب سرعتها وبطئها ، فإن الواحد منها لو كان أزيد مما هو الآن أو كان أنقص مما هو الآن لاختلت مصالح هذا العالم . فظهر بهذا السبب الذي ذكرناه صدق قولهم : بالعدل قامت السموات والأرض[1] .

## ٨٦٣ — علاني وعلا صاحبيا

عمرو بن الإطنابة :

علاني وعلا صاحبيـــا واسقياني من المروق ريَّا
إن فينا القيان يعزفن بالدف (م) لفتياننا وعيشـــاً رخيا
يتبارين في النعيم ويصببن (م) خلال القرون مسكا ذكيا
إنما همهن أن يتحلين (م) سموطاً وسنبلا فارسيـــا
من سموط المرجان فصل بالشذر (م) فأحسن بحليهن حليا !

## ٨٦٤ — الغيبة

شرح النهج لابن أبي الحديد : إن الغيبة ليست مقصورة على اللسان فقط بل كل ما عرفت به صاحبك نقص أخيك فهو غيبة ، فقد يكون ذلك باللسان ، وقد يكون بالإشارة والإيماء وبالمحاكاة نحو أن يمشي خلف الأعرج متعارجاً ، وبالكتاب فإن القلم أحد اللسانين . وأخبث أنواع الغيبة غيبة القراء[2] المرائين ،

(١) في شرح (النهج) لابن أبي الحديد : العدل سائس عام في جميع الأمور الدينية والدنيوية ، وبه نظام العالم وقوام الوجود .

(٢) الأساس : فلان قارئ وقراء — بفتح القاف — ناسك عابد ، وهو من القراء ، وقال جرير :

يا أيها القارئ المرخي عمامته هذا زمانك إني قد مضى زمني

وقد تقرأ فلان : تنسك .

وذلك نحو أن يذكر عندهم إنسان فيقول قائلهم : الحمد لله الذى لم يبلنا بدخول أبواب السلطان والتبذل فى طلب الحطام ، وقصده أن يفهم الغير[1] عيب ذلك الشخص فتخرج الغيبة فى مخرج الحمد والشكر لله تعالى . فيحصل من ذلك غيبة المسلم ، ويحصل منه الرياء وإظهار التعفف عن الغيبة وهو واقع فيها ، وكذلك يقول : لقد ساءنى ما يذكر به فلان نسأل الله أن يعصمه . ويكون كاذباً فى دعوى أنه ساءه وفى إظهار الدعاء له ، بل لو قصد الدعاء له لأخفاه فى خلوة عقب صلواته ، ولو كان قد ساءه لساءه أيضاً إظهار ما يكرهه ذلك الإنسان . واعلم أن الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجب كالغيبة بل أشد لأنه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب فى الغيبة فيندفع فيها ، وإذا كان السامع الساكت شريك المغتاب فما ظنك بالمجتهد فى حصول الغيبة[2] .

### ٨٦٥ — قليل الراح صديق الروح

خاص الخاص للثعالبى : حنين بن إسحاق المترجم اتفق له هذه اللفظة الوجيزة الشريفة البديعة التى لم أسمع للبلغاء مثلها فى الجمع بين التجنيس والطباق والترصيع مع حسن المعنى وجودته وصحته وهى قليل الراح صديق الروح ، وكثيره عدو الجسم .

### ٨٦٦ — أسد همذان

معجم البلدان : من عجائب همذان صورة أسد من حجر على باب المدينة منحوت من صخرة واحدة غير منفصلة عن قوائمه كأنه ليث غابة . وكان المكتفى يهم بحمله من باب همذان إلى بغداد ، وذلك أنه نظر إليه فاستحسنه ، وكتب إلى عامل البلد يأمره بذلك . فاجتمع وجوه أهل الناحية ، وقالوا : هذا طلسم لبلدنا من آفات كثيرة ، ولا يجوز نقله فتهلك البلد ، فكتب العامل بذلك ، وصعب حمله فى تلك العقاب والجبال ، وكان قد أمر بحمل الفيلة لنقله على العجلة ، فلما بلغه ذلك فترت همته فى نقله فبقى فى مكانه إلى الآن .

قال محمد بن أحمد السلمى المعروف بابن الحاجب يذكر الأسد على باب همذان :

ألا أيها الليث الطويل مقامه ... على نوب الأيام والحدثان

أقمت فما تنوى البراح بحيلة ... كأنك بواب على همذان

أطالب ذحل أنت من عند أهلها ؟ ... أبن لى بحق واقطع ببيان

أراك على الأيام تزداد جدة ... كأنك منها آخذ بأمان

أقبلك كان الدهر أم كنت قبله ... فنعلم أم ربيتما بلبان

وهل أنتما ضدان ، كل تفردت ... به نسبة أم أنتما أخوان

بقيت فما تفنى وأفنيت عالماً ... سطا بهم موت بكل مكان

فلو كنت ذا نطق جلست محدثاً ... وحدثتنا عن أهل كل زمان

ولو كنت ذا روح تطالب مأكلا ... لأفنيت أكلا سائر الحيوان

أجنبت شر الموت أم أنت منظر ... وإبليس حتى يبعث الثقلان

فلا هرماً تخشى ولا الموت تتقى ... بمضرب سيف أو شباة سنان !

### ٨٦٧ — تتنفس النفوس بقدر هممها

اللمحة البدرية فى الدولة النصرية للسان الدين بن الخطيب : تذوكر يوماً بحضرته — يعنى محمد بن إسماعيل من ملوك بنى نصر فى الأندلس — معنى قول المتنبى :

أيا خدد الله ورد الخدود ... وقد قدود الحسان القدود

وقول امرئ القيس :

وإن تك قد ساءتك منى خليقة ... فسلى ثيابى من ثيابك تنسل

وقول إبراهيم بن سهل :

إنى له من دمى المسفوك معتذر ... أقول حملته من سفكه تعبا

فقال ( رحمه الله ) بديهاً — على حداثته — : بينهم ما بين نفس ملك عربى وشاعر عربى ، ونفس يهودى تحت الذمة ، وإنما تتنفس النفوس بقدر هممها .



(١) دخول ( ال ) على ( غير ) فى كلام المولدين كثير .

(٢) لخصت هذه القطعة من فصل فى الغيبة فى شرح ( النهج ) وفيها جمل كثيرة من ( الأحياء ) لم يعزها الشارح إليه .

ملحمة :

# بطـــل الريف

## الأمير ابن عبد الكريم الخطابي

للأستاذ محمود رمزي نظيم

[ كنت يوم انهيار جهاد الأمير الجليل محمد عبد الكريم الخطابي أمير الريف ووقوعه في الخدعة الفرنسية قد نظمت هذه المزدوجة وقد رأيت نشرها اليوم على صفحات الرسالة الخالدة في الظرف الحاضر بمناسبة ما يجرى لفك إساره ].

العين تبكي والدموع تجرى — ولم يعد ذاك النسيم يسرى
«عبدالكريم» جاثم في الأسر — وكان محفوفاً بجند النصر

تسليمه قد حار فيه الساسه — من بعد طول الجهد والحماسه
وبعد ذاك الحزم والكياسه — وقد أضل أمره السياسه
ولم تفز منه بكشف السر

رباه ما أتعس حظ الشرق — من حالق به الخطوب تلقى
ويل لنا من مزعجات البرق — صواعق تهوى بنا كالبرق
تجيئنا منــــذرة بالشر

الشرق نامت عينه طويلا — ولم يزل مضطجعاً عليلا[1]
والجهل أرخى حوله سدولا — فلم يجد لبعثه سبيلا ..
وصار لا يملك كشف الضر

كم أمة من أهله مستعبده — راسفة في جهلها مقيده
وليس منها من تعيش سيده — بشعبها وعلمها مؤيده
وحره يعيش غـــير حر

وما أذل الشرق غير أهله — وما به من خلفه وجهله
فـا الذي أصابه في عقله — ألم يكن في فرعه كأصله
حتى استنام لحياة الأسر

والجهل قاده إلى التعصب — وكثرة الشجار والتحزب
تنافر ووحدة في المطلب — هذا ضلال كله في مذهبي
وبحره ليس له من بر

(١) كان أيام ذاك وأعينه الآن .

فانظر إلى تطاحن الهنود — تعصب يعزى إلى الجمود
ولم يكن لعلة الوجود — ولا القديم احتك بالجديد
لكنه من نكبات الدهر

العصر عصر النور والحياة — وليس عصر هذه الآفات
ألم يحن لهذه الرفات — قيامها من غفوة الأموات
ألم تكن من أهل هذا العصر

دسائس الغرب لنا تكيد — وهكذا الأسياد والعبيد
فهم يريدون ولا نريد — ونارهم نحن لها الوقود
ونحن في حسابهم كالذر

لهم عقول للحيـاة تعمل — تعمقوا في فهمها وأوغلوا
وجددوا وغيروا وبدلوا — وجربوا وهذبوا وحولوا
فجعلوا الزئبق ذوب التبر

واخترعوا فحيروا ألبابنا — وملكوا بسمهم زمامنا
كيف نقول ما لهم وما لنا — إذا استغل علمهم خمولنا
وجرعوا الشرق كؤوس المر

غواصة تسبح تحت الماء — طائرة تطير في الفضاء
وصوت «لاسلكي» في الهواء — فيا لهم من عالم أحياء
ويا لنا من عالم في القبر

مستضعفون كلنـا أذله — ونحن داؤنا ونحن العله
كل زعيم قام يشفي الغله — نتركه في وحشة مملة
في عزلة كتائه في القفر

وكم بشير الحسد البغيض — وكم إناء حاسد يفيض
وهكذا لا يبرأ المريض — وكل ماء أمل يغيض
وينتهي جهاد كل بر

كم وقفة بين أسود الريف — للبطل المستسلم الشريف
فيـا له في جهده العنيف — من أسد مكشر مخيف
في معقل يشبه وكر النسر

ممتنع كالأسد المصبور — مرابط للضرب في النحور
فما لهذا القائد المنصور — قد غلبته قوة المقدور
فسلم الأمر لرب الأمر

صيت جهاده علا وطارا وطبق البلاد والأقطارا
وأدهش العقول والأفكارا ثم هوى من شاهق وانهارا
وأوقعوه فى شباك الغدر

بالأمس قاد جنده الشجعانا بيأسه وقهر الإسبانا
وساقهم أمامه قطعانا وأحسن البلاء والطعانا
فانقلبت فلولهم بالكسر

وعاد بالنصر وبالسلاب وجنده دامية الحراب
وسد باب الحرب والخراب بعد طويل الطعن والضراب
منذ رمى أعداءه فى البحر

واستبشر الشرق بهذا الربح وهال القوم لهذا الرمح
ولم يكد يبش وجه الصبح حتى أثار الغرب نار الفتح
كى يسترد ثمرات النصر

هب الفرنسيس مع الإسبان لخوض نار الحرب والطعان
وليس ليث الريف بالجبان فقابل النيران بالنيران
حتى جرت دماؤهم كالنهر

ودكت الجبال بالقنابل والطائرات هطلت بوابل
وسال بركان على القبائل يذهب بالأرواح والمنازل
والريف ملتف بثوب الصبر

ليست به موارد غنيه وإنما نفوسه أبيه
وحب حريته سجيه ولم يزل ملتهباً حميه
فى شدة جديرة بالفخر

والحرب ما زالت رحاها دائره والريف لم تدر عليه الدائره
ولم تزل فيه العقول حائره ويفتدى بكل نفس ثائره
حرية غاليــة فى المهر

وجددت أبناؤه العزائما أن لا يكونوا للعدا غنائما
وأن يموتوا أو يعيشوا دائما ولا يكون الغرب فيهم حاكما
وما جرى به القضاء يجرى

**أبو الوفاء**

« منيل الروضة » محمود رمزى نظيم

صحائف مطوية :

# التحكيم بين العمال وأصحاب الأعمال

## فتوى دينية اجتماعية

للمغفور له الأستاذ الأمام الشيخ محمد عبده

للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

تعتبر العلاقة بين العمال وأصحاب الأعمال من أهم المشاكل الاجتماعية التى تشغل تفكير الحكومات والهيئات ، وعلى الرغم من الجهود الطويلة التى بذلت فى الخمسين سنة الماضية لتذليل هذه المشكلة بما يحسم الخلاف الذى ينشب بين الجانبين على وضع عادل سليم يضمن للعامل راحة الجهد ووفرة الأجر ، ويضمن لصاحب العمل تقدم الإنتاج وحسن الربح ، وعلى الرغم من تأليف النقابات والهيئات ووضع اللوائح والتشريعات لتنظيم العلاقة بين العمال وأصحاب الأعمال فإن المشكلة لا تزال قائمة ، وكلما نشب خلاف بين الطرفين انتشر الأمر ، وتشبث كل بوجهته ووقعت الحكومة فى حيرة لأنها لا تجد مجالا لاستخدام نفوذها فى هذه الحال إلا بمنع ما قد يقع من تخريب .

وبينا كنا نقلب الصفحات ، وقفنا على فتوى جليلة للمغفور له الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده فى شأن ما يكون من الخلاف بين العمال وأصحاب الأعمال ، وكان المرحوم الأستاذ فرح أنطون صاحب مجلة الجامعة قد كتب إلى الأستاذ الإمام يستفتيه فى هذا الموضوع فكتب إليه بتلك الفتوى ، فنشرها الأستاذ أنطون فى مجلته ومهد لها بمقدمة طويلة قال فيها :

« كنا نطالع ما كتب بشأن العمال وأصحاب الأعمال فى البلاد الإسلامية فعثرنا فى أثناء المطالعة على مقال هام لكاتب فرنسى موضوعه « العمل والعمال فى الجزائر » . ومما أدهشنا فى هذا المقال قول كاتبه : إن عقدة العقد التى يتخاصم الآن حولها أهل العمل وأهل المال فى العالم كله ، والتى هى مشكلة المسائل الإجتماعية فى هذا العصر قد حلتها الشريعة الإسلامية ، فإنها

أوجبت التحكيم بين العامل وصاحب العمل متى قام نزاع بينهما ، فوقفنا عند هذا القول الخطير ، وقلنا إذا كان قائله لم يلق الكلام على عواهنه فالشريعة الإسلامية يحق لها أن تفخر بأنها تقدمت فى مبدأ العمل الشريعة المدنية الحديثة ، ولم نستبعد هذا الأمر لأن مبادىء الأديان القديمة قائمة على عدم احترام حق الملك احتراماً مهماً ، وعلى التعاون والمساواة بين أفرادها ، خلافاً لمبادىء المدنية الجديدة القائمة على بقاء الأفضل وتنازع البقاء ، أى قيام القوى وسقوط الضعيف ، وهو معنى حماية حرية الأفراد وملكهم شخصياً وتجارياً وصناعياً ، وقد أخذنا نبحث عن هذه المسألة فى الكتب التى لدينا ولما لم يرتو لنا منها غليل لم يبق أمامنا سوى استفتاء حملة الشرع الإسلامى فيها ، فاغتنمنا هذه الفرصة لنجدد عواطف الاحترام لفضيلة العلامة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية وحجة الشرق على الغرب فى هذا العصر ونغترف من بحر علمه بالشريعة الغراء فضلاً عن رغبتنا فى الوقوف على رأى الشرع فى هذه المسألة ، فكتبنا إلى فضيلة الأستاذ نستفتيه فيها فتفضل علينا فضيلته بالكتاب التالى :

« تلوت كتابكم بعد رجوعى من السفر ولا يخفى على حضرتكم أن التحكيم كما يفهم من لفظه يلزم أن يكون باتفاق الخصمين اللذين يريدان أن يقضى فى النزاع بينهما بالتحكيم فهو اختيارى بطبيعته ، ولا يكون إلا فيما هو من حقوق العباد التى يقع التنازع فيها بينهم ولا يجبر أحد خصمين على أن يتحاكم إلى من يفصل بينه وبين خصمه إلا إذا كان الترافع إلى محكمة من تلك المحاكم التى تقررها القوانين العامة أو الخاصة . والعامل متى علم الأجرة وزمن العلم فهو حر إن شاء قبل أن يعمل على شرط مقدار الأجرة ومدة العمل وإن شاء لم يقبل . فهذه هى القواعد العامة المتعلقة بأجرة العمال وتقييد أزمان عملهم ولا وجه لاختلاف العامل ورب المال قبل الدخول فى العمل ، والمقصود أن يكون الاختلاف فى الوفاء بالشرط وعدم الوفاء به والذى يفصل فيه عند ذلك الحاكم أو المحكمون إذا اختار المتنازعان طريقة التحكيم . أما الحالة القائمة الآن فى أوربا فمنشؤها أمران : أحدهما اضطرار العامل للعمل لأنه لا وسيلة له إلى المعيشة سواه . وثانيهما مبالغة رب المال فى طلب الربح لأن توفير المال أصبح من أهم ما يسعى إليه طلابه فى تلك البلاد . فالأول يرغب أن يزاد له الأجر وأن ينقص من زمن العمل ، والثانى يبتغى تقدير الأجر والزمن كما يريد ، والأول لا يجد من أرباب المال من يجيبه إلى طلبه ، والآخر لا يجد من العمال من يرضى بتقديره . فإذا اتفق العمال على ما يلجئون به أرباب الأموال إلى موافاة رغبتهم حدث ما يسمى بالاعتصاب فيتفق العمال على تعطيل الأعمال حتى يلجئوا أرباب الأموال إلى إجابة مطالبهم ، ولرب المال أن يصبر حتى يلذع الجوع عماله فيرضوا بما يريد ، وللعمال أن يصبروا حتى يضطر الخسران رب المال إلى إجابتهم فيما يطلبون ، ولكل منهم أن يتفق مع الآخر فى تحكيم محكمين يذعن الفريقان لحكمهم بعد استيفاء شرائط التحكيم ، ولا يلزم أحد الفريقين بأن يحكم أحداً أو لا يحكم » .

إنما يوجد فى أصول الأحكام الإسلامية أن القيام بالصناعات الضرورية لقوام المعيشة أو للدفاع عن حوزتها فإذا تعطلت الصناعات وجب على القائم بأمر الأمة أن يتخذ السبيل إلى إقامتها بما يرفع الضرورة والحرج عن الناس ، وكذلك إذا تحكم باعة الأقوات ورفعوا أثمانها إلى حد فاحش وجب على الحاكم فى كثير من المذاهب الإسلامية أن يضع حداً للأثمان التى تباع بها » .

« وهكذا يدخل الحاكم فى شؤون الخاصة وأعمالهم إذا خشى الضرر العام فى شىء من تصرفهم . فإذا تعصب العمال فى بلد وأضربوا عن الاشتغال فى عمل تكون ثمرته من ضروريات المعيشة فيه ، وكان ترك العمل يفضى إلى شمول الضرر كان للحاكم أن يتدخل فى الأمر وينظر بما خوّل له من رعاية المصالح العامة . فإذا وجد الحق فى جانب العمال وإن ما يكلفون به من قبل أرباب الأموال مما لا يستطاع عادة ألزم أرباب الأموال بالرفق سواء كان بالزيادة فى الأجرة أو النقص فى مدة العمل أو بهما جميعاً . وإذا رأى الحق فى جانب أرباب الأموال وكان النزق من العمال قضى عليهم بالعمل كما يقضى على المغالين فى ثمن الأقوات بالبيع بالثمن اللائق متى ظهر فحش عملهم وظلمهم للعامة . هذا ولا يعرف فى الشرع الإسلامى إيجاب التحكيم بين العامل ورب المال إلا أن يكون شىء لم نطلع عليه » .

« نعم جاء وجوب التحكيم فى كثير من المذاهب الإسلامية فى مسألة واحدة ، وهى مسألة الشقاق بين الزوجين إذا رفع إلى القاضى . فقال الشافعية « إذا اشتد شقاق بينهما « الزوجين » بأن داما على التساب والتضارب وجب على القاضى أن يبعث حكمين ، لكل منهما حكم برضاه ويُسنُّ أن يكون الحكمان من أهل الزوجين » وقال المالكية « إذا ظهر ظلم أحد الزوجين للآخر وجب

ردع الظالم ، فاذا أشكل الأمر على القاضى ولم يعرف أيهما الظالم وجب عليه أن يبعث بالحكمين على نحو ما عند الشافعية » وجمل الحنفية ذلك حقاً من حقوق الحاكم يعمل به إذا اشتد النزاع بين الزوجين ورفع إليه الأمر . والأصل فى ذلك قوله تعالى فى سورة النساء « وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريد إصلاحاً يوفق الله بينهما » فالذى يظهر من لفظ الآية إيجاب التحكيم على أولى الأمر إذا رفع إليهم نزاع بين زوجين أو هو إيجاب للتحكيم على من بلغه الأمر من الحاكم أو جماعة المسلمين ، فإن الخطاب فى قوله « وإن خفتم » للمسلمين سواء كانوا أولى أمر أو غيرهم وذلك لأن الزوجين قد ارتبطا برباط عقد الزواج ووحد بينهما من الصلة ما يهتم بالحرص عليه ووجد بين أهلهما من وشائج القرابة بالمصاهرة ما لا يصح التساهل فى توهينه وتقطع ما اتصل به ، ولهذا أمر الله تعالى عباده متى أحسوا بشقاق بين الزوجين وهو النزاع الشديد أن يختاروا من أهل الزوجين حكمين حكما من أهل الزوج برضاه وحكما من أهل الزوجة برضاه ليبحث كل مع صاحبه ويقف على أسباب النزاع وما عساه يكون من أسرار لايقف عليها القاضى ولا أعوانه ، وعلى الحكمين أن يبذلا ما فى وسعهما للتوفيق بين الزوجين المتنازعين وإلزام كل منهما بما يريانه لازماً فى صلاح العشرة بينهما وحاسماً للنزاع فيما يستقبل من أمرهما فإذا لم يجدا سبيلا إلى الوفاق بعد بذل ما فى طاقتهما فلهما أن يقضيا بالطلاق فى بعض المذاهب على طريقة معينة إذا رأيا المصلحة فيه ، وبعض المذاهب لا يعطيهما الحق بل ينتهى عملهما بالعجز عن التوفيق بين الزوجين . وعلى كل حال فإيجاب التحكيم فى أمر الزوجين معقول فإن ما يقع بينهما لو لم يصلح بنحو هذه الطريقة أفضى إلى فساد فى البيوت بين الأولاد والأقارب ، ومثل هذا الفساد مما يسرى وينتشر حتى يؤذى الأمة بتمامها فى صلاتها بعضها مع بعض كما شوهد ذلك عند إهمال هذا الحكم الجليل من زمن طويل حتى كأنه لم يرد فى التنزيل . فإذا كان ذلك الكاتب الفرنسوى يعنى هذا الأصل ويشير إليه ويريد أن يقتبس به ما يقع بين العملة فذلك رأيه وحده والسلام .

١٤ رجب سنة ١٣٢٣

محمد عبده
مفتى الديار المصرية

# الأدب والفن فى أسبوع

**قصة المخطوطات العربية :**

كثر الحديث فى هذه الأيام عن المخطوطات العربية ، ووجوب العناية بها ، وجمع شتاتها المفرق فى خزائن الشرق والغرب ، ويجرى الحديث فى هذا فياضاً بالحماسة والغيرة ، وينادى الكثيرون بأن العناية بهذا فى مقدمة ما يجب على الأمة العربية ، ولا عجب ! فان الشرق العربى اليوم فى فترة يقظة يبحث فيها عن نفسه ، ويجاهد ليجمع بين يومه وأمسه .

وكان قد أذيع من قبل أن اللجنة الثقافية فى جامعة الدول العربية معنية بهذا الأمر ، وأنها قد قررت فى هذا خطة ستمضى عليها فى إحياء التراث العربى وجمع المخطوطات النادرة المتفرقة ، سواء ماهو منها فى حيازة الأفراد أوفى ملك الهيئات والحكومات ، ولكننا لا ندرى ماذا بلغت من هذه الخطة وماذا أجدت فى هذا السبيل .

وللتراث العربى من قديم الزمن قصة ، بل مأساة أليمة مثلت فصولها ومشاهدها على مسرح الأحداث القاتمة والأيام المظلمة ، فقد انتهب هذا التراث أيام غارات التتار ، وفى الحروب الصليبية بالشرق ، والحروب الصليبية بالأندلس ؛ ثم كان أن غزا الأتراك العثمانيون أقطار الشرق العربى وبسطوا نفوذهم فكان أول ما قصدوا إليه أن نقلوا كثيراً من المخطوطات العربية إلى مكاتب الآستانة ، ثم كان أخيراً أن تسلط الغرب على الشرق فتسلطت أيدى الأوروبيين على المخطوطات العربية بالسلب والسرقة والاحتيال حتى اكتظت بها مكاتب لندن وباريس وبرلين على حين أقفرت منها مكاتب العرب أنفسهم .

ولما اتجهت رغبة المغفور له أحمد حشمت باشا فى مطلع هذا القرن إلى النهوض بمشروع « إحياء الآداب العربية » ، ونشر المخطوطات العظيمة النادرة ، كان أول ما فكر فيه هو الاعتماد على مكاتب الآستانة ، فسافر فعلا إلى هناك المغفور له

أحمد زكى باشـا ، وقام بتصوير ونقل كثير من المصادر العربية النافعة التى نشرتها ولا تزال تتولى نشرها دار الـكتب إلى اليوم .

وفى هـذا المقام نرى من الوفاء للحق ، أن نذكر عالمين جليلين بالخير والثناء هما المغفور لهما أحمد تيمور باشا وأحمد زكى باشا ، فقد بذل هذان الرجلان كثيراً من الجهود الصادقة والأموال الطائلة فى العنـاية للحصول على المخطوطات العربية ، ولـكننا من الأسف لم نجد من يخلفهما فى هـذا السبيل ، لأن علماءنا — أعزهم الله — على اختلاف ألوانهم ودرجاتهم يؤثرون الوصول والمثالة من أقرب طريق .

وعجيب أى عجيب أننا لا نزال فيما نحقق من تاريخنا وآدابنا عالة على المستشرقين فيما ينقلون من آثارنا ومخطوطاتنا التى هى فى خزائنهم ، وعجيب أى عجيب أن تكون عندنا الجامعة الأزهرية العتيقة ، وجامعة فؤاد الأول ، وجامعة فاروق الأول ، ودار الـكتب المصرية والمجمع اللغوى ، ثم ما شئت من هيئات ثقافية كثيرة ، حكومية وغير حكومية ، ولم تستطع هذه كلها مجتمعة أو متفرقة أن تنهض بعمل جدى فى هذه الناحية ، ولم تفـكر كلها أو واحدة منها فى إرسال بعثة بشأن هذا التراث المنهوب .

إننى على يقين من أن بعث تلك المخطوطات النادرة سيصحح كثيراً من مسائلنا التاريخية والأدبية ، وإننى على يقين من أن إحياء هذا التراث الخالد سينصفنا أمام أنفسنا وأمام الأمم الأخرى ، فلعل الجامعة العربية تسدى فى ذلك ما فات غيرها ، وتنهض بما هو واجب عليها ومنوط بها ، ولعلنا نلمس لها قريباً فى هذا العمل الجهد المشكور .

**تأبين الأمير شكيب :**

بعد ظهر يوم الجمعة الثامن من هذا الشهر أقيمت حفلة تأبين كبرى بدار الأوبرا الملـكية لفقيـد العروبة المغفور له الأمير شكيب أرسلان اشترك فيها لفيف من الرجالات البارزين فى الأقطار العربية وأعلام الأدب والصحافة ، وحضرها كثيرون من الوزراء والـكبراء وأهل الفضل ، ولقد جاءت هذه الحفلة عنواناً للأسى الذى شمل جميع أبناء العروبة على فقد ذلك المجاهد العظيم ، كما جاءت مظهراً من مظاهر الوفاء والتقدير للرجال العاملين ، وإنا — من الوفاء للحق — لنشيد فى ذلك بصنيع الرجل العظيم سعادة محمد على علوبة باشا ، لأنه هو الذى نهض بأداء هـذا الواجب عن مصر ، وجاهد لإقامة هذا الحفل براً بذكرى رجل وهب حياته للنضال عن الشرق والإسلام .

وتعاقب الخطباء والشعراء فى تأبين الفقيد . فألقى سعادة علوبة باشا رئيس هيئة الاحتفال كلمة ضافية أشاد فيها بمواقف الفقيد فى الجهاد للحق ، والـكفاح فى سبيل العروبة ، والنضال عن حقوق العرب فى الحرية والاستقلال والـكرامة .

وخطب معالى ابراهيم دسوقى أباظة باشا فقال : « لقد كان الأمير شكيب أرسلان الديدبان والحارس على الأقطار العربية ، فـكان المراكشى إذا هددت مراكش ، والتونسى إذا نزل الضيم بتونس ، والمصرى إذا روعت مصر بحادث ، والعراقى ، والسورى ، واللبنانى ، واليمنى إذا اعتدى على بلد من هذه البلاد أو نشبت فيها أظافر الاستعمار وبراثن الاستبداد . ولقد خلا العرين من هذا الأسد الهصور ، ولـكنه خلا بعد أن نشر تعاليمه السامية فى كل مكان ، وبعد أن أعطى من نفسه القدوة الحسنة فى الوطنية والتضحية والإقدام ... »

وخطب الشيخ سامى الخورى وزير لبنان المفوض فى مصر خطبة استهلها بقول الفقيد:

فما العيش إلا أن نموت أعزة　　　وما الموت إلا أن نعيش ونسلما

ثم قال : لقد كانت حياة الفقيد جهاداً مستمراً فى سبيل بلاده وهو عنها بعيد ، ولقد بقى على رغم البعد هدى للأوطان العربية جميعها ؛ تستنير بشملة ذكائه الوقاد ، وتهتدى بنور حكمته الرصينة ، ثم دهمه الموت بعد أن عاد إلى بلده خافق القلب ، إذ لقيه حراً طليقاً من كل قيد ...

وألقيت فى الحفلة كذلك عـدة كلمات لممثلى الحـكومات والهيئات العربية ، وكلها تتوارد على الإشادة بمواقف الفقيد ، وتصور مدى الفجيعة الشاملة بموته ، والخسارة الـكبيرة بفقده . على أنها ممـا يجرى عادة فى مثل هذه المناسبة ، وليست مما يؤثر للتسجيل الأدبى .

وجاء دور الشعر ؛ فألقيت قصيدة لشاعر القطرين خليل بك مطران ، وقد كنت أنتظر من مطران فى هذا الموقف شيئاً كبيراً كثيراً ، فانى أقدر وفاءه لإخوانه ، وأعرف صلته بالفقيد ، ولـكن مطران اعتذر بحق اعتذاراً موجعاً أليماً إذ قال :

أبغى الرثاء له فيبرق خاطرى … حزناً،ولكن أين صوب غمام؟!
لم يبق لى شعر ولا نثر وقد … أخنى علىّ تقادم الأعوام …

فكان اعتذاره هذا أبلغ وأوجع من أى إفاضة فى الرثاء .

ثم ألقى الأستاذ الشاعر على محمود طه قصيدة قوية الأسر، ابتدأها بتصوير الفجيعة بموت الأمير فقال :

رزء العروبة فيك والإسلام … رزء النهى وفجيعة الأقلام
هو مأتم الأحرار فى متوثب … بصفوفهم مستبسل مقدام

ثم أخذ فى تصوير حياة الفقيد فقال :

ألبا الثائرين صوتك لم يزل … فى الشرق وحى براعة وحسام
لخلاص دار، أوفكاك عشيرة … خضت الحياة كثيرة الآلام
واجتزت جسر العمر بين عواصف … هوج ، وموج مزبد مترامى
وشهرتها حرباً على مستعمر … متجبر ، أو غاصب ظلام
إرث الجدود الصيد أنت وهبته … قفـا يصاول دونه ويحامى
وشباب مهدور الدماء مجاهد … فى الله عن عرب وعن إسلام

وهكذا مضى الشاعر إلى آخر قصيدته يصور حياة الفقيد فى شتى نواحيها بهذا الأسلوب الجزل ، وقد كان من الموافقة المتواردة أن اتفق الشاعران فى الروى والقافية ، وفى كثير من المعانى والتعابير التى قوامها حياة الفقيد .

وإنى بعد هذا لأسأل : أيكفى هذا الحفل فى الوفاء بدين الفقيد المظيم ؟ كلا ! فقد كان الأمير شكيب فى حياته وفى جهاده وفى مواهبه أضخم من هذا وأكبر ، فمن الواجب على أبناء العروبة جميعاً أن ينهضوا بعمل يخلد ذكراه ، وصنيع يحفظ آثاره ، وينشر تعاليمه ، وإنى لأعجب أن تهمّ الجامعة العربية فتخاطب حكومة العراق لصيانة تراث الكرملى ، ولا تؤدى هذا الصنيع لصيانة تراث الأمير شكيب ! !

**وأين نحن ؟!**

يظهر أنَ الأمة المغلوبة على أمرها لا تدين بالحقيقة حتى تصدم رأسها ، ولا تصيخ للنصيحة حتى تخرق أذنها ، ولا تقتنع بأمر من تطورات الزمن والحياة إلا بعد فوات الأوان ، وبعد أن يكون الشوط قد بلغ نهايته .

قلت هذا لنفسى إذ قرأت أن الدول التى تحالفت على إدراك النصر قد اتفقت أخيراً على إعداد العالم لتقبل ما تهدف إليه من المبادىء والأفكار. فرأت أن خير سبيل لهذا هو إعداد مجموعة كبيرة من الأفلام الثقافية التى تصور تلك المبادىء وتنطق بتلك الأفكار وتوزيعها للعرض فى كافة أنحاء العالم على الشباب فى المدارس والأندية وسائر المنظمات .

وقلت هذا لنفسى أيضاً إذ قرأت أن هناك مفاوضات تجرى بين بعض المشتغلين بالسينما من المصريين والشرقيين ، وبين فريق آخر من الانجليز لتكوين شركة انجليزية شرقية تقوم بعمل أفلام ناطقة باللغة العربية وتكون موضوعاتها ذات صبغة عالية ، وستقوم هذه الشركة الضخمة بتوزيع أفلامها فى شتى أنحاء الشرق العربى

فأنت ترى أنها حرب دعاية ، وأن السينما قد أصبحت أقوى أداة للتبشير بالمبادىء والأفكار ، وإذا كان الحلفاء قد استغلوا هذه الأداة لبث دعايتهم على أوسع ما يكون فى الحرب فإنهم الآن كذلك يريدون أن يعتمدوا عليها وأن يستغلوها لنشر مبادئهم فى السلم . ونحن فى مصر ، حكومة وشعباً ، نرى هذا كله ، وكأنه لا يعنينا فى شىء ، وكأننا لا نرجو من دنيا المبادىء إلا أن نربط بالذيل .

عندنا سينما ، وعندنا شركات ، وعندنا أفلام . ولكننا نملؤها بأقذر ما فى المجتمع من انحطاط الميول وضراوة الغرائز وكل ما يضمن الرواج والإقبال من العامة وأشباه العامة ، ثم نوزع هذه الأفلام فى الشرق العربى على أنها مظهر فننا وعنوان ثقافتنا ويا له من فن تافه وثقافة رخيصة .

فيا قوم حسبكم ، لقد آن لكم أن تفهموا أن العالم يجد ، وأننا لا نستطيع أن نمشى فى ذلك الموكب العالى إلا جادين ، أليس من الهوان والبخس والتفاهة أن لا تقدم شركة من تلك الشركات السينمائية فى مصر على إخراج فلم قومى يصور ناحية مجيدة من تاريخنا ، ويحمل مظهراً صحيحاً من ثقافتنا ؟! بل أليس من التفريط والتقصير أن لا تعتمد حكومتنا على السينما — وقد أصبح لها الآن كل هذا النفوذ — فى بث ما نرجو من التثقيف والتهذيب. وما تنشده من الأصلاح والنهوض ، وأن لا تجعلها أداة دعاية فى الشرق العربى ؟!

ولكننا أمة مغلوبة على أمرها ، فنحن ننتظر دائماً حتى يصل الغرب إلى آخر الشوط ، ثم نبتدىء نفكر ماذا نعمل ؟!

**الفلسفة الهندية القديمة :**

يزور لندن الآن الأستاذ وديع البستانى للبحث عن أصول الفلسفة الهندية القديمة ، ويقولون إنه عثر على ستة مخطوطات نادرة ولا يزال يوالى البحث والمراجعة لإعداد دراسة مستوعبة عن الفلسفة الهندية القديمة .

والأستاذ وديع البستانى هو أحد فروع تلك الدوحة البستانية العريقة التى أسدت إلى الثقافة العربية خدمات جليلة فى شتى نواحى اللغة والأدب والفلسفة ، وقد قام الأستاذ وديع منذ ربع قرن بنقل عدة كتب فلسفية طريفة إلى اللغة العربية ، وكانت لديه نزعة إلى الموضوعات الطبيعية التى يتجلى فيها صفاء الروح وجمال الكائنات ، ويظهر أن الفلسفة الهندية الفياضة بالنزعات الروحية قد استهوته فمكف على دراستها منذ سنوات ، وهو لا يزال يجد فى هذه الدراسة لإخراج سفر شامل فى هذه الناحية التى لا تزال معماة على أبناء العربية .

والمعروف أن الفلسفة الهندية القديمة كانت عنصراً من العناصر التى استمدت منها الثقافة العربية بالترجمة والنقل أيام العباسيين ، فنى البلاغة وفى الفلسفة وفى علوم الفلك والجبر والحساب نجد نصوصاً منقولة عن أصول هندية ، ونحن نقرأ هذه النصوص قراءة عابرة لأننا نجهل مصادرها ومراميها ، ولا نزال إلى اليوم فى كل ما نعرف من معارف الهند القديمة عالة على المستشرقين ، وإنها فى الواقع لإحدى العجائب ، إذ يتيسر لأجدادنا العرب بدافع نهمهم إلى المعرفة نقل المعارف الهندية والانتفاع بها والوقوف عليها ، ونحن لا نزال نجهل تلك المعارف جهلاً مطبقاً مع أن صلتنا بالهند قد توثقت ، ومعارفنا قد اتسعت وسبل الانتقال والبحث قد تيسرت .

إن الأستاذ وديع البستانى بعمله هذا يؤدى خدمة جليلة للعربية ، وإنها لفاتحة خير بدأها الأستاذ عبده حسن الزيات بكتابه الذى أخرجه حديثاً وموضوعه « حكايات من الهند » ، وإنا لنرجو أن يرود أبناء العروبة هذه الناحية على أوسع ما يكون ، فإن الثقافة الشرقية قوامها روح واحدة ، ووجهتها غاية واحدة ، وقد أصبح من الخطأ استقلال أمة بمعارفها ، فكيف والهند ليست غريبة عنا . .

**كتاب من غير أقلام :**

تناولت عدداً حمله البريد أخيراً من مجلة سورية خصصت صفحاتها للأدب والمباحث الثقافية ، وفى عنوانها أنها « صورة الفكر المعاصر » ، فوقعت فى صفحاته الأولى على مقال بعنوان « الأديب من أين يبدأ » ، فتغاضيت عما فى العنوان من خطأ شائع درج عليه كثير من الأدباء المعاصرين ، إذ يؤخرون اسم الاستفهام وإن كانت اللغة تقضى له بالصدارة ، وأخذت أقرأ ما تحت العنوان فقرأت فى السطر الأول « إنى بالأدب شغوف » وفى السطر الثانى « وكيف عرفت أن ميولك منصرفة إلى هذه المنصرف » وهكذا أخذت أنتقل من سطر إلى سطر ، وأنا أنتقل من خطأ إلى خطأ حتى ضاقت نفسى وألقيت بالمجلة من يدى ولم أستطع أن أستوعب من المقال أكثر من خمسة أسطر !!

إن الفكرة السليمة قوامها الأسلوب السليم ، وإن الكاتب الذى لا يستطيع أن يصحح ما يكتب لا يستطيع كذلك أن يصحح ما يقرأ ، ومعنى ذلك أنه يقرأ على غير فهم ووعى .

ولكنى أعرف كثيراً من ناشئة هذا العصر ، وكتاب هذه الأيام قاصرين عن تصحيح لغتهم وتقويم أسلوبهم ، وإنى لأعرف كتاباً بيننا يملؤون الدنيا بأسمائهم ويتصدون للنقد والمناقشة وهم حين يجلسون لإراقة المداد على الورق لا يعرفون مصادر الكلام من موارده ، فيتركون هذا لأناس يستخدمون أشخاصاً على أجر معلوم لهذا الغرض ، وعندهم أن هذا ليس بمعاب ، بل إنهم ليحسبون التمسك باللغة عنجهية وتقعراً لا يليق بمفكرى هذه الأيام

وأنا والله لست أدرى ما ذا يكون ذلك الكاتب إذا فقد أول شرط للكتابة ، وأى شىء يبلغ من الأدب إذا لم تكن لديه أداة الأدب ، وهل يجدى هؤلاء شيئاً مايتشدقون به من أنهم يحذقون لغة أو لغتين أجنبيتين على حين يجهلون اللغة التى يكتبون بها وينتسبون إليها ؟!

ولكنها بدعة أعجمية ، خلقها العجز وبررها القصور عند هؤلاء ، وإنهم لكتاب من غير أقلام ، وإن حسبوا أنفسهم من الأعلام .

« الجاحظ »




**فن وتجارة :**

اطلعت فى عدد « الرسالة » رقم ٧٠٩ فى باب « الأدب والفن فى أسبوع » على كلمة تحت عنوان : « فن وتجارة »..

ولقد اعترتنى الدهشة البالغة من تعليق حضرة كاتبها على احتجاجى بصفتى نقيبا للممثلين على عملية « الدوبلاج » للأفلام الأمريكية .

ولقد تضاعف استغرابى من كونه بدلا من أن يشد أزرنا فى قضيتنا الوطنية راح يسخر من منطقى ويستنكر طلبى .

ولولا أن مجلة «الرسالة» هى المجلة التى لا يكتب فيها إلا القيم من القول والمتزن من النقد لما راعنى الأمر .

ألا فليعلم حضرة الكاتب أننى لم أقدم احتجاجى على أفلام الدوبلاج الأمريكية بصفتى منتجاً ؛ فأنا لا أحترف الإنتاج منذ عشرين عاماً ، بل فعلت هذا كنقيب للممثلين ، بناء على قرار النقابة وأعضائها ، واستجابة لاحتجاج نقابة السينمائيين واتحاد المنتجين ، فسخريته إذن موجهة إلى كل فنان وإلى كل سينمائى وكل مصرى ؛ أى أن حضرة الكاتب اللبق قد ساءه أن يناصر قضية الفنان المصرى ، فتطوع من تلقاء نفسه للدفاع عن تجار وأصحاب شركات الفيلم الأمريكى .

فهو إذن لا يهمه الدفاع عن كيان الشركات المصرية . بل على النقيض يريد أن يفسح المجال للاستغلال الأجنبى .

فليسمح لى أن أرد له التحية فأقول له : أى منطق منطقك ياحضرة الكاتب ؟ وكيف تقارن بين السماح للمجلات الأمريكية بدخول مصر وعدم السماح لأفلام الدوبلاج مع أنك تعلم أننا لا نود منع دخول الأفلام الأمريكية بلغاتها الأصلية ، وأنت كصحفى قد تطالب غداً بمنع دخول المجلات الأمريكية إذا أرسلتها باللغة العربية ! !

ونحن لا نطالب الحكومة بجديد عندما نستصرخها للذود عن أموال الشركات المصرية والفيلم المصرى بصفته إنتاجا وطنيا وهى التى سنت قانوناً لحماية البضاعة الوطنية كالأقمشة والحرير وما شابهها .

ثم لدى نصيحة للكاتب وهى أن يرسل مقاله هذا إلى الشركات الأمريكية مترجماً وأنا واثق أنها ستجزل له المكافأة كناصر للاستعمار الأجنبى ! !

والطريف فى الأمر أننا قرأنا للأستاذ الأديب أحمد حسن الزيات صاحب مجلة « الرسالة » افتتاحية رائعة فى العدد نفسه ، يستنكر فيها الاستعمار فى الشرق ، بينما نقرأ لحضرة الكاتب هذه الكلمة التى يناصر فيها الاستعمار ويندد بطلب السينمائيين المصريين بحماية شركاتهم الصغيرة من طغيان الفيلم الأجنبى واستعمار الأجانب لبلادنا فنياً

**يوسف وهبى**

« الجاحظ » : وفر على نفسك النصيحة يا نقيب الممثلين ، فليس صاحب هذا القلم ممن تعرفهم . أما الرد فانتظره فى العدد القادم .

**موسم محاضرات تفسير القرآن الكريم :**

من الظواهر الفكرية التى تستحق التسجيل والتخليد فى مجلة أدبية عربية سائرة كالرسالة الزهراء ذلك العمل الإسلامى الفكرى الجليل الذى يحدث لأول مرة فى تاريخ مصر العربية . أوفى عصرها الحاضر بمعنى أدق ، ألا وهو تنظيم محاضرات تلقى كل أسبوع فى تفسير آيات الذكر الحكيم ، وتوضيح أغراض القرآن الكريم ، ولقد اضطلع بعبء هذا المشروع النافع المفيد رجل كريم من رجالات مصر ، ومحسن مفضال يعد فى الصفوة من أبنائها العاملين لرفعة شأنها ، وتجديد شبابها ، وبعث دينها ، وإحياء أخلاقها ومبادئها ، وهو حضرة صاحب العزة المحسن الكبير والمصلح الإسلامى الموفق الحاج يعقوب بك عبد الوهاب الذى عرفته ميادين كثيرة من ميادين الخير والبر والإحسان والإيمان ، فكان الساعد الأيمن والعامل الأول فى إنشاء معهد فؤاد الأول للموسيقى العربية والشرقية ، وأمد جمعيات المحافظة على القرآن الكريم بمعونته وعنايته ، إذ خصص مكافآت مالية

سخية توزع على المهرة فى حفظ القرآن من طلبة المعاهد وتلاميذ المدارس ، وتوزع فى احتفال رائع يقام فى كل عام تحت رعاية الملك الناصر لدين الله الفاروق المفدى أعزه الله بالإسلام ، وأعز به الإسلام ، ولهذا الرجل الكريم نواح كثيرة يصلح فيها سراً وجهراً ، وليس هذا مجال تعدادها أو ترديدها ...

ثم رأى الحاج يعقوب بك عبد الوهاب أخيراً أن القرآن بما اشتمل عليه من معان سامية ومقاصد جليلة تتصل بجميع الاتجاهات الفقهية والتشريعية والعلمية والصحية والأدبية والاجتماعية يتطلب أساتذة مهرة ، وفحولا فى البلاغة والأدب ، وأدباء خبراء بطرق العرض وأساليب التوضيح ، ويتشرف هؤلاء بتناول آيات القرآن الكريم ليوضحوا لجمهور المستمعين ما انطوت عليه من إعجاز وإيجاز ، وفصاحة وبلاغة ، وتقنين وتشريع ، فاختار لذلك أربعة من الفحول هم الأساتذة الأجلاء الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد الوهاب خلاف والدكتور عبد الوهاب عزام والدكتور عبد الوهاب حمودة ، ونظَّم بجهودهم وعلى أكتافهم موسماً للمحاضرات سماه « موسم محاضرات تفسير القرآن الكريم » وجعله يبدأ من نوفمبر وينتهى فى مارس ، ولقد اختار لإلقاء هذه المحاضرات قاعة رحيبة فسيحة هى قاعة « دار الحكمة » بشارع قصر العينى ، فكان هذا فتحاً جديداً ، فتح به الحاج يعقوب بك هذه القاعة لما كانت بعيدة عنه بطبيعة اختصاصها من البحث فى الدين وتفسير القرآن الكريم ؛ ولقد أقبل العلماء والأدباء على هذه المحاضرات إقبالا منقطع النظير ، حتى ضاقت بهم ردهات الدار ، وأحسن المحاضرون مبنى ومعنى ، وتفكيراً وعرضاً ؛ ويلوح لى أن النية الخالصة ونبل الغرض كانا السبب فى كل هذا التوفيق ، مما يدعو إلى أن نسأل الله مخلصين راجين أن يوفق رجالات مصر وأغنياءها إلى يتخذوا من هذا الرجل المصلح قدوة ومثلا ؛ والله يهدى العاملين

**أحمد الشرباصى**

المدرس بمعهد الزقازيق الثانوى

## حول الشاعر الطموح :

« والشاعر الطموح » كتاب أصدرته أخيراً «سلسلة اقرأ» لعلى الجارم بك .

وهو تصوير لحياة المتنبى فى بلاط سيف الدولة وكافور فى حلب ومصر وما أحاطه به من دسائس ومنافسات ووشايات وحب وبغض وتقدير وحسد ، وذلك فى الفترة التى ما بين عامى (٣٤١ — ٣٥٠ هـ) .

والكتاب أثر أدبى رائع بيد أن لى عليه بعض الملاحظات :

١ — يذكر المؤلف قصيدة المتنبى .

وا حرَّ قلباه ممن قلبه شبم
ومن بجسمى وحالى عنده سقم

( ص ٤٦ وما بعدها ) ويجعلها من القصائد التى نظمها المتنبى عام ٣٤١ هـ ( راجع ص ٥ وص ٥٦ )

والحق إن هذه القصيدة من أخريات القصائد التى نظمها أبو الطيب فى سيف الدولة الحمدانى قبل رحيله عن بلاطه عام ٣٤٦ هـ وتؤكد ذلك القصيدة نفسها وما فيها من إشارات إلى توتر العلاقات وانقطاعها بينه وبين سيف الدولة ، وهذه الحالة والمؤامرات التى كانت السبب فيها مما لم تنشأ فى بلاط سيف الدولة فى ذلك التاريخ الذى ذكره المؤلف .

٢ — ويجعل المؤلف قصيدة المتنبى :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا
وحسب الأمانى أن يكنَّ أمانيا

أول قصيدة أنشأها المتنبى فى كافور وأنشده إياها .

والحق إن أول قصيدة أنشدها أبو الطيب أمام كافور هى :

فراق ومن فارقت غير مذمم
وأمٌّ ومن يممت خير ميمَّم

وذلك ما يتضح للناقد من دراسته لهذه القصيدة .

**محمد عبد المنعم خفاجى**




# أعلام المحـــاماة

في كتاب الأستاذ عبد الحليم الجندي

بقلم صاحب العزة الأستاذ عبد الرحمن الرافعي بك

« جرائم واغتيالات القرن العشرين » كتاب نفيس وضعه الأستاذ عبد الحليم الجندي في جزءين أخرجهما للناس في الشهر الماضي. وأبرز ما في الكتاب تصويره حياة ثلاثة من أعلام المحاماة. اختارهم المؤلف ضمن عظماء المحامين الذين تألق نجمهم في سماء المحاماة بمرافعاتهم في القضايا الكبرى في القرن العشرين وهم: الهلباوي في مصر، ومارشال هول في انجلترا، وهنري روبير في فرنسا. قرأت الكتاب قراءة تأمل وإمعان، فألفيته جديراً بأن يقرأه كل مواطن، وكل محام، وكل شاب يعتنق مبدأ الحرية الفردية والسياسية.

المؤلف أستاذ أديب. ومحام نابه. كان محامياً عن الأفراد وقتاً ما، وهو الآن محام عن الحكومة في مجلس الدولة. لازمته روح المحاماة، وكتب عنها بقلم المؤمن بها، المحب لها، فجاء كتابه قصة رائعة للمحاماة في أشخاص ثلاثة من أعلامها. مجد المحاماة تمجيداً صادراً عن عقيدة وخبرة إذ وصفها بأنها مهمة قبل أن تكون مهنة، وجعلها دعامة الحرية وسندها في ساحات القضاء. ولعمري إن هذا الوصف لهو أكبر مفخرة للمحاماة. وإن المحامي ليعتز بمهنته إذ يراها سبيل الدفاع عن الحرية وعن الحق. وفي ذلك يقول المؤلف: « سنرى في الصفحات التالية بطولة المحاماة وهي تخوض الغمرات في هذا السبيل. إنما هي الحرية غاية جيلنا من حياته. لا وسيلة لأغراضه ولا طب لأمراضه إلا بتدعيمها، وتعميمها والفسح من مداها، وما حرية الأمة إلا فيض من حريات بنيها واستقرار العدالة فيها. فإلى دعاة الحرية والعدالة هـذه الصورة المصغرة لثلاثة من كبار المدافعين عن الحرية في ساحات العدالة ».

وفي الحق إن الحرية هي ركن أساسي من أركان المجتمع الإنساني الجدير بهذا الاسم. وإذا تقلص ظلها في بلد من البلدان نزلت الأمة إلى درك عميق من الذل والهوان. والحرية قد تحميها النظم والقوانين، وقد يكفلها الدستور، وتحميها الصحافة. ولكن خط الدفاع الأول والأخير لها هو القضاء والمحاماة. فالقضاء هو فيصل التفرقة بين الحق والباطل، بين الحرية والاستعباد. هو ملاذ المظلوم ممن يتحيفهم طغيان الأقوياء والحكام. والمحاماة هي لسان الحرية والحق المدوي في ساحات القضاء، والمناضل الذي لا يخشى في الحق لومة لائم؛ فالقضاء والمحاماة صنوان متلازمان. يتعاونان على أداء مهمة قدسية سامية وهي استخلاص الحق وكفالة الحرية.

عرض لنا المؤلف في الجزء الأول من كتابه صورة حية من الهلباوي المحامي، والهلباوي الرجل، والهلباوي الخطيب. فحلل شخصيته أدق تحليل، وتابعه منذ نشأته إلى أن انتظم في سلك المحاماة إلى أن ظهرت مواهبه فيها وذاعت شهرته في أرجاء البلاد بمرافعاته في القضايا الهامة، وعدد أشهر القضايا التي ترافع فيها في مختلف العهـود. وأبرز فضائله في المحاماة ونزاهته فيها إلى جانب عبقريته كمحام قدير، وأبان للقارئ كيف كان يحضر قضاياه، وكيف كان يهاجم ويدافع، وكيف كان يسترعي الانتظار في مرافعاته، وكيف كان يستهدف لغضب ذوي السلطان في أداء واجبه وعني على الأخص بالقضايا الوطنية التي ترافع فيها عن الحرية وحملاته الصادقة على خصومها ومضطهديها. وأفاض المؤلف في هذا الجانب من حياة الهلباوي، ولا غرو فهو الجانب الذي يضفي عليه هالة من المجد وخلود الذكر.

وأعجبني من المؤلف الأديب أنه استثنى من الإشادة بمواقفه مرافعته كمدع عام في قضية « دنشواي » فلم يدافع عن بطله فيها واقتصر على التماس « الظروف المخففة » له حتى عزا موقفه فيها إلى سوء الحظ. وفي الحق إن قبوله المرافعة عن الاتهام في هذه القضية كان سقطة كبيرة من المحامي الكبير؛ لم تنسها له الأمة طول حياته ولا يلومها منصف على ذلك بل هو دليل على تقدم الوعي الوطني فيها. لأن التساهل بإزاء أمثال هذه السقطات يغري بتكرارها.

صور لنا المؤلف حياة الهلباوي في كل نواحيها، صورها بلغة مختارة ممتازة، وفي الحق إن لأسلوبه وتعبيراته طابعاً أدبياً بليغاً، وفيه أناقة وفيه جاذبية، وفيه عمق في المعاني والأفكار




# لويـــز . . .

للكاتب الإنجليزي سومرست موم

ترجمة الأديب السيد مصطفى غازى

عرفت لويز قبل أن تتزوج . كانت وقتئذ فتاة ضعيفة رقيقة ذات عينين وسيمتين حزينتين ، كان أبواها يحبانها ويرعيانها فى قلق وترقب ، إذ قد اتفق على ما أذكر أن أصابتها الحمى القرمزية وخلفتها ضعيفة القلب وفى حاجة إلى أن تعنى بنفسها عناية كبيرة ، فلما تقدم توم ميتلاند ليخطبها إلى نفسه فزع أبواها إذ كانا يعتقدان أن صحتها الرقيقة لم تكن لتحتمل متاعب الزواج ، ولكنهما لم يكونا موسرين وكان توم ميتلاند غنياً ، ووعد بأن يبذل كل ما فى وسعه فى سبيل سعادة لويز فقبل الأبوان تزويجها منه وقدماها إليه هدية مقدسة .

كان توم ميتلاند شاباً متين البناء ، رياضياً ، جميل المنظر جذابه ، ولقد وضع كل اهتمامه فى لويز إذ لم يكن يأمل أن تحيا إلى جانبه بقلبها الضعيف طويلا ، وعاهد نفسه على أن يقوم عنها بكل شيء ليجمل سنواتها القليلة على الأرض مليئة بالسعادة والهناء . وترك الرياضة التى كان بارعاً فيها لا لأنها كانت تريد منه ذلك فقد كان يسرها أن يلعب (الجولف) ويصطاد ، بل لأنه كان يصادف أن تصاب بنوبة قلبية كلما عرض عليها أن يتركها لمدة يوم واحد . وإذا حدث أن اختلفا فى رأى ما كانت تستسلم له تواً فقد كانت أسلس الزوجات قياداً ، ولكن العلة تعاود قلبها فتحمل إلى فراشها وتبقى فيه أسبوعاً وادعة راضية ، ويحس بأنه كان عليه ألا يكون قاسياً فيعارضها ، فيتنازل لها عن رأيه وفى جهد يحاول إقناعها بأن تفعل ما ترتئيه .

حدث ذات مرة بعد أن رأيتها تمشى ثمانية أميال فى رحلة قامت بها أن قلت لتوم ميتلاند ملاحظاً : إنها أقوى مما كان يتصوره المرء ، فهز رأسه وتنهد قائلا : « كلا . كلا . إنها رقيقة جداً . لقد ذهبت إلى جميع الأطباء الأخصائيين البرزين فى أمراض القلب فاتفقوا جميعاً على أن حياتها معلقة فى خيط ، ولكن لها روحاً لا تقهر » وأخبرها بما قلت عن تحملها فقالت لى مؤنبة : سأدفع ثمن ذلك وسأكون على باب الموت . فتمتمتُ قائلا : يخيل إلىّ أحياناً أنك قوية جداً على ما تريدين فعله » . فقد لاحظت أنه إذا حدث وراقتها بعض الحفلات تأخذ فى الرقص حتى الساعة الخامسة صباحاً فإذا كانت الحفلة مملة تشعر بتوعك شديد فيضطر

---

وبهذ الأسلوب انتقل بنا من الشرق إلى الغرب . فصور لنا حياة « مارشال هول » الذى سطع نجمه فى سماء المحاماة فى انجلترا ، وزميله « هنرى روبير » فى فرنسا . ذلك النقيب العظيم الذى قال عنه « دى مورو جيافرى » إن المحاماة فى فرنسا فقدت بوفاته أكبر رجل رفع شأنها منذ عهد « برييه » وهى كما يقول المؤلف أبلغ مقالة عن مكانته فى التاريخ ، فلعل « برييه » أكبر رجال المحاماة فى التاريخ الفرنسى ، كما كان أعجوبة البلاغة والشجاعة فى مجلس النواب ومجلس الأعيان .

إن لدراسة الشخصيات الكبيرة وتحليلها بالطريقة والأسلوب اللذين نهجهما الأستاذ عبد الحليم الجندى قيمة عظيمة فى توسيع الأفق الثقافى والذهنى ، ففى خلال هذه الدراسات يطالع القارئ وصفاً دقيقاً لحياة المجتمع وتطوره ، وعادات الناس وأخلاقهم وعلاقات بعضهم ببعض . كما يلمح بشيء من التأمل والمقارنة مبلغ الفرق بين الحياة فى عصرنا والحياة فى العصر الذى سبقه .

وفى الكتاب ميزة أخرى وهى أنه يطالع المحامى بما هيأ لأعلام المحاماة فى الشرق والغرب ما وصلوا إليه من مكانة رفيعة ومنزلة سامية ، وما هى العناصر التى عبدت لهم طريق الشهرة والمجد . فهو كتاب المحاماة وكتاب المحامين . فيه يجد المحامى كبيراً كان أو مبتدئاً ما يرسم له سبيل النجاح والتوفيق . فلعل فى كل محام مواهب لو عرف كيف يتعهدها ويستخدمها على ضوء حياة العظماء من المحامين لأدرك من المكانة والمنزلة ما لا يدركه إذا أغفل هذا الجانب من البحث والدراسة . وإنى لأنصح كل محام وكل من يعد نفسه ليكون محامياً أن يقرأ كتاب « الأستاذ عبد الحليم الجندى » ففيه صورة واضحة قوية للمحاماة الرفيعة الناجحة

**عبد الرحمن الرافعي**

توم إلى أن يعود بها إلى المنزل مبكراً . ويظهر أنها لم ترتح لجوابي وبالرغم من أنها نظرت إليَّ بابتسامة وادعة فإنني لم أر لهذه البسمة أثراً في عينيها الوسيمتين الزرقاوين ، وقالت : لعلك تتوقع مني أن أسقط ميتة لا لشيء إلا لأدخل السرور على نفسك » .

ولكن لويز لم تمت ومات زوجها وهي حية بعد . لقد لقي حتفه عقب برد أصابه في إحدى رحلاتهما البحرية . وكانت رقة لويز قد دفعت به إلى أن يختصها بجميع الأغطية لتتدفأ بها . مات وقد ترك لها ثروة طيبة وابنة ، فلم تستطع لويز أن تتعزى ، ولقد كان عجيباً حقاً أن تتحمل الصدمة ، ولقد توقع أصدقاؤها أنها ستلحق بتوم المسكين عاجلا في القبر . وأحسوا جميعاً بالأسف الشديد على ابنتها إيريس وقد تيتمت فضاعفوا عنايتهم بلويز . كانوا لا يدعونها تحرك أصبعاً . كانوا يلحون في توفير أسباب الراحة لها لأنهم لو خلوا بينها وبين أي عمل مرهق أو غير ملائم لرقتها فإن قلبها لايلبث أن تعتاده العلة ويقف بها على باب الموت .

قالت إن خلو حياتها من رجل يعنى بها يبلبلها ويرمضها ، وإنها لا تعرف كيف تربي عزيزتها إيريس بصحتها هذه الرقيقة فسألها أصدقاؤها لماذا لا تتزوج . أوه إن هذا ما يأباه قلبها وإن كان العزيز توم لم يكن ليأباه بل لعلها إن تزوجت أن يكون ذلك أصلح شيء لإيريس . ولكن من يعنى نفسه بزواج امرأة عليلة مثلها ؟ ومن العجيب حقاً أن يتقدم لها أكثر من شاب كلهم مستعد أن يتكفل بها .

وبعد عام من موت توم قبلت أن تتزوج من جورج هوبهاوس وكان شاباً جميلا فارع القوام وعلى جانب من الثراء . ولم أر أحداً أسعد منه لفوزه بشرف القيام على رعاية هذا المخلوق الرقيق الدقيق.

قالت : لن أحيا طويلا لأزعجك . كان جندياً طموحاً فاستقال من منصبه إذ كانت صحة لويز تحتم عليها أن تقضي الشتاء في مونت كارلو والصيف في دوفيل . ولقد تردد قليلا وهو يضحي بمستقبله ورفضت لويز أن تستمع إليه بادىء ذي بدء ، ولكنها لم تلبث أن امتثلت كما هي حالها دائماً فتهيأ لأن يجعل سنواتها الأخيرة سعيدة هانئة إلى أقصى حد .

قالت : إن هذا لن يستمر طويلا . سأحاول أن لا أكون مزعجة

وفي خلال العامين أو الأعوام الثلاثة التي أعقبت زواجها الثاني استطاعت لويز بالرغم من قلبها الضعيف أن تذهب في أجمل الثياب إلى أشوق الحفلات وتقامر في إسراف وترقص بل وتغازل الشبان الفارعي القوام . ولم يكن جورج هوبهاوس من عنصر زوجها الأول فكان يستعين بالمشروبات الحادة من وقت لآخر وهو يقوم على خدمتها . وكان من المحتمل أن يصبح عنده الشراب عادة فتضيق لويز بذلك أشد الضيق ، ولكن لحسن حظها «هي» قامت الحرب فالتحق بفرقته وبعد ثلاثة شهور قتل في الميدان . وكانت صدمة عنيفة على لويز ، وشعرت مع ذلك بأنه يجب عليها في حالة دقيقة كهذه أن لا تسلم نفسها للحزن البالغ ، وإذا كانت قد أصيبت بصدمة قلبية فإن أحداً لم يسمع بها ، ولكي تتلهى عن أحزانها حولت فيلتها بمونت كارلو إلى مستشفى للضباط الناقهين . وقال لها أصدقاؤها إنها لن تتحمل وطأة هذا العناء . فقالت : ليس عندي من شك في أن هذا سيقتلني ، أنا أعرف ذلك ولكن ما حيلتي ؟ يجب أن أصنع شيئاً ... ولكن العمل لم يقتلها وبقي في حياتها فسحة .

قابلتها مصادفة في باريس وكانت تتغدى في الريتز مع شاب فرنسي جميل النظر ممشوق القوام ، وفسرت سبب مجيئها فقالت إنها إنما جاءت إلى باريس لتقوم ببعض أعمال تتعلق بالمستشفى وأخبرتني أن الضباط ظراف جداً وأنهم لا يدعونها تعمل شيئاً ما مراعين في ذلك رقة صحتها . لقد كانوا يعنون بها كما لو كانوا جميعاً أزواجها . وتنهدت « مسكين جورج . من ذا الذي كان يظن أنني سأعيش بقلبي الضعيف بعده ؟ »

فقلت : ومسكين توم ! ولست أدري لم كرهت مني أن أقول ذلك فقد أرسلت إلى بسمتها الوادعة وقالت وقد اغرورقت عيناها الجميلتان بالدموع : إنك تتكلم دائماً كما لو كنت تنفس على هذه السنوات القليلة التي يمكن أن أحياها » .

— بالمناسبة . أوليس قلبك الآن في حالة أحسن ؟

— لن أتحسن مطلقاً . لقد عرضت نفسي هذا الصباح على إخصائي فقال إنه يجب علي أن أستعد لما هو أسوأ .

— حسناً . إنك تستعدين لذلك منذ عشرين عاماً . أوليس كذلك؟

ولما وضعت الحرب أوزارها أقامت لويز في لندن وكانت وقتئذ في الأربعين من عمرها نحيفة ضعيفة بعينيها الوسيمتين وخديها الشاحبين . ومع ذلك فلم تكن تبدو إلا وكأنها في الخامسة والعشرين من عمرها . وكانت إيريس قد شبت وأتمت دراستها فجاءت لتعيش معها . قالت لويز : ستعنى بي . حقاً إن من الصعب عليها أن تعيش مع امرأة عليلة مثلي ولكن ذلك لن يدوم طويلا أنا موقنة برضائها .

وكانت إيريس فتاة جميلة ، ولقد نشئت وهي تعرف أن صحة أمها

منحرفة فلم يسمح لها في طفولتها أن تحدث ضجة في البيت ، وكانت تدرك دائماً ما يجب عليها من مراعاة راحة أمها . وبالرغم من أن لويز قالت لها الآن إنها لن تسمح لها بأن تضحى نفسها من أجل امرأة عجوز مزعجة لم تستمع الفتاة لقولها فهي لم تكن تستشعر في عملها أنها تضحى بنفسها وإنما كانت تحس بالسعادة وهي تقوم بخدمة أمها العزيزة المسكينة . وتنهدت الأم وخلتها تقوم بجميع شئونها . قالت لويز : إن الطفلة مسرورة بأن تجعل من نفسها شيئاً ذا نفع . فقلت لها : ألا ترين أنه يجب عليها أن تخرج للرياضة من وقت لآخر . فقالت : هذا ما أقوله لها دائماً ، أنا لا أستطيع أن أقنعها بأن تسرى عن نفسها . يعلم الله أنني ما أردت قط أن أعنّى مخلوقاً بخدمتي .

ولما راجعتُ أيريس في ذلك أجابتني قائلة : مسكينة أمي العزيزة إنها تريدني على أن أخرج فأجالس الأصدقاء وأحضر الحفلات ولكنني أفضل أن أبقى في البيت فإنها في اللحظة التي أتهيأ فيها للخروج تعتريها نوبة من نوباتها القلبية .

لم تلبث إيريس أن وقعت في حب أحد أصدقائي . وكان شاباً طيباً حلو الشمائل تحبه نفسي ، ولقد رضيت به إيريس حين تقدم لخطبتها ففرحت بأن الفرصة في أن تحيا حياة مستقلة قد هيئت لها . واعترض أيريس الشك في إمكان الزواج ولم يلبث الشاب أن حضر إلى ذات يوم وهو في أشد حالات الحزن وأخبرني بأن الزواج قد تأجل إلى أجل غير مسمى .

لقد أحست إيريس بأنها لا تستطيع أن تترك أمها . وطبعي أن المسألة لم تكن تخصني بالذات ولم يكن لي فيها دخل ولكنني اهتبلت الفرصة وذهبت لأقابل لويز . لقد كان يسرها دائماً أن تستقبل أصدقاءها وقت تناول الشاى ، أما وقد تقدمت بها السن الآن فقد أحاطت نفسها بمجموعة من الرسامين والأدباء .

فقلت لها بعد قليل : حسناً . لقد سمعت أن إيريس لن تتزوج

— أنا لا أعرف شيئاً عن ذلك . كان يحق لها أن ترفض الزواج لو كنت أنا التي رغبت في ذلك ولكنني توسلت إليها وأنا جاثية على ركبتي أن لا تفكرى في . لكنها رفضت أن تتركني

— ألا ترين أن في ذلك قسوة عليها ؟

— من غير شك . ولكن هذا لن يدوم أكثر من أشهر قليلة ثم إني أكره أن يفكر أحد في أن يضحى بنفسه من أجلي .

— يا عزيزتي لويز لقد دفنت زوجين ولا أرى أي مانع يقف بينك وبين التفكير في دفن اثنين آخرين .

فقالت وقد ضاقت بكلامي أشد الضيق : أو تجد في المزح بي متعة لك ؟

— يبدو لي انك تقوين دائماً على ما تريدين فمله وأن قلبك الضعيف إنما يمنعك من عمل الأشياء التي تضايقك .

— أوه . أنا أعرف . أنا أعرف ما تعتقده في دائماً . إنك لم تصدق قط أني كنت مريضة في يوم من الأيام أوليس كذلك ؟

فقلت لها وأنا أحدق في عينيها : بلى إن ما أعتقده هو أنك قد خدعت من حولك هذا الخداع الهائل مدة خمس وعشرين سنة وأنك أعظم امرأة قابلتها أنانيةً وبشاعةً . لقد حطمت حياة هذين الزوجين التعسين والآن تريدين أن تحطمي حياة ابنتك .

لم يكن ليأخذني العجب لو أن لويز قد أصيبت في هذه اللحظة بنوبة قلبية وكنت متوقعاً كل التوقع أن تثور على ثائرتها ولكنها اكتفت بأن ابتسمت في وجهي ابتسامة رقيقة وقالت : يا صديق المسكين . في يوم ما ستندم أشد الندم على ما قلته لي الآن .

— أوصممت على أن تمتنع إيريس عن الزواج بهذا الشاب ؟

— لقد توسلت إليها أن تتزوجه . أنا أعرف أن ذلك سيقتلني . ولكن هذا لن يهم فما من أحد يأبه لشأني وإنما أنا حمل على كل إنسان

— أوقلت لها إن هذا سيقتلك ؟

— لقد اضطرتني هي إلى ذلك .

— كما لو قد طلب منك أي مخلوق أن تملي شيئاً لم تكوني تفكرين في عمله .

— يمكنها أن تتزوج من حبيبها غداً لو شاءت . وإذا كان ذلك يقتلني فليكن .

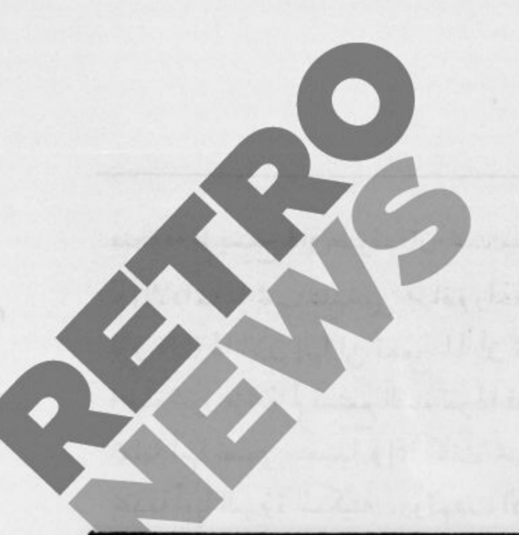
— حسناً . فلنجازف .

— أولا تشفق علي .

— ما من مخلوق يستطيع أن يشفق على من يسليه تسليتك لي

فقامت وجنتاها الشاحبتان وظهر الغضب في عينيها رغم أنها كانت لا تزال تبتسم . قالت : ستتزوج إيريس في ظرف شهر وإذا حدث لي شيء فأرجو منكما أن تطلبان لنفسيكما الصفح والغفران . وسارت الأحوال على أحسن ما يكون . وحدد اليوم وأعدت ثياب العرس الرائعة ووزعت الدعوات . وكانت إيريس وفتاها الطيب مشرقين . وفي يوم الزفاف في الساعة العاشرة صباحاً أصيبت لويز هذه المرأة الشيطانة بنوبة من نوبات قلبها ولفظت أنفاسها ... ماتت في وداعة وقد صفحت عن إيريس التي كانت سبباً في قتلها .

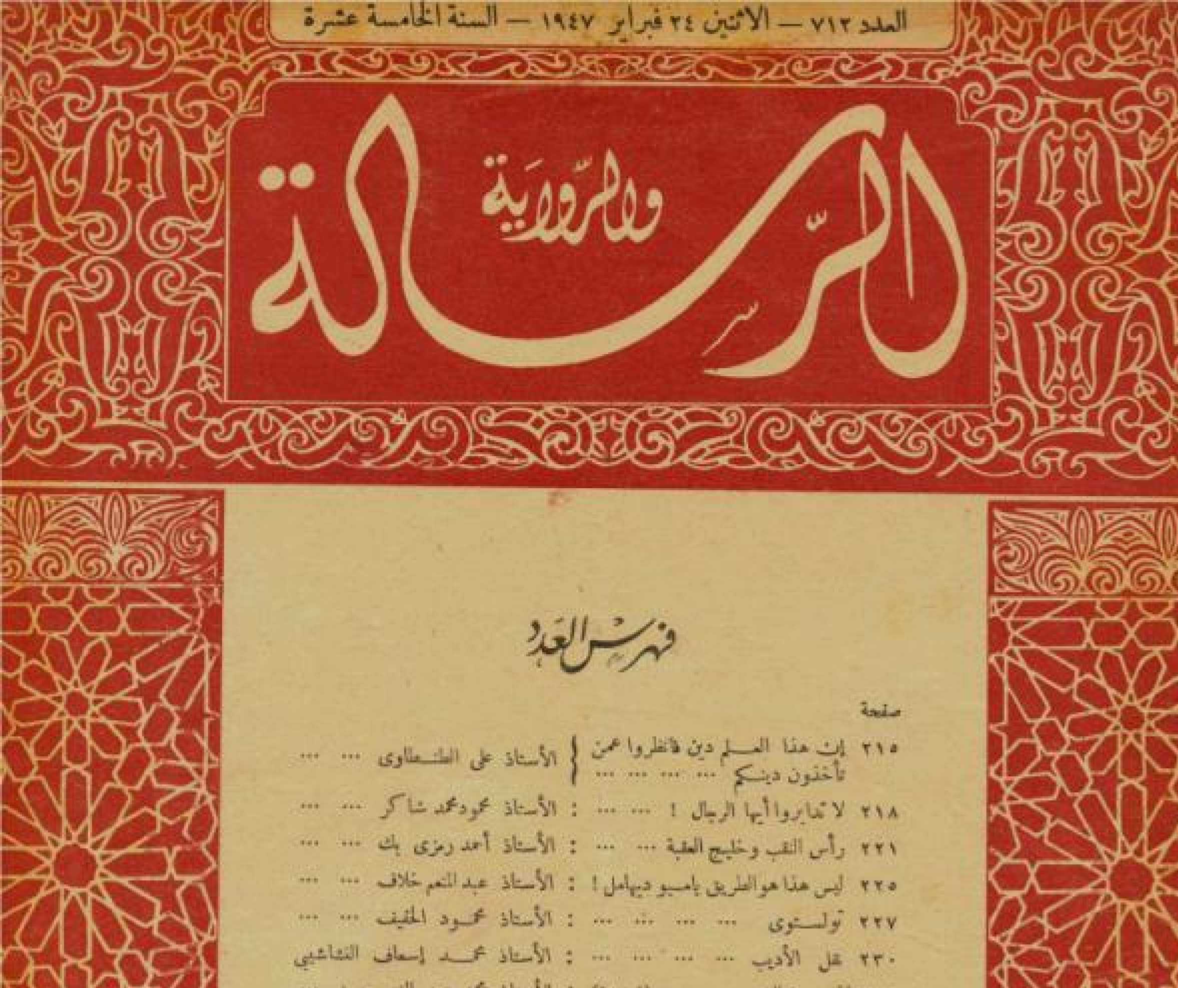
**السيد مصطفى غازي**






مطبعة الرسالة

العدد ٧١٢ — الاثنين ٢٤ فبراير ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة




## فهرس العدد


صفحة

٢١٥ إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم ... ... ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ...

٢١٨ لا تدابروا أيها الرجال ! ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ... ...

٢٢١ رأس النقب وخليج العقبة ... ... : الأستاذ أحمد رمزى بك ... ...

٢٢٥ ليس هذا هو الطريق يامسيو دیهامل ! : الأستاذ عبد المنعم خلاف ... ...

٢٢٧ تولستوى ... ... ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ... ...

٢٣٠ نقل الأديب ... ... ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٢٣٢ فى حيرة اليد ... ... (قصيدة) : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ...

٢٣٣ « **الأدب والفن فى أسبوع** » : مؤتمراتنا الثقافية — فى ذكرى الأفغانى — لغة ... وأسلوب ! — وآخر برجالى ... ... ... ...

٢٣٥ « **رسالة النقد** » : حول كتاب « الرسالة الخالدة » : بين معالى عبد الرحمن عزام باشا والأستاذ محمد بهجة الأثرى ... ... ... ... ... ... ... ... ...

٢٣٩ « **البريد الأدبى** » : فقيد العلم والإسلام — مرحى توفيق الحكيم ! — فن وتجارة — تصحيح آية ... ... ... ... ... ... ... ... ...

٢٤١ « **القصص** » : بعد المعركة ... : للكاتب الروسى الكسى تولستوى ... بقلم الأديب فريد وجدى الطبرى ...


مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧١٢ — الاثنين ٢٤ فبراير ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة




## فهرس العدد

صفحة

٢١٥ إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم ... ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ...

٢١٨ لا تدابروا أيها الرجال ! ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ... ...

٢٢١ رأس النقب وخليج العقبة ... ... : الأستاذ أحمد رمزى بك ... ...

٢٢٥ ليس هذا هو الطريق يامسيو ديهامل ! : الأستاذ عبد المنعم خلاف ... ...

٢٢٧ تولستوى ... ... ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ... ...

٢٣٠ نقل الأديب ... ... ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٢٣٢ فى حيرة اليد ... ... (قصيدة) : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ...

٢٣٣ « **الأدب والفن فى أسبوع** » : مؤتمراتنا الثقافية — فى ذكرى الأفغانى — لغة ... وأسلوب ! — وآخر بريطانى ... ... ...

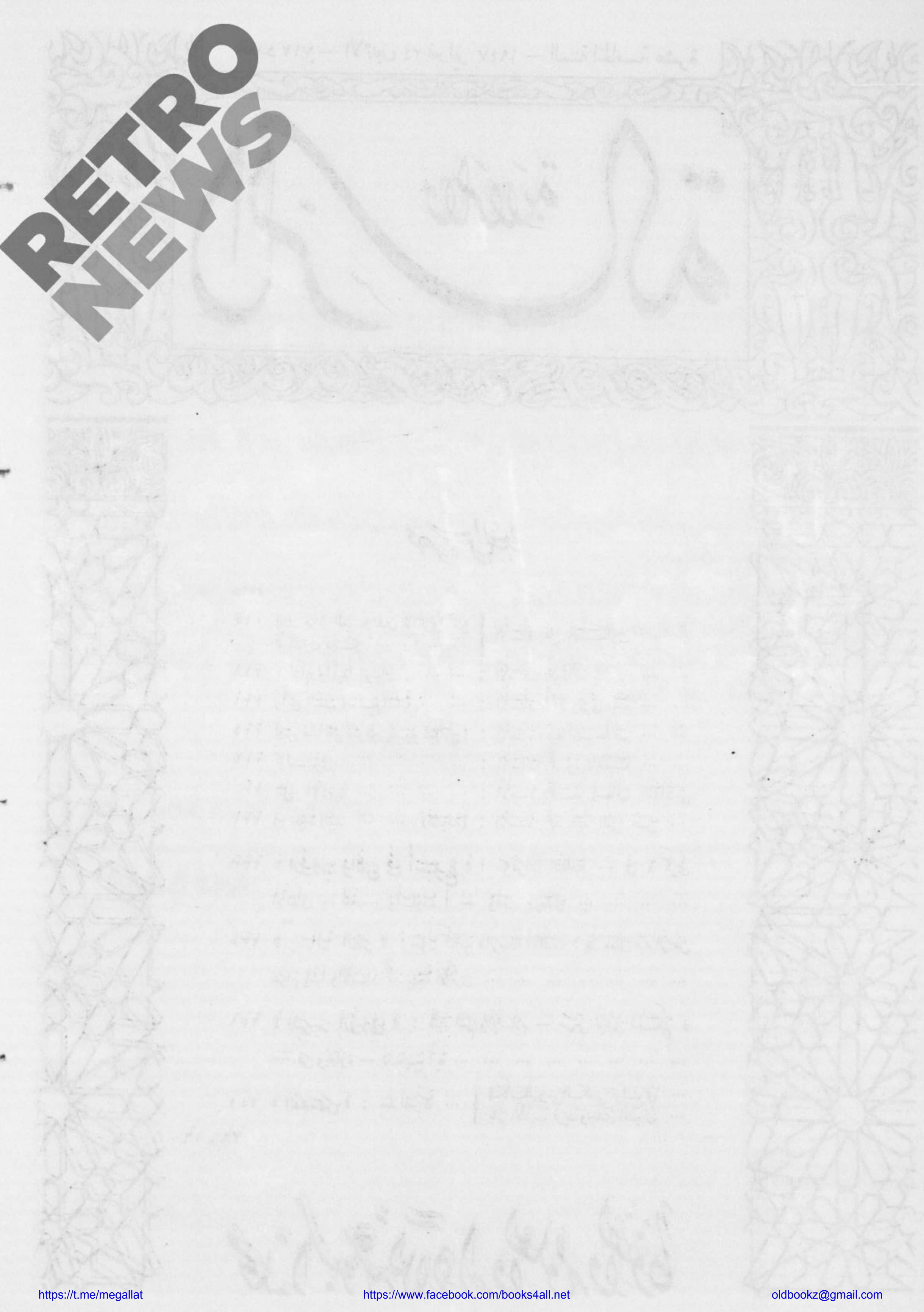
٢٣٥ « **رسالة النقد** » : حول كتاب « الرسالة الخالدة » : بين معالى عبد الرحمن عزام باشا والأستاذ محمد بهجة الأثرى ... ... ... ... ... ...

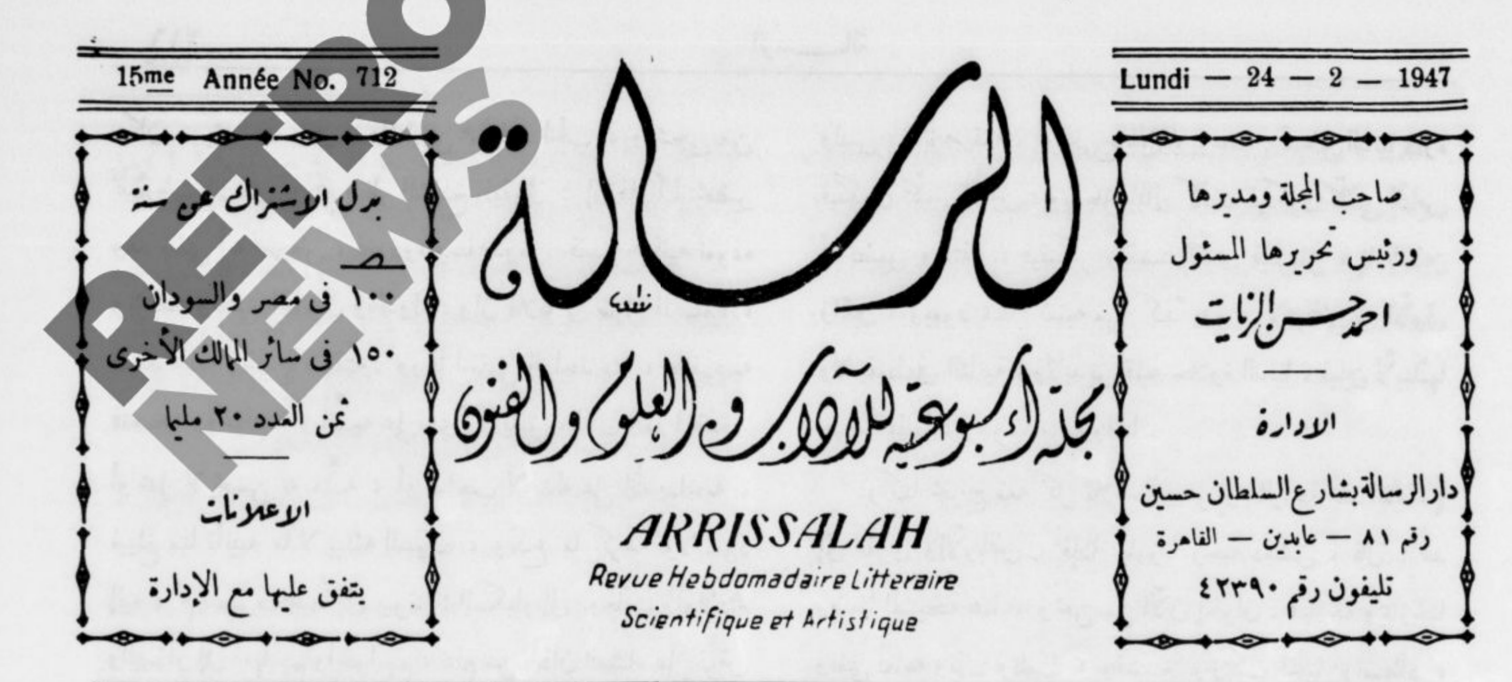
٢٣٩ « **البريد الأدبى** » : فقيد العلم والإسلام — مسرحى توفيق الحكيم ! — فن وتجارة — تصحيح آية ... ... ... ... ... ... ...

٢٤١ « **القصص** » : بعد المعركة ... : للكاتب الروسى الكمى تولستوى ... بقلم الأديب فريد وجدى الطبرى

٢٨٠١٦

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون




15me Année No. 712 — Lundi — 24 — 2 — 1947

الرسالة — مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH — Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول احمد حسن الزيات

الادارة: دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة: ١٠٠ فى مصر والسودان، ١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى، ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات: يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٧١٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ ربيع الثانى سنة ١٣٦٦ — ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

# إن هذا العـــــلم دين

## فانظروا عمن تأخذون دينكم

للأســـتاذ على الطنطاوى

أنا لم أتشرف بالانتساب إلى الأزهر ولا إلى غيره من المعاهد الشرعية ، لأنى تعلمت فى المدارس الأميرية من دار الحضانة إلى كلية الحقوق ، ولكنى نشأت من صغرى بين كتب العربية والدين ، وربيت فى مجالس العلم والأدب ، لأن والدى رحمه الله كان من كبار علماء دمشق ، وكانت دارنا من الدور العريقة فى العلم ، فلم تكن تخلو يوماً من مراجعات أو مناقشات ، ونظر الكتب ومقارعات بالحجج ، ومن عامة يستفتون وطلبة يقرأون وعلماء يبحثون ، فلما توفى والدى لزمت عالماً أزهرياً متفنناً ، فكنت أنصرف من المدرسة فأراجع دروسها على عجل ، ثم أتعشى ( وكان العشاء فى تلك الأيام بعد العصر ) وأصلى المغرب وأمضى إليه فى مسجده ، فأقعد مع الطلبة ننتظره حتى يفرغ من صلاته ، وكنا نحو الخمسين طالباً ، منا تلميذ المدرسة ومنا التاجر ومنا الموظف ، ومنا الشاب ومنا الكهل . وما يبتغى أحد منا بالعلم دنيا ، ما نبتغى إلا العلم وحده لنعرف به الحلال من الحرام ، نرى طلبه علينا فرضاً ، وتحصيله عبادة ، فكنا نجد فى المطالعة لذة ، وفى الحفظ مسرة ، وفى التعب راحة ، فنطالع الدرس قبل أن نقرأه ، ونطالعه بعد أن نقرأه ، ونحقق مسائله ونحفظ شواهده ، ونفتش عن الشروح له والحواشى عليه …

فإذا قضى الشيخ صلاته أقبل علينا فسلّم فرددنا عليه السلام ، لا نقوم له لأنه أدبنا بأدب الإسلام ، وليس منه هذا القيام ، ولكن تثب لمقدمه قلوبنا ، وتخشع لمحضره جوارحنا ، وتنبض بحبه وإجلاله كل ذرّة فينا ، فيقعد ونحن من حوله ، فيسمى الله ويحمده ويشرع فى درس النحو ، فيقرأ المعيد ويشرح هو ، ويقيم أحدنا إلى لوح أسود كالذى يكون فى المدارس ، فيملى عليه الشاهد ليوضح عليه القاعدة الجديدة ويذكر بالقواعد القديمة ، وكان أحب شىء إليه أن نستعيده ونستوضحه ونناقشه ، فيعيد ويوضح ويجيب باسم الثغر ، طلق المحيا ، مشرق الشيبة محبوباً مهيباً . فيملك بخلقه قلوبنا ، وبعلمه عقولنا ، ثم يختم الدرس بحمد الله كما بدأه بحمد الله ، ويؤذن المؤذن فنقوم إلى الصلاة ، فنرى السكينة قد حفّت المجلس ، والرحمة قد نزلت عليه ، ونحس بالملائكة قد حضرته ، ويؤمنا الشيخ فيقرأ قراءة إخال من روعتها كأن القرآن قد هبط به الوحى آنفاً ، ولقد سمعت قراء أحلى صوتاً ، وأصح نغماً ، فما سمعت مثلها أبداً . فإذا قضيت الصلاة قعدنا نذكر الله بقلوب حاضرة ، وألسنة رطبة ، وجوارح خاشعة ، ثم من شاء منا قبل يد الشيخ (ولا يكاد يسمح بتقبيلها ) وانصرف ، ومن شاء بقى يستمع إلى حديث الشيخ ،

وكان حديثه أعذب فى آذاننا من همسات الحب ، وأشجى من عبقريات الأغانى ، ثم ينظر الشيخ فيقول : إن فلاناً لم يحضر وقد بلغنى أنه مريض ، فعودوه وساعدوه . فنسرع إليه نعوده ونؤنسه ونأتيه بالطبيب وبالدواء . وإن فلاناً فى ضيق فأعينوه ، فنسد خلته ونفرج ضيقته . وربما استبق الواحد منا ، فانفرد به فنصحه ووعظه ، أو أنَّبه على زىّ لا يليق بطالب العلم اتخذه . أو محل لا يحسن به حلّه ، أو صاحب لا يدله على الله صاحبه ، فيبلغ منا تأنيبه ما لا يبلغه السيف ، وندع ما كرهه ولا نعود إليه ، ثم ننصرف جميعاً إلى بيوتنا : الكبار إلى زوجاتهم وأولادهم والصغار إلى أمهاتهم وأخواتهم ، ننام من أذان العشاء على فرش التوبة والاستغفار ، ثم نقوم فى بواكر الأسحار ، عند ما يفيق الديك والمؤذن والنور ، فنتوضأ فنطهر بالماء أجسادنا ، ونصلى فنطهر بالصلاة أرواحنا ، ثم نمضى إلى المسجد فنؤدى الغداة مع الجماعة ، ثم نجلس فى حلقة الشيخ ، لنقرأ عليه الفقه والحديث والتفسير فى الصباح ، كما قرأنا النحو أولا والبلاغة ثانياً فى المساء وكما يقرأ عليه غيرنا غير هذا وذاك النهار كله ، فلا تلقى فى حياة الشيخ إلا العلم والدرس ، والمراجعة والبحث ، تتخللها مواعظه العامة ، وتوجيهاته الناس ، فهو المرجع فى كل شىء : فى الانتخابات العامة يسألونه فيأمرهم بأهل الدين والورع من أى حزب كانوا ، وفى الخصومات يرفعونها إليه ، فيزيلها بالصلح ، أو يفصلها بالحق وفى الأحداث كلها يبين فيها حكم الله . وكان كل نائب أو وزير يؤم داره خاشعاً متواضعاً كأنه يمشى إلى حرم ، فيريه عزة العلم ، وجلال الحق ، ولطف المؤمن ، وتواضع العظيم ، ويعظه ويأمره وينهاه ، ولا يرزؤه شيئاً من دنياه . وكان أيام الثورات على الفرنسيين هو الداعى إلى الجهاد ، وهو قائد القواد ، أرهبه الفرنسيون فلم يخف ، ورغّبوه فلم يطمع ، وأزعجوه فما لان ، فتركوه لم يجرؤوا عليه ودونه أهل البلد يفدونه بأنفسهم وأهليهم .

أما الدنيا فلم يكن يسأل عنها أقبلت أو أدبرت ، ولم يكن يفكر فيها ضاقت أو اتسعت ، فإن حضره الطعام حلالا أكل ، وإن دعاه محب أو فقير أجاب ، وإن أهدى إليه قبل ، فان كانت الدعوة أو الهدية من فاسق أو متكبر أبى . يلبس ما وجد فربما كانت عليه الجبة من الجوخ الثمين فمر به فقير مقرور فدفعها إليه ، ولبس عباءة مرقعة ، أو خرج بالإزار وحده . تدخل الدنيا داره فيكون كأنعم الناس ، ويدخل المال كيسه فيكون كأغنى الناس ثم يضيق ويفتقر ، فيتنكر ويقصد القرى فيشتغل فيها بالطين واللبن ، ويعود بما كسبه من كدّ يده ، لا يطغى فى الأولى ولا يقنط فى الثانية ، ولا يذيق قلبه حلاوة الدنيا ، فيلين لأبنائها حرصاً عليها ، وخوفاً من زوالها .

وكنا نخرج معه كل ثلاثاء ( وهو يوم الراحة عند العلماء ) إلى القرى والأرباض ، فإذا جاوزنا رحبة دمشق ، قال : قد وضعنا المشيخة هنا ، ونحن من الآن إخوان . فنمازحه ويمازحنا ونغنى أمامه ونثب ونلعب ، ونسبح ونركب الخيل ونصطاد ، وكان يرغبنا فى السباحة والفروسية والرمى ، وسائر أنواع الرياضة ، لأن ذلك من سنة الإسلام ، ويود أن يكون ممنا فيه ولكن السن تمنعه والضعف والكبر ، ثم نعود من الغد إلى الدرس ، ونحن أصفى الناس ذهناً ، وأطيبهم نفساً ، وأشدهم نشاطاً .

***

ولازمت من بعده مشايخ كثيرين كانت حالهم كحال الشيخ أو قريباً منها ، وكانت حياتهم علماً وعملا ، ومنطقاً وخلقاً ، وكانوا كلهم يحدثوننا عن الأزهر وما فيه ، حتى حبّب إلينا الأزهر القديم من أحاديثهم ، وتخيلناه جنة الروح ، ونعيم القلب ، وتوهمنا أن ما رأيناه من أحوال مشايخنا وردة من تلك الجنة ، وطرفا من ذلك النعيم ، وبتنا نتشوق إلى الأزهر ، ونتمنى أن نزور مصر لنراه ، فلما قدمت مصر سنة ١٩٢٨ رأيت الأزهر قد تغير عما وصفوه لنا ، وحال عن حاله التى حدثونا عنها ، فتركته ودخلت دار العلوم العليا . ثم لما عدت سنة ١٩٤٥ ، لم أجد الأزهر وإنما وجدت مسجداً خالياً ، وكليات تنتسب إليه ليست إلا مدارس كما عرفنا من المدارس ، فبكيته لما فقدته ، وحننت إليه ، لا إلى سراج الزيت ، وحصير الرواق ، بل إلى ذاك التقى وتلك الأخلاق . بكيت فيه شيخى ، وبكيت فيه عهد الشيخ الذى مضى عليه اليوم أكثر من ربع قرن ، ولا تزال ذكراه غذاء لروحى ، وفرحة لقلبى ، وأنسة لى فى وحشة الحياة ، أفكر فيه كما يفكر العاشق المهجور فى ليالى الوصال ، والسجين فى أيام الحرية ، والمفلس فى زمان الغنى ، بل إنه لأحب إلىّ من عهود

الحب ، وليالى الوصال ، لأنها لذة الهوى وهو حلاوة الإيمان ، ولأن ذكراه ذخرى الذى لا يفنى ، ومفزعى كلما دهمتنى خطوب هذه الحياة المادية التى تختنق فيها الروح ، ومعين اليقين لى فى وادى الشكوك .

***

رحمة الله على أولئك المشايخ الذين كانوا ينابيع العلم ، ومنارات الهدى ، وأئمة الخير . وما كل المشايخ الأولين كانت لهم هذه الخلال ، وما كل علماء اليوم تجردوا عنها ، ولكن الأعمال بالنيات ، والأمور بالمقاصد ، وأولئك كانوا يقصدون العلم والدين ، فكان الأصل أن يكونوا أهل علم ودين إلا من شذ منهم ، والكمال لله وحده ، وهؤلاء الطلاب يقصدون الشهادة والمنصب فكان الأصل أن يكونوا أصحاب منصب وشهادة إلا من شذ منهم ، والخير لا ينقطع فى هذه الأمة إلى يوم القيامة .

وما أنا بالمحامى عن عهد بذاته ، ولا عن أشخاص بأعيانهم ، لكنما أدافع عن تقوى العالم وأمانة العلم ، والعلم إذا لم يكن معه أمانة كان الجهل خيراً منه ، كالطبيب الفاجر ، يغش المريض ويماطل فى العلاج ، ابتغاء دوام الحاجة إليه ، وتدفق المال عليه ، بل ربما بالغ فى الفجور فلم يمنعه علمه إن لم يكن أميناً أن يقتل المريض بالسم ، بدلا من شفائه بالدواء .

***

وخلاصة القول أن نبينا صلى الله عليه وسلم علمنا أن هذا العلم دين ، وأمرنا أن ننظر عمن نأخذ ديننا ، ونحن لا نستطيع أن نأخذ العلم إلا عن رجل نثق بدينه كما نثق بعلمه ، ونطمئن إلى إيمانه كما نطمئن إلى منطقه ، فان لم يكن إلا العلم والمنطق ، لم ينفعاه عند الله شيئاً .

وأنا لا أقيس الأزهر على الجامعات ، فالجامعات فيها العلم والفن ، وفيها الكفر والإلحاد ، لا يمنع منه عندهم أنه كفر ، مادام يسمى باسم الفلسفة أو العلم ، ذلك لأن أسلوب الجامعات أسلوب عقلى لا يبالى بالدين ، ولا يتقيد بالوحى ، وديننا لا يعارض قضايا العقل المسلّمة وأحكامه الثابتة ، ولا ينافيها ، ولكن أين هذه القضايا ؟ وهل يكون منها كل حكم يوصل الباحث إليه عقله ؟ فقيم إذن تختلف العقول ، ويتناظر الفحول ؟ أفنبنى ديننا على آراء الرجال ، فكلما جاء واحد منهم ببدعة فى الدين قلدناه فيها ، وأقمناه بيننا وبين ربنا ، وجعلنا ما جاء به من شرعنا ؟ ومن يكون إمامنا فى ديننا إذا لم يبق فى الأزهر أئمة دين ؟

ألا يكون ذلك تحقيقاً للحديث ، ومعجزة للرسول عليه الصلاة والسلام إذ قال : إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من صدور العلماء ، ولكن يقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم ، اتخذ الناس أئمة جهالا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ؟

نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى ، والكفر بعد الإيمان !

***

ألا إن ديننا يقوم على أدلة معروفة هى الكتاب والسنة الثابتة ، والإجماع الصحيح والقياس الجلى ، لا عمل للعقل فيها ، إلا الاستنباط والاجتهاد ، على ( الأصول ) المعروفة ، والسبيل المسلوكة ، واتباع البيضاء النقية ، والاقتداء بالسلف الصالح ، فان جاوز هذا الحد ، لم يجز لمسلم أن يعوّل فى دينه عليه ، أو يرجع فى الحكم إليه .

ونحن نريد علماء من أمثال هذا الشيخ رحمه الله ، يعلمون ويعملون ، ويتبعون ولا يبتدعون ، ويتقون الله سراً وعلناً ، ويحكمون الشرع فى خاصة نفوسهم وعامة أمورهم ، لا تذلهم الدنيا ، ولا يفسدهم الفقر ، ولا يطغيهم الغنى ، فان كانوا كذلك فليخرّجهم أساتذة جامعات ، أو وعاظ جوامع ، وليكونوا بعدُ فلاسفة فالإسلام لا يعادى الفلسفة ما لم تكن كفراً ، وليكونوا باحثين فالإسلام يحب البحث ، وليكونوا مجددين بالاجتهاد ما داموا متبعين فى أصول الدين ، وليجلسوا على البساط أو على الطنافس ، وليقرأوا على السراج أو على الكهرباء ، وليسكنوا الأكواخ أو القصور ، ولينقطعوا إلى العلم أو ليكونوا أصحاب المناصب أو أعضاء المجالس وأولياء الأمر .

***

ولكن هل ينتظر أن تخرج هذه الجامعة الأزهرية أمثال أولئك العلماء ؟

هذه هى المسألة !

وأنا لا أحب أن أجيب عنها ، لأنى إن أجبت قلت مرة ثانية :

« ردّوا علينا الجامع الأزهر ، لا نريد هذه الجامعة الأزهرية !! » .

( القاهرة ) علي الطنطاوى

# لا تدابروا أيها الرجال!

للاستاذ محمود محمد شاكر

زعموا أن رجلا ضلّ له بعيرٌ فأقسم لئن وجده ليبيعنّه بدرهم، فأصابه، فقرن به سِنَّوْراً وقال للناس: « أبيع الجمل بدرهم، وأبيعُ السنور بألف درهم، ولا أبيعهما إلا معاً ». فقيل له: « ما أرخصَ الجملَ لولا المرَّة! » فذهبت مثلا!

والظاهرُ أن بعض ساستنا لا يفتأون يفعلون فِعْل هذا الأعرابىّ، كأنما كُتِبَ عليهم أن يتحدَّوْا دائماً إرادة هذا الشعب المسكين المصفّد فى الأغلال الوثيقة، وكأنما كُتب عليهم أن يختلقوا العِنادَ اختلاقاً حتى يضيِّعوا عليه كل فرصة سانحة لنيل حقوقه المهضومة منذ قديم الأيام، وكأنما كُتبَ عليهم أن يتعيَّشوا بنكَبَات هذا البلد وآلامه. وإلاّ فليحدثنا هؤلاء الساسة فيم يختلفون اليوم، وعلامَ يتدابرون تدابُر الذئاب التى قال فيها القائل:

وكنتَ كذئب السَّوْء، لما رأى دماً
بصاحبه يوماً، أحالَ على الدَّمِ!

لقد ظلّت المسألة المصرية السودانية منذ أكثر من نصف قرن وهى تتخبط فى أساليب السياسة البريطانية وتكاذيبها وخُدَعها وتغريرها بعقول الرجال، وتكاثرت النكَبات على مصر والسودان، واتخذت بريطانيا صنائع لها لبسوا ثوب الصديق وهم ألدُّ عدوٍ وأبشَمُه وأخلاه من الشرف والمروءة، ولم تزل مصر والسودان تجاهد بطبيعتها الحرة الصريحة المكنونة فى صدور أهل هذا الوادى الحر النبيل، فغلبت الشرّ وقهرته، واستعلنتْ على أبْيَن ما تكون وأكمله، فانتهينا من ذلك الوباء الفتاك الذى كان ينخر فى جسم هذا الوطن، والذى كان يتهادى عليه من سماسم الناس « زعماء » — انتهينا من وباء « المفاوضة » ومن حصر المسألة المصرية السودانية فى حيازة بريطانيا وشرف تاجها ووُعودها المبذولة بألفاظٍ من سراب. وهذه النتيجة وحدها هى حَسْبُ مصر والسودان من جهادِها، فإنه لم يكن من المعقول أن يقف مغصوب ضعيف ليفاوض غاصباً قوياً مفاوضة النِدّ للندّ كما كان « الزعماء » يزعمون! ووالله ما ندرى كيف كان يجوز ذلك فى عقولهم « الزعيمة »؟ وكيف كانوا يخدعون الناس عن عقولهم « المزعومة »!! ولكنه كانَ، وعلم أسرار ذلك عند الله خالق الزعماء!

ثم خرجنا من بلاء المفاوضة إلى عرْض قضيتنا — قضية مصر والسودان — على مجلس الأمن أو هيئة الأمم المتحدة لتحكم بيننا وبين بريطانيا المغتصبة الجريئة على حقوق خلق الله، وعلى الإيقاع بين الأمم والشعوب، وعلى خلق المشكلات التى لا وجود لها، كما فعلت فى فلسطين، ثم تظاهرها بعد ذلك بأن حلّ هذه المشكلات هو همُّها، وهو تعبٌ صبَّه الله عليها وحمّلها إياه، وهى كانت تتمنى لو زعمتْ أن الله لم يصبّ عليها هذا التعب ولم يحمّلها عبء حله وتصريفه حتى تبلغ إرضاء المختلفين فى هذه المشكلات!! وهى تريد أن تخدع الأمم فى مجلس الأمن أو فى هيئة الأمم المتحدة بهذا الكذب الأبلق، وعندها من أفانين الدعاية وأساليب الصحافة، ومن رجال القلم واللسان ما يعينها على إجازة هذا الكذب الصِّرف إلى عقول الرجال فى مجلس الأمن أو سواه. وهى تعلم أن هؤلاء الرجال قليلا مايعرفون من سيئاتها ومظالمها وبغيها وجرائمها وآثامها فى هذا الشرق الذى ابتُلى بها وبخداعها.

وظنى بساستنا، هداهم الله، أنهم يعرفون هذا حق المعرفة، فإن لم يكونوا يعرفونه فقد نُبهوا مراراً ويوماً بعد يوم، فهم الآن على أتم علم بما يُخاف وما يُتجنَّبَ فى ساعة العُسرة التى نحن فيها منذ فتح الله مغاليق القلوب المُصْمتة فأدركت أن المفاوضة عبث لا يُجدى ولا يغنى، وإنما هو الجهادُ العامُّ فى سبيل نيل الحق المغصوب. فما معنى هذا التدابُر إذن؟

معناه أن هؤلاء الساسة قوم تصرفهم أهواؤهم لا حقوق هذا الوطن الذى أعطاهم حق الحياة فيما أعطى، ومعناه أيضاً أنهم قوم جمَدوا على سياسة لا يحسنون غيرها ولا يفهمون الأشياء إلا على أسلوبها، وهو أخسُّ الأساليب، ومعناه أيضاً أنهم يجهلون معنى خروجنا من أسر المفاوضات وارتفاعنا بقضية وادى النيل إلى مجلس الأمن أو هيئة الأمم المتحدة. ولو همْ نفوْا من

صدورهم هـذه الشحناء القديمة البغيضة لأدركوا موقف مصر والسـودان حق الإدراك . فالأمم لا ترتفع إلى مجلس الأمن أو هيئة الأمم إلا فى القضايا التى تهدد السِّلم العالمى ، أى التى يخشى أن تجرّ إلى حرب مبيدة بين الأمم ، فإذا ارتفعت أمتان إلى المجلس أو الهيئة لـكى يحكم بينهما ؛ فمعنى ذلك أنهما قد بلغا مبلغاً يمكنُ أن يسمى « حالة حرب » كما يقولون اليوم ، وإذن فاحتكامنا إلى مجلس الأمن معناه أن ههنا « حالة حرب » يرادُ من مجلس الأمن أن يتداركها . فإذا كان ذلك كذلك فهل فى عقل عاقل أن تـكون أمة فى ساعة أشبه بساعة حرب ، فإذا رجال من قادتها يقومون ليتنابزوا بالألقاب ويتكايلوا بالتهم ، ويتدافعوا بالبغضاء ، ويبسطوا ألسنتهم فى حديث الماضى الذى عفّى عليه الزمن حين عفّى على أسبابه وهى المفاوضات التى كان قوم يستأكلون بها كراسى الوزارات ومقاعد البرلمان ؟

ألا فليعلم هؤلاء جميعاً أننا لا نريد أن ننصر قوماً على قوم فما بنا إلى أحد منهم حاجة ، وأننا إنمـا نريد لهذا الوطن أن يخرج من المحن منصوراً مؤزّراً ظافراً بالحق المسلوب . إن مصر والسودان قد أعلنت على بريطانيا — باحتكامها إلى مجلس الأمن — ما يمكن أن يسمى حرباً بغير سلاح ، فـكل مصرى سودانى هو اليوم جندى منوط به حراسة الثغرات التى يتدسس منها العدوّ الأكبر وهو بريطانيا ، لا فرق بين كبير وصغير ، ولا زعيم ولا تابع ، فأهل هـذا الوادى جميعاً يدٌ واحدةٌ وسواسيةٌ كأسنان المشطِ فى التكليف الذى كلفوا به ، وعلى كل منهم أن يبذل ما وسعه من النصيحة والمشورة للذين سيتولون الدفاع عن حق الوطن فى ذلك المكان الذى سنحتكم إليه .

وخيرٌ لأولئك الذين يقولون : إن فلاناً هذا لا يصلح لعرض القضية المصرية السودانية على مجلس الأمن أو هيئة الأمم أن ينزعوا هذا الإفك من ألسنتهم فإنه بضلَة ومفسَدة وخذلان للوطن لا لفلان أو فلان ، وخير لهم أن يقضوا الليالى الطوال فى درس الحجج التى سنتقدم بها لإقناع رجالٍ يجهلون كل الجهل تاريخ النكبة البريطانية التى صبّها الله على رأس مصر والسودان ، وخير لهم أن يستخرجوا آثام بريطانيا وضروب بغيها فى مصر والسودان ، وفى الهند ، وفى فلسطين ، وفى سائر بلاد الشرق ليعرضوها جملة واحدة تصريحاً أو تلميحاً ليكشفوا لرجال مجلس الأمن عن فظائع بريطانيا وأفعالها البشعة منذ سلطها الله على هذه البلاد فإن أكثر التاريخ الذى يقرؤه هؤلاء مكتوب بأقلام بريطانية وأهواء بريطانية . وإلا فحدثونا مَن مِن رجال مجلس الأمن ، فضلا عن شعوب هؤلاء الرجال ، عرف ألوان الخساسات التى ارتكبت فى دنشواى ، وفى فلسطين أيام الثورة العربية ؟ إننا لن نذهب إلى مجلس الأمن وحده بالقضية المصرية السودانية بل سنذهب إلى كل فرد فى روسيا وأمريكا وسائر الشعوب المشتركة فى مجلس الأمن . وإننا لن نذهب بالقضية المصرية السودانية وحدها ، بل سنذهب بجميع قضايا الشرق الذى ذاق نكال بريطانيا أكثر من قرن ونصف قرن . إننا نريد أن نُدخل قضيتنا وسائر قضايا الشرق فى كل بيت وفى كل نادٍ وفى كل مصنع ، وفى كل مكان فيه إنسان يعقل — كما تفعل بريطانيا الغادرة بباطلها الذى تنفثه فى كل حنيّـة من حنايا هذا العالم ، متظاهرة بأنها المدافعة عن الحق وعن الحرية وعن العدالة وعن رفع مستوى الشعوب !! وياله من كذب لا يفله إلا الحق الأبلج ! فأين نحن من هذا كله ؟ أين ؟ أفى البغضاء ، وتمداد المساوىء الماضية ، وبسط الألسنة فى المطوىّ من الأحداث القديمة ؟ إننا لن ننال شيئاً إذا فعلنا إلا الخزى والعار وعرض فضائحنا على أعين الناس !

إننا أيها السادة محاربون ، فافعلوا فعل المحاربين فى ساحة القتال ، لا فعل المتشاتمتين على قارعة الطريق . واذكروا هذا الوطن ، فهو أحقُّ بالذكرى من ضغائنكم وإحنكم وثاراتـكم . اجعلوا هذه كلها دَبْرَ آذانـكم وتحت أقدامكم ، فإن الوطن يأمركم بهذا فأطيعوه ولا تطيعوا داعى الشهوات وكراسى الحـكم ومقاعد البرلمان فـكلها عرض زائل ، وإن هذه أمتكم أمة واحدة ، وهى هى التى تتقدم إلى مجلس الأمن بقضيتها ، لا فلان هذا ولا فلان ذاك ؛ فالـكلمة الآن لمصر التى أنتم أبناؤها ، لا لأحـدٍ منكم على حياله . فأجمعوا أمركم ، ولا تحملنـكم الـكبرياء على تزييف القول إرضاء لشهوات أنفسكم ، فإنكم إن فعلتم كدتم لبلادكم وأوطانـكم وشرقـكم كيداً لا يكيده عدوٌ حقود ولا شامت باغٍ لـكم أهوالَ المصائب . وماذا تريد بريطانيا إلا اختلاف الـكلمة وتفرّق الوحدة ؟ ألم تدركوا بعد ماذا كان

يريد كهف بريطانيا بيفن حين زعم أنه لم يعرف أنه أخطأ إلا يوم عزمت مصر والسودان على رفع قضيتها إلى مجلس الأمن ، فإنه زعم أنه أخطأ إذ أدار المفاوضات بينه وبين حكومة أقلية ! ! وياسبحان الله ! إنه لم يرد من تلك الأكثرية التي يعرّض بها إلا أن تكون خصومة ولدداً على حكومة الأقلية ، وأن يستثير دفائن الأحقاد ويفتّ من عضد الأمة التي سوف ترغمه وترغم بريطانيا على احترام إرادتها وحقها . فإن لم يكن في الاتحاد والتناصر إلا قتل هذه الكلمة وما ترمى إليه ، حتى يحمل الرجل حسرتها إلى الأبد — لكان ذلك واجباً مفروضاً وخيراً مرغوباً فيه. وكيف جاز في المعقول — أعني عقول بعض الساسة — أن الأمر أمر حكومة أقلية أو أكثرية !! لا أدرى ، ولكنه كان .

ومع كل ذلك ، فالأمر كله تدليس سخيف ، ففي البلاد المنكوبة المهضومة الحقوق ، لارأى لأكثرية ولا أقلية بل الرأى للشعوب وللبلاد — أى للشعب من حيث هو تاريخ ماضٍ وتاريخ حاضر وتاريخ مستقبل ، فحكومة الأكثرية لو هي خانت الأمانة وفرطت في حقوق البلاد ومهرت ووقعت وأسلمت المقاليد وعقدت المعاهدات وأقرها البرلمان وأجاز كل ما جاء فيها من تفريط — فذلك كله باطل ، لأن الحق ههنا حق طبيعيّ متوارث في البشرية كلها ، لا يغيّر رأى الأكثرية شيئاً من حقيقته وجوهره ، ولا تمتلك الدولة القائمة في أرض البلاد المحتلة أو المهتضمة أن تنزل عن هذا الحق لأحد ، فنزولها عنه عملٌ باطل من أصله .

وإذن فالذى يقيّد الأكثرية ، ويؤيدها هو حق الشعب وهى بحرصها على هذا الحق تسمى أكثرية لا بغيره . فلو جاءت الأقلية وفعلت ما يدل على أنها حريصة على هذا الحق الطبيعى المتوارث الذى لا يمكن حكومة أن تتنازل عنه لأحد ، فهذه الأقلية بمنزلة الأكثرية ، لأنها هى المطالبة بالحق الطبيعى ، وهذا شيء بيّنٌ واضح ، اللجاجة فيه شهوة وعبث .

أوليس عاراً أن يكتب المرء مثل هذا لقومٍ كان لهم جهاد في سبيل بلادهم ؟ إنه لعار . ألم يكن لهؤلاء أسوة حسنة في سورية ولبنان حين وقفت صفاً واحداً كالبنيان المرصوص ، على ما كان يومئذ من اختلاف أشد وأعنف من اختلاف رجالنا ؟ بلى قد كان .

أيها الرجال ! إن العالم كله ينظر إلينا ، وإن قلوب الشرق كله تخفق إشفاقاً علينا وحباً لنا ، وإن الأمم الجريحة التى مزّق الوحش البريطانى أوصالها قد كفّت عن الأنين لتسمع صوتكم وهو يدوّى في جنبات الأرض لتنسى عندئذ آلامها وأوجاعها ، وإن فلسطين — وآه لفلسطين — إن الجزع ليأكل قلوب أبنائها مخافة أن تزل أقدامنا ، وهم قد ناطوا بنا رجاء قلوبهم . فرفقاً أيها الرجال ولا تخذلوا شعباً مجاهداً كتب عليه أن يقاتل أنذال الأمم .

أيها الرجال ! لايغرنكم هذا الوحش البريطانى ، فإنه يضرب بقوائمه وهو كالصريع فذففوا عليه باتحادكم ، وأجهزوا عليه بتناصركم ، وانسوا مامضى وخذوا عدتكم للذى سيأتى ، فإنه النصر لمصر والسودان بإذن الله مذلّ الجبابرة ، ومُرْغِم الطغاة الغادرة ، وناصر الأمم المتآزرة .

محمود محمد شاكر

---

صحائف مطوية :

# رأس النقب وخليج العقبة

## حملة البرنس أرناط على الأراضي المقدسة الأسلامية عام ٥٧٨ هجرية

للأستاذ أحمد رمزي بك

قالوا « الحرب رحى ثقالها الصبر وقطبها المكر ومدادها الاجتهاد وثقافها الاناة وزمامها الحذر » ( العقد الفريد ) ، أما تلك التي أضعها أمامك فكانت ملحمة من ملاحم الحروب الفاصلة جمعت بين قوات البر والبحر معا ، وقامت فيها المصادمة على ظهور المراكب والمطاردة على رمال الصحراء . ولم تتسع للصبر لأن السرعة كانت عنصرها ، ولا للمكر والاجتهاد واصطناع الخديعة لأنها جاءت على غير استعداد ، ولم يصاحبها الحذر لأنها بُنيت على المفاجأة والاقدام .

كان مشروعاً دفعه الحقد والحق والغرور ، ذلك المشروع الحربي الذي دار بمخيلة البرنس أرناط صاحب الكرك وتسميه الفرنجة Renauld de Chatillon فقد أقسم أيمانا مغلظة على فتح الحجاز وإيذاء المسلمين في أشرف بقعة يقدسونها ، ولذلك أنشأ أسطولا في أراضيه جمله من قطع حملتها الابل ، وسارت بها وسط القفار ليلقي بها في خليج العقبة ، وساعده بعض أشرار البدو في عدوانه ولم تأت سنة ٥٧٨ إلا والأسطول يمخر عباب البحر الأحمر ، وإذا به ينقسم إلى فرقتين أقامت الأولى على حصن للمسلمين بخليج العقبة تحاصره ، واتجهت الاخرى جنوبا تهاجم موانئ البحر على الشاطئين الاسيوي والافريقي فاختل طريق الحج وأخذ الأسطول يطارد المسلمين في عقر ديارهم وعلى أمواج بحرهم ، فأصبحوا تحت رحمة هذا الجبار ، ولما وصل الخبر إلى مصر وكان بها الملك العادل ابو بكر نائباً عن أخيه السلطان صلاح الدين ، بادر بانشاء أسطول نقله إلى خليج السويس وسلم قيادته للحاجب حسام الدين لؤلؤ ، فسار مجداً في طلب الفرنجة حتى أوقع بهم بعد أن أمضوا شهوراً يجوبون البحر الأحمر إلى عدن وينزلون مقاتليهم إلى ساحل الحجاز ، فأحدثوا أموراً لم يسمع في الإسلام بمثلها حتى ذكر المؤرخون « أنهم توجهوا إلى المدينة النبوية فلم يبق بينها وبينهم سوى مسيرة يوم واحد » .

قرأت هذا في مراجعنا ثم وقع نظري على ما كتبه الأب لامنس اليسوعي إذ قال : « لفت خليج العقبة وموقع أيلة أنظار البطل الصليبي ولمس أهميته فعمل على احتلال تلك البقعة ونشر الرعب بأسطوله ، ولا شك في أنه ضرب مثلا باقدامه وجرأته لجمع كبير من أبطال الاستعمار الاوروبي وبناته الذين جاؤوا من بعده فجاهدوا مثل جهاده ، فهو الذي شق الطريق أمامهم وهم نسجوا على منواله » .

حرّكني هذا الكلام مع غيره مما قرأت من كتاب الاوروبيين الذين أشادوا بعمل البرنس ارناط ، أن أتتبع هذه الملحمة ، التي لم تعجبني الدوافع التي أملتها ، وإن كانت عملا حربيا كبيراً فيه المجازفة والمخاطرة إلى أبعد حدودها ، وأعجبت من عمل مصر ورجال صلاح الدين الذين عالجوا الموقف وخطورته بجرأة وإقدام ومجازفة لا تقل عما لدى الخصم وكان أن كتب النصر لهم .

فلنقف هنيهة لننظر ما يقدمه لنا ذلك العصر من بطولة وقوة ومن مشاكل وأحداث ومصاعب : في الفترة التي برز فيها هذا الخطر كان صلاح الدين بعيداً عن مصر ، يجمع شتات ملك الشام . كان ينازل الموصل بعد أن تم له فتح حران وسروج وسنجار ونصيبين والرقة وجميعها من بلاد الفرات الشامية ، فاذا برسول خليفة بغداد يستعطفه بشأن الموصل فيرحل عنها ليأخذ حلب من عز الدين مسعود الاتابكي ويعوضه عنها بسنجار .

في وسط هذه المعامع القائمة وتبدل الدول حيث يعمل البطل الكبير إلى عودة حدود المملكة المصرية الإسلامية إلى سابق عهدها ، كما كانت أيام آل طولون والاخشيد والفواطم في إبان مجدهم ، يفاجأ بهذه الحركة التي يقصد منها عرقلة مشاريعه وقطع اتصاله مع عاصمة ملكه . وسنرى أن العاهل الكبير أدرك خطورة هذه الحملة فقطع ما كان مزمعا عليه وعاد إلى الشام ليدبر حملاته الكبرى التي افتتح فيها أراضي الكرك والشوبك ثم انتهى إلى حطين حيث وقع البرنس ارناط اسيراً بين يديه .

لقد خدم ارناط العروبة ودين محمد ، فقد كنا نحبو إلى حطين

حبواً ، فإذا بالطاغية وماحمته التى اثارها يجعلنا نركض إليها ركضا ، نعم ، لنكتب على صعيد فلسطين أنباء المعركة الفاصلة فى التاريخ والتى حطمت ملكا أنشأه الفرنجة ظلما على أراضى آسيا الإسلامية بضربة واحدة ، وقدم ارناط للشرق كأساً مملوءة بالظفر شربها أبطالنا بعد مضى قرن من الزمن على المعركة الأندلسية الكبرى التى انتصر فيها يوسف بن تاشفين على جموع الاسبان وفلول الادفونش (٤٧٩هجرية - ١٠٨٦ميلادية) وأثبت عن حق أن عزائم المرابطين من قبائل المغرب كانت أقوى من عزائم الاسبان وفرسان أوروبا .

تلك هى الملحمة التى كانت فى الماضى نعمة علينا فالبستنا من بعد حطين ثوباً من القدرة والانتصار ، مالى أراها تعاودنى وتقلق مضاجعى ؟ اهناك أشياء آتية المسها من بعيد ، سيخلقها المستقبل لنا ؟

أنى أذكر تماماً أنه فى عام ١٩٣٥ حينما كنت بالقدس جاء إلى كاتب يهودى وقدم إلى مؤلفا بالعبرية كتبه عن أراضى النقب وطلب إلى أن أقرأه . وكان أن ساءات نفسى ما الذى يشغله بهذه البقعة النائية عن الحضارة الخالية من السكان ، وما ذا يقصد هؤلاء من النقب ، وهم لا يكادون يصلون إلى قرية بئر السبع إلا بشق الأنفس ؟ لم أر الأمر بعين الجد ، ودار حديث مع المؤلف عن هجرة إسرائيل من وادى النيل وضلالهم فى سيناء ، وعرضنا لكلمة التيه وعلاقة هذا الاسم بتلك القبائل التى تخطر فى الريف المصرى باحثة عن المرعى لقطعانها من الغنم والتى يطلق عليها العرب من السكان اسم هتيم ؟ هل هم سكان التيه ؟ لا أدرى . وما خرج المؤلف حتى فتحت الكتاب فإذا به خريطة شاملة لتلك البقعة الهامة من أرض الشرق العربى التى ستؤثر فى تاريخنا لألف سنة قادمة . واتجهت انظارى إلى العقبة إذ هناك تنتهى أراضى فلسطين الحديثة ، وتذكرت النزاع الذى قام عام ١٩٠٦ بين مصر والدولة العثمانية أو بين بريطانيا وتركيا . وتخيلت مجموعة كبيرة من الوثائق الرسمية والخرائط كنت اطلعت عليها من زمن مضى ومنها صور للفرمانات السلطانية التى منحت للخديويين والولاة ، وكانت الحدود بين مصر والدولة صاحبة السيادة عليها تنتقل بين السويس والعقبة أى تنتهى مرة هنا وأخرى هناك

فما الذى حرك السياسة البريطانية عام ١٩٠٦ لاثارة مسألة العقبة وجعلها مسألة دولية وما الذى دفعها لكى تفرض إرادتها فرضا على الدولة صاحبة السيادة على مصر ؟ أكانت تقرأ فى عالم الغيب والشهادة تطورات ضرب فلسطين ومواقع القتال أم معارك الدردنيل عام ١٩١٥ ؟ أما التقارير الرسمية والأوراق السرية فقد أظهرت للميان أن خطط اقتحام المضايق وغاليبولى قد وضعتها قيادة البحر مع اشتراك قيادة البر فى سنة ١٩٠٦ وهى السنة التى تمت فيها اتفاقات العقبة بين مصر وانجلترة من جانب والدولة العلية من جانب آخر ، فهل كان هذا من قبيل المصادفة ليس إلا ؟ لا أستطيع لذلك جوابا لأن للسياسة الأوروبية أسراراً وطلاسم أعجز عن فهمها .

مر كل هذا بذاكرتى بعد أن قدم المؤلف اليهودى كتابه مجلداً تجليداً حسناً ومهدى إلى ممثل الدولة التى مهدت له الدراسة وسهلت له التنقل فى ربوعها ليبحث مسألة علمية ، وليساهم بقسط ضئيل فى المعلومات والابحاث عن أرض النقب ، والنقب اسم متسع يشمل اجزاء من فلسطين وغيرها فى نظره .

وتمر الأيام والسنوات تترى وتشاء الأقدار أن أعيش بعصر بعيداً عن الحياة العامة ، فتهتز نفسى يوماً اهتزازاً قوياً ، ذلك لأن الجرائد اليومية تنشر ضمن أخبارها برقية من فلسطين تنبىء بأن جماعات صهيونية زحفت على أرض النقب وانشأت فى بضع ساعات عشر مستعمرات يهودية فى أماكن لم تكن مسكونة من من قبل .

نعم نقلت العمال والزراع والسكان ومواد البناء والبيوت مفككة وآلات الزرع والأثاث على السيارات فى ليلة واحدة وانشأت المستعمرات انشاء وأحكمت البناء ولم تقدر السلطات على الوقوف أمام هذه الحركة ولا ردها ، ولم يكن هناك سكان لأن أراضى النقب غير عامرة ، أما أهل البلاد وأصحابها فكانوا فى نوم عميق

هنا انتبهت وعدت إلى حملة ارناط أطلب الوحى منها . ألم ينقل المراكب والسفن مفككة على الجمال ؟ ألم يحط مشروعه بالكتمان ليبرز عنصر المفاجأة والمخاطرة ، ألم يكن سريعاً فى تصميمه وتنفيذ أغراضه . ولكن جاء رد الملك العادل سريعاً وحاسماً ، لم يحجم ويتردد ، لم يستشر ولم يترك الوقت يغالبه بل انشأ الأسطول ودفعه إلى البحر ، وجاء بالحاجب لؤلؤ وكان مظفراً وشجاعاً ونجداً فاخذ الأمر بالمفاجأة والمخاطرة والاقدام وكتب

للمسلمين صفحة من المجد .

فأين عمله من عملنا اليوم ونحن إذا رصفنا طريقا بين مصر والعباسة أمضينا الشهور والسنوات وغيرنا يقيم عشر مستعمرات فى ليلة واحدة ؟ .

رأس النقب يعمر وخليج العقبة تعود إليه الحياة ، إنها لكبيرة على النفس لأن صفحة جديدة من العراك والتصادم تبدأ ، لو كنا احياء نشعر بالاعصار القادم علينا .

***

إذا اردت أن تعرف بالضبط مدى هذه الصيحة ، أفتح خريطة لهذه المنطقة تجد حدود أربع دول تتلاقى فى بقعة واحدة هى نهاية خليج العقبة ، وتبدأ حدود مصر من « طابة » وهى مع فلسطين لايشار كهما فيها أحد ، أى إذا اردت الذهاب لشرق الأردن أو الحجاز أو نجد ، يجب أن تمر بالمر الفلسطيني وهو مثل ممر دانتزيج المشهور ، وبهذا المر تتصل فلسطين لأول مرة فى التاريخ مع المحيط الهندى واستراليا بدون أن تحتاج لقناة السويس .

ماذا يخبئه لنا هـــذا الاتصال وماذا سيكون من أثر هذا المر الأرضى؟ أشياء كثيرة سيعرفها الأبناء والأحفاد قبل أن يلمسها الأحياء الآن لانهم لاهون بأنفسهم وأطماعهم — أما من الناحية الأخرى فهنالك تتلاقى حدود مملكتين هما العربية السعودية وشرق الأردن ، وتقع مدينة العقبة فى داخل حدود الثانية .

لننظر الآن ماذا يقول القدماء عن العقبة : هى عقبة ايله وهى مدينة بين الفسطاط ومكة على شاطىء البحر تعد فى بلاد الشام وهى جليلة بها مجتمع حاج الفسطاط والشام[1]. وورد عن أيلة فى قاموس الكتاب المقدس أنها فرضة شهيرة فى أرض أدوم على الشاطىء الشرق من الخليج ، مربها بنو اسرائيل وكانت ذات شأن فى زمن سليمان والارجح أن داود تغلب عليها ثم استرجعها أهل أدوم . ونقل القريزى فى خططه أنها « كانت حد مملكة الروم وعلى ميل منها باب معقود لقيصر وكان بها قوة مسلحة يأخذون المكس ، وكانت فى الإسلام منزلا لبنى أمية وأكثرهم موالى عثمان بن عفان وكانوا سقاة للحج ، وكان بها علم كثير وآداب ومتاجر وأسواق عامرة وهى كثيرة النخل »، وقال عن العقبة « لا يصعد إليها من هو راكب ، ولذلك أصلحها فائق مولى خمارويه بن أحمد بن طولون ومهد الطرق إليها »، وعرض فى خططه إلى الحوادث التى نحن بصددها أى إلى حملة البرنس ارناط بتفصيل أعم مما ذكره فى السلوك فقال نقلا عن القاضى الفاضل : « فى سنة ٥٦٦ أنشأ صلاح الدين مراكب مفصلة وحملها على الجمال وسار بها من القاهرة فى عسكر كبير لمحاربة « أيلة » وكان الافرنج قد ملكوها وامتنعوا بها فنازلها فى ربيع الأول وأقام المراكب وأصلحها وطرحها فى البحر وشحنها بالمقاتلة والأسلحة وضيق عليها الحصار فى البحر حتى فتحها ثم أسكن فيها جماعة من ثقاته وقواهم بما يحتاجون إليه من سلاح وغيره وعاد إلى القاهرة »

وعن القاضى الفاضل أيضا « فى سنة ٥٧٧ وصل كتاب من نائب القلعة ان المراكب على تحفظ وخوف شديد من الافرنج إذ وصل البرنس (يقصد ارناط صاحب الكرك) وسير عسكره إلى ناحية تبوك ، وربط جانب الشام لخوفه من عسكر يأتى لمحاربته من مصر » وإنما سقنا كل هذه الاشارات ووضعنا فى وسط كلامنا ما سجلته المراجع لكى نثبت للقارىء المتيقظ الذى يهمه أمر مصر والبلاد العربية ومستقبل الأجيال القادمة شيئا واحداً : هو أن خليج العقبة ورأسه حيث ملتقى الحدود الأربعة كان موقعاً استراتيجياً مهماً جداً يؤثر فى عوامل التاريخ وبناء الممالك وفى حفظ الحدود وسوق الجيوش فى الجاهلية وفى الإسلام وقد ظهرت خطورته فى الحروب الصليبية وكاد أن يكون ضياع هــذا الركن حاسماً لولا أن قيض الله للمسلمين الملك القائد العظيم صلاح الدين الأيوبى ، الذى عرف فى الوقت المناسب أن يسد هذا الخرق ويحفظ هذا الثغر ويقى البلاد من عبث « أرناط » واخطار رجاله

ونعلم الآن ان هذا الموقع لم يكن مجمع الحاج من مصر والشام فحسب بل كان أكثر من هذا كان طريق الاتصال الوحيد بين مصر والشام حينما انقطع الطريق المعتاد بينهما بتهديد الصليبيين وأنه لولاه لتعذر على جنود شير كوه وابن أخيه صلاح الدين انقاذ مصر، ولولاه لتعذر على جند مصر الحصول على شرف القتال بمعارك فلسطين والشام . وإذا قلت ان طريق البحر كان مفتوحاً بين مصر والحجاز فلدينا وصف شامل عن رحلة ابن جبير الأندلسي من القاهرة لجدة ومالقيه من المتاعب فى طريق البر والصحراء وطريق البحر من عيذاب وما تعرض له من اخطار . فنحن أمام

(١) كلام أبي عبيدة نقله ياقوت

موقع هام من مواقع التاريخ يستدعى أن تتلاقى الحدود بشكل يسمح باجتماعها فى نقطة واحدة . وتنحدر من الماضى إلى العصر الحاضر وأهم مظاهر الدنيا هى الحروب ، فقد ذكرت المؤلفات الرسمية التى نشرتها وزارة الحربية البريطانية عن تاريخ الحرب العظمى الأولى طبعة ١٩٢٨ ما يأتى « لقد أصبح من المحتم بعد نشوب معركتى غزة الأولى والثانية مارس وإبريل سنة ١٩١٧ احتلال العقبة ، وقد تم ذلك بواسطة لورنس فى يوليو ١٩١٧ ، وباحتلالها مهد الأسطول فى جعلها قاعدة حربية ومركزا عسكريا ممتازاً ساعد كثيراً فى تهيئة واعداد العمليات الحربية التى سندت ميمنة جيش اللنبى فى قتاله مع الأتراك » ولبيان ذلك نرجع إلى ما كتبه حاكم القدس السابق « سنورس » فقد قرر « أن فترة الجمود التى سادت الجزيرة قد انتهت باحتلال العقبة التى أخذت مكان رابغ والوجه ، وجاءت الحرب العظمى الثانية فإذا بخليج العقبة من أحسن الأماكن أماناً لتفريغ العتاد الأميركى والمؤن والذخائر لبعده عن غارات الطائرات ، وكان أن انشأت السلطات العسكرية البريطانية خطاً حديديا اضافيا يبدأ من مدينة معان وهى على الخط الحديدى الحجازى ويتجه إلى الجنوب مشرقاً حتى ينتهى إلى رأس النقب . ومن هناك نظراً للانحدار الشديد تعذر أن يصل القطار إلى البحر فاكتفى بانشاء طريق معبد للسيارات انتهى إلى ثغر العقبة

هذه كلمة أولى عن المنطقة الواقعة على رأس خليج العقبة وهى فى الوقت نفسه رأس النقب إذا أطلقنا هذا الإسم على الشكل المخروطى الذى يبدأ عريضا من الشمال ويتقارب كلما انحدر جنوبا وهو الجزء من فلسطين الواقع بين حدود مصر وحدود شرق الأردن والذى صمم الصهيونيون على استعماره واستغلاله للوصول إلى البحر الأحمر ، وهم يتحدون بعملهم التاريخ والطبيعة والأقطار العربية . فما الذى أعددناه لمواجهة هذا النشاط الانشائى ؟

تبدو لى دائما الحركة الصهيونية أنها تحاول أن تأخذ شكلا توسعيا جارفاً ، ولكنى مع هذا ألمس أنها تسير وئيداً بخطوات منظمة ومتصلة وهى حركة خطيرة لأنها لا تحمل طابع الغرور والادعاء ولا تعتمد على الاغراء والزخرفة والتشويق وانما على الوسع والطاقة والعلم والتنظيم ، وتمر الأيام فإذا بخبر من رأس خليج العقبة ينبىء بأن أول منظمة يهودية لصيد الأسماك قد ظهرت على شاطىء البحر الأحمر وستكون بعد هذه الخطوة خطوات .

فماذا اعددنا للعمل فى هذه الناحية ؟ وهل المياه الاقليمية لمصر والمملكة السعودية محروسة ؟ وما هى القوة التى تحرسها فى خليج العقبة فى الوقت الذى تمر به أكبر الحوادث فى مستقبل العالم العربى ؟ لا أعرف شيئا عن اجتماعات العرب واتجاهات الجامعة فأنا بعيد عن الحاضر أعيش فى التاريخ ، ولذلك انقل من كتاب بعث به السلطان صلاح الدين إلى أخيه عن الاسرى الذين أتى بهم لؤلؤ إذ قال «هؤلاء الاسارى قد ظهروا على عورة الإسلام وكشفوها ، وتطرقوا بلاد القبلة وتطوفوها ، ولو جرى فى ذلك سبب والعياذ بالله لضاقت الاعذار إلى الله والخلق وانطلقت الألسن بالمذمة فى الغرب والشرق » وتقدم الشعراء بمدح الحاجب لؤلؤ فمن ذلك قول أبى الحسن ابن الدروى .

مر يوم من الزمان عجيب ... كاد يبدى فيه السرور الجماد
إذ أتى الحاجب الأجل بأسرى ... قرنتهم فى طيها الاصفاد
بجبال كأنهن جبال ... وعلوج كأنهم أطواد
قلت بعد التكبير لما تبدى ... هكذا هكذا يكون الجهاد
حبذا لؤلؤ يصيد الأعادى ... وسواه من اللآلى يصاد

وهو شعر كما ترى يتفق مع حالنا اليوم فى البيت الأخير .

**أحمد رمزى**

# ليس هذا هو الطريق يا مسيو ديهامل !

للأستـــاذ عبد المنعم خلاف

فرنسا تحس وتعلم غاية العلم أنها فقدت كثيراً مما كان لها فى العالم العربى من أمكنة ومكانات ، وضـيعت كثيراً من هيبتها وسمعتها لدى العرب ، وأن الثقة القديمة بالروح الفرنسى والثقافة الفرنسية أصابها كثير من الزلزلة والشك والهزال بعد تلك الصدمات التى طوحت بفرنسا وسحقتها فى معترك الأقوياء الذين أحاطوا بها من الشرق والغرب ، وبعد تلك المواقف غير المشرفة التى وقفتها فى سـوريا ولبنان ولا تزال تقفها فى المغرب العربى الواقع تحت حكمها القاسى الجامد المتغافل عن تيارات الحريات التى تحيط بالناس وتفتح أعينهم على عالم جديد وتكتسح العوائق والسدود

فرنسا تعلم ذلك وتقدر ما له من نتائج على مستقبلها بل على حاضرها وتريد أن تتخذ الحيطة للاحتفاظ بما بقى لها من تلك السمعة المتداعية ولإنمائها إذا أمكن ذلك حتى تعود إلى المكانة السامية التى لم تكن تدانيها فيها حتى انجلترا ذات السـيطرة الرسمية وذات العلاقات الوطيدة فى كثير من البلاد العربية . . لكن فرنسا من سوء حظها تخطىء فى التماس الوسائل إلى إعادة سمعتها ومكانتها وتصطنع تلك الأساليب السطحية التى أصبحت لا تتصل بصميم ضمير الشعب العربى ووعيه ولا ترضى طبيعته التى شبت عن الطوق ولم تعد تنطلى عليها تلك الدعايات التى تتصل بالترف الذهنى والعلاقات الكمالية وإرضاء بعض الطبقات الوشكة على الانقراض فى الحياة المصرية ،طبقات الصالونات والأندية التى تعيش بمعزل عن غمار الحياة اليومية المصرية والقومية العربية .

فإذا كانت فرنسا تريد أن تسلك السبيل القريبة إلى صداقة القومية العربية الناهضة التى أصـبحت حقيقة سياسية ملموسة يحسب لها حساب فى الحاضر والمستقبل القريب والبعيد ، وإلى صداقة المصريين الحقيقيين بنوع خاص فعليها أن تلتمس لذلك وسائله العملية وتترك أمر الدعايات الكلامية والسفارات الأدبية التى تجند لها بعض مفكريها وأدبائها كسيو جورج ديهامل الكاتب الشهير وتحملهم مشقة السفر وعناء الرحلة والحديث المكرر المملول عن فرنسا وخدماتها للثقافة ثم لا يكون من وراء ذلك طائل كبير ولا تبقى آثاره إلا ريثما ينفض الحفل وتنفض سوامر الصالونات ولا يرسب من ذلك شىء فى أعماق المجتمع المصرى يصح أن يكون ذخيرة أو خميرة لبناء صداقة عربية فرنسية تخدم الحضارة وتكون عاملا من عوامل الاستقرار والتفاهم والتوازن فى البحر الأبيض المتوسط الذى يحتل العرب الجزء الأكبر منه . فعلى فرنسا إن كانت تريد عملا لا كلاماً أموراهامة نرشدها إليها لأننا أعرف من فرنسا بما يفتح قلوبنا لها: عليها أن تغير أولا نظرتها « الصليبية » بالنسبة للعرب والمسلمين التى حملتها على احتقار المغاربة والعرب عموماً والتنـكيل بهم ، وأن تتحرر من ذلك التوجيه الحاقد الذى يستمد حقده من تلك الظلال والأشباح السوداء التى كان يثيرها المثيرون المتعصبون فى القرون الوسطى على العرب ويجعلونهم أمام الجماهير حلفاء الشيطان ويتخذونهم وسيلة لاثارة ذلك الشعور الذى كان يسمى « الحقد المقدس » !

ولتعلم فرنـا وخصوصاً مفـكريها الذين تجندهم للدعاية ، أن نظر العالم لم يعد يطيق ذلك اللون السخيف الذى يبدو فى محاولات المستعمرين الفرنسيين فى شمال إفريقية لفتنة البربر والعرب المسلمين عن دينهم ، وضرب الحصار على أبنائهم ليحال بينهم وبين التعرف إلى قوميتهم ولغتهم التى صحبتهم منذ فجر التاريخ .

إن هذا منـكر غليظ ورجعية عمياء لا تريد أن ترى طبائع الأشياء وتحاول فصل ماربطته مشيئة الله التى نوعت الناس أجناساً ولغات لأمر عظيم على جانب من الخطر فى عالم الفكر وعالم العمل!

وعلى فرنسا أن ترفع يدها عن ضرب ذلك السور الحديدى حول تونس والجزائر ومراكش ، ذلك السور الذى لا يسمح لداخل غريب أن يدخل ولا لخارج أن يخرج ولا يسمح لعيون الناس أن يروا آثار حكمها السـعيد ! فى حياة هؤلاء الأرقاء التعساء الذين ابتلوا بأن يعيشوا فى أوطانهم كأنها سجون ، الداخل فيها مفقود والخارج منها مولود؛ فإن هذا أعجوبة الأعاجيب فى القرن العشرين ، حتى ولو كانت هذه البلاد مستقلة استقلالا تاماً ومحكومة ذلك الحكم بأيدى فريق من أبنائها لـكان ذلك النوع من ضرب الحصار الحديدى عليها أسلوباً عجيباًفى هذا العصر!

وعلى فرنسا أن تقلع عن سـياسة الإفقار والتجهيل التى تفرض بها البؤس والجهل على سكان هذه البلاد وتعزلهم بذلك عن حياة العالم وتفنيهم الفناء الأكبر بحرمانهم من وسـائل العلم العصرى الذى يجعلهم أبناء حقيقيين لزمانهم يساهمون فى خدمة المعارف الإنسانية وفى إمداد شعلة الحضارة ومد نورها على ديارهم

وهم من أذكى الناس وأشدهم جلداً على التعلم والعمل . وإذا نسى التاريخ مخازى الأمم فلن ينسى لفرنسا أنها تتخذ سياسة تجهيل المغاربة عمداً وترسم لذلك الخطط وتستفتى مفكريها ليهدوا فريقاً من الناس إلى طريق الجهالة العمياء ، ويصرفوهم عن طريق المعرفة البيضاء ! إن هذا أكبر عار يلحق بفرنسا ، وإنه لأكبر «ارتداد» عن رسالة العلم ، وإنه لجدير أن يخزى وجهها يوم يستعرض عملها أمام هيئة الأمم المتحدة وينشر على رءوس الأشهاد فى يوم آت قريب

وإننى لا أذكر لفرنسا هذا الموقف المخزى إلا أشعر أن سخط الإنسانية كلها لا القومية العربية وحدها يثير فى دمى القشعريرة والاشمئزاز وعلى فرنسا أن تسير مع الزمن فى علاقاتها السياسية بشمال إفريقية وأن تتطور كما يتطور غيرها فى ارتباطاتها بالشعوب العربية التى بينها وبينها مصالح ، وأن تعلم أن الفجر الدولى قد سطع على العالم وكشف أوكار الرجعية والاستبداد ولن يخفى على العيون ما تفعله فرنسا فى إفريقية مهما خيل إليها أنها ستصل إلى غاياتها الظالمة فى غفلة عن الرقباء ، وأن تقلع عن خرافة سلخ أى جزء من المغرب من جسم العروبة لضمه إليها فإن ذلك لن يكون لها يوماً ما ، لأنه ينافى طبيعة التكوين وحقائق السياسة العالمية الراهنة

فيا مسيو ديهامل إن كان عليك لوطنك واجب فعليك للانسانية مثله والمفكر المخلص إنسان تملكه الإنسانية كما تملكه وثنية الوطن

فإن كنت تريد أن تعيد مجد فرنسا لامعاً واسمها عالياً كما كان فسخر قلمك للدفاع عن الحقائق الانسانية العليا الأبدية التى تحتل الحرية فيها مكان الصدارة واجعل فرنسا أم الحرية فى زعمكم لا تنكس لواء الحرية ولا تمرغه فى الوحل والدم فى الجزائر ومراكش وتونس .

وإذا كانت فرنسا هى حياتك — كما حاضرت المصريين — فاجعل حياتك هذه صورة مما ينشد فكرك الحر وأدبك الحار وقلبك العامر لا كما ينشد الفرنسيون الرجعيون الحاقدون والسماسرة والدجالون والجاهلون اللاعبون بالشعوب الذين لا يدركون سير الحياة بالأحياء ولا يعرفون منطق هذا العصر الذى يعيشون فيه بثياب المتحضرين وجلود الآدميين بينما قلوبهم هى قلوب القردة ووحوش الغاب ..

وإنها لرسالة لك فى فرنسا إذا أردت : أن تود إليها رسول آلامنا من أجل بنى قومنا المثخنين بجراح بنى قومك ! وقد أرسلتك إلينا « السياسة » التى لا قلب لها لشأن من شئونها الخادعة ، فارفض أيها الكاتب أن تخدع . وعد إليها رسول الآلام الإنسانية التى عانت فرنسا مرارتها وحرارتها فترات مظلمة من الزمان البعيد قبل الثورة التى حولت مرارتها حلاوة وحرارتها نداوة ، وفترة مظلمة من الزمان القريب الذى لا يزال وقع الحذاء الألمانى فيه على أرض فرنسا يصخ آذان أحرارها !

يا مسيو ديهامل ! أيها الأديب الكبير ! إننا هنا فى الشرق ندعو أن يثور المفكرون على الواقع السىء الذى يسيطر عليه العوام وأن تتحرر الرءوس من سلطان الأقدام ، والجامعات من منطق الشوارع .. لأننا نرى فى هذه المدنية الحالية مدنية الحرية والعلم نبوة شيوعية من لم يؤمن بها فقد صبأ عن الإنسانية ، ومن سخرها بغير أهلية لها فقد ألحد فيها ، مع أننا لا نزال فى دور فتح العيون على فجرها ولم نأخذ منها ما أخذتم معشر الغربيين ، وليست منسوبة إلينا ، بل تنسبونها أنتم إليكم . فلماذا لا تدافعون عن سمتها وعن حقائقها دفاع أنبياء إسرائيل الشرقيين القدماء عن حقائق الإيمان والنبوات الأولى ؟ لماذا لا تذوقونها بأرواحكم وقلوبكم بدل ذواقها بجيوبكم وخزائنكم ؟! لماذا تجعلون رسلها إلى بلاد المتخلفين هم من السماسرة والمتغطرسين والحاقدين والمتعالين؟

إن اللوم فى ذلك واقع على أرباب الفكر الذين يرون هذا ولا ينكرونه ، ويرضون لأقلامهم وألسنتهم أن تسخر وراء القطيع الذى لم يدرك أمانة الفكر وحراسة شعلة الحضارة فى الروح قبل الجسد

وما أظنك ترضى لو علمت أن أربعين ألفاً من العرب الجزائريين قتلوا فى « سطيف » بالجزائر ، لأنهم طالبوا بحريتهم فى أيام الاحتفالات بعيد النصر سنة ١٩٤٥ ؟

إن صراخ دم هؤلاء الضحايا يجب أن يؤرق نومك ويمد قلمك بمداد من نار لتثأر من قتلة هؤلاء الأحرار الذين طالبوا بالحرية التى يمجدها قلمك وأقلام إخوانك وإلا كنت غير مخلص لرسالة الفكر

وما أظنك ترضى أن يعيش خمسة وعشرون مليوناً من النفوس محرومين من عصارة فكرك وفكر أمثالك ومعارف الدنيا لأجل أن يكونوا سوائم بلهاء تحرث أرضها وتحلب ضرعها لتستولى عليه عصابات المستعمرين الرأسماليين فى فرنسا ؟

واعذرنا إذا كنا نتهكم ونسخر مما تقول ويقول أمثالك عن فرنسا وروحها الحر وميرات ثقافتها ، ما دمنا نرى أن هذه كلها بضاعة تستهلك فى فرنسا ولا تصدر إلى الخارج ..

هذه كلمات صادقة أردت أن تخلص إليك من بين مجاملات الصالونات ، وأنا أعلم أن واجب مثلك أن يحرص على سماع الصدق الصريح .

عبد المنعم خلاف

**الأدب في سير أعلامه :**

# ٤ - تولســـتوى ...!

[ قمة من القمم الشوامخ في أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه ]

للأستاذ محمود الخفيف

## غلام نابه



كان كلما اقترب ليو من إخوته سمعهم يتحدثون عن موســـكو وعن الرحيل إلى موسكو فيرفع بصره إلى وجوههم يتبين هل ثمة فيها شيء من الهم لقرب هـذا الرحيل ؛ فإن الهم ما يبرح يهجس في خاطره منذ أن علم بقرب انتقالهم إلى موسكو ؛ ولـكن الغلام لا يجد في وجوههم أية أمارة لذلك الذي يمتلج في نفسه من الحزن كلما تطرق الحديث إلى موسكو أو كلما وقع بصره على ما يلمح إلى الرحيل أو يشير إليه ، ومن ذلك تلك السراويل الجديدة ذات الأشرطة الزاهية يقلبها إخوته بين أيديهم فرحين ؛ وإنه ليشاركهم فرحهم بها وما ينقم منها إلا أنها سوف تلبس في موسكو ؛ فما قريب يرحل مع إخوته ليتعلموا في تلك المدينة الـكبيرة ؛ وإنه ليعجب كيف يطيقون الرحيل عن ياسنايا بوليانا فيتحدثون عن ذلك الرحيل ضاحكين مستبشرين ويقع الحديث من نفسه موقعاً أليماً .

وهل كان يطيق البعد عن ذلك القصر وعن تلك المدينة وعن هاتيك الغابات القريبة التي أحبها وألف المرح في أرجائها ؟ وهل كان يطيق البعد عن العمة تاتيانا وهو لا يجد له أماً غيرها ؟ ومن ذا يكون مربيه في موسكو مكان تيودور رويسل ؟ وهل هو واجد في موسكو ما يجده هنا من مسرات الحياة ولهوها ؟ أيطيق ألا يرى الخدم الذين أحبهم وأحبوه والخيل وكلاب الصيد التي أولع بها وأحب أن يراها كل يوم ؟ ولـكن ما من الرحيل بد فليس له إلا أن يصبر عليه ... بهذا كان يتحدث الغلام إلى نفسه أو بهذا كانت تحدثه نفسه .

وحان يوم الرحيـل ؛ ومسح الغلام عينيه وقد انطلقت به وبأخوته العربة إلى موسكو فما يجدر به أن يبكي وهو ابن ثمان ، وهؤلاء إخوته حوله لا يبكون بل لا يكترثون لشيء كأنما هم ذاهبون كما كانوا يذهبون بالأمس إلى الصيد في الغابة !

ونظر الغلام في موسكو إلى مربيه الفرنسي الجديد سنت توماس فإذا هو تلقاء رجل لا يحس في وجهه ما كان يحسه في وجه تيودور رويسل من عطف ومحبة وإخلاص ، وما لبث أن وجده يعنف عليه كأشد ما يكون العنف ، فيحبسه في حجرة ويتهدده بالعصا ، الأمر الذي أغضبه أشد الغضب وكره إليه الغلظة والعنف ونفره من العقوبة البدنية ومن صور القسوة جميعاً طيلة حياته ؛ كتب بعد ذلك في مذكراته يشير إلى هذا الحادث فقال « حبسني سنت توماس أولا في حجرة ثم جاء يتهددني بالضرب بعصاه ، ولست أذكر الذنب ولـكنه كان أمراً لا يستحق العقاب البتة ؛ وعندئذ ذقت شعوراً مخيفاً هو مزيج من الغضب والاحتقار والاشمئزاز ، ولم يكن ذلك نحو سنت توماس فحسب ، ولـكن نحو القسوة التي يتهددني بها كذلك » .

وأكبر الظن أن مربيه ما فعل هذا إلا لإهماله وانصرافه عن الدرس ، وعناده إذا دعاه إلى العمل ؛ ولم يتجن عليه سنت توماس فهذا أحد لداته قد تحدث عنه وعن إخوته فقال : « يرغب نيقولا في التعلم ويقدر عليه ، ويقدر سيرجى على العلم ولـكنه لا يميل إليه ، ويميل ديمترى ولـكنه لا يقدر ، أما ليو فأنه لا يميل ولا يقدر » ولـكن مربيه على الرغم من ذلك موقن من ذكائه ومن موهبة فيه عبر عنها بقوله « إن لهذا الغلام رأساً ... إنه موليير صغير » .

وماذا كان في رأسه يومئذ حتى يسميه مربيه هذا الاسم ؟ لعل مرد ذلك إلى نفاذ عينيه إلى ما تقعان عليه ، ونفاذ بصيرته إلى أفعال إخوته ولداته من التلاميذ وتفطنه إلى خصائص كل منهم ، فالغلام على حداثته يقظ مرهف الحس ، دقيق الملاحظة للنـاس وللأشياء جميعاً .

وهو وإن لم يتجاوز الثامنة بعد ، تطوف بقلبه الغض عاطفة

الحب ، ولم يكن هذا الحب الجديد كذلك الذى يحسه نحو العمة تاتيانا أو نحو غيرها ممن أولوه مودتهم وعطفهم من أفراد الأسرة ومن الخدم ، وإنما كان حباً كذلك الحب الذى قلما خلا منه قلب فتى أو فتاة فى ربيع العمر ؛ ويميل بعض علماء النفس إلى عد هذه العاطفة فى مثل هذه السن الباكرة دليلا على الموهبة الفنية ، ولذلك يرجى لصاحبها أن يكون فى غده من الأفذاذ ...

أحب ليو تلك البنت الصغيرة التى عاشت بين أفراد الأسرة فى كنف عميدها الكونت وكانت تسمى اسلنيف ، وأحب فى موسكو غلاماً صغيراً من أبناء عمومته من آل بوشكين ، وقد بلغ من حبه إياه أنه كان ينعقد لسانه إذا وجد نفسه تلقاءه من فرط إحساسه بعاطفته ؛ وكذلك أحب بنتاً لا تكبره فى العمر جميلة زرقاء العينين تدعى سونشكا ، وكان يشعر بين يديها بفيض من السرور والمودة والرفق ، فإذا غابت فإن ذكر اسمها كان يملأ مقلتيه بدموع الفرح من فرط نشوته ، وكانت عاطفته نحوها عميقة بالغة العمق صادقة خالصة الصدق بريئة من كل شائبة أو غرض ، حتى لقد اتخذها فى مستقبل أيامه مقياساً يرجع إليه إذا شاء أن يقارن بين حالات شعوره ...

أما اسلنيف فكان يغار عليها كأشد ما تكون الغيرة ، لا يطيق أن تحدث شخصاً غيره كبيراً كان أو صغيراً أو تتجه حتى بنظرها إليه ، وكان يعسف عليها ويعصف فى وجهها إذا وجد منها ما يظنه ميلا إلى غيره حتى إنه دفعها مرة من شرفة حيث كانا يلعبان وقد بلغت بها الجرأة أن كلمت غلاماً أمامه فسقطت ولحق بها العرج من جراء ذلك بضع سنين ، وبعد قرابة ربع قرن من هذا الحادث شاءت الأقدار أن يتزوج ليو من ابنة هذه التى غدت سيدة أنجبت بنات وبنين ، وأصبحت أم زوجته فقالت له ضاحكة تذكره بذلك الحادث « أكبر الظن أنك دفعتنى من الشرفة إبان طفولتى لكى تتزوج بابنتى فيما بعد » .

وذاق الغلام فى موسكو لوعة الحزن كما ذاق فرحة الحب ، فقد مات أبوه وكان فى طريقه إلى مدينة تولا فى صيف سنة ١٨٣٧ وسقط فى الطريق جسما لا حراك به ، فمن قائل إنه مات بنوبة من نوبات القلب ، وآخرون يهمسون أن السم أودى به على يد فلاح ممن ملكت يداه ؛ ويتسلط على رأس الغلام خيال عجيب فهو يحس أن أباه حى لم يمت ولا يستطيع أن يتصور أنه مات حقاً على الرغم من أن أخاه نيقولا قد شهد دفنه فى ياسنايا بوليانا ؛ وإنه لينقل بصره بين وجوه المارة فى شوارع موسكو يتوقع أن تقع عيناه على أبيه ، وظل هذا الخيال بضعة أشهر متسلطاً عليه .

ويتفكر الغلام مرة ثانية فى الموت والحياة ، فقد تفكر فى ذلك حين أدرك أن عمته تاتيانا ليست أمه وعلم من نيقولا بموت أمه ؛ ولقد أحس يومئذ أن الموت شىء كريه مخيف ، ولكنه لم يدرك كنهه ، وهو كذلك يحس اليوم مثلما أحس بالأمس ، وإن كان يصحب إحساسه هذه المرة شىء من التفكير والدهشة ، وسيظل هذا شأنه كلما نظر فى الموت حتى يجاوز الثمانين من عمره فيطويه ذلك الشىء الكريه المخيف وهو لم يعد من طول النظر فى أمره بشىء .

ولم تكد تمضى تسعة أشهر على وفاة أبيه حتى ماتت جدته محزونة على ابنها ؛ وجاء المربى يحمل النبأ إلى الصبية وهم يلعبون ، فانقلب مرحهم وزياطهم وجوماً وسكوناً ، وأرهف ليو أذنيه ودار بعينيه يسمع ويرى ، فكم كره مرأى الحانوطية على مقربة من البيت فى ملابسهم السوداء ، وكم بث فى نفسه الخوف رؤية التابوت بين أيديهم ووجوههم كئيبة عابسة من أثر ما يتكلفونه من الحزن ؛ على أنه يطيب نفساً بما يشاهد من مظاهر العطف عليه وعلى إخوته وبما يسمع من عبارات الرثاء لهم والإشفاق عليهم وإن كان ذلك يزيد إحساسه باليتم ؛ ولقد تندت عيناه ذات مرة متأثرة بكلمة عطف سمعها من سيدة إذ قالت لجارتها « إنهم اليوم أيتام كل اليتم فقد مات أبوهم منذ قليل ، وهاهى ذى جدتهم كذلك يأخذها الموت » .

وينظر الصبى إلى حلته السوداء المخططة الحواشى بخيوط بيضاء وهو يرتديها حداداً على فقد جدته وقد صنعت لهذا الغرض خاصة ويعجبه منظره فى هذه الحلة فينسى بعض ما يمسه من حزن .

وللغلام فى هذه السن الباكرة اشتغال بما يعد الاشتغال به من أعجب الأمور ممن كان فى مثل سنه ، وذلك هو نظره فى الدين ومسائله ، ولندع تولستوى نفسه يتحدث عن ذلك قال فى مستهل كتابه « اعترافاتى » إنى أذكر كيف زارنا ذات يوم من أيام الآحاد فى الحادية عشرة من عمرى غلام يدعى فالرمير موليتين كان فى إحدى المدارس الابتدائية وراح يقص علينا ما سماه أحدث الطرائف من الأنباء ألا وهو كشف اتفق وقوعه فى مدرسته ، ومؤدى ذلك الكشف أنه ليس لهذا العالم إله ، وأن كل ما لقناه عنه إن هو إلا محض اختراع . وإنى لأذكر مبلغ ما داخل إخوتى

من سرور عند سماع ذلك ، لقد دعونى إلى مجالسهم وأذكر أننا جميعاً شعرنا شعور النشوة لهذه الأنباء ، وتلقيناها كأمر سار ممتع ممكن الحدوث كل الأمكان » .

وعرف الغلام منذ حداثته بقوته البدنية وحيويته المتوثبة ، تبين ذلك من حادثة تقصها أخته ومؤداها أن أخاها نزل من إحدى العربات ذات مرة وقد توقفت عن السير لأمر ما فظل ماشياً حتى أوشكت العربة أن تدركه فأخذ يعدو عدواً سريعاً كيلا تدركه وإخوته فى العربة يعجبون من سرعة عدوه وطول نفسه ؛ ولم ينقطع نفسه إلا بعد ميلين فصعد إلى العربة وهو يلهث ولـكنه يحاول أن يخفى تعبه ؛ ولسوف تلازمه هذه القوة البدنية وهذه الحيوية على الرغم مما ينتابه أحياناً من أسقام وآلام حتى يطويه الموت بعد أن يجاوز الثمانين .

وكان ليو منذ صغره مولعاً بركوب الخيل ، وقد تعلم الركوب فى سن مبكرة على الرغم من معارضة أمه إياه فى ذلك ؛ وقد رأى أخويه اللذين يكبرانه يمتطيان جواديهما ذات يوم فما زال يلح حتى سمح له بأن يمتطى جواداً كما فعلا فإذا به بعد خطوات فوق عرفه يطوق عنقه بساقيه ويمسك بجبهته ، فلما أعيد إلى حيث كان لم يبد عليه شىء من الخوف وصمم على أن يطلق العنان لجواده وانطلق به يعدو وهو ثابت فوق صهوته ومن ذلك الوقت أصبح يجيد الركوب .

وفكر الغلام ذات يوم فى أمر : لم لا يطير كما تفعل الطير ؟ لم لا يضع ذلك موضع التجربة ؟ إنه يرى أنه مستطيع بحركة ما أن يثب طائراً فيسبح فى الجو كما تسبح الطير ؛ وإن فى نفسه منذ صغره لميلاً إلى أن يضع ما يهجس فى خاطره موضع الاختبار ، ولسوف يكبر معه هذا الميل فيظهر فى مواطن كثيرة ؛ ويشد الغلام بيديه حول ركبتيه ثم يثب من نافذة يريد أن يطير ولـكنه يصحو بعد ثمانى عشرة ساعة قضاها فى سبات عميق فيفتح عينيه دهشاً متحيراً يحاول أن يذكر ماذا كان من أمر طيرانه فيذكره ما يحس من ألم من مفاصله وأضلاعه .

ولم يقتصر شذوذه على هذا الحادث ، وأكثر ما كان من شذوذه ما كان يتصل باهتمامه بهيئته ، ومن ذلك أنه حلق شعره ذات مرة بالموسى لعل فى ذلك إصلاحاً لشكله ثم عاد فأطلق شعره حتى استطال ، وعمد إلى المشط فجعل به ذلك الشعر فى موضع خاص لعل فى ذلك أيضاً ما يكسبه وجاهة وليظهره فى هيئة المهموم المفكر على نحو ما يظهر بيرون . وعمد مرة أخرى إلى حاجبيه فانتزع شعرهما بملقط كى يشتد بعد ذلك نماؤه فيكسب ملامحه مظهراً عاطفياً شعرياً ، ولـكنه لم يرجع من وراء هذا كله بطائل الأمر الذى نغص عنده العيش .

ولقد جاء فى كتابه « عهد الطفولة » قوله « كنت أعلم حق العلم أنى لم أك حسن المنظر ، ولذلك كانت كل إشارة إلى هيئتى تسىء إلى إساءة مؤلمة ، ولقد مرت بى لحظات تملكنى فيها اليأس وخيل إلى أنه لا يمكن أن تتهيأ السعادة على هذه الأرض لمن كان له أنف كأنفى العريض وشفتان كشفتى الغليظتين وعينين كعينى الصغيرتين الشهباوين ، وسألت الله أن يحدث معجزة فيجعلنى وجيهاً فأنى لأجود بكل ما هو لدى وبكل ما عسى أن أظفر به فى المستقبل فى سبيل وجه حسن » .

وفى صيف ١٨٣٩ شاهد الغلام فى موسكو مشهداً استقر فى نفسه فلم يبرحها حتى ظهر أثره فى أحد أوصافه فيما بعد فى قصته الكبرى « الحرب والسلم » إذ وصف موكباً من مواكب الاسكندر الأول على لسان روستوف أحد شخصيات تلك القصة ، أما المشهد الذى رآه الغلام وجعله مثاله فيما كتب من وصف فهو موكب نيقولا الأول يوم زار موسكو ليضع الحجر الأول فى بناء كنيسة أقيمت لتخليد ذكرى تحرير روسيا من غزو نابليون .

ولم يطل بالغلام المقام فى موسكو فقد أعيد مع أخيه الصغير إلى ياسنايا بوليانا ليكونا فى رعاية العمة تاتيانا ، وبقى الأخوان الـكبيران فى موسكو ترعاهما الـكونتس أوستن سيكن عمتهما على الحقيقة ؛ وكانت الـكونتس أوستن أو عمتهما ألين امرأة تقية صالحة لله فى السر والعلن وتنفق مالها فى سبيل الله فلا ترد فقيراً ولا تتنكره لذى حاجة ، وكانت بالخدم رحيمة عطوفاً تـكره أن توقظهن إذا آوين إلى مضاجعهن فتعمل عملهن فيما تريد لنفسها من حاجة ؛ وكان أثرها عميقاً فى نفس الغلام فـكان يشعر نحوها من الأجلال والأكبار بقدر ما كان يشعر نحو عمته تاتيانا من المحبة ، ولئن علمته العمة تاتيانا كيف تـكون بهجة النفس فى الحب فقد أوحت إليه ألين كيف تسمو النفس وكيف تطيب بالدين

ولـكن هذه العمة قضت نحبها فى خريف عام ١٨٤١ فصارت الوصاية على الأخوة جميعاً لعمة أخرى هى السيدة يوشكوف زوجة أحد ذوى الثراء من الملاك فى قازان ، وثم فقد نقل الصبية جميعاً إلى قازان فأقاموا هناك حتى ربيع ١٨٤٧ ؛ على أنهم كانوا يقضون أجازاتهم الصيفية فى ضيعتهم المحبوبة بناحية ياسنايا بوليانا .

( يتبع ) **الخفيف**

# نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

## ٨٦٨ — العلم غنى بلا مال

مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن قيم الجوزية :

قال أبو جعفر الطحاوى : كنت عند أحمد بن أبى عمران ، فمر بنا رجل من بنى الدنيا ، فنظرت إليه وشغلت به عما كنت فيه من المذاكرة ، فقال لى : كأنى بك قد فكرت فيما أعطى هذا الرجل من الدنيا .

قلت له : نعم .

قال : هل أدلك على خلة ، هل لك أن يحول الله إليك ماعنده من المال ، ويحول إليه ما عندك من العلم فتعيش أنت غنياً جاهلا ، ويعيش هو عالماً فقيراً .

فقلت : ما أختار أن يحول الله ما عندى من العلم إلى ما عنده ، فالعلم غنى بلا مال ، وعز بلا عشيرة ، وسلطان بلا رجال .

* * *

يقول الفقير إلى الله تعالى والغنىّ عن الناس محمد إسعاف النشاشيبى :

يأمل آملون أن لن يكون بعد حين مترف مسرف زهى ، ولا بائس فاضل يشكو .

« وقالوا قسمة نزلت بعـــدل
فقلنا ليتـــه جور مشاع »

فقد تتبدل أحوال ، وتؤول أمور خير مآل ، ويصدق قول من قال :

« دوام حال من قضايا المحال
واللطف مرجو على كل حال »

وبالدساتير المسنونة — يا أخا العرب — يقف واقفون ، ويمشى القهقرى أو اليقدمية ماشون . إنها الشرائع إنها الدساتير تشقى الأنام وتسعد ، فارجوَنْ ولا تيأس من روح الله وعدله وتقدم هذا الإنسان « إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » وفى ( الكتاب ) : « لكل أجل كتاب » .

قال جار الله فى ( الكشاف ) عند تفسير هذا القول الكريم العظيم :

« الشرائع مصالح تختلف باختلاف الأحوال والأوقات ، فلكل وقت حكم يكتب على العباد أى يفرض عليهم على مايقتضيه استصلاحهم » .

وقال فى موضع آخر من كشافه :

« الله ( تعالى ) ينسخ الشرائع بالشرائع لأنها مصالح ، وما كان مصلحة أمس يجوز أن يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة . والله ( تعالى ) عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء ، وينسخ ما يشاء بحكمته » .

## ٨٦٩ — أثر البيئة

الحيوان للجاحظ : ... لا ننكر أن يفسد الهواء فى ناحية من النواحى فيفسد ماؤهم ، وتفسد تربتهم ، فيعمل ذلك فى طباعهم على الأيام ... وقد رأينا العرب وكانوا أعراباً حين نزلوا خراسان كيف انسلخوا من جميع تلك المعانى . وترى طباع بلاد الترك كيف تطبع الابل والدواب وجميع ماشيتهم من سبع وبهيمة على طبائعهم . وترى جراد البقول والرياحين وديدانها خضراء[١] وتراها فى غير الخضرة على غير ذلك .. وقد نرى حرة بنى سلَيم وما اشتملت عليه من إنسان وسبع وبهيمة وطائر وحشرة فتراها كلها سوداء[٢] وقد خبرنا من لا يحصى من الناس أنهم قد

(١) و (٢) نعتوا الاسم المجموع بفعلاء وفعل ، وليس فى كلام المبرد فى الكامل ما يدل على منع النعت بالمفرد — كما ظن فقيد العربية الأستاذ الرافعى ، وحى القلم ج ١ ص ٢٨٣ — وهنا قول الكامل : « ما كان من باب أفعل فجمعه على أفاعل ... فإن كان نعتاً فجمعه على فعل ... فإن أردت نعتاً محضاً يتبع المنعوت قلت مررت بثياب سود وبخيل دهم » وأول من خطأ ناعتى الجمع بالمفرد — كما ذكر الأديب اللغوى المشهور الدكتور مصطفى جواد — هو العربانى ( المستشرق ) فريتس كرنكو الألمانى ، وأول من دل على مظنة القول فى الكامل هو الدكتور جواد . والذى هو فى ( الكامل ) مثل الذى هو فى ( الكتاب ) : « وأما أفعل إذا كان صفة فإنه يكسر على فعل ... والمؤنث من هنا يجمع على فعل ... »

أدركوا رجالا من نبط بيسان[١] ولهم أذناب إلا تكن كأذناب التماسيح والأسد والبقر والخيل وإلا كأذناب السلاحف والجرذان فقد كان لهم عجوب[٢] طوال الأذناب . وربما رأينا الملاح النبطى على وجهه شبه القرد ، وربما رأينا الرجل من المغرب فلا نجد بينه وبين المسخ[٣] إلا القليل . وقد يجوز أن يصادف ذلك الهواء الفاسد والماء الخبيث والتربة الردية ناساً فى صفة هؤلاء المغربيين والأنباط ويكونون جهالا فلا يرحلون ضنانة بمساكنهم وأوطانهم ولا ينتقلون ، فإذا طال ذلك عليهم زاد فى تلك الشعور وفى تلك الأذناب وفى تلك الألوان الشقر وفى تلك الصور المناسبة للقرود .

## ٨٧٠ — ويبيع قرطيها إذا ما أعدما

تتمة اليتيمة : قد أكثر الشعراء فى الحث على الاضطراب فى الاغتراب لالتماس الرزق وقضاء الوطر من السفر ، ومن أشف ما قالوا فيه وأشفاه قول هذا الاعرابى الشامى ( أبى شرحبيل الكندى ) :

سر فى بلاد الله والتمس الغنى ودع الجلوس مع العيال مخيما

لا خير فى حر يجالس حرة ويبيع قرطيها إذا ما أعدما

## ٨٧١ — ما أقل الروم وأكثر المسلمين !

تاريخ الطبرى : شهد اليرموك ألف رجل ، من أصحاب رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) فيهم نحو من مئة من أهل بدر ، وكان أبو سفيان يسير فيقف على الكراديس فيقول : اللهَ الله ، إنكم ذادة العرب وأنصار الاسلام ، وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك ، اللهم إن هذا يوم من أيامك ، اللهم ، أنزل نصرك على عبادك . وقال رجل لخالد : ما أكثر الروم وأقل المسلمين ! فقال خالد : ما أقل الروم وأكثر المسلمين ! إن الجنود تكثر بالنصر ، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال[٤] .

(١) فى العراق .

(٢) العجوب جمع العجب — بالفتح والضم — أصل الذنب وعظمه ، وهو العصعص .

(٣) القاموس : مسخ صورته حوله إلى أخرى أقبح ، ومسخه الله قرداً فهو مسخ ومسيخ ، وفى الأساس : فلان مسخ من المسوخ .

(٤) فى تاريخ الطبرى ... عن أبى أمامة وكان شهد اليرموك هو وعبادة بن الصامت أن النساء قاتلن يوم اليرموك فخرجت جورية ابنة أبى سفيان فى جولة وكانت مع زوجها بعد قتال شديد ، وأصيبت يومئذ عين أبى سفيان فأخرج السهم من عينه أبو حثمة .

## ٨٧٢ — نعم ، بلى

نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لأبى البركات الانبارى :

يحكى أن أبا بكر بن الانبارى حضر مع جماعة من العدول ليشهدوا على إقرار رجل ، فقال أحدهم للمشهود عليه : ألا نشهد عليك ؟

قال : نعم .

فشهد عليه الجماعة وامتنع ابن الانبارى وقال : إن الرجل منع أن يشهد عليه بقوله : نعم[١] ، لأن تقدير جوابه لا تشهدوا على ، لأن حكم نعم أن يرفع الاستفهام ، ولهذا قال ابن عباس فى قوله تعالى : [ ألست بربكم قالوا بلى ] لو أنهم قالوا : نعم لكفروا لأن حكم نعم أن يرفع الاستفهام ، فلو قالوا : نعم لكان التقدير نعم لست ربنا ، وهذا كفر ، وإنما دل على إيمانهم قولهم : بلى ، لأن معناها يدل على وقع النفى ، فكأنهم قالوا : أنت ربنا ، لأن أنت بمنزلة التاء التى فى لست .

## ٨٧٣ — مخيريق خير يهود

سيرة النبى لعبد الملك بن هشام :

كان مخيريق أحد بنى ثعلبة بن الفِطْيَون حبراً عالماً ، وكان غنياً كثير الأموال من النخل ، وكان يعرف رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) بصفته وما يجده فى علمه ، وغلب عليه إلفُ دينه ، فلم يزل على ذلك ، حتى إذا كان يوم أحد — وكان يوم أحد يوم السبت — قال يا معشر يهود ، والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا : إن اليوم يوم السبت ، قال : لا سبت لكم ، ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) وأصحابه بأحد ، وعهد إلى من وراءه من قومه : إن قُتلت هذا اليوم فأموالى لمحمد يصنع فيها ما أراه الله ، فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل ، فكان رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) فيما بلغنى يقول : [ مخيريق خير يهود ] وقبض رسول الله أمواله ، فعامة صدقات رسول الله بالمدينة منها .

(١) فى المغنى : ... ولذلك قال جماعة من الفقهاء لو قال : أليس لى عليك ألف ؟ فقال : بلى لزمته ، ولو قال نعم لم تلزمه. وقال آخرون : يلزمه فيهما وجروا فى ذلك على مقتضى العرف لا اللغة ... بلى لايجاب بها عن الايجاب وذلك متفق عليه . ولكن وقع فى كتب الحديث ما يقتضى أنها يجاب بها الاستفهام المجرد ... وليس لهؤلاء أن يحتجوا بذلك لأنه قليل .

صرخة من عبوده الشعر فى آذان المسلمين :

# فى حيرة البيد ...

[ بمناسبة المولد النبوى ]

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

قداهتدت بك فى البادين صحراء فرقٌ فى صفحتيها الظل والماء
تلك الهواجر فى البيداء محرقة كأنها شعلة بالنار حمراء
لا تستقر على خير ضمائرها ولا ترف لها بالنور سيماء
سبيلهم كلها بالشوك عاثرة وأرضهم كلها صخر وحصباء
حار الأدلاء فيها وهى موحشة فضلَّ رادَ الضحى فيها الأدلاء
للشرك فيها ترانيم مضللة وللطواغيت صيحات وأصداء
كأنهن نعيب البوم فى وطن تهدمت فيه أركان وأرجاء
الليل فى البيد مرهوب جوانبه والصبح مثل الدجى ريح وأنواء
فى أمة قد أقام الله ألسنها لكنها عن جلال الحق خرساء
يا عاكفين على الأوثان مظلمة هل عندكم من جليل الصبح أنباء؟

الركب فى البيد قد ضلت مسالكهم
فكلهم فِرَق فيه وأهواء
هم ظامئون إلى ماء وأين لهم وفى السراب ضلالات وإغواء
هم واردون إلى وهم إذا ظمئوا وصادرون عن الرمضاء إن فاءوا
جاءوا وراحوا فما قرت رواحلهم
هل ترحم البيد من راحوا ومن جاءوا ؟؟

تلك البلاقع من ندًى حواشيها فأصبحت وهى للبادين خضراء؟
فيهن للجائع المحروم منتجع خصب وللظامىء الصديان إرواء
بان الطريق على السارين مؤتلقاً كأنما ضوأت بالوحى « سيناء »
يا هائمين على الصحراء منفقرة
لا تجزعوا ! ! إن أرض الوحى صحراء !

تلك المهامه فى البيداء قد خضرت
وأخصبت صفحتاها وهى جرداء
من نجر الماء فيها وهى مجدبة وأنبت الروض فيها وهى صماء؟

ومن طوى الريح منها وهى عاصفة
ونفَّس الصبح فيها وهى ظلماء ؟

يا بانيا فوق أصنام مهدمة لابدع إنك هدام وبناء
قد كان للهدم والإنشاء مولدكم وإنما المجد تهديم وإنشاء
قرّ الحيارى على كفيك وانتظموا وحُررت بك فى البيد الأرقاء
وأُغليت قيمة الإنسان فى زمن ما كان فيه لسعر المرء إغلاء

هاجرت لله فى أرض منورة لما جفاك على الأرض الأوداء
وقد يكون من الأدنين من بعدوا
فلا تصح لهم قربى وإدناء

المسلمون حيارى اليوم فى زمن لا تنفع النفس فيه وهى عزلاء
سبيلهم فيه يا مولاى عاثرة بهم ، وخطتهم فى الحق عوجاء
فلا تبين لهم فى الجو معلمة ولا تلوح لهم فى الأفق أضواء
لهم يد عن بناء المجد عاجزة وأرجل عن سبيل الحق عرجاء
فهل لهم أسوة فيما نهضت به
وهل لهم فى « ابن عبد الله » إيحاء ؟؟

# الأدب والفن في أسبوع

## مؤتمراتنا الثقافية

وافقت وزارة الخارجية اللبنانية على ما قررته اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية من عقد مؤتمر ثقافي بلبنان في فصل الصيف المقبل ، وهذا هو المؤتمر الثاني من نوعه ، فقد سبق أن عقد المؤتمر الأول بدمشق في العام الماضي على ما أذكر .

وكذلك وافقت الحكومة اللبنانية على عقد مؤتمر الصحافة العربية بلبنان في الصيف المقبل على أن تتكفل بنفقات المؤتمر والمؤتمرين .

والذي يعنينا من هذا أن نسجل هذه الظاهرة الطيبة التي تؤدي إلى توثيق التعاون الثقافي بين الأقطار العربية ، وإذا ضممنا إلى هذا ما يجري كل عام من عقد مؤتمر عربي للمحامين ، وآخر للأطباء ازداد تقديرنا لهذه الظاهرة الطيبة ، وتفاءلنا بذلك الشعور العميم الذي هو ثمرة من ثمرات اليقظة الفكرية ، ودعامة من دعامات الجامعة العربية . فإن اللغة العربية لاشك أقوى مقومات الجنسية العربية ، وهي الأساس لما يتفرع عنها من مقومات الدين والتقاليد والتاريخ والاختلاط بين أبناء العروبة في شتى الأقطار ، ونحن إذ نبارك هذه المؤتمرات ونحث على التوسع فيها نرجو أن تكون سريعة الأثر والتأثير ، وأن لا تطاول الزمن فيما تهدف إليه من المقاصد والغايات ، وأن لا تتناول الأمور على الوضع الذي يجري في اللجان الحكومية ، فإننا كما هو معلوم في عصر السرعة الخاطفة ، فلا سبيل إلى السير إلا بالقفز والتوثب ، والجرأة والإقدام . .

## في ذكرى الأفغاني

منذ شهرين أهبنا بأبناء الشرق العربي ورجال الجامعة العربية أن ينهضوا للاحتفال بذكرى باعث الشرق المغفور له السيد جمال الدين الأفغاني بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ، وقلنا إن أقل ما يجب في هذا الشأن أن يحتشد أبناء الشرق العربي في إقامة مهرجان لذلك الرجل يستمر أسبوعاً على أن تتولى رعاية هذا المهرجان الجامعة العربية وتشارك فيه سائر الجمعيات العلمية والهيئات الثقافية . قلنا هذا منذ شهرين ولم يبق على يوم الذكرى إلا أيام ، وكل ما تحركت له الهمم أن تألفت لجنة من حضرات السادة : محمد علي علوبة باشا والدكتور عبد الوهاب عزام بك والشيخ محمود شلتوت ومحمد صلاح الدين بك وعزيز خانكي واسماعيل مظهر ومحمد خالد للاحتفال بهذه الذكرى ، على أن هذه اللجنة لم تحدد برنامجها بعد .

ونحن إذ نشكر لهؤلاء السادة غيرتهم ووفاءهم نعود فنسأل: وأين الجامعة العربية ، وأين الأزهر ، وأين جامعتا فؤاد وفاروق ، وأين جمعية الشبان المسلمين ، وجمعية الإخوان المسلمين ، وأين المجمع العلمي العربي في دمشق والجماعات التي لولا الأفغاني لما كانت ولما تيقظت الضمائر لإقامتها إلى اليوم ؟!

إن الشرق العربي في موقف هو أشد ما يكون حاجة فيه إلى التذكير بالأفغاني وبتعاليمه في الحرية والإباء والنضال عن الكرامة ، ونحن إذ نذكر الأفغاني لا نكبره ، فقد استوفى مكانته من تقدير التاريخ ، ولكننا نكبر أنفسنا ، وندل على أننا أوفياء نقدر الجميل لصاحبه ، ونعرف فضل آبائنا فيما أسدوا إلينا وأجدوا علينا .

وآسفاه ! لقد كانت آخر صيحة للافغاني في حياته تلك الصيحة الألمية اليائسة إذ يقول : « إن المسلمين قد سقطت هممهم ونامت عزائمهم ، وماتت خواطرهم ، وقام شيء واحد فيهم ، وهو شهواتهم » . فهل لا تزال هذه الصيحة كلمة حق ، وهل لنا أن نلقي بها في وجه أولئك الجاحدين الناسين ، إننا والله نرجو أن لا يكون ذلك .

## لغة ... وأسلوب !

طالعت هذا الأسبوع في مجلة أدبية تصدر في بيروت مقالا لأديب بعنوان « عودة بتهوفن » استهله بقوله :

« عند الشاطئ المنتاج ، وفي المنحنى البعيد ، وخلف تلك الخواطر والخيالات ... أصابع بتهوفن ... »

« في عيون سمار الليالي ، ومهج السكارى الشاعرين ، وحلق المصافير ، وبحات النهور ، وندب القصب . اختلاجات ودوسات بتهوفن ... » .

« في حرير النسمات ، ومجاري العبرات ، يقطن بتهوفن ليستحم في كل عين ويجفف جسمه في كل جفن ورمش ... »

والمقال كله من هذا القبيل ، حروف عربية وكلمات عربية أيضاً ، ولكنك لا شك حائر معى فى فهم هذه اللغة وفقه هذا الأسلوب .

وأنا رجل والحمد لله قد درست العربية ، ووقفت عليها حياتى ، واستوفيت ما كتبه علماء البلاغة والنقد فى فهم الأساليب ، وإدراك أسرارها ، ولكنى أشهد الله عاجز كل العجز عن فهم هذا الأسلوب المعجز ، الذى لا أول له يعرف ، ولا آخر له يوصف ... فياضيعة العمر والجهد ، إذ أجدنى بعد طول ما بذلت وأفنيت عاجزاً عن فهم مقال فى صحيفة أدبية ...

ولا أكتم القارئ أنى سألت صديقاً لبقاً أن يعيننى على فهم هذا الأسلوب ، فقال لى الصديق الماكر : حسبك يا أخى فإنه أسلوب الصم البكم ، وفيه ما يسميه البلاغيون « براعة النظير » فقد كان بتهوفن على ما يروون أصم وكانت كل عبقريته فى اللحن ، فكان من براعة الكاتب أن تحدث عنه بهذا الأسلوب الأصم الملحون ...

هذا ما قاله الصديق والعهدة عليه . ولكنى والله ما زلت حائراً فى فهم هذا الأسلوب « المعجز » الذى يكتب به إخواننا الذين يعيشون فى « تل من الخواطر والخيالات » .

## وآخر بريطاني !

فى الأسبوعين الماضيين وصل إلى مصر مسيو ديهاميل الأديب الفرنسى الكبير كما عرف القراء مما كتبنا عنه وقام بإلقاء سلسلة من المحاضرات فى الأحاديث عن الثقافة الفرنسية وما أدت من خدمات للشرق العربى ، ثم طار فى نهاية الأسبوع الماضى إلى الجزائر لإتمام رحلته فى أداء مهمته . وفى هذا الأسبوع وصل إلى مصر الأديب الإنجليزى الكبير مستر ريموند مورتا مر لإلقاء سلسلة من المحاضرات فى القاهرة والاسكندرية وأسيوط عن الأدب فى العصر الفكتورى ، وعن الرواية فى الأدب الإنجليزى الحديث ، ويقولون إنه بعد أن يفرغ من أداء هذه المهمة سيطير هو الآخر إلى قبرص لإلقاء سلسلة محاضرات هناك . .

وأنا أعرف أن الأدب لا وطن له ، وأن مودة الفن والثقافة أكبر وأعظم من أن يحدها وضع جغرافى ، ولكنى أعتقد أيضا أن القارئ لا يطيق أن يلق بالا لأديب يبغضه ويمقته ، ولا شك أن هؤلاء الدعاة الذين يتوافدون علينا لتزجية الأحاديث الأدبية والثقافية يقدرون هذا ، ويقدرون أننا فى موقف نضال عن حريتنا وكرامتنا التى يأبى الاستعمار الإنجليزى والفرنسى إلا تقييدها وإذلالها ، فليس من المعقول أن يطربنا الأديب الإنجليزى الكبير بأحاديث الأدب فى العصر الفكتورى ، والرواية فى الأدب الإنجليزى الحديث .. لأن أحاديث مستر بيفن الاستعمارية لم تترك لذلك مكاناً فى قلوبنا وعواطفنا .

أجل ! لقد كنا نود أن نستمع لأحاديث الكاتب الإنجليزى الكبير ، ولكن الاستعمار الانجليزى قد سد آذاننا ، فليس الذنب ذنبنا .

« الجاحظ »




# حول كتاب «الرسالة الخالدة»

بين معالى عبد الرحمن عزام باشا
والأســتاذ محمد بهجة الأثرى

[ كان الأستاذ محمد بهجة الأثرى الأديب العراق قد بعث من بنداد إلى معالى عبد الرحمن عزام باشا برأى حول مسألة هامة وردت فى « الرسالة الخالدة » هى مسألة تصرف عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أرض السواد بالعراق تصرفاً جديداً وكانت الرواية التى اطلع عليها عزام باشا واستشهد بها لم تذكر جانباً تاريخياً هاماً فى النظر إلى المسألة . ولذلك لما ذكرها له الأستاذ الأثرى فى كتاب خاص آثر أن يوجه النظر إليها بنشرها تعميماً لمعرفة الحقيقة وهذان هما كتابا الأستاذ الأثرى وتعقيب عزام باشا عليه ] :

حضرة صاحب المعالى الجليل الصديق الكريم الأستاذ عبد الرحمن عزام باشا :

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فان توفيق الله إياك لكتابة ( الرسالة الخالدة ) تجلو بها «رسالة الله الواحدة الخالدة على الزمن» ، وتدعو العالم الجديد إلى الاقتباس من هداها فى الاجتماع والسياسة والحرب والسلم والعلاقات الدولية لإزالة أسباب الإضطراب العالمى وإمداد الحضارة بسند روحى وإقامة نظام عالمى جديد لنعمة من نعمه التى أسبغها سبحانه عليك وأنت لها أهل أراك خليقا بان تستزيدها بالشكر وتستديمها بالحمد والثناء ؛ ومظهر لما توسمته فيك من سمو الذات وجلال التفكير منذ سمعتك لأول مرة تخطب ليلة افتتاح المؤتمر الإسلامى العام تحت قبة المسجد الأقصى ( ليلة ٢٧ رجب ١٣٥٠ هـ )، ثم لم تزدنى صلاتى بك من بعد فى القدس والقاهرة وبغداد إلا يقيناً بما توسمت وتفرست ، ووثوقاً بكرم المنصر الذى يتمثل فى شمائلك وأدبك وفضلك وفى علاقاتك الخاصة والعامة وفى مساعيك الجليلة فى سبيل العروبة والإسلام التى توجتها بتأليف هذه الرسالة الخالدة وجعلتها الطغرى فى جبينها الأبيض النقى النزيه . ومن أولى منك بأن تنبثق من ذهنه الوقاد هذه الفكرة السامية ، وتجول براعته فى أشرف ميدان من ميادين الأبحاث الجدية الرفيعة ، وأنت الشاغل لمقام أمانة جامعة الدولة العربية بجدارة واستحقاق ، وأنت السياسى الأمين والكاتب المفكر الذى تعلق ذهنه بالمثل العليا فاحتذاها وشغل نفسه بالدعوة إليها ، وأحب الخير فتمثله وسعى جهده لإيصاله إلى الناس فى صدق ونخوة وإخلاص ؟

إن كتابك — يا صديقى الكريم — كتاب الموسم ، بل رسالة العصر ألمَّ بحالة الشذوذ والاضطراب التى سادت العالم فى أثناء الحرب الأخيرة ، فكشف عن أسبابها وبواعثها ووصف لها العلاج الشافى بما وجده فى صميم رسالة الله الخالدة إلى رسله وأنبيائه وما انتهت إليه من أطوار الأنظمة العالمية فى الشريعة المحمدية الغراء فى السياسة والاجتماع والحرب والسلم والعلاقات بين الدول والشعوب والطبقات والأفراد يمدها سند روحى لابدّ منه لعالم جديد متجه نحو دولة عالية واحدة تباركها يد الله ويرعاها رضاه على حد تعبير الرسالة .

وليس يعوزه لاستكماله أسباب فوائده وتعميمها حتى يتكون به رأى عالمى أو شبه عالمى إلا نقله ، بعد اجالة القلم فى بعض نواحيه إلى اللغات العالمية الغربية والشرقية ؛ ليتداوله أكبر عدد ممكن من القراء ، ويعيه من لا عهد له بموضوعه من المسلمين وغير المسلمين ، ولا يزال الخير فى الناس إلى يوم القيامة ، ولكن الدعاة العاملين إليه قليلون ، ولا أراك إلا فاعلا إن شاء الله .

وبعد فقد وقعت فى الكتاب على أمر أخالفك فيه كل المخالفة ولا إخالك إلا حريصاً على مكاشفتك به ثم جاداً فى إصلاحه إذا وقع منك موقع القبول .

ذلك أننى فى أثناء تصفحى السريع للكتاب مررت بجملة خطيرة تكررت على سبيل التوكيد ثلاث مرات فى صور متعددة ، وسرعان ما رأيت من آمن بها من الباحثين — بله عامة القراء — كصديقنا الفاضل الأستاذ عبد المنعم خلاف ، إذ أوردها فى عرضه للكتاب فى مجلة الرسالة ( ع ٦٩٩ س ١٤ ص ١٣٢٢)

على سبيل الإقرار والتأييد والإعجاب ، وهى فى رأيى بعيدة عن الصواب ، وإقرارها يفتحَ منفذاً إلى الإسلام يهدمه من أصوله وأنت ياسيدى لا تريده بحال من الأحوال .

قلت فى (ص ١٢٨) : « وحينما كان العدل فثم شرع الله ودينه ، فإذا فرض أن هذا العدل يقتضى أمراً لا نص فيه ولا أثر شرعياً فعليه أن يجتهد برأيه » .

هذا صحيح لا غبار عليه ، ولاجدال فيه ، ولـكنك لما مثلت له أتيت بمثال عملى لعمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يكن مطابقاً لما قصدت له من التوضيح للقاعدة المذكورة ذلك هو عمله حين أريد على قسمة أرض السواد ، فأبى إلا بقاءها بأيدى أهلها ، وضرب عليها الخراج . لقد ذهبت إلى أنه عمل ذلك برأيه ، وترك ظاهر النص القرآنى (ص ١٢٩) ، ثم استحسنت منه هذا التصرف فى موضعين من بعد ، فقلت فى (ص ١٣٠) : « هذا مثل من تصرف تلميذ الرسول وخليفته فى أمر جاء به نص ، وهو نفسه يسلم بهذا النص ... » ، وقلت فى (ص ١٣١) : « وعليه فالدولة الإسلامية التى يكفل فيها الإمام التوازن الاجتماعى والتى تقوم على قوله تعالى : (وزنوا بالقسطاس المستقيم) والتى أخذ فيها برأى عمر رضى الله عنه فى ظرف ما وعُدِل به عن ظاهر النص القرآنى عدولا مبرره المصلحة العامة ... » .

وهذه الأقوال ، على اختلاف صورها ، تتضمن أشياء منها مايتعلق بالقاعدة المذكورة فى ص ١٢٨ ، ومنها مايتعلق بشخص عمر ومواقفه من النصوص الشرعية ، ومنها ما يتعلق بالمصلحة المرسلة والتحسين والتقبيح العقليين ، ومنها ما يتعلق بحقيقة المثال وكيفية تصرف عمر فى المسألة : هل هو ضمن النص أولا . وإنى ذاكرها على الوجه الذى أراه تبياناً للحق فى هذه المسائل ووضعاً له فى نصابه منها .

فأما مايتعلق بالقاعدة ، فهذه المسألة على الوجه الذى ذكرته أو على حقيقتها التى سأوردها ، لا تنطبق عليها ؛ لأن القاعدة هى إباحة الاجتهاد للامام فى أمر يقتضيه العدل لا نص فيه ولا أثر شرعياً ، والمثال إنما هو فى أمر جاء به نص من كتاب الله ، ولـكن الإمام فيما ترى تصرف به خلافه وهو نفسه يسلم بهذا النص ! فالقاعدة شىء ، والمثال شىء آخر ، ولا صلة جامعة بينهما

وأما ما يتعلق بتصرف عمر رضى الله عنه فى أمر جاء به نص فى كتاب الله ، وتركه هذا النص وعدوله عنه إلى رأيه ، كائنة ما كانت أسبابه ، فأقول : إن هذا الأمر إذاً منكر ينزه عمر منه ، وقد أجمع المسلمون على أنه لا اجتهاد فى مورد النص ، وإنه ليفتح منفذاً إلى الإسلام يهدمه من قواعده ، ويجعل القرآن مهجوراً ، وحينئذ تبطل الحاجة إليه وإلى الدعوة إلى اتخاذه أساساً للعالم الجديد المنشود . وهذا الرأى فيما أرى يرجع فى حقيقته إلى مذهب أهل التحسين والتقبيح العقليين ، ومحصول مذهبهم كما قال الشاطبى تحكيم عقول الرجال دون الشرع ، وهو أصل من الأصول التى بنى عليها أهل الابتداع فى الدين ، بحيث أن الشرع إن وافق آراءهم قبلوه ، وإلا ردّوه .

وأنا أجلك يا سيدى من تصور ذلك فضلا عن إرادته . وإنما التبس الأمر فى الموضوع بين المصلحة المرسلة الشرعية والتحسين والتقبيح العقليين ، فـكان هذا الذى نراه من القول ، وهو قول ينبغى تحريره فى ضوء القاعدة المذكورة فى ص ١٢٨ ومباحث المصلحة المرسلة التى تبسطت فيها كتب أصول الفقه ونحوها ، ومن أحسن ما قرأته فيها ما كتبه الشاطبى رحمه الله فى كتاب الاعتصام، وهومطبوع بمطبعة المنار بمصر . وفى هذا الكتاب يقول الشاطبى : « إن تحكيم الرجال من غير التفات إلى كونهم وسائل للحكم الشرعى المطلوب شرعاً ، ضلال ... وإن الحجة القاطعة والحاكم الأعلى هو الشرع لا غيره » . وضرب لذلك أمثلة من وقوف كبار الصحابة فيما يعرض لهم من النوازل عند حدود النصوص ، وإذعانهم لطاعة الله ورسـوله دون أن يعبأوا برأى من رأى غير ذلك ، منها مسألة السقيفة ، وقتال مانعى الزكاة ، وبعث أسامة . ومن هؤلاء عمر بن الخطاب رضى الله عنـه فقد كان من أكثر القوم انصياعاً إلى نصوص القرآن وأشدهم طاعة لرسـول الله ، بذلك عرف واستفاضت عنه الروايات ، حتى وصفوه بأنه « كان وقافاً عند كتاب الله » .

ففى الصحيح عن أبى وائل قال : جلست إلى شيبة فى هذا المسجد قال : جلس إلى عمر فى مجلسك هـذا قال : هممت أن لا أدع صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها بين المسلمين ؛ قلت : ما أنت بفاعل . قال : لم ؟ قلت : لم يفعـله صاحباك . قال : هما المرآن أقتدى بهما — يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه

وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى حديث عيينة بن حصن حين استؤذن له على عمر ، قال فيـه . فلما دخل ، قال : يا ابن الخطاب ! والله ما تعطينا الجزل ، وما تحكم بيننا بالعدل . فغضب ...

عمر حتى هم بأن يقع فيه . فقال الحر بن قيس : يا أمير المؤمنين ! إن الله قال لنبيه عليه السلام ( خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ) . فوالله ما جاوز عمر حين تلاها عليه ، وكان وقافاً عند كتاب الله .

إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة عن وقوفه عند الكتاب والسنة ، مما لا أريد أن أثقل على طبعك بروايته ، وفيما سأورده من القول فى حقيقة مسألة تقسيم السواد نفسها مثال آخر أيضاً من أمثلة التزامه حدود كتاب الله ؛ لعلمه أن ما جاء به القرآن هو العدل المطلق الذى لا يعقل أن يكون وراءه عنده أو عند أى إنسان آخر عدل أسمى منه بحيث يسوغ له أن يعدل به عن ظاهر النص القرآنى أو بتركه لأجله وهو نفسه يسلم بالنص !!

وأما حقيقة مسألة السواد والنزاع الذى قام من أجل تقسيمه أو عدمه بين عمر بن الخطاب وبعض الصحابة حتى وفق للاستناد إلى نص القرآن فسكتوا ورضوا ، فهى مذكورة فى كتب التفسير والحديث والأموال ، ومنها كتاب الخراج للقاضى أبى يوسف صاحب الإمام أبى حنيفة ( ص ٢٨ إلى ٣٢ ) ، وهو يورد حجة عمر من كتاب الله نصاً ، ويعلق عليها أجمل تعليق ، وأحسب يا صديق أنك منه نقلت ما نقلت ، لتمائل العبارتين ، ولكننى أعجب كيف اقتصرت على الجانب التأريخى من المسألة ، وأهملت الجانب الدينى منها وبه استدلال عمر بالقرآن على صحة ما يذهب إليه من الامتناع من القسمة ، حتى رأيت أنه يصح لك أن تقول : إنه عدل برأيه عن ظاهر النص القرآنى مع أنه إليه استند والصحابة الذين نازعوه لم يسكتوا ويرضوا حتى أدلى لهم بحجته الناصعة من كتاب الله ؟

وإليك أسوق حجته التى قالها لمخالفيه كما أوردها أبو يوسف قال: قال عمر رضى الله عنه : إنى قد وجدت حجة ، قال الله تعالى فى كتابه : ( وما أفاء الله على رسوله منهم ، فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير ) حتى فرغ من شأن بنى النضير . فهذه عامة فى القرى كلها . ثم قال ( وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دُولة بين الأغنياء منكم ، وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب ) ثم قال : ( للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً ، وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ) ثم لم يرض حتى خلط بهم غيرهم ، فقال : ( والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ) . فهذا فيما بلغنا والله أعلم للأنصار خاصةً ، ثم لم يرض حتى خلط بهم غيرهم ، فقال : ( والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غِلًّا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم ) فكانت هذه هى عامة لمن جاء من بعدهم . فقد صار هذا الفىء بين هؤلاء جميعاً ، فكيف نقسمه لهؤلاء ، وندع من تخلَّف بعدهم بغير قسم ؟ فأجمع على تركه وجمع خراجه .

قال أبو يوسف رحمه الله : والذى رأى عمر رضى الله عنه من الامتناع من قسمة الأرضين بين من افتتحها عند ما عرفه الله ما كان فى كتابه من بيان ذلك توفيقاً من الله كان له فيما صنع وفيه كانت الخيرة لجميع المسلمين وفيما رآه من جمع خراج ذلك وقسمته بين المسلمين عموم النفع لجماعتهم ... » .

وفى كتاب ( الأموال ) لأبى عبيد القاسم بن سلّام :

قال أبو عبيد : فقد تواترت الآثار فى افتتاح الأرضين عنوة بهذين الحكمين :

أما الأول ، فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خيبر ، وذلك أنه جعلها غنيمة ، فخمسها وقسمها ...

وأما الحكم الآخر ، فحكم عمر فى السواد وغيره ، وذلك أنه جعله فيئاً موقوفاً على المسلمين ما تناسلوا ، ولم يخمسه ، ولم يقسمه ...

قال أبو عبيد : وكلا الحكمين فيه قدوة ومتّبع من الغنيمة والفىء ، إلا أن الذى أختاره من ذلك أن يكون النظر فيه إلى الإمام كما قال سفيان . وذلك أن الوجهين جميعاً داخلان فيه . وليس فعل النبى صلى الله عليه وسلم برادّ لفعل عمر ، ولكنه صلى الله عليه وسلم اتبع آية من كتاب الله تبارك وتعالى فعمل بها ، واتبع عمر آية أخرى فعمل بها ، وهما آيتان محكمتان فيما ينال المسلمون من أموال المشركين ، فيصير غنيمة أو فيئاً . قال الله تبارك وتعالى : ( واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ) فهذه آية الغنيمة ، وهى لأهلها دون الناس ، وبها عمل النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال الله عز وجل : ( ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ... ) فهذه آية الفىء، وبها عمل عمر ، وإياها تأول حين ذكر الأموال وأصنافها ، فقال : «فاستوعبت هذه الآية الناس» وإلى هذه الآية ذهب علىّ ومعاذ حين أشارا عليه بما أشارا فيما نرى ، والله أعلم .

وكذلك قال سائر العلماء ، من مفسرين ومحدثين وفقهاء ، ولو ذهبت أروى أقوالهم فى التزام عمر النص فى هذا الموضوع وسواء وأنه لم يتركه ولم يعدل عنه إلى رأيه أو رأى غيره من الرجال وأن الصحابة كلهم كانوا على هذه الطريقة لم ينزع منهم نازع إلى مذهب التحسين والتقبيح العقليين ، لأمللت السامع وثقلت عليه

وبعد ، أفلا ترى يا سيدى بعد هذا وذاك ، وأنت الملتمس للحق والداعى إليه ، أن تتلافى ما كتبته فى هذا الشأن بالتصحيح والتنبيه ، لئلا يتابعه الناس كما تابعه صديقنا الأستاذ عبد المنعم خلاف؟

على أن الذى يعنينى من أمر عمر رضى الله عنه وتصحيح ما ينبغى تصحيحه من الرأى العارض فيه ، ليس بأكبر مما يعنينى من تصحيح جملة القول الذى يتعلق بإباحة ترك النصوص القرآنية لآراء الرجال بدعوى مسوغات المصلحة العامة ، لما يترتب على هذا من تعطيل الشريعة وإبطالها ؛ فأية مصلحة عامة هذه يهتدى إلى تحديدها البشر ذوو المصالح المشتبكة المتعارضة والنوازع الضيقة الحرجة ، ولا يهتدى إليها خالق البشر وهو المنزه عن تلك النقائص ، الذى لا يريد لعباده إلا ما يضمن لهم مصالحهم على خير الوجوه ؟ إن ما استحسنته من ذلك يا سيدى إنما يدخل فى باب التحسين والتقبيح العقليين ، وحقيقة ما أردته إنما هو ما يسمى المصلحة المرسلة بلسان الفقهاء والأصوليين ، ولكنه اختلط هذا بذاك وجرى البحث إلى غير وجهته . فياحبذا لو حررت الموضوع ثانية ، وأقمت حداً فاصلا بين ما يسمى المصلحة المرسلة وهى شرعية ، وبين ما يسمى التحسين والتقبيح العقليين وهو بدعى هادم للشريعة لا يقول به إلا من يريد أن يأتى على الإسلام من قواعده ، وأنت بحمد الله من بناته وحفظته الأقوياء المخلصين .

هذا وإنى مرسل رسالتى إلى معاليك ولك أن تحتفظ بها أو أن تنشرها بنصها وفصها تنبيهاً إلى أمر خطير لا يصح إهماله وإغفاله ، وإنى معتقد اعتقاداً جازماً بأن من يكتب مثل ( الرسالة الخالدة ) ويسمو هذا السمو فى الدعوة إلى إقامة نظام عالمى جديد أساسه الدعوة المحمدية فى مختلف الشؤون الإنسانية ، لا يعنيه فيما يكتب ويدعو إليه إلا الحق ، ولا يعيش فى دنياه إلا لآخرته . بارك الله لك فى مساعيك ، ورعاك بعنايته ورضاه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته من أخيك المخلص الأمين :

محمد بهجة الأثرى

عزيزى الأستاذ الكبير السيد محمد بهجة الأثرى :

السلام عليكم ورحمة الله وبعد . فقد تلقيت كتابكم الكريم ، وأشكر لكم حسن تقديركم « للرسالة الخالدة » وجميل ثنائكم ونقدكم الخالص لوجه الله والإسلام والصداقة ، ذلك النقد الذى أقدره كل التقدير وأعلم ما فيه من غيرة مشكورة على الكتاب والكاتب .

وإنى حين ذكرت قصة تصرف عمر رضى الله عنه فى أرض السواد تصرفاً جديداً لم يسبق إليه ، لم أرد ما تبادر إلى فهمك من أنى ضربته مثلا لترك النص القرآنى بناء على مذهب التحسين والتقبيح العقليين وتحكيمه فى دين الله ، وإنما أردت أن أعرض مثلا من اجتهاد الإمام فى فهم النصوص وعدم وقوفه عند ظاهرها مادام أمامه طرق لفهم جديد معلل بمصلحة عامة فيها نفع محقق للدولة والأمة ، وذلك لأضع أمام الغرباء عن فهم حقيقة الشريعة الإسلامية مثلا من مرونتها واتساع مدى الرأى والتعليل فيها وصلاحيتها أساساً للتشريع فى الفرعيات التى تحدث وتتجدد بتجدد الأزمنة والأقضية وألوان حياة الناس ، حتى لا يستمر انسياق كثير من الناس فيما انساقوا إليه من توهم وقوف الشريعة الإسلامية لا تتكيف ولا تتسع للتطبيق المعقول .

وإن الرواية التى ذكرتها أنا فى المسألة نقلا عن كتاب التشريع الإسلامى للمرحوم الشيخ الخضرى قد ذكرت الجانب التاريخى والجدل العقلى بين عمر ومخالفيه فيما رأى من تخميس الأموال وتقسيمها بين أهلها وإخراج الخمس وتوجيهه وجهه وحبس الأراضى بعلوجها ووضع الخراج عليهم فيها مع الجزية الشخصية ، ولم تذكر استدلال عمر بالآيات التى تلى آيتى الفىء من سورة الحشر كما روى أبو يوسف فى كتاب الخراج وكما ذكرت فى كتابك إلىّ .

أما وقد روى أبو يوسف اعتماد عمر فيما ذهب إليه على فهم لهذه الآيات فقد صار للمسألة بذلك وجه آخر . ولم يخطر ببالى قط أن عمر رضى الله عنه يرى نصاً قرآنياً لا يقبل التأويل ثم يخالفه ، فعمر هو ما هو صدق إيمان وإذعاناً لأوامر الله . وأخيراً أكرر لك شكرى وتقديرى مع فائق التحية. المخلص

عبد الرحمن عزام




**فقيد العلم والإسلام:**

قضى بموت الفجاءة مساء يوم السبت الخامس عشر من هذا الشهر فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الأزهر، فكانت الفجيعة بموته أليمة قاسية أرمضت النفوس، وأوجعت القلوب، وساد الحزن عليه جميع الأوساط والأقطار. فقد كان الفقيد - رحمة الله عليه - مثالا للفكرة المستقيمة، والحكمة المهذبة، والإنسانية النبيلة، وكان كل هذا سجية في طبعه وغريزة في نفسه، فقد نشأ في بيت عريق الثراء والجاه، واتصل في أدوار حياته بمجالي النشاط السياسي والنضال الحزبي، ولكنه نشأ وعاش على طبيعة الخير وفطرة السماحة؛ فدرس في الأزهر جامعة الشعب، وسافر إلى فرنسا للدراسة، ثم عاد منها لا ليطلب منصباً يوازي جاهه ومكانته بل ليجلس مجلس الأستاذ يفيد تلاميذه في الأزهر وفي الجامعة، وهكذا عاش طول حياته محباً للحكمة، قريباً من النفوس؛ ولقد تقلد المناصب الكبيرة. فعين وزيراً للأوقاف ثم شيخاً للأزهر، ولكنه لم يتغير ولم يتبدل.

لقد كان الشيخ مصطفى عبد الرازق رجلا نبيلا فلاقى ربه بهذه الميتة النبيلة، ولقد رأى الناس نعشه محمولا على الأعناق، ورأوا الألوف تحتشد لتشييعه والعزاء فيه، ولكنهم لم يصدقوا أنه مات، ولم تستطيع أذهانهم أن تحتمل تلك الصورة الرهيبة، فيعتقدوا أن الموت طواه كما يطوى سائر الناس...

لن يموت الشيخ مصطفى عبد الرازق، ولكنه سيظل صورة شاخصة ومثالا حياً في أذهان تلامذته ومريديه، وفي نفوس إخوانه ومحبيه، وفي قلوب أولئك الذين ملأ قلوبهم بفيض إنسانيته، وكرم سجيته، وما أفاء الله عليه من فضل عميم.

لقد كان الشيخ مصطفى عبد الرازق عالماً فاضلا، وحكيما مهذباً، وأديباً أريباً، وكم له من مشابه في هذا بين الناس، ولكنه كان إنساناً نبيلا لا يشبهه في هذا إلا القليل من الناس، وحسبك برجل لم تحسب له طول حياته فعلة نابية، أو كلمة شاردة أو إساءة قدمها، بل أضمرها، ولكنه عاش طول حياته يزرع الخير في كل مكان. فلا شك أن الفجيعة بموته إنما هي فجيعة لأهل الخير الذين يؤثرونه والذين يطلبونه...

ونحن اليوم إذ نعزى العالم الإسلامي في موته، والعلم في فقده، نرجو أن نعود لوفاته حقه من الحديث المستفيض في شتى نواحي حياته وإنسانيته. أسكنه الله فسيح جناته، وأسبغ عليه عميم رحماته.

**مرحى توفيق الحكيم!**

مرحى يا صديقي الكاتب الكبير! وتهنئتي لك على تحرر قلمك الموهوب وخلوصه لأمتك التي تحتاج إلى فنه وقوته في هذا الدور من تاريخها مسيس الاحتياج .. أمتك العربية الكبيرة لا مصر وحدها.

ومن حقك عليّ أن أسجل لك هذا الوقف المشرف في مقالك «عطور وخمور وفكر» الذي نشرته بالعدد الماضي من «أخبار اليوم» والذي نال من الدعاية الفرنسية ومحاولتها تجديد خديعة مصر عن واجبها إزاء أبناء عمومتها في شمال إفريقية، ما لم ينله مقال آخر، من حقك عليّ أن أسجل لك هذا بعد ما أنحيت عليك بلوم مرّ على صفحات هذه المجلة [1] لموقف عكسيّ سابق بدا لي فيه أنك مخدوع بفرنسا متعصب لها تعصباً قد أنساك بعض المجاملة في حديث إخوانك، وأنت الرجل المهذب الهادئ، مما دعاني يومئذ أن أغضى عما لك في نفسي من مكانة حينما بدا لي أنك تغضى عما ترتكبه فرنسا ضد الحرية وضد حرمات الفكر في شمال إفريقية، وأنت يجب ألا يخدع عن ذلك.

والآن أحمد الله إليك على أن سريرتك الطيبة الحرة قد انكشف لها موقف فرنسا على حقيقته، فأثبت أن الثقافة الفرنسية والدعاية الفرنسية لا تستطيعان أن تخدعا المفكرين العرب بعد اليوم عن واجبهم إزاء ما يرونه من تناقض فاحش بين الفكر الفرنسي الزاعم لنفسه الدفاع عن حريات الإنسان وحقوقه، وبين السياسة الفرنسية الغاشمة التي تجعل من تونس والجزائر ومراكش سجوناً لأهلها تحرمهم خبز الروح والفكر العربي الذي ينتجه أبناء عمومتهم، وتحبسهم عن الرحلة في طلبه، وتحول بين الناس وبين الرحلة إليهم ليروا آثار الحكم الفرنسي السعيد فيهم.

وأحسب أن بعض أصدقاء فرنسا في مصر قد فاجأهم وأدهشهم

(١) في العدد ٦٢٥

موقفك الأخير من فرنسا وأنت ربيبها ، وقد كنت من الأوفياء لها حتى بعد انهيارها وسقوطها بينما انقلب كثيرون ضدها بعد أن كانوا من أبواقها قبل الحرب ولا أزال أذكر كلمتك « فيران السفينة » التي نشرتها في الاهرام غداة سقوط فرنسا وتخلى بعض تلك الأبواق عنها ودعايتهم ضدها واشمئزازك منهم ذلك الاشمئزاز الذي صورته في تلك الكلمة ...

أقول أنا أحسب ذلك وأذكر هذا ، ولكن مهما يكن من شيء فإنه لا بد للكاتب الحر أن يفي للحق والحرية ويدافع عنهما في أي أفق ، ولا يضيره أن يتغير موقفه في الدفاع ، وإني أعتقد أن فرنسا تستفيد من موقفك الأخير أضعاف ما تستفيده من موقف الإغضاء عنها أو الخديعة بدعايتها ، لأن ذلك سينبهها إلى أن تترك سياستها التقليدية في خداع العرب عن طريق مصر ، وإذا كنت قد عشقت روحها الحرة فمن واجبك أن تذكرها بها وتلومها ، وتشتد في لومها وتقاضبها إذا ما رأيتها ترتد عن رسالة تلك الروح ، وما أظن عشاق فرنسا من المفكرين والكتاب في الشرق يحبونها لما يرون فيها من البهرج والزينة والمتع الحسية ، وإلا كانوا أحرياء ألا يسموا مفكرين ، وإنما هم طبعاً يحبونها لتقاليد آدابها وما اشتهرت به لديهم من دفاعها عن الحريات . فإذا كشفت لهم الأيام حقيقة خداع فرنسا في ذلك كله فما أحراهم حينئذ أن يناشدوها أن تحقق ما أحبوها من أجله ، وبخاصة مع قوم تربطهم بهم روابط الدم واللغة والعواطف والآمال والآلام ، فإذا لم تستجب لمناشدتهم فما أحراهم أن يخلعوا من قلوبهم الولاء والحب لها ومن ألسنتهم المجاملة وأن يستقبلوا وافدى الدعاية لها بما هم أهله من الفتور والإهمال .

ذلك هو منطق الذين لا يريدون لأنفسهم التناقض مع أنفسهم ، ولا يريدون أن يبدوا لدى فرنسا مخدوعين ولدى الشرق خادعين أو مخدوعين .

فامض أيها الصديق في طريق الدفاع عن المغاربة والغضب لهم لا لأنهم من قومك فحسب ؛ بل لأن الحق والحرية ، وهما عماد رسالة الفكر ، تشتد فرنسا في محاربتهما على مسرح بلادهم .

وعسى الله أن ينبه بك أذهان البقية من أصدقاء فرنسا في مصر إلى واجبهم في مغالبة فرنسا بالخصومة إذا لم تغير سياستها مع المغاربة تغييراً أساسياً . وإنك لمكسب كسبناه والسلام .

عبد المنعم خلاف

## فهو وتجارة !

تحت هذا العنوان كتبنا كلمة في عدد مضى من الرسالة حبذنا فيها ما تقصد إليه شركات الأفلام الأجنبية من عرض أفلام قوية باللغة العربية ، وقلنا إن هذا العمل سيفيد الفن السينمائي في مصر قوة وجدة نظراً لما تملك هذه الشركات من القوة المادية والقوة الفنية كما عجبنا لتلك الضجة الصاخبة التي يحمل لواءها حضرة يوسف وهبى بك بوصفه نقيباً للممثلين واستنكرنا أن يفزع إلى ولاة الأمور لمنع عرض هذه الأفلام بحجة أنها ستقضى على كثير من الممثلين السينمائيين بالبطالة ، وقلنا إنها حجة تدل على أن هؤلاء السينمائيين إنما يطلبون العيش لا أكثر ولا أقل .

ورد علينا حضرة نقيب الممثلين بكلمة طالعها القراء في العدد الماضي ، ولقد حاولنا أن نجد في تلك الكلمة حجة من المنطق بل شبه حجة تقنعنا بأن حضرة النقيب يدافع عن مسألة له فيها رأى وفهم ولكن حضرته كان عند حسن ظننا به وفهمنا فيه ، فقد ترك حضرة يوسف بك المسألة من الناحية الفنية وراح يتهمنا بمناصرة الاستعمار ، وبنصحنا بتقديم ما كتبنا إلى الشركات الأجنبية لتجزل لنا عنه العطاء ..

وإننا لندع هذا الهراء الفارغ ونلتمس للسيد يوسف في ذلك كل العذر ، فما نحسبه يقدر أن الكلام الذي يكتب غير الكلام الذي يلقيه على خشبة المسرح على رءوس العامة وأشباه العامة ، ندع هذا لنعود فنقول لنقيب الممثلين إنه دل في كلمته على صدق ما قلناه ، وهو أن حضرات الممثلين السينمائيين إنما يتاجرون بالفن ويدافعون عن حقهم في العيش ، فقيمة فنهم هي قيمة ما يجلب من الرغيف . ومن العجيب أن السيد يوسف بك يقول إنه لا ينكر عرض الأفلام الأجنبية بلغتها الأصلية ، ولكنه ينكر عملية « الدوبلاج » لما فيها من خطر المنافسة لأفلامه وأفلام شركاته ، ونحن على العكس منه ننكر عرض الأفلام الأجنبية بلغاتها الأصلية ونحبذ تمصيرها ونقلها إلى لغتنا ، ولست أدرى بعد هذا من منا هو الذي يكون داعية للاستعمار الأجنبي .

إن هذا الفزع ياحضرة النقيب ليس له من مبرر إلا الضعف ، وإنكم بإنتاجكم الضعيف الهزيل تحملوننا على أن نحبذ عملية « الدوبلاج » ، فأنتم العلة وعليكم الوزر ، والناس معذورون إذا طلبوا الفن من أى طريق ما دمتم أنتم قد تنكبتم عن الفن كل طريق ..

« الجاحظ »




من الأدب الروسي الحديث :

# بعد المعركة

للكاتب الروسي الكسي تولستوي

بقلم الأديب فريد وجدي الطبري

كان صديقي إيجور دريموف شخصاً متزناً يسود عليه الجد. أحب والدته ماريا بوليكا ديوفنا ربوفنا ووالده إيجور إيجونوفتش فكان يقول ، « أبي رجل يحترم نفسه ، وكثيراً ما علمني أن أفتخر بروسيتي » وخطب فتاة في تلك المدينة الصغيرة . وكثيراً ما يتحدث الجنود في الميدان ، وبين فترات القتال عن الزوجات والحبيبات ، يتحدثون في الملاجئ ، وهم في مأمن من البرد القارس ، ومعدهم ملأى ، ونور الشمع يوحي بالحديث . فتسمع كل ناحية من ذلك الموضوع ، مثلا « أساس الحب الاحترام والحب مجرد عادة ، فالإنسان يوزع حبه بين زوجته ووالديه وحيواناته » ويقول آخر « يبدأ الحب عند مايفور دمك ، وشعور الحب كشعور المخمور والجذل المرح » ويستمر الحديث ساعات ، ولا ينتهي إلا بكلمة أو أمر من أحد الضباط .

أما إيجور دريموف فلم يشترك كثيراً في مثل هذه الأحاديث وإذا أشار إلى خطيبته كان ذلك بأسلوب غير مباشر ، فتراه يقول مثلا « فتاة طيبة تنتظر صديقها حتى ولو جاء على رجل واحدة » ولا ينقاد إلى التحدث عن مغامراته الحربية . وعندما يمتدحه أحد أصدقائه يقول « الأفضل أن لا تتحدث عن هذه الأشياء » وكل ما عرفناه عنه كان من أحاديث زملائه ؛ كنا نتوسل إلى سائقه تشفيلوف ليقص علينا أخباره ، فيصف لنا مثلا كيف كان ينقض على العدو في المصفحة مطلقا عليه ألسنة اللهيب ، فلا يكاد يصل إليه حتى يصرعه . وكم من معركة خاض غمارها وعاد سالما بعد أن يكون فقد عددا من رفاقه وقد أبلى بلاء حسنا دائما وقصص شجاعته عديدة .

وعلى هذه الحال حارب الملازم إيجور دريموف إلى أن أقعده الحظ . كان ذلك في معركة كيرسك بحيث كان النصر في بادئ الأمر للألمان ، واشترك فيها بدبابته ، وما كاد يدخل المعركة حتى قتل اثنان من رجاله . ثم اشتعلت النار في الدبابة . أما السائق « تشفيلوف » فقد تمكن من مغادرة الدبابة المشتعلة ، وسحب الملازم الذي كانت ثيابه تحترق وهو مغمى عليه وأخيراً انفجرت الدبابة وتناثرت قطعا إلى مسافة تزيد على ١٥٠ قدما وأقبل تشفيلوف على الملازم ليطفئ النار المشتعلة في ثيابه وجره إلى مكان أمين . ويقول تشيفيلوف « إنما فعلت ذلك لأني شعرت أن فؤاده مازال ينبض بالحياة » عاش إيجور دريموف حتى ولم يخسر بصره لكن تشوه وجهه جدا حتى أن العظم ظهر في بعض الأماكن ، وبقي في المستشفى ثمانية أشهر ، وأجريت له عدة عمليات متوالية لإعادة أنفه وشفاهه ، وأجفانه وأذنيه . وعندما نزعت عنه الأربطة بعد الشهور الثمانية ، وكانت معالم وجهه قد تغيرت تماما حتى لم يبق فيه شبه للصورة التي كان عليها قبلا . ولما ناولته الممرضة المرآة ليرى وجهه أدارت وجهها بسرعة كي لا يلاحظ الدموع في عينيها من شدة تأثرها بمنظر وجهه . وأعاد إليها المرآة قائلا « كان من الممكن أن تكون المصيبة أكثر مما هي الآن ، على كل حال يكفي أني بقيت حيا » ولم يطلب المرآة مرة أخرى ، بل اكتفى بلمس وجهه الجديد كأنه يعود نفسه أن تألفه . وسرح من الخدمة العسكرية بناء على تقرير طبي . لكنه ذهب إلى قائده ورجاه أن يسمح له بالالتحاق بفرقته ثانية . ودارت هذه المحادثة بينهما .

---

تصحيح آية :

كتب إلينا كثيرون يصححون كلمة جاءت في المقالة القيمة ( محمد والأمن العام ) لصاحب العزة علي حلمي بك على أنها آية ، وهي « ولا تكتموا الشهادة وأنتم تعلمون » على أنها ليست بآية ، والآية هي « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » .

« لكنك أصبحت غير قادر على الخدمة » « لا يا سيدى بل لقد أصبحت مخلوقا غريب المنظر ولا أرى كيف يجعلنى ذلك غير صالح للقتال » ولاحظ أن القائد كان يتجنب النظر إليه أثناء الحديث ، فابتسم بشفتيه الاصطناعتين الرقيقتين . أعيد إلحاقه وأعطي أجازة مدتها ثلاثة أسابيع ، فذهب ليقضيها فى البيت ، وكان ذلك فى الأول من آذار . ولدى وصوله اقترب محطة من قريته ، حدثته نفسه أن يستأجر عربة تقله إلى البيت لكنه عاد فقرر أن يقطع المسافة وهى اثنا عشر ميلا مشيا .

كان الثلج كثيفا والهواء الرطب يهب باردا جداً ، فيتخلل أطراف معطفه محدثا صوتاً كله حنين إلى البيت ، ووصل القرية عند الغروب .

رأى وطنه الصغير بخير والطيور على الأشجار تغرد ؛ أمامه الآن بضعة بيوت ، والبيت السادس يسكنه أبواه . اقترب من البيت ووقف عند الباب لا يجرؤ على الدخول ثم ذهب إلى جانب البيت ونظر فى النافذة وكان الثلج يصل إلى ركبتيه . رأى أمه على ضوء المصباح الخافت تعد المائدة للعشاء . وبدت أمه كما يعهدها تماما — طيبة القلب ، هادئة ، وعلى رأسها تلك القبعة الصغيرة نفسها وقد تغيرت عما كانت عليه عند ما رآها لآخر مرة ، إذ انحنى ظهرها قليلا . « ليتنى كتبت لها قبل مجىء ، ليتنى كتبت بضعة أسطر كل يوم » كانت تضع الحليب وقطعاً من الخبز الأسمر والملاعق والملح ، ثم وقفت مكتفة الأيدى وساد عليها التفكير أو الحيرة ؟!

شعر إيجور درعوف وهو يراقب والدته من النافذة أنه لا يستطيع أن يوجه إليها هذه الصدمة إذا عرفت أن هذا المخلوق المشوه هو ابنها ! ووطد العزم على ألا يعرفها بنفسه ، وقرع الباب . بسألت الوالدة « من بالباب » ؟ فأجاب « أنا الملازم جرينوف أحد أبطال الاتحاد السوفيتى » .ووجد أن خفقات قلبه قلّت وزال عنه القلق عند ما رأى أن والدته لم تميز صوته . حتى هو نفسه أخذ يلاحظ أن صوته قد تغير بعد تلك العمليات ومن جراء الأهوال ، فقد أصبح صوته خشناً وحاداً . وقالت الأم « ماذا جرى؟ » فيجيب « أحمل رسالة إلى ماريا بوليكا دبوفنا من ابنها الملازم الأول درعوف » ولما سمعت ذلك ضمته بإحدى يديها وصافحته بالأخرى بحرارة قائلة « إذا ولدى ايجور مازال حياً ؟ تفضل ادخل وحدثنى عنه » جلس إيجور درعوف إلى المائدة حيث كان يجلس وهو صغير يوم كانت رجلاه لا تصلان الأرض وأمه تخاطبه — « قل يا أعز الناس لدى » — أخذ يحدثها عن ولدها أنه بخير وصحته جيدة وأنه سعيد . لكنه لم يذكر لها للمارك التى خاض غمارها بدبابته . وتقاطعه قائلة — « قل لى الحياة فى الجبهة فظيعة رهيبة ، أليس كذلك ؟ » . « نعم أيتها الوالدة ، إن الحرب كلها يظائع وويلات ، ولكن الإنسان يألفها مع الأيام » .

بعد قليل جاء والده وقد بدا أكبر مما كان وذقنه بيضاء وكأنما اعتراها غبار أو طحين مسح الثلج عن رجليه وخلع معطفه المصنوع من الفراء ، وصافح الضيف . فى هاتين اليدين الكبيرتين يلمس الإنسان الأبوة اللطيفة ! وإيجور درعوف يعرف هاتين اليدين فطالما لمسهما ! جلس والده ليستمع إلى ذلك الجندى الذى غطى صدره بالأوسمة دون أن يسأله أى سؤال . وكلما طال الوقت على درعوف وأهله لم يميزوه كلما ضاق صدره ويهم أن يقول « ميزونى تتعرفوا إلى ، بعد أن أصبحت إنسانا غريب المنظر » ، لكنه يتراجع .

مما يبعث السرور فى نفسه ، أنه يجلس على مائدة أبيه غير أنه فى نفس الوقت كان كمن خاب أمله والآن حان وقت الطعام ، فهل لديك ما نقدمه لضيفنا أيتها الأم ؟ » قال الأب هذا ، وفتح جارورا فى طرف الطاولة لا تزال فيه سنارات لصيد السمك فى علبة كبريت فارغة تخص ولده . وفاحت رائحة مألوفة ، هى رائحة البصل والخبز . وأخرج زجاجة خمر صغيرة بقى فيها ما يملأ قدحين صغيرين فقط . وبينما كانوا يأكلون ، لاحظ درعوف أن أمه تحاول أن ترى كيف يمسك الملعقة ولما التقى نظرها غضت طرفها وعلى وجهها مسحة من الحزن والشفقة ، فابتسم . طرقوا مواضيع عديدة . المزروعات والحاصلات ، الأمل بانتهاء الحرب فى الصيف « ولماذا تعتقد يا سيد إيجوروفتش بأن الحرب قد تنتهى فى هذا الصيف ؟ » .

فأجاب الأب « الشعب هائج ، بعد هذه المصائب التى سببها لهم الألمان ، لن يقف فى وجههم شىء ، وهنا قالت ماريا « لم تخبرنا متى يأتى ولدنا فى أجازة بعد أن مضى ثلاث سنوات على غيابه عنا ؟ ربما تغير شكله كثيراً الآن وربما كان له شاربان ويعيش

كهؤلاء الذين يقطنون فى جوار الموت . قد يكون صوته تغير؟»

« ربما لا تعرفينه متى عاد »

وضعوا له فراشاً فى إحدى زوايا الغرفة ، قريبا من الموقدة ؛ فى تلك البقعة التى يعرف كل حجر فيها وكل ثقب وعقدة فى السقف ، ورائحة الخبز ، ورائحة البيت ، الرائحة التى لا ينساها الإنسان حتى ساعة الموت . وهبت رياح شديدة فى الخارج . وكان يسمع شخير والده من وراء الحاجز وكان سهلا عليه أن يتصور أمه مسهدة تصعد الزفرات واللازم مضطجعاً على جانبه ورأسه على يده وقد أخذ يقول فى نفسه : أحقا يا أماه لا تستطيعين أن تعرفينى ؟ واستيقظ فى الصباح على صوت طقطقة الحطب وهو يحترق فى الموقدة ، ورأى أمه منهمكة فى عملها قرب النار وجوربيه قد غسلا وعلقا على الحبل وحذاءه نظف ومسح ؛ وسألته والدته إذا كان يحب الجبنة مع البسكوت . وبعد أن جلس إلى المائدة قال «طلب إلى درعوف أن أبلغ سلامه إلى كاتيا ابنة أندرى سيفانوفتش، فهل لاتزال تسكن قريبا منكم؟» «نعم وقد أنهت المدرسة فى العام الماضى وهى تعلم الآن . سأدعوها لك» ثم خرجت تدعو كاتيا مانيشفا، وما كاد اللازم يلبس حذاءه حتى جاءت كاتيا تركض ووقفت أمامه ، وها هى عيونها الواسعة اللامعة وحاجباها وقد ارتفعا فى دهشة واستغراب ، وزاد احمرار خدودها المتوردة عند ما ألقت بالشال الصوف الذى كان فى يدها . وتمنى لو يقبل هذه الشفاه اللطيفة . بدت أمامه كما كان يتصورها : عروس المستقبل ، نضرة مرحة ، ناعمة ، تكسوها العافية وقد أضاءت الغرفة عند ما دخلت .

« هل جئتنى بأخبار من إيجور ؟ قل له إنى أنتظره فى الليل والنهار» . أدار وجهه من النور ليراها بوضوح ؛ اقتربت منه لكنها همت بالتراجع عند ما رأت ملامحه . وأراد أن يكشف عن نفسه فى ذلك اليوم وفى تلك اللحظة ولكن لم يفعل : وطلبت إليه أمه أن يجلس ويأكل الكعك مع الحليب .

وتكلم إيجور دريموف ولم يعلق على اشتراكه فى القتال وتجنب أن ينظر إلى كاتيا كيلا يرى انعكاس بشاعته فى عينيها . واقترح أبوه أن يأتيه بحصان يركبه لكنه فضل أن يعود مشيا كما جاء .

لقد تأثر جداً من تلك الزيارة ، وكان فى الطريق يتحسس وجهه ولا يدرى ماذا يفعل بنفسه !

ولما عاد إلى المعسكر اهتم به أصدقاؤه كثيراً وصار يأكل ويشرب ويضحك مثلهم بنشاط وسرور وكأن لم يحدث له شىء . قرر أن يخفى الحقيقة عن أمه . أما ذكريات كاتيا فرأى أن يخرجها من مخيلته كسن تسبب ألما ويجب خلعها .

وبعد أسبوعين تسلم رسالة من أمه :

«تحيات ياحبيبى . ترددت قبل لأنى لم أعد أعرف بماذا أفكر؟ جاءنا شخص من طرفك — شاب لطيف جداً لكن وجهه مخيف . وكأنه كان يرغب أن يمكث قليلا لكنه عدل عن ذلك فجأة . ومنذ تلك اللحظة لم أنم ويبدو لى أن ذلك الشاب هو أنت . أما والدك فيقول بأنى مجنونة . وربما أنا مجنونة إذ لو كان ذلك الشاب ولدنا لقال ذلك ، ولماذا يخفى ذلك عنا ؟ كان له وجه يفتخر به ! ويحاول والدك أن يقنعنى لكن قلب الأم يقول لى ، إنه ولدك ! اكتب لى يا حبيبى إيجور بالله عليك أشفق على وأخبرنى هل كان ذلك صحيحاً أم أنا مجنونة ؟

وأطلعنى صديقى درعوف على هذه الرسالة كصديق ولما قص على القصة كانت الدموع تملأ عينيه فيجففها بمنديله . لقد ارتكبت خطأ جسيما أيها الغاشم ، اكتب لأمك حالا وأطلعها على الحقيقة واطلب الصفح منها . سيزداد حبها لك وأنت فى هذه الحال وفى اليوم نفسه كتب لأبويه :

« والدىّ العزيزين ، لقد كان ذلك الشاب ولدكم ، أنا ... » وراح يملأ أربعة صفحات من الحجم الكبير وبخط صغير ، فكتب رسالة تشغل عشرين صفحة من الحجم العادى .

وبعد أيام كنا نتدرب فى الميدان عند ما جاء أحد الجنود إلى إيجور وخاطبه قائلا : يا عزيزى الكابتن يدعوك . وتبعته إلى الثكنة التى يسكنها معا ، وهناك سمعته يقول «مرحبا يا أمى ها أنذا» ورأيت سيدة عجوزا قصيرة ضئيلة الحجم تعانقه ، وكان هناك امرأة أخرى — لم أر مثل ذلك الجمال حياً يتنفس طيلة حياتى ! ! رفع والدته عن صدره وخاطب الفتاة . « لماذا أتيت يا كاتيا ؟ لقد وعدت ذلك الشاب الذى كنت تمهدينه بأن تنتظريه وليس أنا الذى لم تستطيعى ... » لكنها قاطعته : « إيجور قررت أن أقضى العمر معك ، فلا تبعدنى عنك من الآن » .

( القدس ) فريد وجدى الطبرى






مطبعة الرسالة



العدد ٧١٣ — الاثنين ٣ مارس ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

# الرسالة والرواية

## فهرس العدد

صفحة


٢٤٣ مسألة القضاء والقدر ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ... ...

٢٤٥ من حديث الجهاد ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ...

٢٤٧ النطق وكيف نشأ فى النوع الانسانى وفى الحيوانات العليا ؟ ... ... : الأستاذ نصيف المنقبادى المحامى ...

٢٥١ الديارات وملحقاتها ... ... : الأستاذ شكرى محمود أحمد ...

٢٥٤ فلسفة الفأس ... ... ... : الأستاذ حامد بدر ... ...

٢٥٥ تولستوى ... ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ... ...

٢٥٩ نقل الأديب ... ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٢٦١ أوهام ... ... (قصيدة) : الأستاذ محمد على مخلوف ... ...

٢٦١ قبل الرحيل ... ... « : الأستاذ حسين محمود البشبيشى ...

٢٦٢ قصة الروح ... ... ... : الأستاذ عثمان طه شاهين ... ...

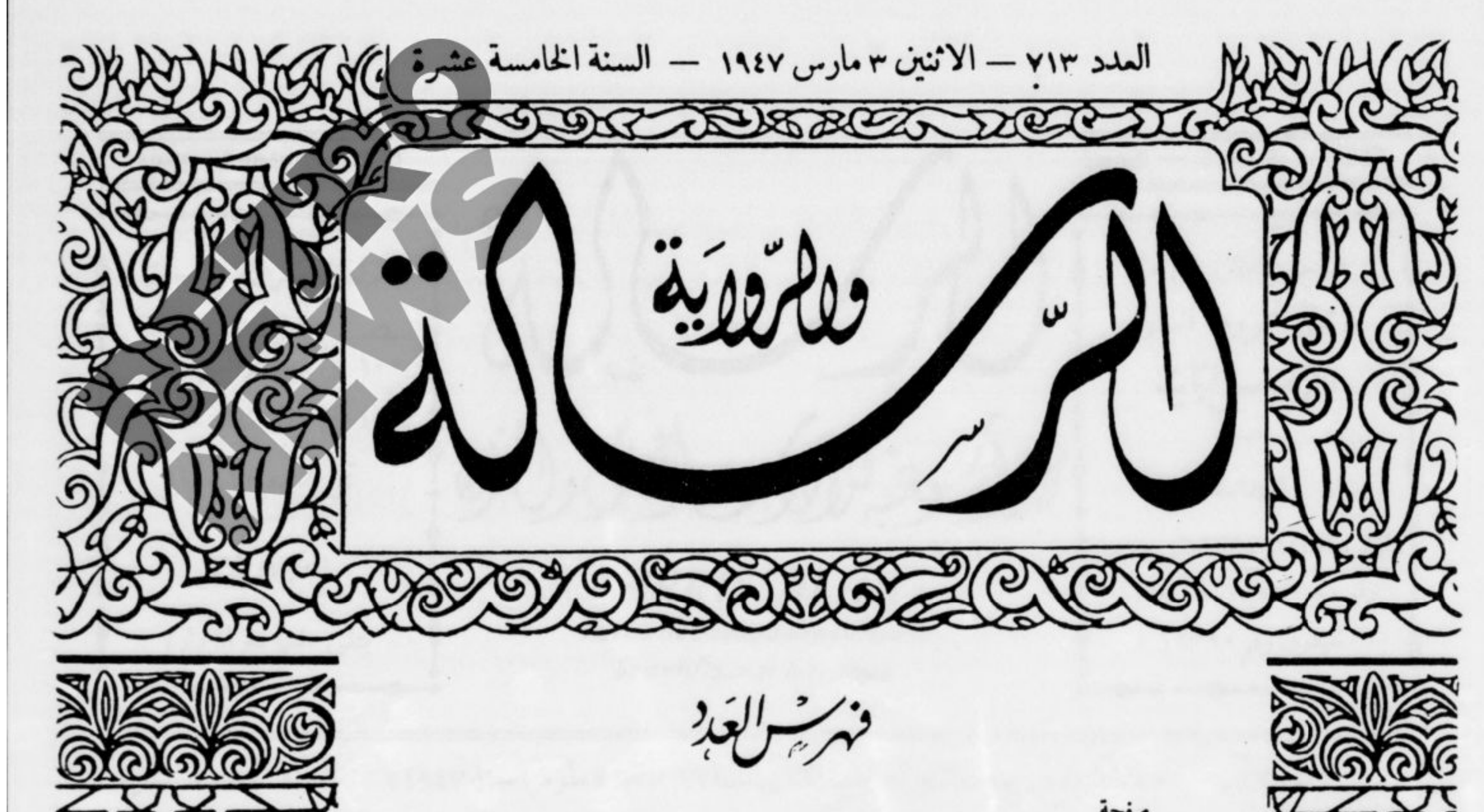
٢٦٤ « **الأدب والفن فى أسبوع** » : هذا واجب قومى — المعجم اللغوى التاريخى — إن العلم أمانة ! — ملاحم البدو — معلوم — هل هذا صحيح ؟

٢٦٧ « **البريد الأدبى** » : واحة الكفرة — خطأ عروضى — فى اللغة — طباق قلعة القاهرة — حول (اكتبوا للأطفال) — تعليق وتعقيب — النهضة الأدبية فى طرابلس — بطل الريف ... ... ... ...

٢٧٠ الخير والشر ... ... (قصة) : للكاتب الفيلسوف ليو تولستوى ... بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى ...


مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧١٣ — الاثنين ٣ مارس ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة




فهرس العدد


صفحة

٢٤٣ مسألة القضاء والقدر ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ... ...

٢٤٥ من حديث الجهاد ... ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ...

٢٤٧ النطق وكيف نشأ فى النوع الانسانى وفى الحيوانات العليا ؟ ... ... } الأستاذ نصيف المنقبادى المحامى ...

٢٥١ الديارات وملحقاتها ... ... ... : الأستاذ شكرى محمود أحمد ...

٢٥٤ فلسفة الفأس ... ... ... ... : الأستاذ حامد بدر ... ...

٢٥٥ تولستوى ... ... ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ... ...

٢٥٩ نقل الأديب ... ... ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

٢٦١ أوهام ... ... ... (قصيدة) : الأستاذ محمد على مخلوف ... ...

٢٦١ قبل الرحيل ... ... « : الأستاذ حسين محمود البشبيشى ...

٢٦٢ قصة الروح ... ... ... ... : الأستاذ عثمان طه شاهين ... ...

٢٦٤ « **الأدب والفن فى أسبوع** » : هذا واجب قومى — المعجم اللغوى التاريخى — إن العلم أمانة ! — ملاحم البدو — معلوم — هل هذا صحيح ؟

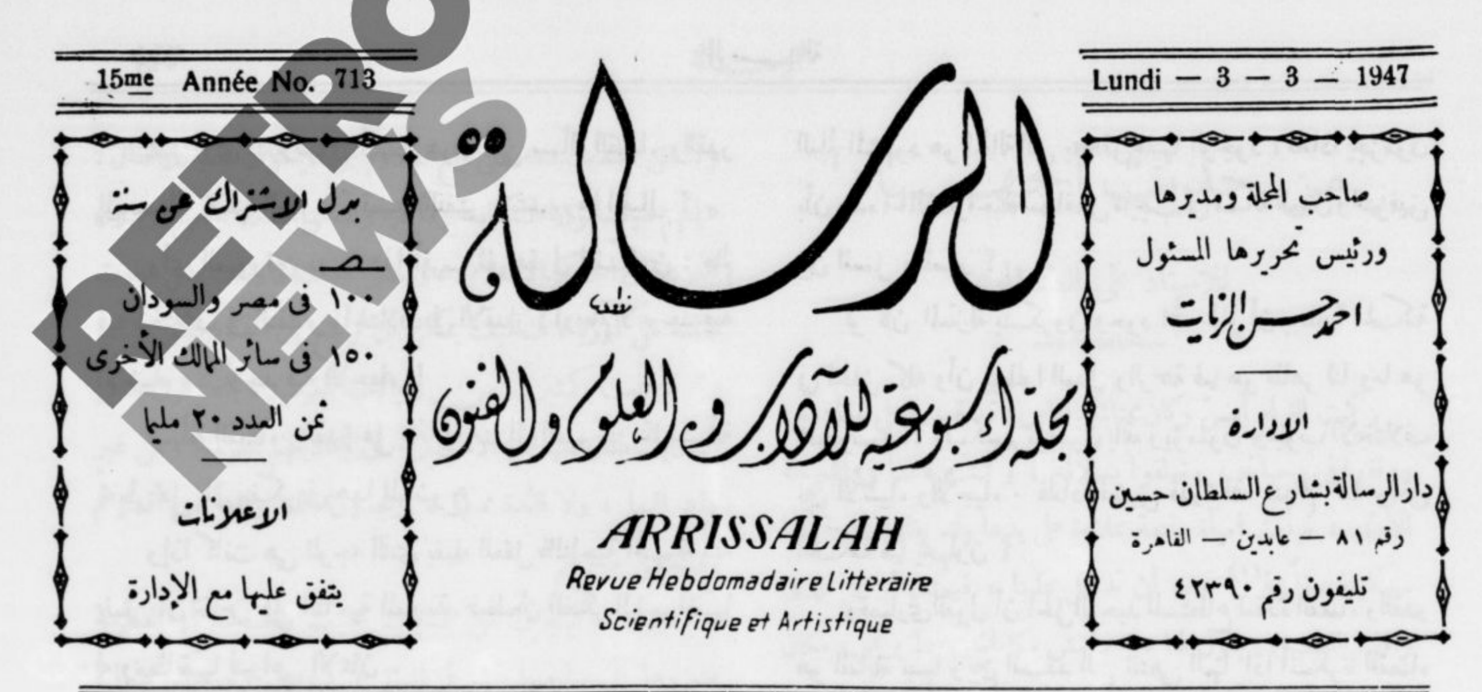
٢٦٧ « **البريد الأدبى** » : واحة الكفرة — خطأ عروضى — فى اللغة — طباق قلعة القاهرة — حول (اكتبوا للأطفال) — تعليق وتعقيب — النهضة الأدبية فى طرابلس — بطل الريف ... ... ... ... ... ... ...

٢٧٠ الخير والشر ... ... ( قصة ) } للكاتب الفيلسوف ليو تولستوى ... بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى ...


٢٨٠١٨

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون





15me Année No. 713
Lundi — 3 — 3 — 1947

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧١٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ ربيع الثانى سنة ١٣٦٦ — ٣ مارس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة


# مسألة القضاء والقدر

للأستاذ عباس محمود العقاد

قد راعيت ياسيدى أن أقدم إليك مسألة واحدة حتى لا يشق على مجلة «الرسالة» ردك … وهذه المسألة هى « القضاء والقدر » هل الإنسان مسيّر أم مخيّر ؟ … وقد وجهت هذا السؤال من قبل لأستاذى فردّ علىّ رداً لم أر فيه مقنعاً … فتضاربت الآراء بعقلى وإنى لأخشى على نفسى وعلى إيمانى …

محمد علي طالب
بعمل قنا

مسألة القضاء والقدر هى مسألة الحرية الإنسانية فى جميع نواحيها ، فهى بهذه المثابة مسألة قضائية نفسية علمية ، وليست بالمسألة الدينية وكفى .

وليس من الميسور أن تحل هذه المسألة من جميع وجوهها حلا يدفع كل اعتراض ، ويوافق كل رأى ، ويكشف النقاب عن العلاقة بين حرية الإنسان وقوى الكون الذى يعيش فيه . فان العلم بحدود حريته يتوقف على الإحاطة بهذه العلاقة من جميع أطرافها ، وليس ذلك بالمستطاع فى عصرنا هـذا ، ولا نخاله يستطاع كل الاستطاعة فى وقت من الأوقات .

لكن المستطاع الذى لا شك فيه أن مسألة القضاء والقدر هى نفسها حل معقول أسهل من جميع الحلول التى تذهب إليها العقول …

فماذا يقول من ينكر القضاء والقدر كأنه شىء لا يوافق العقل ولا يساغ فى منطق التفكير ؟

أيقول بأن المخلوقات يجب أن تختلف وأن تتساوى مع ذلك الاختلاف فى كل قدر وقضاء ؟

ذلك حكم لا يسوغ فى عقل عاقل . لأن اختلاف التقدير لازم مع اختلاف الأقدار .

فاذا اختلفت أقدار المخلوقات وأوصافها فلا يخطر على العقل أن تكون بعد ذلك سواء فى الأعمال والتقديرات .

وإذا هى لم تختلف فكيف يريد المعترضون أن تكون ؟ وكيف يتوهمونها فى الخيال فضلا عن تقديرها فى عالم الفكر أو عالم العيان !

أيريدونه عالماً لا فرق فيه بين حى وحى ، ولا بين شىء وشىء ، ولا بين موجود وموجود ؟

إذن هم يريدونه عالماً لا أشياء فيه ولا أحياء فيه ولا موجودات فيه .

لأن الشىء لا يسمى شيئاً إلا إذا كان مخالفاً لشىء آخر فى جوهره أو صفاته . فاذا بطل الاختلاف بين الأشياء بطل قوام الأحياء والموجودات .

فهل يرى المعترضون أنهم هربوا من مسألة القضاء والقدر إلى مسألة يقبلها العقل وترتضيها النفس ويتصورها الخيال ؟

وأى الصورتين بعد هذا أقرب الى عقول المفكرين : عالم فيه اختلاف فى التقدير واختلاف فى الأقدار ؟ أو عالم لا توجد فيه الأشياء ولا توجد فيه الأحياء !

فمسألة القضاء والقدر على هذا أقرب الى الفهم من كل مسألة تخطر على بال مفكر فى هذا الموضوع .

وإذا كانت هى الوجه الذى يقبله العقل فالناحية المجهولة منه ينبغى أن تقاس على الناحية المعلومة. فيطمئن الفكر الى موافقتها له ومطابقتها لدواعى الايمان .

أما هذه الناحية المجهولة فهى ناحية التوفيق بين العدل الالهى واختلاف الجزاء على الأعمال .

فاذا وجب أن تختلف الأشياء ويختلف الأحياء ويختلف الجزاء ، فقد وجب أن يكون الجزاء غير مناقض للعقل فى نهاية المطاف ... ونهاية المطاف هذه هى التى يجهلها الانسان ، وبقيسها على ما يعلم فتسرى اليه الطمأنينة فى هذا القياس الصحيح .

***

ويتحدث الأديب صاحب الخطاب عن صديق له يسخر من تبلبل خاطره فى هذه المسألة فيقول : « انه أبرز لى آراء فى هذه المسألة وقال إنها آراء أهل السنة وأخرى قال إنها آراء المعتزلة » ... ولا يدرى أيها أحق بالاتباع .

ولا فائدة من الإطالة فى تفصيل هذه الآراء أو تلك الآراء .

ولكن كاتب الخطاب خليق أن يوقن أن آراء المعتزلة تؤدى الى تبلبل فى الخواطر يعود على صاحبه بسخرية أمر وأنكى . لأنهم يحاولون المشكلة بمشكلات ويخرجون من تيه الى أتيــــاه . ويقولون إن الانسان ينبغى أن يكون حراً لأن الله يحاسبه ، وإن الله لا يحاسبه إلا لأنه حر فى عمله واختياره .

فهم لا يقررون أن الإنسان حر فى عمله واختياره بدليل من الواقع ، بل بفرض من الفروض . فن أين لهم أن حساب الله لا يوافق حالة التقدير ، وأنه لابد أن يناقض العدل إذا وجب الايمان بالتقدير ؟ ولماذا يعنمون على الله حساباً يتقابل فيه العدل والرحمة وصدق الجزاء والعقاب ؟ واذا وجب التسليم بأن الاختلاف فى العالم المشهود هو الحالة التى يتحقق عليها الوجود ، فلماذا يجزمون بأن هذه الحالة الواجبة ستناقض ما يجب فى مسألة العدل والتوفيق بين العمل والمصير ؟

لو كان المعتزلة ينكرون وجود الله لجاز أن يبطلوا الحكمة فى الخلق كله وأن يبطلوا العدل والرحمة فيما هو ظاهر لنا وما هو محجوب عنا، ولكنهم يؤمنون بالله ويؤمنون بوجوب الاختلاف بين الأشياء والأحياء . فلماذا تضيق قدرة الله عندهم عما يوافق الحكمة فيما يجهلون ؟

وقصارى القول أن الحل الوحيد المستطاع لعقدة القضاء والقدر هو المقابلة بينها وبين العقد التى تنتهى اليها اذا أنكرنا القضاء والقدر ... وأن العدل بمعنى المساواة الشاملة هو العدم بعينه ، لأن المساواة الشاملة تنفى قيام الأشياء والأحياء . فلا بد من معنى للعدل الإلهى غير هذا المعنى ، ولا تناقض اذن بين العدل والاختلاف فى تركيب الموجودات ، اذا وجب أن نفهمه فهما غير فهم المساواة فى الأقدار والمساواة فى التقدير .

ونحن نرى فى حياتنا العملية أن الناس يرثون أخلاقهم من آبائهم وأمهاتهم ، وينشأون فى عاداتهم على نشأة بيئتهم وبيئات أسلافهم ، ولكننا مع هذا لا نبطل التكليف والجزاء ولا نرى أنه عبث فى غير جدوى ، أو أن إلغاء القوانين والعقوبات مساو لبقائها وسريانها ... فهناك نصيب من الحرية يكفى لقيام التكليف فى المسائل الدنيوية ، وهناك نصيب من الحرية يكفى للتوفيق بين العمل والجزاء فى هذه الحياة القصيرة . فكيف بالحياة الأبدية التى تدبرها عناية الله ولا يحيط بها علم الانسان ؟

إن مسألة القضاء والقدر عقدة ، ولكنها عقدة لا ينكرها المنكر إلا وقع فيما هو أعقد منها ، ولاسيما المنكر الذى يؤمن بوجود الخالق القديم .

أما الذين يبطلون وجوده فانهم يعطلون العقل جملة فى هذه المسألة وفى غيرها من المسائل ، لأن تفسير العالم كله بالمصادفة العمياء لايدع مجالاً للاشكال ولا للسؤال ، وكل شىء جائز أو غير جائز . فقد استوى الجائز وغير الجائز على كل حال .

**عباس محمود العقاد**

# من حديث الجهاد

للاستاذ على الطنطاوى

ركبت الترام أمس وكان ممتلئاً بالناس ، قد قعدوا على مقاعده ، ووقفوا فى رحباته ، وتعلقوا بسلالمه ، وكنت قاعداً فى الدرجة الأولى ، فرأيت امرأة ملتفة بملاءة على يدها ولد يظهر عليها أنها مسكينة مغلّبة[1] تريد أن تدخل علينا ، فيمنعها رجل بلدى واقف بالباب ، ويقول لها : « دامش مكانك ، دا بريمو ، مكان الخواجات » فتستكين وتقف ، فدعوتها وأقعدتها فى محلى ، وهى حائرة لا تدرى فى خجلها وشكرها ما ذا تقول لى ، وسار الترام إلى المحطة التالية ، فنزل ناس وصعد ناس ، وكان فيمن صعد امرأة فرنجية ضخمة كأن خديها زقّان منفوخان ، وكأن ثدييها عِدلان على ظهر أتان ... وأقبلت تزحم الركاب بوقاحة عجيبة حتى دخلت علينا . فلما رأت المرأة قلبت شفتها ، وقلصت وجهها حتى صار كوجه قرد عجوز ... وحمّلته كل ما استطاعت من أمارات الاشمئزاز والكبر ، وضمت ثوبها ترفعاً أن يمس الملاءة وأشارت لها بيدها ، أن : قومى ...

فنظرت المسكينة نظرة بلهاء ، وابتسمت ولم تفهم ...

فقالت لها : « دا بريمو ، انتَ بيروخ هناك ، يلا . يلا » ...

فقامت ... فلم أملك أن صرخت بها : « أقعدى » وقلت لهذه الوقحة : « ألا يكفى أنك زاحمتها على خبز بلدها ، وأكلت خيره من دونها ، وغنيت به وفقرت هى فيه ، حتى أردت أن تقيميها لتقعدى مكانها ... »

وكانت ثورة منّى عاصفة ، فلم يجب أحد ، ولكن شاباً « مهذباً » استاء منى ، وأراد أن يعلن احتجاجه علىّ ، فنهض قائماً وقال : « تفضلى يا مدام » وأعطاها مكانه ...

***

وذهبت أزور رجلا كبيراً ، اعتزل الناس فى بيته بعد أن ولج أوسع أبهاء القصور ، وحل فى أضخم كراسى المناصب ، وتشقق الحديث معه حتى بلغ الكلام على الإخوان المسلمين فقال : « إنهم سيتسلمون الحكومة يوماً ما ، ولكن المشكلة ، أنهم يريدون العودة إلى الحكم الإسلامى ، ومصر تمدنت وارتقت حتى صارت قطعة من أوربا ، فكيف يمكن أن ترجع إلى أحكام الشرع ؟ »

وسمعت كثيرين من رجالات العرب ، يتظرفون بدس الكلمات الفرنسية أو الانكليزية فى أحاديثهم العربية ، من غير داع إليها ، ولا فائدة منها ، ويجدون ذلك رافعاً من أقدارهم معلياً من منازلهم .

ورأيت كثيرين من الشباب تجيئهم بالحكمة أو النظرية فتعزوها إلى صاحبها الشرقى المسلم ، فيلوون وجوههم عنها ، ولا يحفلونها ، فإذا نسبتها إلى الفيلسوف الألمانى أو الأديب الانكليزى هشوا لها وبشوا ، وتلقوها بالتجلة والاكبار .

وقرأت لكثيرين من المؤلفين والباحثين فصولا فى الدين أو اللغة ، لا مرجع فيها إلا النقل ، ولا تنقل إلا عن أعتتنا وعلمائنا ، فرأيتهم يدعون المنبع ويستقون من ذيول السواقى ، ويتركون مراجعنا ويعزون إلى فلان وعلان من المستشرقين .

وليس فينا من لا يرى تقليد الأوربيين مدنية ، واتباعهم رقياً ، ومن لا يشعر فى قلبه بإجلالهم ، ويتمنى أن يزور بلادهم ، ويثقف ألسنتهم ، ويا ليت أنا إذ أحببناهم جمعنا حبهم ، ولم يفرقنا غرامهم شيعاً وأحزاباً لهم ، ويا ليت أنا ارتفعنا اليوم عما وصفه جبران خليل جبران ، منذ ربع قرن ، حين قال : « كان العلم يأتينا من الغرب صدقة وإحساناً ، فنلتهم خبز الصدقة لأننا جياع فأحيانا ذلك الخبز . فلما حيينا به أماتنا ، أحيانا لأنه أيقظ بعض مداركنا ، ونبه عقولنا ، وأماتنا لأنه فرق كلمتنا ، وأذهب وحدتنا ، وقطع روابطنا حتى أصبحت بلادنا مجموعة مستعمرات صغيرة ، مختلفة الأذواق ، متضاربة المشارب ، كل مستعمرة منها تشد فى حبل إحدى الأمم الغربية ، وترفع لواءها ، وتترنم بمحاسنها وأمجادها . فالشاب الذى تناول لقمة من العلم فى مدرسة أمريكية قد تحول إلى معتمد أمريكى ، والشاب الذى ارتشف رشفة من العلم فى مدرسة يسوعية صار سفيراً فرنسياً ، والشاب الذى لبس قيصاً من نسج مدرسة روسية أصبح ممثلا لروسيا » .

***

(١) كنلك تقول نحن فى الشام ، وهى محيحة فصيحة ، وفى مصر يقولون غلبانة

فإذا كنا — ولا نريد أن نمارى فى الحق ، ولا نجادل فى الواقع ؛ إذا كنا نطوى قلوبنا على حبهم ، ونضم جوانحنا على إكبارهم ، ونرى أنفسنا صغاراً أمامهم ، ونقلدهم فى كل شىء ونمشى وراءهم ، فماذا ينفعنا قولنا بألسنتنا إننا نكرههم ونعاديهم، ولا نقعد عن حقنا حتى نناله منهم برغمهم ؟

لقد تعلمت فى المدرسة الابتدائية حكاية لا أزال أذكرها إلى اليوم ، هى أن رجلا كان يذبح العصافير فى يوم بارد ويبكى ، فقال عصفور منها لأخيه : ألا ترى إلى شفقة هذا الرجل ورقة قلبه ؟ قال : ويحك لا تنظر إلى دموعه ، ولكن انظر إلى ما تصنع يداه .

فهل تظنون أن الانكليز والفرنسيين أصغر أحلاماً من العصافير حتى يخدعوا بخطبكم وأقوالكم ، ويعموا عما تصنع أيديكم ؟

***

إن قضية فلسطين لم يجرمثلها ولا فى أيام نيرون . ولوقرأناها فى أخبار الأولين ، لما صدقنا أنه يسوغ فى إنسانية البشر ، وعقل العقلاء ، أن تقول لرجل : أخرج من دارك ليأوى إليها هذا المشرد المسكين ، ونم أنت فى الزقاق ، أو اضطجع على المزبلة أو مت حيث شئت . هذا قضاء المدنية ، وهذا حكم الديموقراطية.

وإن حوادث المغرب لم يقع مثلها ولا على عهد محاكم التفتيش أن يذبح عشرات الألوف من الأبرياء ، لأنهم قالوا لمن دخل عليهم بلادهم ، واغتصب أرضهم ، وأكل خبزهم : اطعمنا معك من خيرات أرضنا ، وارفق بنا فى عدوانك علينا ...

فهل أحسسنا حقيقة ببغضاء الفرنسيين والانكليز؟ ألا يزال فينا من يثنى على الانجليز فى الصحف « تقريراً للحقيقة ؟ » ، ويحتفل بدوهامل « تمجيداً للأدب ؟ » ، ويودع المجندات الانكليزيات بالأسى « تقديراً للجمال ؟ » ، ألا يزال فينا نواد أقيمت لتثبيت الصداقة بيننا وبين هؤلاء الذين فعلوا هذه الأفاعيل فى فلسطين والمغرب ؟

فكيف يجتمع الحب والبغض فى قلب واحد ؟

***

إننا فى أيام لها ما بعدها ، ومصائب تنسينا أواخرها أوائلها

فإذا كنا جادين حقيقة فى إنقاذ فلسطين والمغرب ، وفى العمل لمصر وللعربية وللاسلام ، وكنا نريد أن نكون أمة تستحق أن تعيش ، فيجب أن نتخلص أولا من استعمار الأوربيين أدمغتنا وألسنتنا وبيوتنا ، وأن نحكم عقولنا فلا نقتبس منهم إلا ما نعتقد نفعه لنا ، وأن نثق بأنفسنا ، ونشعر بكرامتنا ، وأن يفهم الحاكم منا أن لنا شرعاً أفضل من قوانينهم ، فيجب أن نقتبس الأحكام من شرعنا ، وأن يعلم الطالب أن لغتنا أكمل من لغاتهم ، وأدبنا أسمى من آدابهم ، وتاريخنا أمجد من تواريخهم ، وأنها لم تخدم أمة العلم ما خدمته أمتنا ، وأن يعتقد التاجر أن من الفرض عليه أن يروج البضاعة الوطنية ، ويقاطع الأجنبية التى تزاحمها ، وأن يؤمن الأديب بأن لهذه الأمة حقاً على قلمه ، أن يدافع عنها ، ويعيد إليها كرامتها ، وثقتها بنفسها ، ويصغّر الأجنبى فى عينها ، وأن يفهم أخنع [1] رجل فينا ، أنه أعظم من أكبر خواجة من الخواجات ، أو (مستر) من المساترة أو (هر) أو (سنيور) من السنانير والهررة ، وأن يعلم أنه هو صاحب البلد ، وهؤلاء بين غاصب أو لص أو (شحاد) ، وله هو مقعد الدرجة الأولى فى الترام ، وله الغرفة الأولى فى الفندق ، والمائدة الأولى فى المطعم ، وأنه حينما يقنع بالاقل ويتوارى ويبتعد ، ويدع الأجنبى يملك الأرض ، والعمارات ، والمتاجر ، يكون مجرماً كالجندى الذى ينهزم من المعركة .

وملاك الأمر كله ، أن نعلم أننا نحن أساتذة الدنيا ، ونحن سادتها . عززنا بقرآننا وديننا ، ولا يزال القرآن مبعث عزٍّ لنا ، فلنعد إليه ، ولنجعله إمامنا فى حياتنا ، ومعقد فخارنا ، ولندعُ الدنيا إلى اتباعه لأنه لا فلاح لها إلا به .

إننا اليوم أضعف من الغربيين فى القوى المادية ، فلم يبق لنا إلا القوى الروحية : قوة الإيمان ، وقوة الأخلاق ، وقوة العفاف فلنحافظ عليها ، ولنحارب الإلحاد والنفاق والفجور ، لأنها عون للعدو علينا ، وسلاح له يعمله فينا ، وأن نجرد للعدو جنداً أخرجوا حبه من قلوبهم ، وضلالاته من رؤوسهم ، وعاداته من بيوتهم ، وأبغضوه بغضاً بلغ الشغاف ، وخالط الدم ، وسرى فى الأعضاء ، وظهر في الأفعال . جنداً ، صدورهم حافلة بالإيمان ،

(١) أخنع : أذل وأوضع .

عامرة باليقين ، يثقون بماضيهم وأنهم يستمدون منه الظفر : من ألف معركة منصورة كانوا أبطالها ، ومن ألف سنة مباركة كانوا ملوك الأرض فيها ، ويثقون بحاضرهم ، وأن دماءهم ما أضاعت هذا الإرث ، ورؤوسهم ما فقدت هذه الذكريات ، ونفوسهم ما خسرت ذلك الشمم وتلك الفضائل ، ويثقون بمستقبلهم ، وأنهم سيملكون الأرض كرة أخرى ، وسيعودون ملوكها . جنداً : شباباً هم فى الحكمة كالشيوخ ، لم تسترقّهم الشهوات ، ولم تستعبدهم الملذات ، ولم تلعب بهم الصبايا ، وشيوخاً هم فى العزيمة كالشباب ، لم تفتنهم المناصب ، ولم يطغهم الغنى ، ولم يسر فى أعصابهم الخور ...

بهذا الجيش فلنجاهد ، جهاداً متصلا مستمراً ، لا يني ولا يقف حتى يهدم قلاع العدو كلها ، ظاهرها ومضمرها ، وواضحها وخفيها .

إن الجهاد إن لم يبدأ من البيت والمدرسة والجريدة ، فلا يمكن أن ينتهى إلى الساحة الحمراء ، فإذا أردتم أن تبلغوا نهاية الطريق فامشوا من أوله ، وإن شئتم أن تصلوا إلى أعلى السلم فابدأوا من أسفله ، فان من يمشى من آخر الطريق يرجع إلى الوراء ، ومن ينزل من رأس السلم يصل إلى الأرض !

( القاهرة ) **علي الطنطاوي**

# النطق وكيف نشأ

## فى النوع الانسانى وفى الحيوانات العليا

للأستاذ نصيف المنقبادى المحامى

---

### ١ — هل النطق غريزى فى الانسان ؟

يتعين علينا قبل الدخول فى صميم الموضوع أن نشير الى نقطتين أو حقيقتين مقررتين ثابتتين :

**تطور اللغات :**

الحقيقة الأولى أن اللغات — وهى مظهر النطق أو صورته فى مختلف الجماعات والبيئات الانسانية — لم توجد كما هى منذ ظهور الانسان على الأرض ولكنها تنشأ وتتطور شأن كل ما فى الكون من جمادات ونباتات وحيوانات ( بما فيها الانسان ) طبقاً لنواميس النشوء والتطور . فمنذ ألفى سنة لم يكن للغات الفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية مثلا أثر من الوجود . فكيف نشأت ووُجدت ؟ لما فتح الرومان باقى أقاليم إيطاليا ثم فرنسا وإسبانيا والبرتغال انتشرت لغتهم اللاتينية فى تلك البلاد وكانوا هم الفاتحون الأقوياء كما أنهم كانوا أرقى من السكان الأصليين فى المدنية والشرائع والعلوم والفنون ، لذلك لم تلبث اللاتينية حتى تغلبت على اللغات المحلية وحلت محلها جرياً على نواميس الانتخاب الطبيعى وما يترتب عليها من انهزام الضعيف وبقاء الأصلح . ولكنها ( أى اللاتينية ) تطورت بدورها فى كل بلد منها تطوراً مختلفاً باختلاف كل من تلك البيئات الجديدة فتحولت شيئاً فشيئاً فى فرنسا الى الفرنسية وفى إيطاليا الى الايطالية وفى إسبانيا الى الاسبانية وهكذا .

وكما أن الصور أو الحلقات المتوسطة بين الحيوانات والنباتات الحديثة وبين الأنواع القديمة التى تسلسلت منها موجودة وقد كُشف عن الكثير منها متحجراً فى طبقات الأرض التى تكوّنت فى مختلف الأعصر الجيولوجية القديمة ، كذلك الحلقات المتوسطة بين اللغات الحديثة وبين جداتها التى تسلسلت منها ، وأعنى بها المؤلفات التى وضعت بتلك اللغات فى الأعصر المتعاقبة ووصل الينا الكثير منها . فلغة الكتب والرسائل الفرنسية التى وضعت فى القرن العاشر مثلا أو الثانى عشر قريبة من اللاتينية ومن مزيج من اللغات الأصلية المحلية . وكلما اقتربنا من عصرنا الحالى نجدها تقترب من اللغة الفرنسية الحديثة بحيث نستطيع أن نتتبع تطور هذه اللغة التدريجى وتحولها شيئاً فشيئاً من اللغة اللاتينية التى اشتقت منها مع امتزاجها بشىء من اللغات المحلية الأصلية . وهكذا الحال بالنسبة للاسبانية وباقى اللغات المتسلسلة من اللاتينية . بل ولسائر اللغات الأخرى .

واللغات اللاتينية واليونانية القديمة ( التى اشتقت منها اليونانية الحديثة ) والجرمانية القديمة ( التى تسلسلت منها الألمانية الحديثة وبعض لغات أوروبا الوسطى والشمالية بل واللغة الانكليزية نفسها ) ، ومعظم لغات أوروبا الأصلية متسلسلة بدورها من لغة هندية قديمة وهى السنسكريتية . وجميع هذه اللغات الهندية الأوروبية تكتب من اليسار الى اليمين خلافاً للغات السامية مثلا ( التى منها العربية ) فانها تكتب من اليمين الى اليسار عدا الأرقام لأنها من أصل هندى .

وما يقال عن اللغات الأوروبية يقال عن اللغات الشرقيـة وغيرها . فمنذ ثلاثة آلاف سنة تقريباً لم تـكن اللغة العربية ولا العبرية الحـديثة ولا الحبشية ولا أخواتهـا الحالية قد وجدت . فـكيف نشأت ؟ إنها نشأت وتطورت جرياً على نفس النواميس الطبيعية المتقدم بيانها بفعل العوامل الاجتماعيـة والسياسية والتاريخية والطبيعية . فاللغة أو اللغات الأصلية القديمـة التى اصطلح على تسميتها بالسامية تطورت تطوراً مختلفاً باختلاف الأقاليم والبيئات التى انتشرت فيها الى أن تحولت الى العربية القديمة ، والعبرية القديمة والمصرية القديمـة ( التى اشتقت منهـا القبطية واستبدلت كتابة حروفها باليونانية ) ، والحبشية ، والحميرية ، والـكلدانية أو البابلية ، والآشورية ، وغيرها . وقد استمرت عوامل التطور تعمل فى هذه اللغات الأخيرة الى أن تحولت شيئاً فشيئاً الى اللغات الحديثة المعروفة . وسأعود فى آخر هذا المقال الى تطور اللغة العربية فى مختلف البلاد الشرقية .

وكذلك الحال بالنسبة لمجموعة اللغات الطورانية القديمـة والحديثة ( التى منها اللغة التركية ولغات آسيا الوسطى ) وغيرها من اللغات الأخرى .

وكما أنه توجد فى أنواع النباتات والحيوانات القديمة والحديثة وفى الانسان أعضاء أثرية لا وظيفة لها إطلاقاً بدليل أنه يمكن استئصالها دون أن يصاب الفرد الذى تجرى له هذه العملية بأى ضرر أو نقص فى حيويته ، لأنهـا فى الواقع آثار أعضاء قديمة كانت مستعملة عند أجدادنا البعيدين ثم ضمرت شيئاً فشيئاً لعدم استعمالها عندما طرأت عليهم ظروف جديدة جعلتهم يستغنون عنها ، كذلك توجد فى بعض الألفاظ حروف أثرية لا تنطق ولـكنها تدل على الأصل الذى تسلسلت منه . مثل لفظة Corps الفرنسية أى جسم فان حرفى S و P لا ينطقان ولـكنهما كانا يلفظان فى الأصل اللاتينى Corpus . وكذلك لفظة Sang الفرنسية فان الـ g لاتلفظ هنا ولـكنها كانت تلفظ فى الأصل اللاتينى Sanguis ويجد القارىء الـكثير من هذه الأمثلة فى كتب علم نشوء اللغات وتطورها .

وخلاصة القول إن لغات البشر ليست ثابتة ولم توجد كما هى منـذ ظهور الانسان على الأرض ولـكنها فى تطور مستمر ينشأ الحديث منها من القديم ويتسلسل منه بطريق التطور التدريجى . وسأبين فيما يلى كيف نشأ النطق فى بادىء الأمر كما ينشأ الآن فى الأطفال وفى كثير من الطيور والحيوانات العليا .

**النطق غير غريزى فى الانسان :**

والحقيقة الثانية التى يجب بيانها هى أن النطق ليس غريزياً فى البشر ولا هو مميز لهم عن سائر الحيوانات وليس « الانسان حيوان ناطق » كما كانوا يعتقدون فيما مضى قبل تقدم العلم .

فاذا فصلنا طفلا عن باقى البشر منذ ولادته وعهدنا فى تربيته الى شخص يتولى ذلك بعيداً عن الناس دون أن يفوه أمامه بأى لفظ، فان هذا الطفل ينشأ عديم النطق بتاتاً إلا مايصدر منه طبيعياً أو فسيولوجياً من أصوات الألم والانفعالات النفسية كالتأوهات والهمهمة والتأفف مثلما تفعل الحيوانات كما سنبينه فيما بعد . وقد يلجأ الى بعض إشارات للتعبير عن حاجاته كرفع يده الى فمه اذا أراد الأكل وما الى ذلك من الحركات الطبيعية الآلية . واذا سلمناه الى جماعة من الخرس فانه لايلبث حتى يقلدهم فى إشاراتهم ليعبر بذلك عما يتطلبه من أمور الحياة فيكون فى ذلك كالأخرس دون أن يعرف الى النطق سبيلا .

ويؤيد هذه الحقيقة ، أى أن النطق اللغوى ليس غريزياً فى الانسان بل هو وليد البيئة ونتيجة التقليد السماعى — كما سيأتى بيانه — ماهو معروف للجميع من أن الطفل الذى ينشأ فى وسط قوم يتكلمون العربية مثلا يتكلم هذه اللغة دون غيرها حتى اذا كان آباؤه وأجداده من أبناء لغة أخرى ، وكذلك الحال اذا نشأ طفل عربى محض فى فرنسا بعيداً عن أهله منـذ ولادته فانه لا يتكلم إلا الفرنسية وهكذا . واذن فالنطق ليس بغريزى .

**النطق فى الحيوانات :**

ومن جهـة أخرى لايخفى أن لـكثير من الطيور وذوات الثدى وعلى الأخص القرود العليا ، وكذلك الحشرات الإجتماعية كالنمل لغات صوتية أو اصطلاحية بسيطة يتفاهم بها أفرادها إلى حـدّ ما . فان لبعض الحيوانات إشارات طبيعية تعبر بها عن انفعالاتها النفسية . فالـكلب مثلا يهز ذيله للترحيب بسـيده ويتفوه ببعض أصوات خاصة لايبديها إلا فى مثل هذا الظرف ،

وهو يرخى ذيله إلى الأرض بين قدميه عند الخضوع والخشوع والخوف وهو والقطط وبعض الحيوانات الأخرى يكمشون آذانهم عند الخوف إذا هددوا مثلا بالضرب .

وللنمل طريقة للتفاهم أشبه بلغة الإشارات التلغرافية . فاذا تقابل إثنان منها من نوع واحد تراها يتلامسان بزوائدهما الأمامية برهة ثم يسير كل منهما فى طريقه . وإذا اكتشف أحدها شيئا من الغذاء يسرع إلى استدعاء باقى أفراد جماعته ، ومعلوم أنه ليس للنمل وسائر الحشرات قصبة هوائية ولا أوتار صوتية نظراً لأنه ليس لها رئتان بل أنها تتنفس من مسام عديدة على سطح جسمها ينفذ منها الهواء إلى داخل الجسم ، فلا يمكن والحالة هذه أن تحدث أى صوت تتفاهم به ، ولاشك فى أنها تتحدث مع بعضها بالإشارات بالطريقة المتقدم بيانها (Langage Antennale ) .

وليست لغة الحيوانات قاصرة على الإشارات ولكن الكثير منها ينطق بأصوات للتعبير عما يجول فى نفسيتها البسيطة من الانفعالات والمقاصد المحدودة . والذى يرقب القطط مثلا فى المنازل يراها عند رؤية الطعام أو شم رائحته أو عند ماتجوع تبدى نغمة خاصة . ولها عند نداء صغارها صوت آخر لاتنطق به إلا فى هذه المناسبة فقط . وللأناث منها عند طلب الذكور صوت معروف أشبه بلفظة « داوُد »

والببغاء تنطق بكلام البشر بوضوح . وقد دلت المشاهدات والاختبارات على أنها تفهم فى أغلب الأحيان مجمل ما تتفوه به مما تكون قد حفظته من باب التقليد فى بادىء الأمر ثم تكرره وينتهى بها الأمر إلى أن لاتتفوه به بعد ذلك إلا فى المناسبات التى تؤدى إليها معانيه ، بل إنها كثيراً ما ترد على مايوجهه اليها الإنسان بالألفاظ المناسبة مما يدل على أنها تدرك إلى حد ما معانى ماتسمع ومعانى ماتقول . ويتم لها ذلك بالتقليد والتلقين والتمرن كما يحدث للأطفال على وجه التقريب ، ذلك لأن الأطفال يتعلمون بنفس هذه الطريقة : التقليد والتلقين والتمرن .

أما تغريد الطيور فأمره معروف ، وتمتاز به الذكور فى بعض الأنواع لتغرى الأناث حتى تكتسب إعجابها وتفوز بها . وتقيم أنواع أخرى منها اجتماعات على الأشجار أشبه بالحفلات الموسيقية يتبارى فيها الذكور فى النطق بنغمات شجية مطربة لتخطب ود الأناث فتنتخب هذه أجملهم صوتا ، كما أن أنواعا أخرى يتباهى ذكورها أمام الأناث بريشهم الزاهى ، ولهذا كان الذكور أجمل من الأناث لافى الطيور فقط ولكن فى كثير من الفصائل والمراتب الحيوانية الأخرى نتيجة ذلك الانتخاب الجنسى الطبيعى طبقاً لنظرية داروين « Sélection Sxcuelle » .

على أن أنصار نظرية لامارك فى أسباب النشوء والتطور يضيفون إلى ذلك التفسير تفسيراً آخر يرجع إلى فعل العوامل الطبيعية الخارجية ( البيئة والعوامل الجوية ونظام الحياة والعادة والاستعمال أو عدم الاستعمال الخ ) والداخلية ( العوامل الفسيولوجية والتفاعلات الكيميائية التى تحدث داخل الجسم وعلى الأخص فعل الهرمونات التى تفرزها الغدد الصماء أى الغدد ذات الافراز الداخلى )

ومما يرجح نظرية لامارك على نظرية داروين فى تفسير تلك الظاهرة ونعنى بها تفوق الذكور على الأناث فى جمال الصوت وزهاء الريش وغزارة الشعر وجمال اللون هو مايحدث فى كثير من أنواع الأسماك حيث تكتسب الذكور فى موسم التلقيح ألوانا زاهية يسمونها فى علم الحيوان « حلة الزفاف » على حين أن تلك الأنواع لاتتزاوج ولاتلقح بعضها تلقيحا فعلياً مباشراً بل إن الأناث تفرز بويضاتها رأسا فى الماء ثم يأتى الذكر ويفرز مادته المنوية فى الماء أيضاً فيحدث التلقيح بين مايلتقى منهما بفعل الأمواج ، وكل هذا دون أن يتصل الذكور بالأناث . فلا شك فى أن الألوان الزاهية التى تطرأ على الذكور إنما هى نتيجة التفاعلات الكيميائية التى تحدثها فى الجسم الإفرازات الداخلية للخصيتين عند نضوجهما وهى التى تنبت مثلا الشوارب وشعر الذقن فى ذكور النوع الإنسانى وتؤثر فى صوتهم وتكسبهم صفات الرجولة ، كما أن إفرازات المبيضين تكسب الفتيات عند البلوغ نعومة المرأة وصفات الأنوثة فيها .

نعود إلى النطق فى الحيوانات فنقول إن للقرود عامة وعلى الأخص القرود العليا الشبيهة بالإنسان ( الغورلا ، والشانبانزيه

والأورانجوتان ، والجيبون ) لغة أو لغات حقيقية وإن كانت على أبسط صور النطق ، مكونة من بعض أصوات أو مقاطع لا تبعد كثيراً عن لغات الأطفال فى أوائل العام الثانى من ولادتهم ولغات بعض القبائل المتوحشة .

وقد التقط بعضهم أصوات أفراد من القرود على اسطوانات فونوغرافية ثم أدارها أمام قرود من نفس النوع فى حدائق الحيوانات فكانت تصغى إليها باهتمام وتنبه وتبدى إشارات وحركات وتنطق بأصوات كأنها ترد عليها .

ومما يؤيد أيضاً أن النطق فى الإنسان والحيوانات ليس غرزيا وإنما هو مكتسب بالتقليد التجربة القديمة الآتية التى أجراها دين باربجتون الإنكليزى Daines Barrington ودوّنها فى موسوعته الفلسفية التى ظهرت سنة ١٧٧٣ فى الجزء ٦٣ Philosophical transactions وقد نقلناها من كتاب العالم البيولوجى الفرنسى فيلكس ليدانتك « العلم والشعور » Science et conscience طبع سنة ١٩١٦ صحيفة ١٨١ فقد أخذ باربجتون عصافير صغيرة عقب ولادتها من نوع Linottes ونقلها إلى عش عصافـير من نوع آخر يسمى Alonettes فاقتبست تغريد هذه العصافير بطريق التقليد وظلت تغرده طيلة حياتها كأنها طبعت عليه إلى حد أنه وضعها بعد ذلك مع أفراد من نوعها فلم تستطع أن تجاريهم فى تغريدهم الذى هو تغريد آبائها وأجدادها . ذلك لأن مخ العصافير المحدود يعجز عن وعى شىء جديد غير ما طبع فيه بطريق التقليد فى مستهل حياة هذه الكائنات البسيطة .

* * *

وخلاصة القول إن النطق ليس بغريزى فى البشر ولا هو قاصر عليهم وإنما هو ظاهرة فسيولوجية بسيكولوجية طرأت على بعض الحيوانات وتدرجت حتى وصلت إلى ماهى عليه فى النوع الانسانى . كما أن اللغات ظاهرة اجتماعية

فالانسان ليس بحيوان ناطق كما كانوا يعلموننا فيما مضى وهو لايختلف فى شىء من هذه الناحية عن باقى الحيوانات إلا فى الدرجة فقط .

وكل ماهناك هو أن الانسان حيوان ثرثار كثير النطق يحب أن يتكلم بلا انقطاع فى مجتمعاته الخاصة والعامة ، فى كل مكان وزمان ، يخلق المناسبات ليشبع شهوة الكلام ، وإذا تقابل اثنان على غـير سابق معرفة فى القطار أو الترام مثلا تراهما يتحدثان ولو فى أتفه المواضيع كالجو والطقس . وإذا لم يجد الانسان من يتحدث معه يظل يتكلم مع نفسه ويكرر مثلا ما قاله أومايود أن يقوله لغيره ، وأحيانا يصحب هذا الحديث إشارات يبديها بيده على غير قصد تنم عما يدور فى نفسه . وحتى فى نومه لايخلو من الكلام ، وكثيراً مايتفوه وهو على هذه الحالة بألفاظ واضحة أو غير واضحة يسمعها من بجواره . وكثرة الكلام مرض عند بعض الأشخاص يضايقون به غيرهم فيهرب الناس منهم .

وفى المقال التالى نتكلم عن نشوء النطق فى النوع الانسانى ثم نعقبه ببحث خاص عن تطور اللغة العربية[1] .

**نصيف المنقبادى**
المحامى

(١) كتب هذا البحث قبل ظهور الكتاب القيم في هذا الموضوع للدكتور على عبد الواحد وافى وسنعود إلى الحديث عن الكتاب .

من كتاب ديارات بغداد :

# الديارات وملحقاتها ...

للأستاذ شكرى محمود أحمد

الدير بيت يتعبد فيه الرهبان ، ويكون بين الرياض والحدائق فى ظواهر المدن والأمصار ، أو فى المواضع البعيدة عن الناس كالصحارى والمستشرفات ورءوس الجبال .

وقد أخطأ ياقوت فى الكلام على الدير والتعريف به فى كتاب معجم البلدان بقوله : « ولا يكاد يكون بالمصر الأعظم ، إنما فى الصحارى ورءوس الجبال[1] » . فاننا وجدنا أديرة كثيرة فى ظواهر المدن ، فقطربل مثلا وهى ملاصقة لبغداد فيها دير أشمونى ، قال الشابشتى : « وعيده اليوم الثالث من تشرين الأول[2] ، وهو من الأيام المظيمة ببغداد ، يجتمع أهلها إليه كاجتماعهم إلى بعض أعيادهم ، ولا يبقى أحد من أهل التطرب واللعب إلا خرج إليه ... ويباهون بما يعدون لقصفهم ، ويعمرون شطه وأكنافه ، وديره وحاناته ...[3] » ، وفى قطربل أيضاً دير آخر اسمه دير « الجرجون » ذكره الشابشتى فى الكلام على دير أشمونى .

وقد أحصيت الأديرة التى كانت ملاصقة لبغداد أو قريبة منها فوجدتها تقرب من العشرين ديراً ، وربما كانت أكثر من هذا ؛ أما الأديرة التى حول الحيرة أو قريبة منها فأكثر من عشرين ديراً . وهذا ينقض زعم ياقوت بأن الدير لا يكون فى المصر الأعظم ، وإذا استقصينا الشواهد على نقضه ضاق بنا المجال .

وربما كان قول المقريزى فى التعريف بالدير أقرب إلى الصواب ، فقد قال : « الدير عند النصارى يختص بالنساك المقيمين به ، والكنيسة مجمع عامتهم[4] »

أما قول الفيروز ابادى فى الدير ، والتعريف به فقلق جداً لا يدل على اطلاع فى هذا الموضوع ، فقد قال : « الدير خان النصارى وجمعه أديار[1] » ، والخان يطلق على كل موضع يقام به فى سفر أو غيره .

وقد جاء فى الشعر العربى إشارات كثيرة إلى مواضع الأديرة التى تكون على سفوح الجبال أو فى السهول والرياض . قال أبو الحسين بن أبى البغل الشاعر فى دير الأعلى بالموصل ، وقد اجتاز به يريد بلاد الشام[2] :

انظر إلىّ بأعلى الدير مشترفاً      لا يبلغ الطرف فى أرجائه طرفا
كأنما غربت غر السحاب به      فجاء مختلفاً يلقاك مؤتلفا
فلست تبصر إلا جدولا سرباً ،      أو جنة سدفاً ، أو روضة أنفا

وربما كان هذا الدير «دير الأعلى» أكثر الأديرة ارتفاعاً . قال العمرى : « وله درجة منقورة فى الجبل تفضى إلى دجلة نحو المائة مرقاة[3] » .

وقال ربيعة الضبى يصف إحدى الحسان :

لو أنها عرضت لأشمط راهب      فى رأس مشرفة الذرى متبتل
جار ساعات النيام لربه      حتى تخدر لحمه متشمل
لصبا لبهجتها وحسن حديثها ،      ولهمَّ من ناقوسه بتنزل[4]

ومما جاء فى وصف موضع الدير الذى يكون بين الحدائق والرياض تحف به البساتين والحقول قول ابن المعتز فى دير عبدون :

سقى المطيرة ذات الظل والشجر      ودير عبدون هطالٌ من المطر
يا طالما نبهتنى للصبوح به      فى ظلمة الليل والعصفور لم يطر
أصواتُ رهبان دير فى صلاتهم
سود المدارع ، نعَّارين فى السحر[5]

وقال جحظة البرمكى فى دير أشمونى بقطربل ، وقد خرج إليه فى عيد من أعياده ، فلما وصل إلى الشط ، مدّ عينيه لينظر موضعاً خالياً يصعد إليه ، أو قوماً ظرافاً ينزل عليهم ، فرأى فتياناً من أحسن الناس وجوهاً ، وأنظفهم لباساً ، وأظرفهم آلة ، فصعد إليهم وصاح بغلامه : « يا غلام طنبورى ونبيذى ، فقالوا : أما

(١) ياقوت ج ٤ ص ١١٩ . (٢) هو الإسم العربى لأكتوبر
(٣) الشابشتى ورقة ١٨ .
(٤) الخطط ج ٣ ص ٤٠٩ .

(١) القاموس المحيط مادة دير .
(٢) ياقوت ج ٤ ص ١٢٤ .
(٣) مسالك الأبصار للعمرى ص ٣٤٠ ، ٣٤١ .
(٤) الأغانى طبعة بولاق ج ١٩ ص ٩٣ .
(٥) ياقوت ج ٤ ص ١٥٥ .

الطنبور فنعم ، وأما النبيذ فلا ، فجلست مع أحسن الناس أخلاقاً وأملحهم عشرة ، وأخذنا فى أمرنا ، ثم تناولت الطنبور وغنيت شعراً لى :

ســـقياً لأشمونى ولذاتها والعيش فيما بين جنـــاتها
ســـقياً لأيام مضت لى بها ما بين شطيها وحاناتهـــا
إذ اصطباحى فى بساتينها وإذ غبوقى فى دياراتها[١]

وعلى ذكر أشمونى وخبر جحظة البرمكى وشعره فيه ، يجمل بنا أن نذكر هذه القطعة البارعة لأبى الشبل البرجى فيه ، وهو كصاحبه جحظة من « عصابة السوء » النواسية :

شهدت مواطن اللذات طراً وجبتُ بقاعها بحراً وبرا
فلم أر مثـــل أشمونى محلاً ألذّ لحاضريه ولا أسرا
به جيشان من خيل وسفن أناخا فى ذراهُ واستقرا
كأنهما زحوف وغىً ولـكن إلى اللذات قد كرا وفرا
سلاحهما القواقز والقنانى وأكواس تدور هلم جرا
وضربهما المثالث والمثـــانى
إذا ما الضرب فى الحرب استحرا
وأسرهما ظباء الدير « طوعاً »
إذا أسد الحروب أسرن قسرا[٢]

فالدير إذن يكون على قمم الجبال وسفوحها ، وفى السهول بين الرياض والجنائن ملاصقاً للمدن أو بعيداً عنها فى الصحارى والمواضع المنقطعة عن الناس .

ويسمى الدير أحياناً بالعُمْر وجمعه أعمار قال صاحب تاج العروس فى العمر : « والعمر بالضم المسجد والبيعة والـكنيسة ، سميت باسم المصدر لأنه يعمر فيها أى يعبد »[٣] .

وقد فرق صاحب مراصد الاطلاع بين الدير والعمر ، فخص ما كان منهما قريباً من المدن والعمران بالعمر وما كان بعيداً عنهما بالدير ، وذلك فى قوله : « ... وما كان من مواضع المتعبدات التى فيها مساكن الرهبان بقرب العمران فإنه يسمى العمر »[٤] .

وقد مرت هذه اللفظة فى شعر الفتاك والماجنين الذين كانوا يألفون الديارات ويتطرحون فيها . قال أبو نواس :

أذنك الناقوس فى الفجر وغرد الراهب فى العمر
وحنّ مخمور إلى خمـــرة وجاءك الغيث على قـــدر
يا حبذا الصحبة فى العمر وحبـذا نيسان[١] من شهر
يا عاقد الزنار فى الخصر بحرمة الحـــانة والفهر
هات التى تعرف وجدى بها واكن بما شئت عن الخمر
يا حبذا الجهر بأمر الصبا ما كنت من ربك فى ستر[٢]

وقد أرجع حبيب زيات هذه اللفظة « العمر » إلى أصل أرامى بمعنى البيت والمنزل .

**ملحقات الدير :**

تشتمل الأديرة على الـكنيسة والهيـكل ، والقلالى وبيوت المـائدة ، ومستودعات الخمور ، والبساتين ومعاصر الـكروم والحانات ودور الضيافة ، وحجر الرهبان ، وحجرة لرئيس الدير الذى يشرف على تنظيمه .

ويحف بالدير أحياناً بنايات مرتفعة يسكن كل واحدة منها راهب يقال لها القلالى أو القليات ، ومفردها على الأول قلية ، وعلى الثانى قلاية ، ومعناها الصومعة ، وقد تكون هذه القلالى فى داخل الدير خلف سوره .

وربما كانت هذه اللفظة « قلية » فى الأصل خلية ، وجمعها خلايا لأنها تشبه الخلايا فى شكلها وانتظامها حول الدير .

وقد أخبرنى بعض الأفاضل أن أصل هذه اللفظة يونانى ؛ وهى فى اللغة الأرمنية قليثه .

وقد مرت هذه اللفظة فى شعر العصبة النواسية فى مواضع كثيرة نـكتفى بقول الثروانى فى دير بالحيرة عرف بقلاية القس . قال :

خليـــلى من تيم وعجل هديتما
أضيفا بحث الكأس يومى إلى أمسى
وإن أنتما حييتمانى تحيـــة
فلا تعدوا ريحان قلاية القس

(١) الشابشتى ورقة ١٨ ، ١٩ .
(٢) الشابشتى ورقة ١٨ ، ١٩ .
(٣) تاج العروس ج ٣ ص ٤٣ .
(٤) مراصد الاطلاع ج ١ ص ٤٢ .

(١) هو ابريل واسمه فى الشام والعراق نيسان .
(٢) ديوان أبى نواس طبعة آصاف ص ٢٧٦ .

وتنتشر حول الأديرة الحقول والبساتين المعمورة بمختلف الأثمار والأزهار ، وقد كانت الكروم أكثر هذه المزروعات عناية ، وذلك لأن الخمور النصرانية التي كانت تدخر في الأديرة لها شهرة ممتازة يقبل عليها الناس من كل جانب .

واشتهرت المزرفة – وهي قرية ملاصقة لبغداد ، فيها أديرة كثيرة – بالرمان الذي ضرب المثل بجودته حتى قيل الرمان المزرفي . وهذه القرية بين قطربل وبزوغى ، وتبعد عن بغداد ثلاثة فراسخ .

ومن الأثمار التي عني بزراعتها في الأديار الزيتون والنارنج والفستق والبندق واللوز . وكان الرهبان يعنون بزراعة مختلف الزهور كالريحان والآس والزعفران والنرجس والبنفسج يعملون منه التحايا والأكاليل .

وفي الغالب كان الرهبان يعنون بتربية البقر والأغنام للاستفادة من نتاجها لهم ولأضيافهم ، كما كانوا يعنون بتربية النحل للاستفادة من شمعه وعسله .

وكانت الأديرة مزينة بالقناديل والصلبان والدمى ، مصبوغة بالأدهان ، وقد كانت هذه الدمى منقوشة على الحيطان بمختلف الألوان ، ولا حاجة بنا إلى الاستشهاد بالشعر على ذلك لأنها مرت في مواضع كثيرة من الشعر العربي ، حتى أصبح ذكرها من ملتزمات القصيدة – في بعض الأحيان – كذكر الأطلال والدمن والربوع .

في الغالب المشهور أن هذه الأديرة كانت محاطة بالأسوار المرتفعة خوفاً من اللصوص وقطاع الطرق والفتاك . وربما كان لها باب حديد كدير الأسكون[1] بالحيرة ، أو باب حجر كدير باطا ، ويسمى هذا الدير أيضاً « دير الحمار » وقد كان بين الموصل وتكريت قال ياقوت : « .. وله باب حجر يذكر النصارى أن هذا الباب يفتحه الواحد والاثنان ، فإن تجاوزوا السبعة لم يقدروا على فتحه .. »[2] .

ولكن هذه الأسوار المرتفعة ، والأبواب الحديدية القوية لم تكن لتحمي الرهبان والراهبات على كثرة عددهم من اللصوص والفتاك ، فقد أصيبوا كثيراً بالنهب والقتل وهتك الحرم .

وقصة اللصوص في دير العذارى خير شاهد على ذلك ، وخبر

(١) ياقوت ج ٤ ص ١٢٣ .

(٢) ياقوت ج ٤ ص ١٢٥ .

الحادث يرويه لنا الجاحظ في كتابه « المعلمين » وهذا الكتاب مفقود ، لكن الخبر ينقله عنه البكري والبلاذري وياقوت والشابشتي والعمري . قال : حدثني ابن فرج الثعلبي أن فتياناً من بني ملاص من ثعلبة ، أرادوا القطع على مال يمر بهم قرب دير العذارى ، فجاءهم من خبرهم أن السلطان قد علم بأمرهم ، وأن الخيل قد أقبلت تريدهم ، فاختفوا في دير العذارى . فلما حصلوا فيه ، سمعوا أصوات حوافر الخيل التي تطلبهم وهي راجعة من الطلب فأمنوا . فقال بعضهم لبعض : ما الذي يمنعكم أن تأخذوا القس وتشدوه وثاقاً ، ثم يخلو كل واحد منكم بواحدة من هذه الأبكار ، فإذا طلع الفجر تفرقنا في البلاد ؟ وكنا جماعة بعدد الأبكار اللواتي كن في حسابنا أبكاراً . ففعلنا ما أجمعنا عليه ، فوجدناهن كلهن ثيبات قد فرغ منهن القس .

وينظم أحد هؤلاء اللصوص قصتهم هذه مع الرواهب قائلا :

| | |
|---|---|
| ودير العذارى فضوح لهن | وعند اللصوص حديث عجيب |
| خلونا بعشرين ديرية | ونيل الرواهب شيء غريب |
| إذا هن يرهزن رهز الظراف | وباب المدينة فج رحيب |
| وللقس حزن يهيض الفؤاد | ووجد يدل عليه النحيب[1] |

واشتهرت قصة دير العذارى هذه حتى وردت في مواضع مختلفة في الشعر العربي .

وفي أحداث سنة ٤٤٩ هـ ( ١٠٥٧ ) يذكر صاحب مرآة الزمان : « فيها صعد عشرون رجلا من الغز إلى دير للنصارى بميافارقين ، فيه أربعمائة راهب ، فذبحوا منهم مائة وعشرين واشترى الباقون نفوسهم بست مكاكي فضة وذهب »[2] .

فالأسوار المرتفعة والأبواب الحديدية التي كانت تحصن الأديرة لم تحافظ على الرهبان والرواهب ، لذلك نجد أكثر هذه الأديرة متجمعة بالقرب من المدن الكبيرة ، والعواصم المزدحمة ، والأمصار المأهولة خوفاً من اللصوص وقطاع الطرق والفتاك .

أما الكرح بالكسر فبيت الراهب ، ويكون أصغر من القلية ، يسكن فيه الراهب إذا قعدت به الحال ولم يستطع الحصول على قلية . وجمع الكرح أكراح ، ويجيء جمعه أيضاً على صيغة التصغير أكيراح . قال ابن منظور في اللسان ج ٣ ص ٤٠٥ هي

(١) معجم ما استعجم ص ٣٧٦ ، آثار البلاد للقزويني ص ٢٤٨ ، ياقوت ج ٤ ص ١٥٧ .

(٢) حبيب زيات ص ٣٠٠ .

بيوت للرهبان يخرج إليها النصارى فى بعض أعيادهم . ومعنى هذه اللفظة اليونانية الكوخ الصغير .

وأشهر المواضع التى عرفت بالأكيراح هو دير حنة بالحيرة الذى وصفه أبو نواس فى موضعين ، قال :

دع البساتين من ورد وتفاح
واعدل هديت إلى ذات الأكيراح
اعدل إلى نفر دقت شخوصهم
من العبادة إلا نضو أشباح
يكررون نواقيساً مرجعة
على الزبور بإمساء وإصباح
تنأى بسمعك عن صوت تكرهه
فلست تسمع فيه صوت فلاح
إلا الدراسة للانجيل فى كتب
ذكر المسيح بإبلاج وإفصاح
يا طيبه وعتيق الراح تحفتهم
بكل نوع من الطاسات رحراح
يسقيكها مدمج الخصرين ذو هيف
أخو مدارع صوف فوق أمساح (1)

ويصف فى موضع آخر من شعره رهبانه ورواهبه ، وكيف أصبحوا أنضاء من العبادة :

يا دير حنة من ذات الأكيراح
من يصح عنك فإنى لست بالصاح
رأيت فيك ظباء لا قرون لها
يلعبن منا بألباب وأرواح
دع التشاغل باللذات يا صاح
من العكوف على الريحان والراح
واعدل إلى فتية ذابت نفوسهم
من العبادة نحف الجسم أطلاح
لم يبق فيهم لرائيهم إذا حصلوا
خلاف ما خوفوه غير أشباح
تلقى بها كل محفو مفارقه
من الدهان، عليه سحق أمساح
لا يدلفون إلى ماء بآنية
إلا اغترافاً من الغدران بالراح

والغريب أن ناشر مسالك الأبصار يقول إن الأكيراح : بلد نزه كثير البساتين والرياض والمياه (2) .

والصحيح ما أثبتناه من أن الأكيراح هى بيوت صغيرة تشبه القبة يسكنها راهب واحد إذا لم يستطع الحصول على قلية .

( بغداد ) **شكرى محمود أحمد**

مدرس العربية بدار المعلمين الابتدائية

(1) ديوان أبى نواس طبعة آصاف ص ٢٦١ .
(2) مسالك الأبصار ص ٣١٤ .

خواطر مسجوعة :

## فلسفة الفـــــأس . . .

قال صاحبى : هل ذكرت الفأس فى كتابك ، وعطفت عليها بآدابك ؟ قلت : نعم وصفتها ، وأنصفتها . فاسمع أيها الصاحب الرشيد ، ما تريد :

الفأس فى تكوينها لا تزيد ، عن قطعة من حديد ؛ رُكّبت فى غصن تمرد بعد لين ، وتجرد بعد تزيين . هذه فى تكوينها هى الفأس ، أداة البأس ؛ فإن لم يدل صنعها على المهارة ، فإن وراءها روح جبارة ؛ تردّ الشظف إن عدا ، وتصد السغب إن اعتدى ...

رأيت حامل الفأس فى الصباح ، كجندى شاكى السلاح ؛ يُذِل بطش العيش ببطش شديد ، ويفُلّ بأس البؤس ببأس الحديد ؛ فقلت بخ بخ أيها الإنسان ، هكذا العزة نصان ! وبهذا الفأس بتحطم اليأس ! سر فى طريقك غير ملوم فلن يثنيك عن الحرية غشوم ! وواصل الكد فى إمعان ، وابحث عن الرزق فى اطمئنان ؛ غير مسحور بكذب الآمال ، ولا مأسور بذهب الأغلال ، فإن فأسك أمضى فى النفعة ، من السيف فى الممعمة ؛ وأسرع فى الإجابة ، من القلم فى الكتابة ؛ فلو حكمت بأنها أعز من حسام الكمىّ ، وأغلى من يراع العبقرى ، لكنت فى حكمك صائباً ، ولم تك كاذباً !

والفأس فى يدك أيها الزارع ، كالمبضع فى يد الطبيب البارع ؛ لها رهبة السلاح ، وعليها سمة الإصلاح ، تعمل حدها فى الأرض ، فتنسق كثافتها ، وتستأصل آفتها . وتمهد السبيل للماء . وتمد الحقل للنماء ...

وحسب الفأس شرفاً أنها تؤتى نائلها ، وتحمل حاملها ؛ بل تحنو على من يحنو عليها ؛ وتمز من يلتجئ إليها ؛ فترحمه من المن ، وتقيه سوء الظن ؛ وتدرّبه بطول الركوع على الخضوع لله ، وتهون عليه ما تعقد من أسباب الحياة !

**حامد بدر**

الأدب في سير أعلامه :

# ٥ - تولستوى

[ قمة من القمم الشوامخ فى أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه ]

للأستاذ محمود الخفيف

## فتى حائر



كان ليو فى نحو الثالثة عشرة من عمره حينما انتقل مع إخوته إلى قازان ؛ وكان جدهم أحد حكام قازان من قبل فكان الصبية ملحوظى المكانة فى مضطربهم الجديد وكان يصحب كل صبي منهم خادم خاص جيء به من بين عبيدهم فى ياسنايا ، وترفع الصبية عمن حولهم من الناس إلا من كانت لهم مثل مكانتهم ولذلك قلت خبرتهم بقازان وأهل قازان ...

وكانت عمتهم يوشكافا التى يعيشون يومذاك فى رعايتها طيبة القلب ولكنها لم تكن على قدر من الثقافة كبير ، وكان زوجها من ذوى الثراء يجعل أكثر وقته للموسيقا ولعب الورق إليها ؛ ولذلك كثيراً ما كان يغشى بيته جماعات من أصحابه وكثيراً ما صرف الصبية عن الجد من الأمور مشاهدتهم هذه الجماعات وأوحى إلى نفوسهم اللعب واللهو فكان لذلك سوء أثره فى دروسهم.

ولكن ليو لا يسرف فى ذلك إسراف إخوته ، بل إنه ليميل إلى مجافاتهم إلى حد ما منذ أن رآهم يتغيرون عما ألفهم ، ورأى فى أذواقهم وميولهم ما يحس أنه غريب عليه جديد عليهم وما لا يسعه إلا أن ينكره منهم بينه وبين نفسه .

ولعله ما أنكر ذلك منهم إلا لأنه لا يستطيعه لنفسه ، فقد عاوده ما يكدر نفسه من اهتمامه بهيئته وماذا عسى أن يكون وقعها فى النفوس ؛ وإنه ليطيل النظر فى المرآة فلا تعجبه أذناه الكبيرتان ولا أنفه الفرطح الواسع المنخرين ولا عيناه الشهباوان الجاحظتان بعض الشيء ولا شفتاه الغليظتان بعض الغلظ .

على أن له فى القراءة مصرفاً عن هذا ، وعزاء ومتعة غير ما يسعى إليه إخوته من متعة ؛ وهو اليوم فى الرابعة عشرة من عمره يلتهم ما تصل إليه يده من الكتب التهاماً ؛ ولن يزال مكباً على كتابه ساعات طويلة حتى لينسى نفسه ، لأنه يعيش بخياله فيما يقرأ ؛ وكان مما قرأه يومئذ كتاب ألف ليلة وقد أثرت فى خياله وحسه قصة « الأربعين لصاً » تأثيراً قوياً وكذلك فعلت قصة الأمير «قمر الزمان»؛ وقرأ الغلام شعر بوشكين وأعجب بقصيدته عن نابليون ، وراقته قصة «الدجاجة السوداء» للكاتب الروسى بوجورولسكى ؛ وقرأ الأنجيل وكم تأثر قلبه بقصة يوسف فأن أثرها فيه كان على حد قوله هائلا ، ولم يزل بعد ذلك بسنين يصف ما أعجبه من وجازتها وبساطتها وصدقها ، ولم يكد يبلغ الخامسة عشرة حتى أصبح مسحوراً بجان جاك روسو ، وإنه من فرط تأثره به ليكاد ينسى كل شيء غيره ، وقد بلغ افتتانه به أنه استبدل صورة له بما كان يضع فوق صدره من صليب ، وأقبل على اعترافاته وكتابيه « إميل » و « هلويز الجديدة » فقرأها مرة بعد مرة ، وكلما أعاد قراءتها ازداد حبه لها واشتد تأثره بها . قال بعد ذلك يصف هذا السحر « كانت صفحات كثيرة منه وثيقة الصلة بنفسى ، حتى لقد خيل إلى أنى أنا الذى كتبتها لا محالة » .

ويمتلىء ذهن الفتى فى السادسة عشرة بكثير من مسائل الفلسفة ، بل إنه ليطمع أن يحل ألغاز هذا الوجود فيشغل نفسه بالنظر فى خلود الروح ووظيفة الإنسان فى هذا الكون وصلته به وإمكان وجود حياة أخرى إلى أمثالها من المعضلات والمسائل .

وينظر الفتى فى نفسه فيصل إلى رأى ، وذلك أن سعادة المرء لا تتوقف على العوامل الخارجية فى ذاتها ولكن على صلة الأنسان بهذه العوامل ، ومن ذلك مثلا أن الأنسان إذا أخذ نفسه بالتقشف وتعود الآلام ألف شقاء العيش وآلامه فإن يشقى به ولن يألم منه

وعلى ذلك فقد أخذ نفسه بألوان من العنف والشدة كأن يحمل بعض الكتب الثقيلة زمناً ويداه ممدودتان ، وكان يضرب جسمه وقد تعرى بحبل حتى تدمع عيناه ، ثم إنه يقنع نفسه بأن التفكير في الموت أمر لا محل له وللأنسان أن يستمتع بالساعة التي هو فيها فالموت أمر لا بد منه والحياة أتفه من أن يُعَنى بها المرء قلبه ، فليمرح الفتى ماوسعه المرح ولينصرف عن الدرس وليقبل على كل ما يلذه من طيبات الحياة خيرها وشرها وليقض وقته في قراءة القصص وأكل الحلوى ...

ويحاول أن يتدسس إلى أعماق نفسه ليرى ماذا يجرى في شعوره فيصل به الأمر إلى ما يقرب من الخبل . تجد ذلك في قوله « وكنت أفكر في أني أفكر فيما كنت فيه أفكر » وإنه ليستغرق في تفكيره هذا حتى ليأ كل ما في يده ذات مرة من ديدان كان أعدها طعماً للسمك أثناء صيده ثم يمج الديدان من فه بين الضحك والتقزز .

ولا يلبث الفتى حتى يجد نفسه قد أخذه التشاؤم من جميع أقطاره ، ثم يجد نفسه مستغرقاً في هذا التشاؤم استغراقاً ، فلافكاك له منه ولا منتدح عنه . تجد ذلك واضحاً في عبارة جاءت له في كتابه « عهد اليفاعة » ، ولئن كان هذا الكتاب كسابقه « عهد الطفولة » وكلاحقه « عهد الشباب » لم يكتب على أنه تاريخ حياته فأن أكثر ما جاء فيه من وصف لشخصيات خلقها وأكثر ما جاء على ألسنة هذه الشخصيات يدور حول حياته ومن كان له بهم في هذه العهود صلة . قال « لم تشتد نزعة فلسفية في نفسي كما اشتدت نزعة التشاؤم ، تلك النزعة التي أشرفت بي ذات مرة على حافة الخبل فقد تخيلت أنه ما من شيء أو شخص هو قائم في هذا الوجود بجانب شخصي ؛ وأن الأشياء جيماً ليست أشياء فقط ، ولكنها صور فحسب لاتظهر إلا عند ما أتجه بفكرى إليها ، وإنها لتختفي حين ينتهي تفكيري فيها ؛ وقصارى القول أني وافقت شلنج فيما ذهب إليه من أن الأشياء لا وجود لها في ذاتها وإنما الوجود هو علاقتي بها ؛ ومرت بي لحظات وصلت فيها تحت تأثير هذه الفكرة المتسلطة على إلى حالة من الخبل حتى لألتفت في سرعة حولى كي أدرك اللاشيء ... لقد ازدهتني هذه الكشوف الفلسفية التي بلغتها وأثارت غروري إلى حد عظيم ، وكثيراً ما تخيلت أني رجل عظيم يكشف حقائق لخير بني الأنسان ، وبهذا الشعور الذي انطوت عليه نفسي ، شعور الكبرياء نظرت إلى باقي البشر ، ولكني ما واجهت أحداً من هؤلاء الفانين إلا أحسست بالخجل حياله ، الأمر الذي يحمل على كثير من العجب ، وكلما رفعت قدريَ نفسي شعرت أني أقل مقدرة لا على إظهار ما يخالجني من شعور الرفعة فحسب ، بل كذلك على أن أعود نفسي أن أتجنب الخجل الذي يعتريني من أبسط كلماتي وحركاتي » .

وتتوزع فؤاده هواجس الشباب وأحلامه ، فبينما هو مستغرق في تشاؤمه مسرف فيه ، إذا به يميل بغتة إلى التفاؤل فيجمع عزمه على أن يجد في تحصيل دروسه وأن يكون خير مثال للطالب المجتهد ، ويذهب به التفاؤل إلى حد أن يعتزم العمل على أن يكون موضع إعجاب كل من يراه من الناس فان لم يتفق له هـذا في نواحي الكفاية والبطولة ، فليس ذلك بمانعه أن يبلغ مأربه في أن يصبح أغنى بني الدنيا وأشهرهم مكانة .

ولكنه لا تكاد تنقضي أيام على ما عقد عليه العزم حتى يعود إلى تشاؤمه وإلى بطالتـه ولهوه ، ثم إنه يطلق العنان لرغبات جسده ، وهو فتى قوى البدن متدفق الحيوية يكاد يلتهب مما يخالجه من رغبات هذا البدن على الرغم من إسرافه فيما يطفىء به هذا الظمأ المتصل به ؛ وما زال به شيطانه يغريه ويزين له كثيراً من الإثم ، ويسوقه إلى مهاوى الفتنة حتى يوقع في حبائله فتاة من الخدم ذات ملاحة فيغويها ويقضي منها وطره ! ويبلغ نبأ هذا الإثم عمته فتطرد الفتاة من البيت إلى حيث تتلقاها مهاوى الرذيلة ثم يطويها الموت قبل أوانه على صورة محزنة نكراء ...

وما يعنينا هـذا الفعل إلا لأنه استقر في أعماق وجدانه . فكان منه حين تجاوز السبعين من عمره صورة فذة لأهم شخصية في قصة تعد من أعظم آثاره الفنية وأخلدها ألا وهي قصة (البعث)

ويضطرب الفتى اضطراباً شديداً بين وساوس الشباب ، فما يكاد يخالجه الندم على ما يعده تفريطاً منه في جنب الفضيلة ، حتى يستسلم ثانية إلى الرذيلة ، ثم يعود فيجمع عزمه على الورع والطهر والعفة وعلى أن يأخذ نفسه بالجد من الأمور ، ولكنه

لا يلبث حتى ينقاد إلى ما يوسوس له به شيطانه .

وهكذا ما يزال الفتى يتملق بالكمال مرة ، وينحدر حتى يقرب من قرارة الانحطاط مرة ، ويرضى عن نفسه حيناً ويجثم على صدره الندم حيناً ، دون أن يستقر على وضع أو يركن إلى رأى ...

وللمرء أن يعجب حقاً من أن تشغل الفتى مثل هاتيك الأمور فى سن كسنه يومئذ ؛ ولقد كان بعد ذلك بسنين يشعر بما عسى أن تثير من عجب ، بل إنه كان يخشى ألا يصدقها المرء أو أن يردها إلى المبالغة فى القول كما ذكر ذلك فى كتابه « عهد اليفاعة » . فما كان التفكير المتصل فى الحياة والناس ، وما كانت الرغبة فى بلوغ الكمال وتلمس السبيل إلى تحقيق تلك الرغبة مما يتكافىء تلك السن ، ولولا ذلك الوضع الذى كان فيه وهو حدث لم يلتحق بعد بجامعة من الجامعات ، وحسب أنداده أن يقرأ الفتى منهم قصة أو يلهو بديوان شعر ...

ولكنه كان فيما يشبه الحمى يومئذ مما يجول فى رأسه من أفكار وما يهجس فى نفسه من خواطر ، وما يلج تلك النفس الحائرة من رغبة فى السمو ومن طموح نحو المثل الأعلى ، وإن تولستوى الفتى اليوم لهو صورة مصغرة لتولستوى الكاتب العظيم فى غد ، يوم يشتغل ذهنه الجبار بالفن وبالدين وبمسائل الاجتماع ، ويوم يبحث حائراً قانطاً أول الأمر عن الغرض من هذه الحياة ، حتى تنزل السكينة عليه إذ يرى أن الغرض من الحياة يتلخص فى العمل على السمو بها نحو ما يريد الله من كمال .

وإن تحمسه للمعرفة على هذه الصورة واهتمامه بأن يبلغ ما يطمح إليه من رفعة لدليل لا يدع مجالا للريب على أنه فطر على البحث عن الحقيقة وأنه من العباقرة القلائل الذين تفطن بهم الإنسانية إلى سر وجودها ، والذين يأتون إلى العالم على فترات من الزمن ليقيموا الدليل بوجودهم فى ذاته على أن حياة الإنسان جديرة بأن يحياها الإنسان .

وإنك لتجد مثالا لما كان يعنى به نفسه يومئذ فيما جاء بكتابه « عهد اليفاعة » قال :

« كنت يومئذ فى نحو السادسة عشرة ، وكان الرفقاء لايزالون يترددون على ، وكنت أتهيأ فى فتور وكره لألتحق بالجامعة ... وفى ذلك الوقت الذى أعده نهاية اليفاعة وبدء الشباب ، كانت تقوم أحلامى على مشاعر أربعة : أولها حبى « لها » تلك المرأة الخيالية التى كنت أحلم بها دائما على وتيرة واحدة والتى كنت أتوقع أن ألقاها فى أية لحظة فى أى مكان ما ؛ وثانيها محبتى فى أن أغدو محبوبا ، فقد رغبت فى أن يعرفنى كافة الناس وأن يحبونى ، ورغبت فى أن أصرح باسمى فأجد من الناس جميعاً مايدل على اهتمامهم بما أصرح به وأراهم يحيطون بى فيسمعوننى شكرهم إياى على أمر ما ؛ وثالثها أملى فى حظ عظيم غير عادى ، وقد بلغ من تسلط هذا الأمل على أن أشرف بى على الجنون ، ورابع مشاعرى وهو أهمها كان إحساسى باشمئزازى من نفسى واستشعارى الندم ، ولكنه كان ندما ممتزجا بالأمل فى السعادة ولذلك لم يخالطه الحزن ... ولقد أحسست السرور فى نفورى من الماضى وحاولت أن أجعله أكثر اسوداداً مما كان عليه فى واقع الأمر ، وذلك أنه كلما كانت ذكرياتى عن الماضى أكثر سواداً ، ظهر لى الحاضر الناصع الواضح أكثر وضاءة ووضوحا ، وتراءت لقلبى أحلام المستقبل أكثر جمالا وبهجة ، ولقد كان ذلك الصوت المنبعث فى نفسى صوت الندم والرغبة القوية الحادة فى بلوغ الكمال هو الاحساس الرئيسى لروحى فى تلك الحقبة من نموى ، وكان هو الذى رسم لى أساس نظراتى فى نفسى وفى البشرية وفيما خلق الله من كون »

وكان له يومئذ صديق فى قازان ، كان فتى طويل القامة ، عريض المنكبين حسن الهيئة ، فى وجهه ملاحة ورقة ، يبتسم عن أسنان جميلة دقيقة ، ويزين رأسه شعر مسبل ناعم ، ولكنه كان على الرغم من ذلك خجولا كصاحبه إذا لقى الناس ، بل لعله كان أشد منه خجلا وأكثر حساسية ...

وقد حبب هذا الفتى إلى تولستوى إخلاصه لما يعتقد من رأى وتحمسه له وصراحته فى التعبير عما فى نفسه مهما يكن من أمره ، وقد سأل دياكوف ذات مرة ـ وهذا هو اسمه ـ صاحبه تولستوى قائلا أتدرى لماذا أحبك أكثر مما أحب غيرك ؟ ذلك لأنك صريح لاتكتم شيئا فى نفسك ، وهكذا يجتمع الفتيان

على الصراحة فتربط بينهما ، وإنهما ليتقاربان في كثير من ميولهما ، ويتضح لهما ذلك فيما يديرانه بينهما من حوار في أمور كثيرة ، فيما يتصل بالدين وفيما يتصل بالمجتمع وأركانه من حكومة وتعليم ونظم مالية وما إليها

ولقد كان هذا الفتى شديد التأثير في حياة صاحبه فما فرغ من محاورته مرة إلا قويت في نفسه الرغبة في العمل على الكمال المنشود ، والانطلاق من حياة اللهو والعبث ، تلك الحياة التي يذهب فيها العمر سدى ، ولئن لم يك لتولستوى ما لصاحبه من حسن الهيئة فليس ذلك بمانعه أن يعمل على كسب مايحمل الناس على الإعجاب به مما هو أهم وأجدى من المنظر وحسن الطلعة ، بل إنه لحافزه إلى ذلك العمل الذي يعقد عليه عزمه .

على أنه عزم كأكثر ما يعتزم الشباب فما يلبث أن يذهب فيما تحيطه به الحياة من مسراتها ومغرياتها ، ولكم اضطرب تولستوى بين عزمه وبين لهوه ، ولكم جدد العزم ثم تحلل من عزمه

وكان ديا كوف هو شخصية ديمترى في كتابه « عهد اليفاعة » فما يفوت كاتب الغد أن يصور أشخاصه كما رآهم في مضطرب الحياة ، ولن ينسى شيئا مما رأى أو يسهو عن أمر يتصل بما يقوم في رأسه من فكرة مهما بلغ من ضآلة هذا الأمر ، وتلك ناحية من أهم نواحي مقدرته الفنية يوم يغدو أعظم من كتب القصة في أدب قومه وأحد أفذاذها القلائل في أدب أوربا كله ...

وستمضي الأعوام ويبقى أثر ديا كوف في نفسه ، فقد كان مما أوحته اليه صحبته عبادة الفضيلة ، وأن غاية الإنسان في الحياة العمل على بلوغ الكمال والسمو بالنفس أبدا ، وسوف يظهر أثر ديا كوف في قصة الحرب والسلم فيما جاء على لسان «أندرى» أحد شخصيات القصة قبل معركة أوسترلتز إذ يقول « إني أرغب في المجد ، أرغب أن أكون معروفا عند الناس وأن يحبني الناس ، وما لي رغبة غير هذه ، وما أعيش إلا من أجلها ... وإني وإن كان ذلك مني أمراً مروعاً غير طبيعي لأضحي حتى بأعز الناس عندي في سبيل لحظة من المجد والفوز على الرجال ومحبة من لا أعرفهم من الناس ومن سوف لا أعرفهم بعد أبدا

( يتبع ) **الخفيف**

---

# نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

## ٨٧٤ — الله

التبصر فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين لأبى المظفر عماد الدين الأسفرايني :

إن الله لا يجوز عليه الكيفية والكمية والأينية ، لأن من لا مثل له لا يمكن أن يقال فيه : كيف هو ؟ ومن لا عدد له لا يقال فيه : كم هو ؟ ومن لا أول له لا يقال له : مم كان ؟ ومن لا مكان له لا يقال فيه : أين كان ؟

وقد جاء فيه عن أمير المؤمنين على (رضى الله عنه) أشفى البيان[1] حين قيل له : أين الله ؟

فقال : إن الذى أين[2] الأين لا يقال له : أين .

فقيل له : كيف الله ؟

فقال : إن الذى كيّف الكيف لا يقال له : كيف .

وسأله آخر : ما جهة وجه الله ؟ فأمر حتى أتى بشمعة فوضعها فى أنبوبة قصب ، فقال للسائل : ما وجه هذه الشمعة ؟ وبأى جانب مختص ؟

فقال له السائل : ليس بمختص بجانب دون جانب

فقال : ففيم السؤال إذن[3] ؟

(١) قلت : القول لقائله وقد أريدت تقويته بعزوته .

(٢) هذا الفعل : (أين) مثل الفعل (كيف) — هو من المولد، وقد جاء (التكييف) فى (النهج) كما جاء (الأزل) ولولا المولد ماسار العلم فى المدينة العربية الاسلامية ذاك السير .

(٣) قال صاحب التبصير : معناه إذا جاز أن يكون فى المخلوقات شىء لااختصاص له بجهة دون جهة ، فلم لا يجوز أن يكون خالق الخلق غير مختص بجهة دون جهة .

## ٨٧٥ — ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم

الفصل[1] فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم :

إن اليهود يقولون للدنيا أربعة آلاف سنة ونيف ، والنصارى يقولون : للدنيا خمسة آلاف سنة ، وأما نحن فلا نقطع على عدد معروف عندنا ، وأما من ادعى فى ذلك سبعة آلاف سنة أو أكثر أو أقل فقد كذب ، وقال ما لم يأت قط عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيه لفظة تصح ، بل صح عنه (عليه السلام) خلافه ، بل نقطع على أن للدنيا عمراً لا يعلمه إلا الله (عز وجل) قال الله (تعالى) [ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم ] وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « ما أنتم فى الأمم قبلكم إلا كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود أو كالشعرة السوداء فى الثور الأبيض » هذا عنه (عليه السلام) ثابت ، وهو (عليه السلام) لا يقول إلا عين الحق ، ولا يسامح بشىء من الباطل ...

## ٨٧٦ — أثر العربية والأدب فى يهودى

عيون الأخبار لابن قتيبة : ... أبو العيناء قال : كان بالبصرة لنا صديق يهودى ، وكان ذا مال ، وقد تأدب وقال الشعر ، وعرف شيئاً من العلوم ، وكان له ولد ذكور ، فلما حضرته الوفاة جمع ماله وفرقه على أهل العلم والأدب ، ولم يترك لولده ميراثاً فعوتب على ذلك فقال :

رأيت مالى أبرّ من ولدى فاليوم لا نحلة ولا صدقه
من كان منهم لها فأبعده الله ومن كان صالحاً رزقه

## ٨٧٧ — فلو أنى لاقيته ما عرفته

تتمة اليتيمة : أبو الحسن محمد بن الحسين العثمانى قال : أنشدنى ابن المغربى الوزير لنفسه فى بلوغ الغاية من السلوة ، ولم أسمع فى معناه أبلغ منه :

حبيب ملكت الصبر بعد فراقه على أننى علقته وألفته

(١) الفصل فى اللغة جمع الفصلة ، فى اللسان : الفصلة النخلة المنقولة المحولة وقد انفصلها عن موضعها ، خير النخل ما حول فسيله عن منبته ، والفسيلة المحولة تسمى الفصلة ...

محا حسنُ يأسى شخصه من تفكرى

فلو أننى لاقيتـــه ما عرفته

## ٨٧٨ — اقعد ، اجلس

وفيات الأعيان : هو ( أى ابن خالويه ) القـائل : دخلت يوماً على سيف الدولة بن حمدان ، فلما مثلت بين يديه قال لى : اقعد ، ولم يقل : اجلس ، فتبينت بذلك اعتلاقه بأهداب الأدب واطلاعه على أسرار كلام العرب . وإنما قال ابن خالويه هذا لأن المختار عند أهل الأدب أن يقال للقائم : اقعد ، وللنائم والساجد : اجلس ، وعلله بعضهم بأن القعود هو الانتقال من العلو إلى السفل[1] ، ولهذا قيل لمن أصيب برجليه : مقعد ، والجلوس هو الانتقال من السفل إلى العلو ، ولهذا قيل لنجد : جلساء لارتفاعها وقيل لمن أتاها : جالس ، وقد جلس ، ومنه قول مروان بن الحكم لما كان والياً بالمدينة يخاطب الفرزدق :

قل للفرزدق والسفاهـــة كاسمها

إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس

أى أقصد الجلساء ، وهى نجد[2] .

## ٨٧٩ — أمر لا يدرك إلا بالذوق

ابن أبى الحديد : إن معرفة الفصيح والأفصح ، والرشيق والأرشق والحلو والأحلى والعالى والأعلى من الـكلام — أمر لا يدرك إلا بالذوق ، ولا يمكن إقامة الدلالة المنطقية عليه ، وهو بمنزلة جاريتين إحداهما بيضاء ، مشربة حمرة ، دقيقة الشفتين ، نقية الثغر ، كحلاء العينين ، أسيلة الخد ، دقيقة الأنف ، معتدلة القامة . والأخرى دونها فى هذه الصفات والمحاسن لـكنها أحلى فى العيون والقلوب منها وأليق وأصلح ، ولا يدرى لأى سبب كان ذلك . ولـكنه بالذوق والمشاهدة يعرف ، ولا يمكن تعليله .

(١) بضم السين وكسرها وسكون الفاء .

(٢) التاج : قال الأصبهانى فى المفردات وتبعه المصنف (صاحب القاموس) فى البصائر : إن الجلوس إنما هو لمن كان مضطجعاً والقعود لمن كان قائماً باعتبار أن الجالس لمن كان يقصد الارتفاع أى مكاناً مرتفعاً ، وإنما هذا يتصور فى المضطجع ، والقاعد بخلافه فيناسب القائم .

وهكذا الـكلام ، نعم يبقى الفرق بين الموضعين أن حسن الوجوه وملاحتها وتفضيل بعضها على بعض يدركه كل من له عين صحيحة وأما الـكلام فلا يعرفه إلا أهل الذوق ، وليس كل من اشتغل بالنحو واللغة أو بالفقه كان من أهل الذوق ، وممن يصلح لانتقاد الـكلام ، وإنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان ، وراضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والـكتابة والشعر ، وصارت لهم بذلك دربة وملـكة تامة . فإلى أولئك ينبغى أن ترجع فى معرفة الـكلام وفضل بعضه على بعض إن كنت عادماً لذلك من نفسك .

## ٨٨٠ — ياظبية البان ترعى فى خمائله

فى ( الغيث الذى انسجم فى شرح لامية العجم ) للصفدى : « ما من شاعر فى الغالب إلا وقد عارض الشريف الرضى فى قصيدته التى أولها :

يا ظبية البان ترعى فى خمائله ... ليهنك اليوم إن القلب مرعاك

وما منهم من رزق سعادته » .

قلت : هذه أبيات منها ، قال بعد المطلع :

المـاء عندك مبذول لشاربه ... وليس يرويك إلا مدمع البا كى

هبت لنا من رياح الغور رائحة ... بعـد الرقاد عرفناها برياك

حكت لحاظك ما فى الريم من ملح

يوم اللقاء فـكان الفضل للحا كى[1]

كأن طرفك يوم الجزع يخبرنا ... بما طوى عنك من أسماء قتلاك

أنت النعيم لقلبى والعذاب له ... فـما أمرّك فى قلبى وأحلاك

سهم أصاب وراميه بذى سلم ... من بالعراق لقد أبعدت مرماك

عندى رسائل شوق لست أذكرها

لولا الرقيب لقـــد بلغتها فاك

لو كانت اللمة السوداء من عددى

يوم الغميم لـما أفلت أشرا كى[2]

(١) التاج : ملح كـكرم يملح ملوحة وملاحة وملحا فهذه ثلاثة مصادر الأول هو الجارى على القياس والثانى هو الأكثر فيـه ، والثالث أولها .

(٢) الغميم — بفتح أوله وكسر ثانية — موضع بين مكة والمدينة ( معجم البلدان ) . أفلته وأفلت منه .

من بودلير :

# أوهـــــام

للاستاذ محمد على مخلوف

نسيت وفى أحداث يومى ماينسى    فلاتذكرى ما كان منى بالأمس!
أجل كنت ريان الجوانح بالمنى    و كنت قرير العين أنعم بالأنس
هى الموجة ... الفرحى تضل طريقها
إلى القلب فى ألفاف موج من البؤس
أنا الشاعر الحيران فى عالم الرؤى
أُطل على الأكوان من هيكل القدس
تنازلنى الأرواح فى سبحاتها    وتنشدنى حتى أغيب عن حسى
وأحيا على الدنيا غريباً مشرداً    حليف هوى حتى يوارينى رمسى
وأصبو إلى الأنغام والغيد والطلى
وإن عصفت أفكارى السود فى رأسى
يريب رفاقى ما بدا من تمردى    وإيثارى اللهو البرىء على الدرس
وما علموا أنى دفنت مواهبى
وحطمت أقلامى وثرت على طرسى
وردد فىَّ الدهر أنشودة البلى    مغلفة الأصداء خافتة الجرس!
وأخرست الآلام أوتار مزهرى    وغاضت ينابيع السعادة فى نفسى
لقد فرغت كأسى ... فمن لى بغيرها
وهيهات أن أحيا وقد فرغت كأسى
ظننت الهوى يدنى من الخلد موكبى
فكان الهوى دون المظنة والحدس
وفى حقل عمرى كم غرست تجارباً
ولكن غيرى قد جنى ثمر الغرس
وقلبى فى نهر الحياة سفينة    تميد على صُم الصخور ولا ترسى
يلين إذا مسَّ الرجاء شغافه    ويقسو إذا طافت به ثورة اليأس
ويحمل أعباء ثقالا ... تؤوده    ولا يتشكى حين يصبح أو يمسى
بلى إنه فى الحب قد صار كالذى    تخبطه الشيطان من ألم المسّ
وفى الشك للحيران ومض هداية    يضجُّ معانيه . فيرتاح للهمس
لقد بعت فى سوق المآثم عفتى
وحظى من الأخلاق بالثمن البخس
وها هو ذا ثوب التقى قد نزعته    لتغسله الأقدار فى حمأة الرجس
طمست على قلبى فغاب صوابه
وهوَّم فى داج من الريب والهجس
وإن حياتى لن يضىء ظلامها ...
سوى قبس من نور حسنك يا شمسى
فلاتذكرى ما كان منى بالأمس!    نسيت وفى أحداث يومى ماينسى!

# قبل الرحيل

للاستاذ حسين محمود البشبيشى

أغداً أرحل عن جنة حبى    أغداً ؟ لا كان من عمرى غد !
تاركا فى معبد الأشواق قلبى    تعبث الذكرى به والموعد !
كل شىء ها هنا يذكر أنى
قد أذبت الوجد من قلبى وعينى
وغداً أرحل ! ! .. لا كان غد

---

يا عيونى ... ودعيها ثم نوحى    لحرام أن ترى الدمع بعينى
وابسمى صبراً كما تبسم روحى    بالذى يخلد فى قلبى وأذنى
من ليالى الوصل فى ظل الأمانى
حينما كنا كأصداء الأغانى
نتهادى ... وغداً تبعد عنى !

---

أغداً أرحل عن وكر الأمانى    وغداً تذبل أزهار اللقاء
يا غدى لا كنت من عمر الزمان    لا رأتك العين يا ظل الفناء
كيف أحيا مفرد القلب غريبا
كيف أنسى ثغرها الحلو الحبيبا
كيف أنساها ... وأيام الهناء

---

يا طريق ... كم هنا سرنا معاً    أترى فى البعد تنسى خطواتى ؟
وهنا الحب ... بقلبينا سمى    راقص الفرحة حلو الأغنيات
كم ضحكنا .. كم بكينا .. ها هنا
وانطلقنا .. خلف أسراب المنى
آه ما أقسى فراق الذكريات

بين مصر والسودان :

# قصـــة الروح ...

للأستاذ عثمان طه شاهين

أخذت الحضارة تصلح على ضفاف النيل وواديه منذ أن بدأ الإنسان يشتغل بالزراعة وبدأت حياة الاستقرار وإنشاء الحكومات ، وحيث أن المصريين — كما يقول هيرودوت — هم أقدم أمة متمدينة على الأرض فقد أخذت حضارتهم تنبث إذن على ضفاف الوادى متجهة مع الماء نحو الجنوب ، تاركة فيه رواسب متباينة من هذه المدنية القديمة ، وعلى هذا الأساس فقد بذرت البذور الأولى من قصة هذه الروح ، ثم إن هذه الصلة قد تكونت عن صدق وإخلاص لأن السودانيين كانوا يدينون بالدين المصرى القديم ويتكلمون اللغة المصرية .

يرى المحدثون من الباحثين أن معالم الحضارة المصرية القديمة والثقافة العربية قد تسربتا إلى السودان الشمالى عن طريق مصر ، وقد استطاع هذا الأقليم أن ينتج فى وقت ما حضارة شبه مصرية من حيث طابعها ومظهرها ، ومنه خرج الغزاة الذين أسسوا إحدى الأسر الفرعونية كما أنه أقرب من حيث ثقافته وحالته البشرية العامة إلى مصر من أقليم النوبة الشمالية نفسه مما يرجح الأخذ بأن قصة هذه الروح تقوم على دعائم ثابتة ، وعلى أركان وطيدة راسخة تمد الروح فى جهادها العبقرى للتخلص من وبقة الاستعمار .

فالروح فى الشمال لم تستكن يا صاح — فى تاريخها الطويل — للغزاة الفاتحين ؛ فإذا نظرنا إلى غزاة مصر من الأغريق والرومان فأنا نجد أنهم لم يفلحوا فى فرض طابعهم على الحياة المصرية ، ذلك لأن هنالك قوة حيوية كامنة فى نفوس المصريين تستحثهم على الدوام وتوجههم للثورة على الغالبين ، فغدوا هم غالبين منتصرين ، مسيطرين على المجرى الطبيعى لوادى النيل ؛ ومن هنا ندرك أن الروح المؤمنة الشاعرة تنتصر على الدوام لأن رسالتها تنبعث من قوى الإيمان الصادق .

وإذا انتقلنا مع الزمان نقلة سريعة باحثين عن الأثر الذى تركته الحياة العربية فى جنوب الوادى فاننا نلمح تجاوباً سريعاً فى حياة الروح فى الشمال والجنوب ، ذلك لأن الآلام واحدة والآمال واحدة كذلك ، ومرجع ذلك ومرده إلى وحدة اللغة والدين والعادات والتقاليد ، لأن حياة الأمم — كما نعلم — لا تتكوّن إلا عن طريق هذه النظم الاجتماعية الكبرى التى تعبر تعبيراً صادقاً عن التطور الطبيعى المرموق ، وعلى هذا فالإيمان الذى يدعو إليه أبناء الشمال عن الجلاء ووحدة الوادى يجد سبيله النافذ إلى أبناء الجنوب فهم يستمسكون به ويدافعون عنه ويضحون فى سبيله بأغلى ما يملكون . فالروحان المتعانقان فى الشمال والجنوب يؤمنان ويجاهدان ويعملان ...

ولكن ما هى العناصر التى تمد هذه الروح وتذكيها ، وما هى الآثار التى يخلفها هذا الإيمان ، وما هو المدى الذى تتطلع إليه هذه الروح فى غدها القريب السعيد ؟ كل هذه النتائج يتلمسها المتتبعون لسير الحوادث فى جنوب الوادى فى هذه الآونة الأخيرة ؛ ذلك أن حركة وادى النيل قد أخذت تظهر منذ أن هب المخلصون من السودانيين تلك الهبة المعروفة والتى تمخضت عن حوادث سنة ١٩٢٤ الدامية إذ قتل فيها من قتل وشرّد فيها من شرّد ، فكانت تلك الحركة إذن وقوداً يذكى الروح الشعبية فى جنوب الوادى ، وقد وجدت تلك الحركة صداها فى نفوس الشعراء من شباب ذلك الحين فانبعثت الألحان الثائرة من عبد الله بن عبد الرحمن ، ومدثر البوشى ، وعبد الله البنا ، وصالح عبد القادر . فكانت الشرارة الأولى للروح الثائرة المؤمنة ...

وإذا نظرنا إلى قصة الروح فى الشمال فإنا نجد أن الحملة الفرنسية قد كان لها دور بعيد فى تاريخ هذه الروح ، إذ كان الفرنسيون أول أمة غربية هبطت مصر فى تاريخها الحديث واستولت عليها ، وبهذا فقد اتجهت أنظار الدول الأوربية إلى مصر وغدا لها فى تاريخ الروح الأوربية طور جديد ؛ أضف إلى هذا أن انجلترا قد أخذت تهتم بمصر اهتماماً عظيماً وذلك لمركزها الجغرافى المرموق ، وأخذت تعمل — بالتالى — للحيلولة دون وقوع مصر فى يد دولة غربية أخرى ، ومن هنا تلعب قصة الروح دورها الذى انفردت به من بعد على مدى التاريخ ؛ ومن

هنا ظهرت لجنوب الوادى مكانته فى نظر السياسة الانجليزية كما هو معروف .

ومن البداهة أن يلاقى المباقرة من العظماء والمجاهدين والفنانين الآلام المبرحة فى سبيل الوصول إلى القمة فى حياة الروح ، ذلك لأن التخلص من طبيعة الأرض يمسك بهم من الانفلات والصعود فيجاهدون ويجاهدون ، ومن البداهة كذلك أن تلاقى الأمم هذه الآلام فى تاريخها للوصول إلى العزة والكرامة والاستقلال ، فالإيمان والمثابرة شرطان ضروريان للروح فى سبيل تلمس مثلها العليا الكريمة ، والغاية قريبة — مهما بعدت الشقة — إذا دعمتها إرادة قوية وإيمان مطلق .

كانت الروح التى نادى بها جمال الدين الأفغانى مشتعلة وهّاجة ، إذ لبث فى مصر سنوات يتصل بالطلبة من كل أرجاء العالم الإسلامى ويبث تعاليمه ومبادئه فتجد الاستجابة المؤمنة فى نفوس أبناء الأزهر بشكل لم يمهد له مثيل فى العصور الحديثة ، وأخذ الإمام محمد عبده يعيد للفكر قدسيته وللدين مكانته من حيث النظر العقلى السديد مما يذكر الباحثين بابن رشد حينما أراد أن يؤاخى بين الشريعة والحقيقة ، ومن هنا كان لهذه الحركة صدى بعيد فى الجنوب فارتبط الجهاد على الإصلاح والإيمان كما ارتبط اليوم على الجلاء والوحدة ، وكان ذلك النشاط المرموق يستمد قوته وبقاءه من الحركة العرابية فى الشمال ومن حركة المهدى فى الجنوب ، وعلى هذا فقد تلاقت الأكف والقلوب والخناجر بالدعاء والتضحية والإباء ...

أما اليوم — فى حياتنا المعاصرة الرشيدة — فقد أخذت الروح فى الشمال تعبر تعبيراً صادقاً عن إيمانها بالجنوب ، وأخذ الأديب السياسى الفنان هيكل باشا يصوغ هذا التعبير إذ قال : « إن مصر لم ترد فى يوم من الأيام سيطرة على السودان ولا تسلطاً على أهله ولا استغلالا لموارده ، ولكننا ونحن نعيش فى واد واحد تتحدد فيه مرافقنا واقتصادياتنا ومقوماتنا جميعاً لا يستطيع أحدنا أن يستغنى عن صاحبه فى الشمال أو فى الجنوب ، كما أن أهل الغرب طالما كرروا ويكررون إن الأمم الصغيرة خاصة لا يمكن ان تعيش وحدها بل يجب أن تتكتل لتصبح قوية قادرة على التعاون ، والأمم لا تتكتل إلا إذا تجاورت ، وليس هناك تجاور أقرب من تجاور السودانيين والمصريين » .

وأخذت الروح فى الجنوب تعبر تعبيراً صادقاً عن إيمانها بالشمال وتجمل هذا التعبير فى القوى المذخورة التى ادخرتها الأمة لوفدها الأمين ، وفى هذه الآثار القوية المتجلية فى وجود الشعب ومشاعره وأحاسيسه وفى الأفكار التى يبعث بها الجنوب على صفحات الصحف المحلية والخارجية وفى الوثيقة الدموية التى خطها الشباب بقلبه وروحه ودمه ، وفى كل مايحدث من ثورات ويسيل من دماء تعبر عن هذا الإيمان وتكشف عن طبيعة الروح وهى تتخذ طريقها للتعبير ...

آمنت الروح على ضفاف الوادى بأنها ستنال حريتها وكرامتها ، وكان من طبيعة هذا الإيمان أن تتجاوب أنغام التضحية والفداء ، فأخذت القلوب تتلاقى فى الشمال والجنوب مؤمنة برسالة الحرية والإخاء داعية لأنغام الجهاد ، فسالت الدماء الطاهرة على قرى الوادى مؤذنة بميلاد الفجر الجديد ، وارتفعت الخناجر منادية بالثورة فى شباب الجامعة فى الشمال وفى أروقة العلم فى الجنوب ، ولفظ الشهداء أنفاسهم الأخيرة وهم ينادون بالاستقلال للوادى الكريم ، فأذن المؤذن بميلاد الفجر الجديد .

نعم ، قد أراد الوادى اليوم أن يكون خالصاً لبنيه ، وإذا أرادت الأمم شيئاً فهى واصلة إلى ما تريد . فالروح إذن إنما تعبر تعبيراً صادقاً عن أحاسيس أبناء الوادى ومشاعرهم وتترجم عن مواطن القوة والكمال فيهم :

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلى ولا بد للقيد أن ينكسر

ذلك لأن إرادة الحياة — كما يقول الشابى — إنما تخلق بالأمم القوية الشاعرة التى تؤمن برسالتها فى الحياة وبحقها فى الوجود .

يا إخوان الطفولة ويا حماة العرين ! انظروا إلى الأسد البريطانى يفغر فاه ليلتهم القوى المذخورة فى النفس . فلتكن يقظين ، فالانجليز معكم يا إخوان يسيطرون على كل شبر فى الجنوب ، وينبثون بينكم فى كل مكان ، ويصرفون الأمور بمددهم العديد الجم ، فكونوا يقظين حريصين ناظرين ، واعلموا أن جهادهم

# الأدب والفن في أسبوع

**هذا واجب قومي :**

تلقت وزارة المعارف رسائل من بعض الهيئات الثقافية والعلمية فى الحبشة وأريتريا وجنوب أفريقيا والهند وغيرها من الأقطار الإفريقية والأسيوية وكلها تطلب أن تساعدها الوزارة ثقافياً وعلمياً بمايعينها فى أداء مهمتها ، وكلها تلح أن تبادر الوزارة المصرية إلى بذل هذه المعونة لشدة الحاجة إليها .

ولست أدرى ماذا صنعت أو ستصنع الوزارة بهذه الطلبات ولا مدى ما عندها من الاستعداد لبذل المعونة المطلوبة ، ولكنى أبادر فأقول إن من الواجب على الوزارة أن تبذل هذه المعونة ، وتلبى جميع هـذه الطلبات مهما كلفها الأمر ، ومهما لقيت فى سبيل ذلك من الضيق والرهق ، لأنها بهذا تؤدى واجباً على مصر نحو قوميتها ونحو مكانتها .

إن مصر تقف اليوم موقف الزعامة للعالم الإسلامى والعربى ، وللمجد تكاليف شاقة مرهقة ، فنحن لا نستطيع أن نحتفظ لمصر بزعامتها ولا أن ندعم مكانتها عند الأقطار العربية والإسلامية إلا إذا حققنا لهذه الأقطار ماتنشده عندنا وما ترجوه فينا وتطلبه منا ، وقد كان من الواجب علينا أن نتبرع بهـذه الخدمات الثقافية ، فكيف وقد توجه إلينا الرجاء بتحقيقها والنهوض بتأديتها ...

لقد قرأت فيما قرأت من أنباء هذا الأسبوع أن انجلترا تعانى فى داخل بلادها ضنكا فى شئون المعيشة ، وأن أفراد الشعب هناك لا يحصلون على حاجتهم من مواد الطعام واللباس ، على حين أن انجلترا تصدر الكميات الضخمة من هـذه المواد إلى الخارج ، وذلك لأنها تريد أن تحتفظ بأسواقها التجارية وأن تظل عنـد أمل الشعوب التى تقع تحت سيطرتها فيها ، فهى تضحى وتطلب إلى شعبها أن يحتمل الرهق حتى لا تغلبها دولة منافسة على أسواقها ، وحتى لا تجد أمة فرصة لاقتحام الميدان عليها ...

فياحبذا لو أخذت وزارة المعارف عندنا بهذا المبدأ فى تلبية ما يطلب منا من تأدية المعونات الثقافية فى الخارج ، ويا حبذا لو قدرت الوزارة أن الأمر واجب قومى لا بد فيه من التضحية وتجنيد الجهود مهما كنا فى أشد الحاجة إلى تلك الجهود .

**المعجم اللغوى التاريخى :**

يشتغل المجمع اللغوى الآن بإنجاز المعجم اللغوى التاريخى الذى وضعه المستشرق الألمانى المعروف الدكتور فيشر ، وقد قدر المبلغ اللازم لطبع هذا المعجم وإخراجه بألف وخمسمائة جنيه ، وأنه فى الواقع لمبلغ ضئيل بالنسبة لقيمة ذلك المعجم النافع الذى ليس له مثيل فى اللغة العربية .

أقول لا مثيل له فى العربية لأنه ليس لدينـا معجم لغوى يشرح تطور الكلمات العربية فى دلالاتها ومعانيها وما جرى

---

فى الحرب قد استنفد منهم كل ما يملكون وفى الجنوب عوض للجهود التى بذلت وللنفوس التى حطمت وللأرواح التى حاق بها الخسران ...

هل تؤمنون اليوم بأن الانجليز يؤيدون حركة الانفصال ويرعونها لأن فيها خير البلاد ورفاهيتها وتقدمها ، وهل يقوم حاكم السودان بجولاته فى الغرب والشرق ، شارحاً قصة الحكم الذاتى ، متحدثاً عن أسطورة الاستقلال ، داعياً إلى مذهبه الجديد ، هل يصدق أولئك وغيرهم بأن الحاكم الانجليزى يفعل ذلك لخير السودان أم لخير الامبراطورية ! ؟

نحن مؤمنون ياصحاب بأن موسيقى الحياة تسير على أنغام عذاب ، ونحن مؤمنون بأن حركة الانفصال تلعب بها أصابع خفية ناشزة ، فلتشدوا الأوتار من جديد ولتصلحوا الحياة كيما تستقيم ، واعزفوا لأطفال اليوم ورجال الغد بأن الانجليز هم الداهية الدهياء فى الشرق الحديث ، وابعثوا الأنغام هادئة نقية ، وآمنوا بأن للوادى روحاً وجسما وانظروا إلى رسالة السماء ...

ولتسر هذه الروح مؤمنة برسالتها فى الشمال وفى الجنوب واليدان الممدودتان — من ريشة الفنان — قبل الأرض تباركان الخير وتبذران الحب للساعين ...

**عثمان طه شاهين**

ليسانسيه فى الفلسفة

فى استعمالاتها المختلفة على نحو ما يعنى به علماء فقه اللغة ، وقد حاول جار الله الزمخشرى فى معجمه « الأساس » وضعاً قريباً من هذا ولكنه جعل قصده إلى إظهار تطور الألفاظ وانتقالها من الاستعمال الحقيقى إلى الاستعمال المجازى . وفى العصر الحديث عمد المستشرق فيشر إلى سد هذه الثلمة فى القواميس العربية ولما لم تكن هناك مصادر تعينه فى قصده جعل كل اعتماده على مراجعة النصوص العربية ، ومعنى هذا أن التراث العربى كله كان مصدر بحثه ، ولقد اضطلع الرجل بهذه المهمة الشاقة فى صبر العلماء وأناتهم حتى استطاع أن يحرر فى ذلك آلاف الجذاذات لتكون مادة القاموس إذا ما رتبت .

وعند ما اختير هذا المستشرق عضواً فى المجمع اللغوى بمصر تقدم إلى المجمع بفكرته وعمله فى هذا القاموس فشهد المجمع بأنها فكرة رشيدة وعمل جليل وأخذ الأهبة للعمل على إتمام هذا المعجم وإخراجه فى وقت قريب .

وكان أن قامت الحرب ، وسافر فيشر إلى بلاده ، وجاءت الأنباء بأنه قضى نحبه فى إحدى الغارات ، وطوى أمله وعمله فى مطاوى الإهمال والنسيان ، إذ لم يكن « ضمير » السياسة يسمح بأن يظهر هذا العمل لذلك العالم الذى ينتسب إلى بنى الألمان مهما كان عمله خالصاً للعلم . ثم انتهت الحرب ، وظهر أن فيشر لا يزال حياً والحمد لله ، وأن أحداث الحرب الرهيبة لم تنسه الرغبة فى إتمام عمله بإخراج ذلك المعجم الذى وقف عليه العمر ، وعلى هذا عاد المجمع يهتم بإظهار هذا الأثر النافع المفيد ، وكل ما نرجو أن لايبدو مايدعو إلى التطويح به والتسويف فيه .

### ... إنه العلم أمانة ! !

فى مجلة « المباحث » — وهى مجلة تصدر فى تونس لخدمة الأدب والفن والتاريخ والفلسفة — قرأت فصلين متتابعين عن « كتاب ألف ليله وليلة » ، فما انتهيت من قراءتهما حتى تبين لى أنى نظرت هذا البحث من قبل ، ولما أثرت الذاكرة ظهر لى أن الكاتب أخذ بحثه أخذاً كاملا أميناً من بحث كتبه صاحب « الرسالة » عن « ألف ليلة وليلة » ، ومن العجيب أن صاحب « الرسالة » قد حاضر بهذا البحث أبناء العراق ، ونشرته مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، ثم مجلة المعرفة فى مصر ، وأثبتته « دائرة المعارف الإسلامية » فى التعليق على مادة ألف ليلة وليلة وسجله صاحبه فى كتاب « فى أصول الأدب » ، ولكن كل هذا لم يحمل الأستاذ التونسى على الاشارة إلى صاحب البحث إبراء للذمة .

ومنذ قريب تناولت مجلة أدبية سياسية تصدر فى لبنان ، فطالعت فيها قصة لشاب من أبناء لبنان يحسبونه فى الكتاب وفى الشعراء أيضاً ، ولكنى ما كدت أنتهى منها حتى ذكرت أنى قرأت تلك القصة فى مجلة مصرية لكاتب مصرى، وبعد المراجعة تبين لى أن لا فرق بين القصتين إلا أن الكاتب المصرى جعل فتاة القصة من لبنان والكاتب اللبنانى جعل فتاة قصته من مصر

وكم من عجائب وغرائب ، وكلها من هذا القبيل ، وإنها لجرأة أثيمة ؛ فان من الأمانة فى العلم والإخلاص للأدب أن ينسب كل رأى لصاحبه ، وأن يرد كل فضل لفاعله ، وقد علمنا شيوخنا أن من شرائط الأدب والتأدب أن نسمى الاقتباس اقتباساً ، والنقل نقلا ، وقالوا لنا إن من نسب رأياً إلى صاحبه فقد خلص من تبعته . أما سرقة الأفكار والتطاول بأنها من صنع الابتكار ، فانها لصوصية فى تقدير الأخلاق ، وجريمة فى حكم القانون ؛ وعجز يتدلى بصاحبه فى عرف الناس .

### ملاحم البدو :

قرأت فى إحدى المجلات السودانية كلمة يقول فيها كاتبها : « إن فى أشعار البدو الرحل فى السودان وفى دوبيت العرب القاطنين أشعار كثيرة يتفق الخاطر فيها مع الخاطر العربى الأصيل ، ويهيب بأبناء السودان وأدبائه أن يلتفتوا التفاتاً جدياً إلى هذا الضرب من الأدب المقارن . » .

وكنت قد قرأت كلمة للباحث الفاضل الأستاذ أحمد رمزى بك فى جريدة الأهرام أشاد فيها بالملاحم العربية البدوية وقال : « إن ترك هذه الثروة الأدبية التى يملكها العالم العربى بغير بحث واستقصاء وجمع وتسجيل جريمة فى حق الأدب الشعبى والفنى ،

وإنى أطمع فى أن أجد جماعة منظمة تعنى بهذه الناحية وتجمع هذه الثروة الفنية خاصة وأن أثرها لا يزال عميقاً فى نفسية شعوب العروبة » .

والواقع أن ملاحم العرب البدو جديرة بالاهتمام والتسجيل ، ولـكنا تغاضينا عن هذا التراث وأهملناه إهمالا كبيراً ، وقد كان للأجانب شغف وعناية بهذا التراث أكثر من عنايتنا به ، فهل آن الأوان لأن نهتم بذلك التراث الحافل ، وأن نبذل له ما يجب من الدراسة والتسجيل ؟

**معلوم !**

يزور أقطار الشرق العربى فى هـذه الآونة مستر دكسون المستعرب الانجليزى استعداداً لإصدار مجلة باللغة الانجليزية فى لندن للدفاع عن قضايا العرب فى الشرق الأوسط وشمال إفريقية ، ويقول مستر دكسون إن مجلته هـذه لن تـكون ذات صبغة سياسية ، ولـكنها ستعنى بالثقافة والعلم والحياة العربية ، وستوزع فى بريطانيا وكنـدا والولايات المتحدة لـكى يعرف الغربيون أكثر مما يعرفون الآن عن حياة العرب وقضاياهم .

وليس مستر دكسون بالرجل الغريب عن أقطار الشرق العربى ، فقد أمضى بها من قبل نحو عشر سنوات ، وتنقل فى مصر والسودان وفلسطين وطرابلس وغيرها من هذه الأقطار ، وهو يتقن اللغة العربية ولا يزال جاداً فى الإحاطة بآدابها وثقافتها ، وقد أنشأ أخيراً الجمعية الاسكتلندية العربية وأسند رياستها إلى السير والتر ماكسويل سكوت كما استعان فى رعايتها بالسفراء العرب فى لندن ، ويقولون إنه الآن بسبيل تأليف جمعية أخرى فى دبلن بإرلندا ...

ولـكن ما هـذا كله ؟ وهل مستر دكسون يبذل كل هـذا العناء للدفاع عن العرب وقضاياهم حقاً كما يقول ويقول أنصاره ؟!

إنها لمفارقة لطيفة ، وإنه لأسلوب من أساليب الدعاية الاستعمارية خبرناه من قبل ، ووقفنا على اتجاهاته وأهدافه ، فما نال أبنـاء الشرق العربى من ضر مثل ما نالهم على يد أولئك الأصدقاء الأعداء الذين يتطوعون للدفاع عنا ويذرفون الدموع السخينة لحالنا وما هى إلا دموع التماسيح ، ولـكن عذر هؤلاء أن هـذا الأسلوب لا يزال يجوز على ضعاف العقول من أبناء هذا الشرق الذين تأخذ بلبهم ظواهر الأمور .

إنجليزى يدافع عن العرب عند الإنجليز ؟! معلوم !! معلوم وياله من منطق مفهوم !!

**هل هذا صحيح :**

كانت كلية الآداب الفرنسية فى لبنان قد وجهت الدعوة إلى الدكتور عبد الرحمن بدوى المدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول إلى إلقاء سلسلة من المحاضرات الفلسفية هناك فلبى الدعوة ، ويقولون إنه قد قوبل بالحفاوة والترحيب وإن محاضراته قد قوبلت كذلك بالاعتبار والتقدير .

ولـكنى طالعت فى العدد الأخير من مجلة « المعهد » التى تصدر فى جنوب لبنان حديثاً جرى بين محرر تلك المجلة وبين الأستاذ البير عمون صاحب مجلة « الأديب » عرضا فيه لهذه المسألة . فقال الأستاذ عمون — والمعهد على راوى الحديث — « إن دعوة الفرنسيين للدكتور عبد الرحمن بدوى لإلقاء هذه المحاضرات ليست إلا إحـدى مناوراتهم ومثالا لأساليبهم التى يخدمون بها مركزهم ويجلبون الناس إليهم ، ولم يلب الدكتور بدوى الدعوة إلا لأن مركزه كأستاذ فى الجامعة المصرية يكاد أن يكون مضطرباً فى المدة الأخيرة ، وذلك على أثر مذهب فيه شىء من الإباحية كان الدكتور قد دعا إليه فى أحد كتبه ، فأثار نقمة أولياء الأمر فى مصر ، وبخاصـة أوساط الأزهر ، ولا يستبعد أن يرى الدكتور هذه الدعوة بمثابة تأييد لمركزه ، وهى من كلية فى لبنان بلد العلم والثقافة » .

هـذا ما جاء فى ذلك الحديث بنصه وبحروفه ، وأنا رجل شديد الغيرة على أبناء وطنى ، وظنى بهم أباة يترفعون عن أن يكونوا صنيعة لأية دولة مهما عظمت ، وإن هذه الغيرة لتدفعنى إلى سؤال الأستاذ بدوى : هل هذا صحيح ؟!

« الجاحظ »




واحة الكفرة :

جاء فى ( أخبار اليـوم ) العدد ( ١٢٩ ) أن الذى اكتشف واحة الـكفرة هو أحمد حسنين باشا رحمه الله ، والباشا رجل أجمت القلوب على محبته ونجلته ، ولـكن الحق يذكر ، وذلك أن أول من زار واحة الـكفرة من غير السنوسيين هو صادق باشا المظم رحمه الله أرسله إليها السلطان عبد الحميد موفداً إلى الشيخ المهدى السنوسى الـكبير سنة ١٨٨٤ ولم يصل إليها رسول قبله ، وقد وضع عن رحلته تلك كتاباً باللغة التركية ترجه إلى العربية جميل بك المظم رحمه الله ، وقد أوفده بعد ذلك إلى نجاشى الحبشة منلك سنة١٩٠٦ووضع عن رحلته الحبشية كتاباً ترجمه رفيق بك المظم رحمه الله ، ودلة حق بك المظم رئيس وزراء سورية سابقاً ، وعنه روينا هذا الحديث ، والرحلتان مطبوعتان بالعربية .

( قارىء )

خطأ عروضى :

اطلعت فى عدد الأهرام بتاريخ ١٩ فبراير سنة ١٩٤٧ على قصيدة للأستاذ الشاعر محمد الأسمر فى ذكرى وفاة المرحوم أحمد حسنين باشا مطلعها :

أعام مضى أم تلك أحلام حالم وذكرى الـكريم الحرأم وهم واهم!

قال فيها :

وعدت لنا من حفرة ومجاهل ومن عالم تحت الثرى أى عالم !

فوقع فى خطأ عروضى هو « سناد الإشباع » ، وذلك بتغييره حركة الحرف الدخيل بعـد ألف التأسيس من خفض فى جميع الأبيات إلى فتح هنا فى هذا البيت الأخير ، وهو خطأ تواضع العروضيون على عدم استعماله أو الوقوع فيه

هذا ، والقصيدة المترعة بالذكريات واللوعات ، لا يغض من قيمتها هنة من تلـكم الهنات . والسلام

عدنان أسعد

فى اللغة :

كتب بعضهم فى الرسالة الغراء : ( انطلت عليه الحيلة ) يريد جازت عليه . وأظن أن هـذا التعبير أول ما دخل عن طريق الترجمة . فليت من يدل على تعبير قديم بهذا اللفظ

ويقولون :(حديث طلى) ، والطلىّ كغنى الصغير من أولاد الغنم جمه طلبان كرغفان ( القاموس ) . وأما الحسن المعجب فهو الطل ( القاموس أيضاً )

فلسطينى

طباق قلعة القاهرة :

كان الأستاذ أحمد رمزى بك أورد فى « الأهرام » نص السخاوى فى كتابه (الضوء اللامع فى تاريخ القرن التاسع ) عن سكن ناصر الدين محمد جقمق « بالنور بالقلمة » وقال : هل هناك مكان معلوم للقدماء بالقلمة كان يطلق عليه اسم « النور » ؟

نعم ، كان فى القلمة اثنتا عشرة طبقة ، فى كل طبقة نحو ألف ممن يتلقون دروس التدريب على الجندية والحرب ، مع بعض علوم الشريعة والعلوم المصرية ، ومن هذه الطباق طبقة قائمة على أرض منخفضة ، فسميت « طبقة النور » . وفى « الضـوء اللامع » يذكر كثيراً من هذه الطباق كطبقة الرفرف وطبقة الزمام وغيرها .

وهذه الطباق كانت أكبر مدرسة حربية نعرفها فى التاريخ وأقدمها ، وقد تخرج منها آلاف من الضباط والقواد والأمراء ، بل الملوك . ولو جمت أخبـار هذه الجامعة الحربية لجاءت فى كتاب حافل .

وفى خطط المقريزى ، وزبدة كشف الممالك لخليل بن شاهين الظاهرى ( المطبوع فى أوربة ) مفصل القول على هذه الطباق ونظامها ، وفى در الحبب فى تاريخ حلب لابن الحنبلى بحث عن صلة السلطان النورى بطبقة النور ، ونسبته إليها ، وأنها بفتح النون ، وفى (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب) شىء من هذا

وكان فى المكتبة التيمورية خزانة خاصة لكتب الفروسية والرمى وآلات الحرب ؛ ألف الكثير منها فى عهد المماليك ، وكان كثير منها يدرس فى طباق القلعة .

محمد عبد الوهاب فايد

**حول ( اكتبوا للأطفال ) :**

اطلعت فى مجلتكم الزاهرة على كلمة الأديب محمد سيد كيلانى (اكتبوا للأطفال) ومع تقديرى لاهتمامه بهذا العنصر الهام من عناصر نهضتنا العربية وتدوينه جهود الغربيين فيه آخذ عليه قوله بالحرف الواحد « أما فى الشرق فلم يعن أحد بالاتجاه فى هذه الناحية ... الخ » .

إذ قد قام المرسلون الأمير كيون فى بيروت ما بين ١٨٨٥ و١٨٩٩ بترجمة وطبع كتب كثيرة للأطفال باللغة العربية مثل حكاية روبنصون كروزو وغيرها من القصص الأدبية الأخلاقية ( التى لا صلة لها بالدين ) مكتوبة بأقلام كبار أدباء سوريا ولبنان يومئذ وموضوعاتها لذيذة وأساليبها شيقة تستهوى عقول الأحداث والأطفال وهى مزينة بالصور الجذابة ، بل أذكر أننى كنت أقرأها وأنا طفل بين العاشرة والخامسة عشرة بشغف وسرور ، وكان لدى العشرات منها وكانت جميعها مطبوعة طبعاً أنيقاً (وأحياناً مشكولة) فى مطبعة الأميركان فى بيروت ولعل الأديب الكيلانى يعثر فى مكتبة خاصة أو فى مكاتب بيروت على نسخ منها .

ثم إن كاتب هذه السطور (ولا فخر) أصدر مجلته الأسبوعية «مجلة الأولاد» فى ١٥ فبراير سنة ١٩٢٣ وظل يصدرها أسبوعياً حتى ١٢ مارس سنة ١٩٣١ وكان يتراوح ما يطبع منها فى مطبعة اللطائف المصورة بين ١٤و١٦ ألفاً وكانت طافحة بالرسوم المضحكة التى تسر الأطفال وتقر عيونهم وتكتب شروحها باللغة العامية المسجعة وفى أواخر سنيها كان يكتب فيها بلغة صحيحة بسيطة وأضيف إليها معلومات علمية طبيعية وألعاب للتسلية ومسابقات ولم نوقفها إلا لأسباب فنية قاهرة ، وكانت معظم رسومها شرقية مصرية وبعد أن أوقفناها سعى الكثيرون من الأدباء والأديبات إلى إنشاء مجلات للأطفال والأولاد على غرار مجلة الأولاد ولكن أغلبها لم يقو على مكافحة الأزمات ، وكانت آخر محاولة من الأستاذة إجلال حافظ ومجلات أخرى أظن أنها ما زالت تصدر وأذكر أن مجلة الأسبوع الزاهرة وبعض الصحف بدأت بنشر مواد مصورة للأطفال .

اسكندر مكاريوس

**تعليق وتعقيب :**

١ — اذكر موضوعى حول « طيزناباذ » أديبة فلسطين فدوى طوقان بقصة صاحبة الفن علية بنت المهدى أخت الرشيد ، وأقامتها بطيزناباذ بعد منصرفها من الحج ، وهى التفاتة ظريفة من الأديبة الفاضلة أذكرتنى أيضاً بما يشبه هذا الخبر من قصة حج أبى نواس الذى رواه سليمان بن نوبخت عندما أراد الحج فاستصحب أبا نواس بعد نفار منه وامتناع . لكن « راهب الكاس » اشترط على سليمان أن يتقدما الحاج إلى القادسية ، ثم يعرجا « قليلا » على طيزناباذ ، ريثما يصل الحاج فعلا .

وكان فى طيزناباذ خمار ظريف ، لطيف الآلة ، يعتق الشراب اسمه «سرجيس» له ذكاء وفطنة فى المنادمة ، فشرب أبو نواس هو وصديقه سليمان ، ثم استيقظ ليصطبح « على عادته » فأنشد :

وخمار أنخت إليه ليلاً ... قلائص قد ونين من السفار
فجم والكرى فى مقلتيه ... كمخمور شكا ألم الخمار :
أبن لى كيف صرت إلى حريمى ... وجفن الليل مكتحل بقار ؟
فقلت له : ترفق بى فإنى ... رأيت الصبح من خلل الديار
فكان جوابه أن قال : صبح ... ولا ضوء سوى ضوء العقار !
وقام إلى العقار فسد فاها ... فعاد الليل مسود الازار
وشك بزالها فى قعر دن ... محفرة الجوانب والقرار
مصورة بصورة جند كسرى ... وكسرى فى قرار الطرجهار
وجل الجند تحت ركاب كسرى ... باعمدة واقبية قصار

ثم جلس يشرب مع سليمان ، وبقيا يصلون الليل بالنهار فى اصطباح واغتباق ، حتى ورد عليهما أوائل الحاج قد حجوا وعادوا فرحلا معهم إلى بغداد على أنهما كانا حجاجاً معهم . .

أما الآثار التى كانت شاخصة على عهد ياقوت والعمرى والشابشتى فقد كانت تسمى فى ذلك الحين « قباب أبى نواس ».

٢ — ومما فاتنى ذكره عن قطربل إن حاناتها اختصت بالنظافة وحسن الصفة ، والتألق فى الآلة ، كما امتاز سقاتها وباعتها بالفطنة واللباقة والظرف ، ونظافة المنازل والدنان.

واشتهرت قطربل بالمشمش حتى ذكره البحترى فى شعره قائلاً :

شربت مشمش قطربل وجرعتنا دقل الدسكره [١]
إذا حبٌ فى الكاس مسوده فكف النديم لها محبره

وكان ينزل هذه القرية الأعراب الذى يفدون على بغداد من البادية ، وكانت لغتهم فصيحة لم تشبها شوائب اللحن ، وفى القصة الزنبورية خير شاهد على ذلك . فقد نُقل عن الاصمعى أن هؤلاء الأعراب كانوا ينزلون بقطربل ، وأن الكسائى لما ناظر سيبويه استشهد بلغتهم عليه ، وفى ذلك يقول أبو محمد اليزيدى :

كنا نقيس النحو فيما مضى على لسان العرب الأول
فجاء أقوام يقيسونه على لغى اشياخ قطربل
إن الكسائى وأصحابه يرقون فى النحو إلى أسفل !

أما موقع قطربل بالنسبة إلى جغرافية العراق الحالية ، فقد قال صديقنا مصطفى جواد تعقيباً على ما كتبناه فى الرسالة فى العدد ٧٠٤ بكلمته المنشورة بجريدة العراق عدد ٤٩/٩/٢٣ بأنها « فوق الكاظمية بكيلو مترات قليلة مقابل بستان كاظم باشا من الغرب » ويظن أنها « كانت فى الوضع المعروف — اليوم — بالتاجى »

( بغداد ) شكرى أحمد

[١] ابن المعتز فصول التماثيل فى تباشير السرور ص ٤١

**النهضة الأدبية فى طرابلس :**

منذ زوال الحكم الإيطالى الغاشم عن أرض ليبيا العزيزة « طرابلس وبرقة » والنهضة الأدبية تسير بخطوات ثابتة سريعة بصورة تدعو إلى التقدير والإعجاب .

فهنالك فى كل من مدينة درنه وبنغازى عاصمة برقة التجارية وطرابلس فى جميع هذه المدن قد انتشرت الجميات الثقافية والندوات الأدبية التى تتلخص رسالتها فى نشر الأدب العربى وبث روح الثقافة العربية بين جميع المواطنين .

وقد كتب المواطن الفاضل الأديب « صلاح الدين بن موسى » مقالا قيما فى الرسالة ( ٧١٠ ) تحت عنوان « الحياة الأدبية فى طرابلس الغرب بين الماضى والحاضر » ولكن فاته أن يذكر فيه كلا من الشاعرين المصاميين الأستاذ أحمد الشارف شاعر طرابلس والأستاذ أحمد رفيق المهدوى شاعر برقة وهما بحق علمان من أعلام الشعر والأدب فى طرابلس الغرب :

ولقد اطلع أستاذنا العقاد على شىء من شعر الأستاذ رفيق فنال إعجابه وتقديره .

( القاهرة ) فرج بن جليل

**بطل الريف :**

اطلعت فى العدد ٧١١ من « الرسالة » على قصيدة أو بالأصح « مزدوجة » للأستاذ « أبو الوفاء » محمود رمزى نظيم فيها :

واخترعوا فخيّروا ألبابنا وملكوا بسعيهم زمامنا
كيف نقول ما لهم وما لنا إذا استغل علمهم خمولنا

« والمزدوجة » كما ترى مؤسسة بألف التأسيس فى الأشطر الثلاثة الأولى إلا فى الشطر الرابع فقد غيّر من التأسيس إلى الردف وهو حرف الواو ، وذلك ما نص العروضيون وتواضعوا على خطئه وعدم جواز استعماله .

وهى هنة هينة والسلام .

( الزيتون ) عدنان أسعد




أسطورة من الأدب الروسى :

# الخـــير والشر ...!

للكاتب الفيلسوف ليو تولستوى

[ مهداة إلى أستاذنا الفاضل محمود الخفيف ]

بقلم الأســـتاذ مصطفى جميل مرسى

[ من الهدى والتوفيق أن تنقل هذه القصة الرفيعة إلى العربية فى الحين الذى يقوم فيه الأديب الكبير الأستاذ محمود الخفيف بترجمة رائعة لحياة ذلك الفيلسوف الذى ذاعت شهرته الأدبية وشاعت عبقريته الفلسفية فى جميع أنحاء العالم، وترجمت كتاباته وقصصه إلى معظم اللغات فى مختلف البلدان ... وقد سبق لنا أن قدمناه إلى قراء « الرسالة الغراء » فى قصة « الملاك » التى نشرناها تباعاً على صفحاتها فى شهر أغسطس سنة ١٩٤٦

وفى هذه القصة التى تتنازعها عوامل الخـــير والشر ، وتضطرب فيها دوافع الحق والباطل ... نلتقى بعبقرية تولستوى الفذة وعقله الجبار فى خير ما سطره يراعه فى تمجيد الفضيلة ورفعتها . ! فهو يجلو لنا فى ثنايا هذه القصة صفحة بارعة من الحلم والتسامح والعفو وضبط النفس التى تنزع بالمرء إلى ركوب متن الشطط والغى ... وقد رأينا أنه من الأفضل أن نتناول عنوان هذه القصة بالإيجاز والتحوير لطوله ... فهو فى الأصل الذى نقلنا عنه « Evil allures, but good endures » ] .

« م . جيل »

---

حدث فى الأيام التى خلت وطوتها صفحات الدهر منذ القدم ... أن كان ثمت رجل رضى النفس طيب القلب جليل الشأن عظيم القدر ... أقبلت عليه الدنيا وأتاحت له وفراً فى ماله فلك الضياع والديار ... وراح يعيش فى ثراء ورغد ، ومن حوله جمع من العبيد يقومون على خدمته ويتولون قضاء حاجته . وقد بثهم سيدهم من الود وأخلص لهم من العطف ما جعل أفئدتهم تخفق بحبه وألسنتهم تلهج بحمده . . !

وراحوا يتيهون بسيدهم فخراً وزهواً ، ويغبطون أنفسهم على هذا الفضل وهذه النعمة ويعربون لجيرتهم عن مبلغ هنائهم قائلين :

« لم تطلع الشمس على من يضاهى سيدنا فى طيبته ورقة عاطفته ... فهو يطعمنا إذا ما أدركنا الجوع ، ويخلع علينا من الثياب كل طريف ومن الأبراد كل جميل ، ويهيىء لنا أعمالا تتفق ومقدرتنا وقوتنا ... وما تلفظت شفتاه يوماً بكلمة سوء يرمينا بها ولا بيت لنا حقداً ولا ضغناً .. فما هو كالسـادة الآخرين الذين يذيقون عبيدهم هول العذاب ويقسون فى عقابهم سواء أحق عليهم أم لم يحق . ! ولا يحنون عليهم بكلمة عطف ولا يواسونهم إذا ما مسّهم الضر ... أما سيدنا فقد وهبه الله قلباً يتمنى لنا الخير ونفساً ترجو لنا السعادة ... نحن لا نأمل فى حياة أهنأ ولا أرغد من هذه . ! » .

فضاق الشيطان ذرعاً بذلك الحب والود الذى يكنه العبيد لسيدهم ، فعمد إلى واحد منهم يدعى « ألب » فسخره ليوغر صدورهم ويشيع بينهم الفتنة والعصيان ويسرب إليهم الفساد ...

وبينما هم جلوس ذات يوم يتناقلون حديث العطف والكرم الذى يسبغه عليهم سيدهم ويحوطهم بفضله ... رفع «ألب» صوته قائلا فى خبث ودهاء : « إن من الغباء والحمق أن نغرق سيدنا بهذا الحمد ونحيطه بتلك الهالة من المديح ... وهو لا يستحقها . فالشيطان قدير وكفيل بأن يكون كيساً رقيق الحاشية معكم إذا ما أديتم له كل ما يروم ! . فنحن نخدم سيدنا فى وفاء وإخلاص ونحقق له كل ما يساور نفسه ويراود فؤاده من بغيات ... فما الذى يسعه سوى أن يكون رحيماً كريماً معنا ؟! . دعونا نحاول أن ندفع إليه ضرراً ما ثم ننظر ما يكون من جلية أمره ... وإنى لعلى يقين من أنه لا يفضل أقرانه السادة . فلسوف يلقى إساءتكم بمثلها بل بأشد منها ... » .

فانطلق بقية العبيد ينكرون هذا القول ، ويدرأون الشبهات عن سيدهم وولى نعمتهم ... بيد أنهم ما لبثوا أن عقدوا فيما بينهم رهناً مع « ألب » الذى أخذ على عاتقه أن يثير حفيظة سيده

ويلهب غضبه ... وقد تمهدوا بأن يدفعوا إليه بالثياب التى يحرمه منها سيده ، ويقوموا مدافعين عنه أمامه أو يمهدوا إلى إطلاق سراحه إن حبس أو غل بالقيد !.

كان «ألب» راعياً مسئولا عن فِرْز من الغنم النادرة الغالية التى يعتز بها سيده ...

وفى اليوم التالى حينما أقبل سيده فى صحبة من أضيافه ليريهم ويمتع ناظرهم بتلك الأغنام الكريمة ... غمز « ألب » بحاجبه لرفاقه وكأنه يقول لهم « انظروا الآن إلى أى حد سأثير غضبه وحنقه ! . » .

وتجمّع العبيد يمدون طرفهم من فوق سياج المرعى! وتسلق « الشيطان » شجرة سامقة حيث استقر فوقها وراح يرقب ما سوف يعمله « ألب » خادمه ورسوله . !

وتهادى السيد مع صحبه يعرض عليهم شياهه وحملانه ... وانثنى يقول لهم وقد رنّ فى صوته جرس الإعجاب والزهو: « إنها جميعاً كريمة نادرة ،ولكن بينها كبشاً أصوف أعقص القرن — لا يقدر بمال — أعتز به كما أعتز بمقلتى .! » .

وشاع الاضطراب بين حشد الأغنام ، فانطلقت تعدو إلى جهة أخرى من المرعى ، فلم تنهز للزائرين سانحة لرؤية ذلك الكبش الذى نوه صاحبه بجلال قيمته وعظم شأنه ...

ولم تكد تستقر الشياه فى مكانها حتى أثارها « ألب » من جديد فعادت تجرى إلى كنف آخر ، وهى تضطرب فيما بينها ، وفوّت على الزائرين نهزة اجتلائها وتبيُّن الكبش . . فلم يجد السيد بداً — وقد أدركه العناء وبرح به الإعياء — من أن يدعو « ألب » قائلا : « أرجوك أن تحول بين ذلك الكبش الأعقص القرنين وبين الهرب وأمسك به معتنياً حتى تتاح لنا رؤيته » !

ما كاد السيد يقول ذلك ، حتى انطلق « ألب » بين الشياه كالأسد الذى يسعى بين رعيل من الظباء ! . وقبض على صوفة الكبش فى عجلة وتناول رجلا من أرجله فلواها فى شدة حتى تهشمت عظامها وصارت له قعقعة الغصن اليابس حينما يطأوه الإنسان . . لقد حطم ساقه وجعله يخر على الأرض وهو يثاج ويثغى فى ألم . .

ثم لم يلبث « ألب » . أن أمسك برجل أخرى وحاول أن يلحق بها ما أصاب سابقتها !

فصاح الزائرون فى جزع ، وهتف العبيد فى هيعة وفزع . وطرب الشيطان وهو قابع فى مكانه على الشجرة ، وهلل فرحاً لما رأى من نجاح خادمه وهو يسعى لإثارة سيده ! وتقطب جبين السيد وعلته كآبة سوداء تنذر بعاصفة هوجاء ، وزمهرت عيناه وقد اتقد فيهما لهيب الغضب والحنق والسخط . . وقد كاد أن ينشق من الغيظ . . بيد أنه طاطأ برأسه ولم ينبس ببنت شفه . .

ران الصمت — ولكنه صمت رهيب — على الأضياف وعلى العبيد وقد تعلقت أنفاسهم يترقبون ما سوف يتمخض عن هذه الجناية على الكبش المسكين الذى لا يُلفى له نظير !

وبعد هنيهة من السكون ، هز السيد كتفيه وكأنه قد تخلص من حمل ثقيل كان يجثم على قلبه ... ثم لم يلبث طويلا حتى رفع رأسه ومد بصره إلى الأفق البعيد مستغرقا فى فكره لا يريم . !

وبغتة . ! غاب التقطب عن صفحة جبينه وانفرجت أسارير وجهه وهدأت نفسه وقد عصف بها الاضطراب ... ونظر إلى « ألب » فى عطف وعلى ثغره ابتسامة عذبة ... وقال فى صوت رقيق شاعت فيه الوداعة والطمأنينة :

« إيه ... يا ألب ... لقد أغواك صاحبك الشيطان بإثارة غضبى ولكننى سوف أخيّب مسعاه وأثير غضبه هو ... فلست بحانق عليك ولا ساخط منك ... إنك لتخشى عقابى ويداعب نفسك أمل فى أن أعتق رقبتك ! . فاعلم - إذن — أنى لن أمسّك بسوء ، كما أنى — أمام هؤلاء الأضياف وتحت سمعهم وبصرهم — أطلق حريتك ... فاذهب أينما شئت ... فأنت حر من هذا اليوم . ولك أن تحمل معك ما تود من ملبس وطعام . »

* * *

وانثنى السيد عائداً مع رفقته إلى داره فى هدوء وبشر أما الشيطان — وقد باء مسعاه بالخسران المبين — فقد هوى من فوق الشجرة ... وغار فى الأرض ...

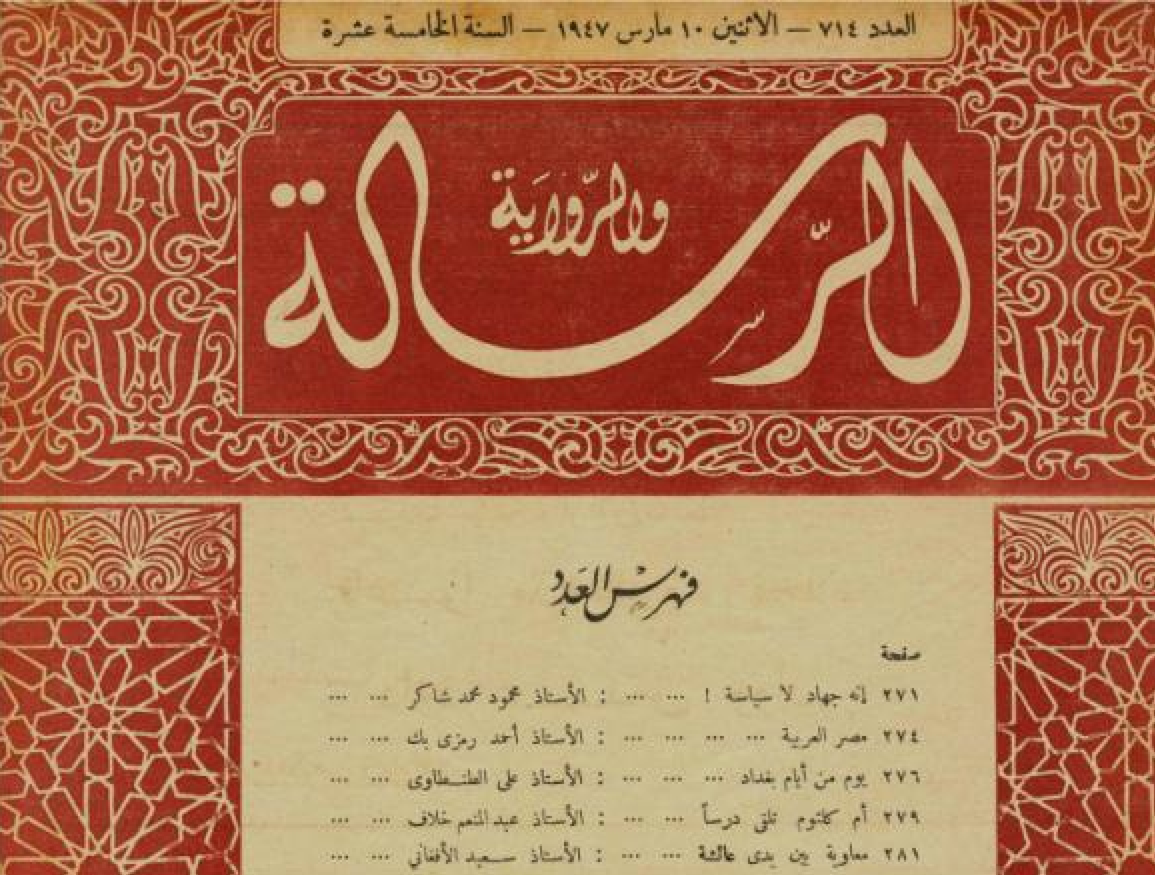
(القاهرة) **مصطفى جميل مرسى**





مطبعة الرسالة

العدد ٧١٤ — الاثنين ١٠ مارس ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة




## فهرس العدد

صفحة

٢٧١ إنه جهاد لا سياسة ! ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ... ...

٢٧٤ مصر العربية ... ... ... ... : الأستاذ أحمد رمزى بك ... ...

٢٧٦ يوم من أيام بغداد ... ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ...

٢٧٩ أم كلثوم تلقى درساً ... ... : الأستاذ عبد المنعم خلاف ... ...

٢٨١ معاوية بين يدى عائشة ... ... : الأستاذ سعيد الأفغانى ... ...

٢٨٤ تولستوى ... ... ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ... ...

٢٨٨ نقل الأديب ... ... ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

٢٩٠ غروب شمس ... ... (قصيدة) : الأستاذ حسن كامل الصيرفى ...

٢٩١ « **الأدب والفن فى أسبوع** » : أصول الأدب الهندى — انحطاط المجلات المصرية — تاريخ دمشق — آثارنا ... ... ... ...

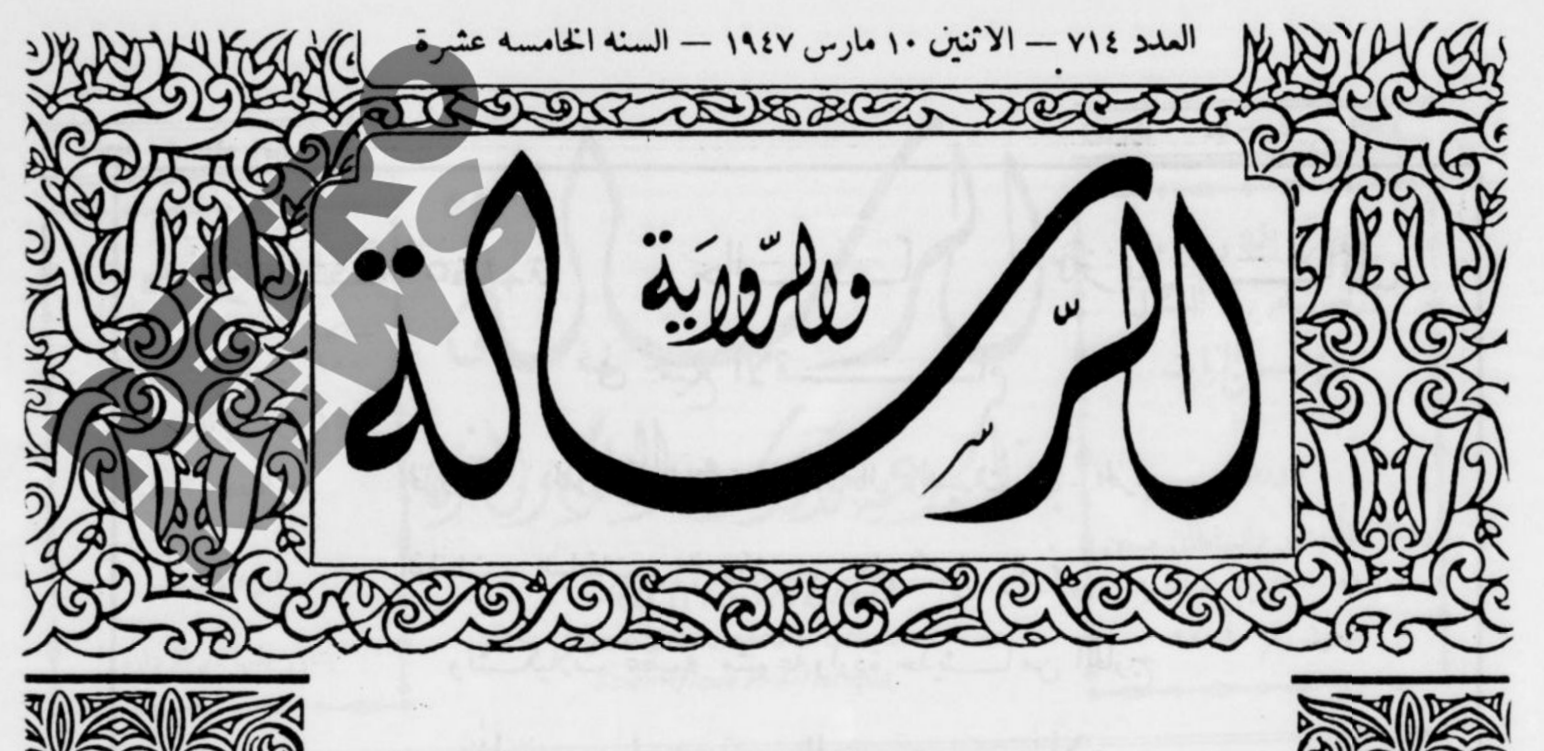
٢٩٣ « **من هنا ومن هناك** » : ترجمة الآداب الثقافية العالمية — دولة المماليك البحرية — نجم يهوى ... ... ... ... ... ... ...

٢٩٥ « **البريد الأدبى** » : إلى العاتبين على الأستاذ الزيات — قصة الروح — نشر ديوان الشريف الرضى — حولوا كتبوا للأطفال — نيف ، عام — تعقيب

٢٩٧ أخت ... ... ... ( قصة ) : الأستاذ لبيب السعيد ... ...

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧١٤ — الاثنين ١٠ مارس ١٩٤٧ — السنه الخامسه عشرة




فهرس العدد


صفحة

٢٧١ إنه جهاد لا سياسة ! ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ... ...

٢٧٤ مصر العربية ... ... ... ... : الأستاذ أحمد رمزى بك ... ...

٢٧٦ يوم من أيام بغداد ... ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ...

٢٧٩ أم كلثوم تلقى درساً ... ... : الأستاذ عبد المنعم خلاف ... ...

٢٨١ معاوية بين يدى عائشة ... ... : الأستاذ سعيد الأفغاني ... ...

٢٨٤ تولستوى ... ... ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ... ...

٢٨٨ نقل الأديب ... ... ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

٢٩٠ غروب شمس ... ... (قصيدة) : الأستاذ حسن كامل الصيرفى ...

٢٩١ « **الأدب والفن فى أسبوع** » : أصول الأدب الهندى — انحطاط المجلات المصرية — تاريخ دمشق — آثارنا ... ... ... ... ...

٢٩٣ « **من هنا ومن هناك** » : ترجمة الآداب الثقافية العالمية — دولة المماليك البحرية — نجيم يهوى ... ... ... ... ... ... ... ...

٢٩٥ « **البريد الأدبى** » : إلى العاتبين على الأستاذ الزيات — قصة الروح — نشر ديوان الشريف الرضى — حولا كتبوا للأطفال — نيف ٠ عام — تعقيب

٢٩٧ أخت ... ... ... ( قصة ) : الأستاذ لبيب السعيد ... ...


٢٨٠٢٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

١ — الأعمال اللازمة لبناء ثلاثة فصول فوق مبنى مدرسة المنشاوى باشا الابتدائية للبنات بطنطا .

٢ — الأعمال اللازمة لأنشاء دور علوى أعلى الدور الأرضى لإدارة معهد المنشاوى بطنطا .

٣ — الأعمال اللازمة بمسجد المنشاوى باشا المجاور للسراى بالقرشية .

٤ — الأعمال اللازمة لدهان مقاعد الجلوس لمهد المنشاوى باشا بطنطا .

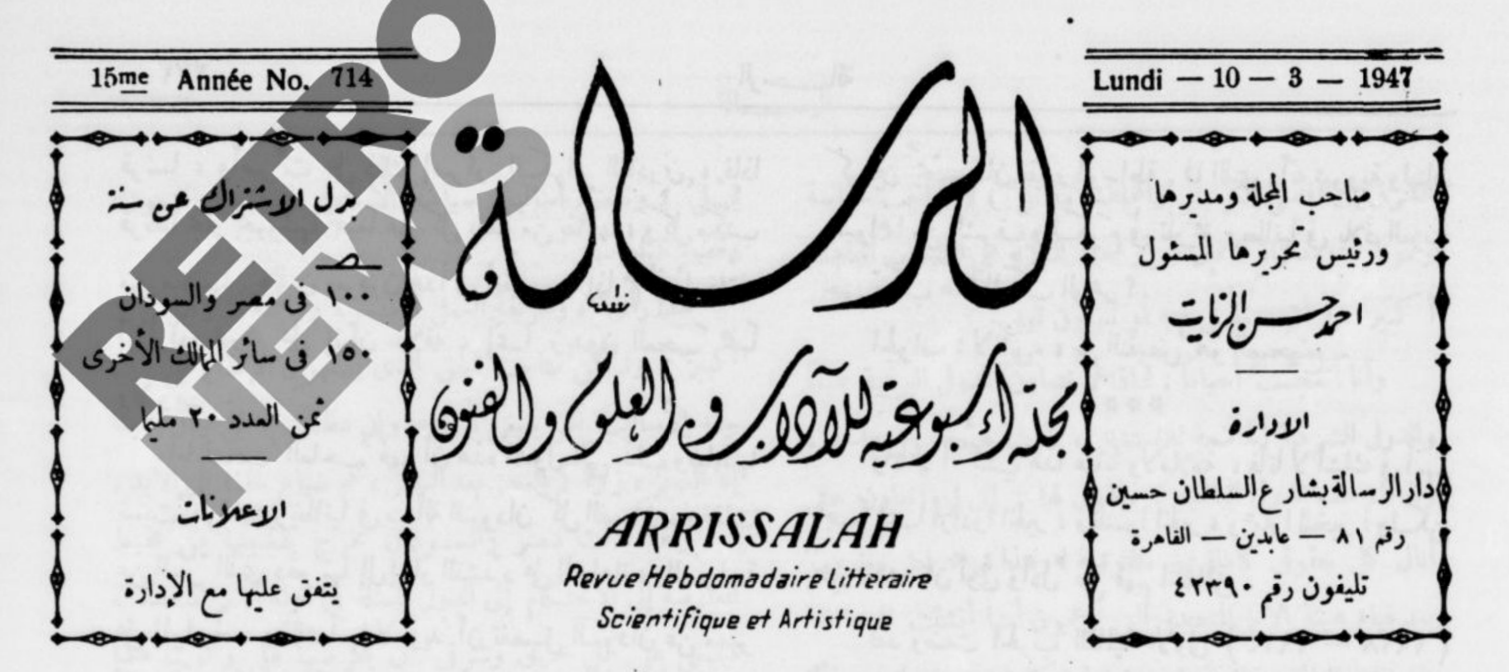
٥ — الأعمال اللازمة فتح باب لمعهد المنشاوى باشا وعمل حاجز بينه وبين المسجد بطنطا .

٦ — توريد وتركيب فرن كبير لمطبخ سراى المنشاوى باشا بالقرشية .

## إعلان

تشهر وزارة الأوقاف العمليات الموضحة بعاليه وقف المنشاوى باشا الكائنة بطنطا والقرشية فى المناقصة العامة وتقبل العطاءات « بقسم المخازن والمشتريات لغاية ظهر يوم ١٩٤٧/٣/٢٤ ويمكن الحصول على مستندات هذه العمليات من خزانة الوزارة نظير مبلغ ٦٦٠ مليما .

والمدة اللازمة لإتمام الأعمال موضحة على كل مقايسة .


15me Année No. 714
Lundi — 10 — 3 — 1947

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٧١٤ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ ربيع الثانى سنة ١٣٦٦ — ١٠ مارس سنة ١٩٤٧» السنة الخامسة عشرة

# إنه جهاد لا سياسة!

للأستاذ محمود محمد شاكر

عجبت أشد العجب حين قرأت فى الأسابيع الماضية خبر وساطة سورية ولبنان وغيرهما من بلاد العرب والتى أرادوا بها اجتلاب التفاهم بين بريطانيا ومصر والسودان. ومعنى ذلك أن البلاد التى دفعتها الغيرة والصداقة والقربى إلى هذه الوساطة، تتمنى أو تظن أو تؤمل أن تكون المفاوضة بيننا وبين بريطانيا خيراً من الارتفاع إلى مجلس الأمن أو الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة، ليقضى بيننا فيما اختلفنا فيه!

وللعجب من مثل هذا الفعل وجوه كثيرة. فمن ذلك أننا ظللنا نفاوض هذه الدولة المتغطرسة سنين طوالا مغررين بالمفاوضة، فما أجدت علينا إلا ألواناً من البلاء، وعلمتنا ضروباً من كذب الألسنة واحتيالها وخداعها، وعرفنا أن بريطانيا تراوغ ما استطاعت المراوغة، وتتجنى ما أطاقت التجنى، ولا نكسب نحن من ذلك شيئاً إلا الفرقة والتدابر والتنابذ والتشاتم، وهى كلها من مبيدات الأمم. نعم، وكانت العبرة التى لا عبرة بعدها أن القوم الذى ظلوا أكثر من خمسة وعشرين عاماً يصرون على أن المفاوضة هى خير طريق لاستنقاذ حقوقنا من الأيدى الغاصبة، هم هم القوم الذين عرفوا أن لا جدوى من المفاوضة، فقطعوها وآثروا أن يرفعوا الأمر إلى هيئة دولية تحكم بيننا. هذا فضلا عن أن صريح الرأى، وصريح الدلالة، وصريح التجربة، توحى جميعاً بأن بريطانيا لم تستفد قط من شىء فى هذا الشرق المبتلى بها ما استفادت من مبدأ المفاوضة. فهو الذى أتاح لها فى مصر مثلاً أن تطفئ جمرة الشعب المصرى التى ظلت تتوهج فيما بعد سنة ١٩١٩، حتى صدق فيها قول المتنبى:

وكم ذا بمصر من المضحكات ... ولكنه ضحك كالبكى

فمن هذه المضحكات المبكية، ما كان من تغرير المفاوضين الذين جاءوا بمعاهدة ١٩٣٦، والذين استطاعوا أن يصبوا فى آذان الشعب من الكلام الفاتن حتى احتفل بها احتفاله المذكور على أنها «معاهدة الشرف والاستقلال»!! ومن ذلك أن ترى شعباً قد أوذى وامتهن وحقر على يد فئة من طغاة العسكريين فإذا هو يحمل ممثل هذا الشعب بعد قليل على الأعناق! ونحن لا نذكر هذا رغبة فى ذكره، ولكن الذين توسطوا ينبغى لهم أن يعرفوا هذه الفظائع التى أورثتنا إياها مبادئ المفاوضة وما يتبعها.

ومن أساس العجب أيضاً أن سورية ولبنان تعلم حق العلم، وتعلم بالتجربة التى جربتها مع الفرنسيين، أن المفاوضة لا تجدى، وأنها لم تنل حقها إلا حين كانت يداً واحدة تطالب بحقها المنصوب، فلم تقبل معاهدة ولا شروطاً ولا وعوداً تعد بها

فرنسا ، وأصرّت على ذلك إصرارَ الكِرامِ القادرين ، فإذا فرنسا تجلو بجيوشها جميعاً عن كل بقعةٍ من بقاعها ، وكل مكتب من مكاتبها . فالذين يعرفون هذا فى أنفسهم ، إذا هم أتوا خلافه ، أو أرادوا غيرهم على إتيان خلافه ، إنما يزيدون العجبَ عجباً ولا ريبَ .

أما العجبُ العاجبُ فهو أن هذه الدول التى بذلت وساطتها نسيتْ موقف بريطانيا فى مسألة السودان كل النسيان ، وغفلت عن السرّ الذى دفع بها إلى إيثار التشدّد على المساهلة ، والصراحة على المواربة . وذلك أنها لا تريدُ أن تفصِل السودان عن مصر مُكايدةً لها أو انتقاماً منها ، بل لأنها لا تريدُ الجلاء عن مصر كلّ الجلاء ، وهى تعلم أن السودان هو مصر ، فبقاؤها فيه هو بقاؤها فى مصر سواء بسواء . ولكن بريطانيا لا تريدُ أن تفضح نفسَها بالإصرار على البقاء فى أرض مصر ، فاخترعت قصة الدفاع عن مصير السودان واستقلاله أو تهيئته للحكم الذاتىّ وأنه لا بُدّ لذلك من أن تبقى فيه حتى يتهيّأ ويستعدّ ، وأن تمنع مصر الباغية من العدوان على السودان ! ! وهذا كله تدليسٌ بيّنٌ ، وكنا نرجو أن يعرف المتوسّطون حقيقة هذه المسألة على وجهها فيكفُّوا عن الوساطة التى تعودُ بنا إلى المفاوضة — أى إلى تعذيب الشعبِ المصرىّ السودانىّ سنين أُخَر ، وإلى بقاء العالم كله جاهلا بعدالة قضية مصر والسودان على وجهها الصحيح .

وأما أعجبُ العجبِ : فهو أنهم نسوا ما تُلاقى فلسطين على يد البريطانيين اليوم ، من إرخائها الحبْل لنذالة الإرهاب اليهودى ومعاونتها فى هجرة اليهود بأساليبها الخدّاعة ، واحتمالها فى ذلك الأمر ما لم تكن تحتملُ قليلا أو كثيراً من مثله حين ثارتِ العربُ على ظلمها وبغيها وعدوانها هى وأشياعها من يهود . وهل ننسى ، نحن العرب ، لم وعدت بريطانيا شُذّاذَ اليهود الذين ضربَ الله عليهم الذلة والمسكنة ، بأن ينشئوا فى فلسطين وطناً قوميًّا ، ثم معاونتهم لهم فى ذلك ، ثم إغضاءها عن جشع اليهود بعد ذلك وطلبهم إنشاء « دولة يهودية » تقوم فى قلبِ الأوطان العربية التى تحيط بها من كل ناحية ؟

إن الوساطة لا تكون حقاً إلا حين تتوسّط بين شريفين كريمين يُحْسِنان تقدير الوساطة . فما الذى رأته سورية ولبنان وسواهما من الشرف والكرَم فى تاريخ بريطانيا فى بلادِ العرب حتى تركب هذا المركب الوعر ؟

الجواب : لا شىء ، بل النقيضُ هو الصحيح .

***

وأنا لا أكتب هذا عتاباً ولاملامةً ، فأنا لا أشك فى أنهم جميعاً إنما أرادوا الخير ، وظنُّوا الخير ، وعملوا للخير ، ولكن غير ذلك كان أولى وأدلّ على فهم الحقائق .

لقد وضعت الحربُ العالميةُ الأولى ( ١٩١٤ — ١٩١٨ ) فإذا الشعوب العربية فِرَق مقطّعة بين الدولتين الباغيتين فرنسا وبريطانيا ، وكان رأى العرب بفرّقاً ضائعاً فى فوضى الاضطراب الذى أعقبَ الحرب ، ومع ذلك فقد قامت الثورات فى كل مكان مطالبة بالحقوق الواضحة التى لا جدال فى وضوحها ، فأنكرتها علينا بريطانيا وفرنسا ، ولكنّا مع ذلك ثُرْنا وبقينا نثور فى كلّ مكانٍ .

ثم جاءتنا الحرب العالمية الثانية ، فإذا رأى العرب مُجْتمع غير مفرّق كما كانَ بعد الحرب الماضية ، وبدأنا نثورُ فإذا الثورات قد خمدت بعد قليلٍ ، وإذا نحنُ نوشِكُ أن نتفرق بعد اجتماع . ولعلّ هذا رأى غريبٌ مع ما نرى من قيام الجامعة العربية ، ومن تصريحها فى مناسبات كثيرة بأنها تؤيد مطالب مصر أو مطالب غيرها من الأمم العربية بالإجماع . بيد أن السبب الذى من أجله أخشى تفرُّق الكلمة هو ما رأيت من أمثال هذه الوساطات التى تردّ كلُّها إلى سبب واحدٍ ، هو أن الرأى العربىّ لم يدرُسْ القضايا دراسة مستوعبةً ، ولم يتخذ لنفسه خُطّة بيّنةً واضحةً فى كل قضية . وأظنّه لو فعل ذلك لنفى من قلبه خاطرَ هذه الوساطات بين أقوام العرب ، وبين الدول المتغطرسة التى لا أمانة لها ، ولا هدفَ لها إلا استعباد هذا الشرق بأساليبِ « مطابقة لمقتضى الحال » .

وإنه لأولى بنا جميعاً ، نحن العرَب ، أن نصارح بالعداء كلّ أمة من أمم الطغيان الاستعمارى ، وأن نحذرَ كلّ الحذر مزالق السياسة وأساليبها الخدّاعة ، فإننا أمم مجاهدةٌ ، وينبغى أن تظل مجاهدة حتى تنال حقها فى كل مكان ، من أقصى

الشرق إلى أقصى الغرب . والمجاهد مُقاتلٌ ، لا صاحب سياسة ومُواربة ومداراة ، فإن ضرَرَ هذه الثلاثة على الشعوب المجاهدة أكبرُ من أن نغفل عنه أو نتهاون فيه .

وأنا أتعجبُ أحياناً : لماذا لا تتعاونُ الدول العربية جميعاً والدول الشرقية الخاضعة للاستعمار ، فتهبّ هبّة رجل واحد ، وتقاطع هذه الدول الباغية ، وتقول لها : إنى لن أتعاون حتى أنال كلَّ حقوق كاملة غير منقوصة ! وهذا شئ ليسَ بغريبٍ بعد قيام هيئة الأمم المتحدة التي يزعمون أنها أنشئت للمحافظة على سلام العالم ، والتي تنقض مبادئها كل حجة تقالُ في مسألة مخافة العُدْوان على هذه الأمم بعد خروج الجيوش المحتلة من أراضيها ، ولو فعلنا ذلك ، وأبينا أن نُلقى السَّلَم حتى تحلّ هذه القضايا الكثيرة التي عقّدتها بريطانيا وأشياعها من الدول المستعمرة ، لكان قريباً أن ننال كل ما نريد ، ولكان ذلك معواناً للشعوب العربية والشرقية على الشعور بقوّتها وعزتها واجتماع كلمتها ، ولكان ذلك وِقاء لنا من أن نكون كما نحن الآن : خداعٌ يُراد بمصر ، وخداع يُرادُ بالسودان ، وخداع يُراد بالمغرب ، وخداعٌ يرادُ بالهند وما جاوَرَها .

إنه ليس عجيباً . بل الدلائل على صدقه وعلى صلاحه ما رأينا من نتائجه بعد قيام الجامعة العربية التي لا تزال في أول نشأتها . فالجامعة العربية على قلة وسائلها وقلة تجربتها ، قد جعلت العالم الغربي كله يتنبّه إلى أن في الدنيا شيئاً من القوة لا ينفع في الخلاص منه سلاحٌ فتّاك ولا غطرسةٌ حربية . فإذا اجتمعت الكلمةُ في الشرق كله ، وهبّت الأمم الشرقية كلها مرة واحدة لاستيقظ العالم كله على صوت هذه الضجة المدوّية ، ولطالبت الأمم الغربية نفسها بدراسة هذه المسائل المعقّدة وفهمها على وجهها الصحيح ، لا على الوجه الذى ظلّت بريطانيا وسواها من حكومات الاستعمار تعمل جهدها سنين مطاولةً على تدليسه وبثّه في صحافتها وكتبها وإذاعاتها . فلا سبيل إلى ردّ هذه الأكاذيب جملة واحدة إلا بأن نشعر العالم جملة واحدة بما نريد ، فيتنبّه ويستعدُّ للمعرفة ، فنتخذ عندئذ كل وسيلة إلى إفهامه عدالة قضايانا ، ونكشف له عن الأكاذيب التي أذيعتْ عليه من قبلُ ، ونفضح أساليب سياسة الاستعمار في تشويه الشعوب وقضايا الشعوب .

هذا رأىٌ ، وطريقة العمل له ميسرة وواضحة . وهو شئٌ كبيرٌ ، ولكن صاحب الحقّ الذى يستهوِل الإقدام على بيان حقه بالأساليب التى ينبغى اتخاذها وإن عظمت ، لن ينال شيئاً إلا العجز ، وتراكم العجز بعد العجز ، ثم ضياع حقّه إلى الأبد .

ولقد بدأت مصر والسودان تخرج بقضيتها عن محيط المفاوضة إلى الاحتكام إلى الدول الممثلة في هيئة الأمم المتحدة ، فينبغي على كل عربي وشرقيّ أن يحرّضها على ركوب هذا الطريق وإن شق مسلكه ، وينبغى على كل دولة عربية وشرقية أن تقف صحافتها وإذاعتها صفًّا واحداً للجهاد في سبيل مصر والسودان — أى في سبيل فلسطين وليبية ومراكش والجزائر وتونس والهند وما وَراءها ، أى في سبيل الدفاع عن حقوق جميع الشعوب التي ذاقت مرارة الاستعمار ونكاله أجيالا أو أعواماً. والعاقبة للمجاهدين الصابرين على لأواء الجهاد وبأسائه .

محمود محمد شاكر

# مصر العربية

للأستاذ أحمد رمزي بك

كتب أبو حيان التوحيدي عن العرب بعد أن شملتهم الدعوة والنبوة والشريعة فقال : « قد رأيت كيف تحولت جميع محاسن الأمم إليهم . وكيف وقعت فضائل الأجيال عليهم ، من غير أن طلبوها وكدحوا فى حيازتها أو تعبوا فى نيلها ، وهكذا يكون كل شىء تولاه الله بتوفيقه وساقه إلى أهله بتأييده » . وتلك حال مصر العربية من يوم أن دخلها عمرو بن العاص وصحبه منقذين ومخلّصين ، يحملون أعلام الحرية لا فاتحين وغزاة . فهذه البقعة من الأرض التى خاطب أهلها عمرو من مسجده العتيق بالفسطاط فقال لهم : « اعلموا أنكم فى رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم ، تتجه قلوبهم إليكم ، وتتشوق إلى دياركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية » . قد خط الله لها فى سجل قدره وإرادته أن تكون من البدأ قلب العروبة ، فهيأ لها أن تجتمع محاسن الأمم إليها وفضائل الأجيال عليها ، ومهد لها رجالا أتوا إلى الوادى لخدمته ، بعبقريتهم وسيوفهم ، وكان أن صمد أهل مصر طول القرون الماضية وهم فى رباط دائم ، يخدمون الإسلام والعروبة بعلمهم وفكرهم ، ويذودون عن الإسلام ونفوذ المسلمين بأيمانهم وسيوفهم ، ألم تقم دولة آل طولون بما تعهدت به للدولة العباسية من حماية الشام وأهله والعواصم والثغور فى طرسوس وما حولها ؟ ألم يدرك المرض الأمير أحمد بن طولون فى أنطاكية وهو عائد من جهاده ضد الروم فى آسيا الصغرى ليموت بمصر ؟

تلك سنة الله التى اختطها لأهل مصر فى الأعصر الخالية ، فكتب عليهم القتال والجهاد والشهادة وحمّلها لهم أمانة لجند مصر وأمرائها وملوكها ، فما وهنت أعناقهم عن حملها ، وإنما ساروا بها لألف سنة والنصر يواتيهم ، والشهادة تلاحقهم ، وكتبوا بدمائهم صفحات من المجد الخالد ، يعرفها كل من اطلع على تاريخ مصر العربية الإسلامية وشوكتها أيام استقلالها وعظمتها كما اعترف بها كتاب الغرب الذين كشفوا بأبحاثهم عن معارك الحروب الصليبية ، وإن ودّ كثير منهم أن يطمسوا الحقائق وتبعهم فريق منا يحاول التقليد ليخفى من أثر مصر وجهادها فى تاريخ الإسلام والعروبة .

إننا فى حاجة دائما إلى من يذكرنا بمواقف مصر وجهاد أهلها السابق ؛ لأن هذا التاريخ الذى تنطق صفحاته بأيام النصر المتلاحقة المتتابعة عنصر هام من عناصر التكوين الروحى والعقلى للأمة المصرية ، وهذا الإيحاء الدائم المتواصل المستمد من تاريخنا الإسلامى والعربى هو مصدر روحى لقوة الأمة وعبقريتها واستعدادها للتصادم ومقارعة الأحداث .

وأعود بهذه المناسبة إلى كلمة نشرتها[1] عن الفكرة العربية وحاجتها إلى مجهود عدد كبير من المفكرين والباحثين ونظرت إليها كجزء مكمل للتكوين الروحى والعقلى للأمة المصرية . بل ذهبت فى إيمانى بها إلى تقرير مبدأ يتلخص فى أن الكثير من مشاكلنا الخلقية والقومية ، والتى تبدو لنا صعبة الحل ؛ سيسهل علينا مواجهتها على ضوء الأسس الاجتماعية التى لا تعتمد على العقل وحده بل تحرك القلوب والمشاعر ، وليس أعظم من الإيحاء الدائم المستمد من التاريخ الحى لتلقين الجماعات وإشعارها بالدور الذى لعبته فى الماضى وتهيئتها لمواجهة المستقبل ومصاعبه .

ونحن الآن فى مصر أمام حركة قومية تحدث العالم عنها ، ووقفت البلاد إزاءها وقفة من تلك الوقفات التاريخية الخالدة ، إذ أجمعت الأمة ممثلة فى أحزابها ورجالها وساستها فى المطالبة بحق ثابت لها ، وهذا عمل عظيم رائع يملأ النفس تفاؤلا ويكاد يشعرنا بأن الأيام المقبلة ستكون حتما أسعد لنا من الليالى القاتمة السواد التى مضت . وإنا لنحس بأن هذه الدفعة وليدة الوعى القائم والرغبة المنبعثة عن إرادة شاملة للتحرر ، بل فيها ما يقنع بأن هذه الإرادة ترمى إلى أبعد من ذلك كله : ترمى إلى إثبات كفاية هذه الأمة ومقدرتها على التقدم وإلى تأكيد شخصيتها وتحررها من الصلات القائمة لكى تعتمد فى حل مشاكلها القادمة على القوة الكامنة فيها وحدها . هذه حالتنا اليوم فى موقفنا إزاء الأحداث القادمة ، ولئن شغلتنا قضية البلاد بمشاكلها الداخلية والخارجية ومصاعبها ؛ فنحن فى حاجة ماسة إلى تعهد هذه اليقظة ، بعمل دائم من رجال الفكر ، لكى تقوم هذه النهضة على أساس عقلى دائم ، ولكى تبرز القيم الروحية لهذا الوعى ، حتى تغمر الدوافع القومية كل طبقات الأمة . فيكتب لنهضتنا الدوام والاستمرار ، وتحمل طابع الخلود الذى يلازم

(١) « الرسالة » عدد ٦٠٦ فى ٢٨ يناير سنة ١٩٤٦

الحركات القومية الكبرى .

وهذا ما يدعونا إلى تقرير بعض المبادئ العامة التى تصلح لأن يؤمن بها كل منا . فالمبدأ الأساسى الذى تقوم به علاقات هذا الوطن بالعالم : يتلخص فى أن الأمة المصرية فى نضالها وكفاحها لا تضمر شراً لأحد من الناس أو لإحدى الدول الأخرى، وإنما تطلب معاملة الند للند ، أى لا تسمح لأى دولة أن تعاملها معاملة أقل من المعاملة المعتادة التى توجد بين دولة أوروبية ودولة أوروبية أخرى ، أى المعاملة المدنية التى تفرض أوروبا قيامها مع أى مجموع راق متطور . ومعنى ذلك أن هذه البلاد كاملة السيادة فهى ليست مستعمرة ، وعلى من يعيش فيها أن يخضع لأنظمتها وقوانينها ومحاكمها وتشريعها ويرعى قواعد الضيافة ويعود نفسه على احترام الأمة المصرية وتاريخها وتقاليدها .

وتستند هذه القاعدة لقيام صلات مع العالم المتمدين ، على مبدأ شامل عام : هو أن الأمة المصرية تسكن هذه الأرض المعلومة بحدودها ، وأن لها على أرض الوطن الحق الطبيعى التاريخى الثابت ، وما من شك فى أن هذه الأمة ممثلة فى أفرادها وجماعاتها وهيئاتها ، تريد أن تحيا وهى متمتعة بكل حرياتها التى تكفلها حقوق الإنسان ، وأن تتمسك بكامل شخصيتها ومميزاتها . ومعنى ذلك أنها لن تتنازل عن شىء من حرياتها ومميزاتها لأن كل هذا وديعة بأيدى الجيل الحالى سيسلمها كاملة وبأمانة إلى الأجيال القادمة وهى لا تقبل التفريط أو التساهل ، لأن الأمة التى تفقد هذه الأشياء تصبح فى النواحى التى ضعفت لديها ، فريسة سهلة لما يحيط بها من تأثير الأمم الأخرى .

وأعظم مظاهر الشخصية للأمم هى اللغة : ولغتنا العربية هى من أعظم لغات الأرض بل هى أقوى اللغات السامية التى شقت بحيوية أهلها طريقها فى التاريخ ، وتمثلت فيها عبقرية الأمم العربية وتفوق الفكر السامى وقدرته على الخلود ومواجهة أحداث الزمن ونكباته ، ولها ميزة انفردت بها عن سائر اللغات السامية وهى أن غيرها فنى وانقرض وبقيت لغتنا خلال القرون وهى حافظة على قوة التعبير والقدرة على التطور والإبداع .

وفى العالم الحديث ثقافات متعددة أو هى بعدد الأمم الحية وللعصر اتجاهات ، ولكن لنا ثقافة نريد أن تكون حية وهى ثقافتنا العربية وليدة كفاحنا وجهادنا . لا ننوى أن تطغى عليها ثقافة أخرى من لاتينية أو انجلوسكسونية أو سوفييتية مهما علا كعب أهلها فى مضمار الحضارة ، لأن ثقافتنا جزء ثابت مكون للشخصية المصرية لا يمكن أن نتنازل عنه أو نقصر فى حقه بل يجب أن يبرز فى كل ركن وناحية من نواحى نشاطنا . ونحن نطمع أن نأخذ بما فى الكون من أشياء نافعة وأفكار مبدعة ، ونريد أن نساهم بقسط فى تطور الفكر وإبداعه ، فذلك حق لنا وضرورة لازمة ، ونطمع فيما يطمع فيه غيرنا وهو استكمال النقص فينا لإبراز عناصر الحياة وتدفقها فى ثقافتنا ولجعلها حقيقة عالمية تفنى فقط حين يفنى العالم بأكمله .

ونحن نعرف ما فى قوانين الطبيعة من تفاوت وتفرقة ، وما تمليه قواعد الطاقة ونظم الحياة الحديثة وما فى العالم من قدرة وقوى محركة ، ونعرف مواطن النقص لدينا وأماكن الضعف عندنا ، ولكننا سنقبل المعركة كما دخلها الآباء والأجداد من قبل ، سنتقدم بغير هوادة ، لا تقدم اليائس بل تقدم الواثق من نفسه ، سوف لا نقف بعد اليوم لأن الجمود تراجع ، وستبرز فينا القوى الكامنة والمستمدة من عناصر الفتوحات الكبرى بشكل يبهر العالم . ولا يغرنكم ما ترون من تطاحن وتناحر واختلاف وتنابذ، إن ما يبدو مستحيلا أو بعيداً للوصول إليه سيتحقق ، وسنرى الأحزاب مدارس لإخراج الرجال وتدريب القادة ، ستملى النهضة قوانينها الثابتة المستمدة من روح الحياة والتاريخ ، وتأخذ سيرها الطبيعى بعد التحرر ، وتجعل من الأتباع والأعوان أنصاراً للفكرة الكبرى يثبتون على مبادئهم ، ويفرضون على القادة التمسك ببرامجهم السياسية ، فلا خصومة شخصية ولا كراهية يعليها الحقد ، ستكون المصلحة العامة قبل المصلحة الخاصة ، ومصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الفرد . وسنصل بالعلم والتدريب والنظام إلى خلق طبقة من الرجال : لا يخشون فى الحق لومة لائم ، أشداء على أنفسهم ، فيهم الصبر والتؤدة والإقدام والسرعة ، لديهم البصيرة النافذة والعناد والجرأة ، نرى فى أعينهم الثبات على الرأى ، ونلمس فى مشيتهم قوة الإرادة والسرور فى ملاحقة الأخطار والصعب من الأمور ، سيجمع بينهم طائفة من العواطف النبيلة أهمها حبهم لبلادهم وشعورهم بضرورة التفاهم والتعاون لترقية هذا الوطن : سنرى الشافعى فى رجل الدين ، وابن بكار فى القضاء ، وابن خلدون فى العلماء ، وصلاح الدين وبيبرس فى القواد والزعماء وسنقول يومئذ ما قاله توسيديد[1] Thuicidide « إن قوة المدينة فى رجالها لا فى قلاعها ولا فى أسطولها » .

أحمد رمزى

(1) من مؤرخى الإغريق عاش بين ٤٧١ إلى ٣٩١ ق . م .

للتاريخ :

# يوم من أيام بغـــداد

للاســتاذ على الطنطاوى

[ لعل ذكرى هـذا اليوم تهز بغداد ، دار الأعزة الصيد ، فيكون فيها لصر وقضيتها يوم مثـله ... ]

طلعت جريدة ( البلاد ) على أهل بغداد ، صباح اليوم الأخير من آذار ( مارس ) ١٩٣٩ ، وفى صدرها مقالة ( لـكاتب شامى أستحى أن أسميه ) ، ليست كالمقالات ، جملا ترصف ، وكلمات تؤلف ، ولـكنها قلب يتفطر ، وديناميت يتفجر ، عنوانها : « يا غازى . يا غازى . يا غازى » . وفيها :

« يا غازى ، تدعوك الأيامى الثاكلات ، يا غازى يناديك اليتامى المظلومون ، ياغازى يستنصرك الضعاف العزّل ، والعجائز الركَّع ، والأطفال الرضَّع . يا غازى يهتف باسمك الشباب الذى يواجه بجسمه المصفحات ، وبصدره الدبابات ، ويحارب الدولة الطاغية الغاشمة ، لا سلاح له إلا إيمانه ، وأمله بالله ، ثم بالعرب ، وبك يا مليك العرب ، يا غازى !

يا غازى : دعوةَ غريق ينادى منقذه القوى !

يا غازى : هتافَ مريض يدعو طبيبه الآسى !

يا غازى : إهابةَ مشرف على اليأس بالسيد المأمول !

يا غازى : صرخةَ الدم ، واللغة ، والدين ، والمجد ، والجوار .

يا غازى : المدَد ! المدَد !

يا غازى !

لقد نادت امرأة واحدة ، فى سالف الدهر : « وامعتصماه » فاهتزّ لها هذا العرش : عرشك . وماج لها هذا الشعب : شعبك وخرجت الجيوش : جيوش بغداد ، فلم ترجع إلا وفى ركابها المجد والنصر . فمن غيرك ، وغير العراق لهذه الأمة التى حملت البلاء ، ورأت الشدائد ، وشاهدت ألوان الموت ، وخانها الحليف ، ونقض عهدَه لها القوىّ ، وجرَّد دباباته الضخمة ، ومدافعه وعتاده ، ليحارب بها النساء والأطفال والشيوخ ؟ من غيرك وغير العراق لهذه الأمة التى تنادى اليوم : « واعراقاه » . « واغازياه » !

فقم يا أيها (المعتصم) ، لبِّها على ( الخيول البلق ) فان كتاب التاريخ أعدُّوا صحفهم ، وأمسكوا بأقلامهم ليكتبوا الفخرة مرة ثانية للعراق ، ولملك العراق !

إن الأمة التى أحبَّت فيصلا ، وأحبها فيصل تناديك اليومَ يومَ الخطب يا ابْنَ فيصل !

إن الشعب الذى بايع فيصلا ، هو على بيعته لك ، فهل تضيع شعبك يا أبا فيصل ؟

إن القصر الذى كان يسكنه أبوك ملكاً ، والذى كنت تلهو فى حدائقه طفلا ، هو اليوم مقر عدو العرب ، منه يصدر الأمر بتقتيل رجالهم ونسائهم وأطفالهم ، يسكنه اليوم العدو الذى بغى على فيصل ، وسرق منه عرشه . فأنقذْ تراث فيصل ، من عدوّ فيصل ، وعُدْ أنت إلى قصر فيصل ، يابن فيصل !

يا غازىَ ؟

الشباب الذين سقطوا فى شوارع دمشق شهداء البغى ، ماتوا وهم يهتفون باسمك ياغازى . العجائز تلقين أبناءهن المصرعين على أرض الوطن ، وهنَّ يهتفن باسمك يا غازى .

يا غازى ، كم من طفل وطفلة ، عدا عليهم الظالمون ، فتلفتوا حولهم يفتشون عن المنقذ الذى حفظوا اسمه ، ورفعوا رؤوساً يسيل من جراحها الدم ، وأشاروا إلى الشرق بأصابعهم الصغيرة المخضبة بالنجيع الأحمر ، ورددوا اسمك : يا غازى !

ياغازى ! بك علقوا الآمال ، ومنك ينتظرون العون ، أفتدع هذا الشعب بين براثن الوحوش يعبثون بكرامته وأمجاده وحياته وكرامته كرامة العرب ، وأمجاده أمجادهم ، وحياته حياتهم ؟

أتتركهم يموتون ، وبغداد تستروح رائحة الربيع العطر ، وتستمع إلى جرْس النشيد الحلو ، وتنام على فراش النعيم ؟

يا مليكى !

هذا يوم من أيام التاريخ له ما بعده ، فلا يقولنَّ التاريخ : « يا ليتهم نصروا الشام فى وقت محنته ! يا ليتهم لم يدعوه رهن الحديد والنار » !

الشام فى كرب شديد ... الشام فى ضيق !

لقد ضجَّ لما يعانى الشام قبر محمد ، يا سليل محمد !

لقــد اهتزّ الحطيم وزمزم ، ومادت جبال مكة ، يا حفيد شريف مكة !

يا مليك العرب : الشام يدعوك . الشام يستجير بك . الشام يهتف باسمك : « يا غازى . يا غازى . يا غازى ! » .

* * *

نشرت المقالة فى أشهر جرائد بغداد ، فألهبت شبابها ، وشباب بغداد كوّنت أعصابهم من نور ومن نار ، وخلقت أيديهم من الندى ومن الحديد ، وملئت قلوبهم نخوة وسماحة ، وأترعت شجاعة وكرماً .

فإذا حاربوا أذلوا عزيزاً وإذا سالموا أعزوا ذليلا

وإذا عز معشر زال يوما منع السيف عزهم أن يزولا

وشباب بغداد ، جند العروبة حيثما كان للعروبة أرض ، وحماة الحمى ، وأسد الغاب . إن أطلقت رصاصة فى الشام ، أو فى مصر ، أحسوا أزيزها . وإن أشعلت فيها نار وجدوا حرّها . وإن سقط شهيد كان عندهم مأتمه ، وإن أصيب جريح كان فى ضلوعهم ألمه . وشباب بغداد إن غضبوا الإعصار الجارف ، والبحر الطاغى ، والصواعق المنقضة ، والموت . هل من الموت مهرب ؟ وشباب بغـداد إن رضوا النسيم الرخىّ ، والربيع الطلق ، والسلسبيل العذب ، والحياة . هل فى الوجود أحلى من الحياة ؟

وعلم شباب بغداد ، أن ديار الشام فى خطر ، وأن (حلفاءها) قد نقضوا عهدهم لها ، وعادوا كما كانوا أعداءها ، فأسروا كرامها وسوّدوا لئامها ، وجرعوها من (مدنيتهم ...) الصاب والحنظل المسموم ، وأن شعب الشام قد لبس لأمة الجهاد ، ونزل إلى الشوارع يجالد البارود بالحجارة ، ويرد الدبابات بالخناجر ، حتى سقطت الدور على أهلها فغدت لهم مقابر ، وامتلأت بالأبرياء السجون ، واشتد الخطب وعظم البلاء ، وقل الناصر ، وانقطع المدد ...

... واشتعلت الحماسة فى صدور شباب بغداد ناراً ، ومشت هذه النار فى قلوب الشعب ، فلم تمض ساعات حتى صار حديث الشام حديث الناس فى كل مكان ، فى القهوات ، والطرقات ، والمنازل والمدارس ، ولم يعد الطلاب يصغون إلى درس ، أو يستمعون إلى مدرس ، أيشتغلون بالمفاضلة بين الفرزدق وجرير ، وبحساب بعد القمر ومساحة سيبريا ، والشام غارقة فى دماء بنيها ، عابقة برائحة البارود ، رازحة تحت أثقال المدافع ، تطؤها نعال الفرنسيين والسنغال ؟ ... أيطلب الشكولاتة من لا يجد الرغيف ؟ أيقرأ الأشعار من تأكل بيته من حوله النار ؟ إنهم يريدون أن يطيروا إلى الشام ، ليطبقوا فى ساحاتها ما تعلموه فى دروس الفتوّة من فنون القتال .

وفوجئ الناس فى المساء ، بإذاعة هذه المقالة من محطة الملك الخاصة ، فى قصر الزهور ، فلما انتهى المذيع من تلاوتها ، كانت مفاجأة للناس أشد وأمجد ، حين سمعوا صوت الملك غازى الذى يعرفونه ، يقول :

« لبيك . لبيك يا سورية ! » .

فكانت هذه الكلمة سحراً ماضياً جعل كل منزل فى بغداد ثكنة ، وكل قهوة معسكراً ، وكل رجل جندياً شاكى السلاح ، ينتظر الأمر بالهجوم على الجن والإنس والعفاريت لا يهاب شيئاً ، ولا يخشى أحداً ، مادامت الحرب حرباً مقدسة لنصرة الشام ، والقائد الملك الشاب الحبيب

وكانت حال لا توصف ، ولا تصوّر ولا تمحو الأيام أثرها .

***

ودعا ناظر الثانوية المركزية فى صبيحة الغد نفراً من المدرسين العراقيين والشاميين منهم كاتب المقال ، وأفهمهم سراً ، (ولا ضير اليوم فى إذاعة هذا السر ) أن الحكومة ( حكومة السيد نورى السعيد ) ترغب فى مظاهرة احتجاجية على فرنسا ، وأنه ترك لنا أمر تنظيمها ، فكان ذلك أحب إلينا من خزائن المال نعطاها ، وأسمى المراتب نمنحها ، وخرجنا فأخذنا فى عملنا .

وكان فى بغداد وضواحيها عشر ثانويات ، فاقتسمنا ثانوياتها العشر . ينفرد كل منا بإعداد طلاب مدرسته للمظاهرة ، وتفننا فى هذا الإعداد ، واستبقنا فيه ، وكنت امرأً أكتب ولكنى لا أحسن بيتاً واحداً من الشعر ، فبحثت عمّن ينظم لمدرستنا نشيداً لهذا اليوم فلم أجد ، فنظمت أنا أنشودة مهلهلة النسج ، ضعيفة التأليف ، لكنها خارجة من القلب وتقع فى القلوب ، ثم وضعت لها أنا ... لحناً لفقته من ألحان الأناشيد التى كنت حفظتها قديماً ونسيها الناس ، وعمدت إلى لوحات صنعناها من القماش ... فكتبت عليها كلمات تعبر عن الحقيقة التى امتلأت بها

نفوس البغداديين مثل :

« الله جعل العرب أمة واحدة فلن تفرقهم يد مخلوق »

« نحن جند الوحدة العربية ، إننا سنكتبها بالدم »

« من تعدى على دمشق فقد اعتدى على بغداد »

« لبيك لبيك يا سورية ، إننا آتون »

« يا سورية ، لن تضامى وشباب العراق فى الوجود »

وسهرت مع الطلاب فى كتابتها وتلوينهـا ، وأنا الذى لم يمسكْ من قبل ( ريشة ) قط .

***

ولم أنم تلك الليلة بل كنت أنتقل من مكان إلى مكان ، حتى إذا أصبحنا بكرت إلى ساحـة الاجتماع ، وهى الساحة الفيحاء بين دار الـكتب والمتوسطة الغربية ودار المعلمين العليا فوجدتها تعج بالطلاب من كل مدرسة ، وكلهم بلباس الفتوة لا يمتاز طالب منهم من طالب ، فـكيف أجمع طلاب مدرستى وأصفهم ؟

وطفقت أصرخ ولا سامع ولا مجيب ومن يسمع النـداء فى هذا المحشر الذى جمع فيه عشرة آلاف طالب متحمس كلهم يصيح ويتكلم ؟ ثم ألهمنى الله فـكرة فدعوت عريفاً من عرفاء الطلبة ، مـيَّزته من شرائط الفضة على ذراعه ، فانتصب أمامى ، وحيَّا ووقف وقفة عسكرية ينتظر منى الأمر . فقلت له : صفّ هؤلاء الطلاب . فأعاد التحيـة وقال : حاضر . وانصرف ، وأنا أعجب منه كيف يقول : « حاضر » ، وقد عجزت من قبله عن ذلك ويعجز عشرة من أمثالى ! وإذا به يدعو طالباً معه بوق ، فينفخ به ، فتقع المعجزة ، ويعمّ الصمت ، كأن المتوكل قد طلع بضوء وجهه ...

... ... ... ... فانجلت تلك الدجى وانجاب ذاك العثير

ثم ينفخ فيه أخرى : فإذا هذه الخلائق كلها ، تغدو صفاً طويلا صامتاً مرتباً . وقدمنى إخواننا فقلت فيهم خطبة . ومشينا ، حتى إذا بلغنا أوائل ميدان باب المعظم ، قابلتنا مواكب الشعب الهائلة آتية من حى الفضل وتلك الأرجاء ، فتدانى الجبلان ، والتقى البحران ، فمادا بحراً واحداً ، تلتطم أمواجه ، وتعلو أثباجه ، بحراً من الناس ملأ باب المعظم وأفواه الشوارع المفضية إليه ، والأرض البراح من هنا ومن هناك . وقام الخطباء فى كل مكان فلم يبق فى اللغة كلمة تمجيد إلا قيلت للشام ، ولا لفظة تحقير إلا سيقت لفرنسا ، ولا جملة تعبر عن القوة والإيمان والاستعداد إلا ألقيت على الناس ، ولاشىء يهز القلب ويحرك العزائم إلا كان ثم مثى هـذا البحر . وإلى أين تمشى البحار ؟ والشوارع قد سدت بالناس ، والناس على الأرصفة وفى الشبابيك وعلى الأسطحة. وفى كل مكان هتاف ونداء ، فالطلاب ينشدون ، والعامة يحدون والنساء يزغردن ، والتكبير والتهليل ، والمواكب تمتد ، والخلائق تتوافد ، حتى حلت بغداد كلها فى شارع الرشيد من باب المعظم إلى الباب الشرقى ، وكان يوم ما رأيت له مثيلا قط .

***

إننا لم نخض فى ذلك اليوم ملحمة ، ولا شهدنا معمعة ، ولا أرقنا لعدوّ دماً ، ولم نجاوز فيه الـكلام ، ولـكنه كلام جعل كل فتى من هؤلاء الفتيان بطلا ، وترك فى نفسه ذخيرة تمدّه بالقوة دهراً ، وصبَّ فى نفسه من العزة ما جعل نفسه أسمى من النجم ، وأكبر من الدنيا . كلام ولـكنه كان أساساً من الصخر الراسى فى صرح الوحدة العربية غداً والإسلامية بعد غد . كلام ولـكنه أرهب العدو وخلع قلبه ، وردّه عن قصده ، ودفع من عدوانه . كلام ولـكن بمثـله تحيا الأمم ، وتبنى النهضات ، وتكتب تواريخ المجد . كلام ، وإن من الـكلام لفَعالا من أعظم الفَعال ، وقوة من أمضى القوى ، ومجداً من أسمى الأمجاد .

***

إن الشام يذكر لك يا بغداد فى عرس الاستقلال ، ما أسديت إليه فى بؤس الاحتلال ، فهلا اتخذت عند مصر يداً مثلها تذكرها لك يدَ الدهر ؟

إن مصر ، يا بغداد ، أختنا الـكبرى فى العروبة ، وقضية مصر قضيتنا ، ووادى مصر وادينا ، وعدو مصر عدونا ، وإننا إن نخذلْ مصر نخذلْ بلادنا ، وإلا نـكنْ معها نَخُنْ أمتنا .

يا بغداد ، ياذات المجد ، يامثوى البطولة ، ياعرين الآساد ، إن مصر قد عدا عليها العادون ، وكشر لها عن أنياب الذئب ، من كان يجيئها أيام الحرب فى فروة الحمل ، سائلا يطلب منها العون والمـال . إنه يريد الآن أن يفرق بين أسودها وأسمرها ، وأعلاها وأدناها ويسرق منها نصف واديها ، أفتنامين يا بغداد فى سُرُر الأمان ، ومصر فى الشوارع تصارع الذئاب ؟

يا بغداد ! اليوم يومك ، يا بغداد !!

( القاهرة ) **علي الطنطاوي**

# أم كلثوم تلقى درساً

للأستاذ عبد المنعم خلاف

منذ أن غردت أم كلثوم تلك القصيدة الفذة ( سلوا قلبي غداة سلا وتابا ) لأول مرة وأنا أشعر أن القلم يريد أن يسجل شيئاً لا بد من تسجيله إزاء ما تجلى فى هذه الأغنية من البيان الرفيع والموضوع الكريم والتلحين الشرقى الخالص .

غير أن الأيام قد ذهب مطلها بالقلم مذاهب النسيان والإبطاء ، ولكن ما تتأذى به الآذان كل يوم من الأغانى التافهة المسمومة يلح علىّ بذكرى هذه الأغنية والتنويه بها ، ولفت أنظار وزارة الشئون ومحطة الأذاعة بما يجب قوله تعليقاً على هذا الحادث الأول من نوعه فى أغانى أم كلثوم ، بل ربما فى أغانى هذا الجيل الذى احتملت أعصابه من سموم الأغانى التافهة المسمومة الساقطة ما سمم المنابع وأسقط الهمم وأفسد الذوق وأطفأ الأشواق الرفيعة التى تضطرم فى الأفئدة حين تهب عليها الأصداء والهتافات وأنسام الشجو من حنجرة تنفرد على طبيعتها السليمة القوية ، أو وتر يرتعش فى يد ينصب إليها النغم الذائب الحادر فى أعصاب العازف المترجم عن تلك الخفايا والأسرار والكلمات المكنونة فى الكون ولا يخرج خبأها ويكشف سرها إلا أنامل عازف يعرف كيف يخنق الوتر الدقيق فيخرج حنينه ، أو فم ساحر ينفخ فى الناى فيخرج أنينه ، أو لامس ماهر يلمس الطبل أو الدف فيهيج شجونه ، ويرسلها فى دبيب ودوى رهيب إلى الأسماع والأوصال فيدخل عليها من هواتف ماوراء المادة والكثافة والجمود مايدخل !

ولقد هبّ على قلوب سامعى هـذه الأغنية من أم كلثوم نسمات رفيمة من الطرب الحق الذى يثير أعظم ما فى النفس الإنسانية من أحاسيس الحب والجمال والقوة والدين والوطنية والبر والتبتل والألم اللذيذ الوديع والرحمة القلقة الملهوفة ، والثورة العازمة الواثقة ، ما أجرى فيها طهارة ونقاء يطردان الدم الأسود المسموم ، ويجريان بدله الدم النقى المطهر للنفوس من عوامل الضعف والفسولة والتخدير والحب الوضيع .

ولقد تقبل الجمهور المصرى هـذه الأغنية بكل حواسه الموسيقية والمعنوية فى الحب والدين والوطنية بما يشجع على أن تتجه الأغانى إلى خدمة الأهداف القومية والأمجاد الرفيعة خدمة لا تتأتى إلا عن طريق الأناشيد السائرة على الحناجر الساحرة التى لها من السلطان على نفوس جماهير الرجال والنساء والأطفال ما ليس لقواد الاجتماع والسياسة والدين ، وخاصة فى هذا العصر الذى تلاحق فيه الإذاعة الفرد فى كل مكان وتقتحم عليه حتى مخادع نومه .

وقديماً كانت « الأصوات » التى يغنيها المغنون العرب للخلفاء والسلاطين والجماهير من منتقى الشعر الرفيع ، وكان الغناء بها من أسباب رواج الأدب الكريم .

وكان للبيت الواحد أو للأبيات التى يتغنى بها التأثير اللازم لمانيها والنتائج الحتمية لدى سامعيها ، حتى إن غناء أحد المغنين ببيتين فى مجلس الرشيد كان الحافز المثير والنقطة المطفقة التى طفحت بها كأس الرشيد فأنزل نكبته بالبرامكة .

ولو علمت أم كلثوم وعبد الوهاب وغيرهما بمدى سلطانهم على تربية الناشئين لخافوا الله فى تلك النفوس الغضة التى تلاحقها أغانيهم من المهد .

* * *

وفى الموسيقى تستمرض قلوب الأمم ، وقد استطاعت كل أمة أن تلقط توقيمات من طبيعة بيئتها التى تعيش فيها تطرب لها وترقص بها فى ساعات الطفور والمرح والهيام فى عالم الرؤى والأحلام ، وتمرض فيها أفانين حياتها وأصداء الهواتف الطبيعية فى آذانها وصور الدنيا الباطنة كما تراها فى مرآتها الخفية .

فالقلب العربى أو المكسيكى أو الهندى أو الألمانى أو الزنجى أو غيرهما يمكنك أن تمرف خلاصة اتجاهاته فى الحياة حين تسمع ألحانه وأشواقه فيها .

وبودى أن يجتمع جوق عالمى عظيم من فنانين عالميين ليضع ألحاناً آخذة من جميع الأصداء والهواتف لتوجيه قلوب البشر ليدركوا السر الواحد الذى فى قلوبهم جميعاً بدون ألفاظ .

وبودى كذلك أن أجمع الوجوه الإنسانية الكريمة من الأجناس المختلفة وتؤلف منها (هرمونى) وتناسقاً بصرياً يرى عشاق التحف والطرف ما فى العقد البشرى المنظوم من جمال وثراء ...

وبودى كذلك أن أقيم معرضا للطفولة الإنسانية البريئة الموحدة اللغة والإشارة والإدراك قبل أن تأخذها سبل أممها المتفرقة فتجعلها أباديد متناكرة كأنها فصائل أجناس متعادية متناقضة ...

وبودى كذلك أن أقيم معرضاً للقمم الإنسانية العالية العاملة المجاهدة القريبة من عرش الله بالنسك والفكر والعلم والعمل ، حتى يراها الفاجرون القاعدون فى السفح ... بودى كل أولئك ! ولكن ما مبلغ جهدى غير الآمال والأحلام السعيدة ...

***

وإنى لأتساءل : من أين أتى الإنسان بهذه الأنغام العالية المعقدة التى يخرجها من المزامير والصنوج والأوتار ؟ إن كل أصوات الطبيعة ساذجة محدودة المقاطع ليس فيها إلا توقيع بسيط، فكيف أتى الإنسان بهذه الألحان التى تهيج أعصابه وتثير أشواقه نحو الجمال والحياة وتأخذ بأنفاسه وحواسه نحو المجهول ؟ ولماذا تثير الألحان العظيمة قوة الإيمان وانفساح مدى الحياة فى أعماق القلوب ؟ أيكون ذلك ناشئاً من أن روح هذا الإنسان ذات ذخيرة كامنة من أيام حياة فى عالم ذى طرب دائم ، فلما أخرج منه وأنسى ما فيه صار يبحث فى ذهول ولهفة إلى إيجاد أصداء وصور منها فى هذه الدار الفانية ؟ فجعل ينبش فى ذبذبات الأوتار والصنوج عن ذلك النغم الذى كان يعمر جو الجنة ويختلط بأنفاس رياحها ويهب على النفس مع هبوب نسماتها وخفوق خافقاتها ؟

إنى أشعر أن لتلك الأصداء الموسيقية تأثير الحياة أو الموت على الأعصاب . . . إن لها فى الأعصاب وحياً كوحى النسمات وقطرات الندى ودفقات المزن ونضحات الأشعة وانعكاسات الألوان . . إنها أفواه نافخة من شذى الجنة أو لافحة من زفرات جهنم أحياناً . وإنى أتلقاها بحاسة خاصة . والألفاظ هنا تضيق والشرح يترك للوجدان المشترك لدى كل حساس . إنها من أعجب ما أودع الله فى طبيعة الأشياء !.

وإذا قيل إن الألفاظ والمعلومات « أشياء » أفادها الإنسان من محيطه وتسلسلت حتى تركبت فى عقله وصارت هكذا كما نراها معقدة ؛ فماذا يقال فى النغمات ؟ إنها لا تكون أكثر من فيض نفسى ، ولا تكون نقلا عن «معلوم» فى الطبيعة ، وإنما هى تعبير خفى يفيض به همس المجهول فى أعماق النفس . ولذلك قال القدماء عنها إنها فضل كلام نفسى ضاق عنه النطق . .

وإن الآلات الموسيقية تظل صامتة خرساء حتى تمسكها يد الإنسان فتنطقها بالأغاريد الغريبة التى فى قلبه هو لا فى قلبها هى..

والشخصية الموسيقية شخصية خفية ليس لها مدد تستمد منه إلا من داخلها ، وإنى لأسمع إلى الموسيقى الألمانية فى ألحان عباقرتها فأدرك ما فى نفس الألمان من كبت وتمزيق وهيام وحيرة وصوفية عاجزة عن رؤية الطريق ، ورمزية وصرخات الإنسان الفريد المحس بضياعه فى رحاب الكون . .

وأسمع إلى موسيقى الزنوج فأحس فيها طمأنينة الجهل وصخب الغرائز ومجابهة المجهول بدون إحساس به وحيرة فيه . وهكذا أغلب ألحان الأمم .

ولكنى حين أسمع أكثر ألحان الموسيقيين المصريين المحدثين أشعر بشىء مخدر كئيب لا فلسفة فيه ولا أصالة طبع معه ، وإنما يختبىء وراءه « دعاء جنسى » مريض غير صحيح الذكورة ولا صحيح الأنوثة .

فهل تدرك « وزارة الشئون الاجتماعية » ذلك أو لا تدركه ؟ إن كانت تدركه فما أحراها وهى المشرفة على الإذاعة الموسيقية أن تحمى الجيل الناشىء من هذه السموم المخدرة التى تنفثها تلك الموسيقى التافهة وأن تجرب وضع برامج من الموسيقى القوية تستعين فى وضعه باللفظ القوى واللحن القوى والذوق الناقد الذى يدرك خطورة الأمر .

وإن كانت لا تدركه فما أضيع هذه الأمة التى تتخذ على شئونها رعاة يسيرهم القطيع !

عبد المنعم خلاف

# معاوية بين يدى عائشة

للأستـــاذ سعيد الأفغانى

الشورى أساس من أسس الحكم فى الإسلام ، فكلما كان حظ الحكم منها أوفى كان أقرب إلى روح الإسلام . والحاكم الأعلى فى العرف الإسلامى أجير للناس كافة : يسهر على مصالحهم ويمضى أحكام الشرع ويستوفى أجره من بيت مالهم وليس يملك من الأمر غير ذلك .

انقضى عهد الراشدين وفهْم أجلاء الصحابة ورؤوس الناس للحكم هذا الفهم ؛ فلما اتفق أن ولّى الخليفة عثمان رضى الله عنه بعض الأكفياء من أقربائه أعمالا ، أعظم الناس ذلك وخافوا أن تصير مصالحهم العامة حُكْرة لأحد أيا كان أو وقفاً على أسرة أية كانت ، ففشت القالة فى عثمان وكان هذا أول الشر الذى أودى بخلافته .

أما معاويه ، فإن أربعين عاماً سلخها فى حكم الشام إلى جوار إمبراطورية الرومان وفى ديارها القديمة ، قد انحرفت به عن الجادة فى أمر الحكم ، فلم يسلك به الطريق الإسلامى الذى رأينا أساليب مختلفة له فى عهد الراشدين ، وإنما سلك به طريقاً ( بيزانطياً ) وأراد الخلافة أسلوباً ملكياً على أساس بيزنطة ، وانتوى لها نية فطفق يتألف لها الناس ويهيىء لها الأمور ... فلما وجد الأحوال موانية أعلنها بيعة بولاية العهد من بعده لابنه يزيد .

ولم يفعل ذلك معاوية حتى سبر أغوار الأمصار وطباع الناس ؛ وكانت قد استلانت واستكانت مدة عشرين عاماً بسبب سياسته وسياسة ولاته الحازمين الأشداء . نعم لقد استكانت إلى الطاعة ، حتى من يجيش حمية من رؤوس الناس وأحرارهم ، روّض معاوية إياهم وأنفتهم بلطفه وعطائه الجم حتى أسلسوا القياد ، أما من لم يسلس له فقد جمله جزر السيوف كما فعل فى أمر حجر بن عدى وأصحابه . هذا وقد حصد الموت مدة أربعين سنة أكثر الصحابة وزعماء الجماهير ممن يهابهم معاوية .

مع كل ذلك ، لم يخْلُ إعلان البيعة ليزيد من صدمة للنفوس عامة ، فأكثرها وقف ثم رضى بالقدر المحتم ، وبعضها أنكر ورفع عقيرته بالإنكار .

أما السيدة عائشة فقد لزمت بيتها وسكينتها ، وأنا أقطع أنها جاهدت نفسها بهذه السكينة أعظم الجهاد ، وكبتها أعظم الكبت وكظمت غيظاً ما كانت لتكظمه . فما كان هذا الأمر بالأمر الحقير ، إنه أعظم ما مر بالسيدة من خروج على الإسلام وتنكر لروحه ؛ ولكنها ذكرى يوم الجمل والدماء المهراقة فيه ، الدماء دائماً هى الشبح الذى يلوح لعائشة كلما همت بإنكار منكر فترعد فرائصها وتستجير بالله من كل خير يؤدى إلى شر .

لكن أعوان معاوية فاتهم اللطف فى تأتيهم لهذا الخرق لحرمة الخلافة ، ولم يدركوا ما فيه من كسر لحرية ألفها العرب وشورى يتعبدون بها ، ونظم سامية تجرى منهم مجرى الدم من العروق . ظن أعوان معاوية أن البيعة ليزيد أمر من هذه الأمور الكثيرة التى يرد بها البريد فتعلق للناس وتنفذ فى يسر وصمت ... مما لا يصدم عقيدة ولا يجافى روحاً ولا يكسر تقاليد أصيلة ولا يذل أنفة قومية .

***

أرسل معاوية أمره إلى الأمصار بأخذ البيعة لابنه يزيد من بعده ، فوقف عامله على المدينة مروان بن الحكم يعلن هذه البيعة على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان إنكار الناس لها واحداً ، وكان متكلمهم عبد الرحمن بن أبى بكر أخو السيدة عائشة ، فقد رد على مروان قائلا :

« كذبت والله يا مروان وكذب معاوية معك ، لا يكون ذلك . لا تحدثوا علينا سنة الروم : « كلما مات هرقل قام مكانه هرقل » ، « لقد جئتم بها هرقلية وقوقية[1] ؛ تبايعون لأبنائكم؟ »

قال مروان : « سنة أبى بكر وعمر » .

عبد الرحمن : « بل سنة هرقل وقيصر » ، « ما لأبى بكر لم يستخلفنى ؟ وما لعمر لم يستخلف عبد الله ؟ » .

واشتد الغضب والحنق بمروان فقال :

— يا أيها الناس ، إن هذا الذى قال الله فيه : « والذى قال لوالديه : أف لكما أتعداننى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى وهما يستغيثان الله : ويلك آمن ، إن وعد الله حق ، فيقول : ماهذا إلا أساطير الأولين »[2] .

حينئذ ، فرغ صبر عائشة وهى تسمع من حجرتها بالمسجد ،

(1) الدنانير القوقية من ضرب قيصر لأنه كان يسمى قوقا — القاموس المحيط
(2) سورة الأحقاف ٤٦ الآية ١٧ .

وقد رأت أن عبث مروان تطاول إلى القرآن ، فغضبت وقالت لمن حولها : « ألابن الصديق يقول هذا ؟؟ استرونى » فستروها فجهرت ورددت جوانب المسجد صوتها قائلة :

— كذبت والله يا مروان ، ما هو به ، ولو شئت أن أسميه لسميته ؛ إن ذلك رجل معروف نسبه ... ولكن (رسول) الله لعن أباك وأنت فى صلبه ، فأنت قضض (قطعة) من لعنة الله[1] يابن الزرقاء ، أعلينا تتأول القرآن ؟! لولا أنى أرى الناس كأنهم يرتعشون لقلت قولا يخرج من أقطارها » .

وكان لهذه الصرخة أثرها فى الجماهير فانخذل مروان وانكسر ولم يعرف أن يقول غير هذه الكلمة : « ما يومنا منك بواحد »[2]

لقد كان جبهها مروان شديداً عنيفاً حاطماً ، وما باختيارها جبهته ، ولكنه أحرجها . إن الذى يوسمها أن تفعله هو حيادها فى أمر هذه البيعة غير المشروعة ، وحسبها ذلك قهراً لنفسها وللواجب عليها ، وكذلك كان : فلم ترد على مروان شيئاً لما أعلن بيعة يزيد ، لكن مروان امتد أذاه إلى أخيها بغير حق ، ثم امتد إلى ما هو أشد حرمة من أخيها وما لا يجوز لمسلم أن يقر عبثاً فيه ، لقد امتد عبث مروان إلى كتاب الله يدعى أن آية نزلت فى عبد الرحمن وهى لم تنزل فيه ...

لم يكن للسيدة ولا لغيرها أن تسكت على هذا النكر الذى ارتكبه مروان نصرة لعصبيته السياسية .

وأى كان فقد امتنع عبد الرحمن بن أبى بكر عن البيعة ، وامتنع الحسين بن على وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر ، وامتنع لامتناعهم أهل الحجاز .

كتب مروان بالذى كان إلى معاوية ، فأقبل نحو المدينة ، فلما دنا منها استقبله أهلها وفيهم الأربعة المذكورون ، « فأقبل على عبد الرحمن بن أبى بكر فسبه وقال : « لا مرحباً بك ولا أهلاً » .

فلما دخل الحسين بن على قال : « لا مرحباً بك ولا أهلاً ، بدنة يترقرق دمها — والله — مهريقة » .

فلما دخل ابن الزبير قال معاوية : « لا مرحباً بك ولا أهلا ، ضب تلعة مدخل رأسه تحت ذنبه » .

فلما دخل عبد الله بن عمر قال معاوية : « لا مرحباً بك ولا أهلاً » وسبه فقال عبد الله : « إنى لست بأهل لهذه المقالة » قال معاوية : « بلى ، ولما هو شر منها »[1] .

معاوية فى بيت عائشة :

دخل معاوية المدينة وكله خوف من السيدة عائشة أن تشتد عليه فيما ابتدع وما يريد أن يبتدع فى أمر خلافة المسلمين مما يهون معه كل ما كان الناس نقموا على عثمان . ثم هو يخشى أن تكون السيدة سنداً وملجأ وقوة لهؤلاء الأربعة أعلام الحجاز من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومعاوية من الذين يتأتون للشر قبل وقوعه ، ولا تحملهم قوتهم عليه أن يكابروه حتى يقضوا عليه ، توفيراً لقواهم ورجالهم ، وسياسة لهؤلاء الخصوم عسى أن يصبحوا فى جملة أنصارهم فيزيدوا بهم قوتهم .

أراد معاوية أن يتلطف لما فى قلب السيدة عليه ، فقد قتل قائده — بأمره على ما أرجح — أخاها محمد بن أبى بكر بمصر شر قتلة وأشدها نكالا : حرمه قبل قتله شربة ماء وكان يتهالك ظمأ ثم أدرج جثته فى جيفة حمار فأحرقها ، ولم ينج أخاها من القتل والإحراق شفاعة عائشة ولا إرسالها فى أمره رسولا خاصاً من أشراف بنى أمية ؛ وكذلك أرسلت تشفع أيضاً فى حجر بن عدى وأصحابه فلم تفد شفاعتها شيئاً . ولا ريب أن فى نفس السيدة على معاوية — لذلك — ما فيها ، ولكنها كظمت غيظها وردت حنقها . ثم كان من مروان مع أخيها عبد الرحمن فى أمر البيعة ليزيد ما رأيت آنفاً .

ومعاوية يخشى أن يفيض الإناء فيكون له من عائشة يوم مثل يوم الدار أو يوم الجمل ، والحملة عليه اليوم موانية ناجحة لاقحة : لهذا الخرق الذى أتاه فى الإسلام بأخذ البيعة لابنه يزيد مع أن أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار وأولى الحل والعقد من رجال العلم متوافرون يشهدون ويسمعون : قد تخطى معاوية مشيختهم وأجلاءهم إلى شاب مستهتر سكير سيىء السيرة رقيق الدين فيما زعموا .

لهذا كله ، عزم معاوية أن يروض أصعب الناس عليه يومئذ وأشدهم وأجدرهم إذا قال « هلم » أن يلبيه الناس من كل صوب ويثوروا تحت لوائه . عزم قبل كل شىء على زيارة عائشة والتذلل لها وموادتها ، « فأقبل ومعه خلق كثير من أهل الشام حتى

(١) تاريخ ابن عساكر (مخطوط) : ترجمة عبد الرحمن بن أبى بكر .
(٢) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص ١٤١ .

(١) أمالى القالى ٣/١٧٥ .

أتى عائشة أم المؤمنين ، فاستأذن ، فأذنت له وحده لم يدخل عليها معه أحد ، وكان عندها مولاها ذكوان ، فلما استقر به المجلس ابتدرته عائشة تقول :

« يا معاوية ، أكنت تأمن أن أقعد لك رجلا فأقتلك كما قتلت أخى محمد بن أبى بكر ؟ » .

كان التقريع عنيفاً مفاجئاً كما ترى ، لكن داهية الأمويين — على ما يظهر — كان يتوقع مثله ، فلم تصدمه المفاجأة ، بل أجاب متملقاً متودداً :

— ما كنت لتفعلين ذلك .

— ولم ؟

— لأنى فى بيت آمن : بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]

فطامن ذلك من عنفها . ثم إنها حمدت الله وأثنت عليه وذكرت رسول الله وذكرت أبا بكر وعمر ، وحضته على الاقتداء بهما والاتباع لأثرهما ... ثم صمتت . وكان على معاوية أن يجيب على خطبتها هذه ، ولكنه لم يخطب مخافة ألا يبلغ ما بلغت ، فارتجل الحديث ارتجالا فى الأمر الذى قدم لأجله ، وتلطف فى تهوينه وتقريبه ، قال :

— « أنتِ والله يا أم المؤمنين العالمةُ بالله وبرسوله . دللتِنا على الحق وحضضتنا على حظ أنفسنا ، وأنت أهل لأن يطاع أمرك ويسمع قولك ، وإن أمر يزيد قضاء من القضاء وليس للعباد الخيرة من أمرهم . وقد أكد الناس بيعتهم فى أعناقهم وأعطوا عهودهم على ذلك ومواثيقهم ؛ أفترين أن ينقضوا عهودهم ومواثيقهم ؟ ؟ » .

فلما سمعت عائشة ذلك علمت أنه سيمضى أمره فأوصته بهؤلاء المخالفين : أخيها عبد الرحمن وأصحابه فقالت :

— « أما ماذكرت من عهود ومواثيق فاتق الله فى هؤلاء الرهط ولا تعجل فيهم ، فلعلهم لا يصنعون إلا ما أحببت » .

ثم قام معاوية ، فلما قام ذكرت عائشة فملته الشنعاء فى حجر وصحبه ، فقرّعته قائلة :

— « يا معاوية ، قتلت حجراً وأصحابه العابدين المجتهدين ؟ »

فقال معاوية مراوغاً : « دعى هذا ، كيف أنا فى الذى بينى وبينك وفى حوائجك ؟ » .

قالت : « صالح » .

(١) الإمامة والسياسة ص ١٥٠ .

قال : « فدعينا وإياهم حتى نلقى ربنا »[1] .

وهكذا انتهى اللقاء الأول بين الخليفة الداهية المظيم وعائشة أم المؤمنين ، وأصابه بعض مايستحق من التعنيف على لسان السيدة ثم خرج معاوية ومعه ذكوان مولى عائشة ، فاتكأ على يد ذكوان وهو يمشى ويقول :

« تالله مارأيت كاليوم خطيباً أبلغ من عائشة بعد رسول الله » ثم مضى . ولا تظنن وأنت تقرأ كلام معاوية آنفاً أن فيه حجة أو أن السيدة اقتنعت ، فليس مما يقنع مثلها أن يقال لها فى منكر تنكره ( هذا قضاء من قضاء الله ) ، لكن عزيمة سبقت منها فى اعتزال السياسة والفتن جعلها تمر بهذه الحجة الواهية متغافلة . ومعاوية يعلم ذلك منها[2] ، وكلا الاثنين يجامل صاحبه ويدافع شره .

ثم كان لقاء آخر بمكة زوّر له معاوية جواباً فيه شبه الحجة فى قتل حجر وأصحابه .

والذى أذهب إليه أن السيدة لا تريد ظاهر هذا التأنيب ، وإنما تلوّح لمعاوية بقضايا قد تلجأ إلى التشنيع بها عليه إذا هو حاول أن يمس أخاها عبد الرحمن وصحبه بأذى أو بطش ، ففهم كل منهما عن صاحبه .

وكأن مكانتها رحمها الله قيّدت معاوية عن التصرف كما يريد فى إحكام الأمر لابنه فى الحجاز فات وفى نفسه غصة من منزلة عائشة بين المسلمين وتخوف لما قد يكون منها .

أما اجتناب السيدة الشدة فى إنكار هذا المنكر فيشرحه أحسن شرح حالها فى احتضارها :

ذكروا أنها لما احتضرت جزعت ، فقيل لها « أتجزعين يا أم المؤمنين وأنت زوجة رسول الله وأم المؤمنين وابنة أبى بكر الصديق ؟ » . فقالت : « إن يوم الجمل معترض فى حلقى ... ليتنى كنت نسياً منسياً »[3] .

**سعيد الأفغانى**

(١) المصدر السابق — ذكروا أن معاوية كان يتعهد السيدة دائماً بالعطايا الجسام : قال عروة : بعث معاوية إلى عائشة بمئة ألف درهم ، فوالله ما أمست حتى فرقتها ، فقالت لها مولاتها : « لو اشتريت لنا بدرهم لحماً ! » فقالت عائشة : « ألا قلت لى » : وبعث إليها معاوية بقلادة بمئة ألف فقسمتها بين أمهات المؤمنين . وقيل إنه قضى عنها ثمانية عشر ألف دينار — أنظر سير النبلاء للذهبي ٢ / ٧١ والإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص ٧٢

(٢) ويعلم من نفسه أنها — فى البيعة ليزيد — تسعى فيما يخالف الكتاب ، ولقد نقل عنه قوله لابنه يزيد فى احتضاره : « إن أعظم ما أخاف الله فيه : ما كنت أصنع لك . » يعنى من أمر البيعة له . — أنظر تفصيل ذلك فى الطبرى ٤ / ٢٢٦ حوادث سنة ٥٦ هـ .

(٣) من كتابنا ( عائشة والسياسة ) المعد للطبع .

**الأدب في سير أعلام :**

# ٦ ـ تولستوى

[ قمة من القمم الشوامخ فى أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه ]

للأستاذ محمود الخفيف

## طالب فاشل



لما بلغ ليو السادسة عشرة من عمره أراد أن يلتحق بجامعة قازان ، واختار قسم اللغات الشرقية إذ كانت بغيته أن يكون فى غده من رجال السياسة؛ وكان لابد لمن يلتحق بهذا القسم أن يجتاز امتحاناً فى اللغات العربية والتتارية والتركية ، مضافاً إليها بعض اللغات الغربيـة وبعض فروع المعرفة العامة ، ونجح الفتى فى بعض مواد هذا الامتحان وأخفق فى بعض ؛ وقد حصل فى اللغة الفرنسية على أعلى درجة ، وتفوق فى الألمانية والعربية والتركية ، وكان أقل من ذلك جودة فى المنطق والرياضة واللغة الإنجليزية والأدب الروسى ؛ أما التاريخ والجغرافيا فقد كان نصيبه فيهما الرسوب إلى حد بعيد ، وقد ذكر عن نفسه أنه سئل أن يعدد الموانى الفرنسية فما استطاع أن يذكر منها واحدة ؛ ثم أعيد امتحانه بعـد أشهر فيما رسب فيه فنجح وقبلته الجامعة منتسباً ...

وجلس بين صفوف الطلاب ، منصرفاً أكثر وقته عما يقول الاساتذة ، يقلب عينيه فى أقرانه حيناً فيعجبه منظر هـذا وتضحكه هيئة ذاك ؛ وينظر إلى الأستاذ حينا فيسخر مما يقول أو يرسم له صورة هزلية ؛ ثم ينشغل عما حوله حينا كأنما أخذته عن نفسه حال فما يفيق إلا على نهوض الطلاب ينطلقون من درسهم ، فيسرع فى انطلاقه منه لأنه ضائق به صدره ...

وكيف يحمل الفتى للدرس باله وإنه لفى شغل تارة بما يطوف برأسه من أحلام الشباب وأوهامه ، وآونة بما يهبط على خاطره من أفكار منها ما يتصل بالدين ومنها ما يتصل بالحياة ...

أما عن الشباب وأحلامه فقد كان له فى قازان مجال أى مجال للهو واللعب ، وألفى الفتى نفسه وقد أخذ حب اللهو عليـه كل مذاهبه وطالعته مفاتن الحياة ومسراتها من جميع أقطاره ، وهو فتى متوثب الشباب تمتلج فى نفسه عواطف شتى من الحب والطموح والشهوة وكل ما هو بسبيل من هذا ؛ ولذلك ألقى بنفسه فى متع الحيـاة صالحها وفاسدها وأرخى العنان لشهواته ونزواته ، حتى لينسى فى تلك المسرات كل ما عنى به نفسه من قبـل من رغبة فى الـكمال ...

والـكمال عنده يومذاك أن يلبس أحسن الثياب وأجلها وأن يفتن فى اختيار الألوان حتى يحمل الناس على الاعجـاب بذوقه ، ولعل عدم رضائه عن خلقته قد أدى به إلى كثير من الإسراف فى هذا السبيل ؛ ثم إنه يلعب الورق ويشرب الخمر فى جماعات من لداته ؛ ويدخن الطباق فى غليون جميل يحرص أن يكون ثمنه أغلى ثمن ، ويتطيب ويمشط شعره ويدهنه بما يكسبه اللمعان ، ويتكلم الفرنسية فى أناقة متكلفة ؛ وإنه ليشهد كل حفلة يقيمها أرستقراط المدينة وذلك بدعوة من أصحابها فما يفوت أحداً أن يدعوه وقد أمسى شخصية من شخصيات المجتمع ، وإنه ليبذل قصارى جهده أن يلفت الأنظار إليه ، ولكم يبهجه أن يتحقق له ما يريد وبخاصة إذا ظفر بنظرات الأوانس ، ولكم يؤلمـه ويكدر عليه عيشه أن يصادف من أحد عـدم الاكتراث له أو الفتور فى تحيته ؛ وإنه ليندس بين كل جماعة فيتحدث ويعرض آراءه ويخالف ويعارض ليبرهن على أصالته وقوة شخصيته .

وإنه ليغشى دور اللهو جميعاً ، فيتكلف أكثر ما يستطيع من مظهر أرستقراطى فى حديثه وتحياته ومشيته وجلسته ؛ ويدلى بآرائه فيما يشهد من تمثيل أو يسمع من موسيقى ، ويأخذ بقسط من الرقص ، وإن كان لا يحسنه كما يجب أن يحسنه .

وإنه ليحسب أكثر من مرة أنه نضو حب ، فيخيل إليـه

تارة أنه أسير هوى لشقيقة صاحبه دياكوف ، وتحدثه نفسه أنها خير ما يختار من زوجة ؛ ثم إذا به يتجه بخياله وقلبه إلى صديقة لأخته مارى إذ يراها وهى طالبة فى معهد حال تجمع إلى جمال الخلقة حسن الخلق وسمة الثقافة ؛ ولكنه لا يلبث أن يرى نفسه وقد علق قلبه بفتاة تزوجت حديثاً ، ولكنه يؤثر أن يموت بين يديها على أن يكاشفها بما يحس نحوها من حب ... ولن تزال أحلام الحب تطوف بقلبه شأنه فى ذلك شأن غيره من الشباب ، ولا تزال الرغبة فى الزواج تلح على نفسه وتوحى إليه كثيراً من الأمانى العذاب ، ولكنه لا يستقر على رأى ، وقصاراه أن يحلم بمن يتوق إلى أن يحبها لتكون له زوجاً تجمع بين صدق العاطفة ورجاحة العقل وتحس نحوه مثلما يحسه نحوها وتفهمه كما يفهمها ، وأنى له أن يظفر بهذه الزوجة التى لا يجدها إلا فيما يحلم من حلم ؟

ولم يقتصر الفتى على الأحلام ، فقد كان طلب نساء يسعى إليهن ويسعين إليه ولا يتورع أن يتسلل إلى بيوت يتهامس الناس بأسمائها ويتغامزون بها ؛ ولن تخرج المرأة فى رأيه عن إحدى اثنتين ، فإما واحدة يلهو بها ويطفىء بها لهيب جسده ، وإما ثانية يحلم بين يديها أحلام الزواج والعفة ولا يستطيع خياله أن يتجه لحظة أمامها إلى معنى من معانى السوء ؛ ومن عجيب أمره أنه على تنبله بالثياب والمال وعلى حيويته وقوة بدنه كان خجولا شديد الاضطراب إذا وجد نفسه فى مجلس أوانس أو سيدات مهما بلغت ألفته لهن ، أو إذا تحدث إلى فتاة أو سيدة فما يزول عنه خجله أو يبارحه اضطرابه إلا بعد حين .

ومن كان يحيا حياة كهذه مطلق العنان مسرفا فى اللهو كان حقيقة أن يفشل فى طلب العلم ؛ ولذلك فشل تولستوى فشلا كبيراً ، على أنه يحاول أن يبرىء نفسه فيرد سبب إخفاقه إلى اضطغان أستاذ التاريخ الروسى عليه ، ويزعم أنه كان حسن الإلمام بهذه المادة ؛ كما يعلم أن هذا الأستاذ أسقطه كذلك فى اللغة الألمانية على الرغم من أنه يجيدها أكثر من أى طالب آخر فى قسمه بما لا تجوز معه المقارنة .

وترك تولستوى كلية اللغات الشرقية إلى كلية القانون ، ولكنه فى عامه الثانى بالجامعة لم يك أحسن حالا منه فى عامه الأول ، فقد ظل مسرفا فى لهوه لا يقف فيه عند حد ، يسهر أكثر لياليه حتى يسفر الصبح فى مجونه وفتونه ، ولبث على هذه الحال حتى انتصف العام الدراسى أو جاوز المنتصف .

وكان فى الجامعة يتنبل بماله وثيابه ، يصل إليها على جواد جميل وحوله بعض الخدم ، ولا يجالس أو يصاحب إلا من يراه فى مثل طبقته ، ويترفع على من يراهم دونه ، ولذلك كان بغيضاً إلى هؤلاء ثقيلا عندهم ، قال أحدهم يصف شعوره نحوه « لقد كنت أبتعد عن الكونت ، ذلك الذى نفرنى من أول الأمر تظاهره بالجفاء ، كما نفرنى شعره القصير الخشن وما ينبعث من عينيه نصف المقفولتين من معنى يحز النفس ، وإنى لم ألق قط شاباً مثل ما لهذا الشاب من ذهاب بالنفس ورضاء عنها ، الأمر الذى يبدو غريباً كما أنه لا يفهم ؛ وقلما كنت أقابل الكونت أول الأمر ، ذلك الذى على الرغم من قبح منظره وخجله قد اتخذ له رفقة ممن يدعون الأرستقراط ؛ وقلما عنى بأن يرد تحيتى كأنما يريد أن يشير بذلك إلى أننا أبعد من أن نتساوى حتى فى هذا المكان حيث أنه يأتى إليه فى عربة أو على ظهر جواد وآتى أنا راجلا » وذكر هذا الزميل مرة أخرى أنه تصادف أن حبس فى حجرة بالكلية هو وتولستوى بعض الوقت عقابا لهما على تقصير ، فرأى تولستوى فى يده كتاب تاريخ ، فقال إن التاريخ فى رأيه أتفه موضوع ، فما هو إلا مجموعة من الخرافات والتفاصيل العديمة الجدوى تتخللها طائفة من الأرقام وأسماء الأعلام ؛ وتطرق الحديث إلى الشعر فتهكم تولستوى وسخر من الشعر ؛ ثم تحدث عن التعليم الجامعى بوجه عام فسخر منه ما وسعته السخرية وسخر من تسمية الجامعة دير العلم إلى أن قال « ويحق لنا أن نتوقع أننا نترك هذا الدير رجلين نافعين مزودين بالمعرفة ، ولكن ما ذا عسى أن نحمله معنا من الجامعة حقاً ، وأى شىء نصلح له ولمن من الناس نكون ضروريين ؟

هذا هو رأى زميله عنه ، ولكن الذين عرفوا تولستوى وقد نسى تكلفه يجدونه شخصاً غير هذا ، فهو ذكى الفؤاد محبب العشرة إلى رفقائه ، طيب القلب ، واسع الأفق متوثب الروح ، صادق الحماسة لما يعتقد أنه حق أو صواب .

وهو فى أثناء أجازته الصيفية فى ياسنايا ، ينسى ما كان منه فى المدينة من تكلف يبعد به عن طبيعته ، ولو أن أحداً من خلانه رآه هناك لأخذه العجب من أن يكون هذا هو الطالب الإرستقراطى

الذى عرفه فى الجامعة ؛ فهو هنا فى القرية يستحم فى النهر ويجلس تحت شجرة يطالع قصة فرنسية ، ويصيد السمك أو الطير ويعشى فى الغابة ما وسعه المشى وقد أطلق نفسه على سجيتها ، فلا أناقة فى ملبس ولا تكلف فى مشية أو جلسة أو حديث ؛ وإنه لينام فى شرفة ويأكل حيث يحب ويلبس ما يلائم لبسه الحر فحسب ؛ حتى إذا عاد إلى المدينة رجع إلى تكلفه وأرستقراطيته .

ونجده بعد إسرافه فى لهوه يثوب بعد منتصف العام الدراسى الثانى إلى شىء من الجد ؛ ويجد لذة فى دراسة القانون المقارن والقانون الجنائى وعقوبة الإعدام ، ويقبل على القراءة إقبالا شديداً حتى ليتجاوز المقرر كثيراً فى هذه الموضوعات ، ويأنس منه أستاذه هذا الإقبال فيكلفه أن يقارن بين كتاب منتسكيو «روح القوانين» وبين قانون كاترين الثانية ، فيجد الفتى فى هذه المقارنة متعة عظيمة حتى ليميل إلى ترك الجامعة كى يستطيع أن يقرأ ما يحب أن يقرأ فى غير قيد بما يتطلب المنهاج ، فإنه إذا أقبل على قراءة شىء أحبه لا يحب أن ينصرف عنه إلى غيره حتى يستوعبه ويستوفى منه ما يريد . ويخرج الفتى من مقارنته بين الكتابين بأن كاترين فى كتابها قد خلطت آراء منتسكيو الحرة باستبدادها وغرورها ، وأن هذا الكتاب قد أجدى على كاترين من الصيت أكثر مما أجدى على روسيا من الخير ...

وفى شهر مارس من سنة ١٨٤٧ يصيبه المرض ويلح على بدنه القوى فيحمل إلى مستشفى يقضى به أياماً ؛ وهناك يبدأ الفتى كتابة يومياته فتكون هذه اليوميات من أهم مصادر تاريخ حياته ، فلقد دأب على كتابتها أكثر أيام عمره ؛ ولم ينقطع عنها إلا بضع سنين ثم عاد إليها .

وكانت أول صفحة منها بتاريخ اليوم السابع عشر من ذلك الشهر ومما جاء فيها قوله : «ليس يصحبنى خادم هنا ولا يساعدنى أحد ، وعلى ذلك فلن يؤثر مؤثر خارجى فى ذاكرتى أو حكمى على الأشياء ، ويجب تبعاً لذلك أن يزداد نشاطى العقلى ... وإن أهم ما كسبته من ذلك هو أن أرى فى وضوح أن تلك الحياة المضطربة التى يعزوها الناس عرفاً إلى الشباب إنما مردها فى الحق إلى فساد روحى مبكر ؛ إن من يعيش فى جماعة يجد فى العزلة من الفائدة له مثلما يجده منها فى الجماعة من كان يعيش فى عزلة ؛ وما على المرء إلا أن ينسحب من الجماعة وينطوى على نفسه ليرى كيف يطرح عقله ذلك النظار الذى كان يرى خلاله كل شىء حتى ذلك الوقت فى ضوء مهوش ... ولأن يكتب المرء عشرة مجلدات فى الفلسفة أهون عليه من أن يحقق فكرة واحدة تحقيقاً عملياً » .

وفى منتصف أبريل من تلك السنة كتب فى يومياته يقول : « لقد فشلت منذ قريب فى أن أجمل سلوكى كما أريد ، وكان مرد ذلك بادئ الرأى إلى أننى تركت المستشفى ، ثم بعد ذلك إلى من أجدنى أعود إلى مخالطتهم من رفقة يوماً بعد يوم ؛ وأختتم ذلك بأنه ينبغى أن يقودنى تغيير المكان إلى أن أفكر فى جد كيف تؤثر فىَّ الظروف الخارجية كلما تجددت الشروط والأوضاع » .

ويتفكر فى مستقبله فيعاوده ما كان يطمح إليه من كمال على الرغم مما أسرف فيه من عبث ولهو فيقول : « إنى أجدنى دائماً بحيث يطالعنى هذا السؤال : ما الغرض من حياة الإنسان؟ وبغض النظر عما بلغته بطول تفكيرى من نتائج وعما أعده فى رأيى منبع الحياة ؛ فإنى ما أزال أصل إلى خاتمة لا تتغير ومؤداها أن الغرض من الوجود الإنسانى إنما هو أن نبذل أكبر عون نستطيعه فى سبيل أن يرقى كل شىء حى رقياً عالياً عاماً ؛ وإنى لو لم أجد غرضاً لحياتى لكنت أشقى بنى الفناء على أن يكون غرضاً نافعاً عاماً ... وعلى ذلك فيجب أن تكون حياتى منذ اليوم كفاحاً دائباً نشطاً فى سبيل تحقيق هذا الغرض الذى ليس لى غرض سواه » .

ويعود الفتى إلى اعتزامه وما يقطعه على نفسه من مواثيق فيذكر ما سوف يأخذ به نفسه من ألوان الجد فى عاميه القادمين بالقرية ، فسيدرس القانون كله ليتهيأ للامتحان النهائى للجامعة وسيدرس الطب العملى وقسطاً من ناحيته النظرية واللغات الفرنسية والروسية والألمانية والانجليزية والطليانية واللاتينية ، والزراعة النظرية والعملية والتاريخ والجغرافيا والرياضيات والعلوم الطبيعية ، وسيدون ما يعن له من ملاحظات وسيبلغ درجة الكمال فى الفن والموسيقى ، وسيكتب المقالات فى شتى المواضيع التى يدرسها إلى غير ذلك من ألوان الجد والدأب ...

ثم إنه يقطع على نفسه عهداً أن ينجز ما جمع عزمه عليه مهما

تـكن العقبات وأن ينجزه على خير وجه وألا يرجع إلى الـكتب فيما نسى من أمر بل يعمل على أن يسترده من ذاكرته ؛ وأن يحرص على أن يبذل عقله أقصى ما فى وسعه من طاقة وأن يجهر بقراءته وتفكيره ، وألا يخجل من أن يصارح من يقطمون عليه عمله بأنهم يعوقونه عنه ؛ وليدعهم أول الأمر يشعرون بذلك فإن لم يفهموا فليصارحهم به فى شىء من الاعتذار .

وحق للمرء أن يعجب من هذا الذى يعتزمه الفتى بعد ما كان من لعبه وبطالته ، ولعل إسرافه على نفسه هو الذى يوحى إليه بما عسى أن ينسيه ذلك العبث ويعوضه عما فاته من جد ؛ وفيم العجب وتلك حال من حالات الشباب ، والشباب يتخيل أنه قادر على كل شىء فلننظر ماذا أنجز الفتى من هـذا الذى جمع العزم عليه .

لم يلبث الفتى أن ترك الجامعة دون أن يحصل على شهادة ما ؛ ففى سنة ١٨٤٦ خرج أخوه نيقولا من الجامعة والتحق بالجيش ، وعاش ليو مع أخويه الباقيين فى بيت استأجروه وقد تركوا بيت عمتهم فلا رقيب عليهم ؛ وبعد أشهر قليلة قسمت ثروة أبيهم بينهم فـكانت ياسنايا بوليانا من نصيب ليو ، مضافاً إليها أربع ضياع أخرى تبلغ اربعمائة وخمسة آلاف من الأفدنة ، كما كان من نصيبه نحو خمسين وثلثمائة من الفلاحين الذكور ومن ورائهم أسرهم ؛ وفى يناير سنة ١٨٤٦ يحس ليو بكثير من الضيق بعد أن بارح أخوه الجامعة كما يسأم حياة المدنية وملاهيها وغرورها ، وحياة الجامعة وقيودها والامتحانات وسخفها ، فيكتب إلى إدارة الجامعة لتستبعد اسمه من سجلاتها معتذراً بسوء صحته وبأمور تتصل بمطالب أسرته ؛ وينطلق من الجامعة إلى غير عودة ، فهل هو فاعل فى غده ما تخيله فى قازان من ضروب الجد ؟

( يتبع ) **الخفيف**

---

## جامعة الدول العربية

### الأمانة العامة

### جائزتا جامعة الدول العربية للمؤلفين

١ — الموضوعان المقترحان لنيل جائزة الجامعة العربية هما :

ا — تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامى إلى خروج العرب منها وما يتصل بذلك من الحوادث فى بلاد المغرب

ب — تاريخ الأمة العربية ( العراق — الشام — مصر والسودان — بلاد المغرب — جزيرة العرب ) من سقوط بغداد إلى أول القرن الثالث عشر الهجرى ( التاسع عشر الميلادى )

٢ — يكتب الـكتاب بلغة عربية صحيحة كتابة علمية لاعاطفية إنشائية فى مستوى الجمهور المثقف

٣ — فى عرض الموضوع تذكر مصادر البحث فى حواشى الصفحات مع ذكر أرقامها وتذكر النصوص إذا دعت الحاجة

٤ — يعنى فى الـكتاب بتاريخ الأمة والشعب والحضارة ولا يقتصر على تاريخ الأشخاص والحروب

٥ — على المؤلف أن يطلع على المصادر الهامة المـكتوبة فى الموضوع بلغة أجنبية ويشير إليها

٦ — لا يجوز تقديم كتاب فى أحد الموضوعين سبق نشره

٧ — لا تقل صفحات الـكتاب عن ( ٥٠٠ ) صفحة من القطع المتوسط

٨ — يزود الـكتاب بالخرط التى يحتاج إليها

٩ — يقبل الـكتاب الذى اشترك فى تأليفه أكثر من مؤلفه

١٠ — الجائزتان كل منهما (٥٠٠) جنيه

١١ — يحق لـكل عربى أن يشترك فى المسابقة أيا كان قطره

١٢ — إذا قبلت لجنة التحكيم كتابين متقاربين فى الجودة فى أحد الموضوعين وزعت الجائزة بينهما ولا يجوز أن تقبل أكثر من كتابين

١٣ — يكون الـكتاب ملـكا للمؤلف بشرط أن يطبعه وينشره فى ظرف سنة من قبول لجنة التحكيم فإذا لم يطبعه فى هذه المدة كان للجامعة أن تطبعه

١٤ — آخر موعد لتقديم الـكتاب أول مايو سنة ١٩٤٨ .

٦٨٥٨

# نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

## ٨٨١ — فلا يسعنا أن نفتي بخلاف ما نعتقده

إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزيه :

ليحذر المفتى الذى يخاف مقامه بين يدى الله ( سبحانه ) أن يفتى السائل بمذهبه الذى يقلده وهو يعلم أن مذهب غيره فى تلك المسألة أرجح من مذهبه وأصح دليلا ، فتحمله الرياسة على أن يقتحم الفتوى بما يغلب على ظنه أن الصواب فى خلافه ، فيكون خائناً لله ورسوله وغاشاً له ، والله لا يهدى كيد الخائنين ، وحرم الجنة على من لقيه وهو غاش للاسلام وأهله . والدين النصيحة ، والغش مضاد للدين كمضادة الكذب للصدق والباطل للحق . وكثيراً ما نرى المسألة نعتقد فيها خلاف المذهب فلا يسعنا أن نفتى بخلاف مانعتقده . فنحكى المذهب الراجح ونرجحه ، ونقول : هذا هو الصواب ، وهو أولى أن يؤخذ به ، وبالله التوفيق .

***

فى الأحكام السلطانية للماوردى :

يجوز لمن اعتقد مذهب الشافعى ( رحمه الله ) أن يقلد القضاء من اعتقد مذهب أبى حنيفة ، لأن للقاضى أن يجتهد برأيه فى قضائه ولا يلزمه أن يقلد فى النوازل والأحكام من اعتزى إلى مذهبه ، فإذا كان شافعياً لم يلزمه المصير فى أحكامه إلى أقاويل الشافعى حتى يؤديه اجتهاده إليها ، فإذا أداه اجتهاده إلى الأخذ بقول أبى حنيفة عمل عليه ، وأخذ به ، وقد منع بعض الفقهاء من اعتزى إلى مذهب أن يحكم بغيره ، فمنع الشافعى أن يحكم بقول أبى حنيفة ، ومنع الحنفى أن يحكم بمذهب الشافعى إذا أداه اجتهاده إليه لما يتوجه إليه من التهمة والممايلة فى القضايا والأحكام ، وإذا حكم بمذهب لايتعداه كان أنفى للتهمة وأرضى للخصوم ، وهذا — وإن كانت السياسة تقتضيه — فأحكام الشرع لا توجبه لأن التقليد محظور ، والاجتهاد فيها مستحق . وإذا نفذ قضاؤه بحكم وتجدد مثله من بعد أعاد الاجتهاد فيه وقضى بمـا أداه اجتهاده إليه وإن خالف ما تقدم حكمه . . .

## ٨٨٢ — وقدرك خير من وليمة جارك

الأغانى : ( قال اسحاق الموصلى ) قال لى أبو زياد الكلابى : أولم جار لى يكنى أبا سفيان وليمة ودعانى لها ، فانتظرت رسوله حتى تصرم يومى فلم يأت ، فقلت لامرأتى :

إن أبا سفيان ليس بمولم فقومى فهاتى فِلقة من حوارك[1]

فلقت له أليس غيرُ هذا فقال : لا ، إنما أرسلته يتيما[2] ، فقلت : أفلا أجيزه ، قال شأنَك ، فقلت له :

فبيتك خير من بيوت كثيرة وقدرك خير من وليمة جارك

فضحك ثم قال : أحسنت بأبى أنت وأمى ، جئت والله به قبَلا[3] . . وما ألوم الخليفة أن يجملك فى سماره ويتملح بك ، وإنك لمن طراز ما رأيت بالعراق مثله ، ولو كان الشباب يشترى لابتعته لك بإحدى عينىّ ويمنى يدى ، على أن فيك بحمد الله ومنّه بقية تسر الودود ، وترغم الحسود .

## ٨٨٣ — المسألة دولية لا دليلية

العلم الشامخ فى إيثار الحق على الآباء والمشايخ لصالح بن مهدى المقبلى اليمنى ( المتوفى سنة ١١٠٨ ) :

مثال ما استصغر فى الفروع ما فعله الزيدية فى عصرنا هذا ولم يكن فى أوائلهم ، وهو تحريم الفاطميات على من ليس بفاطمى . وجهه الغلو فى الرياسة ، ولا ينبغى أن يذكر ما تشبثوا به فإنما هو كذب ومخرقة وقد استدل بعضهم بأن نكاح الفاطمية بمن ليس بفاطمى — بحسب العرف الطارىء — كالهتك لحرمه أهل البيت والوضع من شأنهم فلا يجوز فعله . والتطبيق منذ عصر الصحابة إلى الآن على التزوج بهن فى جميع الأرض حتى رأينا وضماء يترفع عنهم آحاد الناس يتزوجون بالفاطمية ولم يقع استنكار ، وإن

(١) فى البيت خرم : ذهاب الفاء من فعولن ، فيبقى عولن فينقل فى التقطيع إلى فعلن.

(٢) اليتيم : الفرد .

(٣) يقال تكلم فلان قبلا فأجاد ، والقبل أن يتكلم بكلام لم يكن استعده ، واقتبل الكلام والخطبة اقتبالا ارتجلهما وتكلم بهما من غير أن يعدهما ( اللسان ) .

أردتم ، فى بقعتكم هذه من جبال اليمن فأما علماء الدين فليس عندهم الا اتباع الدليل ، ولا يستنكرون إلا مخالفته وأما العامة أتباع كل ناعق فإنهم نشئوا فى منع الدولة لذلك ودعوى تحريمه وتهويله وظنوه كذلك ، فإن المسألة دولية لادليلية[1] . ثم صرن ( يعنى الفاطميات ) الآن فى اليمن يشيب أكثرهن بلا زواج ، وتفسد من تفسد ، ويتفرع على فساد من تفسد منهن مفاسد أخرى ، لأن الرفيع يحاذر ما لا يحاذره الوضيع فيقتحم فى تستيره نفسه كل هول ، وقد علم أن النساء أكثر من الرجال فمن أين لنا فاطميون يقومون بهن ؟ وليتهم مع هذا حملتهم النخوة والحمية على القيام بهن وإيثارهن ولكن يعدلون إلى ما يقضى به هواهم من بنات السوقة والحبش ! فترى الفاطميات اليوم فى اليمن متجرعات لهذه المظلمة مع ماعلم من الأمر الشرعى من المسارعة إلى التزويج [ إلا تفعلوه تكن فى الأرض فتنة وفساد كبير ] .

### ٨٨٤ — وإنما الشأن فى الحار جداً والبارد جداً

البيان والتبيين للجاحظ : أنا أقول : إنه ليس فى الأرض كلام هو أمتع ولا أنفع ... ولا ألذ فى الأسماع ولا أشد اتصالا بالعقول السليمة ... من طول استماع حديث الأعراب الفصحاء والعقلاء والعلماء والبلغاء ... إلا أنى أزعم أن سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعانى ، وقد يحتاج إلى السخيف فى بعض المواضع ، وربما أمتع بأكثر من إمتاع الجزل الفخم ومن الألفاظ الشريفة الكريمة المعانى[2] كما أن النادرة الباردة جداً قد تكون أطيب من النادرة الحارة جداً ، وإنما الكرب الذى يخيم على القلوب ويأخذ بالأنفاس النادرة الفاترة التى لا هى حارة ، ولا هى باردة ، وكذلك الشعر الوسط والغناء الوسط ، وإنما الشأن فى الحار جداً والبارد جداً ...

### ٨٨٥ — قاد الجيوش لسبع عشرة حجة

عيون الأخبار لابن قتيبة : قال أبو اليقظان : ولى الحجاج محمد بن القاسم الثقفى قتال الأكراد بفارس فأباد منهم ، ثم ولاه السند فافتتح السند والهند ، وقاد الجيوش وهو ابن سبع عشرة سنة ، فقال فيه الشاعر :

إن السماحة والمروءة والندى    لمحمد بن القاسم بن محمد
قاد الجيوش لسبع عشرة حجة    يا قرب ذلك سودداً من مولد

وفى معجم الشعراء للمرزبانى : وله يقول زياد الأعجم أوغيره :

قاد الجيوش لخمس عشرة حجة    ولداته عن ذاك فى أشغال
قعدت بهم أهواؤهم وسمت به    همم الملوك وسورة الأبطال

وكان محمد بن القاسم من رجال الدهر .

### ٨٨٦ — ... وإن أفطر قالوا معذور

نهاية الأرب : قال سعيد بن جبير : لم تر عيناى أجل من فضل عقل يتردى به الرجل ؛ إن انكسر جبره ، وإن تصدع نعشه ، وإن ذل أعزه ، وإن اعوج أقامه ، وإن خاف أمنه ، وإن حزن أفرحه ، وإن تكلم صدقه ، وإن أقام بين أظهر قوم اغتطبوا به ، وإن غاب عنهم أسفوا عليه ، وإن بسط يده قالوا : جواد ، وإن قبضها قالوا : مقتصد ، وإن أشار قالوا : عالم ، وإن صام قالوا : مجتهد ، وإن أفطر قالوا : معذور ...

### ٨٨٧ — الحلواء ، اللوزينج ، القطائف

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهانى :

قال بختيشوع : الحلواء كلها ، حقها أن تؤكل بعد الطعام لأن للمعدة ثوراناً عقب الامتلاء كثوران الفقاع ، فإذا صادفت الحلاوة سكنت . وقول الناس : إن فى المعدة زاوية لا يسدها إلا الحلاوة على أصله والآكل إذا اشتهى الحلاوة ثم فقدها وجد فى حواسه نقصاً .

***

اللوزينج قاضى قضاة الحلاوات .

قيل لبعض الناس : إن التمر يسبح فى البطن ، فقال : إذا كان التمر يسبح فى البطن فإن اللوزينج يصلى فيها التراويح .

***

ألذ شيء على الصيام    من الحلاوات فى الطعام
قطائف نضدت فحاكت    فرائد الدر فى النظام
منومات على جنوب    فى الجام كالصبية النيام

---

(١) يراجع الفصل (هل فى الاسلامية طبقات ؟) فى الاسلام الصحيح

(١) وفى كتابه (الحيوان) : وأنا أقول : إن الإعراب يفسد نوادر المولدين كما أن اللحن يفسد كلام الأعراب لأن سامع ذلك الكلام إنما أعجبته تلك الصورة وذلك المخرج وتلك اللغة وتلك العادة فإذا ادخلت على هذا الأمر الذى إنما أضحك بسخفه وبعض كلام العجمية التى فيه — حروف الاعراب والتحقيق والتثقيل وحولته إلى صورة ألفاظ الأعراب الفصحاء وأهل المروءة والنجابة انقلب المعنى مع انقلاب نظمه وتبدلت صورته .

# غروب شمس

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

[مهداة إلى روح شقيقتي الوحيدة التي رجعت إلى ربها راضية مرضية].

تركت الدار موحشة الجناب ... ورحت وأنت في شرخ الشباب
دفنتك في التراب وكنت عندي ... أعز الخاطرين على التراب
وأودعت الثرى كنزاً ثميناً ... من الأخلاق والشيم العذاب
وغاب مع السكون الجهم صوت ... على نبراته يغفو اضطرابي
وغيب في ظلام القبر نور ... وخلف لي لهيباً من عذاب
يؤرقني غيابك من حياتي ... وما أقسى مرارات الغياب!
تلمست النجاة فرحت جسماً ... طرى العود خفاق الإهاب
وعدت إلى لا نفس خفوق ... ولا روح يلطف من مصابي
ولو أني استطعت بذوب قلبي ... فديتك من أعاصير التباب
أنادي باسمك الغالي، ولكن ... أراك عييت عن رد الجواب
وكنت إذا سكت ملأت نفسي ... بألوان الحديث المستطاب
أنادي ... والأنين رجيع صوتي ... وأهتف والجواب صدى انتحابي
وتغلبني الدموع ... وأي صبر ... يقر أمام دمع في انسكاب!
وأي مصيبة نزلت بساحي! ... وأي رزيئة وقفت ببابي!
وما بالهين الخطب افتقادي ... أعز الأقربين إلى انتسابي
فقدتك وافتقدت عزاء نفسي ... وكنت لي العزاء. وقد خلا بي!

***

أراك - وقد أراك الموت حلماً - ... بسمت فقد خلصت من العذاب
رؤى الدنيا كواذب خادعات ... وقد صبغت بألوان كذاب
نساق إلى مفاتنها، ونمضي ... مضي المسحرين إلى السراب
ونمشو كالفراش على شعاع ... جحيمي الحرارة واللهاب
نؤمّل ما نؤمّل ثم نُطوى ... مع الإنفاس آمال خوابي
تعللنا بمعسول الأماني ... وتمزج بالتعلة كل صاب
ونأخذ من يد الأيام كأساً ... تداول بالقديم من الشراب
نجرعه وليس لنا سبيل ... إلى الشكوى من الألم المذاب
وتسلبنا الأعز، وليس حرص ... بمانع كفها عن الاغتصاب
مضت بالأولين، وسوف تمضي ... بنا وبغيرنا من كل باب
نعيش وحولنا أهل وصحب ... ونحن من الحياة على اغتراب
وما حمل المرارة غير حي ... زواه الموت عن هذا الركاب
يشيع نفسه في كل حين ... وراء الراحلين من الصحاب..!

***

شقيقتي العزيزة! لست أدري ... أكنت خيال وهم في عبابي؟!
أسائل موج أيامي أكانت ... ليالينا بها خفق الشهاب؟!
وكنا ناعمين على سبوح ... رخي الريح يمرح في انسياب
يوحدنا الحنان الجم حتى ... كأن رغاب نفسك من رغابي
فلم يعصف برحلتنا خلاف ... ولم نعرف لجاجات الشغاب
ولم يلم بنفسينا خصام ... ولا خطرت بنا نسم العتاب
فمالك قد قطعت سراك منها ... وعوجل نجم عمرك باحتجاب؟!
وروع ليلنا الزاهي بفجر ... دميم الوجه مهتوك النقاب
وهبت في الصباح الطلق ريح ... تسوق إليه داكنة السحاب
وزلزلت السفينة وهي تمضي ... تشق عباب أمواج غضاب
منكسة الشراع كأن نعشاً ... سرى في اليم ما بين اصطخاب
تمر بها العواصف معولات ... كأن سبيلها أحشاء غاب
وقهقهت المقادر وهي تبدو ... مسلحة بأظفار وناب
فألقى بي الأسى في غير وعي ... شريد الفكر مشدوه الصواب
أجوب الشاطئين غريب دار ... مطلسمة المعالم والشعاب
كأن نسيمها أنفاس جن ... وأن حفيفه صمت اليباب!
محا منها البشاشة هول يوم ... أساء إلى مغانيها الرطاب

***

شقيقتي العزيزة! أي خطب ... بليت به ولم يك في حسابي!
كتاب حياتك اختتمته بلوى ... فكان الرزء خاتمة الكتاب
طويل فصوله سنة وحلم ... سريع الخطو ومضى الوثاب
طواه الموت مخترماً عجولا ... كما يطوى الحديث بالاقتضاب
وكانت قصة القدر المعمى ... وكانت قصة الزمن المحابي
صبرت على متاعبها، وكانت ... شجونك في فؤادي كالحراب..

***

شقيقتي العزيزة! أي ذكرى ... معطرة صمت عن كل عاب!
حديثك في فم الأهلين شهد ... وبعدك عن ديارك كأس صاب

# الأدب والفن في أسبوع

**أصول الأدب الهندي :**

أشرنا في عدد سابق من « الرسالة » إلى الجهد المشكور الذي يبذله الأستاذ وديع البستاني في البحث عن أصول الفلسفة الهندية وآداب الهنود ، وأشدنا بهمته في نقل تلك الآثار الخالدة إلى اللغة العربية بعد أن وفر جهده على دراستها أربعين عاماً أو تزيد .

وقد جاء في الأنباء البرقية أن الأستاذ وديع أتم فعلا نقل الملاحم الهندية القديمة إلى اللغة العربية ، وهي « الرامايانا » و « المهابهاراتا » و « النالادامايتي » و « الشاكونتالا » ، كما أنه ألف كتاباً خامساً عن الأساطير الهندية القديمة ...

و « الرامايانا » و « المهابهارتا » ملحمتان كالأليـاذة ، والأوديسة ، فوضوعهما تصرفات الآلهة وقصص الأبطال ، وتعتبر « الرامايانا » أهم من « المهابهارتا » ، كالألياذة بالنسبة للأوديسة أما « النالادامايانتي » فإنها إحدى القصص الخمس التي تتألف منها « المهابهارتا » ، وأما « الشاكونتالا » فإنها قصة عنيفة من النوع الدرامي . ولكنها تعتبر حديثة بالنسبة لسابقاتها ، إذ وضعها الشاعر « كالنياسا » في أواخر القرن الثالث للميلاد .

ويقول الباحثون في الأدب المقارن إن « الرامايانا » تشبه الألياذة إلى حد كبير ، بل إنها تشبهها تمام المشابهة ، فإن الهنود ينسبون وضعها إلى شاعر قديم يدعى « فاليكي » ولكن حياة هذا الشاعر غير محققة ، وإن البحث الحديث ليشك في وجوده كما يشك في وجود هوميروس ، وإذا كانت الألياذة قد صورت آلهة اليونان مجتمعة بقمة الأولمب ، فإن الرامايانا كذلك صورت معبودات الهنود مجتمعة في قمة جبل ميرو ، وتنسب الألياذة إلى المعبودات اليونانيـة أنها كانت تتغذى بماء الخلود ، وكذلك تنسب الرامايانا إلى المعبودات الهندية أنها كانت تشرب ماء المنبرية أي ماء الحق الذي يضمن لهم الحياة الباقية ، وفي الألياذة يقف « جوبيتر » أبو المعبودات اليونانية وفي يده الصاعقة ليرسلها على المغضوب عليهم من الضالين ، وكذلك في الرامايانا يقف « أندرا » شيخ معبودات الهنود وفي يده هذه الصاعقة ، ولكن الهنود يصورون معبودهم الكبير في وضع مهيب إذ يمثلونه بثوب أزرق مرصع بعيون كثيرة متكئاً على قوس قزح ومن حوله الحور العين ، وكأنهم بهذه الصورة يرمزون إلى السماء .

وكذلك نجد على وجه العموم مشابهة كثيرة بين الملاحم الهندية والملاحم اليونانية في تصوير الآله والأبطال ، « ففينوس » الجميلة المعبودة عند اليونان تقابلها المعبودة « لكمى » عند الهنود ومن الغريب أن كلتيهما قد خلقت من زبد البحر ، و « أبولون » إله الوحي والشعر والفنون يقابله « كريشنا » و « إيروس » إله الحب يقابله « كاما » وهكذا نجد لكل إله أو بطل مقابلا في مثل وضعه ووصفه .

وقد يؤدي هـذا إلى الاعتقاد بوجود صلة بين الأدبين ، والواقع أن الباحثين في الأدب المقارن لم يستطيعوا أن يصلوا إلى نتيجة حاسمة في هذا الشأن لأن الملاحم الهندية وضعت في القرن التاسع قبل الميلاد ، وهو الزمن الذي وضعت فيه الملاحم اليونانية فلم تعرف أسبقية لأيهما بعد ، كما لم تكشف صلة في ذلك الزمن بين الهنود واليونان ، ولا شك أن عناية الأستاذ وديع البستاني بنقل تلك الملاحم الهندية إلى اللغة العربية سيعين على كشف هذه الحقيقة ؛ ولا شك أنه بهذا الجهد الجبار يؤدي خدمة جليلة للآداب العربية ، بل للآداب العالميـة ، وإنها لخدمة تزيد في التقدير والاعتبار عن تلك الخدمة السابقة التي نهض بها عمه الشيخ سليمان البستاني بترجمة الألياذة إلى العربية ، لأن الألياذة كانت قد نقلت إلى كثير من اللغات الحية في العصر الحديث . أما الملاحم الهندية فأنها لا تزال بلغتها الهندية القديمة .

على أننا في هذا المقام نذكر باحثاً فاضلا بكل خير وهو المغفور له صالح جودت بك ، فقد نقل إلى العربية عام ١٩١٢

---

| | |
|---|---|
| وما عودتني في العيش نأياً | فكيف وقد رحلت بلا إياب ! |
| ذهبت شهيـدة للقـاء رب | كريم الأجر مرجو الثواب |
| حملت على يديك كتاب طهر | وعفـة خاطر ، ونقى شباب |
| رحلت وأنت باسمـة رضاء | وما خلفت لي إلا اكتئابي |
| سأمضي بعد موتك في حياتي | كما يمضي الغامر في الضباب |
| خلت من كل سلوان وشاهت | وقد ضاقت بأحزاني رحابي ... |

حسن كامل الصيرفي

قصة من تلك الملاحم الهندية وقدم لها بمقدمة أشاد فيها بالآداب الهنـدية القديمة وأشار إلى ما فيها من مظاهر لا تقل عما هو ملحوظ فى آداب اليونان .

**انحطاط المجلات المصرية :**

بهذا العنوان كتبت مجلة « عالم الغد » العراقية كلمة قالت فيها : « يغمر العراق سيل لا ينقطع من المجلات المصرية الأسبوعية المصورة الرخيصة ، وهى ملأى بالميوعة والخلاعة والعامية وسوء الأدب وليس فيها إلا الأدب الرخيص الذى يتنافى وعاداتنا وتقاليدنا ويتنافى ونهضتنا التى يجب أن تقوم على أسس ثقافية متينة وتستند إلى دعائم خلقية قويمة ، ولو كانت هذه المجلات تباع بالمئات لغضضنا الطرف عنها ولـكنها تباع بالآلاف وتتسلل إلى كل بيت ويقرؤها كل شاب وتتصفحها كل فتاة فلانستطيع إذن أن نتجاهل تأثيرها فى أخلاق الناس ومستقبل الثقافة » .

« ولقد ارتفعت الشكوى من هذه المجلات فى مصر والعراق لأنها أخذت تتسابق فى دعارتها ... وتتفنن فى إثارة شهوات المراهقين بما تعرضه من صور خليعة نابية ، وماتنشر من أقاصيص مكشوفة بعيدة عن كل ذوق سليم ، ونحن لا نعترض على نشر الصور الفنية ، وإنما نعارض فى نشر الصور الخليعة التى لا ترمى إلى غاية ثقافية وخلقية ، فعلى مديرية الدعاية العامة واجب عظيم وهو مراقبة هذه المجلات مراقبة دقيقة والحيلولة دون تسربها إلى أسواق العراق محافظة على الثقافة الصحيحة والآداب العامة » .

هذا ما كتبته تلك المجلة الثقافية العراقيـة ، نشرناه بنصه وحروفه ، وإن كنا قد حذفنا منه أسماء المجلات التى عينتها وعنتها بالحديث ، ونحن ننشر هذا الـكلام من غير تعليق ، وكل ما نرجو أن نـكون بصيرين على أنفسنا قبل أن يبصرنا غيرنا بأمورنا ، وماذا يكون موقفنا إذا واجهتنا مديرية الدعاية فى العراق بمنع دخول تلك المجلات المصرية إلى العراق بحجة أنها تسئ إلى الأخلاق؟

**تاريخ دمشق :**

من أنباء دمشق أن مصلحة الآثار هناك اتخذت خطة للعناية بالآثار الأسلاميـة ، ورأت فى ذلك أن تذيع نشرات دورية للتعريف بأهم تلك الآثار وأن تقوم بطبع الـكتب المخطوطة القيمة التى تؤرخ دمشق وتتحدث عن خططها .

وهذه نهضة طيبة ووجهة حميدة نرجو أن تستمر فى طريقها كما نرجو أن تسايرها نهضات مماثلة فى مصر والعراق ولبنان وفلسطين وغيرها من الأقطار العربية الأسلامية ، فأن كثيراً من مصادر التاريخ الإسلامى وعواصم الإمبراطورية الإسلامية لا تزال مطمورة مجهولة ، ولا يزال المؤرخون فى العصر الحديث يجدون فى معالجة هذه الموضوعات مشقة بالغة .

ومما يذكر بهذه المناسبة أن نهضة مماثلة لهذه النهضة الدمشقية كانت قد قامت فى مصر ، وكان لدينا طبقة من العلماء الباحثين الذين يعنون بهذه النواحى ، ولـكن هذه النهضة ركدت بل وقفت فجأة فى منتصف الطريق ، حتى إن كتاب مسالك الأبصار الذى حقق المغفور له أحمد زكى باشا الجزء الأول منه وأخرجه منذ ثلاثين عاماً لم يطبع منه أى جزء آخر للآن ، بل لقد أهمل أمر هذا السفر العظيم وأصبح فى خبر كان .

ولعل عاصمة من العواصم الإسلامية القديمة لم تجد من عناية المؤرخين بتاريخها وخططها وتطوراتها مثل ما وجدت القاهرة ، ولـكن مما يدعو إلى الأسف أن لا نجد بين أيدينا من ذلك إلا خطط المقريزى فى القديم وخطط على باشا مبارك فى الحديث ، على حين أن هناك عشرات الـكتب المماثلة لا تزال مطمورة مجهولة فهل يمكن أن تتعاون دار الـكتب المصرية ودار الآثار العربية على اخراج هذه الآثار ؟

**آثارنا :**

ومن أنباء دمشق أيضاً أن رئيس البعثة الفرنسية التى كانت تقوم بأعمال الحفر والتنقيب فى منطقة رأس شمر باللاذقية قد نقل جميع ما عثر عليه من اللوحات الأثرية القيمة إلى فرنسا ولم يسلم للحكومة السورية منها شيئاً مع أن هذا يخالف نص الاتفاق الذى عقد بين الحـكومة السورية والبعثة الفرنسية والذى يقضى باقتسام ما يعثر عليه من الآثار مناصفة بين الفريقين ، وقد كتب محافظ اللاذقية إلى حكومته يقول إن رئيس البعثة يأبى أن يسلم شيئاً من الآثار التى عثر عليها بحجة أنه نقلها إلى فرنسا ليقوم بدراستها وفك رموزها ، ثم يهيب بالحـكومة أن تقاضيه لأخذ نصيبها من هذه الآثار .

وهذه القصة فى الواقع هى قصة جميع الآثار التاريخية لأقطار الشرق ، تلك الآثار الغاليـة التى سرقت تحت أبصارنا وأسماعنا وغمرت بها المتاحف الأوروبية ، على حين خلت منها متاحفنا ومكتباتنا وأصبحنا لا نستطيع تصحيح تاريخنا إلا إذا شددنا إليها الرحال أو تفضل مستشرق فقدم إلينا من دلائلها ما يريد هو لا ما نريد نحن .

« الجاحظ »




**ترجمة الآداب الثقافية العالمية :**

أذيعت أخيراً أهم القرارات التى أقرتها الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة فى القسم الثانى من دورتها الأولى التى عقدت بنيويورك من ٢٣ أكتوبر إلى ١٥ ديسمبر عام ١٩٤٦ ومن بينها قراران خاصان بالناحية الثقافية اقترحهما الوفد اللبنانى ووافقت عليهما الجمعية بالإجماع وهما :

أولا : تعتبر الجمعية العامة أن ترجمة الآداب الثقافية العالمية إلى لغات أعضاء الأمم المتحدة من شأنه أن يساعد على التفاهم وانتشار السلام بين الأمم إذ يخلق ثقافة مشتركة لجميع الشعوب .

لذلك فهى تحيل هذا الموضوع إلى المجلس الاقتصادى والاجتماعى ليحيله بدوره إلى المنطقة التهذيبية والاجتماعية والثقافية للأمم المتحدة لاتخاذ عمل ملائم ، وتوصى المجلس والمنطقة أن يأخذا بعين الاعتبار المبادىء التالية فى درس هذا الموضوع :

(ا) أن ترجمة هذه الآداب الثقافية العالمية هى مشروع ذو طابع عالمى له أهمية كبرى من ناحية التعاون والتفاهم الدولى حول المسائل الثقافية .

(ب) أن بعض الأمم ليس لديها التسهيلات الكافية ولا المعدات اللازمة لترجمة هذه الآداب العالمية إلى لغاتهم .

(حـ) تعتبر هذه الترجمة من الحوافز التى تساعد على انتشار الثقافة بين الناس .

(د) أن معنى الآداب الثقافية لا ينحصر بالإشارة إلى أدب معين دون سواه بل يتناول جميع آداب الأمم وثقافاتهم خصوصاً ما كان منها — بشهادة أكبر الثقاة — ذات قيمة باقية على الدهر

ثانياً : تعتبر الجمعية العامة أن أعضاء الأمم المتحدة ليسوا على مستوى من التطور الثقافى وأن بعض الأعضاء قد يحتاج إلى مشورة الخبراء الفنيين فى مختلف نواحى الاقتصاد والاجتماع والثقافة ، وأنها مدركة عظم المسؤولية الملقاة على عاتق الأمم المتحدة فى تقديم هذه المشورة الفنية لهم بحكم نصوص ميثاقها نظراً لأهميتها فى دعم السلم والرفاهية فى العالم .

لذلك فهى تقرر إحالة هذا الموضوع إلى المجلس الاقتصادى والاجتماعى بالتعاون مع المؤسسات المختصة لإيجاد الوسائل الفعالة التى من شأنها تأمين تقديم آراء الخبراء الفنيين فى مختلف نواحى الاقتصاد والاجتماع والثقافة للدول الراغبة فى الحصول على مثل هذه الآراء .

* * *

هذان هما القراران اللذان أقرتهما الجمعية العامة لهيئة الأمم بالأجماع ، ونحن نسجلهما للتاريخ ، ولعلنا نراهما عن قريب عملا نافذاً ، ولعل اتجاهات السياسة المغرضة لا تجعلهما حبراً على ورق ، ولا تطويهما فى مطاوى النسيان . .

**دولة المماليك البحرية :**

أجمع المؤرخون على أن السلطان الصالح نجم الدين أيوب هو أول من رتب المماليك البحرية وأول من سماهم بذلك الاسم نسبة إلى بحر النيل الذى كان يحيط بشكناتهم بجزيرة الروضة .

غير أن هذا الرأى لا يستند على أساس علمى صحيح ، فلقد أثبت أستاذنا الدكتور محمد مصطفى زيادة بالأدلة العلمية القاطعة أن الصالح أيوب لم يكن أول من أوجد تلك الفرقة فى مصر ولم يخترع لتسميتها اسم البحرية ولا أدل على ذلك من أن جده السلطان العادل كانت لديه طائفة من الأجناد اسمها البحرية العادلية كما أن الفرقة التى أنشأها الصالح نفسه كانت تعرف باسم البحرية الصالحية ولا معنى لهذه النسبة سوى ما أريد بها من تمييز تلك الطائفة عن الطوائف البحرية الأخرى المنسوبة لمن سبق الصالح أيوب أو من جاء بعده من السلاطين كالبحرية الظاهرية المنسوبة للسلطان الظاهر بيبرس البندقدارى[1] .

ويمكننى أن أدعم نظرية أستاذى القيمة بأدلة أخرى تتلخص فى أن لفظ « البحرية » كان مستعملا فى العهد الفاطمى فى مصر حيث أطلق على طائفة من طوائف الجند ، فيروى أبو المحاسن واصفاً ركاب الوزير فى الموكب الخلافى الفاطمى « ... ثم

(١) انظر مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول المجلد الرابع • مايو سنة ١٩٣٦ « بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ دولة المماليك للدكتور زيادة »

يأتى حامل الدرق والرمح ... ثم الأكراد والغز المصطنعة وهم البحرية[1] .

ولم تكن فرق البحرية موجودة قبل عهد الصالح أيوب فى مصر فقط ، بل كان يوجد فى أوربا أيضاً فرق حربية جاءت إلى الأراضى الإسلامية وحاربت المسلمين فى الشام وأطلق عليها المؤرخون العرب المعاصرون اسم « الفرنج البحرية » أو « الفرنج الغرب البحرية » فيروى أبو شامة فى مخطوطه « النيل على الروضتين » لوحة ٨ و ٩ حـ ١ « ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وفيها فتح الملك العادل يافا .... ومن عجيب ما بلغنى أنه كان فى قلعتها أربعون فارساً من الفرنج الغرب البحرية فلما تحققوا نقب القلعة وأخذها دخلوا كنيستها وأغلقوا عليهم بابها وتجالدوا بسيوفهم بعضهم لبعض إلى أن هلكوا جميعاً وكسر المسلمون الباب وهم يرون أن الفرنج ممتنعين (صحتها ممتنعون) فألفوهم قتلى عن آخرهم فتعجبوا عن حالهم » .

ويروى أبو شامه فى موضع آخر (حـ ١ لوحة ٥٥) « وفى سنة ٦٠١ هـ تغلبت طائفة من الفرنج البحرية يعرفون بالبنادق على قسطنطينية وأخرجوا الروم منها » . وفى موضع ثالث حـ ٢ لوحة ١٦٧ يذكر أبوشامه « فى سنة ٦٢٤ هـ قدم رسول الأنبرور ملك الفرنج البحرية على المعظم بعد اجتماعه بالكامل يطلب منه البلاد التى كان فتحها عمه صلاح الدين فأغلظ له القول وقال قل لصاحبك ما أنا مثل العزيز ما له عندى إلا السيف » .

ويروى ابن واصل فى مخطوطه « مفرج الكروب » حـ ١ لوحة ١٥٠ « سنة ٥٩٩ هـ خرج جمع من الاسبتار من حصن الأكراد والمرقب ومن وصل من الغرب وأغاروا على بلد بعرين وعدتهم خمسمائة فارس ..... فبلغ الملك المنصور (صاحب حماة) ذلك فخرج إليهم والتقاهم فكسرهم كسرة عظيمة وقتل منهم مقتلة كبيرة وكان من جملة القتلى ..... وقومص من البحرية وانهزم الباقون لا يلوون على أحد » .

فلفظ بحرية إذن لم يكن جديداً على مصر حينما أنشأ الملك الصالح أيوب فرقته البحرية بل كان لفظاً عاماً أطلق على المسلمين والمسيحيين على السواء .

(١) النجوم الزاهرة حـ ٤ ص ٩٠ .

تبقى أمامنا المشكلة الأخيرة وهى لماذا سميت هذه الفرق بالبحرية ؟

للاجابة على هذا السؤال يجب أن نشير أولا إلى خطأ الفكرة الشائعة بأن لفظ بحرية يرجع إلى بحر النيل الذى كان يحيط بثكنات فرقة البحرية الصالحية بجزيرة الروضة ، فهذه النسبة لم يذكرها المؤرخون المعاصرون بتاتاً أمثال ابن واصل وأبى شامة ، هذا فضلا عن أن وجود هذا الاسم منذ العهد الفاطمى فى مصر ينفى هذا الزعم نفياً باتاً .

وأغلب الظن أنهم سموا بحرية لأنهم جاءوا من وراء البحار فيروى الجنرال جوانفيل أحد قواد حملة الملك لويس التاسع على مصر (١٢٤٩ – ١٢٥٠ م) فى كتابه « تاريخ حياة سان لوى » العبارة التالية يعرف بها البحرية الصالحية :

They were called bahriyya or menfrom[1]

أى أنهم كانوا يسمون بحرية أو رجال ما وراء البحر Ouerseei,

والجنرال جوانفيل الذى ندين له بالكثير فى تفاصيل هذه الحملة فى كتابه المذكور ، قد حارب المماليك البحرية الصالحية وأسر عندهم وتحدث إليهم ، فروايته لها قيمتها بصفته رجلا معاصراً وشاهداً عياناً . وإذا علمنا أن المماليك البحرية زمن الأيوبيين والمماليك كانوا عبارة عن فئة من الغرباء والأجانب الذين جلبوا من أسواق النخاسة بالقوقاز وآسيا الصغرى وشواطىء البحر الأسود تأيدت لدينا عبارة جوانفيل السالفة الذكر .

من كل ما تقدم نرى أن لفظ بحرية فى العصور الوسطى كان لفظاً عاماً أطلقه المسلمون والمسيحيون على الرجال الآتين من وراء البحار .

أحمد مختار العبادى
أمين مكتبة كلية العلوم بجامعة فاروق الأول

## نجم يهوى .

فى موجة من موجات الجنون قذف نجم بنفسه من سمائه العالية وهوى إلى أعماق البحر المظلمة ...

(١) The History of St. Louis by Joinville tr. by Joan Evans p. 84.




**إلى العاتبين على الأستاذ الزيات :**

لقد ظلمتم الأستاذ ، فما ( هجع قلمه وسط الأحداث التى توقظ النيام ) ، ولا ( آثر السكوت ابتغاء الراحة والاستجمام ) وما زال هـذا القلم المعضب سيف الحق فى كل مكان ، وعَلَم البلاغة ومنار البيان ، ولـكنها عزلة المرض ، شفى الله الأدب بشفائه ، وأقر بصحته عيون قرائه .

( على )

---

حملقت ملايين النجوم فزعة مُروعة وهى تشاهد هالة من الضوء تغيب فى هذا الفضاء المطلق فى لحظات معدودات ...

لقد اندفع النجم إلى أعماق المحيط ذات القاع الصخرى وانتثر هناك مع نجوم لاقت مصيره من قبل وابتلع البحر نورها مثله .

ماذا كان سبب مأساة هذا النجم الهادى ...

أنا وحدى أعرف الجواب .

أنا وحدى أعرف ماذا كان يُبْليه ويُمنيه أثناء إشراقه ولمعانه .

إنه دفع ثمن لمعانه المستمر وكفّر عن تلألـئه الدائم ... مثله كـمثل قطعة من الفحم الحىّ تضحك وتبين عن ثناياها لتُخفى ظلمتها وسوادها ، وكلما زاد تلألؤها ازدادا احتراقها وهكذا ضحك النجم وتوهج نوراً ، وحينما لم يستطع أن يتحمل آلام الاحتراق هوى من سمائه .

من مملـكة الضوء إلى ظلمات الأمواه .

ملايين من النجوم أبصرت النجم السـاقط وضحكت فى سخرية قائلة .

« إننا لم نخسر شيئاً . فلا تزال السماء منيرة كما كانت من قبل » .

( عن طاغور ) **إبراهيم أبو الفتـوح يوسف**
المدرس بدار المعلمين ببغداد

**فصة الروح :**

تمثل الأستاذ عثمان طه شاهين فى مقاله فى مجلة الرسالة العدد ( ٧١٣ ) بهذه الأبيات :

إذا الشعب يوماً أراد الحياة ... فلا بد أن يستجيب القدَرْ
ولا بد لليل أن ينجلى ... ولا بد للقيـد أن ينكسِر

وهى من المتقارب فى ضربه المحذوف ، غير أن البيت الثانى لحق به خطأ عروضى هو « إسناد التوجيه » وذلك بتغيير حركة الحرف قبل الروى المقيّـد من فتحٍ إلى خفض ، وهو منصوص على خطئه فى قوانين العروض والعروضيين .

( الزيتون ) **عدنان أسعد**

**نشر ديوان الشريف الرضى :**

يتمتع الشريف الرضى بمكانة مرموقة بين فحول شعراء الأدب العربى ؛ وديوانه يعد من النمط العالى . فناً ، وصياغة ؛ وحجا ؛ وطبعاته مع ندرتها بين القراء الآن تشوبها شوائب التحريف الطاغى عليها ؛ وتمتورها الأغلاط اللغوية المنتشرة ؛ وكان يحز فى نفس كل من له اشتغال بالدراسات الأدبية ؛ أن يظل ديوان الشريف الرضى ينوء تحت عبء الإهمال ، ويعانى هذا الإجحاف ؛ وقد قام العالم الباحث الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد بإخراجه إخراجاً علمياً دقيقاً ؛ وشرح ألفاظه وصور المعنى الإجمالى للبيت ؛ وتلافى ما فيه من تأريخ لا يتفق والحقائق التاريخية الثابتة ؛ ورقم القصائد بأرقام مسلسلة ؛ ورقم أيضاً القصيدة بأرقام مسلسلة ؛ وقدم صدر بمقدمة طويلة جيدة ؛ تناول فيها فن الشاعر وعصره ؛ وخصائصه الشعرية ؛ وقد قسمه إلى أربعة أجزاء ؛ وتعهدت نشره « دار عيسى الحلبى » وهى تعد من أرقى دور النشر فى الشرق ؛ فجاء تحفة فنية فى الإخراج ؛ وآية رائعة فى الطبع ؛ وقد أوشك الجزء الأول أن يكون بين أيدى القراء .

**محمد عبد الحليم أبو زيد**

**حول التنبؤ للأطفال :**

تفضل الصحفى الكبير الأستاذ اسكندر مكاريوس بالتعليق

على مقالى « اكتبوا للأطفال » وقد أخذ على إشارتى إلى أن هذا النوع من الكتابة لم يعن به فى الشرق إلا منذ عهد قريب وكان على رأس من شقوا أفقه أديبنا الكبير الأستاذ كامل كيلانى بتلك المكتبة الضخمة التى جرت على أدق منهاج واستوفت عناصر الإفادة والإمتاع والتشويق . فالأستاذ الناقد يذكرنى بما كان من جهود بعض المرسلين الأمريكيين وما أصدره هو من مجلة الأولاد وما إليها . وأحب أن أؤكد للأستاذ أنى حين أشرت إلى حداثة العهد بالكتابة للأطفال لم أكن أعنى أن العهود الماضية خلت من مطبوعات فى هذا الصدد . فقد تعلم آباؤنا وتعلم آباؤهم من قبل وكانت بين أيديهم كتب حوت قصصاً (وحواديت) ولكنى كنت أعنى حداثة العهد بمحاولات تربوية موفقة تجارى ما نهدف إليه من آمال فى إنشاء جيل جديد صحيح التنشئة قويت ملكاته الذهنية والنفسية واستقام لسانه على نطق عربى مبين . ولو كنت بصدد تأريخ حركة الكتابة للأطفال أسرد خيرها وشرها ووثباتها وعثراتها لما غادرت شيئاً مما أشار إليه الكاتب الناقد وما أحسبنى لو فعلت ذلك أرضيه .

محمد سيد كيلانى

## نيف . عام :

يجد القارئ فى غلاف مجلة الهلال الغراء (الجزء ٢ فبراير ١٩٤٧ المجلد ٥٥) العبارة الآتية : « أسست دار الهلال منذ نيف وخمسين عاماً ، وكان لها — وما زالت — أهداف ثلاثة : ثقافة — وصحافة — وطباعة » .

لقد استعمل الكاتب الفاضل كلمة (نيف) قبل العقد من العدد والصواب أن يستعملها بعد العقد من العدد . جاء فى أقرب الموارد : (النيف كسيد وقد يخفف : الزيادة يقال « عشرة ونيف » وكل ما زاد على العقد فنيف إلى أن يبلغ العقد الثانى . وعن ابن عباس أن ما حصلناه من أقوال حذاق البصريين والكوفيين أن النيف من واحدة إلى ثلاث والبضع من أربع إلى تسع . ولا يقال نيف إلا بعد عقد يقال « عشرة ونيف ومئة ونيف وألف ونيف » .

واستخدم كلمة (عام) بمعنى سنة والصواب أن يقال : منذ خمسين سنة . قال ابن الجواليق البغدادى : « ولا يفرق عوام الناس بين العام والسنة ويجعلونهما بمعنى . فيقولون لمن سافر فى وقت من السنة أى وقت كان إلى مثله عام وهو غلط والصواب ما أخبرت به عن أحمد بن يحيى قال : السنة من أى يوم عددته إلى مثله والعام لا يكون إلا شتاء وصيفاً . وقال أبو منصور الأزهرى فى التهذيب : والعام حول يأتى على شتوة وصيفة فهو أخص من السنة فكل عام سنة وليس كل سنة عاماً . وإذا عددت من يوم إلى مثله فهو سنة وقد يكون فيه نصف الصيف ونصف الشتاء والعام لا يكون إلا صيفاً وشتاء متوالين » .

(عمان) لطفى عثمان

## تعقيب :

١ — فى مقال « النطق وكيف نشأ » وردت العبارة الآتية : « فالانسان ليس بحيوان ناطق ، كما كانوا يعلموننا فيما مضى . وهو لا يختلف فى شىء من هذه الناحية عن باقى الحيوانات إلا فى الدرجة فقط » وقد فهم الكاتب أن النطق الذى جعله الناطقة فصلا يميز ماهية الإنسان عما عداها هو النطق اللسانى ، فخال ما ذكروه فى حد الانسان باطلا ولغواً من القول . وغاب عنه أنهم يريدون بالنطق التفكير بالقوة أى أن الإنسان خلق متهيئاً باستعداده ومواهبه لأن يفكر ويدرك الكلى من المعلومات وهذه ميزة لا يشركه سواه فيها ، ولم يؤتها سائر الحيوان .

وقد أتى الكاتب من اشتراك اللفظ بين معنييه اللغوى والاصطلاحى . وهذا أحد أركان الوجوه التى توقع فى الخطأ كما نص عليه علماء المنطق .

٢ — فى ص ٢٦٠ فى نقل الأديب وردت العبارة الآتية : « ولهذا قيل للنجد جلساء » وهذا لا شك خطأ من الطبع وصوابه جلْس ؛ فالجلس الأرض الغليظة أو المرتفعة ، والجلساء لفظ غير معروف فى المادة .

٣ — فى ص ٢٦٩ ورد تحت عنوان : « تعليق وتعقيب » أن قطربل اشتهرت بالشمش حتى ذكره البحترى فى قوله :

شربت مشمش قطـــربل وجرّعتنا دقـــل الدسكره
إذا حب فى الكأس مسودّه فكف النديم لها مجبرة

وفى البيتين تحريف كما فى الديوان . فشمش صوابها مشمس ، وهو ضرب من الخمر ، وحب صوابه صب .

محمد النجار
مدرس بكلية اللغة العربية




# أخـــت ...

للأستاذ لبيب السعيد

نظر « صادق » إلى صورة أخته الصبية بقلب يفيض رحمة ويسيل حباً وحنواً . إن صورتها تطالعه بنظرة يراها تشع وداعة وقدساً ، وبسمة ترف له لطفاً وأنساً .

وأراق على الصورة حنين روحه وضراعة فؤاده ، ثم انثنى يفكر ، وإن دموعه لتنحدر على خديه ...

لقد حرمته الوظيفة بيت أسرته فى المنيا : البيت الذى تملؤه هذه الأخت حياة بنشاطها اللطيف ، وجمالا بوجهها الأبلج ، ومتعة بحديثها العذب ... نعم ، وحرمته أن يسعد بالعناية بها عن كثب ، وأن يستوثق فى أصباحه وأمسائه أنها ناعمة فى ظلال العافية ، سابحة فى صفاء النعيم ...

أبداً تتجه روح « صادق » إلى أخته ... لقد تزوج أخواتها اللائى يكبرنها ، ورمى العيش بإخوتها المرامى ، وبقيت هى مع أمها ... أمها فحسب ! فإن أباها قد لحق بآخرته ... وتركها فى سنى الغرارة ، محرومة من ألطاف بره ! ضعيفة ! مستقبلها سر فى ضمير الزمان ...

إن صادق ليناجى أخته على البعد : « لئن مات أبونا يا أختاه ، فأنا مكانه ، وحاشا أن تحسى بعده نقصاً . إن حياتى رخيصة جداً إذا لزمتك ؛ لا تضعفى يا أختاه بل تقوى ، تقوى حتى تستطيعى أن تستطيلى بقوتك عند الاقتضاء على كل قوية نهلت من عطف الأبوة أكثر مما نهلت ! ... إن حياتك يا عزيزتى لن تشاب برغم خطبك فى أبيك بشائبة من هموم الحياة أو كدر العيش . ذرى لى كل هذا فأنا قوى عليه ! » .

ولقد ودع صادق قبل مجيئه إلى الإسكندرية أهله وأحباءه فى المنيا ، غير أخته ، هرب من توديعها ، سافر وهى فى المدرسة ، لأنه يدرك أن الحزن الذى كان سيطالعه من كلماتها ونظراتها أهول من أن يطيقه . ولذلك اكتفى بأن أخذ معه صورة لها من صور الامتحان ، لتكون له زاداً فى غربته ، وانطلق وهو يجاهد فى سد أبواب التفكير المفتحة ...

وعند ما مر القطار تجاه المقابر ، ذكر « صادق » أباه الذى لولا فقده لصح له أن لا يعيد من المخاوف على أخته الناشئة ... وأرسل دعاء قلبه وصلاة نفسه إلى الفقيد الحبيب ، وضرع إلى الله ، وهو ذارف العين متدفق الوجد : يا رب ! أنت بأختى الضعيفة اليتيمة أبر منى وأكرم !!

***

وها هو فى بيته الجديد الذى كأن الوحشة تجثم عليه ، ليس بين كتبه شىء من كتب « عوارف » أخته ، ولا سبيل له إلى مناقشة « عوارف » فى دروسها ، ولا إلى الاستمتاع بإنشائها الذى تمليه خطرات صباها الباكر الطاهر ، ولا رسومها التى تخرج غالباً على حظ من الإحسان ... والصباح يسفر ، فلا يرى ولا يسمع «عوارف» وهى تهيئ نفسها للمدرسة : تسوى شعرها وتجمع كراسات يومها ، وتنظم حقيبتها ، وتصيخ لأبواق السيارات حتى إذا بلغها صوت سيارة المدرسة ، جرت إليها فى خفة العصفورة أو فى لطف القطاة ، متبلجاً بالبشر وجهها الحيى . والمساء يأتى فلا يرى « صادق » عوارف تقبل بصفحتها الآلقة وصوتها الحلو عليه وعلى أمها ، تحدثهما عن يومها ، وتفيض خاصة فى الثناء الذى تلقته من أستاذاتها وأستاذيها ، حتى إذا ما عابثها وهون من شأن مادحيها ومدحهم بدا الغضب والخجل فى انكسار طرفها وتناقص بشاشتها ، فيصالح صادق تواً من لهجته ، ويتجه إليها بكل ما فى قلبه من تقدير لرشدها وحنان عليها ، ويسكب على وجهها الصغير قبلاته ، فتطمئن « عوارف » وتطيب نفساً ، وتشرق فى الحال بسمتها العذبة على ثغرها السعيد .

***

كل حالات « عوارف » يمثلها له الشوق ، فهى لا تفتأ ماثلة أمام عينه بل فى طيات قلبه ... وكأنما الآن خلال ضلوعه من فرط الشوق إليها جمرات تتقد .

ويقف صادق أمام « فاترينات » التاجر فى الاسكندرية ،

فلا يذر شيئاً يمكن أن يفيد أخته أو يسرها على أى وجه إلا اشتراه إنه يريد أن يلبسها النعمي ، وإنه ليتمنى لو كان يقدر أن يحيكها من خيوط قلبه ! وإنه ليشترى لها الحين بعد الحين مجموعات من الكتب ، فإذا لم يلق جديداً يناسبها اشترى لها مصاحف ، فإذا قال له البائع مندهشاً : كفى مصاحف ! عندك الأستامبولى طبعات ، وعندك القاهرى أشكالا ، وعندك التفاسير كلها ، وعندك الكبير الحجم والوسيط والصغير ، همس صادق لنفسه : نعم ... ولكن ليتنى أحشد فى رحاب « عوارف » كل بركة وكل نعمة !!

***

وفى صبح من الأصباح ، وهو يفتح نافذته ، التقت عينه فجأة بعين غادة فى ربيع العمر ، تنشر بعض الملابس فى الشرفة المجاورة ... وتكهرب صادق ! كهربته عين الفتاة المشحونة جاذبية وسحراً ، والتى مست فى مثل ومضة البرق أغلاف قلبه ... وأغضى بصره فى استحياء ، واسترجع جسمه كله من النافذة ... وهو يقول لنفسه : فلا تُدبر !! وما هى إلا هنيهة حتى عاد إلى النافذة وهو لا يدرى لماذا يعود ... ووقف واجم اللسان ولو أنه ناطق الأسارير بكل لذعات الرغبة وكل لهفات الحرمان...

وابتسمت له الجارة ابتسامة متوهجة بنوازع الحياة والشباب فأحس بسمتها تضىء جوانب نفسه ، كما يضىء الصبح للمتململ تحت الظلام ، كما يشرق الأمل القوى على الحيوان ، كما يهز الماء الأرض الهامدة .

ورد الابتسامة مبتهجاً ملتاعاً ، منتبهاً مأخوذاً !!

***

ولما عاد إلى سكنه فى العصر ، كانت تعتلج فى نفسه رغبات تلح فى طلب المفيض ... كان يريد أن يعل من المتعة التى نهل منها مصبحاً ، فاتجه إلى الشباك وهو يناضل الحياء الذى عاش معه منذ نشأ فى المنيا . ولاحظ أن بعض جيرانه يستطيعون رؤيته فى مكانه ، فعدل مصراع نافذته بحيث لا تراه إلا جارته البسامة ، وتذكر أن خادمه العجوز قد فتح عليه الباب فجأة ، فأغلق دونها الباب بالمفتاح ... ونظر ، فرأى فتاته مشغولة بتطريز قطعة قماش مولية ظهرها لشرفتها ، فأراد أن يلفتها إليه ، فلم يجد فى غرفته

المتواضعة غير الفرشاة يقرع بها على سقف طربوشه . ونجح فيما أراد ، فقد التفتت إليه الفتاة سريعاً وانفرج ثغرها الحلو عن بسمات فاتنة عريضة تنطق ضمن ما تنطق به بأنها فطنت لحيلة صادق ، وأنها سعيدة إذ تراه يعنى بها وانتهبت البسمات قلب صادق انتهاباً !..

ووقفت الحسناء بأقرب نوافذها إلى جارها المفتون محتجبة بالستار عن عيون الجيران إلا عينيه الجائعتين ... ومضت تكلمه فى بساطة وألفة ، وسألته فى صوت خفيض ، ويداها وعيناها وشفتاها وجيدها تعينها على الإبانة ... سألته عن منشئه وعمله واستطردت فسألته لماذا لا تتزوج ، فشدهته جرأتها غير المعهودة ولكنه ما لبث أن اعتذر عنها لدى نفسه بأنها تنزل من السذاجة المنزل الذى لا تدرك عنده ما قد يذهب إليه الناس من سوء الظن بها إذا سمعوها تسأل شاباً : لماذا لا يتزوج . وأجابها صادق عن كل أسئلتها فى غير تحرج ؛ وأحس عجبه لجرأتها يستحيل عاجلا إلى رضى عن صراحتها وارتياح لبساطتها .

وامتد حبل الحديث ولم يبق للكلفة ظل بينهما وكأنه وإياها نشآ معاً طفلين فى دد وأمان !

وقال لها مدفوعاً بجنون العاطفة : أيكفينى هذا الحديث ؟ ليتنا نجلس معاً ! ليتنا نسير جنباً إلى جنب ! تدبرى لنا واحتالى !

فأجابت فى رعونة مرحة : الأمر هين ... نذهب إلى سيدى بشر أو المكس ، بل لنبعد إلى الدخيلة .

ولم يكن صادق مستعداً لتلقى مثل هذه الإجابة الجريئة ، فقال فى استغراب : ألا تخافين ؟

— مم ؟

ونظر صادق فوقه وتحته وعن اليمين وعن الشمال ، كأنما يريد أن يقول : من كل شىء فى هذه الجهات ، ولكنها مضت تقول وحركات جسمها كله تساعد على فهم أفكارها : إن فيكتورين جارتنا تقابل جارنا الضابط عند رأس الشارع ، ومن هناك يركبان السيارة إلى كازينو السفينة فى ستانلى ، أو يذهبان إلى « اكسنونون » فى المكس فيتغديان أو يتمشيان . هى حدثتنى بذلك فلنصنع كما يصنعان . وقد حدثتنى فيكتورين أنها ترافق صديقها أحيانا إلى كابينة له فى سيدى بشر ، فلنقلدها ؛ ان الشاطئ الآن

قليل الرواد ، فالفضول فيه قليل ... هكذا لاحظت فيكتورين ...

* * *

وأثار هذا العرض السافر فى نفس صادق ما أثار ، فكله فتن قيام فى الضلوع قعود ...

وقال لفتاته : إستعدى ، وهيأ هو من نفسه ، ووقف تجاهها قبل أن يخرجا ، مشيراً إليها أن تنهج الطريق يساراً ، ويتجه هو يمنة ، ليعميا وجهتهما على الحلاق وبائع السجاير القريبين ، وعلى من يكون فى دكانيهما .

ونزلا مسرعين ، ومضى كل منهما فى طريقه المرسومة ، ثم التقيا بعد دقائق عند محط السيارات ، فركبا إلى الدخيلة ...

* * *

وتحدثت « إغراء » بغير حساب ككل امرأة . وبغير عناء لمس « صادق » ظاهر أمرها ، واستشف باطنه . إن أباها وأمها غالتهما شعوب ، وإن لها لأخاً وحيداً يقتضيه عمله فى أحد البيوت التجارية أن يغيب عنها أغلب النهار وزلفاً من الليل . إنها لطيفة الحديث ، متسعرة العاطفة ، وإن شبابها الظمآن ليحدوها إلى أى منهل يرتوى منه ، وهو فى قهره وسطوته يجعلها تنكب عن ذكر العواقب جانباً ... إن « إغراء » متكلمة وساكتة ، متلفتة وساكنة ، مبتسمة وعابسة جميلة حقاً ، وجمالها فى كل حالاتها يذهب بالقلب مذاهب ... وصادق يراها بنزعاتها وشبابها وجمالها فى قبضته ، وإنه لفرح بها لأنها أول ما كسبت صبوته الوانية ...

وبلغت السيارة غايتها ، فهبط الرفيقان ؛ ونقد صادق قائد السيارة أجره ، ولكنه لم يرد حافظة نقوده إلى جيبه ، بل وقف يتأمل بطاقة فى محتوياتها ... يتأملها فى اهتمام ، منشغلا عما هو فيه .

وصاحت به « إغراء » بعد دقائق مظهرة الملل : ما هذا ؟ فلم يجب ... واتجه بها إلى منضدة فى الكازينو وهو يبتسم لها ابتسامة باهتة يريد أن يستبق بها رضاها ، ويدرأ بها عنها الملل والخجل والدهشة .

وأطرق صادق فترة لا يتكلم ، وصاحبته أمامه مستغربة لا تتكلم ...

إن أخته طالعته بصورتها وهو يفتح حافظة نقوده ، إنها قريباً ستجتاز الصبى إلى الشباب ، وإنها لتناديه فى استرحام عنيف أن يطلق سراح طير اقتحم الشر وما يدرى .. إنها بقدسها تناشده أن لا يتلطخ ، وأن يكون يقظ القلب ...! إنها ترجوه ، بل إنها تؤنبه ! بل إنها تؤدبه ! ... وإن مستقبلها ليتراءى له منادياً : « استح لى ومنى ، وكما تتمنانى تمنى مثلى لكل ضعيفة يتيمة !! ...

وألقى صادق ببصره إلى الأرض خجلان ، وبدا كأنه شيخ زلّ وانفضح زلله . وود صادق لو كانت نيته إنساناً ليلقيه بلا رحمة فى البحر الواسع حوله ، أو ليطوّح به فى الصحراء المترامية الدانية منه ، ليبرأ إلى الله وليجرؤ أن يفكر فى أخته ويناجيها ويتأمل صورتها ، ويلقاها بين حين وحين فيبسم لها وتبتسم له وتتعلق به نخورا ويتعلق بها نخوزاً !

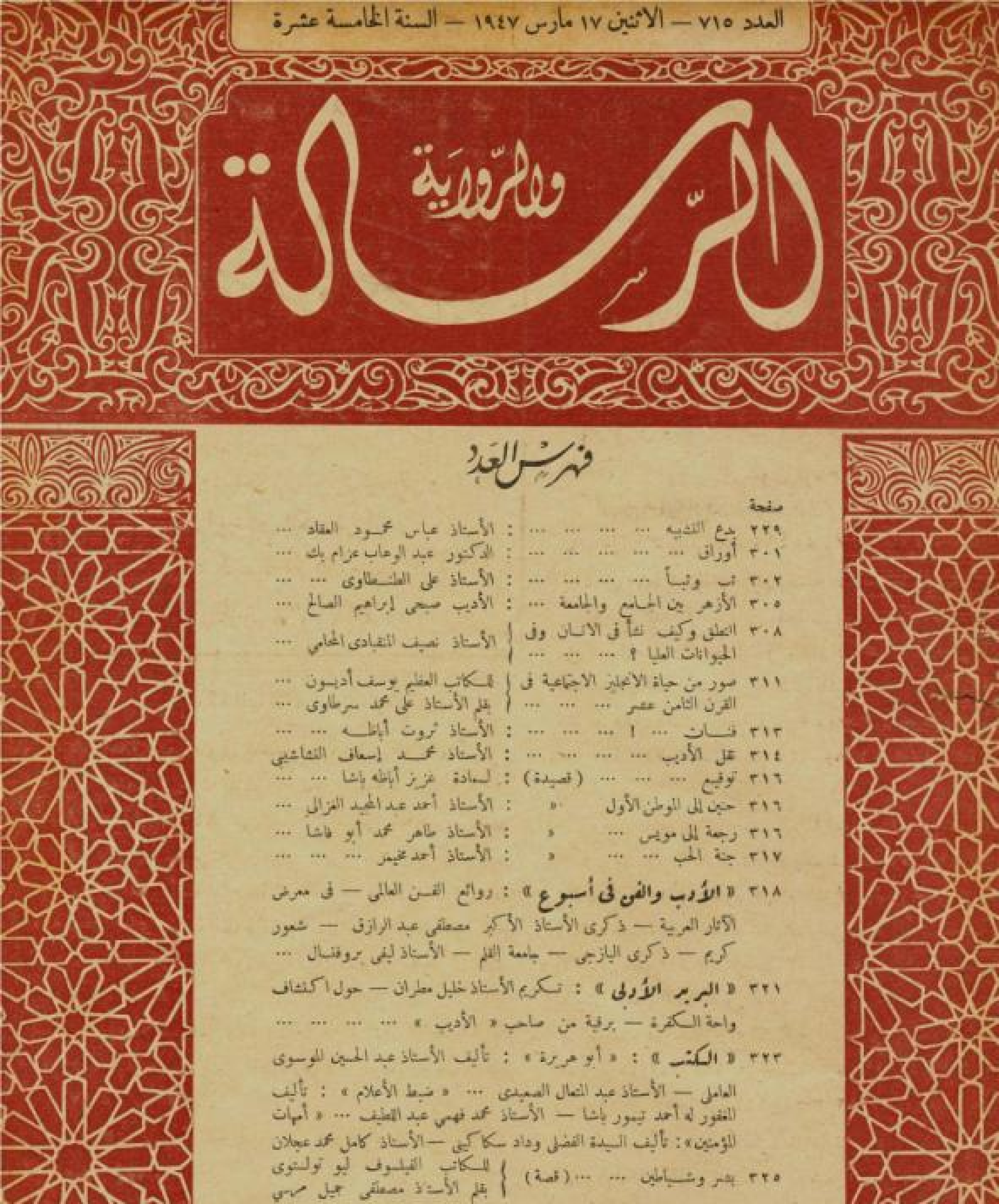
وقطع الصمت أخيراً والدموع فى عينيه ، و « إغراء » أمامه أعداها سكوته ... قطع الصمت بقوله فى جد وعزم قاطمين : فلتعودى إلى بيتك وإلى رشدك ... لقد سوّغ هذا الخاطئ لنفسه أن يذلل لك عنان الشر ، ويتهور معك إلى ما لا يتهور إليه الشرفاء ، فأنقذتك منه صبية ! ...

وأحست « إغراء » وجدان « صادق » فى قوله ؛ أحست مشاعره وسرائره ، فبدت إنسانةً غير التى هى ... لقد ذلت نزعاتها الثائرة ! وسألته فى خشوع ومهابة . فمن هى منقذتى ؟

— إنها أختى !

( القاهرة ) لبيب السعيد

العدد ٧١٥ — الاثنين ١٧ مارس ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة




## فهرس العدد

صفحة

٢٩٩ بدع التشبيه ... ... ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٣٠١ أوراق ... ... ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام بك ...
٣٠٢ نبأ ونبأ ... ... ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ...
٣٠٥ الأزهر بين الجامع والجامعة ... : الأديب صبحى إبراهيم الصالح ...
٣٠٨ النطق وكيف نشأ فى الإنسان وفى الحيوانات العليا ؟ ... ... ... : الأستاذ نصيف المنقبادى المحامى ...
٣١١ صور من حياة الانجليز الاجتماعية فى القرن الثامن عشر ... ... ... : للكاتب العظيم يوسف أديسون ... بقلم الأستاذ على محمد سرطاوى ...
٣١٣ فتات ... ! ... ... ... : الأستاذ ثروت أباظه ... ...
٣١٤ ظل الأديب ... ... ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
٣١٦ توقيع ... ... ... (قصيدة) : لسعادة عزيز أباظه باشا ... ...
٣١٦ حنين إلى الوطن الأول « : الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى ...
٣١٦ رجعة إلى موسى ... « : الأستاذ طاهر محمد أبو فاشا ...
٣١٧ جنة الحب ... ... « : الأستاذ أحمد مخيمر ... ... ...
٣١٨ « **الأدب والفن فى أسبوع** » : روائع الفن العالى — فى معرض الآثار العربية — ذكرى الأستاذ الأكبر مصطفى عبد الرازق — شعور كريم — ذكرى اليازجى — جامعة القلم — الأستاذ ليفى بروفنسال ...
٣٢١ « **البريد الأدبى** » : تكريم الأستاذ خليل مطران — حول اكتشاف واحة الكفرة — برقية من صاحب « الأديب » ... ... ... ...
٣٢٣ « **الكتب** » : « أبو هريرة » : تأليف الأستاذ عبد الحسين الموسوى العاملى — الأستاذ عبد المتعال الصعيدى ... « ضبط الأعلام » : تأليف المغفور له أحمد تيمور باشا — الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ... « أمهات المؤمنين » : تأليف السيدة الفضلى وداد سكاكينى — الأستاذ كامل محمد عجلان
٣٢٥ بشر وشياطين ... ... (قصة) : للكاتب الفيلسوف ليو تولستوى بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧١٥ — الاثنين ١٧ مارس ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة




فهرس العدد


صفحة

٢٢٩ بدع التشبيه ... ... ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...

٣٠١ أوراق ... ... ... ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام بك ...

٣٠٢ ثب وثبا ... ... ... ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ...

٣٠٥ الأزهر بين الجامع والجامعة ... : الأديب صبحى إبراهيم الصالح ...

٣٠٨ النطق وكيف نشأ فى الانسان وفى الحيوانات العليا ؟ ... ... : الأستاذ نصيف المنقبادى المحامى ...

٣١١ صور من حياة الانجليز الاجتماعية فى القرن الثامن عشر ... ... : للكاتب العظيم يوسف أديسون — بقلم الأستاذ على محمد سرطاوى

٣١٣ فنان ... ! ... ... ... : الأستاذ ثروت أباظه ... ...

٣١٤ نقل الأديب ... ... ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

٣١٦ توقيع ... ... ... (قصيدة) : لسعادة عزيز أباظه باشا ... ...

٣١٦ حنين إلى الموطن الأول « : الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى ...

٣١٦ رجعة إلى مويس ... « : الأستاذ طاهر محمد أبو فاشا ...

٣١٧ جنة الحب ... ... « : الأستاذ أحمد مخيمر ... ... ...

٣١٨ « الأدب والفن فى أسبوع » : روائع الفن العالمى — فى معرض الآثار العربية — ذكرى الأستاذ الأكبر مصطفى عبد الرازق — شعور كريم — ذكرى اليازجى — جامعة القلم — الأستاذ ليفى بروفنسال ...

٣٢١ « البريد الأدبى » : تكريم الأستاذ خليل مطران — حول اكتشاف واحة الكفرة — برقية من صاحب « الأديب » ... ... ... ...

٣٢٣ « الكتب » : « أبو هريرة » : تأليف الأستاذ عبد الحسين الموسوى العاملى — الأستاذ عبد المتعال الصعيدى ... « ضبط الأعلام » : تأليف المغفور له أحمد تيمور باشا — الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف ... « أمهات المؤمنين » : تأليف السيدة الفضلى وداد سكاكينى — الأستاذ كامل محمد عجلان

٣٢٥ بشر وشياطين ... ... (قصة) : للكاتب الفيلسوف ليو تولستوى — بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى


٢٨٠٢٢

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

## محكمة المنيا الابتدائية الأهلية

اعلان بيع عقار فى القضية نمرة ١٩٨ سنة ١٩٤١ كلى

بجلسة المزايدات المزمع انعقادها علنـا بسراى المحكمة فى يوم ١٥/٤ سنة ٩٤٧ . من الساعة ٨ افرنكى صباحا .

سيبـاع بطريق المزاد العلنى ٤س١٩ط٢ف فدانين وتسعة عشر قيراطا وأربعة أسهم أطيان كائنة بزمام ناحية منشاة المغالفة مركز ملوى مديرية اسيوط ملك الست خديجة فرغل محمود عمار بنت فرغل محمود عمار محمود من ناحية منشـة المغالفة مركز ملوى مديرية أسيوط .

بيان الأطيان من واقع قائمة الرهن وكشف التحديد ١٥ط خمسة عشر قيراطا ضمن القطعة رقم ٢٤ بحوض أبو سبعة نمرة ١٧ محدودة كالآتى .

البحرى ورثة اسمـاعيل نصر نمرة ٥٦ بحوض نمرة ١٦ بطول ١ ١٨/٢٤ قصبة .

الشرق محمود رضوان وآخرين نمرة ٢٥ بحوض بطول ١٢٠ قصبة والقبلى خديجة بنت فرغل المطالبة ضمن القطعة بطول ١ ١/٢٤ قصبة الغربى جزء بعضه منزوع ملكيته لجسر مصرف كبكب عمومى نمرة ٣ وبعضه رمضان ابراهيم ضمن القطعة بطول ١٢٠ قصبة ١٦س ٥ط ١ف ضمن القطعة رقم ٥ بحوض حليقة رقم ٢٩ محدودة كالآتى .

البحرى محمد خيرالله رقم ٤ بحوضه بطول ١١٠ قصبة والشرق هاشم عبد الموجود وآخرين ضمن القطعة بطول ٣ ١٩/٢٤ قصبة والقبلى نصيحة بنت فولى ضمن القطعة بطول ١٠٦ قصبة الغربى جسر مصرف كبكب عمومى نمرة ٣ بطول ٣ ٣٠/٢٤ قصبة ١٢س ٢٢ط اثنين وعشرين قيراطـا واثنى عشرة اسهم ضمن القطعة نمرة ٢ بحوض الحرنة نمرة ٣١ محدودة كالآتى .

البحرى محمد أحمد بدران ضمن القطعة بطول ٩٦ قصبة .

والشرق ورثة محمد حسن على نمرة ١٧ بحوض نمرة ٢٢ بطول ٣ ١/٤ قصبة

القبلى محمد رضوان وآخرين نمرة ٣ بحوض بطول ٩٦ قصبة الغربى اصمى ابراهيم نمرة ٤٦ ونمرة ٤٧ بحوضه نمرة ٢٠ بطول ٣ ١/٤ ٤ س ١٠ ط ٢ف فقط فدانين وتسعة عشر قيراطا وأربعة أسهم

ويتبع هذه الأطيان من ملحقات وما استجد وما يستجد من الاصلاحات والتحسينات والمباني والأشجار وحلافه وذلك بعد استبعاد السبعة عشر قيراطا المبين بنشرة البيع السابقة مؤقتاً والمرفوع عنها دعوى استحقاق من محمد أحمد محمود لحين الفصل فيها

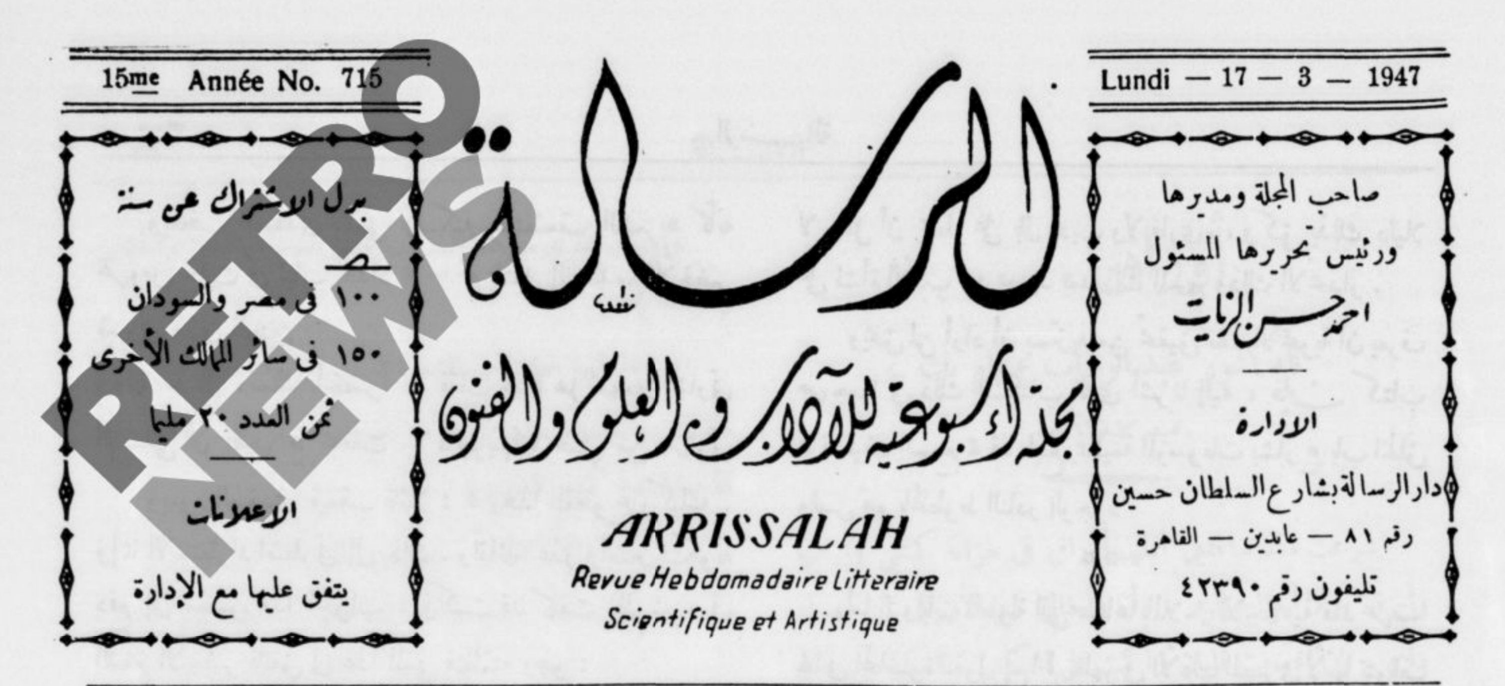
وذلك وفاء لسداد مبلغ ٦٢٨م ر١١٨ج بخلاف الفوائد والمصاريف وما يستجد منها .

وهذا البيع بناء على طلب البنك العقارى الزراعى المصرى الـكائن مركزه بالقاهرة بشارع جامع شركس رقم ١١ والذى يمثله حضرة صاحب العزة عـلام بك محمد رئيس مجلس ادارته وعضوه المنتدب ومتخذا له محلا مختارا ببنى سويف مكتب حضرة الأستاذ حسن افندى اسماعيل المحامى وبالمنيا مكتب حضرة الأستاذ حسن محمود الحينى المحامى .

وبنـاء على حكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة بتـاريخ ٢٥/١٢/١٩٤١ فى القضية نمرة ١٩٨ سنـة ١٩٤١ ومسجل بقلم كتابها نمرة ١١٤ فى ٤/١/١٩٤٢ ومودع مع باقى الأوراق بقلم كتاب المحكمة لاطلاع من يرغب على شروط البيع وسيكون البيع قسما واحدا وبثمن أساسى وقدره ٢٤٣م ٢٥٥ج بعد تنقيص الخمس عليه ١/١٠/١٩٤٦ فنعلن بذلك .

فعلى راغب الشراء الحضور وعلى قلم المحضرين الصاق نسخ هذا بالمحلات القانونية حسب القانون .

كاتب البيوع


15me Année No. 715 — Lundi — 17 — 3 — 1947

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧١٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ ربيع الثانى سنة ١٣٦٦ — ١٧ مارس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

# بدع التشبيـــــه ...

للأستاذ عباس محمود العقاد

جاءنى خطاب من « مستفسر » يسألنى فيه بعض التوضيح لمسألتين عرضت لهما فى محاضرة عن « الأدب المصرى بين حربين » ألقيتها فى نادى خريجى القسم الإنجليزى بالجامعة المصرية . وهما بدعة التشبيه والروايات التى تسمى بالملاحم الاجتماعية .

أما بدعة التشبيه فقد كانت مناسبة الكلام فيها أن أدباء الصناعة كانوا يحسبون الوصف فرصة لاختلاق الأشباه التى لا أصل لها فى الطبيعة ولا فى إحساس الشاعر . فكان الشاعر يصف الدمع الأحمر لأنه استنفد ماء شئونه فجرى الدمع من دم مآقيه ، فيأتى بعده من يعارضه بوصف الدمع الأخضر أو الدمع الأسود أو الدمع الأصفر إلى غير ذلك من الألوان التى لم تشاهد قط فى عين إنسان .

فن تعليلاتهم لاحمرار الدمع قول الأرجانى :

دنون عشـــية التوديع منى ... ولى عينان بالدم تجريان
ولم يسحن إكراماً جفونى ... ولـكن رمن تخضيب البنان

فالدمع هنا نوع من صبغة الأظافر أو صبغة الأنامل التى تقابل « المانيكور » فى هذا الزمان .

ولـكنه عند ابن سناء الملك انعكاس لون الخدود :

لا تحسبوا أنى بكيت دماً ... ولئن بكيت فليس بالبـدع
لـكن دمى حين قابـــله ... ألقى شعاع الخد فى الدمع

وكذلك هو عند الباخرزى حين يقول :

شكوت الذى ألقى سهاداً وعبرة ... وقلت احمرار الدمع يخبر عن وجدى
فقال محال ما ادعيت وإنمـــا ... سرقت بعينيك التورد من خدى

أما ابن الساعاتى فالدمع عنده مطر ، والمطر من البرق ، والبرق كالصفائح الدامية ... فلا عجب أن تجرى الدموع بلون الدماء كما قال :

سلوا بالحمى أين الظباء السوانح ... وهل ظل بعدى بانه المتناوح
جرى ماء عينى يوم كاظمة دماً ... فأعلمنى أن البروق صفائح

وتتحول المسألة إلى أنبيق تقطير عند يوسف بن لؤلؤ الذهبى فيقول :

قالوا تباكى بالدموع وما بكى ... بدم على عيش تصرم وانقضى
فأجبتهم هو من دمى لـكنه ... لما تصعّد صار يقطر أبيضا

وإلى هنا تنحصر المشابهة فى الدمع والدم وهما فى بنية الإنسان وفى تركيب العيون .

إلا أنها لا تنحصر فيهما طويلا حتى يعرض لحلها خليل ابن إيبك الصفدى شارح لامية العجم فيروى فى كتابه « تشنيف السمع بانسكاب الدمع » أن الدمع يسودّ كما قال بعضهم :

وقائلة ما بال دمعك أسودا ... وجسمك مصفر وأنت نحيل
فقلت لها أفنى جفاؤك مدمعى ... وهذا سواد المقلتين يسيل

ويعجب الصفدى بالمعنى ولكنه يستضعف الشعر « كأنه عروس جليت فى ثياب حداد » ... ثم ينتقل إلى الدمع الأخضر فيروى هذين البيتين :

وقائلة ما بال دمعك أخضرا فقلت لها : هل تفهمين اشارتى
ألم تعلمى أن الدموع تجففت فأجريتها يا محنتى من مرارتى

ويعود الصفدى فيعقب قائلا : « وهذا المقطوع ركيك . وإنما الاستطراد اضطرنى إلى ذلك . ولقائله عذر واضح لكونه دفع إلى مضيق هذا الجواب ، وكنت قد كلفت نظم شىء فى الدمع الأخضر فاتفق لى هذا المعنى فنظمته وهو :

يقول عذولى ما لدمعك أخضرا
جرى فى هوى ظبي غلا فى نفاره
فقلت صفا دمعى وقابلت صدغه
فأبصرب فيه لون آس عذاره

وتبرعت بالنظم فى الدمع الأصفر فقلت :

وقائلة ما بال دمعك أصفرا فقلت لها ما حال عن أصل مائه
ولكن خدى اصفر من سقم الهوى
فسال به والماء لون إنائه

وهكذا كانوا يفهمون الوصف على أنه مناسبة لاختلاق التشبيهات التى لاوجود لها فى الحس ولافى الطبيعة ، ولايشبهون لتقريب المحسوسات إلى العاطفة أو الخيال .

فلما خلص الشعر من أوهاق الصناعة بطل هذا الاختلاق وأعقبته محاولة التشبيه للتقريب وصدق التمثيل . وهذه خطوة تقدم لا شك فيه ... فلا يقدح فى هذا التقدم أن يكون السابقون أبرع من اللاحقين فى اصطياد التشبيهات وتمحل المناسبات . فإن الذى يعمد إلى التشبيه لأنه يحس ويتخيل خير من الذى يعمد إليه لأنه يعرض براعته فى التلفيق والاختلاق ، وإن قصر الصادق عن المختلق فى ظواهر التشبيه .

عرضت لهذا التطور فى سياق الكلام على نهضة الشعر الحديث بعد هبوط الصناعة به إلى ذلك الحضيض . فبلغ من دهشة السامعين أن طالباً أزهرياً منهم ظن أننى وضعت هذه الشواهد من عندى لتمثيل تلك النزعة واستبعد أن يجد شاعر فى نظم تلك السخافات . فأرضانى منه هذا الشك لأنه كان من أدل الدلائل على ارتقاء الأذواق وتطور الأفهام . فما كان براعة يتسابق إليها الأدباء قبل بضعة قرون أصبح فى زماننا هذا سخفاً لا يعقل أن يخطر على بال أديب ولا قارىء ، وكفى بذلك دليلا على نشأة الأدب من جديد بعد ذلك المسخ وذلك الانحدار .

ويحق لمن أراد أن يستزيد من تحقيق تلك الأعجوبة أن يعرف مرجعها فى ذلك الكتاب الذى أشرنا إليه ، فإن كتاب « تشنيف السمع » قد طبع بمطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق وليس هو بالمخطوط النادر الوجود

***

أما الروايات المطولة التى سميناها بالملاحم الاجتماعية فقد عرضنا لها فى المحاضرة لنقول إنها لم تظهر فى الأدب المصرى لأنها تتوقف على قيام المشكلات الاجتماعية التى تدور عليها . وستظهر فى حينها متى ظهرت موضوعاتها وظهر أبطالها وذوو « الشخصيات » التى تؤدى أدوارها فى الحياة

وقد خطر لبعض السامعين أن يناقش هذا الرأى لأنه أخطأ فهم العنوان وأخطأ فهم التطبيق .

فقد حسب أن القصة التى تسمى بالملحمة Epic وقف على موضوعات كموضوعات الإلياذة وما إليها ، أو أنها مقصورة على معارك الحروب وبطولة القتال .

وليس لذلك مسوغ من أصل الكلمة ولا من تطبيقها فى الروايات .

فإن الكلمة اليونانية لاتشير فى أصلها إلى حرب ولا أسطورة إلهية . ولا تتجاوز معنى الأقصوصة أو الأنشودة .

وتطبيق هذا العنوان القديم لا يستلزم حصر الملحمة فى الأساطير لأن رواية موتلى عن الجمهورية الهولندية تحسب من الملاحم وهى تدور على وقائع التاريخ .

وهو لا يستلزم حصر الملحمة فى المعارك الحربية لأن « الكوميدية الإلهية » ملحمة وليست هى من روايات المعارك الحربية ، ولو جاز الأخذ بالقشور لما جازت تسميتها بالكوميدية ولا « بالأوبى » على هذا الاعتبار .

وإنما تطلق الملحمة فى عصرنا وقبل عصرنا على كل قصة مطولة تدور على موضوع فخم من موضوعات البطولة والعظمة ، وهى من ثم صالحة لأن تظهر فى كل زمان متى ظهر الموضوع الذى تدور عليه ، وليس من الحتم أن تقف بعد عصر هوميروس أو عصور الأساطير .

عباس محمود العقاد

# أوراق . . .

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

شرعت منذ ساعتين أقلب أوراق فى خزانة كتبى وأرتبها وأمزق ما لا أحتاج إليه . وأنا وأمثالى من الأوراق فى جهاد دائم . إن أغضيت قليلا تراكت على المكتب والكراسى وكان منظرها همًّا ، والتفكير فيها ألماً ، ونغّصت علينا العمل . فلا بد أن يتعهد الإنسان أوراقه بين الحين والحين وإلا غلبته وتراكت حوله تراكم الهموم .

وفى طبعى إلف يدعونى إلى الاحتفاظ بأوراق لا غناء فيها ، وكلما طال عليها الزمن ، وبعد العهد بما فيها زادت قرباً إلى نفسى ، وحباً إلى قلبى ، وعزّت علىّ عزة الذِكَر القديمة ، والحوادث التى تؤرخ الحياة الماضية .

وقد عثرت — وأنا ماض فى نقد الأوراق وتمزيق بعضها ، وقد غلبنى التعب والملل فهان علىّ تمزيق أوراق ضننت بها زمناً طويلا — على ظرف فيه وريقات شتى فجلست بها أقلبها وأتسلى بذكرياتها . فإذا هذه الوريقات تمثل تقلب الإنسان فى هذه الدنيا بين أعمال مختلفة ، وشواغل شتى . إن جمع بعضها إلى بعض كانت مفارقات مضحكة أو عظات مبكية .

هذه الوريقات فى هذا الظرف الصغير ترجع إلى سفرى إلى تركيا قبل تسع سنوات :

فهذه أبيات فيها كتب تركية فى موضوعات شتى ومعها بيان أثمانها . بين هذه الكتب نسخة عربية مخطوطة من أمثال الميدانى ، ونسخة جليلة من كتاب المثنوى أغلب الظن أنها كانت فى يد العالم الشاعر الصوفى العظيم الشيخ عبد الرحمن الجامى . ذكرتنى هذه الورقة بمجالس لى عند الورّاقين فى حىّ بايزيد من أحياء اسطنبول ، وهو أحب أحيائها إلى نفسى .

وورقة أخرى فيها أسماء أربع عشرة من خزائن الكتب فى هذه المدينة العظيمة اسطنبول وقد دخلتها كلها ونعمت بالقراءة والبحث عن الكتب القيمة فيها .

وأوراق أخرى من هذا الضرب الذى شغلنا فى السفر والحضر. واليقظة والنوم .

وورقة فيها قطع من الشعر التركى خطها أديب عالم تركى ظفرت بصحبته فى تلك الرحلة هو المرحوم فريد بك . وكان رحمه الله متشائماً كثير السخرية .

ومن هذه الأبيات وأحسبها من نظمه :

كچدى دنيادن آدا ملق دوره سى
اعتماد إيت كل بد قول راجح
شمدى حيوانلقده درفيض ورواج
روح إنسانية الفاتحة

وترجمتها :

مضى من الدنيا دور الإنسانية . اعتمد على هذا القول الراجح والحيوانية الآن فى فيض ورواج . فلروح الإنسانية الفاتحة .

وبعدها ورقة فيها بيان بكتب مخطوطة قديمة محلاّة رأيتها عند واحد من ولاة الترك السابقين . ورأيت كيف يعتز بها ، ولسان حاله يقول :

وقد تخرج الحاجات يا أم عامر كرائم من ربّ بهن ضنين

ثم ورقة تذكر بزيارتى بيت الشعب فى أنقره وما لقيت هناك من رجال وآراء وتحف وآثار .

وبطاقة فيها ذكر كتب وآثار رأيتها فى مدينة قونية حينما زرت ضريح جلال الدين الرومى ، ودار المولوية التى صُيّرت اليوم متحفاً . وكم لى فى دار المولوية من وقفات ، وعظات . وكم لها فى النفس من ذكريات .

وصورة صغيرة لرجل كريم رافقته فى طريق من اسكيشهر إلى قونية وسايرته فى قونية ساعات لحفظ الودّ ، وأهدى إلىّ صورته وعلى ظهرها كلمة تعرب عن أخوته وصداقته . وتاريخها ١٣ أيلول سنة ١٩٣٧ ، وقد افترقنا ولم يعلم أحدنا عن صاحبه من بعد شيئاً . ورحم الله حافظا الشيرازى . يقول :

« اغتنم الصحبة فاننا حين نفترق من هذا المنزل ذى الطريقين لا نستطيع أن نلتقى أبداً » .

وكل منازل هذه الحياة ذات طريقين بل طرق . إن افترقت بالمجتمعين لم يكونوا من اللقاء على يقين .

# ثب وثبـا ...

للأستاذ على الطنطاوى

كان أبى رحمه الله يوقظنى كل غداة لأصلى الصبح ، يناديني فأجيبه والنوم فى عينى أقول :

— حاضر . سأقوم حالا .

— فيقول : لا تتراخَ . ثب وثباً .

فأتراخى وأتـكاسل ، ثم أتناوم فلا أردّ ، أو أردّ ولا أقوم ، حتي يملّ منى فيدعنى . وتوفى أبى ، وكبرت ، وقرأت الـكتب وجالست العلماء ، وخبرت الدنيا ، وجربت الأمور ، فلم أجد تجربة أجدى ، ولا كلة أنفع ، ولا موعظة أعظم أثراً فى المعاش والمعاد ، والأفراد والجماعات . من كلة أبى تلك : « ثب وثباً » لو أن الله جلّت حكمته مدّ فى أجله قليلا حتى يعوّدنى العمل بها ، والسير عليها ، ولم تخترمه المنية وأنا صغير لم أتمرس بعد بحرب الشيطان ولم أستكمل المدة لدفع أذاه ، وردّ كيده عنى ، فلبثت فى نضال معه إلى اليوم ، أغلبه حينا ، ويغلبنى ، لمنة الله عليه ، فى أكثر الأحيان .

تدوّى هذه الـكلمة فى أذنى كل صباح ، فأسمع منها صوت أبى يقول لى : « قم إلى الصلاة ؛ فالصلاة خير من النوم ، وبكِّر فالبركة فى البكور » فيقول الشيطان : « الوقت فسيح ، والنوم لذيذ ، والفراش دافىء ، والجو بارد » ولا أزال بين داعى الواجب وداعى اللذة ، أفـكر فى متعة الصلاة وثواب الآخرة ، فأتحفز للقيام وأتصوّر مشقة الوضوء ، وبرد الماء ، فأنقلب من جنب إلى جنب . ولا تزال نفسى بينهما كنوّاس[1] الساعة ، تتردّد بين : « قم » و« نم » حتى تطلع الشمس ويفوّت الشيطان علىّ الصلاة ، ويضيّق علىّ الوقت ، فآكل طعامى لقمة بالطول ولقمة بالعرض ، ولقمة تعترض فى صدرى فأغصُّ بها ، وألبس ثيابى جورباً على الوجه وجورباً على القفا ، وعقدة مائلة وقميصاً أعوج ، وأنسى من عجلتى

(١) النواس : رقاس الساعة . وفى المعاجم : ناس تذبذب متدلياً . ومنه قولهم : له ذؤابتان تنوسان على كتفيه .

---

وبيدى الآن صفحة كتبت بخط نسخى جميل وباللغة التركية وهى رسالة من أحد أدباء الترك إلى آخر يعرب عن تحسره على الشاعر الـكبير الصديق المرحوم محمود عاكف . ولست أتذكر الآن المنشىء ولا الـكاتب .

وهى صحيفة جديرة أن تترجم إلى العربيـة وتنشر تجديداً لذكرى شاعر الإسلام عاكف الذى سعدنا بصحبته فى مصر سنين .

وهاتان ورقتان نشرتهما فإذا أبيات لى فى وصف دمشق وإحدى ذكرياتها مسطورة بالرصاص وللمداد فيها إصلاح وتغيير كالتمثال لا يزال يعمل فى جوانبه إزميل النحات ، وأول الأبيات :

دمشق يا قرّة العيون وبسمة الفؤاد والجبين
لله يوم خلست فيـه ساعاً من الدهر ذى الشجون
دخلت خلف العصور داراً عاد بهـا غابر السنين
رأيت تاريخنـا تجلى يفيض بالشعر والفنون الخ

وهى أبيات كثيرة وصفت فيها داراً قديمة من دور دمشق ذات الحدائق والنوافير والنقوش والزخارف التى تمثل تاريخنا يوم كنا نبنى بأيدينا وعقولنا لأنفسنا قبل أن نسلب الاستقلال فى كل شىء ، و نمنى بالتقليد فى كل شىء .

وآخر الأبيات :

خرجت منها يقـول قلبى للرجْـل : بالله أنـظرينى

ومن الأوراق كتاب من النادى العربى فى دمشق يتضمن شكرى على محاضرة ألقيتها فيه موضوعها : النهضة العربية .

وأوراق غير هذه فيها حساب الفنادق . ومالى وللحساب .

هذا ظرف صغير نشرتُ منه هذه الذِكَـر كلها ، وقد مضت عليها تسع سنين وكأنما وقعت أمس .

وكل حياتنا ملأى بالوقائع ، والفِكر والعِبر ولـكنها تمر سريعة مرّ الزمان . ويُنحى عليها الزمان المحّـاء بالمحو والنسيان . فهل من مُدّكر .

أثارت هذه الوريقات ذكريات فى نفسى ، تتصل بها ذكريات وكشفتْ النسيانَ عن حوادث عـفّى الزمان على آثارها . فسارعت بكتابة هذه الـكلمة قبل أن يمحوَ الزمان الذِكَـر ، ويفجع بعد العين بالأثر .

عبد الوهاب عزام

بعض أوراق ، وأهرول فى الطريق ، فأسىء هضمى ، وأتعب معدتى ، وأضحك الناس علىّ . ثم إنى ما كسبت من هذا الإبطاء نوماً ، ولا ازددت راحة ، ولو ( وثبت ) من أول لحظة لـكان فى ذلك رضا ربى بأداء الصلاة ، وصحة جسمي بحسن الأكل وإجادة المضغ ، وإكمال عملى بإعداد أوراقه على أناة ، وحفظ منزلتى بين الناس بالسير على مهل .

وأنظر فأجدنى أقرأ كل يوم مهما أقللت أكثر من مائتى صفحة ، جلها مما لا يفيد علماً ، ولا يعلّم أدباً ، ولا يقوّم خلقاً ، وأدع عشرات الكتب الجدّية النافعة فى اللغة والأدب والفقه والتفسير ؛ فأعزم على قراءتها ، وأذهب فأعدُّها وأصفُّها على مكتبى ، وأهم بالشروع بها ، فأجدها كثيرة ، فأرجىء النظر فيها ، وأقول : سأبدأ فى غد فما يضر التأخير إلى الغد وقد أخرتها هذه السنين كلها ، فيجىء الغد والذى بعده ، وتنصرم الأيام ، وأقرأ خلال ذلك أضعاف أضعافها من الكتب التافهة ، والصحف والمجلات التى لا تفيد شيئاً ، وليس فيها إلا اللهو والتسلية وإضاعة الوقت ، وتبديد ساعات العمر ، وتبقى هذه الكتب مرصوفة على مكتبى يعلوها الغبار ، حتى ترفعها ربّة الدار ، ولم أمسسها ولم أقترب منها .

ولو أنى ( وثبت إليها وثباً ) لفرغت منها من زمان طويل .

وأنظر فأجدنى قد كدت أنسى اللغة الفرنسية لطول ما أعرضت عنها ، وانصرفت عن الاشتغال بها ، وهى نافعة لى لا حباً بأهلها قبح الله أهلها ؛ بل لأن فيها حكمة ، والمؤمن يطلب الحكمة حيث وجدها ، وآسف أنى بدأت بتعلمها من سنة ١٩١٨ وواليت دراستها حتى حذقت صرفها ونحوها ، ووقفت على شعرها ونثرها ثم نسيتها . وأعزم على تجديد العهد بها ، والعودة إليها ، وأهيىء كتبها ومعاجمها ، ولكنى لا ( أثب ) إليها . فتمضى السنون وأنا لم أشرع بها .

وأنظر فأرى الشحم قد ركبنى ، والسِمَن قد علانى ، فأبطأ حركتى ، وأثقل أعضائى ، فأطالع كتب الرياضة ، وأستشير رجالها ، وأشترى أدواتها ، وأنوى أن أمارسها ، وأواظب عليها حتى يذهب شحمى ، وينشط جسمى ...

وأزمع وضع كتاب عن الخوارج ، وآخر عن المهلب ، وكتاب فى الدين الإسلامى ، وأجمع المصادر وأرسم الخطط ، ولا يبقى إلا أن أمسك القلم لأكتب ...

وأحاسب نفسى ، فألقاها قد تنكبت طريقها ، وتحولت عن وجهتها ، وأنستها الدنيا آخرتها ، وصرفتها عن ربها ، فأعزم على التوبة ، والتحرى فى المطعم والمشرب ، وكفّ البصر وحفظ اللسان ، والمحافظة على السنن والنوافل ، وهجر رفاق السوء ، وصحبة من يذكّر بالله ويدّل عليه ...

ولكنى لا ( أثب إلى ذلك ) ، بل أقبل عليه متراخياً ، أرقب به يوماً بعد يوم ، فتمرُّ الأيام ، ولم أشرع برياضة ، ولم أبدأ بكتاب ، ولم أحقق توبة وإنما استسلمت للحياة فدار دولابها علىّ وأنا ساكن ، يصبح الصباح ويمسى المساء ، ( والحالة هى هِيَهْ ، والعيشة هى هِيَهْ ) ، ما نشطت بالرياضة جسما ولا شحذت بالمطالعة عقلا ، ولا زكيت بالتوبة نفساً ، خسرت هذا كله لأنى عصيت أبى ، وخالفت عن أمره فلم أثب من الفراش وثباً ، وبعت هذه الخيرات بتمددى ساعة تحت اللحاف ، فما أعظم المبيع ، وما أقل الثمن !

وهذا هو مرضنا جميعاً ، وعلة عللنا وسبب أدوائنا ، وليس تنقص واحداً منا المواعظ والأفكار ، ولا يعوزه معرفة طرق الخير . فالمواعظ مبثوثة فى كل كتاب ، ومترددة على كل لسان ، وماثلة حتى فى وفاء الكلب ، وصبر الحمار ، ودأب النملة ، وتوكل العصفور وظاهرة فى طبائع الأشياء ، وصفات الجمادات ، من شاء موعظة وجدها ، ومن ابتغى نصيحة وقع عليها . وطرق الخير معروفة لا يجهلها أحد ، فكل أب يجد إن فكر خطة لتربية ولده خيراً من خطته ، وكل تاجر يجد أسلوباً أحسن من أسلوبه لتوسيع تجارته ، وكل رجل يعرف الطريق لتحسين صحته ، وإصلاح سيرته فى بيته مع أهله وزوجته ، وفى طعامه وكسوته ، وفى يقظته ونومته وأحمق الناس تمر به نفحات يرى فيها سبيل العقل واضحة ، وأفسق الناس تسمو نفسه لحظات يبصر فيها قبح الفسوق وجمال الطاعة ، ويشعر بالندم ويعزم على التوبة ، ولكن ينقصنا المضاء والتصميم و ( الوثوب ) إلى الخيرات حين تلوح لنا وتمر بنا .

هذا هو مرضنا الذى طالما أضاع علينا أموالا ومكاسب ، وخيرات ومنافع ، وأخرنا والأمم تتقدم ، وهو مرض الجماعات منا والحكومات ، فاعرضوا تاريخنا الحديث تروا كم فرصة أضعنا وكم غنيمة فوتنا ، بل انظروا ما ذا صنعنا فى هذه الحرب وحدها واعجبوا منا إذ فتحت لنا إلى آمالنا باباً واسعاً فلم ندخله ، ووضعت فى أيدينا سلاحاً ماضياً فلم نستعمله : عجزنا أن نكون أقوى من عدونا ، فأضعفته هذه الحرب لنقوى بضعفه ، وشغلته عنا لننتهز

الفرصة فنسترد منه ما سلب منا ، فأدر كتنا رقة الشعور ، فرحمناه ، وأشفقنا عليه أن نزعجه بمطالبنا فى بلواه ، وآثرنا الذوق واللطف على واجب الوطنية والشرف ، فلم نفتح أفواهنا لنقول له : « أعطنا الذى سرقته منا » بل أعنّاه على عدوّه وعلى أنفسنا ، وأيدناه بألسنتنا وأموالنا وأيدينا ، وزعم لنا ، أنه ما حارب إلا لينصر الديموقراطية ، فقلنا : « صحيح . فلتمش الديموقراطية » وقال لنا إنه يبذل دمه ليدافع عن الضعاف المظلومين ، ويطهر الأرض من النازيين الباغين ، فقلنا : « بارك الله فيك ، هـذه شيمة السادة الأكرمين » . وقال لنا ، إنه إن يُغلب فى هذه الحروب ينهدم صرح الحضارة ، وينهدّ بناء التمدن ، ويرجع البشر إلى شريعة الغاب ، وطبيعة الذئاب ، فقلنا : « هذا لا شك فيه . فأنتم حماة الحضارة ، وأنتم أهل المدنية ، وما الألمان إلا برابرة همج متوحشون » . ولم يكن فينا أمة عاقلة إلا الهند ، فلم تجامل هـذه المجاملة السخيفة التى جاملناها ، ولم تقترف هذه الجريمة التى اقترفناها ، ولم ترق مثلنا الدموع على باريس ، دار الفسقة الظالمين ، أعداء العرب والمسلمين بل قامت تنادى بطلب الاستقلال ، على حين كان أدباؤنا يمجدون الديموقراطية فى الصحف ، ومشايخنا يدعون لها على المنابر بالنصر فكانت عقوبتنا عاجلة ، فلم تمر ثلاث سنوات على استجابة الدعاء وانتصار الأعداء ، حتى فعل بنا أهل باريس التى بكينا عليها يوم نكبتها ( جدد الله نكبتها ) ولندن التى مجدنا ديمقراطيتها ، ما لم يفعله هتلر باليهود ، (وماذا فعل هتلر باليهود؟) ولا موسولينى فى الحبشة ، ولا الذئب بقطيع الغنم ، فضربوا دمشق أقدم مدن الأرض بالقنابل ، وذبحوا عشرات الألوف من أهل المغرب وأعانوا الهولنديين على الأندونسيين ليملكوا أرضهم ، ويسلبوهم بلادهم ، ويقتلوا أبناءهم ، ويسرقوا ثمارهم ، ورموا فلسطين بشذاذ الآفاق ، ونفايات الأمم ، أهل الذلة والمسكنة اليهود ، ودفعوا إليهم الرصاص ، وأعطوهم السلاح ، فسلطهم الله عليهم حتى ذبحوهم بسلاحهم ، ثم رأوهم لا يستحقون الرصاص فالرصاص للجندى الشريف ، فأعدوا لهم السوط فجلدوا به جلودهم ، ومزقوا أبشارهم ، فصاروا بذلك أذل من اليهود ... وتنكروا لمصر من بعد ما لجأوا إليها فآوتهم ، وسألوها المال فأعطتهم ، وخطبوا منها على ظلمهم لها الودّ فوادّتهم ، واستنصروها وهم أعداؤها على قوم لم يعادوها فنصرتهم ، فكان جزاءها منهم بعد ما أكلوا خبزها ، وأخذوا مالها ، وسكنوا فى مساكنها ، جزاء الذى أطعم الحية فلدغته ، وآوى الضبع فأكلته .

فهل اعتبرنا ؟ وهل عرفنا أن من لا ( يثب ) على الفرصة تفلت منه ، ومن لا يضرب الحديد حامياً يبرد ويشتد فيعجز عنه ؟ هل اعتزمنا ( الوثوب ) فى فلسطين ، وفى مصر ، وفى المغرب ، أم لا نزال نؤجل ونسوّف ، حتى يأتى يوم لا ينفع فيه الوثوب ، ولا يجدى العمل ؟

***

هذه هى علتنا أفراداً وجماعات ، مع أن المسلم أبعد الناس عن هذه العلة ، وأحقهم بالبرء منها ، لأن من مقاصد العبادات فى دينه ، تعليمه التنظيم والتصميم ، لولا ذلك ما جعل الله للصلاة ( وقتاً ) إذا تقدمت عنه دقيقة لم تصح الصلاة ، ووقّت للصوم وقتاً إن نقصت منه دقيقة فسد الصيام ، وحدّد للحج وقتاً إن لم يكن فيه بطل الحج .

فيجب أن يجتمع لمحاربة هـذه العلة ، المعلم فى المدرسة ، والكاتب فى الصحيفة ، والواعظ فى المسجد ، حتى تنشىء نشئاً قوى الإرادة ، ماضى العزم ، ( يثب ) إلى غايته وثوب الأسد ، ويحط عليها حط النسر ، ولابدع اليهود يكونون أمضى منه يداً ، وأجرأ قلباً ، وأعظم أثراً .

إن ( الوثوب ) إلى الخير ، والثبات عليه ، جماع الفضائل كلها ، فإن تعلمناها لم نحتج بعدها إلى شىء .

**علي الطنطاوى**

# الأزهر بين الجامع والجامعة

للأديب صبحي إبراهيم الصالح

... أقبل منذ نعومة أظفاره على الدين مولعاً بدراسته شغوفاً بأسراره شديد الرغبة فى بثـه وإحيائه؛ حتى إذا نال الشهادة الثانوية فى موطنه لبنان قدم القاهرة فانتسب إلى إحدى كليات الأزهر وإن فى صدره لآمالا كباراً، وأحلاماً عذاباً.

لم تكن آماله لنفسه فقد وهب للدين نفسه، ولا أحلامه فى شخصه؛ وإنما كان كل رجائه ماثلا فى الأزهر الشريف يرقب وثبته الداعية إلى الإصلاح، وتطوره الباعث على التحرر.

أسرف فى حسن ظنه بالأزهر: فما لبثت الأحداث أن صدعت الباب، لتظهره على المستور من وراء حجاب!

واقتصد فى حسن ظنه وأصبح ضنيناً فى مدحه حين رأى الأزهر على حقيقته ... فاحترق من الألم فؤاده، وتقطع من الألم قلبه. وفاض من التحسر دمعه.

أخذ يستعرض فى مخيلته صوراً للأزهر قد خلت فوجـده — منذ بنائه إلى عهد قريب — غير مقصور على العبادة فى خشية وخشوع، ولا على الصلاة فى تذلل وخضوع، وغير مقصور على علوم الشريعة فى تمحيص وتدقيق، ولا على آداب اللغة فى تبويب وتنسيق. وإنما كان نسيجاً من ذاك وهذه، وكان النسيج من قوة الحبك ووثوق العرى بحيث استعصى على الحوادث حله مدى عشرة قرون حمل فيها الأزهر مشعل الحضارة بيده، وبدا للعـالم كله مثالا حياً للجامعة المقدسة الوقورة، ونفر إليـه الوافدون يتلقون فى حلقاته علوماً يزينها الإيمان، ومعارف يجملها الإخلاص، وآداباً يصقلها الخلق المتين.

لقد كان الشرق عزيزاً بالإسلام، يوم كان الغرب منزوياً فى الظلام ... ثم سكر الشرق سكرة أضاعت رشاده، فوثب الغرب وثبة بعثت جهاده!

وغلب الشرق على أمره فقلد الغرب فى حضارته، وتأثر به فى مدنيته، وانتقل بين عشية وضحاها من عهد مؤمن بالدين القويم، مخلص لرسالته السامية، خاضع لتشريعه الحكيم، مذعن لأحكامه العادلة، إلى عهد متفان فى المادة الطاغية، غارق فى بحرها المتلاطم مسحور بمتاعها الكاذب، مأخوذ بجمالها الخلاب.

***

ولا ريب أن مهابة رجال الدين تتفاوت قوة وضعفاً تبعاً لمكانة الدين فى المجتمع، وإن مكانة الدين فى المجتمع تعـلو وتهبط تبعاً لنشاط القوامين عليه، الداعين إليه، فلا عجب إذا أتى على علماء الازهر حين من الدهر كانو فيه « ملوكا لا أمر فوق أمرهم، ولا كلمة بعد كلمتهم » فى عصر كان فيه صوت الدين مسموعاً، وحكمه نافذاً، وأنصاره كثيرين. ولا غرو إذا نزعت الحياة مهابتهم هذه فى عصر خفت فيه صوت الدين. وعطلت أحكامه، وقل دعاته. ولا بدع إذا سارع الأزهر — بدافع من حب البقاء، وحافز من صيانة الحياة — إلى مسايرة العصر الحديث الذى يعيش فيه فانتقل من حلقات الجامع إلى فصول الجامعة، ومن حصير الرواق إلى مقاعد الدراسة، ومن سراج الزيت إلى نور الكهرباء، محاولا أن يتبوأ مركزاً فى الحياة ...

فى مراحل هـذا الانتقال أصبح عسيراً على الأزهر تعيين وجهته، ورسم خطته: فقد تعددت أمامه السبل، وتفرعت تحت بصره المسالك، وتشعبت بين يديه الدروب، ولبث فى حيرة تنازعه فيها القديم والحديث، فقيض الله رجالا أشربوا فى قلوبهم الإصلاح بإيمانهم، فخافوا على الأزهر أن يسحقه الجديد إذا بقى على القديم، ولم يأمنوا أن يقطع صلته بماضيه إذا سارع إلى الجديد، فتحفظوا وكانوا أمة وسطاً، وأعلنوا للملأ شعارهم الخالد: « نحن لا نهجر القديم لأنه قديم، ولا نعشق الجديد لأنه جديد »!

وكانوا حكماء بهذا التحفظ، كما كانوا حكماء حين لم ينتظروا أن يتم الإصلاح فى حياتهم، فبدءوا سلسلة الجهاد ثم تركوها فى أيدى أنصارهم وأعوانهم الذين حرسوا فى بيئة الأزهر وفى البيئات الموالية له شريعة تهاون بها المجتمع ولم يرعها حق الرعاية.

ومع أن التحفظ خطة حكيمة فقد نجم عنه كبت للشعور، وفى الكبت حرمان اللذائذ، وفى الحرمان إثارة إلى مستعذب الرغائب، وفى الإثارة تحد وإغراء، فكان طبيعياً أن يضيق الأزهرى بقيوده فى عصر الحرية والانطلاق، فينسى معانى الرضا

والقناعة المتمثلة فى حصير الرواق وسراج الزيت وصومعة النسك، ويعسى حالماً بالوظائف والعلاوات، والمناصب والدرجات.

لكن هذا كله لم يذهب بحسنات التحفظ فى نظر المنصفين الذين يعلمون أن الإصلاح التدريجى البطىء خير وأحسن من الانتقال الفجائى السريع، لأن فى البطء اتزاناً ونظاماً، وفى السرعة اضطراباً وفوضى.

والحق أن فى الأزهر اليوم نهضة إصلاحية كبرى يعترضها كثير من العقبات. والحق أن فى الأزهر ومعاهده شباباً غير قلائل يلتهبون غيرة على الدين، ولكنهم يفقدون القيادة الحكيمة والتوجيه الرشيد. ولو ذللت العقاب، ووجه الشباب، لخطا الأزهر أشواطاً إلى الكمال. ولكن ... أين الأسود لتعلم الأشبال؟

أوضح الأستاذ الطنطاوى ما كان يتلجلج فى الصدر حين وجه على صفحات الرسالة كلمة إلى الأزهريين (بمناسبة حادث الشيخ أبى العيون).

كانت الكلمة مكتوبة بشعور فياض، وعاطفة جياشة، فلم أتمالك نفسى وأنا أتلوها من التأثر والبكاء. ورحت أتلوها على إخوانى الأزهريين من المصريين وغير المصريين، فلم أجد إلا عيوناً تفيض، وقلوباً تلين. وليس بالجديد أن يكتب الأديب بمداد قلبه، فكثيراً ما يغلب على الأدباء إرهاف الحس، فيقارن أحدهم بوحى من عاطفته ما يسأم العقل من مقارنته، أو يمل من تحليله وتعليله.

هذه المقارنة الشعورية التى تجلت فى المقال لم يكن فيها مقنع للأستاذ الكبير العقاد الذى رد عليها تحت عنوان (جامع وجامعة) وإنى إذ أوافق الأستاذ على أن الشرق فى أشد الحاجة إلى تحويل أفكاره من مقارنات الشعور إلى مقارنات العقول، أرى أن موضوع الأزهر خاصة وبعض الموضوعات الأخرى ما برحت فى حاجة إلى المقارنة الشعورية بين وقت وآخر، على شرط ألا يخالف الشعور العقل فى حكمه، وإن خالفه فى أسلوبه ونظمه.

إن هذه الحياة — كما هى بحاجة إلى العقل فى حكمه الراجح الموزون — لا نستطيع أن نتجاهل أنها فى بعض الأحيان بحاجة كذلك إلى الشعور فى تصوير الحكم العقلى الجاف بصورة عاطفية مثيرة؛ وإلا فلن يكون للخطباء تأثير، ولا للشعراء تقدير، ولا للأدباء إجلال.

وإنى لأعجب للأستاذ الفاضل — وهو الأديب الذى تفخر العروبة بآثاره — كيف استنبط من مقال الطنطاوى أن علة العلل فى الأزهر مجرانه حصير الرواق وسراج الزيت وصومعة النسك، وأن البركة كل البركة مرهونة بالعودة إلى هذه الأشياء. وإنى لأكثر عجباً بموازنة الأستاذ بين صلة الترام بقلة البركة فى البيعات والمشتريات وبين صلة سراج الزيت بما كان عليه الأزهر وما صار إليه.

ليسمح لى الأستاذ الذى كثيراً ما تعلمت من مقالاته حرية البحث أن أكون حراً فى نقدى إذا رضى أن يسميه نقداً وفى حكمى على موازنته بأنها قياس مع الفارق، ليس فى رأيى فقط، بل فى رأى إخوانى الأزهريين الذين تلوت الرد عليهم فلم يجدوا فيها مقنعاً. والأزهريون — كما جاء فى مقال الأستاذ — أفنوا حياتهم فى دراسة المنطق، والتمكن من أسسه، والتدرب على صحة أقيسته التى تعصم الأذهان من خطأ التعليل، فلهم إذاً حق المناقشة والانتقاد.

وإنى مستعد بلا ريب لتحمل مسئولية كلامى حين حكمت على تلك الموازنة بأنها قياس مع الفارق لأن الذى جعل للترام علاقة بقلة البركة رجل من عامة الناس باعتراف الأستاذ؛ أما الذى جعل لسراج الزيت علاقة بماضى الأزهر وحاضره فأديب كبير يعرف فضله الأستاذ.

ولست أزعم أن الأديب معصوم، فما أكثر ما يخطىء الأدباء! لكنى لا أرى من الإنصاف للأستاذ الطنطاوى أن نحسبه يصور مابنفسه تصور العوام، أو يجرى فى وصف شعوره على مايجرى عليه الجهال، كأنه يعجز عن الموازنة بعقله، أو يرتبك فى المقارنة بمنطقه.

ليس حنين الطنطاوى إلى حصير الرواق ليعود الأزهرى إلى النوم عليه ولكن لأن فيه معنى القناعة ..

وليس تشوقه إلى سراج الزيت ليعود الأزهرى إلى القراءة عليه ولكن لأن فيه معنى السهر فى المطالعة والتحصيل ...

وليس شغفه بذكرى صومعة النسك ليعود الأزهرى إلى الانقطاع بين جدرانها ، ولكن لأن فيها معنى التعفف والتقوى والصلاح ...

وليست الأمثلة التى سردها عن العلماء الأعلام ليرغب الأزهريين فى تقليل نصيبهم من المشاركة فى الحياة العملية ، ولكن لأن فيها إشادة بالمثل العليا التى كانت أخلاق الأسلاف ...

وليست كلمته فى ختام مقاله (يا إخواننا لم نجد والله خيراً فى الجامعة الأزهرية فردوا علينا الجامع الأزهر) لينتقل بالأزهريين من جديد إلى الدراسة فى حلقات الجامع ، ولكن لأن فيها مطالبة بإفاضة التقوى التى كانت روح الجامع الأزهر . فينبغى أن تكون روح الجامعة الأزهرية ! ! !

هذه الروح الطيبة هى التى فهمتها وفهمها إخوانى من غضون الكلمة ، ومن أجل ذلك بكيت وبكوا .

ولو استردت الجامعة الأزهرية هذه الروح لأدت رسالتها الأولى فى بيان حكمة التشريع الإسلامى ونشر السلام فى ربوع العالم تحت إشرافه ، ثم لأدت رسالتها الثانية التى لا تقل عن الأولى خطراً فى استخراج حقائق « العلم الذى يعمل به المسلمون وغير المسلمين ، وفى تدارك عيب العصر الحاضر . وهو العيب الجسام الذى يتمثل فى العزل بين عالم العقل وعالم الروح . فيتعلم فيه الرجل وهو مؤمن ويؤمن فيه وهو عالم ، ويحسن قيادة المتدينين المتعلمين » .

تغمدالله الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبدالرازق بسحائب رحمته ، فقد كنت مثلك كبير الرجاء — يا سيدى العقاد — فى إنجاز هذه المهمة على يديه !

قابلته رحمه الله أول ربيع الأول مع وفد من زملائى المصريين فى كلية أصول الدين ، وألقيت بين يديه كلمة جرى بها قلبى قبل لسانى ، رجوته فيها بتعديل الدراسة فى الأزهر على أحدث المناهج العصرية ، ليتمكن خريجه من أداء وظيفتيه فى ثقافة العقل وثقافة الروح . ولست أنسى مدى حياتى تلك الدمعة الطاهرة التى اغرورقت بها عيناه وهو يقول بحضور فضيلتى وكيل الأزهر ومديره : « يا أبنائى هذه هى النهضة المباركة التى طالما تمنيت أن يسعى إليها أبناء الأزهر ، وإنى لأرجو أن تهيئوا الجو الصالح لأواصل عملى فى اتزان وسكينة » .

ولقد وفى رحمه الله بوعده فبقى يواصل العمل حتى توفاه الله إليه . وعسى أن يكون خلفه محققاً لرغبات الأزهر فى الإصلاح .

وبعد ، فإن الطالب الأزهرى اللبنانى لم يكتب هذا المقال إلا ليصور آلامه وآماله ، وإنه ليغتنم هذه الفرصة السانحة فيناشد الأستاذين الكبيرين العقاد والطنطاوى أن يواصلا الحديث عن الأزهر ، وأن يقوما بقسطهما فى توجيه شبابه ، حتى يعود الأزهر جامعاً لله فيه قداسة الجوامع وهيبتها ووقارها وجامعة للناس فيها علوم الجامعات وفنونها وآدابها ، وفيها — فوق ذلك — روح تخرج الناس من الظلمات إلى النور .

صبحى إبراهيم الصالح

كلية أصول الدين

---

# النطق وكيف نشأ فى الانسان وفى الحيوانات العليا ؟

للأستاذ نصيف المنقبادى المحامى

## ٢ — نشوء النطق فى النوع الإنسانى

أثبتنا فى مقالنا الأول بالمشاهدات والاختبارات المختلفة أن النطق ليس غريزياً فى الإنسان ولا هو قاصر عليه ولا مميز له دون الحيوانات الأخرى ، بل هو ظاهرة فسيولوجية بسيكولوجية طرأت عليه وعلى بعض الطيور وعدد من الحيوانات العليا وعلى الأخص القرود الشبيهة بالإنسان ، وإنما الفرق بين الإنسان وبين الحيوانات هو فرق فى الدرجة ليس إلاّ .

ونتكلم اليوم عن كيفية نشوء النطق فى الإنسان فنقول : إن لنا فى كيفية نشوء النطق فى الأطفال الآن وفى اللغة البسيطة التى يبدأون بها الكلام ، وكذلك فى لغات بعض القبائل المتوحشة الحالية ، صورة مصغرة من كيفية نشوء النطق فى أول أمره .

إن كل ما يمتاز به البشر عن الحيوانات الأخرى من هذه الناحية هو نمو المخ وبالتالى النشاط العقلى من جهة ، ونمو التكوين التشريحى والفسيولوجى للأعضاء التى تشترك فى عمليات النطق من جهة ثانية ، ونمو الحياة الاجتماعية من جهة ثالثة فى النوع الإنسانى أكثر منه فى الأنواع الحيوانية الأخرى للأسباب الطبيعية التى سيأتى الكلام عليها .

وقد بيّنا فى مقال نشر فى « الرسالة » منذ بضع سنين أن الظروف الطارئة المحلية التى اضطرت أجدادنا البعيدين إلى الالتجاء للغابات ليحتموا بها ويقتاتوا بثمارها أدت إلى نمو اليدين أثر استعمالها فى تسلق الأشجار والقبض على فروعها . ومن القواعد المقررة فى علم الحيوان أن جميع الحيوانات والطيور التى تعيش على الأشجار يقابل بعض أصابعها البعض الآخر للقبض على الفروع والأغصان . وهذا ما حدث للانسان وللقرود وباقى مرتبة الحيوانات الرئيسية ( Primates ) وقد سُميت هكذا من باب التفخيم والتعظيم لأن من بينها النوع الإنسانى .

ولقد توسع الإنسان فى استعمال يديه بعد ذلك بالقبض على مختلف الأشياء ورفعها وفحصها ونقلها وكسرها وتقطيعها وتهيئتها لأغراضه المختلفة فخف العمل إلى حد كبير عن الفكين اللذين كانا يقومان بجميع تلك الأعمال ولهذا تقلصا وصغر حجمهما فى الإنسان إلى الشكل الذى هما عليه الآن بعد أن كانا على درجة كبيرة من الضخامة وممتدين إلى الأمام ، وكانت تحركهما عضلات قوية تصل إلى قمة الرأس من كل ناحية فتلتف حول الجمجمة وتقيدها وتحول دون نموها ونمو ما تحتويه وهو المخ مركز التفكير وآداته . وقد صغر حجم الفكين فى البشر أكثر منه فى القرود العليا الأخرى لأسباب محلية خاصة طرأت مصادفةً على الفريق الذى تحوّل شيئاً فشيئاً إلى النوع الإنسانى .

وكان من نتيجة تقلص الفكين فى الإنسان بعد أن صارا قاصرين على مضغ الطعام أن قل بالتبعية شأن العضلات المحركة لهما وصغر حجمها وصارت لا تصل إلا إلى أعلى الخدين بالقرب من الأذنين فتحررت الجمجمة من قيودها وتخلصت من ضغطها وخلا لها الجو فنمت ونما معها ما بداخلها وهو المخ نمواً كبيراً وهذا هو السر فى تفوق الإنسان العقلى العظيم [1] .

وترتب أيضاً على نمو اليدين واستخدامهما فى كافة أعمال الحياة أن زالت الحاجة إلى الذيل فضمر وزال بعدم الاستعمال فى الإنسان وفى القرود العليا ( الغورلا ، والشامبنزيه ، والأورنجوتان والجيبون ) .

غير أن الذيل يظهر فى أجنتها بما فيها النوع الإنسانى فى أول أطوار تكوينها ثم لا يلبث حتى يضمر ويزول جرياً على نواميس الوراثة الطبيعية لأن من القواعد المقررة فى علم تكوين الجنين أن كل فرد يمرّ وهو جنين بجميع الأطوار التى مرّ بها

(١) أجرى بعضهم تجربة لمحاولة نفى هذه الحقائق بان استأصل عضلات الفكين عند أعلى الصدغين من بعض الحيوانات العليا فلم تنم الجمجمة ولا المخ أكثر من المعتاد . غير أنه دل بهذا على تفكير صبيانى وجهل بأصول العلوم البيولوجية ونواميسها لأن ما يطرأ على أفراد الكائنات الحية من تشويه عارض أو بتر أعضاء لا ينتج نتائج حالية دائما وإنما يحدث ذلك للتغيرات الطبيعية التى يتسر فعلها الاحقاب الطويلة وإلا لوجب مثلا أن يولد الآن أبناء المسلمين واليهود مختونين طبيعيا حيث تجرى لآبائهم وأجدادهم هذه العملية من زمن .

نوعه فى الأزمنة الغابرة . وهو مايعبرون عنه بقولهم : « إن تطور جنين الفرد يلخص تطور نوعه » — وهـذا دليل من الأدلة المختلفة على صحة ناموس التطور والتسلسل — وما زالت فى الإنسان وفى القرود العليا المشار إليها بقية أثرية من الذيل وهى عبارة عن بضع فقرات ضامرة ملتحم بعضها ببعض فى آخر السلسلة الفقرية ويسمونها : ( Coccyx ) .

ومن نتائج نمو اليدين أيضاً أن صغر حجم الأسنان لعدم استعمالها إلا فى مضغ الطعام ، وخاصة الأسنان الأمامية : الأنياب والأسنان القاطعة فصار المجال أوسع أمام الشفتين ، وكانتا فى الوقت نفسه قد رهفتا — نتيجة صغر حجم الفكين — إلى أن تحولتا ( الشفتان ) شيئاً فشيئاً إلى أداة صالحة للابتسام والنطق

وخلاصة القول إننا مدينون بنمو مخنا وعقلنا ، وتفوقنا على باقى الحيوانات الأخرى ، واستعدادنا للنطق بوضوح وبسهولة أكثر من الأنواع الأخرى ؛ إلى نمو يدينـا ، نتيجة اعتياد أجدادنا البعيدين الحياة على الأشجار وتسلقهم إياها وقبضهم على فروعها وغصونها ألوفاً من السنين . ولا شك فى أن التجاءهم إلى الأشجار والغابات كان لأسباب طبيعية طرأت عليهم مصادفةً كأن يكون الغذاء الذى كانوا يعيشون عليه من قبل قد قل أو انعدم فاضطروا إلى تسلق الأشجار ليقتاتوا بثمارها ، أو أنهم احتموا بها هرباً من الوحوش الكاسرة أو الزواحف والحشرات السامة أو من كوارث الطبيعة كالغرق وغيره . وهكذا أدت تلك العوامل المحلية الطبيعية المحض إلى نتائج هائلة لم تكن منتظرة

ولايفوتنا أن نقول كلمة عن مراكز النطق فى مخ الإنسان فقد تطورت للقيام بوظيفتها هذه ، إما بنموها نمواً كبيراً أكثر ممـا كانت عليه فى الطيور والقرود العليا ، وإما بتحول بعض مراكز أخرى فى المخ عن وظائفها الأصلية إلى وظيفة النطق المركزية . وإن وحدوث هذا التحول فى أعضاء الحيوانات والنباتات وفى أنسجتها من وظيفة إلى أخرى لـكى تلائم الـكائنات الحية الظروف المستجدة والعوامل الطبيعية الطارئة أمر شائع ومعروف فى العلوم البيولوجية كتحول الأقدام إلى أجنحة فى الزواحف القديمة التى اضطرتها الأسباب المحلية الحادثة أن تقفز من شجرة إلى شجرة أو من شاطئ إلى شاطئ إلى أن اعتادت الطيران ، وتحولت إلى صف الطيور كما تنطق بصحة ذلك أحافير الصور أو الحلقات المتوسطة التى عثروا عليها متحجرة فى طبقات الأرض التى تكوّنت فى تلك الأعصر الجيولوجية القديمة ، وعلى الأخص الاركيوبتيركس Archéopterex وهو شـكل متوسط بين الزواحف والطيور . ومثل تحول قشر السمك إلى الأسنان فى الزواحف وذوات الثدى التى منها الإنسان ، وتحول قشر السمك أيضاً إلى القشر الضخم الذى يغطى أجسـام التماسيح ، وإلى الهيكل الـكبير الجامد الذى تتكون منه ظهور السلاحف .

ولعل مراكز النطق هذه التى نحن بصددها نمت فى النوع الإنسانى أكثر من اللازم حتى صار حيواناً ثرثاراً كثير الـكلام كما قلنا فى مقالنا السابق .

***

ومن العوامل الرئيسية الهامة التى دعت الإنسان إلى النطق والـكلام ، الحياة الاجتماعية . فبعد أن كان أجدادنا البعيدون يعيشون فرادى لاحظوا أنه كلما صار فريق منهم جماعة يستطيعون القيام بالأعمال التى لا يقوى عليها الواحد منهم منفرداً كالدفاع عن أنفسهم ضد وحش مفترس أو كصيد فريسة كبيرة أو زحزحة صخرة ضخمة أو تسلق شجرة عاليـة لجنى ثمارها أو تقطيع أخشابها لتهيئة مأوى أمين و غير ذلك من صعاب أمور الحياة . ولـكن حياة جماعاتهم هذه كانت قصيرة الأمد فى بادئ الأمر لأن الأقوياء منهم كانوا يبطشون بالضعفاء ليستولوا عنوة أوخلسة على ما حصلوا عليه من الغذاء أو الأثاث أو المأوى الصالح ، فلا يلبثون أن يتشتتوا هرباً من اعتداء بعضهم على بعضهم ، فيشعر الفرد منهم بضعفه وهو وحيـد أمام قوى الطبيعة والوحوش المفترسة الخ . فيجتمعون ثم يتشتتون ثم يجتمعون ، وفى كل مرة يزدادون اقتناعاً بفوائد الحياة جماعة ، وأخـيراً فطنوا إلى أنه لا بد لبقائهم مجتمعين من احترام حياة الغير وملـكيته وأثاثه وغير ذلك من القواعد التى دعت إليها المصلحة المحض — مصلحة الجماعة وبالتالى مصلحة الفرد وانتقلت هذه الصفات أوالقواعد — التى نسميها حميـدة لأنها منافعه — من الآباء إلى الأبناء ، ومن جيل إلى جيل حتى صارت غريزية فينا أو كادت ، وهذا هو منشأ الغريزة الاجتماعية الأخلاقية فى الإنسان وفى الحيوانات

التى تعيش جماعة كالنمل والقرود العليا .

نعود إلى النطق فنقول : إنه ما إن بدأ أفراد الناس وأفراد باقى الحيوانات الاجتماعية يعيشون جماعة حتى شعروا بالحاجة إلى التفاهم بعضهم مع بعض والتعبير بأية وسيلة عما يجول فى خواطرهم مما يهم كل واحد منهم أو يهم الجماعة . وكان الاستعداد للنطق قد تحقق عندهم بعد أن نما مخهم ، وتقلص الفكان ، وصغر حجم الأسنان ، وتحررت الشفتان وترهفتا على الوجه المتقدم بيانه ، نتيجة لنمو اليدين ، بسبب تسلق الأشجار والحياة فى الغابات . فأخذوا يحاولون بعضهم التفاهم مع بعض بمختلف الطرق .

**التفاهم بالإشارات :**

أخذ الناس وسائر الحيوانات العليا — ومثلهم الأطفال الآن — يبدون إشارات كانت فى بادىء الأمر آلية غير اختيارية ولا تقليدية تدل على الانفعالات النفسية أو الحاجات الجسمانية الحيوية وهذه الإشارات ترجع إلى عوامل بيولوجية وفسيولوجية بعضها معروف أسبابه وبعضها مجهول كتقطيب الوجه عند الغضب أو الحزن وكالابتسام عند الارتياح والسرور وكهز ذيل الكلب عند الفرح والترحيب بقدوم من يحب ، وكهز رأس الإنسان للدلالة على التعجب وانحنائها للذلة والخضوع ، وكالعض على الأصابع للدلالة على الندم ، وككثير من الإشارات التى يصاحب بها الإنسان كلامه الآن ويمكن ردها إلى عوامل بيولوجية قديمة ورثناها عن أجدادنا الذين تسلسلنا منهم .

ثم اعتاد الإنسان أن يقوم بهذه الإشارات بمحض إرادته للتعبير عن المعانى التى تؤدى إليها فصارت اختيارية . فإذا أراد أن يعبر عن استهجانه لشىء أو كراهيته لشخص نراه يقطب وجهه كأنه يقول : « إنى أكره هذا » . ومثل ذلك ما اعتاده الناس من قديم الزمان أن يرفعوا رؤوسهم إلى أعلى للتعبير عن النفى أو يهزها إلى اليمين واليسار لهذا الغرض نفسه . كأنهم يقولون «لا» كما أنهم يعبرون عن الإيجاب بخفضها نحو الأرض بمعنى « نعم » .

ثم أخذوا يعبرون عما يقصدون بتقليد شكل الأشياء التى يريدون الإفصاح عنها أو عن بعض صفاتها كما يفعل الأطفال والخرس الآن .

وبعد أن كانت إشارات الإنسان فى أول الأمر تعبيراً عن المحسوسات والأجسام المادية تطورت تدريجياً تحت تأثير حاجات الناس المستمرة وارتقاء حياتهم الاجتماعية والعقلية وتحولت (أى الإشارات) إلى التعبير عن المعانى الرمزية والمعنوية . فبعد أن كانوا يعبرون عن الصخر مثلا بالإشارة إلى قطعة منه صاروا يدلون بهذه الإشارة إلى معنى الصلابة . وهذا ما تفعله إلى الآن كثير من القبائل البعيدة عن العمران سواء فى إشاراتهم أو فى لغاتهم الكلامية البسيطة المحدودة . وهذه هى أيضاً إشارة الخرس عن هذا المعنى — معنى الصلابة .

ومما روى على سبيل الفكاهة لهذه المناسبة أن حرس برلين يعبرون من زمن عن شخص فرنسى بحركة يدهم بعنف على رأسهم من الخلف كمن يحاول قطعها . وقد اتضح أن هذه الحركة تشير إلى حادث موت لويس السادس عشر ملك فرنسا الذى أعدمته الثورة الفرنسية بالمقصلة .

(يتبع)

**نصيف المنقبادى**
المحامى

# صور من حياة الانجليز الاجتماعية
## في القرن الثامن عشر

للكاتب العظيم يوسف أديسون

بقلم الأستاذ علي محمد سرطاوي

١٦٧٢ – ١٧١٩

### حياة المؤلف :

« أتم دراسته في جامعة اكسفورد ، متمكناً من اللاتينية تمكناً أثار إعجاب الشاعر دريدن ، للقصائد الرائعة التي كان ينشرها بتلك اللغة . ونشر ١٧٠٤ ملحمة بعنوان ( كمباين ) أي الحملة ، أشاد فيها بالنصر العظيم الذي انتصره الانجليز في معركة بلنهيم . وفي ١٧٠٦ عين عضوا في مجلس النواب البريطاني فوزيراً للدولة . وسافر بعد ذلك إلى أرلندا سكرتيراً لحاكمها العام اللورد ورتون . وكان صديقاً حميماً لرجال الأدب في عصره مثل ستيل ، وسوفت وفي عام ١٧٠٩ ابتدأ سلسلة مقالاته الاجتماعية والأدبية التي صور فيها حياة الانجليز أتم تصوير ، والتي تنقل عنها هذه الصور الاجتماعية ، وأخذ ينشرها في صحيفة صديقه الحميم ريتشارد ستيل التي كانت تصدر باسم تتلر . وفي عام ١٧١٢ تعاون مع صديقه ستيل على إصدار صحيفتي السبكتاتور والغارديان . ولما عاد حزب الأحرار إلى الحكم عام ١٧١٥ عين سكرتيراً عاماً لإرلندا وأصدر جريدته السياسية فرى هولد . وفي عام ١٧١٦ عين مديراً للتجارة وتزوج من الكونتس وروك . وترك الخدمة العامة سنة ١٧١٨ براتب تقاعدي مقداره ألف وخمسمائة جنيه في العام وتوفي في السنة التالية ودفن في كنيسة وستمنستر مقر العظماء .

لقد رثاه شاعر وهجاه آخر بعد موته ، وللرثاء والهجاء قصة نوجزها فيما يأتي : كان توماس تكيل يعيش في رعاية أديسون وكان يعطف عليه أشد العطف وقد تخرج في اكسفورد أيضاً . وكان الشاعر الكسندر بوب ينشر ترجمة الألياذة ، وكلما نشر فصلا ، أسرع تكيل إلى نشر الفصل ذاته من ترجمته في جرائد ستيل ، فكان يجن بوب من ذلك ويفترض أن أديسون هو الذي يحرضه على ذلك . ولذلك كان الرثاء الموجع من الشاعر تيكل ، والهجاء المقذع من بوب »

---

### مباراة في التكشير :

أشرت في مقال سابق ، إلى اقتراح قُدّم بإجراء مباريات بين الفنانين ، وتخصيص الجوائز ، تشجيعاً للانتاج المحلي في الصناعات اليدوية بين الصناع البريطانيين ؛ وقد أدهشني بعد ذلك الإعلان التالي في صحيفة بوست بوى في عدديها الصادرين في الحادي عشر من الشهر الجاري والخامس عشر من شهر أكتوبر التالي ، « سيعطى إناء خزفي قيمته ستة جنيهات جائزة لسباق يقام في كولزهل من مقاطعة ووروك شير بين الجياد الصافنات ، وسيعطى إناء خزفي آخر ، أقل قيمة من الأول ، لسباق بين الحمير ، وخصص خاتم ذهبي ، لمباراة تقام في نفس اليوم بين الرجال في التكشير » .

أما أولى هذه المباريات فقد تكون لها فائدة معقولة ؛ وأما المباراتان الأخريان ، فلا أرى لها فائده معقولة . أما لماذا يريدون إقامة مباراة بين الحمير وأخرى بين الرجال في ووروك شير ، دون أي مكان في انجلترا ، فهو أمر لا أستطيع له فهماً وتعليلا . لقد قرأت كثيراً عن الألعاب الأولمبية ، فلم أجد فيها سباقا للحمير أو مباراة للتكشير ؛ ولكن مهما كانت الأسباب المؤدية إلى ذلك ، فقد اتصل بعلمي أن مجموعات من الحمير تدرب ويسخى عليها في الطعام ، وأن عدداً كبيراً من الرجال على بعد عشرة أميال من مكان المباراة — يقضي الواحد منهم الساعات أمام المرآة يمرن عضلات وجهه استعداداً لذلك اليوم العظيم .

لقد أثارت الجائزة المقترحة تنافسا كبيراً بين طبقات الشعب ، حتى ليخشى أن تتشوه الوجوه ، ويعرف الرجل أنه من ووروك شير ، بمجرد تكشيره . لقد كانت التفاحة الذهبية جائزة الجمال الساحر في الماضي ، فأصبح الخاتم الذهبي جائزة تشويه ما ركب الخالق من جمال في الوجوه .

وإنه لمن دواعي الغبطة أن ألفت نظر الفنانين الهولنديين ، إلى اغتنام هذه الفرصة لرسم مجموعة من الوجوه التي ستشترك في تلك المباراة العتيدة .

وتذكرني هذه المناسبة ، بحديث اتصل بي من رجل قرأ الإعلان عن مسابقة التكشير التي نحن بصددها ، فحدث أصحابه القصة التالية :

حينما سقطت مدينة نامور ، كان بين الاحتفالات الشعبية ، مباراة في التكشير ، على خاتم قدمه قاض من حزب الأحرار .

وكان أول المتبارين رجـل فرنسى ، مرّ عرضاً بتلك المدينة ، وخيل إليه أن نحافته وقبح وجهه ، ربمـا كانا عوناً له على نيل الجائزة ، فوضعت له منصة أمام الجمهور وطلب إليه أن يصعد إليها وأن يواجه الناس . وابتدأ يشد عضلات وجهه ، ويديرها يمنـة ويسرة ، وقد استطاع أن يظهر عشرين سناً من أسنانه فى التكشيرة الأولى ؛ وسرت همسات الاستياء بين الناس مخافة أن يظفرهذا الأجنبى بشرف الجائزة ، ولـكن حسن الحظ أظهر أنه لا يجيد إلا التكشير المرح ، فلذلك لم يظفر بالجائزة .

واعتلى المنصة بعده إنجليزى ، يعتبر الأول فى فن التكشير ، فأجاد إجادة لا مزيد عليها ، حتى لقد قيل إن عشرات من النساء الحبالى أجهضن ، ولـكن المحـكمين أخبروا بأن الرجل يعقو بى (نسبة إلى أتباع الملك جيمس الثانى أو ابنه) ، وساء الجمهور أن ينـال الجائزة رجل يخرج فى عقيدته السياسية على العرف العام ، وأن يصبح بطل التكشير فى المقاطعة ، فطلبوا إليه أن يقسم يمين الولاء للنظام الحاضر ، فرفض وكان السرور عظيما بإخراجه من بين المتبارين

وتقدم بعـده للمنصة عشرات من المتبارين كان سوء الحظ حليفهم ، ولست أنسى من بينهم فلاحاً يعيش فى طرف ناء من المقاطعة ، رزقه الله فـكين طويلين ، كشر بهما عن سحنة الشياطين نعوذ بالله منها . وقد أدهش الجمهور بمهارته فى تكشيرة معقدة ، وكادت الجائزة أن تعطى له لولا أن أحد المتبارين برهن للمحكمين على أنه استعمل الغش فى المباراة ؛ ذلك أنه قد مرن عضلات وجهه على نوع من عصير الفاكهة أكسب تلك العضلات هـذا اللين العجيب ، وأن حبة زعرور قد وجدت قريبة من مكان وقوفه ، فوافق المحـكمون على إخراجه باعتباره محتالا .

وتقدم بعد هؤلاء إسكافى يدعى جيلز جورجون Giles Gorgen دلت المقدمات على أنه سيربح الجائزة لإظهاره ألواناً من التكشير ، اخترعها ، وهو يجاهد فى رتق الأحذية . لقـد ذهبت الملامح الإنسانيـة من وجهه فى التكشيرة الأولى ؛ وانقلب وجهه فى الثانيـة إلى ما يشبه المزراب ، وأصبح قرداً بشماً فى الثالثة ، وأصبح رهيباً كذئب البحر فى الرابعة ، وكـكسارة اللوز فى الخامسة ، وكان إعجاب الجمهور عظيما بمهارته فنح بالإجماع الخاتم الذهبى . وأعجب ما يتصل بهذا الإسكافى ونيله الجائزة ، أن فتاة ريفية جميلة طالما تودد إليها هذا الرجل فرفضته فى الماضى ، وما كادت تراه يتسلم الجائزة الثمينة بين إعجاب الجمهور وهتافه وتصفيقه حتى سارعت إليه تطلب وده ، وتزوجا فى الأسبوع التالى . وكان خاتم الخطبة تلك الجائزة التى تعتز وتباهى لذاتها بها .

ليس فى النية أن تنتهى هذه المقالة بأفكار جديدة ، إنما ألفت نظر المسؤلين عن إقامة هـذه المباريات إلى الجرم الشنيع الذى يقترفونه فى حق مواطنيهم بتشجيعهم مباريات حيوانية منحطة من هـذا النوع ، أقل ما يقال فيها إنها دعوة علنية إلى التشبه بالقردة والحيوانات ؛ وأنهم يملأون رؤوس هؤلاء الجهلاء بطموح رخيص ، بدلا من الارتفاع بهـم إلى مستوى تهذيبى يليق بالإنسان .

علي محمد سرطاوي

مراجع هذا البحث :

(1) Essays of Hddison
(2) Oxford Companion of English Literature ; Harvy.

# فـــنان . . . !

للاستاذ ثروت أباظه

يسقط على مجلسك دون أن تعرفه ، فلا تملك إلا أن تنعم فيه النظر ، فهو أشعث أغبر كأنه ابن السلكة قد وافى بعد إيغال فى شعاب الصحراء ... ضامر شاحب كأنه عامل قد أضرب عن الزاد ، قذر الملبس يذكرك بالمار أمام منزلك صندوقه على كتفه يصرخ بأعلى صوته ( بوابير جاز أصلح )

تريد أن تسأله من أنت ... والويل لك إذا فعلت ... إنه لا يسمح لإنسان ألا يعرفه وقد أفنى نفسه فى سبيل الشهرة .. إن غيره لا يجهد سوى عقله وقلمه فينالها . . أما هو الشاعر الحق فقد أجهد عقله حتى جهد . . وقلمه حتى تحطم وجسمه حتى ذوى ، ثم أنت لا تعرفه ؟ ! ففيم إذن أهمل هذه اللحية وجعلك لا تعرف أن كان يزيلها أو هو يرسلها . . . أليس هذا فنا ؟ . وفيم إذن أطلق حول أذنيه هذه الإطارات من شعره . . كثة تكاد تخفى أذنه . . طويلة توشك أن تصل إلى فكه . . وفيم إذن ركب لنفسه هذا الرأس الثانى من الشعر ... إن غطى الطربوش رأسه الأول برز من خلفه يخبر أنه .. فنان .. لا. لابد أن تعرفه أردت أو لم ترد . . تعرفه هكذا دون أن يخبرك . . إن سألته من أنت ؟ ثار فى وجهك وزمجر واستأسد بعد خنوع ، إنه فنان يجلس إليك فيخبرك أنه لم ينم ليلته وأنه هكذا دائما . . هائم على وجهه فى غير مهيم . . . شارد فى غير مشرد إنه فنان . . والفن فى اعتقاده عزوف عن الراحة وشذوذ يفتعله هو . . قد لا يتحدث عن نفسه فيروح يرصف القواعـد للعبقرية ويضع الخطوط الواضحة بينها وبين الاكتمال العلمى فهو يقول إن العلم شىء سهل الحيازة دانى القطوف . . يستطيع أى قدم أن يكون عالما ولـكن العبقرية قبس من الأشعة الإلهية أرسله الله إلى صاحب القسمة فهو شارد اللب يمشى دون وعى ويجلس على غير علم ، إنه من الواصلين هكذا هكذا . . ولـكن ماذا أفاد الرجل من كل هذا .. انتظر.. انتظر هاهو ذا يتبعه بجملته الخالدة ، والله كثيراً ما أمشى فى الشوارع دون أن أعرف لنفسى اتجاهاً ، إنه عبقرى ما أسهل العبقرية وما أشبه العباقرة بمهال التنظيم ... هكذا الرجل لا يهمه بعد هذا إن كان فنه ناضجا أو فجا . المهم أن يتشوذ وأن يعرفه الناس هكذا وهو بعد فنان ... أراد الفن أو أبى ، لا تظلم الرجل إنه لا يأتى هـذا تصنعاً ولـكنه تطبع طال به الأمد فأصبح طبعاً .

يتحدث إليك عن حب خاب وأمل خبا ، ثم عن حب ما يزال متقد الجذوة ، وهو إن فعل نظر إلى شىء خلفه يشبه الإنسان وسأله ان يخبرك عن « ليلى » مايعلم فيأخذ شبه الإنسان فى الكلام واصفاً المحبوبة ... فتتوقع أنت فى هذه اللحظة أوصافاً تخجل الشمس إبان صحوتها وتزرى بالغصن أوده الصبا ... تتهيأ أذنك لأوصاف المحبوبة لا يخالجها شك فى جمالها وفتنتها ، ولـكن هذا أمر طبيعى ليس فيه شذوذ ؛ أو يرتضى الفنان لنفسه أن تطلق على سجيتها الأولى ولو فى الحب ؟ لا ودون ذلك الفن أجمع ... ها هو ذا الواصف يخبرك أن الحبيبة سوداء مفلفلة الشعر معبلة ، مثقلة الشحم ؛ ثم يلتفت بعد هذا إلى الفنان يسائله فى عجب ما يزال متكلفاً : لم تحبها ... إن كثيرات غيرها يهوينك ويودهن لو نظرت إليهن ولو نظرة واحدة يلتفت إليك الفنان متعجباً من نفسه هو أيضاً ولـكنه يحاول أن يغالط نفسه قليلا فيخبرك أن معشوقته شديدة الحساسية عليمة بنبضات الشعر وخفقات الشعور. وأنها — وهو المهم — تحترم شعوره الحساس الرقيق فهو قد يغضب وقد يضربها ولـكنها لا تؤذى إحساسه بكلمة وتحافظ على كرامته ما وسعها الحفاظ ومهما كلفتها تلك الخطة من إجهاد لشعورها الرهيف ... وجاع أمرها وأمره أنها تفهمه وأنه يفهمها

عجيب أن يتكلم الرجل عن الـكرامة ولـكن كرامته هى الأخرى شاذة من نوع آخر ... فهو قد يسألك القرش على غير معرفة ولـكنه مع هذا ذو كرامة — وهو يفرط فى الخمر على حساب غيره ثم يخرج إلى الطريق العـام عربيداً ... ولـكنه ذو كرامة ... وهو ينتقى أقذر اللابس ويضعها على نفسه كما توضع البردعة ... وما يزال ذا كرامة .

إن الرجل ليس فقيراً ، فهو يعمل ويحصل على أموال كثيرة ولـكنه يضيعها لا لشىء إلا ليستجدى ، ولعله يستجدى وهى فى جيبه لمجرد الشموذة والمحافظة على كرامته الفريدة .

# نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

## ٨٨٨ — إنها مما أهل به لغير الله

الموافقات للشاطبي : نهى عن (معاقرة الأعراب) وهى أن يتبارى الرجلان فيعقر كل واحد منهما ، يجاود به صاحبه ، فأ كثرهما عقراً أجودهما ، نهى عن أ كله لأنه مما أهل لغير الله به

قال الخطابى : وفى معناه ما جرت به عادة الناس من ذبح الحيوان بحضرة الملوك والرؤساء عند قدومهم البلدان وأوان حوادث تتجدد لهم وفى نحو ذلك من الأمور .

وخرّج أبو داود : (نهى عليه الصلاة والسلام عن طعام المتباريين أن يؤكل ) وهما المتعارضان ليُرى أيهما يغلب صاحبه . وهذا وما كان نحوه إنما شرع على جهة أن يذبح على المشروع بقصد مجرد الأكل ، فإذا زيد عليه هذا القصد كان تشريكا فى المشروع ، ولحظا لغير أمر الله تعالى ، وعلى هذا وقعت الفتيا من ابن عتاب بنهيه عن أ كل اللحوم فى النيروز وقوله فيها : إنها مما أهل به لغير الله .

## ٨٨٩ — بحث لغوي فى شج وشجى

الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب للبطليوسى .

قد أ كثر اللغويون من إنكار التشديد فى هذه اللفظة ( الشجى ) وذلك عجب منهم ، لأنه لا خلاف بينهم أنه يقال : شجوت الرجل أشجوه إذا أحزنته ، وشجى يشجى شجاً إذا حزن ، فإذا قيل : شج بالتخفيف كان اسم فاعل من شجى يشجى فهو شج كقولك عمى يعمى فهو عم ، وإذا قيل : شجى بالتشديد كان اسم المفعول من شجوته أشجوه فهو مشجو وشجى كقولك مقتول وقتيل ومجروح وجريح . وقد روى أن ابن قتيبة قال لأبى تمام الطائى : يا أبا تمام ، أخطأت فى قولك :

ألا ويل الشجى من الخلىّ ... وبالى الربع من إحدى بلىّ

فقال له أبو تمام : ولم قلت ذلك ؟

قال : لأن يعقوب[1] قال : شج بالتخفيف ولا يشدد .

فقال له أبو تمام : من أفصح عندك ؟ ابن الجرمقانية[2] يعقوب أم أبو الأسود الدؤلى حيث يقول :

ويل الشجى من الخلى فإنه ... نصب الفؤاد لشجوه مغموم

والذى قاله أبو تمام صحيح ، وقد طابق فيه السماع القياس ، وقد قال أبو دؤاد الإيادى ، وناهيك به حجة :

من لعين بدمعها موليه ... ولنفس مما عناها شجيه[3]

(١) ابن السكيت .

(٢) التاج : الجرامقة قوم من العجم صاروا بالموصل كما فى الصحاح، زاد غيره : فى أوائل الاسلام ، وقال الليث جرامقة الشام أنباطها ، الواحد منهم جرمقانى وهنا كالاسم الخاص ، ومنه قول الاصمعى فى الكميت : هو جرمقانى ، ويقال أيضاً فى الواحد منهم الجرمقى ، وهكذا نسب أبو العباس أحمد بن اسحاق الكاتب الشاعر .

(٣) أصل الولى — كما فى الأساس — المطر الذى يلى الوسمى ، وقد وليت الأرض وهى مولية .

---

قرأ ذلك الشاعر فى بدء حياته بعض تراجم لشعراء غربيين قدامى — فرأى ما يفعله بودلير وسمع ما قيل عن بايرون ، فظن أن الفن عربدة كعربدتهم وتحلل كتحللهم ، وظن أن هذه العربدة وذلك التحلل هما الطريق السوى الممهد إلى الخلود ... نسى الرجل أن هؤلاء كانوا أصحاب أفكار سامية وعاطفة ملتهبة نابضة وعلم مكتمل ناضج وأنهم نجحوا برغم سلوكهم لا بسبب سلوكهم .

إن من هؤلاء الشعراء المشعوذين من إذا انصرف عن شعوذته إلى فنه لكان نتاجه حقيقاً بالاحترام فكثير منهم ذو ملكة مهيأة للفن تهيئة يفتقدها الكثير ... ولكنه أخطأ الطريق أو لعله رآى وعورتها ... فانثنى عنها إلى طريق أخرى أ كثر وعورة على الكرامة الحقة ولكنها سهلة معبدة للكرامة المشعوذة .

ثروت أباظة

## ٨٩٠ — خذ بيدي فهكذا تزول النعم

تاريخ بغـداد للخطيب : أبو محمد عبد الله المعروف بابن الأكفاني قال سمعت أبي يقول : حججت فى بعض السنين وحج فى تلك السنة أبو القاسم عبد الله بن محمد وأبو بكر محمد بن جعفر الأدَمي[1] القارئ صاحب الألحان ، كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن وأجهرهم بالقراءة . فلما صرنا بمدينة الرسول (صلى الله عليه وسلم ) جاءنى أبو القاسم فقال لى : ههنا رجل ضرير قد جمع حلقة فى مسجد رسول الله وقعد يقص ويروى الكذب من الأحاديث الموضوعة والأخبار المفتعلة فإن رأيت أن تمضى بنا إليه لننكر عليه ذلك ونمنعه منه ، فقلت له : يا أبا القاسم ، إن كلامنا لايؤثر مع هذا الجمع الكثير والخلق العظيم ، ولسنا ببغداد فيعرف لنا موضعنا ، وننزل منازلنا ، ولكن ههنا أمر آخر وهو الصواب وأقبلت على أبي بكر الأدمى فقلت له : استعد واقرأ ، فما هو إلا أن ابتدأ بالقراءة حتى انفلت الحلقة ، وانفصل الناس جميعاً ، وأحاطوا بنا يسمعون قراءة أبي بكر ، وتركوا الضرير وحده ، فسمعته يقول لقائده : خذ بيدى فهكذا تزول النعم ! !

## ٨٩١ — كلنا صيادون ولكن الشباك تختلف

النجوم الزاهرة : قال القاضي التنوخي : جاء رجل من الصوفية إلى بجكم[2] ، فوعظه بالعربية والفارسية حتى أبكاه ، فلما خرج قال بجكم لرجل : احمل معك ألف درهم وادفعها إليه ، فأخذها الرجل ولحقه ، وأقبل بجكم يقول . ما أظنه يقبلها ، فلما عاد الغلام ويده فارغة قال بجكم : أخذها ؟

قال : نعم .

فقال بجكم بالفارسية : كلنا صيادون ولكن الشباك تختلف ...

(١) فى (اللباب فى تهذيب الأنساب ) الأدمي — هذه النسبة لمن يبيع الأدم .

(٢) النجوم الزاهرة : بجكم التركى الامير أبو الخير ، كان أمير الامراء قبل بنى بويه ، وكان عاقلا يفهم العربية ولا يتكلم بها بل يتكلم بترجمان ويقول : أخاف أن أتكلم فأخطىء ، والخطأ من الرئيس قبيح .

## ٨٩٢ — سيرة أردشير

ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب لأبى منصور الثعالبي :

سيرة أردشير — من حسن سيرته أن له كتاباً فى حسن السيرة يضرب المثل به ، وتقتبس الملوك من نوادره ، فمن نكته قوله :

إذا رغب الملك عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة .

لا صلاح للخاصة مع فساد العامة ، ولا نظام للدهماء مع دولة الغوغاء .

أوحش الأشياء عند الملوك رأس صار ذنباً وذنب صار رأساً .

لا سلطان إلا برجال ، ولا رجال إلا بمال ، ولا مال إلا بعمارة ، ولا عمارة إلا بعدل وحسن سياسة .

ومن كلامه : القتل أنفى للقتل . وأجل منه فى معناه قول الله تعالى : ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب .

## ٨٩٣ — جعلك من عجائب البحر

أخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزى : قال أبو الحسن السلامى الشاعر : مدح الخالديان سيف الدولة بن حمدان بقصيدة أولها :

تصد ودارها صدد وتوعده ولا تعـد
وقد قتلتـــه ظالمة فلا عقل ولا قود

وقال فيها فى مدحه :

فوجه كله قــمــر وسائر جسمه أسد

فأعجب بها سيف الدولة ، واستحسن هذا البيت ، وجعل يردده ، فدخل عليه الشيظمى الشاعر فقال له : اسمع هذا البيت وأنشده ، فقال الشيظمى : احمد ربك فقد جعلك من عجائب البحر

## ٨٩٤ — راحة الجسم والنفس والقلب واللسان

عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة :

من كلام ثابت بن قرة : راحة الجسم فى قلة الطعام ، وراحة النفس فى قلة الآثام ، وراحة القلب فى قلة الاهتمام ، وراحة اللسان فى قلة الكلام[1] ...

(١) ومن أقواله : ليس على الشيخ أضر من أن يكون له طباخ حاذق وجارية حسناء لأنه يستكثر من الطعام فيسقم ، ومن الجماع فيهرم .

# توقيـــع

[ طلبت صغرى كريمتى الشاعر الكبير عزيز أباظه باشا إلى أبيها أن يسجل عيد ميلادها فى كراسة توقيعاتها فكانت هذه الأبيات :

وهبتك قلبـــاً مع شقيقيك عامراً    بأغلى الذى عندى من الحب والعطف
وأسكنتكم أحناءه منزلا لكم    فلو قد صددتم عنه أسكنتكم طرفى
وأصفيتكم من جنة النفس رحمة    ويسعد نفسى أنها لم تزل تصفى
وأبدى حنو الوالدين ... وأتقى    فأخفى ... فينهلُ الحنو الذى أخفى
إذا ما بذلتم لى جزاء يضىء لى    بقية أيامى .. فمن ساكب العرف
وإن كانت الآباء كهف فروعهم    فكهفكمو حبى وحبكمو كهفى

**عزيز أباظة**

في مهرجان جامعة أدباء العروبة فى الزقازيق :

# حنين إلي الموطن الأول

## للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

تسليم مشتاق ، ولهفــة زائر    يا مهد أحلامى ، ونبع خواطرى
ومجال فجرى وهو يومىء للضحى    أن تستفيض على الصباح الباكر
ومنارة الأفق الذى لمــا يزل    يهفو له قلبى ، ويرنو ناظرى
ومثار أشواق الوليدة ، والهوى    فى عشه يحبـــو بخطو عاثر
متفزعا من كل سار صادح    ومبلبلا من كل طيف عابر
إنى ذكرت على «مويس» جراحه    وغنيت عن دمعى بلوعة ذاكر[1]
رف الشباب على رباه مثلمــا    رف المتوف على الغدير الزاخر
هذى الضفاف الناعسات ملاعبى    يا طالما يقظت لقلبى الساهر
نديت منها أدمــعى وسكبتها    آلام مهجور ، وجفوة هاجر
وقرأت فوق ظلالها أسطورتى    وأبحتها أن تستشف سرائرى
ونثرت آهاتى على آهاتهـــا    فى النسمة الحيرى ، ونوح الطائر
يا سامرى بين الخمائل هاهنا    جئنا نجدد عهدها ، يا سامرى
أوفى عليك الركب ، نفحة مبدع    ونشيد فنان ، وهتفة شاعر
حفوا بركب وزيرهم فى نشوة    كالطير حفت بالخميل الناضر

من لى بركب العبقريين الألى    صدحوا على لجب الزمان الهادر
وشدوا ملاحم مجدهم وتسابقوا    فى صيحة الداعى ، وعزم القادر
حسب الوزير الألمعى وحسبهم    إحياء مجـــد للعروبة غابر
مجد أظل الشمس تحت لوائه    ومشى على هام الزمان الجائر
عزت به الفصحى ، فأطلع صبحها    والدهر يضرب فى ظلام حائر
لله من رجل ينشر مجدها    فى مجده سلمت يمين الناشر
ليشيع فى الدنيا الجمال ، ويحتفى    بالخير فى هدى البيان الساحر
تلك الأيادى يا دسوقى صنعتها    وورثتها من كابر عن كابر
أنا بعضها ، فواهبى شبت على    بيت هنالك فى غزالة عامر[1]
لا كرمة فى روضــة ساقيتها    نجوى صلاتى فى لحون مزاهرى
وعصرتها خمراً ودرت بها على    ندمان روضك بين أنس غامر
أسقى وأسقى من سلاف شعشعت    بكريم أمجاد ، ونبـل عناصر

يا سيدى أسر العروبة جهدكم    فى بعثها ، لا زال فضل الآمر
من يبعث الشعراء يبعث قومه    للمجد فى وضح النهار السافر
فإذا سئلت عن الذى تحيا له    فى الشرق والنيل العزيز القاهر
فقل البيان . أعيش أرعى أهله    فى الخافقين . وتلك تلك مفاخرى
فى ظل فاروق سنرفع ذكره    ليــدور فى فلك الزمان الدائر

(١) مويس : بحر عظيم حو عجل الطيبة فى عاصمة الشرقية .

(١) بلد صاحب القصيدة وبلد معالى الوزير .

# رجعة إلى مويس (*)

## للأستاذ طاهر محمد أبو فاشا

وصـل اركب يا نديم فهات    هـــذه رملتى ، وتلك رباتى
الرياض اللفاء ، والرفرف الخضـ    ـر ، ومغنى الصبا ، وملهى اللدات
ومغانى عمــاتك النخل فرعا    ء صموتا كعهدها قانتات

(*) بحر من روافد الرياح التوفيقي يمر بالزقازيق .

والطريق الغيان فى جانب النهـ ـر عروس الأصيل ، حلم الغداة
«ومويس» السكران راوية الحـ ـب ، وساقى لحونه الثملات
معبد الراهب الخليع بساط للنــــدامى ، وموعد للغواة
العجوز الزنديق خمارة الشعـ ـر ، وعُزَّى ندمانها ، واللات
خطر الفن حـــوله فجثا يسـ ـتغفر الحسن ، والعيون اللواتى
وعلى صـــدره بغام حنين وعلى شـــطه عرام سقاة
أنا أيضاً من السقاة ولى فى ذلك الشـط قصتى ورواتى
فوق هذا الثرى سكبت من العمـ ـر سنيناً عصرتها من حياتى
وعلى هـــذه الرمال تناولـ ـت حديث الأساة ، والسلاة
والزمان المطمور تحت رباها بعض ذاتى ، وفيه بعض صفاتى
فاعذرونى إذا لويت عن الركـ ـب فإنى أسير فى ذكرياتى

* * *

يا سقى الله بالزقازيق أحلا م صباى النواضر العطرات
وسنيناً كأنها طرفة العيـ ـن خفافاً مررن كاللحظات
يسترقن الخطى إلى شاطئ النسـ ـيان فى موكب رهيب الصمات
من ترى أيقظ الخواطر حولى وأثار المطوى من صفحاتى
وأعاد الأيام ... والمعهد السا مق مسروج بالنجوم الهداة
المدول الأعلام أمثلة الزهـ ـد ، وشيخانه الفحول الثقات
ورفيـــق كأنه هامش الشر ح إذا صات يمضغ القافات . !
حنبلى كأنه الجمـــل الأو رق صخابة كثير اللتات . . !
السراج العليل يشهق فى مخـ ـرابه ، والبلى يروح ، ويأتى . !
ونضيج مفلفل لاذع الطعـ ـمة يشوى أصابعى ، ولهاتى
يتصـــبى المجاورين فننصـ ـب عليه كالفاتحين الغزاة
اترك المتن ، واطو حاشية السعـ ـد ، وأدرك شيخون قبل الفوات
أنا من مازن ، ومازن منى والليالى القمراء من صدحاتى

* * *

أيهذا النديم ويحـــك أوفيـ ـت فمل بى على «مويس» وهات
أنا فى شـطه أراجع فى سفـ ـر وجودى أيامى الخاليات
أنا فى شطه أراقب فعل الد هر فى أهـــله وأرقب ذاتى
أنا فى شـطه أقاوم إغـــرا ء خيالى بهـــذه الذكريات
أوقظ الماضى البعيد وأخشى أن تغيم الأشباح فى خلجاتى
وأنا الشاعر الذى زمزم الكا س فرنت بهـــذه المرقصات
ليت من عقنى والحسد بالشعـ ـر يرد الأخيذ من خطراتى

# جنـــة الحب ... !

للاســـتاذ أحمد مخيمر

خذى قناعك لا تلقيه إغراء يا لمحة أشرقت من طور سيناء
هذى المحاسن لم يجمعن فى جسد فحسبك اليوم للعشاق إغواء
كنا ألبّاء والأيام هادئة حتى طلعت ، فلم نصبح ألباء
جنَّ الحنين جنوناً فى أضالعنا وأوسعتنا ليالى الشوق إظماء
وأيقظت ما طوته من رغائبنا يد الزمان فما يملكن إغفاء
ينظرن من شرفات الروح فى لهف يبغين من لمحات الحسن إدناء .

---

ياروضة من رياض الحب زاهرة طابت ظلالا ، وأنساما ، وأنداء
كسوت جسمك من فرع إلى قدم
غلالة من رفيف الظل ملساء
ولم يزل نبعك الرقراق مندفقاً لم يأل من ورده الدهر إرواء
أظل أسمع موسيقى الحياة به تطوف بالروح أنغاماً وأصداء
حسبت كل رنين حيث تبعثه طيفاً من العالم العلوىّ وضاء
يبث ما شاء من رىّ ومن ظمأ ويرسم العيش بأساء ونعماء

---

يا جنة الحب، لولا ما سقيت به من الدموع لما أصبحت غنّاء
ليس الذى فى الغصون الخضر من ثمر
إلا قلوباً صـــديّات وأحناء
أزهارك النضر رفت فوقها ذكراً وجسمتها يد الأقدار أهواء
وما العبير سوى الأشواق ضائعة لا تستطيع لها الأدواح إخفاء
ما بال بابك لم يفتح لحارسه وما لأغصانك اللفاء خرساء
أتاك طائرها الصداح ، تدفعه أشواقه .. فامنحيه الحب والماء
نسيته فتناسى وهو مدَّكر وكان — لولا قديم الود — نسّاء

---

ياجنة الحب لا سخط لديك ولا عتب عليك ، ولم نبرح أحباء
غنت طيورك فى الفيوم فاستمعى ما يعجز القوم إفصاحاً وإلقاء
إذا شدونا إلى الدنيا بقافية مالت إلى جرسها الأجيال إصغاء
وأوقفت خطوها الأيام ، التفتت حتى ترى عزة للشعر قعساء
من خمرة الحب نسقيه ، ونعصره من كرمة الخلد للصادين صهباء

# الأدب والفن في أسبوع

**روائع الفن العالمي :**

يقول « جيبو » في كتابه « علم الجمال » : لا يخلد من إلياذة هوميروس إلا صلاة عجوز وابتسامة وداع بين زوجين ...

ويقول « رومان رولان » : لا شيء يؤثر على النفس تأثير تحفة فنية صاغتها يد فنان وكونها حذقه وتفكيره ، فإذا سمع المرء إيقاع « بتهوفن » الموسيقي أو تأمل لوحة من لوحات « رامبرانت » نسي ذاته وذابت أنانيته وشاهد الطيبة تتدفق من تلك القلوب الكبيرة ولمع في ناظريه شعاع ذكائهم ...

ذكرت هذا الكلام وأحسسته في نفسي وأنا أنقل النظر والفكر من لوحة إلى لوحة في المعرض الدولي للفن الحديث الذي أقيم بالسراي الكبرى بالجزيرة وتفضل جلالة الملك بافتتاحه يوم الأحد الماضي وشاهده كثير من رجالات الدولة وكبرائها ، ومحبي الفنون وهواتها .

وقفت أول ما وقفت في القسم المصري بالمعرض فاستغرقني التأمل في كثير من اللوحات الخالدة ، أعجبني « الفرسان الثلاثة » لمحمد حسن بك و « بنات البحر » للأستاذ محمد سعيد و « الذكر » لمحمود سعيد بك ، وهكذا أخذت أتأمل جميع المعروضات المختلفة في هذا القسم للمرحوم المثال مختار والمرحوم سحاب الماظ والأساتذة جابر وأحمد عثمان وسعيد الصدر والسيدة إيمي نمر ، ولكني أعجبت إعجاباً خاصاً بذلك الاتجاه الشعبي الذي اتجه إليه الأستاذ محمد مصطفى عزت في لوحته « قهوة بلدي في خان الخليلي » ، وفي صورته الرائعة « نهر النيل » ، وقد بلغني أن هذه الصورة الرائعة حظيت بالرضا السامي من جلالة الملك فأثنى على صاحبها ولا عجب أن تتجه عواطف ملك النيل وراعيه إلى « النيل » .

وانتقلت بعد ذلك إلى القسم الفرنسي فشاهدت ما ضم من أعمال فنية رائعة في الرسم والنحت ، وقطع نادرة من السجاد والتحف والنقوش وكلها تنطق بالشعر والجمال .

وفي القسم البريطاني شاهدت مجموعة من المطبوعات الملونة يرجع تاريخها إلى القرن التاسع عشر ، وأربعين لوحة تصور عدة مناظر مختلفة وأكثرها مناظر علمية واقعية وهي الروح التي تسيطر على الفن الانجليزي .

أما في القسم الروسي فقد استوقف نظري صور البطولة « ثلاثة أبطال من التاريخ » و « أغنية البطولة » و « سباق » ، أبست هذه الصور صورة تمثل روسيا في بطولتها وفي سباقها أصدق تمثيل ...

وكان آخر المطاف بالقسم الأمريكي ، وفي هذا القسم عرضت المجموعة التاريخية الفنية لجمعية الفنون الدولية وهي تشتمل على ستين صورة أمريكية يرجع تاريخها إلى القرنين التاسع عشر والعشرين . وكلها من أروع ما أخرج الفنانون الأمريكيون

قال صاحبي بعد أن انتهينا من مطافنا : أنظر . إن الفن بقوته وروعته يعلو على جميع الأطماع الإنسانية ويحطم جميع الفوارق ، ألا ترانا هنا نوزع إعجابنا على المصري والانجليزي والفرنسي والروسي والأمريكي من غير تفريق ولا تحيز ، ولكنا لا نحتمل هذا ولا نستسيغه في المجال السياسي والزحام الدولي .

**في معرض الآثار العربية :**

وأقامت دار الآثار العربية معرضاً افتتحه معالي وزير المعارف في الأسبوع المنصرم وحضره كثيرون من هواة الآثار الفنية والمعنيين بالدراسات التاريخية والأثرية والأدبية ، وقد عرضت الدار في هذا المعرض أكثر من مائة وخمسين قطعة لا يعرف تاريخها بالضبط ولهذا سمتها الدار بالآثار غير المعروفة وإن كان من المرجح أن أقدمها لا يسبق في وجوده القرن التاسع الميلادي كما أن أحدثها لا يتجاوز القرن الخامس عشر .

وتشتمل هذه المعروضات على حلي من الذهب الخالص وقطع من القاشاني الفارسي الجميل والخزف المزوق ونسائج من الصوف البديع وغير ذلك من الزجاج المضيء والصور التي تؤرخ عصرها بما تحمل من طابع الذوق والفن . ومن أروع ما شاهدت مجموعة أثرية نادرة من مختلف القطع كان المغفور له علي إبراهيم باشا قد أوصى بعرضها قبل وفاته بأيام

ولقد شاهدت هذا المعرض ، وقضيت ساعة كاملة أتفحص ما فيه من القطع الأثرية الغالية النادرة ثم خرجت وكأني قد استوعبت كتاباً ممتعاً في تاريخ الحضارة الأسلامية ، بل لقد

تمثل لى فيما شاهدت متعة فنية وفائدة عقلية مما لا يمكن أن يتمثل فى قراءة أى كتاب ، ذلك لأن الآثار تحمل طابع الذوق وطابع العقل .

على أن مما يؤسف له أن هذا المعرض وأمثاله لا يستلفت فى مصر إلا أنظار الهواة لهذا الفن ، أعنى عشاق الآثار والتحف القديمة ، مع أنه معرض ثقافى يجب أن يهتم به طلاب الثقافة من كل لون ، وهذا يرجع إلى ضعف الاهتمام بهذه الناحية فى مدارسنا وفى دراساتنا ، بل إن وزارة المعارف نفسها لا تزال تنظر إلى هذه الناحية على أنها من مظاهر الـكمال كما يقولون فلا تبذل لها من العناية والاهتمام ما يجب ، أليس من المؤلم أن تضيق دار الآثار العربية منذ سنوات بمحتوياتها ، وترتفع بذلك الشكوى إثر الشكوى ولـكن لا سميع ولا مجيب ، وكأن الأمر لا يعنى وزارة المعارف فى كثير ولا قليل ... حقاً إنها حال تدعو إلى الأسف ...

**ذكرى الأستاذ الأكبر مصطفى عبد الرازق :**

تألفت لجنة برياسة الأستاذ الـكبير أحمد لطفى السيد باشا لتخليد ذكرى المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وقد أهابت هذه اللجنة بأصدقاء الفقيد وتلامذته ومريديه والمخلصين للدراسة والبحث العلمى أن يسهموا فى مساعدة اللجنة على إنشاء جائزة باسم الفقيد الـكريم لتشجيع الدراسات الإسلامية فى مصر .

وإنها لفـكرة طيبة ، نرجو أن لا تكون نخوة يثيرها الحزن على فقد ذلك الإمام ثم تخبو شأن فـكرات لها مماثلة ، كما نرجو أن تنهض هذه اللجنة بما يجب نحو ذكرى الفقيد من جمع آثاره ونشرها وإذاعتها إلى جانب ما تهتم له بإنشاء تلك الجائزة العلمية ، ونحن نعرف أن الشيخ مصطفى عبد الرازق قد انفق حياته الحافلة للصالح العام ، فخدم الأزهر ، وخدم الجامعة ، وخدم الوزارة ، وخدم فى ميدان الثقافة العامة ، كما خدم فى هيئة سـياسية لها مكانتها ، فهل لهذه الجهات أن تجتمع كلها ظهرة واحدة على تخليد ذكراه وإحيـاء تراثه وإذاعته ؟ إنها لو فعلت ستؤدى شيئاً له قيمته وخطرة ، وستنهض بالواجب على أتم ما يكون الواجب ، ولـكن هيهات ، فإن شعورنا نحو من نفقد من رجالنا يتضاءل بمرور الأيام ، ورحم الله شوقى إذ يقول :

يزاد كثيراً ، فدون الـكثير فنبأ ، فينسى ، كأن لم يزر

**شعور كريم :**

نهض جماعة من تلامذة الأب الـكرملى ومريديه الذين انتفعوا بعلمه واغترفوا من بحره لتخليد ذكرى استاذهم وشيخهم فرأوا أن خير سبيل فى ذلك هو إحياء تراثه ونشر كل ما يعرفون من آثاره ، وخاصة ما ترك من مؤلفات لم تطبع ، وما كتب من مقالات لم تظهر ، على أن يضيفوا إلى هذا كل ما كتبه الـكاتبون عن ذلك الباحث المظيم الذى خسرته اللغة العربية وخسره العلم والأدب .

ويقولون إن من هذه الآثار التى تمدها الجمـاعة للنشر « رسائل » تبـودلت بين المغفور له أحمد تيمور باشا والأب الـكرملى ، وهى رسائل تدور على مناقشات وتحقيقات فى اللغة والأدب والتاريخ ويقوم بطبع هذه الرسائل والتعليق عليها الأستاذان كوركيس عواد وميخائيل عواد وهما من تلامذة الفقيد وخاصته .

وإلى جانب هذا تهتم لجنة التأليف والترجمة والنشر فى وزارة المعارف العراقيـة بإخراج مؤلفات الفقيد وطبعها طبعاً محققاً مصححاً حتى يعم النفع بها من جهة ، ويكون إخراجها براً بذكرى الـكرملى من جهة أخرى .

وهذا شعور كريم ، وعمل خير وبر ، خير حيث يتيسر الانتفاع بتلك الآثار الجليلة ، وبر لأنه دلالة وفاء لذكرى رجل وقف حياته على خدمة العلم ، وياحبذا لو نهجنا هذا النهج فى إحياء ذكرى أدبائنا وعلمائنا بأن نحرص على آثارهم من الضـياع ، ونضن بمخلفاتهم أن تباع ، وأن نقوم بطبع كل ما تركوه من مؤلفات ، وإذاعة ما أبدوا من آراء وتحقيقات ، فإن هذا كله أجدى وأنفع من تلك الحفلات التقليدية التى نقيمها ، وتلك الخطب « التأبينية » التى نتفضل عليهم بها ، وهى خطب لا نفع بها للأحياء ولا بر فيها بالأموات .

**ذكرى اليازجى :**

احتفلت لبنان فى الأسبوع الماضى بذكرى مرور مائة عام على مولد الشيخ ابراهيم اليازجى ، وأذاعت محطة الإذاعة هناك بهـذه المناسبة برنامجاً حافلا اشترك فيه كبار الأدباء والشعراء

وفى طليعتهم الشاعر الكبير شبلى ملاط بك إذ ألقى قصيدة عامرة صور فيها عصر اليازجى وحظه فى عصره أقوى تصوير وأروعه .

وإن مما يؤسف له أن تمر هذه الذكرى فلا يشعر بها أديب أو شاعر فى مصر، ولا تهتم الإذاعة المصرية عندنا بأن تصنع فيها شيئاً مما صنعته زميلتها فى لبنان ، مع أن ذكرى اليازجى دين فى عنقنا ، وواجب يفرضه عرفان الجميل علينا .

حقاً ، إن اليازجى قد نبت فى لبنان ، فكانت موطن مولده ونشأته ، ولكنه جاء إلى مصر أديباً كبيراً وعالماً محرراً فنفح مصر من أدبه وعلمه كل خير وبركة ، إذ أصدر بها مجلة «البيان» ثم مجلة « الضياء » ، وعنى عناية خاصة بتصحيح أساليب الأدباء وتقويمها والتنبيه على الأخطاء الشائعة فى لغة الصحفيين ، وجمع هذا كله فى كتاب سماه : « لغة الجرائد » ، وكان الكاتب أو الشاعر فى مصر لا يأخذ حظه من التقدير والاعتبار إلا إذا فاز بشهادة من اليازجى تزكيه فى قومه ، وقد ظل الرجل فى مصر يفيد بعلمه وأدبه ويجاهد فى خطته حتى أعياه الجهد ومات بداء السرطان فى ضاحية الزيتون .

هذا هو اليازجى، عاش لمصر بعلمه وأدبه ، فكان الواجب علينا أن نكون سباقين للقيام بالواجب نحو ذكراه ...

**جامعة القلم :**

طالعت فى الصحف أخيراً أن جماعة من الأدباء ورجال اللغة الذين خبروا تصحيح الكتب وتقويم الأساليب وشئون الطباعة قد تآلفوا فيما بينهم وأسموا رابطتهم « جماعة القلم » واتخذوا لهم مكاناً وجعلوا من غايتهم مساعدة المؤلفين والناشرين والطابعين على إخراج المؤلفات مصححة مضبوطة محققة بما يضمن خلوها من أخطاء الصناعة وأخطاء الطباعة .

وقد أذاعت هذه الجماعة أو الجامعة كما تقول : أن الذى دفعها إلى هذه الغاية ما لمسته من كثرة الأغاليط والأخطاء فى المؤلفات والمحاضرات والأغانى والأفلام والمقالات والرسائل التى تخدش اللغة وتحرف الكلم عن مواضعه وتضلل القراء وتهوى بقيمة المؤلفات وتسىء إلى سمعة مصر زعيمة الشرق ، فرأت أن تنهض لتلافى هذا كله حتى تخرج المؤلفات خالية من الزلات بريئة من العثرات ومهما يكن من شىء فإنها غاية حميدة ومهمة تقع موقعها من الحاجة ، فإن المطبوعات الكثيرة التى تقذف بها المطابع فى هذه الأيام تخرج مشحونة بالأخطاء والشناعات ، وبما يضحك ويبكى من فنون الأغاليط، وذلك يرجع إما لعجز المؤلفين أو قصور الناشرين أو عجلة الطابعين ، وشيوع الأخطاء فى المؤلفات من أخطر الأخطار على الثقافة العامة لأنه يؤدى إلى شيوع اللحن وانحلال اللغة فى الألسن وضعف ملكتها فى الأذهان ، ولكن ما جدوى هذا وقد أصبحنا فى عصر يتظرف أبناؤه باللحن فى اللغة ، ويرون الحرص على تصحيح التركيب وصواب اللفظ من دلائل الجمود والتأخر .

إننا نطالب بشىء أجدى من هذا ، إننا نطالب وزارة المعارف بأنشاء رقابة لا تسمح بأخراج الكتب والمؤلفات إلا إذا استوفت شرائطها من سلامة الأسلوب وصواب الأداء وحينئذ يضطر المؤلفون والكاتبون إلى تحرى الصواب فيما يكتبون .

**الأستاذ ليفى بروفنسال :**

قدم إلى مصر منذ أسبوع إجابة لدعوة جامعة فاروق الأول بالإسكندرية المستشرق الفرنسى المعروف الأستاذ ليفى بروفنسال لإلقاء سلسلة من المحاضرات الأدبية باللغة الفرنسية ، وقد تقرر أن يلقى أربع محاضرات ، ألقى الأولى منها فعلا مساء يوم الخميس الماضى بقاعة المحاضرات بكلية الطب فى جامعة فاروق الأول وكان موضوعها « الشعر العربى الكلاسيكى فى إسبانيا » ، ويلقى الثانية مساء الإثنين « اليوم » وموضوعها « الشعر العربى الشعبى فى إسبانيا » ، والثالثة فى مساء الخميس القادم وموضوعها « العلاقة بين الشعر العربى الأندلسى والشعر الأوربى الوسيط» ، أما الرابعة فسيتحدث فيها الأستاذ المحاضر عن « غرناطة الإسلامية وقصر الحمراء »وسيكون الموعد بإلقائها مساء السبت من الأسبوع القادم.

والأستاذ بروفنسال بقية من المستشرقين المخضرمين ، وهو أحد الأعلام الذين أسهموا فى إخراج وتحرير دائرة المعارف الأسلامية وله كثير من الدراسات الأدبية والتحقيقات التاريخية النافعة ، وكل ما نرجو أن تعنى كلية الآداب فى جامعة فاروق بتدوين تلك المحاضرات ونقلها إلى اللغة العربية حتى تكون مرجعاً يرجع إليه وينتفع به .

« الجاحظ »




**تكريم الأستاذ خليل مطران :**

تنبيهاً للأذهان ، لا تقريراً لما يجب أن يكتب في هذا الحادث الأدبي المظيم ، نقول إن طائفـة من أثرياء السوريين واللبنانيين من محبي أدب شاعرهم الخالد الأستاذ خليل مطران اجتمعت فجمعت سبعة آلاف جنيه لطبع دواوين شعره وسائر مؤلفاته الأدبية ، وقد اختارت منها لجنة مؤلفة من عشرين عضواً قررت ما يلي :

١ — طبع دواوين مطران السبعة منها « ديوان الخليل » الأول وقد طبع من زمن بعيد ، وديوان للأراجيز في الأخلاق والآداب .

كذلك قررت طبع الروايات الأربع المترجمة عن شكسبير وهي هملت ، ومكبث ، وعطيل ، وتاجر البندقية . والروايات الثلاث المنقولة عن كورناي وهي ، السيد ، وسنّا ، وبوليو كيت وأيضاً طبع رواية « برينيس » المترجمة عن راسين « وهرناني » عن فكتور هيجو ، « والغريب » عن بول بورجيه ورواية « القضاء والقدر » وقد عارض فيها الشاعر مطران رواية « قسمت » الإنجليزية التي رمى مؤلفها العرب بما هم براء منه ، فأعاد الشاعر مطران روايته « القضاء والقدر » الحق إلى نصابه ووصف العرب على حقيقتهم في أخلاقهم المعروفة ، وآدابهم المأثورة

وللشاعر المحتفل به مؤلفات أخرى هي « الموجز في علم الاقتصاد » من خمسة أجزاء اشترك معه في ترجمتها المرحوم حافظ ابراهيم . وكتاب «مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام» وكتاب « الإرادة » وهو مجموعة فصول في أدب النفس . وهذه الكتب لم تصدر اللجنة رأياً في إعادة طبعها بعد .

٢ — قررت إقامة حفلة بدار الأوبرا الملكية تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك بجعلها تحت رعايته ، وقبل رئاستها حضرة صاحب المعالي وزير المعارف وستقام في الساعة الخامسة بعد ظهر يوم السبت ٢٩ مارس ويخطب فيها معالي السنهوري باشا وصاحبا السعادة علوبة باشا وأنطون الجميل باشا وحضرة الشيخ المحترم عباس محمود العقاد وسينشد الأستاذ الأسمر قصيدة من شعره

٣ — تقيم لجنة الاحتفال مساء الأحد ٣٠ مارس حفلة عشاء بفندق شبرد تدعو إليها المائة والسبعة والخمسين وجيهاً الذين تبرعوا بالسبعة آلاف جنيه لهذا الغرض ولفيفاً من أرباب العلم والأدب والوجاهة من أصدقاء المحتفل به يكون خطباؤها سعادة الدكتور محمد حسين هيكل باشا والأستاذ فؤاد صروف والشاعر محمد عبد الغني حسن .

٤ — تلبية دعوة معالي وزير المعارف إلى نزهة نيلية تستقر في القناطر الخيرية نهار الاثنين ٣١ مارس .

٥ — تلبية دعوة الأستاذ إدجار جلاد بك إلى حفلة غداء يقيميها في فندق شبرد لرجال السلك السياسي وأصحاب الصحف الأجنبية يوم أول أبريل .

٦ — حفلة يقيمها النادي الشرقي بالاشتراك مع الأندية السورية واللبنانية الأخرى وهي نادي الشبيبة ، ونادي لبنان ، ونادي الاتحاد الأرثوذكسي يوم الأربعاء ٢ أبريل .

٧ — حفلة أخيرة تقيمها الفوضية اللبنانية يوم الخميس ٣ أبريل

٨ — ولا تزال اللجنة تدعو كل من يريد الاشتراك في هذا العمل ولم يعرب عن هذه الرغبة بعد ، أن يتفضل بمخاطبة سكرتير اللجنة صموئيل بك عطيه أو أمين الصندوق السيد إلياس مرشاق

ومما يجدر ذكره أن لجنة الاحتفال كانت قررت إصدار الجزء الأول والثاني من « ديوان الخليل » قبل إقامة الحفلة الأولى ولكن بعض الموانع الفنية حالت دون ذلك .

وأن محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربيـة وكذلك محطة الإذاعة اللندنية للمستمع الغربي B. B. C. قد قبلتا مبدئياً إذاعة ملخص لما يقال في هذه الحفلات .

وأن السوريين واللبنانيين في مهاجرهم يشتركون أدبياً ومادياً في تكريم شاعر الأقطار العربية . كما أن الحكومة اللبنانية قد قررت الاشتراك في هذا الاحتفال وهو وفاء منها للشاعر الكبير

أما الأموال التي ستجمع لتكريم مطران ، والفوائد التي تجنى من بيع مؤلفاته فستنفق على الجناح الخاص الذي سوف يحمل اسم الشاعر خليل مطران في المستشفى الذي شرع في بنائه باسم دار الشفاء

ليطل الله بقاء مطران ، لا ليقول للمحتفلين به ما قاله فولتير العظيم يوم احتفلت أمته به « إنكم تريدون القضاء على حياتي من فرط الغبطة والسرور » بل ليسمع على مدى العمر شكر كل ناطق بالعربية على ما أعطاهم من أدب وفن .

« حبيب »

**حول اكتشاف واحة الكفرة :**

جاء فى « الرسالة » الغراء عدد ٧١٣ بتوقيع قارىء كلمة قصيرة رداً على ما نشرته أخبار اليوم بعدد ١٢٩ حول اكتشاف واحة الكفرة ، ونحن بدورنا أردنا أن نثبت شيئاً عن هذه الواحة على ضوء ما كتبه حضرة القارىء المحترم والشىء بالشىء يذكر :

كانت واحة الكفرة المجهولة عند العامة ردحاً من الزمن محلا يأويه الدعار واللصوص ومخبأ يلتجئ إليه المائثون الذين يشنون الغارة من مصر على السودان الفرنسى وبالعكس حيناً من الدهر ، ولم تكن هذه الواحة معروفة عند الليبيين وقتذاك وقد سكنها فى وقت من الأوقات (التبو) وهم قبيلة من القبائل السودانية وكانت هذه القبيلة غير متدينة بدين إلا بعد اتصالها بالسنوسى ، ثم سكنها الكثير من العرب مثل قبائل (الجهمة) وقبائل (الجوازى) وأخيراً عمرت بأهلها الحاليين وهم قبائل ( الزوية ) وذلك سنة ١٦٧٥م على وجه التقريب . ومن ذلك التاريخ أصبحت معروفة عند عرب برقة ، وفى سنة ١٨٥٤ وصل إلى تلك الواحة السيد عمر الفضيل موفداً من قبل الإمام الجليل السيد محمد السنوسى الكبير لبناء زاوية (الجوف) وبذلك أصبحت محط رحال القوافل السائرة بين ليبيا والسودان الفرنسى ، وفى سنة ١٨٧٤ اهتم خليفة السنوسى السيد محمد المهدى بهذه الواحة والطرق المؤدية إليها من الجهات الأربع فأرسل السيد محمد بن الشفيع ( رئيس زاوية سرت ) لحفر بئر (بشرى) الواقعة بين الكفرة والسودان الفرنسى . وفى سنة ١٨٩٦ تحول السيد المهدى من زاوية الجغبوب إلى الكفرة فنسق بها الجنان وعمَّر ما خرب منها وكثرت بها المبانى وبنى بها معهداً لتحفيظ القرآن ودراسة علوم الشريعة وأمها السكان من جميع نواحى القطر الليبى ، وفى نفس السنة زارها صادق بك (باشا) المؤيد المظم يحمل تحيات جلالة السلطان عبد الحميد إلى السيد المهدى وفى ذلك يقول الصادق :

مليك ملوك الأرض مذ كان فى المهد
توالت هداياه على السيد المهدى

هدايا عظيم أهديت لمعظم ... فمن هو كالمهدى إليه وكالمهدى
كعبد الحميد الملك يحمى حمى من؟ ... وكالسيد المهدى فمن هديه يهدى؟
أتى (صادق) يطوى المهامه قاصداً ... إلى حرم المهدى المطايا له يهدى
يجوب الفيافى لا يميل إلى الكرى
حليف السرى يهوى مواصلة المهدى
يرى الصعب سهلا والمتاعب راحة
وبُعد المدى قرباً وما مرّ كالشهد الخ

وقد زار صادق باشا سنة ١٨٩٠ زاوية الجغبوب لنفس الغرض المذكور ، وبعد وصول السيد المهدى إلى الكفرة كما سبق أرسل بكثير من البعثات الاستكشافية لبحث وتنقيب الطرق المؤدية من الكفرة إلى السودانين الفرنسى والمصرى وإلى مصر ودراسة تلك الصحارى ، ومن بين تلك البعثات تلك التى كان يرأسها السيد مصطفى السمالوسى كما جاء فى كتاب أرسله العلامة الجليل السيد أحمد الريفى إلى السيد مصطفى المحجوب ( رئيس زاوية الطليمون ) فعثرت هذه البعثة على موقع واحة ( العوينات ) وواحة ( مرقة ) وكانت هاتان الواحتان إلى ذلك العهد مجهولتين ، كما اكتشفت مواقع أخرى فلم يكن والحالة هذه المكتشف لواحة الكفرة أو العوينات صاحب السعادة أحمد باشا حسنين رحمه الله وجعل الجنة مثواه ؛ ولكنه زار تلك الواحات وغيرها مصحوباً بالكثير من رجال السنوسى ولا يزال الكثير منهم على قيد الحياة .

**محمد الطيب بن إدريس**

**برقية من صاحب « الأديب » :**

أشرت فى عدد سابق من « الرسالة » إلى حديث نشرته مجلة « المهد » التى تصدر فى جنوب لبنان ، وعزاه محرر تلك المجلة إلى الأستاذ ألبير أديب صاحب مجلة الأديب وزعم فيه أن الدكتور عبد الرحمن بدوى المدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول إنما لبى دعوة كلية الآداب فى لبنان لإلقاء المحاضرات التى ألقاها هناك لأمر يتصل بمركزه فى الجامعة المصرية ، وأن الفرنسيين وجهوا إليه هذه الدعوة ستراً لأساليبهم الاستعمارية .

وقد تلقينا برقية من الأستاذ ألبير أديب تأخر نشرها سهواً يقول فيها إنه لم « يتحدث إلى مجلة المهد عن الدكتور عبد الرحمن بدوى » وأنه « نفى الحديث فى مجلة الأديب عدد مارس » .

ونحن نشكر للأستاذ صاحب « الأديب » هذه الغيرة على الحقيقة وبخاصة فى جانب أستاذ مصرى وجهت إليه دعوة علمية فلم يضن على أبناء لبنان بعلمه وأدبه ، وننتظر من محرر « المهد » أن ينصف الأستاذين بالاعتذار

**« الجاحظ »**




## أبو هريرة

[ تأليف الأستاذ عبد الحسين الموسوى العاملى ]

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

اسم كتاب ألفه الأستاذ الفاضل عبد الحسين الموسوى العاملى ، وهو من الشيعة المقيمين بالشام ، وقد أراد أن يدرس أبا هريرة درساً علمياً بريئاً من التعصب المذهبي ، ولكنه لم يكد يفتتح كتابه حتى وقع فيما فر منه ، وابتداه من أول صفحة كتاباً لا ينظر إلى أبى هريرة فى ذاته ، وإنما ينظر إليه كشخص يقدسه أهل السنة المخالفون له فى الغلو فى التشيع ، لأنا معشر أهل السنة نتشيع لعلى وأهل بيته رضى الله عنهم ، ونسلك فى ذلك مذهباً وسطاً بين المغالين فى التشيع لهم ، والذين يكرهونهم من الخوارج ونحوهم ، وقد قال على رضى الله عنه : خير هذه الأمة النمط الأوسط ، يلحق بهم التالى ، ويرجع إليهم الغالى .

فقد ذكر المؤلف أن الذى أوقع أهل السنة فى الرضا عن أبى هريرة إنما هو مذهبهم فى تعديل كل صحابى ، واعتقاد أن الصحبة عصمة لا يمس صاحبها بحرج وإن فعل ما فعل ، ثم ذكر أن الصحبة فضيلة جليلة ولكنها غير عاصمة ، وأن الصحابة كان فيهم العدول والأولياء والأصفياء والصديقون ، وكان فيهم مجهول الحال ، وكان فيهم المنافقون من أهل الجرائم والعظائم ، كما قال تعالى (ومن أهل المدينة مَرَدُوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم) فعدولهم حجة ، ومجهول الحال نتبين أمره ، وأهل الجرائم لا وزن لهم ولا لحديثهم ، وقد درس المؤلف أبا هريرة على هذا الأساس ليثبت أنه كان منافقاً كذاباً مجرماً ، فيكون عنده من الفريق الثالث الذى عده من الصحابة ، ولا يكون هناك وزن له ولا لحديثه .

ونحن معشر أهل السنة لا نعتقد أن الصحبة عصمة ، لأنه لا عصمة عندنا إلا مع وحى ونبوة ، والشيعة هم الذين يقولون بوجود العصمة بعد النبوة ، فالمؤلف فيما رمانا به من هذا على حد قولهم فى أمثالهم : رمتنى بدائها وانسلّت .

فالصحابة عندنا رجال كسائر الرجال ، يصيبون كما يصيبون ، ويخطئون كما يخطئون ، ولهذا كان مذهب الصحابى ليس حجة عند جمهور أهل السنة ، وكان الشافعى فيما أظن إذا خالف مذهبه مذهب الصحابى يقول : هم رجال ونحن رجال

فالصحابى قد يخطئ فى رأيه ، وقد يخونه سمعه فيخطئ فيما يرويه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأهل السنة يجيزون تخطئة الصحابى فيما يقع فيه من الخطأ ، لا فرق فى ذلك بين أبى هريرة وغيره من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم لا يجيزون تجاوز ذلك إلى الطعن فى دينهم ، ورميهم بما رمى به المؤلف أبا هريرة من أنه كان منافقاً مجرماً كذاباً ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم مات وهو راض عن أصحابه ، ونحن نكرمه برضانا عمن رضى عنه ، وبالتأدب فى حقه وعدم الطعن عليه فى دينه ، وقد كان أبو هريرة من ألصق الأصحاب بالنبى صلى الله عليه وسلم ، فيهمنا أن يكون رضاه عنه فى موضعه ، وألا يكون رضاه عن منافق كان يخدعه فى دينه ، ولنخطئ أبا هريرة بعد ذلك فيما يثبت عليه أنه أخطأ فيه ، مع صون اللسان عن السب والشتم والطعن فى الدين ، فليس هذا السب من النقد الصحيح فى شىء ، ولا من أدب الجدال فى الدين والعلم ، وقد نهانا الله عن ذلك فى جدالنا مع من يخالفنا فى الدين ، فقال تعالى فى الآية — ١٠٨ — من سورة الإنعام ( ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم ) ، وقال تعالى فى الآية — ٤٦ — من سورة العنكبوت ( ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ) ، والمسلم أحق بذلك مع المسلم .

وقد ثبت أنه كان هناك رواة يضعون الحديث على أبى هريرة ، ومنهم إسحاق بن نجيح الملطى ، وعثمان بن خالد العثمانى ، وابنه محمد ، وهو الذى روى عن أبى هريرة أنه دخل على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة عثمان بن عفان وبيدها مشط ، فقالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندى آنفاً رجّلت شعره ، فقال لى : كيف تجدين أبا عبد الله — يعنى عثمان — قلت : بخير . قال : أكرميه ، فإنه من أشبه أصحابى بى خلقاً . وهذا حديث باطل ، لأن رقية ماتت فى غزوة بدر ، وأبو هريرة إنما أسلم بعد فتح خيبر ، فلنحمل مثل هذا على أولئك الرواة ، ولا داعى إلى الطعن فى أبى هريرة .

# ضبط الأعلام

[ تأليف المغفور له أحمد تيمور باشا ]

للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

هذا أثر نافع مفيد ، قام بتأليفه وتحريره فقيد العلم واللغة المغفور له أحمد تيمور باشا ، ثم انتقل إلى جوار ربه ولم يكن قد استكمل ما رسم له من المقدمات والتمهيدات ، كسائر ما ترك رحمه الله من الآثار والمؤلفات .

يتضمن هذا الكتاب ضبط أسماء الأعلام في اللغة العربية ، مما يقع فيه التحريف واللبس إما لندرته وغرابته أو لاختلاف النطق فيه وبعد المهدبه ، على أن المؤلف رحمه الله لم يكتف بهذا فيما ذكر من الأعلام ، ولكنه أورد لها ترجمات قصيرة ، وحقق لها ما استطاع من تاريخ الميلاد وتاريخ الوفاة ، وهذا في الواقع عمل شاق لا يدركه إلا من كابده ، وما كان يتيسر إلا للمغفور له تيمور باشا بما كان له من الاطلاع الواسع ، وبما كان يملك من المخطوطات والآثار النادرة . فليس من شك في أن هذا الكتاب قد سدّ طلبة للباحثين والمحققين .

ولقد قامت بنشر هذا الكتاب «لجنة نشر المؤلفات التيمورية» وهي لجنة تألفت للنهوض بهذا العمل الجليل ، ولكني أسفت كثيراً وتألمت ! إذ وقعت في الكتاب على أغلاط نحوية ومطبعية لا تحصى ، ففي صفحة واحدة وجدت قوله « عادياً عنها » والصواب « عارياً » ، وقوله « وورد كثيراً منها » والصحيح « كثير » وقوله « كان بنانه » والصواب « نباتة » وقوله « بذكر أبيه وجدّ غالباً » والصواب « وجده » ، وإن التبعة في هذا كله على الناشر لا على المؤلف ، فقد كان تيمور باشا رضوان الله عليه عالماً محققاً ، وقد عرفته يقضي الأيام والليالي في تصحيح لفظ أو ضبط كلمة ، فلعل اللجنة تتلافى هذا في الطبعة الثانية لهذا الكتاب ، وتراعيه فيما تنشر من مؤلفات أخرى للفقيد العظيم .

# أمهات المؤمنين . . .

[ تأليف السيدة الفضلى وداد سكاكيني ]

للأستاذ كامل محمد عجلان

أهدت إليّ الكاتبة الشرقية ضيفة مصر السيدة وداد سكاكيني كتابها الأخير ( أمهات المؤمنين وأخوات الشهداء ) .

وقراء الرسالة يعرفون هزجات قلمها الفنان ، فلست في حاجة إلى وصف يراعتها وحسن بيانها ، ولكني أريد أن أحيي عاجلا مرآتها التي جلتها لقراء العربية بعد مراياها الحسان .

وأنا سيء الظن بآثار الأنوثة القلمية لأنني كلما تناولت عملا فنياً لنسائنا الشرقيات بدت لي أصابع الرجل تنسج وتدفع أنامل المرأة وبذلك تضيع نفحات الأنوثة أو تبدو وقوامة الرجل عليها شاهدة ، ولعل حظ نساء مصر في الانتحال الأدبي أوفى من غيرهن في الأقطار الشقيقة .

لكن السيدة وداد فيما تقدمه لنا ترغمني على أن أستثنيها لأن أدبها تنشئه أناملها الصناع وأنفاسها التي تتموج على شباة قلمها يحدها قلب حي بين أضالع ممورة بحنان المرأة الغيرى على أختها في ماضيها وحاضرها . وكذلك كان كتابها عن أمهات المؤمنين مثل (أم الزهراء) و(أم الحسنين) و (أم المؤمنين) وغيرهن وعناية السيدة وداد بجمال التصوير لم تمنعها من إبداء الخصائص التي تضنق بها في المرأة مع إيماننا بأنها من لوازم الأنثى حتى ولو كانت من أمهات المؤمنين كالهفوات الخفيفة التي تخللت صفاء الزوجية من جانب نساء الرسول .

وهو هو السمح الذي يصفح بفضل حلمه ورحابة صدره الذي أناره الله بنور النبوة .

وإن تعجب فلك أن تطيل الإعجاب بالسيدة وداد في مقدرتها من نخل كتب السيرة وغربلة روايات الأوائل حتى أخرجت لنا هذا الكتاب .




أسطورة من روائع الأدب الروسي :

# بشر وشياطين

[ قصة الخمر والدنان وغلبة الشيطان على الإنسان ]

للكاتب الفيلسوف ليو تولستوي

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي

ما كاد الصبح يتنفس ، وتخفق جنبات الكون بالحياة .. حتى هرع الفلاح الفقير يغذ الخطى إلى حقله ... وقد بكر فى غداته يروم الحرث والفلح ... ويحمل معه كسرات يابسة من الخبز ليفطر ثمة بها ...

فلما هيأ محراثه وربط إليه حصانه ... علق ثوبه — وقد أودعه كسرات الخبز — إلى شجيرة دانية ... وانطلق يشق أديم الأرض ويقلب التراب ... حتى إذا ما تصرمت ساعات الصبح ، وتراءت الضحى وأدركه العناء ، وتبدى الإعياء والسغب على حصانه ... أطلقه فى سبيل الكلأ ... وانثنى هو إلى الشجيرة يبتغى الكسرات يسد بها جوعه الذى راح يبرح به ...

فما إن بسط ثوبه حتى تولاه العجب .! إذ ألفى الخبز قد اختفى منه ... فقلب الثوب بين يديه وراح يهزه ، ولكن عبثاً !. فليس للخبز من أثر . فقال — يحدث نفسه وما زال الشك يتوزعها — « عجباً ! ! . . إن هذا غاية فى الغرابة ، إنى لم ألمح أى إنسان هذه الصبيحة ! . لعل أحدهم كان هنا ، وأخذ معه الخبز . ! » .

أجل لقد أخذه واحد من الشياطين الصغار ، بينما كان الفلاح مستغرقاً فى عمله ... وكان فى ذلك الحين قاعداً خلف الشجيرة يترقب ما سوف يتفوه به الفلاح من لعن وسباب ...

فاض قلب الفلاح بالأسف وألم به الضيق لضياع الخبز الذى أعده لفطوره ، بيد أنه ما لبث أن ارتفع صوته فى هدوء : « ليست ثمت حيلة ... وعلى كل حال فلن أقضى من الجوع ! . وإنى أحسب أن من استولى على الخبز أشد منى حاجة إليه ... فهنيئاً لمن أخذه ! . » .

ومضى إلى جدول .. فرشف منه بعضاً من الماء ينقع به غلته .. ومال يستريح من عناء العمل ومن قرصة الجوع ... وبعد حين أسرج جواده وقيده إلى المحراث وعاد يقلب به صفحة الترب من جديد ...

***

فطأطأ الشيطان الصغير برأسه ... وقد ركبه الخجل والألم لإخفاقه فى حمل الفلاح على أن يزل لسانه ويشرع فى سبيل الخطيئة ... وانثنى إلى أستاذه الأكبر « إبليس » يروى له ما حدث ! وكيف أنه أخفى عن الفلاح الفقير البائس كسرات الخبز فلم يحمله هذا على أن يتلفظ بكلمات السوء ... بل قال وهو قرير النفس . « هنيئاً لمن أخذها . ! » .

فصاح فيه « إبليس » ... وقد تملكه الغضب وزاد تلهب عينيه وكأنهما جمرتان وسرى الحنق والسخط إلى نفسه : « إنه خطؤك أنت ... فلست تفقه ما ينبغى عليك أن تعمله ... فبهذه الطريقة سوف يعيش الفلاحون وأزواجهم وذريتهم سعداء فى راحة وهناء ... يجب عليك أن تبث الضغينة وتنفث فيهم البغضاء وتفسد قلوبهم وتثير الحقد فى نفوسهم ... فهذه رسالتنا منذ أن خلق البشر ... انطلق ثانية ... وإنى لأمهلك ثلاث سنوات لتصلح ما أتيته من خطأ ... فإذا عدت بعدها ولم تفلح فى أن تدع الشر ينساب فى قلب ذلك الفلاح ، فسوف أغرقك فى الماء المقدس » .

فارتعدت فرائص الشيطان الصغير من الفرق والهلع ، وهو يرى أستاذه الأكبر يتوعده بالثبور والعذاب الأليم ... فغاص فى باطن الأرض ، وهو يجهد ذهنه ويعصره بحثاً عن حيلة توغر قلب الفلاح ، وتدفع عنه غضب إبليس ... وما أرهبه من غضب !. فراح يفكر ويطيل التفكير حتى عثر على خطة بارعة .

فانقلب فى شكل واحد من بنى آدم ... وتمثل بشراً سوياً ... وذهب إلى الفلاح حيث سأله عملاً بأجر رخيص ... فلم يجد هذا بأساً فى أن يلحقه بخدمته ليكون له عوناً فى زراعته . !

وفى السنة الأولى أشار على الفلاح بأن يزرع قمحاً فى أرض غدقة جرداء ذات جدب ومحل ... فعمل الفلاح بمشورته ، وبذر قمحه فى تلك الأرض السبخة ... فلما انقضى الحول — وكان ذا صيف صيهد شديد الحر — لفحت الشمس غلال الفلاحين

الآخرين فأحرقتها ... دون قمح ذلك الفلاح فقد نمى كثيفاً ، وغلظت سنابله ودحس حبه ... ففاض عن حاجته بعد أن أترعت خزائنه وامتلأت ... فألقاه جانباً ...

فلما حان موعد الزرع من جديد أخذ الشيطان يزين له أن يبذر القمح هذه المرة فى سفح الجبل ... فرضخ الفلاح لمشيئته ... بيد أن الصيف فى هـذه السنة كان طلقاً ذا ريح سجسج ... فتلفت غلال الآخرين وعفنت ولم تجدل لهـا سنابل ... أما الفلاح فقد تأتى له حصاد طيب أبلغ فى الوفرة من سابقه ... فحار الفلاح فيما يفعله بكل تلك الزيادة ...

وحينئذ أوحى إليه الشيطان كيف يستخلص الخمر من الحنطة فينقعها حيناً ثم يقطرها حتى يبلغ منها الراح فيمتقه ثم يشربه ...

فراح الفـلاح يقطر الخمر ... ويودعها فى دنان ... ثم يدعو رفاقه لينهلوا منها معه حتى يدركهم الثمل والسكر . !

* * *

عاد الشيطان الصغير إلى أستاذه « إبليس » يحدثه بما فعل فى زهو وخيلاء ... فأخبره أستاذه الأكبر بأنه سـوف يرافقه ، فيرى بعينه ما وفق إليه تلميذه ورسوله ...

فلما بلغ دار الفلاح ألفى هذا قد جمع حشداً من صحابه وجيرته يدعوهم إلى الشراب وكانت زوجه تدور عليهم بالقداح ، فينهلون منها ويعلون، وبينما هى تمد يدها ببعض الشراب إلى واحد منهم ... تعثرت قدمها فهوت على الأرض وتحطمت إحدى الدنان ...

فاحتدم غيظ الفلاح ، واستشاط غضباً على زوجته ... وانطلق يعنفها ويلعنها : « ما هذا أيتها الـكسيحة الحمقاء ؟ ! هل عميت حتى تهرق هذه الخمر النفيسة على الأرض ؟! اغربى عن وجهى . لعنة الله عليك ! . » .

فلـكز الشيطان الصغير أستاذه « إبليس » فى جنبه بمرفقه وهو يقول فى صوت رن فيه جرس الانتصار والزهو : « انظر ... هذا هو الرجل الذى لم أتمـكن من إثارة غضبه حينما كان الجوع يصرخ فى أمعائه ... وقد ضاعت منه كسرات الخبز ! . »

وقام الفلاح يتـاول الخمر أضيافه ... وما زال لسانه يجرى باللعن والسب على زوجتـه ... وحينئذ دلف إلى الدار أحـد الفلاحين ، وهو عائد لتوه من حقله . فرأى القوم ينهلون الخمر... فحدثته نفسه بأنه واجـد عندهم بعض الشراب يبعث الراحة فى نفسه ، وقد أنهكه التعب وأضناه العمل ... فجلس إلى أحد المقاعد وراح يتلمظ القطرة من الشراب . ولـكن صاحبنا الفلاح — بدلا من أن يجود عليه ببعض الخمر — قال له فى صوت أجش شاعت فيه الغلظة : ليس عندى شراب لـكل عابر سبيل ! . . فتفضل بمغادرتنا » .

فترسمت على شفتى « إبليس » ابتسامة ... بيد أن الشيطان الصغير ما لبث أن همس فى مسمعه : « انتظر بعض الوقت! وانظر ما سوف يفعلون ! . » .

نهـل الرفقاء الأغنياء مع صاحبهم الفـلاح ، وجرعوا من الصهباء ما طاب لهم ؛ ولذ لمـذاقهم ... وبدأت تسرى بينهم أحاديث النفاق والخداع ، وتجرى على ألسنتهم ألفاظ السـوء والنميمة ... وتطير بين شفاههم كلمات الملق والمداهنة والرياء .

فأصغى « إبليس » لمـا يقولون .. وسره ما رآه من نبوغ تلميذه الشيطان ... وقال « إذا كان هذا الشراب يحملهم على أن يتبادلوا أحاديث المـكر والخداع كما هى خـلال الثعالب فإن ذلك يجعلهم عجينة طيعة فى أيدينا نحن الشياطين ! . » .

فأجابه الشيطان الصـغير : « دعهم يتناولون زقاً آخر من هـذه الخمر ... ثم ارقب ما يكون من أمرهم ... إنهم الآن يبصبصون بأذنابهم كالثعالب ، ويتماكرون فى دهائها ولـكن بعد حين سوف ينقلبون إلى ذئاب وحشية ! . »

وزع الفلاح على الأضياف كؤوساً أخرى من الخمر فراحوا يعبون منها فى نهم .. وبدأت أحاديثهم ترتفع وتخشن . وتنساب فى رنتها غلظة الوحشية ... فبعد أحاديث الملق والرياء ، راحوا يتقاذفون بألفاظ السباب والشتائم ، ويزمجرون فى أصوات مخيفة ويلطم كل منهم الآخر على أنفه ويصـفعه على وجهه . واشتبك معهم كذلك الفلاح صاحب الدار ...

مد الشيطان الأكبر طرفه إلى ذلك ، وقد بلغ منه السرور والبهجة مبلغاً عظيما ... وراح يردد « هذا عظيم ... هذا عظيم ! » ولـكن العفريت ما لبث أن قال له « انتظر قليـلا فثمة ما هو أعظم من هذا ... ترقبهم حتى يُفرغوا فى أجوافهم دناً ثالثة ... فينقلبوا من ذئاب وحشية تتلاطم وتتصافع، إلى خنازير لا تدرك ولا تعى ..

تناول الفلاحون دناً ثالثة ... فارتفع لجاجهم وعطعطتهم وهم يلغطون كالبهائم التى لا تملك إحساساً ولا شـعوراً . فأخذوا يصيحون دون أن يعرفوا سبباً لصياحهم ولا يصغى أحدهم للآخر!

وبدأ الحفل يشرف على منتهاه ... وانطلق السكارى فرادى ومثنى وثلاث ... تعلو صيحاتهم الحيوانية وصراخهم الوحشى فى هدأة الدجى فيمزق سكونه فى رهبة تبعث الرعب !.

وهم الفلاح بودع أصدقاءه ... ولكنه سقط فى بركة من الماء الضحل .. فتلطخ جسده وثوبه بالوحل من هامته إلى أخمص قدمه .. فانفلت يلعن ويسب ، وهو قابع فى مكانه كالخنزير ..

***

قهقه « إبليس » عالياً .. وعاد يُطرى نبوغ تلميذه ثم قال له : « لقد أمكنك أن تصلح خطأك حين أخفيت الخبز عن الفلاح .. وفزت بالنجاح فيما اختبرتك فيه ..

ولكن خبرنى كيف يُركب هذا الشراب الساحر .. لابد أنك وضعت فيه خلاصة من دماء الثعالب .. وأضفت إليه دماء الذئاب ثم مزجتها بدم الخنازير .. ذلك ما جعلهم يتماكرون ويتملق بعضهم بعضاً فى أول الأمر كالثعالب !. ثم يتضاربون كالذئاب .. ثم يصيحون كالخنازير التى فقدت إحساسها ومشاعرها »

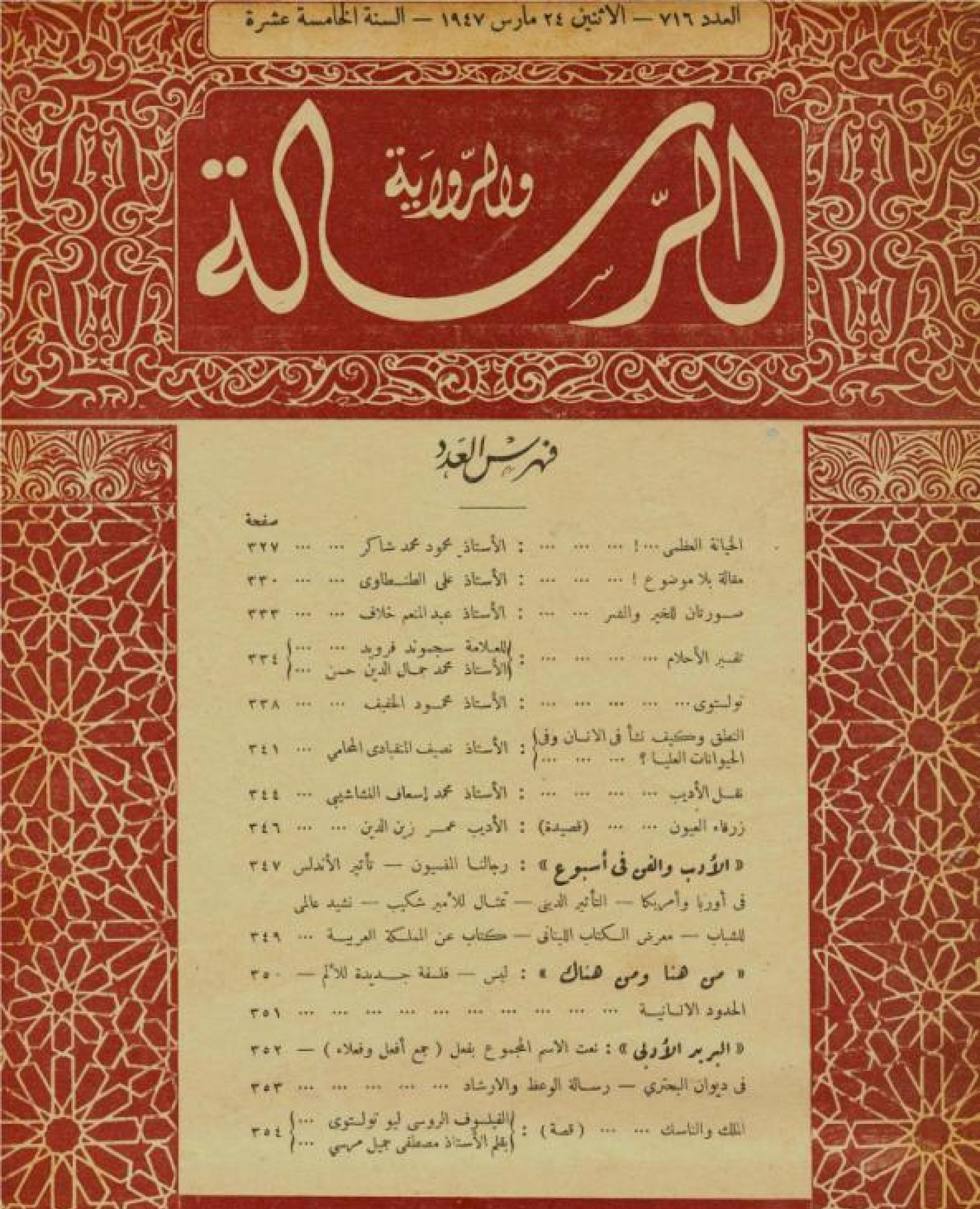
فأجابه الشيطان الصغير : « لا يا سيدى الفاضل !. ليست هذه الطريقة التى اتبعتها فى عمل هذا الشراب ... كل ما فعلته هو أنى لحظت أن الفلاح توفر لديه القمح وزاد عن حاجته !..

إن دماء الحيوانات والوحوش كامنة فى عروق الإنسان منذ أن فُطر .. فطالما عنده ما يكاد يكفى حاجته من الطعام والخبز .. ظلت هذه الدماء ساكنة حبيسة .. ولذا لم يغضب الفلاح حينما سرقت منه كسرة الخبز .!

وحينما توفر لديه القمح وراح يسعى إلى وجوه جديدة يتنعم فيها بهذا الوفر فدللته على متعة عظيمة .. هى الخمر فلما أخذ يقلب فضل الله وخيره عليه ... إلى هذه الخمر ليتخذها متعة لنفسه ، انطلقت دماء الثعالب ودماء الذئاب ودماء الخنازير من سكونها وراحت تعبث بنفسه وتعبث بعقله .. ولو أن الإنسان داوم على الشراب !. لظل حيواناً وحشياً طيلة حياته ... إن الرغد من أسباب الرذيلة !. » .

فامتدح إبليس تلميذه الشيطان الصغير وأثنى على براعته وعفا عما بدر منه سابقاً من ذنوب ... ورقاه إلى رتبة أعلى فى دنيا الشياطين!

( القاهرة ) مصطفى جميل مرسى



العدد ٧١٦ — الاثنين ٢٤ مارس ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

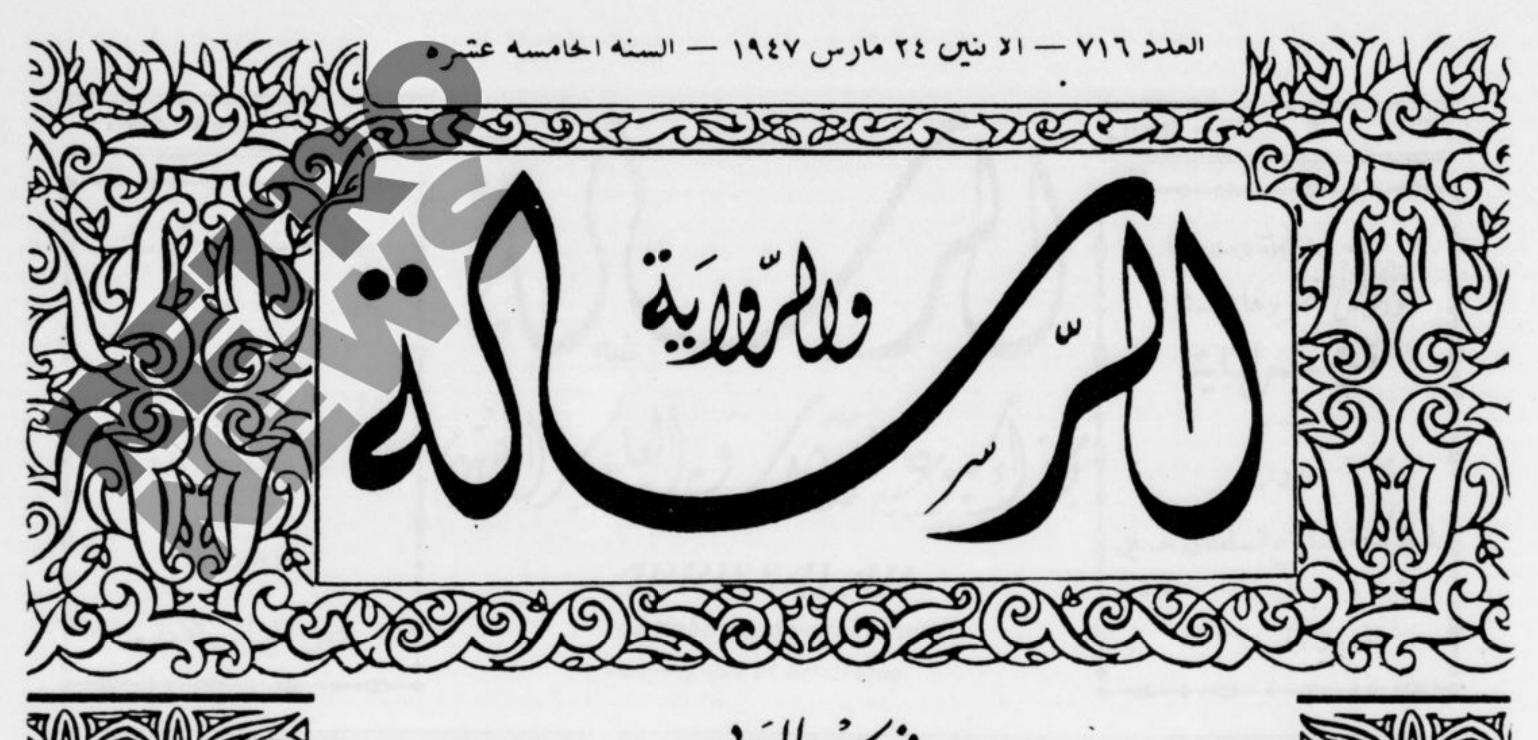
# الرسالة والرواية

## فهرس العدد


| | | صفحة |
|---|---|---|
| الجباة العظمى ... ! ... ... ... | الأستاذ محمود محمد شاكر ... ... | ٣٢٧ |
| مقالة بلا موضوع ! ... ... ... | الأستاذ على الطنطاوى ... ... | ٣٣٠ |
| صورتان للخير والشر ... ... | الأستاذ عبد المنعم خلاف ... ... | ٣٣٣ |
| تفسير الأحلام ... ... ... ... | العلامة سجموند فرويد ... ...<br>الأستاذ محمد جمال الدين حسن ... | ٣٣٤ |
| تولستوى ... ... ... ... ... | الأستاذ محمود الخفيف ... ... | ٣٣٨ |
| النطق وكيف نشأ فى الانسان وفى الحيوانات العليا ؟ ... ... ... | الأستاذ نصيف المنقبادى المحامى ... | ٣٤١ |
| عقل الأديب ... ... ... ... | الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى ... | ٣٤٤ |
| زرقاء العيون ... ... (قصيدة) | الأديب عمر زين الدين ... ... | ٣٤٦ |
| « الأدب والفن فى أسبوع » : رجالنا الفنيون — تأثير الأندلس فى أوربا وأمريكا — التأثير الدينى — تمثال للأمير شكيب — نشيد عالمى للشباب — معرض الكتاب اليابانى — كتاب عن المملكة العربية ... | | ٣٤٧ – ٣٤٩ |
| « من هنا ومن هناك » : ليس — فلسفة جديدة للأمم — الحدود الانسانية ... ... ... ... ... ... ... | | ٣٥٠ – ٣٥١ |
| « البريد الأدبى » : نعت الاسم المجموع بفعل ( جمع أفعل وفعلاء ) — فى ديوان البحترى — رسالة الوعظ والارشاد ... ... ... | | ٣٥٢ – ٣٥٣ |
| الملك والناسك ... ... (قصة) | الفيلسوف الروسى ليو تولستوى ...<br>بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى ... | ٣٥٤ |


مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧١٦ — الاثنين ٢٤ مارس ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

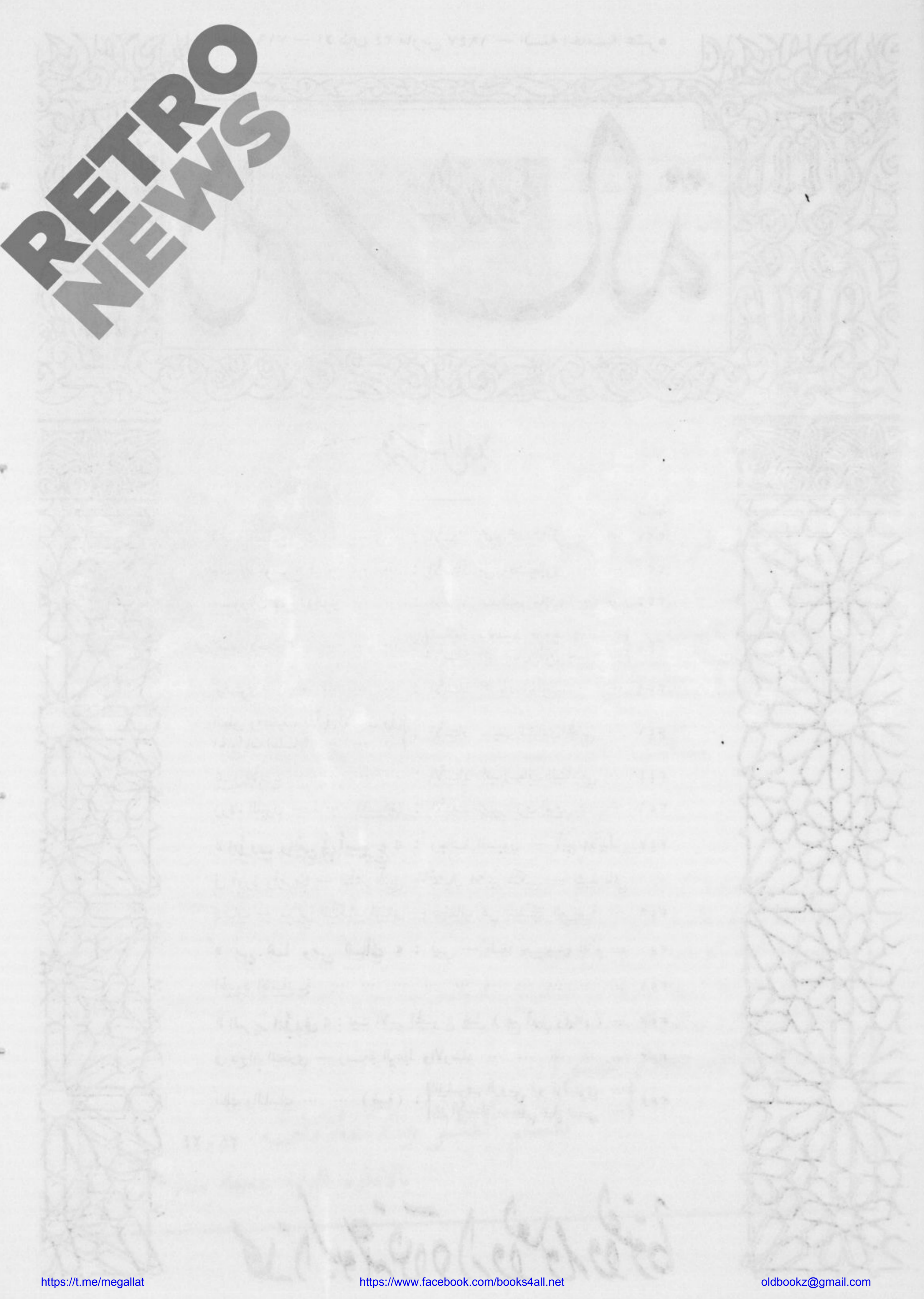


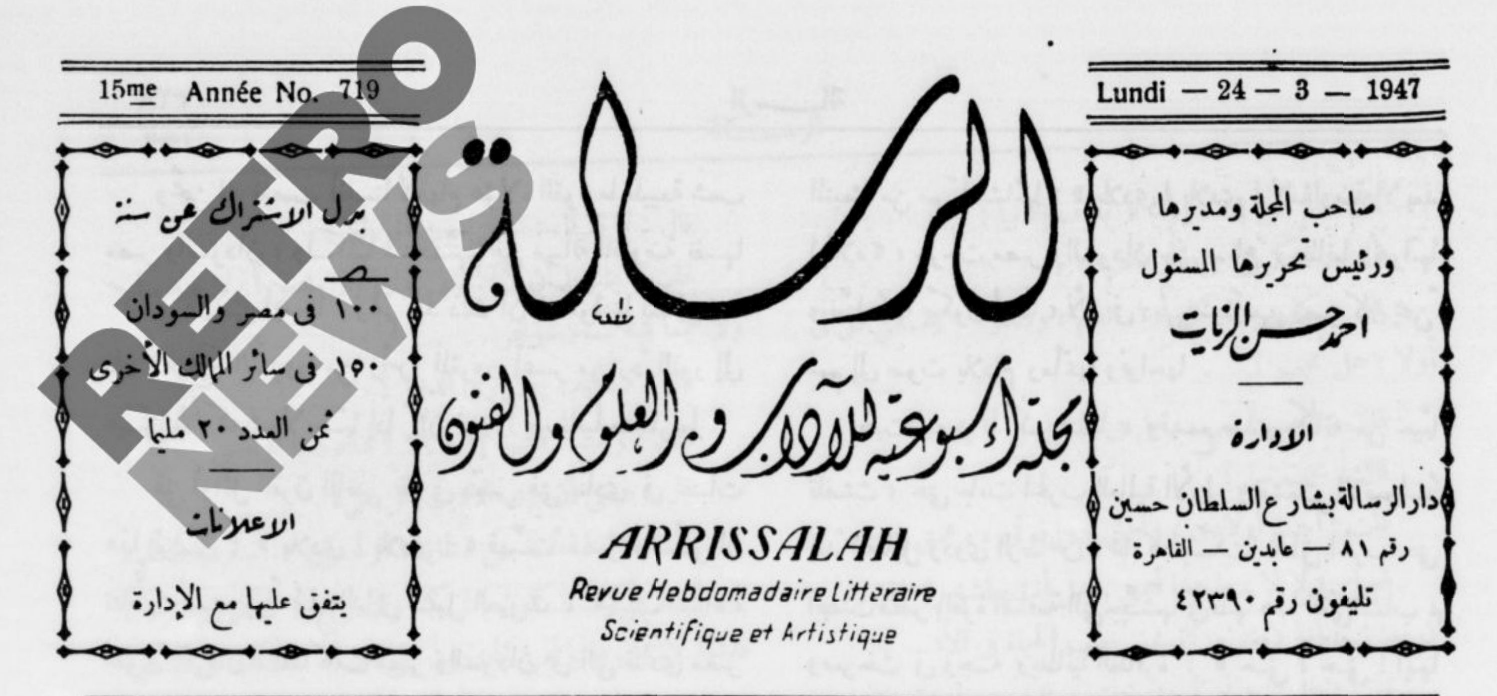

## فهرس العدد


| | | صفحة |
|---|---|---|
| الخيانة العظمى ... ! ... ... ... | : الأستاذ محمود محمد شاكر ... ... | ٣٢٧ |
| مقالة بلا موضوع ! ... ... ... | : الأستاذ على الطنطاوى ... ... | ٣٣٠ |
| صورتان للخير والشر ... ... | : الأستاذ عبد المنعم خلاف ... ... | ٣٣٣ |
| تفسير الأحلام ... ... ... ... | : للعلامة سجموند فرويد ... ...<br>الأستاذ محمد جمال الدين حسن ... | ٣٣٤ |
| تولستوى ... ... ... ... ... | : الأستاذ محمود الخفيف ... ... | ٣٣٨ |
| النطق وكيف نشأ فى الانسان وفى الحيوانات العليا ؟ ... ... ... | : الأستاذ نصيف المنقبادى المحامي ... | ٣٤١ |
| نقل الأديب ... ... ... ... | : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي ... | ٣٤٤ |
| زرقاء العيون ... ... (قصيدة) | : الأديب عمر زين الدين ... ... | ٣٤٦ |
| « الأدب والفن فى أسبوع » | : رجالنا المنسيون — تأثير الأندلس | ٣٤٧ |
| فى أوربا وأمريكا — التأثير الدينى — تمثال للأمير شكيب — نشيد عالمى للشباب — معرض الكتاب اللبنانى — كتاب عن المملكة العربية ... | | ٣٤٩ |
| « من هنا ومن هناك » | : ليس — فلسفة جديدة للألم — | ٣٥٠ |
| الحدود الانسانية ... ... ... ... ... ... ... ... ... | | ٣٥١ |
| « البريد الأدبى » | : نعت الاسم المجموع بفعل ( جمع أفعل وفعلاء ) — | ٣٥٢ |
| فى ديوان البحتري — رسالة الوعظ والارشاد ... ... ... ... | | ٣٥٣ |
| الملك والناسك ... ... ( قصة ) | : الفيلسوف الروسى لیو تولستوى ...<br>بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي ... | ٣٥٤ |


٢٨٥٢٤

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون


RETRO
NEWS



15me Année No. 719 — Lundi — 24 — 3 — 1947

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٧١٦ « القاهرة في يوم الاثنين أول جمادي الأولى سنة ١٣٦٦ — ٢٤ مارس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

# الخيــــانة العظمى ...!

للأستاذ محمود محمد شاكر

كثرت لجاجة الصحف البريطانية ومراسليها في مسألة مصر والسودان ، ولا تزالُ تلحُّ في ترديد الأقوال التي تشكك في عرض قضية الجلاء عن وادي النيل — مصره وسودانه — على مجلس الأمنِ أو أية هيئة دولية يكون من حقـها أن تنظر مثل هذه القضية ، ولم تزل هذه الصحف ومراسلوها يدسُّون كلمة « العودة إلى المفاوضة » دسًّا عجيباً حيث يحتاج إليها الكلام وحيث لا يحتاج . وهـذه عادة قديمة وأسلوب عتيق كسائر أساليب بريطانيا في الخُدَع التافهة التي تسمّيها سياسة . ولسنا ندرى على أىّ أساسٍ يبنى هؤلاء المراسلون ، أو الموحون إليهم ، كلامَهم وثرثرتهم هذه . ولكن الشيء الذى لا نشكّ نحنُ فيه البتّة ، والذى ينبغى أن تعرفه بريطانيا ومن ترسلهم إلى مصر والسودان ليحملوا إليها أنباء هذه البلاد — هو أن الشعب المصرىّ السودانىّ قد قال كلمته منذ اليوم ، وقد قضَى على كل سياسىٍّ يخرجُ على إجماع الشعب بالخيانة العظمى كما تفهمها الشعوب — لا كما تفهمها الحكومات . وقد انعقد إجماع الشعب على اختلاف الأحزاب التي ينتمى إليها :

١ — بأن لا مفاوضة بيننا وبين بريطانيا بَتةً وقولا واحداً .

٢ — وأن الجلاء كلمةٌ يرادُ بهـا أن تجلوَ بريطانيا عن وادى النيل لا عن مصر دون السودان .

٣ — وأن طلَب الجلاء ينبغى أن يعرضَ على هيئة دولية لها شرفٌ تخافُ أن يُثلَم ، ولها مكانة تتحرّج عن سقوطها في أعين البَشَر .

٤ — وأن التجربة قد دلّت على أن بريطانيا خِلْوٌ من هذين الشرطين ، وهما شرطان لا بُدَّ منهما لمن نرتفع إليه بقضيتنا أو من نفاوضه فيها .

٥ — وأن كل دعوةٍ يُراد بها أن نعود إلى المفاوضة في حقٍّ من الحقوق المكفولة لسائر البشر ، ليست إلا خيانة توجب على مُرتكبها ما توجبه سائر الخيانات من قصاصٍ .

٦ — وأن مصر والسودان أمةٌ واحـدة ، سوف تتولى بنفسها عقاب كل خائن .

هذا مختصر ماينبغى لبريطانيا وساستها أن يعلموه علم اليقين . أما مراسلوها وجواسيسها الذين كُلِّفوا بأن يحملوا إليها الأنباء التي تهتدى بها في سياستها التي تخصُّ مصر والسودان فقد كذبوها أفحش الكذب ، لا لأنهم يريدون الكذبَ على أمّتهم البريطانية ، كلاّ . بل لأنهم جهلوا كلَّ الجهل طبيعة الشعب المصرى السودانى ، وخدعتهم الظواهرُ عن حقيقة النار المضطرمة في أحشاء مصر والسودان ، منذ استيقن شعب مصر والسودان أنّ بريطانيا أمة من أخلاقها الغَدْر والوقيعة وإخلاف الوعدِ والتلوُّن في ألفاظٍ من بهرج الكلام وزائفه

ونحن لن ننصب أنفسنا لإفهام هؤلاء القوم ما طبيعة شعب مصر والسودان ، ولكنا سنحدثهم عن مسألة المفاوضة نفسها كيف كان من أمرها ، ولهم بعد ذلك أن يحكموا بما يشاؤون ، فإن إخراجَ الغُرور من رأسِ المغرور أعسر من ردّ النور إلى عينَي الأكمه ؛ ولا سيّما إذا كان غروراً بريطانياً متغطرساً .

ففي أوائل القرن الماضي قام في مصر فتى ينادي في جنبات هذا الوادي : « بلادي ! بلادي ! » فهبّتْ مصر والسُّودان تتلفّت مستجيبةً لهذا الداعي النبيل الصوت ، الحبيب النداء ، القويّ الإيمان . لقد كانت مصر والسودان هي التي تنادي مصر والسودان ، فهي دَمُه ، وهي أعصابه ، وهي نفْسه ، وهي جنانه ، وهي لسانه ، وهي حقيقته التي صار بها هذا الفتى يُدعى بين الناس « مصطفى كامل » . ثم أوحت مصر والسودان إلى فتاها أن يقذفَ في وجه بريطانيا ذاتِ البأس بكلمتها الخالدة : « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » ، لأن حقيقة مصر والسودان المستقرّة في بنيان هذا الفتى كانت تعلم من سرّ ضميرها أن هذا هو الحق ، وأما كلّ شيء سواه فباطلٌ وقبضُ الريح ، كما قال سليمان . نظرت مصر والسودان إلى هذا الفتى الضئيل المَمْرُوق وهي تبكي من فَرْطِ لهفتها وتخوّفها ومن فرط ما كانت تشعرُ به يومئذ من العجز الذي استهلكها وأثقلها عن أن تكون مثله توقّداً ونشاطاً وقوة وحياةً ، ولكنها آمنت به ورضيتْ عنه وجعلت دمعها شهادةَ الإيمان بحقّه وحقّها الذي أجراه الله على لسانه

ونجمت يومئذٍ فئة من خلق الله الذين شاء برحمته وحكمته أن يجعلَ مصر والسودان لهم منبتاً ومَباءةً كما جعلها منْبتاً ومباءةً لسائر الهوامّ وخَشَاشِ الأرض وهمَج الجوّ ، وقامت بريطانيا تتعهّد هذه الفئة وتغذُوها وتَرضعُها من دَرّها بُغيةَ أن تشتدّ فتكون سباعاً وجوارحَ وأعواناً لها على الفتك بهذا البلد الأمين ، وما هو إلا قليلٌ حتى خرجَ منها خلقٌ يعْوي في وجه الفتى وينْبَحُ ويهرّ هريراً لا ينقطعُ ، ولكن مصر والسودان أبتْ إلا فتاها فأطاعته وأنكرت تلك الفئة التي نبتت أبدانها على شيء غير نيلها وتربة هذا النيل .

ثم قبض الله إليه فتى مصر والسودان ، فخرجت مصر والسودان في جنازته تبكي الصوت الذي ردّد الكلمة الخالدة المنبعثة من سرّ أحشائها : « بلادي ! بلادي ! لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » ، خرجت مصر والسودان حتى سباعُ بريطانيا وعُواتها ونُبّاحُها يبكون أيضاً ، لأن في دمهم شيئاً من مصر كان يحنّ بهم إلى صوت بلادهم ومأتمها ونواحها .

بقيت مصر تذكُر فتاها ، وتسمع صدى كلماته من حيثما تلفّتت ، حتى جاءت الحرب العالمية الأولى وخشعتِ الأصواتُ لمدّ القنابل ودوي الرصاص ، فما كاد يسكتُ ناطق الحرب حتى انبعثت مصر بالقوة الدافعة التي جيّشتها في قلبها هذا الفتى الشاب ، وصرخت في وجه بريطانيا الظافرة : « حقّ ! حقّ ! أيتها الغاصبة » لم تَهَبْ بأسها ولا سطوتها ولا جبروت الظفر المسكِر الذي ثملت بنشوته .

ثم كان شيء لا ندري كيف كان ! !

كان منطق الحوادث يقضي بأن تردّد هذه الجماهير الثائرة كلمة مصر والسودان الخالدة : « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » ، ولكنها اقتصرت يومئذ على مايتضمن ذلك النداء الحكيم الذي نادى به فتى مصر فجعلت تقول « الاستقلالُ التامّ » ، وخرجت بريطانيا تُقتّل بالرصاص جمهوراً ثائراً مطالباً بحقه مستبسلا في سبيله ، فكلما انطلقت رصاصة انطلقت معها صيحةٌ واحدة من حناجر أمة بأسرها : « الاستقلال التام » ، فكأنها رأتها تغني عن كلتها : « لامفاوضة إلا بعد الجلاء » . فهما عندها كلمتان مترادفتان

وألحت بريطانيا في التقتيل والفتك والعُدوان والبغي ، وألحت مصر والسودان في الجرأةِ على باطل بريطانيا مطالبة بحقها وهو « الاستقلال التام » ، ولم يكن يدورُ بخلدها شيء إلا هذا النداء وحده ليلا ونهاراً وبكرة وعشية ويوماً بعد يوم ، ولم يكن يجري في وَهْم الشعب الثائر الطالب بالحق أنّ أحداً سوف يقول: تعالى أفاوضكِ يا بريطانيا ! فيَحذر عندئذ حذره ويعود إلى ندائه الأول الذي هو الكلمة المستكنة المضمرة في دَمِ هذا الشعب الذكيّ على قلة علمه ، القوي على ضعفِ حيلته .

ثم كانَ شيء لا ندري كيف كان ! !

كان زعيم هذا الشعب الثائر « سعد زغلول » ، وكان رجلا شيخاً ، ولكن ناهيك به من شيخ ، وكان خطيباً حسبُك من خطيب ، كان يسمَع الهمهمة التي تدورُ في دم الشّعب

قال : ألم أقل لك ، إنك لا تعرف الدنيا ؟

قلت : فـكيف تريد أن أعرفها ؟

قال : كما يعرفها كل أدباء العالم ، وذلك ... ولـكن قل لى أولا ، هل تحب ؟

قلت : أحب ؟ نعم . وهل فى الدنيا من لا يحب ؟

قال : تحب من ؟

قلت : أحب أولادى ، وأهلى ، وإخوتى ، وعمتى ...

فصاح : لا لا ، ما هذا أعنى . هل أنت عاشق ؟ إذن يجب أن تعشق ، إنه لا شىء كالعشق يصب الحياة فى الأدب .

قلت : هل تريد أن أختار فتاة من الطريق فأعشقها ؟

قال : من الطريق ، من الشباك ، من السينما ، المهمّ أن تعشق .

قلت : ويكفى هذا لتعجبك كتابتى ، وترى فيها حياة ؟

قال : نعم .

قلت : سهلة ، سأعملها غداً ؛ أحلق ، وألبس أحسن ثيابى ، وإن لم يكن عندى ، والكلام بيننا ، إلا ثوب واحد ، ألبسه كل يوم ، وأقف فى ... أين يقفون عادة ؟ فى شارع عماد الدين مثلا ، ثم أختار أجمل امرأة تمر بى ، فأقول لها : العفو ياست ، أو يامدموازيل ، كما تقولون فى مصر ، كلمة من فضلك . فتقول : ماذا ؟ فأقول : أنا كاتب يكتب مقالات مريضة ، وقد وصف لى أطباء الأدب ، أن أحب لتصح مقالاتى ، فهل تأذنين لى أن أحبك ؟

قال : أنا لا أحب الهزل .

قلت : تحب الجد ؟ إذن قل لى ، ماذا بعد الحب ؟ أى بعد الوعد واللقاء ؟ ماذا تكون النتيجة على رجل متزوج له أولاد ، وعلى امرأة لا يمكن أن تكون عجوزاً ولا كهلة ما تكون إلا فتاة غريرة ، أو عذراء بكراً ، لم يطوّح بها الاحتياج والفقر ، ولـكن هذه المدنية الملعونة ، وهذا السفور والاختلاط ؟ أيساوى ما أفقده من شرفى ودينى ، وما تضيعه من عفافها ومستقبلها ، المقالات التى أكتبها يومئذ حيّة مشتعلة ؟ وهل تكون تلك المقالات إلا جريمة ثانية لأنها تدعو إلى مثل هذا الحب ؟

قال : إنك تتكلم بلسان العصر الماضى ، إنا لن نرجع إلى الوراء ، فلا تحاول المستحيل ، هذه هى دنيا اليوم ، ولا بد أن أريكها ؛ فقم معى .

قلت : إلى أين ؟

قال : لا تسأل : امش حيث أقودك .

قلت : بشرط أن لا تدخلنى خمارة ولا ماخوراً ولا مرقصاً ، ولا مجمعاً فيه نساء سوافر .

قال : فـكيف إذن ترى الدنيا ؟

قلت : وليست الدنيا إلا هناك ؟ هذه دنيا الرجس ...

قال : ينبغى أن يرى الأديب كل شىء .

قلت : إننا تعلمنا من مشايخنا الرجميين ، أسلوب الدعوة إلى الله ، وكيف تـكون بالحكمة والتدريج لا تـكون طفرة ، فلماذا لا تمشون يا أيها المجددون على هـذه الحـكمة فى الدعوة إلى ... إلى ... رؤية الدنيا ؟ !

قال : طيب ، آخذك اليوم إلى أمكنة لا تنكرها ولا تأباها

فضحكت وقلت : ثم تمشى بى خطوة بعد خطوة ، حتى تبلغ بى حيث تريد . هذه هى الحـكمة .

قال : هيا بنا ، على أن لا تنفق شيئاً ، أنت فى ضيافتى .

وأركبنى سيارة ، سلكت بنا شوارع على النيل ، رأينا فيها أزواجاً من الناس ، أزواجاً فى العدد لا بعقد المأذون الشرعى فقال لى : ترى هؤلاء ؟

قلت : نعم .

قال : مثل هذا يفتح قريحة الأديب حتى تتدفق بالشعر الحىّ الذى يهز القلوب من قراراتها ، فهل أمتع من هذا ؟ جمال الطبيعة وجمال الحب ...

قلت : والحـكومة ترى هذا ولا تمنعه ! والعلماء يبصرونه ولا ينكرونه ! والآباء ...

قال : علماء إيه ؟ وبتاع إيه ؟ إنت فين يا أخى ؟

ومشينا ، ومر بى على قصور شامخات ، فسماها ووصف لى ما يجرى فيها ، من دَفق الذهب على موائد الميسر ، وخنق الأعراض فى سرر الشهوات ، وحرق الأكباد بكؤوس الشراب ، ثم قال لى فجأة : هل تعرف الرقص ؟

قلت : لا ، ولم أحضر فى عمرى حفلة رقص ، ولم أر راقصة إلا فى السينما يوم كنت أدخلها

فصَفَقَ كفاً بكف ، وأبدى الرثاء لى والشفقة علىّ ، وقال بلهجة المؤدب الناصح ، للمريد الطائع :

يجب أن تتعلم الرقص ، إن له فى مصر مدارس خاصة ، وإنك تلقى فيها من يلزمك الحب إلزاماً ...

قلت : وهل الرقص إلا الفاحشة المستترة ، كالسم يوضع فى علب الحلوى ؟

فقال متحمساً : لا . أبداً . من قال هذا ؟

قلت : أنا .

قال : هذه أفكار المتأخرين الجامدين .

قلت : وما هى أفكار المتقدمين المائعين ؟

قال : ثق أننا لا نفكر أبداً عند الرقص إلا فى الرياضة والموسيقى ...

قلت : ألست تعانق فتاة غريبة عنك ، يكاد يمس وجهك وجهها ، وصدرك صدرها ، و ... أعنى ألست تحتضنها ؟

قال : وماذا فى ذلك ؟ لماذا لا تنظرون إلا إلى الناحية البهيمية ؟ هذا فنّ !

قلت : وكشف أفخاذ بنات المدارس للرياضة فن ، وتجردهن للسباحة فن ، وجلب الفتاة العارية ليصورها طلاب مدرسة الفنون الجميلة فن ، إن كلمة الفن اليوم مرادفة لكلمة الفجور عند أجدادنا الأولين .

وانتهى الطريق فنزلنا من السيارة ، وقلت :

أشكرك . السلام عليكم .

قال : إلى أين ؟ إننا سنتعشى ثم نبدأ سهرتنا .

قلت : نبدأ ؟ صارت الساعة التاسعة !

قال : وماله ؟

قلت : نتعشى فى البيت وننود .

قال : دعك من البيت ، إنا اتفقنا على أن أريك الدنيا .

قلت : وهل البيت فى الآخرة ؟

فأصرّ فعلمت أن العشاء فى السوق من شرائط رؤية الدنيا إجادة الكتابة ، فقبلت ومشينا .

قلت : إنى أعرف ( مطعما ) جيد الطبخ .

قال : أى مطعم ؟

قلت : الحاتى .

قال : الحاتى ؟ ! تعال أرك الدنيا . امش . امش ...

قلت : وأين الدنيا ؟

قال : ... ... ...

وسمى أسماء نسيتها .

وأدخلنى واحداً من هـذه المطاعم ، فرأيت مكاناً مزدحماً ، وسقفاً واطياً ، وهواء ثقيلا ، ودخاناً مطبقاً ، وضجة مرهقة ، وموائد ملتصقة ، ثم جاءنا النادل فكلمته بالعربية ، فلوى شدقه استكباراً ولم يفهم ولم يجب ، فكلمه صاحبى بلغة لا أعرفها ، فجاءنا بطعام أدعو الله أن لا يطعمه مؤمناً ، إلا إذا عذبه به فى الدنيا تكفيراً لذنبه ، وتخليصاً له من عـذاب الآخرة ، طعاماً خبيثاً ، وشيئاً كالضفادع والسراطين وعقارب البحر ودود البر ، وحشرات الجو ، وشيئاً لزجاً كأنه مرهم الزنك مخلوطاً بالا كتيول فرفعت يدى عنه ولم أمسسه ، وأكل صاحبى بشماله ، لأن من العيب كما فهمت أن يأكل باليمين ... واستعمل ملاعق وأشواكا وسكاكين كباراً وصغاراً تسلح عصابة كاملة ... ثم جاء النادل بزجاجة فتحها له ، قرأت عليها اسم خمرة من الخمور ، فالتفت فإذا الذى نحن فيه خمارة ، فغضبت وقمت ، وقلت :

أما إذا بلغ الأمر مبلغه ، فاعلم أنى أمزح معك ، وأتسلى بصحبتك ، وما أحب أن تمتد المزحة أكثر من هذا ، ولله علىّ أن لا أصحبك بعد اليوم

ورأيته قبل أن أنصرف ، قد دفع ثمن عشائه وزجاجته تسعين قرشاً ، أطعم بمثلها أسرتى كلها يوماً كاملا .

وعدت إلى الدار ، فتلقانى أهله بالمودة والبشر ، وأسرع الأولاد وتعلقوا بى ، فأحسست إذ أبصرت دعة المنزل ، ونعمة الأهل ، وسعادة الفضيلة ، ولذة الاستقرار ، بمثل ما تشعر به السمكة تلقى فى الماء ، بعد أن أشرفت على الاختناق .

هذا وما مشينا إلا خطوة واحدة من الطريق ، وما رأيت إلا المطعم ، فكيف لو أكملت الطريق ورأيت الدنيا ؟ !

لا . لا أريد هذه ( الدنيا ) ، خلّيتها لكم ، فامرحوا فيها وحدكم وامرحوا ، لا أريدها ، حسبى دنياى ، فهى خير لى وأجدى علىّ ، ولو لم يكن فيها إلا راحة الأعصاب ، وهدوء البال ، وصحة الجسم ، لكان ذلك مرغباً لى فيها ، صارفاً لى عما سواها ، فكيف ومع ذلك كله تقدير الناس ، ورضا الله ؟

أما الأدب فإن كان لا يعجب الناس منه إلا ما يجىء بسهر الليالى ، وذرع الطرقات ، وسكنى المراقص ، وإغراء الغيد بالفواحش ، وسلوك طريق جهنم ، فإن أهون شىء علىّ أن أهجره وأن أطلق الكتابة ثلاثاً ، ثم لا أعود إليها ، ولا أقبل عليها ، وأن أنام بعد مستريحاً خلىّ القلب فارغ الذهن ، إذ لم أخسر بتركها شيئاً ولا خسر القراء !

**على الطنطاوى**

ولا تجد لها بياناً ، فيصوغ لها بياناً من عنده ويلقى به إلى الشعب فإذا هو يسمعُ كل ما فى ضميره مترجماً فى ألفاظٍ حية تتردَّد فى أذنيه . وفُتِن الشعب بسعد لسانه الذى ينطقُ بأسراره التى تتحيَّر فى دمه ولا يعرفُ كيف يبينُ عنها ، وأسلم القياد لرجل يهديه ويرشدهُ ويعبِّر عنه ، ويلطم بشيخوخته الوقورة الصاحية شبابَ بريطانيا الظافرة الطائشة السَّكرى براحِ النصر .

ثم كان شىء الله يعلم كيف كان ! !

فإذا هذا الشعب المأخوذ بسعد ، الفائر بالثورة فى طلب حقه المتهجِّم على بريطانيا العاتية ، المائجُ من منبع النيل إلى مصبه يطلبُ الحرية من قيوده وآصاره فتتلقَّاه أسنَّة الرماح البريطانية ويتخطَّف أرواحه رصاصُ الوحوش ذاتُ المدنية العريقة منذ كان أرسطو إلى هذا اليوم !! إذا بهذا الشعب المنادى بالاستقلال التام يسمعُ دعوةً إلى مفاوضة بريطانيا لا يدرى أحدٌ كيف جاءت وكيف تدسست إليه ، وإذا سعدٌ هو المفاوض ، فمشت مصر فى آثار زعيمها ثقةً به وتسليماً لهُ ، ورجتْ لحكيمها الشيخ أن يردَّ إليها باستقلالها التام ...

كان هذا ولا يدرى أحدٌ كيف كان !!

ولكن بقيتْ فى مصر والسودان بقيَّةٌ لم تَزلْ تسمع صدَى كلماتِ الفتى الأوَّل ، فهبَّت تصرُخ فى وجه الشعب المطالب بالاستقلال التام ! ! حذَارِ حذارِ ، وألَّحت فى صراخها ولكن مات صوتها فى دوىِّ الأصوات المطالبة بالاستقلال التام ! وفى موْج الجماهير ، وفى أزيز الرصاص وهديره وقصفه . وأخيراً وقف رجلٌ يسخر من كلمة مصر الخالدة : « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » سُخريةً لاذعة ملفَّفة فى ثوب الدُّعابة المحبَّبة إلى هذا الشعب منذ قديم الأزمان ، والذى يُداعبُ ويحب الدُّعابة ولا ينساها وهو فى حبل المشنقة ، أو فى سياقِ الموت . وكانت هذه الدُّعابة أفْعَل من رصاص بريطانيا وحِرابها ونذالتها جميعاً فى قتل كلمة مصر والسودان : « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » ، حتى صار من يقولُ بها معدوداً عند أصحاب العصبيات الجاهلية فى عداد المجانين والموسوسين والبُلهِ والملاحيس .

نعم كان ذلك ولكن لا ندرى كيف كان !!

ولكن بقى شىءٌ واحدٌ جهلته بريطانيا وجواسيسُها ، وجهله كل مِفراحٍ طيَّاش من أصحاب العصبيات الجاهلية التى غلبت على قلوبهم وأعمت أعينهم . ذلك الشىء الواحد هو أن المفاوضات ظلَّت تجرى منذ بدأت إلى أن كانت سنة ١٩٣٦ ، والشعب يتتبَّعُ المفاوضة بقلبه عسى أن يرجع إليه الرجال المفاوضون بحقِّ مصر كاملا غير منقوصٍ ، وهو من ورائهم يدفعهم دفعاً رجاء أن ينفعهم ذلك فينتفع بنفعهم . ولكن ... ولكن مرة أخرى وفى الثالثة كان الشعب يفعل ذلك مجتمعاً ، فلو سألتَ كل رجل وكل أنثى وكل طفل أيضاً : « هل ترجو من وراء هذه المفاوضات خيراً ؟ » فهو قائل لك : « يا سيدى ، ياما جرَّبْنا » ثم يمضى لشأنه يائساً تكادُ دماؤه التى تجرى فى عروقه تبكى من الحسرات التى تقطِّع قلبه وتنهش ضمير حياته !

هكذا كانت مصر والسودان برغم المفاوضات الدائرة ، وبرغم مطالبة الشعب مجتمعاً أحياناً بهذه المفاوضة . كانت الدِّماء تجرى فى الأبدان المصرية السودانية وتُهَمْهِم وتدمدمُ ، ولكن الرجُل الذى يفهم معنى هذه الهمهمة الخفيَّة لم يكنْ موجوداً ، وهى لا تستطيع العبارة عن نَفْسها بلسان ناطقٍ مبين . وبقينا جميعاً ننظُر ، لأن عبارة أمثالنا لن تؤدِّى إلى شىء ، إذ لم يكن لأحدٍ يومئذٍ من قوة الاستجابة لنداء الدم المصرى السودانى ، ولا من استعداد الأبدان والعقول التى تجرى فيها هذه الدماء ، ما يجعَل لكلمة مصر الخالدة « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » صدًى يتردَّدُ فيستجيب له الوادى كُلّه كما استجاب للفتى الأوَّل مصطفى كامل ، وبقيت الأبدانُ العاقِلَةُ ( والتى هى الشعب بأفراده ) فى ناحية ، والدَّم الذى يجرى فى هذه الأبدان نفسها فى ناحيةٍ أخرى — وجعلَ الله بأسَنا بيننا ، فكانت إرادة الله ولا رادَّ لما أراد .

ثم كان شىءٌ ونحن ندرى كيف كان .

فقد سكنتْ زمجرة المدافِع ، وعجيج القنابل الذرية ، وقامَ رجالٌ يريدون مفاوضة بريطانيا ، ولكنهم لم يلبثوا إلاَّ قليلاً حتى سمعوا صوت الدَّمِ المصرى السودانى ينطقُ من كُلِّ ناحيةٍ « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » فتمَّت المعجزة التى كان كل امرىء يترقَّبها ، وكان لمصر والسودان النَّصر بعد الهزيمة المنكرة الأولى ، وظهرت كلمةُ الحقِّ حتى صار أكفَرُ الناس بها هو أشدَّهم إيماناً ، وأجودَهم فى سبيلها بروحه وحياته ، وعادت مِصْر

# مقالة بلا موضوع !

للاستاذ على الطنطاوى

قال لى من أيام صديق لى : أتسمع ؟

قلت : وهل تحسبنى أصم ؟

قال : إن كتابتك لا تعجبنى .

قلت : آسف جداً !

قال : لا تسخر . سلنى ، لماذا ؟

قلت : سألتك .

قال : لأنك لا تعرف الدنيا ... لذلك تجىء كتابتك بعيدة عن الحقيقة ، خالية من الصور ، ليس فيها حياة ، ولا ابتكار .

قلت : إن ناساً قد زعموا لى غير ما قلت .

قال : هو ما أقول لك ، فلا تصدقهم ، إنهم يضحكون عليك إنى ألحظ من كتابتك أنك تعيش منطوياً على نفسك ، بعيداً عن الدنيا ، فقل لى ، بالله عليك ، كيف كنت تعيش فى دمشق ؟

قلت : كما يعيش الناس ؛ أغدو على محكمتى صباحاً وأخرج منها ظهراً ، فأمر على المكتبة العربية وهى من أحب الأمكنة إلىّ ، وأصحابها إخوان كرام علىّ ، فألبث فيها ساعة ، وقد أتغدى فيها ، ثم أمضى إلى الدار فلا أفارقها إلى غداة الغد ، إلا مرات معدودة فى السنة كلها أزور فيها صديقاً أو قريباً ، أو أخطب فى حفلة ، وقد كنت قبل أن ألى القضاء أجلس أحياناً فى قهوة ، أو أمضى إلى سينما ، فتركت ذلك كله .

قال : وفى مصر ؟ كيف تعيش ومن زرت وماذا رأيت ؟

قلت : أعيش أنا وأسرتى فى منزل خالى ، وأمضى إلى « الرسالة » كل يوم ، وإلى الوزارة أو المحكمة أو المجلس الحسبى فى أكثر الأيام . وأنا فى مصر كما كنت فى الشام ، معتزل متفرد أفرّ من لقاء الناس ، وأنأى عن المجامع ، ولم أزر أحداً فى داره إلا نفراً من علماء الأزهر ، وزرت لجنة التأليف والترجمة مرة ، وجلست مرة واحدة فى القهوة ، وخمساً فى السينما ، رأيت فى إحداها ( فلماً ) عربياً فخرجت منه غضبان أسِفاً ، ورأيت فى سائرها أفلاماً فرنجية ، ومشيت إلى الحدائق والمتاحف ولولا الصغار ما مشيت إليها ؛ فقد وجدت الحدائق ، مجمع غيد ودار مواعيد ، ورأيت الناس فى حديقة الحيوانات ، ينظرون إلى امرأة مضطجعة على المقعد أكثر ما ينظرون إلى سبع البحر ، ويضحكون لفتيات يلعبن على الحشيش أكثر مما يضحكون للقردة تتراقص فى الأقفاص ...

قال : وهذا كل شىء ؟

قلت : نعم . لا شىء فوقه ولا تحته .

---

والسودان إلى حقيقتها المستكنّة فى سِرّ القلوب والدماء والأحشاء ! « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » : كلمة حكيمة صريحةٌ قوّية ، ظاهرة المعنى ، بيّنة الطريق ، كريمة المنْبت لأنها بنت مصر والسودان — لا يسخرُ بها بعد اليوم أحدٌ إلا كان دَمُه هو أوّل من يسخرُ منه ويزدريه ويلعنُه ويبرأ من الانتساب إليه .

هذا ما كان من أمر المفاوضات بيننا وبين بريطانيا ، فليفهمه من شاء كما شاء . وليقُل أصحاب الغرور المتغطرس ، وليقل أشياعُهم من المضللين : هذا شعرٌ ، وهذه عاطفةٌ ، ولكنها ليستْ بحقيقة معقولة أو تحليل متّزنٍ . ونقول : نعم ! إذا شئتم، ولكنّ الشعوبَ هى العواطف أوّلاً ، وعواطف الشعوب أصدقُ حُكماً من عقول الساسة !

وأخيراً ، ليعلم من لم يكن يعلَم من المتغطرسين أو من الساسة العقلاء الذين أظلَّتهم سماء مِصْر ، أن دم الشَّعب قد نطقَ بالكلمة المتحيِّرة فيه ، وأجمعَ عليها ، وكتبَ على نَفْسه أن يَنْفِى الخبثَ عن مصر والسودان . ومعنى ذلك أنّ كل من خرج على إجماعه فقد خانَ وادى النيل خيانة عُظْمى ، وأنّه رهنٌ بالقِصاصِ ، وأن قصاصَ الشعوب أبقى على وجه الدهر من قصاص الحكومات .

والكلمة الآن لِمصْر والسودان ، لا لفلان الزّعيم ولا لفلان السّياسىّ — فمن شاء أن يخالف عن كلمة مصر والسودان فليتقدّم ، ولينظر ما هو لاق فى غد أو بعد غدٍ .

محمود محمد شاكر

# صـــــــورتان للخير والشر

للأستاذ عبد المنعم خلاف

رجلان ...

أحدهما ملك كريم هبط إلى الأرض بروح السماء ، وسيصعد إلى السماء بمكرمات الأرض ...

وثانيهما روح خبيث صعد من الطين كأنه فقاعة من غاز عفن ! أو كأنه بثرة ذات قيح وصديد فى وجه مجدور ... ، ثم عاد وسفل فى الطين وأبى الارتفاع ، وسيكون مرجعه إلى عالمه ، عالم نجاسات الأرض ...

وقد رأيتهما فى مكان واحد فى وقت واحد ، فرأيت الضدين الأبديين الخالدين تصطرع روحهما على روحى ، فكانت محنة هى محنة العيش بين المتناقضين كمحنة الحديد يوقد عليه فى النار ثم ( يُطَشّ ) فى ماء مثلوج ...

أولهما له وجه أصيل الحسن والسماحة عميق المعانى الإنسانية ، يأخذك إلى رحاب الوضوح التفاؤل والحب العميق للخير، ويدعوك إلى تصديق ما أتت به دعوات السلام والحب والبر ، وله عينان كأنهما منبعا نور وصفاء يغسلك بأشعته ويطهرك وينير لك سبل الحياة .

والثانى له وجه عميق القبح ممسوخ المعانى ، رآه مرة أحد أرباب الصفاء والنفاذ فقال : إنه وجه غادر ... وله عينان كأنهما جُبّان جفّ فيهما الماء وسكن الظلام وانطلقت الحشرات ، فهما يغمران قلبك بالظلام والوحشة ، ويأخذان فكرك وخيالك إلى أودية التشاؤم والكراهية للانسانية ، ويوحيان إليك أن كل ما تقرأ عن عالم الخير والسلام وهم واهمين وغفلة غافلين بلهاء ...

وللأول يد تفيض بالخير فيضاً ولا تحبسه عن أحد ، وتعطى الناس مستحقين وغير مستحقين ، وتمسح الجراح والآلام ، وترتق الفتوق وتسد الثغور وتسند الذى يريد أن ينهار وتشير دائماً إلى منطقة النجاة والسلام كأنها علامة إرشاد منصوبة على طريق الإنسانية ...

وللثانى يد كأنها ناب ذئبة جائعة ذات أجراء صغيرة ، فهى تختطف لنفسها ولأجرائها قلوب الناس وأكبادهم أو كأنها فم قبر مخروق يأخذ ولا يعطى إلا الثكل والفقد ...

الأول عظيم بالطبع ، عظيم بالوضع ، يتوجّه مجد الفعال العظيمة والمكرمات الخالدة ، ولكنه يتواضع حتى يحس محدثه ومجالسه أنه أمام رحمة مجسمة خلفت إنساناً ...

والثانى لا يحملك وجهه وعمله على إعطائه ما يليق بآدمى من احترام وائتناس ، وإنما تحفل لمرآه أول ما تقع على عينك ظلاله وعلى وعيك أعماله ، ولا يحملك ما يحاول أن يحيط به من زينة الثياب والرياش والأثاث البراق إلا على مقارنة قبح ذاته وصفاته بجمال ما يحيط به من الأثاث الجامد !

***

هذا الأول أسدى لنفسى معانى كثيرة من الخير ، وما تملك نفسى إلا أن تسدى إليه الحب وتسجيل الذكر وتخليد الصورة فى مثل هذه المناسبة ، لأنه مرتفع عن مستوى الحاجة ... وذاك الثانى أسدى لنفسى شراً كثيراً ، وأقل ما أسديت إليه أننى كنت ألتمس المعاذير لقبح خلقه وهوان شأنه على معاشريه ، وكنت أغضى عن ذلك رحمة له إذ لم يخلق نفسه ، وأنا أرحم القبح ولكن لا أهواه كابن المعتز . ومع ذلك فقد كان حقه منى أعظم مما مع غيرى ...

وتسأله لماذا يا فلان ؟ فيخرس لسانه ويجيب وجهه بتمليل الطبع السائر على نهجه ... ولقد أجاب لسانه مرة حين قلت له : إننى لا أطيق الشر فهلم معى إلى الخير ... فقال : لن تستطيع أن تغير ما فى القلوب بالأقوال ...

فكانت هذه هى حكمته الوحيدة الخالدة ...

هذا النوع من الناس هو الذى قد يحملك على جحود الخير والإيمان بالشر ، إذ يحيل قلبك من هدوئه واطمئنانه إلى الثورة والتشكك واعتناق الشر وتحطيم المثل العليا ، أو أنه على الأقل يحملك تعتقد أن الشر عريق فى الوجود عراقة الخير ، كأنهما مخلوقان لإلهين مختلفين يحتربان ويصطرعان على تسيير دفة الدنيا ، يديرها أحدهما إلى الأبيض ويديرها الآخر إلى الأسود . فيجب أن تطيع الثانى كالأول ويتسع قلبك له وتطاوع شيطانك فيه

# تفسير الأحـــلام

## للعلامة سجموند فرويد

سلسلة محاضرات ألقاها فى فينا

### للأستاذ محمد جمال الدين حسن

**بعض الفروض التمهيدية وطريقة التفسير:**

كان العلماء إلى ما قبل ظهور علم التحليل النفسى يفسرون الحلم على أنه ظاهرة جسمية تنشأ عن اضطراب فى المعدة أو ما شابه ذلك من مؤثرات عضوية. أما نحن فسنفرض أن الحلم ظاهرة عقلية لا جسمية. وقد لا يكون لهذا الفرض ما يبرره، ولكن ليس هناك ما يمنعه أيضاً، فالحلم إذا كان ظاهرة جسمية لا يهمنا فى شىء ولكنه يكون ذا فائدة لنا إذا كان ظاهرة عقلية. وعلى هذا فسنسلم بصحة هذا الفرض وسنرى من النتائج التى سنصل إليها إن كنا على خطأ أم على صواب. والآن ما هو الغرض من هذا البحث وإلى أى غاية نوجه هذه الجهود؟ إن غرضنا هو الغرض من كل بحث علمى، أى الوصول إلى دراسة واضحة للظواهر الطبيعية وتكوين علاقة بينها وإخضاعها لسلطتنا على قدر الأمكان.

وعلى هذا فسنواصل بحثنا على فرض أن الأحلام ظاهرة عقلية، ومعنى هذا أنها خيالات رآها الحالم أو كلمات تفوه بها أثناء النوم ولكنها لا تدلنا على شىء ولا نستطيع أن نفهم لها معنى. لنفرض أنى تفوهت أمامكم بكلام غير مفهوم فما ذا أنتم صانعون؟ ألا تسألوننى الأيضاح عما أريد؟ أظن هذا هو الحل المعقول. فلم إذاً لانتبع نفس الطريقة فنسأل الحالم عن معنى حلمه؟ تذكرون أننا سبق أن وجدنا أنفسنا فى مثل هذا الوضع[1] عند ما كنا نبحث فى زلات اللسان، وقد بينت لكم أنه يجب

(١) يشير فرويد إلى المحاضرات التى ألقاها عن «سيكولوجية الأخطاء» وفى بين فيها أن زلات القلم واللسان ليست فى الواقع هفوات تصدر عن الأنسان لا معنى لها وإنما هى حالات عقليـة تنشأ عن عوامل نفسية مختلفة تمكن الوصول إليها بالتحليل النفسانى.

---

بحيث لا يحدك ضمير ولا وجدان ساعة بُحران الشر واحتدام الضغينة فلكل وقت، فيكن للشر بقلبك كما تكون للخير بقلبك!

هكذا يسم هذا النوع من الناس نفسك بشِرَّة نفسه، كما يسم الثعبان دمك بلسعة نابه ومسموم لعابه، فلا تتمالك إلا أن تقىء وتهذى وتتلوى وتأتى بالحماقات والشناعات...

إنه يجذبك من عالم أحلامك السعيدة العليا إلى الحضيض الذى تتمرغ فيه وتتقلب عليه مع بنات الطين والظلام...

إنه بوق الشيطان ينفخ فيـه على أفاعى الشر والضغينة فى الحجرات المظلمة من نفسك كلما أوشكت أن تموت؛ لتحيا دائماً ممك لأنها أعظم جنوده التى أرصدها لحرب ذلك الطفل العبقرى الوديع: الحب!

وإن هذه الأفاعى إذا صحت ونشطت فلن تأكل فى الحقيقة إلا فلذات قلبك ولن تشرب إلا دمك... ولقد جعلت من الذين أوسعوا لها من صدورهم مسمومى الإدراك مطموسى الإحساس بجمال الوجود ولذة الحب والرحمة.

إنها كريهة الدبيب مغتالة لأفضل ما فى النفس، مثيرة للدم الأسود المحموم.

إن الشر يجب ألا يكون إلا لدفع الشر الذى لا يُدفَع بالخير. فيجب على القديس الحليم أن يكون عنيفاً شديداً مع الذين لا يرون المثل الأعلى إلا فى الشر والعنف... أما أن يتخذ ذخيرة وغذاء تجتره النفس انسياقاً مع الغرائز القديمة، واستجابة للوحش الذى فينا، وتنمية لنوازعه وتنقيباً عن سفالاته المطمورة فذلك هو الهدم لدعائم الحضارة والارتداد والانتكاس إلى الوحشية التى تطمس الآفاق التى رأتها الإنسانية على ضوء السكينة النفسية والحب المتبادل.

فلْيُعِين اللهُ محبى الخير على الحرب الدائرة بينهم وبين هذه النفوس المريبة فى عالم الأذى...

وليحفظ رقة الخير وضعفه بين الشرور كما يحفظ حرير الورد من جوار الأشواك المسنونة المُشْرعةَ التى تهدده دائماً بالتمزق وتؤذى من يريد أن ينعم به نعمة خالصة.

**عبد المنعم خلاف**

علينا في هذه الحالة أن نسأل صاحب الزلة عما يقصده أو ما كان يفكر فيه حتى نستطيع أن نصل إلى الدوافع الخفية التي دفعته إلى ارتكاب هذه الزلة ، كما بينت لكم أن التحليل النفسي مبني كله على هذه الطريقة ، أي ترك الشخص الذي نحلله يجيب بنفسه على مشاكله . وعلى هذا فالحالم يجب عليه أن يفسر لنا حلمه بنفسه

ولكن الأمر ليس هنا بالسهولة التي نظن ، ففي حالة الزلات كانت هذه الطريقة تنجح في كثير من الأحيان ، ولكن في أحيان أخرى كان الشخص المستجوب يرفض الإجابة عن شيء بل كان يرفض الجواب الذي نقترحه عليه من استنتاجاتنا في غيظ وحنق . أما في حالة الأحلام فليس هناك أمثلة من النوع الأول، فالحالم دائماً يقول إنه لا يعلم شيئاً عن حلمه ، وهو لا يستطيع أن يرفض تفسيرنا لأنه ليس لدينا ما نقدمه له . فما دام لا يعلم شيئاً ونحن لا نعلم شيئاً ومن المؤكد أن شخصاً ثالثاً لا يعلم شيئاً كذلك ، فلا مطمع لنا إذاً في الوصول إلى حل موفق . أعلينا عندئذ أن نقلع عن هذه المحاولة ونقر بعجزنا ؟ إذا كان منكم من رغب في ذلك فليفعل . أما إذا كنتم راغبين في مواصلة البحث ففي استطاعتكم أن تتبعوني فسأريكم أن الشخص الحالم في الواقع يعلم معنى حلمه ولكنه لايدري أنه يعلم وعلى هذا يظن أنه لايعلم .

أظن أنه من المحتمل أن تلفتوا نظري عند هذه النقطة إلى أنني قد عدت إلى تقديم فرض آخر ولما يمض على تقديمي الفرض الأول وقت طويل ، وأنني بعملي هذا قد بعدت عن جادة الصواب ودقة البحث ولكني أوجه نظركم إلى أني لم أجيء هنا لأتظاهر أمامكم بالشعوذة فأقدم إليكم حقائق مهلة مستساغة بينما أخفي عنكم الصعوبات والشكوك حتى تطمئن نفوسكم إلى أنكم قد تعلمتم شيئاً جديداً . وعلى هذا أقول لكم إني فعلا قد فرضت فرضين متداخلين فمن يجد منكم في هذا مشقة أو عدم دقة فما عليه إلا أن يتركنا في خير . ولكني أوجه نظركم إلى أن هذين الفرضين ليسا على درجة واحدة من الأهمية . فأحدهما وهو القائل بأن الأحلام ظاهرة عقلية هو الفرض الذي نأمل في إثباته عن طريق النتائج التي سنصل إليها . أما الفرض الآخر فقد سبق إثباته في مجال مختلف وأنا في الواقع لم أعمل أكثر من أن سمحت لنفسي باستعارته في بحثنا هذا . وهذا المجال المختلف الذي أقصده هو التنويم المغناطيسي فقد شاهدت برنهيم (Bernheim) عام ١٨٨٩ في نانسي وهو يقوم بتجاربه على رجل من المدينة نومه تنويماً مغناطيسياً ، وعند ما استيقظ الرجل بدا لأول وهلة أنه لا يدري شيئاً عما قام به أثناء النوم وقد ادعى أنه لا يستطيع أن يتذكر شيئاً ، غير أن برنهيم ألح عليه في السؤال مؤكداً له أنه يعلم كل شيء، وأنه لو أجهد نفسه قليلا لاستطاع أن يتذكر كل ما حدث له . وما كان أشد دهشتنا عند ما بدأ الرجل فعلا يتذكر شيئاً فشيئاً بعض ما حدث له أثناء النوم ، وكلما تذكر شيئاً اشتدت ذاكرته فتذكر أشياء أخرى حتى استطاع في النهاية أن يتذكر بالضبط كل ما قام به وهو نائم . ألا يصح لنا إذاً أن نستنتج من هذا أن هذه الذكريات كانت في عقله من مبدأ الأمر ولكنها كانت فقط صعبة المنال؛ فهو لم يكن يدري أنه يعلم بها ولكنه كان يعتقد أنه يجهلها . وهو في هذه الحالة يشبه الشخص الحالم تمام الشبه . والواقع أن هناك علاقة واضحة بين التنويم المغناطيسي والنوم الذي هو شرط أساسي للحلم . فالتنويم المغناطيسي يطلق عليه فعلا النوم الصناعي ، فنحن نقول للشخص الذي نريد أن ننومه مغناطيسياً : « نم ! » وما نوعز به إليه وهو نائم يمكن مقارنته بالأحلام في حالة النوم الطبيعي . فالحالة العقلية واحدة في الاثنين ، فكما أننا في النوم الطبيعي نقطع كل صلة تربطنا بالعالم الخارجي ، فكذلك نفعل في حالة التنويم المغناطيسي فيما عدا الشخص الذي يقوم بتنويمنا والذي نبقى معلقين به .

أظن من الممكن الآن أن نعود إلى عملنا ونحن أكثر ثقة من ذي قبل . رأينا إذاً أن من المحتمل جداً أن الحالم يعلم شيئاً عن حلمه ، ولكن المسألة هي كيف يمكننا أن نسهل له الوقوف على هذه المعلومات وإعطائها إيانا ؟ الطريقة التي سنتبعها هي أن نسأل الحالم عن معنى حلمه وكيف حلم هذا الحلم ، والكلمات التي يجيب بها يجب أن تؤخذ على أنها الإيضاح المطلوب بغض النظر عن كونه يظن أنه يعلم أو لا يعلم شيئاً عن الحلم .

أظن هذه الطريقة بسيطة جداً ، ولكني مع هذا أخشى أن تثير فيكم معارضة شديدة فتصيحون : « فرض ثالث ! وهو أبعد احتمالا من سابقيه ! أتعني أننا إذا سألنا الحالم عن الأفكار التي تتوارد على خاطرنا فأجابنا على الفور فما علينا إلا أن نأخذ إجابته

هذه على أنها الايضاح المطلوب ؟ ولكن من المؤكد أنه قد لا يجد ما يجيب به على الأطلاق أو قد تتوارد على خاطره أفكار يعلم بها الله . إنا لا نستطيع أن نتخيل على أى أساس بنيت هذا الأمل، فهو فى الحقيقة يتطلب اعتماداً أكثر من اللازم على العناية الإلهية فى الوقت الذى نحن فيه أحوج ما نكون إلى نفاذ البصيرة والمقدرة على النقد . وفضلا عن ذلك فالحلم لا يتكون من عنصر واحد كزلة اللسان ، ولكنه يتكون من عناصر كثيرة ؛ فأذا كان الأمر كذلك ، فعلى أيها يمكننا الاعتماد ؟ » .

أظن أنكم على حق فى جميع النقط الغير أساسية . فالحلم حقاً يختلف عن زلة اللسان من ناحية تركيبه من عناصر كثيرة كما أنه يختلف عنها من نواح أخرى كذلك ، وهذه الاختلافات كلها يجب أن تراعى عند التحليل . ولذا فأنى أقترح عليكم أن نقسم الحلم إلى عناصره المختلفة وأن نختبر كل عنصر على حدة ، وبذا نكون قد أعدنا التشابه الذى بينه وبين زلة اللسان . وأنتم كذلك على حق عند ما تقولون إن الحالم عند ما يستجوب عن عنصر من عناصر حلمه قد يجيب بأنه لا يجد لديه أفكاراً تتعلق به ، وهناك حالات نكتفى فيها بهذا الرد قد أدلكم عليها فيما بعد . أما فى أغلب الأحيان فيجب علينا أن نناقضه وأن نلح عليه فى الجواب مؤكدين له أن لابد من وجود فكرة ما لديه وسنرى أننا كنا على صواب ، فسيبدأ بقوله : « إن هذا يذكرنى بشىء لحدث لى منذ وقت قريب ! » أو « إن هذا حدث لى بالأمس ! » وسنرى من هذا أن الأحلام ترتبط ارتباطاً وثيقاً بآثار اليوم السابق . وأخيراً قد يستطيع الحالم إذا اتخذ الحلم نقطة ابتداء أن يصل إلى تذكر حوادث من الماضى البعيد .

أما من حيث النتيجة العامة فأنتم على خطأ . فأذا كنتم تحسبون أن اعتبار الأفكار الأولى التى ترد على خاطر الحالم كجواب عما نسأل عنه مسألة اختيارية بحتة ، وإذا كنتم تحسبون أن هذه الأفكار قد تكون هوائية لا علاقة لها بما نحن فى صدد البحث عنه ، وأنها لا تدل إلا على ثقتى العمياء فى العناية الألهية إذا توقعت شيئاً آخر ... إذا كنتم تحسبون هذا فأنتم على خطأ مبين . وهذا الخطأ راجع إلى الاعتقاد الراسخ فيكم بأن القوى النفسية حرة غير مقيدة فى اختيارها وهذا اعتقاد غير علمى ، لذا يجب على أن أطلب منكم أن تنظروا بعين الاحترام إلى هذه الحقيقة الواقعة : وهى أن فكرة واحدة فقط ولا شىء غيرها هى التى تخطر على بال الحالم عند ما يستجوب عن حلمه .

ولما كانت هذه النقطة على درجة كبيرة من الأهمية ، لذا أسألكم أن تلتفتوا إليها التفاتاً خاصاً. فعند ما أسأل شخصاً عما يخطر على باله بالنسبة لعنصر ما من عناصر حلمه فأن ما أطلبه منه هو أن يستسلم لعملية الترابط المطلق « Frec association » وهذه العملية تحتاج إلى حالة من الانتباه تختلف اختلافاً بينا عن حالة التروى بل هى فى الواقع تفوقها. وبعض الناس يتهيأ لهذه الحالة فى سهولة ويسر ، والبعض الآخر يلاقى فى ذلك عناء كبيراً وعدم استعداد غير معقول . وقد يحسب المرء أن عملية الترابط المطلق التى تنشأ عند ما نطلب من شخص ما أن يفكر فى اسم خاص أو عدد ما تكون أكثر حرية ويكون لدى الشخصين فرصة أكبر للاختيار ؛ ولكن الواقع أنه يمكن أن نثبت أنه فى كل حالة توجد عوامل عقلية خفية هى التى تحدد نوعى الترابط ، وهذه العوامل تكون مجهولة لدينا فى اللحظة التى تبدأ فيها عملها ، ولتوضيح ذلك أضرب لكم المثل الآتى :—

حدث فى يوم من الأيام بينما كنت أعالج شاباً أن ذكرت له شيئا عن هذا الموضوع وأكدت له أنه على الرغم من الحرية الظاهرة فى الاختيار فى مثل هذه الحالات فأننا فى الحقيقة لا نستطيع أن نفكر فى أى اسم لا يمكن أن نثبت أن الظروف المحيطة بالشخص الذى نقوم معه بالتجربة ، وسجيته والحالة التى كان عليها هى التى تحدد هذا الاسم . ولما كان بطبعه ميالا إلى الشك فقد عرضت عليه أن يقوم بالتجربة فى التو واللحظة . وقد سهلت له الأمر بأن طلبت منه أن يفكر فى اسم امرأة من صاحباته لما كنت أعلم عن علاقاته المتعددة بكثير من الفتيات والنساء . ولكنه لدهشتى ، أو لدهشته على الأصح ، لم يغمرنى على الفور بسيل من الأسماء ، وإنما ظل ساكتاً مدة ثم اعترف بأن الإسم الوحيد الذى خطر على باله فى هذه المدة هو ألبين Albine ولكن الأغرب من ذلك أنى عند ما سألته ما علاقتك بهذا الاسم وكم من النساء تعرفت به ؟ أخبرنى أنه لا يعرف أحداً بهذا الاسم وأن لا أفكار لديه يربطها به . وقد يظن المرء أن التجربة قد فشلت ؛

ولكن لا ، فقد تم التحليل ولسنا فى حاجة إلى أفكار أخرى . فالشاب نفسه كان أشقر بشكل غريب ، فكنت فى حديثى معه أثناء التحليل أداعبه بقولى له albino ( وهو اسم الرجل الأبيض الوجه والشعر ) وعلاوة على ذلك فقد كنا فى هذا الوقت منهمكين فى تحليل العنصر النسوى فى طبيعته . وعلى هذا فقد كان هو نفسه هذه « المرأة » التى شغلته فى هذا الوقت أكثر من أى امرأة أخرى .

وكذلك الحال فى الألحان التى يترنم بها الأنسان فى أوقات فراغه فقد نستطيع إذا حللناها أن نصل إلى مصدرها ومعرفة الأفكار التى كانت تشغل عقلنا فى هذا الوقت من غير أن نحس بها

فإذا كانت الأفكار الحرة التوارد مقيدة هذا التقييد فإننا نكون على حق إذاً عندما نستنتج أن الأفكار التى تتوارد نتيجة لفكرة محركة ( Stimiluo idea ) واحدة تكون كذلك مقيدة غير مطلقة . وقد أثبتت التجارب كحقيقة واقعة أنها لا تكون متعلقة بالفكرة ، المحركة فحسب ، بل إنها كذلك تعتمد على ألوان من التفكير وضروب من المؤثرات القوية ( أو العقد كما نسميها ) لا نعلم عنها شيئاً فى ذلك الوقت ، أو بعبارة أخرى تعتمد على نشاط لا شعورى .

وقد اتخذ الترابط الذى من هذا النوع أساساً لتجارب عديدة أفادتنا كثيراً ولعبت دوراً ملحوظاً فى تاريخ حركة التحليل النفسى . فمدرسة وندت « Wundt » هى التى ابتكرت طريقة « تجربة الترابط » ( association Éœperimeut ) وفيها يطلب من الشخص الذى تجرى عليه التجربة أن يجيب على كلمة — محركة ( Stimjluo — word ) بأسرع ما يمكنه من كلمات رد الفعل ( Reaction — Mords ) ، وتلاحظ النقط الآتية أثناء التجربة: وهى الفترة التى تمضى بين النطق بالكلمة — المحركة وكلمات رد الفعل ، وطبيعة هذه الكلمات والأخطاء التى ترتكب عند إعادة التجربة إذا أمكن . أما مدرسة زوريخ تحت رئاسة بلواير وجنج ( Bleuler and jung ) فقد توصلت إلى تفسير رد الفعل فى تجربة الترابط بأن ثالث الشخص الذى تجرى عليه التجربة أن يلقى قليلاً من الضوء على الأفكار التى تبدو ذات أهمية وذلك بوساطة سلسلة أخرى من الأفكار المترابطة . وقد اتضح من هذه الطريقة أن هذه الردود الغير مألوفة لها اتصال وثيق بالعقد التى فى نفس الشخص . وقد كان هذا الاكتشاف هو الخيط الأول الذى ربط بين علم النفس التجريبى وبين التحليل النفسانى

أظن أنكم بعد سماع هذا الشرح ستقولون : « إننا نسلم معك أن هذه الأفكار المترابطة خاضعة لقيود معينة وليست محض اختيار كما كنا نظن من قبل ، كما أننا نعترف بهذا أيضاً فى حالة الأحلام ولكن ليس هذا ما يعنينا . إنك تقرر أن كل ترابط بعنصر من الحلم له دافع عقلى خفى لا نعلم عنه شيئاً ولكننا لا نستطيع أن نرى أى برهان على ذلك ، حقيقة إننا نتوقع أن تكون الأفكار التى تترابط بعنصر من الحلم ذات صلة وثيقة بالعقد التى فى نفس الحالم ولكن ما هى الفائدة ؟ إن هذا لن يساعدنا البتة فى تفهم معنى الحلم ولكنه يوصلنا فقط إلى بعض المعرفة عن هذه الأشياء المسماة بالعقد ، كما فى حالة تجربة الترابط ، ولكن أى علاقة بين هذه العقد وبين الأحلام ؟ » .

إنكم على حق ولكنكم تغفلون نقطة هامة وهى نفس النقطة التى منعتنى من اتخاذ « تجربة الترابط » نقطة ابتداء لهذا البحث . فنحن فى حالة التجربة أحرار فى اختيار الكلمة — المحركة ، وهى الشىء الوحيد الذى يتوقف عليه رد الفعل ، أما كلمات رد الفعل نفسها فتعمل كوسيط بين الكلمة المحركة والعقدة التى فى نفس الشخص الذى تجرى عليه التجربة . أما فى حالة الحلم فالكلمة المحركة تستبدل بشىء مشتق من حالة الحالم العقلية ، وهذا الشىء ينبع من مناطق مجهولة لديه ، وعلى هذا فن المحتمل جداً أن يكون هو نفسه « إحدى مشتقات العقدة » فليس من الوهم إذاً أن ندعى أن الأفكار التى تترابط مع عناصر الحلم لم تحددها عقدة أخرى غير العقدة التى كونت هذا العنصر الخاص من الحلم وأنها فى نهاية الأمر ستوصلنا إلى اكتشاف هذه العقدة .

دعونى أضرب لكم مثلا آخر تتبينون منه أن الحقائق كثيراً ما تحقق صدق نظريتنا . وهذا المثل هو نسيان الأسماء المعروفة لدينا ومحاولة تذكرها ، فالذى يحدث فى هذه الحالة يشبه تمام الشبه ما يحدث فى حالة تحليل الأحلام . فلنفرض مثلا أنى نسيت اسماً ما ولكنى أشعر فى قرارة نفسى أنى واثق من معرفته فماذا أفعل ؟ لا شك أنى سأحاول أن أبذل كل جهد مستطاع فى محاولة تذكره ، ولكن التجارب علمتنى أن كثرة التفكير لا تجدى وأن فى استطاعتى دائماً أن أفكر فى اسم آخر أو أسماء عديدة أخرى غير الإسم الذى نسيته فإذا حدث أن خطر على بالى أحد

الأدب فى سير أعلامه :

# ٧ – تولستوى

[ قمة من القمم الشوامخ فى أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه ]

للأستاذ محمود الخفيف

## بين الجد واللهو

ودع تولستوى قازان وفى نفسه أنه ودع اللهو والعبث فما إليهما من عودة ، وبلغ ياسنايا تلك الضيعة المحبوبة وقد زاده محبة لها أنها غدت من نصيبه ، وإنه ليشعر أنه أصبح مسؤولا عنها وعمن يعيش فيها من الناس ؛ ولقد زاد هذا الشعور لا ريب فى نفسه العزم أن يطلق حياة اللعب والعبث ...

ثم إن فكرة تسيطر على لبه اليوم وتملأ جوانب نفسه ، ومؤداها أن يعمل فى جد على إصلاح حال الفلاحين فى الضيعة وما جاورها ، فما يليق به أن يذرهم فيما هم فيه من جهل وبؤس .

وتستمع إليه العمة تاتيانا دهشة مبتسمة فما يخرج الأمر عندها عن أن يكون نزعة جديدة من نزعات الشباب ؛ ولكنه يعود كل يوم إلى هذا الحديث وإنه لأقوى عزماً وأكثر جداً ؛ وإن تفكيره فى هذا الأمر ليصرفه عن القراءة وعن الموسيقى التى أحبها حباً عميقاً خبرته عمته ؛ وإنها لتجلس إلى البيان تحاول أن تمتعه بلحن مما يحب فما يروعها إلا انصرافه عنها وعن لحنها ليقبل على حديث إصلاح الفلاحين ...

وتعجب عمته ويزداد عجبها إذ تراه يتخذ لنفسه زياً خاصاً به يعتزم أن يلبسه في كل وقت وفى كل مكان لأنه يظهره فى مظهر الفيلسوف ؛ ولكن الفتى لا يلبث حتى يخلع هذا الرداء ويلقى به لأن أحد الزائرين لم يتمالك نفسه ذات مرة من الضحك من مظهره ، وكره الفتى أن يكون موضع استهزاء ، وهو الذى طالما تأنق وتنبل بالثياب ...

---

هذه الأسماء طوعاً من تلقاء ذاته فهنا فقط يكون الشبه واضحاً بين هذه الحالة وحالة تحليل الأحلام . فعنصر الحلم كذلك ليس هو ما أبحث عنه وإنما هو عوض عن شيء آخر ، وهذا الشيء الآخر هو ما لا أعرفه وما أسعى إلى اكتشافه عن طريق تحليل الحلم . ما ذا أفعل إذاً لأتذكر الاسم الذى نسيته ؟ إن ما يحدث هو أنى أوجه التفاتى إلى هذا الاسم الذى خطر على بالى عوضاً عن الإسم المنسى ثم أحاول أن أدع أسماء أخرى تتوارد على خاطرى فى ترابط مطلق ، وبهذه الطريقة أستطيع أن أصل فى النهاية إلى الاسم الذى نسيته . ومن المشاهد فى مثل هذه الحالات أنى عندما أتذكر هذا الإسم ألاحظ دائماً أن هناك علاقة بينه وبين الأسماء التى تركتها تخطر على بالى عوضاً عنه . فقد حدث لى مثلا أن حاولت فى يوم ما أن أتذكر اسم القطر الصغير الذى يقع على ضفاف الريڤييرا والذى عاصمته « مونتكارلو » ولكنى لم أستطع على الرغم من تأكدى من معرفته . فأخذت أفكر فى كل من أعرف فى هذا القطر وما كان لى فيه من علاقات ولكن بلاجدوى . وأخيراً كففت عن التفكير وتركت أسماء أخرى تتوارد على خاطرى طواعية واختياراً . وقد توالت هذه الأسماء بسرعة وهى مونتكارلو نفسها ثم بيدمون ، ومونتفيدو ، ومونتنجرو ، وكوليكو . وقد لاحظت أن ثلاثة من هذه الأسماء البديلة تحتوى على نفس المقطع «مون» وفى الحال تذكرت الاسم الذى أبحث عنه وهو « موناكو » ومن هذا ترون أن هذه الأسماء البديلة قد نشأت فعلا عن الاسم المنسى ، فالثلاثة الأسماء الأولى تحتوى على المقطع الأول « مون » والإسم الرابع يحتوى على المقطع الأخير « كو » أما السبب فى هذا النسيان المؤقت فهو أن « موناكو » هى الاسم لأبطالى « لمونيخ » وقد كانت لى ذكريات فى هذه المدينة هى التى وقفت حائلا بينى وبين تذكر الاسم الذى أريد .

وعلى هذا فما هو ممكن فى حالة نسيان الأسماء لابد أن يكون ممكناً كذلك فى حالة تفسير الأحلام فإذا ابتدأنا من العناصر البديلة فأنه لابد أن نصل فى النهاية إلى غرضنا الحقيقى عن طريق سلسلة من الأفكار المترابطة ، كما أنه فى استطاعتنا ( كما هو الحال فى نسيان الأسماء ) أن نفرض أن هذه الأفكار التى نشأت عن عنصر الحلم لم يحددها هذا العنصر فحسب بل حددتها أيضاً الدوافع اللاشعورية التى أنتجت الحلم . فإن أمكن هذا فإننا نكون بذلك قد قطعنا شوطاً بعيداً فى تبرير طريقتنا فى التفسير .

( يتبع ) المترجم

محمد جمال الدين حسن

وما الذى ألقى فى قلب الفتى هــذه الرغبة القوية فى إصلاح حال الفلاحين ؟ أهى مجرد نزعة من نزعات الشباب حقاً ؟ أم هى خيال ألقاه فى نفسه قراءة قصة حديثة تسمى « القرية » ألفها قصصى يدعى جريجوروفتش وصور فيها حياة الفلاحين ، صورة مؤلمة تبعث فى النفوس شعور الرثاء الحالم ؟ أم أن مرد ذلك إلى عاطفة عرف بها منذ طفولته وهى أنه يحب أن يرى الناس جميعاً حوله سعداء ؟ الحق أن الفتى ما كان ليستطيع أن يرى مظاهر البؤس من حوله ثم لا يتحرك لها قلبه الإنسانى الرحيم ، وكيف كان يطيق أن يسمع فيما سمع أن امرأة قضت نحبها من الجهد ، وأن المرض يفتك بالناس فلا يستطيعون له دفعاً ؛ وكيف كان يطيق أن يرى بعض الفلاحين يخرون على قدميه سجداً يسألونه القوت ؛ لقد كان ذلك يؤلمه أشد الألم أو كما يقول « إن ذلك كان يؤلمنى كما تؤلمنى ذكرى جريمة ارتكبت ولم يكفر عنها » .

على أنه يعجب أشد العجب من إعراض الفلاحين عن إصلاحاته ؛ ويألم إذ يرى فى وجوههم الشك والإنكار والعناد ، وإذ يسمع أنهم يصفون مابنى لهم من أكواخ جديدة بأنها سجون وأنهم يرمون بالمدارس التى افتتحها لأبنائهم والتى كان يعلمهم فيها بنفسه أحياناً ، فعندهم أن هذه المدارس تحرمهم من معاونة أبنائهم إياهم فى أعمال الزراعة ؛ ويقلب تولستوى كفيه حائراً من أمرهم ، وفى نفسه شعور الغضب ومرارة الخيبة ...

ولا يلبث اليأس أن يصرفه عما شرع فيه ، فينصرف عنه مكرهاً لأنه كان شديد التعلق به ، يدلنا على ذلك ما جاء فى قصة كتبها بعد سنوات قليلة ، هى القصة المسماة « صباح أحد الملوك » فقد صور فيها أميراً يحلم بأن يعلم الفلاحين ويسعدهم ويوفر لهم أقواتهم ، ويصلح رذائلهم التى تنجم من الجهل والتعلق بالخرافات ويجعلهم يحبون الهدى والحق ؛ وفى هذه القصة يترك الأمير الجامعة ليعود إلى القرية ويكتب إلى عمته برغبته فى إصلاح حال الفلاحين فى ضياعه قائلا بعــد أن يصف مبلغ بؤسهم : « أليس واجبى الواضح المقدس أن أعنى بحال هذه الأنفس السبعمائة التى سوف يسألنى الله عنها حساباً ؛ ثم أليس من الإجرام أن أجرى وراء أنماط من اللهو والطمع بينما أدعهم لمشايخ أو رؤساء عليهم خشن غلاظ ؟ ولم أبحث فى نواحى أخرى عما عسى أن يظهرنى بمظهر الرجل النافع الخير فى حين أن أمامى هذا الواجب الوضئ النبيل الذى أعرفه عن وثوق وخبرة ؟ » .

ولم يكن يدور بخلده أن يجد من الفلاحين هذا الجحود ، فما أشد ما كره ما كان فيه من جــد وما أسرع ما أقبل على لهوه وعبثه ، وقد نمــا إليه أن أخاه سيرجى يعيش مع غجرية مغنية عيشة مطلقة من كل قيد فى ضيعته ؛ فحبب إليه عبث أخيه أن يعود هو كذلك إلى عبثه ، فأقبل على المجون واللعب وأسرف فى ذلك إسرافاً شديداً وبخاصة فى مخالطة النساء مخالطة لا تأثم منها ولا تورع فيها حتى لقد أحدثت أثرها فى بدنه القوى أو كادت ، وحتى لقد عاد الفتى إلى سالف ندمه فانه يكتب فى يومياته فى منتصف شهر يونيو سنة ١٨٤٧ يقول « ما أصعب على من يقع تحت تأثير الشر أن يزيد ما تنطوى عليه نفسه من خير ... هل أبلغ بعد الأمد الذى أجدنى فيه مستقلا عن المؤثرات الخارجية ؟ إن ذلك معناه فى رأيى الوصول إلى كمال عظيم ، حيث أنه فى حال الرجل الذى يتخلص من العوامل الخارجية تسيطر الروح على الجانب المادى منه بالضرورة فيبلغ ما يريد ؛ وسأضع اليوم لنفسى قاعدة جديدة وهى أن الاجتماع بالنساء إن هو إلا شر من شرور المجتمع لا بد منه ، وعلى المرء أن يتجنبه ما استطاع ؛ وممن نتعلم فى الواقع الشهوة والخنوثة والتفاهية فى كل شئ إن لم نتعلمه من النساء ؟ وعلى من تقع تبعة فقداننا تلك المشاعر الغريزية فينا كالشجاعة والمناعة والبأس والتصبر والعدالة إن لم تقع على المرأة ؟ إن المرأة أشد استجابة من الرجل للمؤثرات ، وكانت فى عصور الفضيلة خيراً منا ، ولــكنها الآن فى عصر الفساد والرذيلة قد باتت أسوأ منا وأرذل » .

وتلمح إليه العمة تاتيانا ذات يوم بقولها « إنه لا شئ يكون الشاب خيراً مما يكونه ارتباطه بفتاة ذات خلق » ؛ ولــكن توثب حيويته وعرامة فتوته وحبه الاستقلال ، كل أولئك يميل به عن أن يركن إلى ما تقول ...

وسيكبر هذا الفتى وقد ذاق حلو الحياة ومرها فيكون له من ذلك مادة لفنه وسيفيد من لهوه هذا كما يفيد من جده ، فما ينسى شيئاً ممــا تطالعه به الحياة ، وسوف نرى نظرته هذه إلى المرأة سنة ١٨٤٧ وهو فى التاسعة عشرة ، تتجدد فى قصة يكتبها سنة ١٨٨٩ وهو فى الحادية والستين ، وهى قصة كروتزرسناتا .

لم يعد للفتى أمل فى إصلاح فلاحيه وأحس أنه يقضى أيامه

فى ياسنايا عبثاً فصمم على الرحيل منها ، وفى شهر أكتوبر سنة ١٨٤٨ سافر إلى موسكو حيث قضى ثلاثة أشهر أو أربعة مطلق العنان لا يلويه عن العبث واللهو شيء ، وله من فراغه وشبابه وماله ما يزيد جموحه ويمد فى حبال غوايته ؛ ثم سافر الفتى إلى بطرسبرج فدخل جامعتها ليدرس القانون ثانية وليحصل على درجة علمية تهيئه للالتحاق بوظيفة من الوظائف المدنية .

***

وأقبل الفتى على الدراسة فى جد وعزم كأن لم يعرف اللعب يوماً ؛ وكتب إلى أخيه فى فبراير سنة ١٨٤٩ يخبره بما هو فيه من جد ، وينبئه بأنه سيبقى فى بطرسبرج إلى الأبد ؛ ويصف له فى كتابه مبلغ ما للحياة فى هذه المدينة من أثر فى نفسه ، فكل شيء يبعث على الجد والدأب ، وكل امرئ يسعى سعيه حتى لن يجد المرء من يصحبه إلى حياة عابثة ، ولن يستطيع المرء أن يحيا هذه الحياة وحده إلى أن يقول لأخيه « أعلم أنك لن تصدق أنى غيرت مابنفسى وأنك ستقول إنها المرة المشرون ولكن فى غير جدوى ؛ كلا ... لقد تغيرت الآن ... وفوق ذلك فاننى اليوم يداخلنى إحساس بأن المرء لا يستطيع أن يعيش بالنظريات والتفلسف ، ولكنه ينبغى أن يحيا حياة واقعية ، أعنى أنه يجب أن يسلك سلوكا عملياً ... وهذه خطوة واسعة نحو التقدم » .

وفى شهر أبريل يجتاز ليو امتحاناً فى القانون المدنى والقانون الجنائى بتفوق ملحوظ ؛ على أن ذلك لم يكن فى الواقع ثمرة جهد متصل وإنما كان ثمرة أسبوعين استوعب فيهما ما استطاع أن يستوعبه من هاتين المادتين ...

وفى شهر مايو يكتب لأخيه فإذا به يقول فى كتابه « أى سيريوشا ... أتوقع أنك سوف تقول إنى أكثر من عرفت ضعف عزيمة ، ولكى أكون أميناً ، ينبغى أن أقول إن الله يعلم ماذا كنت أفعل هنا ! ... لقد جئت بطرسبرج بغير سبب معين ، ولم أعمل هنا عملا ذا عائدة ، وقصاراى أنى أنفقت مالا كثيراً حتى لقد تورطت فى الدين ؛ يالغباء ! وأى غباء ؟ لن تستطيع أن تصدق كيف يؤلمنى ذلك ، وبخاصة تلك الديون التى يجب أن أؤديها بأسرع ما فى وسعى ، وذلك لأننى إن لم أفعل فلست أفقد المال فحسب ، بل أفقد معه شرف سمعتى . أعلم أنك ستضج بالشكوى ، ولكن ماذا عسى أن أصنع ؟ إن الإنسان يقترف مثل هذه الحماقة مرة فى مدى عمره ... وإنى لأركن إلى عطفك إذ أرجو منك أن تتدبر فى إخراجى من هذا الوضع الكريه حيث أجدنى مفلساً يحيط بى الدين من كل جانب » .

ويعتزم الفتى أن يلتحق بالجيش فى فرقة الفرسان متطوعاً فى الحرب ، وأن يترك جامعة بطرسبرج دون أن يتم دراسته فيها كما ترك جامعة قازان من قبل وكانت الحرب التى يريد أن يتطوع فيها هى تلك الحرب الظالمة التى قذفت بها النمسا الأحرار المجاهدين فى المجر ، أولئك البواسل الذين رغبوا فى الاستقلال عنها ووردوا حيثها وقد عصفت العواصف بأنحاء الامبراطورية حتى استعانت بالجيش الروسى فجاء لمعونتها خمسون ومائتى ألف من هذا الجيش ، وكانت روسيا تريد أن تطفىء نار الثورة فى المجر حتى لا تمتد إلى بولندة وكانت تحت حكمها فتخلع عنها نير الاحتلال ؛ ومن عجب أن يتجه تولستوى إلى التطوع فى حرب ظالمة كهذه الحرب وهو الذى سوف يكون فى غده من أكبر الساخطين على العدوان وعلى الحرب أيا كانت بواعثها ...

وكان لزاماً على من يتطوع أن يقضى سنتين فى صحبة الجيش العامل قبل أن يسمح له بحمل السلاح والقتال ، ولكن تولستوى كان يطمع أن يتخذ مكانه فى الصفوف قبل انتهاء هذه المدة بما عسى أن يبدى من مهارة وقوة ، وإن خياله ليسهل له كل شيء فما إن يفكر فى أمر حتى يحسبه حقيقة واقعة ، وإنه ليحدث نفسه بأن عمله فى الجيش سوف يكسبه خبرة بالحياة والناس ، وسوف يخلق منه شخصاً جديداً ، إذ أنه بهذا العمل ينجو مما يغريه به الفراغ والشباب من عبث ولهو ...

ولكنه لا يلبث إلا قليلا حتى يكتب لأخيه يقول له : « أثبت فى كتابى الأخير إليك كثيراً من اللغو ، وكان أبرزه ما أشرت إليه من رغبة فى التحاق بفرقة الفرسان ، وسوف لا أفعل ذلك إلا إذا فشلت فى امتحاناتى أو إذا كانت الحرب ذات خطر » .

وجاء الربيع يبعث البهجة والحياة فى كل حى ، وطافت بخيال الفتى مجاليه فى أسحاره وآصاله ، هناك فى ضيعته المحبوبة ياسنايا بوليانا ، فسرعان ما انطلق من جامعة بطرسبرج كما انطلق قبل من جامعة قازان ، وسرعان ما أبعد عن فكره وخياله العمل فى الجيش وفى الوظائف المدنية جميعاً ، ثم أقبل على ياسنايا ، وليس فى نفسه هذه المرة من عزم إلا تعلم الموسيقى !

( يتبع ) **الخفيف**

ذلك المهمهة وهى الصوت الحاصل من الزفير عند الحزن ومنها الهم والهموم الخ . والزفير أى إخراج النفس بشدة عند عمل شاق والشخير وهو محاكاة النائم وهو يغط . والنحنحة والعطاس والسعال . ومن ذلك لفظة « وى » وقد ركب منها ومن اللام لفظ ويل ويعبرون بهـا على التفجع أو حلول الشر واستعملوها إسما لوادٍ فى جهنم ، وشقوا منها ويلة بمعنى فضيحة وركبوا من ويل ألفاظ أخرى منها ويح ، ومنها ويب وربما كان أصلها « وى أب » للاستغاثة بالأب ولفظة ويخ » ربما كان أصلها « وى أخ » للاستغاثة بالأخ . وكذلك الألفاظ العديدة المشتقة من كلمة أف ومنها الأنف والتأفف والنفخ وغيرها .

ويؤيد أن اللغة العربية نشأت هكذا أننا نجد تلك الألفاظ الأصلية فى أخواتهـا العبرية والحميرية والأشورية والحبشية والكلدانية والمصرية القديمة وجميعها مشتقة من أصل أو أصول قديمة اكتشفت آثار بعضها ولا يزال بعضها الآخر مجهولا . وهى مجموعة اللغات المسماة باللغات الشرقية أو السامية . ويمكننا أن نتبين هنا أصل نشوء وتنوع وتطور الأسماء والأفعال على تباين صورها والحروف المختلفة لحروف الجر والنفى والإضافة والإشارة وكذلك الضمائر، ويمكننا أن نتتبع كيفية تحول جميع هذه الألفاظ وتسلسلها من اللغات السامية القديمة إلى اللغة العربية وأخواتها السامية الحديثة كالعبرية وغيرها . ولكن المقام لا يتسع لذلك فنكتفى بمثل أو مثلين :

فالظرف « مَعْ » فى لغتنـــا العربية يقابله فى العبرية « عِم » ، وفى السريانية « عَمْ » فلا شك فى أن « مَعْ » العربية مقلوبة عن « عم » العبرية والسريانية . ومن الغريب أن هذه اللفظة نفسها تفيد أيضاً فى هاتين اللغتيـن — فوق معنى الظرفية — معنى « شعب » ومعنى « العم الشرعى » . فيستدل من ذلك أن الأصل فيها معنى الاجتماع والاتحاد فاستعملوها إسماً للعم الشرعى وانتقلت للعربية كما هى ، واستعملوها أداة عطف وانتقلت إلى العربية مقلوبة — أو أنها قلبت فى الطريق .

ولفظة « ليس » النافية فى اللغة العربية أصلها « لا » حرف النفى و « أيس » التى معناها فى العبرية الكون أو الوجود ولم تنتقل هذه الكلمة إلى العربية أو أنها انتقلت ولم تلبث حتى اندثرت لعدم استعمالها . فلفظة ليس المستعملة الآن فى العربية معناها نفى الوجود و « أيس » هذه بمعناها المذكور موجودة فى كثير من اللغات السامية وغير السامية. فهى فى العبرية القديمة « يش » ، وفى السريانية « إيت » ، وفى اللاتينية والسنسكريتية والفارسية واليونانية وفروعهن « إيست est » أى الكون أو الوجود ، وفى الفرنسية القديمة المتسلسلة من اللاتينية كما لا يخفى « إيست est » أيضاً ومنها تحولت فى الفرنسية الحديثة إلى فعل être الذى أصله فى الفرنسية القديمة estre الذى يفيد معنى الوجود أو الكينونة وأن عبارة Vous étes أصلها Vous este ومعلوم أن حركة « ^ » المسماة Accent circouflee المستجدة فى الفرنسية الحديثة حلت محل حرف « S » فى الفرنسية القديمة وعلى هذا النحو تحولت لفظة « hostel » بمعنى فندق إلى hôtel .

وكلمة « مال » العربية التى يعتقد جمهور الناس أنها لفظة ثابتة قائمة بنفسها إنما هى مركبة فى الواقع من « ما » الموصولة ولام الإضافة كقولهم ما للرجل وما عليه أى الذى له والذى عليه ، وقد اندمج هذان الحرفان على مر الزمن وأصبحا كلمة واحدة مستقلة بمعنى المـال . واشتقت منها ألفاظ عديدة منها مول واشتقاقاتها فعلا وإسماً وفاعلا ومفعولا ، ومنها ملك وملكية ومملوك وفعل ملك وامتلك الخ ومنها ملك وجمعها ملوك . ولا يبعد أن يكون مال بمعنى مأخوذ عن تلك اللفظة لأن الميل فيه معنى الحب والرغبة ، والمـال أحب شيء للانسان .

وما يقال عن اللغة العربية وأخواتها وأجدادها السامية يقال عن اللغات الهندية الأوروبية والطورانية وجميع لغات العالم .

***

وخلاصة القول إن النطق ظاهرة طبيعية محضة بدأت على أبسط صورة فى الحيوانات العليا التى تعيش جماعة مثل بعض الطيور وبعض أنواع ذوات الثدى وعلى الأخص القرود العليا ( أما النمل فله طريقة صامتة للتفاهم والتعبير ) . وقد ارتقى النطق واتسع فى الإنسان نتيجة العوامل الطبيعية المتقدم بيانها التى أدت تطور النوع الإنسانى وتحوله إلى شكله الحالى . فالفرق بين الإنسان والحيوانات إنما هو فرق فى الدرجة فقط — درجة التطور — وليس فى طبيعة الأمور

# نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

## ٨٩٥ — بين ملك وعالم

نفح الطيب : قال الحجارى صاحب ( المسهب فى أخبار المغرب ) :

كنت كثيراً ما أستشكل هذه التسمية لما قال غير واحد أن ( المسهب ) إنما هو بفتح الهاء ، والفقرة الثانية وهى المغرب تقتضى أن يكون بكسر الهاء ، ولم يزل ذلك يتردد فى خاطرى إلى أن وقفت على سؤال فى ذلك رفعه المعتمد بن عباد سلطان الأندلس إلى الفقيه الأستاذ أبى الحجاج يوسف بن سليمان النحوى الشنتمرى المشهور بالأعلم ، ونص السؤال :

« سألك — أبقاك الله — الوزير الكاتب أبو عمرو بن غطمش — سلمه الله — عن ( المسهب ) وزعم أنك تقول بالفتح والكسر ، والذى ذكره ابن قتيبة فى أدب الكتاب والزبيدى فى مختصر العين ( أسهب الرجل فهو مسهب إذا أكثر الكلام بالفتح خاصة ) فبين لى — أبقاك الله تعالى — ماتعتقد فيه ، وإلى أى كتاب تمتد القولين لأقف على صحة من ذلك » .

فأجابه : « وصل إلىّ — أدام الله تعالى توفيقك — هذا السؤال العزيز ، ووقفت على ما تضمنه ، والذى أحفظه وأعتقده أن (المسهب) بالفتح المكثر فى غير صواب وأن المسهب ، بالكسر البليغ المكثر فى الصواب ، إلا أنى لا أسند ذلك إلى كتاب بعينه ولكنى أذكره عن أبى على البغدادى عن كتاب ( البارع ) أو غيره معلقاً فى عدة نسخ من كتاب ( البيان والتبيين ) على بيت فى صدره لمكى بن سوادة :

حصر مسهب جرىء جبان خير عى الرجال عى السكوت

والملقة : ( تقول العرب أسهب الرجل فهو مسهب وأحصن فهو محصن وألفج فهو ملفج إذا افتقر ، قال الخليل : يقال : رجل مسهب ومسهب ، قال أبو على : أسهب الرجل فهو مسهب إذا أكثر فى غير صواب ، وأسهب فهو مسهب بالكسر إذا أكثر وأصاب ، قال أبو عبيدة : أسهب الرجل فهو مسهب إذا أكثر من خرف وتلف ذهن ، وقال أبو عبيد عن الأصمعى : أسهب الرجل فهو مسهَب بالفتح إذا خرف وأهتر ... ) انتهت الملقة . فرأى مملوكك — أيدك الله تعالى — واعتقاده أن المسهب بالفتح لا يوصف به البليغ المحسن ولا المكثر المصيب ، ألا ترى إلى قول الشاعر ( حصر مسهب ) أنه قرن فيه المسهب بالحصر وذمه بالصفتين ، وجعل المسهب أحق بالعى من الساكت والحصر فقال : ( خير عى الرجال عى السكوت ) والدليل على أن (المسهب) بالكسر يقال للبليغ المكثر فى الصواب أنهم يقولون للجواد من الخيل مسهب بالكسر خاصة لأنها بمعنى الإجادة والإحسان ، وليس قول ابن قتيبة والزبيدى فى المسهب بالفتح هو المكثر من الكلام بموجب أن المكثر هو البليغ المصيب ، لأن الإكثار من الكلام داخل فى معنى الذم لأنه من الثرثرة والهذر ألا تراهم قالوا : رجل مكثار كما قالوا : ثرثار ومهذار . فهذا ما عندى والله ( تعالى ) الموفق للصواب

---

وقد نشأت اللغات — وهى ظاهرة اجتماعية طبيعية محض — من النطق بأصوات بسيطة لجأ إليها الإنسان الأول للتفاهم وكان يعبر بها عن الانفعالات النفسية أو الآلام الجسمانية أو الحاجات الحيوية ، ويقلد بها الأصوات الطبيعية للأشياء والأفعال المختلفة أو أصوات الحيوانات والطيور أو عوامل الطبيعة . ثم تصرف فيها وتوسع بالنحت والاشتقاق والقياس والإضافة والإدماج وتحويل الألفاظ من معانيها المادية إلى المعانى الرمزية والمعنوية الخ طبقاً لحاجاتهم المستجدة مع تقدمه فى المدنية وارتقاء الحياة الاجتماعية والعقلية . فصارت اللغات البسيطة الأولية تتطور هكذا تطوراً يختلف باختلاف البيئات والأقاليم فنشأت اللهجات المختلفة واستمرت هذه فى التطور والتحول عن أمهاتها حتى أصبحت لغات جديدة مستقلة تولدت من كل واحدة منها لغة أو لغات أخرى تسلسلت منها اللغات القديمة ثم الحديثة على نحو تطور الكائنات الحية النباتية والحيوانية (بما فيها الإنسان) وتسلسل الحديث منها من القديم طبقاً لنواميس التطور والتحول الطبيعية التى تشمل كل ما فى الكون وعلى الأرض من الجمادات والكائنات الحية (وهى صورة من صور الجمادات ومظهر من مظاهرها) واللغات والشرائع والأنظمة الاجتماعية والاقتصادية .

نصيف المنقبادى

# النطق وكيف نشأ فى الانسان
# وفى الحيوانات العليا ؟

للاستاذ نصيف المنقبادى المحامى

## ٢ — نشوء النطق فى الانسان

**التفاهم بالأصوات :**

وفى الوقت نفسه استعان أفراد النوع الإنسانى على التفاهم بالأصوات — فوق لغة الإشارات المتقدم بيانها — وقد بدأوا بالأصوات الطبيعية للتعبير عن الانفعالات النفسية أو الآلام الجسمانية والحاجات الحيوية كالتنهد والتأوه والأنين والتأفف وغير ذلك كما تفعل الأطفال والحيوانات . وما نزال نرى لغات بعض القبائل المتوحشة التى تعيش فى أواسط أوستراليا وفى أواسط أمريكا الجنوبية فى هذا الطور من تطورات لغة البشر إلى الآن ، فإنهم نظراً لقلة مواد لغاتهم البسيطة يضطرون للتعبير عن أغراضهم إلى الإكثار من استعمال الإشارات . فإذا تكلموا صوتوا وأشاروا بأيديهم وأرجلهم وأعينهم ، والإشارات جزء من لغتهم لا يمكنهم الاستغناء عنه فهم لا يستطيعون التفاهم ليلا . وألفاظ لغتهم أقرب إلى الأصوات الطبيعية ولغات القرود العليا منها إلى ألفاظ سائر لغات البشر

وهناك قبائل أخرى بأوستراليا لا تسعفهم لغتهم فى التعبير عما وراء الاثنين بلفظ واحد إذ ليس لديهم من الألفاظ العددية إلا لفظتان فقط وهما « نتات » أى واحد ، و « نايس » أى اثنين . فإذا أرادوا ثلاثة أضافوهما إلى بعضهما وقالوا : « نايس نتات » أو أربعة « نايس نايس » أوخمسة « نايس نايس نتات » أو ستة « نايس نايس نايس » . أما السبعة وما فوقها فيقفون عندها حيارى وهم يعبرون عنها بقولهم ما معناه « كثير »[1] .

ثم بارتقاء الناس عقلياً ومدنياً وتقدمهم فى الحياة الاجتماعية مع قيام حاجات جديدة لهم ؛ كل هذا جعلهم يتصرفون فى ألفاظهم الأولى ويتوسعون وينوعونها ويفرعون ألفاظاً أخرى فيها إما بتقليد أصوات الطبيعة وانفعالات النفس وإما بالرمز إلى المعانى بألفاظ كانت تدل فى بادىء الأمر على الماديات ، كما يفعل الأطفال إلى الآن . فأول لفظة يتفوه بها الطفل الرضيع عند ما يبدأ فى النطق هى « أم » أو « ما » يقصد بها الرضاع ، وهو فى هذا يعبر تعبيراً طبيعياً عن ذلك المعنى لأنه إنما يقلد الحركة الآلية الفسيولوجية المحض التى يقوم بها للاطباق بشفتيه على ثدى أمه وهو حين يفعل ذلك كأنه يلفظ حرف الميم الذى لا يمكن النطق به إلا بإطباق الشفتين على بعضهما . ثم يتقدم الطفل فى السن والنطق قليلا فيتوسع فى ذلك اللفظ الطبيعى إلى « مَمْ » يطلقها على الرضاع أولا ثم على جميع أنواع الأغذية ، وعلى والدته نفسها ويفرع منها « ماما » .

وهذا عين ما حدث للانسانية نفسها فى أول عهدها بالنطق ولذلك نجد أن جميع شعوب العالم تعبر عن الأم ( أى الوالدة ) بألفاظ متشابهة فى جميع اللغات تشترك فى حرف الميم سالف الذكر.

وكانت اللفظة الواحدة فى اللغات الأولى القديمة وفى اللغات المتأخرة الحديثة تدل على الإسم والفعل على اختلاف أزمنته (الماضى والمضارع والأمر) ، ولم تكن الضمائر وحروف الجر والنسبة والإضافة وغيرها قد ظهرت بعد . فكان الناس — وما زالوا فى كثير من اللغات البسيطة إلى الآن — ينوّعون معانى اللفظة الواحدة بإضافة لفظة أخرى إليها . فالصينيون مثلا تخلو لغتهم من حرف الجر « فى » يستعيضون عنه بلفظة « وسط » فيقولون « وسط مملكة » أى « فى المملكة » ولأنهم لا يعرفون حرف الباء السببية يستعملون بدلها كلمة كاملة مستقلة . فعندما يريدون التعبير مثلا عن معنى « قتل رجلاً بالعصا » يقولون « قَتل رجلاً واستعمل عصا » .

وتتقدم لغات البشر خطوة أخرى باستعمال الألفاظ الدالة على المحسوسات والأجسام المادية للتعبير عن المعانى الرمزية والمعنوية فلا تشتمل كثير من اللغات البسيطة القديمة والحديثة على كلمة تدل على معنى الصلابة ، ولهذا يستعمل المتكلمون بها لفظة «حجر» للتعبير عن ذلك المعنى كما فعل الناس فى لغة إشاراتهم وكما يفعل الخرس الآن . ولا تشتمل لغات أخرى على لفظة تؤدى معنى الطول فيعبرون عنه بلفظة « ساق » ، وعن لفظة مستدير بقولهم

(١) كتاب الفلسفة اللغوية لجورجى زيدان .

« مثل القمر » . ويستعمل العرب أحياناً لفظة « قلب » المادية للتعبير عن «وسط» فيقولون « قلب المدينة » بدلاً من « وسط المدينة » وذلك لأن القلب فى وسط الجسم . ولفظة وسط نفسها تحولت فى لغتنا المصرية من المعنى المادى ونعنى به وسط الأجسام إلى معنى معنوى محض أى وسط غير الماديات وصارت تستعمل بمعنى بيئة .

وقد استطاع علماء نشوء اللغات وتطورها واشتقاقها أن يردوا معظم الألفاظ المستعملة الآن فى اللغات الحديثة إلى أصول بسيطة تحاكى أصواتاً طبيعية أو انفعالات نفسية أو آلاماجسمانية أوتقلد فعلا مادياً مألوفاً ، ويطول بنا المقام لو اردنا استيعاب ذلك فنكتفى ببعض أمثلة عن أصول الألفاظ العربية نقتبسها من كتاب جورجى زيدان الذى نحن بصدده . فمن ذلك ألفاظ : قط وقطب وقطف وقطع وقطم وقطش وقطل ، فإنها جميعها تتضمن معنى القطع والأصل المشترك بينها هو لفظة قط وهو حكاية صوت القطع كما لايخفى — وباللغة الإنجليزية أيضاً « كت » Cut — وبتطور اللغة وارتقاء المتكلمين بها فى المدنية تنوعت مدلولاتها بإضافة لفظة ثانية إلى لفظة قط للتعبير عن مختلف معانى القطع وعلى ممر الزمن ضمرت اللفظة الثانية كما تضمر أعضاء الحيوانات والنباتات، وكادت تندثر ولم يبق منها الآن إلا حرف واحد اندمج فى لفظة قط وصار وإياها كلمة واحدة بالطرق المقررة فى علوم فقه اللغات .

ومن متنوعات « قط » لفظاً « قص » ومنها قصم وقصل وقصب وقصر وقصف وقص ، وجميعها تفيد القطع وتحاكى بعض أصوات تنوعاته القطع بالمقص . ومن تحولات قص لفظة كَسْ وهى محاكاة صوت الكسر ولا سيما كسر الخشب — وبالفرنسية Casser أى كَسَّرَ — ومنها كَسْ وكسر وكسع وكسم . وتحولت « قص » لفظاً من ناحية أخرى إلى « جز » ومنها جذه وجذب ( بمعنى انقطع فيقال جذب الريق أى انقطع ) وجذف وجذم وجميعها تتضمن معنى القطع أوتنوعاته ويجانس جَذْ جَزْ وهو محاكاة صوت قص الشعر وتنوعت منه جَزّ وجزء وجزر وجزع وجزل وجزم . وإن تنوع معنى القطع يفوق المئات عداً فضلاً عن اشتقاقات كل لفظة منها إسماً وفعلا ونعتاً وفاعلا ومفعولا ثلاثياً ورباعياً وخماسياً وغير ذلك مما تطورت إليه اللغة وتحولت من أصولها البسيطة الأولية . وكانت تدل فى أول استعمالها على معانٍ حقيقية حسية ثم أطلقوها على معانٍ مجازية وكلها ترجع إلى أصل واحد وهو محاكاة صوت طبيعى وهو صوت القطع .

وهكذا الحال بالنسبة لمعظم ألفاظ اللغة . فمن « هَبْ » بمعنى ثار أو هاج تفرع هَبّ وهبج ( أى ضرب ضرباً شديداً ) ، وهبذ أى أسرع فى المشى وهبش بمعنى هيج المتقدمة ، وهبص الرجل أى نشط أو عجل ، وهبا الفرس أى فر . وهى جميعها تتضمن معنى « هب » وهى محاكاة صوت اللهيب إذا نفخه الإنسان أو نفخه الريح . ومن الألفاظ التى تدل على السرور وطلاقة الوجه : بسّ وبساء وبسم وبسط وبسل وبش أى حسنت سحنته وجميعها ترجع إلى معنى واحد وهو «بس» التى يغلب أنها تحولت لفظاً عن بش وهى من الأصوات التى ينطق بها الإنسان غريزياً عند الاستحسان كقول العامة إذا استحسنوا شيئاً أو أعجبوا به « إش » ومنها بشّ . ووجه بشوش . ومن ضروب معانى الفتح فقْ وفقاء وفقح وفقر وفقص وفقس وفقش . والعامة تقول فقع . وترجع جميعها إلى « فق » وهى حكاية صوت القربة إذا شقت وهى ملأى أو ما شاكل ذلك من الأصوات القريبة .

وفى الأمثلة المتقدمة جاء الحرف المزيد — المشتق من كلمة إضافية قديمة — فى آخر الكلمة الأولى وهذا هو الأغلب ولكن قد يكون فى الوسط أى بين الحرفين الأصليين كشلق من شق ، وفرق من فق ، وقرط من قط ، وقرص من قص وقرض من قض ، وشرق من شق ، ولحس ولعس ولمس من لس .

وألفاظ أخرى كثيرة مشتقة فى الأصل من أصوات طبيعية تعبر عن انفعالات نفسية أو حالات جسمانية فسيولوجية يخرجها الإنسان أو الحيوان باختياره أو عن غير قصد مثل « آه » للتألم والتنهد . ولا يخفى أن الآلام وسائر انفعالات النفس تحدث اضطراباً فى التنفس عن طريق الجهاز العصبى فيضطر الحزين أو المغموم أو المهموم أن يستنشق من فترة إلى أخرى كمية زائدة من الهواء ليعوض ما فاته من التنفس الناقص أثناء اضطرابه أو حزنه . وهذا هو التنهد بعينه : وقد اشتقت من لفظة « آه » ألفاظ كثيرة منها التأوه وتأوه ومنها لفظة « تنهد » نفسها . ومن

## ٨٩٦ – أبو بكر ، على

وفيات الأعيان : كانت لأبى الفرج بن الجوزى فى مجالس الوعظ أجوبة نادرة ، فمن أحسن ما يحكى عنه أنه وقع النزاع ببغداد بين أهل السنة والشيعة فى المفاضلة بين أبى بكر وعلى (رضى الله عنهما) فرضى الكل بما يجيب به الشيخ أبو الفرج ، فأقاموا شخصاً سأله عن ذلك وهو على الكرسى فى مجلس وعظه فقال : أفضلهما من كانت ابنته تحته . ونزل فى الحال حتى لا يراجع فى ذلك ، فقالت السنية : هو أبو بكر لأن ابنته عائشة (رضى الله عنها) تحت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقالت الشيعة : هو على بن أبى طالب (رضى الله عنه) لأن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تحته . وهذا من لطائف الأجوبة ، ولو حصل بعد الفكر التام وإنعام النظر كان فى غاية الحسن فضلا عن البديهة .

## ٨٩٧ – وخير منه عندى

فى (بدائع البدائه) لعلى بن ظافر الأزدى :

أخبرنى القاضى السعيد (ابن سناء الملك) قال: أخبرنى الشريف الجليل الوافد من العراق على الدولة المصرية قال : اجتمعت فى بعض الأيام بأمين الدولة أبى الحسن هبة الله بن صاعد المعروف بابن التلميذ فأخذنا فى ذم الدهر وإخنائه على أهل الفضل [١] وإذا بكلاب الصيد التى برسم الخليفة قد أبرزت فى جِلال [٢] الوشى والديباج فحرك ذلك ما كنا نتجاذب أهدابه فى الدهر فقلت :

من كان يكسو الكلب وشيا (م) ثم يقنـــع لى بجــــ لدى

واستجزته فقال :

الكلب خــــير عنـــــده     منى ، وخير منه عندى ...

## ٨٩٨ – خفيف على القلب ...

الكنايات للثعالبى : حدثنى أبو جعفر محمد بن موسى الموسوى قال دخلت يوماً إلى الشيخ أبى نصر بن أربد ببخارى وعنده علوى مبرم قد تأذى بطول جلوسه وكثرة كلامه ، فلما نهض قال لى نصر : ابن عمك هذا خفيف على القلب ، فقلت : نعم مساعداً له على رأيه . فتبسم ضاحكا من قولى ، وقال لى : لم تفطن للغرض ، فما زلت أفكر حتى وقع لى أنه أراد خفيفاً مقلوبا وهو الثقيل ، وهذا المعنى أراد أبو سعد دوست بقوله :

وأثقل من قد زارنى وكأنما     تقلب فى أجفان عينى وفى قلبى
فقلت له لما برمت بقربه     أراك على قلبى خفيفاً على القلب

وكان الناصر العلوى الأطروش إذا كلمه إنسان فلم يسمعه قال له : يا هذا ، ارفع صوتك ، فإن بأذنى بعض ما بروحك ، يكنى عن الثقل .

## ٨٩٩ – أيشربن منه هذا الشراب ؟

الحيوان للجاحظ : حدثنا رِبعىّ الأنصارى أن عجوزاً من الأعراب جلست فى طريق مكة إلى فتيان يشربون نبيذاً لهم ، فسقوها قدحاً فطابت نفسها وتبسمت ، ثم سقوها قدحاً آخر فاحمر وجهها وضحكت ، فسقوها قدحاً ثالثاً فقالت : خبرونى عن نسائكم بالعراق أيشربن من هذا الشراب ؟

فقالوا : نعم .

فقالت : زنين ورب الكعبة ... [١] .

## ٩٠٠ – يأتم بأبى فروخ ...

الحيوان للجاحظ : قال بعض ظرفاء الكوفيين :

فإن يشرب أبو فروخ أشرب     وإن كانت معتقة عقـــارا
وإن يأكل أبو فروخ آكل     وإن كانت خنانيصاً صغارا

## ٩٠١ – ماذا وراءك أو ما أنت يا فلك ؟

نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى: قال أبو العلاء المعرى:

يا ليت شعرى وما ليت بنافعة     ماذا وراءك أو ما أنت يا فلك
كم خاض فى إثرك الأقوام واختلفوا     قدماً فما أوضحوا حقاً ولا تركوا
شمس تغيب ويقفو إثرها قمر     ونور صبح يوافى بعده حلك
طحنت طحن الرحى من قبلنا أمماً     شتى ولم يدر خلق أية سلكوا

وقال : إنك طبع خامس نفر     عمرى لقد زعموا بطلا وقد أفكوا
راموا سرائر للرحمن حجبها     ما نالهن نبى لا ولا ملك

(١) جوره عليهم .

(٢) جل الدابة كثوب الانسان يلبسه يقيه البرد والجمع جلال وأجلال (المصباح) ...

(١) فى شرح المقامات للشريشى : يزنين ورب الكعبة ، والله لا يدرى أحدكم من أبوه ...

# زرقاء العيـــون

للاديب عبد العظيم عمر زين الدين

حينما ترحل النجوم عن الكو ... ن إلى عالم من الخلد زاخر
حينما تختفى الرؤى سابحات ... وتجوز الأحلام وادى الخواطر
حينما يحمل النسيم من المش ... رق بشرى السنا إلى كل ساهر
تجدينى يا فتنتى أتمــلى ... نور دنياك فى بشاشة طائر

حينما ينضج الندى وجنة الور ... د فتهتز للشروق النواظـر
حينما يبسم الضياء على الأفـ ... ق ابتسام الآمال فى قلب حائر
حينما تبعث النســائم بالمو ... ج فينساب فى افتتان المغامر
تجدينى أطوى الطريق لواديـ ... ك وظلى على البحيرة سائر

حينما تنفض العذارى من الجـ ... ن غلالاتهن من كل ساتر
يتمطين فوق أرجوحة المو ... ج ويرقصن فى عيون الأزاهر
حينما تسرح الفراشات عطشى ... لرحيق على الشفاه النواضر
تجـــدينى أدق بابك فى رفـ ... ق وقلبى للحسن حى المشاعر

تجدينى بباب كوخك نشوا ... ن، أحييك فى الضياء الحبيب
فرحتى باللقاء تطلق روحى ... تتهادى مع النسيم الرطيب
لتزيح الستار عن خدرك الحا ... لم بالسحر، بالرؤى، بالغروب
وانملى الضياء من صدرك الخا ... فق بالحب، بالحنان العجيب

ياصبا العمر، ذاك مغناك نادى ... والحبيب المشوق، هيا أجيبى
وخذينى من قفرة الوجد والشو ... ق إلى ساحل الهوى، واعبرى بى
أنا أهوى الجمال منك رحيقاً ... ينبت الحب فى الفؤاد الجديب
وحياة تفيض فيها معان ... كل يوم جديدة فى القلوب

أنا عندى كل الذى تشتهـ ... ين فهاتى، كما وعدت نصيبى
فى عيونى نجوى يصوغها الشو ... ق لعينيك، فى حنان غريب
وبقلبى من أسطر الحب قرآن ... طهور ترتيله فى وجيبى
وحواليك هالة من حنانى ... لتراعيك دائماً من قريب

عجب ما أرى بعينيك من عمـ ... ق، ومن فتنة، ومن أضواء
وغريب هذا الشعاع الذى يجـ ... ذب روحى للجنة المتنائى
والنــداء القهار يسلبنى رشـ ... دى، فويلاه من فتون النداء!
أترى فيه لو تبعت خلودى؟ ... أم أرى مصرعى والتقى فنائى؟

حدق بى يا فتنتى، ودعينى ... فى خيالى وسرحتى وانتشائى
واجعلينى أنسى كيانى، وعمرى، ... ونعيمى، وبهجتى، وشقائى
وأرى الدهر والمكان بعينيـ ... ك وسحر الرؤى، ونور السماء
أطلقينى فى ظل جفنيك أحيا ... عبقرى الصبا، جديد الرواء

حدق بى. يا جنتى يا جحيمى ... يا دوائى من غلتى وشقائى
وأزيحى الخصلات عن خدك النا ... عم حتى أرتاد دنيا الضياء
سكن الكون حولنا وأصاخ السـ ... مع ما حولنا من الأحياء
والغدير الرجراج كف عن السـ ... ير، ومال الصفصاف للاصغاء

أسندى رأسك البديع إلى صد ... رى وكونى رفيقتى فى هيامى
وصلى من طريق عينيك روحيـ ... نا، وطوفى بصدرى المترامى
واجعلينى أحس أنى قد نلـ ... ت نصيبى الموعود من أيامى
واغمرى وجنتى من أفق عينيـ ... ك بنور من الرضا والسلام

أنا راو، أتيت واديك وحدى ... من وراء الأزمان والأيام
من بلاد لم يعرف الحب أهلو ... ها فماشوا فى وحشة وظلام
قضوا العمر فى قيود من الجـ ... ـم وأفنوه فى انتظار الحمام
وذوى القلب بينهم من ظماء ... وقضى دون دمعة أو سلام

إن قومى قد شيعونى كميت ... قربوه فى معبــد الآثام
قيل: ذو جنة يعيش على الحـ ... لم، ويحيا فى عالم الأوهام
وفتى راح فى الخيــال بعيداً ... وفقدناه فى خضم الزحام
آه.. ياليتهم يرون مسرا ... ت المنى، وفرحة المستهام

خبرينى، ما قصة العين والجفـ ... ن؟ إذا أنشدا حديث الغرام
وعظات الكهان فى معبد الحب ... وأسطورة الهوى فى الأنام
أنت أهلى، وشيعتى وقبيــلى ... وبواديك موطنى ومقامى
ومنـــامى على هواك وصحوى ... وابتدائى فى ظـــله وختامى

# الأدب والفن في أسبوع

**رجالنا المنسيون :**

كتب أديب فاضل في جريدة « الأهرام » مقالا عن المغفور له حفني ناصف بك بمناسبة ذكرى وفاته ، وقد اقترح على الحكومة أن تهتم بإنشاء مدفن فخم تضم فيه رفات أولئك الرجال العبقريين تخليداً لذكرهم واعترافاً بفضلهم وتذكيراً للأبناء بما أسدوا وأجدوا في خدمة أوطانهم .

وليس هذا الاقتراح بالجديد ، فقد ردده كثيرون من قبل ، على أن الرجاء في تحقيقه ضئيل بل معدوم ، لأننا أمة تعيش على مبدأ « مات الميت فليحيى الحي » وليس من شيمتنا تقدير الفضل لذاته ، ولا الاعتراف بالجميل لأصحابه حتى ولو كان أصحاب هذا الجميل هم أبناؤنا وأساتذتنا وأعز الناس على نفوسنا . ولهذا طوى كثير من رجالنا الكبار في مطاوي النسيان ، وأصبحوا — بعد أن ملأوا الدنيا بأعمالهم — في خبر كان ...

حفني ناصف ومحمد سلطان ومحمد المهدي ومحمد الخضري وعبد الوهاب النجار وعبد العزيز جاويش وغيرهم من الطلائع الذين تخرجوا في دار العلوم لا يعلم عنهم أبناء دار العلوم شيئاً ، ولا يحسون أثراً من فضلهم وعلمهم ، ولا يقفون على شيء من ذكرهم وخبرهم !

ومحمد عبده وأبو خطوة والمرصفي والعباسي وعلي يوسف ، وعشرات من إخوانهم الذين تخرجوا في الأزهر لا يعرف عنهم أبناء الأزهر شيئاً ولا يحسون أثراً من فضلهم وعلمهم ولا يقفون على شيء من ذكرهم وخبرهم ! !

وأمين الرافعي وسيد كامل ومحمد مسعود وعبد القادر حمزة وتوفيق فرغلي ، وعشرات الصحفيين من إخوانهم لا يعلم عنهم أبناء الصحافة اليوم شيئاً ولا يحسون أثراً من فضلهم وعلمهم ، وللصحفيين ناد يجتمعون فيه ولكنك مع الأسف لا تجد فيه صورة واحدة من صور أولئك الصحفيين الذين أيقظوا وجدان الأمة وبثوا كيان الشعب .

ومن منا يذكر أحمد زكي وأحمد تيمور وتوفيق المدل والنجاري والفلكي وسواهم من الأعلام الأفذاذ عليهم رضوان الله أجمعين .

وآسفاه ! كأننا جيل خلق بدون آباء وتربى من غير أساتذة فلا تقل يا سيدي مقبرة للأدباء ، ولكن قل لعل الأبناء أن يذكروا الآباء .

---

نبئيني يا زهرتي — أي ربع كان مهداً لزهرتي — أي وادي؟
أي دوح أظل عودك ريا ن ، ونبع سقى صباك الهادي؟
أي أفق بزغت فيه ضـيـاء كان صحواً ويقظة في البوادي؟
أي فذ أخذت عنه أناشيـ دك حتى قدست في الإنشاد ؟

---

علم الله أن هذي مغانيـ ك بعينيك في جلاء بوادي
والعهود البيضاء من عمرك الزا هي أمامي من ليلة الميـلاد
وأراها على شواطىء نبع أزرق اليم ، صـافي الإزباد
تتهادين كالنسيم وكالحـ لم ، وكاللحن في جمال التهادي

---

كالفراش النشوان من بهجة النو ر ، طليق على المروج . وغادى
خطرات الأقدام منك على الشط كوقع الندى على الأعواد
يلثم الزهر طرف ثوبك حباً ويناجيك في جوى العباد
وتحليك هذه الشمس إعجاباً بتاج من السنا الميـاد

---

يا فتاتي هذي مغاني مرآتك تبدو في مقلتيك نديه
ذلك العالم المـلىء بأرواح عذارى وأنفس سحريه
لفها الطهر في غلالات حس وبراها خـلاقها عذريه
أنت فيها لحن بديع سماوي المعاني ، مخـلد العبقريه

---

فإليها حيث التلاقي خلود ومسراتنا بهـا أبديه
وخذيني على جناحك مشتا قاً وعودي للسحر — يا جنيه
سوف نحيا بها سوياً كأنا نرجسات غيسانة ريه
ولنا الحب والجمال معان ساميات في روحنا علويه

عبد العظيم عمر زين الدين
كلية الآداب — اسكندرية

**تأثير الأندلس فى أوربا وأمريكا :**

بمناسبة المحاضرات التى ألقاها أخيراً المستشرق الفرنسى ليفى بروفنسيال بجامعة فاروق الأول عن الشعر العربى فى الأندلس أذكر أن الشاعر الأسبانى « فرنسيسكو فيجاسباتسا » ألقى محاضرة منذ عشرين عاماً فى مدينة « بيونس أيرس » أشاد فيها بأخلاق الشعب العربى فى الأندلس وأطرى سجاياه النبيلة وما فطر عليه من الفصاحة والسليقة الشعرية ثم قال « وإن هذه السليقة الشعرية لتكاد تكون ملموسة بنغماتها فيه ومعانيها فى الشعر الشعبى الذى تعبر به الأمة الأسبانية عن مشاعرها الحقيقية ، وقد انتقلت هذه الروح العربية من أسبانيا إلى أمريكا اللاتينية بواسطة هذا الشعر الشعبى الذى حمله إليها الأسبانيون ولا سيما المهاجرون من الأندلس الذين كانوا فى طليعة المستعمرين لأمريكا الجنوبية ! !

هذا ما شهد به مفكر كبير من أبناء أسبانيا ، ولست أدرى رأى المستشرق بروفنسيال فى هذه الحقيقة ، ولعله يكون قد عرض لها فى حديثه عن تأثير الشعر الأندلسى فى أوروبا .

**التأثير الدينى :**

لاحظ القائمون بأمر المسرح الشعبى فى وزارة الشئون الاجتماعية أن الناحية الدينية هى أقوى مؤثر على عواطف الجماهير واجتذاب مشاعرهم ، ولهذا يفكر المشرفون على هذا المسرح فى استغلال هذه الناحية على أوسع مدى فيما يقدمون إلى أبناء الريف من المشاهد والتمثيليات .

وهذا فى الواقع أمر مفهوم ، فإن الشعب المصرى شعب متدين بالفطرة ، وهو أقدم شعوب الأرض اتجاهاً إلى الله ، ولا يزال للنغم الدينى فى الشرق عامة سحره ولذته ، وإن من الواجب أن تقوم دعاياتنا الاجتماعية على ما يتجاوب مع عواطف الشعب وينسجم مع روحه ومشاعره ، ولا يمكن أن تفيد تلك الدعاية وتؤتى ثمرها إذا جرينا فيها على التقليد للغرب واقتباس العواطف الغربية عنا ، وما دامت وزارة الشئون الاجتماعية قد لمست هذا بالتجربة فلعلها تتجه ذلك الاتجاه ، بأن تتبين نفسية البيئات الشعبية وتتلمس الأوتار الحساسة فى عواطف الجماهير وميولهم فتضرب عليها وتأخذهم إلى الإصلاح من طريقها .

**تمثال للأمير شكيب :**

قررت الجالية اللبنانية فى الولايات الأمريكية إقامة تمثال لفقيد العروبة الأمير شكيب أرسلان اعترافاً بفضله على العرب والأدب وتقديراً لخدماته الجليلة للأمم العربية فى حياته ، ووفاء لذلك الرجل العظيم الذى عاش غريباً مشرداً ينادى بالحرية والاستقلال لسائر الأقطار العربية .

وهذا واجب تؤديه الجالية اللبنانية فى مطارح الغربة ، ولكن يبقى على أبناء العروبة فى الوطن الأصيل أن يجملوا للفقيد تذكاراً حيث نشأ وحيث جاهد وناضل ليذكر الأبناء ويشحذ من عزيمة الأحفاد ؟ !

**نشيد عالمى للشباب :**

يعقد الاتحاد العالمى للشباب الديمقراطى مهرجاناً عالمياً فى مدينة براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا يستمر من ٢٠ يوليو القادم إلى ١٧ أغسطس ، وستجرى فى هذا المهرجان مسابقة عالمية لاختيار نشيد للشباب الديمقراطى العالمى ، على أن يكتب النشيد بأية لغة ثم يترجم عند تقديمه إلى الانكليزية أو الفرنسية أو الروسية أو الإسبانية ، ويشترط فيه أن يعبر عن أفكار الشباب الديمقراطى ورغباته فى قيام تفاهم عالمى وسلم دائم يشمل جميع أبناء الأرض ، وأن يصور مرح الشباب وحيويته وحماسته ، وقد طلب الاتحاد من هيئات الشباب الديمقراطى فى أنحاء العالم أن تقوم بتنظيم مسابقات محلية لاختيار نشيد تتقدم به إلى المسابقة العامة التى ستجرى فى ذلك المهرجان العام .

وأنا لا أثق بمثل هذه المسابقات ولا أعتقد أنها تنتج نشيداً له سحره وحيويته وفيه من القوة وفيض الإيمان ما يضمن له الخلود والبقاء والاتصال بالقلوب ، ذلك لأن الأناشيد لا تصنع ولا تقترح على الشعراء والأدباء ، ولكنها تكون فيضاً من الإيمان والحماسة يتنزل على الشاعر فى فترة من فترات التجلى كتنزل الوحى ، وجميع الأناشيد الحماسية الخالدة لم يكن مبعثها إلا هذا . أما الأناشيد التى تصنع وتقترح فأنها أشبه ما تكون بالأناشيد التى تصنع لتلاميذ المدارس .

وعلى أية حال فأى معنى سيؤثره الشباب فى نشيده ، أهو — كما يقول — الرغبة فى قيام تفاهم عالمى وسلم دائم فى جميع

أنحاء العالم ، وما قيمة هذه الرغبة وما جدواها بإزاء ذلك التناحر الذى يقوم بين السياسيين فى مؤتمراتهم حول اقتسام النفوذ وفرض السلطان على الضعفاء ؟ !

**معرض الكتاب اللبنانى :**

يعتقد القائمون بنشر الكتب العربية فى لبنان « أن الكتاب اللبنانى فى مصر مغمور ومحاط بالغموض ، وأن ذلك يرجع إلى نقص فى تنظيم النشر أكثر مما يعود إلى عدم إقبال القراء المصريين » .

لهذا أقيم معرض للكتاب اللبنانى فى دار القنصلية اللبنانية وقد افتتحه وزير لبنان المفوض بعد ظهر يوم الجمعة الماضى بحضور كثيرين من رجال العلم والأدب والصحافة . وتقرر أن يظل هذا المعرض مفتوحاً عشرة أيام وذلك لإعطاء أبناء مصر صورة عن حركة النشر الثقافى فى لبنان .

وقد علمت أن ناشرى الكتب فى بيروت قد اجتمعوا أخيراً وألفوا اتحاداً من بينهم يجمع شملهم ويوحد غايتهم وذلك بالدعاية « للكتاب اللبنانى فى الأقطار العربية والمهاجر المتصلة بها » .

كما أذيع من بيروت أن أصحاب المطابع سيصدرون نشرة دورية باللغتين العربية والفرنسية تشتمل على أنباء الطباعة وأعمال النشر .

ومما يذكر بهذه المناسبة أن معرضاً للكتاب العربى الفلسطينى قد أقيم فى يافا فى الأسبوع الماضى وفى النية إقامة هذا المعرض فى فرصة أخرى وذلك للدعاية للكتاب العربى فلسطين ..

ونحن نرجو أن تقابل هذه الحركة فى لبنان حركة مماثلة فى مصر وفى سورية وفى سائر الأقطار العربية ، وأن يكون هدف الجميع تنظيم أعمال النشر بما يضمن رواج الكتب العربية فى سائر أنحاء العالم العربى ، على أن يراعى هؤلاء الناشرون أنهم يؤدون خدمة ثقافية قومية أكثر مما يحترفونها مهنة تجارية .

**كتاب عن المملكة العربية :**

أصبحت البلاد العربية السعودية فى الآونة الأخيرة مناراً لاهتمام الباحثين الأمريكيين ومجالا لعنايتهم فى الكتابة والتأليف ولقد كان من مظاهر هذا الاهتمام أن ظهر أخيراً كتاب للكاتب الأمريكى المستر تويتشل باللغة الانجليزية ألم فيه المؤلف بتاريخ تلك البلاد ثم تحدث عن وضعها الجغرافى والاقتصادى ومرافق الاستغلال والانتفاع فيها ، ثم قال إن هذه الصحراء العربية التى كانت مهداً للدين ستصبح مصدراً للثروة وستخرج أمة جديدة تتبوأ مكانتها فى التجارة والرقى الاجتماعى .

وقد وقع المؤلف فى بعض الأخطاء التاريخية وقرر بعض الأحكام التى لا تطابق الحقيقة فى روح الإسلام واتجاهه ، على أن هذا ليس بالأمر المهم لأنه ديدن أولئك الأجانب عادة فيما يكتبون عن الإسلام وبلاد الإسلام فإنهم كثيراً ما يترددون فى فرض الأحكام الخاطئة بحسن نية أو سوء نية ، وإنما المهم الذى يسترعى الأنظار هو أن نلمس هذا الاهتمام الفاجىء عند الباحثين الأمريكيين بتاريخ البلاد العربية السعودية وطبيعة أرضها وسمائها وما فيها من موارد الثروة ومصادر الانتفاع ، فليس من شك فى أنه ليس بالاهتمام الخالص لوجه البحث والعلم ولكنه اهتمام بمجارى السياسة الأمريكية فى اهتمامها بمرافق تلك البلاد ، ومن ثم يجب أن نقابل تلك التآليف التى تظهر فى هذه الناحية بكثير من الحذر وتدقيق النظر

« الجاحظ »

« الرسالة » : بمناسبة ما كتبه « الجاحظ » عن رجالنا المنسيين من العلماء والأدباء والفنانين نقول إن الرسالة تحشد الجهد وتعد العدة لنشر سلسلة من التراجم المستفيضة لأولئك الأعلام والتعريف بآثارهم وآرائهم وستبدأ فى نشرها قريباً ، والرسالة لا تريد أن تستقل بهذا الجهد ، وترجو من جميع الذين لديهم خبر فى ذلك أن يعاونوها على أداء هذا الواجب .




**ليس :**

وجود هذا الفعل فى اللغة العربية غريب جداً . غريب فى صيغته ، غريب فى زمنه وغريب فى مادته .

ولقد تنبه القدماء إلى صيغته فقالوا : إن أصله ليس بكسر الياء ولكن الياء سكنت استثقالا ، كما سكنت عين كل ما كان على هذا الوزن(1) ( قاعدة ذكرها المبرد فى الكامل )

وأما زمنه فقالوا إنه استعمل بلفظ الماضى للحال ( وهذا غريب سنعلم وجهه ) .

وأما مادته فلم يعرفوا عنها شيئاً أو عرفوا عنها كل شيء فقد ألموا إلى أن أصلها لا أيس ( وهى ملاحظة لها خطرها ) .

ويتصل بليس ليت فالمعروف فى النحو أنها حرف تمنّ ولكن بعض العرب يجريها مجرى الفعل ( كما فى الصحاح ) .

والمهم أن ليت كليس(2) إلا أنها تقدمت خطوة فاحتلت صيغة واضحة فى الأفعال(3) فقيل لات . والأخفش يقول إنهم شبهوها بليس وأضمروا فيها اسم الفاعل .

أما نحن فماذا نقول ؟ نقول كما قال الأقدمون فى ليس : إن أصلها لا أيس كما نقول فى ليت إن أصلها لا أيت . لا معروفة وأيس أو أيت [ ما هى ؟ ] .

أيس هذه رابطة تدل على كون مطلق كأيت وهى فى أكثر اللغات واحدة تقريباً خصوصاً اللغات القديمة . ففى العبرانيـة ( يش ) وفى السريانية ( إيت ) وفى الفارسية واللاتينية ( أيس ) أو ( أست ) . فى الفارسية أست وفى الفرنسية est وفى الألمـانية ist وفى الأسبانية es وفى الإنجليزية is .

وهكذا نجد أن ليت العربية ماهى إلا، لاوأيت السريانية تركت مع لا كما تركت أيس مع لا .

(1) من الأفعال
(2) غريبة
(3) المعتله العين

أما ما يختص بزمن ليس فهو بالضبط ما تدل عليه المادة فى اللغات المذكورة : فهو — كما قال الأقدمون — الحال بالرغم من أن صيغتها للماضى

هذه الكلمة فى أغلب اللغات اختصت بشخص معين عند الربط أما فى العربية وفى الفارسية فلا . تقول فى العربية : لستُ ولستَ الخ كما تقول فى الفارسية . استم أو هستم وهستى وهست وهستيم وهستيد وهستند .

ولكن فى الفرنسية والأسبانية والألمانية والإنجليزية مثلا ليس لها هذا التصرف المطلق كما هو معروف . فقد اختصت بأشخاص دون غيرهم واعتيض عنها فى هذا الغير بروابط من أفعال مختلفة فى مادتها كما سنبين ذلك فيما بعد .

إذاً فقد كانت فى اللغة العربية رابطة للزمن الحالى ولكنها اندثرت ولم تبق منطوقاً بها إلا فى النفى .

وهنا يسأل لماذا اندثرت فى الإيجاب وبقيت ماثلة فى النفى . الجواب عن هذا فى منتهى البساطة . فإن اللغة العربية لم تدون إلا فى مرحلة متأخرة من نموها واستكمالها وإن هذه الرابطة استغنى عنها فى التخاطب لأنها ليست بذات أهمية كبيرة فيه عند الإيجاب ولكنها لم يستغن عنها فى التخاطب إذا كانت فى النفى وهذا ما يحصل بالضبط الآن فى هذه اللغات التى تحتفظ بهذه الرابطة فى كتابتها عند الايجاب فإنك إذا خاطبت أحد متكلميها وخصوصاً غير المثقف منهم فإنه يستغنى عن الرابطة فى الإيجاب ولكنه لا يستغنى عنها فى النفى .

وإذا اتضح ما قلنا فى ليس فإن الأمر - عند القراء — فى ليت ليس بهذا الوضوح فكيف صارت ليت تدل على التمنى فى اللغة العربية ؟

هذا سؤال نرجىء الإجابة عنه إلى المقال التالى .

وهنا سؤال أيضاً والإجابة عنه تزيد الموضـوع وضوحاً ولا تترك فيه أى مجال للشك وهو :

إذا كان الأمر كما قلت فى ليس وأنها مجرد لا + أيس التى للربط فكيف صار خبرها منصوباً بعد أن كان مرفوعاً ؟

والإجابة عنه نتركها حتى نجيب عن ليت بحول الله .

**محمد بن تاويت التطوانى**
ليسانسيه فى الآداب ودبلوم فى اللغات الشرقية

**فلسفة جديدة للألم :**

نحن فى عصر يحرص أبناؤه على فلسفة كل ظاهرة من ظواهره ، وكل معنى من المعانى التى يحسونها فى الحياة ، فهم يحاولون أن يفهموا الأمور بالتحليل والتأويل ، ولا يقنعهم فى هذا إلا أن يصلوا إلى طريق غريب ، أو ما يحسبونه هكذا ..

أقول هذا بمناسبة ما جاء فى البريد الأوربى أخيراً عن صدور كتاب فى بريطانيا بعنوان « من سريرى فى المستشفى » ألفه كاتب أقعده المرض فى أحد المستشفيات وسجل فيه خواطره ومشاعره نحو المرض والعلاج وما انتابه من الألم ، وقد استهل الكاتب كتابه بقوله : « من أكبر الخطأ أن نحسب المستشفى مكاناً للألم والبؤس ، فإن الكثرة الساحقة من الذين يدخلون المستشفيات يخرجون منها صحاح الأجسام ، معافى الأبدان ، تاركين وراءهم الأتراح والآلام ، والهموم والأسقام » .

وتحدث عن شعوره بالألم فقال « إن الألم فى الواقع أخف كثيراً من رهبة الألم ، وفى شبابى كان أقل ألم يصيبنى بقفل عينى بحجاب كثيف من الظلمة التى تبعد قلبى عن الايمان ، مع أنى لم أكن فى ذلك الوقت أشكو أكثر من وجع ضرس ، أو خدش ذراع ، وإنى اليوم — بعد أن عانيت كثيراً من الآلام المبرحة — لأنظر إلى أوجاعى القديمة بعين الأزدراء وأدهش لجبنى القديم فى احتمال آثارها التافهة الصغيرة » .

ثم يقول : إن الألم ليس شراً فى ذاته ، بل إنه تنبيه يشير إلى وجود الشر ، ويمهد للطبيب استئصال النازلة من موطنها ، لذلك أرى أن إسكات الألم والعمل على تسكينه نحسب أخطر على المرء من إزالة علامات السير من شارع مزدحم بالسابلة » .

ثم يختم هذه الفلسفة بقوله : « إن المرض مادة فى ميثاق الحياة ، فبعض الناس يحيون بدون كتب أو نزهات أو موسيقا ، والأسكيمو يعيشون على نصيب ضئيل من نور الشمس ، وأهالى جزر الباسفيك لا يقدمون الثلج وليست لهم به حاجة ، والرهبان والراهبات يحرمون أنفسهم كثيراً من اللذات ، ولكن الجميع يصرون على استكمال حياتهم إذا شابها شىء من نقص ، أو اعتراها أثر من مرض ... » .

**الحدود الإنسانية :**

هذا عنوان كتاب ألفه أحد العلماء فى جامعة تكساس بأمريكا وجعل قوامه دعوة موجهة إلى رجال العلم والفكر أن يوجهوا اهتمامهم إلى دراسة الإنسان وأن يعنوا بأنشاء فرع من العلوم هدفه فهم الأنسان على حقيقته :

ويقول هذا الباحث فى كتابه إن الخطر الذى يهدد الإنسانية ليس خطراً خارجاً عنها ، ولكنه كامن فى أطوائها ، فليس ثمة خطر من القنبلة الذرية وغير القنبلة الذرية وإنما الخطر كل الخطر مما يدور فى داخل الإنسان ويتجه بتفكيره ، ثم يقول إن المتاعب الناشئة الآن كلها نتيجة لعدم فهم الإنسان للإنسان ، ولهذا يجب على العلماء أن يتجهوا إلى هذه الناحية وأن يوفروا علمهم على الناس وتعرف البواعث والانفعالات التى تحركهم على مسرح الحياة فى جميع أدوار حياته ، ومتى كان الإنسان مفهوماً فى داخله استطعنا أن نتلافى الأخطار التى تهدد الإنسانية من الخارج ...




## نعت الاسم المجموع بفعل (جمع أفعل وفعلاء) :

قرأت فى العدد (٧١٢) من رسالتكم تعليقاً[1] لحبر اللغويين فى بلاد الشام الأستاذ الكبير محمد إسعاف النشاشيبى على نعت الاسم المجموع بفعلاء وقد أجاز ذلك — حفظه الله — وأشار فى أثناء التعليق إلى قول لى وقول للأستاذ الرافعى رحمه الله فى النعت المذكور ، وقدم محصول رأيه بقوله : « نعتوا الاسم المجموع بفعلاء وفعل وليس فى كلام المبرد فى الكامل مايدل على منع النعت بالمفرد » . وإنى أرى فى كلامه ما يدل على المنع ، قال « فإن أردت نعتاً محضاً يتبع المنعوت قلت : مررت بثياب سود وبخيل دُهم ، وكل ما أشبه هذا فهذا مجراه[2] » . أراد به النعت الغالب الذى دخل فى الاسمية والنعت المحض ، وكرر تقرير القاعدة فى موضع آخر[3] ، فمنع نعت الجمع بفعلاء مستفاد من قوله : « وكل ما أشبه هذا فهذا مجراه » مريداً « أفعل » الذى هو اسم و «أفعل» الذى هو نعت ، ومن قوله « نعتاً محضاً يتبع المنعوت» مريداً « أفعل » الثانى ، لأن التمثيل يغنى عن التفصيل ، ويجوز فى هـذا الفن تعليل حكمين بعلة واحدة ، والإيماء من مسالك العلة[4] . أعنى أن فى قول المبرد إيمـاء إلى وجوب جمع النعت المحض بعد المنعوت المجموع وإن كان ظاهر مراده تكسير الصفة دل على ذلك تمثيله بـ « ثياب سـود » ، ومفرد الثياب مذكر وبـ « خيل دهم » ولا بد من تأنيث الخيل ، فقد جمع بين المذكر والمؤنث فى التمثيل ، ولو لم يرد تلك النكتة النعتية لاقتصر على المثـال الأول ، ثم إن تركه الإتيان بمنعوت عاقل مجموع مثل « نساء دعج ورجال شوس » دليل على أنه لا فرق بين العاقل وغيره فى هذا النعت .

(١) فى الموضوع المترجم بـ « قل الأديب » ص ٢٣٠

(٢) الـكامل للمبرد « ج ١ ص ٣٩ » من طبعة الدلجونى .

(٣) الـكامل ج ٢ ص ٢٥٠ من الطبعة المذكورة .

(٤) السيوطى فى « الاقتراح ص ٥٥ و ٥٨ ناقلا من الخصائص

ويجب أيضاً طرد الحكم فى هذه المسألة فيقال « يجب جمع الخبر بأفعل وفعلاء إذا كان المبتدأ جمعاً أو دالا على الجمع[1] مثل « ثيابهم سود وخيلهم دهم » ، ويجب الجمع فى الحال أيضاً ، وعليه قول المتأخر :

بأنا نورد الرايات بيضــاً ... ونصدرهن حمراً قد روينا

ولولا أن قوله — تعالى — « ونحشر المجرمين يومئذ زرقا » خاص بالعاقل لاستشهدت به ، على أن نعت الاسم المجموع بفعل لغة القرآن الكريم كقوله تعالى « عاليهم ثياب سندس خضر » « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود[2] » وسبع سنبلات خضر » .

وكيفما كان الأمر فان القاعدة ثابتة باستقراء كلام الله تعالى وكلام العرب ، وهو عنـدى أقوى الأدلة ، أما الجملتان اللتان استدل بهما الأستاذ الكبير العالم على جواز نعت الاسم المجموع [ لغير العاقل ] بفعلاء وفعل فقد عراهما تحريف فى النعت نفسه ، فالأولى « وترى جراد البقول والرياحين وديدانها خضراء ... » والأصل « خضراً » جمع خضراء ، إلا أن الناسخ زاد بعد الألف همزة وغيّر صورتها ، وحرّف جمعها ، والثانية « فتراها كلها سوداء » والأصل «سوداً» بالنصب والجمع ولـكن الناسخ الماسخ فعل بها ما قد فعل بخضراً[3] . وقد جرى كثير من هذا التصحيف فى « فعل » المنكرة المنصوبة ، دون المرفوعة والمجرورة ، ومن ذلك ما ورد فى رسم « لوب » من مختار الصحاح[4] ، ونصه : « اللوبة والنوبة بوزن الـكوفة فيهما : الحرة الملبسـة حجارة سوداء » والأصل — وهو الصواب — حجارة سوداً . ألا تراه قد قال فى رسم «حرّ» من الـكتاب نفسه « والحرة أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنـار » . وفى الصحاح من طبعة المجم «قال أبو عبيدة لوبة ونوبة للحرة وهى أرض ألبستها حجارة سود ( كذا ) » . فهذا القول على تحريف فيه جُمِع فيه النعت لما لم يكن إلى النصب المحرف إلى الافراد سبيل ، وفى نهاية

(١) منه قول عنترة :

فيها اثنتان وأربعون حلوبة ... سودا كخافية الغراب الأسحم

وقوله تعالى « متكئين على رفرف خضر » .

(٢) وقيل إن الأصل « سود غرابيب » .

(٣) هذه محكية كما هو ظاهر

(٤) ص ٦٠٧ من طبعة وزارة المعارف المصرية

المجد ابن الأثير « اللابة : الحرة وهى الأرض ذات الحجارة السود التى قد ألبستها لكثرتها » . وجاء فى المغرب للمطرزى « اللابة واللوبة : الحرة وهى الأرض ذات الحجارة السود » . وعلى ذلك جمهور اللغويين .

فالخطأ الذى انسرب فى نسخة وزارة المعارف المصرية من مختار الصحاح إنما هو من آثار النُّساخ السيئة ، وكذلك القول فى الجلتين اللتين ذكرهما الأستاذ الكبير — على ما مرّت إشارتنا إليه — فلا يصح الاستشهاد بهما ، وما أظن سعادته إلا عادلة منذ اليوم عن الاحتجاج بهما ، وهو المرء ينتجع الحق فى ساحته ويستفاد العلم من قلمه وتستعذب مساجلته لمجده وسمو خلقه .

مصطفى جواد

## فى ديوان البحترى :

فى « الرسالة » رقم ( ٧١٤ ) عقب الأستاذ محمد النجار على بيتين للبحترى — صاحب الشمر الشاعر — كانا قد وردا فى تعقيب للأستاذ أحمد شكرى فى « الرسالة » رقم ( ٧١٣ ) . فقال إن فى البيتين تحريفاً كما فى الديوان ، فشمش صوابها مشمّس — وهو ضرب من الخمر — كما ذكر الأستاذ ، وحب صوابها صُبّ .

قلت : الأستاذ الفاضل مصيب فى هذا التصويب . هذا وللديوان طبعتان ، إحداهما مصرية — حيا الله مصر وأهلها — والأخرى بيروتية ، وقد جاءت الكلمتان فى طبعة بيروت بصوابهما لم تفقداه ، إلا أن هناك تغييراً فى صورة البيت :

إذا صُبّ فى الكأس مسودّه فكف النديم لها مجبره

ففى طبعة بيروت ورد البيت هكذا :

إذا صُبّ مسودّه فى الزجاج فكأس النديم به مجبره

ولعلّ هذه هى الصورة الصحيحة للبيت ، فإن كأس النديم أولى بأن تشبه بالمحبرة من كفّه .

( نابلس ) فدوى عبد الفتاح طوقان

## رسالة الوعظ والإرشاد :

مساهمة لها أثرها الفعال فى نفوس الجماهير ؛ تلك التى يضطلع بها — مكتب الوعظ والإرشاد فى ذكرى مولد الحسين - فهو يعد عدته لمحاربة تلك الملل التى تهد كيان الأمة الروحى والاجتماعى عن طريق إذاعة المحاضرات بواسطة مكبرات الصوت . وليس فى هذا من جديد يستحق النظر والتسجيل ، إنما الجديد حقا هو هذا الأسلوب الذى يصطنعونه فى الطب لهذه الأدواء ، فهو أسلوب جديد ، جدير بالتشجيع لما له من التأثير الاجتماعى والخلق فى روح الأمة ، لأنه يقوم على تناول أمراض البيئة وتصويرها فى صور مؤثرة مخيفة ، حتى إذا ثارت بواعث كراهيتها لتلك الأمراض ، وبرزت دفائن احتقارها اياها ، قدم لها العلاج الإسلامى فى أبهى حلة ، وسقاها إياه شرابا طهورا ، فلو استطاع العلماء الذين ينهضون برسالة الوعظ فى الأمة أن يدرسوا خصائص كل بيئة وعقليتها وأمراضها ، ويحاولوا علاج ما فيها على هذا الضوء . لكان لرسالتهم صداها القوى ؛ فى الإصلاح الاجتماعى و الخلق ، وما أشد حاجة الريف خصوصا إلى أمثال هذه الجهود التى تأخذ بيده فى حياته الاجتماعية والخلقية المتعثرة ، فليس هناك من يستطيع انتشاله من هوته غير رجال الدين إن صح عزمهم ، وقوى نشاطهم ، واتسعت ثقافتهم الاجتماعية والنفسية بجانب ثقافتهم الدينية ، حتى يتهيأ لهم أن يسيروا فى معالجتهم تحت ضوئها ، وأن يهتدوا فى تأدية رسالتهم بإرشادها ، فتختفى هذه الظاهرة التى كانت تملأ النفوس خزيا عندما كان الخطيب يرتقى المنبر . ثم يحدث الجمع الريفى الجاهل الفقير عن مضار التصييف فى المصايف الأوربية . وأمثال هذه الموضوعات التى لا صلة بينها وبين من يحاول إصلاحهم ، مما كان له أسوأ الأثر فى تدهور الأمة اجتماعيا ، وخلقيا ، ولعل رجال الوعظ — وفيهم — صفوة من الشباب المثقف — يتلافون ما ورثوه عن عصور الركود والجمود والظلام ، وأن يؤدوا واجبهم فى عصر العلم ، وفى عصف المذاهب الاجتماعية المتضاربة ، وإزاء تلك الموجة الإلحادية التى ترمى إلى التخلص من الأديان ، كما يجب أن ينهض به رجل الدين فى عصر الثقافة والنور .




قصة من روائع الأدب الروسي :

# الملك والناسك .. !

للفيلسوف الروسي ليو تولستوي

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي

زعموا أن ملكا من ملوك القرون الغابرة الأولى . قيل له أن الفشل والإخفاق لن يعلكا إليه سبيلا ، إذا ما أدرك دواماً خير الأحيان للانطلاق فى العمل الذى يروق لباله ويعن لخاطره . وإذا ما ألم بأجدر الناس بالإنصات إليهم والإصغاء إلى حديثهم ... ومن هم أولئك الذين ينبغى عليه أن يجانبهم ورغب عن مجلسهم ! . .

وإذا ما تناهى علمه إلى معرفة أحق الأشياء بالعمل وأخلقها بالتحقيق فأمر الملك رجاله بأن يذيعوا فى آفاق مملكته ، أن كل من يشير على الملك بخير الأوقات للعمل وأجدر الناس بالإنصات والصحبة وأفضل الأشياء وأحقها بالعناية والرعاية سوف يجازى جزاء حسناً ويحظى بهبة سنية من لدنه ... وأقبل العلماء وأهل الخبرة والتجربة من كل فج على الملك يتنافسون ويتسابقون يجلون له ماغمض عليه ويجيبونه على ماسألهم إياه . بيد أنهم تباينوا فى آرائهم وتعارضوا فى أقوالهم واختلفوا فى مشورتهم . فقال بعضهم – جواباً على السؤال الأول – أن ليس ثمت سبيل إلى معرفة خير الأحيان إلا بتسطير لوحة تسجل عليها الأيام والأشهر والسنون ، ولا يسير المرء فى شئون الحيـاة إلا وفق نظامها . وبهذا ينجلى المرء أى الأوقات خير من الأخرى وقال بعضهم إن ذلك لا يتأتى إلا بالفطنة واليقظة لما مضى ولما يجد من الأمور . فيتعرف على خيرها وأبلغها أهمية فيبتدره فى حينه. وقال فريق منهم إنه مهما توخى الملك الدقة والبراعة فى معرفة أجل الأوقات ، فلن يبلغ مبتغاه . فمن أشق الأمور وأعضلها على الرجل الواحد أن يقرر الخير فيما يتراءى له من الأوقات ... وعليـه أن يعقد مجلساً من أصحاب الحكمة فى دولته فيلق منهم عوناً صادقاً على تحديد الوقت اللائق الموفق

واختلفت آراؤهم على السؤال الثانى . فأجابه البعض بأن أجدر الناس بالرفقة والإصغاء هم أهل الشورى والحكمة ، وقال آخرون بأنهم رجال الدين والأطباء ... بينما رجح البعض أن الجند هم أفضل من يستفيد المرء من قربهم ... أما عن السؤال الثالث فرأى جمع منهم أن أحق الأشياء بالرعاية هو العلم ... ومال آخرون إلى أنه الحذق والبراعة فى فنون الحرب والقتال . وارتأى بعضهم أنه الفناء فى عبادة الله عز وجل وتأدية فروض الدين على أكمل وجه ...

فلما استبان للملك أنهم لم يستقروا على رأى صائب راجح منع عنهم عطيته ... وعقـد فى نفسه عازماً على أن يتوجه إلى ناسك ذاعت شهرته وطبقت حكمته كل أفق بعيد ... يستلهمه النصيحة ويستوحيه المشورة ... وكان ذلك الناسـك يتعبد فى جوف غابة لا يبرحها أبداً ... ولا يلقى من الناس إلا الفقراء والمعوزين . فأحاط الملك نفسه بثوب بسيط ، ليس عليه من ظواهر الملك شيئاً ... وترجل عن جواده وخلف حرسه على مبعدة وانطلق وحده ... فلمـا أدرك النـاسك ألفاه يفلح الأرض أمام صومعته ... وحينما أبصره الناسك بادره بالتحية ، وانثنى إلى فأسه يضرب بها أديم الأرض ... فكانت الضربة التى يهوى بها فيقلب الترب تستنفد ما بقى فى جسده من قوة ، وتجعـله يبهر من الأعياء ويبهج من التعب ... فقد كان شيخاً ضعيفاً وهنت عظامه ووهت قواه . . !

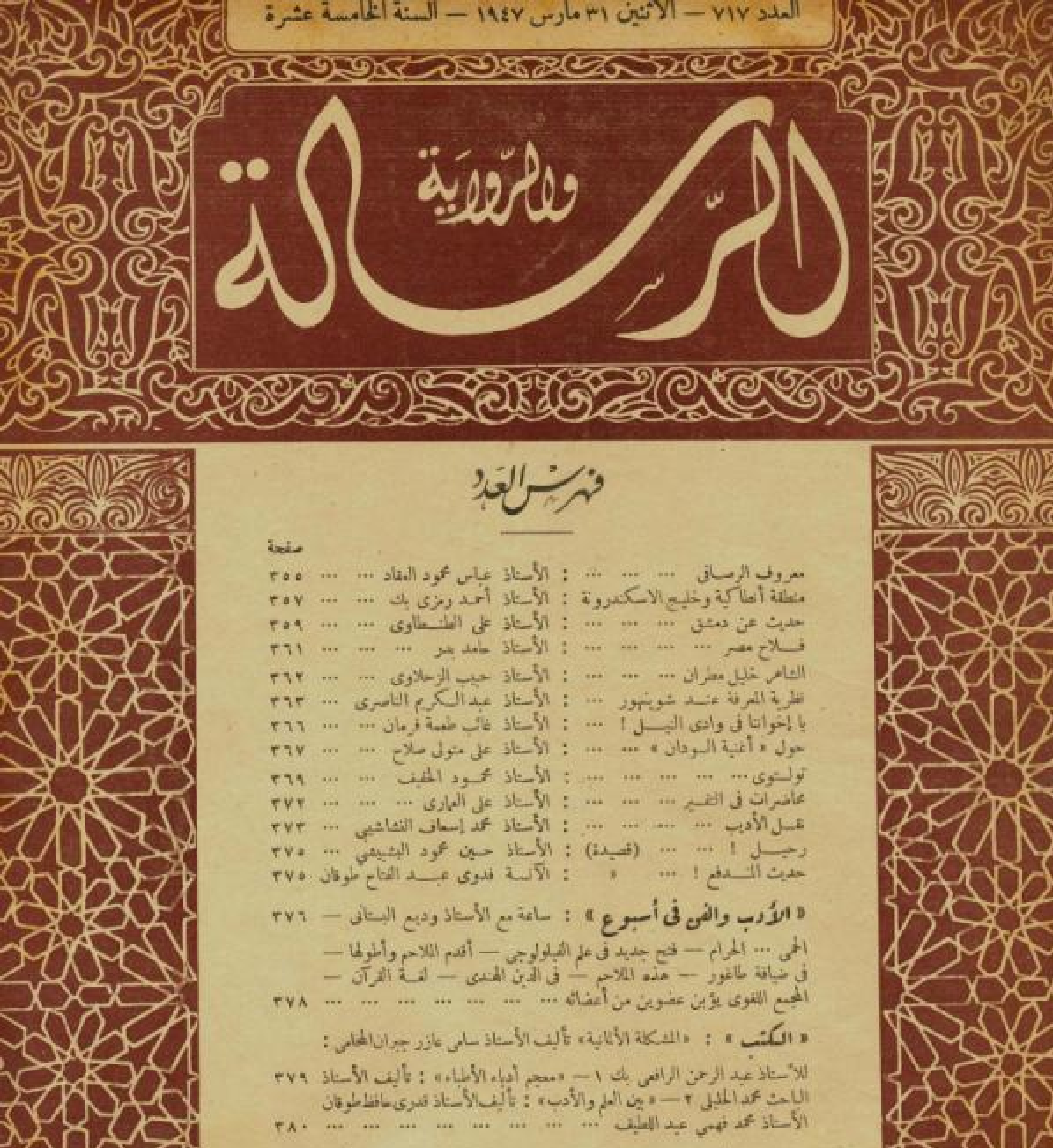
فدنا الملك منه وأفصح له عما فى نفسه قائلا : « أيها الناسك الجليل ... لقـد أتيت إليك – عن نأى – أروم جوابك عن أسئلة ثلاثة : « أولها : كيف يتاح لى أن أعلم خير الأوقات لأنجز خير الأعمال ؟ » ، « وثانيهما : أى الناس أولى بالصحبة وأجدر بالاهتمام ؟ » ، « وثالثها : ما هى الأشياء التى تستوجب منى العناية وتستحق التفرغ لها ؟ » . فأصغى الناسك إليه منصتاً ، بيد أنه لم ينبس ببنت شفه جواباً ... وبصق فى راحتيه وعاد ينبش الأرض بفأسه وهو يفلحها من جديد ... فارتفع صـوت الملك – وقد لمح ما على الناسك من دلائل الضعف وظواهر الوهن : لقـد بلغ التعب والإعياء منك مبلغاً ... فناولنى الفأس ، أتولى عنك الإفلاح حيناً .! » فلما هوى الملك بالفأس إلى الأرض مرتين ، رفع رأسه إلى الناسك ، وسأله ثانية جواباً على ما بسطه له وصارحه به ... فلم يتلفظ الناسك بشىء ، بل مد ساعده إلى الملك يبتغى الفأس قائلا « استرح قليلا ، ودعنى أوالى العمل برهة ! » ولكن الملك رغب عن أن يعطيه الفأس ، وعاد يحتفر الأرض .

تصرمت ساعات اليوم ومال ميزان النهار وتولى الضياء عن صفحة الكون ... وراحت الشمس تتوخى سبيلها إلى المغيب في حمرة موردة وراء الأشجار السوامق ... فألقى الملك الفأس من يده وهو يقول: «لقد أتيت إليك أيها الناسك الجليل أبتغي جواباً لأسئلتي الثلاثة! فإن كنت لا تود أن تجيبني عليها تخبرني ... لأنقلب إلى داري .!» فقال الناسك وهو يمد طرفه إلى الأفق «ثمّة من يعدو!. فدعنا نرى من يكون!.» فتلفت الملك وراءه ... فالتقى طرفه برجل ذي لحية كثة يركض نحوهما!.. وقد أمسك يديه على بطنه، والدم يتفجر خلال أنامله. فلما بلغ مكان الملك هوى أمامه على الأرض وهو يئن ويتأوه في حدة وألم ... وقد تولاه الإغماء ... فراح الملك والناسك ينضوان عنه ثيابه ... فألفيا في بطنه جرحاً غائراً في الأمعاء ... أخذ الملك يغسله بالماء.. ويضمده بمنديله ثم برباط أتاه به الناسك من صومعته ... بيد أن الدم لم ينقطع سيله، فعاد الملك يغير الرباط الملطخ بالدم بآخر أقتطعه من ثيابه ... فلما توقف فيضه عن الجريان والترف عاد إلى الرجل الجريح رشده وصوابه وأفاق من غشيته ... وطلب بعضاً من الماء فواقاه الملك بما سأله إياه ... وكانت الشمس حينئذ قد هوت كالجمرة خلف الأفق وغابت عن صفحة السماء ... وشاع البرد في كل مكان ... فاستعان الملك بالناسك على رفع الرجل وحمله إلى داخل الكوخ حيث استقر في الفراش وأغمض جفونه وراح يغط في وسن هادئ وسبات عميق! وارتمى الملك في ركن من الكوخ وقد أعياه العمل وأضناه العناء والكدح فأغرق هو الآخر في النوم.

حينما استيقظ الملك في صبيحة اليوم التالي، كاد ألا يذكر أين مكانه، ولا يعرف ذلك الرجل الملتحي الذي يقبع في فراشه يحدق فيه ويرنو إليه بعينين نفاذتين... قال الرجل — وقد أحس أن الملك بدأ يستعيد وعيه ويفيق من نومه وراح ينظر إليه — «أضرع إليك أن تشملني بعفوك!» فأجابه الملك في رنة عجب: «إني لا أعرف من أنت ... فعلام ترجو عفوي؟!» — «أنت لا تعرفني بيد أني أعلم من أنت!. فأنا ذلك العدو الذي أقسم غير حانث على أن ينزل بك نقمته وعدوانه جزاء ما أعدمت أخاه وانتهبت داره وشردت أهله ... فقد تناهى إلى علمي أنك قاصد إلى الناسك ... فبيت النية وعقدت العزم على أن أنهز هذه البادرة وأقتلك وأنت في سبيل العودة..! ولكن اليوم تقضى ولم أستبن لك أثراً..! فبرزت من مكمني لأنقب عنك..! فلمحني رجالك وتعرفوا علي، وأصابوني بجرح بالغ في بطني.. لقد أفلت منهم فتلقفتني براثن الموت، وكدت أن أسلم الروح لولا أن توليتني بعنايتك فآسيت جراحي وآويتني في هذا الكوخ ... لقد كنت متعمداً قتلك فأنقذت حياتي.. جزيت خير الجزاء... والآن لو امتد بي الأجل فسوف أقوم على خدمتك — إن رضيت — عامر القلب بالإخلاص لك كعبد من عبيدك الأوفياء ... وكذلك أبنائي وأهل بيتي فقد قيدت عنق ربهم بمعروف لن ينساه فأسألك أن تعفو عني وتغفر لي!» فاستخف الملك الفرح والبشر وطربت نفسه وطاب قلبه بما رأى من السلم والوفاق الذي عقده مع عدوه في بساطة وهدوء فكسبه صديقاً وفياً. فلم يعفُ عنه فحسب بل أخبره بأنه سوف يبعث إليه بخيرة أطبائه وخدمه ليقوموا على العناية به ووعده بأن يرد عليه ماله المسلوب ويعيد إليه ملكه المغصوب.

غادر الملك صاحبه الجريح وأخذ يتلفت في ساحة الكوخ باحثاً بعينه عن الناسك ليرجوه من جديد أن يجيبه على أسئلته. فألفاه جاثياً على ركبته يغرس الحب في النقر التي احتفرها البارحة فدنا منه ودعاه قائلا: «إني أرجوك لآخر مرة أن تجيبني على ما سألتك إياه ... أيها الحكيم الجليل» ... فأجابه الناسك وهو ما زال جاثياً على ساقيه الرقيقتين «لقد أُجبْتَ على ما تود!!» فتساءل الملك في دهش وعجب «كيف أُجبتُ!؟ وما الذي تعنيه» فرفع إليه الناسك رأسه وعلى ثغره ابتسامة، وقال في صوت شاع فيه الهدوء والرزانة: «ألم تر أنك. لو لم تترفق بي وترحم ضعفي بالأمس ولم تهيئ لي هذه الحفيرات بل انطلقت في سبيلك لهاجمك ذلك الرجل وبلغ منك مقتلا ... وحينئذ كنت تقعد نادماً تأكل قلبك الحسرة وتتمنى لو أنك مكثت لا تبرحني. إن خير وقت كان في ذلك الحين الذي كنت تحتفر فيه الأرض ... وكنت أنا أولى الناس باهتمامك ورعايتك ... وكان أفضل عمل أديته هو الإحسان إلي ...! وبعد حين أتانا ذلك الرجل يسعى راكضا.. فكان أدق وقت هو ذلك الذي توليته فيه بعنايتك وحدبك ... إذ لو أنك رغبت عن معونته لقضى دون أن تحظى منه بسلام وحمد ولذا كان هو أجدر الناس وأحقهم بالاهتمام والعطف وكان ما أديته له من معروف من أروع أعمالك وأجل فعالك. فاعلم إذن أن ليس ثمّ إلا وقت واحد يستحق منك الاهتمام ذلك هو «الآن» الذي تكون فيه ... فهو الآونة الوحيدة التي تتملك فيها قوتك وقدرتك، وأحق الناس بأن تعنى به هو من يكون معك فأنت لا تدري إذا كنت تعامل غيره بعد ذلك أو يكون هو آخر من تعامل! وأجل الأشياء وأعظمها شأناً هو أن تبادر بالخير والمعروف إلى غيرك. فلهذه الغاية السامية فطر الإنسان في هذا الكون.

(القاهرة) **مصطفى جميل مرسي**




العدد ٧١٧ — الاثنين ٣١ مارس ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة


# الرسالة والرواية

## فهرس العدد


صفحة

معروف الرصافي ... ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ... ... ٣٥٥

منطقة أنطاكية وخليج الاسكندرونة : الأستاذ أحمد رمزي بك ... ... ٣٥٧

حديث عن دمشق ... ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ... ٣٥٩

فلاح مصر ... ... ... ... : الأستاذ حامد بدر ... ... ... ٣٦١

الشاعر خليل مطران ... ... ... : الأستاذ حبيب الزحلاوى ... ... ٣٦٢

نظرية المعرفة عند شوبنهور ... : الأستاذ عبد الكريم الناصرى ... ٣٦٣

يا إخواننا فى وادى النيل ! ... : الأستاذ غائب طعمة فرمان ... ... ٣٦٦

حول « أغنية السودان » ... ... : الأستاذ على متولى صلاح ... ... ٣٦٧

تولستوى ... ... ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ... ... ٣٦٩

محاضرات فى التفسير ... ... ... : الأستاذ على العمارى ... ... ٣٧٢

غسل الأدب ... ... ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى ... ٣٧٣

رحيل ! ... ... (قصيدة) : الأستاذ حسين محمود البشبيشى ... ٣٧٥

حديث المدفع ! ... » : الآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان ٣٧٥

**« الأدب والفن فى أسبوع »** : ساعة مع الأستاذ وديع البستانى — ٣٧٦

الحى ... الحرام — فتح جديد فى علم الفيلولوجى — أقدم الملاحم وأطولها — فى ضيافة طاغور — هذه الملاحم — فى الدين الهندى — لغة القرآن — المجمع اللغوى يؤبن عضوين من أعضائه ... ... ... ... ... ... ٣٧٨

**« الكتب »** : « المشكلة الألمانية » تأليف الأستاذ سامى عازر جبران الخالص : للأستاذ عبد الرحمن الرافعى بك ١ — « معجم أدباء الأطباء » : تأليف الأستاذ ٣٧٩ الباحث محمد الخليلى ٢ — « بين العلم والأدب » : تأليف الأستاذ قدرى حافظ طوقان الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ... ... ... ... ... ... ٣٨٠

**« البريد الأدبى »** : العام والسنة — فى اللغة — جوائز فؤاد الأول وجوائز فاروق الأول ... ... ... ... ... ... ... ٣٨١

المحنة : مختصرة عن « مرسيل بريفو » : للأستاذ يوسف يعقوب حداد ... ٣٨٣



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧١٧ — الاثنين ٣١ مارس ١٩٤٧ — السنه الخامسه عشرة




## فهرس العدد


صفحة

معروف الرصافي ... ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ... ... ٣٥٥

منطقة أنطاكية وخليج الاسكندرونة : الأستاذ أحمد رمزى بك ... ... ٣٥٧

حديث عن دمشق ... ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ... ٣٥٩

فلاح مصر ... ... ... ... : الأستاذ حامد بدر ... ... ... ... ٣٦١

الشاعر خليل مطران ... ... ... : الأستاذ حبيب الزحلاوى ... ... ٣٦٢

نظرية المعرفة عند شوپنهور ... : الأستاذ عبد الكريم الناصرى ... ٣٦٣

يا إخواننا فى وادى النيل ! ... : الأستاذ غائب طعمة فرمان ... ... ٣٦٦

حول « أغنية السودان » ... ... : الأستاذ على متولى صلاح ... ... ٣٦٧

تولستوى... ... ... ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ... ... ٣٦٩

محاضرات فى التفسير ... ... ... : الأستاذ على العمارى ... ... ... ٣٧٢

نقل الأديب ... ... ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى ... ٣٧٣

رحيل ! ... ... (قصيدة) : الأستاذ حسين محمود البشبيشى ... ٣٧٥

حديث المدفع ! ... « : الآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان ٣٧٥

**« الأدب والفن فى أسبوع »** : ساعة مع الأستاذ وديع البستانى — ٣٧٦

الحمى ... الحرام — فتح جديد فى علم الفيلولوجى — أقدم الملاحم وأطولها — فى ضيافة طاغور — هذه الملاحم — فى الدين الهندى — لغة القرآن — المجمع اللغوى يؤبن عضوين من أعضائه ... ... ... ... ... ... ... ... ٣٧٨

**« الكتب »** : « المشكلة الألمانية » تأليف الأستاذ سامى عازر جبران المحامى : للأستاذ عبد الرحمن الرافعى بك ١ — « معجم أدباء الأطباء » : تأليف الأستاذ الباحث محمد الخليلى ٢ — « بين العلم والأدب » : تأليف الأستاذ قدرى حافظ طوقان ٣٧٩

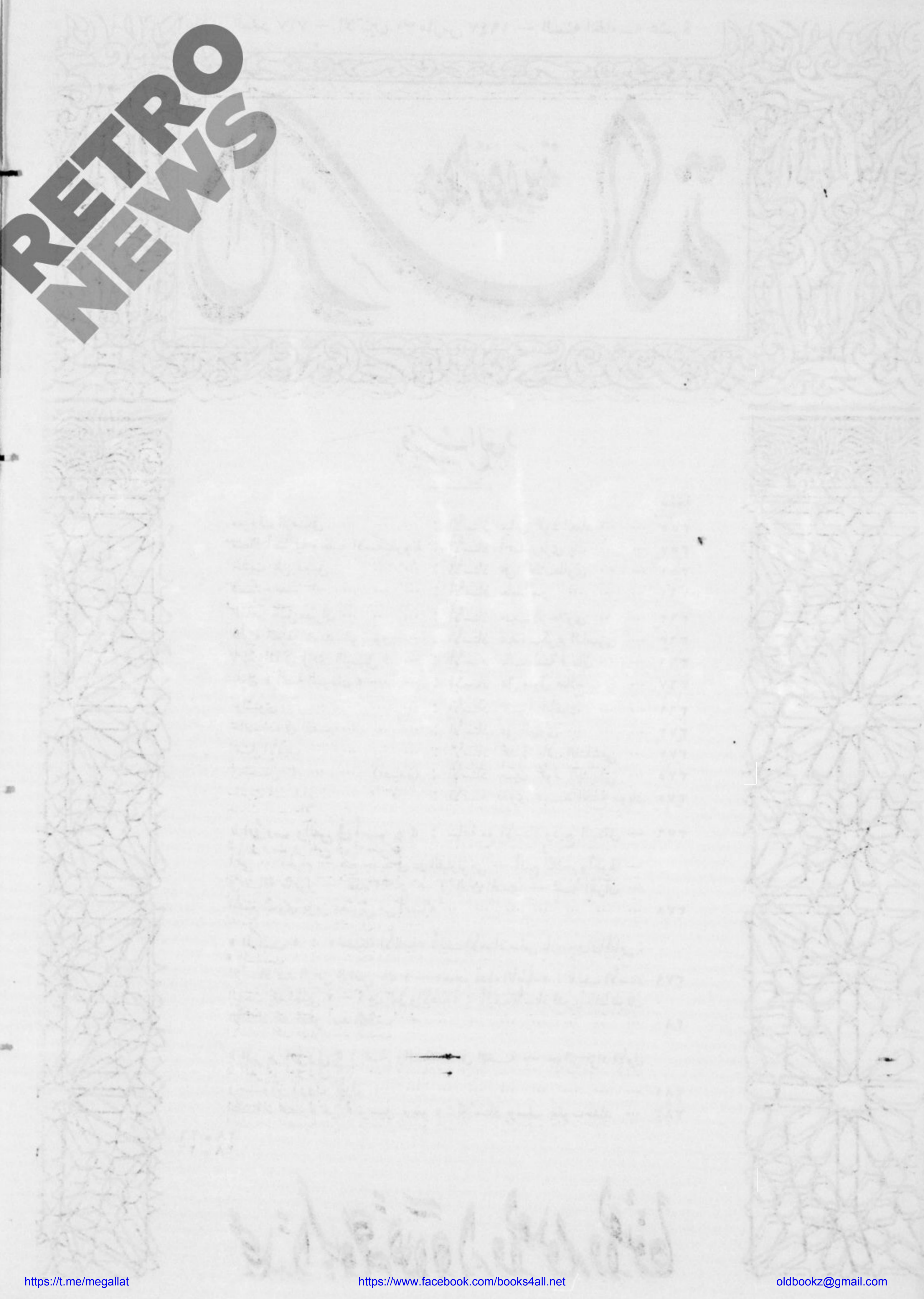
الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ... ... ... ... ... ... ... ... ٣٨٠

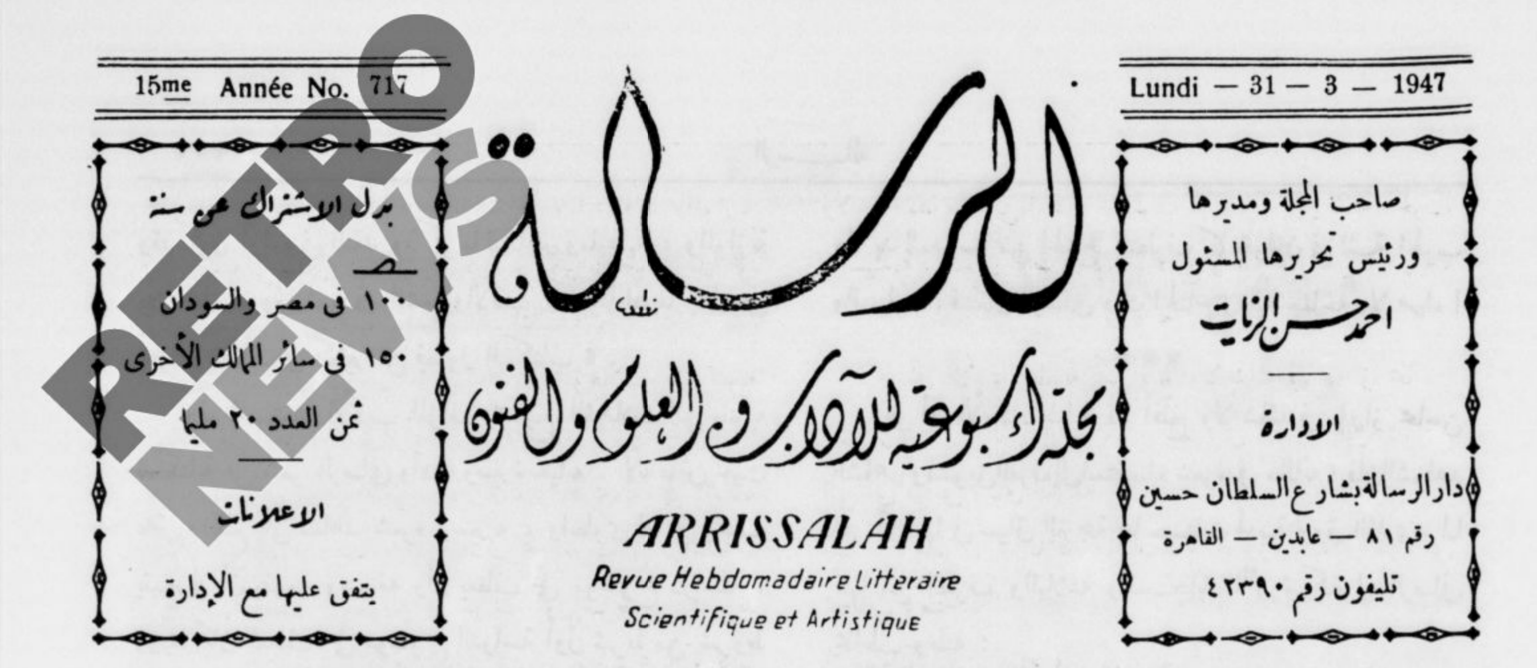
**« البريد الأدبى »** : العام والشعب فى اللغة — جوائز فؤاد الأول وجوائز فاروق الأول ... ... ... ... ... ... ... ... ٣٨١

المحسنة : مختصرة عن « مرسيل بريفو » : للأستاذ يوسف يعقوب حداد ... ٣٨٣


٢٨ ٥ ٢٦

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون






العـــدد ٧١٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٨ جمادي الأولى سنة ١٣٦٦ — ٣١ مارس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

# معروف الرصـــافى

للأســتاذ عباس محمود العقاد

فى هذا الكتاب دراسة أدبية للشاعر العراقى الكبير وبيئته السياسية والاجتماعية كتبها الأستاذ بدوى أحمد طبانة مدرس اللغة العربية وآدابها فى دار المعلمين العالية ببغداد .

ونحن نرحب بهذا الكتاب وبأمثاله لأكثر من سبب واحد : لأن تأليف الكتب عن الشعراء المحدثين بعد وفاتهم سنة حسنة لم نأخذ بها كثيراً فى حياتنا الأدبية المصرية .

فقد يشتهر الشاعر ويسير شعره فى الآفاق ويلتف به المعجبون والرواة المتشيعون . ثم تنقضى حياته فتنقضى العناية به وبشعره وتطويه كل سنة تمضى بعده فى حجاب بعد حجاب ، وقصارى ما يبلغه من بقاء الذكر أن يعاد طبع ديوانه إن كانت له ذرية يعنيها طبعه والإبقاء على شهرة صاحبه ، أو كان طبع الديوان لا يكلف طابعيه مغرماً ولا مشقة . فأما الدراسة والتحليل وتخليد السيرة فى الكتب التى تصلح للمطالعة والتداول فذلك عمل نادر فى حياتنا الأدبية المصرية أو معدوم . لأن الذين ظفروا بعد موتهم بالكتابة عنهم لم يكن فضلهم كله مقصوراً على الشعر والعبقرية الشعرية ، وكانت شفاعتهم إلى الذكر مناصب الدولة أو غير ذلك من الشفاعات .

ونرحب بكتاب « معروف الرصافى » مرة أخرى لأنه علامة من علامات التقارب بين الأقطار العربية فى هذه الآونة التى وجب فيها التقارب بين هذه الأقطار وتهيأت له العوامل والأسباب .

وكثيراً ما سمعنا العتب من أدباء العرب فى سورية ولبنان وفلسطين والعراق والحجاز لأن صحف مصر لا تفسح صدورها للتنويه بآثارهم والتعقيب على أعمالهم ، فكنا نقول لهم إن شأن أدباء العرب فى ذلك كشأن الأدباء المصريين أنفسهم بغير خلاف . لأن الصحافة المصرية لا تكتب عن مؤلفات الأدباء المصريين ولا تتبع أعمالهم بالنقد أو الثناء ، ومن المصادفات التى تذكر فى هذا الصدد أن كثيراً من الصحف المصرية يتولاها أناس من أصول لبنانية أو سورية ، فليس فى الأمر تمييز بين أمم العرب بل هو تقصير شامل لكل أمة منها بلا استثناء .

أما إذا رجعنا إلى الشعب المصرى — بمعزل عن الصحافة — فقد يكون إقباله على المؤلفات العربية متى وصلت إليه أكثر من إقباله على المؤلفات المصرية ، لأنه فى هذه الحالة يضيف حب الاستطلاع وحب المجاملة إلى حب التقدير والاستفادة .

فالآن يسرنا أن نرى أديباً مصرياً يتجرد لدراسة شاعر عراقى كبير ويسبق أدباء العراق إلى هذه الدراسة وهى من واجب الأدباء فى الأقطار العربية جماء ، وقد أشار الأستاذ الجليل السيد محمد رضا الشبيبى وزير المعارف السابق بالعراق إلى هذا المعنى فى مقدمته للكتاب فقال : « ومما راقنى جداً أن يضطلع بها مؤلف مصرى فيحوز قصب السبق فى هذا المضمار على أدباء العراق » ثم قال : « وقد تصفحت الكتاب فإذا مؤلفه الأستاذ قد ألم بكثير من النواحى التى ينبغى الإلمام بها فى هذا الشأن ، فلم يفته البحث فى بيئة الرصافى ومنشئه وسيرته وفنه وشاعريته إلى غير ذلك .

وقد كون آراءه فى النقد وذكر ما للشاعر وما عليه ، والموازنة بين محاسنه ومساويه فى الشعر والأدب تكويناً لطيفاً يدل على تجرد وإنصاف فى كثير من فصول الكتاب » .

وقد استعان الأديب المؤلف بجميع المؤهلات التى تندبه للكتابة عن شعر الرصافى وأدبه وسيرة حياته . لأنه عاش حيث عاش واطلع على معاهد شعره وسيرته ، وانطوى له على إعجاب يتيح له أن يفهمه وينصفه وأن يعطف على موضوع دراسته .

وربما كان العطف على موضوع الدراسة أول شرط من شروط التأليف فى ذلك الموضوع ، فإن الناقد الذى يدرس شاعراً أو كاتباً أو رجلا من رجال التاريخ كائناً ما كان لا يراد منه أن يتعقبه تعقب الغريم أو يدينه إدانة القاضى أو ينظر إليه نظرته إلى غريب لا يعنيه أمره ويستوى عنده إنصافه وظلمه . وإنما يراد منه أن يشعر بشعوره وأن يخلص إلى بواطن نفسه ، ولا سبيل له إلى ذلك بغير عطف وصداقة نفسية تعينه على الفهم الصحيح .

ولكن هذا العطف لم يمنع الأديب المؤلف من نقد الشاعر حيث يجب نقده فى أدبه أو خلقه كما قال الأستاذ الجليل مقدم الكتاب . فمن أمثلة ذلك أنه أنكر عليه التبذل فى الغزل فقال : « وله إلى جانب هذا الهوى المتوزع والقلب المتفرق غزل مبتذل ووصف مكشوف لا يتورع فيه الرصافى عن ذكر الخفيات وإبداء العورات فى غير تحفظ ولا احتشام ، مما يأباه العقل الحكيم ويمجه الذوق السليم ، وما كان يليق منه ولا يقبل هذا وهو الذى جعل شعره صورة لمجتمعه وقائداً لأمته ، ولا سيما بعد ما عرف إقبال الناس على آثاره وحفظهم لأقواله » .

وللناقد حق فى هذا النقد المتفق عليه . ولا عذر للرصافى فيما يعاب من تبذله إلا أنه وارث من وراث مدرسة العباسيين فى بغداد . وقد أطلعت تلك المدرسة أبا نواس والبحترى كما أطلعت الشريف وابن المعتز . ولا تحسب أن أدباء العصر فى العراق يعدون هاتين المدرستين فى أسلوب النظم ووجهته . فمن جنح إلى مدرسة الشريف وابن المعتز فهناك اللفظ الجزل والنمط الرفيع والغزل العفيف ، ومن جنح إلى مدرسة أبى نواس فقد يجمح جماحه أو يتبعه فى التمرد وخلع الربقة والرقبة فى بعض الأمور . فيقف عند الثورة على القديم ولا يتطوح معه فى الخلاعة والمجون ...

ولا بد للمدرسة من الجناح المتطرف كما يقولون فى لغة الحرب والسياسة ، فكان الرصافى ذلك الجناح وعليه جناحه ولا مراء !

* * *

على أن الأستاذ طبانة قد أفلح ولا شك فى إبراز محاسن الشاعر وتشويق القراء إلى استقصاء شعره فى مظانه ؛ فإن الشواهد التى أتى بها فى سياق الترجمة إما حسنات أدبية تروق القارىء لما فيها من الظرف والبلاغة والسجايا المأثورة كقول الرصافى يخاطب وطنه :

يا موطناً لست منه فى موادعة ... عش بعد موتى عيش الوادع الهانى
فكل من فيك تعنينى سعادتهم ... وكل أبنائك الأعداء إخوانى
إن سرك الدهر يوماً سرنى، وإذا ... آذاك بالمزعجات الدهر آذانى

أو قوله فى الهجاء :

سود الله منك يا شيخ وجهاً ... غش حتى باللحية السوداء
لو نتفنا من شعرها وغزلنا ... لنسجنا خمسين ثوب رياء

أو قوله فى الرد على من يعيبون ظهور الفتاة على مسارح التمثيل:

وما العار أن تبدو الفتاة بمسرح ... تمثل حالى عزة وإباء
ولكن عاراً أن تزيا رجالكم ... على مسرح التمثيل زى نساء

فإن لم تكن الشواهد من هذا القبيل فهى مراجع تاريخية يهم القارىء أن يتابعها للوقوف على مناسباتها ، وهى على الجملة مناسبات الشرق الحديث فى معرض السياسة والاجتماع .

ولم يبرز الأستاذ طبانة فضائل الرصافى وكفى ؛ بل هو قد أبرز من فضائل أهل العراق ما تضرب به الأمثال فى تواريخ الأدب بين جميع الأقوام ، فنحن لا نرى فى تلك التواريخ أمثلة كثيرة لمروءة ذلك المحسن الأريحى السيد « مظهر الشاوى » الذى تكفل بالشاعر فى شيخوخته ومحنته فأجرى عليه أربعين ديناراً مشاهرة مدى حياته ، ولا نرى فى تلك التواريخ وفاء كثيراً كالوفاء الذى ظهر من أهل بغداد فى تشييع الرصافى إلى مثواه . فكل ما أنكروه عليه أيام حياته من تمرد أو خروج على العرف والعقيدة لم يذكروه ساعة فارق الحياة ؛ بل ذكروا له الفضل وحده غير معتز بصولة الجاه أو حواشى المنصب والثراء ، فشيعوه ألوفاً إلى مقره الأخير .

**عباس محمود العقاد**

# منطقـــة أنطاكية وخليج الاسكندرونة

للاستاذ أحمد رمزى بك

لمت كناصية الحصان الأشقر نار بمعتلج الكثيب الأحمر
وفتحت أنطاكية الروم التى نشزت معاقلها على الاسكندر
وطئت مناكبها جيادك فانثنت تلقى أجنتها بنات الأصفر

هذا شعر للأبيوردى خاطب به ملكشاه بن ألب أرسلان حينما فتحت الدولة السلجوقية أنطاكية ، ولست أعرف ركناً من أركان الدنيا برز فى التاريخ بروز هذه البقعة من الأرض ، فقد لفتت أنظار الإنسان منذ بدأ يفكر وينظم حياته ، فما تأسس ملك أو سيادة أو ظهرت قوة فنية أو دعوة دينية إلا وجعلت من أول أهدافها امتلاك هذه البقعة التى شهدت مصارع الدول ، وحمل صعيدها أرزاء الحروب وما يتخللها من إزهاق الأرواح ، ذلك تاريخها فى القرون الغابرة وهذا عهدنا بها اليوم فى تاريخنا الحديث . لقد شغلت رجال السياسة بعد الحرب الماضية واهتمت بمصيرها هيئة عصبة الأمم ، ثم كان من نصيبها أن ضمت إلى أراضى الجهورية التركية وبقيت مهاطول الحرب العالمية الثانية ، وما انتهت هذه أو قاربت نهايتها واستقلت سوريا ، حتى قامت تطالب بها ، ولا يعلم غير علام الغيوب ما تخبئه لها الأقدار والأيام القادمة .

وإذا ورد ذكر هذه البقعة برز اسم مدينة أنطاكية لأنها رأت من السعد والعظمة فى زمن ملكها أنطيوكس الكبير ( ٢٢٣ — ١٨٧ ق . م ) ما جعلها سيدة المدن . فكان أن أصبحت حاضرة سوريا وفاقت غيرها فى الثروة والعلوم والمتاجر ، ولما دخلت تحت سلطان روما حصل أهلها على حقوق المواطنين فى الدولة الرومانية ، وإذا بها قد أصبحت إحدى عواصم ثلاث كبرى : روما والقسطنطينية وأنطاكية .

ولقد حاول بعض مفكرى الغرب من الفرنسيين أن يجعلوا من ملك أنطيوكس تتمة لملك الاسكندر ومن أثر عمله تكملة لسلطان الغرب على الشرق ، ودليلا على تفوق العقل اليونانى على العقل السامى ، والصورة التى أعطاها المهد القديم والمؤرخ يوسيفوس للعاهل اليونانى تنبىء بأنه كان ملكا مستبداً جباراً ، فقد ورد عنه فى كتاب المؤرخ اليهودى ما يأتى : « إنه دخل مصر بجيش كثيف وعجلات وفيلة وأسطول عظيم فاستحوذ عليها ثم قوى أمره وعظم شأنه حتى استولى على كثير من الأمم وأطاعته ملوك فارس وغيرهم من الملوك فداخله العجب والكبرياء وطغى وتجبر وسبب الكثير من الآلام لأهل المشرق » .

فهذه القوة التى طغت على الشرق يقول عنها الكاتب الفرنسى إنها بقية من عبقرية الاسكندر ، وإن بقاءها كان من ضرورات بقاء الأصلح ، لأنها تحمل قبساً من روح الهيلينية إلى الشرق ، وأنها قوة دافعة منظمة منشئة لأنها أدبت الناس وأخذتهم بالسيف وعلمتهم ما لم يعلموا . ولكن روما لم تلمس الحقائق حين ساقت كتائبها وأخذت أنطاكية مركز هذه الحركة ولذلك لما حطمت الممالك والعروش التى أنشأها أتباع الاسكندر ، كانت تحارب نفوذ الهيلينية فى الشرق وكانت تحطم بأيديها سيطرة الغرب على الأمم الشرقية . فروما حينما تنازعت مع أهل أنطاكية وقضت على عظمتهم مهدت لشعوب الشرق عودة ، بدأت بقيام الفرتيين أو البارتيين وهم قوم عرفوا بشدة المراس والصبر على القتال ، وظهرت فى غضب اليهود بحركة المكابيين وتطورت بظهور المسيحية ضد هذا التحكم ثم فى مذاهبها المختلفة التى يعبر عنها بالكنائس الشرقية ، والتى تعتبر نفثة ضد استحواذ أهل الغرب على المسيحية وهى شرقية فى أصولها ومبادئها ومراميها ، وما كان هذا ليحدث لولا اختلاف الكلمة وتعارض المصالح بين روما والاغريق المحتلين لأراضى المشرق ، فلو تم بينهم التعاون والتفاهم والتآزر والتكاتف وما تمليه وشائج القربى ، لما تهيأت الأسباب لقيام الشرق مرة أخرى ، ولما تفاعلت العوامل التى مهدت السبيل أمام جيوش المسلمين فاستولت بعد قرون قليلة على إرث روما وبيزنطة وما أنشأه الاسكندر من مجد وملك قبل ذلك .

وتلك دعوة لها خطورتها لأن معناها أن الخلاف الذى قام بين فرنسا وبريطانيا على سوريا ولبنان يمثل النزاع الذى نشب

بين روما وأهل أنطاكية فى المشرق وأن الامبراطورية البريطانية تلعب اللعبة الخطرة التى أخذت بها الامبراطورية الرومانية منذ عشرين قرناً فهى قد قضت على نفوذ فرنسا وأبعدتها عن سواحل البحر الأبيض المتوسط فى شرقيه ، كما زحزحت روما نفوذ الهيلينية عن هذا الشاطىء ، فكانت النتيجة أن خرج الشرق من تحت سيطرة روما واليونانيين وتقلص حكم الغرب عن أمم المشرق ، فإيانا كم أن يحدث لكم ما حدث للقدماء من قبل ويخرج الشرق من يد بريطانيا وفرنسا على السواء .

وإنما سقنا هذا الحديث للتدليل على أثر هذه البقعة من الأرض فى عقول القوم من ناحية السيطرة الفكرية والرغبة فى التحكم على مقادير الشعوب من شباك يطل علينا ويثير لنا الكثير من المشاكل . ولقد نظرنا إليها من الوجهة التى يرى بها رجل الفكر الغربى فلنجرب نظرة رجل الدين .

كانت أنطاكية مثل الاسكندرية ميداناً للتنازع بين الوثنية والمسيحية ، ذلك التنازع الذى انتهى بانتصار الفكر السامى ممثلا فى تعاليم مُعلّم الناصرة ، ولكن أنطاكية فاقت الاسكندرية فى ناحية أثرها فى حياة المسيحية ، فكلتا المدينتين أوتيت حظها من حياة الترف واللهو والخلاعة والتغاضى عن الفضيلة . ثم قامت فى كل منهما دعوة للخير والصلاح وترك الدنيا والابتهال إلى الله ، ولكن النكبات المتتالية وخصوصاً الزلازل المدمرة جعلت أهلها فى حيرة منها ، وأخيراً قرّ رأيهم على أن يطلقوا على أنطاكية إسم « مدينة الله » وتحصنوا بالفضائل وجانبوا الرذائل وتقربوا بهذا لله زلفى ؛ وكان أن عرفت مدينتهم وسط مدن العالم بأنها حازت سلطان الحياة الدينية ، وإذا بكرسيها يتلألأ وسط كراسى ملكوت السماء ، ويقول عنها الناس : ليس فى المسيحية كلها بعد روما سوى أنطاكية الخالدة .

ولذلك لا تعجب إذا وجدت عدداً من رؤساء الطوائف المسيحية يضمها فى المكان الأسمى من نعوته وألقابه الكهنوتية فيقول كل منهم إنه صاحب كرسى أنطاكية وسائر المشرق . وهم على حق فى ذلك لأن أنوار المسيحية أشرقت على الأرض من هذه البقعة ، وانتقلت من مواجهة إسرائيل إلى مواجهة الدنيا ، وفى ذلك يقول القديس لوقا : « وكان الذين تبددوا من أجل الضيق قد اجتازوا فينيقية وقبرص وأنطاكية وهم لا يكلمون أحداً بالكلمة إلا اليهود ، ولكن قوماً منهم كانوا قبرصيين وقيراونيين فهؤلاء لما قدموا أنطاكية أخذوا يكلمون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع » .

فى أنطاكية تحولت الدعوة إلى حركة عالمية . فهذا أثر من تأثير هذه البقعة الفريدة ، التى كانت قبلة الدنيا ومجمع مدنية الشرق مع مدنية الغرب ، ولو أدركتها المسيحية وهى فى إبان مجدها وسطوتها ؛ أى لو تقدمت قرنين من الزمن حينما كانت أنطاكية حاضرة سوريا وقد فاقت قرطاجنة وصور وصيدا ، فالأغلب على الظن أن كانت تأخذ أنطاكية فى عالم المسيحية مكان روما .

ويجمع المؤرخون على أن أنطاكية كانت مركزاً هاماً للدعوة المسيحية فى القرن الرابع وإن كان هناك من يقرر بأنها كانت منذ البداية أول مركز أرسل منه المبشرون المسيحيون إلى أقطار العالم ، وظهر فيها القديس يوحنا فم الذهب بل كانت مسقط رأسه وسطعت فيها أعماله ومعجزاته ، وكان أهلها مائتى ألف نسمة دخل نصفهم فى الدين الجديد وتصدروا الدعوة إليه ، ولذلك تذكرها الكتب المسيحية بأنها المدينة الأولى فى المظمة بعد روما ، وأنها تأتى فى تاريخ الكنيسة بعد القدس ، وهذا ما جعلها مكاناً يؤمه أهل التقوى والصلاح والعبادة ويهرع إليها الزوار لرؤية ما كانت تحويه من قبور القديسين والأبرار وما عرف عنها من العجائب والمعجزات .

فمدينة هذا تاريخها يأتى ذكرها دائماً فى الكتب المقدسة وفى تاريخ الكنيسة ويتكرر هذا الإسم فى الطقوس والصلوات ويرد فى ألقاب رجال الدين من مختلف الطوائف والمذاهب ، لا شك فى مكانتها وعظمتها واحترامها فى قلوب الناس ، وإن مجرد ذكر اسمها يحرك ذكريات عزيزة على النفس ، وهذا ما تؤكده الآيات الواردة فى أعمال الرسل . « ثم خرج برنابا إلى طرسوس فى طلب شاؤل ولما وجده أتى به إلى أنطاكية ، وترددا سنة كاملة فى هذه الكنيسة وعلّما جماً كثيراً حتى أن التلاميذ دعوا مسيحيين بأنطاكية أولا » .

**أحمد رمزى**

# حديث عن دمشـــــق

للأســـتاذ على الطنطاوى

دخلت مخزناً أمس أشترى منه شيئاً ، فسمع لهجتى الشامية شيخ همّ كان هناك ، أبيض الشعر كأن رأسه ولحيته الثغامة ، فالتفت إلىّ وقال :

— أنت من دمشق ؟

— قلت : نعم .

فسطع على وجهه نور ، وبرق فى عينيه بريق ، وبدت على جبينه ظلال ذكريات حلوة ، مرت فى رأسه ، وأخذ بيدى هاشاً لى باشاً بوجهى ، فأقعدنى معه ، وقال لى :

أهلا بك ، أهلا وسهلا ، تشرفنا يا ولدى ، فتعال . تعال حدثنى عن دمشق ، فقد طال عنها ابتعادى ، وزاد إليها اشتياق ، حدثنى عن سهلها وجبلها ، عن غوطتها وربوتها ، عن (الميزان) . ألا يزال الميزان مثابة الطهر ، ومعبد الجمال ، وجنة الدنيا ؟ ألا يزال السراة والتجار يصلّون الصبح كل يوم ويخرجون إليه ، يقضون فيه حق النفس بالتأمل ، كما قضوا فى المساجد حق الله بالصلاة ، فيجمع الله لهم الجنتين ، ويعطيهم نعيم الدارين ؟ ألا يزال زاخراً بحلق الأحباب ، وجماعات الصحاب ، عاكفين على (سماورات) الشاى الأخضر (وِسكى) المسلمين ، يشرفون على (قنوات) و (باناس)[1] وهما يخطران على العدوة الدنيا متعانقين متخاصرين فعل الحبيبين فى غفلة الرقيب ، يمشيان حالمين خلال الورد والفل والياسمين ، كزوجين فى شهر العسل ، يظهران حيناً ثم تشوقهما الخلوة ، فيلقيان عليها حجاباً من زهر المشمش والدراقن والرمان ، وعلى العدوة القصوى زوجان آخران حبيبان ، يمضيان يتناجيان ويتخالسان القبل : (يزيد) و (تورا)[1] ؟ وبردى ! ألا يزال يدبّ فى قرارة الوادى على عصاه ، ينظر باسماً إلى بنيه ثم يلوى عن مشهدهم بصره ، وينطلق فى طريقه لا يبالى . عاف الحب وملّ الغرام ، وعلّمته تجارب العمر ، أن كل ما فى هذه الحياة باطل ، إلا ذكر الله والعمل للآخرة ، كله لعب ولهو ومتاع زائل ؟

(١) من فروع بردى السبعة .

وقاسيون الجدّ العبقرىّ الذى عاش عشرة ملايين سنة وما انفك شاباً ، وشاخ ابن أخيه بردى ولم يشخ ، ألا يزال قاسيون قاعداً قعدة ملك جبار ، قد رفع رأسه ومدّ ذراعين له من الصخر ، فأحاط بهما دمشق وغوطتها ، من الربوة إلى برزة ، ووطأ لها ركبته فنامت المدينة عليها ، كما تنام الحبيبة إن أضناها النعاس على ركبة الحبيب ، واحتمت الصالحية بصدره كما يحتمى الطفل الوليد بصدر الأم الرؤوم ؟ والشمس ! ألا تزال الشمس تضحك لبردى وأبنائه ، وتستحم أنوارها فى مائه ، وتسبح أشعتها فى سمائه ؟

و (صدر الباز) و (مصطبة الأمبراطور) و (الصوفانية) و (الشاذروان) ؟ حدثنى عنها ... حدث عن دمشق ، ألا يزال الناس يعيشون فى دمشق للخير والجمال ؟ ألا يزال التجار يخرجون من صلاة العصر ، فيغلقون دكاكينهم ويمضون إلى بيوتهم ، إلى أولادهم وأهليهم ، ثم يتعشون المغرب ، ويؤمّون المساجد فإذا صليت العشاء خرجوا ، فمنهم من عاد إلى داره ومنهم من ذهب إلى الدرس ومنهم من مشى إلى (الدَّوْر) ...

قل لى : ألا يزال (الدَّوْر) يجمع الإخوان المتآلفين ، والأحبة المتصافين ، يسمرون كل ليلة فى منزل واحد منهم ينشدون الأشعار ويسوقون النوادر ، ويروون المضحكات ، ويطالعون الكتب ، ويتجاذبون الحديث ، ويأكلون ألوان الحلويات ؛ ويشربون الشاى ، ثم ينصرفون إلى دورهم ، وقد استمتعوا أوفى ما يكون الاستمتاع ، وسروا أكثر ما يكون السرور ، وما غشوا قهوة ، ولا أمّوا ملهى ، ولا جالسوا غريباً ، ولا أتوا محرماً ، ولا أنفقوا فى غير وجهه مالا ؟

ألا تزال منازل المشايخ فى (زقاق النقيب) و (حمام أسامة)[1] و (القيمرية) معاهد إرشاد ، ومدارس علم ، ودارات ملوك ؟ قل لى : من بقى من تلك الأسر العلمية ؛ آل حمزة وآل عابدين والطنطاوى والعطار والخانى والطيبى والشطى والأسطوانى والكزبرى والعمادى والمحاسنى والمنينى والخطيب ؟ ألا يزال فيها العلماء الأعلام أم تنكب الخلف طريق السلف ، واستبدلوا الدنيا بالدين ، والمال بالعلم ، والمنصب بالتقوى ؟ والعلماء ألا يزالون أعزة

(١) عامة أهل الشام يسمونه حمام سامه بالامالة وخاصتهم يظنونه حمام سامى ، ولايدرون من سامى هنا ، والحقيقة أنه منسوب إلى البطل المشهور أسامة بن منقذ .

بالدين ، يعرضون عن الملوك فيسعى إلى أبوابهم الملوك ، ويزهدون الدنيا فتقبل عليهم الدنيا ، ويهربون من الولايات والمناصب فتلحقهم المناصب والولايات ؟ ألا يزال الناس يعكفون فى دمشق على العلم لا يريدون به إلا الله والدار الآخرة ، يثنون لذلك ركبهم ويحيون ليلهم ، ويكدون نهارهم ، ويقنعون فى أيام الطلب بما سد الرمق ، وحمل الجنب ، وستر العورة ، لا يسألون عما غاب من ذلك أو حضر ، قد فكروا فى غيره ، وأقبلوا على سواه ، فكان العلم أملهم ، وكانت المطالعة شغلهم ، وكان ثواب الله مبتغاهم ، قد صغرت الدنيا فى أعينهم حتى إنهم لم يروها ليتكالبوا عليها ، ويذلوا من أجلها ، و(يضربوا) عن التعلم إن لم يصلوا إليها ؟ ألا تزال هذه المدارس عامرة ، يجيئها الطالب ؛ فينام فى غرفها ، ويستمع من مشايخها ويأكل من أوقافها ، ويحملها دنياه لا دنيا له وراء جدرانها : العمرية والمرادية والنورية والبادرائية والقلبقجية ودار الحديث وجامع التوبة وباب المصلى والدقاق ومدرسة الخياطين وأمثالها . ألا تزال زاخرة بالطلاب عامرة بالعلم، عاملة للاصلاح ؟

ومنازل دمشق ! ألا تزال تلك المنازلَ الواسعة الصحون ، ذات الظل والماء ، والبرك والنوافير ، والأشجار والزهور ، والدواوين والمجالس ، والصيانة والستر ، فهى من خارجها مخازن تبن ، ومن داخلها جنات عدن ، وهى مصيف ومشتى ، وهى مسكن وملهى ، وهى دار وبستان .

ألا تزال فى دمشق الأسرة كلها تعيش فى المنزل الواحد : الجد والأب والأعمام والأولاد ، ونساؤهم وأولادهم ، ثم لا تجد خلافاً ولا شقاقاً ، ولا دسًّا ولا كيداً ، الصغير يوقر الكبير ويطيعه ، والكبير يرحم الصغير ويحبه ، وكل يؤثر على نفسه ، ولا يحب لغيره إلا ما يحب لها ؟

ألا تزال المرأة لبيتها وزوجها ، لا تقيس الطرقات ، ولا تقصد الأسواق ، ولا تعتاد منازل الخياطات . إن احتاجت شيئاً اشتراه لها بعلها ، وإن أرادت زيارة أهلها ذهب معها ، وإن اشترت ثوباً خاطته بنفسها ، والحجاب سابغ ، والشهوات مقموعة ، والزواج شامل . لا يبلغ الولد عشرين إلا وله ولد ، ولا تصل البنت إلى الثامنة عشرة إلا ولها ولدان ؟

والبوابات ! هل زالت البوابات ، التى كانت تغلق كل ليلة بعد العشاء وتسد الطرقات فى وجوه لصوص الأموال والأعراض فلا تفتح إلا لقاصد بيته ، أو ذاهب فى حاجة مشروعة ؟

والأحياء ! ألا يزال فى كل حىّ عقلاؤه وسادته ، يسعون لخيره ، ويمينون عاجزه ، ويسعدون فقيره ، ويأخذون من فضل مال الغنى ما يسدّ خلة المحتاج ، وإذا رأى أحدهم غريباً فى الحى سأله من هو وما يكون ، فلا يدخل الحى إلا رجل شريف . وإن شاهد امرأة متبرجة نصحها وزجرها ، وبحث عن وليها ليحميها . وإن علم بأن داراً ترتكب فيها فاحشة ، عقد مجلساً فدعا المؤجر والمستأجر وكانت المحاكمة التى لا تؤدى إلا إلى منع الفاحشة فى غير ظلم ولا عدوان ، فكان الحى كله كالأسرة الواحدة ، وكان البلد مجموعة أسر كلها خيّر فاضل نبيل ؟

ألا يزال الناس على وئام وسلام ، فلا نزاع ولا خصام ، يعرف كل منهم حقه فلا يطلب إلا أقل منه ، ويعرف ما عليه فلا يقصر فى أدائه ، وإن اختلفوا رجعوا إلى العالم ورضوا بحكمه لا يعرفون المحكمة إلا إن استحكم الخلاف ، وقلما كان يستحكم الخلاف ؟

ألا يزال القاضى الشرعى مرجع كل خصومة ، ومصدر كل حكم ، يحكم فى كل قضية بشرع الله ، فلا تطويل ولا تأجيل ، ولا مراوغين ولا محامين[1] ؟

ألا يزال كل ما يحتاج إليه الناس يصنع فى دمشق ، فلا يأكلون إلا حاصلات بلادهم ، ولا يلبسون إلا نسيج أيديهم ، ولا يتداوون إلا بعشب أرضهم ، لا يدفعون أموالهم إلى عدوهم ، ولا يعينونه بها على أنفسهم ؟

ألا يزالون سعداء راضين ، قد انصرف العالم لعلمه ، والتاجر لتجارته ، والطالب لدرسه ، والمرأة لبيتها ، لا يشتغل أحد بغير شغله ، ولا يدخل فيما لا يعنيه ، قد تركوا السياسة لنفر منهم أخلصوا لهم فوثقوا بهم ، ورأوا أمانتهم فأعطوهم طاعتهم ، ورأوهم لا يسرقون مالهم ، ولا يمالئون عدوهم ، ولا يضيعون مصالحهم ، فلم ينفسوا عليه زعامتهم ، ولا ضيقوا عليه مكانتهم ؟

فقلت للشيخ : منذ كم فارقت دمشق يا سيدى ؟

فتنهد وقال : منذ سنة ١٨٩٧ ، فارقتها شاباً ، ولم أدخلها بعد ذلك أبداً .

---

(١) معذرة يا سادتى المحامين ! فقد جرتكم القافية ليس إلا ... وحقكم على الشيخ المحدث لا على أنا .

فرحمت الشيخ أن أفجعه فى أحلى ذكرياته ، وأن أطمس فى نفسه أجمل صور حياته فتلطفت فودعته، ولم أقل له شيئاً ، وماذا أقول؟

أأقول له : إن أهل الشام قد انصرفوا عن صدر الباز والميزان والصوفانية والشاذروان وأهملوها حتى صارت مزابل ، لأنهم آثروا عليها العباسية والهافانا وشهر زاد ونادى الصفا ؟

وأنهم هجروا منازلهم التى كانت جنات ، ليسكنوا كالإفرنج فى طبقات كأنها سجون أو مغارات ، وأن أبناء العلماء الأتقياء ، صاروا من الفساق الجهلاء ، وأن مدارس العلم هدمت أو سرقت ، وأن غرفها احتلت لتكون مساكن أو قهوات أو مخادع شهوات ، وأن طلبة العلم الدينى يطلبونه للمناصب والمراتب والأموال والرواتب ، وأن الأسر انصدع شملها ، وتفرق جمعها ، وأن النساء ملأن اليوم الطرقات ، وأممن المخازن والسينمات ، وعاشرن الشبان فى المدارس والملهيات ، وأن البنات كسدن فى البيوت ، لما آثر الشباب اللهو على الزواج ، والسفاح على النكاح ، وأن الأحياء غلب عليها سفهاؤها ، وضعف عن حكمها عقلاؤها . وأن الناس اختلفوا وتنازعوا ، وفشا فيهم الغش والخداع ، وأن المحاكم هجرت شرع الله وحكمت بقوانين فرنسا . وأن الناس تركوا أشغالهم واشتغلوا بالسياسة . وأن الزعماء طلبوا المال والجاه ، وآثروا مصالحهم على مصالح الناس . وأن الموظفين غلبت عليهم الرشوات والبراطيل والسرقات ، وأننا تركنا مصنوعات بلادنا وكرهنا أزياءها ، وتعلقنا بأذناب الغربيين ، وأعطيناهم أموالنا . وأنه قد ارتفع الوفاق وحل الشقاق ، وذهب الرخاء وجاء السخط ، فالرجل يختلف أبداً مع زوجته ، والأب ينازعه ابنه ، والشريك يسرقه شريكه ، وليس فينا راض ولا قانع ولا سعيد ، ما فينا إلا شاكٍ باكٍ ، كاره الحياة ، متمنٍ الموت ... ثم إننا لم نحس أن هذا كله من لعنة هذه المدنية الغربية ، ومن ثمراتها المرة التى لا يمكن أن تثمر غيرها ...

ولكن لا ، فإن فى دمشق خيراً كثيراً ، لا يعرف خيرها إلا من يعيش فى غيرها ، إن دمشق التى يصفها الشيخ لم تمت ، ولا تزال تتردد ذماؤها ، فإما أن تنعشها (رابطة العلماء) وبعدها الإخلاص بالقوة حتى تنقذها ، وإما أن يغلب القضاء ، فيموت المريض تحت يد الطبيب ... ...

ولن تموت دمشق الإسلامية بحول الله أبداً !

**على الطنطاوى**

خواطر مسجوعة :

# فلاح مصر ...

فلاح مصر أسخى على أهلها ، من نيلها ؛ فالنيل يجود بمائه ، وهو يجود بدمائه ؛ خالعاً شبابه على الغبراء ، ليراها جنة خضراء !

فلاح مصر جندى لايسفك الدماء ، ولايهدم البناء ؛ جندى يعمر . . ، ولا يدمر ؛ جندى يتفانى . . ، ولا يتوانى ؛ جندى متصل العزمات ، فى السلم والأزمات ؛ فكل جد يتضاءل أمام جده ، وكل فرد — وإن علا — يعيش من ثمرات كده .. ! معروفه يغمر بلاده ، ونعمته فى كل عنق قلاده . . . !

فلاح مصر هو — وحده — الذى يشبه الناس شكلا ونفسا ، والحديد فعلا وبأسا . وهو — وحده — الراضى بالقليل ، الذى لايبغى جزاء سوى القوت الضئيل ؛ وإلاَّ فمن سواه ، يُلقى فى التراب قواه ؟ ومن غيره ، يفيض خيره ، بعد أن يزرع الجميل فى الثرى ، ويسقى بالعرق قبل الماء حقول القرى ؟؟! لو أن للأرض لسانا لأثنت عليه ، ولقبَّلت يديه ؛ ولكنَّ الإنسان ، يجحد الإحسان !

فلاح مصر صبور لايخشى الهجير ، ولا يفر من الزمهرير . يبكر والمترفون فى الغرف ، لا يشاركهم الراحة والترف . من شيَمه التواضع والإيثار ، فى اليسر والإعسار . فتراه خشنا فى جسمه وعزمته ، فى ثوبه ولقمته ، فى بيته وعيشته لينا فى عطفه الرائع ، وقلبه الطائع ، وحقه الضائع ... !

ليتنى ياسيدى الفلاح الكريم ، أملك ما أقدمه اعترافا بفضلك العظيم ، لم أملك سوى الكلام ، فعليك السلام !

( الزنكلون ) **حامد بدر**

# الشاعر خليل مطران

للاستاذ حبيب الزحلاوى

جسم نحيل معروق ، ونظرات لامعة أخاذة ، وصوت مبحوح لاهث من حنجرة صلبتها الأعوام الثمانون وقد ناهزها ، وهو بالرغم منها على أحسن ما يكون من اتقاد الذهن ، ومضاء العزيمة ، وخصب الإنتاج .

يمتاز مطران بالخلق الكريم ، والحديث العذب ، والسعى فى الخير ، ثم بشاعرية فريدة فى نوعها .

يعود خلقه الكريم إلى أرومته الكريمة وتربيته الارستقراطية المترفعة وإلى نحيزة هادئة ترى المداورة والصبر والاتئاد فى التصعيد لبلوغ القمة خيراً من الانقضاض عليها كالنسور الجبارة

وهو محدث بارع ينضح من ينابيع غزيرة واطلاع ثقافى عام من أدب العرب والإفرنج قديمه وحديثه ، لا يتفلسف مع الفلاسفة ، ولا يتعالم مع العلماء ، ولا يشمل مصباحه للعميان ، يعطى من أدبه بقدر حاجة الطالب ، ويهبط أو يرتفع وفق فهم السامع وإدراكه ، وهو عف اللسان ، نصير الغائب ، قليل الغضب ، كثير التسامح .

من سجاياه سعيه للخير ، وهو يتراخى وقد يتكاسل فى السعى لخيره الخاص ، ولكنه لا يتوانى ولا يتقاعس فى السعى لفك ضيق ، أو حل مشكلة ، أو دفع نازلة ، أو إزالة خصومة ، أو تزويج فتاة من أية طائفة أو ملة كانت .

يعطى المعوز ما يستدره من مال الغنى ، وينتزع الدراهم من الشحيح البخيل ويأخذ الدينار من السخى الكريم يقيل بهما عثرات العاثرين .

ما قامت جمعية للبر ، أو مؤسسة للخير ، أو دار للشفاء ، أو تألفت جماعة لعمل من الأعمال إلا وكان مطران من أوائل القائمين بها ، وما نشأت بين السوريين واللبنانيين منشأة إلا وكان مطران من الساعين إلى إنشائها ، وما شجر بين الطامعين أو بين محبى الظهور شجار على رئاسة أوعضوية فى مجلس إلا وكان مطران أول المتنازلين عن الرئاسة أو العضوية حباً باحلال الوئام محل الخصام ...

هو ذا مطران الإنسان وقد حدد أمنيته فى الحياة بقوله : « أمنيتى أن أجتاز طريقى دون أن أسىء إلى أحد » .

مشى مطران وشوقى وحافظ فى جادة أدبية واحدة ، وما لبث أن سلك كل منهم مسلكا خاصاً به ، وأزعم أن لا مناص لمن يتصدى لدراسة شعر مطران عن معالجة أربعة أنواع من الشعر انفرد بها مطران وحده دون معاصريه من الشعراء .

الأول : شعر المناسبات وينطوى فيه تاريخ حقبة من الزمن تبتدئ فى الربع الأخير من القرن الماضى تشمل الأحداث الاجتماعية والشخصية والفردية .

الثانى : الوصف وفيه صورة تريك الموصوف كما رآه خالقه وكما كيفته الطبيعة حساً ومعنى .

الثالث : التحليل وهو ملاحم كبرى خص بها عظماء التاريخ وشعوبه وما كانوا عليه من صفات وخلائق وسجايا ، وما فى فطرتهم من ظلم وجور وطغيان .

الرابع : إبراز أقيسة اللغة ومقادير ترونها فى المفردات للتعبير عن ملكات النفس .

تجمع لمطران من شعره ما يملأ سبعة دواوين معدة للطبع منها واحد للأراجيز فى أدب النفس ، وترجم عن الفرنسية ثلاث عشرة رواية تمثيلية لشكسبير وراسين وكورنيل وهيجو وترجم أيضاً كتاب الوجيز فى علم الاقتصاد فى خمسة أجزاء وألف كتاب « مرآة الأيام فى التاريخ العام » ، ولم تخل صحيفة خلال هاتيك الأعوام ، على مر الأيام من بحث أو درس أو تقريظ أو نقد لمطران ، ولم يعتب منبر نصب فى مجمع للأدب أو للخير أن لم يعتله مطران .

هو ذا شاعرنا الذى تحتفل به الأمم العربية اليوم فى مصر ، وهذه لمحات خاطفة من أدبه الخالد وخلقه الكريم .

حبيب الزحلاوى

مراجعات فى الفلسفة :

# نظرية المعرفة عند شوبنهور

للاستاذ عبد الكريم الناصرى

يستهل شوبنهاور ( ١٧٨٨ – ١٨٦٠ ) أثره الرئيسى « العالم كإرادة وفكرة » بقوله : « العالم فكرتى » . ولأجل أن يفهم معنى هذا القول على وجهه الصحيح يحسن بنا أن نقدم له بكلمة موجزة فى نظرية المعرفة عند فيلسوفين ، أحدهما إرلندى هو بركلى ( ١٦٨٥ — ١٧٥٣ ) ، والآخر ألمانى هو كانْتْ ( ١٧٢٤ — ١٨٠٤ ) .

ونظرية الأول تتلخص فى عبارته المشهورة : « وجود الشىء أن يدرك » أو « الوجود هو الإدراك » . فقد كان « لوك » ميز بين « الكيفيات الأولية » و «الكيفيات الثانوية» للموضوعات الخارجية . فالأولى ، كالامتداد والشكل والحركة ، توجد فى الأشياء أنفسها بصرف النظر عن العقل . أما الثانية ، كالألوان والأصوات والروائح ، فلا وجود لها خارج الحس والعقل المدرك . وقضى بذلك على فكرة « الجوهر المادى » وجعل العقل هو المحل أو الحامل للموضوعات ، وكل ما تتصف به ، من امتداد وشكل وحركة وزمان وأصوت وأضواء وألوان . فكل هذه الأمور لا يمكن أن تقوم ، أو تُتصور ، مستقلةً عن الذات المدركة ؛ ومن هنا كان من المناسب تماماً أن تدعى « أفكاراً » . ويقول بركلى هنا : إن أحداً لا ينازع فى أن ذكرياتنا وتصوراتنا وتخيلاتنا إنما توجد فى الذهن ، ولا يمكن أن توجد بمعزل عنه ؛ ولكن لا يقل عن هذا بداهة أن الإحساسات أى « الفكرات » المطبوعة على الحس ، على اختلاف مركباتها ، أى الموضوعات الخارجية المركبة منها ، لا يمكن أن توجد إلا فى ذهنٍ مدركٍ . وتتضح هذه الحقيقة كل الوضوح حين نتدبر معنى لفظة « الوجود » أو «الموجود» كما تطلقان على موضوعات الحس . فما عساى أعنى حين أقول إن هذه المائدة موجودة ؟ أترانى أعنى شيئاً غير أنى أبصرها وأحسها ؟ وإذا كنت خارج الغرفة ، وقلت إن المائدة موجودة ، أترانى أعنى شيئاً غير أننى لو كنت فى الغرفة إذن لأبصرت بها ، أو أن هناك ذهناً آخر يدركها ؟ — لقد كانت ثمت رائحة : هذا معناه أنى شممتها ؛ كان ثمت لون أو شكل ، أى أنى أدركته بالبصر أو اللمس . هذا ، كما يقول بركلى ، هو كل ما يمكن أن يفهم من أمثال هذه التعبيرات . أما القول بوجود الموضوعات المادية وجوداً مطلقاً فقول متهافت ، غير مفهوم أبداً . فإن وجود ( esse ) الأشياء أن تدرَك ( Percipi ) ، ولا يمكن أن يكون لها أىُّ وجودٍ خارج الأذهان التى تدركها[1] .

ومن هنا فالمعرفة تتألف من عنصرين مختلفين ، هما الموضوع أو الفكرة المعروفة ، أو الذات العارفة . وليس يوجد إلا المدرَك أو المدرِك .

ولنلاحظ هنا أن كون الموضوعات المحسوسة فكراتٍ فى العقل لا ينفى ما بينها وبين الأخيلة والتصورات من فروق هامة ؛ كما أن إنكار «الجوهر» المادى لا يعنى إنكار واقعية العالم المادى ، وإنما معناه إنكار أن تكون هذه الواقعية مستقلةً عن العقل ، وأن يكون للموضوع المادى وجود مطلق لا يتوقف على الذات المدركة .

ونظرية شوبنهاور فى العالم الخارجى لا تختلف فى جوهرها عن نظرية الأسقف العبقرى ، ومع ذلك فإنه يسلك إلى نظرية المعرفة طريق « كانت » ، ويستمير من مؤسس « النقد » لغته وأسلوب تفكيره . فلا مفرَّ إذن من إلقاء نظرة ، ولو عامة خاطفة ، على نتائج نقد العقل الخالص ( النظرى ) ، بمقدار ما تتعلق هذه النتائج بموضوعنا .

لقد وضع « كانت » حداً حاسماً بين الشىء فى ذاته ، أو العالم المعقول ، وبين الظواهر ، أو العالم المحسوس . فالأول خارج المكان والزمان ، وخارج نطاق المعرفة الإنسانية ؛ أما الثانى فزمانى مكانى بالضرورة ، وداخل فى نطاق المعرفة ، والمعرفة العلمية مقصورة عليه ، لا يمكن أن تتخطاه ، فلا علم إلا العلم «بالظاهر» وقوانينه . وإنه لعلم صحيح ضرورى ، لهذا السبب : وهو أن العقل نفسه هو الذى يبدع عالم الظواهر ، أو يشارك على الأقل فى إبداعه ، ويستنُّ له قوانينه ، ويخلع عليه شكوله الثابتة .

(١) جورج بركلي : «مبادىء المعرفة الانسانية» — الفقرة (٣) .

فالعالم المحسوس يقوم بالضرورة فى إطارين : هما المكان والزمان . ولكن هذين الإطارين لا يرجعان إلى الأشياء فى أنفسها ، وإنما هما « صورتان خالصتان » لحساسية العقل : مبدآن فطريان قبليان ، لا وجود لهما خارج الذات الحساسة المدركة . إنهما فى الواقع « أسلوبان » أو « وسيلتان » لإدراكنا الأشياء ، فلا سبيل إلى إدراك هذه إلا إذا دخلت فى المكان والزمان ، وانطبعت بهذا الطابع العقلى الأجنبىّ عنها ، وتحوّلت بذلك عن طبيعتها الأصلية ، إنهما شرطا إمكان الإدراك والمعرفة ؛ وما أن معرفة الموضوعات هى ما ندعوه «بالتجربة» فالمكان والزمان إذن شرطا إمكان التجربة ، وعليهما تتوقف كل تجربة ، واقعة أو ممكنة ، فلا يمكن أن يكونا مشتقين من التجربة ، لأن الشرط يتقدم على المشروط ، وإنما هما سابقان عليها أو هما « قبليان » . ولذلك ترانا نستطيع أن نتمثل المكان والزمان خاليين من كل موضوع ، تمثلا عِيانياً مباشراً ، ولكننا لا نستطيع أن نتمثل الموضوعات بمعزل عن الزمان والمكان . ومؤسس النقد يسمى هاتين الصورتين، معتبرتين فى نفسيهما ، «بالعِيان الخالص» كما أنه يسمى الإدراك الحسى « بالعيان التجريبى » . وهذا الأخير يتوقف على شرطين : أولهما أن تقبل الحساسية أو تتسلم من « الخارج » تأثرات مختلفة ، صادرة عن الموضوع الحقيق أو الشىء فى ذاته ؛ وثانيهما أن تترتب الإحساسات الناشئة عن التأثر فى صورتى الزمان والمكان ، إذا كان العيان يتعلق بالموضوعات الخارجية ، أو فى الزمان وحده ، إذا كان يتعلق بتعيناتنا الباطنة .

والظواهر الناشئة عن العيان تترابط برباط العلية ، وتبدو على هيئة كيات و كيفيات ، ونسب وعلاقات ، وجواهر وأعراض ؛ ولكن جميع هذه التعينات لا ترجع إلى الأشياء فى ذاتها ، وإنما هى أشكال أو « مقولات » ذهنية قبلية ، نتصور العالم ونفهمه على نحوها . والقوة أو الملكة العقلية التى تقوم بهذا الدور هى « الذهن » ( أو « الفهم » ) ، كما أن حساسية العقل ، أو قدرته على قبول التأثرات ، هى التى تقوم بالعيان أو الإدراك . وقد قرر « كانت » أن هناك اثنتى عشرة «مقولة» أو «تصوراً خالصاً» ، تكون ، مع المبادىء القبلية اللازمة عنها ، ومع المكان والزمان ، شروط إمكان التجربة . وتندرج المقولات ، ثلاثاً ثلاثاً ، تحت أربعة عناوين أساسية ، وتؤلف بذلك مقولا « الكمية » و« الكيفية » و « النسبة » و « الجهة » . ولا حاجة بنا إلى التحدث عن هذه المقولات ، ما دام شوبنهاور نفسه قد نبذها جميعاً ، إلا مقولة واحد : هى « العلية » . وحسبنا أن نشير — فى ختام هذه الخلاصة لمذهب « كانت » — إلى نقطتين أساسيتين فيه ؛ أولاهما أن عالم الظواهر متوقف برمته وبغير استثناء على الذات وشكولها القبلية وأن عالم الأشياء فى ذاتها ( أو بالأحرى عالم « الشىء فى ذاته » ، ما دام أن « الكمية » مقولة ذهنية ) مستقل عن الذات وصورها الفطرية ، ولسنا نعرف ، ولا يمكن أن نعرف ، عنه شيئاً ؛ فهو «س» مجهولة . والنقطة الثانية أن قيام الظاهرة مشروط، مع ذلك، بتأثير الموضوع أو الشىء فى حواسنا .

وقد هوجمت فكرة الشىء فى ذاته منذ ظهورها هجوماً عنيفاً . كيف يزعم « كانت » أن الموضوع « يؤثر » فى الحساسية ، وأن تأثيره ضرورى لحصول الإدراك ، مع أنه يؤكد فى «التحليل المتعالى » أن المقولات ، كمقولة الجوهر والواقع والعلية ، لا تصح وراء عالم التجربة الممكنة ، عالم الزمان والمكان ؟ إن العلية تتعلق بالظواهر وحدها ، فليس من حقنا أن نطبقها على ما هو خارج الظواهر ، وليس لنا أن نصف الشىء فى ذاته بأنه علة للظاهرة ، بل ولا أن نقول بوجوده أصلا . إذ من أين لنا أنه موجود ، وعلمنا محصور فى دائرة التجربة ؟ وكيف نزعم أنه « س » مجهولة ثم نقول إنه موجود ، وإنه علة الظواهر ؟

كذلك انتُقِد « الشىء فى ذاته » ؛ ومن جملة ناقديه « شولتسه » أستاذ شوبنهاور ، و « فشته » الذى أنكر ، بناء على هذا النقد ، أن يكون ثمة حقيقة مطلقة خارج « الذات » ، وانتهى من ذلك إلى أن الشىء فى ذاته هو الذات أو الأنا ؛ فالأنا المطلق اللامتناهى يضع نفسه بنفسه ، ويضع اللا أنا أو العالم الخارجى . على أن فشته ، كما يلاحظ شوبنهاور ، لم يزد على أن جعل الذات « علة » للعالم الموضوعى ، مع أن العلية هى الصورة القبلية لكل موضوع مدرك فقط ، فلا يمكن أن تعدو عالم الموضوعات إلى العلاقة بينه وبين الذات .

وعلى أن شوبنهاور يأخذ بالنقد الموجه إلى فكرة الشىء فى ذاته بحسب مفهومه عند كانتْ فإنه لا ينتهى من ذلك إلى إنكاره

وإبطاله ، وإنما هو بضد ذلك يقر « كانت » على القول به ، ويراه كما رآه سلفه المظيم المطلق الـكامن وراء عالم الظواهر . وإنما الذى يأخذه عليه أنه جعل هذا المطلق « علة » و « موضوعاً » ، ووقع بذلك فى الخلف والشناعة . إذ لا علة وراء إمكان التجربة ، ولا موضوع بغير ذات . والقول بموضوع فى نفسه ، بموضوع لا تعرفه الذات ، تناقض فى الحدود . كل موضوع فهو بالضرورة موضوع بالنسبة إلى ذات ، أو إدراك مدرك . ليس الشىء فى ذاته بظاهرة أو فـكرة ، ولا هو بشىء « موجود » بالفعل ، وإنما هو المطلق المستقر وراء الظواهر والموجودات الواقعية ؛ هو ذاك الذى « يظهر » ، ذاك الذى يريد أن يوجد ، لأنه غير موجود . إنه الإرادة — إرادة الوجود . وقد قرر « كانت » أن الشىء فى ذاته ممتنع على المعرفة ، وشوبنهاور يسلم له هـذا أيضاً ، إن كان المقصود بالمعرفة المعرفة الخاضعة لمبـدأ السبب الـكافى ؛ ولـكن هناك ضرباً من المعرفة المباشرة ، نستطيع أن نكتشف به المطلق ، ونكتشف أنه إرادة سرمدية : نزوع مطلق إلى الوجود والحياة والتحقق الموضوعى .

وليس عالم الظواهر بمعلول للشىء فى ذاته أو الإرادة ، لأن العلية لا تصح إلا على الظواهر وحدها ؛ وليس هناك ، إن طلبنا الدقة فى التعبير ، عالمان مترابطان برابطة العلة والمعلول ، وإنما هو عالم واحد ذو وجهين ، وجه الفكرة أو التمثل [1] ، ووجه الإرادة أو النزوع — والأول مرئى مشهود ، والثانى مغيب غير منظور . إنه من جهة فـكرة كله ، ومن جهة إرادة كله ؛ وبعبارة أخرى ، إذا نظرنا إلى العالم من الخارج فهو فـكرة ، وإذا نظرنا إليه من الداخل فهـو إرادة . وبعبارة أوضح ، ليس عالم الظواهر إلا تجسم الإرادة ، أو تحققها الموضوعى ؛ إنه الإرادة كما نراها ، كما تبدو لنا [2] .

وصور العـالم المرئى هى الزمان والمـكان والعلية ، وهى كل ما استبقاه شوبنهاور من جهاز « كانت » القبْلى ؛ على أنه جمل ما أسماه بمبدأ السبب الـكافى التعبير العام عن هذه الصور ، كما أنه أدرج هذا المبدأ ، فى كل أشكاله ، تحت صورة عليا ، هى ازدواج الذات والموضوع ، وسنأتى بعد على بيان هذا كله .

وبفضل المـكان والزمان والعلية يتم لنا ، ولسائر الحيوانات ، إدراك العالم الخارجى . والذى يقوم بهـذا الإدراك أو العيان ، ويربط المدركات الحسية برباط العلية ، هو « الذهن » وحده ، لا الحساسية ثم الذهن ، كما ذهب إلى ذلك « كانت » ؛ ولا « العقل » . ولذا « فـكلُّ عيان ذهنى » . وقد ميز شوبنهاور بين « الذهن » و « العقل » كما ميز « كانت » ، ولـكن على حين أن الأخير جعل العقل ( بمعناه الضيق ) قوة الصور أو المثل الـكلية المنظمة لأحكامنا ، قصره الأول على قوة التصورات المجردة ، التى يتميز بها الإنسان على المجاوات ، وليس من شأن هـذه الملـكة أن تكتشف أو تبتكر شيئاً ، فذلك من شأن الذهن وحده ، وإنما شأنها تجريد المدركات ، وتعميمها ، وربط بعضها ببعض ، وحفظها ، وتيسير استعمالها فى المقاصد العملية .

( يتبع )

**عبد الكريم الناصرى**

= « الموضوعية » الحقيقية . بيد أننا نتحدث فى هذا المقال عن المعرفة بمعناها الضيق عند شوبنهاور ، أى المعرفة الخاضعة لمبدأ السبب الـكافى ، وهى تشمل التجربة والعلم . ومقالنا هنا « مراجعة » وتلخيص تقدى للقسم الأول من كتابه الرئيسى ( العالم كإرادة وفكرة ) ؛ وعنوان هذا القسم : « العالم كفـكرة — الوجه الأول — الفكرة خاضعة لمبدأ السبب الـكافى موضوع التجربة والعلم » .

(١) فكرة أو تمثل = بالألمانية Vorstelling ، وبالانجليزية والفرنسية representation أو Preesentation . على أن معظم الباحثين فى فلسفة شوبنهاور ، وكذلك مترجو كتبه إلى الانجليزية ، يترجمون هذا المصطلح بـ « idéea » أى « فـكرة » ، بحسب مفهوم هـذا اللفظ عند « لوك » و « بركلى » .

(٢) عالم الظواهر هو التحقق الموضوعى « غير المباشر » للارادة ، لأن هذه تتحقق أولا فى « المثال » الافلاطونى ، الذى هو خارج المـكان والزمان والعلية ، وإن كان مع ذلك راجعاً إلى عالم الفكرة . والمعرفة العيانية المباشرة للمثال من شأن « الفن » — وهى المعرفة العليا والمعرفة =

# يا إخواننا في وادي النيل!

[ مهداة إلى الأستاذ الشيخ على الطنطاوى ]

للأستاذ غائب طعمة فرمان

قرأت – فيما قرأت – فى الرسالة الحبيبة إلى القلوب، العزيزة على النفوس، مقالة بليغة للأستاذ الكريم على الطنطاوى عنوانها ( يوم من أيام بغداد ) أجرى فيها من روحه الأبية، ومن دمه الكريم، قوة متفجرة تهز قلب كل عربى غيور، وتوقظ همة كل أبى أشم؛ فقد – والله – لمست منها قوة العاطفة، وسمو النفس، وكرم المحتد.

« ليست كالمقالات، جملا ترصف، وكلمات تؤلف، ولكنها قلب يتفطر، وديناميت يتفجر ... ».

وغاية الأستاذ الكريم من هذه الكلمة الجميلة إيقاد الهمم، وإيقاظ النفوس، وشحذ العزائم؛ ليعلمنا « ... أن مصر ... أختنا الكبرى فى العروبة، وقضية مصر قضيتنا، ووادى مصر وادينا، وعدو مصر عدونا، وإننا إن نخذل مصر نخذل بلادنا، وإلا نكن معها نخن أمتنا . » . ويتساءل فى النهاية مخاطباً بغداد « أفتنامين يا بغداد فى سرر الأمان ومصر فى الشوارع تصارع الذئاب؟ » .

وليطمئن الأستاذ إلى إخلاص الشباب العراقى جميعاً .

وليثق بنا فى ساعات الجد وفى سوح القتال .

وليعلم أن أجفاننا لاتهدأ، وأن قلوبنا لاتستقر، وأننا لانخلد إلى السكينة، ولا ننام فى سرر الأمان ما دامت مصر تتألم، والمغرب العربى يئن تحت نير الاستعمار، وفلسطين المجاهدة تتناهبها الأطماع، وتنهشها الذئاب البشرية، ويعبث بها أرباب المصالح الأجنبية، وتراوغ فى حقوقها ثعالب الصهيونية .

أجل لن نهدأ ولن نقر عيناً والبلاد العربية مجروحة تتنزى ألماً، لأن الشعلة المتوقدة فى قلوبنا، والشجاعة الممتزجة بدمائنا، والاخلاص الثابت فى نفوسنا، والصرخة الدوية فى أعماق ضمائرنا – صرخة الحق، والعدالة، والحرية – كلها لاتزال فى توقدها، وقوتها الأولى .

كلها أسس حياتنا، ومقدسات فكرنا، ومثلنا العليا التى نؤمن بها إيماننا بديننا .

إننا – معشر الشباب العراقيين – لا نزال ثابتين على عقائدنا، حافظين لعهودنا، سائرين فى طريقنا القويمة وفق دستورنا العربى المقدس .

نحن لانزال – كما عهدتنا – مؤمنين بحقنا الأسمى فى الحياة، ذائبين بأرواحنا وبما تملك أيماننا، رافعين راية الجهاد ضد كل معتد أثيم .

الحق، والعدالة، والحرية، ومكارم الأخلاق، والعزيمة، والإخلاص مواد دستورنا الأولى .

مصر، والعراق، وسوريا، ولبنان، وفلسطين، والجزيرة العربية، وشمال أفريقيا، بلاد أمتنا الكريمة .

ولسنا من العرب فى شىء إن تخاذلنا فى نصر كل بقعة من بقاعها .

أقسم لك أيها الأستاذ الكريم أننا لا نزال كما عهدتنا نناصر كل بلد عربى؛ إننا نتألم لسوريا ولبنان فى محنتهما كما نتألم لمصر والسودان فى قضيتهما، وإننا نفزع إلى الجهاد فى سبيل فلسطين، كما نفزع إلى الذب عن المغرب الأقصى، المغرب العربى الكريم .

وشاعت فى هذه الأيام أن العراق يتوانى عن مساعدة مصر فى قضيتها . وتلك لعمرى سبة للعراقيين .

فالعراق لايتوانى ولن يتوانى عن نصرة البلاد العربية لأنه يشعر شعوراً عميقاً بما يصنعه الاستعمار البريطانى . إن جروحه لم تندمل وإن صدى البارود لم يذهب عن أذنه، وإن طيف الثورة العراقية الكريمة منتصب أمام عينيه .

وما تلك التهم إلا دسيسة أجنبية تجد طريقها إلى عقول بعض السذج . إنها ألاعيب استعمارية تبث لتفريق الكلمة، وتشتيت الشمل، وشغل العقول .

إذا أردت أن تتأكد من صواب قولى؛ فلا تعتمد على ما تذيعه الصحف، وما تروجه الألسنة المغرضة، بل تعال معى إلى المحلات العامة، تعال معى إلى الشعب العراقى لنسأله : تعال إلى التلميذ فى مدرسته، والعامل فى معمله، والموظف فى دائرته، والفلاح فى حقله .

# حول «أغنية السودان»

للأستاذ على متولى صلاح

نحمـد لمحطة الإذاعة اختيارها — الفينة بعد الفينة — إحـدى روائع شوقى الخالدات لتغنى على الناس فى مناسبة عابرة أو ظرف قائم أو لمقتضى حال يجب أن يقال فيه ما يطابقه .

وقد أحسنت الصنيع يوم اختارت قصيدته « نكبة دمشق » التى مطلعها « سلام من صبا بردى أرق » ، وأحسنت الصنيع يوم اختارت قصيدته « ذكرى المولد » التى مطلعها « سلوا قلبى غداة سلا وتابا » ولو أنها أضافت إليها — توهما منها أن ذلك يجملها أدنى إلى المناسبة القائمة وأكثر مطابقة لمقتضى الحال — ما كان منها كالرقعة الرخيصة فى الوشى الثمين ، ولو لم تفعل لتمت المطابقة دون حاجة إلى هذا التكلف !

وأحسنت المحطة الصنيع أيضاً حين اختارت — فى الأسبوع المنصرم — قصيدته « شهيد الحق » التى مطلعها « إلام الخلف بينـكما إلاما » التى قيلت بمناسـبة الذكرى السابعة عشرة لوفاة المرحوم الزعيم مصـطفى كامل ، وأطلقت عليها اسم « أغنـية السودان » ! ...

ونحن نشكر للمحطة جاهدين أن تختار الشعر العالى ، ونودّ لو أنها تتحلل يوماً بعد يوم من هذا الهذر والسخف الذى تنطق به حناجر بعض المغنين فيها ، وأن تترك هذه الأغنيات الرخيصة المـائعة التى تتسرب إلى نفوس الناس سماً وفساداً وانحـلالا ... غـير أننا ونحن بصدد الحديث عن اختيارها لقصيدة « شهيد الحق » نريد أن نبصرها بأمور كانت عسية أن تتجنبها ، وليكون ذلك دستوراً لها إن أرادت حقاً أن يغنى بها شعر رفيع عال كهذا الذى تختاره من شعر شوقى ، وإن ذلك لجـدير — فى المستقبل — أن يُعفيها من كل لوم ، وأن يجنبها كل زلل ، ويوقيها كل عثار .

١ — فنحن لانفهم أولا كيف تعدو المحطة على التاريخ الأدبى والتاريخ السياسى فتنحرف بالقصيدة عن الغرض الذى قيلت فيه وتخرجها عما إليه قصـد منشئها ، ثم تعدو بذلك على ذكرى غالية لزعيم وطنى من طراز قلّ أن يوجد بين الزعماء ؟؟ ثم تسميها عنوة واقتداراً «أغنية السودان» ومابها صلة بالسودان إلا أنه ذكر فيها مرة !! ولقد كان للمحطة معدى عن ذلك لو أنها تمهلت قليلاً فى الاختيار ، أو وكلته إلى أهل الذكر فى الأدب الذين يعرفون قول الذى قال : —

قد عرفناك باختيارك إذ كا ن دليلا على اللبيب اختياره !

كان لها معدى عن ذلك باختيار شعر آخر أو قصيدة أخرى لشوقى ، وله فى الوطنية شعر كثير ، أو لحافظ وله قصائد متفرقة تفيض وطنـية وحثاً على الاتحاد والائتـلاف وتنديداً بالفرقة والاختلاف ، ولـكن محطة الإذاعة راقها مطلع القصيدة « إلام الخلف بينـكمو إلاما » وملك عليها أمرها فلم تجد عنه منصرفا !

---

تعال إلى هؤلاء وانظر إلى ما يقولونه .

تعال لتسمع القصة من أفواههم ، ولتلمس أفكارهم ، وتسبر غور أنفسهم ، ولتعلم بم يفكرون ؟ .

إننى لأقسم لك إنهم يفكرون فى قضايا بلادهم ، بلادهم بالمعنى الشامل الواسع ، البلاد العربية : مصر ، الشام ، فلسطين ، شمال أفريقيا .

وفى هذه الأيام يحل الوفد السودانى ضيفاً على العراق . فهل تعلم ما كان فى نفس كل عراقى ؟ .

لقد كانت فى نفوسنا أحاديث قلبية نريد أن نبلغها .

لقد كانت قلوبنا تخفق ، وشفاهنا ترتجف ، وعيوننا تبتسم ، ونفوسنا فى هزة من الشوق .

لقد كانت فى قلب كل عراقى كلمات يودّ أن يبلغها إلى الوفد السودانى الكريم قائلا : يا إخواننا فى وادى النيل إننا نؤيدكم من صميم قلوبنا ، ونناصركم بأرواحنا ، ونهتم بقضيتكم اهتمامنا بقضيتنا بل أكثر منها ... إن الجراح التى تحسونها فى بلادكم نشعر بها ونتألم لهـا ... إننا صوت واحد ، صوت قلبىّ يصرخ فى وجه المعتدى الأثيم : تباً لك من وغد ، هذه الأرض أرضنا نريق من أجلها دماءنا ... فلا تصدقوا ما يقوله عنا المستعمرون .

وفى النهاية نصرخ صرخة الشاعر العراق :

أبشرى ياطلعة الوادى الأمين جاءك الأبطال بالنصر المبين
قد سمعنا عنك ما روعنـا فأتيناك أسوداً لا تلين

بغداد

غائب طعمة فرمان

على أننا لا نفهم كيف أسمتها قصيدة « السودان » وأغلب أبياتها التي غناها عبد الوهاب موجهة إلى « شهيد الحق » مصطفى كامل وكيف يوفق سامعوها بين عنوانها هذا وبين تلك الأبيات ؟؟

٢ — على أن المحطة وهي تريد الدعوة إلى الائتلاف والاتحاد أغفلت الأبيات التي تؤدي إلى ذلك وتدعو له في القصيدة لأسباب يعلمها الله وحده ! وإلا فهل أدل على هذا الذي تهدف المحطة إليه من قول شوقي : —

لقد صارت لكم حكما وغنما وكان شعارها الموت الزؤاما
وثقتم واتهمتم في الليالي فلا ثقة أدمن ولا اتهاما

ومن قوله : —

وكانت مصر أول من أصبتم فلم تحص الجراح ولا الكُلاما
إذا كان الرماة رماة سوء أحلوا غير مرماها السهاما
أبعد العروة الوثقى وصف كأنياب الغضنفر لن يراما
تباغيتم كأنكمو خلايا من السرطان لاتجد الضماما ؟

ومن قوله وقد يكون فيه دعوة واضحة صريحة إلى أن يكون الحكم في أيدي الأحزاب جميعاً متحدين مؤتلفين : —

ولينا الأمر حزباً بعد حزب فلم نك مصلحين ولا كراما
جعلنا الحكم تولية وعزلا ولم نعد الجزاء والانتقاما
وسسنا الأمر حين خلا إلينا بأهواء النفوس فما استقاما !

ولكن لأمر ما أغفلت المحطة كل ذلك ...

٣ — كان التلحين الذي غناها به محمد عبد الوهاب بعيداً غاية البعد عن المعنى المنشود ، لقد كان هذا اللحن أبعد شيء عن معاني الوطنية والاستنهاض والدعوة السريعة العاجلة إلى الاتحاد والتهكم اللاذع — بالموسيقى اللاذعة — بهذا الاختلاف وتلك الفرقة ، والمناداة العالية برأب الصدع ، واللهفة الحارة إلى جمع الشمل ... ما أحسست والله وأنا أسمعها إلا بأنين وحشرجة وخفوت ونوم واحتضار !!

فرفقاً بالأدب العالي والموسيقى العالية يا محطة الإذاعة .

**علي متولي صلاح**

---

الأدب في سير أعلامه :

# ٨ ــ تولســـتوى

[ قمة من القمم الشوامخ في أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه ]

للأستاذ محمود الخفيف

## بين العبث والندم

لن يصبر الفتى على المقام طويلا بيسنايا ، فان المدينتين : موسكو وبطرسبرج ما تزالان تدعوانه إلى مفاتنهما وزينتهما ، وما إن يأخذ الفتى حظه من اللهو فى إحداها أو فى كلتيهما حتى ينطلق إلى ياسنايا يطلب الهدوء ويأمل فى التوبة ، ويرجو أن يتفرغ لشؤون ضياعه ، وعلى هذه الحال قضى الفتى ثلاث سنوات يلق به طول عبثه إلى النـدم ، ويؤدى به سأمه من ندمه إلى ما كان فيه من عبث ؛ وكان فى حاليه يمثل حياتى أخويه . فإذا أمعن فى عبثه ومجونه وعدم اكتراثه لشىء مثل حياة سيرجى ، وإذا ندم وتقشف وزهد فى الحياة الدنيا وزينتها عاش عيشة ديمترى

ولم يقف عبثه عند حد فى العاصمتين ؛ فهو فى ليله يسرف فى الميسر ويغشى أمكنة اللهو وينتقل بين «صالونات» الارستوقراط وأماكن الغجريات المغنيات ، يقضى أرب مشاعره من الجمال والبهجـة ، وغاية بدنه من الفسوق والرجس ، وهو فى نهاره يستمتع بالصيد أو بركوب الصافنات الجياد ، أو يملأ فراغه بلعب الورق أو الشطرنج أو بكتابة ما يداخله من ندم فى دفتر يومياته ، أو باللعب ساعة على البيان ، وهو فى ليله وفى نهاره يشرب الخمر ويصيب ما يلذ من طعام فى أشهر مطاعم المدينة وأغلاها ثمناً . يفعل ذلك فى رفقة من صحابته يعبثون ويلهون كما يعبث ويلهو ، ويفوزون منه بما ينفق عليهم من ماله ...

ويحاول أحياناً أن يصنع ما نصحت به عمته تاتيانا إليه ، وذلك أن يرتبط بفتاة ذات خلق وكرم محتد ، فيدور بعينيه فى سهرات الأرستقراط يطالع وجه الأوانس ، ويخفق قلبه لهذه أو لتلك ، ولـكنه لا يلبث حتى ينطلق تحت ستار الظلمة إلى حيث يلقى بنفسه بين ذراعى إحدى الغجريات !

ويحلم تارة أحلام الزواج فيهفو قلبه إلى الآنسات فى صحبة أمهاتهن وقد تبرجن وأبدين زينتهن ، ويتظرف فى حديثه ويظهر أكثر ما يستطيع من مظاهر الارستقراطية والنبل ، ولـكنه سرعان ما ينصرف عن هذا إلى ما يوسوس به الشيطان من فجور وإثم يطفىء به ضرام بدنه القوى الذى ما يزال يلتهب من شهوة

ويعود إليه تارة تخيله أنه محب وأنه أسير هوى غادة عرفها فى موسكو هى الأميرة شرباتوف ، وإن كانت هذه الغادة لتجهل كل الجهل ما تحدثه به نفسه من حب ، ولا تفطن إلى ما يخيل إليه أنها بمثته فى نفسه من عاطفة ...

وكذلك تساوره أحياناً رغبته فى الـكمال ، تلك الرغبة التى تسلطت عليه زمناً فى قازان ، ولـكن الـكمال هنا يتخذ منحى جديداً غير منحى الثقافة والمعرفة ؛ فهو يريد اليوم أن يكون رجل مجتمعات ، يشار إليه فى المنتديات والصالونات ، ويريد أن يكون حديث مجالس ينصت إليه ذوو المكانة ويصفونه بأحسن أوصافهم من النبل والتهذيب والظرف واللباقة ؛ ولـكنه لا يستقر على هذا الاتجاه ، وما هى إلا أن توسوس له أقل المغريات حتى يعود إلى مجونه وجنونه ، ليعب منهما ما يشاء له شبابه ثم يعمد إلى دفتره فيثبت فيه ما يخالجه من ندم ومن تأنيب منه لنفسه ؛ وهكذا يحيا الفتى فى المدينتين حياة لا تختلف عن حياته فى قازان إلا بما يكون من إفراط فى اللهو وإسراف فى المال .

ولن يزال الفتى كالفراش الهائم يطير من زهرة إلى زهرة ، ومن ثمرة إلى ثمرة ، أو يقع على اللهب ليرتد عنه ثم يجذبه الضوء فينجذب إليه ، ولا يجد ما يبثه خلجات شعوره ونوازع وجدانه إلا دفتر يومياته ؛ كتب فى هذا الدفتر سنة ١٨٥٠ يقول وقد كان فى موسكو « إن هذه ثالث سنة لى أقضى شتاءها فى موسكو دون أن أكون فى منصب ما ؛ هنا حيث أقضى حياة سخيفة لا غناء فيها ، حياة فارغة لا تهدف إلى غرض ؛ ولم أحي هذه الحياة لأن كل امرئ فى موسكو يفعل مثلما أفعل ، ولـكن لأن مثل هذه الحياة هيأت لى أسباب المسرة » .

وبلغت حاله من السوء فى أواخر تلك السنة بما أسرف على نفسه فى الميسر أن أصبح يطلب القليل من المال فلا يكاد يجده

ولذلك فكر فى أن يشغل منصباً يرتزق من وظيفته ، واتجه إلى إلى منصب مدير البريد فى مدينة تولا ؛ ولكنه لم يجد من ذوى النفوذ من أقربائه من أعانه على تحقيق هذا الطلب ، كما لم يجد فى نفسه المقدرة على أن يعمل عمل الموظفين فانصرف عن هذا المتجه ...

ولكن ماذا عسى أن يصنع وقد اشتدت به الحاجة إلى المال وفدحته أعباء الدين ؟... يا عجباً ! إنه يريد أن يحذق لعب الورق ليكسب المال من الميسر ، عسى أن يعوض شيئاً مما خسره فيما سلف من لعبه ، ولكنه ما لبث أن رأى أن الميسر ما كان وسيلة لكسب المال وإنما هو كما عرف من قبل وسيلة لاتلافه ؛ ثم إن الفتى يضيق بحياته هذه حتى مايطيق صبراً فيفد إلى ياسنايابوليانا

ويقضى الفتى فى ضيعته بضعة أشهر لا يكدر عليه صفوه ولا يقطع هدوءه إلا إلحاح عاطفته الحيوانية عليه وظمأ بدنه ذلك الظمأ الذى لايفتر ؛ ولكنه يغالب تلك العاطفة بكل ما فى طوقه من عزم ، ويصبر على ذلك الظمأ ما وسعه الصبر ؛ ثم لا يلبث حتى يجد نفسه وقد غلب على أمره فعاد أكثر مما كان نهماً وطمعاً . والحق أنه كان يعانى كثيراً من الضيق من جراء فشله كلما فشل فى مغالبة هذه العاطفة ؛ أشار إلى ذلك مرة لأحد مترجمى حياته بعد أن تقدم به العمر فذكر أنه ما من شىء كان أشق على نفسه من محاولته قهر هذه العادة التى تسلطت عليه فلم يقو على دفعها ؛ ولقد كان يتألم منها ويندم أشد الندم كلما منى بفشل جديد ، تجد ذلك فى مثل قوله سنة ١٨٥٠ « إنى أعيش عيشة بهيمية ، ولقد هجرت كل ما عسى أن يشغلنى من عمل ؛ وإن ذلك ليكدر روحى كدراً شديداً » .

ولا يكاد الفتى يجمع من المال قدراً حتى يعود إلى موسكو فى شهر مارس سنة ١٨٥١ ؛ وفى نفسه هذه المرة أن يبتعد عن كل مايشين لأنه اليوم يريد أن يصل إلى مكانة مرموقة فى المجتمع وأن يشغل منصباً ذا خطر وأن يتزوج من ذات ثراء ومحتد ...

وراح يغشى أواسط الارستقراط يشهد الحفلات والولائم ، يهمه أن يتعرف إلى العلية وذوى المكانة والنفوذ ؛ إذا جلس فى حلقة أخذ بقسط موفور من الجدل والحديث ، وحاول ما استطاع أن يكون هو الذى يدير الكلام ويصرف وجوهه ، وحرص على أن تكون آراؤه مثيرة للدهشة أو للانتباه أو للمعارضة ، واجتهد أن يبرز أقصى ما لديه من علم فيما يتشقق إليه الحديث من مسائل فيفيض ويشرح وجهة نظره ويسرد الأمثلة ويبسط الحجج فى لهجة المتمكن القادر .

وعادت تطوف برأسه أحلام الزواج ؛ وعاد يتذكر ما تمنته له عمته تاتيانا ؛ فقد كان أجل ما تمنته له فى رأيها أن يتزوج بفتاة عظيمة الثروة وأن يمتلك من رقيق الزراع أكثر ما يستطاع أن يمتلك ؛ ولكنه يرى أن مثل هذا الرباط لن يكون إلا بالحب ، وهذا ما لا يحس أنه انتهى فيه إلى رأى ...

وكان لا يزال يطمع أن يعينه بعض ذوى النفوذ والجاه من أقربائه أو أصدقائه على أن يظفر بمنصب من مناصب الدولة ينعم فيه بالمال والجاه ، ولكنه لم يصل من ذلك إلى كل ما يريد ..

وكان قد صمم عند مجيئه إلى موسكو ألا يقرب الميسر وقد أوصته عمته أن يتحرر من هذه العادة المتلفة للمال الموبقة للروح ؛ ونفذ الفتى أول الأمر ما عقد عزمه عليه وابتعد عن الميسر كل الابتعاد كأنه أمر ينفر منه بطبعه ؛ ولكن ما كان أعجب عودته إليه بعد قليل بأمل من جديد أن يجد فيه مخرجاً مما هو فيه من عسر ؛ ولعب ما وسعه اللعب وخسر خسارة كبيرة ، ولكن الخسارة لم تزده إلا إسرافاً فى اللعب وعدم اكتراث لما يكون للعب من عاقبة حلوة كانت أو مرة قاسية المرارة ؛ ولقد بلغ به الأمر أن رهن ساعته يوماً ليدفع ثمن معطف ذى فراء أراد أن يدخل على روحه بعض البهجة بلبسه والتنبل به وإن صفرت من المال يده ...

وضاق صدره بحياته على هذه الصورة وعزا هذا الاضطراب إلى ضعف عزيمته . كتب فى دفتره يقول « إنى ألاحظ أن أهم عاطفتين تتسلطان علىّ هما الميل إلى اللعب ثم الغرور » ؛ وراح يتهم نفسه كل يوم فى دفتره ويندم ماوسعه الندم ؛ وجعل لكل يوم من أيام الأسبوع فى دفتر آخر فضائل يؤديها وأخذ يشير بعلامة إلى ما قصر فى أدائه حتى لا يعود إلى التقصير فى مثل ذلك اليوم من الأسبوع التالى ؛ ثم لاذ الفتى بالدين فزهد الحياة أياماً فصام وصلى وألف دعاء يدعو به الله ليخرجه مما هو فيه ...

ولحت للفتى بارقة أمل ؛ لم لا يجعل الأدب حرفة له ؟ ألم تكن

عمته تاتيانا على حق حين قالت له ذات يوم « إنى أعجب ياعزيزى ليو كيف لا تكتب رواية ولك مثل ما لك من خيال ؟ » .

وكان الفتى يقرأ القصص أكثر ما يقرأ ، ولم ينقطع عن القراءة مهما شغلته الشواغل أو ملأ حياته اللهو ، ولا يزال إعجابه بروسو عظيما ، وكذلك لا يزال يجعل لدكنز منزلة عظيمة فى نفسه ؛ أما الكتاب الروس فقد كان يقبل منهم على بوشكين وجوجول إقبالا شديداً ، وكان لثانيهما تأثير قوى فى خياله وعقله؛ وبدأ يلتمع اسم ترجنيف وكان أكبر من تولستوى بعشر سنوات ، وقد نشر أول كتبه سنة ١٨٤٧ وهو مذكرات رجل صيد ، وكان لهذا الكتاب كذلك تأثير عميق فى خيال ليو ووجدانه ، وبخاصة ما أظهره مؤلفه فى فنه القوى المحكم من حياة رقيق الأرض ... وقرأ الفتى لغير هؤلاء الكتاب كتب شلر وكتب ستيرن وغيرهما من فحول القصة والشعر .

وتصادف أن كانت قصة دكنز العظيمة داڤيد كوبرفيلد تنشر يومئذ تباعا فى إحدى المجلات فأحدثت فى نفسه أثراً لم تحدث مثله قصة غيرها وظلت لها فى نفسه المكانة الأولى حتى آخر حياته

وماذا عسى أن يكتب الفتى ؟ ذلك ماحيره أول الأمر حيرة شديدة ؛ أيصف حياة الغجر كما فعل بوشكين وإنه اليوم يهيم عليهم ؟ أيكتب قصة عمته تاتيانا ؟ لا إنه لا يميل إلى هذه ولا إلى تلك فماذا يكتب ؟ ليصف زيارته بالأمس لتلك الأميرة شيرباتوف التى ظن أنه يحبها ؛ وأقبل الفتى فوصف هذه الزيارة ، ولقد نشرت هذه القصة الصغيرة حديثاً بعد أن عثر عليها ورأى الناس أول عمل أدبى لنابغة كتاب القصة فى القرن التاسع عشر فإذا بهذه الباكورة تنطق بكثير من دلائل عبقريته ...

ويقول ليو فى دفتره « إن الوصف ليس كل شىء .. كيف ينقل المرء إلى القارئ شعوره ؟ » . قال ذلك لأنه كان قد اعتزم أن يجعل الوصف غايته من الكتابة فيصف كل ماتقع عليه عيناه ثم بدا له وكان أثر داڤيد كوبرفيلد قويا فى نفسه أن يكتب أيام طفولته ، وانكب على الكتابة كل صباح من الساعة الخامسة حتى الحادية عشرة حتى أتم باكورة آثاره التى كتب لها الخلود .

ولكن حياة اللهو وأسفاه تعوذ فتصرفه عن هذا الجد . فيقبل على لذاذاته ويسرف من جديد فى مجونه وعبثه ، ثم لا يجد آخر الأمر خيراً من أن يلوذ بضيعته من هذه الحياة التى سئمها وسئم نفسه بسببها فيعود إلى ياسنايا فى صيف عام ١٨٥١ ولم يتزوج من ذات ثراء ولم يظفر بمكانة فى المجتمع ولا بمنصب خطير من مناصب الدولة ، ولم يتحرر من الميسر ولا مما يوهن عزمه من نوازع بدنه القوى الذى لا تهدأ حيوانيته ...

وأقام فى القرية أياماً يخالجه شعور الندم على ما كان من عبثه الذى أسرف فيه على نفسه وشعور الحسرة على ما آلت إليه حاله من عسر ومن دين ، وينظر اليوم إلى هؤلاء الرقيق الزراع الذين أراد إصلاحهم بالأمس فيؤلمه أنه انقلب اليوم مبدداً لما تنتجه أيديهم من خير ؛ فلا هو أصلحهم ولا أفاد من كدهم إلا ذلك المال الذى يذهب هباء فى الميسر والترف والغرور والفسوق .

وينقاد إلى جموح بدنه فى القرية كما كان يفعل فى المدينة ، لا يهدأ هذا البدن ولا ينطفئ لهبه ؛ ولكنه يشعر باشمئزاز شديد ذات ليلة إثر فعلة من فعلات الشباب فعلها تحت جنح الظلام ، وكأنما استيقظت فى نفسه مشاعر جديدة فى تلك اللحظة جملته ينكر هذا الذى فعل إنكاراً شديداً كان أكثر قيمة من ذلك الندم الذى كان يخالجه كل مرة ثم لا يلبث أن يموت .

كره الفتى حياته كرهاً شديداً ، وضاق بالمقام فى ياسنايا وفى موسكو وفى بطرسبرج ، وما له غير الرحيل شفاء لنفسه ومنجاة لروحه ، فليرحل إلى حيث لا يجد شيئاً يذكره بالذى كرهه أشد الكره وأنكره كل الإنكار من مواطن مجونه وعبثه وفراغ حياته .

( يتبع ) **الخفيف**

# محاضرات فى التفسير

للأستـــاذ على العمارى

تحتفل قاعة المحاضرات بدار الحكمة فى يوم الأربعاء من كل أسبوع بنخبة ممتازة من رجال العلم والأدب فى القاهرة يستمعون إلى أحاديث فى تفسير القرآن الكريم يلقيها طائفة من العلماء الأعلام ، سمعنا منهم إلى الآن فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود شلتوت عضو هيئة كبار العلماء وفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف والدكتور عبد الوهاب عزام بك والأستاذ عبد الوهاب حمودة ، ومع أنهم أسمعونا الطيب المعجب ، وطالعونا بأساليب جديدة فى تأويل الآيات وفهمها وتفهيمها ، ومع أننا نحب أن نسمعهم كثيراً إلا أننا مع ذلك نحب أن نسمع غيرهم من كبار المشتغلين بدراسة القرآن الكريم ، فاننا اليوم فى حاجة إلى الإطلاع على أكثر من أسلوب فى هـذا التفسير خصوصا وقد زاد تنبه الأذهان إلى ضرورة وضع تفسير جديد سهل المأخذ قريب التناول خاليـا من تلك الأساطير التى ملأ بها المفسرون كتبهم ، وليس القول فى قلة جدوى هذه التفاسير، وعدم غنائها من مواليد هذا العصر ولكنه قديم ، فقد أنحى بعض العلماء الفضلاء عليها باللائمة ، ومن هؤلاء إمام البلاغة الشيخ عبد القاهر الجرجانى فقد قال فى كتابه دلائل الإعجاز « ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم أن توهموا أبداً فى الألفاظ الموضوعة على المجاز والتمثيل أنها على ظواهرها فيفسدوا المعنى بذلك ويبطلوا الغرض ويمنعوا أنفسهم والسامع منهم العلم بموضع البلاغة وبمكان الشرف ، وناهيك بهم إذا هم أخـذوا فى ذكر الوجوه وجعلوا يكثرون فى غـير طائل . هناك ترى ماشئت من باب جهل قد فتحوه، وزند ضلالة قد قدحوا به. ونسأل الله تعالى العصمة والتوفيق »

ونحن اليوم أكثر معرفة بهذه الأبواب المفتوحة من الجهل فى بعض التفاسير ، وأشـد حاجة إلى أسس جديدة صحيحة غير هذه الأسس القديمة ، وهـذه المحاضرات تبشر ببداية حسنة ، ففيها من دقة الفهم ، وجمال العرض والبعد عن الفضول مايجعلنا نؤمل أن تكون خطوة أولى فى سبيل وضع هذا التفسير المرتقب ، وياحبذا لو قام المشرفون على تنظيم هذه المحاضرات بطبعها حتى تذيع وتنتشر ويعم بها النفع .

وقـد استمعت فى آخر مرة إلى فضـيلة الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف يفسر الآيات الأولى من سورة آل عمران ، وقد أعجبت به إعجابا ملأ نفسى ، غـير أنى كنت أود أن أناقشه فى بعض ماعرض له ، وقد لقيته بعد المحاضرة فاعتذر بأنه متعب فرأيت عرضها على صفحات الرسـالة الغراء ، ذكر الأستاذ — كغيره — أن القرآن اشتمل على كثير من السنن الكونية ، ولست أريد أن أخالف عليه فى هذا ، وأن أعيد ماقاله جماعة من كبار العلماء وفندوا به هذه النظرة إلى القرآن فلكل وجهة ، لكن الذى أريد أن أخالفه فيه أنه تحـدث عن دوران الأرض وقال إن القرآن صريح فى الدلالة على هذه الحركة وذكر قوله تعالى « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء إنه خبير بما تفعلون » وربما تعجب معى كيف ذهب على المحاضر — وهو رجل فاضـل — موضع هـذه الآية من القرآن ، ولكن هـذا يدلنا أكبر الدلالة على استيلاء النقص على جملة البشر ، والعرب يقولون فى أمثالهم « قد يكبو الجواد »

هذه الآية فى سورة النمل تصور حالة من أحوال يوم القيامة « يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش » وكما قال تعالى فى سورة الكهف « ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا » جاءت هذه الآية فى هذا السياق « ونفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شـاء الله ، وكل أتوه داخرين ، وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء إنه خبير بمـا تفعلون » فليس بخاف أن الآية تذكر حالة من أحوال ذلك اليوم وليس فيها أية إشارة إلى حال الجبال فى الدنيا وقد بدا لبعض من ناقشته فى هـذا الأمر أن قول الله تعالى « صنع الله الذى أتقن كل شىء » فيه دليل على أن هـذه الرؤية مما يكون فى الدنيا وإليه ماقاله الإمام الزمخشرى فى تفسيره الكشاف « صنع الله . يريد به الإثابة والمعاقبة ، وجعل هـذا الصنع من جملة الأشياء التى أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب حيث قال « الذى أتقن كل شىء » يعنى أن مقابلته الحسنة بالثواب ، والسيئة بالعقاب من جملة إحكامه للأشياء ، وإتقانه لها ، وإجرائه لها على قضايا الحكمة إنه عالم بمـا يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك »

على العمارى

(١) سورة القارعة

# نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

## ٩٠٢ — مناظرة بين عالمين

سأل الإمام أبو الحسن الأشعري شيخ السنة الإمام أبا علي الجُبّائي رئيس المعتزلة عن ثلاثة إخوة ، أحدهم كان مؤمناً براً تقياً ، والثاني كان كافراً فاسقاً شقياً ، والثالث كان صغيراً ، فماتوا فكيف حالهم ؟

فقال الجبائي : أما الزاهد ففي الدرجات ، وأما الكافر ففي الدركات ، وأما الصغير فمن أهل السلامة .

فقال الأشعري : إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد هل يؤذن له ؟

فقال الجبائي : لا ، لأنه يقال له : إن أخاك إنما قد وصل إلى هذه الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة وليس لك تلك الطاعات .

قال الأشعري : فإن قال ذلك الصغير : التقصير ليس مني فإنك ما أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة .

فقال الجبائي : يقول الباري ( جل وعلا ) كنت أعلم أنك لو بقيت لعصيت ، وصرت مستحقاً للعذاب الأليم فراعيت مصلحتك .

فقال الأشعري : فلو قال الأخ الكافر : يا إله العالمين ، كما علمت حاله فقد علمت حالي فلم راعيت مصلحته دوني ؟

فقال الجبائي للأشعري : إنك مجنون .

فقال : لا ، بل وقف حمار الشيخ في العقبة ! وانقطع الجبائي [1] .

(١) أورد ابن خلكان في كتابه ( وفيات الأعيان ) هذه المناظرة ثم قال :

وهذه المناظرة دالة على أن الله تعالى خص من شاء برحمته ، وخص آخر بعذابه وأن أفعاله غير معللة بشيء من الأغراض .

## ٩٠٣ — أمريكا ...

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري :

قال شيخنا فريد الدهر أبو الثناء محمود بن أبي القاسم الأصفهاني أمتع الله به : لا أمنع أن يكون ما انكشف عنه الماء من الأرض من جهتنا منكشفاً من الجهة الأخرى . وإذا لم أمنع أن يكون منكشفاً من تلك الجهة لا أمنع أن يكون به من الحيوان والنبات والمعادن مثل ما عندنا أو من أنواع وأجناس أخرى .

***

مفاتيح الغيب للرازي في تفسير (الرحمن على العرش استوى) من رده على أصحاب الجهة :

إن العالم كرة ، فالجهة التي هي فوق بالنسبة إلينا هي تحت بالنسبة إلى سا كني ذلك الجانب الآخر من الأرض ، وبالعكس ، فلو كان المعبود مختصاً بجهة فتلك الجهة ، وإن كانت فوقاً لبعض الناس لكنها تحت لبعض آخرين ، وباتفاق العقلاء لا يجوز أن يقال المعبود تحت جميع الأشياء .

***

شرح النهج لابن أبي الحديد :

وهي (الأرض) كرية الشكل [1] فمن على حدبة الكرة لا يرى من تحته ، ومن تحته لا يراه ، ومن على أحد جانبيها لا يرى من على الجانب الآخر ، والله تعالى يدرك ذلك كله ، ولا يحجب عنه شيء منها بشيء .

## ٩٠٤ — قدري ومثبت في الجاهلية

الأغاني : سِماك بن حرب قال لي يحيى بن متى راوية الأعشى وكان نصرانياً عِبادياً وكان معمراً : كان الأعشى قدرياً ، وكان لبيد مثبِتا ، قال لبيد :

(١) الكشاف ( الذي جعل لكم الأرض فراشا ) : قرأ يزيد الشامي بساطا وقرأ طلحة مهادا ، ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس أنهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب أحدهم على فراشه وبساطه ومهاده ، فإن قلت : هل فيه دليل على أن الأرض مسطحة وليست بكرية ؟ قلت : ليس فيه إلا أن الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش ، وسواء كانت على شكل السطح أو شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر لا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد أطرافها وإذا كان متسهلا في الجبل ، وهو وتد من أوتاد الأرض فهو في الأرض ذات الطول والعرض أسهل .

من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ، ومن شاء أضل

وقال الأعشى :

استأثر الله بالوفاء وبالعدل (م) وولى الملامة الرجـلا

قلت : فمن أين أخذ الأعشى مذهبه ؟ قال : من قبل العباديين نصارى الحيرة ، كان يأتيهم يشترى منهم الخمر فلقنوه ذلك .

٩٠٥ — شعبانية

الشريشى فى شرح المقامات : حكى الفقيه أبو الحسن أن أباه حدثه أن الأديب أبا الطاهر بن أبى ركب حضر عنده بسبتة بقرية شنان فى نزهة شعبان لاستقبال رمضان ، فأكل من حضر ضروباً من الأطعمة والألوان ، فقال أبو الطاهر (رحمه الله تعالى) لأبى عبد الله بن زرقون : أجز :

حمدت لشعبان المبارك شبعة تسهل عنى الجوع فى رمضان

فقال أبو عبد الله ( رحمه الله تعالى ) :

كما حمد الصب المتيم زورة أطاق لها الهجران طول زمان

فقال أبو الطاهر :

دعوها بشعبانية فلو أنهم دعوها بشبمانية لكفانى

٩٠٦ — أردت أن أكنسه من القصيدة . . .

ثمرات الأوراق فيما طاب من نوادر الأدب وراق لابن حجة الحموى : قال ابن سناء الملك من أبيات :

صليني وهذا الحسن باق فربما يعزل بيت الحسن منه ويكنس

فوقف القاضى الفاضل ( رحمه الله ) على هذه القصيدة ، وكتب إلى ابن سناء الملك من جملة فصل :

... والقصيدة فائقة فى حسنها بديعة فى فنها ولكن ( بيت يعزل ويكنس ) أردت أن أكنسه من القصيدة ، فإن لفظة الكنس غير لائقة بمكانها .

فأجاب ابن سناء الملك قائلاً : قد علم المملوك ما نبه عليه مولانا من أمر البيت الذى أراد أن يكنسه من القصيدة . وقد كان المملوك مشغوفاً بهذا البيت مستحلياً له معجباً به معتقداً أن قافيته أميرة ذلك الشعر وسيدة قوافيه ، وما أوقعه فى الكنس إلا ابن المعتز . والمولى يعلم أن المملوك لم يزل يجرى خلف هذا الرجل ويطلب مطالبه فتتعسر عليه وتتعذر ... وحبك الشيء يعمى ويصم فقد أعماه حبه وأصمه إلى أن نظم تلك اللفظة فى تلك الأبيات تقليداً لابن المعتز ...

فأجابه ( القاضى الفاضل ) بقوله ... ولا حجة فى احتجاجه بابن المعتز عن الكنس فى بيته فإنه غير معصوم من الغلط ، ولا يقلد إلا فى الصواب فقط ... وقد تعصب القاضى السعيد ( يعنى ابن سناء الملك ) على أبى تمام فنقصه حظه ، وأما البحترى فأعطاه أكثر من حقه .

ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى فؤادى ولكن للعتاب مواضع

# رحيـــــل ..!

للاستاذ حسين محمود البشبيشي

ودّعيني قبلما يدنو رحيـــلي    بلقـــاء يغمر القلب حنانا
ودعى البسمة فى الثغر الجميـل    تمـــلأ الروح صفاء وأمانا

ودعيني قبلمـــا يذبل زهرى
فغداً يشرد فى الصحراء عطرى
يسأل الأيام عن إلهام شعرى
إن إلهامىَ فى الثغر الجميل
عنـد إشراقك فى يوم رحيلى

---

ودعيني قبلما أغـــدو غريباً    عن منى قلبى وأشقى باحتراق
لحظـــة تبصر عيناى الحبيبا    هى نورى فى دياجـير الفراق

كلمـا فاض بى الشوق لثغرك
وصفاء الذهب الحلو بشعرك
وسجود القلب فى محراب ظهرك
أتمـــلى فى ثنـايـاها الحبيبا
سلوة تسعد فى البعد الغريبا

---

ودعيني آن يا قلبى وداعى    ودنت ساعة يأسى وفنـائى
ودعيني، آه من نار التياعى    عند ما تصرخ أصداء التنائى

عن قريب منـذرات بارتحالى
أنا أخشاها فيا سـوء المآل
لو دنت منىَ أشباح الزوال
قبلما تهـدأ نيران التياعى
بلقاء منـك من قبـل الوداع

---

سوف أمضى ذاهلا يوم الرحيل    وسنا عينيك يسرى فى ضميرى
كاشفاً بالنـور والحب سبيلى    كلمـا أظلم فى عينى مصيرى

لحظات منك من قبـل البعاد
هى خلدى، هى هدى، هى زادى
فى صباح الشوق أو ليل السهاد
فتعالى قبلما يدنو رحيـــلى
بسنا عينيك والثغر الجميـل

ودعيني واسكبى الصبر بقلبى    علنى أستطيع صبراً فى البعاد
وعسى يهدأ فى الأعماق حبى    بالذى يلقاه من صـفو الوداد

عنـد توديعك لى يوم الفراق
وارتواء القلب من خمر التلاق
قبلما تكويه نيران اشتياق
للمنى والسعد من أيام حبى
فتعـالى ودعى روحى وقلبى
ودعينى ، ودعينى ، ودعينى

# حـــــديث المدفع ..!

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

[ إذا عبرت ( وادى شعيب ) وأنت فى الطريق من القدس إلى عمان ، عاصمة شرق الأردن ، رأيت هناك مدفعاً مطرحاً فى سـفح جبل ، وهو من بقايا الحرب العظمى الأولى . ويذكر الذين أدركوا تلك الحرب العجب العاجب من بطش هـذا المدفع وتحديه إلى أن ضرب الضربة القاضية ... ]

عجبت له من أبكم كيف ينطق    بأعجب ما يجلو بيان ومنطق
ويروى عن التاريخ وهو مطرَّح    (بوادى شعيب) عبرة ليس تخلق
وقفت به أصغى ، وبى لحديثه    وما فيه من هول وزول تشوق
يقول : لقد كانت قناتىَ صلبة    ولى خلق صعب الشكيمة ضيق
أرود شماريخ الجبال ومعقلى    منيع ، على هام السحاب محلق
وبى تتذرى من بنى الحرب عصبة    إذا رزدق منها ونى هب رزدق
ونازعنى عجب الدل بحوله    فكنت أخا حمق يطيش ويحرق
أفح فحيح الصل أشرع نابه    وفى فيه ما يؤذى النفوس ويرهق
وأرسل من زرق المنايا على الورى    بهول مبيد ، ليس فيه ترفق
ولم أدر أن الدهر أزمع ضربة    تريني بأن الدهر أضرى وأنزق
رمانى بها صماء ، فانهدَّ كاهلى    ورحت لَقى، والنفس تردَى وتزهَق
تلفت حولى ، لا رجالى هم هم    ولا حملاتى فى الشدائد تصدق
ولم تغن عنى فى المعامع صولتى    ولم يجدنى جيش، ولم يحم خندق
وعُلِّمت كيف البغى يوفى بأهله    على مهلك يردى البغاة ويصعق
وما انفك يرويها لغاد ورائح    عظات، تلقاها النفوس فتشفق
وكم عبرة للظالمين ... وإنما    تنكب عنها الظالمون وأعنقوا

# الأدب والفن في أسبوع

**ساعة مع الأستاذ وديع البستاني :**

كانت ساعة طيبة حافلة قضيتها مع الأستاذ الشاعر وديع البستاني ، وكان الأستاذ قد طار منذ قريب إلى لندن فى مهمة سياسية عربية ، فاغتنمها فرصة للبحث عن أصول الأدب الهندى القديم فى مكتبة المتحف البريطانى ومراجعة الملاحم الهندية العريقة التى عكف على نقلها إلى اللغة العربية سنوات طويلة ، وقد أشرنا إلى خبر هذا فى عددين سابقين من « الرسالة » وبعد أن أنجز الأستاذ مهمته وأخذ طريق العودة إلى وطنه (حيفا) ، آثر النزول فى مصر لقضاء فترة من الوقت ، وقد زرته حيث ينزل بفندق الكونتننتال فى أمسية من أمسيات الأسبوع الماضى فتلقانى بالبسرور وجلس يُفيض على من زاخر علمه ويحدثنى عن آثار جهده فى نقل أصول الأدب الهندى وما وقف عليه فى ذلك من التحقيقات ، فكان حديثاً عامراً قيدت منه بعض الشوارد المفيدة والشواهد النافعة ...

**الحمى .. الحرام :**

... سألت الأستاذ عن هذه الملاحم الهندية التى عنى بنقلها وعكف على ترجمتها ، فوضع بين يدىّ حزمة ضخمة من المجلدات والطوامير وقال هذه هى الآثار المقدسة . وإذا قلت المقدسة فإنى أعنى أنها ظلت طوال العصر القديم كالحمى الحرام لا يفتح بابه لكل طارق ولا يباح عبوره لكل سالك ، إذ كان البراهمة يحيطون كتب الحكمة القديمة المعروفة باسم « الفيدا » وملحمتى الرامايانا والمهابهاراتا بسياج من التقديس ، فكان البراهمة لا يبيحون الاطلاع عليها إلا لأبناء الطبقات الممتازة ، أما العامة من العمال وغيرهم فكانوا يحللون قتل الشخص منهم إذا اختلط نَفَسه ولو مصادفة بنَفَس من يتلو آية من كتب الحكمة أو يردد بيتاً من الرامايانا والمهابهاراتا ، ولما قام حاكم الهند فى عام ١٧٨٤ بترجمة نشيد السماء ونشيد المعلم ( كريشنا) إلى اللغة الإنجليزية نثراً وضع لذلك النشيد مقدمة افتخر فيها بأنه كان أول من أتاح له البراهمة ترجمة هذا النشيد . والحق أن هذا النشيد — وعدد أبياته فى اللغة الهندية القديمة نحو سبعمائة بيت — هو أول ما نقل من الأدب الهندى القديم إلى لغة أخرى ، ومن بعد ذلك توافرت جهود الباحثين فى نقل الملاحم الهندية ، فقد نقلت الرامايانا كاملة إلى اللغة الفرنسية كما ترجمت إلى الإيطالية بقلم أديب إيطالى تحت رعاية أحد الملوك الإيطاليين . ولها ترجمات عديدة فى الألمانية والإنجليزية واللغات الأوروبية الأخرى ، وحين أقول الرامايانا فإنى أقصد رامايانا فالميكى التى نظمت بالسنسكريتية وذلك تمييزاً لها عن ملحمة أخرى لنفس القصة وضعت منذ ثلاثة قرون بلغة أخرى من لغات الهند ، وقد بلغنى أن الأديب المسلم العظيم الدكتور عبد الحق رئيس جمعية ترقى الأدب الأوردى آخذ فى ترجمة رامايانا فالميكى إلى اللغة الأوردية وهى من أشهر اللغات الحية فى الهند اليوم . وأحب أن أقول لك إنى اطلعت على هذه الرامايانا الحديثة مترجمة إلى الإنجليزية ، فوجدتها قد نقلت فى لغة رديئة وتروى قصصاً تطنب فى ذكر راما البطل المعبود ، وقد علمت أخيراً أن هذه الرامايانا أخرجت فى السينما وتكلف إخراجها نحو ٢٧ ألف جنيه ولكنها فى مدى سنة حصلت للشركة التى تولت إخراجها ٢٤٠ ألف جنيه ربحاً .

**فتح جديد فى علم الفيلولوجى :**

قال الأستاذ : ولقد أدى نقل الملاحم الهندية القديمة إلى اللغات الأوربية إلى فتح باب جديد للبحث فى فقه اللغة «الفيلولوجيا» وإن من نظر الآن فى قاموس كامل للغة الانجليزية يدهشه ما يرى من كثرة المفردات الانجليزية التى ترجع إلى أصل سنسكريتى ، وسيكون لنقل هذه الآثار إلى اللغة العربية نفس الأثر ؛ فقد ثبت لى ثبوت اليقين أن هناك تشابهاً كثيراً بين المفردات فى اللغة العربية واللغة السنسكريتية ، فكلمة «الفيدا» مثلا — أى كتب الحكمة — لا تخلو من صلة بكلمة الفائدة وكلتى دين وديانة ، واسمى «البستانى» يرجع إلى أصل سنسكريتى فقد وردت كلمة « بستان » فى شعر جرير الخطفى ، وهى فى

الأصل مؤلفة من كلمة « بو » و « ستان » ، وأصل « بو » فى اللغة البهلوية — أى الفارسية القديمة — بول ، ومنها الكلمة العربية « فول » وهو البقل المعروف الذى إذا زرع منه حقل كان أبهى ما يكون منظراً وأطيب ما يكون رائحة زهره الجميل. ومن كلمة « بول » أخذ إسم الزهرة فى الفرنسية والانجليزية ، والمعنى الجامع فى هذا كله : الرائحة الطيبة . وأما كلمة « ستان » فهى أصل لمئات الكلمات فى اللغات اللاتينية وفى اللغة العربية . فإن معناها المكان أو الوقوف ، ومنها هندستان أى مكان الهند وتركستان أى مكان الترك . فكلمة « بستان » معناها مكان الروائح .

**أقدم الملاحم وأطولها :**

وسألت الأستاذ عما حققه من تاريخ نظم الرامايانا والمهابارانا فقال : إن الرامايانا أقدم من المهابارانا بنحو قرن واحد وعدد أبياتها فى الأصل السنسكريتى ٢٤ ألف بيت فهى أقدم الملاحم العالمية قاطبة . أما المهابارانا فعدد أبياتها ١٢٤ ألف بيت فهى أطول الملاحم العالمية قاطبة ، ولكن عشرات الآلاف من أبيات المهابارانا قد نظمت فى مباحث وموضوعات عامة كأحكام الزواج وآداب الضيافة وتقديم القربان وفلسفة خلاص النفس مما لم يهتم أحد من المترجمين بنقله إلى اللغات الأوربية ؛ إلا أن الحكومة الهندية قد أحدثت ترجمة كاملة نثرية باللغة الانجليزية لهذه الملحمة وطبعت فى كلكتا منذ أكثر من مائة سنة .

وآراء الباحثين تختلف فى تعيين التاريخ للأدب الهندى القديم ، فالمتهندون الذين وقفوا حياتهم على البحث فى أصول الأدب السنسكريتى يذهبون إلى أن تاريخ هذا الأدب فى وجوده يتراوح بين ٢٤٠٠ سنة و ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، والبراهمة والمحققون من أبناء الهند يعتقدون أن تاريخ وجوده أقدم من ذلك بكثير . ومهما يكن من شىء فإنى على يقين بأن الرامايانا والمهابارانا قد تقدمتا فى الوجود على الإلياذة ، وإذا كان هناك مظاهر كثيرة من التشابه بين هاتين الملحمتين والإلياذة فإن التاريخ لم يذكر أن فاتحاً فتح الهند قبل الإسكندر المقدونى الذى كان يحمل الإلياذة ويسرح كل أسير يروى بيتاً منها . ومن المعلوم على اليقين أن عهد الإسكندر أحدث من عهد الإلياذة نفسها . وفى أثناء سفرتى الثالثة إلى لندن ، وهى هذه السفرة عنيت بالاطلاع على ما جدّ من الكتب فى مكتبة المتحف البريطانى لاستيفاء البحث فى هذه الناحية ، وقد سرنى أننى لم أجد شيئاً هناك ينقض ما كنت قد وقفت عليه فى هذا الشأن .

**فى ضيافة طاغور :**

وحدثنا الأستاذ عن شغفه بالأدب الهندى القديم والروح الهندية الفياضة بالتأمل العميق وهو لما يزل فى مطلع شبابه فقال : لقد أخذت وأنا فى طراوة العمر بذلك النغم الذى تبينته فى الأدب الهندى والفلسفة الهندية وحملتنى نفسى فى هذا السبيل على أن أعيش عيشة أهل الهند وأن أنسك نسكهم فسافرت إلى هناك وقضيت شهرين فى ضيافة طاغور ، وأخذت أروض نفسى على حياة الهنود الناسكين ، وكنت قد أحسست فى حنايا قلبى بكل المشاعر الإنسانية كشعور المحب وشعور العاشق وشعور الصديق ولكننى لم أكن قد أحسست بعد شعور الوالد ، ومن ثم رغبت فى الزواج وحملنى الإحساس بشعور الأبوة أن أكون أبا ، وتزوجت وأقلعت عن حياة النسك ولكنى بقيت مندمجاً فى تلك الروح الهندية العميقة مأخوذاً بصفاتها ، ومن ثم كان شغفى بتلك الآداب الهندية القديمة ونقلها إلى اللغة العربية إذ أنها لم تنقل إلى اللغة العربية بل لا تزال مجهولة لأبناء العروبة على حين قد عرفها أبناء اللغات الأخرى .

**هذه الملاحم :**

قال الأستاذ وقد نقلت الرامايانا أعنى رامايانا فاليكى والمهابارابا . والنالا ودامينتى وهى إحدى القصص الخمس المروية فى المهابارانا وقد ثبت أن ثلاثة من أبواب كليلة ودمنة وردت قصصها فى المهابارانا ووقع تعربى لنالا ودامينتى فى ١٢٥٤ بيتاً ، كما نقلت مسرحية الشاكونتالا وقد وضع هذه المسرحية شاعر عاش بين القرنين الثالث والرابع قبل الميلاد اسمه قاليداس ، كما عنيت بنقل الأساطير الهندية القديمة المعروفة بكتب الحكمة وهى ترجع فى تاريخها إلى ما قبل وجود الملاحم ... هذا وقد أسمعنى الأستاذ جملة فصول من هذه الملاحم التى نقلها شعراً فأعجبنى أنه استطاع أن يكون شاعراً يؤثر الديباجة الرائقة والأسلوب الشعرى الموسيقى حتى لقد فاق فى ذلك البستانى الكبير فى ترجمة الإلياذة . وقد استرعى نظرى أنه نقل من الرامايانا فصلا

عن « وصف الشتاء فى بنشقانى » فآثر نقله بنغمه الهندى على بحر غير بحور الشعر المعروفة فى العربية ، وقد أخبرنى أنه آثر ذلك ليعطى صورة صادقة من النغم الهندى والروح الهندية .

فى الدين الهندي :

وسألته عما يقال عن المعبود ( كريشنا ) فى الأدب الهندى وهل هو يقابل ( أبولو ) فى أدب اليونان . فقال لى أن كريشنا لا يقابل أحداً من آلهة اليونان أو اللاتين ، وإنما هو التجسد الثامن عندالهنود، ويعتبر بوذا التجسد التاسع؛أما التجسد العاشر فلم يظهر بعد وعلامة ظهوره عندهم أن تقوم الملوك ملكا على ملك وأن تطلب المرأة مساواتها بالرجل . ويعتبر راما التجسد السابع كما اعتبر المسيح تجسداً إذ نسب إلى الله أباًوهذه فكرة هندية قديمة . فإن كلا من كريشنا وراما نطفة الإله فشنوا الأقنوم الثانى فى الثالوث الهندى المؤلف من براهمة وفشنوا وشيوا وهو أقنوم موحد ( برهم ) ، فالدين الهندى دين توحيد لا دين تعديد .

لغة القرآن :

وانتقل الأستاذ يحدثنى عن ذكرياته فى الحياة ونشأته فى الأدب فقال : لقد نشأت فى رعاية ابن العم الشيخ سليمان البستانى معرب الإلياذة وكنت أقول الشعر وكان يسددنى فى طريقه ، فلما علم أنى بلغت فيه مبلغاً نادانى فى يوم وقال لى يا وديع، لقد سرت فى طريق الشعر وبلغت فيه مبلغاً ، ولكن هل تحسن القراءة ؟ ثم ناولنى كتاباً وقال اقرأ ، فقرأت ، ثم قال لا بأس، ولكن أنصحك يا وديع أن تحفظ كثيراً من القرآن الكريم ، وأن تقف على أحكام تجويده وتلاوته وتروض لسانك عليه فإن ذلك مما يقوم قراءتك ، وإن ذلك هو الأساس السليم لتقويم اللسان فى القراءة . وإنى قد أخذت نفسى بذلك فى صدر شبابى وهكذا أبناء الأسرة البستانية الذين أمسكوا أنفسهم بالعناية بالأدب ، فأخذت بنصيحته ونفذتها

وبعد ألا ترى أيها القارىء أنها كانت ساعة حافلة بالأدب والعلم؟ أجل وأنى لأسدى صادق الشكر عليها إلى الأستاذ الجليل .

المجمع اللغوى يؤبن عضوين من أعضائه :

أقام مجمع فؤاد الأول للغة العربية هذا الأسبوع حفلة تأبين فى قاعة الجمعية الجغرافية الملكية لفقيدى العلم والإنسانية المغفور لهما الشيخ مصطفى عبد الرازق والدكتور على ابراهيم باشا ، وبعد أن افتتح معالى أحمد لطفى السيد باشا رئيس المجمع الحفل بكلمة رصينة فى تقدير مناقب الفقيدين العظيمين وتصوير الخسارة بفقدهما تقدم الدكتور على توفيق شوشة باشا فألقى كلمة خاصة بتأبين المغفور له على إبراهيم باشا استهلها بالحديث عن حياة الفقيد طالباً ثم دكتوراً صغيراً اختار مدنية أسيوط ميداناً لنشاطه . ولكنه لم يلبث أن انتقل إلى القاهرة إذ ذاع صيته وطبقت شهرته فافتتح مستشفى يحمل إسمه فى شارع الصنافيرى فلم يكن هذا المستشفى مجرد عيادة بل كان كذلك مجال خير عميم للتخفيف من ويلات الإنسانية وميدان نشاط ثقافى رائع إذ صدرت منه أول مجلة طبية وتم فيه إنشاء الجمعية الطبية المصرية ، على أن الفقيد ظل طول حياته رجل الإنسانية وخادمها ، فكان دائماً المجاهد فى مكافحة الأمراض المتوطنة والأمراض الوافدة ، وكان دائماً يعمل فى حرص بالغ على رفع صوت مصر فى المؤتمرات الدولية ، ثم كان إلى جانب عبقريته الطبية صاحب ذوق فنى وطبيعة جمال النفس وصفاء الذهن وقد تجلى هذا فى شغفه رحمه الله بالتحف النفيسة والآثار الغالية الجميلة

وألقى الأستاذ أحمد أمين بك كلمة التأبين للمغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق فقال : رحم الله صديقنا وزميلنا مصطفى فقد كان ممتازاً فى خلقه ؛ ممتازاً فى نفسه ؛ ممتازاً فى علمه ، أما امتيازه فى خلقه فقد نأى به عما يتخلق به أمثاله من أبناء الحسب والنسب والغنى والجاه فما بطر ولا تعجرف ، وأما امتيازه فى نفسه فأنه يتجلى فى جمعه بين القديم والجديد ، وكذلك امتيازه فى علمه فإنه يظهر فى أسلوبه الذى كان يؤثره واختيار اللفظ الأنيق فى تدبيج عبارته ؛ ثم تحدث عما كان يتحلى به من كرم النفس وسماحة اليد وبذل العون المحتاج ، وانتقل بعد ذلك فتحدث عن حياة الفقيد ونشأته الأولى فى كنف الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ثم تنقله بعد ذلك فى مدارج الحياة حتى انتهى إلى مشيخة الأزهر ثم قال إنه كان فى هذه المرحلة الأخيرة من حياته برما لما يحيط به من الصعاب فى القصد إلى إصلاح الأزهر ، وكان يطوى نفسه على كثير من الخير فى هذا السبيل لولا أن عاجلته المنية ...

رحم الله الفقيدين الجليلين اللذين خسرتهما مصر ، وخسرهما العلم ، وفقدتهما الإنسانية ...

« الجاحظ »




# المشكلة الألمانية

[ دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية ]

تأليف الأستاذ سامي عازر جبران المحامي

للاستاذ عبد الرحمن الرافعي بك

الأستاذ سامي عازر جبران محام شاب نابه لم يقصر نشاطه على المحاماة ؛ بل له في الصحف والمجلات — وفي المجتمعات أحياناً — بحوث في المسائل السياسية والاجتماعية لها طابع خاص من الدرس والتمحيص . ولعله اقتبس هذه الميزة عن والده المحامي الكبير الأستاذ عازر جبران، فقد كانت أحاديثه ومناقشاته في مجلس الشيوخ متسمة باتساع في الأفق وإحاطة بدقائق الموضوعات التي يطرقها . ولقد زاملته وزاملني في هذا المجلس وقتاً ما . ووددت لو استمرت هذه الزمالة . ولكن الحكومة لم تجدد تعيينه بعد انتهاء مدة عضويته . وهو ثالث ثلاثة كان عدم تجديد تعيينهم حجة لي على الذين يرمون هذا الشعب بأنه لا يحسن اختيار الأكفاء لتمثيله في انتخابات حرة . وقلت لهؤلاء اللائمين أن يخففوا من غلوائهم في تجريح الشعب . وضربت لهم الأمثلة على أن اختيار الحكومة أمعن في الخطأ وعدم تقدير الكفايات من اختيار الشعب إذا تركت له حريته في الانتخاب . ومن هذه الأمثلة عدم تجديدها تعيين ثلاثة من الشيوخ . منهم الأستاذ عازر جبران وسلم اللائمون بأن حجتي مقبولة بالنسبة لهؤلاء الثلاثة .

« المشكلة الألمانية » دراسة منسقة مستفيضة للأستاذ سامي أخرجها في كتاب متوسط الحجم . عالج فيه مسألة من أهم المسائل العالمية التي تشغل أفكار الناس كافة . وهي الطريقة التي يحسن أن تعامل بها ألمانيا بعد هزيمتها في الحرب الأخيرة . وقد طرق المؤلف هذا الموضوع من شتى نواحيه . وعرضه على القارىء عرضاً شائقاً ، وقرن كل دراسة لفصوله بالرأي الذي يرتئيه . ويبدو لمن يقرأ الكتاب أن مؤلفه درس المسائل التي عرض لها دراسة مستفيضة . وأحاط بالبحوث التي أخرجها علماء السياسة وأقطابها . فجاء كتابه ثمرة طيبة للدراسات وتأملات عميقة . وفي الحق أن القارىء لهذه الدراسات يسره أن يرى فيها وفي مثلها صورة من جهود الشباب في نشر الثقافة السياسية والاجتماعية بطريقة علمية تأليفية .

ولا يرى الأستاذ سامي أخذ ألمانيا بالشدة المتناهية في الانتقام وساق على ذلك أدلة مقنعة ، أهمها أن المعاملة الصارمة التي عوملت بها عقب الحرب العالمية الأولى كانت من العناصر التي ولدت الحرب العالمية الثانية . وأن مسئولية الحربين لا يمكن أن تحصر في سياسة ألمانيا وحدها . وأن نظرية تفرد شعب بالذات بصفة الاعتداء والوحشية نظرية تعسفية ؛ لأن أصل شعوب الأرض واحد أياً كان ذلك الأصل . ولأن النازية «الوطنية الاشتراكية» هي سمة ألمانية للفاشية ، والفاشية لا هي بالألمانية ولا هي بالإيطالية ولا هي باليابانية ؛ ولكنها ظاهرة دولية انتشرت في مختلف بقاع العالم .

وساق الأستاذ سامي الأدلة على أن الشعب الألماني شعب مسالم بطبعه . لم يكن راغباً في الحرب بل كان يميل عنها وينفر منها . ولكن النازية هي التي دفعته إلى الحرب . فمن الإنصاف أن لا يؤاخذ الشعب بجريرة النازية . وأن مهمة الديمقراطية المنتصرة ليست في تحطيم الشعب الألماني بل في تحطيم النازية وحدها . أما إذا هي عملت على تحطيم الشعب الألماني فإن هذا سيثير في نفسه روح البغض والكراهية مما يمهد في المستقبل إلى حرب عالمية أخرى . وأن الاحتلال العسكري الطويل في ألمانيا يعطل الثورة الاجتماعية المرتقبة فيها والتي تميل بها إلى الديمقراطية .

ومن آرائه الموفقة قوله إنه لا يمكن أن نتصور أن أية محكمة دولية أو أية حكومة أوروبية يصح أن تكون أكثر من ستار شفاف لديكتاتورية يفرضونها على العالم ، وإن التاريخ يعلمنا أنه من النادر أن استعمل القوي قوته استعمالا محايداً للصالح العام ، وأن الحل الوحيد الحاسم يتلخص في تحويل ملكية القوات الحربية من ملكية الدول منفردة إلى ملكية دولية عامة . لأنه طالما أن كل دولة تملك قواتها الحربية وأسلحتها فسيظل «توازن القوى» هو الشغل الشاغل للسياسة الدولية .

وقارن الأستاذ سامي بين موقف المنتصرين في أعقاب الحرب

العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية ، وموقفهم فى مؤتمر فينا سنة ١٨١٤ — ١٨١٥ عقب سقوط نابليون وانتصار الحلفاء على فرنسا وقتئذ ، وكيف عوملت فرنسا معاملة معتدلة فقبلت شروط الصلح ونفذتها راضية دون أن تفكر فى الانقضاض عليها ، فلم تنشب فى أوروبا حرب عالية كبرى زهاء مائة عام . على عكس ما وقع فى مؤتمر فرساى سنة ١٩١٩ فإن شروط المنتصرين القاسية مع ألمانيا جعلت الحرب العالمية الثانية تقوم قبل انقضاء ربع قرن على الحرب العالمية الأولى .

وبعد فإنى أهنىء الأستاذ سامى عازر جبران بهذا الكتاب القيم . وبهذا الجهد الموفق فى البحث والتفكير ، والعرض والتحليل وحسن الأداء . وأرجو له المزيد فى الإنتاج والتأليف .

عبد الرحمن الرافعى

## معجم ادباء الأطباء

### تأليف الأستاذ الباحث محمد الخليلى

موضوع هذا الكتاب يقتصر على طائفة خاصة من الأعلام هم أدباء الأطباء ، والعلاقة بين الأدب والطب علاقة وثيقة ، وكثيرون هم الذين نبغوا فى الناحيتين وبرزوا فى الصناعتين ، وقد كان العرب يعتبرون الطب أحد فروع الأدب ، وكانت الموسيقا وكل وسائل الطرب مما يستخدمه الأطباء فى مهنتهم ، ونظراً لأن آثار هؤلاء الأطباء الأدباء قد تبعثرت فى بطون الكتب القديمة عنى الأستاذ محمد الخليلى من علماء النجف الأشرف بجمع تراجمهم وآثارهم فى معجم شامل أخرج الجزء الأول منه ، وهو الذى نقدمه اليوم إلى القراء .

وقد ترجم الباحث الفاضل فى معجمه هذا لسائر الأطباء الذين عرفوا بالأدب وكان لهم فيه أثر من شعر أو نثر ، سواء فى ذلك الذين نبغوا بالمشرق أو بالأندلس أو بشتى الأمصار والأقطار العربية وسواء فى ذلك الذين ظهروا فى الجاهلية أو فى صدر الإسلام أو فى العصر الحديث ، فأنت تقرأ فى هذا الجزء من المعجم مثلا ترجمة ابن حذيم التيمى الطبيب العربى الجاهلى إلى جانب تراجم الدكاترة ابراهيم ناجى وأحمد زكى أبو شادى وشبلى شميل من أبناء هذا العصر والمؤلف يوجز فى بعض التراجم ويفيض فى بعضها ، وذلك على حسب ما يقع له من المصادر ، وهو يعنى بإسناد كل رواية إلى صاحبها وكل ترجمة إلى مصادرها ، وذلك مظهر من مظاهر الأمانة العلمية ، وقد أورد التراجم على نسق الحروف الأبجدية ، وقسم معجمه إلى جزءين ، انتهى فى الجزء الأول الذى بين أيدينا إلى حرف العين ، على أن يستوفى البقية فى الجزء الثانى ، ونحن إذ نشكر للمؤلف النجفى الفاضل عمله الجليل ، ونطرى فكرته وجهده فى إخراج هذا المعجم المفيد نرجو أن يوفق لإصدار الجزء الثانى فى القريب .

## بين العلم والأدب

### تأليف الأستاذ قدرى حافظ طوقان

إذا تناول القارىء هذا الكتاب وهو من تأليف الأستاذ الباحث قدرى حافظ طوقان من أبناء فلسطين النابغين وجده حجة لأبناء الشرق العربى فيما كان لهم من مجد سالف وفيما أسدوا إلى المدنية والمعرفة من فضل سابغ ، فإن القسم الكبير من هذا الكتاب إنما هو فى بحث التراث العربى والمآثر العربية فى العلم والمعرفة وإطلاع أبناء العروبة على ما خلف آباؤهم من آثار نافعة يجب أن تكون ضمن أسلحتهم فى تحقيق رسالتهم القومية التى ينشدونها فى هذه الأيام .

ففى هذا الكتاب أحاديث ومقالات عن التراث العربى والحاجة إلى إحيائه ، والأدب والرياضيات ، والملاحة عند العرب ، وابن ماجد أسد البحر الهائج ، وبيت الأميرة والممهدون للاكتشاف والاختراع ، وإلى جانب هذا مقالات عن نيوتن والجمعيات العلمية فى انجلترا ، وحول القنبلة الذرية إلى غير ذلك من المقالات والفصول المختلفة التى تتقارب فى الموضوع والغرض . وقد سبق للاستاذ المؤلف أن نشر هذه المقالات وأذاع بعضها فى أحاديث الإذاعة ولكنه أحسن إذ جمعها فى سفر لتكون مرجعاً يسهل تناوله .

والواقع أننا فى نهضتنا قد عنينا بالدراسات الأدبية عناية واسعة ، ولكن عنايتنا بتراثنا العلمى وبالثقافة العلمية لا تزال ضئيلة فاتجاه الأستاذ قدرى إلى هذه الناحية اتجاه محمود نرجو أن يتسع أثره ويعم نفعه .

محمد فهمى عبد اللطيف

# البريد الأدبي

**العام والسنة :**

من أحمد بن يحيى إلى الأستاذ لطفي عثمان — من أين جاءهم أن ( السنة من أى يوم عددته إلى مثله والعام لا يكون إلا شتاء وصيفاً ) حتى كان ما على غلاف مجلة الهلال الغراء : ( أسست دار الهلال منذ نيف وخمسين عاماً ) خطأ والصواب ( أن يقال منذ خمسين سنة ) ؟!

وماذا يقولون فى قوله تعالى عن نوح ( فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ) ؟ هل يجب أن يكون استخدام العام بمعنى السنة أو أن تكون أعوام نوح مشتملة على شتاء كامل وصيف كامل بخلاف أعوام مجلة الهلال وأن يكون الاستثناء منقطعاً — هل يجب كل هذا ليصح قول أحمد بن يحيى فى الفرق بين السنة والعام ؟

وماذا يقولون أيضاً فى قوله تعالى ( أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مئة عام ثم بعثه . قال كم لبثت؟ قال لبثت يوماً أو بعض يوم، قال بل لبثت مئة عام ) ؟ أكان ابتداء الحساب مضبوطاً بحيث شمل كل عام صيفاً وشتاء أم هو عد من أى يوم إلى مثله ؟ أم أن السنة والعام لافرق بينهما وإن الصحيح هو مذهب العوام لا مذهب أحمد بن يحيى ؟

وما قيل فى هاتين الآيتين الكريمتين يقال فى قوله تعالى : ( وفصاله فى عامين ) ولا أحسب أن أحداً فهم من هذه الآية أنه إذا اتفق أن ولد المولود فى بعض شتاء أو بعض صيف أن يلغى هذا ويبدأ بحساب صيف كامل وشتاء كامل ليتحقق معنى العام بل الكل — كل من رأيت قوله من الفقهاء — يقول بأن مدة الرضاع سنتان أى ٢٤ شهراً ، وما الداعى لأن يقول عامين ويقصد سنتين إلا أن يكون العام هو السنة ؟ ويقال أيضاً فى سائر الآيات الكريمة التى ورد فيها ذكر العام .

**فلسطيني**

**فى اللغة :**

فى العدد ( ٧١٣ ) من « الرسالة » الغراء قصيدة للأستاذ محمد على مخلوف بعنوان « أوهام » يقول فى بيت منها :

وقلبيَ فى نهر الحياة سفينة ... تميد على صُم الصخور ولا ترسى

باستعمال الفعل ( ترسى ) فى آخر البيت بالياء بدل الواو ، إذ المعلوم أن الفعل ( رسا ) من باب عدا وسما أيضاً والمضارع منهما هو ( يرسو ) وليس يرسى بالياء كما ذكر الأستاذ .

ولا أظن القافية تسمح للأستاذ الشاعر بما أورده مخالفاً لقواعد اللغة ، وهى ثابتة .

هذا ، وللأستاذ « مخلوف » تحية الأديب ، والسلام .

**عدنان أسعد**

**جوائز فؤاد الأول وجوائز فاروق الأول :**

ذكرنا فى عدد مضى أن إرادة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول قد اقتضت أن تنشأ ثلاث جوائز مالية سنوية قيمة كل منها ألف جنيه يطلق عليها إسم ( جوائز فؤاد الأول ) وتخصص كل منها لصاحب أحسن عمل أو إنتاج فى الآداب والعلوم والقانون ، ويكون موعد منحها فى اليوم الثامن والعشرين من شهر أبريل من كل عام لمناسبة ذكرى وفاة المغفور له صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول . ورداً على هذه التحية الملكية الكريمة للعلم وأهله أنشأت وزارة المعارف ثلاث جوائز سنوية قيمة كل منها ألف جنيه تمنح لصاحب أحسن عمل أو إنتاج فى فرع من الفروع الرئيسية للعلوم وتسمى ( جوائز فاروق الأول ) ويكون موعد منحها فى اليوم الحادى عشر من شهر فبراير من كل عام ابتهاجاً بعيد الميلاد الملكي السعيد . وبمقتضى قرار وزير المعارف بتاريخ ١٩٤٦/٣/٢٧ تألفت برياسته لجنة لوضع شروط المسابقة ومنح الجوائز ، وقد اجتمعت اللجنة أربع جلسات وانتهت إلى إقرار الشروط التى ستعلنها على الناس . وقد انعقد إجماع اللجنة على أن الجوائز تهدف أول ما تهدف إلى العلم النافع فى الحياة المصرية اللازم لتطورها والذى يساعد على استثمار مصادر الثروة المصرية وزيادة الإنتاج .

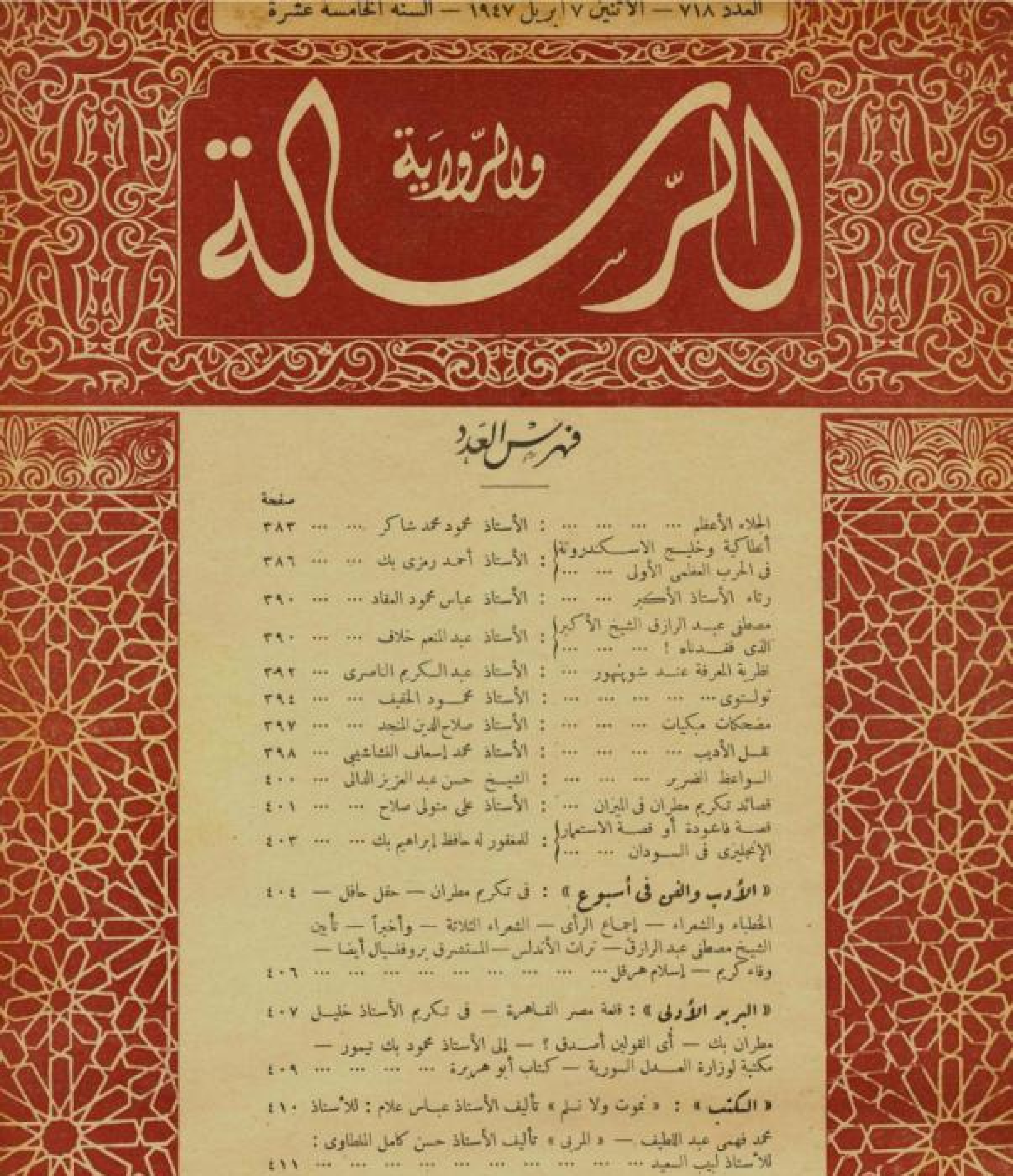
ولهذه الجوائز لجنة دائمة تؤلف من وزير المعارف رئيساً وستة أعضاء يمثلون الفروع المختلفة ، وتختار اللجنة الدائمة فى كل عام لجاناً لفحص الإنتاج المقدم فى كل مادة يعيّن أعضاؤها بقرار





مطبعة الرسالة

العدد ٧١٨ — الاثنين ٧ أبريل ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة



# الرسالة والرواية

## فهرس العدد


صفحة

الجلاء الأعظم ... ... ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ... ... ٣٨٣

أنطاكية وخليج الاسكندرونة في الحرب العظمى الأولى ... ... : الأستاذ أحمد رمزي بك ... ... ٣٨٦

رثاء الأستاذ الأكبر ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ... ... ٣٩٠

مصطفى عبد الرازق الشيخ الأكبر الذي فقدناه ! ... ... ... : الأستاذ عبد المنعم خلاف ... ... ٣٩٠

نظرية المعرفة عند شوبنهور ... : الأستاذ عبد الكريم الناصري ... ٣٩٢

تولستوي... ... ... ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ... ... ٣٩٤

مضحكات مبكيات ... ... ... : الأستاذ صلاح الدين المنجد ... ... ٣٩٧

نقل الأديب ... ... ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي ... ٣٩٨

السواعظ الضرير ... ... ... : الشيخ حسن عبد العزيز الدالي ... ٤٠٠

قصائد تكريم مطران في الميزان ... : الأستاذ على متولي صلاح ... ... ٤٠١

قصة فاشودة أو قصة الاستعمار الإنجليزي في السودان ... ... : للمغفور له حافظ إبراهيم بك ... ... ٤٠٣

« **الأدب والفن في أسبوع** » : في تكريم مطران — حفل حافل — ٤٠٤
الخطباء والشعراء — إجماع الرأي — الشعراء الثلاثة — وأخيراً — تأبين
الشيخ مصطفى عبد الرازق — تراث الأندلس — المستشرق بروفنسال أيضا —
وفاء كريم — إسلام هرقل ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٤٠٦

« **البريد الأدبي** » : لغة مصر القاهرة — في تكريم الأستاذ خليل ٤٠٧
مطران بك — أي القولين أصدق ؟ — إلى الأستاذ محمود بك تيمور —
مكتبة لوزارة العدل السورية — كتاب أبو هريرة ... ... ... ... ٤٠٩

« **الكتب** » : « نموت ولا نسلم » تأليف الأستاذ عباس علام : للأستاذ ٤١٠
محمد فهمي عبد اللطيف — « الرق » تأليف الأستاذ حسن كامل الملطاوي :
للأستاذ لبيب السعيد ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٤١١


مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧١٨ — الاثنين ٧ ابريل ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة




## فهرس العدد


| | | صفحة |
|---|---|---|
| الجلاء الأعظم ... ... ... ... | : الأستاذ محمود محمد شاكر ... | ٣٨٣ |
| أنطاكية وخليج الاسكندرونة في الحرب العظمى الأولى ... ... | : الأستاذ أحمد رمزي بك ... ... | ٣٨٦ |
| رثاء الأستاذ الأكبر ... ... | : الأستاذ عباس محمود العقاد ... ... | ٣٩٠ |
| مصطفى عبد الرازق الشيخ الأكبر الذي فقدناه ! ... ... | : الأستاذ عبد المنعم خلاف ... ... | ٣٩٠ |
| نظرية المعرفة عند شوبنهور ... | : الأستاذ عبد الكريم الناصري ... | ٣٩٢ |
| تولستوي... ... ... ... ... | : الأستاذ محمود الخفيف ... ... | ٣٩٤ |
| مضحكات مبكيات ... ... ... | : الأستاذ صلاح الدين المنجد ... | ٣٩٧ |
| نقل الأديب ... ... ... ... | : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي ... | ٣٩٨ |
| الواعظ الضرير ... ... ... | : الشيخ حسن عبد العزيز الدالي ... | ٤٠٠ |
| قصائد تكريم مطران في الميزان ... | : الأستاذ على متولى صلاح ... ... | ٤٠١ |
| قصة فاشودة أو قصة الاستعمار الإنجليزي في السودان ... ... | : للمغفور له حافظ إبراهيم بك ... ... | ٤٠٢ |

« الأدب والفن في أسبوع » : في تكريم مطران — حفل حافل — ٤٠٤
الخطباء والشعراء — إجماع الرأي — الشعراء الثلاثة — وأخيراً — تأبين الشيخ مصطفى عبد الرازق — تراث الأندلس — المستشرق بروفنسيال أيضاً — وفاء كريم — إسلام هرقل ... ... ... ... ... ... ... ... ٤٠٦

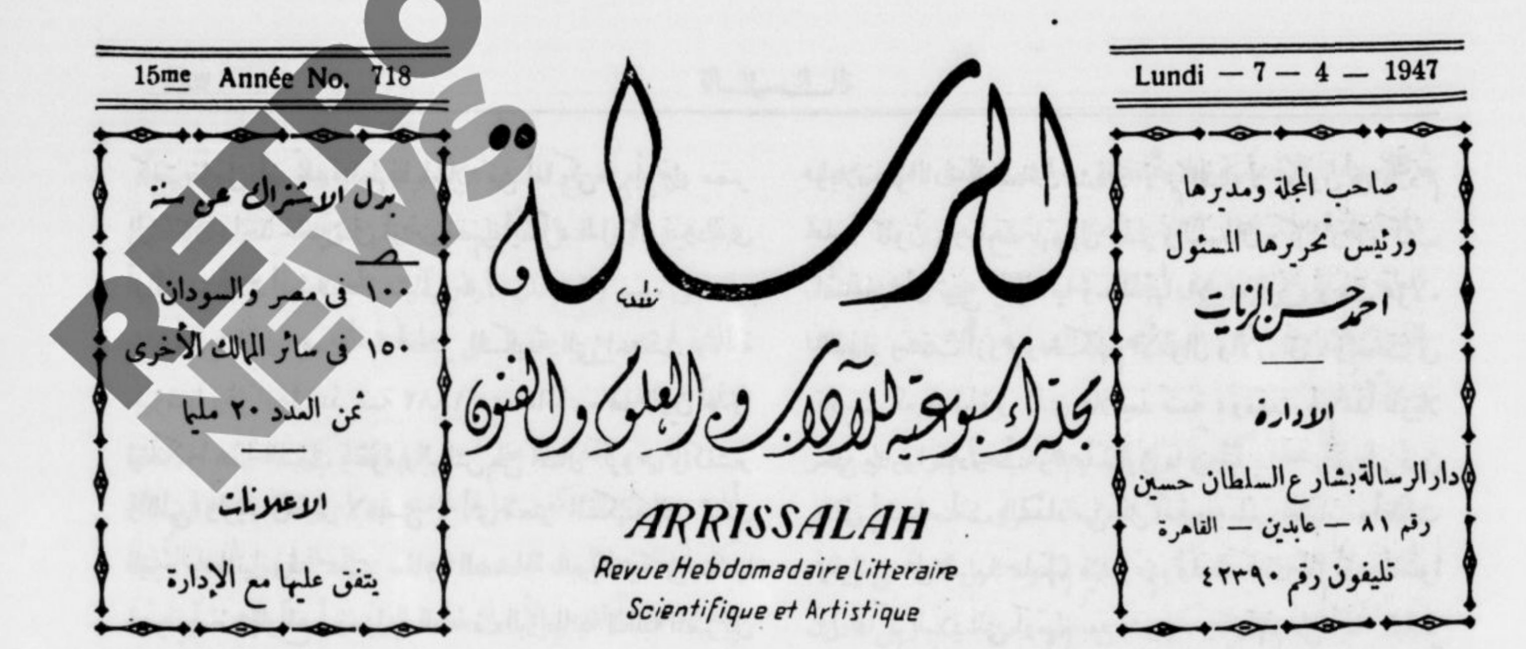
« البريد الأدبي » : قلعة مصر القاهرة — في تكريم الأستاذ خليل مطران بك — أي القولين أصدق ؟ — إلى الأستاذ محمود بك تيمور — مكتبة لوزارة العدل السورية — كتاب أبو هريرة ... ... ... ... ٤٠٧ - ٤٠٩

« الكتب » : « نموت ولا نسلم » تأليف الأستاذ عباس علام : للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف — « المربي » تأليف الأستاذ حسن كامل الملطاوي : للأستاذ لبيب السعيد ... ... ... ... ... ... ... ... ٤١٠ - ٤١١


٢٨ ٥ ٢٨

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون




15me Année No. 718 — Lundi — 7 — 4 — 1947
الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique
صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠
بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧١٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ جمادي الأولى سنة ١٣٦٦ — ٧ أبريل سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

# الجـلاء الأعظم

للأستاذ محمود محمد شاكر

أكتب هذا وكُلّ ذرة فى ثَرَى مصر وفى جَوّها وفى مائها تتلفّتُ حَوَاليها لتنظُر إلى الضجّة التى خفقت فى جنبات الأرض المصرية لليوم المشهود — يوم الجلاء عن مُدُنِ الوجهين القبلى والبحرى إلا ما استثنته بريطانيا غصباً وافتئاتاً.

نعم هو الجلاء — جلاء الجندى المتغطرس الذى كان يمشى على أديم مصر تيّاهاً مستكبراً متعالياً ليذلّ الشّعب الذى احتقره وازدراه على قوّته وعلى سلطانه، ولم يعبأ به ولا بثيابه ولا بكبريائه. وكيف يفعل ذلك وهو الشعب الفقير الذى يسير فى الطريق حافياً فى أسمالٍ؟ وكيف يفعل ذلك وهو الجاهلُ الذى لا يقرأ ولا يكتبُ ولا يعلمُ من أمر الدّنيا إلاّ ماحضر بين يديه؟ وكيف يفعل ذلك وهو الشعب الذى هَزَمته بريطانيا فى موقعة التل الكبير سنة ١٨٨٢، ثم انساحت جيوشها فى أرضه تأخذُ ما تأخذ وتدعُ ما تدعُ وهو ساكنٌ قارٌّ راضٍ بالمذلّة التى كتبها الله عليه؟ هكذا كانَ يمشى كل جندى بريطانى على أرضِ مصر وهو يحدّث نَفسه بهذا كله، والمصرىّ ينظر إليه نظرةً ليس فيها الحقدُ ولكن فيها الاحتقارُ، ويبتسمُ إليه ابتسامة ليس فيها الرضى ولكن فيها السخريةُ، ويصافحه مصافحة ليس فيها الترحيب ولكن فيها الإيمان بأن الذى أمامه إنسانٌ مغرورٌ يظنُّ أن الدنيا باقيةٌ له، وهى الدنيا التى تداولتها من قبله القرون والأمم فزالوا وبادوا، ونالها من بعدهم من كانوا لهم تبعاً أوعبيداً.

هكذا كان ينظر الشعبُ الجاهل الفقير المهزوم بزعمهم نظرة الفيلسوف الذى قَنِع بما عنده فاستغنى عما عند الناسِ، شعب فقيرٌ ولكنه عزيزٌ، شعب جاهل ولكنه مؤمنٌ، شعب مهزوم ولكنه مترفعٌ عن دنايا الأخلاقِ.

* * *

نعم هذا الجلاء، ولكن هل يقنع هذا الشعب به؟ وهل يزيلُه الفرحُ بما تمّ عن الهدَفِ الذى رَقِى إليه؟ إنّ بريطانيا قد علمتْ أن لا قِبَل لها بإبقاء جنودها مفرقةً فى مُدُنِ مصر فتكون قَذى فى العيون يحدث آلاماً تنبه النفوس يوماً بعد يوم إلى عُدوانها وبغيها، فآثرتْ أن تحمل جنودها وتجمعهم فى مكانٍ بعيد عن عيون الشعب، تريدُ أن تجعل مثل هذا العبث مِنّةً يحملها الشعبُ المصرى، فيكفّ عن مطالبتها وعن كشف عيوبها وسيئاتها وخَبَثها. فلما رأت أن هذا الشعب العجيب قد فرح بجلائها عن بعض أرضه، ولكنه لم يكفّ عن مطالبتها، ولاعن إماطة اللثامِ عن رذائلها، قامت صُحُفها تزعم أن الصحف المصرية قد شنّت على بريطانيا « حملة سِبَاب » فى نفس المكان الذى أشارت فيه إلى مسألة الجلاء إشارة عابرة. وهذا دليلٌ على أن موقف الشعب قد غاظها غيظاً شديداً وأنها

كانت تؤمل أن تخدعنا بهذا الجلاء من أماكن فى أرض مصر إلى مكان واحد حصين فى أرض مصر أيضاً ، فلما كان غير الذى أرادت زعمت أنها « حملة سباب » .

ومن الذى يسب ؟ أمصر المسكينة التى احتملت وقاحة جيوشها وقوادها منذ سنة ١٨٨٢ ، وصفاقة رجالها الذين جاءوا ليحكموا هذا الشعب بالقوة والبطش من أمثال كرومر وكتشنر واللنبى ولويد ومايلز لامبسن ؟ أهى مصر المسكينة التى تسب اليوم بريطانيا وقد سمعت سفاهة الصحافة البريطانية على شعبها وهو يوصف بالرعاع ، وسباب الصحف البريطانية للطلبة المصريين الذين كانوا يخرجون من مدارسهم للجهاد فى سبيل وطنهم وبلادهم

إن مصر حين تصف أعمال بريطانيا بالسفاهة والوقاحة والصفاقة — لاتسب بل تقرر حقائق وتسميها بأسمائها التى خلقت لها ، ولم تخرج فى ذلك عما وصفها الرجال المحايدون الذين وقفوا ينظرون إلى أعمال بريطانيا فى مصر والسودان . فالشعب المصرى لا يسب بريطانيا وإنما تسبُّها أفعالها وأفعالُ رجالها . وإذا أرادت بريطانيا أن لا تسمعَ المسبّة من الشعب المصرى ومن سواه فى أقطار الأرض ، فلتقلع عن سياستها التى توجب لها هذه الصفات ، والتى تدفع أمماً كثيرة غير مصر والسودان إلى أن تصفها بأشد مما وصفتها به مصر والسودان .

والعداوة التى بيننا وبين بريطانيا قائمة ما بقى فى أرض مصر من منبع النيل إلى مصبه جندى بريطانى واحد ، ولن نكفّ عن عداوتها وعن ذكر سيئاتها إلا إذا جلت جلاء تاماً عن كل مكان انتزعته من بلاد مصر والسودان بالكذب والمكر والخديعة والتدليس ، ولن تكفّ ألسنة مصر عن وصف أعمال بريطانيا بأسمائها التى خلقت لها إلا إذا كفّت هى عن عدوانها وأعطت كل ذى حق حقه . إنها عداوة باقية بيننا وبينها حتى تدعَ لنا أرضنا ، وتدع للعراق أرضه ، وتدعَ لفلسطين العربية أرضها ، وتقاوم معنا كل باغٍ أعانته هى فيما مضى على بغيه وعدوانه ، كالذى كان من أمرها فى مسألة تونس ومراكش والجزائر وليبية وبلاد إفريقية التى أطلقت فيها يدَ فرنسا وإيطاليا ليطلقوا لها يدَها فى مصر وفى سوى مصر .

بل إن جلاء الجنودِ البريطانية لن يكفى وحده أن يكون مدعاة لنسيان تاريخ بريطانيا وأفعالها . لقد دخلت بريطانيا بلادنا وبلاد سوانا ، فاستمانت بشذاذ الأمم الذى لا يجدون فى بلادهم ما يأ كلون ، وجاءت بهم إلى مصر والسودان وكل أرض كتب الله عليها أن تبتلى ببريطانيا وسياستها الاستعمارية ، وحت هؤلاء الشذاذ وشدت أزرهم وملكتهم الأموال والأرزاق ، ونفخت فى قلوبهم كبرياء الحقير الذى علا بعد ضعة ، ومدت لهم مداً طويلا حتى صاروا سادة علينا وهم يأخذون ما فى أيدينا — أى يسرقون ما فى أيدينا . أتت بالشذاذ من كل أمة وجملتهم جاليات وأقليات وفرضت على نفسها حمايتهم فيما تزعم ، واستنكفت لهم أن يتقاضوا فى محاكم البلاد التى آوتهم بعد تشرد ، وميزتهم عن أبناء البلاد فى كل شىء حتى فى معاملاتها التجارية . حتى صارت لهم قوة المال وفجور المال وطغيان المال ، فعاثوا فى الأرض فساداً ، يفسدون بيوتنا ، ويتعالَوْن عنا ، ويحتقرون أبناءنا ورجالنا ، ويسخرون من آدابنا وعقائدنا . ويطعنون فى أخلاقنا ، ويشتموننا فى الطرقات وهم فى حمى بريطانيا ذات المجد والشرف ! !

وأكبر من ذلك أنها حمت هؤلاء الشذاذ حماية أخرى ليكونوا لها جنوداً فى ثياب مدنية ، فأقطعتهم المدارس ينشئونها حيث يشاؤون ، وجاءت بدنلوب ليضرب التعليم المصرى ضربات قاضية لا تزال إلى اليوم باقية لا تدرى وزارة المعارف كيف تخلص منها . وإذا هذه المدارس تأخذ أبناءنا من بيوتنا ، فتضمهم بين جدرانها ، وتنفث فيهم سمَّها ، وتحقّر لهؤلاء الصغار بلادهم وأهلهم ، وتمتهن لغتهم حتى كانت تمنع طلبتها عن أن يتكلموا بالعربية بتة ، ولا فى أوقات الفسحة ما بين الدروس ، فإذ فعل ذلك طفل منهم عوقب أشد العقاب ، وداروا به على الفصول كأنه مجرم قد ارتكب أشنع جريمة يعاقب عليها القانون . وبقيت بريطانيا الممثلة فى دنلوب ونظام دنلوب ورجال دنلوب تحمى هذا الوباء وهذا البلاء حتى استفحل ، وخرج جيل من أبناء مصر نفسها ينظر إلى بلاده كأنها أرض غريبة يحتقرها كما رأى أستاذه الأجنبى يحتقرها ، وكما رأى زميله الأجنبى يزدريها .

وأكبر من ذلك أيضاً أنها أخذت هؤلاء المساكين الذين أضلّتهم مدارسهم الأجنبية فآوتهم ونصرتهم ثم مكّنت لهم ، وصاروا لها أشياعاً يثنون عليها ويفضلونها على سائر أهل الأرض ، وعلى أهل بلادهم . واتخذوا لذلك كل أسلوب يدل اتخاذه على أن بريطانيا لا تتورع عن أن تجعل أخسّ الطبائع البشرية

والشهوات الإنسانية سلاحاً تقاتل به الشعب الذى اعتدت عليه واستبدت به . فصار الشعب المصرى يسمع مصرياً مثله يبسط لسانه فى تاريخ شعبه وفى أخلاق شعبه غافلا عن السبب الأول الذى كان داعياً إلى انهيار هـذا الشعب ، ألا وهو بريطانيا وشذّاذها .

فـكل هذا وكثير سواه كان احتلالا أدبياً ضرب على مصر والسودان كما ضرب عليها الاحتلال العسكرى ، فنحن لن نكتفى بأن يزول الاحتلال العسكرى بجلاء الجنود ؛ بل لابد من إجلاء ما ورّثناه الاحتلال العسكرى من نُظم ومن شيع ومن عادات ومن أخلاق ؛ حتى لا يكون المصرى والسودانى غريباً فى بلاده ، ممتهناً فى أرضه ، مضروباً بالفقر والجهل والهزيمة فى دياره .

ذلك هو يوم الجلاء الأعظم : يوم يعود إلينا أخونا المصرى السودانى المقيم فى بريطانيا « يعقوب عثمان » ليقول لبلاده إنى أخطأت فاغفرى لى زلتى وتجاوزى عن خطيئتى ، ويوم يخلع الشباب المصرى السودانى من فتيان وفتيات كل الزينة التى أضفتها عليهم مدارس الليسيه الفرنسية ، وفـكتوريا الانجليزية ، والمدارس الأمريكية ، ويخرجوا إلى أهليهم خاشعين خاضعين نادمين يعتذرون من الآثام التى ألموا بها أوقارفوها فى حق بلادهم وفى حق آبائهم وأمهاتهم وإخوانهم وأخواتهم وأسلافهم وأعقابهم .

بل يوم يخرج المهدى عن أمواله لمصر والسودان ، ويعفّر وجهه فى ثرى النيل الأعظم ، ويستغفر الله مما كسب من الإثم فى حق مصر والسودان ، أرض آبائه وأجداده ؛ بل فى حق أبيه الذى لم تتورع بريطانيا عن إهانة عظامه وهو ميت لا يملك دفعاً عن نفسه .

إنه يوم الجلاء الأعظم — يوم يقف كل مصرى سودانى أيامه وساعاته للتكفير عما فرط منه ، ويوم يعمل جاهداً فى إزالة كل أثر للاحتلال فى نفسه ، ويوم يخرج إلى الطريق ليميط الأذى عنه استعداداً لمقدمِ الأجيال الحرة التى ترث أرضاً طاهرة لم تلوثها غفـلة القرون الماضية أو ضعفها أو استكانتها أو رضاها بالذل والمهانة طمعاً فى مال زائل ومجد حائل .

إنه يوم الجلاء الأعظم ، يوم لا يسمع ثرى مصر لساناً أعجمياً من أهله أو من غير أهله ينطق بغير اللغة التى ينطقها الشعب المصرى السودانى ، ويوم لا يخرج المصرى السودانىّ فتتحداه تلك الطوائف من شذّاذ الأمم ناطقة بغير لسانه وساخرة من لسانه .

إنه يوم الجلاء الأعظم ، يوم يستطيع المصرى السودانى أن يقف على ثرى أرضه مطمئناً لأنه حرٌ من أحرار ، وينظر حوله متلفتاً يمنة ويسرة فلا يرى إلا وجوهاً عربية وبلاداً عربية تضم الأحرار أبناء الأحرار .

محمود محمد شاكر

---

من صفحات مطوية:

# أنطاكية وخليج الاسكندرونة

## فى الحرب العظمى الأولى

للأستاذ أحمد رمزى بك

ينعم المرء بمناظر رائعة إذا كان على ظهر باخرة تسير على مقربة من الساحل الشرقى للبحر الأبيض المتوسط ، إذ تظهر جبال لبنان والعلويين أمام ناظريه وتحتها الرابى متقاربة متشابهة ؛ فإذا جن الليل تبدو أنوار القرى المتناثرة على سفوح الجبال وهى تتلألأ فى الظلام . إنه منظر يوحى لراكب البحر فى ظلمات الليل البهيم شعور الأمن والاطمئنان ، فتزول من نفسه مخاوف البحر ومخاطره . فإن وصلت إلى خليج الإسكندرونة وجدت البحر يغزو الأرض ويبدو هذا الجزء منه كأنه بحيرة تحيط بها الجبال من ثلاث جهات ، ووراءها قمم عالية شامخة كأنها تناطح السماء : هذه جبال اللكام عند العرب وأمانوس عند الفرنجة وطوروس وجبال الكفرة ، كاورطاغى ، عند الأتراك .

ولقد كنت مسافراً مرة فى أواسط الأناضول فبلغت مدينة قيصرية، وهى التى فتحها ملكنا الظاهر بيبرس ، وركبت القطار منها إلى الشام ، فوقف بنا عند مخرج نفق على جبال طوروس ، وكان على رأسه محطة أشاروا علىّ بالنزول فيها لآخذ منها القطار السريع . من هذه الرابية العالية رأيت البحر ممتداً من بعيد ، وكشفت سهول ولاية أضنة أو كيليكية ، كما تبدو للناظر إليها من نافذة طائرة محلقة فى السماء : قلت هذا هو أول ما تقع عليه أنظار كتائب الزاحفين من الشمال ، وهذا ما رآه جنود الصائفة والحمدانيين وعسكر مصر أيام ابن طولون وبيبرس وقلاوون فى عودتهم من حروب أرض الروم ، بل قل هذا أول مناظر الحياة التى لمحها الصليبيون فى زحفهم على سوريا بعد أيام الويل والحرمان التى ذاقوها فى أرباض آسيا الصغرى .

فإذا انحدرت من مضايق الجبال ودخلت السهل واتجهت إلى الساحل كان أول ما يلفت النظر هذه البحيرة التى تكوّن خليج الاسكندرونة ، لو رآها رجل البحر لقال عنها هذى أكبر مرافىء الشرق ، وتصورها الموئل الطبيعى لمئات السفن ، ولو نظر إليها رجل البر لقال هذا مركز من المراكز الممتازة فى العالم . فهنا التصق الخليج بالأرض وكونا فى التاريخ قطعة واحدة وأصبح لهما قصة واحدة : هى قصة تلك البقاع من الدنيا التى لها ذنب واحد هو ما حبتها به الطبيعة وجغرافية الأرض من مزايا .

هذى البقاع ليست كثيرة على الأرض ولكنها خلقت لتكون مسرحاً للمشاكل والمعارك والتصادم وتتابع الحوادث والخطوب . إن مثلها كمثل بعض الناس ممن يأتى إلى الدنيا ليثير ضجة بين الخلق من يوم مولده إلى يوم وفاته كأنهم جاءوا إلى الدنيا تحت طالع من طوالع الضجيج أو سوء الحظ ، كذلك هذه الرقعة من الماء والأرض والجبال ، أراها قد برزت للوجود تحت برج خاص من بروج السماء ، فحكمت عليها الأقدار أن تكون فريسة للطامعين من ذوى الغلبة والسلطان ، وموطناً للحروب والقتال ، وأن يكتب على أهلها تحمل مصائب الدهر من ضيق الحصار ونقص فى الأموال والأنفس ، وتحمل غضب الطبيعة فيما تثيره من أوبئة وزلازل ، وأن يكتب فى سجل القدر لهذه البقعة من الأرض فيقترن اسمها بالعز آناً وتعلو علواً كبيراً حتى تسمو على غيرها من بقاع الأرض ، ثم يلاحقها سوء الطالع فترى الأيام السود وتذوق الويل المرة بعد المرة حينما يطؤها الفاتحون والغزاة ، فتندك صروحها وتفنى بشاشة أهلها وتبكى نساؤها بكاء طويلا فى الليل كما يتحدث بذلك تاريخها فى أكثر من عشرين قرنا من الزمن ؟

وغريب أمر هذه البقعة : تقوم عليها الدنيات المختلفة وتتبادلها الشعوب ، وينطق أهلها بكل لسان ويفنى شعب بعد شعب على أرضها ولكنها تخرج من وسط النكبات والمصائب وهى باقية لن تبيد ، لأن الحياة لا تلبث أن تعود إليها . ولا تزال إلى اليوم إنطاكية وما حولها : ترى أسوارها القديمة وتلمس عظمتها الفانية . تراها صغيرة بجانب ما كانت عليه ، ومع هذا تشعرك بماضيها ومجدها ، وقد يدخل المرء مستهينا بها فيخرج منها

وهو حامل فى نفسه ما يدعو لا كبارها ، إن فيها سراً يجبر الناس على احترامها .

***

نعم لقد قدر لهذه البقعة من الأرض أن تبرز خلال العصور الماضية وأن يتحدث عنها الناس من أهل الشرق والغرب ، وسنبذل بعض الجهد لنأتى بشىء من ذكرها فى كل عصر من العصور السالفة وخصوصا ذلك العصر المملوء بالبطولة والكفاح : عصر الحروب الصليبية ، ونذكر ما حولها من حصون الافرنج وما أقيم أمامها من حصون المسلمين وقلاعهم والكتابة فى هذه الناحية من أحب الأشياء إلى من يؤمن بعظمة ماضينا ، ولكن هناك ناحية لا تزال خافية عن قراء العربية هى أهمية هذا الركن من العالم فى الحرب العظمى الأولى ، فقد بقيت منطقة أنطاكية وخليج الإسكندرونة بعيدة عن ميادين القتال ولم تغمرها الحوادث ولذلك لم يشتهر اسمها ولم يعلم الناس عنها إلا لما أثيرت مسائلها أمام عصبة الأمم وأخذت تتطور مشكلتها بين فرنسا وتركيا ثم أخيراً بين سوريا وتركيا .

ولهذه المنطقة تاريخ طويل فى مدة هذه الحرب وما تلاها من الحوادث ، سنعرضه ملخصا ما أمكن راجعين من النهاية إلى البداية :

حينما قامت الحركة التركية وحصلت حكومة أنقرة على الانتصارات الأولى على اليونان . أرسلت وفداً إلى باريس فى يولية سنة ١٩٢١ أخذ يفاوض الفرنسيين فى عدة مسائل ، وفى ٢٥ اكتوبر سنة ١٩٢١ عقد اتفاق أنقرة الأول وفيه سلمت فرنسا بالحدود التركية التى تبدأ من بياس إلى ميدان اكبس ثم تستمر على شريط سكة حديد بغداد ، وكان من ضمن ما اتفق عليه إقامة نظام إدارى خاص بسنجق الإسكندرونة واعتبار اللغة التركية لغة رسمية فيه .

جاء هذا الاتفاق عقب حرب بين الفرنسيين والأتراك دامت من يناير ١٩٢٠ إلى ١٩٢١ قال عنها الفرنسيون فى كتابهم عن تاريخ الشرق ما يأتى : « إنها حرب مقدسة وقومية اتسمت بالقسوة والعنف اللذين يتصف بهما أهل تلك البلاد وانها وافقت زمن غليان الحركة الكمالية التى استنفرت الأناضوليين فى وجه مشروع يشعر بتفكيك الوطن التركى »

ويتعجب صديقنا الأستاذ ادموند رباط فى كتابه بالفرنسية عن الوحدة السورية ويتساءل « كيف سلم الفرنسيون بعد معاركهم الطاحنة فى كيليكية وخسائرهم فيها بهذه الحدود ؟ ويقول إن فى ذلك سراً سيبقى أمام مؤرخى المستقبل من المعميات التى يجدون الصعاب لفهمها » .

أما نحن فلا نعجب وقد عرفنا النزاع والتنافس بين بريطانيا وفرنسا ، وإنما نتساءل ونقول للكاتب الفرنسى الذى ذكرنا نظريته فى المقالة الأولى : من كان يمثل دور الإمبراطورية الرومانية فى عام ١٩٢١ . بريطانيا أم فرنسا ؟

إن مثل هذه الأمور تأخذ وقتا طويلا لكى نكتشف تفاصيلها وما يلابسها من المعميات ، وقد يطرأ حادث طفيف يتمثل فى طلب احتلال الإسكندرونة وخليجها فينتج عنه أكبر الأمور ويعيد إلى ذكريات السياسيين مسائل ومشاكل بقيت لمدة طويلة طى الكتمان .

وهذا ما حدث فى عام ١٩١٨ ففى أكتوبر سلمت الدولة العثمانية وأمضت هدنة مدروس ، وكانت الجيوش التركية تحتل منطقة أنطاكية وتشرف على خليج الاسكندرونة وبقيت فى حوزتها بعد إمضاء هذه الهدنة ، ولما كانت شروطها تحتم إجلاء الجنود والضباط والقواد الألمان فقد تقرر سفر الجنرال فون ساندرس ومن معه ، وعليه تسلم القائد مصطفى كمال القيادة ، وقد فهم أمرين : الأول أن الهدنة عقد لوقف القتال بين المتحاربين وأن الأراضى التى فى حوزة الأتراك تبقى معهم لحين إمضاء معاهدة الصلح ، والثانى : أن خط الحدود لوطنه هو الذى أثبته الأتراك بقوة السلاح فى آخر معركة دارت مع الانجليز والهنود فى شمالى مدينة حلب عند انسحابهم منها وترتب على هذه المعركة إيقاف الزحف البريطانى على نقطة تبعد ثلاثين كيلو متراً من المدينة[٢] .

ويقرر فى مذكراته ومخابرته الرسمية أن هذا الخط من صنع يديه ، ولذلك تمسك به حتى النهاية فى مفاوضاته مع الفرنسيين ، ولم يكتف بذلك بل عارض قبل ذلك الحكومة المركزية حينما

---

(١) من أغرب تحكم الاقدار أن الأرض التى دارت عليها هذه المناوشة هى التى دارت عليها معركة ١٥١٧ بين المصريين والأتراك والتى فقدت فيها مصر ملك الشام ثم أصبحت ولاية عثمانية بعد ذلك ، ثم تبدأ فيها مقاومة الأتراك بعد هزائمهم لينتهوا إلى حركة التحرير التى أتموها تحت قيادة زعيمهم .

طلب الانجليز السماح لهم باستعمال خليج الاسكندرونة والميناء لتموين جيوشهم المحتلة لمدينة حلب ، وتبادل مع رئيس الوزارة مكاتبات فى منتهى الخطورة ، وكانت هذه الفترة موجهة له فى حياته المقبلة لأنه من تلك اللحظة بدأ يفكر فى تأليف جيش من شراذم الوحدات التى تحت قيادته ، حينما أقنعته الحوادث بأن إنقاذ البلاد يحتم مداومة القتال إلى النهاية .

فالمطالبة بتسليم ميناء الاسكندرونة كان معناه احتلال المنطقة ، وقد أثار هذا الطلب مخاوف الفرنسيين لما سيرد بعد ذلك من تفاصيل فى هذا البحث ، وأثار قلق القائد التركى الذى فسر احتلال هذه المنطقة كرغبة فى احتلال غيرها من الأراضى وأن هذا الطلب يهدم الشروط المتفق عليها . فلما طلبت منه الحكومة إجابة هذا الطلب أجابها بصراحة :

« أنا لا أتزحزح عن عقيدتى بوجوب تعيين وتحديد التضحية التى يمكن أن تبذلها الدولة بعد هزيمتها » ، وكتب إلى رئيس الوزارة « إن الانقياد إلى البريطانيين فى طلباتهم قبل إزالة ما فى نصوص المعاهدة من إبهام ولبس لا يبقى هناك وسيلة للوقوف أمام أطماعهم » .

كان الفرنسيون على علم بنيات البريطانيين وهم حلفاؤهم طول مدة الحرب ، وكان الأتراك على علم بما يدور حولهم وما يمكن أن يسببه لهم التساهل والإغضاء عن حقوقهم ، والآن وقد نشرت أغلب وثائق الحرب العظمى الأولى ، أصبح من السهل تتبع المركز الخطير الذى لعبته منطقة أنطاكية وخليج الاسكندرونة فى استراتيجية الحرب بين السنوات ١٩١٤ و ١٩١٨ .

وسوف نبدأ من الناحية التركية ثم ننتقل إلى وجهة النظر البريطانية : فى سنة ١٩١٦ تألفت مجموعة من الفرق أطلق عليها اسم مجموعة الصاعقة « يلدريم » وكانت حلب مركزاً لها وتولى قيادتها الماريشال فون فالكنهاين ومعه نخبة من رجال الجيش والبحرية والطيران ، ومن الاطلاع على التاريخ الرسمى الذى نشرته وزارة الحربية التركية فى نشراتها عن تاريخ الحرب ؛ يتبين أن القصد من تأليف هذه القوة هو السيطرة على ميادين القتال فى فلسطين والعراق ثم حماية منطقة أنطاكية وخليج الاسكندرونة ضد أى هجوم يشنه الحلفاء ويكون القصد منه قطع المواصلات العسكرية وعمليات تموين الجيوش فى أهم نقطة حساسة فى أراضى الامبراطورية العثمانية[1] .

ويؤكد هذا ما كتبه هندنبرج : « لو وفق الانجليز إلى إنزال جنودهم فى خليج الاسكندرونة لفقدت تركيا الحرب نهائياً أو اضطرت إلى الاحتماء فى جبال طوروس » ، وكان قد شبه فى مذكراته هذه المنطقة بالشريان الحيوى لتموين الجيوش التى تقاتل فى العراق وسوريا وفلسطين وقال : « إن مدافع السواحل لم يكن لها وجود » .

وأشار إلى ما قاله أنور باشا « من أن أمله الوحيد هو ألا يلمس العدو حالة الضعف التى عليها خليج الاسكندرونة » .

ولذلك ختم حديثه بقوله « إن قيام الدولة العثمانية أو استمرار الحرب كان مرتبطاً بمصير هذه البقعة ، وإن الضربات التى لقيتها بسقوط بغداد وتحطيم جبهة فلسطين جعل تجمع جيوش الصاعقة ضرورياً ، وألزم منه إسناد قيادة هذه المجموعة إلى قائد ألمانى معروف وهذا ما جعله يوافق على هذا التعيين » . ومن اطلاعك على ذلك يتضح ما مر بمخيلة مصطفى كمال حينما تمسك بشروط الهدنة ولمس فى الإخلال بها رغبة جديدة لاتخاذ سياسة أشد عداء لبلاده ، وقد كان محقاً فى ذلك لأن نيات البريطانيين من ناحية خليج الاسكندرونة لم تكن خافية طول مدة الحرب كما قلنا ؛

فقد ذكرت المؤلفات الرسمية لوزارة الحربية البريطانية عن تاريخ الحرب العظمى[1] ما دار من نقاش بين اللورد كتشنر والجنرال مكسويل فى نوفبر سنة ١٩١٤ بخصوص إنزال حملة بريطانية على خليج الاسكندرونة وتوجيه ضربة قاصمة إلى منطقة أنطاكية ونهاية الخطوط الحديدية فى جبال طوروس حتى يمكن تحطيم مواصلات الامبراطورية العثمانية .

وقد تبين من هذه المحادثات أن احتلال هذه المنطقة قد درسته القيادة البريطانية درساً وافياً ، وكان القصد من إنزال الجنود هو حماية مصر أو منع الحملة التركية الموجهة إلى مهاجمة قناة السويس من إتمام فتح مصر ، وكان هذا المشروع جدياً لدرجة أن نظر إلى الناحية السياسية التى ستنتج عنه وهى قيام ثورات الارمن ووسط قبائل النصيرية والاسماعيلية وتحريك كل ما يؤدى إلى انحلال الحكم التركى ، وقد عرض كل ذلك بموافقة الأميرالية البريطانية على مجلس الوزراء ، ولكن كتشنر عاد أمام أسباب عسكرية وسياسية إلى التمسك بضرورة حماية قناة السويس والوقوف موقفاً دفاعياً سلبياً والاكتفاء بتشديد الرقابة والحصار على شواطىء سوريا بأكملها ، وبادرت القيادة

(١) « يلدريم » أركان حربية عمومية تاريخ حرب تعزيابى .

(١) Offeial Hisaory of the Wor - Milflaey Oheratens

البريطانية بإرسال الفرق البريطانية والهندية التى صدت هجوم جمال باشا على مصر فى فبراير سنة ١٩١٥ .

ثم عادت حملة خليج الاسكندرونة إلى الظهور مرة أخرى ، وكان ذلك فى نهاية عام ١٩١٥ حينما فشلت بريطانيا فى حرب الدردنيل وقررت إخلاء شبه الجزيرة وسحب جنودها منها فقد جاء كتشنر بصفته وزيراً للحربية إلى ميادين القتال فى غاليبولى ومصر ولمس بنفسه سوء الحالة العسكرية قبل الإخلاء وما يحمله من تطورات ومفاجآت وأشار إلى رد الفعل الذى قد يحدث بعد فشل حملة الدردنيل فى العالم الإسلامى وإلى وجود عدد من الفرق التركية المدربة على أصول القتال الحديث بعد اشتباكها فى معارك الدردنيل ، ثم نظر إلى أن دخول بلغاريا الحرب قد فتح الطريق بين تركيا وألمانيا وأصبح تدفق الأسلحة والعتاد ممكناً ، ولذلك يجدد الخطر مرة أخرى على مصر وهى مركز الزاوية فى العمليات الحربية البريطانية ... وجاء التصريح الذى ألقاه أنور باشا أمام مجلس المبعوثين وقال فيه « إن الحملة الأولى على مصر كانت عملية استكشافية تعرضية وسيعقبها حملة ثانية لاسترجاع مصر » ، لتحريك هذه المخاوف .

ولذلك ازداد قلق ماكسويل وصارح وزارة الحربية البريطانية بأن إخلاء الدردنيل سيكون شديد الوطأة على المكلفين بحماية مصر وسيكون أثره بعيداً من الناحيتين السياسية والعسكرية إن لم تبادر بريطانيا بتوجيه ضربة عاجلة إلى الدولة العثمانية . وعاد ليعزز اقتراح كتشنر بضرورة إنزال حملة بريطانية على خليج الاسكندرونة بل ذهب فى تحمسه أن عرض على حكومته أن احتلال هذه المنطقة يجب أن يسبق عمليات الإخلاء فى الدردنيل.

ورجعت وزارة الحربية إلى دراسة هذه الحملة وقدرت القوات اللازمة بمائة ألف مقاتل وأخذت القيادة العليا مع قيادة الأسطول تضمان الخطط التفصيلية ، واتفق الطرفان على مبدأ الجمع بين المشكلة السورية ومسألة الدفاع عن مصر ، وضرورة تنسيق العمليات الحربية بين قناة السويس وخليج الاسكندرونة .

وعرضت جميع الخطط فى الاجتماع الحربى الذى عقده كتشنر فى جزيرة مدروس ودعى إليه كبار القواد ، وكان قرارهم على ضرورة احتلال منطقة الاسكندرونة بالاجماع حتى حددت فى هذا الاجتماع على الخرائط الأماكن الذى اختيرت لانزال الجنود ولكن هذا المشروع تعرض من الوجهة الفنية العسكرية لانتقاد رياسة أركان الحرب العامة للامبراطورية ، ودارت عدة مناقشات طويلة يجدها الباحث مفصلة فى الكتب والوثائق الرسمية ، وفى أثناء ذلك جاءت المذكرة الفرنسية التى قدمها الكولونيل دى بانوس الملحق العسكرى بسفارة فرنسا بلندرة ، وهى المذكرة التى قضت على المشروع لتعارضه مع مصالح الفرنسيين إذ جاء فيها إن أى عمل حربى فى هذه المنطقة يجب أن يكون باتفاق الحكومتين لأن فرنسا لا تدافع عن مصالحها الاقتصادية فحسب ، وإنما تضع الناحية السياسية والنفوذ الأدبى قبل كل اعتبار فى بلاد تعدها بواسطة الاتفاقات الدولية داخلة فى مناطق نفوذها

وذهب رئيس وزارة بريطانيا إلى باريس ولما عاد أصدرت الحكومة البريطانية قراراً برفض مشروع الحملة واستبعاد فكرة احتلال خليج الاسكندرونة ، وإن بقيت كل من تركيا وألمانيا تنتظران هذه الحملة حتى نهاية الحرب العظمى وإعلان الهدنة .

ذكر هندنبرج فى مذكراته أن أعباءه مدة الحرب لم تكن تسمح له بقراءة التقارير التى يرفعها إليه خبراؤه العسكريون فكان يكتفى بالملخصات ولكن لفت نظره ما جاء فى أحدها من أن نهاية الحرب سوف تقرر فى خليج الاسكندرونة ، وذلك باستدراج العدو إلى معركة فى كِلِّس .

قال « كنت أجهل هذا الإسم ، ولهذا كان أول عمل لى هو البحث عنه وقد وجدته اسماً لبلدة صغيرة فى شمالى حلب » .

ومن الغريب أن الانتقادات التى وجهها الخبراء البريطانيون إلى مشروع كتشنر ترتكز على افتراض تجمع فى هذه الناحية وقالوا إن طبيعة المنطقة بأكلها تساعد على إخفاء قوات كبيرة فى أماكن مختلفة وتسهل عمليات الدفاع والمفاجأة .

إن الفكرة التى نظر إليها باستهتار القائد الألمانى العظيم كانت من ضمن الأسباب الفنية التى أخرت تنفيذ هذه الحملة .

والآن وقد قامت سوريا تطالب بعودة هذه المنطقة إلى أراضيها نعرض هنا هذه الآراء على المهتمين بمستقبل الشرق وأممه إذ نستخلص منها حقيقة ثابتة هى أن الدفاع عن البحر الأبيض المتوسط سيتولاه فى المستقبل أهله ، وإنه لن يقتصر على المضايق وسواحل اليونان وجزر بحرإيجه بل يرتكز على منطقة الاسكندرونة وأن الدفاع عن وادى النيل كما رأينا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالدفاع عن هذه الناحية فى السنوات القادمة .

أما ملاحم العروبة والاسلام على هذه الأرض فلها عودة فى مقال قريب بإذن الله .

**أحمد رمزى**

# رثاء الأستاذ الأكبر

للاستاذ عباس محمود العقاد

عصف النعيّ بكل قلب خافق يوم استطار بنعي عبد الرازق
من راب سمع السامعين بخطبه وهو المعلّم كل علم صادق
ومن استقام على الفضيلة والتُّقى ورعى مع المخلوق حق الخالق
ومن ارتضى شيم الثبات لزيه ولرأيه ، ولكل سمت لائق
ومن اتقى حسد الحسود بخير ما يُرجى ويُحسد من نهى وخلائق
نظر" كسارى النجم مؤتلق على أدب كأفواف الربيع العابق
بلغ المدى فى الدين والدنيا معاً وعلا من الأحساب ذروة شاهق
أسفاً عليه ! وكم حزين آسف أسفى على ذاك المحيا الرائق
ماذا عليه لو استتم بقاءه كتمامه فى كل وصف فائق
ذاك الذى كلت جوانب فضله وتناسقت فى الحسن أى تناسق

---

من مثل نابغة النوابغ مصطفى فى سابق من مجده أو لاحق
رجّاه والده الكريم لغاية حسنى ، فوفاها وفاء الواثق
ربّاه حِبراً للديانة فاستوى فى نخبة الأحبار أسبق سابق
ونماه فى حجر العبادة مسلماً فهدى الحجيج وحج كل منافق
وأعده للعلم فاستوفى به حظ العليم الفيلسوف الحاذق
وغذاه بالتبيان فانقادت له غرر اليراع بكل معنى شائق
وهداه للاحسان فهو وليه لماهد الإحسان غير مفارق
ورجاه للعلياء فاستبق الخطى سبق الكرام إلى المقام السامق
لا وانياً عنها ، ولا متعجلا فيها ، تعجّل مشفق من عائق
وكأنه وعد الأمين وفى به فطوى صحيفته كلمح البارق
لو لم يكن قدراً قضاه لما قضى كالنجم يرجع غارباً من شارق
إن المطالع لا يقر قرارها بعد التمام ، ولا تدوم لطارق

---

يا آخذاً من كل شىء صفوه بوركت من ذى معجزات خارق
حتى المحول بلغت غاية حظه عجباً ، وأنت من العلا فى حالق
لم ألق قبلك من نبيه آمن من شرة الباغى وغيظ الحانق
تلك المدامع ما امتزجن بدمعة من كاذب فى حزنه أو ماذق
ولتلك من رضوان ربك آية تخذت من الأجماع أصدق ناطق
فادخل حظيرته بخير خلائق مرضية منه وخير علائق
ما الموت يا كشاف كل حقيقة إلا حقائق حُجّبت بحقائق

# مصطفى عبد الرازق

## الشيخ الأكبر الذى فقدناه !

للأســـتاذ عبد المنعم خلاف

أيها الروح الزكى الكريم الذى حبسه الموت عن كل قلب عرفه كما يُحبس النسيمُ الرخىُّ عن قلب المحرور الظمآن !

أيها العقل الكبير الذى حول فى نفسه ما عرفه من هدى الدين وفلسفة الرأى الصحيح إلى حكمة الخلق الراجح واللفظ النزيه والعمل المبرور ، فلم ير فيه الناس ذلك التناقض البغيض بين حكمة القول وطيش العمل ، وعلم الدرس وجهل العيش ، بل رأوا دينه وعلمه وحكمته كماء الشجرة الطيبة يحييها ويجرى فيها عنصراً أصيلا يتحول لُباباً حياً وورقاً حريرياً ندياً وزهراً شذياً وثمراً شهياً يملأ الحواس والإدراك وحيه وتعبيره ، لا كالماء فى شجرة الحنظل يتحول فيها إلى مر زُعاق ، أو فى دم الأفعى يتحول إلى سم مَدُوف كما يتحول العلم فى بعض العقول !

ويا أيتها الواحة المخضلّة الوارفة التى كانت تعيش هادئة فى مَدِّ الرمال الطاغية ، رمال الخيلاء العلمية المزدهاة والتقعرات الكلامية الجوفاء ، والدعاوى العريضة والمزاعم المنادية على نفسها منادة المتاجر فى الأسواق !

ويا أيتها السكينة النفسية التى كانت تشع على من يقرب منها ألواناً من الرضى والطمأنينة ، وتدخله إلى رحاب عالم من السكون والصمت المتحدث !

ويا أيتها « القطعة الفنية » الباقية من الشرق الكريم فى وجوهه الحيية وألفاظه العفيفة وثيابه الساترة التى فيها شخصيته وأبوته ووقاره !

ويا أيتها الصوفية العقلية العملية التى تربى مُريدَها بالأدب الرفيع يتحلى به الكبير أمام الصغير فيأخذه عنه بدون قوالب ألفاظ وفلسفات ومجادلات ، بل بذلك السر الخفى الذى يعطيه الآباء الحكماء للأبناء !

ويا أيتها المكرمات التى لا حد لما كانت تبذله من جاهها ومالها وحسن إقبالها على المحتاجين إلى برها ، كأنها الينبوع الفياض فى هدوء بين قسوة الظروف وشح الأنفس !

ويا أيتها التقاليد الصالحة العارفة بما عند قومها من محامد ، فهى معتزة بها مستمسكة بعراها فى آداب البيت والزى واللهجة وإن اختلف الزمان واختلت الأوضاع وطغت عوامل التحلل من الواجبات والتقاليد الكريمة على البيوت والألسنة والحرمات !

ألا أيتها المعانى والعوالم التى كانت مجسمة فى هذا الجسم المهذب الحواشى الدمث الجوانب الذى كان الكمال والسمت يقيده فى الحركة واللفتة والكلمة ... هل يملك مثلى ممن كان يعيش معك فترات يجدد فيها ذكرى والده فى صورتك وروحك ويحيى الوفاء الذى كان بينكما ، إلا أن ينظر الآن من وراء الغيب إلى هذه الحفرة التى أسلموا إليها ذلك الجسم الزكى الحبيب الذى كان يحتلك أيتها المعانى ؟ ! وماذا يغنى النظر فى تلك الحفر التى مضى إليها كل من كان ويمضى إليها كل من هو كائن فى أبد الآبدين ؟ ! ... هل يغنى إلا الحسرة على الفقد وضياع ما فى يد الإنسانية من تلك المعانى العزيزة النفيسة التى هيهات أن تجتمع فى ذات إلا فى خطفات زمنية وذوات معدودة يجود بها الزمان على بخل وشذوذ ؟ إن هذه الذوات التى تجتمع فيها هذه الخلال إنما هى الكتب الحية والكلمات المجسمة التى تفسر الأفكار والأحلام التى يقرؤها القارئون فى عالم الكتب المسطورة فيظنونها مخلوقات من عالم الأطياف لا حياة لها على هذه الأرض حتى يروا النموذج فى شخص حى فيصدقوا ...

وكم يرى الناس من عالم يملأ طباق الفكر علماً ، ولكنه لا يملأ الفجوة الواعية الحساسة الصادقة فى النفس ! لأن علمه منفصل عن ذاته وحياته ، فهو فى فكره كالشىء المقتنى فى يده ، لم يجر من ذاته مجرى الدم فى قلبه والرأى فى عقله والخلق فى سلوكه فهو حقيق ألا يرى الناس فيه قدوة تهدى أرواحهم القلقة . وإنما ينظرون إلى علمه بإعجاب ، كإعجابهم بالشموذ أو الحاوى !

وكم رأى الناس من روحى لا يحسن الكلام ولكن يحسن السلوك والعمل وتفيض يداه بالخير وقلبه بالعطف فيكون فيه للناس علامة مشيرة أبداً إلى منطقة النجاة من لجج الوحل والدنس التى تقطع السبل على الرجل المتطهر ! فإذا اجتمع العلم والروح فى شخص كان فضل الله عليه عظيما ، فإذا كان ذلك على غنى وجاه لرجل يؤدى زكاة الغنى والجاه بالكيل الوافى كان ذلك فضلا عظيما مضاعفاً يعتبر نُدْرة تجمع عليها القلوب بالحمد .

أنا واثق أن كل فرد ممن اتصل بالفقيد يستطيع أن يسرد وقائع شخصية له من مكارم هذه الذات ، أدبية أو مادية ، ولذلك أقترح أن تدون هذه المكارم لتضم إلى المذخور المأثور عن أجواد العرب وساداتهم وعلماء المسلمين الأبرار ، فإن فى هذا التدوين ثروة تضاف إلى عبقرية الخلق التى هى أعظم العبقريات فى الإنسان على رغم ما يشاع عن عبقرية الفكر أو عبقرية الفن ، لأن عبقرية الخلُق هى (فن الحياة) الذى ينمو فى ظلاله الاجتماع الإنسانى بما فيه من نتاج فكرى وفنى وعملى ، فهى عبقرية أشبه شىء بالأمومة المضحية الفادية المعطية من غير أخذ . وهى عبقرية يختص الله بها قلوب طراز من الرجال يصح أن يسمى (الرجال الأمهات) ! لشدة حبهم لنفع الإنسانية وتفانيهم فى خدمتها وبرها.

أيها الروح الزكى الذى كان أباً وأخاً وصديقاً للجميع ؛ إن القوم اجتمعوا لا ليكرموا ذكراك ، فإنها عنصر من مكونات معنى الكرم ذاته فى أفهام الناس فى هذا العصر ... ولكنهم اجتمعوا ليكرموا أنفسهم بحديث ذكراك . ولو أرادوا أن يكرموك لأدركوا منك فى حياتك كامل ما أدركوه بعد فقدك ... ولكنهم اعتادوا مع الأسف الشديد ألا يكرموا الفضائل إلا بعد موت الفاضل ... لأن انتقال الموت يفجأهم ويفجعهم فيحسون أن الأرض تزلزل تحت أقدامهم بعد أن يتحطم قطب من أقطاب حياتهم عليها ... وكانوا يدورون حوله وهم لا يشعرون ...

فمتى ترشد الأمم الشرقية فتتمتع بثمارها الناضجة التى أودع الله فيها سر النوع البشرى قبل عطبها أو اختطافها ! لماذا لا ندرك منازلهم فى قلوبنا إلا بعد فقدهم ، لماذا لا نسرهم فى حياتهم بالاستجابة لداعية الخير فى نفوسهم حتى يمضوا مطمئنين إلى بقاء الخير والبر بعدهم ؟ لماذا لا تكون المدائح قبل المراثى ؟

ما أصدق تلك الكلمة التى قالها الأول :

لا أعرفنك بعد الموت تندبنى وفى حياتى ما زودتنى زادى !

وما أصدق قول الآخر :

ترى الفتى ينكر فضل الفتى ما دام حياً فإذا ما ذهب .
لج به الحرص على نكتة يكتبها عنه بماء الذهب !

فاللهم ارشدنا وبصرنا حتى ندرك أن أعظم ثروات الأمة هم رجالها الأفذاذ فى الخلق والعلم فننتفع بهم ونتمتع بعبقرياتهم ، ولا نضيعهم ثم نبكى عليهم !

روح الله روح الفقيد وأرواح أحبائه ، وأحسن العزاء فيه للجميع فإنه فقيد الجميع .

عبد المنعم خلاف

مراجعات في الفلسفة :

# نظرية المعرفة عند شوبنهور

للأستاذ عبد الكريم الناصري

– ٢ –

وللذهن وظيفة واحدة ، وهي معرفة « العلية » . ولكن العلية تفترض الزمان والمكان مقدماً ، وتفترضهما متلازمين متحدين . إذ ليست العلية مجرد توال للأشياء في الزمان ، وإنما هي هذا التوالي بالإشارة إلى موضع من المكان ؛ ولا هي مجرد وجود الأشياء في المكان ، وإنما هي هذا الوجود بالإشارة إلى لحظات الزمان . إن العلية هي «حاصل ضرب المكان في الزمان» وبهذه الوظيفة الواحدة ، أعني معرفة العلة من المعلول ، والمعلول من العلة ، يدرك الذهن العالم الواقعي . والمعلول هنا هو تأثرات « الموضوع المباشر » أي الجسم الحيوان ، ومهمة الذهن أن يحيل هذه التأثرات — التي نعطاها مباشرة — إلى عللها الخارجية ، وبذلك يتم إدراك هذه العلل كموضوعات ممتدة في المكان . وليست الإحالة المذكورة عملية تجريدية تصورية ، وإنما هي فعل مباشر ، فوري ، ضروري . ولولا الذهن ووظيفته ، لما أمكن الإنسان والحيوان أن يدركا العالم المادي القائم في المكان ، والمتغير في الزمان ، والمترابط برباط العلية ، بل لكانا يشعران شعوراً « نباتياً » غامضاً بتغيرات البدن ، وأحاسيسه المتوالية ، دون أن يكون لمثل هذا التوالي دلالة مفهومة ؛ وإنما تكتسب التغيرات المتعاقبة في « الزمان » معناها وترجع الأحاسيس مدركات حسية ، ممتدة في « المكان » ، بفضل الذهن ، حين ينتقل من الإحساس إلى علته ، أي الموضوع الخارجي ومن هنا فالعالم المادي « لا يوجد إلا بالنسبة إلى الذهن ، وبواسطة الذهن ، وفي الذهن » .

وتتدرج معرفة العلية من أبسط أشكالها ، وهو الإدراك الحسي ، أومعرفة الصلة العلية بين الموضوع المباشر[1] والموضوعات غير المباشرة المؤثرة فيه ، حتى أعلى درجات الروابط العلية القائمة بين الموضوعات غير المباشرة ، وينتظم ذلك استكشاف القوانين الطبيعية ؛ فإن هذا كله من عمل الذهن والعيان ، وليس من عمل العقل والتصور ، وما المجردات في الواقع إلا انعكاسات باهتة لعالم الحس والعيان .

* * *

ولكن إذا كان الإدراك يحصل عن طريق معرفة العلية ، فليس معنى ذلك ، فيما يرى شوبنهاور ، أن صلة الذات بالموضوع صلة علة بمعلول ؛ لأن هذه الصلة لا تقوم إلا بين الموضوع المباشر والموضوعات غير المباشرة أي بين « الموضوعات » وحدها — وليست تعدو الموضوعات إلى الذات . ومن ثم لا يجوز لنا أن نعتبر الموضوع معلولا للذات ، ولا الذات معلولة للموضوع . إن العلية هي شرط إمكان وجود « الموضوع » ، وصورته العامة ولكن الموضوع يفترض الذات مقدماً أو ضمناً ، إذ لا موضع بغير ذات تدركه ، فإذا كان ثمت موضوع ، فهناك بالضرورة ذات . وبعكس ذلك يقال ، إن الذات تتضمن وجود الموضوع فلا ذات بغير موضوع ، ولا عارف بغير معروف . وبذلك يكون ازدواج الذات والموضوع أعم صورة لعالم « الفكرة » . إنه أعم من الزمان والمكان والعلية ، لأن كل هذه الصور تتضمن النسبة إلى الذات . لا شيء في هذا العالم إلا وهو — أولا وقبل كل اعتبار — موضوع بالنسبة إلى ذات ، أو هو « فكرة » . ومن هنا فليس للعالم المحسوس واقمية « متعالية » أو مطلقة ، ولكن هذا لاينفي واقميته « التجريبية » ، أو النسبية . ولكل كائن مدرك أن يقول : « إن العالم فكرتي » ، وإن كان الانسان وحده قادراً على تصور هذه الحقيقة في وعيه المروي المجرد . « وهو إن يفعل ذلك حقاً » كما يقول شوبنهاور في أول أثره الرئيسي ،

(١) شوبنهاور يسمي الجسم الحيواني « بالموضوع المباشر » لأننا نعرف ( أو بالأحرى نحس ) تأثراته مباشرة ، وهي كما رأينا نقطة البدء في إدراكنا الموضوعات الحسية ، التي يصح أن تدعى — لهذا الاعتبار — موضوعات غير مباشرة للذات . على أن من الواجب أن نلاحظ أن وصفنا = البدن بالموضوع « المباشر » وصف غير دقيق لأننا قد تجوزنا في التعبير فأسمينا مجرد الاحساس ( الذي يحدث لذة أو ألماً ، أي الذي يوجد بالنسبة إلى المعرفة فقط دون الارادة ) فكرة ، مع أنه لا يكون فكرة مدركة حقاً إلا بعد أن يعمل الزمن فيه عمله ؛ لأن الذي يدرك هو الزمن وحده ، لا الحساسية . ومعنى هنا أن البدن ، باعتباره فكرة قائمة في المكان ، لا يعرف إلا بطريق غير مباشر ، كالشأن في سائر الموضوعات ، وذلك بعد تطبيق قانون العلية على فعل جزء من أجزاء البدن في جزء آخر ، كان تبصره العين أو تلمسه اليد .

« يكون قد بلغ الحكمة الفلسفية . وعندئذ يتضح له ويتيقن عنده أن مايعرفه ليس شمساً ولا أرضاً ، وإنما هو عين ترى شمساً ويد تحس أرضاً ، وأن العالم الذي يحيط به لا يوجد إلا بالنسبة إلى شيء آخر ، هو الوعي . » . وإذا كان ههنا حقيقة يمكن أن تقرر مقدماً أو « قبلياً » — أي قبل كل تجربة — فهي هذه الحقيقة ، لأنها « تعبر عن أعم صورة لكل تجربة ممكنة ومتصورة صورة هي أعم في الزمان ، والمكان ، والعلية ، لأن هذه الصور جميعاً تفترضها مقدماً ... إن ازدواج الموضوع ، والذات هو الصورة المشتركة بين جميع أصناف الفكرات ، هو الصورة التي بمقتضاها وحدها يمكن أن تقوم أو تتصور أية فكرة ، أيَّاما كان نوعها ، مجردة أو عيانية ، خالصة أو تجريبية . ما من حقيقة إذن أكثر يقيناً ، وأكثر استقلالا عن سائر الحقائق ، وأقل حاجة إلى الدليل من هذه الحقيقة ، وهي أن كل ما يوجد بالنسبة إلى المعرفة ، وبالتالي هذا العالم كله ، فانما هو موضوع بالنسبة إلى ذات ، إدراك مدرك ، وبالإيجاز فكرة » .

الذات والموضوع إذن هما قطبا عالم الفكرة ، وشطراه الضروريان . والذات هي « ذلك الذي يعرف كل شيء ، وليس يعرفه شيء » ، وهي لذلك حاملة الظواهر ، وشرط كل مايعرف أو يمكن أن يعرف شرط العالم كله ، باعتباره فكرة . وكل منا هو هذا الحامل للعالم الظاهر ، بجباله وأنهاره ، ونجومه وأفلاكه ؛ كل منا ذات ، ولكن من حيث هو يعرف ، لا من حيث هو معروف ، أو موضوع معرفة . ذلك أننا لسنا محض عقول خالصة ، وإنما نحن أبدان أيضاً . والبدن موضوع بين الموضوعات ، وخاضع لشروط وجودها ( المكان والزمان والعلية ) ؛ وبما أن الزمان والمكان هما شرطا الكثرة أو التعدد ، فأبداننا تتعدد ؛ ولكن الذات لا تخضع لهذين الشرطين ، لأنهما يتعلقان بالموضوعات أو المعروفات فقط ولكن يفترضان الذات العارفة مقدماً ؛ ولذا فالذات لا تتعدد ؛ ولكنها ليست بعد واحدة ؛ « وإنما هي حاضرة — كاملة غير منقسمة - في كل كائن مدرك . ولذا فأي كائن مدرك خليق بأن يكون ، مع الموضوع ، عالم الفكرة كله ، كأتم ما تكونه الملايين القائمة ؛ ولكن لو اختفى هذا الكائن الواحد ، إذن لاختفى العالم كله ، بما هو فكرة » هذان الشطران إذن مقترنان ، متضايفان ، لا سبيل إلى فصل أحدهما عن الآخر كلٌّ منهما يحدُّ صاحبه مباشرة ، فحيث يبدأ الموضوع تنتهي الذات .

ومن الممكن اعتبار الزمان والمكان والعلية ، التي تستقرُّ في وعينا قبْلياً ، وتكون الشكول العامة للعالم الموضوعي ، الحد المشترك الذي تلتقي فيه الذات والموضوع . ولذلك نستطيع أن نكتشف هذه المبادئ إما من الموضوع ( أو بعدياً ) وإما من الذات ( أو قبلياً ) . وقد جعل شوبنهاور مبدأ السبب الكافي — كما سبق القول — التعبير العام عن جميع معارفنا القبلية الخالصة . وبمقتضاه تسود الضرورة السببية جميع أنواع الفكر أو الموضوعات . فما من موضوع إلا وهو مُعين من جهة معين من جهة أخرى . فلا شيء مستقل ، لاشيء حر ، لاشيء مطلق ؛ بل كل شيء نسبيٌّ ، قائم بغيره ، مفتقر إلى غيره ، موجود لأن غيره موجود . إن عالم الظواهر خاضع لقوانين ضرورية صارمة ، وكل هذه القوانين ترجع في النهاية إلى مبدأ السبب الكافي .

وقد شرح شوبنهاور هذا المبدأ ، بأشكاله الأربعة ، في رسالته الموسومة « بالجذر الرباعي لمبدأ السبب الكافي » ، وهي أطروحته للدكتوراه ، ومجمل القول فيه أن هناك أربعة أصناف من الموضوعات وهي « المدركات الحسية » و « التصورات » و « العيانات الخالصة » و « المشيئات » . وكل من هذه الأصناف خاضع لشكل من أشكال المبدأ المذكور ، الذي يقوِّم طبيعة الموضوعات بما هي موضوعات ، أي تمثلات بالنسبة إلى الذات . فالصنف الأول يسوده مبدأ الصيرورة ( fieudi ) ، والثاني يسوده مبدأ المعرفة ( cognoscendi ) ، والثالث يسوده مبدأ الوجود ( essendi ) ، والرابع يسوده مبدأ الفعل ( ageudi ) .

( البقية في العدد القادم )

عبد الكريم الناصري

---

**الأدب في سير أعلامه :**

# ٩ ـ تولســـتوى

[ قمة من القمم الشوامخ فى أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه ]

للأستاذ محمود الخفيف

## روسيا لا تزال فى الغسق

أهل على أوروبا نور القرن التاسع عشر وروسيا ما تزال فى الغسق ؛ ولئن لاحت فى أفقها بشائر الفجر لحظة على يد قيصرها الإسكندر الأول الذى ولى أمرها فى أول أعوام هذا القرن فإنها ما لبثت أن علمت أنه الفجر الكاذب !

كان الإسكندر يريد أن يوجه همه إلى النهوض ببلاده فى الداخل، وقد اعتزم أن يجنبها ويلات الحرب فى الخارج ، ولكن سرعان ما فطن أن طوفان الحرب لابد مدركه فحالف انجلترة والنمسا وظاهرهما على نابليون ، ومن ثم ذهبت بشائر الفجر أباديد فى حلكة الليل العابس .

وما لبث أن ساق نابليون الجيش الأعظم ليذل به روسيا ولكن حملته عليها كانت بداية نهايته ؛ ولما حمل بعد وترلو إلى سنت هيلانة ، أصبح القيصر فى القارة مرموق المكانة عظيم الخطر ولكن هذا الوضع الذى هيأته الظروف لروسيا فى سياسة القارة كان يتطلب رجلا غير الإسكندر ، فلقد حار هذا الرجل بين دعاة الرجعية وأنصار الحرية كما أضله زمناً تصوفه وحلمه اللذيذ الذى خيل إليه أن فى الإمكان أن تجعل أوروبا تسامح المسيحية أساس العلاقات الدولية ؛ وأخيراً تغلبت عليه سياسة مترنخ ، فصار من أكبر أنصار الرجعية فى القارة وفى روسيا ، وفقد دعاة الحرية أملا علقوا به أنفسهم برهة على يديه .

وأخذت أوروبا تقاوم الرجعية فكانت تلوح بشائر النور مرة وتختفى مرة ، ولكنها كانت ترى كل مرة أسطع منها فى سالفتها نوراً وأطول أمداً حتى ذهب الليل وانهل النور فأضاء كل ركن فى القارة ومحا كل ظلمة .

ولكن ليل روسيا قاتم قاتم وآفاقها عابسة دامسة ؛ وكان يدب تحت هذا الليل نحو تسعة وأربعين مليوناً من الأنفس كلهم عبيد ومن هؤلاء زهاء ثلاثة وعشرين مليوناً تابعون للقيصر ، ومثل هذا العدد تابعون لملاك الأراضى ، وما تبقى بعد ذلك فتابعون للكنيسة أو أوزاع وخدم .

ولم يك هؤلاء الملايين يملكون من أمرهم شيئاً ، إذ كانوا فى كل أمر خاضعين لمشيئة سادتهم لا ينتقلون من جهة إلى جهة غيرها ولا يمتلكون شيئاً أو يبيعونه إلا بإذن من هؤلاء السادة ؛ وهم فوق ذلك مكلفون بأن يؤدوا للسيد ما يطلب من المال كضريبة أو كمنحة وأن يعملوا مسخرين فى أرضه ، وللسيد إذا باع أرضه أن يبيعهم كما تباع القطعان والسلع ؛ وهو ينزل بهم ما شاء من أنواع العقاب كالجلد والحبس والنفى إلى سيبيريا .

وكان السادة الأرستقراط يعيشون عيشة مترفة ، ولهم فى قصورهم كل ما فى الحياة الأوروبية من مظاهر النعيم ، فالموائد والحفلات الساهرة والأثاث والخدم على اختلاف أعمالهم ومراتبهم كل أولئك على النمط الأوروبى ، وأخذت العادات وآداب المجتمع الأوروبى تتغلب على عادات الروس وعرفهم فى هذه البيوت الأرستوقراطية التى تجعل قياس التمدن الأخذ بأكبر قسط من كل ما هو أوروبى ، حتى اللغة فإنهم فى هذا الوسط يتكلمون الفرنسية فى حفلاتهم التى تجمع بين الرجال والنساء وفق الأسلوب الأوروبى ...

وانحطت الحكومة ، فلا أمانة ولا عدالة ولا إصلاح ؛ وكانت وظائف الدولة لمن يدفع من المال أكثر مما يدفع غيره ، أو لمن كان له بذوى الجاه صلة ، فأصبحت الرشوة أمراً لا غرابة فيه ، وتفشت حتى تسللت إلى المحاكم دانيها وعاليها ؛ ولم يكن للحكومة منهاج أو شبه منهاج للاصلاح ، وحسب رجالها فى المقاطعات أن يجمعوا لأنفسهم المال بكل ما وسعهم من حيلة أو واتاهم من بطش ...

وكان الملايين من الزراع أضعف من أن يشتكوا ؛ لهذا حملوا الآلام كما تحملها الدواب فلم يكونوا صابرين على حالهم وإنما لم تكن لهم فيه حيلة ! ولقد كانت حال هؤلاء المساكين أسوأ كثيراً من حال المزارعين فى فرنسا قبل ثورتهم الكبرى ، ولكن أولئك الفرنسيين كانت بينهم طبقة امتلكت وتعلمت وتأثرت بكتابة المفكرين والفلاسفة وهى الطبقة الوسطى ، ومن بين صفوف هذه الطبقة انبعثت الشكوى ثم رجفت بعد ذلك الراجفة ! أما فى روسيا فلم يكن غير كبار الملاك وهم السادة وملايين

الزراع وهم العبيد ؛ على أن مقاومة الاستبداد فى روسيا جاء على يد نفر من هؤلاء السادة المتملكين ، الأمر الذى يبدو عجيباً لما فيه من تناقض ؛ ولكن للمسألة وجهاً يفسر هذا التناقض ، وذلك أن هؤلاء السادة لم يكرهوا الاستبداد ولكنهم كرهوا أن تعتمد الحكومة القيصرية على طبقة الموظفين والحكام ومعظم رجالها من عنصر ألمانى وتهمل أعيان الروس رغبة فى القضاء على طموحهم نحو التسلط ، ومن ثم رحب هؤلاء بكل شكوى تنبعث ضد القيصر وحكومته .

وثمة فريق آخر يعطف أشد العطف على كل رغبة فى الإصلاح وهؤلاء هم رجال الجيش العائدون من فرنسا والقارة بعد سقوط نابليون وبخاصة الشبان ، فلقد امتلأت قلوبهم بآمال وأحلام ، وعادوا إلى روسيا آملين أن يطلع على بلادهم نور يزيح عنها هذا الغسق ، كما عاد لافاييت وأقرانه من شباب فرنسا الذين تطوعوا فى صفوف الأمريكان فى حرب استقلالهم إلى وطنهم يحملون مبادىء الثورة ويرتقبون الميلاد الجديد ...

وتسامع هؤلاء الرجال بالجمعيــــات السرية فى القارة كالكاربونارى فى إيطاليا والهيتيريان فى اليونان ، فأسسوا لهم فى روسيا رابطة الخير العام ، وجعلوها سرية بالضرورة ؛ وتفرع من هذه الجمعية فرع فى الشمال كانت وجهته الملكية الدستورية ، وفرع فى الجنوب كان لا يرى غير الجمهورية ؛ كما نبتت فى الجنوب جماعة سرية أخرى جعلت منهاجها ضم جميع السلاف فى اتحاد عام

ولكن هذه الجمعيات كانت كما وصفها أحد الكتاب « جيلا لا آباء له ولا أبناء » ، فظلوا لبعد أفكارهم ومبادئهم عن أذهان معاصريهم محصورين لا يكاد نطاقهم يتسع ، ولم يأتوا عملا ذا بال إلا فى سنة ١٨٢٥ فإنه لما مات الإسكندر ترك ثلاثة إخوة كان أكبرهم قسطنطين ولذلك فهو وارث الحكم ، ولكن الذى ارتقى العرش كان نيقولا بدعوى أن أخاه تنازل له عن حقه كما أراد القيصر المتوفى ؛ وأحيط ارتقاء نيقولا العرش على هذا النحو بشبهات فانتهزت الجمعيات السرية الفرصة ورفضت فرقة جيش موسكو أن تقسم يمين الولاء للقيصر الجديد ، ووقعت بعض القلاقل فى الجنوب ، ولكن القيصر ما لبث أن تغلب على هذه الحركة فى يسر وتعرف بحركة الديسمبريين لأنها وقعت فى ديسمبر من ذلك العام ؛ وقضى بعض أفراد الجمعيات نحبهم ونفى البعض إلى سيبيريا. قال أحد زعمائهم عند إعدامه « لقد كان خطأى أنى حاولت أن أجمع الحصيد قبل أن أبذر الحب » ؛ وقال آخر « لقد عرفت من قبل أن لا أمل لنا فى النجاح كما عرفت أنه لابد أن أضحى بحياتى ! إن ساعة الحصاد آتية فيما بعد » .

ولقد كان الحصاد الذى يرجون هو الحكم الدستورى والمساواة لدى القانون وتحرير الزراع ؛ ولئن قضى عليهم اليوم فلم تذهب دماؤهم عبثاً ، وما يقدم عبثاً دم هو مهر للحرية الزهراء ...

واشتدت حلكة الغسق فى عهد نيقولا الذى عرف منذ البداية بالصرامة القاسية ، وامتدت يد الطغيان إلى كل مكان ، فعلى كل ما يطبع من الكتب والصحف وما يرد منها من الخارج رقيب عتيد له من السلطان ما يمكنه من إلقاء أى شخص فى غيابة السجن أو نفيه بغير محاكمة ؛ والشباب سجناء فى روسيا لا يسمح له لهم بالتعلم فى أوروبا مخافة العدوى ، ورجال الشرطة السرية يبثون عيونهم فى كل ركن ، ولا يحد سلطانهم قانون ولا عرف ؛ ولا تقل آثامهم وفظائعهم عن فظائع محاكم التفتيش الإسبانية فى العصور الوسطى إن لم تزد عنها فحشاً وهولا ، والقيصر مهيمن متربع على عرشه يحسب سكون الناس رضاء وولاء أو لا يجرى فى حسابه شىء من عصيان أو ولاء ...

ونسى القيصر أو لم يدر بخلده أن الحرية يعمل لها أعداؤها وأنصارها على سواء ، فأولئك يذيقون الناس لباس الذل والخوف ليزدادوا له مقتاً ويحتالوا على النجاة منه ؛ وهؤلاء يذيقونهم الأمن والسلام ليلذهم طعمه ويحرصوا على الدفاع عنه .

ونعم القيصر بالا بما يرى من هدوء ، ولكن دوى العاصفة يسمع من خارج روسيا لا من داخلها ، فها هى ذى حرب القرم تضمه وجيشه منذ سنة ١٨٥٣ تلقاء جيوش انجلترة وفرنسا وتركيا مجتمعة ، ويتلفت القيصر باحثاً عن حماسة الروس فينقلب إليه البصر خاسئاً إذ أن كل ذى رأى فى البلاد ينقم على الجيش ضعفه ويعزو ذلك إلى ما شمل الحكومة كلها من فساد .. ويحرم الطاغية من الاحترام كما حرم من المحبة ، ويوشك أن يسمع دوياً آخر من داخل بلاده ؛ وأى دوى كان إذا مس أذنه أشد إزعاجاً له مما احتواه ذلك المخطوط الذى تداوله الناس فيما تداولوا من المخطوطات على غفلة من الرقيب والشرطة السرية . قال مؤلفه فيما قال « يقول القيصر : لقد جعلنى الله حيث أنا مهيمناً على روسيا فعليكم أن تنحنوا راكعين أمامى فإن عرشى هو كرسيه ، ولا تمنوا أنفسكم بالمصالح العامة فإنى أفكر من أجلكم وأسهر على مصالحكم

كل ساعة ؛ إن عينى الساهرة تنفذ إلى المساوىء الداخلية وإلى ما يعده لنا فى الخارج أعداؤنا ؛ وما أنا فى حاجة إلى من يشير على فإن الله يلهمنى الحكمة فافخروا إذاً أيها الروس بأنكم عبيدى واجعلوا مشيئتى قانونكم .

ولقد أنصتنا معشر الروس إلى هذه الكلمات فى خشوع عميق وسلمناها طائعين. فماذا كانت العاقبة ؟ كانت عاقبة ذلك أن دفنت المصالح الحقيقية تحت جبال من أكداس الأوراق الحكومية ، وصار يستمسك بحرفية القانون فى كل ما يصدرمنا ، بينما يترك الإهمال والجريمة بغير عقاب إذا جاءت من أعوان الحكومة ، هؤلاء الذين يتمرغون فى التراب أمام الوزراء ثم يسرقون فى غير حياء ... لقد باتت السرقة أمراً مألوفاً حتى أصبح أكثر الناس احتراماً أكثرهم سرقة ؛ وصارت تقرر كفايات الضباط بمجرد النظر ؛ وإذا حصل شخص على منصب قائد فإنه فى نفس الوقت يمكن عده حاكماً قديراً أو مهندساً ممتازاً أو سياسياً حكيما . وإن هؤلاء الذين يختارون حكاماً فى الجملة هم طغاة حقاً يوكل إليهم عذاب الناس فى الأقاليم ؛ وكذلك تملأ المناصب الأخرى دون أقل مراعاة للاستحقاق ، فسائس الخيل مثلا يعين رقيباً للمطبوعات ! والملاحن الأحمق من حاشية القيصر يعين أميراً للبحر !... وماذا صنعنا نحن معشر الروس طوال ذلك الوقت ؟ لقد نمنا !. . أدى الفلاح ما فرض عليه وهو يئن ورهن المالك نصف ضيعته وهو يئن ، وأدينا جميعاً ما يطلب منا لرجال الحكومة ونحن نئن ؛ ولقد هززنا رؤوسنا أحياناً فى جد هامسين إن هذا عار وهوان ، كما تهامسنا أن لا عدل فى ساحات العدل ، وأن الملايين يقضون حياتهم عبثاً فى سبيل تمتع القيصر بسياحاته وجواسق حرسه ومبانى أبهته وسرادقاته ؛ إن كل شيء حولنا خطأ ، ومع ذلك فأنا بضمير هادىء يشاغب بعضنا بعضاً ليحظى بالتقدم خطوة ليلحق بهذه الخدمة التى نمقتها كل المقت ... فإذا صاح أحد بنا بغتة فى هذه الغفلة الشاملة أن أفيقوا وجاهدوا فى سبيل الحق وفى سبيل روسيا فما أعظم ما يبدو لنا من سخفه ، ثم إنه يتعلم فى سجن مظلم فى سيبيريا أى إثم عظيم ارتكبه بمحاولته إقلاق ما يغط فيه الغافلون من العبيد من نوم عميق .

ولكننا مع هذا كله كان لنا عزاء واحد ؛ أمر يحق أن نفخر به وذلك هو قوة روسيا ، وها نحن أولاء وا أسفاه بعد تفاخرنا قد أخذنا على غرة وأحيط بنا ونحن غافلون ... أفيقى يا روسيا ! التهمك الأجانب من أعدائك وحطمتك العبودية ؛ واضطهدك واخجلاه الحق من ذوى السلطة ومن الجواسيس ... أفيقى من نومك هذا الذى امتد فى جهل وغفلة وقفى ثابتة هادئة أمام عرش الطاغية واسأليه أن يقدم حساباً عن الكارثة القومية»

وكان رجال الحكومة يشعرون أن كثيراً من الأنظمة القائمة يومذاك إنما تقوم على ما يحسه الناس فى أنفسهم من اطمئنان إلى قوة القيصر أو قوة الدولة ، فلما سقط حصن سباستبول زلزلت القيصرية زلزالا عنيفاً ، حتى لقد تناثرت الإشاعات أن القيصر نيقولا حين قضى نحبه إنما مات منتحراً . ولقد كان حكم ذلك القيصر الذى حكم روسيا ثلاثين سنة أشبه بظلمة الليل إذ تشتد حلكته قبيل الفجر ، وكان لروسيا آخر عهدها بالظلمة ، فلما مات تنفست الصعداء ، وتلفتت تتلمس مطالع النور .

(يتبع) **الخفيف**

# ١ – مضحكات مبكيات

للأستاذ صلاح الدين المنجد

[ حديث أنقله إلى صديقي النابغة العالم الأستاذ علي الطنطاوى ] .

( صلاح الدين )

كنا أربعة نفر ، مللنا عملنا الرسمي ، فانطلقنا نسترَوح نسمات الربيع الدافئة المعطرة فى غوطة دمشق ، جنة الدنيا ، وكنا نحسّ ، وقد ابتعدنا عن المدينة مجمع الشقاق والنفاق ، أننا نستطيع أن نتكلم ... فلا رقيب يحصى أنفاسنا ونظراتنا وكلماتنا وليس من يطالبنا بالنفاق باسم اللباقة والتمدن والمصانعة . فقلت لصاحبنا الفتى : لقد هان أمر اللغة والأدب بهؤلاء الذين عادوا وقد لقنوا اللغة على الأعاجم من ذوى الرطانة والمطانة ؛ لقد صادفت اليوم فى طريق طالباً في الجامعة فحدثني حديثاً أهمَّني ... حدثنى أن أستاذه قرأ عليه نصاً فيه « لبس ثوب الحِداد » فقرأها « الحدّاد » فلما قال له الطالب : إنها الحِداد يا أستاذ ! انتهره وأصر على أنها الحدّاد . ثم ساق الأستاذ على ذلك دليلا تمسك به فقال هكذا أخذناها عن المستشرق فلان ... أتعلمون من هو هذا المستشرق ؟ إنه أوسع أهل الاستشراق علماً ، وأذكاهم فهماً ، وأفصحهم لساناً . وقوله لا يرد لأنه ثقة ، ضابط ، محرر .

قلت : لقد مُسخ الزمان ، فجاء بهؤلاء المسوخ الذين يقولون هكذا أخذناها عن المستشرق فلان . ليت شعرى إذا كان الأستاذ هكذا ، فكيف يأتى التلاميذ ؛ وليت شعرى أما درى من انتقى هؤلاء ليكونوا فى الجامعة أنهم يهدمون اللغة ويهتكون الادب ؟

فقاطعنى صاحبى ، وقال لاتلم هؤلاء إذا أخطأوا . ولا تعجل عليهم بنقدك إذا تكبروا ... فما كبرياؤهم غير ستر لجهلهم . إنهم ليسوا بشىء ، ولو بلغوا رتبة الوزارة . فما يزال فى الناس ناس يعلمون أن الفضل لأولى العلم ، لا لذوى الجهل . لقد غشهم من أوفدهم لتلق العربية عند ذوى الرطانة ... فعادوا يغشّون الطلاب بجهل فاضح ، والناس بشهادات أزياف كواذب .

قال أكبرنا : ولكنّ هذا ليس بالأمر العجب . فهناك أعجب وأغرب ، ألم يأتكم نبأ ذلك الذى عاد من أوربة ، كما تعود هذه الجماعة الضعاف قلوبها ، السخيفة عقولها ، شغفاً بأقوال المستشرقين ، مدلهاً بمذاهبهم ، فجعل نفسه من شباب محمد ، فطنطن صحبه بعلمه وفضله ، ثم أخرج كتاباً ، فإذا هو يطعن فيه على محمد ، فيختلق ويفترى ، ويدس ويمارى ويأخذ بالنبى إلى اليمن ، ويقرئه التوراة والإنجيل ويجمعه إلى الرهبان والأحبار ثم يقول إنه ألّف القرآن .

فما أدرى ممّ أعجب ؟ أأعجب من هذا العلم الذى شداه ، أم أعجب ممن يفترى على محمد ، وهو من شباب محمد ؟

قال صاحبى : لا تلم هذا أيضاً . إنما هو ببغاء لقنوه الشر فأعاده . إنما لُمْ أبويه اللذين أغفلا تربيته وسددا خطواته وعرفاه من هو محمد . ليت شعرى أنطمع من المستشرقين أن يفعلوا غير هذا ؟ إنه ليكفيهم أن يغرسوا فى نفوس من يلقونه من ناشئة المسلمين الشك ... الشك فى الدين ، والكتاب ، واللغة ... فإذا شككت وكنت من الضعاف الإيمان ، زلّت بك القدم فهويت . لا تلم هذا ، بل لُمْ أولئك الذين لم يحسنوا تلقين الدين ، ولا تعليم التاريخ ، ولا انتقاء الأساتيذ ...

قال ثالثنا : ولكنّ عندى ما ليس عندكم . فقد حُدّثت عن واحد من هؤلاء ، هواه مع الشيوعيين ، وممدود فى المسلمين وقد أشرف على الأربعين ، إنه عاد من أوربة يحمل دراسة عن كنيسة من كنائس فرنسة ، نال بها الدكتوراه . فبلغنى من صفته أنك إذا رأيته يمشى فى الطريق ، وهو يتثنى ، وأبصرته وقد نتف حاجبيه ، وصفّف شعره ، حسبت أنه عانس تلبس البنطلون . دعوه يوماً إلى المسجد الأموى ليحتفل بمولد الرسول . فنظر فى بطاقة الدعوة شزراً ، ثم غمز الجرس فاستدعى كاتباً عنده . فلما أتاه قال له :

أما تزالون تنزعون نِعالكم إذا دخلتم المسجد ؟

فضحك الكاتب لهذا السؤال ، وحدق بالسائل يريد أن يعلم أهو فى الجد أم الهزل . فهذا سؤال لا يسأله مسلم ... فأجابه .

— نعم يا سيدى .

قال : ومتى تتمدنون ؟ لقد غبت عن دمشق تسعة أعوام كاملات

# نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

## ٩٠٨ — فلا أقاموا ديناً ولا أبقوا دنيا

منهاج السنة النبوية لابن تيمية : إن الله بعث رسوله (صلى الله عليه وسلم) بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها ، فإذا تولى خليفة من الخلفاء كيزيد وعبد الملك والمنصور وغيرهم فإما أن يقال : يجب منعه من الولاية وقتاله حتى يتولى غيره كما يفعله من يرى السيف فهذا رأى فاسد فإن مفسدته أعظم من مصلحته ، وقل من خرج على إمام ذى سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة ، وكابن الأشعث الذى خرج على عبد الملك بالعراق ، وكالذين خرجوا على المنصور بالمدينة والبصرة وأمثال هؤلاء . وغاية هؤلاء إما أن يغلبوا وإما أن يغلبوا ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة ، فإن عبد الله بن على قتل خلقاً كثيراً وقتله أبو جعفر المنصور .

وأما أهل الحرة وابن الأشعث فهزموا وهزم أصحابهم ، فلا أقاموا ديناً ، ولا أبقوا دنيا ، والله (تعالى) لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا . وإن كان فاعل ذلك من عباد الله المتقين ومن أهل الجنة فليسوا أفضل من على وطلحة والزبير وعائشة وغيرهم ، ومع ذلك لم يَحمدوا ما فعلوه من القتال وهم أعظم قدراً عند الله وأحسن نية من غيرهم .

وكذلك أهل الحرة كان فيهم من أهل العلم والدين خلق ، وكذلك أصحاب ابن الأشعث كان فيهم خلق من أهل العلم والدين والله يغفر لهم كلهم .

## ٩٠٩ — النداء من الله للعباد ومن العباد لله

الموافقات للشاطبي : إن القرآن أتى بالنداء من الله تعالى للعباد ومن العباد لله سبحانه ، فحين أتى من قبل الله للعباد جاء بحرف النداء المقتضى للبعد ثابتاً غير محذوف كقوله تعالى : [ يا عبادى الذين آمنوا ، إن أرضى واسعة ] [ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم ، لا تقنطوا من رحمة الله ] [ قل : يا أيها

---

وعدت فرأيتكم حيث كنتم ... متى يصبح عندنا علماء يجتهدون ، فيقلبون الدين رأساً على عقب ؟ متى ينقذوننا من خلع النعال ، وينقذوننا من الركوع والسجود ؟ لِمَ لا يفعل المسلمون فعلَ النصارى ؟ إنهم يدخلون كنائسهم بنعالهم ، لا تتسّخ جواربهم ، فيقفون قليلا يرتلون ... ثم يخرجون لم يتعبوا ، ولم تتسخ سراويلهم !. لِمَ لا تنشرون هذه الدعوة .؟ آه ! سأنشرها بين طلاّبى بنفسى ...

وأخرس الكاتب ، وطار لبه ، وخرج ولم يُجب ، وهو يلعنه فى قلبه ألف لعنة ولعنة ... » .

وصحنا جميعاً ... أصحيح هذا ؟ أصحيح ما تقول ؟

قال : لقد شككت عند ما أخبرت ؟ ولكنى قصدتُ إلى الكاتب بنفسى فحدثنى كما أخبرت .

قلنا : وكيف يسكتُ عنه علماء الدين ؟ كيف تسكت عنه وزارة المعارف ؟ أبمثل هؤلاء نحفظ الاستقلال ؟ أنحفظه بإفساد العقائد والإلحاد والتخنث ونتف الحواجب ؟ أنحفظه بالوقاحات ؟ أهذا أستاذ قد اؤتمن على تثقيف الطلاّب ؟

قال صاحبى : لا تلم هذا أيضاً ؛ فمن عدم المروءة والدين طلب خلع النعال والتشبه بالنصارى ورفع الركوع والسجود من الصلاة . ولا تلم وزارة المعارف فهى أم الفوضى . ثم لا تلم علماء الدين ، فهم فى أمر دنياهم لاهون ، وعن دينهم ساهون . إنما لُمْ من نصبه لتثقيف التلاميذ ولم يخبروه ... آهٍ لو كان هنا الطنطاوى إذن لجرد قلمه لنصرة الدين والحق والشرف . ولأصْلى هؤلاء ناراً حامية تشويهم شياً .

قلت : أما قلتُ لكم لقد مُسخ الزمان فجاء هؤلاء المسوخ ! فانبرى ، رجل كان بقربنا يسمعنا ، وقال : كل ما ذكرتموه ليس بشىء ... فعندى ما هو أعظم وأدهى ...

قلنا : هاتِ ما عندك هات .

(للكلام بقية) (دمشق) صلاح الدين المنجد

الناس ، إنى رسول الله إليكم جميعاً ] فإذا أتى بالنداء من العباد إلى الله تعالى جاء من غير حرف نداء ثابت بناء على أن حرف النداء للتنبيه فى الأصل ، والله منزه عن التنبيه : [ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ] [ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ] ... فحصل من هذا التنبيه على أدبين : أحدهما ترك حرف النداء والآخر استشعار القرب، كما أن فى إثبات الحرف التنبيه على معنيين: إثبات التنبيه لمن شأنه الغفلة والإعراض والغيبة وهو العبد ، والدلالة على ارتفاع شأن المنادى وأنه منزه عن مداناة العباد، إذ هو فى دنوه عال ، وفى علوه دان ، سبحانه !

## ٩١٠ — تهنئة بعزل

الشريشى : من غرائب التكاتب فى العزل ما كتب به أحمد ابن مهران إلى معزول : بلغنى (أعزك الله) انصرافك من عملك ، فسررت بذلك ولم أستفظعه لعلمى بأن قدرك أجل وأعلى من أن يرفعك عمل تتولاه ، أو يضعك عزل عنه . والله لو لم تختر الانصراف وترد الانعزال لكان فى لطف تدبيرك وثقوب رويتك وحسن تأتيك — ما تزيل به السبب الداعى إلى عزلك والباعث على صرفك . ونحن إلى أن نهنيك بهذا الحال أولى بنا من أن نعزيك إذ أردت الصرف فأوتيته ، وأحببت الاعتزال فأعطيته ، فبارك الله لك فى منقلبك ، وهناك النعم بدوامها ، ورزقك الشكر الموجب المزيد لك فيها .

## ٩١١ — تمتع من الدنيا فانك فانى

سعيد بن حميد[1] :

تمتع من الدنيا فإنك فانى ... وإنك فى أيدى الحوادث عانى

ولا يأتين يوم عليك وليلة ... فتخلو من شرب وعزف قيان

فإنى رأيت الدهر يلعب بالفتى ... وينقله حالين مختلفان[2]

فأما التى تمضى فأحلام نائم ... وأما التى تبقى لها فأمانى

## ٩١٢ — . . . ما بعت الضيعة

شرح المقامات للشريشى : كان بالبصرة رجل ذو ضياع فأنفق ماله فى الشراب، فباع ضيعته ، فلما تم البيع قال له المشترى : تأتينى بالمشى أدفع لك المال وأشاهدك . فقال : لو كنت ممن يرى بالمشى ما بعت الضيعة . قال محمود بن الحسن الكاتب بعت دارى فأصابنى مثل هذا فقلت :

أتلفت مالى فى العقار ... وخرجت فيه عن عقارى

حتى إذا كتب الكتاب (م) ... وجاءنى رسل التجار

قالوا الشهادة بالمشى (م) ... ونحن فى صدر النهار

فأجبتهم ردوا الكتاب (م) ... ولا تمنوا بانتظارى

لو كنت أظهر بالمشى (م) ... لما سمحت ببيع دارى

## ٩١٣ — ائتمنه قوم فأدى اليهم الأمانة

تاريخ الطبرى : أحمد بن يوسف بن القاسم : سمعت ابراهيم ابن صالح يقول : كنا فى مجلس ننتظر الإذن فيه على المنصور ، فتذاكرنا الحجاج ، فمنا من حمده ، ومنا من ذمه ، فكان ممن حمده معن بن زائدة ، وممن ذمه الحسن بن زيد ، ثم أذن لنا ، فدخلنا على المنصور ، فانبرى الحسن بن زيد فقال : يا أمير المؤمنين ما كنت أحسبنى أبقى حتى يذكر الحجاج فى دارك وعلى بساطك فيثنى عليه ، فقال أبو جعفر : وما استنكرت من ذلك ؟ رجل استكفاه قوم فكفاهم ، والله لوددت أنى وجدت مثل الحجاج حتى استكفيه أمرى ، وأنزله أحد الحرمين . فقال له معن : يا أمير المؤمنين ، إن لك مثل الحجاج عدة لو استكفيتهم كفوك قال : ومن هم؟ كأنك تريد نفسك ؟ قال : وإن أردتها فلم أبعد من ذلك . قال : كلا لست كذلك ، إن الحجاج ائتمنه قوم فأدى إليهم الأمانة ، وإنا ائتمناك فخنتنا ...

***

معجم البلدان : ذكر الحجاج عند عبد الوهاب الثقفى بسوء ، فغضب ، وقال : إنما تذكرون المساوىء أوما تعلمون أنه أول من ضرب درهماً عليه ( لا إله إلا الله محمد رسول الله ) وأول من بنى مدينة بعد الصحابة فى الإسلام ، وأول من اتخذ المحامل وأن امرأة من المسلمين سبيت بالهند فنادت يا حجاجاه ! فاتصل به ذلك ، فجعل يقول : لبيك ، لبيك ، وأنفق سبعة آلاف ألف درهم حتى افتتح الهند ، واستنقذ المرأة ، وأحسن إليها ، واتخذ المناظر بينه وبين قزوين ، وكان إذا دخن أهل قزوين دخنت المناظر إن كان نهاراً ، وإن كان ليلا أشعلوا نيراناً فتجرد الخيل

(١) نسب الشعر فى الأمالى إليه وعزاه العسكرى فى ( ديوان المعانى ) الى ديك الجن . (٢) فى رواية : وتنقله حالان .

# الواعظ الضرير !..

للشيخ حسن عبد العزيز الدالى

كان ذلك منذ ثلاثة أشهر ، وكان المطر غزيراً ، والبرد قارساً وأزقة القرية مملوءة بالأوحال ، وقد لاذ أغلب الأهلين إلى دورهم طلباً للدفء ، وإذا بشيخ وقور مكفوف البصر تقوده ابنته وهى فى العاشرة من عمرها ، عليه مهابة وله جلال ، يخب فى جبته وقفطانه وقد بلل المطر ثيابه فأصبح كالقاضى الذى قيل فيه :

وسخ الثوب والعمامة والبر ذون والوجه والقفا والغلام

دخل علينا فحييناه وأدفأناه ، ثم قال :

شكراً ومعذرة يا سادة إذا كانت وظيفتى غير منسجمة مع حالتى ، وكان عملى شاقاً مرهقاً ، فإن كثرة العيال ، والحاجة إلى العيش تجعل الرجل يركب الصعب . وأنا مكلف برسالة دينية يجب أن أؤديها مهما كان الثمن .

أثبتونى فى دفتر ١٤ وبلغونى المسجد ... أنا واعظ المركز ... ثم أدى رسالته وانقلب إلى أهله .

وفى هذا الأسبوع ، دخل الشيخ علينا يتفصد وجهه عرقاً وينوس برأسه من الحر ؛ فالشيخ ربع القامة ، شحيم الجسم ، وقد افتر ثغره عن بسمة لطيفة ، هى بسمة الرضاء بالقضاء ، حدثناه وحدثنا ، فكان مما قال إنه فى هذه السفرة عدم الرفيق فضل الطريق ، بعد أن نزل من السيارة العامة ، وكان لا بد من أن يجتاز الترعة التى اعترضت طريقه ، فخلع سراويله واجتازها وحمد الله على النجاة من الغرق . ثم إنه بالأمس القريب كان يؤدى رسالته فى قرية أخرى ، فأشلت الأطفال كلابها عليه ، فمزقت ثيابه وخدشت إهابه .

وفى ذات مرة نبه السائق أن ينزله أمام قرية كذا ، فأنزله خارج حدود دائرته فحمد الله وشكره على أنه لم يصب بمكروه !

يا سبحان الله ! ما هكذا يكون الاختيار يا إدارة الوعظ والإرشاد ؟ وما هكذا يكون الوضع السليم يا وزارة الداخلية !

إذا كان ولا بد أن يكون هذا العالم الجليل فى سلك الوعظ والإرشاد ، لذلاقة لسانه وقوة بيانه ، وعظيم إيمانه ، فألحقوه بمنطقة فى مدينة يطمئن فيها على نفسه ، ويستطيع أن يباشر مصلحة أهله ويأمن فيها على كرامته ، فلا يجتاز ترعة ، ولا تهره الكلاب ولا يضل الطريق ، حتى يخرج إلى دائرة أخرى ، وهناك يكفيه مؤنة هذا العناء قائد صغير لا يكلفه غير دراهم معدودة . إن ما يقوم به فضيلة الشيخ المكفوف ، من وعظ وإرشاد بالقرى فى يوم كامل يقوم به فضيلة الشيخ البصير فى نصف يوم مع الراحة التامة والكرامة الموفورة .

يا أولى الأمر : انقذوا أمثال هؤلاء المكفوفين من عناء هذا العمل ، فالميدان واسع ، والنقل سهل ، والثواب من الله عظيم ، وإن كانت الحكمة فى تعيين المكفوفين للوعظ والإرشاد أن يعظوا الرجال والنساء ، فما فى الريف نساء يجتمعن لسماع الوعظ ؛ وإن كان فمن وراء حجاب .

حبذا لو فكرت وزارة الشئون مع وزارة الداخلية تفكيراً جدياً فعممت الإذاعة بالريف ، وجعلت للوعظ نصيباً من الإذاعة كل أسبوع ، فإن ذلك يكون أجدى وأصلح وأوفر . اذهبوا مشكورين يا أولى الأمر بهؤلاء الوعاظ إلى المساجد المغلقة والمهدمة فافتحوها وشيدوها .

اذهبوا بهم إلى التدريس بالمعاهد والوعظ بالسجون العمومية والفرعية . أفسحوا لهم المجال بالمحاكم الشرعية والمحاماة : إنكم إن فعلتم ذلك فقد خطوتم بنا إلى الأمام ، وخففتم العبء عن هؤلاء المكفوفين الكرام . ولعلنا نسمع قريباً أن وزارة الشئون قد أخذت بيد أمثال فضيلة واعظ مركز طلخا المكفوف البصر وأجلسته بدار الإذاعة ليلقى محاضراته الدينية فى هدوء واطمئنان بعد أن تعمم الإذاعة بالريف . فيعم النفع ويسلم الوضع : ويطمئن الشيخ ... ليت ... وليت !

**حسن عبد العزيز الدالى**
عمدة كفر دميرة القديم

---

إليهم ، فكانت المناظر متصلة بين قزوين وواسط ، وكان قزوين ثغرا حينئذ ...

***

سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى : قال — عمر بن عبد العزيز — : ما حسدت الحجاج على شىء حسدى إياه على حبه القرآن وإعطائه أهله

# قصائد تـكريم مطران في الميزان

للأسـتاذ على متولى صلاح

كان وفاء كريماً من أدباء العربية وعلية رجالها ، وكان دَيناً استحق الوفاء والأداء لصاحبه منذ زمن سحيق ، وكان تكريماً أدنى ما ينبغى أن يكون ، وأقل ما ينبغى أن يقدم لشيخ الشعراء وأستاذهم وإمامهم ورائدهم خليل مطران .

نعم ... كان هذا التـكريم — على روعته وجلاله — بعض ما ينبغى لهذا الشيخ الوقور جزاء وفاقاً لما قدم للشعر العربى من جهد كبير متواصل ، ولما قدم لشعراء العرب من مناهج وطرائق وراد لهم من مجاهل كانت محجبة مستخفية مطوية ، إلى أن تكشفت لعبقريته ، وتفتحت لوحيه ، وأشرقت على يديه ...

ولقد عرف الناس ما كان فى هذه الاحتفالات التى تتالت وتعاقبت أياماً ثلاثة ، وقرأوا كل ما فيها من خطب وما أنشد فيها من شعر ، وشاهدوا حشود الناس تسعى من مصر وشقيقاتها إلى الاحتفال فى نهضة كريمة ووفاء شديد ، فى زمن عز فيه الوفاء وغاض ماء الخير .

ولقد كان موكباً أدبياً فذاً متفرداً ، تكلم فيه الأدباء الـكبار والشعراء الـكبار ، وترجموا الرجل وآثاره ترجمة وافية مستفيضة وفصلوا القول فيه وفى فنون أدبه تفصيلا ، ودرسوا آثاره جميعاً دراسة لا زيادة لمستزيد عليها ، فـكان سجلا أدبياً ، وكان سفراً أدبياً رائعاً حقاً ...

ونحن نجد أن من تمام هذا السجل ومن كمال هذا السفر أن يقول النقد الأدبى فيه كلمته ، وأن يزن الميزان الأدبى محتوياته بميزانه العادل الدقيق ، فذلك أدنى إلى أن يبلغ هذا السفر غايته ، ويستوفى كماله !

ونحن — من جانبنا وعلى سوانا أن ينهض بالبـاقى ! — آخذون فى كلمـات متتابعة فى وزن وعرض الشعر الذى قيل ، ووضعه فى ميزان النقد الذى يعلم الله براءته من الهوى ، وخلوصه من الغرض ، وبعده عن الميل أو الانحراف عن الحق ...

ولقد أنشد فى هذه الاحتفالات فحول من شعراء العرب فى مصر والعراق ولبنان هم أعيان الشعر وأعلام الأدب فى بلادهم ، وإن خليل مطران لقمين بأن يقول فيه هؤلاء ، عسىٌّ بتمداحهم والإطراء منهم ...

وكان أول هؤلاء الشعراء الأستاذ الـكبير عباس محمود العقاد فألقى قصيدة مثلثة القافية — وهو نوع كان العقاد يكثر منه أيام صدر شبابه الأول — قاربت الخمسين بيتاً تضمنت وصف الأستاذ المحتفل به وصفاً دقيقاً شاملا محيطاً ألم فيه بجميع خصائصه وجميع سماته ، بل وجميع قسماته ، لم يترك دقيقة من دقائقه ، ولم يدع خلجة من خلجات نفسه ، ولا همسة من همسات قلبه ، ولاخطرة من خطرات فؤاده ... وتلك الإحاطة الشاملة ، والإفاضة الكاملة هى مزية العقاد الـكبرى فى كل ما يكتب وما يتناول وما يصف .

ولقد زخرت قصيدة العقاد — كالمعهد به دائماً — بالمعانى البـكر المستحدثة التى يزخر بها كل ما ينشىء ويكتب ويفيض بها كل ما يخرج للناس !

ولعلى لا أجد من لا يرى الجمال غاية الجمال ، والمعنى البـكر غاية البـكورة — إن جازت هذه العبارة ! — فى قول العقاد عن مطران إنه «محراب القريض» ! وفى قوله معدداً سجاياه الـكريمة :

ماذا أعدد من سـجا ... ياك الحسان وهن شتى
أدباً وعرفاناً وآلا ... ء محببة وسمتا
وإذا أطلت فغاية الإ ... طراء أنك أنت أنتا

وأى طرافة وجدة واستحداث أبعد من قوله :

أنطقت بالعربية الـ ... ـفصحى معاجم شكسبير
ونقلتهم نقل الأما ... نة فى الـكبير وفى الصغير
بدلت فى لغة اللسا ... ن .. ولم تبدل فى الضمير !

ولم ينس العقاد أن يعرض فى قصيدته لما خدم مطران به التمثيل والاقتصاد ، ولما سبق به من التجديد والتحرر من ربقة القديم تحرراً لطيفاً ليناً ليس بينه وبين تجديده كمال الانقطاع وتمام الانفصال ، ولـكنه تجديد وئيد رفيق هين يأخذ من القديم أبهاه ومن الجديد أزهاه ، ويرتشف من كل بحر قطرة ، ويقطف من كل بستان زهرة ، فيستوى للناس بعد ذلك أدباً مشرقاً رائعاً يملك عليهم ألبابهم وهواهم وعقولهم ... نعم فإن مطران كان ذلك المجدد، وإنه بحق للحلقة المفقودة، بل الحلقة المنشودة بين المجددين !

(للـكلام بقية)

على متولى صلاح

صحائف مطوية :

# قصة فاشـــودة ...!

## أو قصة الاستعمار الانجليزى فى السودان

### رواية شعرية فكاهية للمغفور له حافظ ابراهيم بك

[ قصة فاشودة معروفة مشهورة ، وتتلخص فى أن بعثة فرنسية انحدرت من الحبشة إلى أعالى النيل ورفع قائدها العلم الفرنسى هناك فتصدى له حاكم السودان البريطانى بحجة أن هذه الأرض ملك لمصر ، وتحرج الموقف يوم ذاك بين فرنسا وبريطانيا حتى توقع العالم قيام الحرب بينهما لهذا السبب ، وقد استطاعت بريطانيا أن تفوز بغايتها وأن تتخذ من موقف الحكومة المصرية مطية لهذه الغاية .

وهذه الرواية من الشعر المجهول لحافظ ابراهيم فليست فى ديوانه ، ولا عرفها أحد له ، ولكنا وقفنا عليها منشورة فى إحدى المجلات عام ١٩٠١ م ، فنحن ننشرها على أنها أثر أدبى نادر يكشف عن ناحية من نواحى الشاعرية فى حافظ ابراهيم ثم لنذكر بها أبناء مصر بتاريخها بمناسبة ما يجرى من أفاعيل السياسة الانجليزية فى السودان]

محمد فهمى عبد اللطيف

تمهيد

فشـــودة روايه    للمبصرين آيه
قد مثلت فى المصر    ليهتـدى فى مصر
فما اهتدى ولا عقل    ولا درى كنه الحيل
بل شهـــد التمثيلا    ثم انثنى مخيـلا
مولى الأكتاف    فى ساعة الإسفاف
فلا تلم فرنسا    وفضلها لا تنس
وقل لمن رام السبب    شقاء مصر قد غلب

**الفصل الأول : مرشان فى فشودة**

مرشان بالنيل التقى    من بعـد ما عز اللقا
تقابلا فى سـلم    على الصفا الأتم
حيث المياه تجرى    نهراً يجنب نهر
والأرض بكر لم تزل    كما دحاها فى الأزل
تخرج أصناف الثمر    تنبت أجناس الزهر
تفيض بالمأكول    من عدس وفول
ترابهـا التبر السنى    وكم بها من معـدن
وغرسها ابن يومه    « لمرشن » وقومه
فهى كما الجنـات    ما غير خذ وهات
مرشان فيها قد ثبت    كأنه عـود نبت
يلين للعواصف    فما له من قاصف
أخرجه دلـكاس    ألعوبة للنـاس
ألعـوبة وتنقضى    قد خاب فيها من رضى
وكيف كان العاقبه    فإن مصر الخائبه
إن لم يكن لبطرس    من طاقة بدلـكس
ولاله من بورى    يسمع سالسبورى
ولاله من أمه    تنجـده فى الغمه
ولاله من دولة    تمـــده بالصولة

**الفصل الثانى : مرشان والنيل**

النيل كان نائما    رأى « المجور » قائما
يضربه فى رأســه    يحسبه فى رمسه
خاطبه يا نيـــل    يا أيها القتيـــل
يا تارك البـــلاد    لأفســـد الأولاد
يا صانع المـــيراث    والصبية الأحـداث
ذُبحت بالسكين    من ظالم مهين
وكان أهلك الدى    والحبل كانوا واليدا
فما صرخت صرخه    بل قد ذهبت فرخه
قد سقطت فى زير    أو وقعت فى البير
فلا تلمنى بعد ذا    إذا تعمدت الأذى
إنى أنا المحتـــاى    عنك لدى الأنام
لا بد لى من حصه    قبل ضياع الفرصه
إذ قد غدا فى التيه    أن تحفظ القضيه

فهبَّ داعى النيل   من نومه الطويل

يقول يا مرشان   يا أيهـا الشيطان

يا أسـد القفار   يا حيـة البرارى

يا سمـكا عواماً   يا طائراً حـوّاماً

يا لبكة العجين   يا بـلة فى طين

يا ضجة الطبـول   على طريق الفـول

يا خارجاً من علبـه   يا حادثاً من لعبـه

يا مشـكلا لما نزل   ومشـكلين إن رحل

إذا أردت جدى   فأنت خير عندى

من كل ذى قلب بطل   لجنة الأرض وصـل

ما كانت الشهور   يكفى لها طابور

ولا الحمام الأزرق   يعصم منه زورق

ولا الأسود السود   يصـدها بارود

ولا مجاهل الثرى   تطوى كما تطوى القرى

سلكتها يا غازى   أبيـة المجـاز

حتى ملكت مجرى   بحر الغـزال طرا

تبيعـه وتشترى   براية وعسكرى

لكن تعال قل لى   ولا تكن مضلى

من ذا أباحك الحمى   من ذا حباك المغنما

من ذا لهـذا جرّا   من ذا عليه جرّا

بحر الغـزال منى   كيف يزول عنى

وهــذه فشوده   ربيبتى المعهـوده

كيف أساء فيها   وكيف تقتنيهـا

فاندفع المـاجور   بسـحره يدور

وقال قولا مقنعا   أثبت فيه ما ادعى

يا سـيد الأنهار   وملك الديار

ماذا يهمك السقط   من بعدما الرأس سقط

**الفصل الثالث : سالسبورى ومصر**

وجاء سالسبورى   لمصر فى سرور

يقول وهى تسمع   يقنعها فتقتنـع

يا مصر يا فتـاتى   يا زينـة البنات

يا مشتهى انجلترا   يا بنت أخت لندرا

يا منيـة التاميز   والوطن العزيز

بل يا أتان الملكة   يا ألف ألف سكة

يا ناقة السردار   وجيشه الجـرار

يا أصل ما قد اكتسب   من ثروة ومن تعب

يا بلداً ما فيـه   ذو ناظر يبكيه

يا أمة ولا وطن   يا منزلا لمن سكن

يا موطىء الأقدام   يا فتنـة الأقوام

إنى أرى النشالا   يختلس الخلخـالا

هيا نصيح السارقا   ونشهد الخلائقـا

وبطرس والوزرا   يحررون القمطرا

ويثبتون فيـه   تهمة سارقيـه

وبعد عرض الشكوى   نقيم نحن الدعوى

ونظهر النصوصـا   ونطرد اللصوصـا

أو لا فقد خاب الأمل   ولا سبيل للعمـل

فـما أتم قوله   أن ضحكت مصر له

وأقبلت تقـول   يا أيهـا المأمول

الوزرا عبيـدكا   والكل من جنودكا

فاقض بما تشـاء   لا يُنقص القضاء

**رقصة الختام**

إليكم عن بطرس   نادرة فى المجلس

إذ قالت النظار :   يا من له الفخار

نرى المجال صعبا   ذئب يعض ذئبـا

فهات حدث عنـه   كيف خرجت منه

فقام فيهم ناصحاً   يقول قولا راجحاً

فشودة تعيش   مثل اسمها فشوش

ما الخلف والتجافى   إلا على اللحاف

دفعتـه للورد   وبتُّ تحت جلدى

# الأدب والفن في أسبوع

**في تكريم مطران :**

تميز الأسبوع الماضي بمظهر أدبي رائع هو مظهر التقدير للأدب والإكبار للفن والتكريم للمواهب والإعجاب بالخلق القويم ، إذ اجتمع أبناء العروبة من سائر الأقطار في دار الأوبرا الملكية بعد ظهر يوم السبت الماضي لتكريم شاعر العروبة الكبير صاحب العزة خليل مطران بك . فكان جمعهم وما أبدوا فيه من جميل الرأى مظهراً من مظاهر الوفاء الطيب في عرفان الجميل للرجل الطيب .

وكل جميل يؤديه أبناء العروبة نحو مطران إنما هو وفاء للدين ورد لبعض الصنيع الذى بذله ذلك العبقرى نحو أبناء العروبة وعاش عليه طول حياته المديدة إن شاء الله ، فما حياة مطران في الواقع إلا فيضاً من المجاملة وحسن الصنيع يؤديه نحو الكبير والصغير والغنى والفقير ، وينهض بذلك في ميدان الحياة العامة ويأخذ به نفسه في النواحى الخاصة ، ويبذل لذلك من أدبه ومن خلقه ما يعد غريباً عن طبيعة البشر ، وناهيك برجل جاوز الثمانين ولا يستطيع أحد أن يحصى عليه إساءة لشخص أوموقف تخاف عن طريق الخير ، على أنه مع هذا كله ظل على تواضعه لا يمن ولا يتطاول ولا يتنفج بما أجدى في الأدب وبما أبدى في الخير ، فلا غرو إذا ما اجتمع أبناء العروبة لتكريمه وأجمعوا على تقديره ، ولا غرو إذا ما صنعوا له ما هو أكبر من التكريم والتقدير ...

**حفل حافل :**

ويطول بنا القول إذا أخذنا أنفسنا بتسجيل الذين حضروا هذا الاحتفال أو شاركوا فيه ، ويكفى أن نعرف أنهم الطلائع من أعلام السياسة والقانون والأدب والصحافة والمقدرين للفن والمواهب في العالم العربى ، ولقد زاد في روعة الحفل أن توجه الفاروق حفظه الله برعايته السامية فأناب مندوباً حضر الاحتفال وأبلغ المحتفى به سابغ العطف الكريم والتحية لشخصه خاصة ولأهل الأدب والعلم عامة .

**الخطباء والشعراء :**

وبعد أن ألقى الأستاذ خليل ثابت بك كلمة الافتتاح تعاقب الخطباء والشعراء في إلقاء خطبهم وقصائدهم ، فخطب أصحاب المعالى والسعادة والأساتذة عبد الرزاق السنهورى باشا وزير المعارف والدسوقى أباظه باشا وزير المواصلات ومحمد على علوبة باشا وأنطون الجميل باشا والأستاذ السراج مندوب سوريا والأستاذ زكى طليمات وألقى الشعراء قصائدهم وهم الأساتذة عباس محمود العقاد وعبد الرزاق محيى الدين بك مندوب العراق ومحمد الأسمر وشبلى ملاط بك مندوب لبنان ثم ألقيت قصيدة شكر من المحتفى به ثم عزف الأستاذ سامى الشوا مقطوعة موسيقية تحية للشاعر الكبير .

**إجماع الرأى :**

وقد أجمع الخطباء والشعراء في حديثهم عن مطران على أنه شاعر سلك في الشعر العربى طريق التجديد والابتكار وأنه أستاذ المدرسة الحديثة في الشعر ، وأنه استطاع بعبقريته وباطلاعه الواسع أن يلائم بين طريقة العرب وطريقة الفرنج في براعة وتوفيق وأنه عاش طول حياته رجل فضل ونبل وخير وبر ، وقد كان هذا جماع القول فيما تكلم به خطباء الحفل وشعراؤه وإن كان لكل ما أورد من الشواهد ونهجه في تناول الحديث .

**الشعراء الثلاثة :**

وكانت المناسبة بتكريم مطران مما أثار الحديث عن شوقى وحافظ ، فقد عرض الخطباء إلى ذلك الثالوث الذى عاش مندمجاً كالحلقة المفرغة حتى كانت أسماؤهم تتردد على الألسن وأشخاصهم تتوارد في كل موقف وكأنهم شخص واحد أو دعائم يتكون منها بنيان واحد ، وإذا كان خطباء الحفل قد اختلفوا في تقدير الطاقة الشعرية لكل واحد من الثلاثة فإن هذا الخلاف قد قام منذ ظهر الثلاثة على مسرح الشعر ، وسيظل قائماً إلى ما شاء الله ...

**وأخيراً :**

وأخيراً نقول : لقد أقيمت بقية الحفلات لمهرجان مطران فى أيام الأسبوع التوالية وقد كان بودنا أن نسجل كل ما بدا فى تلك الحفلات من ألوان الأدب والفن وأن نؤدى هذا الواجب نحو الشاعر الكبير ولكن لجنة الاحتفال ضنت على « الرسالة » بأداء هذا الواجب ، لأنها آثرت للمهرجان صبغة محلية رسمية لا تلائم روح مطران ولا تتسق بحال مع شخصيته وشاعريته !

**تأبين الشيخ مصطفى عبد الرازق :**

تعددت حفلات التأبين لفقيد العلم والإسلام المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق ؛ وكان أهمها وأجلها تلك الحفلة التى أقيمت فى الأسبوع المنصرم بقاعة الاحتفالات بجامعة فؤاد الأول حيث خدم الفقيد بعلمه وأفاد بثقافته وخرج جيلا من الأساتذة فى الأدب والفلسفة ، وقد احتشد فى هذه الحفلة جمهور كبير من رجال الدولة والأدب والصحافة وأساتذة الجامعة وطلابها وشيوخ الجامعة الأزهرية وأبنائها كما خطب فيها كثيرون كلهم من أعلام البيان وأعيان الكلام .

تكلم الأستاذ الجليل أحمد لطفى السيد باشا فقال : لقد عرفت مصطفى يحكم عقله علمه ، ويحكم علمُه لسانه وقلمه ...

وتكلم معالى عبد العزيز فهمى باشا فأوغل فى فلسفة الموت ذلك الشىء الغامض على العقول والأفهام ، المحير للفلاسفة والحكماء

وتحدث سعادة الدكتور محمد حسين هيكل باشا فقال : لقد كان مصطفى المفكر الفيلسوف والأديب الكاتب ، لا يعرف العنف ولا يميل إلى البطش بل كان يؤمن بالحرية لأنه حر الفكر وبالتسامح لأنه طيب القلب وديع الخلق ...

وقال معالى ابراهيم دسوقى أباظه باشا : إن مصطفى كان رجل الأخلاق ، ولكن الأقدار لم تمهله ، فكانت الفجيعة فيه قاسية !

وتناول الدكتور طه حسين شخصية الشيخ مصطفى من جميع نواحيها تناول العارف فقال : إن تاريخ الأدب العربى المعاصر حين يكتب سيحتل مصطفى فى صفحاته مكاناً ممتازاً ، وسيلاحظ الذين يكتبون التاريخ الأدبى لمصطفى أنه صورة صادقة أمينة للذكرى فقد كانت حياته ذكرى قوامها الوفاء .

وتحدث الدكتور منصور فهمى باشا عن مصطفى الصديق ومصطفى العالم المتمكن والحكيم الروحى وقال : إن الناس إذا كانوا قد نعموا من الفقيد بجانب الصديق الكريم فإنهم قد انتفعوا منه كذلك بجانب المرشد الملهم والموجه الحكيم ...

وتعاقب الباقون من الشعراء والخطباء فألقى الأستاذ العقاد قصيدة من شعره العميق ، وتحدث الأستاذ أمين الخولى عن الناحية الجامعية من حياة الفقيد ، ثم أنشدت قصيدة عامرة للأستاذ السيد حسن القاياتى ، ثم تحدث الدكتور محمود عزمى عما كان للفقيد من فضل فى تقريب المسألة بين اتجاهات الدين والاتجاهات العصرية فى العلوم ، ثم ألقى الأستاذ محمود غنيم قصيدة من رصين الشعر ، ثم ألقى الشيخ عبد اللطيف دراز كلمة عن نواحى الفقيد المختلفة فى ميدان العمل ، وألقى الأستاذ فؤاد شاكر رئيس تحرير جريدة أم القرى بالمملكة السعودية قصيدة جيدة ، ثم ألقى معالى الأستاذ على عبد الرازق شقيق الفقيد كلمة شكر باسم الأسرة ...

وأخلص من هذا كله لأقول لك إن حفلات التأبين عندنا لا تزال تجرى على ذلك الوضع الدارج فهى أشبه بالمناحات ، وإن الذين أبنوا الفقيد العظيم فى هذا الحفل إنما أبنوه بدموعهم وسرعان ما تجف الدموع ، فيذهب ذلك الكلام الكثير الذى قالوه ويجف وتبقى عبقرية مصطفى وشخصيته وسيرته حديث الناس ...

**تراث الأندلس :**

أرسلت حكومة إسبانيا إلى الحكومة المصرية بدعوة موجهة إلى بعض أساتذة الجامعة وطلابها للقيام برحلة علمية إلى إسبانيا يقومون فيها بالإطلاع على أصول التراث الأندلسى ، ويزورون المعالم التى كانت مسرحاً للفكر العربى حقبة طويلة من التاريخ .

ولعل إسبانيا تهدف بهذه الدعوة إلى التقرب من العرب على نحو ما تصنع انجلترا وأمريكا وروسيا وفرنسا فى هذه الأيام ، أولعلها تكون فى هذا مخلصة للعلم والبحث والتاريخ ، وعلى أى حال فن الواجب أن نكون نحن مخلصين فى تلبية هذه الدعوة وأن ننتهز هذه الفرصة السانحة للافادة والدراسة وأن نستغلها للعلم والأدب والاطلاع على تراثنا الذى لا يزال مطموراً فى أقبية تلك البلاد ومكتباتها .

إن المعلومات التى لدينا عن التراث الأندلسى محدودة معدودة ونحن فيما نكتب عن هذا التراث نعتمد على جملة قليلة من المؤلفات العربية ابتذلت لكثرة ترديدنا لنصوصها ، ثم على ما يقدمه إلينا المستشرقون والباحثون الأجانب الذين يسافرون للبحث

والكشف عن الجديد فى ذلك التراث ، وقد ننقل عنهم خطأ الرأى وضعف الاستنتاج ، وإن من العار أن نظل قانعين بهذا وأن لا يكون لنا فى ذلك جهد يذكر ، فلعل رجال الجامعة يستغلون هذه الدعوة إلى هذه الرحلة استغلالا علمياً مفيداً ولعلها تكون مقدمة لرحلات متتابعة تؤتى ثمرها .

**المستشرق بروفنسيال أيضاً :**

نشرنا فى الرسالة من قبل أن المستشرق المعروف الأستاذ ليفى بروفنسيال قد ألقى أربع محاضرات عن الأدب الأندلسى فى كلية الطب بالإسكندرية بدعوة من جامعة فاروق الأول ، ولما كانت الظروف لم تمكننا من الاستماع لتلك المحاضرات فقد سألنا صديقاً أديباً من الذين حضروها وسمعوها فأخبرنا بأنها كانت محاضرات سطحية لا جديد فيها من الرواية أو الرأى وأنها لاتعدو المعلومات التى يتناولها الطلاب ويقدمها الأساتذة فى مصر. قال الصديق الفاضل ؛ ومن العجيب أن جامعة فاروق قد قدرت لهذا المستشرق ستين جنيها أجراً عن كل محاضرة كما سمعت ، وقد كان فى مقدورها أن تنظم سلسلة من المحاضرات يلقيها الأساتذة المصريون فيبلغون فيها فوق مابلغ ذلك المستشرق ، ولكن يظهر أننا لا نزال مأخوذين بقدرة هؤلاء المستشرقين حتى لنبذل لهم المال من غير حساب .

هذا ماقاله الصديق ، أردنا أن نسجله والعهدة عليه فى صدق الرواية ، ونقول بهذه المناسبة إن المعهد الفرنسى فى مصر قد دعا المستشرق بروفنسيال لإلقاء ثلاث محاضرات عن الشعر الأندلسى وقد ألقى المحاضرة الأولى عن الشعر الأندلسى الفصيح ، والثانية عن الشعر الأندلسى الشعبى وعنى فى هذه المحاضرة عناية خاصة بالحديث عن ابن قزمان .

**وفاء كريم :**

أصدر الأستاذ « الحومانى » المجاهد العربى المعروف العدد الأخير من مجلته « العروبة » خاصاً بالحديث عن المغفور له الأمير شكيب أرسلان فجاء سفراً حافلا بالمعلومات والطرائف عن حياة فقيد البيان وشرح مآثره ومظاهر جهاده فى خدمة اللغة والدين والعروبة ، وقد كان الأستاذ « الحومانى » صديقاً أثيراً عند الأمير شكيب ، وكانت له به صلات خاصة ومودات صادقة فكان من الواجب أن يتوجه إلى ذكراه بهذه التحية الطيبة ، وإذا كان مجال القول فى مجلة لا يتسع للافاضة ، فإننا نطمع أن يمد الأستاذ الحومانى إلى جمع ذكرياته وما يعرف من خصوصيات الأمير فى كتاب يكون مرجعاً للباحثين على نحو ما صنع الأمير طيب الله ثراه نحو ذكرى شوقى بكتابه المعروف «شوقى أو صداقة أربعين عاماً».

**إسلام هرقل :**

أقام طلبة المعهد الأزهرى بالقاهرة فى الأسبوع الماضى حفلة تمثيل فى معهدهم مثلوا فيها رواية « إسلام هرقل » وهى من تأليف الطالب الأديب محمد عبد المنعم المغربى ، وقد حضر هذه الحفلة طلاب المعهد وكثيرون من أساتذتهم وشيوخهم، وهذا خبر يسترعى النظر لأنه مظهر من مظاهر التطور فى الأزهر الحديث ، فقد أدركنا عهداً فى الأزهر كان شيوخه يختلفون فى جواز ابتداء الشعر بالبسملة ، فكان بعضهم يتسامح فى جواز ذلك ، وبعضهم يقول إنه لا يجوز لأن الشعر ليس من الأمور ذوات البال .

ولكنا عشنا حتى رأينا التمثيل يدخل الأزهر ، ويؤثره شيوخه كلون من ألوان التثقيف للطلاب .

« الجاحظ »




**قلعة مصر القاهرة :**

أشكر للأستاذ محمد عبد الوهاب فايد اهتمامه وبحثه الأخير فقد اطلعت بعدد الرسالة[1] على كلمته الشائقة بشأن تحقيق الطباق بقلعة مصر القاهرة . وقوله « هذه الطباق كانت أكبر مدرسة حربية نعرفها فى التاريخ وأقدمها ، وقد تخرج منها آلاف من الضباط والقواد والأمراء بل الملوك ، ولو جمعت أخبار هذه الجامعة الحربية لجاءت فى كتاب حافل » .

ولقد أردت بكلمتى فى الأهرام أن أحقق غرضين : الأول إثارة البحث والاهتمام حول القلعة ومبانيها القديمة وأثرها فى تاريخ مصر الإسلامى العربى . والثانى : تحقيق اسم السلطان الغورى ونسبته الصحيحة فقد رأينا بعض المؤرخين المتأخرين ينسبه إلى الغور بافغانستان وهو يطلق على جبال وولاية بين هراة وغزنة كما ورد فى معجم ياقوت .

أما الآن وقد انكشف غور القلعة ، فيمكن التحقق من أصل هذه النسبة أو التأكد بنص تاريخى يثبت اتصال قانصوه الغورى بالغور فى مستهل حياته .

ويهمنا جميعا الاهتمام بالقلعة ومبانيها وما تحويه من آثار لأنها فى الواقع أكبر أثر قومى لمصر الإسلامية ، ولذلك يتحتم علينا المحافظة عليها من عهد إنشائها إلى اليوم فلا يطغى عصر على عصر بل يحتفظ برونقها القديم كاملا كما كانت فى أبهى عصورها .

والذى أتمناه هو أن تسلم القلعة بأكملها إلى عهدة مصلحة الآثار الإسلامية وأن تتولاها بعنايتها بشرط أن توضع لها الوسائل الكافية حتى تتمكن من إعادة مبانيها وأبراجها إلى ما كانت عليه وأن تعيد أجزاء منها تمثل العهد الأيوبى والعهود المملوكية ثم عصور آل عثمان والعهد العلوى .

لقد آلمنى ما رأيت من قيام حائط مستحدث لم ير الموكلون بعمله سوى طغراء لأحد ملوك مصر القدماء لكى يقيموا حائطهم أمامه فأخفوا الكتابة وتكسرت أجزاء منها وهذا ما أخشى أن يتكرر .

ألا ترى وقد تعددت المسكرات والمبانى والثكنات أننا فى حاجة إلى إخلاء القلعة من جنود الجيش وورش وزارة الدفاع حتى يخلو الجو لأهل البحث والعلم ، وحتى ندرس برامج إعادة القلعة إلى سابق مجدها .

لقد رأيت قلعة مصر وقلعة دمشق وقلعة حلب وأرسلت كلمة تحت عنوان أمجاد ثلاثة للعروبة أدعو إلى إعادة إصلاحها كما فعل الفرنسيون بقلعة الحصن أى حصن الأكراد[1] الواقع بأراضى سوريا .

أما قلعة مصر فقد كانت كرسى السلطنة فى أزهى العصور حينما كانت مصر بحق حامية الإسلام وحينما كان الناس يقولون القلعة المحروسة ومصر المحروسة وهذه القلعة ليست لمصر وحدها بل للاسلام وأم العروبة التى شاركتنا فى السابق أمجادنا وهى ليست للجيل الحاضر بل للأجيال القادمة .

وما يقال عنها يقال عن قلعة دمشق وقلعة حلب ، ولقد عمل الفرنسيون عملا هائلا فى قلعة بيلادنا هى قلعة الحصن ، وكان غرضهم أن يثبتوا الأصل الصليبى فى مبانيها ولهم وجهة نظرهم ، فهل تعجز الدول العربية أن تبرهن مرة واحدة على أنها أقدر من هؤلاء فى إعادة الآثار الإسلامية إلى سابق عهدها ؟ وتعمل عملا يشبه أو يقرب من عمل فرنسا ؟

إننا لا نزال ننتظر ونؤمل ! وأول عمل ننتظره هو إصلاح القلاع الثلاث ، فهل يطول أملنا ؟

**أحمد رمزى**

**فى تكريم الأستاذ خليل مطران بك :**

شهدت حفل التكريم الذى أقيم للشاعر المظيم خليل مطران بدار الأوبرا الملكية فى أمسية من أماسى هذا الأسبوع ، وحين أنشد الشعراء قصائدهم قلت : أين شاعر الشام فيشقشق هذه المشية بلسانه ويسحر ببيانه ، وتلفت فلم أجد من صوب بلادى وجه شاعر وكانت تحتهم تهتز المنابر فى مصر أيام الفحول السوالف فى

(١) عدد ٧١٣ بتاريخ ٣ مارس سنة ١٩٤٧ .

(١) جريدة المصرى فى ١٧ أكتوبر ١٩٤٤ .

تكريم شوقي وحافظ ، وتساءلت أين شفيق جبرى الذى قرأه المصريون ناثراً ولم يسمعوه إلى اليوم شاعراً ، ورباع الشام طالعات بأزاهيره ودارات العراق عارفات بفيض خواطره ، وأين فحل الشعراء محمد البزم فيرد بضفاف النيل لشعر العصر أبراد ماضيه القشيب فى ديباجة جرير والأخطل ، وما خبر النابغة الملهم عمر أبى ريشة الذى تردد شعره هواتف عبقر فيملك الألباب ويلعب بالشعور ، وهل حالت الحوائل دون بدوى الجبل الذى سحر طه حسين فى مهرجان المعرى فقال له أديب العصر هذا سحر وليس بشعر .

بل أين شعراء الشباب وفيهم أمجد الطرابلسى الذى تطامن له الشعر على ربق العمر ، وسليم الزركلى شاعر ميسلون بدماها وجلق ورباها ، وأنور العطار وشعره المعطار ، وجميل سلطان ذو الروعة والألحان ، أين كل هؤلاء ، أما كان فى مكنة سورية أن ترسل واحداً منهم لينشد قصيدة فى تكريم شاعر الأمة العربية؟ ومن سواهم أجدر بالإنشاد فى حفله إشادة بمجده ، واعترافاً بفضله

ولقد شهدت الحفل الكريم خالياً من صوت المرأة التى تعتز بشاعرية الخليل وكان لها خير نصير ، وقد شاء حفظه الله أن يشجعنى بكلمة منه حين لقينى بباب الأوبرا تلك العشية فقال لى :

« ... إنما أرجو من الله أن يفسح فى أجلى حتى أشهد تكريمك وأقول فيه كلمتى » فجللنى قوله بالخجل وكانت كلمته الكريمة باعثة لعتبى على لجنة الاحتفال التى نسيت المرأة فى منهاجها الطويل .

فيا شاعرى الذى أنبته مهد الشعر فى فردوس لبنان زهرة إلهية ، ليكون خير هدية لوادى النيل ، اعترافاً بالجميل ، إنك خالد خلود الأهرام ، ففى شعرك رواسم التجديد ، وفى بيانك مياسم التخليد ، لك تحياتى الطيبات .

(القاهرة) **وداد سكاكينى**

## أى القولين أصدق ؟ :

احتفلت البلاد العربية بتكريم الشاعر خليل مطران بك وتسابق الشعراء والخطباء والكتاب إلى الإشادة برائع شعره والتنويه بعظيم قدره .

ولقد كان من خير ماقيل فى هذا التكريم تحية طيبة أرسلها الدكتور طه حسين بك على صفحات جريدة الأهرام [1] خاطب فيها صديقه بقوله : « إنك لتعرف مكانك فى قلبى ومنزلتك فى نفسى وتعرف إعجابى بخلقك العظيم وإكبارى لأدبك الرفيع وإعلانى فى كل قطر زرته من أقطار الأرض فى الشرق والغرب وإلى كل متحدث تحدثت إليه فى الشعر من الشرقيين والغربيين أنك زعيم الشعر العربى المعاصر وأستاذ الشعراء العرب المعاصرين . لايستثنى منهم أحد ولا يفرق منهم بين المقلدين والمجددين . وإنما أسميهم جميعاً بأسمائهم غير متحفظ ولا متردد ولا ملجلج ولا مجمجم ، وإنما هو اللفظ الصريح أرسله واضحاً جلياً لا التواء فيه ولا غموض علمت المقلدين كيف يرتقون بتقليدهم ... وعلمت المجددين كيف ينزهون أنفسهم عن الغلو ... وعلمت أولئك وهؤلاء أن الفن حر ... كريم ... نشيط ... أنت حميت حافظاً من أن يسرف فى المحافظة ... وحميت شوقى ... من أن يسرف فى التجديد ... وأنت رسمت للمعاصرين من الشعراء هذه الطريق الوسطى التى تمسك على الأدب العربى شخصيته الخالدة وتتيح له أن يسلك سبيله إلى الرقى والكمال ، وقد حاولوا أن يتبعوك فى هذه الطريق فطار بعضهم بجناح واستسلم بعضهم فأراح وأقمت أنت على قمة الشعر الحديث شيخاً جليلا وقوراً ... » .

هذا بعض ماقاله الدكتور طه حسين بك وهو صريح واضح فى أن مطراناً هو زعيم الشعراء فى العصر الحديث بلا استثناء وأنه أستاذهم جميعاً — حتى حافظ وشوقى — !

ولكنا قد سمعنا الدكتور طه حسين بك نفسه منذ ثلاث عشرة سنة يقف فى حفل تكريم العقاد الذى أقيم فى سنة ١٩٣٤ ويقول : —

« إن العقاد هو الصورة الناطقة واللسان الخالد والمرآة الصافية المجلوة التى حفظت صورة مصر الناهضة وأبقتها ذخراً للأجيال القادمة ... أنا سعيد جداً ... فى أن أعلن رأيى فى صراحة وأن أقول ... إنى لا أؤمن فى هذا العصر الحديث بشاعر عربى كما أؤمن بالعقاد أنا أعرف حق المعرفة وأقدر كما ينبغى نتيجة هذه المقالة التى أعلنها سعيداً مغتبطاً ، أعلم هذا حق العلم وأعلنه مقتنعاً به محتملا تبعاته » .

(1) جريدة الأهرام ١٩٤٧/٣/٣٠

وإنى « أؤمن به وحده ... لأننى أجد عند العقاد ما لا أجده عند غيره من الشـعراء ... وأكبر العقاد وأؤمن به وحده دون غيره من الشعراء فى هذا العصر .. لأنه يصور لى هذا المثل الأعلى فى الشعر ... هذا المثل الأعلى الذى يجمع بين جمال الشعر العربى القديم وبين أمل المصرى الحديث ... » .

وختم قوله الذى استغرق صفحتين من جريدة الجهاد[1] بهذه الصيحة « ضعوا لواء الشعر فى يد العقاد وقولوا للأدباء الشعراء أسرعوا واستظلوا بهذا اللواء فقد رفعه لكم صاحبه » .

هتاف يحيى أمير الشعراء !

هذا هو حكم الدكتور طه حسين بك - بالأمس — فى زعامة الشعر فى العصر الحديث ، وذاك قضاؤه الذى قضى به اليوم نعرضهما أمام الأدباء جميعاً ليروا رأيهم فيهما .

( المنصورة ) محمود أبو ريه

## الى الأستاذ محمود بك تيمور :

أنت تبكى آه ما أقسى الدموع حينما تنساب يا محمود منكا
لا تلم دمعى ففى جمر الضلوع قلبى الباكى أسى يسأل عنكا

كنت بالأمس تدارى الحزنا فى وليد راح فى عمر الورود
وأراك اليوم تبكى شجننا روح إسماعيل فى ساح الخلود

نحن نبكى من مضى . والدمع صدق
أترى ننسى ؟ وقد عز الفداء
أأعزيك ؟ أجل فالموت حق ومصير الكون والدنيا فناء

عبد القادر محمود

## مكتبة لوزارة العدل السورية :

رصدت وزارة العدل السورية مبلغاً كبيراً من المال لشراء ما جد فى مصر فى هذه السنين من الكتب الشرعية والحقوقية والمالية وإمداد مكتبة الوزارة ومكتبات المحاكم بها وكلفت الأستاذ سامى بك المظم مفتش العدلية العام الموجود فى مصر الآن بالإشراف على انتقائها وشرائها .

(١) جريدة الجهاد ٢٩ أبريل سنة ١٩٣٤ .

## كتاب « أبو هريرة » :

نشرت مجلتكم الغراء « الرسالة » — فى عددها ٧١٥ — كلمة للأستاذ الفاضل الشيخ عبد المتعال الصعيدى حول كتابى « أبو هريرة » فأبرأته مما نال منى ولم أتعقبه فيما أفرط فيه من التمويه والمغالطة .

ولكن البحث العلمى فرض علىّ أن أمعن فى قوله : « وقد ثبت أن هناك رواة بضمون الحديث على أبى هريرة ومنهم اسحاق بن نجيح الملطى وعثمان بن خالد العثمانى وابنه محمد وهو الذى روى عن أبى هريرة أنه دخل على رقية بنت رسول الله امرأة عثمان بن عفان وبيدها مشط . فقالت : خرج رسول الله من عندى آنفاً رجلت شعره . فقال لى : كيف تجدين أبا عبد الله — يعنى عثمان — قلت : بخير . قال أكرميه فإنه من أشبه أصحابى بى خلقاً . [قال] وهذا حديث باطل لأن رقية ماتت فى غزوة بدر وأبو هريرة إنما أسلم بعد فتح خيبر [ قال ] : فلنحمل هذا على أولئك الرواة ولا داعى إلى الطعن فى أبى هريرة » .

قلت : لا يمكن حمله على أولئك الرواة من وجهين .

١ — ثبوته عن أبى هريرة بالسند المتصل الصحيح وقد أخرجه وصححه الحافظ الكبير إمام المحدثين أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الحاكم النيسابورى فى كتاب معرفة الصحابة أثناء ذكر وفاة رقية ودفنها فى ص ٤٨ من الجزء ٤ من المستدرك وأورده الذهبى فى تلخيصه معترفاً بصحة سنده وإنكار متنه .

١ — أمعنا فى البحث عن سند هذا الحديث فلم نجد أحداً قبل اليوم زعم أنه روى من طريق محمد بن عثمان بن خالد . وإنما روى بسندين لا ثالث لهما أوردهما الحاكم وليس فى واحد منهما اسحاق بن نجيح الملطى ولا عثمان بن خالد ولا ابنه محمد فكيف نحمله عليهم والحال هذه يا منصفون ؟!

وليت الشيخ يدلنا على مأخذه فيما حمله على محمد بن عثمان بن خالد العثمانى إذ قال : وهو الذى روى عن أبى هريرة أنه دخل على رقية وبيدها مشط الخ ، ومتى فعله كنا له شاكرين وسدد الله من أمعن فى نقد كتابى بنصح فنبهنى إلى أخطائى محرراً للحق مجرداً من سواه .

( صور — لبنان ) عبد الحسين شرف الدين



# نموت ولا نسلم

[ تأليف الأستاذ عباس علام ]

الأستاذ عباس علام أحد النابهين القلائل الذين أسهموا فى بناء الأدب التمثيلى والقصصى فى اللغة العربية ، لا أقصد بذلك الذين ترجموا وآثروا النقل والاقتباس ، وإنما أقصد الذين ألفوا وآثروا تصوير حياتنا الاجتماعية وما يتمثل فيها من المظاهر والميول والاتجاهات واستجابوا فى هذا إلى مواهبهم الفطرية ، وإلى غيرتهم القومية ، وإلى رغبتهم فى إصلاح الحياة الاجتماعية

ويمتاز الأستاذ علام فى معالجة هذا الفن بالفهم الدقيق للمجتمع المصرى وما يتدافع فيه من التيارات . فهو خبير بهذا المجتمع حيث يبدو فى الشارع ، وفى المنزل ، وفى النادى ، وفى الصلات التى تقوم بين الناس فى شتى النواحى المختلفة ، ولهذا تجده إذ يقص عليك قصة من قصصه كأنه يروى لك حادثة شاهدتها ورأيتها . ولهذا تجده أيضاً فى تلمس نواحى هذا المجتمع يضع إصبعه على موطن العلة ويمثلها لعينيك حقيقة واضحة ، ويكفى له فى هذا أنه استطاع أن يحمل الحكومة فى يوم من الأيام على إصدار القانون الذى يحقق المساواة بين الرجل والمرأة فى الحقوق الزوجية ، وذلك تحت تأثير مسرحيته المعروفة « باسم القانون » .

وهذا الكتاب الذى نقدمه اليوم إلى القراء « نموت ولا نسلم وقصص أخرى » يشتمل على عشر قصص من وضع الأستاذ علام وتأليفه ، خمس منها فى تصوير النواحى الوطنية ، وخمس أخرى فى معالجة النواحى الاجتماعية ، وجميعها تحمل طابع كاتبها الفاضل من صفاء الروح وقرب الأسلوب وتسلسل الحوار وبراعة التصوير . ويظهر أن عناية الأستاذ الفاضل بالقصص المسرحى قد أثرت عليه فى ذلك ، فجميع قصصه فى تسلسلها وتصويرها يمكن تحويلها إلى المسرح بأدنى جهد ، وإنك لتقرأ القصة له فترى أشخاصاً يتحركون ويتكلمون ، وتتمثل لك صورة ناطقة لا ألفاظاً جامدة ميتة على الورق ، ولقد أحسن نجل المؤلف الفاضل إذ قام بتقديم هذه المجموعة من قصص والده إلى الطبع ، واعداً بأن يتولى طبع جميع قصصه ومسرحياته وتقديمها إلى القراء ، فإن هذا مظهر بر بالأبوة وبالأدب .

**محمد فهمى عبد اللطيف**

---

# المـــــــربى

## تمهيد فى التصوف وأثر الأستاذ الكامل فى تربية الروح

[ تأليف الأستاذ حسن كامل الملطاوى ]

ليس من ينكر من المنصفين أن الصوفية الحقيقيين كانوا من رواد المسلمين إلى المثل العليا ، وكانوا فى قضايا الحق والخير من الهداة الأقوياء الأمناء . وتلك صحائفهم فى كتب الجهاد لنشر الدين والفضيلة نضيرة مقروءة ، ومناهجهم فى تهذيب أتباعهم والتصاعد بهم فى مدارج الرقى الروحى موصلة محمودة ، وما زالت سيرهم بما تنضح به من إخلاص وإشراق وروحانية مناهل للواردين وذكرى للذاكرين .

بيد أنهم مُنُوا فى بعض مراحل تاريخهم بدخلاء حرموا المواهب الفكرية والروحانية والذوقية ، فتعوضوا عنها بالتكبر على الناس والاستطالة ، وجعلوا التصوف مجرد رسوم وإشارات ، وأضافوا إليه شعبذات تردها الإسلامية ويجل عنها التصوف ، شعبذات يقع أثرها فى النفس تارة مضحكا وتارة مبكيا .

وهكذا ذهبت فى أهل الحقيقة الظنون مذاهب ، ومزقتهم الأقاويل ، وتطرف بعض الناس فرأوا التصوف الذى تهدف رسالته إلى إسعاد المجتمع مظهراً من مظاهر الهبوط الاجتماعى !

وكان الظن بالمتعلمين أن يقبلوا على التصوف ليحسنوا العمل به كما أراده السابقون ، وليُسْهموا فى كشف الضباب الذى غلّفه ، فيعود نوره إلى الإشراق فى القلوب فيملؤها سعادة وطمأنينة ، ويعود بقوته الحقيقية إلى المجتمع الإنسانى الذى مشى فيه لؤم الحياة ، والذى أشقته المادة وبهظته الدنيات ، فينقيه جميعاً ، ويوجد عالماً مرتفعاً قدسياً ، ولكنهم من أسف أعفوا أنفسهم

من الواجب ، وقنعوا بإطلاق ألسنتهم بالثلم والهدم ، بالحق وبالباطل

واليوم ، نستنشى الرجاء من الشباب المثقف إذ نرى واحداً منهم هو « الأستاذ حسن كامل الملطاوى » الذى تداولت كفايته الوظائف الطيبة ، يقدم لنا رسالته الجيدة فى التصوف . والطريف أن المؤلف على ما لديه من ألوان الغذاء الصوفى المهضوم لم تتصل دراسته ولا عمله بشىء يمت إلى التصوف بصلة ، فهو منذ عهد الطلب من المشتغلين بشؤون الاقتصاد والمال .

قال مؤلفنا فى مقدمته لرسالته : « وقد جهل بعض الناس رسالة الصوفية فعابوهم وأنكروا عليهم مسلكهم ظلما وزوراً أو جهلا وغروراً ، ولا عجب فالناس أعداء ما جهلوا ، فمن قائل إن الصوفية بدعة لا أصل لها فى الدين ، ومن قائل إن الصوفية قوم كسالى متواكلون ، ومن قائل إنهم غلاة متشددون ، وكل هذا بعيد عن الصواب ، وسأحاول إن شاء الله أن أبين فى هذه الرسالة على قصرها شيئاً من فضل هؤلاء السادة الأماثل ، ولعلى أبلغ من ذلك المراد من إعطاء الناشئة الإسلامية فكرة صحيحة عن الصوفية وما تدعو إليه وما تؤديه للاسلام من خدمات فى تربية القلوب وإصلاح الأرواح ... » .

ونستطيع أن نطمئن الأستاذ إلى أنه بلغ المأمول ، فرسالته على إيجازها تنقل إلى الأذهان والأرواح التى تجهل التصوف معانى متسامية تهزها وتبهرها وتفتحها ...

تكلم المؤلف موفقاً عن معنى الصوفية ، ومتى ، وكيف نشأت ، ومم اشتق اسمها ، وعرض لغايتها ، ثم لخص محسناً قواعد التصوف ، واستطرد إلى إيضاح سبل الصوفية فى نشر مبادئهم ، وأوضح كيف يختار المريد شيخه ، ثم عقب بترجمة مناسبة لأستاذه ومسلكه « الشيخ عبد السلام الحلوانى » رحمه الله .

والمؤلف فى كتابته يورد عن السلف الصالح عبارات جذابة . وترجمته لشيخه تتأرج بالوفاء والحب ، وتستأهل الثناء الأوفى ، فقليل الآن من المريدين من يشكر لصنيعة أستاذه ، وقليل منهم من يسق المودة بينه وبين شيخه ، وخاصة بعد أن يذهب هذا إلى العالم البعيد : عالم الموت .

والذى يلفتنى فى ترجمة الشيخ – وهى حافلة كلها بما يجدد فى الأذهان ذكرى الأسلاف الأمجاد من الصوفية – مناقب يجب أن تكون من ألمع مناقب المربين الصوفيين ... تلك هى : استغناؤه عن الناس ، وتعففه عما فى أيدى مريديه ، وتواضعه لهم ...

ولا جرم أن شيخاً لا يستوفى هذه الشمائل ، فلا يقيم الموازين لغير المال ، ويعمل تحت ستار المشيخة شحّاذاً أو سلاّباً ، ويلق الناس فى ترفّع شامخ ، هو أبعد ما يكون عن التصوف ، بل هو أبرز مظهر للفساد الخطير الذى دب إلى الصوفية ، والذى يضرع رجالها الصادقون إلى الله أن يهوّر ليله ويبدل منه الروحانية والسمو .

والكلمة الختامية للمؤلف التى يناجى فيها شيخه ويشيد فيها بفضله هى بما فيها من حب صاف ووفاء خالص وعواطف حارة مؤثرة صلوات على الشيخ الراحل الذى وقف على تربية الشباب عمره ، والذى كان المؤلف من أقرب خلصائه .

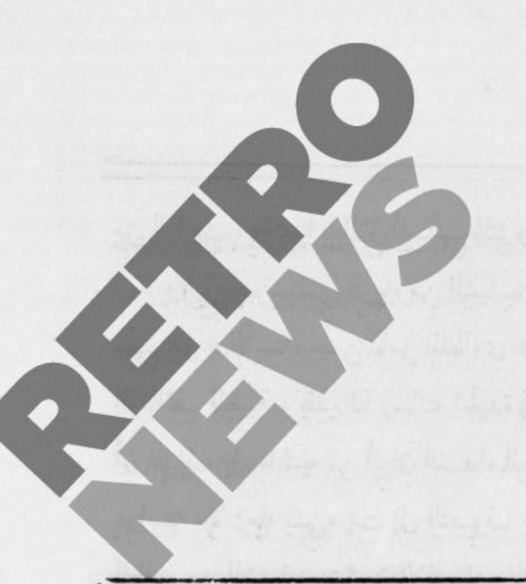
وليس لدى ما آخذه على الرسالة سوى أن مؤلفها بما أوتى من طبع مشرق نقى وثروة فى الثقافة الصوفية ضافية كان حقيقاً أن يطيل إمتاعنا بكتابته ، لاسيما وأن أمامه منتدحاً كبيراً للقول .

ولقد نشر المؤلف رسائل خاصة لأستاذه ، وكنت أوثر لو صفيت هذه الرسائل من بعض أشياء لا يضار الجوهر من تصفيتها ، بل لعل التصفية كانت تزيدها بروزاً وجمالاً .

***

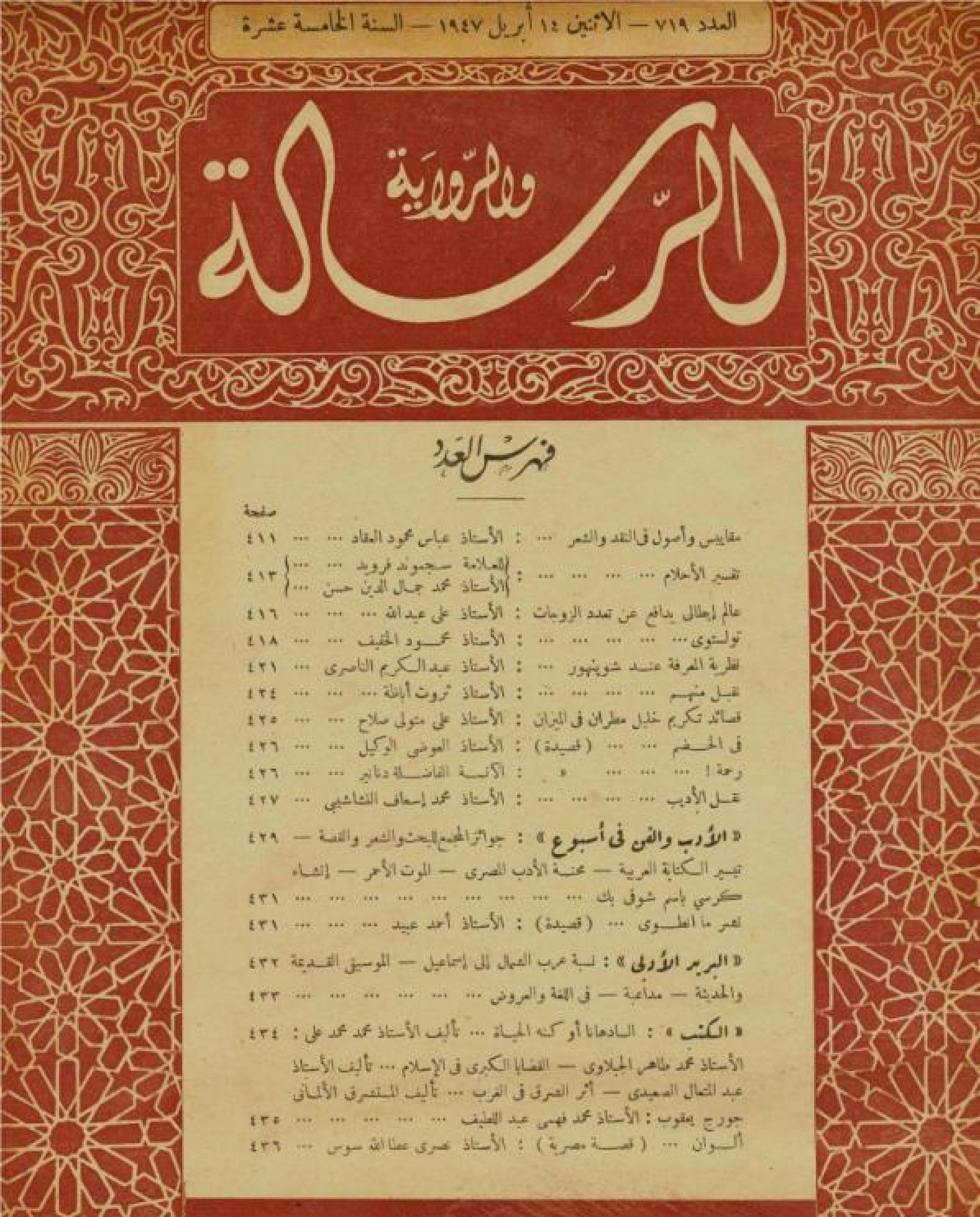
أما بعد ، فالصوفية يطربون لهذه النفحة المباركة من المؤلف الصالح ، ويعتزون بإقبال أمثاله على خدمة الدين والتصوف . آجره الله على ما فعل .

لبيب السعيد
نائب المشيخة البيومية بالدقهلية






مطبعة الرسالة



العدد ٧١٩ — الاثنين ١٤ أبريل ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

# الرسالة والرواية

## فهرس العدد

صفحة

مقاييس وأصول في النقد والشعر ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ... ... ٤١١

تفسير الأحلام ... ... ... ... : العلامة سجموند فرويد ... / الأستاذ محمد جمال الدين حسن ... ٤١٣

عالم إيطالي يدافع عن تعدد الزوجات : الأستاذ على عبد الله ... ... ... ٤١٦

تولستوي ... ... ... ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ... ... ٤١٨

نظرية المعرفة عند شوبنهور ... : الأستاذ عبد الكريم الناصري ... ٤٢١

نقبل منهم ... ... ... ... : الأستاذ ثروت أباظة ... ... ... ٤٢٤

قصائد تكريم خليل مطران في الميزان : الأستاذ على متولى صلاح ... ... ٤٢٥

في الخضم ... ... (قصيدة) : الأستاذ العوضي الوكيل ... ... ٤٢٦

رحمة ! ... ... ... ... « : الآنسة الفاضلة دنانير ... ... ٤٢٦

نقل الأديب ... ... ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي ... ٤٢٧

« **الأدب والفن في أسبوع** » : جوائز المجمع للبحث والشعر والقصة — تيسير الكتابة العربية — محنة الأدب المصري — الموت الأحمر — إنشاء كرسي باسم شوقي بك ... ... ... ... ... ... ... ٤٣١

لعمر ما انطوى ... (قصيدة) : الأستاذ أحمد عبيد ... ... ... ٤٣١

« **البريد الأدبي** » : نسبة عرب الشمال إلى إسماعيل — الموسيقى القديمة والحديثة — مداعبة — في اللغة والعروض ... ... ... ... ٤٣٢ ، ٤٣٣

« **الكتب** » : السادهانا أو كنه الحياة ... تأليف الأستاذ محمد محمد على : الأستاذ محمد طاهر الجبلاوي — القضايا الكبرى في الإسلام ... تأليف الأستاذ عبد المتعال الصعيدي — أثر الشرق في الغرب ... تأليف المستشرق الألماني جورج يعقوب : الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف ... ... ... ... ٤٣٤ ، ٤٣٥

ألوان ... (قصة مصرية) : الأستاذ نصرى عطا الله سوس ... ٤٣٦

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧١٦ — الاثنين ١٤ ابريل ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة




## فهرس العدد

صفحة

مقاييس وأصول فى النقد والشعر ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ... ... ٤١١
تفسير الأحلام ... ... ... ... : للعلامة سجموند فرويد ... / الأستاذ محمد جمال الدين حسن ... ٤١٣
عالم إيطالى يدافع عن تعدد الزوجات : الأستاذ على عبد الله ... ... ... ٤١٦
تولستوى ... ... ... ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ... ... ٤١٨
نظرية المعرفة عند شوپنهور ... : الأستاذ عبد الكريم الناصرى ... ٤٢١
نقبل منهم ... ... ... ... : الأستاذ ثروت أباظة ... .... ... ٤٢٤
قصائد تكريم خليل مطران فى الميزان : الأستاذ على متولى صلاح ... ... ٤٢٥
فى الحضم ... ... (قصيدة) : الأستاذ العوضى الوكيل ... ... ٤٢٦
رحمة ! ... ... ... « : الآنسة الفاضلة دنانير ... ... ٤٢٦
نقل الأديب ... ... ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى ... ٤٢٧

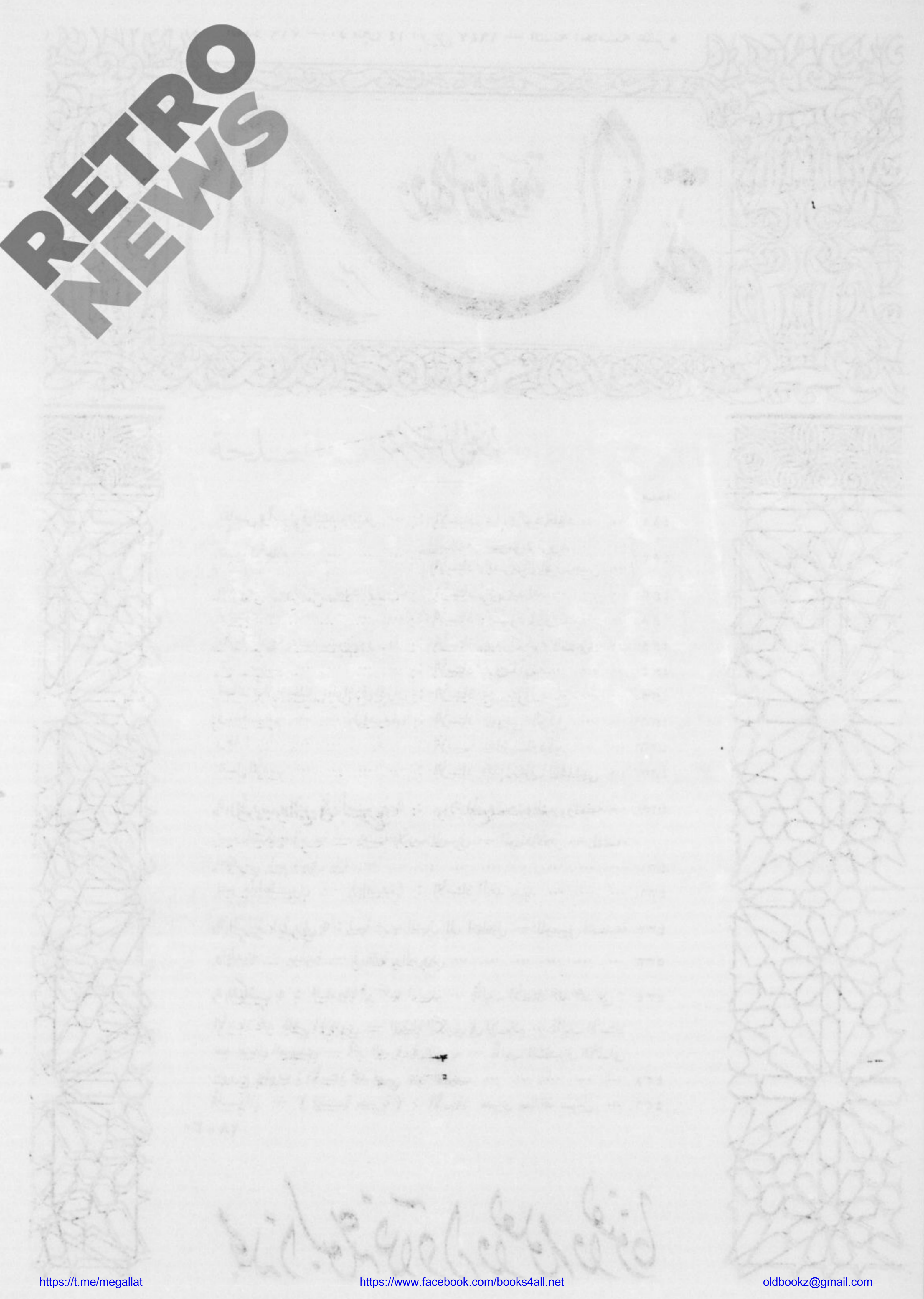
« **الأدب والفن فى أسبوع** » : جوائز المجمع للبحث والشعر والقصة — تيسير الكتابة العربية — محنة الأدب المصرى — الموت الأحمر — إنشاء كرسي باسم شوقى بك ... ... ... ... ... ... ... .... ٤٢٩ – ٤٣١
نشر ما انطوى ... (قصيدة) : الأستاذ أحمد عبيد ... ... ... ٤٣١

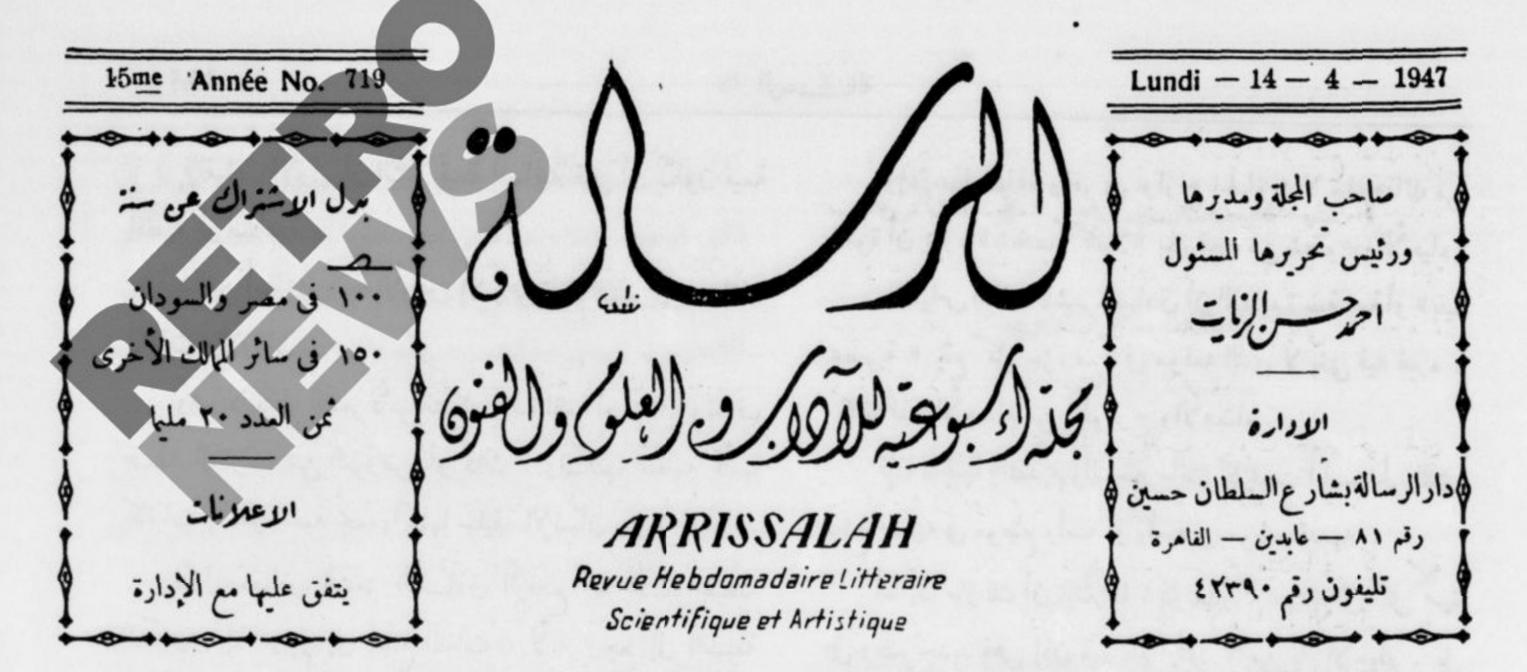
« **البريد الأدبى** » : نسبة عرب الشمال إلى إسماعيل — الموسيقى القديمة والحديثة — مداعبة — فى اللغة والعروض ... ... ... ... ... ٤٣٢ – ٤٣٣

« **الكتب** » : السادهانا أو كنه الحياة ... تأليف الأستاذ محمد محمد على : الأستاذ محمد طاهر الجبلاوى — القضايا الكبرى فى الإسلام ... تأليف الأستاذ عبد المتعال الصعيدى — أثر الشرق فى الغرب ... تأليف المستشرق الألمانى جورج يعقوب : الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ... ... .... ... ... ٤٣٤ – ٤٣٥
ألوان ... (قصة مصرية) : الأستاذ نصرى عطا الله سوس ... ٤٣٦

٢٨٠٣٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون


RETRO
NEWS


15me Année No. 719

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Lundi — 14 — 4 — 1947

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧١٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ جمادي الأولى سنة ١٣٦٦ — ١٤ أبريل سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة



# مقاييس وأصـــول

## فى النقد والشعر

للأستاذ عباس محمود العقاد

« كتب الأديب السورى العصرى الأستاذ خليل هنداوى مقالا فى مجلة الكتاب الفيحاء تناول فيه بالنقد مؤلف الأستاذ سيد قطب الحديث عن « كتب وشخصيات » ، واستطرد من نقده إلى الكلام على ما سماه المدرسة الشوقية والمدرسة العقادية فى الشعر، ثم انتهى من كلامه قائلا : ومثل شوق لن تظهر قيمته مدرسة عقادية لأنها أظهرت فيه تحيزها يوم كانت تريد أن تجعل من المازنى الشاعر الأكبر ، ومن شكرى الشاعر المصور . وها قد طلق المازنى الشعر لأنه لم ير نفســه أهلا له ، وها شعر شكرى لا يردده أحـد ، ولم يبق من تلك الفئة إلا العقاد . والعقاد رجل ذهنية جبارة وعقل خصيب عجيب ، لا يسمح له أن يطير إلا بقدر ...

« وكان من الحق أن أرجع إلى صاحب المدرسة فى هذا السؤال الذى أردت له جوابا شافيا عن هاتين المدرستين ... فما قول الأستاذ فيما كتبه الهنداوى وما زعمه من التحيز وما حكم به بين المدرستين ... الخ.

على نافع

ونحن نوجز غاية الإيجاز فى الجواب المفيد على هذا السؤال ، فنقول إن التحيز فى أحكام الأدب — وفى جميع الأحكام — أخلق أن ينسب إلى الذين يستحسنون أو يستهجنون لغير سبب يعلمونه إلا أنهم قد استحسنوا وأنهم قد استهجنوا ولا مزيد .

أما أن تبنى حكمك على أصول ومقاييس تعم الآداب كلها ولا تخص أحداً من الشعراء أو الكتاب فليس ذلك من التحيز فى شىء كائناً ما كان الرأى الذى ترتئيه . وليس المتحيز إلا الذى يستمع إلى تلك الأصول والمقاييس فلا ينقدها ولا يبطلها ولا يفهمها على الوجه الصحيح .

ونحن لا يعنينا شاعر من الشعراء بعينه إذا فهمنا الشعر على حقيقته وطلبناه من معدنه . أما إذا كنا نجهل تلك الحقيقة ولا نعرف المحك الصادق لذلك المعدن فالمصيبة أعم من محاباة شاعر أو الإجحاف به والتحامل عليه لأنها مصيبة الميزان نفسه لا مصيبة الشىء الموزون فى إحدى كفتيه ، أو فى كلتا كفتيه .

ونحن لم نقل إن المدرسة الشوقية خلو من محاسنها ومزاياها ، ولا قلنا إنها لم تشتمل على شىء غير النقائص والعيوب .

ولكننا قلنا إنهـا لم تحقق للشعر أشرف مقاصده وأرفع مزاياه ، وعرضناها على المقاييس الخالدة التى لا سبيل إلى التشكيك فيها بحال من الأحوال ، فلم يصدق عليها مقياس منها ولا حاول أحد أن يصحح لنا ما قسناه مخالفاً فيه مذهبنا فى « التطبيق » .

وهذه خلاصة تلك المقاييس التى ندع إنكارها لمن يستطيع إنكارها ، أو ندع تطبيقها على خلاف رأينا لمن يشاء كما يشاء .

فالمقياس الأول أن الشعر قيمة إنسانية قبل أن يكون قيمة لفظية أو صناعية .

فما من أمة على وجه الأرض إلا وهى تنظم الشعر على اختلاف اللغات والأوزان .

وهى لا تنظم الشعر لأنها تتكلم بهذه اللغة أو تلك ، وتعرف هـذا الضرب من العروض أو ذاك . ولـكنها تنظمه لأنها كائنات إنسانية حية تجمعها كلها سليقة الإنسان ونوازع الحياة .

فأول مقياس للشعر الصادق الرفيع أنه يحتفظ بقيمته الـكبرى إذا ترجم إلى جميع اللغات ، لأنه يرجع إلى الطبيعة ولا يجعـل مرجعه كله إلى أعاريض الأوزان أو موقع الألفاظ فى الآذان .

نعم إن الموسيقية اللفظية مزية من مزايا الشعر فى كل لغة من اللغات .

ولـكنها إذا كانت هى مزيته الوحيدة ؛ أو مزيته الـكبرى التى لا ينهض بغيرها ، فأول ما يفهم من ذلك أنه كلام منفصل من الطبيعة الإنسانية ، وأنه صناعة محض وتلفيق من الألفاظ والأوزان ، وليس من الشعر الإنسانى الخالد فى طراز رفيع .

والمقياس الثانى أن الشعر تعبير عن نفس صاحبه وإن كان وصفاً لغيره .

فإذا قرأت ديواناً كاملا من الشعر وجب أن تعرف صاحبه وتتمثله فى دخائل طبعه ونوازع سريرته وأطوار حياته .

وإذا تتبعت غزله — مثلا — فى أطوار تلك الحياة وجب أن تتمثل لك سمات حبه وسمات محبوبه فى كل طور من تلك الأطوار .

فلا يكون الشعر تعبيراً عن نفس حية إذا كنت تجهل تلك النفس حين تقرأ ديوان صاحبها ، ولا تستخرج لها من ديوانه ترجمة حياة داخلية لا يعوزها شىء غير الأرقام والأعلام .

ولا يكون الشعر تعبيراً إذا كنت تقرأ غزل الشاعر كله من صباه إلى شيخوخته فلا ترى فيه فارقاً بين محبوب ومحبوب ، ولا بين عاطفة وعاطفة ، ولا بين شباب ومشيب .

ولا يكون الشعر تعبيراً إذا كان صاحبه يزعم لك أنه معطيك صورة من الأحياء والجمادات وهو لا يعطيك صورة من نفسه .

وإنما هذا صناعة وفقر فى نوازع الحياة ؛ لا يبلغ بقائله من القوة أن يميزه «شخصاً كاملا» بين غيره من شخوص الأحياء .

والمقياس الثالث للشعر الصادق أن القصيدة بنية حية أو «بنية عضوية» يقع كل جزء منها فى موقعه الذى لا يغنى فيه غيره ، كما تتألف الأجسام من الجوارح والأعضاء .

فإذا عالجتها بالتقديم والتأخير ماتت كما يموت الجسم الحى الذى تضع قدميه فى موضع رأسه أو رأسه فى موضع قدميه .

أما إذا جاز لك أن تبعثرها شذر مذر ثم تعيدها فى كل مرة على وضع جديد فهى إذن من عالم الجماد لا من عالم الأحياء . بل هى من عالم الجماد الذى لا فن فيه ولا تنسيق له ولا معنى لتركيبه . لأنك لا تستطيع أن تصنع هذا الصنيع بجماد كالتمثال أو جماد كالدولاب أو القدح المنقوش .

***

هذه أمثلة من المقاييس التى ندين بها فى نقد الشعر وتقدير الشعراء ...

فعلى أى وجه تجوز المخالفة فيها ؟

لا تجوز المخالفة فيها إلا على وجه من وجهين :

فإما أن يقول القائل إن هذه المقاييس باطلة فى جملتها وتفصيلها ، وإن الشعر قد يكون من طراز الشعر الرفيع وهو لا يعطينا مزية إنسانية بمعزل عن رنين الأوزان وطلاوة الألفاظ ، ولا يعبر لنا عن نفس صاحبه ودخيلة حياته ، ولا تماسك قصائده تماسك البنية الحية التى تستعصى على التقديم والتأخير .

فإن قال القائل هذا فهو وشأنه فيما يراه ، والناس وشأنهم فى الأخذ بما رآه .

أما إذا قبل تلك المقاييس وارتضاها فليس له غير وجه واحد للمخالفة فيما قدمناه ، وذلك أن يقول إن المقاييس صحيحة ولـكنها تنطبق على شعر المدرسة الشوقية وما جرى مجراها .

ومعنى ذلك أنه يستطيع أن يستخلص من دواوين شوقى صورة صادقة له كالصورة التى نستخلصها من الدواوين لأمثال المتنبى والمعرى وابن الرومى وأبى نواس وأن يعرف من غزله أطواراً لحبه فى الشباب والمشيب ، وأوصافاً لمن أحبهم ونظم الغزل فيهم على اختلاف المحاسن والسجايا وألوان الغرام .

# ٢ – تفسير الأحلام

للعلامة سيجموند فرويد

سلسلة محاضرات ألقاها فى ڤينا

للأستاذ محمد جمال الدين حسن

**المحتوى الظاهر والمحتوى الباطن للحلم :**

رأيتم أن دراستنا لسيكولوجية الأخطاء لم تكن عديمة الفائدة ، فقد استطعنا بفضل الجهود التى بذلناها فى هذا الاتجاه أن نصل ، عن طريق الفروض التمهيدية التى تعلمونها ، إلى نتيجتين : الأولى فهم لطبيعة عنصر الحلم ، والثانية العثور على طريقة لتفسير الأحلام . أما عن طبيعة عنصر الحلم فقد رأينا أنه ليس فى حد ذاته شيئاً رئيسياً ، وإنما هو بديل من شىء آخر مجهول لدى الشخص الحالم . وإنا لنأمل فى تطبيق هذا الفهم على الحلم بأكمله كمجموعة من هذه العناصر ، والطريقة التى سنتبعها هى أن ندع بعض الأفكار البديلة تتوارد على خاطرنا ، وبوساطة الترابط المطلق سنصل إلى كشف الغطاء عن الأفكار اللاشعورية وإبرازها إلى منطقة الشعور .

فإذا انتقلنا الآن من النظر إلى العنصر الواحد ونظرنا إلى الحلم كوحدة كاملة وجدنا أن الحلم ما هو إلا تحريف لشىء آخر لاشعورى وأن الغرض من التفسير هو الكشف عن هذه الأفكار اللاشعورية ، وعلى هذا يجب مراعاة الثلاث قواعد الهامة الآتية عند التفسير :—

١ — لا داعى للاهتمام بالمعنى السطحى للحلم سواء أكان معقولا أم غير معقول ، واضحاً أم غير واضح ، فهو لايحتوى بأى حال من الأحوال على الأفكار اللاشعورية التى نبحث عنها .

٢ — يجب علينا أن نركز جهودنا فى محاولة تذكر أفكار بديلة لكل عنصر على حدة من غير أن ننعم النظر فيها كثيراً لنرى إن كانت تحتوى على شىء يلائم الحلم أو لا يلائمه . كما يجب علينا أن لا نهتم كثيراً إذا شعرنا أن هذه الأفكار تقودنا بعيداً عن عنصر الحلم .

٣ — يجب علينا أن ننتظر حتى تبرز الأفكار اللاشعورية الخفية التى نبحث عنها من تلقاء نفسها كما حدث فى حالة الكلمة المنسية « مونا كو » التى رويتها لكم فى المحاضرة السابقة[1] .

والآن أظنكم أدركتم أنه لا داعى مطلقاً للقلق أو المبالاة إذا كنا لا نتذكر الحلم بأكمله بل نتذكر جزءاً كبيراً أو صغيراً

(١) العدد ٧١٦ من الرسالة .

---

ومعنى ذلك أنه يستطيع أن يترجم قصائد شوقى ويحتفظ لها بالجوهر الذى لا يزول بزوال المحاسن اللفظية والنغمة الموسيقية ، ويستطيع أن يتحدى الناقد بقصيدة تتماسك فى بنيتها كما يتماسك الأحياء وتستعصى على محاولة التقديم والتأخير .

فإذا استطاع هذا جاز له أن يسمى استحسانه استحساناً وأن يسمى كلامه رداً على نقد وبياناً فى معرض الآراء والأذواق .

أما أن يكون قصاراه « الاستحسان وبس » ! فله أن يستحسن « وبس » كما يريد ، وله أن يقول إن المستحسنين مثله «وبس» كثيرون . ولكن أى استحسان هذا الذى تقيمونه معياراً لآداب الإنسانية يا هؤلاء ؟

إن الذين طربوا لشعر شوقى ولم يلمسوا مواطن النقص فيه هم بأعيانهم أولئك الذين طربوا لتلك الأغاني السقيمة الشائعة ، ورددوها وترنموا بها ولا يزالون يترنمون بها وهي تفنى النفوس وتفرغ المعدات .

أفهذا هو القياس القويم المستقيم ، وما نبسط نحن من خلاصة الآداب الإنسانية هو التحيز والعجز عن التقدير ؟

افهموا يا هؤلاء أولا .

وافهموا يا هؤلاء ثانياً .

وافهموا يا هؤلاء أولا وأخيراً .

افهموا قبل أن تتهموا ، وافهموا قبل أن تنصبوا أنفسكم قدوة للنقد والتقدير ، ومحكمة تقضى بالتحيز وتستأثر لقضائها بالإنصاف .

عباس محمود العقاد

منه فقط ، وأيضاً إذا كنا نتذكر هذا الجزء جيداً أم لا . فالحلم كما نتذكره ليس هو الشيء الحقيقي الذى نبحث عنه وإنما هو بديل محرف له نستطيع بوساطة الأفكار البديلة التي تنتج عنه أن نقترب من المعنى الحقيقي وأن نصل إلى إبراز الأفكار اللاشعورية إلى منطقة الشعور . فإذا حدث أننا أخطأنا فى تذكر الحلم فمعنى ذلك أن تحريفاً آخر وقع فى البديل وهذا التحريف لا يمكن أن يكون من غير دافع .

وكما أن فى استطاعتنا أن نفسر أحلام الغير فإن فى استطاعتنا كذلك أن نفسر أحلامنا ، والحقيقة أننا نتعلم كثيراً من هذا التفسير . فإذا حدث أن أجرينا تجربة على أنفسنا فإننا نلاحظ أن هناك قوة داخلية تعمل على عرقلة التفسير . حقيقة أن الأفكار المترابطة تتوارد على خاطرنا ولكنا نجد أننا لا نريد أن نعترف بها جميعاً بل نأخذ فى نقدها والتمييز بينها لننتخب ما هو صالح فنقول لأنفسنا : « لا : هذه الفكرة لا تلائم الحلم » . أو « هذه فكرة تافهة جداً » . أو « هذه فكرة بعيدة عن الموضوع » . ثم نلاحظ أننا بهذه الاعتراضات كلها قد خنقنا الأفكار المترابطة وفى النهاية أقصيناها عنا قبل أن تتمكن من الظهور بوضوح تام . وعلى هذا فإننا نحاول من ناحية أن نتمسك بالفكرة الأصلية ، أى عنصر الحلم نفسه ، ومن ناحية أخرى نعرقل عمليـة الترابط المطلق عند ما نحاول النقد والتمييز . فإذا حدث أننا لم نقم بالتفسير بل تركنا شخصاً آخر يقوم به فإننا نلاحظ جيداً أن هناك دافعاً آخر يدفعنا إلى هذا التمييز بين الأفكار المترابطة فنقول لأنفسنا فى بعض الأحيان : « لا هـذه فكرة يثقل على النفس التحدث بها . إنى لا أستطيع بل لن أقولها له » .

ومن الواضح أن هذه الاعتراضات تهدد مسعانا بالفشل ، ولذا يجب علينا أن نتخذ لأنفسنا الحيطة ضدها . فإذا كنا نقوم بتفسير أحلامنا وجب علينا أن نعقد العزم على أن لا نخضع لهذه الاعتراضات مهما بدت قوية ، وإذا كنا نقوم بتفسير أحلام الغير فيجب أن نضع نصب عينيه هذه القاعدة الصارمة وهى أن لا يخفى عنا أى فكرة تخطر على باله أثناء عملية الترابط المطلق حتى لو اعترضها أحد الاعتراضات الأربعة التي ذكرتها لكم كأن تبدو عديمة الأهمية أو سخيفة ، أو غير ملائمة ، أو يثقل على النفس التحدث بها . وقد يأخذ الشخص على نفسه عهداً أن لا يخرج عن هذه القاعدة ، ولكنا سنشعر بالخيبة والضيق بلا شك عند ما نرى أنه سرعان ما ينسى هذا الوعد . وقد نحسب لأول وهلة أن هذا النسيان يرجع إلى عدم ثقته فى نجاح عملية الترابط المطلق على الرغم من تأكيداتنا القاطعة له . وربما كانت الخطوة التالية لذلك هى أن نحاول أن نجتذبه أولا إلى نظريتنا بأن نعطيه كتباً يقرأها أو نرسله إلى محاضرات يسمعها حتى يتحول إلى وجهة نظرنا فى الموضوع ، ولكن قليلا من التفكير يرينا أنه لا داعى لاتخاذ مثل هذه الخطوة الخاطئة ، لأننا سنرى أننا أنفسنا عرضة لمثل هذه الاعتراضات على الرغم من عدم شكنا ألبتة فى نجاح طريقتنا .

ولكنا بدلا من التبرم بهذا الإهمال من الشخص الحالم فى المحافظة على وعوده لنا سنتخذ من هذه التجربة مادة صالحة لنا فى الحصول على شيء جديد ، شيء ذى أهمية كبرى لأننا لم نكن نتوقعه ألبتة . فمن الواضح أن عملية تفسير الأحلام تلاقى معارضة قوية بوساطة « مقاومة » تبدو على هيئة اعتراضات فى شكل نقد ، وهذه المقاومة لا علاقة لها بإقناع الحالم نظرياً بنجاح العملية. وقد أثبتت التجارب أن الاعتراضات التي من هذا النوع ليس لها ما يبررها بل على العكس قد ثبت أن الأفكار التي يحاول الشخص إخفاءها عنا هى بغير استثناء على درجة كبيرة من الأهمية ، وأنها لازمة جداً للوصول إلى الأفكار اللاشعورية . وعلى هذا يجب علينا أن نعتنى عناية خاصة بالأفكار التي يصحبها اعتراضات من هذا النوع .

وهذه « المقاومة » تعتبر شيئاً جديداً لم يكن متوقعاً بالمرة . وهى ظاهرة لم تكن ضمن الفروض التي فرضناها فى مبدأ الأمر ولكنا اكتشفناها أثناء البحث . وإنا لنخشى أن تكون هذه الظاهرة عقبة فى طريقنا مما قد يدعونا إلى اليأس أو الكف عن بذل المجهود فى تفسير الأحلام . ولكنا من وجهة أخرى قد نجد لذة فى التغلب على هذه الصعوبات ، فهذه المقاومة التي تعترضنا كلما توغلنا فى البحث عن الأفكار اللاشعورية لا بد وأنها تخفى

وراءها شيئاً ذا أهمية عظمى . وإلا فما الداعي لهذه الصعوبات التي نلاقيها ولا غرض لها إلا التستر والتعمية على قدر الإمكان ؟ إن الطفل عند ما يرفض أن يفتح لنا قبضة يده ليرينا ما بداخلها فما لا شك فيه أنه يقبض على شيء لا حق له في امتلاكه .

وهذا العامل الجديد ( المقاومة ) يختلف من الناحية الكمية باختلاف الأحلام . فقد نجد أنفسنا أثناء العمل عرضة لمقاومات قوية ومقاومات ضعيفة . وهناك عامل آخر كثيراً ما نلاقيه أثناء التفسير يمكن أن نقرنه بهذا العامل ، أعني أنه في بعض الأحيان قد تكفي أفكار قليلة أو فكرة واحدة فقط للوصول من عنصر الحلم إلى الأفكار اللاشعورية التي تستتر وراءه ، بينما في أحيان أخرى قد نحتاج إلى سلسلة طويلة من الأفكار المترابطة ، وإلى التغلب على كثير من الاعتراضات قبل الوصول إلى غايتنا . وهذه الأفكار المترابطة يختلف عددها باختلاف شدة المقاومة ، فإذا كانت المقاومة ضعيفة فإن الأفكار البديلة تكون قريبة من الأفكار اللاشعورية ، أما إذا كانت المقاومة قوية فإنها تسبب تحريفاً كبيراً في الأفكار البديلة ، ومن ثم نحتاج إلى طريق أطول للوصول إلى الأفكار اللاشعورية نفسها .

أظن أن من الأوفق الآن أن نختار حلماً من الأحلام ونطبق عليه طريقتنا في التفسير لنرى إن كان ما توقعناه صحيحاً أم لا ؟ ولكن أي حلم نختار ؟ هذه هي المشكلة . فأنتم لا تعلمون الصعوبات التي ألاقيها في ذلك ، ولا أنا بمستطيع أن أفسر لكم هذه الصعوبات الآن . وقد يرى بعضكم أن الحلم الواضح الغير مشوش يكون سهل التفسير ولكنه بذلك يكون قد ارتكب خطأ كبيراً ، فقد أثبت التحليل أن مثل هذه الأحلام تكون قد تعرضت إلى درجة عالية من التحريف وعلى هذا فإنني أقترح عليكم أن نختبر عنصراً واحداً فقط من الحلم ونطبق عليه طريقتنا لنرى ما ذا ستكون النتيجة :

(١) قصت على سيدة أنها وهي طفلة كانت دائماً تحلم : « أن الله يلبس على رأسه قبعة من الورق تغطي عينيه » . كيف نستطيع إذاً أن نفسر هذا الحلم إذا لم تمد لنا صاحبته يد المساعدة ؟ لظنه من غير المعقول فالحلم يبدو تافهاً لا معنى له . ولكن هذه السخافة سرعان ما تختفي عندما تروي لنا السيدة أن أهلها وهي فتاة صغيرة كانوا يضعون على رأسها مثل هذه القبعة كلما جلست إلى المائدة لأنها لم تكن تكف عن النظر في أطباق أخواتها لترى إن كان أحدهم قد نال نصيباً أكبر من نصيبها . ومن الواضح أن هذه القبعة كانت تستخدم كمانع يعوقها عن التلفت يميناً وشمالاً ، وقد روت السيدة هذه المعلومات في غير صعوبة تذكر . وقد استطاعت أن تفسر الحلم بنفسها عند ما تواردت على خاطرها فكرة مترابطة أخرى فقالت : « ولما كنت قد لقنت وأنا طفلة أن الله يرى كل شيء ويعلم كل شيء ، فلا بد أن الحلم يعني أنني مثل الله قد رأيت وعرفت كل شيء ، على الرغم من محاولتهم منعي من ذلك » . أظن هذا المثل بسيطاً جداً .

(ب) رأى أحد مرضاي حلماً طويلاً نوعاً ما كان منه الجزء الآتي : « كان لفيف من أفراد عائلته يجلسون حول مائدة ذات شكل خاص ... الخ » وقد لفتت هذه المائدة نظر الحالم إلى أنه قد سبق له أن رأى مائدة تشبهها عند زيارته لإحدى العائلات . ومن ثم تسلسلت أفكاره على النمط الآتي : كانت العلاقة بين الإبن والأب في هذه العائلة من نوع غريب ، وقد أضاف الحالم أن علاقته بأبيه كانت في الحقيقة من نفس النوع . وعلى هذا فقد اتخذت المائدة في الحلم كأداة للتشبية .

وليس من المستغرب أن يلتفت صاحبنا إلى مثل هذه التفاصيل التافهة كشكل المائدة ، فقد كان على علم منذ زمن طويل بما يتطلبه تفسير الأحلام . فنحن ننكر إنكاراً باتاً أن هناك شيئاً اسمه المصادفة في الأحلام ، بل على العكس فإننا نتوقع أن نصل إلى غايتنا عن طريق البحث في هذه التفاهات التي تبدو كأنها غير مقصودة . وقد تعجبون جداً لأن الحلم لم يقع اختياره إلا على المائدة كأداة يعبر بها عن الفكرة : « إن العلاقات بيننا تشبه العلاقات بينهم تماماً » ولكن من الممكن توضيح ذلك أيضاً إذا علمتم أن العائلة المذكورة تدعى عائلة tiechler ( مائدة = tisch ) فالحالم عند ما جعل أهله يجلسون على نفس المائدة كان يعني أنهم أيضاً كانوا « tischler » ( أي مائدتين ) .

( يتبع ) محمد جمال الدين حسن

# عالم إيطالي يدافع عن تعدد الزوجات

### انسجام مبادىء الإسلام مع تطور المدنية

للأستاذ علي عبد الله

من أسرار الشريعة الإسلامية السمحة ، أنها تتفق مع نظام الحياة وتطورها ، وأنها تصلح لجميع الأزمان والأجيال ، ولا يتحرج المسلم الذي عاش في القرن الأول من أن يعيش في القرن العشرين ، دون أن يجد غضاضة أو حرجاً أو أوضاعاً تباعد بينه وبين دينه . وقد امتاز الإسلام وهو الدين الذي أعزه الله بمسايرته لتطور المدنية ، واتساع صدره لما في الحياة من مفاجآت ، وانسجامه مع التقدم العلمي ، والسمو الفكري ، والابداع الفني .

وكلما بلغ العقل البشري غايته من الكمال واتسع نطاق الأبحاث العلمية إلى حدود الإعجاز ، أدرك العالم أسرار الإسلام وآمنوا بأن هذه المبادىء المحمدية السامية هي أصلح المبادىء وأكفلها لسعادة الحياة ، وأقدرها على ضمان العيش الهنيء والصفو المريء ، والمتاع الموفور ! !

وبين يدي الآن وأنا أكتب هذه الكلمة محاضرة لعالم إيطالي جليل ألقاها في مدينة شيكاغو في موضوع تعدد الزوجات في اجتماع حضره أكثر من خمسة آلاف رجل وسيدة وقد قال في هذه المحاضرة ما نصه ( إن تعدد الزوجات أصبح في هذا الوقت ضرورة من ضرورات الحياة الحديثة ، وقد أضحت مسئوليات الزوجة عديدة بشكل يستحيل عليها معه أن تقوم بلوازمها الخاصة كامرأة وزوجة وهو الأمر الذي حال بين الأزواج وبين كثير من المتع والرغبات .

ولست أرى علاجاً لهذه المشكلة سوى أن يكون للزوج أربع زوجات يوزع العمل بينهن حسب الكفاءات ونواحي الاختصاص : فالزوجة الأولى بحكم أقدميتها تتولى تربية الأولاد ، والثانية تتولى الإشراف على نظام العمل والشئون المنزلية العامة ، وتقوم الثالثة بإعداد كل ما يلزم للزوج من وسائل الراحة .

أما الرابعة فمهمتها الترويح والترفيه عن الزوج وملاطفته ، والتفنن في إدخال السرور عليه ، ومسح غبار المتاعب عن رأسه ، وجعل غرفتها عشاً لغرامه ، وفردوساً لأحلامه !! )

هذا هو ملخص رأي العلامة الإيطالي هيراد في محاضرته الجديدة ، وقد أشارت جريدة المصري الغراء إلى هذه المحاضرة إشارة لطيفة .

ويعتقد الكونت هيراد أن السعادة الزوجية لا يمكن أن تقوم دعائمها إلا على هذا الأساس إذ تقوم كل زوجة بمهمتها على نظام دقيق ، فإذا مرضت إحدى الزوجات أو ماتت كان لابد للزوج أن يعيد النظر في تنظيم مملكته من جديد وأن يبحث عن زوجة شابة جميلة يضمها في مركز الصدارة العظمى من هذه المملكة .

وقد كان المفروض أن يثور المستمعون على هذه الآراء الجديدة الجريئة التي تخالف ما اصطلح القوم عليه وتتعارض مع تقاليدهم المأثورة والموروثة .

ولكن الأمر كان على العكس إذ قوبلت المحاضرة بالسرور والإعجاب والتصفيق من المستمعين جميعاً ذكراناً وإناثاً .

وأحب أن أعلق هنا على هذه الآراء التي نشرتها الصحف على أنها من مبتكرات العلامة الكونت هيراد بأنها منقولة مع شيء من التحريف من أحكام الشريعة الإسلامية التي طالعت العالم بها منذ ثلاثة عشر قرناً ، وقد كان الغربيون يعتبرون هذه الأحكام من عيوب الدين الإسلامي ويتخذونها سبيلا للطعن فيه ، كما كانوا يعيبون على المسلمين إقرارهم لمبادىء الطلاق ، فلما كشف الله عن بصائرهم ، وطار رماد التعصب من عيونهم ، وارتقت بهم المدنية إلى إدراك أسرار الحياة ، وفهم حقائق الوجود ، آمنوا بتعاليم الإسلام وأقروها ونفذوها بالفعل على اعتبار أنها ضرورة من ضرورات العيش ، حتى ليخيل إلى أنهم قد أصبحوا مسلمين بقوة الواقع وإن لم يعلنوا إسلامهم بحكم التقاليد !!

وأتذكر أني ألقيت في العام الماضي محاضرة في نادي رابطة الموظفين بالمنصورة عن حكمة تعدد الزوجات في الإسلام حضرها كثير من أهل الرأي والعلم ، فلما انتهيت منها قام شاب من إخواننا المسيحيين ومن مدرسي المدارس الثانوية ، فأعلن في

صراحة عجيبة بأنه لم يكن يعرف أبداً أن الإسلام بمثل هذه السماحة وهذا اليسر ، وأنه يشـعر تحت تأثير الإعجاب بما انطوت عليه أحكام الشريعة الإسلامية من مزايا وفضائل وأسرار ؛ أنه مسلم بجوارحه وروحه ! ! فدوت القاعة الـكبرى بتصفيق حماسى هز جوانح الجميع .

أما تعدد الزوجات فى الإسلام فحكمة أرقى بكثير مما ذكره الـكونت هيراد ، وهو فى اعتقادى من مزايا الدين الإسلامى وفضائله ، على أن يكون هذا التعدد لحكمة وضرورة ، لا للهو ولا للمتاع ولا لمجرد العبث والتنقل بين أذرع الغيد !! ويمكن النظر فى حكمته من ناحية الباعث عليه ، فإذا كان لرجل زوجة مريضة ويئس من شفائها ورأى من الوفاء لها أن يبقيها للعناية بها على أن يأتى بزوجة أخرى تعفه وتروح عنه فما هى الحكمة فى منعه عن هذا الزواج ، وهو شىء تنادى به الفطرة والطبيعة وحقائق الحياة !! وهل ذلك خير أم نتركه يتخذ الأولى زوجة والأخرى خليلة ؟؟

إن الدين الإسلامى ينظر إلى الحقائق المجردة ولا يؤمن بالخداع والنفاق ، ولا يوافق أبداً على أن يتخذ الرجل زوجة واحدة ثم يتخذ بجانبها خليلتين أو ثلاثا ! ثم يدعى بعد ذلك أنه قد اقتصر على واحدة وهو فى الواقع متزوج بأربع ، واحدة بشريعة الله وثلاث بشريعة الشيطان !! ومع ذلك فالإسلام لا يكلفه إلا أن يجعل الحرام حلالا

وما ذلك إلا لأنه دين واقعى يحارب الرياء والخداع والتظاهر بما لا يتفق مع الواقع .

وماذا يصنع العالم فى عشرين مليوناً من الفتيات فى أوربا وحدها تركتهن الحرب الضروس بدون أزواج ؟ المسألة واضحة ، فإما أن يبيح القوم تعدد الزوجات لرجل واحد أو يبيحوا البغاء لهؤلاء المسكينات !! وهنا تظهر عبقرية الإسلام فى الاحتياط للطوارىء وتنظيم نواميس الحياة ، والتشريع الصالح للخلود .

وهذه ألمانيا المحتلة قد نفذت بالفعل نظام تعدد الزوجات بناء على طلب الفتيات والنساء وإلحاحهن ؛ لا على طلب الرجال . ولو قلنا للألمانيات الجائعات المشردات إن الإسلام هو الذى وضع لكم هذا التشريع المحكم وأعده لمثل هذه المحنة القومية لهتفن بحياة الإسلام !! الدين الذى جاء لإنقاذ البشرية والإنسانية من الويلات !!

وليست ألمانيا وحدها هى التى أخذت بنظام الإسلام فى هذه الظروف العصيبة ، بل تبعتها إيطاليا مقر البابوية ، وهاهى ذى أمريكا تسير فى هذا الطريق . بل وهذا هو برنارد شو يقرر فى صراحة واضحة بأن مبادىء الإسلام ستغزو العالم لأنها المبادىء الصالحة للبقاء !!

وبعد فقد آن الأوان للدنيا كلها أن تصغى لهذه الآية الـكريمة ( قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ) ! ! وصدق الله العظيم .

( المنصورة ) **على عبد الله**

الأدب في سير أعلامه :

# ١٠ – تولستوى

[ قمة من القمم الشوامخ في أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه ]

للأستاذ محمود الخفيف

## خيوط من النور

لئن اشتدت حلكة الليل فى عهد نيقولا ، وأحاطت بالناس المخاوف مما كان يتهددهم من المهالك ، فان خيوطاً من النور برغم ذلك كانت تتراءى على الأفق فتكون لأنفس الأحرار أنساً وشفاء وعزاء ...

حالت القوة بين الروس وبين أى عمل يتصل بالسياسة فقام الفكر والأدب مقام العمل ؛ ولكن أى فكر هذا وأى أدب وكيف يتسنى له أن يخرج من الرؤوس ، وكيف تتجاوب به نفوس الأحرار والرقيب من ورائهم محيط وسلطة لا يحدها قانون ولا تقوّمها نصفة ؟ ليس غير الفن ينفس به الأحرار عن أنفسهم وقد اختاروا من صور الفن : القصة والشعر والموسيقى ... وراحوا يهمسون بهذا الفن همساً سوف يكون له فى روسيا دوى عظيم .

كانت القصة الروسية على حد تعبير أحد الكتاب « صرخات من فوق خشبة الصلب » ، ولكنها كانت صرخات القوى الذى أنطقه الألم الهائل على رغمه ، لا صرخات الخائر الذى يستعطف ويبكى ...

ولما كانت القصة فى مقدمة الوسائل التى عبر بها الروس عما فى نفوسهم ، فقد برعوا فيها براعة جعلت الكثيرين من فطاحل النقد فى أوربا يسلمون لروسيا بالسبق فى هذا الميدان ، فعندهم أن فن القصة بلغ أوج كماله فى القرن التاسع عشر فى روسيا فقد سبق الروس فى هذا القرن أساتذتهم من الفرنسيين والانجليز والألمان حتى غدوا هم الأساتذة وأحدثوا فى هذا القرن أثراً بعيداً فى فن القصة فى هذه الأمم الثلاث وفى غيرها ممن نقلوا القصة الروسية الى آدابهم ...

وليس بعجيب أن ينبغ الروس فى هذا النوع من القصة ، فأمام غيرهم مجال القول متسع فى غير هذا الفن ، ولكن الروس اضطروا أن يظلوا على القصة عاكفين زمناً طويلا فتهيأت لهم أسباب التفوق ، وتعددت فى القصة مذاهبهم وأساليب تعبيرهم ، واتضحت هذه المذاهب واستقرت ، وطوّعت هذه الأساليب وأسلس قيادها .

كان على كتاب القصة أن يخلقوا وسيلة بها يتكلمون ولكن على ألا يفطن إلى ما يريدون المنصتون من الحكام والرقباء ، وكانت القصة فى ذاتها كعمل فنى خير معين لهم على ذلك ولكنهم أضافوا إليها ما أضافوا من صور الوصف فأبدعوا تصوير ما كانوا يريدون تصويره من مشاهد الحياة وآلامها ، وألوان العواطف الإنسانية وخلجاتها ؛ ولقد أدى بهم هذا إلى أن يسلكوا وإن لم يقصدوا مذهب الفن للفن ، فلم يدعوا إلى شىء إيجابى أو يقترحوا علاجاً لداء ؛ وإنما اكتفوا أو اضطروا فى الحق أن يكتفوا بتصوير الحياة الروسية كما هى بما فيها من خير وشر ، ومن هنا كذلك كان المذهب الواقعى هو الغالب فى القصة الروسية .

وكان هذا الوصف أعلى فى الآذان صوتاً وأعمق فى النفوس أثراً من كافة صور التعبير التى أتيحت لغير الروس ، من فلسفة ومقالة ومحاضرة وبحث ، وتلك هى ميزة الفن وبخاصة فن القصة وقد بلغت أقصى ما يبلغه فن كأداة للتعبير على أيدى أساطين القصة الروسية .

وثمة صفة أخرى للقصة الروسية ، وتلك هى انطواؤها على كثير من النذر ، ويشاركها فى ذلك الشعر إلى حد كبير ، حتى ليمكن القول إن الأدب الروسى فى القرن التاسع عشر كان أكثر من أدب أية أمة تنبؤاً بالمستقبل المخيف ؛ بل لعل هذا التنبؤ هو خاصته التى مازته من غيره فهو نذير للناس بالهول والبلاء والشر المستطير ، وقل أن كان بشيراً بشىء إلا بما يفهم مما يتضمنه هذا الشر المنتظر من معنى الثورة التى تذهب بالمساوئ القائمة وتفتتح فى تاريخ البلاد عهداً جديداً ..

ولقد كان الأدب الروسى فى الواقع لهذه العوامل المحيطة به أدباً ثائراً ؛ لا بما كان ينذر به من هول فحسب ولكن بما كان يصف من سوء الحال ، فان ذلك الوصف على ما يبدو من هدوئه كان متنفساً للنفوس مما كانت تنطوى عليه من ثورة ، أو كان شكاة وأنيناً أو « صرخات من فوق خشبة الصلب »

والفرق واضح بين هـذا الأدب الروسى وبين أدب فرنسا قبيل ثورتها الكبرى على أيدى فلتير وروسو وديدرو وأضرابهم فقد تفلسف أولئك الفرنسيون وسخروا وبينوا سبل الخلاص وواجهوا المسائل السياسية والاجتماعيـة والاقتصادية مواجهة مباشرة فكانوا فى الغالب فلاسفة مفكرين ، ولكن الروس صوروا فحسب ، فلم يبينوا لنـا المعايب الاجتماعية وأسبابها وشقاء العيش وعوامله ، وإنمـا خلقوا لنا أناساً أشقياء يتألمون وتفدحهم كوارث الحياة ولا يدرون ماذا يفعلون .

ولقد أحدث هذا الأدب أثره العميق فى النفوس على الرغم من الرقابة والرقباء ، حتى انتهى الأمر إلى ثورة جارفة كانت فى الواقع من صنع الفن وحده ؛ وليس فى هذا الذى نذكر شىء من الغلو ، فبالفن لا بالأفكار المجردة ، ولا بالدراسة المباشرة لمشكلات روسيا هدم أدباء الروس صرح العهد القديم ، وعلى ألسنة أشخاصهم التى خلقوها وفى ميول هذه الأشخاص ونزعاتها وحركاتها عبر الكتاب عما يريده كل روسى وأفصحوا دون أن يقولوا قولا صريحاً عما كان يشغل الأذهان من آراء فى الاجتماع والسياسة والاقتصاد ما كان ليسمح بها الرقيب ...

وفى الأدب الروسى جانب روحى أكسبه صفة إنسانية عامة بها وجد سبيله إلى قلوب الناس فى كل أمة ؛ وهـذا الجانب الروحى فيه هو محاولة الوصول إلى خلاص للانسان عامة من شرور الحياة وشقائها ، وتوقعه حياة أخرى أسمى من هذه الحياة ، ومرد ذلك فى الواقع إلى هول ما عانى الروس من ظلم وما ذاقوا من ألم وشقاء . ومن عجب الأمور أن كثيراً من الأدباء الروس على ما بلوا من شرور الحياة حولهم وآثامها كانوا يؤمنون فى كتاباتهم بالخير وأنه هو الأصل فى الإنسان ، وأن الشر يأتيه من الحياة وملابساتها ، فكان هؤلاء الأدباء متفائلين مع ما كانت تريهم الحياة من دواعى التشاؤم .

وكفر أدباء روسيا بمدنية الغرب وثقافة الغرب ، فلم يروا أنهما حق كلهما ، وإنما أحسوا فيهما بكثير من صور الباطل ؛ وارتابوا فى كثير من المبادئ التى أخذ بها العالم الغربى واطمأن إلى استقرارها وصلاحيتها لتقدم العمران والسمو بمستوى الحياة ؛ وساورهم كثير من القلق فيما عسى أن تفضى إليه هذه المبادئ من كوارث قد تطيح بهـا وبمدنية الغرب جميعاً ، وقد أضاف هذا الكفران بمدنية الغرب وثقافته إلى الأدب الروسى والقصة الروسية نغمة ارتاحت إليها النفوس القلقة ، وزادت هذه النغمة ثورة هذا الأدب بروزاً ، وجعلت له خطراً كبيراً فى تاريخ الفكر البشرى ...

وأدى هذا الكفران بمدنية الغرب ومبادئ المجتمع الغربى إلى اتساع أفق الأدب الروسى ، فبات يتعمق النظر فى مسائل الحياة والموت وما عسى أن يكون وراء هذا الكون العجيب من أسرار ود الأدباء لواستطاعوا أن يهتدوا إلى شىء منها ، وقد صبغ هذا الاتجاه الأدب الروسى بصبغة دينية صوفية لا مثيل لها فى أدب الغرب ...

***

كان الشعر أسبق من النثر فى هـذا القرن ولذلك حق أن نتكلم أولا عما كان للشعر من أثر فيما نحن بصدده ، وقد تجلى هذا الأثر فى شعر شاعرين كانت لهما أو على الأصح كانت لأولهما زعامة الشعر الروسى الحديث وهما بوشكين وليرمونتوف . وقد ولد أولهما سنة ١٧٩٩ ومات فى الشهر الأول من سنة ١٨٣٧ . وولد ثانيهما سنة ١٨١٤ ومات سنة ١٨٤١ .

تمثلت الروح الجديدة فى حياة بوشكين وفى شعره ، ولقد كان لهذا الشاعر الفذ الذى مات فى الثمانية والثلاثين من عمره ، أعمق الأثر فى الأدب الروسى فى القرن التاسع عشر ...

يعد بوشكين بحق أحد عباقرة الشعر فى جميع عصوره وعلى اختلاف بيئاته ، فقد خلق موهوباً كما يخلق أفذاذ هذا الفن وفحوله فله قوة الشعر وعمق الفكرة وصدق الإحساس وحدته وسمو الروح وحرارة الإيمان وجمال النفس ، وله إلى جانب ذلك الأداة الطيعة من التعبير الجميل القوى والموسيقى الرائعة الحلوة .

على أن ما يعنينا هنا هو أثر فنه لا قيمة ذلك الفن ؛ ولقد كان أكبر تأثيره فى حياة قومه بمـا تغنى به من أغانى الحرية ، تلك الأغانى التى هزت النفوس هزاً .

تأثر بوشكين بشاعر عظيم متمرد ثائر هو اللورد بيرون الذى قضى نحبه سنة ١٨٢٤ فى حصار مسولنجى مصاباً بالطاعون ، وقد كان يدافع مع المدافعين عن حرية اليونان ، وأعجبت بوشكين

حمية بيرون كما أعجبته طريقته فى الشعر ، وكان من أبرز خصائص بوشكين أنه يتمثل آثار غيره ويتأثر بها ولـكنه لا يفقد أصالته ولذلك فقد احتفظ بروحه الروسية وإن اصطنع أسلوب بيرون .

تغنى بوشكين بعظمة روسيا وقوتها وكان يعد بطرس الأكبر بطلها الفرد ، وغنى بمثل البكاء حياة فلاحيها وشقاءهم ، وكان شعره مليئاً بالنذر ، فـكان منـذراً للطاغين مبشراً بحرية سوف تنعم بها روسيا بعد طول الأسر والعذاب نجد ذلك فى قوله « إنا منتظرون ، وقلوبنا المتلهفة تخفق بالأمل فى الحرية المقدسة كما ينتظر العاشق الشاب ساعة لقائه بفاتنته »

وتأثر بوشكين كذلك بمبادئ الثورة الفرنسية ، وكان صديقاً للديسمبريين ، ولـكنه كان قد نفى إلى ضيعة أمه قبيل حركتهم فلم يشارك فيها ونجا بذلك من الموت لينظم لروسيا خير ما أخرجت من شعر وليوقظ مشاعرها ويطبع أدبها بطابعه ؛ وليكون شعره حداءها المتلئ بالأمل والسحر .

وكان حول بوشكين عدد من الشعراء ، كان ليرمنتوف الذى بدأ ينظم الشعر من سن الرابعة عشرة أبرزهم وأقواهم موهبة ، وقد تأثر هـذا الشاب الشاعر ببوشكين أولا ثم بشلر وأخيراً باللورد بيرون ذلك الذى أحبه ليرمونتوف حباً كاد ينسيه كل شاعر غيره حتى بوشكين نفسه .

وكان ليرمونتوف فى شعره منذراً أكثر مما أنذر بوشكين ، وقد أذاع قصيدة غفلا من اسمه سنة ١٨٣٠ تنبأ فيها بالثورة ، حتى ليعجب من يقرأها بعـد الثورة البلشفية من صحة نبوءته ؛ فكأنما كانت تتكشف له حجب الغيب ؛ وتغنى ليرمونتوف بالحرية كما تغنى بوشكين ، وكان ينظم الشعر فى يسر فيجئ قوياً متدفقاً كالسيل ، ولـكن الموت لم يمهله لتمد موهبته غاية مدها فمات وهو فى السابعة والعشرين ... على أنه قبل وفاته بسنة أخرج وصية نثرية سنة ١٨٤٠ تعد أول قصة تحليلية فى الأدب الروسى الحديث وهى القصة المسماة « بطل من أبطال عصرنا » ، ولذلك يعد هذا الشاعر الفذ طلعة فى فن القصة .

***

ونعود بالحديث إلى القصة فنجد أن الـكاتب الذى يعد مقامه فى القصة كمقام بوشكين فى الشعرهو جوجول المولود سنة ١٨٠٩ والمتوفى سنة ١٨٥٢ ؛ وليس معنى ذلك أنه لم يوجد قبل جوجول قصصى ، وإنما نقصد أن جوجول كان رائد القصة الروسية فى القرن التاسع عشر وكان زعيماً من أكبر زعمائها غير مدافع ...

قام فن هذا القصصى الموهوب على أساس السخرية من المعايب الاجتماعية فى عصره ، ولم تـكن سخريته سخرية نفس هادئة تعطف على ما تخلق من الشخصيات وترفق بهم وتضحك مع الضاحكين كسخرية شارلز دكنز مثلاً ، وإنما كانت سخرية عنيفة هدامة تبرز المعايب عن سخيمة ونقمة كأنها سخرية شيطان يلهو بزلة فريسة من فرائس غوايته ...

كان يؤلم جوجول أن يرى روسيا وقد ذاع فيها الشر والفساد والباطل ، وماتت فيها روح العدالة والخير ، وكان يقول دائماً إنها ممتلئة بالأقنعة الـكاذبة حتى ماتقع العين على آدمى واحد فيها ، والحق أنه قلما اطمأن إلى وجود شىء من الخير فى الحياة الروسية فقد استشرى الشر فى رأيه حتى لم يدع للخير مجالا ...

وقد أنتج جوجول عدداً غير قليل من القصص والصـور الاجتماعية ، ويهمنا فيما نحن بصدده ثلاثة منها هى « المفتش العام » و « الأنفس الميتة » و « العباءة » أما القصة الأولى فهى ملهاة تهكمية تدور حول نبأ أذيع بأن مفتش الحـكومة العام قادم للتفتيش فى مدينة من مدن الأقاليم ، ولما كان المفتش غير معروف فقد أخذ الموظفون مسافراً من المسافرين على أنه المفتش المرهوب الجانب ، فأكرموا وفادته ومشوا بين يديه بالزلفى وأعطوه المـال والهدايا ، ولـما رأى ذلك المسافر أنه قد أخذ منهم كل ما استطاع أخذه من المال فر هارباً ؛ ويسدل الستار عقب إعلان أن المفتش الحقيق قد وصل فعلا ! ؛ ولقد أحدثت هذه الملهاة ضجيجاً كبيراً وأثارت من حنق الحـكومة على مؤلفها ما اضطره إلى مغادرة روسيا إلى إيطاليا حيث أتم قصته الـكبرى « الأنفس الميتة » .

تعد هذه القصة الثانية من أعظم الآثار فى أدب أوروبا جميعاً ولم تـكن لها عقدة معينة أو حكاية غرام ، وقد أتمها جوجول فى عدة سنوات ، وفيها سخرأشد السخرية من كل ما عده معيباً فى الحياة الروسية ، وتهزأ بمن شاء من الأشخاص الذين صور أمثلة لهم فى قصته الـكبرى ، وقد نفذت عيناه نفاذاً عجيباً إلى كل معيب شائن فى جوانب تلك الحياة وإلى كل وضيع مرذول من صور

مرجعات فى الفلسفة :

# نظرية المعرفة عند شوبنهور

للأستاذ عبد الكريم الناصرى

[ تتمة ما نشر فى العددين السابقين ]

١ — مبدأ الصيرورة :

أو مبدأ التغير ، أو قانون العلة والمعلول . ومُفاده أن كل شىء فى العالم الواقعى المتغير فهو حلقة فى سلسلة العلل والمعلولات ، وخاضع إذاً للجبرية المطلقة . وسلسلة العلل أزلية أبدية ، بمعنى أنها تمتد إلى الماضى اللامتناهى ، وإلى المستقبل اللامتناهى . والعلة تسبِق المعلول بالضرورة ، فلا مجال لتبادلهما الأثر فى وقت واحد . وهناك ثلاثة أنواع من العلل ؛ وهى « العلة » بمعناها الضيق ، وتسود التغيرات الميكانيكية واللاعضوية ، و «الحافز» أو المهيج الذى يتحكم فى الحياة النباتية عند النباتات والحيوانات ( كالهضم والدورة الدموية عند الحيوان والإنسان مثلا ) ، و « الباعث » ، وهو يسيطر على الأفعال المقودة بالإدراك والشعور عند الحيوان والإنسان .

٢ — مبدأ المعرفة :

يتحكم هذا المبدأ فى تصوراتنا وأحكامنا . وقوة التصورات هى « العقل » الذى يختص به الإنسان ، بينا « الذهن » مشترك بين الإنسان والحيوان . والتصورات أو المجردات تتوقف على المدركات أو العيانات ، والتصور قد يحيل على تصور آخر ، وهذا على آخر مثله ، ولكن سلسلة الأفكار المجردة لا بدّ من أن تقف عند عيانٍ ، ويكون هذا هو السبب الكافى للتصور الذى يتوقف عليه مباشرة ؛ كما أن هذا التصور هو الأساس الكافى للتصور الذى يتوقف عليه ، أى الذى هو أكثر منه تجريداً . وهناك أربعة قوانين منطقية عليا ، هى قانون الذاتية ، وقانون التناقض ، وقانون الثالث المرفوع ، وقانون السبب الكافى للمعرفة .

٣ — مبدأ الوجود :

أو مبدأ المكان والزمان . ونحن لا نستطيع أن نتصور العالم الواقعى موجوداً إلا فى الزمان والمكان . ولكننا نستطيع ، من جهة أخرى ، لا أن نتصورهما مستقلين عن التجربة تصوراً مجرداً فحسب ، بل وأن ندركهما بالعيان المباشر . ومن أجل ذلك يعتبرهما شوبنهاور صنفاً مخصوصاً من أصناف الموضوعات . ومبدأ الوجود فى الزمان هو « التوالى » ، ومبدأ الوجود فى المكان هو « الوضع » . كل لحظة من الزمان تتعين باللحظة السابقة ، وتُعيّن اللحظة اللاحقة . ومواضع المكان يعين بعضها بعضاً بالتبادل . والإضافات ( أى العلاقات ) المكانية هى موضوع علم الهندسة ، والإضافات الزمانية موضوع علم الحساب . وكلُّ هذه الإضافات تدرك ، أول ما تدرك ، بالعيان الخالص ، لا بالتصور والبرهان .

مبدأ الفعل :

أو مبدأ البواعث أو الباعثية . وقد كنا — فى كلامنا على مبدأ العلية — عدّدنا الباعث فى أنواع العلل الثلاثة . ولكننا كنا عندئذ ننظر إلى العلية من الخارج . فإذا تأملنا الآن فى أحوالنا الباطنة ، وجدنا أن أفعالنا الإرادية أو مشيئاتنا تتعين

( يتبع )

---

الناس وأنماطهم ، لم يغادر شيئاً من ذلك إلا أحصاه ...

ولو أراد النقاد أن يعدوا عشرة كتب فى فن القصة لها أثرها فى توجيه هذا الفن ، ولها خطرها فيما تقاس به رسالة هذا الفن لكان كتاب جوجول « الأنفس الميتة » أحد هذه الكتب العشرة بلا جدال ، فهو فيما تواضع عليه نقدة الأدب أعظم ملحمة للضعة الآدمية فى أدب العالم كله ، وذلك حسب ما يفهم من معنى الملحمة كعمل فنى، وليس كما قد يذهب إليه الذهن من معنى المعركة. فما فى القصة معركة ما وإنما تقصد معنى الملحمة كما تسمى ملهاة دانتى المقدسة ، أعنى أنها عمل أدبى شامل يحيط بكل شىء مما هو منه بسبب ...

الخفيف

بالأسباب التى ندعوها « البواعث » . وقد وصف شوبنهاور قانون الباعثية « بأنه العلة مرئية من الداخل » ، وعن طريقه يتم الانتقال من عالم الظواهر إلى الشيء فى ذاته ، ومن الفيزيا، إلى الميتافيزيقا .

والمبدأ الأول من مبادىء السبب الكافى هو المبدأ الفيزياوى ، والمبدأ الثانى هو المبدأ المنطقى ، والثالث هو المبدأ الرياضى ، والرابع هو المبدأ الأخلاقى . وهذا معناه أن « الضرورة » المطلقة تعمُّ عالم الظواهر ؛ فى صورة الضرورة الفيزياوية ، والمنطقية ، والرياضية ، والأخلاقيـة . والفرد الإنسانى ظاهرة بين الظواهر ، فهو إذن خاضع خضوعاً تاماً للضرورة السببيَّة الجـبرية ، ولا حرية له بهذا الاعتبار .

وكل مبدأ من هذه المبادىء الأربعة ، أو بالأحرى كل « شكل » من أشكال هذا المبدأ الواحد ، مبدأ السبب الـكافى ، يعبر كما قلنا آنفاً عن طبيعة الموضوعات الخاضعة له . فمبدأ الوجود فى الزمان الخالص هو « التعاقب » أو « التوالى » ، وليس الزمان شيئاً سوى هذه الرابطة . ومبدأ الوجود فى المكان الخالص هو « الوضع » ، وليس المكان فى جوهره سـوى « الوضع » والعلية هى الرابطة التى تسود موضوعات الإدراك الحسى ، التى تملؤ المكان والزمان ، وتؤلف العالم المرئى ، عالم المادة . فإذا سألنا : ما طبيعة المادة ؟ فالجواب أن « المادة » ليست فى جوهرها سوى العلية . كيان المادة كله هو الفعل ، والفعل هو العلية ، فالمادة علة ومعلول ، ولا شىء وراء ذلك . ومثل هذا يقال فى تصوراتنا ومشيئاتنا . وصفوة القول إن كل موضوع من الموضوعات فإنما يوجد ويعرف بمقدار ما يرتبط بغيره من الموضوعات ، وفقاً لمبدأ السبب الـكافى فى صورة من صوره الأربع . وهـذه الرابطة تستنفد طبيعة الموضوع باعتباره موضوعاً فحسب ، أى فـكرة بالإضافة إلى الذات . فلنا إذن أن نقول إن عالم الموضوعات أو الفكرات لا يزيد عن كونه شبكة من العلائق والروابط والنسب ، والوجود فيه إذن وجود محض نسبى . ومبـدأ السبب الـكافى ، الذى يظهر لنـا العالم مطبوعاً بطابعه (طابع الضرورة والنسبية) واحد متشابه فى كل صوره ، فإذا اعتبرنا أبسط هذه الصور مثلا ، وهى الزمانية أو الزمان ، فهمنا الصور الأخرى ، وطبيعة عالم الظواهر . ونحن نجد أن كل لحظة من الزمان إنما توجد لأنها محَتْ اللحظة السابقة ، التى ولدتها ، ثم لا تلبث أن تختفى هى أيضاً ، إذ تمحوها اللحظة اللاحقة . فالماضى والمستقبل خاويان خواء الأحلام ، وما الحاضر إلا الحد المترجرج ، غير المنقسم ، بين الماضى والمستقبل .

ومثل هذا الخواء نصيبه فى المكان ، وفى مضمون المكان والزمان ، أى فى كل ما يصدر عن البواعث والعلل ، فلا شىء من ذلك يوجد إلا بالنسبة إلى شىء آخر مثله ، أى نسبى زائل [1] .

« وهذا المذهب فى لبابه قديم : فهو يظهر عند هرقليطى ، حين يندب سيلان الأشياء الأبدى ؛ وعند أفلاطون ، حين يهبط بالموضوع إلى ما هو صائر أبداً ، وليس بكائن قط ؛ وعند اسپينوزا ، فى صورة القول بأعراض الجوهر الواحد ، الكائن الباقى . كما أن (كانت) يعارض الظاهرة المحضة بالشيء ذاته . وأخيراً فإن حكمة الفلاسفة الهنود القديمة تصرح قائلة : (إن مايا ، نقابَ الوهم ، هو الذى يغشى على أبصار الفانين ، ويريهم عالماً لا يستطيعون أن يقولوا عنه ، لا إنه موجود ولا إنه غير موجود : إنه كالحلم . إنه كضوء الشمس على الرمال ، يحسبه المسافر على البعد ماء...) — ولـكن ما يقصد إليه كل هؤلاء ، وما يتحدثون عنه جميعاً ، ليس شيئاً أكثر من هذا الذى نظرنا فيه : العالم باعتباره فـكرة خاضعة لمبدأ السبب الـكافى » .

عالم الظواهر إذن حلم باطل . وليس ثمة من فرق حقيقى بين ما ندعوه الواقع أو اليقظة ، وبين حلم الرقاد . إذ ما عسى أن يكون معيار التفرقة ؟ إن القول بأن أحلامنا أقل وضوحاً وتميزاً من من إدراكنا فى حال اليقظة ، لا وجه له ، إذ لم يتفق أن استطاع إنسان من الناس عقد مقارنة عادلة بين الحالين ، لأننا لا نستطيع أن نقارن إلا ذكرى الحلم بالواقع الحاضر . وقد جعل « كانت » ترابط الأفكار أو الموضوعات وفق قانون العلية معياراً للتفرقة بين حياة الواقع وبين الأحلام ؛ ولـكن يُرَدُّ على هـذا بأن تفاصيل كل حلم على حدته ، على الأقل ، تترابط تبعاً لمبدأ السبب الـكافى فى كل صُوَره ؛ ولا ينقطع الترابط إلا بين اليقظة والأحلام ، أو بين حلم وحلم . وعلى ذلك نستطيع أن نصوغ معيار « كانت »

(١) كما أن عالم الظواهر برمته نسبى إلى الذات العارفة ، تبعاً لصورته العليا (ازدواج الذات والموضوع) .

على الوجه التالى : إن الحلم «الطويل» — الذى نسميه «الحياة» — تترابط أجزاؤه جميعاً وفقاً لمبدأ السبب الكافى ؛ ولكنه لا يرتبط هذا الارتباط بالأحلام « القصيرة » وإن كان كلُّ حلم من هذا النوع الثانى مترابط الأجزاء على الوجه نفسه ؛ ونحن إنما نميز بين الحلم الطويل والحلم القصير لانقطاع الصلة السببية بينهما .

والحق أن أعظم المفكرين والشعراء لم يترددوا فى تشبيه الحياة بالحياة بالحلم . فأصحاب «الفيداس» و «البوراناس» مثلا لا يعلمون من تشبيه العالم الواقعى — الذى يسمونه نسيج « مايا » — بالحلم . وكان أفلاطون كثيراً ما يقول : إن الناس يعيشون فى حلم ، وإن الفيلسوف وحده يحاول إيقاظ نفسه . وشكسبير من الشعراء يقول : لقد جُبِلنا من المادة التى تصنع منها الأحلام ؛ وحياتنا القصيرة يحف بها النوم » . وقد جعل كالدرون عنوان إحدى مسرحياته : «الحياة حلم» . ولا يكتفى فيلسوفنا الأديب بما يقتبسه من الحكماء والشعراء ، بل يدلى هو أيضاً بدلوه ، ويستأذن قارئه فى هذا التشبيه من تشبيهاته الرائعة : إن الحياة والأحلام صفحات من كتاب واحد . والقراءة المنظمة لهذا الكتاب هى الحياة الواقعية ؛ ولكن بعد أن تنتهى ساعات القراءة (أى اليقظة) ترانا كثيراً ما نستمر على تقليب الصفحات فى تراخ وكسل ، فنقرأ صفحة من هنا وصفحة من هناك ، بغير نظام أو ارتباط ؛ وكثيراً ما تكون الصفحة مما قرأناه سابقاً ، وقد تكون فى بعض الأحيان جديدة علينا ؛ ولكن الكتاب المقروء واحد لم يتبدل . ولا ريب فى أن مثل هذه الصفحة المنفردة مقطوعة الصلة بالدراسة المنظمة للكتاب ، ولكن الفرق لا يبدو كبيراً إذا تذكرنا أن القراءة المتصلة ، كالأمر فى قراءة الصفحة المفصولة ، تبدأ وتنتهى فجأة ، وفى وسعنا إذن أن نعتبر المقروء فى الحالة الأولى صفحة واحدة كبيرة » .

إن عالم الظواهر ، هذا الحلم الذى لا نهاية له ، والذى يتسلسل فى الزمان والمكان وفقاً لمبدأ السبب الكافى ، هو موضوع التجربة المادية والعلوم المختلفة ، كالفيزياء والكيمياء والتاريخ ؛ فإن غاية العلم ومهمته استقصاء ترابط الظواهر أو الجزئيات أو الأفكار وفق المبدأ المذكور ، وعلى هدى من « اللماذا » . وتسمى هذه العملية بالتعليل وظيفة العلم إذن تعليل الظواهر ؛ ومضمونه ، الذى لا يستطيع يقدم لنا سواه ، هو ما يصل إليه التعليل من الروابط السببية . أما مضمون الظواهر ، ومعناه الأخير ، أما الشىء فى ذاته ، فإن النظر فيه والإخبار عنه ليس من شأن العلم ، لأنه خارج نطاق السبب الكافى ، الذى يهتدى العلم فى تعليلاته به . وإنما هو من شأن الفلسفة . العلم يستطيع أن يخبرنا لماذا ، وكيف ، وأين ، ومتى ، حدثت هذه الظاهرة عن تلك ، ويستطيع أن يصوغ قوانين لاطراد الظواهر ، من جذبية وكيماوية وكهربائية ومغناطيسية ، ولكنه لا يستطيع أن ينبئنا « ما » المادة ، وما الكهرباء وما الجذب وما الألفة الكيماوية ، وما سائر « القوى الطبيعية » التى تبقى ، بالنسبة إليه ، « كيفياتٍ خفيةً » أو صفات مستورة ؛ وهكذا يتركنا فى جهلٍ مطبق بشأن الطبيعة الباطنة لكل شىء . ولكن حيث ينتهى العلم تبدأ الفلسفة . فإن الوصول إلى هذه الطبيعة الباطنة ، إلى ماهيَّة العالم ، هو الهدف الذى ترمى إليه ، وهى لا تبلغه عن طريق التعليل ومبدأ السبب الكافى ، فإن هذا المبدأ لا يعتدُّ إليه كما سبق القول ، وإنما تبلغه بضربٍ من المعرفة العيانية المباشرة ، ويقول شوبنهاور هنا إن كل إنسان يعرف فى الواقع ما هو العالم ، ولكن هذه المعرفة تجريبية ، وجدانية ، غير متميزة ؛ ووظيفة الفلسفة إعادة هذه المعرفة الغامضة بلغة تصوُّرية تجريدية دقيقة . إن الفلسفة هى مجموع أحكام عامة ، أساسها الكافى هو العالم نفسه برمّته ؛ وهى لذلك تلخيص أو انعكاس للعالم ، فى صورة أفكار مجرّدة ...

( بغداد ) **عبد الكريم الناصرى**

# نقبـــل منهم ...

للاستاذ ثروت أباظة

تلقينا ( الرسالة ) ونحن فى مجلس كأنما أعدّ لها ، فتناولها قارىء منا وأخذ يتلوعلينا مقالاتها متنقلابين علم وفن وأدب حتى بلغ الصفحة الأخيرة ، فطوينا الرسالة — لا زالت منشورة — ثم أخذنا نجيل الحديث بيننا نخفف به ثقـل الوقت ونقصر طوله . وكان فى شعر المجلة أبيات من شاعر إلى ابنه يبثه الأبوة الرحيمة ، ويعقد به الرجاء المأمول ، فقال أديب جالس :

— عجيب أمر هذه الأبوة ! كانت فى صدر الزمان قداسة يشرف الابن أن يتطلع إليها ويستمع إلى ممثلها كأنه إله لا يصدر فى أفعاله وأقواله إلا عن الصواب المحض . وكان الأب من ناحيته يرث القسوة عن أبيه وأجداده ، فيبديها لأولاده ، ولو ترك لعاطفته لمـا بدا منه غير الرحمة . وهكذا قام الصراع فى قلب الوالد بين قسوة دخيلة ورحمة أصيلة ، وظلت العاطفتان تصطرعان منذ عهد الرومان أيام كان الوالد يملك الحياة والموت على أهله حتى اليوم ، إذ نرى الوالد يتوجه إلى ابنه بهذا الحب الصافى وبذلك الرجاء الواسع الذى يعلقه عليـه ... وهكذا تغلبت الرحمة الموهوبة على القسوة المـكسوبة ، وانطلقت النفوس لا يقيدها عرف ، فأبان الوالد عن خلجاته ، وكشف للابن عن نبضاته ، فانسجم البيت على حب ظاهر لا قسوة فيـه ولا عنف . قلت : جميل أن يظهر الوالد عواطفه ، وجميل أن يأخذ ولده باللين ... ولـكن إذا شب الولد عن الطوق ووالده لا يزال يأخذه بالرحمة ، لا يهديه إذا ضل ، ولا يعاقبه إذا زل ، وأمه لا تنفك تعامله بالحنان ؛ فهل يمـكن أن يكون هذا الابن تـكأة لوالديه عند الـكبر ، أو مفخرة لهما يوم الفخر ؟ ... أثبتت الأيام، وما تزال تثبت ، أن هذا لا يكون وأن هذا الابن ذا الملعقة الذهبية يتمرد على أبيه إذا قدم له الطعام فى ملعقة من فضة ... فهـو يستوطىء الدعة ولا يعرف من حياته غير مائدة شهية ، وفراش وثير ، وغيد ملاح ، وكؤوس دهاق ... فالأبوة على هذا اللين قسوة ... إنما تتمثل الرحمة فى عصا الوالد التى تقود الابن إلى السبيل الأقوم .

— لقد تحدثت فأسهبت ، ولـكنك أطلقت قولك كمن يلقى محاضرة لا يعرف موضوعها ، فأنا حين أقول إن النفوس أرسلت على طبيعتها لم أقصد بذلك أن يضع الوالد ولده على كرسى ثم يسمعه عبارات المديح والحب ... إن الحبيب لا يطيق هذا من حبيبه ، فـكيف والأمر بين ابن وأب ؟ إن الابن لا يقبل هذا الثناء فهو يعرف عن حب أبيه إياه ما لا يحتاج معه إلى هذا التبيان ؛ بل لعل القول يغض من قيمة هذه العاطفة فى نظر الابن ... إنما أقصد إلى الرحمة الصادقة ... أما ما كان فى غابر العصور من قسوة فهو يخالف الطبيعة ويرهق الوالد والابن جميعاً .

— نسيت يا صديقى أننا نتكلم عن قصيدة من شاعر إلى ابنه .

أنسانى طول المناقشة سبب النقاش فأرتج على حين جبهنى مناقشى به ، وكان بالمجلس شيخ وقور أخذ يستمع إلى الحوار فى إنصات ولذة دون أن يتكلم ، ولـكنه لمـا سمع الإجابة الأخيرة ورأى حيرتى شارك فى الحديث :

— أمنكما والد ؟

قلت — إنما نحن أبناء .

قال — إن كليكما قد أصاب فى قوله .. وكأنى بكما وأنتما تتناقشان تمثلان الصراع الذى كان قائما فى صدر الوالد قبـل أن تتغلب الرحمة ، ولـكن الأب الحق وسط بين قوليـكما ؛ فالرحمة الدائمة والقسوة الدائمة كلتا الحالتين فيها مضيعة لقوام الابن ... فالوالد محتاج إلى كثير من الحزم يعرف به كيف يضع الأمور فى أوضاعها الصحيحة ، فلا يجعل الشدة فى موضع اللين ، ولا الرحمة فى موطن القسوة ، ولـكن نسى كلا كما أنه إنما يتحدث عن الشاعر ، وهو وحده الذى يستثنيه المجتمع من كل هذه القيود . فاننا لا نحتمل شاباً يحدثنا عن مغامراته الغرامية ، ولـكن إذا كان شاعراً وصاغ لك مغامرته فى قصيدة فانك لا شك تطرب لها وتعجب بها . وإذا كنت محباً فانك واجد فى قصيدة الشاعر متنفساً عما يجيش بصدرك وتشفق من إخراجه نثراً حرصاً على كرامتك إذا كنت أخا كرامة ، وكذلك الوالد الشاعر يقول قصيدته معبرة عن مشاعره نحو ابنه

# قصائد تكريم خليل مطران في الميزان

للأستاذ على متولى صلاح

— ٢ —

وكانت ثانية القصائد التى ألقيت فى تكريم مطران قصيدة الأستاذ عبد الرازق محيى الدين المفتش بوزارة المعارف العراقية وكانت قصيدته — فى الحق — غاية فى الإشراق والبهاء والنصاعة، وكانت الموسيقى، وكان الجرْس العذب الشجى شائعين فى جميع أجزائها ...

وكانت « الحضارة » واضحة جلية فيها، ولعل أصدق وصف يوصف به هذا الشاعر أنه الشاعر « المتحضر » ! واعتقادى أن لحياته الخاصة، ولماضى أيامه، ونظام عيشه، دخلا كبيراً فى ارتقاء شعره وأخذه هذا السمت الرفيع وإن لم أنل شرف التعرف إليه.

وقصيدته فى جملتها قطعة موسيقية متناسقة متسقة لا ترى بها نشوزاً ولا تحس فيها انحرافاً عن النهج الموسيقى القويم، وهى تُغريك بقراءتها إغراء قوياً ملحاً، وتأخذ بك إلى غايتها دون توقف أو تمهل أو تراخ، فليس لك عن تمامها معدًى أو منصرف ...

ولقد استطاع أن يضفى عليها جواً شعرياً صافياً نقياً متعطراً، وكان له فيها — إلى ذلك — معان رائقة طريفة ما أحسب الكثير من شعرائنا المعاصرين يأتون بمثلها وتتفتح لهم مغاليقها إلا من عصم الله !

وقد وصف فيها « الشاعر » الشاعر لذاته مطلقاً أروع وأجمل وصف، فبيّن خصائصه التى يجب أن تكون، وميزاته التى يجب أن تتوافر، وأوضح طريقه الذى يجب أن ينهج، وفلكه الذى ينبغى أن يدور فيه انظره يقول عن الشاعر إنه :

آلة مسحورة تحيا متى   فنيت بالشىء روحاً وخلالا
ضلّت الألباب عن إدراكه   ومضت تحطب رشداً وضلالا

وانظر قوله عنه ممثلا في شخص مطران :

الغوانى البيض ما زلت لها   فاتناً ... تُوليك حباً ووصالا
والمعانى العصم ما زلت بها   أكثر الناس اقتناصاً واعتقالا
تتحدى السرب فى شاهقة   وتعاف السهل للناس مجالا ...

وانظره يقول عنه هذا البيت الطريف الرائع البديع :

مصلح فى غير دعوى مصلح   ونبىّ لم يكلفنا امتثالا ... !

ولعل من كمال الجو الموسيقى الذى أحاط بالقصيدة من كافة جوانبها أن اختارها الشاعر من هذا البحر الغنائى المرقص « الرمل » ...

وهو وإن يكن قد اضطر فى القليل جداً من أبياته إلى ضرورات كنا نود لو تنزّه عنها مثل قوله :

جئت والنهضة فينا طفلة   بعدُ ... لم تبلغ فطاماً أو فصالا.

والفطام والفصال بمعنى، ومثل قوله يصف الشاعر « وعاذا تتحامى شره ؟ » . فإن هذه العبارة فوق مجافاتها للغة الشعر وللغة هذه القصيدة خاصة، فإن الشاعر ملاك رحيم، وليس بالشيطان الرجيم ! وليس وراء الشعراء هذا الشرّ المستطير، وهذا الويل الكبير الذى يتهيّبه الناس ويتّقونه ويلتمسون الوسائل للنجاة منه ! وصدق الذى قال : « أنتم الناس أيها الشعراء » . إلا أن

---

فيقرؤها القارئ ويعجب بها لأنها تعبير صادق عن شعور صادق، ويقرؤها الوالد غير الشاعر فيرتاح لها ويجد بين أبياتها المتنفس الذى أعياه البحث عنه ليفرج فيه عن أحاسيس طال عليها الكظم.

وهكذا الشعراء فى كل أمة وفى كل عصر يحملون عن قومهم ما لا يطيقه القوم، ويذيعون ما لا يذيعه غيرهم فتجرى على أسنة أقلامهم أرسال العواطف . فهلا سمحتم بأن يقولوا ما دام فى قولهم راحة لغير الشعراء !

قال صاحبى وقد بدت عليه علائم الاقتناع :

— إذن فالثناء لا نقبله من والد لابنه مادام الوالد غير شاعر؟ أما الوالدون والمحبون الشاعرون فنقبل منهم .

قال الشيخ :

— هو ما قلت، نقبل منهم .

روت أباظة

هذه هَنات هيّنات جداً لا تضيره فى شىء ، ولا تنقص قليلا من قصيدته الرائعة التى نبارك لها عليه ، ونشدّ على يديه مهنئين طالبين ألا يسكت — ما وسعه الجهد وواتته الظروف — عن الإنشاد ، وألا يسلم إلى الصمت القياد ، وسبحان من له الكمال وحده ...

وكانت ثالثة القصائد لشاعرنا الأستاذ محمد الأسمر ، وقد وجدتُ شيئاً بنفسى يرجع بى وأنا أقرؤها إلى الوراء لم أتبيّنه للوهلة الأولى ، غير أنه أخذ يدفعنى دفعاً قوياً شديداً إلى الوراء كلما أمعنتُ فى قراءتها حتى وجدتُنى أردّد معلّقة عنترة العبسى :

هل غادر الشعراء من متردّم ... أم هل عرفت الدار بعدتوهم ؟؟

ولكننى ما كدت أهتدى إلى هذه المعلقة حتى أوغلت فى قراءتها وتركت قصيدة الأسمر ؛ ومن وجد البحر استقلّ السواقيا!

أراد الأسمر أن يقلّد القدامى ، فنظر وأطال النظر فى هذه المعلقة ، ووقف وأطال الوقوف عندها ، علّه يقول كلاماً فيه منها مشابه وملامح ، ولكنه عاد من النظر والوقوف بظلٍّ باهت ، وصدى خافت

على أن ألفاظه كانت بعيدة عن جرْس الشعر وماينبغى له من تخيّرو انتقاء واصطفاء ، وهل من الشعر قوله :

قدّمتهم نحو العلا فتقدّموا ... والفضل فضل مقدّم المتقدم !

وهل من الشعر كذلك قوله .

هذا ... وكم لك من شمائل حرة ... هى «فى الحقيقة» روضة المتوسّم

أو قوله :

من شاعر يثنى عليك وناثر ... هو شاعر أيضاً وإن لم ينظم

أو قوله :

صورت جنة ظالم وجحيمه ... حتى الغناء وآهـــة المتألم

ولا أدرى ولا المنجم يدرى كيف يكون التصوير إن خلا من آهة المتألم وغناء النشوان وهما أدنى ما ينبغى أن يقال !

وفى مقالنا القادم إن شاء الله سنتناول القصائد الباقية وهى لشبلى ملاط وعبد الغنى حسن وللمحتفل به .

(المنصورة) **على متولى صلاح**

(الرسالة) للأستاذ الكاتب رأيه فى شعر الأستاذ الأسمر ، والرسالة لا توافقه فى جلة ما يرى .

# فى الخضم . . .

للأستاذ العوضى الوكيل

طال ليلى ، وغام أفق صباحى ... هل لديكم من بلسم لجراحى

يا مدير الأقداح ما بالك اليو ... م تدير الهموم فى الأقداح

أنا فى سطوة الخمَار، وما أحـ ... ـسب أنى منها مدى الدهر صاحِ

وكأن السنين أشباحُ ليلٍ ... ملأته قوافلُ الأشباحِ

وكأن المنون غفوة غافٍ ... وكأن الحياة صحوةُ صاحِ

طرقت راحةُ الزمان على قلـ ... ـبى كطرق المستعجل الملحاحِ

يا صديقى لا تلحنى حين أبكى ... فبكائى رأيته كصداحى

رب لاح من الصحاب حكيم ... خبر الأمر فاغتدى غير لاح

رب دمعٍ أبيحه فى قوافىّ ... ودمع فى القلب غير مُباحِ

وأنا اليوم أعزل يدفع الدهـ ... ـر بكف والدهر شاكى السلاحِ

# رحمـــــة ! . .

للآنسة الفاضلة دنانير

يا أيها الروح الغريب الحانى ... يا مؤنسى فى وحشة المكان

ومنقذى من قسوة الزمان ... ألهب شعورى واسر فى جنانى

عاطفة قدســـية النيران

نجيتنى من مجهل سحيق ... ســـد على ثلجه طريقى

ذر الهوى يبعث بالحريق ... ويشعل الدماء فى عروق

فرعدة المقرور فى كيانى

ما زلت تحت وطأة الأعوام ... أخبط فى تيـــه وفى ظلام

حتى تنزلت على أيامى ... روحاً من الضياء والسلام

يهدى إلى شواطىء الأمان

يا رحمـــة من رحمات ربى ... هل نار سيناء أضاءت دربى

أم قبس ألقيتـــه فى قلبى ... فأشرق الكون بنور الحب

وفاض بالعطف وبالحنان

لما تسمعت حنون شدوى ... يقطر دمعاً من أسى وشجوِ

حننت ، وانطلقت تهفو نحوى ... تهتف : يا أختاه ، أنت صنوى

نحن بخد الدهر دمعتان !.

نحن بخد الدهر دمعتان ... منِ أدمع الأشواق والأشجان

إن يكن المزار غير دان ... فقد تلاقى فى الهوى القلبان

وائتلفت على النوى الروحان

وانساب إشعاعك من بعيد ... على بقايا هيكلى المجهود

فاخضر من بعد الذبول عودى ... واهتز للحياة من جديد

قدست يا محى الرميم الفانى

# نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

## ٩١٤ — اتق شر من أحسنت إليه

كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لإسماعيل بن محمد العجلوني :

( اتق شر من أحسنت إليه ) وفي لفظ من تحسن إليه . قال في الأصل[١] : لا أعرفه ، ويشبه أن يكون من كلام بعض السلف ، قال : وليس على إطلاقه بل هو محمول على اللئام دون الكرام ، ويشهد له ما في المجالسة للدينوري عن علي بن أبي طالب ( كرم الله وجهه ) : الكريم يلين إذا استعطف ، واللئيم يقسو إذا لطف . وعن عمر بن الخطاب ( رضي الله عنه ) ما وجدت لئيما قط إلا قليل المروءة . وفي التنزيل : [ وما نقموا منهم إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ] .

وقال أبو عمرو بن العلاء يخاطب بعض أصحابه : كن من الكريم على حذر إذا أهنته ، ومن اللئيم إذا أكرمته ، ومن العاقل إذا أحرجته ، ومن الأحمق إذا رحمته ، ومن الفاجر إذا عاشرته ، وليس من الأدب أن تجيب من لا يسألك أو تسأل من لا يجيبك ، أو تحدث من لا ينصت لك ... وعن البيهقي في الشعب عن محمد بن حاتم المظفري قال : اتق شر من يصحبك لنائلة ، فإنه إذا انقطعت عنه لا يعذر ، ولم يبال بما قال وقيل فيه .

## ٩١٥ — خلت الديار فسدت غير مسود !

قال ابن خلكان : كان أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي المعروف بالمستظهري الملقب فخر الإسلام[٢] — فقيه وقته ، ... وانتهت إليه رياسة الطائفة الشافعية ، وصنف تصانيف حسنة ... وتولى التدريس بالمدرسة النظامية بمدينة بغداد سنة ( ٥٠٤ ) إلى حين وفاته ، وكان قد وليها قبله الشيخ أبو اسحاق الشيرازي وأبو نصر ابن الصباغ صاحب ( الشامل ) وأبو سعيد المتولي صاحب ( تتمة الإبانة ) وأبو حامد الغزالي ، فلما انقرضوا تولاها هو . وحكى لي بعض المشايخ من علماء المذهب أنه يوم ذكر الدرس وضع منديله على عينيه ، وبكى كثيراً وهو على السدة التي جرت عادة المدرسين بالجلوس عليها ، وأنشد :

خلت الديار فسدت غير مسود
ومن العناء تفردي بالسؤدد[١]

وجعل يردد هذا البيت ، وهو يبكي ، وهذا إنصاف منه ، واعتراف لمن تقدمه بالفضل والرجحان عليه .

## ٩١٦ — فويل للرعية من قليل

تاريخ الطبري : لما قسم هارون الرشيد الأرض بين أولاده الثلاثة (محمد الأمين وعبد الله المأمون والقاسم المؤتمن بعد مبايعتهم) قال بعض العامة قد أحكم أمر الملك ، وقال بعضهم : بل قد ألقى بأسهم بينهم ، وعاقبة ما صنع في ذلك مخوفة على الرعية ، وقالت الشعراء في ذلك فقال بعضهم .

أقول لغمة في النفس مني ... ودمع العين يطرد اطرادا
خذي للهول عدته بحزم ... ستلقى ما سيمنعك الرقادا[٢]
فإنك إن بقيت رأيت أمراً ... يطيل لك الكآبة والسهادا
رأى الملك المهذب شر رأي ... بقسمته الخلافة والبلادا
رأى ما لو تعقبه بعلم ... لبيض من مفارقه السوادا
أراد به ليقطع عن بنيه ... خلافهم ويبتذلوا الودادا
فقد غرس العداوة غير آل ... وأورث شمل ألفتهم بدادا[٣]
وألقح بينهم حرباً عواناً ... وسلس لاجتنابهم القيادا
فويل للرعية عن قليل ... لقد أهدى لها الكرب الشدادا

(١) يعني كتاب ( المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ) لشمس الدين السخاوي ، والكشف هو تلخيص المقاصد قد ضم إليه فوائد من كتب أخرى . نشرت هذا الكتاب النفيس مكتبة القدسي في القاهرة .

(٢) الفعل ( لقب ) من الوفيات وفي كثير من كتب السير مجهول غير متعد بالبناء . في الأساس : هو ملقب بكذا أو متلقب ، وقد لقب به وتلقب

(١) الحماسي ، ورواية حبيب : ومن العناء ...

(٢) ( ستلقى ) : ستلقين ، طير الوزن نونها .

(٣) تعرف ( بداد ) المبنية : تفرق القدم بداد ، جاءت الخيل بداد أي متبددة متفرقة . وليس في كتب اللغة جيم اللغة ...

وألبسها بلاء غير فانٍ وألزمها التضعضع والفسادا
ستجرى من دمائهم بحور زواخر لا يرون لها نفادا
فوزر بلائهم أبداً عليه أغيًّا كان ذلك أم رشادا

## ٩١٧ — مهما

الكشاف : (مهما) هى ما المضمنة معنى الجزاء ، ضمت إليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء فى قولك : متى ما يخرج أخرج ، أينما تكونوا يدرككم الموت ، فإما نذهبن بك ، إلا أن الألف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين ، وهو المذهب السديد البصرى . فإن قلت : ما محل مهما ؟ قلت : الرفع بمعنى أيما شىء تأتنا به ، أو النصب بمعنى أيما شىء تحضرنا تأتنا به ، و (من آية) تبيين لمهما ، والضميران فى (به وبها) يرجعان إلى مهما ؛ إلا أن أحدهما ذكر على اللفظ والثانى أنث على المعنى ، لأنه فى معنى الآية ، ونحوه قول زهير :

ومهما يكن عند امرىء من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وهذه الكلمة فى عداد الكلمات التى يحرفها من لا يد له فى علم العربية ، فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ، ويقول : مهما جئتنى أعطيتك ، وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية فى شىء ، ثم يذهب فيفسر مهما تأتنا به من آية بمعنى الوقت ، فيلحد فى آيات الله وهو لا يشعر ، وهذا وأمثاله مما يوجب الجثو بين يدى الناظر فى كتاب سيبويه[1] .

## ٩١٨ — . . . ولكن أين من يصبر على أحكام العقل ؟

رسالة الغفران للمعرى : قد تجد الرجل حاذقاً فى الصناعة بليغاً فى النظر والحجة ، فإذا رجع إلى الديانة ألفى كأنه غير متقاد ، وإنما يتبع ما يعتاد ... ويلقن الطفل الناشىء ما سمعه من الأكابر ، فيلبث معه فى الدهر الغابر . والذين يسكنون فى الصوامع ، والمتعبدون فى الجوامع ، يأخذون ما هم عليه كنقل الخبر عن المخبر ، لا يميزون الصدق من الكذب لدى المبر . فلو أن بعضهم ألفى الأسرة من المجوس لخرج مجوسياً ، ومن الصابئة لأصبح لهم قريباً سياً[1] . وإذا المجتهد نكب عن التقليد ، فما يظفر بغير التبليد . وإذا المعقول[2] جعل هادياً ، نقع بريه صادياً ، ولكن أين من يصبر على أحكام العقل ، ويصقل فهمه أبلغ صقل ؟ هيهات عدم ذلك فى من تطلع عليه الشمس ، ومن ضمنه من الرمم رمس ، إلا أن يشذ رجل فى الأمم ، يُخص من فضل بعمم[3] ...

## ٩١٩ — . . . فأبى وحمى أنفا وقاتل حتى قتل

أنساب الأشراف[4] للبلاذرى : قال عبد الملك يوماً لجلسائه: من أشد الناس ؟ قالوا : أمير المؤمنين . قال : اسلكوا غير هذه الطريق . قالوا : عُمير بن الحباب قال : قبح الله عميراً ، لص ، نوب ينازع عليه أعز عنده من نفسه ودينه . قالوا : فشبيب . قال إن للحرورية طريقاً . قالوا : فمن ؟ قال : مصعب ، كانت عنده عقيلتا قريش : سكينة بنت الحسين[5] ، وعائشة بنت طلحة ، ثم هو أكثر الناس مالا ، جعلت له الأمان ، وضمنت أن أوليه العراق ، وعلم أنى سأفى له لصداقة كانت بينى وبينه ، فأبى ، وحمى أنفا، وقاتل حتى قُتل . فقال رجل : كان يشرب الشراب ، قال : ذاك قبل أن يطلب المروءة ، فأما مذ طلبها فلو ظن أن الماء ينقص من مروءته ما ذاقه .

---

(١) فى المغنى : الثانى — من معانى مهما — الزمان والشرط فتكون ظرفا لفعل الشرط ، ذكره ابن مالك وزعم أن النحويين أهملوه وأنشد لحاتم :

وإنك مهما تعط بطنك سؤله وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

وأبياتا أخرى ، ولا دليل فى ذلك لجواز كونها للمصدر أى إعطاء كثيرا أو قليلا ، وهذه المقالة سبق إليها ابن مالك غيره وشدد الزمخشرى الإنكار على من قال بها .

(١) السي : المثل ، وهما سيان مثلان .

(٢) اللسان : يقال ماله معقول أى عقل وهو أحد المصادر التى جاءت على مفعول كالميسور والمعسور .

(٣) اللسان : العمم عظم الخلق فى الناس وغيرهم ، وأمر عمم : تام عام

(٤) فى (إرشاد الأريب) : « كتاب جل نسب الاشراف وهو كتابه المعروف المشهور » قلت يعنى البلاذرى بالأشراف رجال مضر المشهورين ، وتلك كتابه فى أخبار بنى أمية .ومن أسماء هذا الكتاب : كتاب الأنساب والأخبار ، تاريخ البلاذرى .

(٥) ابن خلكان : كانت سيدة نساء عصرها ومن أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقا ، والطرة السكينية منسوبة إليها.

# الأدب والفن في أسبوع

**جوائز المجمع للبحث والشعر والقصة :**

أقام مجمع فؤاد الأول للغة العربية فى الأسبوع الماضى حفلاً أدبياً بدار الجمعية الجغرافية الملكية لتوزيع الجوائز المالية التى رصدها هذا العام للفائزين فى مسابقات البحث الأدبى والشعر والقصة ، وقد افتتح الحفل الدكتور طه حسين بك بحديث ممتع مستفيض عن نشأة البحث الأدبى فى الأدب العربى وتطوره بتطور العصور والثقافة ، ثم تأثره بما اقتبسناه فى ذلك من ألوان الأدب الغربى واتجاهاته ، ثم انتهى إلى الحديث عن البحوث الأدبية التى قدمها أصحابها لنيل جائزة المجمع فقال : « وقد استحق ثناء المجمع وتقديره السيدة سهير القلماوى عن بحثها « ألف ليلة وليلة » والأستاذ سليم حسن بك عن كتابه « الأدب المصرى القديم » ، والأستاذ جمال الدين الشيال عن « الترجمة فى القرن التاسع عشر » والدكتور سيد نوفل عن كتابه « الطبيعة فى الشعر العربى » والأستاذ أحمد خاكى عن كتابه « قاسم أمين » .

ثم تحدث من بعده الأستاذ عباس محمود العقاد عن الشعر ومذاهب الشعراء فى النهضة الأدبية الحديثة فقسمهم فى ذلك إلى مذهبين ، أو كما يقولون إلى مدرستين . مدرسة التجديد والإبتداع ومدرسة التقليد والاتباع ، وقد أنحى الأستاذ باللائمة على الآخذين بمذهب المدرسة الثانية ، ثم قال : وقد رأى المجمع أن يوزع جائزة الشعر هذا العام بين شعراء المدرستين ؛ فنالها الأستاذ محمود عماد عن « ديوان عماد » ، والأستاذ محمد مفيد الشوباشى عن « ديوان الشوباشى » وهما من المدرسة الإبتداعية ، كما نالها الأستاذ محمود غنيم عن ديوانه « صرخة فى واد » والأستاذ محمد الأسمر عن ديوانه « تغريدات الصباح » وهما من المدرسة الإتباعية أو التقليدية .

ثم تكلم الأستاذ محمد فريد أبو حديد عن القصة فى نشأتها من عهد اليونان والرومان وما تم فيها من التطورات والاتجاهات ثم ما صار لها من المقام فى الآداب العالمية قاطبة وما أصبح لها من الشأن فى الأدب العربى الحديث ، وبعد أن نوه بكثير من القصصيين النابغين قال : وقد استحق جائزة المجمع للقصة هذا العام الأستاذ محمود تيمور بك عن مجموع إنتاجه القصصى الغزير .

وعلى أثر انتهاء الأساتذة الثلاثة من إلقاء بحوثهم وقف الدكتور منصور فهمى باشا السكرتير العام للمجمع وأعلن أسماء الفائزين وقيمة الجائزة التى استحقها كل منهم .

هذا وستجتمع لجنة الأدب بالمجمع فى هذا الأسبوع للنظر فى إجراء المسابقات للعام القادم ، وقد أرصد المجمع لهذا الغرض مبلغ ثمانمائة جنيه توزع على نواحى الإنتاج الأدبى حسب ما تقدره تلك اللجنة .

ونحن من جانبنا نرجو أن يعمد المجمع فى إجراء هذه المسابقات إلى تقدير أوضاع أدبية للفائزين إلى جانب تلك الجوائز المالية التافهة ، لأن الجوائز المالية يذهب أثرها وتفقد قيمتها بعد قليل ، وإذا راعى المجمع أن أكثر الفائزين ممن يعملون فى الحكومة فمن الواجب أن يبذل سعيه ليكون هؤلاء فى العمل الذى يلائم اتجاههم ويساعدهم على الإنتاج الأدبى ، ومن من القراء يذكر أن الشاعر محمود عماد مثلا يعتبر من الشعراء البرزين منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، وكان اسمه يتردد مع الشعراء النابغين النابهين ، ولكنه قضى حياته على مكتب ضئيل فى ركن مظلم من أركان وزارة الأوقاف ، فلم تمكنه هذه الحياة من أن يظهر للناس فنسيه الناس ، ولما أعلن فوزه بالجائزة قال القائلون : ومن هو محمود عماد. بل لقد رأيت الصحف ذكرت إسمه بين الفائزين محرفاً ، فقلت يا لله ، أيكون اسم ذلك الشاعر الكبير مجهولا إلى هذا الحد ؟

وبعد ، فإنه تقليد طيب على أى حال ، وتقدير للأدب يدعو إلى التشجيع ويحض على الإجادة فى الإنتاج الأدبى ، ولعل صديقنا الأسمر بعد هذا لا يعود فيردد قوله القديم :

نصحتك لا تكن صداح أيك　　وكن فى مصر ناعبة القبور

**تيسير الكتابة العربية :**

وكان المجمع قد فتح باب مسابقة لإبداء الإقتراحات والآراء فيما يقصد إليه من تيسير الكتابة العربية ، وقدر لذلك جائزة مالية ضخمة مقدارها ألف جنيه . وقد تلقى المجمع فى هذا الموضوع عشرات الاقتراحات والمشروعات من الباحثين فى مصر وشتى الأقطار العربية ، فأخذ فى بحثها وتقديرها ووضع تقرير شامل عن مختلف الآراء التى قدمت إليه وإعلان الرأى فى مدى صلاحيتها وفائدتها وما يمكن أن تؤدى إليه فى خدمة هذا المشروع .

ومن المعلوم أن هذا المشروع يتناول وضعاً أساسياً من أوضاع العربية ، وأن الشأن فيه يهم سائر أقطار العروبة ، فليس القصد فيه بمنح الجائزة للتشجيع كما هو الشأن فى المسابقات الأدبية ، وإنما القصد هو الوصول إلى طريقة مثلى فى الإصلاح ، ولهذا يجب على رجال المجمع أن لا يمنحوا هذه الجائزة وأن لا يجزموا باختيار أى اقتراح فى هذا الموضوع إلا بعد عرضه وطرحه تحت الأنظار حتى يتناوله العلماء والباحثون فى الخارج بالمناقشة والدرس والتعليق ، وإلا فالمجمع مهما بلغ من المكانة والإعتبار لا يستطيع أن يفرض مشروعاً فى هذا السبيل لا تقبله الأفهام ولا تقره الأقلام ...

**محنة الأدب المصرى :**

قرأت مقالا فى إحدى المجلات الأسبوعية قال فيه كاتبه : « إن المجتمع المصرى يضطرم اليوم بالحركة وبالحياة ، وهو فى يقظة متوثبة ، ومع ذلك فأدبنا عقيم راكد ، وأدباؤنا أيقاظ فى أذهان أنفسهم ، أيقاظ بأسمائهم وبشهرتهم المولية فى أذهان قرائهم ، ولكنهم رقود عما يجرى حولهم حتى لينطبع سباتهم العميق على ما ينتجون من أدب راكد ... وإذا كان الأدب المصرى اليوم يعانى أزمة فى جميع فنونه من شعر أو قصة أو مسرحية لا تقل فى شدتها عن الأزمة السياسية القائمة ، فرد ذلك إلى أنه أدب سطحى لا ينفذ إلى أعماق الحياة المصرية ، ولأنه أدب مفتعل لا يخدم غاية حتى ولو كانت هذه الغاية مجد منتجيه وشهرتهم ... »

ومقال الكاتب يدور كله حول هذا المعنى ، فهو يرمى شيوخ الأدب فى مصر بالجمود والركود ، وينعى على الشبان أن أحدا منهم لم يتقدم فى هذا المترك ولم يتوجه بأدبه وفنه نحو الحياة المصرية القائمة ، وإنما عنيت بتقييد هذا الكلام لأنه يصور عقيدة قائمة فى أذهان بعض الشبان الذين أذهلتهم الحرب بأهوالها وبأحداثها عن القيم الروحية فى الحياة ، فأصبحوا يطالبون بتوجيه التفكير إلى النواحى المادية والحياة المعيشية التى يحياها الشعب وتواجهها الجماعات فى مصر ، ويعلل الشيوخ الأدباء هذه الظاهرة بأنها أثر من آثار التعلق بالشيوعية ، وعندى أنها أثر لتوتر الأعصاب الذى ينتاب أبناء الشرق العربى عامة فى هذه الآونة ، ومن الطبيعى أن تكون هذه الحال بعد تلك الحرب الضروس التى أرهقت العالم سبع سنوات كاملة ، وقد بدت مثل هذه الحال عقب الحرب العالمية الأولى إذ طغت على جميع الآداب الأوروبية عامة موجة واسعة النطاق من الشك والحيرة ، حتى لقد دعا بعض الأدباء إلى التخلص من جميع الأوضاع القديمة دفعة واحدة ومواجهة الحياة على وضع سافر ، ولقد ظلت النفوس عامرة بهذا الشك حتى جاءت الحرب الثانية بأهوالها فانضجته وأثارته عند أبناء الشرق العربى المخمورين بالنغم الروحى .

ومهما يكن من شىء فإننا الآن بإزاء مذهبين فى تقدير مهمة الأدب والأدباء ، رأى يقول : الأدب للأدب ، أو الأدب لتغذية الروح والعواطف والعقل والفكر ، ورأى يقول الأدب لأسعاد الشعب وإطعامه والدفاع عن حقه فى العيش والحياة الرغيدة ، ولن نلبث قليلا حتى نشاهد معركة حامية بين الرأيين ، والتقديرين!

**الموت الأحمر :**

على أن هذا التمرد ليس خاصة فى مصر وحدها ، فقد تلقيت العدد الأخير من مجلة « المواهب » التى يصدرها أبناء العروبة فى المهجر الأمريكى فطالعت فيها مقالا افتتاحياً مطولا قصره محرر المجلة على الحديث عن « نهضتنا الأدبية الحديثة » ، وبعد أن أطرى الكاتب ما فى هذه النهضة من ظواهر القوة والتوثب قال : « إن أدبنا الحاضر فى الأعم الأغلب أدب نقل وصنع لا أدب صحيحة

وطبع ، أدب فروع لا أدب أصول ، أدب لهوجة وسمة لا أدب اتقان ورفعة . وعلاوة على ذلك فهو الآن يطغى عليه — كما تعاون على تكوينه من قبل — فقران جائران : فقر القلوب وفقر الجيوب والفقر فى عرف جميع الناس هو الموت الأحمر . وقد نشأ أدبنا وشب على هذه الحال الضعيفة السقيمة ، وفى كنف هذه البيئة الخاملة القانعة بأيسر الأمور . وتفاقت العلة وانتشر الداء ... حتى أسلم الأدب أمره إلى التزلف والإستجداء . ونعوذ بالله من التزلف والإستجداء فإنهما الخزى بعينه ، وإنهما ليقتلان الضمير قتلا ، حتى لا يدعا فى قرارة النفس ذرة من العزة والشهامة ولا قلامة من المتعة والكرامة » .

وأعود فأقول إنها نزعة طارئة ، كانت أثراً من أثر تلك الحرب الجهنمية فى النفوس ، وكان من المتوقع أن تكون ، ولن يضير الأدب أن تكون ..

**انشاء كرسى باسم شوقى بك :**

تقدمت وزارة المعارف إلى مجلس الوزراء بمذكرة تطلب فيها إنشاء كرسى بقسم اللغة العربية باسم المغفور له أمير الشعراء أحمد شوقى بك لتدريس الأدب العربى الحديث فى مصر وسائر الأقطار العربية على أن يعنى فى ذلك بدراسة أدب شوقى وشاعريته دراسة مستفيضة من شتى نواحيها واتجاهاتها .

وقد ضمنت الوزارة مذكرتها المبررات التى تدعو إلى إنشاء هذا الكرسى وتحتم وجوده فقالت : إن دراسة الأدب العربى كانت منذ نشأة كلية الآداب فى مقدمة الدراسات التى عنيت بها الجامعة ، وإذا كان الأدب العربى خليقاً بعناية خاصة فقد أنشىء بعد ذلك للعناية بدراسة الأدب المصرى الإسلامى فى أطواره المختلفة إلى عصر النهضة الحديثة ، ولكن مصر الحديثة امتازت فى الأدب العربى فحملت له لواء نهضة حديثة فى بلاد الشرق العربى وظهر فى مصر من العلماء والأدباء والشعراء المعاصرين من توسطوا هذه النهضة فى مصر وبلاد الشرق العربى ، ومن هؤلاء الشاعر الكبير المرحوم أحمد شوقى بك الذى امتاز من بين زملائه بالسبق فى تصوير الصلات السياسية لمصر ومسايرة النهضة الأخيرة فيها وبخدمة المسرح العربى بما كتب من روايات ووضع من أغان وبتقدمه الفنى على شعراء العربية الحديثين حتى بايعوه بأمارة الشعراء حياً وأبقوا على ذكراه ميتاً » ..

وهذه فكرة رشيدة جليلة لا يسعنا إلا تحبيذها وتشجيعها ونرجو أن يتم لها التوفيق على أكمل وجه وعلى ما يحقق تلك الأهداف التى تناولتها الوزارة فى مذكرتها وأن لا يكون إنشاء ذلك الكرسى مجرد وضع من الأوضاع الرسمية ، فإن مما يؤسف له أن الكرسى الذى أنشىء فى كلية الآداب منذ سنوات لم يثمر ولم يجد شيئاً فى تحقيق الآمال الكبيرة التى كانت منوطة به ، فما زال الأدب المصرى على عهده مجهولا مطموراً لم يكشف فيه ذلك الكرسى جديداً ، ولا أحدث فى دراسته تجديداً ، ولكنها جملة من المعلومات تتداولها الأقلام من قديم ، وتدرج عليها الأفهام كأنها الصراط المستقيم ، فلعل الله يجعل لكرسى شوقى حظاً أوفى ويوفر له جهداً أوفر ...

« الجاحظ »

## نشر ما انطــوى

يقولون أسراب الغوانى سوانح
فهلا بعثت الطرف فيهن رائدا

نراك اعتزلت الغانيات فكلما
سنحن صرفت القلب عنهن ذائدا

وما ذاك شأن الشاعرين وإنما
أخو الشعر من تلفيه بالغيد واجدا

لقد ملت عن طيب الحياة وصفوها
بميلك عن حب الحسان نواهدا

رأيت غرام الفاتنــات مضلة
بكدر من هذى الحياة الموارد

يقود زمام النفس للشر عنــوة
وذو اللب من قد كان للنفس قائدا

إذا ما أطعت النفس فى اللهو والهوى
ضللت وخير الناس من كان راشدا

( دمشق ) **أحمد عبير**




## نسبة عرب الشمال إلى إسماعيل :

إلى الأستاذ أحمد محمد شاكر :

تذكر التوراة فى الاصحاحين : الرابع والعشرين ، والخامس والعشرين من سفر التكوين أن (هاجر) حينما فرت بابنها إسماعيل من (سارة) زوجة إبراهيم لجأت إلى بادية بئر السبع ، وأن الماء الذى سقت منه ابنها إسماعيل كان فى مكان بلدة بئر السبع التى سميت بذلك الإسم منذ زمن بعيد ، وأنها زوجت ابنها من فتاة مصرية .

والذى نؤمن به ، نحن المسلمين ، أنها قد هربت به إلى الحجاز وان الله قد فجر له ينبوعاً ، هو ماء زمزم فى مكة إلى آخر ما ورد من تفصيل فى سيرة ابن هشام وجه ١٢٢ إلى ١٣٠ من الطبعة المصرية التى نقحها الأستاذ العلامة محمد محى الدين عبد الحميد ، وفسر غامضها ، وأنه قد أصهر لقبيلة جرهم العظيمة .

والشىء المعقول ، فى صلة غريب عن طريق النسب ، لقبيلة عظيمة أن يذوب نسب هـذا الغريب الطارىء فى أنساب القبيلة وأن يمحى اسمه من الوجود .

والشىء الذى لا يعقل ، أن يقبل العرب وهم الحريصون على أنسابهم أن ينتسبوا إلى الرجل الذى لجأ إليهم وبسطوا عليه جناح الحماية والرعاية ، فيقال عنهم إنهم من نسل إسماعيل . ولم تذكر السيرة أن طاعوناً جارفاً قد فتك بالقبائل العربية التى كانت تملأ الجزيرة وأماتها عن بكرة أبيها وترك للحياة الذين قد انحدروا من صلب إسماعيل فقط ، وإنما نذكر قبائل جرهم وبكر وخزاعة وغيرهم وغيرهم مما لا يقع تحت العد .

والذى يتراءى ، أن المؤرخين الذين كتبوا فى التاريخ العربى قد استلهموا ذلك من آى الذكر الحكيم التى أشارت إلى هـذا الحادث ، ولم يكن لديهم دليل مادى على صحة هذه النسبة .

وعلى ضوء هذه الحقيقة لا يمت اليهود للعرب بصلة من الصلات وليسوا أبناء عمومة ، وكل ما فى الأمر أن لغتهم عاشت مجاورة للغة العربية فى محيط مماثل تأثرنا به فى فترة من الزمان .

أرجو أن يتفضل الأستاذ العلامة الجليل فيفيد قراء الرسالة من علمه وأدبه بما يجلو الحقيقة .

**على محمد سرطاوي**

## الموسيقى القديمة والحديثة :

لم يكد يطلع القراء على المقال البليغ الذى دبجته يراعة الكاتب الفن الأستاذ عبد النعم خلاف حول المفاضلة ما بين الموسيقى القديمة والحديثة . وما تركته فى نفسه تلك القصيدة الفذة « سلوا قلبى غداة سلا وتابا » للآنسة أم كلثوم من الأثر البالغ حتى تناقلت المقال الأيدى وتماورته ، وكان له الوقع الحسن لدى المنصرفين إلى هذه الصناعة من أعضاء الأندية الموسيقية فى الشام ، إذ عرفوا أن فى مصر نقمة على الموسيقى الحديثة الرخيصة المبتذلة تحكى النقمة عليها فى سائر أقطار العروبة ، وعرفوا أن فى مصر حنيناً إلى الموسيقى القديمة لما فيها من روح الطرب الصادقة والفن العربى السامى الذى يلذ المسامع ويستهوى الأفئدة ، ويأخذ بمجامع القلوب .

لقد كان الأستاذ محقاً فى طلبه من وزارة الشئون الاجتماعية ، الإشراف على هـذه الأنغام الباكية الحزينة ذات المعانى التافهة والألحان المريضة التى تميت القلب وتحمل إلى النفوس السآمة والضجر ... إنه لطلب يشاركه فيه كل عربى سليم الذوق ، وإن فى هذا الإشراف وقاية للنشء الجديد الذى شب على سماعها وكادت تألفها أذنه ، وإذا كنا ننتحل الأعذار للملحنين المصريين المتكسبين فى تسجيل هذه الألحان على الشاشة البيضاء سعياً وراء نيل بلغة العيش ، فلن نجد لهم عذراً فى إماتة الفن القديم ، والتخلف عن وضع ألحان مبتكرة تحكى ألحانه القوية الممتعة التى يستسيغها كل ذوق ، وتهنأ بها كل نفس وتطرب لها كل أذن سليمة ... أين وهن الأنغام المستحدثة من قوة الألحان القديمة التى كنا نسمعها من شيخ الفن وعمدته الأستاذ المرحوم الشيخ درويش ، ومن زملائه الحولى والمنيلاوى والشيخ سلامة ومحمد عثمان وداود حسنى وسالم الكبير والسفطى وغيرهم من كبار المنشدين والملحنين؟

تلك أنغام قوية عذبة تبعث فى النفوس القوة والنشوة والعزة القومية ، وهــذه ألحان تميت النفوس وتقتل المشاعر وتحمل إلى القلب الخمول . كانت النفحات الأولى تنبعث من حناجر أصحابها حلوة عذبة شجية ساحرة كأنها أنغام مزامير داود ، فتملأ قلوب مستمعيها طرباً ونشوة ، وتحمـل إلى النفوس البائسة الراحة والسلوى والطمأنينة والهناء ، ويقضون الليل كله فى الإصغاء إليها والتملى من نشوتها ، فغدت الأصوات اليوم تصدر من الحناجر الخشنة وتصيح بمـا يسمونه فناً ولو لم يحمل فى ثناياه السحر والطرب .

إن البلاد العربية التى تصدر فى موسيقاها عن الديار المصرية ، ليعز عليها ويسوؤها أن يتردى الفن فى مصر إلى هذا الدرك الذى يعلن عن نفسه بمظاهر التماوت والتخنث والضعف ، وتود من صميم أفئدتها أن يلهم القائمون على هذا الفن فى مصر ، الرجوع به إلى القديم مع اقتباس النافع الجميل من الحديث ، ذلك لأن حديثنا اليوم قد غمر نفوسنا وكاد ينسينا قديمنا ، فإذا لم توفق مصر ، وهى زعيمة العروبة اليوم إلى هذا الذى نرجوه ، فلن نرى فى الجيل الجديد إلا مضيعاً للفن وأهله وإننا لنشاهد اليوم بوادر هذا التضييع منذ بدأنا نكاف آذاننا أن تستسيغ الأنغام الشعبية على ما بها من تبذل فى المعانى وحطة فى الفن هرباً بأنفسنا عن سماع المقطعات الحديثة الجافة ...

ونحن لا نريد أن نشمل بحكمنا كل حديث ، إذ لا ننكران أن بعض الملحنين المعاصرين قد صدحت حناجرهم بألحـان فيها فتنة القديم فأقبل الناس على تلقيها وتعلمها وذاعت على أفواههم وأجمع أفراد الشعب على استحسانها مثل أغنية «على بلدى المحبوب» وأغنية « ما احلاها عيشة الفلاح » و « ليلة العيد » وغيرها من المقطعات ذات النغمة البيانية الساحرة وكان سرور الناس عظيما بالالحان التى طلعت بها علينا حديثاً مطربة الشرق فى فلم «سلامة» من تلحين الشيخ زكريا أحمد ، وهذا يدل على أن بعض الملحنين المصريين بدأوا يعودون إلى القديم .

(دمشق) حسنى كنعان

**مراعبة :**

عند ما أصف الأستاذ الشيخ على الطنطاوى بأنه من المحافظين أكون قد خففت كثيراً مما أسمه من وصفه الذى يدل على ( المغالاة فى المحافظة ) .

هذا المسلم المحافظ لم يعجبه أن يبقى المسلمون بدون (وسكى) فسمى الشاى الأخضر (وسكى المسلمين) ولما قرأت له هذا فى الرسالة الغراء ( العدد ٧١٧ ) قلت فوراً : حتى أنت يا أستاذ ! ! أتقولها وأنت الفقيه الذى قرأ قول الفقهاء : «لو شرب الماء على هيئة ما تشرب الخمر كان شربه حراماً » ؟

صدق رسول الله : لتتبعن سنن من قبلكم . لم يكن للمسلمين وسكى فجملت لهم الشاى الأخضر وسكى .

فلسطينى

**فى اللغة والعروض :**

١ — نبه الأستاذ « عدنان أسعد » فى العـدد ٧١٧ من الرسالة الغراء على خطأ « ترمى » فى البيت :

وقلبى فى نهـر الحيـاة سفينة تميد على صم الصخور ولا ترمى

من قصيدة الشاعر « محمد على مخلوف » ظناً منـه أن الفعل من الثلاثى والصـواب ضم أوله على أنه رباعى - ففى القاموس « رسا الشىء رَسْواً ورُسُوًّا ثبت كأرْسَى » ولشوق بك .

نفسى مرجـل وقلبى شراع بهما فى الدموع سيرى وأرْسِى

فلا دخل للقافية ولا مخالفة لقواعد اللغـة فى بيت الشاعر « مخلوف » .

٢ — ونبه الناقد فى العدد ٧١٣ من الرسالة على أن فى قول الشاعر محمود رمزى نظيم .

واخترعوا لنخـــيروا ألبابنا وملكوا بسعيهم زماننـــا

كيف نقول ما لهم وما لنـا إذا اســتغل علمهم خمولنا

تغيير التأسيس فى الأشطر الثلاثة إلى الردف فى الشـطر الرابع وذلك ما نص العروضيون على خطئه ، وفى نقده مجانبة للصواب فلا ردف فى الشطر الرابع أصلا فإن الردف لا يفصل بينه وبين الروى . وما فيه هو « سناد التأسيس » ولم يتواضع العروضيون على خطئه بل نصوا على جوازه للمحدثين مع القبح والكراهة .

رياض عباس




# السادهانا أو كنه الحياة !

[ تأليف الأستاذ محمد محمد على ]

حفلت المكتبة العربية فى أذيال الحرب الأخيرة بثروة عظيمة من ثمار الفكر والمعرفة ، وأخذت تضم إليها من فنون الأدب والفن ما يبشر بنهضة فكرية عالية . ونحن مع اغتباطنا بهـذه النهضة الحديثة نود أن تسير فى طريقها الواضح السليم نحو تحقيق غايتها المنشودة . ولا يتيسر ذلك إلا بالنقد الصحيح .

فسفينة الأدب تسير فى لجـاج بعيدة الأغوار وتجتاز عوالم عديدة الألوان والناقد البصـير يجلس على سكانها يريها الطريق الرشيد ، ويجنبها الانحراف عن جادة الطريق المستقيم .

ومن الكتب التى تخرجها المطابع ما يمر عليه الناقد مرّ الكرام ، ولا يسمح لقلمه بأن يعرض له بخير أو بشر ، ولا لوم عليه فى ذلك ولا تثريب ؛ ولكن أمهات الكتب ومنها كتاب السادهانا الذى أتكلم عنه لهـا على الناقد حق يجب أن يقضيه . وإلا بطلت مهمة النقد .

وقد اطلعت على ترجمة لهـذا الكتاب أخرجتها لجنة النشر للجامعيين تحت عنوان السادهانا أو كنه الحياة للأستاذ محمد محمد على فراعنى ما فى عنوان الكتاب من التحريف الذى يدل على تقصير عجيب عن فهم معناه ، فالكتاب عنـوانه فى الإنجليزية The Realisation of Life ومعناه تحقيق الحياة أى جعل الحياة حقيقة. وليس فى الكتاب أى بحث فى كنه الحياة ، ولكن هذا الخطأ فى عنوان الكتاب قـد يكون شيئاً بسيطاً بالنسبة لترجمة الكلمات الآتية :

جاء فى صفحة ١٠٩ من الكتاب : فى الليلة الأخيرة ، ترجمة لكلمة Lastnight وصحتها البارحة . وفى صفحة ١٢١ هناك قول ملاحظة ترجمة Remarkable saying وصحتها قول مأثور ، وفى صفحة ٦٧ لعب الحياة والموت ترجمة لكلمة Pl'ay of life and death وصحتها رواية الحياة والموت ، وفى صفحة ٩٤ عن القارة الأوربية ، إن جزئيتها فى أنها مشغولة تماماً : وجزئيتها هنا ترجمة لكلمة its part وصحتها دورها ، وفى صفحة ١٠٢ معرفة الروح ترجمة لكلمة Saul Consciausness وصحتها الوعى الروحى . وفى صفحة ٨٨ الإدراك فى العمل . ترجمة لكلمة Realisation in action وصحتها تحقيق الحيـاة بالعمل ؛ ولا تخلو صفحة من صفحات الكتاب من أمثال قوله : الذين ضمت أفكارهم لا غيرهم الذين ينالون الفرح ص ٣٠ ، أو قوله : يا عامل الكون بدلا من يا بارىء الكون ص ١٠١ أو قوله : إن خلاص طبيعتنا المضوية فى نيل الصحة .

وبعد فإذا كانت القوانين لا تعاقب من يرتكب مثل هـذه الأخطاء ، فإن للأدب حكومة يجب أن لا تغفى عن حقها فى الضرب على أيدى العابثين فى مملكة الفن والجمال .

محمد طاهر الجبلاوى

# القضايا الكبرى فى الاسلام

[ تأليف الأستاذ عبد المتعال الصعيدى ]

أظهرت منـذ أيام مكتبة الآداب بالجماميز بالقاهرة كتاب القضايا الكبرى فى الإسلام للأستاذ عبد المتعال الصعيدى فى ٤٠٤ صفحات من القطع الكبير ، وصاحب الكتاب معروف لقراء الرسالة ، وقد نشر فيها نحو خمس عشرة قضية . فأذاع بعضها عنها بعض محطات الإذاعة الشرقية ، ونقل بعضها عنها بعض المجلات فى الأقطار الشقيقة ، وقد كانت اللغة العربية تنقصها هذه الدراسة الجديدة ، وهى دراسة لا تكاد تخلو منها لغة من اللغة الأوربية ، فسد هذا الكتاب فى اللغة العربية هذا النقص ، وابتكر فيها هذه الدراسة الجديدة .

ولم يدون صاحب الكتاب هذه القضايا كما يدونها من لا يعنى بالنقل ، ومن يعوزه الرأى المجتهد ، والفكر المجدد ، بل أظهر فيها من التجديد فى تصورها ونقد أحكامها ما أظهر ، وأحيا فيها من الاجتهاد ما أماته سبعة قرون أو أكثر ، وهى ما هى فى اختلاف القدامى من القضاة والفقهاء فى أمرها ، واضطراب رأيهم فيها ،

لحل هـذا الكتاب منها ما أشكل ، وأتى فيها بالفهم الصحيح والقول الفصل .

وقد اشتمل الكتاب على ستين قضية فى مختلف العصـور والدول والأقطار ، ورتبها من عصر النبى صلى الله عليه وسلم إلى العصر الحديث ، ليعطى القارىء فكرة عن حال القضاء فى هذه العصور ، ويعرف أمره فى مختلف الدول والأقطار ، فيظهر تاريخ القضاء الإسلامى أمامه واضحاً جلياً ، ويعرف الأسباب التى أدت إلى نهوضه ، والأسباب التى أدت إلى انحطاطه ، ولا تقف فائدته من الكتاب عند دراسته القضائية ، بل تتناول معها الناحية التاريخية .

## أثر الشرق فى الغرب

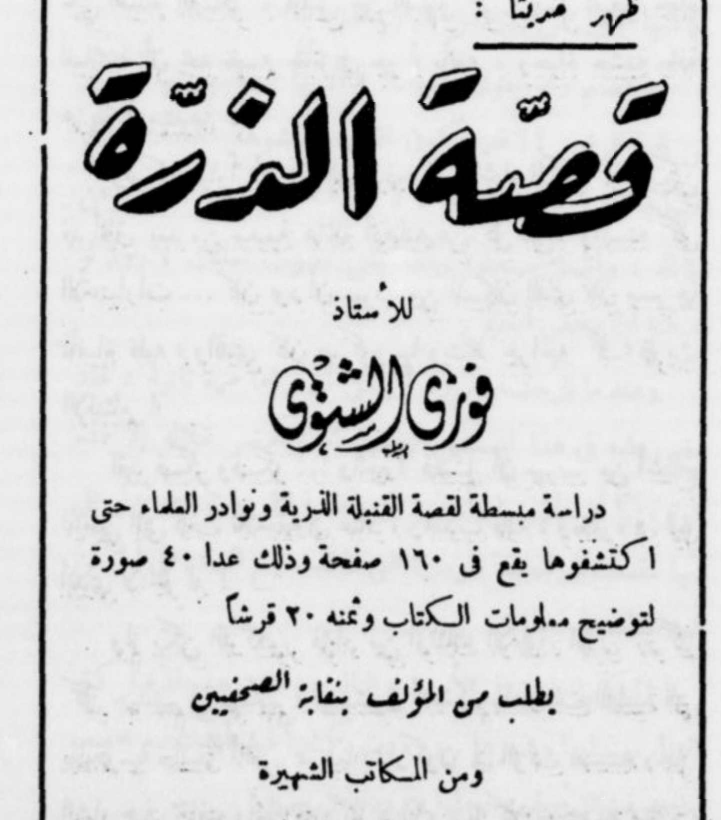
[ تأليف المستشرق الألماني جورج يعقوب ]

أثر الشرق فى الغرب ، خاصة فى العصور الوسطى ، هذا هو عنوان ذلك الكتاب القيم الذى ألفه الباحث المحقق الأستاذ جورج يعقوب المستشرق الألمانى المعروف ، وترجمه دكتور فؤاد حسنين على المدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، وقامت بنشره لجنة البيان العربى .

أما المؤلف فعالم جليل ، وباحث محقق مدقق ، كان يؤمن بعظمة الشرق ، وخاصة الشرق العربى ، ويعترف بما أدى فى سالف الزمن من خدمات جليلة مفيدة للثقافة الفكرية ، والحضارة العالمية ، وقد بذل كثيراً من الجهود لدعم هذه الحقيقة ، ولاقى فى سبيلها ما لاقى من المقاومة والرهق ، وأما كتابه فوثيقة مدعمة بالأسانيد والأدلة العلمية الناطقة على أثر الشرق فى الغرب وما أداه إبان مجده السالف نحو المعرفة والحضارة ، وإذا كان الشرق يتلقى اليوم عن الغرب ما يتلقى من علم ومعرفة ، فأن من حقه أن يقف وفى يده هـذه الوثيقة ليقول : إنها بضاعتنا ردت إلينا ...

أجل . لقد أنصف هذا المؤلف الغربى الشرق إنصافاً قوامه الحق والصدق ، ولسنا نبالغ إذا قلنا إن أحداً من أبناء الشرق الأصليين لم يبلغ فى هذا شيئاً مما بلغه ، فقد عرض فى كتابه لكل ما أداه الشرق نحو الغرب فى العلم والرياضة والأدب والفن والمهارة والنقش والزخرفة وما إلى ذلك من مظاهر المعرفة والثقافة ، وإنه ليورد فى الدليـل على رأيه ما يدل على الاستقصاء فى البحث والأمانة فى العلم وكثرة ما بذل من التنقيب والرحلة إلى الأقطار الشرقية فى سبيل الحقيقة ، فلا عجب إذا ما جاء كتابه هذا حجة للشرق على الغرب ، وإن أبناء الشرق جميعاً لفى أشد الحاجة إلى هذه الحجة وخاصة فى هذه الآونة التى يناضلون فيها عن حقهم ومكانتهم ، وإننا إذ نشيد بالعمل الجليل الذى أداه الباحث الفاضل الدكتور فؤاد حسنين بترجمة هذا الأثر النافع ، فإننا نعتب عليه أن ترجمه بتصرف كما يقول ، ولسنا ندرى لما ذا عمد إلى هـذا التصرف ، فأن من الأمانة العلمية أن تترجم مثل هذه المؤلفات العلمية التاريخية كما كتبها مؤلفوها ، كما نعتب عليـه أن أخرج الكتاب وكأنه بحث واحد فلم يعن بوضع عناوين لموضوعاته وبالتـالى لم يضع فهرساً لهذه الموضوعات . ولعله أراد بهذا أن يحمل القارىء على تناول الكتاب دفعة واحدة .

محمد فهمى عبد اللطيف






**قصة مصرية :**

# ألــوان ...

للاستاذ نصرى عطا الله سوس

كان قطار الليل يشق طريقه المظلم إلى الصعيد ...

وكانت هذه المرة الأولى التى يستقل فيها الدكتور فؤاد هذا القطار فى طريقه إلى مقر عمله الجديد

لقد عاش طول حياته فى العاصمة ، وكان طبيباً باحدى مستشفياتها .. وأخيراً ، وبعد نزاع مع رئيسه ، نقل إلى إحدى المستشفيات الصغيرة بأعالى الصعيد ، وكان يمكنه أن يستقيل ويكتفى بإيراد عيادته التى تدر عليه الكثير ... وقد فكر فى ذلك حتى أضناه الفكر ، فليس من السهل على رجل ألِف حياة العاصمة أن يجد نفسه فجأة فى جو لم يألفه ، وحياة خشنة جافة هزيلة لم يعتدها !

ولكن تياراً أقوى كان يدفعه فى الاتجاه الآخر : لم يكن قد أفاق بعد من صدمة هائلة أذهلته عن كل شيء وأنسته كل الاعتبارات ... كان يود أن يهرب من المكان الذى كان مسرحاً لمأساة قلبه ، والذى كان يذكره بها وينكأ جراحه كلما قاربت الالتئام !

لقد فكر وفكر ... وأخيراً فضّل أن يهرب من أشباح الماضى التى كانت تلاحقه فى عناد ، وتعذب قلبه ، وتغمره فى ليل أبدى لا فجر له !

ولم يكن الدكتور فؤاد من أولئك الأطباء الذين تتركز كل حياتهم فى مهنتهم ، فيحشون أدمغتهم بالمعلومات الطبية التى يطبقونها تطبيقاً أعمى ، بينما يشاركون فى الوقت نفسه رجل الشارع فى ثقافته وأخلاقه وكل غرائزه ، بل كان شخصية ممتازة ، رقيق العاطفة ، مرهف الأعصاب ، ولوعاً بالأدب والموسيقى ، ظامئاً إلى الحياة الدسمة الفنية بمختلف العواطف والإحساسات ، ولم يكن ينقص حياته إلا شيئاً واحداً لامعنى لأى شيء فى الحياة بدونه : ذلك المخلوق الناعم الحلو الذى تمسح ابتسامته السحرية كل الهموم والمتاعب ، وتخلق فى النفوس الشجاعة والعزم والأمل ، ذلك المخلوق الجميل الرقيق الذى نسميه « المرأة » ، وعند ما رآها بعد سنوات طويلة من الحنين والانتظار ، ظن أنه قد عثر على ضالته وحقق أمله ، فاندفع وراء الخيال ، وراح ينسج الأحلام ، ويكيِّف حياته تكييفاً جديداً على هدى الكوكب الجديد الذى غمر حياته بالنور ...

وبعد عامين كاملين عرف أنه مخدوع ... وأن الشيطان كان يسرق القربان الذى يتقرب به إلى « كيوبيد » فى معبد الحب ويستحله لنفسه ... واستحالت حياته إلى بحر من الدموع ، وكره العاصمة الكبيرة والحياة فيها ، فلما فوجئ بخبر نقله لم يحزن كما يفعل الموظفون ، بل تلقى الخبر بفتور ، وحمل كتبه وموسيقاه ليهرب من الحياة البراقة الزائفة ، وليخلو إلى نفسه علّه يستطيع أن يلهمها العزاء والسلوان ! إنه سيحقق حلماً جميلا طالما تمنى تحقيقه ، حياة الطبيعة الساذجة الجميلة ، والمساحات الشاسعة الخضراء التى قرأ عن سحرها وجمالها ، وما توحيه إلى النفس من صفاء ، والناس السذج البسطاء الذين لم يتملوا شرور المدن الكبيرة وآثامها !

إن حياة المدن تفرض نفسها على الإنسان وتستعبده وتخنق فيه حياة العاطفة والروح ... وحياة العاطفة والروح هى كل ما ينشده الطبيب الحزين ، إنه يأمل أن يجد فى صدر الطبيعة ما لم يعثر عليه فى صدر المرأة !

* * *

وتمكن من أن يروض نفسه على حياة الريف ويستسيغها ، ووجد فى بساطة الحياة فيه الراحة التى يجدها الملاح بعد عاصفة هوجاء هدئته بالفناء . كان فى الصباح يؤدى عمله فى هدوء ، وفى الأمسية يخرج للرياضة بين المزارع الخضراء ، وعنده بعد ذلك كتبه وموسيقاه ، ولكنه ظل شديد الانقباض عن الناس زاهداً فى الحديث معهم حتى فى رؤيتهم . . !

ووجد « فؤاد » شيئاً من العزاء الذى كان ينشده ولكنه كان عزاء يمازجه كثير من اليأس ... والفلسفة . كان يقول لنفسه إن الذى يعيش مثله بين المرضى ويرى الإنسانية تتألم وتتعذب بهذا القدر ، ويشاهد كل يوم شبح الموت يلهو بالأرواح ، لابد أن يتعلم كيف يزن مسرات الحياة وفواجعها ، ويميز صحيحها من باطلها ... إن أوجاع الحياة توحى إليه بتفاهتها ، تلك الحياة التى نجهد أنفسنا فى سبيلها حتى الجنون ! نفنى السنين تلو السنين فى المتاعب والهموم ، حتى يحل خريف العمر وتذبل أوراقه ، عندئذ نبحث عن ثمار جهودنا وعنائنا فلا نجد شيئاً ! وتهب علينا ريح باردة تهمس فى آذاننا أن الكل باطل ، حينئذ ، وحينئذ فقط ، ندرك ... ونشيح بوجوهنا عن الحياة .

... وبمثل هذه الأفكار كان يعزى نفسه عما فاته من مباهج الحياة ومفاتنها ، ومرت شهور وهو منهك فى عمله وبقايا همومه وأفكاره القاتمة التى كان يطاردها فتغيب عنه حيناً ثم تعاوده فى قسوة وعنف ...

وفى صباح أحد الأيام كان جالساً كعادته إلى مكتبه يطالع صحف الصباح ... وفجأة دخلت فتاة ... وكان من عادته أن يطلب من أولئك الذين يقتحمون عليه خلوته أن ينتظروا بفناء المستشفى حتى يحين موعد العمل ، ولكنه نظر إليها ، وسكت ... وبعد برهة سألها فى صوت وادع عما تطلب بينما كانت عيناه تلتهمانها التهاماً ... !

وأسبلت جفونها ، واصطبغ وجهها بلون الدم ، وتلعثمت وهى تجيب . ودعاها برفق أن تقترب ... وتخبره عن مرضها .

واقتربت ، وأخذت تقص عليه أعراض مرضها بصوت ناعم حالم ... بينما كان هو يتأملها فى نشوة سعيدة كأنه يتأمل أثراً فنياً خالداً : كانت ترتدى ملاءة حريرية تحتها جلباب باهت اللون وفى إحدى يديها قارورة فارغة ، وفى الأخرى تذكرة أمراض باطنية ، وكان فى مشيتها فتور ثمل كأن رأسها قد حمل أكثر مما يسع من الأحلام ، وفى عينيها ذلك الحنين الذائب الذى تشمه عيون الفتيات عند ما تطرق قلوبهن تلك الإحساسات الحلوة الآسرة التى لا يدركن كنهها ، ونظراتها كطيور تائهة تبحث عن وكرها فى عيون أليف حنون يقتنص الأحلام الهائمة فى السماء ويريقها فى أذنيها بصوته الحلو الرقيق ... !

وتناول منها التذكرة وقرأ البيانات المدونة عليها فعرف أن اسمها « عزيزة » وعمرها سبعة عشر عاماً .

كانت تشكو ورماً بسيطاً فى أصابعها وساقيها ، وتناول يدها فى كفه وأخذ يتأملها ، واهتزت يده اهتزازاً خفيفاً وهو يضغط على أصابعها ليعرف طبيعة الورم ، ثم فحصها فحصاً دقيقاً ، وطلب منها أن تمتنع عن تناول بعض المأكولات ، وزودها بنصائحه ثم أعطاها ما يلزمها من دواء وانصرفت .

وجلس يفكر وقد ملكت عليه نشوته بحسنها ووداعتها كل حواسه ... أين كان هذا الكنز مختفياً ؟ لِمَ لم تحضر قبل الآن ؟ لقد جاءت ثم ذهبت كأنها الحلم السعيد فى هدأة الليل ، وكانت اللحظات التى قضاها وهو يتأمل هذا الوجه السماوى الجميل من أسعد لحظات عمره ... إن هذا الجمال من نوع نبيل يوحى بالعبادة أكثر مما يوحى بالحب : عيناها عسليتان يشمان وداعة وطهراً ، وبشرتها خمرية يعلوها تاج كثيف من الشعر الفاحم ، وكانت نحيفة وهو يكره الجسم المكتنز الذى يوحى دائماً بالرغبات كما أنها أطول من رأى من فتيات القرية ! !

ثم ابتسم وهو يقول لنفسه : « ألأنها جميلة تهتم بها أكثر من بقية المرضى ؟؟ قد تكون الدميمة المشوهة الخلقة أكثر احتياجاً إلى العطف والرعاية » ، ولكنه هرب من الإجابة عن سؤاله ، وأشعل سيجاراً وأخذ يغنى بصوت خافت ، وود لو أمكنه أن يرقص أيضاً .

وعند ما بارحته عزيزة لم يأمل أن يراها مرة ثانية ، فقد مضى عليه فى هذا المستشفى نصف عام لم تحضر خلاله إلا هذه المرة ، كما أن ملابسها وأناقتها — بالنسبة للقرويات — تدل على أنها تنتسب إلى الطبقة الموسرة التى لا تستسيغ التردد على أماكن العلاج العامة ...

ولكنها عادت فى الأسبوع التالى ، وكانت هذه المرة أكثر اعتناء بهندامها وشعرها . وترددت كثيراً قبل أن تتقدم نحوه . أما هو فكان يرقب خجلها وترددها فى سرور .

وأخيراً جمعت شجاعتها وذهبت إليه ... ولاحظ وهو يحدثها أن أسنانها أكثر بياضاً مما كانت عند مارآها فى الأسبوع الماضى وأخذ يلقى عليها عشرات الأسئلة حتى تطول وقفتها أمامه وأحس وهو يحدثها أن الثلوج التى ظلت تكتنف قلبه منذ كارثته الأولى بدأت تذوب وتفسح له مجال الحياة مرة أخرى .

كان يكلمها وفى عينيه وجرس صوته أطياف من الشوق والحنان ود لو تجسمت شخصاً حيا يطوقها ويغمرها بالقبل .

ولم تلمح هى فى عينيه ذلك الظمأ الخشن الذى ألفت أن تراه فى عيون الرجال ، إن عيناه تشعان وداعة وسلاماً .

ثم فحصها مرة أخرى ، وأعطاها دواء جديداً وانصرفت .

واطمأنت إليه ، وبدأت تألفه ، واعتادت التردد على المستشفى مرة كل أسبوع على الأقل ، وكانت تتلمس مختلف المعاذير للذهاب إلى المستشفى ، وكان هو ينتظر حضورها فى نوع من القلق ، ورغب فى أن يتعرف بأبيها فلم تعيه الحيل ، ووثق صلاته به وغمره بكل عطفه ، الأمر الذى أثار دهشة الرجل ، وجعله يتساءل عما يرمى إليه الطبيب من وراء كل هذا الاحتفاء !

وأحس « فؤاد » أن جراحه القديمة تبرأ بسرعة ... إنه سعيد بهذه الطفلة البريئة الساذجة ! إنه لا يطلب أكثر من أن يراها لترد إليه من جديد إيمانه بالحياة ، وتزيح عن قلبه الظلام المتراكم ، لقد غمرها بكل ما فى قلبه الأبيض من حنان ... ذلك الحنان الذى كان يعذبه لعدم عثوره على من يغدقه عليه ! ولاشك أن هذه القروية الساذجة ، الطاهرة القلب أجدر الناس به ...

وعند ما يمنح الطبيب قلبه للمريض تلهم العناية الآلهية يده وتحدث المعجزات ... وكانت عزيزة تبدو أكثر نضرة وشباباً فى كل مرة تذهب فيها إلى المستشفى . وكان هو يتأمل احمرار خديها فى فرح وهى تتقدم نحوه والخجل يكاد يقيد قدميها بالأرض آه ... لو كان شاعراً لنظم أروع قصائده فى هذه اللحظة التى يراها فيها وهى مقبلة عليه فى خطواتها الموسيقية الهادئة ...

واستولت الريفية الفاتنة على لب الطبيب الذى نزح من المدينة ناشداً السلوى والعزاء ... وأصبح خيالها يراوده فى اليقظة والمنام ... فمنذ ما كان يقرأ ، أو يفكر ، أو يتأمل الطبيعة والدنيا والناس فينبض قلبه بمختلف العواطف ، وتنتشى نفسه بأجمل الإحساسات ، كان يفكر فيها ويتخيلها جالسة إلى جانبه تشاركه عواطفه وإحساساته ويحدق فى وجهها فيرى بريق الذكاء فى عينيها والبسمة الحلوة تضىء قسماتها معبرة عن الفهم والفرح .

ولكن لا تلبث أن تظلل محياه سحابة من الأسى . إنه يسرف فى الخيال : وهى لا تستطيع كل هذا ... إنها القروية الساذجة التى تنطبق حدود الدنيا فى ذهنها على حدود القرية ...

ثم يعود يسأل نفسه لم يعكر صفو سعادته بمثل هذه الأفكار؟ إنه سعيد ، فرح ، يعيش فى دنيا جديدة من خلق عينيها . إن الغيوم الداكنة المتراكمة فى سماء روحه تتبدد تحت أشعة بسماتها الصافية ، ونظراتها الحلوة وتطرد من رأسه كل الأفكار السوداء التى قضى أشهراً وهو يجهد فى إقناع نفسه بها ، وتعلمه من جديد نفاسة الحياة وجمالها ، وعاد يأنس بالناس ويتبسط معهم ويجد فى حديثهم الساذج التافه كثيراً من الغبطة والسرور .

وسارت الأيام فى طريقها والعلاقة بينهما تزداد قوة وعمقاً ، كان هو يتفانى فى خدمتها ويبدى لها من دلائل الوداد والحنان مايجعلها تحس بأنها أسعد أنثى فى الوجود ، لقد اعترفت له وعيناها تتألقان بشراً وحبوراً أن يوم حضورها إلى المستشفى هو « يوم العيد » عندها .. ، وتبادلا كثيراً من التذكارات ، وطلب منها مرة أن تهديه صورتها فاعترفت له فى كثير من الخجل أنها لم تقف مرة واحدة طول حياتها أمام آلة تصوير ، فصورها بنفسه عدة صور ... وكان يصله من العاصمة بين حين وآخر ما لا يتيسر وجوده فى الريف من الحلوى والفاكهة ؛ فلا يطيب له تناول شىء منها إلا إذا أهداها بعضها فينتهز فرصة وجود أبيها معه ويعطيه من كل ما كان يرد إليه .

وآمنت هى بطيبة قلبه وإخلاصه ولم تعد تخجل منه أو تهيبه بل كانت تجد سعادتها فى أن تعترف له بكل ما فى قلبها ...

وكان يلاحظ أحياناً على وجهها آثار الحزن والألم فيسألها عن سبب أشجانها ، ويلمح الدموع تجول فى عينيها وهى تعترف له بأنها كثيراً ما توصد على نفسها باب غرفتها ، وتظل تبكى وتبكى دون أن تدرك لذلك سبباً .

وأدرك هو أن قلبها يعذبها ، خاصة عند ما سألته فى صوت يقطر توسلا وضراعة لماذا يعيش وحيداً ؟ لماذا لا يحضر أمه أو إحدى أخواته لتؤنسه وتسهر على راحته ؟؟ وابتسم ، وعرف أنها لم تعد تقنع بهذه اللحظات العابرة التى تقضيها معه .

وابتدأ يحاسب نفسه ويسألها عن النتيجة !

لقد نبه فى قلبها الشوق ، وأشعل فيه الحب ، وها هو الحب يجلب معه الشجون والأفكار .

لقد فتنه جمالها وطيبة قلبها فهل يربط مصيرها بمصيره ؟ ظل وقتاً طويلا حائراً معذباً بين فكره وقلبه وقضى ليالى برمتها لا يذوق جفنه النوم وهو يفكر كيف تكون حياتها معه لو ... تزوجها ؟

ولكنه اقتنع أخيراً أن بينهما من الفروق ما يجعل الحياة الدائمة معها مستحيلة ، إنها القروية الساذجة التى لم تتلق من العلم شيئًا وقد تهلك عند ما ينزعها من تربتها ليزرعها فى تربة أخرى !.. إن نواحى كثيرة فيه ستبقى مجهولة منها ... مستغلقة عليها وسيشق كثيراً فى طريق الحياة المجهد وهى إلى جانبه لا تدرى بشقائه وبواعثه ، وسيسعد كثيراً فى دنيا الفكر والفن والطبيعة وهى إلى جواره لا تستطيع أن ترد ذلك المنهل العذب وتتيح لنفسها تلك المتع الرفيعة التى لا تملك الحياة نفسها أن تمنح أسمى أو أجمل منها ...

ولم يخفف قراره هذا من لوعته وألمه : إنه سيحطم بيديه القلب الذى بدد وحشته ، وأنساه آلامه وهز أوتار قلبه هزات دائمة وسيعود يوماً ما إلى برد الوحدة من جديد ولا يجد إنساناً واحداً يستطيع أن يفرح ويحزن معه ...

وظل حائراً معذباً ولكن ماذا يفعل ؟ لقد أحبها أكثر من أى أنثى رآها فى حياته ولكنها ليست له ، هذه الجوهرة النفيسة ما زالت « خاماً » وفى حاجة إلى كثير من الصقل والتهذيب ، لقد غمرها بحنانه لأنها الزهرة الوحيدة فى تربة لا تنبت إلا الحشائش وكان سعيداً بها لأنه يراها لحظات كل أسبوع ولكن الحياة الدائمة بينهما قد تكون مثال التعاسة والشقاء ...

كانت كل هذه الأفكار تصطرع فى رأسه وهى تزداد حباً له وتفانياً فيه ، وهو لا يجرؤ على أن يبوح لها بمكنون ضميره ، وأهل القرية يتهامسون بأن طبيبهم سيتزوج من عزيزة ...

وظل هكذا موزع القلب بين حبه لها واشفاقه عليها من عاقبة هذا الحب حتى صدر قرار نقله إلى بلدة أخرى ، وللمرة الثانية تلقى الخبر فى فتور حزين مؤمناً أن للقدر أحكامه وسخرياته .

وسمعت هى نبأ نقله فجاءته والدموع تجول فى عينيها وسألته فى لهفة عن حقيقة الأمر ، وعما إذا كان سيعود أم لا ؟؟

وللمرة الأولى منذ حل هذه البلدة وجد الدموع تنحدر على خديه وقال لها : « الله يفعل ما يشاء يا عزيزة ، من يدرى ماذا سيحدث غداً ؟ » .

وأحس من نظراتها القلقة الحادة أن إجابته لم تعد إليها طمأنينتها ، ولكنه لم يجد ما يقوله . وبعد أن قضت معه فترة انصرفت وهى تتعثر فى خطواتها ...

شعر بقلبه يمتلىء سخطاً على نفسه وندماً ! ليته ما عرفها ، إنه سيذهب ولا يخلف لها إلا الحسرة والألم والدموع ... ولكن هل كان يستطيع أن يحول بين قلبه وبين الهيام بها والافتتان بجمالها الرقيق وروحها العذب ؟ وهل فى طبيعة الأشياء أن يقف المرء فى طريق قلبه ويخنق عاطفته التى تفيض طهراً وسمواً ، وتتدفق على حياته ، وحياتها هى ، أنبل المعانى وأجمل الإحساسات ؟

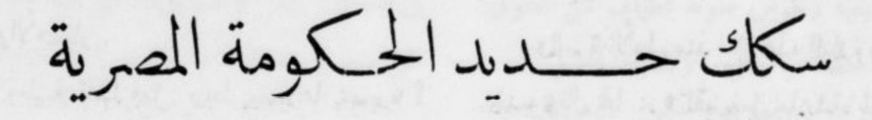
وحل اليوم الموعود وغادر البلدة إلى مقر عمله الجديد .

وتوالت الشهور والأيام وذكراه تحتكر فكرها وقلبها ، وظلت تمنى نفسها أنه سيعود يوماً ويملأ حياتها فرحاً وسعادة .. وطال انتظارها وعادت إلى وحشتها وكآبتها ودموعها ... وكانت تجلس ساعات وحيدة ساهمة تحدق فى الطريق البعيد المؤدى إلى المحطة ... فقد يلوح شبحه فجأة قادماً من بعيد .

وتقدم ابن عمها لطلب يدها فرفضت .

أما هو فكثيراً ما كان يفكر فيها ويمتلىء قلبه شوقاً إليها ، ولا تكاد تمر ليلة دون أن يضع صورها أمامه ، ويطيل التأمل فيها ، ويسأل نفسه : « ترى من سيتزوجها ؟ ليس بين أهل قريتها من هو جدير بها ! » ثم يرفع وجهه نحو السماء ويضرع إلى الله أن يمنحها الرجل الذى يستطيع أن يمنحها السعادة والهناء !.

**نصرى عطا الله سوسى**




عربات الدرجة الأولى الفاخرة المجهزة

بجهاز تكييف الهـــــواء

---

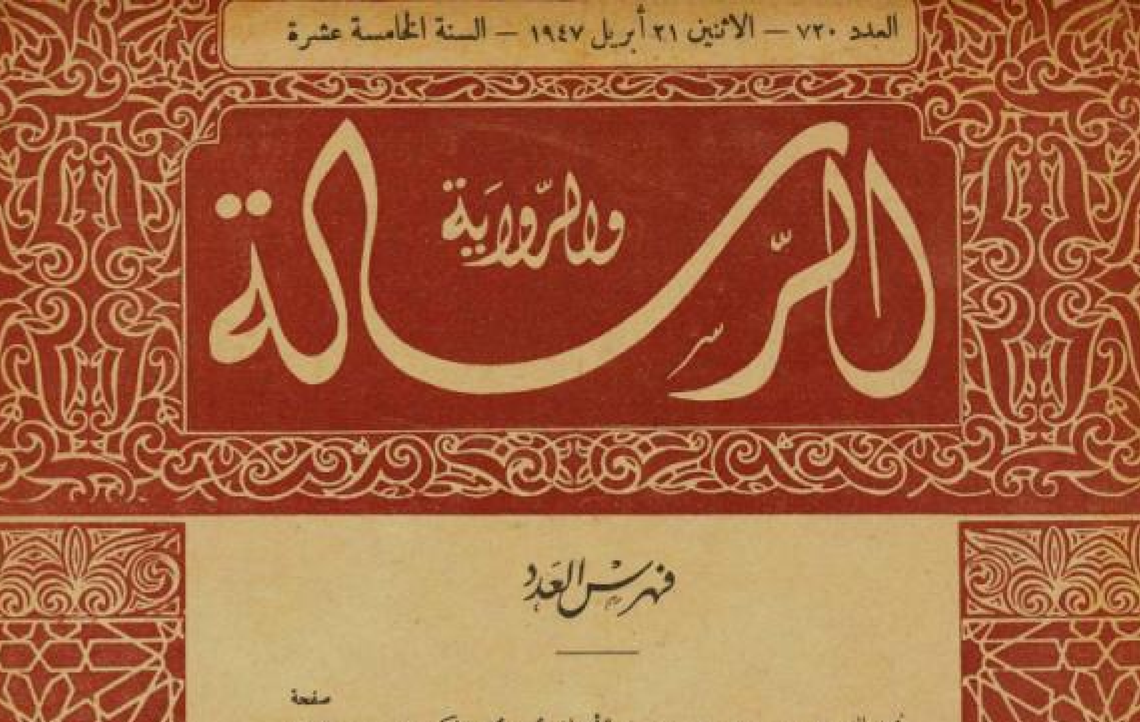
تمتعوا بالســـفر

## بعربات تكييف الهواء الفاخرة

تقيكم حر الصيف وبرد الشتاء

مطبعة الرسالة

العدد ٧٢٠ — الاثنين ٢١ أبريل ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة




## فهرس العدد


صفحة

نحن العرب ... ... ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ... ... ٤٣٩

بين مصر ولبنان ... ... ... : الأستاذ أحمد رمزى بك ... ... ٤٤٢

تفسير الأحلام ... ... ... : العلامة سجموند فرويد ... ... / الأستاذ محمد جمال الدين حسن ... ٤٤٤

الامتيازات الطائفية القضائية ... : الأستاذ نصيف المنقبادى المحامى ... ٤٤٦

الوقائع الحربية فى الشعر العربى ... : الرئيس نعمات ماهر الكمالى ... ٤٤٩

تولستوى ... ... ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ... ... ٤٥١

قصائد تكريم خليل مطران فى الميزان : الأستاذ على متولى صلاح ... ... ٤٥٤

نقل الأديب ... ... ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي ... ٤٥٦

بين رياض المنصورة ... (قصيدة) : الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى ... ٤٥٨

هو الوجد ... ... « : الأستاذ العوضى الوكيل ... ... ٤٥٨

« **الأدب والفن فى أسبوع** » : خطبة ... ودهشة ! — الغرب والسيادة الأدبية — المؤتمر الثقافى العربى الأول — مؤتمر للآثار العربية — آثار الهند — تصوير المخطوطات العربية — أدباء العروبة فى المنصورة ... ٤٥٩ — ٤٦١

« **من هنا ومن هناك** » : الحكومات الأوربية — الموسيقى الإيرانية وأثرها فى العالم — طريقة جديدة فى معالجة السعال الديكى ... ... ٤٦٢ — ٤٦٣

« **البريد الأدبى** » : تهجم لا داعى له — مضحكات مبكيات ... ... ٤٦٤

« **القصص** » : خصومة فى الحب : الأستاذ ماجد فرحان سعيد ... ٤٦٥

العدد ٧٢٠ — الاثنين ٢١ أبريل ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة




فهرس العدد


صفحة

| | | |
|---|---|---|
| نحن العرب ... ... ... ... | الأستاذ محمود محمد شاكر ... ... | ٤٣٩ |
| بين مصر ولبنان ... ... ... | الأستاذ أحمد رمزى بك ... ... | ٤٤٢ |
| تفسير الأحلام ... ... ... .. | للعلامة سجموند فرويد ... ...<br>الأستاذ محمد جمال الدين حسن ... | ٤٤٤ |
| الامتيازات الطائفية القضائية ... | الأستاذ نصيف المنقبادى المحامى ... | ٤٤٦ |
| الوقائع الحربية فى الشعر العربى ... | الرئيس نعمان ماهر الكنعانى ... | ٤٤٩ |
| تولستوى ... ... ... ... ... | الأستاذ محمود الخفيف ... ... | ٤٥١ |
| قصائد تكريم خليل مطران فى الميزان | الأستاذ على متولى صلاح ... | ٤٥٤ |
| نقل الأديب ... ... ... ... | الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي ... | ٤٥٦ |
| بين رياض المنصورة ... (قصيدة) | الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى ... | ٤٥٨ |
| هو الوجد ... ... » | الأستاذ العوضى الوكيل ... ... | ٤٥٨ |

« الأدب والفن فى أسبوع » : خطبة ... ودهشة ! — الغرب والسيادة الأدبية — المؤتمر الثقافى العربى الأول — مؤتمر للآثار العربية — آثار الهند — تصوير المخطوطات العربية — أدباء العروبة في المنصورة ... ٤٥٩ – ٤٦١

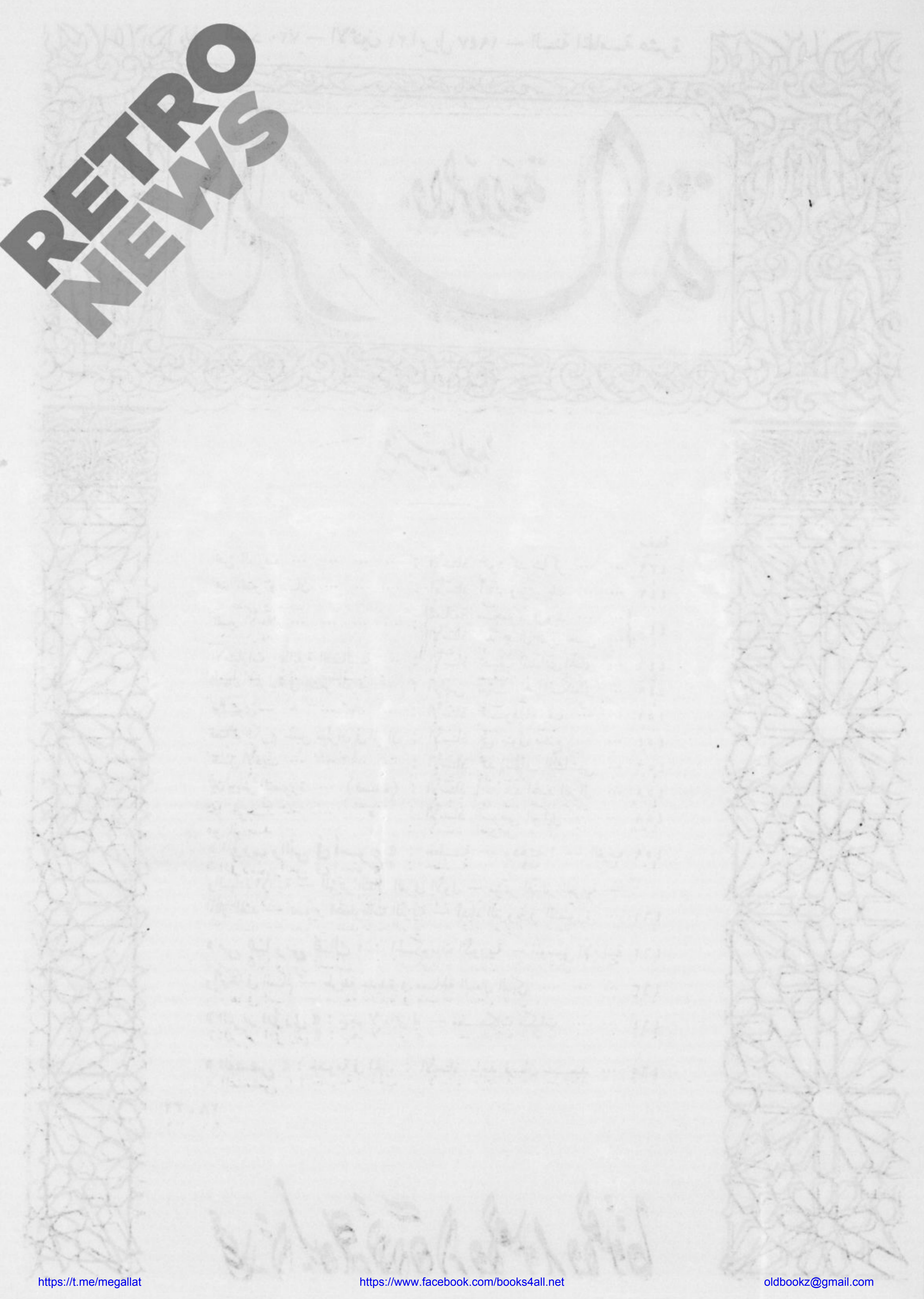
« من هنا ومن هناك » : الحكومات الأوربية — الموسيقى الإيرانية وأثرها فى العالم — طريقة جديدة فى معالجة السعال الديكى ... ... ٤٦٢ – ٤٦٣

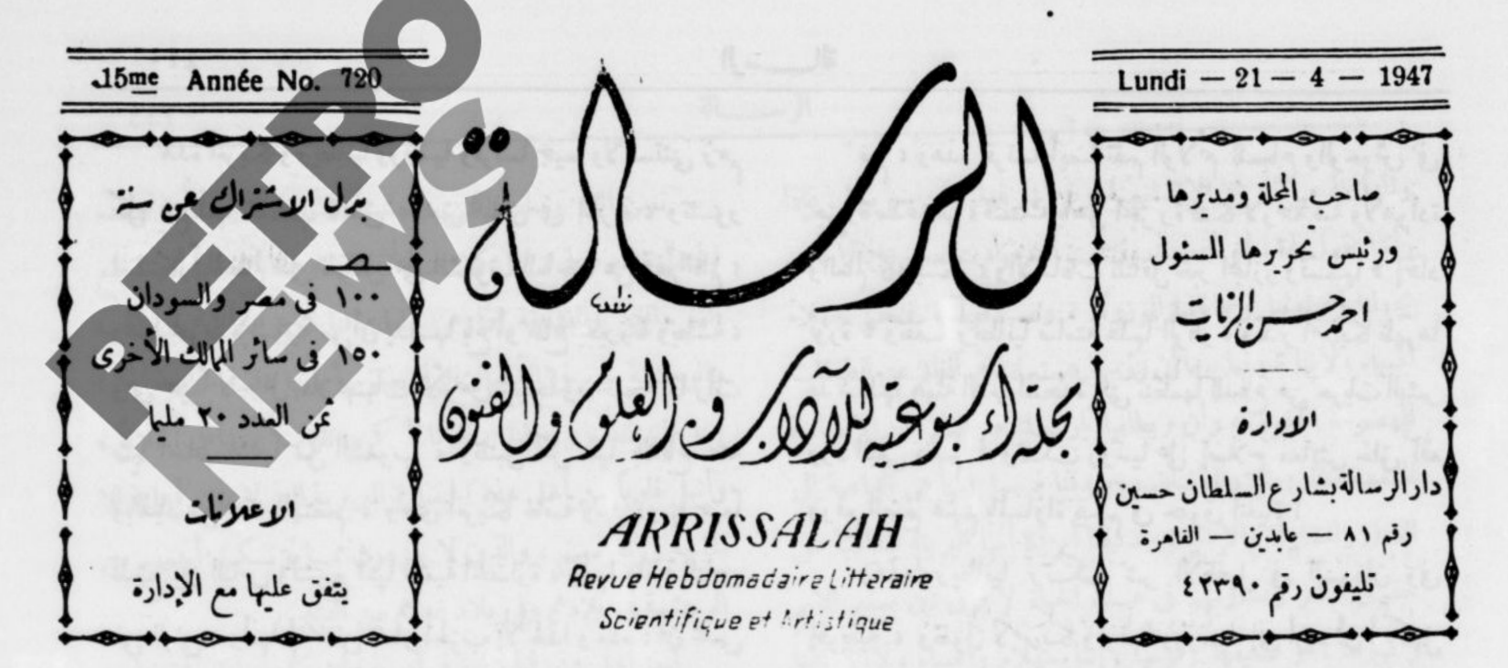
« البريد الأدبى » : تهجم لا داعى له — مضحكات مبكيات ... ... ٤٦٤

« القصص » : خصومة فى الحب : الأستاذ ماجد فرحان سعيد ... ٤٦٥


٢٨٠٣٢

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون




15me Année No. 720

Lundi — 21 — 4 — 1947

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٢٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ جمادي الأولى سنة ١٣٦٦ — ٢١ أبريل سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

# نحن العــرب ...

للأستاذ محمود محمد شاكر

إنى لأسألُ نفسى ، كما يسألُ كل عربى نفسه : « إلى أين يسار بنا تحت لواء هذه الحضارة البربرية الحديثة ؟ » وجواب هذا السؤال يقتضى العربى منا أن يلمح لحاً فى طوايا النفوس وخبايا السياسات ، ويقدمَ الحذر بين يديه ، ليكون على بينة من رأيه ومن مصيره أيضاً . ولعل القارىء قد فوجىء لإقحام هذا الوصف للحضارة الحديثة بأنها حضارة بربرية ، ولكن لا يعجل بالعجب مما لا عجب فيه فإنه حق بيّن لا تخطئه العين البصيرة .

نعم ! إنها حضارة لم يوجد لها مثيل بعدُ فى التاريخ كله منذ كان آدم إلى يومنا هذا . حضارة قد نفذت إلى أسرار المادة فكشفت عنها كشفاً يسر للبشرية أن تقبضَ على زمام الحياة وتصرّفها فى حيث شاءت وإلى حيث تريد ، وجعلت الإنسان يشعر شعوراً لا خفاء فيه بأنه قادر على أن ينشىء التاريخ إنشاء ، ويبنى الوجود بناء جديداً ، ويملأ ظلام الليل وضياء النهار حياة وقوة وجلالا ، وينفث فى الأشباح روحاً ويكسوها لحماً ويعطيها من مقدوره ما يجعلها كائناً متصرفاً بشىء أشبه بالعقل والإرادة .

ونعم ! إنها حضارة قد قامت أركانها على علم جم يعجز المتأمل عن إدراكه وبلوغ آفاقه ، علم تدسس إلى ضمير الأرض والسموات فاسترق السمع إلى نجواه وإلى خواطره فقبس منها قبساً مضيئاً أنار ظلمات هذا الوجود الذى لا يعلم ما انطوى عليه إلا الله الذى يعلم الخبء فى السموات والأرض . ونعم ! إنها حضارة أزرت بالحضارات كلها وجعلتنا نشعر بالقوة التى طواها الله فى هذا « العالم الأصغر » حتى مكن له أن يكون سيد « العالم الأكبر » غير منازع .

نعم إنها حضارة مجيدة عاتية أحيت الإنسانية ورفعت شأنها ، ولكنها على ذلك كله حضارة بربرية طاغية قد امتلأت فساداً وجوراً وحماقة وفجوراً ، حضارة بربرية رفعت الإنسانية من ناحية العقل ، ولكنها قتلت ضميرها ومزقت شرفها ، وجعلتها تشعر بقوة غير شريفة ولا صالحة ولا أمينة فى أداء حق الإنسانية عليها .

والعربى منا إذا نظر اليوم فينبغى أن ينظر أولا إلى هذه « البربرية » من الناحية التى لها مساس به وبحياته وبتاريخه على هذه الأرض ، ليعلم إلى أين تريد هذه الحضارة أن تسوقه ؟ وأى بلاء تريد أن تبتليه به ؟

إن تلك الدول التى صارت دولا فى تاريخ هذه الحضارة البربرية وبعمونتها تريدنا على أشياء وتريد بنا أشياء لا بد لكل عربى أن يراها بعين لا تغفل . هذه الدول التى ادعت ولا تزال تدعى أنها خاضت غمار الحرب المبيدة الثانية دفاعاً عن حرية البشر فى الحياة ، وعن رفع مستوى المعيشة فى هذه الأرض ، ترتكب كل يوم من ضروب الخيانات والغدر والنذالة ما لم يشهد التاريخ مثله ، كما لم يشهد مثل حضارتها هذه البربرية . .

هذه أمريكا وبريطانيا وروسيا وفرنسا جميعاً ولا تستثنى تزعم كل يوم أنها تغضب للحق ، حق الناس فى الحرية ، وتثور استنكاراً للمظالم التى تفرض على الشعوب العاجزة عن دفع الظلم ، وأنها تحوط الإنسانية من أن يدنسها باغ أو طاغ بجبروته وبطشه ، وهى جميعاً لا تزال تملأ جنبات الأرض عجيجاً وضجيجاً إذا رأت ضيما أصاب شعباً من الشعوب ، وتتنبل كل منها بالدفاع عنه وبالذياد عن حقه المهتضم ، وترى أمريكا خاصة ومن دونها جميعاً تذيع بين الناس وتشيع أنها حامية الحضارة ، وأنها حامية الناس من البغى ، وأنها لم تخض غمار الحرب إلا لهذا وحده : أن تحمى الحضارة من الدمار ، وأن تحمى الناس على اختلافهم من البغى . وكذلك تفعل بريطانيا أيضاً ، وهكذا تزعم روسيا ، وهكذا تتبجح فرنسا .

ولكن — هذه فلسطين فلذة أكباد العرب قد شهدت أنذال الأمم يطأون ديارها منذ سكنت الحرب العالمية الأولى ، ثم أخذوا يسيلون عليها سيلا منذ ذلك اليوم يريدون أن يجلوا العرب عن بلادها ليحتلوها وينشئوا فى ربوعها دولية يهودية ، فإذا بنا نرى أمريكا تعينها بالمال واللسان والقلب ، ونرى بريطانيا تغريهم بما يريدون وتصبرُ على إذلالهم لها صبراً لم يعرفه قط تاريخ بريطانيا التى كانت تسمى رجال العرب المجاهدين « رجال العصابات » ، ونرى روسيا وفرنسا تلوذان بالصمت المطبق لا تقول ولا تنبس ولا تتحرك دفاعاً عن الحضارة ، ولا دفاعاً عن المضيمة التى تراد بالإنسانية ، كما تحركت من قبل .

وهذه تونس والجزائر ومراكش تجرى فيها المذابح الوحشية التى لم يعرف التاريخ مثلها . فتسيل دماء أربعين ألف عربى ما بين عشية وضحاها ، بين سمع سفراء الدول وبصرها ، فلا نرى أمريكا ولا بريطانيا ولا روسيا تثور أو تغضب أو تقول ، وتمضى فرنسا الباغية تنفذ سياستها فى تدمير شعوب برمتها . تدمر حضارتها وماضيها وقواها وتستل الأرواح من أبدانها بالسلاح غدراً وغيلة ، وتمتهن الرجال وتسب الأديان وتفتك بالأحرار ، ويرى ذلك ويسمعه سفراء أمريكا وبريطانيا وروسيا المدافعات عن الحرية وعن الحضارة وعن الإنسانية .

نعم ، وهذه فرنسا أيضاً تقيم الولائم للسباع والوحوش فى جزيرة مدغشقر ، فتفتك بأهل الجزيرة فتكا لا رحمة فيه ولا هوادة والعالم كله يسمع ، والإشاعات تتناقل خبر المجازر وتسميها « إخماد ثورة » وتقف بريطانيا صامتة عليها الوقار ، وتدير أمريكا ظهرها قد شغلتها هيئة الأمم المتحدة التى تنظمها للدفاع عن حريات البشر ورد البغى عنهم ! وتنكب روسيا على إصلاح معايش خلق الله ورفع الضيم عنهم بالمساواة بينهم فى حقوق الحياة !

وهذه بريطانيا ترتكب شر الأفاعيل فى السودان وفى إفريقية ، وتقول لأمريكا وفرنسا وروسيا إنى أريد أن أكفل لهؤلاء الناس استقلالهم ، أريد أن أرد عنهم اعتداء بنى جلدتهم الطامعين فى استعمارهم ، وأريد أن أترفق بهم حتى أرفعهم من حضيض الجهالات لكى يصبحوا شيئاً فى تاريخ هذه الإنسانية ، فهى تقتل منهم كما تقتل السائمة ، وتدعهم عراة بل تجبرهم على أن يظلوا عراة ليخرجوا لها من ثمرات الأرض ما يرفع مستوى معيشتهم . وتعرف ذلك أمريكا وفرنسا وروسيا فيقولون لها أن نعم ، ولك الشكر ، ونعم ما تفعلين !

وهذه أمريكا تنطلق من معزلها مرة واحدة لتقول للعالم إنى أحمى الضعفاء وأجبر كسر المحتاجين ، وأعين على نوائب الحق ، وأدفع الظلم عن الناس ، وأرفع الضيم عن المضيم ، وترى كل هذا وراءه سفراؤها ورجال جامعاتها فى الشرق ، فلا تكون نصرتها لنا إلا بأن تذهب إلى جزيرة العرب وإلى إيران وإلى بلاد كثيرة من بلادنا لتأخذ البترول ، وتقول لنا سأعطيكم من المال مبلغاً ضخماً ترفعون به مستوى معيشتكم ، فلا تحملوا المصالح الأجنبية فى بلادكم على محمل سيىء أيها الرجال العقلاء . أما مسألة مصر والسودان ، وأما مسألة مراكش وتونس والجزائر وهذه المذابح والمجازر ، وأما مسألة فلسطين وما فيها من الجور والبغى والعدوان والنذلة ، وأما مسألة العراق وسائر البلاد العربية ، فذلك كله أمور تتم على وجه آخر إذا جاء حينها ، وأنا لا أستطيع أن أتدخل فى شئون الدول ، بل الأمر كله متروك لهيئة الأمم المتحدة إن شاء الله ، فاطمئنوا .

هكذا يرى العربى فعل هذه الدول القائمة على الحضارة

والمدافعة عن تاريخ الإنسانيـة وعن شرفها وعن حريتها : فإذا رأتنا نقول لها الحق غضبت وزعمت أننا قوم نتعصب على الأجانب بجهلنا وغباوتنا وحماقاتنا الموروثة ، وصـدقوا ، فنحن جهلاء أغبياء ، لأننا صدقنا يوما أن روسيا هبت لتدفع الظلم عن الطبقات المهضومة الحقوق ، وأن بريطانيا ثارت لتدفع الشر عن الإنسانية المهددة بالجبروت والطغيان ، وصدقنا فرنسا أنها هي الداعية إلى العدل والمساواة والإخاء ، وصدقنا أمريكا أنها البريئة المدافعة عن حقوق البشر وتساويهم في هـذه الحياة لا فرق بين صغير الأمم وكبيرها ، أو ضعيفها وقويها ، إننا جهلاء وأغبياء ، لأننا أبحنا بلادنا للأجانب ليرفعوا لنا مستوى العلم والثقافة ، ومستوى العيش والحياة ، فأكرمناهم وآويناهم وخُدعنا بهم ، وحرصنا على أن نجعلهم لا يشعرون بأننا نريد أن نكون حرباً عليهم ، فأنشأوا ما أنشأوا من مدارس ومتاجر وأوغلوا في بيوتنا وأراضينا فسرقوا منا قلوب أبنائنا وأموال أغنيائنا وفقرائنا ، واستبدوا بالأمر دوننا ، وتركونا لا نستطيع أن ننفذ في بلادنا ما تنفذه كل دولة من القوانين والأحكام فإذا أردنا نحن أن نفعل شيئا قليلا مما تفعله الدول لحماية أرضها وأموالها ، ثاروا علينا من الشرق والغرب ومن يمين وشمال يرموننا بالتعصب ، ويمنون علينا أنهم هم الذين رفعوا مستوى معيشتنا ، وهم الذين علمونا كيف نلبس وكيف نأكل وكيف نشرب .

فهل يحل منذ اليوم لعربي أن يصدق أكاذيب هـذه الأمم الباغية في دعواها ومزاعمها ؟ هـل يحل لعربي أن يثق بأن أهل هذه الحضارة التي اشتملت على روائع الفن والعلم والفلسفة ، قد صاروا حقاً أهل حضارة تستحق أن تسمى حضارة لأنها قربت المسافات بالطائرة التي تخطف في جو السماء خطفاً ، ومست موات الأرض فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، وألقت السحر في بنان الإنسان فإذا هو طبيب يدفع عوادي الموت عن رجـل في النزع ليس بينه وبين الموت حجاب ؟ هـل يحل لعربي أن يصدق شيئاً من هـذا كله وهم يكذبون على خلق الله العرب ويغررون بهم ويخدعونهم ويقتلونهم ويذبحونهم بلا رحمة ولا شفقة ولا ضمير يفزع من كل هـذه الجرائم البشعة في تاريخ الإنسانية !

تمس العلم وتمس الفن وتمس الفلسفة ، وتمست هـذه الحضارة البربرية ، إذا كان هـذا خلقها وهذا ضميرها ! وما نفع العلم والفن والفلسفة إذا هي خلطت لنا نحن العرب بالكذب والوحشية حتى في الأعمال التي يصفونها بأنها علمية خالصة [(1)] .

إننا على ضعفنا وجهلنا وفقرنا أكرم نفوساً ، وأعلى أخلاقاً ، وأنبل قلوباً من أهل هذه الحضارة البربرية التي لا يثور أهلها إلا لحاجة في نفوسهم ، والذين لا يفزعون مما ترتكب أيديهم من الوحشية في بلادهم وفي بلاد غيرهم من البشر .

ليعلم أهل هذه الحضارة في أوربة وأمريكا ، وينبغي أن نعلمهم نحن في بلادهم وبين ظهرانينا أننا لن نهاب بعد اليوم أن نكاشفهم بعداوة عربية ، لا كعداوتهم هم تلك العداوة الممزوجة بالرقة والخداع والكذب والتغرير ، إنها عداوة طالب الحق الذي ينتصف لعدوه من نفسه ، وينتصف لنفسه من عدوه ، والذي لا يغمط حقاً ولا ينكر معروفاً ، ولكنه لا ينسى أن عدوه هو عدوه !

ولقد سمع أحد رجالنا ، هو ابن شبرمة ، يوماً عروة بن المغيرة وهو ينشد هذه الأبيات :

لا أنتقي حسك الضغائن بالرقى فعل الذليل، ولو بقيت وحيدا
لكن أعد لها ضغائن مثلها حتى أداوي بالحقود حقودا
كالخمر خير دوائها منها بها تشفي السقيم وتبرىء المنجودا

فقال : لله در عروة ! هذه أنفس العرب .

فهـذه نفوسنا ، لن نهادن من يعادينا عداوة طويت على الضغائن الصغيرة المحتقرة ، فإذا أنابوا وانتصفوا لنا من أنفسهم ، وعرفوا قبح ما أتوا وشناعة ما ارتكبوا ، فيومئذ نصالحهم مصالحة العربي الذي لا يضمر الغدر ولا الغيلة ولا الفتك ، ولا يعرف الكذب ولا المخاتلة .

محمود محمد شاكر

---

(١) يحسن بالقارىء أن يقرأ مقالة في مجلة الكاتب المصري شهر إبريل سنة ١٩٤٧ بعنوان « بين السياسة والعلم » للدكتور سلمان حزين ، فهي تكشف عن استخدام العلم أحياناً في أحط الأساليب السياسية .

على هامش معركة عين جالوت :

# بين مصر ولبنان

للأستاذ أحمد رمزى بك

أمراء الغرب البُحْتُريون من تنوخ[1] أهل المجد وأصحاب الرياسة فى لبنان كانوا طوال الأعصر الماضية حلفاء مصر ويدها اليمنى فى كثير من الملمات والحوادث . كانت « إعبية » معقلا لهم وفيها آثار قلاعهم وقصورهم ، ما مررت بها إلا وغلبتنى دمعة حاولت إخفاءها ، فقد دالت منذ زمن بعيد دولة أمراء الغرب وذهبت ريحهم أو قل مع الريح أخبارهم ، كما دالت وذهبت مع الريح دولة مصر الإسلامية التى كانت تهزّ الدنيا ويخشاها أهل الشرق وأهل الغرب .

وبقيت ذكريات ذلك العهد وآثاره وأعمال مصر الإسلامية العربية وجهادها وهى جميعاً تحرك النفس وتدعو إلى العجب من هذا النسيان الذى لا أجد له تفسيراً لدى أحد من الناس ، نعم عجبى من هذا النسيان الشامل الذى نعيش فى غمراته .

لقد ذهبت أخبار أمراء الغرب ودفعوا ثمن ما عُرف عنهم من ولائهم لمصر وعرشها[2] غالباً بعد معركة مرج دابق وزوال الدولة المصرية من الوجود ، ثم فنيت جموعهم واندكت صروح مجدهم ولم يعد يسمع لهم خبر بعد أن ورث المنيون وهم أتباعهم ثم أصهارهم الملك والإمارة من بعدهم ، وجاء الشهابيون وهم من أتباع آل معن فورثوا الإمارة والرياسة من هؤلاء ، فاندثرت الرياسة الكبرى لأمراء الغرب من تنوخ إذ هم الأصل والكل فروع ، مثلهم فى لبنان كمثل آل سلجوق فى الدنيا ، الكل لهم فروع من أتابكة وأيوبيين وأمراء من البحرية والبرجية وملوك من آل عثمان وسلاجقة الروم لأنهم كانوا الأصل والموئل والمرجع ومن سواهم فهم فروع لهم .

بنوهاشم فى كل شرق ومغرب    كرام بنى الدنيا وأنت كريمها

وسآتيك بنبأ من أخبارهم يحلو لى ترديده وذكره ، وهذا حديث يصح فيه قول البحترى :

وهو ينبيك عن عجائب قوم    لا يشاب البيان فيهم بلبس

فقد ذكر صالح بن يحيى خبر المرسوم الذى بعث به المعز أيبك[1] صاحب مصر إلى سعد الدين خضر أحد مقدمى أمراء الغرب وقال إن أهل الشام نسبوا أمراء الغرب إلى المصريين فجمعوا لهم جموعاً من العشائر النازلة فى بعلبك والبقاع وساروا بهم نحو جبال لبنان ، والتقوا معهم فى بلدة عيثات فى ٢ ذى القعدة سنة ٦٥٣ هجرية ، فاقتتلوا وكتب النصر لألوية أمراء الغرب ، وكان فارس المعركة وصاحب الشهرة واليد الطولى أمير منهم اسمه زين الدين صالح بن على بن بحتر بن على ، سطع نجمه من ذلك اليوم وسيأتى ذكره فى معركة عين جالوت وغيرها من حوادث الزمن .

وصالح بن يحيى هذا مؤرخ القوم قال « وجدت باسم سعد الدين منشوراً من الملك المعز أيبك التركمانى أول سلاطين الترك بالديار المصرية والعلامة « حسبى الله » وأبدى لنا تعجبه لأن بيروت كانت تتبع الشام والمنشور مصرى وهو يعلم أن الملك الناصر الأيوبى صاحب ديار الشام كان يروم أخذ مصر وإعادة ملك الأيوبيين كسابق عهده قبل أن يستقل بها أمراء الأتراك ، وكان المعز أيبك يدافع عن ملك مصر ويروم قهر الناصر ، وكانت حوادث وخطوب ومعارك ، وانتصر فيها المعز وزينت القاهرة ومصر وقلعة الجبل وقلعة الروضة عدة أيام حينما دخل العاصمة والأسرى بين يديه والسناجق منكسة والطبول مشققة ، ولعبت الفرسان بالرماح على الخيول فى ساحة بين القصرين ، حتى إذا وصلوا إلى تربة الملك الصالح نجم الدين أيوب ، صاح البحرية :

(١) ينتسبون إلى تنوخ بن قحطان بن عوف بن كندة بن جندب بن مذحج بن سعد بن طى بن غيم بن النعمان بن المنذر — وتنوخ اسم حبشى .

(٢) حضر من أمراء الغرب فخر الدين معركة مرج دابق ولم يقاتل وخلع عليه السلطان سليم بناء على إشارة الغزالى ثم اشتد ضغط العثمانيين عليهم بعد ذلك ، هذا خلاف من اعتقل من أمرائهم لثباتهم على أمانة مماليك مصر .

(١) تاريخ بيروت : أخبار أمراء الغرب . نشره الأب لويس شيخو

« أن عينك اليوم يا مولانا لترى أعداءك بين أيدينا » .

واستمر الأمر بين مصر والشام على المنازعة والمخاصمة حتى تدخل بين الملكين من أصلح الأمر على أن تكون بلاد الشا إلى العريش للناصر وأن تكون مصر للمعز .

وكان الفرنج على الساحل وبيدهم الحصون والمعاقل يغزون ويقاتلون المسلمين كافة من أهل الشام وأهل مصر، وفى تلك الأثناء سقطت بغداد بيد التتار وساقوا خيولهم إلى أراضى الفرات والشام، فأرسل الملك الناصر صاحب الشام ابنه الملك العزيز إلى هولا كو ومعه تقادم وعدة من الأمراء فوعده بنجدة لإنقاذ مصر من حكامها .

فى تلك اللحظة انتهى أمر الأيوبيين أو قضوا على أنفسهم بالفناء بعد أن خالفوا تقاليد صلاح الدين وارتموا فى أحضان الغاصب، فضاعت منهم بلاد الشام ولم تقم لهم قائمة، وألقت الأقدار على جند مصر كتابة الملحمة الكبرى فى عين جالوت التى تناقل حديثها الأجيال .

فى هذه المعركة انضم إلى التتار أمراء وملوك من آل أيوب وغيرهم من مقاتلة المسلمين، وجاء من أمراء الغرب من وقف فى صفوف التتار يحارب بإرادته أو رغم أنفه، وكان منهم زين الدين الذى أشرنا إليه فنقل عنه أنه حضر المصاف بين عسكر مصر والتتار على عين جالوت يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ٦٥٨ فلما انهزم التتار وتفرقت جموعهم لجأ فريق منهم إلى المرتفعات واختار بعضهم قمة جبل يشرف على المعركة وتحصنوا هناك فأحاطت بهم المماليك السلطانية وسدت عليهم منافذ الخلاص فلحق بهم الأمير زين الدين وانضم باختياره إلى جند مصر وحارب التتار وأعجب مماليك السلطان بقتاله وقوة بأسه حتى صاروا يقدمون له النشاب من تراكيشهم (التركش هى جعبة السهام). ولما انتهت المعركة وجلس الظفر قطز ملك مصر، وجىء بين يديه بالأسرى وفيهم ملوك المسلمين وأمراؤهم الذين أعانوا الخصم وحاربوا فى صفوفه، وقدموا إليه الملك المسعود صاحب قلعة الصبيبة من ملوك بنى أيوب وكان شديد الوطأة فى حربه على المسلمين فأمر السلطان فى الحال بضرب عنقه . وجىء إليه بالأمير زين الدين المذكور وهو من أمراء الغرب فتقدم مماليك السلطان جماعة وشهدوا فى حقه وحسن بلائه وقتاله للتتار على ذروة الجبل فنظر المظفر إليه وعفا عنه .

ونقل عن زين الدين المذكور وصف شائق للمعركة يوم عين جالوت قال فيه « والله ما خفت فى يوم أكثر منه » وذكر أنه رأى مع العسكر الطبول محملة على ثلثمائة جمل حتى أخفى أصواتها وقع الضرب بالسلاح على القراقل ( الدروع ) والخوذ وما كان يتخلل ذلك من صراخ الرجال، وذكر أن بين ما وقع بين يديه فرس هائل المنظر من خيول التتار كان يسابق عليها طويلا .

ذلك خبر أمير من أمراء الغرب على هامش معركة عين جالوت . أما مواقفهم بعد ذلك مع ملوك مصر أيام الظاهر وقلاوون وابنيه الأشرف خليل والناصر محمد فكثيرة، تبرهن على ود وصداقة وتآلف مع مصر، ومنها رسالة من ديوان مصر تقول : « قد بلغنا أن جموعكم قد تفرقت، وأنتم تعلمون أن هذا الوقت الذى يظهر فيه مناصحة الدين والدولة القاهرة فليتقدم الأمراء أيدهم الله برد الرجال إلى جهة صيداء، وليجتهدوا فى المساعدة على حفظ هذا الثغر مؤيدين إن شاء الله » ...

**أحمد رمزى**

# ٣ - تفسير الأحلام

للعلامة سجموند فرويد

سلسلة محاضرات ألقاها في ڤينا

للأستاذ محمد جمال الدين حسن

والآن فلنستخدم تعريفين جديدين كان يحق لنا أن نستخدمهما من قبل. لنطلق كلمة « المحتوى الظاهر للحلم » على الحلم كما يرويه صاحبه. ولنطلق كلمة « المحتوى الباطن للحلم » على المعنى الخفى الذى نصل إليه عن طريق الأفكار المترابطة. ولننظر بعد ذلك فى العلاقة التى بين المحتوى الظاهر والمحتوى الباطن فى الأمثلة السابقة. نرى فى المثال (١) أن المحتوى الظاهر للعنصر الذى اختبرناه من الحلم عبارة عن جزء صغير من المحتوى الباطن، ولكنه جزء قائم بذاته أى أن قطعة صغيرة من بناء عقلى ضخم فى منطقة اللاشعور قد استطاعت أن تتخذ طريقها إلى المحتوى الظاهر. وقد تبدو هذه القطعة فى أحيان أخرى على هيئة إشارة أو تلميح إلى شىء مجهول. ومهمة التفسير هى العمل على إتمام هذا البناء العقلى الذى تنتمى إليه تلك القطعة أو ترمز إليه تلك الإشارة. أما فى المثال (ب) فإننا نعثر على علاقة من نوع جديد. فالمحتوى الظاهر ليس تحريفاً للمحتوى الباطن بالقدر الذى هو تمثيل له، ولكنه تمثيل بصرى، أى أن الأفكار والكلمات فى المحتوى الباطن يستعاض عنها بصورة بصرية فى المحتوى الظاهر

والآن هل فى استطاعتكم أن تقدموا فى شجاعة على تفسير حلم تام بأكمله؟ دعونى أقص عليكم حلماً غير غامض تماماً ولكنه على أية حال يعطينا فكرة واضحة عن خواص الأحلام، ولنر إن كنا أصبحنا معدين لهذا العمل أم لا؟

رأت سيدة متزوجة منذ بضع سنوات الحلم الآتى: « رأت نفسها كأنما فى أحد المسارح مع زوجها بينما كان نصف القاعة تقريباً خالياً من النظارة. وقد أخبرها زوجها أن صديقتها « أليس » وخطيبها قد أرادا الحضور، ولكنهما لم يجدا غير أماكن رديئة، ثلاثة مقاعد بفلورن ونصف، ولذا رفضا بالطبع شراءها. وقد أجابت السيدة إنهما فى رأيها لم يخسرا كثيراً بعدم الحضور ».

كان أول شىء روته السيدة التى رأت هذا الحلم أن هناك إشارة فى المحتوى الظاهر إلى السبب الحقيقى الذى أدى إلى هذا الحلم؛ فقد أخبرها زوجها فعلا فى اليوم السابق أن جارتها « أليس » التى تقاربها فى العمر قد تمت خطوبتها وقد جاء الحلم كرد فعل لهذه الأخبار. والآن كيف نفسر خلو نصف القاعة من النظارة؟ تقول الحالمة إن هذا العنصر يشير إلى حادثة حقيقية وقعت لها فى الأسبوع الماضى فقد أرادت السيدة أن تشاهد إحدى المسرحيات فحجزت المقاعد مقدماً مما اضطرها إلى دفع مبلغ إضافى فى نظير الحجز. ولكنها عندما ذهبت إلى المسرح رأت أن تسرعها بالحجز كان فى غير محله، لأن ناحية بأكملها من القاعة كانت خالية تقريباً. فلم يكن هناك داع إذاً للعجلة، وكان فى استطاعتها لو تمهلت أن تشترى التذاكر ليلة التمثيل، وقد اتخذ زوجها هذه الحادثة مدعاة للتسلية والتفكه على حسابها مما أحنقها. والآن كيف نفسر الفلورن والنصف؟ يشير هذا العنصر إلى مادة غير المادة السابقة ولكنه كذلك يرجع إلى أخبار تلقتها الحالمة فى اليوم السابق فقد تلقت أخت زوجها مبلغاً وقدره ١٥٠ فلورن من زوجها على سبيل الهدية فأسرعت كالطائشة بالذهاب إلى محل لبيع الحلى حيث أنفقت المبلغ كله فى شراء قطعة من الحلى. أما عن العدد ثلاثة (ثلاثة مقاعد) فلم تستطع الحالمة أن تعطينا فكرة عنه اللهم إلا أن الفتاة المخطوبة « أليس » كانت تصغرها بثلاثة شهور فقط بينما هى متزوجة منذ عشر سنوات. أما عن الجزء الغير معقول فى الحلم وهو أنها اشترت ثلاث تذاكر لشخصين فقط، فلم تستطع الحالمة أن تفسره لنا أو تعطينا أية معلومات أو أفكار أخرى بعد ذلك.

ومع هذا فقد استطعنا أن نحصل من هذه الأفكار القليلة التى أعطتنا إياها على المادة اللازمة للكشف عن المحتوى الباطن للحلم. فما يلفت النظر أن هناك دائماً إشارة إلى الوقت فى مواضع مختلفة من رواية السيدة فهى تشترى تذاكر المسرح « مبكرا » وتشتريها على « عجل » مما يضطرها إلى دفع مبلغ إضافى. وكذلك أخت زوجها قد عجلت بالذهاب إلى بائع الحلى لتشترى

حلية بالمبلغ الذى معها كأنما هى تخشى أن « تفقد شيئاً » فاذا ربطنا بين هذه النقط وبين الأسباب التى أدت إلى هذا الحلم (أى الأخبار التى تلقتها السيدة من أن صديقتها التى تصغرها فى العمر بثلاثة شهور فقط قد استطاعت مع هذا أن تحصل الآن على زوج صالح) وبين النقد الذى يتمثل فى الخشونة التى استخدمتها فى اتهام أخت زوجها بالحماقة والطيش لتهورها؛ فأننا نستطيع أن نحصل على التركيب الآتى للمحتوى الباطن الذى جاء المحتوى الظاهر بديلا محرفاً له : —

لقد كان من « الحماقة » أنى تسرعت هكذا بالزواج فها هى أليس تضرب لى المثل على أنه كان فى استطاعتى أنا أيضاً أن أجد لى زوجا فيما بعد. (التسرع ممثل بتصرفها فى شراء التذاكر وبتصرف أختها فى شراء الحلى. أما الزواج فممثل بالذهاب إلى المسرح) هذه هى الفكرة الرئيسية. وقد نستطيع أن نتابع التحليل، ولكن فى ثقة أقل لأن التحليل فى مثل هذه الحالات يحتاج إلى أن يدعم برواية السيدة الحالمة نفسها، فنقول « ولقد كان فى استطاعتى أن أعثر بنفس المبلغ على زوج أفضل مائة مرة » (١٥٠ فلورن تساوى مائة مرة الفلورن والنصف). فإن استعضنا عن المال بالبائنة فمعنى هذا أن الزوج يشترى بالبائنة. فكل من المقاعد الرديئة والحلى يمثل الزوج. ولقد كنا نود لو كان فى استطاعتنا أن نرى صلة بين الثلاث تذاكر والزوج، ولكن معلوماتنا للآن لا تؤهلنا لمثل هذه المعرفة. والذى استطعنا أن نعرفه فقط هو أن الحلم يمثل إنقاصاً لقدر زوجها وأسفاً على زواجها المبكر.

أظن أننا سنكون أقرب إلى العجب والارتباك منا إلى الإقتناع بهذه النتيجة التى وصلنا إليها فى محاولتنا الأولى لتفسير الأحلام. فهناك أفكار كثيرة تفرض نفسها علينا بالقوة قبل أن نكون على استعداد بعد لتلقيها. وعلى هذا أرى أن نشرع على الفور فى البحث عن النقط التى قد نجد فيها مادة جديدة من المعرفة : —

أولا : نلاحظ أن أهم ما فى المحتوى الباطن هو عنصر التسرع والعجلة، ولكن المحتوى الظاهر على العكس لا أثر فيه لهذه الصفة بالمرة، ولولا التحليل لما داخلنا الشك مطلقاً فى أن هذه الصفة تلعب أى دور. وعلى هذا يبدو لنا أنه من الجائز أن النقطة الرئيسية التى تدور حولها الأفكار اللاشعورية قد لا يوجد لها أثر إطلاقاً فى المحتوى الظاهر.

ثانياً : لاحظنا أن هناك ارتباطاً لا معنى له بين الأفكار فى المحتوى الظاهر (ثلاثة تذاكر لشخصين) كما أننا لاحظنا أن المحتوى الباطن يحتوى على الفكرة « لقد كان من الحماقة أن أتزوج مبكراً » ألا نستطيع أن نستنتج من ذلك أن الفكرة « لقد كان من الحماقة » قد استعيض عنها فى المحتوى الظاهر بادخال عنصر تافه لا معنى له فى الحلم ؟

ثالثاً : نلاحظ أن العلاقة بين المحتوى الظاهر والمحتوى الباطن ليست من النوع البسيط الذى يحل فيه المحتوى الظاهر محل المحتوى الباطن دائماً. وإنما هى من النوع المركب الذى يجوز فيه أن يمثل المحتوى الظاهر عدداً من المحتويات الباطنية أو بالعكس يستعاض عن المحتوى الباطن بعدد من المحتويات الظاهرة.

أما بالنسبة إلى المعنى الإجمالى للحلم فقد اعترفت السيدة فعلا بالتفسير ولكنها عجبت له؛ فهى لم تكن على علم بأنها تحمل لزوجها مثل هذا الشعور بالاحتقار، بل لم تدر ما الداعى بالمرة للحط من قدره بهذا الشكل. ومعنى ذلك أنه مازال أمامنا كثير من المعميات لا نعلم عنها شيئاً، وعلى هذا أظن أننا لسنا معدين بعد الاعداد الكافى لتفسير حلم كامل وأننا مازلنا فى حاجة أولا إلى كثير من الاستعداد والمعرفة.

**محمد جمال الدين حسن**

# الامتيازات الطائفية القضائية

## وجوب إلغائها كالامتيازات الأجنبية

للاستاذ نصيف المنقبادى المحامى

تخلصت البلاد من الامتيازات الأجنبية أو كادت ، وتنفس الناس الصعداء ، وعما قريب سيصبح جميع السكان خاضعين مدنياً وجنائياً لقضاء واحد هو القضاء الوطنى أو السلطة القضائية المصرية ، ولتشريع واحد مستمد من السلطة التشريعية المصرية . سلطتان هما ، مع السلطة التنفيذية ، مظهر السيادة القومية للدولة .

ولكن لم يفكر أحد إلى الآن — لا الحكومة والأفراد — فى وجوب إلغاء الامتيازات الداخلية القضائية التى اختصت بها جميع الطوائف فى مصر حتى المصرية المحض منها ، بل إن تلك الهيئات أخذت تطالب الآن — لمناسبة مشروع القانون المعروض على مجلس الشيوخ — بالمزيد من امتيازاتها والتوسع فيها وهى ترفض بشدة إشراف القضاء الوطنى العالى على أحكامها كما ترفض تنظيم الحكومة لأقلام كتابها ، وذلك بدلا من أن تشكرها على هذه العناية وترحب بهذا الإصلاح المشكور الذى أرادته لها الحكومة .

ولا يخفى أن من أول واجبات الحكومات تولى القضاء وإقامة العدل بين الأفراد ، وهذه هى وظيفة السلطة القضائية ، إحدى السلطات الثلاث التى تكون منها سيادة الدولة ، وعليها يقوم كل نظام ، بل إنها الأساس العام للمجتمع الإنسانى فى عصرنا الحالى ولولاها لكان العالم على الحالة البدائية للشعوب المتوحشة والقبائل البدوية غير المتحضرة .

وما القول إذا عهدت حكومة من الحكومات إلى فرد من الأفراد أو جمعية أو شركة أمر الحكم فى بعض القضايا المدنية أو محاكمة طائفة من الذين يرتكبون الجرائم كذلك النظام الشاذ الذى كان يتمتع به الأجانب ، مع أن الذى كان يتولى محاكمهم إنما هى محاكم نظامية قضائية تابعة لحكومات حقيقية شرعية ولكنها حكومات أجنبية ، وكانت المحاكم القنصلية تحكم بمقتضى قوانين وضعية مدونة معروفة للجميع سنتها سلطات تشريعية عامة فى حدود سلطاتها . وحتى المحاكم المختلطة فإننا كنا نشكو بحق من وجودها لأنها تحدُّ من السلطة القضائية الوطنية وبالتالى من سيادة الدولة مع أنها محاكم شبه مصرية تحكم بمقتضى قوانين كانت تشترك الحكومة فى وضعها مع الحكومات ذات الشأن ، وتتوج أحكامها باسم جلالة الملك .

ولكن المدهش حقاً أن ترى الحكومة المصرية تتولى القضاء فى أمور الأفراد المالية فقط وتغفل ما هو أهم من المال بكثير ، وأعنى به مسائل الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والبنوة والولاية على النفس ونفقة الأقارب وغيرها مما هو أساس الأسرة ، وعليه يقوم النظام الاجتماعى بأكمله ، لأن الأسرة هى نواة المجتمع ، وتترك الحكومة هذه الأمور الهامة الحيوية لبعض الهيئات الطائفية تتصرف فيها كما تشاء من غير رقيب عليها ولا قانون وضعى ثابت لها يقيدها إلى حد ما فى أحكامها ، قانون صادر من السلطة التشريعية المصرية صاحبة الولاية على التشريع فى البلاد .

وكم كتب المفكرون والمصلحون عن فوضى محاكم الأحوال الشخصية فى مصر ، والفساد المنتشر بين جدرانها ، والتحيز والتلاعب بل الظلم البين الذى طالما وقع فى أحكامها . وإنى أحيل القارىء إلى المقالات الضافية التى ينشرها عنها بحق الأستاذ عزيز خانكي بك وغيره ممن طرقوا هذا الباب وبينوا عيوب تلك الهيئات وفساد نظامها وخلوها من كل تشريع وضعى لأحوالها الشخصية صادر من السلطة التشريعية . ولا أنكر أنه توجد بعض مجالس منظمة قليلا إلى حد ما مثل المجلس الملى للأقباط الأرثوذكس بالقاهرة ، ولكن هذا استثناء لا يبنى عليه حكم ، وهو يرجع إلى بعض الأفراد الأفاضل الذين يجلسون الآن فى هذه الهيئة وليس ما يضمن بقاء الحال فيها هكذا . ويكفى أن نقول إن كثيراً ما تؤجل القضايا إدارياً لعدم حضور الأعضاء كلهم أو بعضهم فى أكثر من نصف جلسات السنة وأن هذه المجالس تعطل مدة أربعة شهور الصيف .

فواجب الحكومة الآن أن تمحو هذا النظام العتيق البالى من أساسه وأن تلغى الامتيازات الداخلية القضائية التى كانت قد اختصت بها الطوائف فى الأزمنة الغابرة لعدم ثقتها بالحكومات القائمة فى تلك العهود إذ كانت فكرة حماية الأسرة والنظم

الاجتماعية معدومة من أذهان الناس، وكانت وظيفة الحكومات في تولي القضاء غير راسخة — نقول إن واجب الحكومة الآن أن تلغي هذه الامتيازات الداخلية الطائفية أسوة بالامتيازات الأجنبية ، وذلك بأن تلحق اختصاص محاكم الأحوال الشخصية جميعها الشرعية والملية بالمحاكم الوطنية كما هو حاصل في جميع البلاد الغربية وفي تركيا نفسها ، وأن تسن تشريعاً عاماً للأحوال الشخصية لجميع السكان يضم إلى القانون المدني تطبقه على الجميع محاكمنا الوطنية . وأعتقد أن قضاتنا أوفر علما وأكفأ من أعضاء تلك المجالس وأبعد عن الهوى والتحيز وسوء التصرف . وها هو القانون المدني في تركيا وفي جميع البلاد الغربية والأمريكية وفي اليابان يشتمل من جهة على الأحكام المتعلقة بالأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والبنوة والولاية على عديمي الأهلية الخ كما يشتمل من جهة أخرى — في الجزء الثاني منه — على الأحوال الخاصة بالمال كالملكية والالتزامات والعقود وغيرها .

ولا مانع من إنشاء نظام انتقال يقوم في فترة من الزمن ثم يلغى ، تشكل فيه مثلا دوائر أحوال شخصية بالمحاكم الوطنية ، دائرة لكل ملة ، يجلس فيها مع القاضي الوطني الرئيس «عضو ملة» من أبناء الطائفة كما هو حاصل الآن في المجالس الحسبية ويسن لهذه الفترة تشريع وقتي للمسلمين ، وآخر لجميع الطوائف غير المسلمة تقرب فيه أوجه الخلاف بين التشريعين ، فيقيد مثلا حق الطلاق وحق تعدد الزوجات[1] في التشريع الأول وتوسع هذه المسائل قليلا في التشريع الثاني إلى أن يلتقيا مستقبلا في التشريع الموحد الأمثل المنشود .

ولنذكر الخطوة الجريئة التي خطتها الحكومة المصرية الوطنية قبل الاحتلال المشؤوم حين سنت القانون المدني وقانون العقوبات المصريين العظيمين، واستعاضت بهما عن الأحكام القديمة، فلم يرتفع في ذلك الحين إلا احتجاجات خافتة من بعض العناصر الرجعية الجاهلة ، لم تلبث أن سكتت لأن أولي الأمر يومئذ لم يعيروها أدنى اهتمام وذهبوا في طريق الإصلاح الاجتماعي المظيم الذي بدأوا فيه حتى رفعوا مصر إلى مصاف الدول المتمدنة الراقية ، واستطاع المصلح المصري الكبير الخديو إسماعيل أن يقول كلمته المشهورة وهي « إن بلادي ليست من أفريقيا ولكنها جزء من أوربا » . وكان هذا بفضل النهضة العلمية التي ألقى بذورها العلماء الفرنسويون الذين حضروا إلى مصر في عهد بونابرت ( نابليون ) ثم أخرجها إلى حيز الفعل ونشرها المصلح الأول في مصر الحديثة وهو محمد علي الكبير وخلفاؤه من بعده حتى عمت جميع النواحي من التعليم — التعليم المصري الصحيح — إلى الصناعة والتجارة ، إلى الفنون العسكرية والصناعات الحربية . واستمر ذلك العهد السعيد يرتقي ويزدهر إلى أن جاء الاحتلال اللعين فقضى على كل شيء صالح في هذا البلد المسكين ، حارب التعليم وقتل الروح العلمية المصرية وجنى على العقول وأفسد الأخلاق ورجع بنا إلى الوراء بنحو المائتي عام على الأقل .

***

ومن الغريب أن يزعم بعض رجال الطوائف في مصر أن الزواج عندهم عقد ديني محض يجب أن لا يمسه أحد . وإني لا أدري إلى أي نصوص في كتبهم الدينية يستندون وهي خالية من وضع أحكام لمسائل الزواج وغيره من الأحوال الشخصية ، ولم يكن الدين المسيحي دين عقائد وتشريع كبعض الأديان الأخرى وإنما هو دين عقائد فقط . ولو رجع هؤلاء المعترضون على الإصلاحات العصرية المرجوة إلى تاريخ منشأ الأنظمة الاجتماعية وتطورها لاتضح لهم أن الزواج ليس له أي مصدر ديني إطلاقاً بل إنه كان — على العكس — في بادىء الأمر في كثير من الجميات الإنسانية نظاماً مكروها . فكان في عدد كبير من الشعوب القديمة قاصراً على الأرقاء من النساء يستحوذ عليهن الرجال ويملكونهن ولهم عليهن حق الحياة والموت ، ولكن كانت المعاشرة تؤدي في كثير من الأحوال إلى شيء من الألفة والعواطف الطيبة خصوصاً إذا كانت المرأة على جانب من الإخلاص ووداعة الأخلاق ، وعلى الأخص إذا أنجبت نسلا فيحسن سيدها معاملتها وقد يدوم ارتباطهما طيلة الحياة . ولما تراءى ذلك للأحرار من النساء الفقيرات قبلت الكثيرات منهن أن يستسلمن للرجال على ذلك الوجه لتضمن القوت والمأوى ثم

(١) ان الطلاق وتعدد الزوجات ليست بفروض دينية فرضها الشرع على الناس إلزاماً ولكنها مجرد حقوق منحت لهم يستعملونها أولا يستعملونها كما يشاؤون . وهي حقوق مكروهة ومقيدة بقيود كفول الفقهاء أنفسهم ، فلا يمكن القول الآن بأن تقييد تلك الحقوق أو التضيق فيها أو الغائها يمس العقائد الدينية .

أخذت هذه الحالة تتدرج إلى أن عمت معظم النساء ، وعندئذ تدخل المشرعون ونظموا هذه العلاقة بين الرجل والمرأة — علاقة المعاشرة المستمرة التي سُميت بالزواج ، وهي قائمة إلى حد ما في بعض أنواع الطيور وبعض أنواع ذوات الثدي العليا وعلى الأخص القرود الشبيهة بالإنسان ( الغورلا ، والشامبنزه ، والأورنجوتان والجيبون ) وتقتصر ذكور بعض هذه الأنواع على زوجة واحدة .

ونذكر مثلا أن من بين طرق الزواج في القانون الروماني القديم « التقادم » فمن عاشر امرأة مدة عام كامل دون أن ينقطع عنها ليلة واحدة تصبح زوجته من تلقاء نفسهما بحكم القانون بلا حاجة إلى أي إجراء آخر ، كما هو الحال في الملكية وباقي الحقوق العينية تُكتسب بالتقادم أي بوضع اليد المدة الطويلة المقررة في القانون .

ومن هذا كله يتضح أن الأديان ليست مصدر الزواج وإنما هو نظام اجتماعي محض نشأ في النوع الإنساني وفي بعض أنواع الطيور والحيوانات العليا بفعل العوامل الطبيعية البحت .

وما لنا وهذا كله ، وها هي تركيا وباقي بلاد أوروبا وأمريكا واليابان قد نظمت قوانينها المدنية أمور الزواج وأحكامه وكيفية انعقاده وفسخه عند الاقتضاء وما يتبعه من أحوال الطلاق والبنوة والولاية على النفس وعلى المال الخ ... دون أي دخل للأديان . وقد فرضت أغلب الشرائع البلاد المتمدنة عقوبات صارمة على رجال الدين الذين يعقدون الزواج قبل أن يعقده موثق الزواج الحكومي الرسمي [١] فضلا عن أن هذا الزواج يُعد باطلا قانوناً وكأنه لم يكن لأن الحكومات هناك ترى بحق أن الزواج نظام اجتماعي هام هو أساس الأسرة والمجتمع بأسره فلا يمكن أن يترك أمره للأفراد مهما كان مركزهم . وكل ما هناك أنه يجوز لمن يشاء من الأزواج أن يذهب ، بعد إتمام العقد بالطريق النظامي الرسمي ، إلى رجال الدين ليجروا طقوسهم الدينية عليه .

وإني لا أدري لماذا تفضل الحكومة الأقليات الطائفية التي تريد أن تستأثر بأحوالها الشخصية بدعوى أنها من أصل الدين — لماذا تفضلها على الأغلبية من المصريين وقد أبطلت استعمال تشريعهم الديني الخاص بالمعاملات والعقوبات واستعاضت عنه بالقوانين المدنية والتجارية والجنائية المصرية .

***

ومعروض الآن على مجلس الشيوخ مشروع قانون لتأييد تلك الامتيازات الطائفية مع تنظيمها . فكل محب لخير بلاده يرجو من حضرات شيوخنا أن ينظروا إلى الموضوع من ناحية مصلحة الوطن العليا غير متأثرين بفكرة مجاملة زملائهم من أبناء الطوائف الأخرى فيرفضون المشروع برمته ويرسمون للحكومة في رفضهم الخطة المثلى التي يجب أن تتبعها وهي ألا تترك أمر الأحوال الشخصية في أيدي الأفراد فإن من أول واجباتها أن تقوم هي بتنظيمها وسن قوانين عصرية صالحة لها وتتولى القضاء فيها على ما تقدم بيانه .

وليضع رجال التشريع وأولو الأمر فينا نصب أعينهم أن أول صفة يجب أن يتحلى بها من يتزعم الحكم هي الشجاعة والإقدام في تنفيذ الإصلاحات النافعة دون أن يبالي بمقاومة العناصر الرجعية الجاهلة .

**نصيف المنقبادي**
المحامي

---



---

(١) والزواج عندنا يجري في الواقع على هذا النحو فيما يتعلق بالأغلبية وهم المسلمون لأن « المأذون » ما هو إلا موثق حكومي رسمي لعقد الزواج ، خلافاً للطوائف الأخرى .

# الوقائع الحربية فى الشعر العربى

للرئيس نعمان ماهر الكنعانى

من بين أبواب الشعر العربى المديدة باب هام جدير بالحديث أيما جدارة ذلك هو باب شعر الوقائع الحربية . وإنى لا أزعم أن هذا اللون من الشعر لم تصبه عناية الباحثين فقد بحثه كثير من رجال الدراسات الأدبية وتاريخ الأدب ، وأشاروا إلى مواطن الإجادة والإبداع فيه ودلوا على قيمته الأدبية والفنية ، إلا أنى لم أقع على من خصه بهذا الوصف أو بحثه بحثاً عسكريا أدبيا فى آن فإن جل باحثى هذا الشعر كانوا يضمونه تارة فى باب الحماسة وأخرى فى باب الفخر وأحيانا يزجون به فى موضوع المديح وقليل منهم يضمه إلى الوصف ، وقد مرت أثناء مطالعاتى لدواوين القدامى بقصائد احتوت على الكثير من أقسام المعارك التى نظامت تلك القصائد بها ، أى أنها احتوت على أكثر صفات المعركة كالتحشد والاستطلاع والتقدم والتصادم واستثمار الفوز إلى غير هذه المصطلحات الحديثة . وكانت تصور تلك المعارك تصويرا بارعا يخيل لمن يقرؤها أنه يشاهد عرضاً مصورا لهاتيك الوقائع على تفاوت فى السرد والتصوير فن الشعراء من جعل منظومته لوصف المعركة فقط ، ومنهم من مزجها بالمديح أو ذكرها على سبيل الفخر أو أشار إليها فى معرض الحماسة .

من هؤلاء الشعراء أبو فراس الحمدانى وأبو الطيب المتنبى وأبو تمام الطائى وابن هانىء الأندلسى وآخرون غيرهم سجلوا فى شعرهم كثيراً من المعارك التى اشتركوا فيها أو شهدوها أو سمعوا بأنبائها . ولكن الذى أجاد وبرع إجادة ظاهرة هو الحارث بن سعيد أبو فراس الحمدانى لأن هذا الشاعر اجتمعت له إمارة السيف والقلم اجتماعاً ندر أن يتم لغيره .

فاستمع إليه يحدثك عن حرب له مع الروم واقرأ صفحات هذه المعركة فى هذه الرائية صفحة صفحة تعلم صحة ما ذهبنا إليه .

قال يصف تقدم جيشه فى بلاد العدو :

وجبن بلاد الروم ستين ليلة   تغادر ملك الروم فيمن تغادر

ولكن ماذا كان موقف سكان البلاد التى سارت فيها خيول الحمدانى ستين ليلة :

تخر لنا تلك القبائل عنوة   وترمى لنا بالأهل تلك المصادر

ثم استمر على قراءة القصيدة لتعلم اقتراب جيشه من جيش العدو أعنى لتعلم التقدم نحو الهدف :

ولما وردنا (لدرب) والروم فوقه   وقدر (قسطنطين) أن ليس صادر
ضربنا بها عرض (الفرات) كأنما   تسيرنا تحت السروج الحرائر
إلى أن وردنا (الرقتين) نسوقها   وقد نكلت أعقابها والمقاصر

فهنا اصطدم جيش الحمدانى بجيش قسطنطين وهرب الأخير واستمر الأول على الزحف :

ومال بها ذات اليمين (بمرعش)   مجاهيد يتلو الصادر المتصادر
فلما رأى جيش (الدمستق) زاحمت   عزائمها واستنهضتها البصائر

لقد اصطدم هذا الجيش بقوات جديدة للمدوهى جيش الدمستق فاستمع إليه يصف هذا الصدام الجديد :

وما زلن يحملن النفوس على الوجى   إلى أن خضبن بالدماء الأشاعر
وولى على الرسم (الدمستق) هاربا   وفى وجهه عذر من السيف عاذر
فدى نفسه بابن عليه كنفسه   وفى الشدة الصماء تفنى الذخائر

لقد تحملت خيول الحمدانى عبء المعركة ثقيلا إلى أن خضبت أشاعرها بالدماء حيث تم له النصر واندحر جيش الروم وفر قائده الدمستق بعد أن ترك ابنه أسيراً لدى أبى فراس .

هذه أبيات صورت معركة من معارك العرب تصوراً يكاد لا يختلف كثيراً ووصف المعارك الحديثة بالكتابة .

وهذا ابن هانى الأندلسى له باع طويل فى تسجيل المعارك فى شعره ، فاقرأ قصيدته الدالية التى يصف فيها نصراً شهده لجيش جعفر بن على بن غلبون واستيلاءه على قلعة كتامة قال :

أقنا فن فرساننا خطباؤنا   ومنبرنا من بيض ماتطبع الهند
ولو لم يقم فيها لحمدك خاطب   علينا وفينا قام يخطبنا الحمد
على حين لم يرفع بها لخليفة   منار ولم يشدد بها عروة عقد

وكانت شجاً للملك ستين حجة وماطيب وصل لم يكن قبله صد

***

بها النار نار الكفر شب ضرامها
ولو حجبت فى الزند لاحترق الزند

***

وعادت بهـا حرب الأزارق لاقحا
وإن لم يكن فيها المهلب والأزد

***

ولمـا اكفهر الأمر أعجلت أمرها
فألقت وليد الكفر وهى له مهد

أخذت على الأرواح كل ثنية وأعقبت جنداً واطئا ذيله جند

لقد تحشد جيش ابن غلبون لغزو هذا الحصن المتنع العاصى الذى لم يطع الخلافة الأندلسية ستين عاما حتى كان شجا فى حلق الدولة وتقدم إليه ورماه بالنار فصمدت وا كفهر الأمر على الفاتح فأعجل الضربة حتى سقط بين يديه وأحاطه بمسكره بعد أن سد على المدافعين الطرق والمسالك ودهمهم بجنده فتساقطوا جثثا وأشلاء .

ثم هذا أبو الطيب المتنبى يسجل وقعة للأمير الخالد سيف الدولة الحمدانى بقصيدة رائعة شهيرة هى تلك التى يقول فى مطلعها على قدر أهل العزم تأتى العزائم .

وكان سيف الدولة قد غزا قلعة الحدث وصحب معه الشاعر :

خميس مشرق الأرض والغرب زحفه
وفى أذن الجوزاء منـه زمازم

تجمع فيه كل لسن وأمة فما تفهم الحداث إلا التراجم

فلله وقت ذوب الغش ناره فلم يبق إلا صارم أو ضبارم

أما وقد علمت هذا الجيش ومقداره وتحشده فاعلم حاله قبل الصدام : —

تقطع ما لا يقطع الدرع والقنا وفر من الأبطال من لا يصادم

وهنا تخلص الجيش الحمدانى من الضعفاء وسيدخل المعركة قريبا . وبعد فاستمع إلى الشاعر يصور لك تعبئة القائد وأسلوب دخوله المعركة :

ضممت جناحيهم على القلب ضمة تموت الخوافى تحتها والقوادم

بضرب أتى الهامات والنصر غائب
وصار إلى اللبات والنصر قادم

وينخذل العدو بعد هذه الضربة ويستثمر الفوز ابن حمدان فيقول الشاعر :

نثرتهمُ فوق ( الأحيدب ) كله
كما نثرت فوق العروس الدراهم

تدوس بك الخيل الوكور على الذرى
وقد كثرت حول الوكور المطاعم

ثم يعلن لك المتنبى خسائر العدو فى هـذه المعركة ويذكر هرب قائدهم ومقتل ابنه وصهره وابن صهره حيث يقول :

أفى كل يوم ذا الدمستق مقدم قفاه على الإقدام للوجه لائم

وقد فجعته بابنه وابن صهره وبالصهر حملات الأمير الغواشم

مضى يشكر الأصحاب فى فوته الظبى
بمـا شغلتها هامهم والمعاصم

ففيما تقدم من رائعة المتنبى هذه قرأنا صفحات المعركة كما اصطلح عليها الفن العسكرى الحديث من تحشد إلى دخول المعركة إلى استثمار الفوز .

هذه أمثلة من أمثلة شعر الملاحم العربية تدل على غنى الأدب العربى عامة والشعر منه خاصة فى هذه الناحية من نواحى تدوين الوقائع بالمنظوم ، وعسى أن تكون لنا عودة إلى هذا الموضوع فنأتى بأمثلة أخرى لنقرأ فيها أخبار وقائع أخرى .

نعمان ماهر الكنعانى
الرئيس فى الجيش العراقى

**الأدب في سير أعلامه :**

# ١١ – تولستـــوى

[ قمة من القمم الشوامخ فى أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه ]

للأستاذ محمود الخفيف

## خيوط من النور

وبطل هذه القصة التي هي في الواقع مجموعة فصول أقوى مثال للصعلوك الذي لا يكترث لشيء والذي لا يتأثم من شيء ، والذي يرضى كل الرضاء عن أعماله جميعاً لا يشعر بأى أثر فى نفسه مما يسميه الناس وازع الضمير ؛ وفكرة القصة الرئيسية التى تدور حولها حوادثها هى أن هذا الصعلوك المسمى شيشكوف قد اعتزم أن يشترى من ملاك الضياع من يموت من رقيق الأرض قبل أن يسجل فى سجل الموتى اسمه ، لكى يرهن هؤلاء للمصرف على أنهم أحياء ويربح من وراء ذلك ربحاً كبيراً ؛ وينتقل من مالك إلى مالك يتواطأ معهم على الإقرار بوجود هؤلاء الرقيق ، وفى أثناء ذلك يصف المؤلف حال هؤلاء التعساء الذين يقول عنهم إنهم لا يحيون كما يحيا الخلق وإنما يوجدون فحسب ! وكان هؤلاء الرقيق يسمون فى روسيا وقتذاك الأنفس وكان الواحد يسمى نفساً ، فإذا سأل أحد الملاك صاحبه عن عدد رقيقه قال له كم نفساً تمتلك ، ومن هنا جاء إسم القصة « الأنفس الميتة » ؛ والقصة مليئة بتلك السخرية القاسية وذلك الضحك الشيطانى الذى يتميز به فن جوجول ...

ونشر جوجول فى نفس الوقت الذى نشر فيه « الأنفس الميتة » قصة كان لها أثرها فى النفوس ؛ وهى ثالثة ما أشرنا إليه من قصصه ، ألا وهى قصة « العباءة » أو « المعطف » أو يؤدى معنى الرداء الخارجى الذى يلبس فوق الملابس جميعاً اتقاء للبرد ، وخلاصة هذه القصة أن أحد الكتبة الفقراء وهو شيخ ضعيف كانت أعظم أمنية له أن يشترى معطفاً ، فما زال على خصاصته يقتصد من ماله القليل حتى اشترى المعطف المنشود ، ولكنه مُنى فى أول يوم فرح فيه بمعطفه بفتية من صعاليك الشوارع سرقوا منه المعطف فقضى نحبه من فرط غمه ويأسه ، والقصة على بساطة موضوعها تصف البؤس والشقاء وسوء الحظ أقوى تصوير وأصدقه ...

ولجوجول كما أسلفت القول غير هذا الذى ذكرت كثير من القصص الطويلة والقصيرة والمسرحيات والنبذ الوصفية وما إليها وإنما اخترت هذه القصص الثلاث لأنها أكثر صلة بما نريد بيانه وأعنى به كيف عبر أدباء الروس بالفن عن ثورة نفوسهم المكبوتة

وهكذا كان بوشكين وجوجول ومن دار حولهما من النوابغ يلقون على الأفق الحالك فى حكم نيقولا الأول خيوطاً من النور كانت لأنفس الأحرار أنساً وشفاء وعزاء ...

***

بقيت بعد ذلك كلمة عن تيارين فكريين قوى ظهورهما فى عهد نيقولا وأعنى بهما المدرسة الشرقيـــة والمدرسة الغربية ، أو بعبارة أخرى الاتجاه نحو أوروبا والإبقاء على سلافية روسيا..

وكانت المدرسة الشرقية أو السلافية تؤمن بأن مدنية روسيا غير مدنية أوروبا ، وأن على الروس أن يحذروا مادية الغرب الوضيعة وأن يعودوا إلى تلك الجماعات التعاونية التى أقامها السلاف الأقدمون فى قرى روسيا ؛ وكان قادة هذه المدرسة يعتقدون أن بطرس الأكبر لم يخدم روسيا بقدر ما أساء إليها بمحاولته صبغها بالصبغة الأوروبية ، وكذلك كان أنصار السلافية يعدون الغرب فى طور انحلاله لأنه بعد عن الجانب الروحى من الحياة ، ذلك الجانب الذى اتصفت به روسيا السلافية والذى يجب أن يعيده الروس اليوم سيرته الأولى فينمموا بالإيمان والمحبة والتعاون فيما بينهم ، ثم يذيعوا هذه المبادىء حتى تشمل الإنسانية جميعاً فيكون ذلك رسالة روسيا إلى العالم .

أما أنصار المدرسة الغربية ، فكانوا يعزون ما فى روسيا من شقاء العيش وطغيان الحكام إلى عزلتها عن أوروبا وفلسفة أوروبا وعلم أوروبا وثورات أوروبا . فإذا أرادت روسيا أن تخرج مما هى فيه فعليها أن تأخذ بمدنية أوروبا فى كل شىء فهذا سبيلها الذى لا سبيل لها غيره .

ومهما يكن من خلاف بين المدرستين فقد أفادت روسيا من دفاع كل منهما عن وجهتها ، وكانت لها من خلافهما يقظة ،

وبخاصة لأن هؤلاء المختلفين قد اتفقوا على أمر جوهري وذلك أنه في أي الوضعين لا يرجى لروسيا خير إذا أسلم أمرها إلى رجل واحد يستبد فيها بالأمر ، ويصرف شؤونها كما لو كانت ضيعة من ضياعه .

هذه لمحة في الحال الأدبية في روسيا حتى أواخر حكم نيقولا الأول أي حوالي سنة ١٨٥١ عندما بدأ الفتى ليو تولستوي يتجه في جد إلى الأدب ليغدو بعد أمد غير بعيد أعظم كتاب القصة في القرن التاسع عشر لا في روسيا وحدها بل في أوروبا جميعاً .

## هجرته إلى القوقاز

كان لابد للفتى من هجرة إلى بلد ما ، فقد ضاقت نفسه بيسنايا وبموسكو وبيطرسبرج جميعاً ، ومل حياته بين العبث والإسراف فيه والندم والركون إليه حتى لم يعد يطيق شيئا من هذا ، بل إنه لم يعد يصبر حتى على التفكير فيه ...

واتفق أن جاء من القوقاز أخوه الضابط نيقولا إلى ياسنايا في إجازة عيد الميلاد فنصح لأخيه نصحه في كثير مما كان يشغل باله ، ومن ذلك أن يدع الزواج حتى يطمئن إلى ارتباطه برباط الحب ثم حبب إليه أن يصحبه إلى القوقاز فما أسرع ما أخذ ليو برأي أخيه وتأهب للرحيل ... واتفقت الأسرة أن يصرف زوج أخته أمور ضياعه في غيابه وأن يدفع عنه ديونه وذلك على أن يقنع ليو بخمسين ومائة جنيه كل عام حتى يؤدي الدين كله ، وقبل ليو هذا الشرط وسافر في صحبة أخيه ...

ووقفت بهما العربة عند أول محطة على بعد أربعة عشر ميلا فما راعه إلا كلبه الأسود المحبوب قد أقبل يلهث من شدة الحر ومن سرعة العدو حتى لحق به ، وعلم بعد ذلك أنه كسر لوحا من زجاج إحدى نوافذ الغرفة التي كان محبوسا بها وانطلق يعدو ليدركه لأنه لا يطيق أن يرحل عنه .

ويذكرنا هذا الرحيل برحيل « تشايلد هارولد » أو اللورد بيرون حين اضطر إلى مغادرة انجلترة إذ ضاق بها وضاقت به بعد أن أسرف على نفسه فيما أنكره المجتمع منه ، وقد وجه بيرون الخطاب إلى كلبه في أول قصيدته التي وصف فيها رحلته يقول إنه لا يجد من يأسف على رحيله حتى كلبه هذا فلسوف ينساه وينكره حتى ليثب عليه ويعضه إن قدر له أوبة من غربته ..

كانت رحلة بهيجة سارة ، فقد قطعا جانباً منها إلى استراخان في زورق على صفحة الفلجا ، وقد عرجا على موسكو وقازان وقضيا بضعة أيام في كل من المدينتين ، وكتب ليو من موسكو إلى عمته تاتيانا يخبرها في لهجة الفخر أنه استطاع أن يقهر نفسه حين زار ناحية الغجريات ، ويصف لها مقدار ما بذل من مغالبة منه لنوازع نفسه حتى أمكنه أن ينتصر بعد جهد بالغ ...

وفي قازان قابل تلك الفتاة التي عرفها منذ نحو خمسة أعوام صديقة لأخته ماري وأحس يومها بميل شديد نحوها وهي زنايدا مولستفوف ، ولقد أحس أنه على الرغم من تلك الأعوام الخمسة لم يزل بها متعلقا . قال في يومياته بعد ذلك بشهرين « لم أفه بكلمة من كلمات الحب ، ومع ذلك فقد كنت واثقا أنها كانت تدرك مشاعري ، ولئن كانت بادلتني إياها فذلك لأنها كانت تفهمني .. كانت صلاتي بزنايدا يومذاك لا تعدو تلك الرحلة البريئة ، مرحلة انجذاب روحين كل منهما نحو الأخرى ؛ أيداخلك الشك في أني أحبك يازنايدا ، إن كان ذلك فإني أسألك الصفح فإن الخطأ خطأي إذ كان على أن أؤكد لك ذلك بكلمة .. أتذكرين حديقة كبير القساوسة يازنايدا وممرها الجانبي ؟ كان على أسلة لساني ما أفصح به عما في نفسي كما كان على لسانك ، ولكن كان على أن أكون أنا البادىء ؛ أتدرين لماذا فكرت ثم لم أقل شيئا ؟ ذلك لأنني كنت من السعادة بحيث لم يبق ما أرغب فيه ، وخشيت أن أفسد لا هناءتي وحدي بل هناءتينا .. وسيبقى هذا اللقاء أعز ذكرى إلى نفسي حتى نهاية حياتي » .

غادر ليو قازان إلى القوقاز مستمتعاً بصحبة أخيه ، مبتهج النفس بما تركه فيها لقاء زنايدا ، مرتاحا إلى ما يهجس في خاطره من أنه انطلق من حياة العبث انطلاقا لا رجعة فيه ؛ ويجد القارىء وصفا لهذه الحال النفسية في شخصية أولينين بطل قصة « القوزاق » التي كتبها بعد ذلك بقليل ، وكان أولينين كذلك مسافراً قال « في مثل هذه الحال العقلية السعيدة التي يحدث فيها نفسه فجأة شاب يستشعر أخطاءه الماضية قائلا إن ذلك لم يكن حقيقياً ، فكل ما حدث في الماضي كان عرضا عديم الأهمية ،

وإنه حتى ذلك الوقت لم يكن حاول محاولة جـدية أن يعيش ، ولـكن حياة جـديدة بدأت تتهيأ له أسبابها ، حياة لاشىء فيها من خطأ ولا من ندم ، فليس إلا السعادة . وكان من الأمور البينـة أن تلك الأخطاء لن تعود بين الجبال ومساقط الميـاه والأخطار والشركسيات الحسان »

وجد المسير بهما جـده حتى بلغا ستارى يورت فى القوقاز وأقاما فى خيمة أول الأمر ، وأعجب ليو بمنظر الرواسى الشامخة من الجبال ، وكان لا يفتأ يقلب عينيه فيها ويتأمل فيما يبعثه منظرها من رهبة فى نفسه ، وكتب إلى عمته تاتيانا يصف لهـا تلك الأطواد فى نشوة وحماسـة ، ويشرح لها البيئة التى سوف يقضى فى قراها قرابة ثلاثة أعوام ؛ وإن المرء إذ يقرأ ما جاء فى قصة « القوزاق » من وصف للجبال ليتملـكه العجب من روعة وصفه ، ومرد ذلك الوصف البليغ الساحر إلى معيشته سنين فى سفوح هاتيك الجبال الشاهقة ...

ولم يكد يمضى أسبوعان عليه فى ستارى يورت حتى عاد إلى إحـدى عاداته السيئة التى كم اعتزم أن يطلقها ألا وهى الميسر ، فجلس يلعب ذات ليلة فخسر فى هـذه الجلسة خمسين وثمانمـائة روبيل أو ما يساوى سـبعة وعشرين ومائة من الجنيهات ، وكدرت نفسه هذه الخسارة لا ريب ، وكدرها كذلك عودته إلى هذا الذى طلب الهجرة ليتخلص منه وهو من أرذل نزعات نفسه ؛ ولـكن الندم عقب ذلك أخـذ يتغلغل فى أعماق نفسه . وآية ذلك أنه استطاع ألا يقرب الميسر بعد هذه الليلة ستة أشهر كاملة ، كان يقضى فيها أوقات فراغه فى الصيد والـكتابة والقراءة « وتعقب حسان القوزاق » . .

ولفت إليه ببسالته القائد العام فى تلك الجهة للجيش الروسى وذلك أثناء تطوعه ذات مرة فى حملة على بعض القبائل ، كانت مهمة ذلك الجيش هناك مطاردتها ؛ وقد اقترح القائد أن يلحقه بالفرقة ليكون أحد رجالهـا ؛ ووقع ذلك من نفسه موقعاً حسنا ، ولعله تخيل لنفسه ما تخيله أولينين بطل قصته من البسالة والقوة ، وحلم كما حلم أولينين بأن يكون قاهر القوزاق وبأن يعزى إليه وحده الفضل فى تسكين القبائل الثائرة هناك .

وأرســل إلى تفليس ليمتحن هناك نوعا من الامتحان يهيئه النجاح فيه للالتحاق بالجيش ، ورأى فى تفليس ما يشبه الحياة فى قازان فحن إلى حياة المدن بعـد تلك الأشهر التى قضاها فى القرى والأماكن البرية وأوشك أن يعقد النـية على أن يعود أدراجـه إلى موسكو ، وصار يحس أنه يحيا فى تلك القرى حياة أشبه ما تـكون بالمنفى ...

وظل فى تفليس أياما يستمتع بمثـل ما كان يستمتع به فى موسكو أو فى قازان ، ويترقب بقلب نزوع وصبر فارغ نبأ إلحاقه بالفرقة الرابعـة متطوعا فإن ذلك كفيل أن يخرجـه من تردده ويحمله يركن إلى البقاء فى القوقاز .

وتم له ما أراد فعاد إلى ستارى يورت ، وهناك توثقت عرى الصـداقة بينه وبين فتى يدعى سادو ، وكانا يتعاونان فى السراء والضراء ويطمهان معاً كلما واتتهما فرصة لذلك ويقتسمان المـال بينهما ويتبادلان الهدايا ، وقد أعجب ليو بصاحبه وما رأى من بسالته وجميـل مودته وإخلاصه له ذلك الإخلاص الذى أدى به أكثر من مرة إلى أن يعرض نفسـه للأخطار لينجى صاحبه ؛ وطاب الفتى نفساً بهذه الصداقة وأحب من أجلها الحياة فى القوقاز .

وكان سادو مقداماً لا يهاب شيئا ، يهجم على قرى الأعداء فيأتى منها بما يبيعه وبذلك يحصل على المـال فهو متلاف يبسط يده كل البسط وأبوه على ثرائه يضن عليـه إلا بالقليل الذى لا ينقع غلته ...

وكان على ليو أن يدافع عن سادو كما يدافع هذا عنه ، ولذلك كان يتعرض لـكثير من الخطر من أجـله ، حتى لقد أوشك ذات مرة أن يؤسر هو وصاحبه ، ونجا مرة أخرى من الموت وهو على حافته إذ انفجرت قذيفة مدفع على مقربة منه .

ويمنينا من هذا ما نذكره عن حياته فى القوقاز لعلته بفنه ، فلسوف يصف هـذه الحياة وصفاً يكسبه على حداثته ذيوع الصيت فى دنيا القصة ، ويضفى على عمله من الإصالة والروعة والدقة ما يسلـكه وهو حدث فى القلائل الأفذاذ .

( يتبع ) **الخفيف**

# قصائد تكريم مطران في الميزان

للاستاذ على متولى صلاح

— ٣ —

عندما كرموا شوقى منذ أكثر من عشرين عاماً أرسل لبنان شاعره المجلى بشاره الخورى فصدح بقصيدته الخالدة :

قف فى ربى الخلد واهتف باسم شاعره فسدرة المنتهى أدنى منـــــابره

فطار ذكرها فى الآفاق ، وبقيت بقاء الزمان ... وعند ما كرموا خليل مطران فى الشهر الماضى أرسل لبنان الأستاذ شبلى الملاط بك شاعر الأرز ، وهو الذى نعرف له ماضيه البعيد ، وآثاره الحسان ، وبدائعه الجيلة ، فصدح بقصيدة خانه التوفيق فيها كثيراً ! ! ... نعم ، كنا نود لو أن لبنان كرم الخليل وهو ابنه وشاعره ، وقيثارته المفردة بذكره وحمده ، المتغنية بأمجاده وآثاره ، المترجمة عن مشاعره وهواه . كنا نود أن يكون تكريمه بالجليل المعظم من الشعر ، والفخم الضخم من الكلام الذى يسير سير الشمس ، ويمشى على أفواه الناس مشى النار فى يابس الحطب وإنه بذلك لقمين .

ألقى الأستاذ شبلى الملاط بك قصيدة طويلة تزيد على الستين بيتاً لم يعرض لذكر الخليل إلا فى عشرة منهـا ، وانصرف فى باقيها يسوق كلاماً يأخذ بعضه برقاب بعض ، ويجر نفسه جراً ، دون وقفة تأمل ، أو هدأة تصور ، ودون خلجة قلب ، أو همسة نفس ! ولقد كنت تحس وأنت تقرأ القصيدة أنك تعتسف فى بيداء مجهل ، لاظل ولا ماء ، وكنت تشعر بالفراغ يشتملك ويحيط بك من كل نواحيك ، وتحس إقفار البيداء إقفاراً شديداً ، فتنظر هنا وتنظر هناك علك تصيب حياة أو تجد أنساً فلا تلقى إلا صوراً باهتة لاتدل على شىء ، ولا تسمع إلا أصداء بعيـدة لا تؤدى بك إلى شىء !

ولقد أسرف الشاعر فى نسج أبيات يشهد الله أنهـا كانت هواء خلاء لا تكاد تعرف لها معنى إلا أن يقال عنه طويل النفس فأى معنى فى قوله :

تعاقبت القرون فمن هبوط تمر به القرون ومن صعود !

وأى معنى وأى شعر فى قوله :

لها فى كل ناحية حـدود وتأبى أن تنام عن الحدود !

ولقد كانت قصيدة شبلى الملاط جميعها كالحجارة المرصوصة المصفوفة بعضها وراء بعض لا ترى بينهما زهرة يانعة ، أو وردة متفتحة ... وقد خلت القصيدة من كل خيال ومن كل ظل ومن كل صورة من بدائع الصور التى لا يكون الشعر شعراً إلا بها وإلا فهو كلام لاطعم له ولامذاق فيه ! وأغلب ظنى أن الشاعر عنى بأن يضفى على قصيدته ثوب القصة أو الملحمة القصيرة فخانه الحظ كثيراً فخرجت قصيدته للناس وهى أشبه شىء بأسطورة جافة خشنة من أساطير الأقدمين أو بحكاية من حكايات كليلة ودمنة ! وليتها كانت !

وكان الـكثير من كلامه مبتذلا رخيصاً بعيداً عن جو الشعر وما ينبغى له من رونق وجمال وإشراق ، وماذا من الشعر فى قوله لمصر :

فإنا ما يشاء بنـوك شئنا من استقلال آفاق الصعيد !

وماذا منه فى قوله :

بلبنان ... الجلاء أصاب عيداً وفى مصر سنشهد أى عيد !

وماذا منه فى قوله إلى عذارى النيل :

وشاركن الشباب وكل حر يموت ولا يعيش من العبيد

أين الموسيقى الشائعة فى القصيدة ؟ وأين العبارة الرنانة الآخذة بمجامع القلوب ؟ قصارى مابلغته هذه القصيدة — وهى لم تصور من نواحى الخليل إلا اليسير القليل — أنها خلت من الأخطاء اللغوية والأخطاء النحوية إلا فى كلمة واحدة ، وذلك أضعف الإيمان ! ! ...

وكانت القصيدة الأخـيرة فى حفلات تكريم الخليل التى قرأناها لصديقنا الشاعر محمد عبد الغنى حسن ، وأشهد أن لها فى جملتها إشراقا وموسيقى لم يتوفرا لقصيدة الملاط ، غير أن الناظر

فيها نظرة المتأمل المدقق ، يجد فيها هنات كنا نربأ بصديقنا عنها فقد ابتدأها بقوله « جئت ألقى فى بابك الأعذارا » والأعذار لا تلقى وإنما تلقى الأحجار[1] ، وقال فيها مخاطباً الخليل « أنت كالبدر فى الوجود ائتلاقاً » وكلة الوجود فوق أنها ليست من الشعر فى شيء لاضرورة لذكرها والأستاذ خير من يعلم ذلك ، وقال عجزاً لأحد الأبيات « ثم أصلح فى كفك الزمارا » وأصلح هذه لغة رجال « التخت » لا رجال الشعر ، وقال البيت الآتى عن العود :

لا تقل حطمته مر الليالى　　لم تحطم من عودك الأوتارا !

والبيت لا شعر فيه ، وأين هو من قول خليل مطران فى مثل هذا المعنى :

حطم العود إن كر الليالى　　لم يغادر فى العود إلا الأنينا !

والأوتار لاتحطم وإنما تقطع ولكنه رد العجز على الصدر وكفى . وقال يصف قلب خليل مطران :

أنت ذوّبته حناناً وعطفاً　　أنت رقمته جوى واستعاراً

وما معنى أنه رقمه جوى واستعاراً ؟؟ ، وقوله عن الدموع « زدتها فى عيوننا إكبارا » أقرب إلى كلام العامة وقوله للخليل « يا وقور الأشعار » اضطرار فى الكلام كريه ، فالشعر رجع للانفعال والإحساس الثائر المرهف فلا أفهم وصفه بالوقار ، وقوله عن جبل لبنان إنه « مثل الأهرام فى الجو خلداً » فإن كلة الجو هنا لا معنى لهـا ! وقوله بعد ذلك إننا « انتظمنا عواطفاً وشعوراً » يريد العكس أى انتظمتنا عاطفة واحدة وشعور واحد وهذا هو الأولى ...

على أن الأستاذ عبد الغنى كان شاعراً حقا فى قوله :

يا دليل الركبان فى القفر إنى　　ما رأيت الحيـاة إلا نفارا

يا دليل السفين فى البحر إنى　　لم أخض فى الحياة إلا بحارا

وإذا ما المنى نفرن علينـا　　فمن الخيـر أن نزيد نفارا

فعلينا السعى الجميل ولكن　　ما علينا أن ندرك الأوطارا

ولعله كان فى هـذه الأبيات يتكلم عن شعور متدفق من نفسه ، وذخيرة مكنونة فى فؤاده .

وكنا نود أن نتكلم قليلا عن شعر خليل ولكننا وجدنا المحتفلين به قد أفاضوا القول فيه ، وصار كل كلام يقال فيه بعدهم معاداً مكرراً ... على أننا نقولها قولة حق لا التواء فيها إن الشعر لم يؤد ما يجب عليه لشيخه الجليل ، وإن الشعر قصر كثيراً فى تكريمه والاحتفال به ، والوفاء له ، وكان الرجل حرياً بأن يقال فيه أجزل الشعر ، وأقوى القصيد وأكرمه ، فذلك حق يتقاضاه ويد لانقوم بشكر أياديه ، وله العمر المديد حتى يؤدى إليه دينه كله !

**على متولى صلاح**

---



---

(١) وما قول الأستاذ الناقد فى قوله تعالى ( ولو ألقى معاذيره ) ؟ (الرسالة)

# نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

## ٩٢٠ — لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم

صيد الخاطر لابن الجوزي : بلغني عن بعض زهاد زماننا أنه قدم إليه طعام ، فقال : لا آكل ، فقيل له : لم ؟ قال : لأن نفسي تشتهيه ، وأنا منذ سنين ما بلغت نفسي ما تشتهي ، فقلت : لقد خفيت طريق الصواب عن هذا من وجهين ، وسبب خفائها عدم العلم . أما الوجه الأول فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يكن على هذا ولا أصحابه ، وقد كان (عليه الصلاة والسلام) يأكل لحم الدجاج ، ويحب الحلوى والعسل . ودخل فرقد السبخي على الحسن وهو يأكل الفالوذج ، فقال : يا فرقد ، ما تقول في هذا ؟ فقال : لا آكله ، ولا أحب من أكله . فقال الحسن : لعاب النحل بلباب البر مع سمن البقر هل يعيبه مسلم ؟ وجاء رجل إلى الحسن فقال : إن لي جاراً لا يأكل الفالوذج . فقال : ولم ؟ قال : يقول : لا أؤدي شكره . فقال : إن جارك جاهل ، وهل يؤدي شكر الماء البارد . وكان سفيان الثوري يحمل في سفره الفالوذج والحمل المشوي ، ويقول : إن الدابة إذا أحسن إليها عملت .

وما حدث في الزهاد أمور من هذا الفن مسروقة من الرهبانية وأنا خائف من قوله تعالى « لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم » والوجه الثاني أني أخاف على الزاهد أن تكون شهوته انقلبت إلى الترك فصار يشتهي أن لا يتناول ، وللنفس في هذا مكر خفي ، ورياء دقيق ، فإن سلمت من الرياء للخلق كانت الآفة من جهة تعلقها بمثل هذا الفعل وإدلالها في الباطن به ، فهذه مخاطرة وغلط.

***

شرح النهج لابن أبي الحديد : جاء فرقد السبخي إلى الحسن ، وعلى الحسن مطرف خز ، فجعل ينظر إليه ، وعلى فرقد ثياب صوف ، فقال الحسن : ما بالك تنظر إلي ، وعلي ثياب أهل الجنة وعليك ثياب أهل النار ؟ إن أحدكم ليجعل الزهد في ثيابه والكبر في صدره فلهو أشد عجباً بصوفه من صاحب المطرف بمطرفه . وقال ابن السماك لأصحاب الصوف : إن كان لباسكم هذا موافقاً لسرائركم فلقد أحببتم أن يطلع الناس عليها ، ولئن كان مخالفاً لها لقد هلكتم

***

في (الكتاب) الكريم العظيم :

[ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ ] .

[ هو الذي سخر لكم ما في الأرض جميعاً ] .

[ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ] .

## ٩٢١ — أبو نواس

الموشح للمرزباني : الجماز قال : كنت عند أبي نواس ، قال : إسمع أبياتاً حضرت ، قلت : هات ، فأنشدني :

| | |
|---|---|
| وملحة باللوم تحسب أنني | بالجهل أوثر صحبة الشطار |
| بكرت علي تلومني فأجبتها | إني لأعرف مذهب الأبرار |
| فدعي الملام فقد أطعت غوايتي | وصرفت معرفتي إلى الإنكار |
| ورأيت إتياني اللذاذة والهوى | وتعجلا من طيب هذي الدار |
| أحرى وأحزم من تنظر آجل | علمي به رجم من الأخبار |
| ما جاءنا أحد يخبر أنه | في جنة من مات أو في النار[1] |

فلما بلغ إلى هذا البيت قلت له : يا هذا ، إن لك أعداء وهم ينتظرون مثل هذه السقطات ، فاتق الله في نفسك ، ودع الإفراط في المجون ، واكتمها . قال : والله لا أكتمها خوفاً ، وإن قضى شيء كان ، فنمى الخبر إلى الفضل بن الربيع ثم إلى الرشيد فما كان بعد هذا إلا أسبوع حتى حبس .

## ٩٢٢ — . . . لكان خليفة وفتنا أحق باللعنة

منهاج السنة النبوية لابن تيمية :

كان (الشيخ عبد المغيث الحربي) ينهى عن ذلك (عن لعن يزيد) وقد قيل : إن الخليفة الناصر لما بلغه نهي الشيخ عبدالمغيث قصده وسأله عن ذلك ، وعرف عبد المغيث أنه الخليفة ، ولم يظهر

(١) قلت : إن كان أبو نواس إماميا (شيعيا) أو كان جاعيا(سنيا) فكيف يريد أن يجيء قبل الرجعة أو قبل البعث من يخبر حضرته بما هنالك

أنه يملمه فقال : يا هذا ، أنا قصدى كف ألسنة الناس عن لمن خلفاء المسلمين وولاتهم ، وإلا فلو فتحنا هذا الباب لكان خليفة وقتنا أحق باللمن ، فإنه يفعل أموراً منكرة أعظم مما فعله يزيد ؛ فإن هذا يفعل كذا ويفعل كذا ، وجعل يعدد مظالم الخليفة حتى قال له : ادع لنا يا شيخ . وذهب ...

### ٩٢٣ — الناس على دين ملوكهم

تاريخ الطبرى : كان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام أفضل خلائفهم ، بنى المساجد ، مسجد دمشق ومسجد المدينة ، ووضع النار ، وأعطى الناس ، وأعطى المجذَّمين وقال لا تسألوا الناس ... وفُتح فى ولايته فتوح عظام : فتح موسى بن نصير الأندلس ، وفتح قتيبة كاشغر ، وفتح محمد بن القاسم الهند ... وكان الوليد صاحب بناء واتخاذ المصانع والضياع ، وكان الناس يلتقون فى زمانه فإنما يسأل بعضهم بعضاً عن البناء والمصانع ، فولى سليمان فكان صاحب نكاح وطعام فكان الناس يسأل بعضهم بعضاً عن التزويج والجوارى . فلما ولى عمر بن عبد العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل : ما وردك الليلة ؟ وكم تحفظ من القرآن ؟ ومتى تختم ؟ ومتى ختمت ؟ وما تصوم من الشهر ؟

### ٩٢٤ — . . . فعاق اللقاء

نفح الطيب : قال أبو الحسن بن سعيد : ما سمعت ولا وقفت على شىء أبدع من قول الجزار وقد تردد إلى جمال الدين بن يغمور رئيس الديار المصرية فلم يقدر له الاجتماع به :

أسأل الله أن يديم لك العـــز ويبقيك ما أردت البقاء
كل يوم أرجو النعيم بلقيـــاك فألقى بالبعد عنك شقاء
علم الدهر أننى أشتكيه لك إذ نلتقى فعاق اللقاء

فبعث له بما أصلح حاله من الإحسان ، وكتب فى حقه إلى ولاة الصعيد كتباً أغنته مدة عن شكوى الزمان . ولم أسمع فى وضع الشىء موضعه أحسن من قول المتنبى :

وأصبح شعرى منهما فى مكانه وفى عنق الحسناء يستحسن العقد

ولم أسمع فى وضع الشىء غير موضعه أحسن من قول أبى الفرج :

مر مدحى ضائعاً فى لؤمه كضياع السيف فى كف الجبان

### ٩٢٥ — أنسب العرب

أمالى المرتضى : ابن الزرع قال : قلت لأبى عثمان الجاحظ : من أنسب العرب ؟ فقال الذى يقول :

عجلت إلى فضل الخمار فأثرت عذباته بمواضع التقبيـــل

وقال : هذا للبحترى[1] فى القصيدة التى أولها : ( صب يخاطب مفحمات طلول ) .

وفى نسيب هذه القصيدة بيت ليس يقصر فى الملاحة والرشاقة وأخذه بمجامع القلوب عن البيت الذى فضله به الجاحظ وهو :

أأخيب عندك والصبا لى شافع وأرد دونك والشباب رسولى

وفى مديح هذه القصيدة بيت معروف بفرط الحسن وهو :

لا تطلبن له الشبيه فإنه قمر التأمل مزنة التأميل

### ٩٢٦ — العمل على العادة . . .

العلم الشامخ فى تفضيل الحق على الآباء والمشايخ لصالح بن مهدى المقبلى اليمنى :

كان بعض الأمراء المغفلين قال له أصحابه : إذا جاءك أحد لأمر فقل : العمل على العادة . فجاءه يوماً إنسان قد ضرب رأسه والدم يسيل منه ، فشكا إليه ذلك ، فقال : العمل على العادة . فقال الرجل : لم يكن فى رأسى عادة أن يضرب قبل . وكانوا أيضاً عينوا له يوماً من الأسبوع للشكاية هو أمس ذلك اليوم فقال للرجل : يوم الشكاية أمس ، فهلا جئتنا أمس ؟ فقال الرجل: إنما ضرب رأسى كما ترى اليوم . وترى أرباب الدولة الظالمة وسائر أعوانهم ... إذا قيل لهم فى شىء مما يأخذون من الأموال وكثير مما يأتون ويذرون : ما وجه هذا ؟ قالوا : عادة ، فإن عاودتهم سخروا منك ، وقالوا وفعلوا بحسبما يقضى الهوى فى القضية ... وكذلك أشياء جرى عليها الناس مما يتعلق بالدين ومما يتعلق بالدنيا إذا سألتهم عنه كان جوابهم الذى لا يراجع فيه إلا أحمق عندهم — قولهم : عادة ...

---

(١) أمالى المرتضى : ... عن أبى نصر محمد بن إسحاق قال : سمعت بعض أهل الأدب يقول للزجاج : قد كنت تعرف أبا العباس المبرد وكبره وأنه ما كان يقوم لأحد ولا يتطاول له ، وينشد (ثهلان ذو الهضبات لا يتحلحل) ولقد رأيته يوما وقد دخل عليه رجل متدرع ، فقام إليه أبو العباس فاعتنقه وتنحى عن موضعه وأجلسه ، فجعل الرجل يكفه ويستعفيه من ذلك ، فلما أكثر من ذلك عليه أنشده أبو العباس :

أتنكر أن أقوم وقد بدا لى لأكرمه وأعظمه هشام
فلا تنكر مبادرتى إليه فإن لمثله خلق القيام

فلما انصرف الرجل سألت عنه ، فقيل لى : هذا البحترى .

وحي الساعة ...

# بين رياض المنصورة

للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالي

بين يمن الزمان والإقبال حدثينا عن خالدات الليالى
ياربوع الأبطال قصى علينـا سـيرة من مواقف الأبطال
نحن فى فرحة الجـلاء ظماء لمين من نبعك السلسال
فأفيضي الحديث ذكرى نضال يعربى أكرم به من نضال
يوم ذل الجبار فى ساحة الأسـ ـر وباع الحيـاة بالآمال
جاء يُزهى بصولجان وتاج فانثنى بالقيود والأغـلال
مثلما تطمع الحمامة فى النسـ ـر ويغشى الغزال للرئبال
زلزل الأرض تحته لجب الخيـ ـل يُدوِّى بين القنا والنصال
واثبات عليه تصهل بالمو ت وبأس الجياد فى التصهال
إيه يا ساحة البطولة والنصـ ـر ومهد الهوى ومغنى الجمال
جنـة الله أنت تزخر بالحو ر تهادى بين السنا والظلال
والضفاف السواحر الخضر تجرى تحتها فى وضاءة وجـلال
تتغنى بها النسائم لحنـا فى معانى قطيعة أو وصـال
آه من همسـة الغصون ونجوى الطير
بين البكور والآصـال
ومن الموج حين يبعث فى الشطـآن
ذكرى ليـلاتهن الخوالى
ومن النور فى مرائيه يسرى حائراً حيرة الرؤى فى الخيال
ومن الخافق الذى تستثير الشو ق فيـه تلك الربى والمجالى
يا لقلبى لمـا اطمأن به الركـ ـب وألقى هنـا عصا الترحال
شاركتنى ضـلالة الحب قلبى فتبارى ضـلاله وضـلالى
وانتبذنا هنـا مكانا قصيا وشكوت الهوى له وشكا لى
كيف ننجو من الفاتنات تبدو هاتفات بسحرهن حيـالى
لم تدعنى أنضـد الشعر فيها فى عقود تغار منها اللآلى
واستبدت بناظرى فتمـلى وتجلت لخاطرى فصفا لى
فشغلنا بذاك عنها فعـذراً رب كُثْر يكون فى الإقلال

# هو الوجـد ...

للأستاذ العوضي الوكيل

هوَ الوجدُ ما تخفى بنفسك أو تبدى
هو الوجد ... فاذكر ما لقيت من الوجد !
ونهنه ترانيما بقلبك أوشكت تفيض، كنهلّ الدموع على الخد
وقد خلق الله المدامع رحمـةً
فتجدى ، إذا ما الصبر أصبح لا يجدى !
عرفت هنا من منذ عشرين حجةً
معاهدَ ما زالت على حالها بعـدى
وما كان لى فيها هوى فأعيده ولا كان لى وجد بليلي ولا هند
رأيت هنا من لا أطيق ادِّكاره يهدهدنى ، حتى كأنىَ فى المهد
ويا طالما سرنا على النيل صحبة وها أنذا أمشى على شطه وحدى
فهل أنا سال بالبساتين نضرة تأزرن من آذار بُرداً على برد
وبالشفق المخضوب قد لاح فاتناً
وعطر الربى يسرى من الآس والورد
وهل أنا سال بالنخيل وقد بدا كرهبان دير فى التبتل والزهد
له صور فى الماء كالطيف روعة تعيد من الأحلام والشعر ما تبدى
سرت فى دمى نجوى خفىٌّ دبيبها فأورت خفوقاً فى ضلوعى كالزند
فيا جيرة الأيام ولت حميدة أعندكم من لهفة الشوق ما عندى؟
وهل أنا سال بالأصيل وسحره ومافيه من هول التصاوير والجد
يرف الهوى الريان فى نسماته ويخطر نشوان التنقل والوخد
وبالصحبة الغر الذين إذا شدوا شدت لهم الأيام لحناً من الخلد
يقودهم للنصر أكرم قائد ويهديهم للمجد أرشد من يهدى
أبا الشعر لا يجديك شكر نسوقه
ولا خالص صاف من الحب والود
أقمت عكاظ الشعر والنثر ها هنا
بأرباض وادى النيـل لا فى ربى نجد
وأحييت من ذكرى البطولة وقفة
بها غزى الغازى وبوغت بالقيـد
جعلت لأيام العروبة رونقا يجمله الفاروق ذو العزم والأيد

# الأدب والفن في أسبوع

خطبة .. ودهشة !

نقلت الأنباء البرقيـة تفاصيل الزيارة التى قام بها سلطان مراكش لمنطقة طنجة ، وقالت هذه الأنباء فيما نقلته : « وقد أدى السلطان صـلاة الجمعة فى مسجد طنجة الـكبير ، ودهش الناس إذ رأوه يرتقى منـبر المسجد ويلقى خطبة الجمعـة بدل الإمام . . »

دهش الناس ! ! هكذا قالت الأنباء فى روايتها بالنص ، وحق للناس والله أن يدهشوا وأن يعجبوا ، لأنهم يعتقدون فى هـذه الأيام أن مرتبة الخطبة فى الجمعة مرتبة نازلة يكفى أن يتقلدها فقيـه كتـاب ، أو شخص يحسن قراءة الفقرات المسجوعة من كتاب . .

كلا أيها الناس ، لا موضع للدهشة لو علمتم ، فقد شرعت خطبة الجمعة لتـكون قوة موجهة للعقول والأفـكار ، ولتـكون صلة بين الحاكم والرعيـة فى التوجه إلى الدين والأخـذ بمظاهر الدنيا ، وقد كانت مرتبة النبوة من قبـل ، وكان منبر المسجد مرقى الخلفاء الراشـدين وحكام المسلمين ، وكانت فى موضوعها يومذاك تعالج الحال القائمة فى صفوف الجماعـة ، وفى أسلوبها نموذج من الأدب العالى تتجلى فيه الروعة والبراعة ، فلمـا صار الأمر فى قيادة العرب للأعاجم ، وارتضخت الألسن العاميـة واللـكنة ، وتدلت الأقدار عن مراقيها ، كان شأن الخطبة ما نراه اليوم ، مادتها كلام ملق مضطرب ، وأداتها سيف من الخشب ، وهدفها تعداد الفضائل للأيام والمواسم ... إنه تقليد حسن ذلك الذى أحياه سلطان مراكش المعظم ، فهل يمكن أن نراه تقليداً سائداً فى جميع الأقطار الإسلامية ؟ .

الغرب والسيادة الأدبية :

تنشر « الأهرام » تحقيقات صحفية عن الحالة فى إيطاليا بعد الحرب للصحفى النابه الأستاذ أميل خورى ، وهى تحقيقات تتميز بدقة الملاحظة وعمق التفـكير وتبين العلل الـكامنة وراء الظواهر الواضحة . .

وإنمـا يعنينا من هـذه التحقيقات كلمة عرض بها الـكاتب إلى الحالة الأدبيـة فى إيطاليا خاصـة وفى أوربا عامة إذ قال : « والأضرار الأدبية التى أنزلتها الفاشـية الغاشمة بالأمة الإيطالية يلمس الباحث بعضها فى ضعف الإنتاج الفـكرى ذى القيمـة الصحيحة ، فقد تضاءل عدد الأدباء المنتجين من أبناء الجيل الذى تفتحت أكمام نفسه لشمس الحياة فى مطلع عهد موسولينى والذى هو اليوم جيـل الشباب فى إيطاليا . وأظننى أكون أكثر إنصافاً وأقرب إلى محجة الصواب والحقيقة إذا قلت إن هـذا النضوب تشـكو منه بلاد أخرى ، أو البـلاد الأوربية بأسرها التى لم يقم فيها طاغية ولم تأخـذ النظم الغاشمة على شبابها سبل الأدب الحر والتفـكير الطليق ، ففرنسا مثلا التى ظهر فيها غداة الحرب العامة الأولى رهط من كبار الـكتاب والمفـكرين لا نجد فيها من الـكتاب الجدد سوى عدد لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة »

« فالداء إذن أوربى عام ، لا إيطالى خاص ، وأظنـه مظهراً من مظاهر إحدى الأزمات الحادة التى يشـكو منها الغرب والتى لا تدل على أن هـذه القارة آخذة بالأسباب التى تضمن لهـا الاحتفاظ بعد وقت قصير بالسيادة الأدبية والفـكرية التى بسطتها على العالم غداة خروجها من ظلمات القرون الوسطى .. »

وهذا الذى يقوله الكاتب صحيح ، وإن الباحث ليلمس آثاره وشواهـده لأول نظرة يلقيها على الحالة الأدبيـة والفـكرية فى أوربا ، ولـكن ليس معنى هـذا أن أوربا ستفقد سيادتها الأدبية والفـكرية كما يتوقع الـكاتب ، لأنها حال عامـة تتمثل فى جميع قارات العالم ، فنحن مثلا فى مصر لم نجد الشبان الذين استطاعوا أن يشغلوا الأذهان عن أولئك الشيوخ الذين سيطروا على الحركة الفـكرية منذ الحرب الأولى ولا تزال أسماؤهم إلى اليوم تتداولهـا الألسن وتشخص إليها الأبصار ، وهذه أيضاً هى الحال فى جميع الأقطار العربية وفى كل مناحى الشرق .

وهـذه الحال فى حقيقتها لا ترجع إلى اقفار الأذهان من النبوغ ، بل إنها ترجع إلى ضآلة التقـدير للقيم الأدبية ، فالعالم الآن يعيش فى نشوة علمية اقتصادية يغذى بها عواطفه ومشاعره ، فالناس يعنيهم أن يلتفتوا إلى الصراع القائم بين المذاهب الاجتماعية

والسياسية الآن أكثر مما يعنيهم الأدب الخالص ، وليس هذا مما يدعو إلى التشاؤم والخوف على مستقبل الأدب والقيم الروحية فإن العالم لابد أن يضيق بهذه الحال الطارئة ، ويعود الناس في يوم قريب متلهفين يبحثون على صلاتهم الطبيعية بالحياة ، ولن يكون ذلك إلا إذا هدأت الأعصاب المتوترة واطمأنت الأفكار القلقة وانتهى ذلك النضال العنيف القائم حول الرغيف .

**المؤتمر الثقافي العربي الأول :**

أذاعت الأمانة العامة للجامعة العربية أن اللجنة الثقافية بها تعمل على تهيئة الوسائل لعقد المؤتمر الثقافي العربي الأول في لبنان في شهر سبتمبر القادم ، وأن اللجنة لا تزال تتلقى كثيراً من الأبحاث والتقارير من مختلف البلاد العربية عن المواد التي سيتناولها المؤتمر في جدول أعماله ، وسيشترك في هذا المؤتمر مندوبو البلاد العربية وكثيرون من العلماء والباحثين في الثقافة العربية كما سيحضره بعض المستشرقين للاستماع أو المحاضرة ، وسينتهي المؤتمر إلى اتخاذ قرارات حول مواد الثقافة العربية في اللغة والأدب والتاريخ والتربية الوطنية ويبدي ما يراه من المقترحات لتعديل برامج التعليم والثقافة بما يحقق الفكرة الوحدة . .

**مؤتمر للآثار العربية :**

كما أذاعت الأمانة أيضا أن الإدارة الثقافية بالجامعة تتخذ العدة لإقامة مؤتمر آخر في الصيف القادم للبحث في شؤون الآثار الموجودة في البلاد العربية والعمل على صيانتها وتبادلها ، وهذان المؤتمران هما أول المؤتمرات التي تعقدها الجامعة العربية مستهدفة فيها توثيق عرى الصداقة بين البلاد العربية وتنشيط الاتجاه القومي العربي فيها ، ونحن إذ نحبذ هذه المؤتمرات وندعو إلى الإكثار منها حتى تكون طريقاً من الطرق لتوثيق الروابط بين أبناء العروبة وتوحيد الاتجاه الفكري في البلاد العربية ، فاننا نرجو أن لا تجعل الجامعة العربية الشأن في هذه المؤتمرات قاصراً على الرجال الرسميين ، وأن تتعدى بها دائرة المؤتمرات الحكومية التي تقف في إبداء الرأي عند التقاليد المرعية ، بل يجب على الجامعة أن تفتح الباب الواسع للباحثين الطلقاء والمفكرين الأحرار حتى تثمر هذه المؤتمرات ثمرتها ، وتؤدي مهمتها

**آثار الهند :**

أعلن الزعيم الهندي المسلم أبو الكلام آزاد عضو الحكومة الهندية المؤقتة أنه سيطلب إلى الحكومة البريطانية إعادة بعض القطع الأثرية الهندية التي نقلت إلى المتاحف البريطانية ، ومن القطع الغالية التي سيطالب الزعيم الهندي بإعادتها الجوهرة المعروفة باسم « جبل النور » وهي الجوهرة التي قدمتها شركة الهند الشرقية البريطانية عام ١٨٥ إلى الملكة فيكتوريا والتي أضيفت إلى مجوهرات التاج البريطاني يومذاك ولا تزال تشع فيه حتى الآن . .

وليس من شك في أن انجلترا قد انتهبت الآثار الهندية انتهابا ، وأنها نقلت إلى متاحفها من الهند كثيراً من القطع الغالية والآثار التاريخية التي لا تقدر بثمن ، وهذه محنة لحقت بالآثار في جميع بلدان الشرق ، فقد نهبت تلك الآثار في غفلة الزمن وظلمة الأحداث ونقلت إلى دور الغرب ومتاحفه ، ولقد مضى عليها زمن طويل وهي تعيش غريبة عن أوطانها وبين أهل غير أهلها ، وما نحسب أن دول الغرب تذعن لتصفية هذه المسألة في سهولة .

سيطلب مولانا أبو الكلام ، ولكن هل تسمع الحكومة البريطانية لهذا الطلب ؟ ! هيهات . .

**تصوير المخطوطات العربية :**

سافرت إلى سورية ولبنان البعثة التي أوفدتها الجامعة العربية لتصوير المخطوطات العربية التي كانت قد اختيرت للتصوير في العام الماضي ، وتجد الإدارة الثقافية بالجامعة في انتقاء المخطوطات العربية الأخرى التي ستقوم بتصويرها بعد أن تنتهي البعثة من عملها في سورية ولبنان .

والذي يجب أن نقوله لرجال الإدارة الثقافية بالجامعة العربية هو أن الشأن في المخطوطات العربية الموجودة بالأقطار العربية هين ميسور ، ففي الإمكان تبادل هذه المخطوطات ونقلها وتصويرها بواسطة الهيئات العلمية والثقافية ، ولكن الشأن كل الشأن هو تصوير المخطوطات القيمة المجهولة التي توجد في مكاتب تركيا والأسكوريال ومكاتب أوربا عامة ، فلعل الجامعة تعنى بأمر هذه المخطوطات قبل كل شيء ، ولعلها تهتم بتصويرها حتى تكون في متناول أيدي العلماء والباحثين من أبناء العروبة

وهناك مجال آخر يجب أن يكون مثار اهتمام الجامعة ، ونعنى بذلك المخطوطات التى هى فى حيازة الأفراد . فهناك مخطوطات فى المكاتب الخاصة غالية القيمة نادرة الوجود ، وقد تكون النسخ التى يملكها الأفراد منها هى النسخ الوحيدة ، فلعل الجامعة توجه اهتمامها إلى تصوير هذه المخطوطات والإسراع بجمع شملها قبل أن تبدد وتتغير وتضيع فى قسمة التركات وفى مطاوى الإهمال ، وعندى أن الاهتمام بهذه المخطوطات أولى ، لأن المخطوطات التى فى المكاتب العامة محفوظة ويمكن الحصول عليها فى أى وقت .

« الجاحظ »

**أدباء العروبة فى المنصورة :**

افتتحت جامعة أدباء العروبة شعبة ثالثة لها فى المنصورة فى اليوم العاشر من ( إبريل ) ، واتخذت من دار الأستاذ سعد الشناوى رئيس الشعبة الجديدة مكاناً للمهرجان ، وحرص صاحب المعالى دسوقى باشا أباظة رئيس الجامعة على اختيار هذا اليوم بالذات لأنه يتصل بذكريات حبيبة تجمل عوامل الإلهام ، وبواعث الشاعرية ، وينابيع البيان ، دانية لمن يريد أن يقول . فهو يعيد إلى الذاكرة صفحة مشرقة من صفحات المجد القومى يعتز بها الشرق كله بشهادة دار ابن لقمان ، وهو يوافق عيد مولد جامعة أدباء العروبة ومرور العام الأول على تأليفها ، ثم هو يقبل مع الزهور فى بواكير الربيع ، ويأتى فى أعقاب جلاء الانجليز عن المدائن المصرية .

ومن هذه المعانى المؤتلفة ، والذكريات المتفقة ، يجد الأديب مداداً لكلماته ، ويرى الشاعر أفقاً واسعاً لخياله ، فإذا جمعنا إلى هذا كله ما تميزت به المنصورة من سحر وجمال وروح وريحان لم يبق لصاحب البيان الأصيل حجة فى عدم الامتاع ، ولا لذى الباع الطويل فى الشعر معذرة فى القصور عن الابداع .

وقد تبارى الشعراء والأدباء فى القول فأسمعونا كلاماً ليس حسناً كله ولا قبيحاً كله ، ولكنه يتصل بالحسن أحياناً فيثير العواطف ويهز المشاعر ، ثم يهوى إلى درك القصور والتفاهة فينصرف عنه المستمعون ويتحدث بعضهم إلى بعض فيما لا يتصل مع هذا الكلام بسبب !

كان أول الخطباء هو الأستاذ حسين رأفت بك مدير الدقهلية ، وكان الناس يعتقدون أن كلمته ستكون أدنى ما تكون من لغة الإدارة منها إلى لغة الأدب ، فلما استمعوا إليه كأديب وكخطيب أدركوا أنه أديب بالفطرة لا بالكسب ، وكاتب بالطبع لا بالتكلف ! !

ولعله الخطيب الوحيد الذى تكلم عما للأدب من أثر فى حياة الأمم ، وما للشعر من فعل فى تهذيب العاطفة وتربية الوجدان وتنشئة الذوق الأدبى ، وطبعه على غرار يمكن أبناء الأمة من إدراك ما فى الحياة من معانى السمو والجمال ، ومن عباراته اللطيفة قوله ( وهل هز شاعر الأمم فى كل العصور وحدا بها إلى غايات المجد على مر الدهور ، إلا تلك البروق المنبعثة من آفاق البلاغة ، كلما أضاء لهم سناها مشوا فيه ، وهل تدين الحضارة فى تقدمها ، والإنسانية فى تطورها ، إلا لأولئك الرسل الكرام من حملة الأقلام ؟ )

أما معالى دسوقى باشا رئيس الجماعة فقد كان كلامه كالنبع الصافى يتدفق بالمعانى السامية والعبارات الأنيقة ، ويتحدث عن رسالة جامعة الأدباء فيقول : إنها تعمل لجمع كلمة العرب ورفع شأن الأدب ، وتوثيق عرى الصداقة بين أدباء وطننا فى سائر أرجائه ، وبين أدباء العالم العربى فى جميع أقطاره ، وما العرب إلا :

أمة ينتهى البيان إليها وتؤول العلوم والعلماء

وتعاقب بعد الرئيس والمدير شعراء وأدباء ؛ منهم من أجاد فاستحق الثناء والتقدير وأثبت وجوده بانتاجه وحسن بيانه ، ومنهم من خانه التوفيق فأذاع خطأه على الناس واستوجب النقد من حيث كان يريد الشهرة والظهور .

ومن حقنا أن نأخذ على قلم المراجعة والتصحيح فى جامعة الأدباء ، عدم عنايته بحذف القصائد والكلمات التافهة المفسولة التى اعتبرها أهل الذكر موضع الضعف فى المهرجان ، وكان من الواجب ألا يقول إلا من يحسن القول . لا كل من يريد أن يقول ! ولولا المجاملة فى الحق لصار أدب الجماعة خالصاً كله ، ولكن لكل شىء آفة ، وآفة الأدب دخول الفضوليين فيه ، واستباحتهم حماه ، وانتسابهم إليه وهم من غير أهله ! !

ولولا أننا نكرم صفحات ( الرسالة ) أن تسجل ما لا خير فيه ولا فائدة فى الحديث عنه لعرضنا على القراء بعض ما قيل مما لا يستحق أن يقال ، ولكنا نؤثر أن ندع الزبد يذهب من تلقاء نفسه ولن يبقى إلا ما يصلح للبقاء .

(المنصورة) علي عبد الله




**الحكومات الأوربية :**

[ هذه فقرات من مقالة لم تكتب اليوم ولا عقب الحرب الثانية ولا عقب الحرب الأولى. ولكن كتبت قبل ذلك كله، كتبها سنة ١٩١٢ الأستاذ العلامة محمد إسعاف النشاشيبي فى حديث له مع صديق شكا إليه ما كانت البلاد العربية عليه يومئذ ، وبين له أن لا أمل إلا بالدول الأوربية وحضارتها ، اطلعنا عليها فى مجلة النفائس فأردنا تسجيلها فى الرسالة سجل العرب ، قائلين : ما أشبه الليلة بالبارحة ! ] .

« منقب »

... فإن هذه ( الدول ) لا تسى سعيها ولا تبذل مجهودها فى الاستيلاء على البلاد الشرقية لتنجيها من عذابها ، وتنتاشها من ضلالها ، وتسعدها بعد بؤسها ، وتهذبها وتثقفها وتعلمها ما لم تكن تعلم — ولو ابتغت ذلك لسلكت غير هذه السبيل ، ولخالفت عن بنيات طريقتها الاستعمارية المشهورة ولكنها جدت فى تملك بلادك لتموت أنت وتحيا هى ، ولتملق أنت وتثرى هى ، ولتذل أنت وتعز هى . وإن يوماً تراك فيه استيقظت من هجوعك وثبت إلى رشدك ، وجرى فى عروقك دم الوطنية ليوم عليها عظيم

***

ولقد لبثت فرنسا فى الجزائر وتونس والتونكين وغيرها ما شاء شقاء أهلها أن تلبث ، وأقام الإنكليز فى الهند ومصر واستراليةَ ما قدر القدر الجائر أن تقيم ، ومكثت روسيا فى القرم وبخارى وخيوه ما أراد القدر القاهر أن تمكث ، وظلت هولاندة فى جزيرة جاوا ما كتب لأهلها النحس أن تظل ، ومكدت إيطالية فى الصومال ما حكم الدهر الوغد أن تمكد ، وتملكت غير هذه الدول من الأرجاء فى الشرق والأقطار ما تملكته — فلم نرها جاءت من الخير للذين سلبتهم سلطانهم ما كان يجب عليها أن تجيء به ، ولم نلفها بلغت هؤلاء المساكين من الإصلاح العلمى والاجتماعى ما أمله المؤملون منها ، ولم نجدها بدلت من خلائقهم شيئاً ، بل وجدناها كادحة جاهدة فى إرداء شعورهم وإحساسهم وإفساد كل صالح فيهم ، ووجدناها ضاربة دونهم ودون الرقى الذى ينشدونه بالاسداد ابتغاء ألا ينتبهوا من نومهم ويرجعوا إلى أنفسهم فيردوا ما ألم بهم وما صبحتهم به الليالى ( أقال الله عثرتنا من الليالى ) فيكبروه وينكروه ، وإن كل جريمة تحتقبها أوربة ، وإثم تكتسبه حلال طلق فى شريعة السياسة ودين الاستعمار .

***

وإنى لأقرّع القوم بأعمالهم كثيراً ولا أعذرهم على حال ، لأنهم موقنون جد الإيقان بفظاعة ما يأتون وشناعة ما يجترمون . وعالمون كل العلم بأنهم يجرحون فؤاد الإنسانية بما يجترحون من الإثم بإذلال بنيها وإضراعهم ؛ لكنهم متصلبون فى عنادهم مصرون ، ومقيمون على ضلالهم لا يتزحزحون ، وكافرون بدين الرحمة جاحدون ، ولو كان من عذر لما سمعت استيد وجوريس وأضرابهما من الإنسانيين يصيحون ويجلبون ، ويندبون ويبكون ، ويقولون فى كل حين : « أوربة ، إنك ظالمة ، أوربة ، إنك آثمة ، أوربة إنك جارمة ... » .

**محمد إسعاف النشاشيبى**

**الموسيقى الإيرانية وأثرها فى العالم :**

لقد علمت إيران العالم كيف يغنى وكيف يترنم ، ولإدراك هذه الحقيقة نقدم إليك النبذة التالية التى نشرتها جريدة « القبس » الدمشقية :

« تعتبر إيران بحق سيدة الموسيقا الكلاسيكية الشرقية ، ذلك أنها عرفت قبل الإسلام بزمن طويل نهضة موسيقية وصلت إلى أوجها فى القرن السابع على عهد الملك كسرى أبرويز ، فقد كان هذا الملك نفسه موسيقياً ، لهذا لم يأل جهداً فى إنهاض فنه المحبوب ، فوضع بواسطة الموسيقى الإيرانى الشهير الشيرازى ومساعده الأرمنى سركيس هوروم أوزان ونظريات الموسيقا الإيرانية » .

« وعند ما احتل العرب بلاد الفرس ، لم تكن الموسيقا عندهم فناً يستحق توجيه الجهد إليه ، لأنهم انصرفوا إلى توسيع رقعة لغتهم وشعرهم ، ومع هذا فقد استعاروا من الإيرانيين طرقهم الموسيقية ، وألحانهم ، وآلاتهم ، ونشروا هذا فى بلادهم وفى

البلاد التي احتلوها بآسيا الوسطى وبمصر وشمالي إفريقية ، حتى في أسبانيا حيث وصل العرب بالموسيقا إلى نقطة تحول في تاريخ الفنون الجميلة في العالم ، وكان للموسيقا الإيرانية تأثير كبير في هذا التحول . واليوم — وبعد قرون عديدة — ما زالت هنالك نواح في الأغاني الشعبية الأندلسية تنطبع فيها صور إيران وما زال في أسبانيا الحديثة مؤلفون موسيقيون ينحون في مقطوعاتهم وألحانهم منحى العرب » .

« ولم يقتصر تأثير الموسيقا الإيرانية على العرب وحدهم ، بل أثرت كذلك في الأتراك وفي الأرمن وفي الروس إذ يتجلى مدى هذا التأثير في ألحان بورودين وموسورغسكي وريمسكي كورسا كوف » .

« هذه الخطوط الرئيسية للموسيقا الإيرانية ، إلا أن كثرة الغزوات التي اجتاحت البلاد الإيرانية كان لها تأثير كبير في تدهورالفن الموسيقي الإيراني والزج به في مهواة الابتذال وتتابع الأنغام الرديئة » ...

## طريقة جديدة في معالجة السعال الديكي

كانت معالجة السعال الديكي بالبقاء بضع ساعات على ارتفاع يتراوح بين ٢٥٠٠ و ٣٥٠٠ متر متبعة قبل الحرب . ولكن هذه الطريقة لم يكن يستطيع التمتع بها إلا بعض من أسعدهم الحظ من أصحاب الطائرات وأعضاء أندية الطيران والتابعين لسلاح الطيران الحربي .

وقد اكتشف هذه الطريقة سنة ١٩٢٧ في «ستراسبورج» إثر انتشارالسعال الديكي في شكل وباء ، ففكر أحد الطيارين من السرب الثاني في قوة الطاردة بسلاح الطيران في أخذ ابنه الذي كان مصابا بهذا المرض بدرجة خطرة في طائرته لعله أن تغيير الهواء سيخفف عنه فقضى ساعة في التحليق على ارتفاع ثلاثة آلاف متر فلم يمض على ذلك ثلاثة أيام حتى شفي الطفل شفاء تاما .

واهتم السويسريون بهذه الطريقة اهتماما كبيرا وأطلقوا عليها اسم « طريقة ستراسبورج »

غير أنه لوحظ في أثناء تجربته هذه أن بعض المصابين بالسعال الديكي يشفون بعد ٢٤ساعة . والبعض الآخر كان يحدث عنده تحسن ملموس وخاصة في حدة السعال . وأخيراً هناك فريق ثالث يقدر بنصف الذين يعالجون بهذه الطريقة لم يكن يحدث لهم أي تغيير في الحالة .

وشرع الأطباء بعد ذلك في دراسة هذه الطريقة على وجه أتم وتنظيم استعمالها . وكان من التجارب التي أجريت أن طياراً من « ميتز » اسمه « شوفان » نجح في شفاء حوالي مائة طفل في شتاء سنة ١٩٣٨ — ١٩٣٩ فكان من أوائل الذين استطاعوا الوصول إلى استنتاجات من ملاحظاتهم وتقرير طريقة عملية . فكان يصعد بالأطفال إلى ارتفاعات تتراوح بين ١٥٠٠ و ٣٥٠٠ متر وفاقا لأعمارهم .

وكان يصعد وينزل ببطء منعاً لأصابة الأطفال بأمراض الأذن التي تفسد فعل هذه الطريقة في العلاج . ولما كان النوم يغلب على الأطفال عند ما يصلون إلى أقصى حد من الارتفاع فإنه كان يغطيهم لدرجة التدفئة . وعدا هذا فإنه كان يأمرهم بالغناء ليكون تنفسهم من الفم .

وفي سنة ١٩٤٥ أنشيء « مركز البيولوجيا » في مدينة الطيران . وعهد إليه بدراسة هذه الطريقة تحت إشراف الطبيين « روبيربالدي » و « ماكس ريشو » . فأجريت عدة تجارب في الطائرات وانهالت الطلبات من عائلات الأطفال المصابين بالسعال الديكي . فخصصت وزارة الطيران إحدى طائراتها لهذا وهي الطائرة التي كان يستقلها « جورنج » وزير الطيران في الحكومة النازية وهي من طراز « يونكر ٥٢ » . وقد اختارت الوزارة هذه الطائرة لأنها بطيئة في سيرها فسيحة في فراغها ومريحة جداً في ركوبها . ولكن العلاج بطريقة « ستراسبورج » كان يكلف نفقات باهظة بالنظر لقلة البنزين وارتفاع ثمنه واستخدام طيارين اخصائيين .

لذلك أنشأ هذا المركز في داره «صندوق التنفس الصناعي» فلوحظ أن هذه الآلة يمكن أن تحدث من التأثير على الأرض مايحدث للمريض وهو مرتفع في الجو بالطائرة . ومن ذلك المهد أوجد الدكتور « ريشون » نطاقاً لمعالجة السعال الديكي .

وقد استمر العمل بهذه الطريقة في معالجة الأطفال المصابين بالسعال الديكي تحت إشراف الأطباء الإخصائيين وملاحظاتهم




**تهجم لا داعي له :**

نشرت مجلة الرسالة في عددها ٧١٩ نقداً للسادهانا التي قمت بترجمتها عن الشاعر الروحي تاجور ، لمترجم آخر قام بذلك ، هو الأستاذ طاهر الجبلاوي .

وأنا أوافق الأستاذ على أن السادهانا من أمهات الكتب العالمية ، وأنها يجب أن توضع في ميزان النقد ، ولكن الذي قام به الأستاذ لم يكن نقداً ، بل تهجم محنق مغيظ . لقد عدد الأخطاء التي في ترجمتي فبلغت سبعة كاملة !! وذلك لا يبيح له أن يرفع عقيرته طالباً الضرب على أيدي العابثين كما يقول ؛ فما بالك وهو مخطىء في تخطئته ؟ إن موقفه هذا ليس موقف الناقد الممسك لسكان سفينة الأدب ؛ بل موقف مدعي الاتهام الذي لا يملك شيئاً من الأدلة ، فيضرب بكلامه ذات اليمين وذات اليسار .

١ — ترجم الأستاذ كلمة Realisation of Life بتحقيق الحياة ، وفسرها بقوله جعل الحياة حقيقية ، وليست الحياة باطلة حتى يجعلها الكتاب حقيقة ، وليس من معاني التحقيق في اللغة العربية جعل الشيء حقيقة ، بل إن تحقيق الأمر إثباته ، والتحقيق في الأمر فحصه ، وكلاهما غير مقصود هنا ؛ ولكن المقصود هو إدراك حقيقة الحياة . واستتبع خطأه هذا خطأ آخر في ترجمة Realsation in action بتحقيق الحياة في العمل مع أن المعنى المراد هو إدراك كنه الحياة في العمل ، أو الإدراك في العمل كما ترجمتها موجزة غير مخلة للمعنى ، ولا هادمة للأسلوب العربي الصحيح

٢ — خطأ الأستاذ ترجمتي للجملة consciousness of soul بمعرفة الروح ، وترجمها بالوعي الروحي ، وفي تخطئته خطأ مركب فالوعي في اللغة العربية الحفظ والانتباه وليس هذا هو المقصود ؛ وقد جاء هذا التعبير في الفصل الأول عن العارف بالله . ولا أظن الأستاذ يستبدل بها « الواعي لله » إذن لكانت خطأ مضحكا ، ونسبة الوعي للروح يدل على أنها التي تعي وتنتبه . وذلك خطأ ؛ لأن المراد هنا من هذا الفصل أن يعرف الإنسان روحه ، كما ورد في ص ٣٠ « اعرف أنك واحد ، أنك روح فذلك هو السبيل الذي يقودك إلى الوجود الأبدي » أما الكلمة في اللغة الإنجليزية فتستعمل للمعنيين ؛ الانتباه الظاهري ، والمعرفة الباطنية ، كما ورد في دائرة المعارف البريطانية ؛ ولكن ما بعدها هو الذي يحدد معناها ، فترجمتي تنفي هذه الأخطاء المتراكبة .

٣ — خطأ الأستاذ ترجمتي لكلمة worker of the world بعامل الكون ، وصححها بكلمة بارىء الكون التي تقابلها في الإنجليزية « Creator » وقد ورد قبل هذه الكلمة في الكتاب بأسطر قليلة : « من طبيعة المعرفة والقوة والعمل » وورد أيضاً « دعنا ننزع من أفكارنا الوهم الضعيف الذي يجعل من فرحك شيئاً منفصلا عن عملك » فلا معنى الكلمة الصحيح ، ولا سياق الكلام يثبت صواب الأستاذ وخطئي ولكنه يثبت الضد .

٤ — اتساق الأستاذ مع التجني لحرف جملة موجودة في الكتاب ؛ ثم خطأ التحريف الذي حرفه بنفسه ، وهذه الجملة كما وردت في كتابي ص ٣٠ : أولئك الذين صفت أفكارهم — لا غير — هم الذين ينالون الفرح الدائم . وقد حرفها إلى قوله : الذين ضمفت أفكارهم لا غيرهم الذين ينالون الفرح ؛ ولست أدري أهذا من ضعف البصر عند الأستاذ أم من ضعف البصيرة

وهناك كلمتان خطأهما وأثبت صوابهما ، بينما تصح فيهما الترجمتان ، ولكن سياق الكلام يحتم ترجمتي :

١ — كلمة its part يصح فيها معنى دورها أو معنى جزئيتها التي انصرفت إليها ؛ ولكن الأستاذ لو قرأ قبل ذلك بسطور : « إن الحقيقة الصادقة أننا لا نستطيع أن نحيا إذا قسمناه — الذي هو حق — إلى جزءين ، يجب أن نثوي فيه ظاهراً كما نثوي فيه باطناً » لما أسرع بإثبات الخطأ لي ، ولأثبته لنفسه .

٢ — كلمة play of life and death يصح فيها معنى رواية الحياة والموت على أسلوب منحرف في اللغة الإنجليزية ، كما يصح فيها معنى لعب الحياة والموت على أسلوب صحيح ، وفي الصفحة التي قبلها ما يحتم الترجمة الثانية وينفي الأولى . إذ يقول : إن إرادته هي التي وضعت الحدود لذاته كلاعب الشطرنج يحد إرادته في لعبه بالقطع ... والقانون الذي جعل الأرض والماء هوفان ينفصل به اللاعب عن لعبه ففي ذلك يوجد فرح اللاعب ، فسياق الكلام ، والأسلوب الصحيح يخطىء الأستاذ ويقف معي




من أساطير القدماء :

# خصومة في الحب !

للأستاذ ماجد فرحان سعيد

[ نقلت عن الانجليزية من كتاب ( أساطير بلفنش )
Bulfinch's Mythology ... ... ... ... ... ]

في يوم من الأيام ، رأت يونو Juno — زوجة المشترى وحارسة النساء — سحابة مظلمة فوق رأسها ، فساورها الشك بأن زوجها قد أقام تلك السحابة ليخفي عن عيون الناس بعض أعماله المستنكرة ؛ ولذا أمرت السحابة بالانقشاع ، فتلاشت في الحين ؛ وإذا زوجها جالس على ضفة نهر لجيني الصفاء ، وبجانبه عجلة جميلة . فاشتبهت يونو بأن شكل العجلة يخفي حورية هيفاء فاتنة الجمال . وفي الحقيقة كان ظنها صادقاً ، لأن زوجها — وهو إله السماء العظيم وملاك الآلهة جميعها — كان يداعب إيو Io إبنة إله النهر إناخوس Inachus — وعند ما أحس مقدم زوجته غير شكل الحورية .

ثم جلست يونو بجانب زوجها ، وبدأت تثنى على جمال العجلة وتسأل عنها وعن القطيع الذي تنتمي إليه . أما زوجها ، فلكي يوقف هذا الفيض المستمر من الأسئلة ، أجاب بأنها مخلوقة

---

بقيت لي نصيحة أنصح بها الأستاذ ؛ وهي أن التهجم في النقد قبيح ولو كان على صواب ، فما بالك إذا كان ممن يخطىء الصواب البين ، ليأتي بدله بالخطأ الواضح ، وما بالك إذا كان من رجل غير متثبت من كلامه ، يهجم والأرض مزعزعة تحت أقدامه؟

( أسيوط ) **محمد محمد علي**

### مضحكات مبكيات :

جاء في عدد الرسالة الغراء رقم ٧١٨ تحت عنوان مضحكات مبكيات بقلم السيد صلاح الدين المنجد ما نصه :

« لقد صادفت اليوم في طريقي طالباً في الجامعة ( يعني الجامعة السورية ) فحدثني حديثاً أهمني . حدثني أن أستاذه قرأ عليه نصاً فيه : (ابس ثوب الحِداد) فقرأها « الحدّاد » فلما قال له الطالب : إنها الحِداد يا أستاذ ! انتهره وأصر على أنها الحدّاد . ثم ساق الأستاذ على ذلك دليلا تمسك به فقال هكذا أخذناها عن المستشرق فلان ... أتعلمون من هو هذا المستشرق ؟ إنه أوسع أهل الاستشراق علماً ، وأذكاهم فهماً ، وأفصحهم لساناً ، وقوله لا رد لأنه ثقة ، ضابط ، محرر » .

ومن المؤلم أن ينشر السيد المنجد هذا الخبر قبل أن يتحقق من صحته . وحقيقة الأمر أن الأستاذ الجليل عز الدين التنوخي عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، ومفتش اللغة العربية في وزارة المعارف في الجمهورية السورية ، وأستاذ النحو والصرف في فرع اللغة العربية من كلية الآداب في الجامعة السورية ، أراد في أحد دروسه أن يرى كمادته على طلابه نكتة ليخفف عنهم قليلا من عناء الدرس فقال ما معناه :

مهما تعمق المستشرقون في دراسة لغتنا العربية ، ومهما توسعوا في الاطلاع عليها فلا يستطيعون أن يتفهموا معانيها كما يتفهمها أبناؤها . ومما يروى عن أحدهم وهو من كبارهم أنه بينما كان يقرأ نصاً عربياً على طلابه قرأ « لبس ثوب الحدّاد » بدل لفظة « الحِداد » ولما راجعه أحد طلابه قائلا : « إنها الحِداد وليست الحدّاد يا أستاذ » أصر الأستاذ المستشرق على لفظة الحدّاد مفسراً ذلك بقوله بما أن ثوب الحدّاد أسود مما يصيبه من هباب الفحم الأسود فإنه يقال لمن يحزن أنه لبس ثوب الحدّاد كناية عن الحزن !

هكذا روى أستاذنا الجليل التنوخي النكتة ، وعلق عليها بما قدمت . فالقضية إذن لا تتصل بأستاذ جاء من أوروبا ولكنها تتصل بأستاذ لم يذهب للدراسة في أوربا أبداً .

أما الدكتور أمجد الطرابلسي الذي درس في أوربا ويدرس لطلاب فرع اللغة العربية تاريخ الأدب ، والنصوص الأدبية ، فلا يحتاج إلى تعريف .

وأما بقية ما جاء في كلمته فليس لي اطلاع على حقيقته لأنه لا يمت إلينا بصلة ولكني أحب للسيد المنجد ألا يتسرع في نشر أخباره قبل أن يتحقق منها تماماً والسلام .

**عمر توفيق جعفر أغا**

ربيئة خرجت من الأرض قبل مدة وجيزة ؛ فطلبتها يونو هدية منه ، فحار فيما يصنع ، إذ كان يحز فى نفسه ويمضها أن يهب خليلته لزوجته ، ولكن كيف يمكنه أن يضن عليها بهدية زهيدة كهذه العجلة ، ألا يكون قد أثار فى نفسها عاصفة هوجاء من الشك والارتياب ؟! فوافق على ذلك ؛ أما زوجته فظلت الشكوك تتطرق إليها ، ولذا عهدت إلى أرجوس argus مراقبة العجلة والمحافظة عليها .

وكان لأرجوس مئة عين فى رأسه ، فلم يتعود النوم بأكثر من اثنتين منها ، لتظل إيو تحت المراقبة المستمرة . وكانت إيو ترعى سحابة النهار ؛ وعند ما يزحف الليل بجحافله يربطها حارسها بحبل خشن حول عنقها . وكم كانت تود لو تستطيع مد يديها لتضرع إليه أن يطلق سراحها ويمنحها الحرية ! غير أنها كانت تحجم عن ذلك لأن خوارها مرعب لدرجة عظيمة . وكان أبوها وأخواتها يقتربون منها ، ويربتون لها على ظهرها ، ويعجبون بجمالها ، ويغرقون فى استحسان شكلها ، ويقدمون لها حزماً من الحشيش الأخضر فتلعق أيديهم الممدودة. وأخيراً سولت لها نفسها أن تعترف عن اسمها لأبيها وتعرب له عن رغبتها ، غير أنها لم تكن تقوى على التعبير عن شعورها ؛ فعن لها أن تحفر له اسمها على الرمل بظلفها . أما إناخوس فيزه ؛ وعند ما عرف أن ابنته التى كان ينشدها من غير جدوى متنكرة بتلك الهيئة ، علا وجهه ضباب قاتم من الحزن ، وعانق على الفور جيدها الناصع الجميل ، وصرخ قائلا : « لهفى عليك أيتها العزيزة الغالية ! فلأن أفقدك بالمرة أهون على من رؤيتك بهذه الحالة ! » وعند ما لاحظ الحارس ذلك ، جاء وساقها أمامه وجلس فى محل عال يتمكن فيه من رؤية ما حوله .

أما المشترى ، فقد كان يزعجه كثيراً أن يرى خليلته تعانى أبرح الآلام والأهوال ؛ فالتجأ إلى عطارد — رسول الآلهة — وطلب إليه أن يدبر حيلة تنتهى بالتخلص من الحارس . فأسرع عطارد واحتذى خفيه المجنحين ، ولبس قبعته ، وتأبط عصاه السحرية ، وقفز من أبراج السماء إلى الأرض ؛ وهنالك خلع أجنحته واحتفظ بعصاه وتظاهر بأنه راع يسوق قطيعه . وكان فى طريقه يعزف على سرنكس Syrinx مزماره الفريد ، فأطرق أرجوس وأرهف مسمعه للنغمات العذاب التى أخذ يصدح المزمار بها ، إذ لم يكن رأى مزماراً كهذا من قبل . فناداه قائلا : « تعال هنا أيها الشاب واجلس بجانبى على هذا الحجر ؛ لتكن نفسك مطمئنة ، إذ لا يوجد مكان يكثر فيه العشب كالمكان الذى ارتادته أغنامك ؛ وهنا الظل الظليل الذى يتوخى الرعاة أن يصطفوا فيه مجالسهم » فجلس عطارد بجانبه ، وأخذ يخوض معه فى أحاديث متنوعة ، ويقص عليه الأقاصيص الطريفة ، ويعزف على مزماره صوادح الألحان التى تبعث النوم إلى الأجفان ... كانت الشمس قد آذنت بالمغيب ، وخضبت وجنة الأفق بأشعتها السحرية التى تبهج النفوس . أما الحارس ، فقد ظل يقظان ليقوم بالمراقبة ، بالرغم من كل الجهود التى بذلها عطارد ليجعل النعاس يستحوذ عليه ، والهجوع يستبد بجفونه . ومن بين تلك الأقاصيص قصة اختراع آلته الصداحة ، قال : « كانت تعيش حورية حسناء تدعى سرنكس ، وقد تيم حبها الجنيين وأخذ بمجامع قلوبهم ، ولكنه لم يخطر ببالها قط أن تتزوج أحداً منهم لأنها كانت متعبدة مخلصة لديانا Diana — إلهة الصيد . وكانت سرنكس مغرمة بالصيد أيضاً ، فلو رأيتها فى زيها لما ونيت دقيقة بأن تحسبها ديانا نفسها . فالشيء الوحيد الذى يفرق بينهما هو أنها اتخذت قوساً قرنية ، بينما اتخذت ديانا قوسها من الفضة الخالصة . وفى ذات يوم بينما هى راجعة من الصيد التقى بها پان Pan — إله الرعاة والقطعان — وأخذ ينظم لها العقود المنضدة من عبارات الغرام . ولكنها جعلت ذلك دبر أذنيها وولت هاربة بيد أن پان حفز فى أثرها ، وأدركها عند ضفة النهر ؛ وهنالك طلبت المعونة من صويحباتها — عرائس الماء — فوافقن على إجابة طلبها . أما پان فطوقها بذراعيه ، ولكنه سرعان ما دهش عند ما رأى أنه يطوق مجموعة من القصب ! وعند ما تنهد ، سمع للهواء صوتاً داخل القصب ، وكانت النغمة حزينة مطربة ، وأعجبته حلاوة موسيقاها ، وكان لها وقع عظيم فى نفسه ؛ فقال مشدوهاً من شدة الفرح : « وهكذا ستكونين لى ! » . فأخذ بضع قصبات متفاوتة فى الطول والقصر ، ووضع بعضها بجانب البعض

الآخر ، وصنع آلة موسيقية جديدة أسماها سرنكس ، تذكاراً لتلك الحورية » . وما كاد عطارد ينهى أقصوصته حتى مد النعاس إلى الحارس ذراعيه ، وطوق بهما عنقه ، فأغفى . ولما رأى عطارد أن الحارس قد اطمأن إلى النوم ، فصل رأسه عن جسمه بضربة قاضية دحرجته عن الصخور ، وأطفأت نور عيونه المئة إلى الأبد أما يونو فأخذت عيونه وزخرفت بها ذنب طاووسها ولا تزال عليه إلى اليوم .

ولكن يونو لم تكتف بالانتقام من إيو على هذه الصورة ، بل سلطت عليها ذبابة خيل لتسومها سوء العذاب أينما تذهب وتحل . أما إيو فطافت العالم كله لتأمن شرها : سبحت فى البحر الأيونى الذى اشتق اسمه من اسمها وقطعت سهول اليريا Illyria ، وصعدت فى جبل هيموس haemus ، واجتازت مضيق البوسفور وجالت فى أراضى سيثيا Scythia ، حتى وصلت أخيراً إلى ضفاف النيل ؛ فاستشفع المشترى لها زوجته بعد أن وعدها أن لا يولى خليلته أى اهتمام بعد ذلك الوقت ؛ وعندئذ سمحت زوجته لإيو أن تسترجع شكلها الأصيل . وكم يبدو غريباً أن تشاهدها وهى تسترجع ذلك الشكل ، فيسقط الشعر الخشن عن جسمها ويتقلص قرناها ، وتضيق عيناها ، ويقصر فمها ، وتستبدل بأظلافها أنامل رخصة ؛ غير أنها كانت تخشى الكلام ظناً منها أنها ستخور ؛ ولكن ثابت لها بالتدريج شجاعتها وثقتها بنفسها ؛ فذهبت لتعيش مع أخواتها وأبيها .

***

وكالستو Callisto حسناء ثانية أضرمت سعير الحسد فى صدر يونو ، فسختها الإلهة دبة قائلة لها : « لأسلبنك تلك الفتنة التى استهويت بها زوجى فمنا لها ! » . وعندها خرت كالستو على ركبها ، وحاولت أن تتوسل إلى يونو ، غير أن يديها بدأتا تتغطيان بشعر أسود ، وتتسلحان بأظافر ملتوية . وأما ذلك الفم الذى طالما تغنى المشترى بجماله ، فصار ينفرج عن فكين شنيعين ؛ وأما صوتها الذى لو بقى على حاله لأثار كوامن الحب والشفقة فى القلوب ، فتحول زمجرة مرعبة . ولكن مزاجها الأصيل بقى على حاله ، فلم يعتره أقل تغيير أو تبديد . وبتلك الزمجرة المستمرة ، كانت تندب سوء حظها وتستعطف الرحمة من قلوب الراحمين ؛ ولكنها صارت تشعر بأن المشترى عدم الشفقة ، مع أنها لم تجهر بما تضمر . وفى مناسبات عديدة ، كانت تخشى البقاء فى الأحراج وحيدة طوال الليل وخصوصاً بين الكلاب التى تخيفها بهريرها ، فتنطلق نافرة من الصيادين . ولقد بلغت بها شدة الخوف إلى أن صارت تهرب من الوحوش البرية حتى من الدببة ، متناسية أنها أصبحت من معشرهن .

وفى ذات يوم رأت شابا يصطاد فى الحرج ، فأيقنت أنه ابنها ، وثارت فى نفسها آنئذ أمواج من العواطف الأبوية ؛ فتوقفت وأرادت أن تعانقه . وعند ما اقتربت منه وجف قلبه ، فأشرع رمحه ، وأوشك أن يطعنها به ؛ غير أن المشترى حسما لوقوع الجريمة اختطف الإثنين إلى السماء واتخذ منهما الدب الأكبر والدب الأصغر .

فثارت ثائرة الغضب فى صدر يونو عند ما رأت خصمها متسنمة عرش السماء ؛ فأسرعت تيثيس Tethys. وأوشيانوس Oceanus — وهما إلها البحار — وخاطبتهما قائلة : — « أتسألان مليكة الآلهة لماذا انحدرت من السهول السماوية إلى هذه الأعماق ؟ أجل ! انظرا عند ما تخيم الظلمة تريا بجانب القطب الإثنين اللذين بوالغ فى إكرامهما وحلا محلى فى السماء ! أتظنان بأن أحداً بعد اليوم سيقيم لى وزنا أو سيبنى فى احتقارى عند ما يعلم بأن الإساءة إلىّ تقصى عنى مثل هذه المكافأة ؟ ! هذا ما استطعت أن أعمله وهذه سعة قدرتى ! ! حرمتها من شكلها البشرى لحلت بين النجوم النيرات ! ! إنه لمن الأفضل أن تستعيد شكلها القديم كما فعلت إيو عند ما تجاوزت عنها ؛ لهذا السبب جئت مستغيثاً بكما — إن كنتما ترأفان بى وتستنكران هذه المعاملة السيئة التى نكبت بها — أن تثأرا الحق المسلوب ، وتمنعاها من المجىء إلى مياهكما » .

فوافق الإلهان على ذلك ، إذ منعا الدب الأكبر والدب الأصغر من أن يغيبا تحت البحار كما تفعل غيرهما من النجوم ، وفرضا عليهما الدوران الدائم فى السماء .

القدس — كلية ترأساسنطا — ماجد فرحان سعيد

يظهر قريباً :

كتاب

# تاريخ الأدب العربي

في ثوب جديد

الكتاب الذي ينتظره الجميع :

## خليل مطران ومدرسته

يقدمه الشاعر الناقد المعروف مختار الوكيل إلى كل مثقف بمصر والعالم العربي ليطالع فيه دراسة قيمة منصفة لشاعرية مطران وعباس العقاد وعبد الرحمن شكري وأحمد زكي أبي شادي ( نزيل نيويورك الآن ) وذلك في أسلوب شائق وتفكير مستقيم .

ترقبوا صدوره أوائل مايو

الثمن سبعة قروش

وللمكاتب والموزعين في مصر والاقطار العربية الاتصال بمطبعة منبر الشرق بميدان الاسماعيلية بالقاهرة عمارة بحرى ت ٥٦٢٤٣ لأن النسخ محدودة .

---

# سكك حديد الحكومة المصرية

## عرض الاعلانات بالمحطات

لقد وجهت المصلحة كل عنايتها إلى المحطات فاقامت بها لوحات خشبية أعدت خصيصاً لعرض الاعلانات فضلا عن أنها تبذل مجهوداً صادقاً من وقت لآخر في تجميل تلك المحطات حتى أصبح الاعلان فيها من أحسن وسائل الدعاية .

وتتقاضى المصلحة جنيهين مصريين عن المتر المربع في السنة وهي قيمة زهيدة تكاد لا تذكر بجانب أهمية الاعلان الذي يتصفحه آلاف المسافرين في اليوم الواحد .

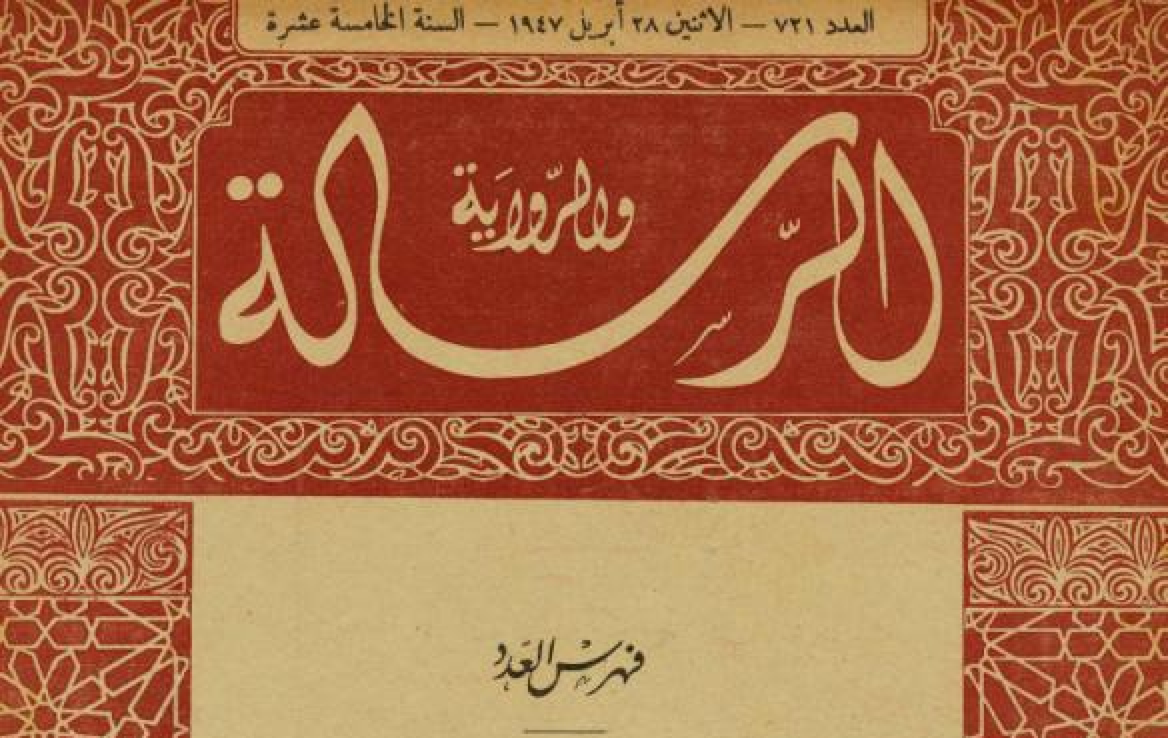
ولزيادة الاستعلام اتصلوا

بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

مطبعة الرسالة

العدد ٧٢١ — الاثنين ٢٨ أبريل ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة




## فهرس العدد

صفحة

روح اليابان ... ... ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ... ٤٦٧

وكم فى مصر من بنات أمبان ! ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ... ٤٦٩

تلقون الأرواح ... ... ... : الأستاذ نقولا الحداد ... ... ٤٧١

تفسير الأحلام ... ... ... ... : العلامة سجموند فرويد ... ... / الأستاذ محمد جمال الدين حسن ... ٤٧٢

طائفة المستعمرين فى شمال أفريقيا ... : الأستاذ عبد المجيد بن جلون ... ٤٧٥

تولستوى... ... ... ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ... ... ٤٧٧

إلكيا الهراس... ... ... ... : الأستاذ برهان الدين محمد الداغستانى ٤٨٠

عقل الأديب ... ... ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى ... ٤٨٣

على مضجع الآمال ! ... (قصيدة) : الأستاذ محمد العلائى ... ... ٤٨٥

« **الأدب والفن فى أسبوع** » : المرصد والجامعة — بعد المرحلة — ٤٨٨
يقظة الشباب العربى — تكريم مطران مرة ثانية — مجمع للشريعة الإسلامية —
انحطاط الفن السينمائى فى مصر ... ... ... ... ... ... ... ٤٩٠

« **البريد الأدبى** » : بل أى الأقوال أصدق ؟ — عود إلى ترجمة — ٤٩١
إلى معالى عبد العزيز فهمى باشا — حول أبى هريرة ... ... ... ٤٩٢
الجاسوسة العاشقة ... (قصة) : بقلم الأديب شفيق أسعد فريد ٤٩٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٢١ — الاثنين ٢٨ ابريل ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة




فهرس العدد


صفحة

روح اليابان ... ... ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ... ٤٦٧

وكم في مصر من بنات أمبان ! ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ... ٤٦٩

تلفون الأرواح ... ... ... : الأستاذ نقولا الحداد ... ... ٤٧١

تفسير الأحلام ... ... ... ... : للعلامة سجموند فرويد ... ... / الأستاذ محمد جمال الدين حسن ... ٤٧٢

طائفة المستعمرين في شمال أفريقيا ... : الأستاذ عبد المجيد بن جلون ... ٤٧٥

تولستوى ... ... ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ... ... ٤٧٧

إلكيا الهراس ... ... ... ... : الأستاذ برهان الدين محمد الداغستانى ٤٨٠

نقل الأديب ... ... ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى ... ٤٨٣

على مضجع الآمال ! ... (قصيدة) : الأستاذ محمد العلائى ... ... ٤٨٥

« الأدب والفن فى أسبوع » : المرصد والجامعة — بعد المرحلة — ٤٨٨

يقظة الشباب العربى — تكريم مطران مرة ثانية — مجمع للشريعة الإسلامية —

انحطاط الفن السينمائى فى مصر ... ... ... ... ... ... ... ٤٩٠

« البريد الأدبى » : بل أى الأقوال أصدق ؟ — عود إلى ترجمة — ٤٩١

إلى معالى عبد العزيز فهمى باشا — حول أبى هريرة ... ... ... ... ٤٩٢

الجاسوسة العاشقة ... (قصة) : بقلم الأديب شفيق أسعد فريد ٤٩٣


٢٨٥٣٤

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون




# مدينـــــة الأوقاف

## أراضى مواجهة لحى الزمالك

مجزأة على مساحات صغيرة لبنـــاء الفيلات والعمارات

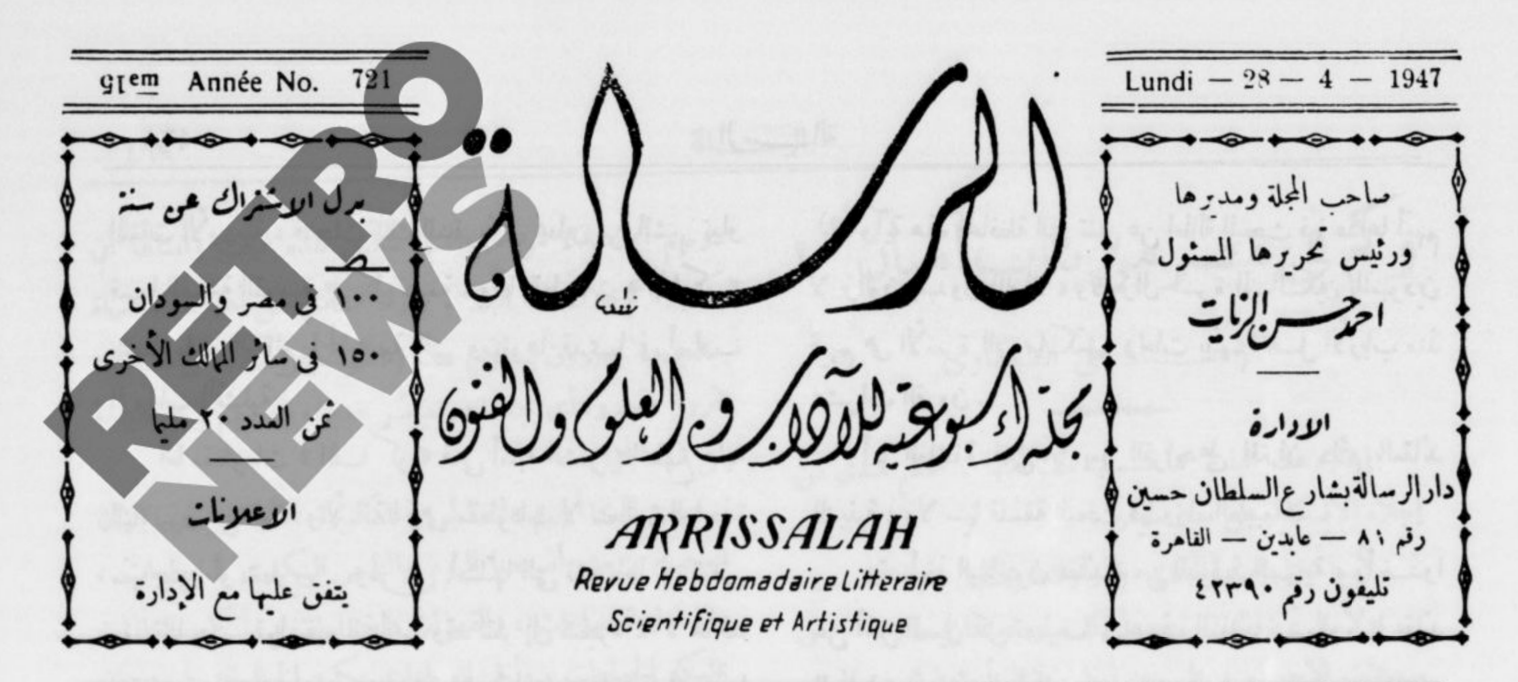
أصلح بقعة للبناء بها كافة المرافق

قريبة لجميع سبل المواصلات الموجودة الآن

أســـعار لا تزاحم تقسيط على ١٠ سنوات

جلسات البيع تبدأ فى ١٣ مايو ١٩٤٧

( ٣٧٩ )




العــــدد ٧٢١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ جمادي الآخرة سنة ١٣٦٦ — ٢٨ أبريل سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

# روح اليـــابان ...

للأستاذ عباس محمود العقاد

جاءنى الخطاب الآتى من الأستاذ « محمود محمد الحبيب » المعلم بمدرسة الربد بعشار البصرة قال فيه بعد ثناء نشكره عليه :

« ... نقرأ الشيء الكثير من الأدب الإنكليزى ، وأكثر منه من الأدب الفرنسى ، ونطالع الأدب الأمريكى والألمانى واليونانى ؛ ثم جاءت الحرب العالمية الثانية فكشفت لنا القناع عن الأدب الواقعى الروسى خاصة فى الأقاصيص . كذلك لنا نظرات فى الأدب الصينى والهندى طالعناه فى كثير من الكتب المعربة ؛ ولكن شيئاً واحداً هو الذى لم يحظ من أدبائنا بالعناية . ذلكم هو الأدب اليابانى . وهذا ما أردت من سيدى أن يلقى عليه شيئاً من أنواره ليكشف لنا مجاهله ومراميه ... وقد عرفنا بعض فلاسفة الصين ، فمن يقود الحركة الفلسفية فى اليابان ؟ »

إلى أسئلة من هذا القبيل تتلخص فى السؤال عن « روح اليابان » كما تتمثل فى عالم التفكير والإبداع الأدبى والفنون .

ومما هو غنى عن الشرح أن أمة كبيرة عريقة التاريخ كالأمة اليابانية لا تخلو من أدب وفن وفلسفة على نمط من الأنماط

ولكن الأستاذ الحبيب على صواب حين يقول إن الآداب اليابانية لم تظفر من الغربيين ولا من العرب بالعناية التى ظفرت بها آداب الصين أو الهند القديمة . ويبدو لنا أن السر فى هذا يرجع إلى المنافسة السياسية أو الحربية بين اليابان والولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا على الخصوص . فإن الأمريكيين والإنجليز والفرنسيين لم ينظروا إلى الصين والهند نظرتهم إلى منافسين يهددونهم فى ميادين التجارة والاستعمار ، ولكنهم نظروا هذه النظرة إلى اليابانيين ، فكان لهذه المنافسة شأن فى الجفاء الذى قوبلت به آداب اليابان بين الناطقين باللغتين الإنجليزية والفرنسية ومن يعتمدون على هاتين اللغتين فى الاطلاع على الآداب العالمية .

وقد ظفرت الصين والهند بالعناية الكبرى من مترجمى الآداب الشرقية لسبب آخر غير هذه المنافسة الاستعمارية ، وهو أصالة الآداب الصينية والهندية وغلبة الاقتباس على الآداب اليابانية . فإن الهند أولا والصين ثانياً هما مرجع الثقافة الأولى التى عول عليها اليابانيون قبل نهضتهم الأخيرة منذ أواخر القرن الماضى ، فلما نهضوا نهضتهم تلك فى العصر الحديث كانت ثقافتهم نسخة مصحفة من الثقافة الأوربية أو الأمريكية ؛ فلم يحفل بها الأوربيون والأمريكيون لأنهم يطلبون الغرائب ولا يحفلون كثيراً بنقل الآثار الفنية التى تشبه ما تعودوه وألفوه .

وقد حال بين الأمة اليابانية وبين تسجيل مأثوراتها الشعرية والنثرية أنها لم تعرف الكتابة قبل القرن الرابع للميلاد ، ولم يكن شعراؤها وأدباؤها من جمهرة الشعب ولا من أوساط الناس فى أكثر الأحوال ، بل كانوا من الأمراء والكهان والأساتذة الذين يقرضون الشعر كما يقرضه المترفون فى أوقات الفراغ .

على أن هذا كله لم يمنع العبقرية اليابانية أن تسلك طريقها إلى

اللغات الأوربية ، فتجلت تلك العبقرية فى نمطين من الشعر تملو فيهما الصبغة القومية على كل صبغة ، وهما مقطوعات « الها كو » ومنظومات الوقائع الحماسية التى وضعوها قديماً فى أسلوب الروايات التمثيلية .

أما مقطوعات « الها كو » فهى أشبه الشعر بما طبع عليه اليابانيون من الدقة والأناقة ، وهى مقطوعات لا تتجاوز الواحدة منها بيتين أو شطرين . ومن أمثلتها التى نشرناها فى بعض مقالاتنا بيت يقول فيه الشاعر وقد نظر إلى شجرة : « ها قد سقطت هنالك زهرة كلا إنها فراشة ! » وبيتان يقول فيهما الشاعر فى حقائق الحياة وأوهامها : « ما دمت أعلم أن الوقائع التى نشهدها ليست هى كل اليقين ، فمن أين لى أن أحلام المنام ليست سوى أحلام ؟ » .

وكل هذا الشعر على هذا النحو من الدقة التى تتلألأ فى ألفاظها الوجيزة كما يتلألأ الفص النفيس فى الخاتم الفريد . وأكثر ما ينظمونه فى الوصف والحكمة على هذا المثال .

أما شعر الحماسة فى الروايات التمثيلية أو القصائد المطولة فهو من سليقة اليابان التى استقلوا بها عن المقتبسات الصينية ، لأن أهل الصين لا يقدسون المجد العسكرى كما يقدسه جيرانهم الشرقيون

وأشهر شعرائهم فيه « شكامتسو » الذى يلقب بشكسبير اليابان . وقد ترجمه إلى الإنجليزية أديب يابانى معاصر هو الأستاذ اساتارو ميامورى Asataro Miamori أستاذ الأدب الإنجليزى فى جامعة توكيو ، وقدم له تقديماً حسناً يغنى بعض الغناء عن المطولات فى التعريف بهذا الفن الخاص من فنون بلاده .

ومهما يقل القائلون عن غلبة الاقتباس على الفنون اليابانية فما لا شك فيه أن هذه الأمة مطبوعة على ذوق الجمال الأنيق والإعجاب بمحاسن الطبيعة . وقد شاءت لهم هذه الطبيعة أن يتفرغوا للأناقة وحدها بين أفانين الحسن والملاحة . فكانت الأناقة أيضاً هى السمة الغالبة على فن العمارة فى جزائرهم البركانية ، لأنهم قد استغنوا عن فخامة البناء بالأكواخ الصغيرة والجواسق المنمقة ، فاتفقت لهم أسباب الأناقة فى جميع الفنون .

ولا يخفى أن الأناقة تكون مع الاقتباس كما تكون مع الاختراع فتأنق اليابانيون فيما اقتبسوه كما تأنقوا فيما ابتدعوه .

إلا أنهم محافظون تقليديون فى عاداتهم ومشاربهم قبل كل شىء

وآية هذه المحافظة التى تغنى عن إطالة البحث فيما عداها أنهم لا يزالون يعبدون الملوك ، ولا تزال أسرة الملوك المعبودين فيهم هى الأسرة التى ملكتهم وحلت بينهم محل الأرباب منذ عشرات القرون .

أما الفلسفة فهى كما يعلم القراء على اقتران دائم بالعقائد الدينية ، ولا سيما فلسفة البحث فيما وراء الطبيعة .

وقد أخذ اليابانيون عقائدهم من البوذية الصينية ، وأخذوا عن أهل الصين كل تصرف فى هذه العقائد ، سواء منها عقائد العبادات وعقائد السلوك .

ونشأ بينهم قديماً حكماء على نهج الحكماء الصينيين ، محور حكمتهم الوصايا السياسية وقواعد العرف المرعى فى المعيشة اليومية . وقل بين حكمائهم من توسع فيما بعد الطبيعة وتابع النساك البوذيين فى التوجه إلى الحقائق المجردة والإعراض عن الأوهام الدنيوية ؛ لأن اليابانيين دنيويون بالسليقة لا يسيغون فلسفة التجرد وإنكار الحياة .

لا جرم لم تكن لليابانيين إذن فلسفة مستقلة فيما وراء الطبيعة ، ولم ينبغ بينهم الفلاسفة كما نبغ الشعراء الغنائيون والحماسيون ومهندسو البناء ، ومنسقو الحدائق ومنازه الجبال .

وقد ظلوا كذلك إلى القرن الماضى الذى ترجموا فيه المذاهب الفلسفية عن الغربيين ، فاستبدلوا تقليداً بتقليد ، ولم ينجبوا بعد فيلسوفاً يبدع لليابان مذهباً لا يدين فى جوهره ولبابه لأحد من فلاسفة الأوربيين والأمريكيين . وربما كان أروج الفلاسفة بينهم سبنسر ووليام جيمس وكارل ماركس ونيتشه ، أو أقربهم إلى مذهب العمل والكفاح .

فالروح اليابانى كما يتراءى فى ثقافته وفنونه يتلخص فى المحافظة والاقتباس وإثبات السليقة اليابانية بعد ذلك بالأناقة والحركة والنزعة العملية ، أو يتلخص فى كلمة واحدة هى « الدقة » التى تبدو فى الطبيعة والصناعة ، وتبدو فى الأبدان كما تبدو فى الأذواق والأذهان

وليس هذا التعريف على كل حال بالتعريف الذى يحيط بموضوعه ، ولكنه موضوع لا يحاط به فى مقال ، وربما كان بهذا القدر مفيداً على الأسلوب اليابانى الذى أشرنا إليه .

**عباس محمود العقاد**

# وكم في مصر من بنات أمبان (*) !

للأستاذ علي الطنطاوي

إجلاء هذه البنت عما تسمّيه ملك أبيها ، أعظم عندي من إجلاء الانكليز عن مدن مصر .

لأنها تحتل بحق (التملك ...) وأولئك يحتلون بسيف الغصب .

ولأنها توشك أن تصير ( كما صار غيرها ) مصرية ... في سجلات الإحصاء ، على حين أنها لا تزال أجنبية الدم والهوى واللسان ، وأولئك يبقون انكليز غرباء ، غاصبين أعداء ، ويبقون قذى في عين كل مصري ، وغصّة في حلقه ، وثقلا على قلبه ، حتى يخرجوا ، وما من خروجهم بدّ ، لأن الباطل إلى اضمحلال وإن كانت له جولة ، والحق إلى ظفر وإن كانت له كبوة ، وقد طالما بغى باغون ، وظلم ظالمون ، ولكن لم يدم باغٍ ولا خلد ظالم !

هذه البنت وأمثالها شر من الانكليز ، وسند التملك في يدها أقطع في رقابنا من السيوف في أيديهم ، وفندقها في مصر الجديدة أخطر على استقلال مصر من ثكنات قصر النيل ، لأن المصيبة في هؤلاء أنهم يعدون ( في جنسيتهم الرسمية ) منا ، وهم في حقيقتهم من غيرنا ، فيدخلون في الأمة دخول السم في الجسم ، وصندوق الديناميت بين أحجار البناء ، ويكونون منا كالشيطان من الإنسان يجرى منه مجرى الدم ، فلا يستطيع الخلاص من شره ، ولا النجاة من أذاه . ثم إن أصحاب كل بلدٍ هم ملاّك أرضه ، وأصحاب عماراته ، هم سادته ، وهم الحاكمون فيه ، فإن شاؤوا عطلوا هذه الأراضي وتركوها مواتاً فجعلوا البلد مقفراً ، وردّوه فقيراً ، وإن شاؤوا أخلوا عماراتهم للبوم والعناكب أو هدموها ، وإن شاؤوا أدخلوا الناس إليها وأسكنوهم فيها ، وإن شاؤوا أخرجوهم منها وأغلقوا دونهم أبوابها ، فمن هو الذي مكّن لهذه البنت وأمثالها أن يكونوا هم ملاك هذا البلد ، وترك الكثير من أهله حفاة عراة جائعين ، يدورون يسألون هذه ( الخواجاية ) صدقة وإحساناً ، فتزورّ عنهم وتنأى بجنبها ، وتصعّر خدها ، وترميهم بكل قبيحة من فمها الجميل ...

من الذي أجرم هذه الجريمة الكبيرة ، أو غفل هذه الغفلة العجيبة ، حتى أصبحنا اليوم والتاجر الكبرى للخواجات ، والفنادق للخواجات ، والقهوات للخواجات ، وأكبر العمارات يملكه الخواجات ، وأفخم السيارات يركبه الخواجات ، حتى إن شارعاً عظيما هو شارع قصر النيل ، لا يملك فيه المصريون ، كما أخبرني الثقة ، إلا ثلاث عمارات فقط ، بقيت مصرية لأنها موقوفة ... وسائره للخواجات . فماذا ينفعك أنك مصري مستقل ، وأن الوادي وادي أبيك وجدك وواديك ، إذا كان الخواجة يستطيع أن يطردك من مأواك ، فلا تلقى إلا بإذنه سقفاً يكنّك ، وأن يعريك فلا تجد إلا بإذنه ثوباً يسترك ، وأن يسيّرك فلا تصل إلا بإذنه إلى ترام يحملك ؟

ما الاستقلال وأنت محتاج إليه في كل شيء ؟ ما العزة ؟ وأنت تأكل الخبز الأسود وهو يأكل لباب البر من أرض مصر ؟ وأنت تسكن الكوخ المهدم وهو يملك الصرح الضخم على أرض مصر ؟ وأنت تشرب الماء العكر وهو يشرب الرحيق المصفى من خير مصر ؟ وأنت تمشي حافياً وهو يختال بسيارته على ثرى مصر؟ وأنت تلبس الجلباب الخلَق وهو يتخذ الثياب الرقاق من قطن مصر ؟ أيصير الغريب صاحبَ البلد ، وابن مصر يصير غريباً في مصر ؟ هذا فظيع ! هذا ( عهد المماليك ) يعود بثوب جديد !

لما كنت في العراق كنت أرى بعض العراقيين يظهرون الكراهية للمدرسين السوريين ، وينفسون عليهم رواتبهم التي يأخذونها ، ويقولون لهم ، أنتم آتون (لتقشمرونا) ، ويبغضون السوري الذي يزاحمهم على مورد الكسب في التجارة ، ومنبع الربح في العمل ، فكنت أتألم من ذلك وأقول ، ليتهم تعلموا اللطف ومحبة الغريب . فلما جئت مصر ، ورأيت هذا اللطف وما جر إليه من الضعف ، وحب الغريب وما أوصل إليه من الخراب عرفت أن الخير فيما يفعل العراق .

وأنا لا أدعو العرب ليكره بعضهم بعضاً ، ولكن أدعو إلى شيء معقول : هو أن العرب اليوم في أقطار العربية كلها ، كجيش

(*) جلست بنت البارون أمبان صاحب شركة ( مصر الجديدة ) في فندق ( هليوبوليس بالاس ) مع شابين انجليزيين ، وكان على مقربة منهم الضابط الطيار صدق فجرت بينهم مناقشة في الجلاء ، فقالت الفتاة : « إن المصريين من غير الانجليز صفر ... » فلما أنكر عليها الضابط وألزمها بالاعتذار أصرت على قولها وأوعدته بالطرد من فندقها ومدينتها ... وبلغت تلك الحادثة صاحب الجلالة الملك فكرم الضابط بأن ذهب إلى الفندق وأجلس الضابط معه على المائدة التي كان يجلس إليها ثم قال جلالته بعد العشاء : « إني أول من يرحب بضيوفنا الأجانب الذين يحبون مصر ، ولكن عند ما أسمع ابنة البارون أمبان تشتم مصر والمصريين لا يمكنني أن أسمح ببقائها في مصر » ...

فى مصافّه ، على كل فرقة أن تدفع العدو عن حماها ، ولا تدع الجيش يؤتى من قبلها ، ونحن نحارب (فيما نحارب) الفقر والإفلاس ، فعلى كل قطر عربى ألا يدع فى أبنائه فقيراً ، وألا يترك فيه رجلا بلا عمل ، وأن يمنع الغرباء عنه من مزاحمة أهله فى زراعته وتجارته وصناعته ، حتى إذا اشتغلوا جميعاً ، وبذلوا قواهم كلها ، وبقى فيه بعد ذلك فراغ لأيد غير أيديهم ، وأموال غير أموالهم ، استعانوا بأبناء الاقطار العربية الأخرى ، ولم يفتحوا لهم الباب إلا بمقدار الحاجة ، أما أن يجىء السورى ليعمل فى مصر ، ويجىء المصرى ليشتغل فى الشام ، ويترك أهل البلد بلا مال ولا عمل ، فتفسد البطالة أخلاقهم ، ويذلّ الفقر نفوسهم ، ويعلّمهم هذا وذاك كره أخيهم العربى ، فليس من مصلحة العرب أن يكون . هذا رأيى أعلنه بلا جمجمة ولا مداراة .

وهذا للعرب . أما (الخواجات) فأجلوهم عن بلادكم إجلاء تاماً فلا يأتوها إلا سياحاً أو زوّار آثار . وارفعوا أيديهم عن مرافقها فلا يملكوا منها إلا مايملك مثله الأجنبى فى بلادهم . وكل بلاد الدنيا ، تمنع الأجنبى أن يملك فيها أرضاً أو عقاراً إلا بمرسوم فما بال مصر مائدة ممدودة لكل طاعم ، وكنزاً مفتوحاً لكل آخذ ؟ وما بال الخواجة يجىء مصر فقيراً مفلساً ، لا يبتغى إلا القوت يمسك رمقه أن يموت ، ولا يتمنى إلا قرشين يعود بهما إلى بلاده ، فلا تمر السنون حتى يصير الفقير غنياً ، والواغل على البلد مالكا له ، ويغدو الشحاذ صاحب المنزل ؟ ويجىء معه بالغانية راقصة أو بغياً ، فيقدمها للمصرى بيد ويأخذ منه الأسناد على موسم القطن بيد ، ثم تتجمع الأسناد فتاً كل الموسم ، ثم نعجز المواسم عن سداد الدين ، فيملك الأرض ، ثم تتبدل الدنيا غير الدنيا ، وينقلب الفلك ، فيصير السيد عبداً ، والعبد سيداً ...

هذا احتلال شر من احتلال الجيوش الانكليزية ، لأنه احتلال المومسات : راقصات وأرتيستات ، واللصوص : أصحاب متاجر وأعضاء شركات . والخلاص منه أصعب وأشق ، لأنه لا يكون بالرصاص والبارود ، ولا يكون بالمظاهرات والثورات ، بل يكون بإعلان (النفير العام) فى الكتاب أولا ، وتجنيد القوى الأدبية كلها ، للعمل على إعلاء همة هذا الشعب ، وأن نعيد إليه ثقته بنفسه ، وأن نردّ عليه عزّته وكبرياءه ، حتى ترتفع هامته ، وتشتد عضلاته ، ويشمخ أنفه ، ويعلم أنه لا يكون حقيقاً بملك مصر ، ولا أهلا للاستقلال ، ولا سليل من ملكوا الدنيا ، إن لم يكن عزيزاً فى نفسه ، سيّداً فى بلده .

ثم نعمل على أن نصب فيه روح المغامرة ، وندفعه إلى اقتحام المخاطر ، وركوب الأسفار ، ونعلمه حب المال ، فما يفلح شعب لا يحب المال ، ولا يعرف قيمته ، ولا يفلح شعب لا يريد فراق وطنه ، ولا النأى عن عشه .

ثم نعلمه بغض الأجنبى ، حتى يكون له ديناً ، ويغدو له طبعاً ، نعم البغض ... لماذا تنفرون من سماع هذه الكلمة ؟ الأنها منافية للطف والمجاملة والكرم ؟ يا ناس . لقد قتلنا اللطف ، لقد ضيعتنا المجاملة ، لقد أودى بنا الكرم . الكرم صيّرنا شحاذين ، والتواضع جعلنا عبيداً ، فلنتعلم الاقتصاد ، والعزة ، أو فلنعلمهما أولادنا إذا لم يمكن أن نأخذ بهما نفوسنا .

ثم لنفهم هذا الشعب أن الأوربى يضحك علينا بالأرتستات والخمور والأزياء ، كما يضحك على زنوج أفريقية بالخرز والأجراس ، فلنره أننا عقلنا وشببنا عن الطوق ، وأننا لم نعد نرضى أن يضحك أحد علينا ، وما لنا ولارتستاته وعندنا نساؤنا أزكى وأطهر وأجمل وأكمل ؟ وما لنا ولأزيائه ولنا أزياؤنا ؟ وما لنا ولخموره ولنا ... شرائعنا التى تحرم علينا الخمرة ، وأخلاقنا ؟

فإذا استكملنا عدة الهجوم ، شرعنا الرماح وهجمنا ، وخضنا المعركة نحاربه بمثل سلاحه ، بالعلم والجد والدأب والتعاون حتى نلقى عنا هذه القيود التى كبلنا بها ، حلقة بعد حلقة ، كما شدها من حولنا حلقة بعد حلقة ، على أن المعركة قد بدأت من زمان ، وما معامل المحلة الكبرى ، ومصانع الطرابيش والزجاج إلا أعلام النصر فى معركة الوطن ، فلنمض فيها ، ولنؤلف لكل ميدان فرقة : شركة اقتصادية ، فيكون لكل مرفق من المرافق شركة ، حتى إدارة الفنادق والمقاهى ، وتسيير الترام وبناء المنازل .

لقد أعلن فاروق مصر المعركة المقدسة ، بإجلائه هذه البنت عن أرض مصر ، وعقد لكم اللواء ، ورفع العلم فامشوا تحته أدباء واقتصاديين وعلماء ، فإن الميدان يتسع لكم جميعاً ، ويحتاج إليكم جميعاً ، واعلموا أن الاستقلال الحقيق لا يكون إلا عندما يلتفت المصرى فلايرى حوله شركة أجنبية ، ولامدرسة أجنبية ، ولا متجراً لأجنبى ، ولا عقاراً يملكه أجنبى ، وتكون كل خيرات مصر لأبناء مصر !

هذا هو الاستقلال ، فعلى كل مصرى أن يعمل له ما يستطيع !

**على الطنطاوى**

# تلفـــون الأرواح

للاستاذ نقولا الحداد

ذكر مراسل المصرى الخاص أن المستر جون وليمسن العالم بما وراء الطبيعة قال « إن استعمال آلات تحطيم الذرة فى مضمار الاتصال بعالم الأرواح ، يؤدى أخيراً إلى اختراع تليفون يصل بين عالمنا المادى وعالم الأرواح بحيث يتيسر لأى شخص أن يقتنى آلة تليفونية روحية لا تكلفه أكثر من خمسة جنيهات ويخاطب بها الأرواح » .

إذن فليبشر العلامة الروحانى الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير . لأن أول آلة تصدر من مصنع التليفونات الروحانية ستقدم له هدية بحكم رسالته وجزاء لاجتهاده فيها . وحينئذ سينقم من الساعة التى بدأ يدرس فيها عالم الروحانيات لأن ألوفاً من طلاب أرواح أهليهم وأصحابهم سيهجمون عليه لكى يتصلوا بأرواح ذويهم ويزعجونه أى إزعاج ويقبضون على خناقه ريثما تنتشر آلات هذا التليفون فى الأسواق وتتيسر لكل إنسان .

إن نظرية المستر جون وليمسن هذه مسندة إلى نظرية « أن الأفكار تتولد من الطاقة . ولذلك فإن أفكار الأرواح التى تتحدث بطريقتها الخاصة تخلق نوعاً من الذبذبات تصبح إشارات يمكن أن تلتقطها آلة التليفون الروحانى وتقويها وتنقلها » .

هذه نظرية معقولة على فرض واحد لا محيص من تحقيقه بعملية هذا التليفون وهى أن الروح لا بد أن تكون هيولانية أى مادية من طبيعة مادة الجسد ، لأن الطاقة ( التى تتولد منها الأفكار كما يقول المستر وليمسن ) وذبذباتها أى موجاتها هى خاصة رئيسية للمادة . فالمادة لاتتحرك إلا بما لها من طاقة ، والطاقة لا تحرك إلا المادة .

وإذا كانت الروح شيئاً مادياً كسائر عناصر المادة تسنى لنا أن نظفر بها فى المعمل الكيماوى كما نظفر بالراديوم أو الأورانيوم وفى المصانع الميكانيكية أو فى المطياف أو تحت الميكروسكوب القوى الجديد الذى يعظم مئة ألف مرة . وحينئذ يمكننا أن نشرح الروح كما نشرح الجسد وكما شرحنا الذرة ، وأن نعرف أسرارها كما عرفنا أسرار النور وسائر الموجات الكهربائية . ولعلنا نهتدى حينئذ إلى صلتها بهذه الكهربائية أو نراها حالة من حالاتها . وثم يتيسر لنا أن نتصل بالأرواح عن يد الموجات الكهرتيسية ، وإذن فلايستحيل علينا إذ ذاك اصطناع التليفون الروحانى .

وإذا أمكننا حينئذ مخاطبة أرواح الموتى بهذا التليفون فبالأحرى يمكننا أن نخاطب أرواح الأحياء به مهما كانوا بعيدين عنا . وثمة لا يبقى لزوم للوسطاء بين الأساتذة الروحانيين وأرواح الموتى والأحياء .

ومما أدرانا حينئذ أن يطلع بعضنا على أفكار بعض بناء على نظرية وليمسن ( أى أن الأفكار هى ضرب من الطاقة المذبذبة كما قال ) . وإذا صح هذا الحلم الجميل فكيف يمكن أن يعيش الناس بعضهم مع بعض وهم يضمرون خلاف مايظهرون ؟ هل يتورعون حينئذ عن الكذب والدس والكيد والغش والزور . وهل يسلكون سلوك الملائكة الأطهار والقديسين الأبرار ويستغنون عن البوليس والقضاء والحكومة والحكام .

ولكن إن صح هذا يستلزم أن يتلاشى الطمع والاستئثار واستغلال القوى للضعيف من الناس . وكيف يمكن هذا إذا كان الناس متفاوتين فى الكفاءات والأهليات والمؤهلات والذكاء ؟ ...

وإذا استرسلنا فى هذه الافتراضات وجدنا العالم منقلباً رأساً على عقب بل مختلطا بعضه مع بعض وقد انصهر فى بوتقة الروحانيات وانسبك عالماً آخر جديداً . ولعله يكون أفضل من عالمنا هذا . ويكون الله تعالى قد رضى عن خليقته وصاغها خليقة جديدة صالحة

ولكن هل يسلم الروحانيون بأن الروح شىء مادى من صنف مادة الجسد لها طاقة مذبذبة الموجات ؟ أم هى شىء غير مادى . فإذا كانت شيئا غير مادى فنظرية المستر جون وليمسن تنهار لأنها لا تكون ذبذبات طاقة كما زعم . وإن كانت شيئاً مادياً فالأرواح تنحل بانحلال الجسد ولا يبقى ثمت عالم أرواح .

**نقولا الحداد**

# ٤ ـ تفسير الأحلام

للعلامة سجموند فرويد
سلسلة محاضرات ألقاها فى ڤينا
للاستاذ محمد جمال الدين حسن

**أحلام الطفولة :**

أظنكم تشعرون أننا قد تقدمنا فى سرعة زائدة عن اللازم ، وعلى هـذا فلنقصر من خطوتنا قليلا . تذكرون أننا عندما قمنا بتجربتنا الأخيرة فى محاولة التغلب على الصعوبة التى تنشأ عن التحريف فى الأحلام ، قلنا إنه من المستحسن أن نحتال على ذلك بأن نركز كل جهودنا فى اختبار الأحلام التى تكون خالية أو شبه خالية من التحريف إذا كان هناك أحلام من هذا القبيل . ولكننا بهذا القول نكون قد عدنا إلى البعد عن جادة الصواب ، لأن الطريق الذى سلكناه فى البحث لم يهدنا فى الواقع إلى معرفة شىء عن هـذه الأحلام الخالية من التحريف إلا بعد أن طبقنا طريقنا فى التفسير مراراً وتكراراً على أحلام من النوع المحرف ، وحللناها تحليلا مضنياً استنفد منا مجهوداً كبيراً .

وهذا النوع الذى نبحث عنه من الأحلام موجود فى الأطفال ، فأحلام الطفولة أحلام واضحـة ، سهلة الفهم ، متماسكة خالية من التعقيد . وليس معنى هذا أن كل الأحلام فى الأطفال من هـذا النوع ، فالتحريف يبدأ عادة فى الظهور من بواكير الطفولة ، وتوجد تحت يدنا أحلام لأطفال بين الخامسة والثامنة تظهر فيها كل الخواص التى تظهر فى أحلام البالغين . ولكننا إذا اقتصرنا على النظر فى الأحلام التى تحدث فى المدة الواقعة بين بدء النشاط العقلى للطفل والسنة الرابعة أو الخامسة من حياته ، وجدنا أنها تحتوى على سلسلة من الأحلام يمكن أن نطلق عليها حقاً « أحلام الطفولة » . وهذه الأحلام قد توجد بصفة فردية فى أواخر الطفولة . كما أن كثيراً من البالغين يرون فى ظروف معينة أحلاماً لا تختلف عنها اختلافاً يذكر .

وهذه الأحلام فى إمكانها أن تمدنا بمعلومات وافية عن الطبيعة الأساسية للحلم نأمل فى أن تكون عامة تنطبق على جميع الأحلام على اختلاف أنواعها :

١ — هذه الأحلام لا تحتاج فى تفهم معناها إلى أى تحليل أو تطبيق لطريقتنا فى التفسير . فليس من الضرورى أن نستجوب الطفل الذى رأى الحلم بل يكفى أن نعرف شيئاً عن حياته . وهذه المعرفة لا بد منها لأننا نجد فى كل حالة أن حادثة من الحوادث التى وقعت للطفل فى اليوم السابق هى التى تفسر لنـــا الحلم ، وما الحلم فى الحقيقة إلا رد الفعل الذى ينتج عن هـذه الحوادث أثناء اليوم .

دعونى أضرب لكم بعض الأمثلة حتى نستطيع أن نبنى استنتاجاتنا القادمة عليها :

(ا) كان على طفل يبلغ من العمر سنة وعشرة شهور أن يقدم صندوقاً من الحلوى هدية إلى أحد أقرانه بمناسبة عيد ميلاده . ومن الواضح أن الطفل قام بهذا العمل على غير رغبة منه ، على الرغم من أنه قد وعد بأن ينـال شيئاً منها لنفسه . وفى الصباح روى الطفل الحلم الآتى : « لقد أكل هرمان كل الحلوى » .

(ب) قامت طفلة تبلغ من العمر ثلاث سنوات برحلة بحرية لأول مرة فى حياتها ، فلما وصل المركب إلى الشاطىء أخـذت الطفلة تصيح راغبة عن النزول من المركب فقد مر الوقت بالنسبة لها مراً سريعاً من غير شك . وفى صبيحة اليوم التالى قالت الطفلة : « لقد رأيت نفسى فى النوم على ظهر مركب يمخر عباب الماء » . وقد يكون فى إمكاننا أن نستنتج أن هذه الرحلة طالت عن الرحلة الحقيقية حتى تشبع رغبة الطفلة .

٢ — نرى من هذا أن أحلام الطفولة ليست عديمة المعنى بل هى عمليات عقلية واضحة المرمى مفهومة المعنى ، وقد سبق أن بينت لكم أن النظرية الطبية تفسر الحلم على أنه ظاهرة جسمية تنشأ عن اضطراب فى المعدة أو ما شابه ذلك . وقد شبهه بعضهم بالأصوات التى تصدر عن آلة موسيقية من يد غير بارعة . ولكنكم بلا شك لن تغفلوا عن التناقض الواضح بين هـذا التشبيه وبين أحلام الأطفال التى رويتها لكم . فإذا كان فى استطاعة الطفل أن يقوم بعمليات عقلية كاملة أثناء النوم فليس من المعقول إذاً أن يقنع

الرجل البالغ بأن تجىء أحلامه رد فعل لعوارض جسمية ليس إلا ! هذا مع العلم بأن الطفل عادة يكون أعمق نوماً من الرجل البالغ .

٣ — هذه الأحلام خالية من التحريف ، وعلى هـذا فهى لا تحتاج إلى تفسير ، فالمحتوى الظاهر والمحتوى الباطن متماثلان . ومن هـذا يمكننا أن نستدل على أن التحريف ليس من الأشياء الضرورية فى تكوين الحلم . أظن هذه النتيجة سترفع عنكم عبئاً ثقيلا ، ومع هذا فإننا إذا دققنا النظر وجدنا أن التحريف موجود حتى فى هذه الأحلام وإن كان على درجة طفيفة جداً ، وأن هناك اختلافاً ولو بسيطاً جداً بين المحتوى الظاهر والمحتوى الباطن للحلم .

٤ — الحلم الذى يراه الطفل عبارة عن رد فعل لحادثة وقعت له فى اليوم السابق وخلفت بعدها آثاراً من النـدم أو الطموح أو رغبة لم تحقق . وهـذه الرغبة تتحقق فى الحلم فى صورة واضحة مكشوفة . ومن الواضح أننا لا نجد فى أحلام الطفولة هذه أى أثر للمؤثرات العضوية التى يركن إليها بعض العلماء فى تفسير الأحلام ولـكن ليس معنى هـذا أننا ننكر أثر هذه المؤثرات فى تكوين الأحلام ، وإنما كل ما أود قوله هو أن أسألكم لم تغفلون من مبدأ الأمر أن هناك مؤثرات عقلية كما أن هناك مؤثرات عضوية تقلق نومنا ؟ فنحن نعلم بلا شك أن هذه المؤثرات هى التى تمنع الرجل البالغ من النوم لأنها تجعل من العسير عليه أن يتهيأ للحالة العقلية اللازمة للنوم أى قطع كل صلة تربطه بالعالم الخارجى ، فهو لا يرغب فى أى شىء يقطع عليـه حبل أفكاره ويود لو ظل يعمل فيما هو مشغول به وهذا هو السبب الذى يمنعه من النوم . وعلى هذا فالمؤثر العقلى الذى يقلق نوم الطفل هو الرغبة التى لم تحقق والحلم هو رد الفعل الذى ينشأ عن ذلك .

٥ — نرى من هذا أن قيمة الحلم كرد فعل للمؤثرات العقلية تتوقف على قدرته على تصريف الرغبات المـكبوتة حتى يزول المؤثر ويظل النوم متصلا . ونحن لا نستطيع أن نعرف بعد كيف يحدث هذا التصريف من الوجهة الديناميكية ، ولـكننا قد لاحظنا بلا شك أن الأحلام ليست مقلقة للنوم ( وهى التهمة التى تلصق بها دائماً ) وإنمـا هى حارسة عليه تخلصه من عوامل القلق والإزعاج . وقد يميل البعض إلى الظن بأننا لو لم نحـلم لنمنا نوماً أحسن ولـكنه بذلك يكون مخطئاً لأن الحقيقة أن الفضل فى القـدر الذى نمناه يرجع إلى الحلم وأننا لولاه لمـا نمنا على الأطلاق . وإذا كان الحلم لا يجد بداً من إزعاجنا قليلا فمثله فى ذلك كمثل الشرطى الذى لا يستطيع أن يتجنب إحداث جلبـة أثناء طرده من قد يعكر علينا هدوءنا أو يوقظنا من النوم .

٦ — من الصفات الرئيسية للأحلام أنها تنشأ عن رغبـة وأن محتوى الحلم يمثل هذه الرغبة . هذه واحدة والثانية أن الحلم لا يعبر عن فـكرة وحسب ، وإنمـا يمثل الرغبة كأنها تحققت . فمثلا فى الحلم الذى رأته الطفلة كانت الرغبة : « إنى أود أن أظل على ظهر المركب » أما محتوى الحلم فـكان : « لقـد رأيت نفسى على ظهر مركب يمخر عباب الماء » ومن هـذا ترون أنه حتى فى أحلام الطفولة هذه يوجد فرق بين المحتوى الظاهر والباطن للحلم . وأن هناك تحريفاً بسيطا إذ تحولت الفكرة فى المحتوى الباطن إلى تجربة حسية فى المحتوى الظاهر . وعلى هذا يجب علينا عند التفسير أن نعمل أولا على إعادة كل شىء إلى ما كان عليه .

٧ — تعتبر الأحلام توفيقاً بين قوتين : إحداهما تعمل على استغراقنا فى النوم والثانية تعمل على إيقاظنا منه لإشباع الرغبة المـكبوتة . فتكون النتيجة أننا ننام وفى نفس الوقت نشبع هذه الرغبة عن طريق الحلم .

٨ — جرى الناس على أن يطلقوا كلمة « أحلام اليقظة » على الخيالات التى يسبح فيها الإنسان وهو يقظان ليحقق بها آماله فى الطموح أو رغباته الجنسية . ولـكن أحلام اليقظة هذه تظل دائماً أفـكاراً وخيالات فقط ولا تتحول أبداً إلى تجارب حسية كما هو الحال فى الأحلام أى أنها تحتفظ بإحدى الصفات الرئيسية للأحـلام التى ذكرناها فى البند السادس ولا تحتفظ بالصفة الأخرى .

وهناك أيضاً أقوال مأثورة فى اللغة تشير إلى أن الحلم عبارة عن إشباع لرغبة . فـكلنا يعلم المثل القائل : « يحلم الخنزير بثمرة البلوط والأوزة بالذرة » . أو « بماذا يحلم الفروج ؟ بالحب »[1] . وهناك أيضاً جمل كثيرة تستخدم أثناء الحديث تشير إلى نفس المعنى كقولنا « جميل كالحلم » أو « ما كنت لأحلم بمثل هذا أبداً » .

(١) ونحن نقول فى أمثلتنا العامية : « الجعان يحلم بسوق العيش » المترجم

والآن تأملوا أى محصول غزير جمعناه فى غير صعوبة تذكر أثناء دراستنا لأحلام الطفولة ! فقد رأينا أن وظيفة الحلم هى المحافظة على النوم ، وأنه ينشأ عن قوتين متعارضتين تظل إحداهما ، وهى الرغبة فى النوم ، ثابتة ؛ بينما تعمل الأخرى على إشباع رغبة ملحة ، كما ثبت أيضاً أن الأحلام عبارة عن عمليات عقلية غنية بالمعانى ، وأن لهـا صفتين رئيسيتين هما إشباع الرغبات وتحويل الأفـكار إلى تجارب حسية ؛ وهذا كله فى الوقت الذى كدنا أن ننسى فيه أننا ندرس التحليل النفسانى .

نرى من هذا أن الأحلام لو كانت كلها من نوع أحلام الطفـولة لانحلت المشكلة ووصلنا إلى غايتنا فى غير ما حاجة إلى استجواب الحالم أو الرجوع إلى عقله الباطن أو استخدام طريقة الترابط المطلق . وعلى هذا فالمسألة التى علينا أن نبت فيها الآن هى معرفة ما إذا كانت الصفات التى تنطبق على أحـلام الطفولة تنطبق كذلك على بقيـة الأحلام وبالأخص تلك الأحلام التى تبدو غير واضحة المعنى والتى لانستطيع أن نرى فى محتواها الظاهر أية إشارة أو تلميح إلى رغبة ظلت بغير إشباع من اليوم السابق . هـذه الأحلام فى رأيى قد تعرضت إلى درجة عالية من التحريف وعلى هـذا أرى أن لا نتسرع بالحـكم عليها ، فأغلب الظن أننا سنحتاج فى التغلب على هذا التحريف إلى معونة التحليل النفسانى الذى استطعنا أن نستغنى عنه أثناء دراستنا لأحلام الطفولة .

ومع هذا فهناك على الأقل نوع آخر من الأحلام خال من التحريف كأحلام الطفولة ويعبر مثلها عن إشباع رغبته . وهذا النوع ينشأ عن الحاجات الطبيعية الملحة كالجوع والعطش وإشباع الرغبة الجنسية . فتحت يدى مثلا حلم لطفلة لها من العمر سنة وسبعة شهور يحتوى على قائمة بأصناف المأكولات وفى أعلاها اسم الطفلة . وقد جاء الحلم كرد فعل ليوم اضطرت فيه الطفلة إلى الصيام عن الطعام نظراً لسوء الهضم الذى ألم بمعدتها نتيجة لـكثرة الأكل من نوع من الفاكهة ظهر مرتين في الحلم . وقد أثبتت المشاهدات أن السجين الذى يترك بغير طعام ، أو المسافر الذى يعانى الجوع والحرمان يحلم دائما بإشباع رغباته . وقد جاء فى كتاب لأوتو نوردنسكولد Otto Notdenskjold عن العصبة التى أمضى معها فصل الشتاء ما يلى :

« كانت أحلامنا فى هذا الوقت تشير بوضوح إلى الاتجاه الذى كانت تتخذه أفـكارنا ، فلم يسبق لنـا قبل ذلك أن رأينا أحلاماً بهـذه الـكثرة والوضوح ، حتى إن الرفاق الذين كانوا لا يحلمون إلا نادراً أصبحت لديهم قصص طويلة يقصونها علينا فى الصباح عند ما كنا نتبادل رواية ما قمنا به من تجارب فى هذه الدنيا الواسعة من الأطياف . وقد كانت الأحلام كلها عن هذا العالم الخارجى الذى أصبح بعيداً عنا ، ولـكنها كانت غالباً ما تحوى تلميحات إلى الحالة التى كنا عليها ؛ فالأكل والشرب والسفر كانت فى أغلب الأحيان المحور الذى تدور حوله أحلامنا ... فكان بعضنا يحلم بالموائد الحافلة ، والبعض الآخر يحلم بالسفن رائحة وغادية وهكذا .. »

وإذا كان أحدكم قد أكل يوماً أكلة أظمأته أثناء الليل فما لا شك فيه أنه سيحلم بشرب الماء . ولـكن هذا الحلم بالطبع لن يخفف عنه حدة الظمأ ، وما يحدث فى هذه الحالة هو أنه يصحو من النوم ظمآن ويضطر إلى أن يشرب ماء حقيقياً . والخدمة التى يؤديها الحلم فى هذه الحالة ليست بذات قيمة من الوجهة العملية ، ولـكنها مع ذلك ترينا أن الغرض من الحلم كان حماية النوم من المؤثرات التى تدفعنا إلى اليقظة والعمل ، وقد تستطيع هذه الأحلام أن تؤدى الغرض منها إذا كانت الرغبة على درجة أقل من الحدة

وليس معنى هذا أن أحلام « إشباع الرغبة » التى هى من نوع أحلام الطفولة لا تنشأ عند البالغين إلا كرد فعل للحاجات الطبيعية الملحة التى ذكرتها سابقاً ، وإنما هناك أنواع أخرى كذلك من الأحلام ، قصيرة واضحة تنشأ عن حالة عقلية خاصة تكون مستولية على تفـكير الشخص . فمثلا هناك « أحلام الملل » ، وهى تنشأ عند ما يكون الشخص آخذاً فى الاستعداد للقيام بعمل هام كرحلة طويلة ، أو مشاهدة مسرحية ذات موضوع يستهويه ، أو زيارة صديق ، أوسماع محاضرة شيقة ... الخ . فمثل هذا الشخص ما تكاد عينه تغفو حتى تلم به الأحلام فتحقق له مقدماً ما كان يستعد لتحقيقه ، فإذا به يرى نفسه على ظهر الباخرة ، أو فى قاعة التمثيل ، أو يتحدث إلى صديقه الذى كان يأمل فى زيارته وهكذا.

وهناك أيضاً أحـلام من نوع آخر يطلق عليها « أحلام الراحة » ، وهى تنشأ عند ما يكون الشخص مستغرقاً فى النوم

لا يريد أن يصحو منه أبداً ، وفيها يرى الشخص نفسه كأنما هو يغسل وجهه ، أو يرتدى ملابسه ، أو فى طريقه إلى المدرسة ، ومعنى ذلك أنه يفضل أن يحلم أنه استيقظ من النوم على أن يستيقظ منه فعلا . وفى هذه الأحلام نرى أن الرغبة فى النوم ( وهى التى قلنا عنها إنها تدخل فى تكوين الأحلام ) ، تتمثل بوضوح وتبدو كأنها السبب الحقيقى فى تكوين الحلم . وهى فى هذا الاعتبار تدخل ضمن الحاجات الطبيعية الملحة التى ذكرناها سابقاً .

تذكرون أننى سبق أن قلت لكم إننا نجد فى جميع الأحلام فيما عدا أحلام الطفولة وما يشبهها ، عائقاً يعوقنا عن التفسير وهو التحريف . ونحن لا نستطيع أن نقرر من الآن إن كانت هذه الأحلام أيضاً إشباعاً لرغبات ، كما أننا لا نستطيع أن نخمن أى مؤثر عقلى دفعها إلى التكوين ، ولا أن نثبت إن كانت هى أيضاً تعمل كأحلام الطفولة على تصريف الرغبات . فالحقيقة أن هذه الأحلام يجب أن تفسر أولا ، أى تترجم ؟ ولذا يجب علينا أن نعكس عملية التحريف ، وأن نستبدل المحتوى الظاهر بالمحتوى الباطن ، وذلك قبل أن نقرر إن كانت الصفات التى اكتشفناها فى أحلام الطفولة تنطبق أيضاً على بقية الأحلام على اختلاف أنواعها

( يتبع ) **محمد جمال الدين حسن**

---

# طائفة المستعمرين
## فى شمال أفريقيا

للأستاذ عبد المجيد بن جلون

ما من شك فى أن فكرة الاستغلال الاقتصادى هى الأصل فى الاستعمار ، فقد نشأت نتيجة لتطور الاختراعات ووجود أزمة المواد الأولية فى دول قادرة على الصناعة الضخمة السريعة ، بينما توجد بلاد عاجزة عن الاستغلال وتتوفر لديها المواد الأولية بكثرة فى نفس الوقت . ثم استتبع ذلك حاجة الدولة المستغلة إلى إرسال أفراد إلى هذه البلاد ، لكى يشرفوا على العمل فى أرض عجز أهلها عن التنظيم والعمل ، طبقاً للنظريات الحديثة . وهكذا نشأت فكرة الاستيطان فى البلاد المستعمرة ، أى أنها كانت تستند إلى عامل زيادة الإنتاج وتغذية المصانع بأكبر كمية مستطاعة من تلك المواد الأولية .

وإذا نحن انتقلنا إلى الاستعمار الفرنسى فى شمال أفريقية وجدنا أنه تمدى هذه الحدود تعديا مخيفاً ، إذ اتخذ شكل هجرة كان للسياسة فيها دخل كبير ، وكان الأساس الظاهرى الذى تستند إليه هو أن المنتج الفرنسى أقدر من المنتج المحلى ، ولذلك برزت فكرة انتزاع الأراضى وتوزيعها على المستعمرين الفرنسيين لتحقيق هذه المصلحة العامة ... المصلحة العامة التى لا تدخل فى حسابها مصلحة الأهلين .

أما فى الحقيقة فإن فرنسا كانت تستند فى إرسال المستعمرين إلى شمال أفريقيا إلى بواعث سياسية منذ احتلت جيوشها الجزائر سنة ١٨٣٠ ، وقد كان شعار الكونت ديسلى المحارب « الفتح بالسيف والمحراث » . وقد ظلت هذه العبارة شعارا للاستعمار الفرنسى فى أفريقية الشمالية إلى اليوم .

وليست مشكلة الجنسية التى أثارتها فرنسا فى الجزائر ببعيدة عن سياسة نزع ملكية الأراضى ، لأنها كانت تعمل على تفتيت القومية الجزائرية بإدخال عنصر جديد إلى البلاد عامل ونشيط ، وإذا لم يكن من المستطاع أن تكون فيها أغلبية عددية فإنها كانت تفكر فى إنشاء أقلية أكثر أهمية من الأغلبية العددية ، وذلك بما يتوفر لديها من نشاط وقدرة وتفوق . ولذلك نجد أن فرنسا كانت تمنح جنسيتها للمواطنين بشروط معينة ، ثم نجدها بعد ذلك قد منحت هذه الجنسية لليهود الجزائريين جملة واحدة بمقتضى قانون ٢٤ أكتوبر سنة ١٨٧٠ .

ولا محيد لنا عن الإشارة إلى نشأة الاستعمار الفرنسى فى الجزائر إذا نحن أردنا نفهم هذا الموضوع ، لأنه امتد منها إلى تونس ثم إلى مراكش . وجدت فرنسا الأراضى الجزائرية من أملاك الدولة طبقاً للنظام العثمانى ، فأبقت على ذلك النظام لكى تستعين به على منح ما تشاء منها لمن تشاء . واستولت فى الحال على أراضى الأتراك وأراضى المحاربين ، وكانت تمنح هذه الأراضى إلى الفرنسيين وتعترف لهم بملكيتها ، بينما ظلت الأرض التى

يقيم فيها المواطنون غير معترف بملكيتهم لها . وقد امتد هـذا الأمر إلى سنة ١٨٦٣ ، حينما اعترف لهم نابليون الثالث بهـذه الملكية .

وخرجت فكرة المحراث من حيز التفكير إلى حيز الوجود وبدأ الفرنسيون يدفعون بالجزائريين إلى الجنوب ليستولوا على الأراضى الخصبة فى الشمال . لكنهم وجدوا أنفسهم أمام مشكلة جديدة هى : من أين لهم أن يوجدوا طائفة المستعمرين وبلادهم عاجزة عن المستعمرين من أبنائها ؟

حصل بعد الثورة الفرنسية فى سنة ١٨٤٨ — وهى السنة التى صدر فيها قرار باعتبار أراضى الجزائر أراضى فرنسية — أن عمت البطالة بين الطبقة العاملة فى باريس ، إلى درجة فادحة ، فقرر المجلس الوطنى الفرنسى إرسال العمال إلى الجزائر لاستعمار الأراضى ، ليخفف بذلك من حدة البطالة ، ويحقق الهـدف الاستعمارى فى تلك البلاد . وكانت الحكومة تنقل العمال مجاناً إليها فإذا وصل العامل إلى هناك منحته عشرة هكتارات من أجود الأراضى الزراعية .

بيد أنه لم يكن من اليسير أن يصبح عامل المصنع فلاحا . لقد توافد هؤلاء المستعمرون إلى أرض الجزائر أفواجا أفواجا ولكن بدلا من أن يبرهنوا على تفوقهم فى الانتاج أفسدوا الأرض وعجزوا عن استغلالها ، وما هى إلا بضع سنوات حتى بدأوا يرجعون إلى فرنسا من جـديد وكان عـدد الذين رجعوا أكثر من النصف .

وهكذا عجزت فرنسا عن أن تمد الجزائر بالفلاحين من أبنائها ، ولكنها لم تستطع بالرغم من ذلك أن تتنازل عن فكرة إيجاد أقلية تفتت القومية التى قد تحدث لها مشاكل فى المستقبل تعجز عن مقاومتها ، ولذلك عمدت إلى اتخاذ إجراء خطير ، هو تشجيع الأجانب من اسبانيا وإيطـاليا وكورسيكا على الهجرة إلى تلك البلاد والقيام بالدور الذى عجز أبناؤها عن القيام به . وفعلا توافد عليها خليط غريب من أجناس مختلفة ، منحتهم فرنسا جنسيتها مقرونة بامتيازات عديدة ، ووزعت عليهم الأرض ، ومن هؤلاء تناسلت الكثرة الغالبة من طائفة المستعمرين ، الذين يدعون أنفسهم بالفرنسيين الجزائريين ، وازداد خطرهم استفحالا مع مرور السنين .

ولقد كانت الإدارة المحلية دائما أشد تطرفاً من حكومة باريس فى تشجيع طائفة المستعمرين هذه منذ نشأتها ، حتى إن التشريعات التى أصدرها نابليون الثالث لإنصاف عرب الجزائر قبرت فى الإدارة المحلية بتأثيرهم ، وقد ظلت الإدارة تراوغ فى تنفيذها إلى أن قامت الجمهورية الثالثة وتنوسى أمر تلك التشريعات نهائيـا .

ثم بعد ذلك مدت فرنسا حمايتها على تونس سنة ١٨٨١ ثم تقدم الزمن واستطاعت أن تمدها على مراكش أيضاً سنة ١٩١٢ فكان شعار الفرنسيين فيهما أيضاً هو « الفتح بالمحراث والسيف » وجاء المستعمرون الفرنسيون فى إثر الجيش وبدأت نفس الإجراءات القديمة تتخذ فى أفريقية الشمالية كلها ، على الرغم من التباين الموجود فى علاقة شعوبها بفرنسا ، ولم تمر إلا مدة قصيرة حتى كان خطر هذه الطائفة يهدد مراكش نفسها التى لم يمر اليوم على تبعيتها لفرنسا سوى خمسة وثلاثين عاما .

وتعمل تلك الطائفة اليوم فى تونس ومراكش على أن تنال كراسى فى البرلمان الفرنسى لكى يزيد تأثيرها فى السياسة الفرنسية وتمهـد لاعتبار أراضيهما أراضى فرنسية ، ولـكنها اصطدمت بالقومية فيهما ، وقد كاد يتم تأسيس دائرة انتخابية للفرنسيين فيهما لولا احتجاج جلالة ملك مراكش وسمو باى تونس على ذلك ، ولولا أن الوضعية السياسية فى البلدين تمنع من تأسيس مثل هذه الدائرة ، ولـكن هذا لم يفت فى عضد المستعمرين ، إذ ما يزالون يسعون فى نشاط للوصول إلى غايتهم متحينين الفرص وعاملين على خلقها .

وهم يتخذون مختلف الوسائل المشروعة وغير المشروعة للتأثير على العسكريين والموظفين ، سواء فى هذه البلاد أو فى فرنسا . وعلى ذلك فإننا نستطيع أن نقول إن وجود هـذه الطائفة خطر شديد على الحياة الاقتصادية ، إذ يستطيع أفرادها بما لهم من نشاط وقدرة وأساليب خاصة ، أن يهدموا القواعد التى تسير عليها الدولة حتى إن كبار الموظفين الفرنسيين يصطدمون بهم ، وقد حدث كثيراً أن اصطدم بهم ممثل فرنسا نفسه .

وتمتاز طائفة المستعمرين بالجشع الذى لا نهاية له ، والأنانية التى تستهين بكل شىء فى سبيل تحقيق المآرب الشخصية ، كما يمتاز أفرادها بالتعصب والتطرف وسرعة التأثر ، وبالعمل الدائب المستمر على الوقوف فى وجه الأهالى حتى لا يكسبوا أى حق من الحقوق لأنهم يعتقدون أن فى ذلك ما يمس مصالحهم ، وهم

الأدب في سير أعلامه :

# ١٢ - تولستوى

[ قمة من القمم الشوامخ فى أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه ]

للأستاذ محمود الخفيف

## في القوقاز

كان أكثر ما يجد من الأنس فى صحبة صديقه سادو وفى صحبة رجل آخر هو إيبشكا القوزاقى صاحب الكوخ الذى كان يقيم به ، وذلك الذى برع فى الصيد براعة عظيمة أو الذى برع فى الحديث عن مقدرته ومهارته فيه ، وعن أيام شبابه الأولى وكيف كان الغوانى يأخذن عليه كل سبيل ويفتتن به كل الافتتان ، ولقد جمل منه ليو صورة إروشكا فى قصته « القوزاق » فبلغ فى ذلك غاية الإبداع .

وكان الصيد من أحب ما يلهو به فى ساعات فراغه ، وقد كانت الأرض غنية بطلبته من الأرانب البرية والثعالب ، وكان يصحبه إيبشكا إلى قرى وأماكن بعيدة فى الجبال حيث كانت تحيط بهما المخاطر فى كثير من الحالات ...

وليته جعل للصيد كل فراغه ، فلقد عاد إلى الميسر منذ سنة على الرغم من مغالبته نفسه ابتغاء الإقلاع عنه ، وما استطاع أن يكف عنه إلا ستة أشهر بعد أن وقع فى الشرك ولم يمض عليه فى القوقاز أسبوعان ؛ وما إن عاد إلى التفرج على إخوانه الضباط وهم يلعبون حتى غلبه حب اللعب فأقبل عليه إقبال النهم الذى حيل بينه زمناً وبين الطعام ، ففى كتاب منه إلى عمته تاتيانا فى شهر يناير سنة ١٨٥٢ أخذ يقص عليها كيف عاد إلى الميسر وكيف لحقته الخسائر من كل فج ! وظل هذا شأنه طول تلك السنة والتى تلتها حتى عاوده ندمه وضيقه .

أما عن جانب الجد من حياته فى القوقاز ، فإنه فى الجيش قد أبدى من البسالة فى مواطن كثيرة ما استحق به صليب سان جورج للبطولة ، ولكنه لم يحزه فعلا نظراً لعجزه عن تقديم شهادات وأوراق خاصة كان لا بد أن يقدمها من يحظى بهذا الإنعام ...

وكان كما سلفت الإشارة إليه قد أخذ يكتب منذ سنة ١٨٥١ وفى شهر يوليو سنة ١٨٥٢ أتم كتابه « عهد الطفولة » با كورة

---

لا يضمرون عطفاً للارض التى يعيشون بفضلها ولا للدولة الفرنسية التى تحميهم ، كما أنهم على استعداد لمناصرة أى نظام يستطيعون فى ظله أن يشبعوا نهمهم ، ولو قام ذلك النظام على أنقاض النظام الفرنسى الحالى . وربما بلغ بهم الأمر حد التآمر على المثل الفرنسى لأنه لم يحقق لهم مأربا ، بل يبلغ بهم الأمر أن يحتجوا فى جرأة ووقاحة إذا مانال المواطنون حقاً من الحقوق البسيطة . إنهم ليسوا من صميم الفرنسيين ، ولكن فرنسا هى التى تتحمل مسؤولية ما يقومون به من أعمال لاستعباد الأهلين الفلاحين فى هذه البلاد ، واستغلال جهودهم وامتصاص دمائهم وكل المساوىء التى تتمثل فيهم . فرنسا مسؤولة عن أعمالهم لأنها هى التى عملت على أن تكون حياتها فى أفريقية الشمالية معتمدة على هذه الطائفة الخطيرة وهى التى أنشأتها وساعدت على تمكينها من أجود الأراضى الزراعية ومن مقاليد الحياة الاقتصادية عموما .

وسوف تستمر الفوضى فى أفريقية الشمالية ما دامت هذه الطائفة موجودة فيها على هذا النحو الخطير ، لسبب بسيط هو أنها تستمد حياتها من هذه الفوضى ، فهى لا تصطاد إلا فى الماء العكر ، ومن مصلحتها أن لا يصل الوطنيون إلى أى اتفاق مع الحكومة الفرنسية ، ولذلك فإن أول خطوة كان يجب أن تتخذها فرنسا هى أن تحد من نشاطها وتضرب على يدها وتكافح هؤلاء الناس الذين لا يستوحون فى حياتهم سوى ملء الجيوب والبطون . أما تفتيت القومية فى تلك البلاد فلعل هذه السنين الطويلة الحافلة بالمآسى كافية لكى تفهم الفرنسيين أنهم يحاولون المستحيل ، فقد برهن العربى فى أفريقية الشمالية على أنه غير قابل لأن يفنى مهما كانت القوة التى تحاول أن تقضى عليه ، وربما عجز الخيال عن تصوير النتائج الخطيرة التى يمكن أن تنجم عن استمرار هذه الطائفة فى التقوى والاستعلاء .

عبد المجيد بن جلون

فنه وخطوته الأولى صوب المجد وذهاب الصيت وأرسلها بإمضاء ل . ن . إلى مجلة شهيرة كانت تسمى « المعاصر » وكان يصدرها رجلان من أعلام الأدب وقتئذ وهما نكراسوف وبانييف ...

وظل ليو شهرين ينتظر رداً من المجلة وهو يسلم نفسه إلى الأمل الحلو تارة وإلى اليأس المرير تارة حتى جاءه كتاب من نكراسوف ينبئه فيه بقبول القصة للنشر ، ولكن على ألا يدفع لصاحبها أجراً حسب ما تعارف عليه أصحاب المجلات الأدبية يومئذ إذ كانوا لا يدفعون أجراً لكاتب غير معروف على أول شيء يقبل منه للنشر ...

وفرح تولستوى فرحا عظيما بالنشر فى ذاته فهذه أمنيته ، أما الأجر فما خطر بباله قط ؛ وازداد فرحا إذ جاءه كتاب ثان من نكراسوف يقول فيه إنه ازداد رضاء عن القصة وهو يصححها للطبع وأنه يعتقد أن مؤلفها ممن وهبوا المقدرة ، وإنه لأمر ذو أهمية أن يعلم المؤلف ذلك فى بداية عهده بالكتابة ...

ونشرت القصة فى عدد أكتوبر فسرعان ما حظيت بثناء أهل الفن جميعا وفى مقدمتهم ترجنيف ذلك الذى كان اسمه من أشهر الأسماء يومئذ فى فن القصة ، ومنهم دستويفيسكى وكان فى منفاه بسيبريا فكتب إلى أحد أصدقائه يسأله من يكون ل . ن . هذا صاحب تلك القصة ...

ولم يكن بالأمر الهين أن يلتفت ترجنيف ودستويفسكى إلى هذا الكتاب فقد خلف هذان الكاتبان جوجول فى زعامة القصة واغتدى اسماهما أرفع الأسماء فى الجيل الذى أعقب جيل جوجول ...

وطابت نفس الفتى ليو نيقولا تولستوى وابتهج فؤاده بهذا النجاح ، وإن كان ضايقه من الناشر أنه غير عنوان الكتاب فجعله « تاريخ عهد طفولتى » بدلا من عنوانه الأصلى « عهد الطفولة » وذلك أن الكاتب كما ذكر فى أكثر من موضع لم يقصد بكتابه أن يكون ترجمة منه لنفسه ... وكذلك ضايقه أن الرقيب تناول بالحذف أو التغيير بعض عبارات الكتاب .

أخذت تتفتح الأكمام فى هذا الكتاب عن عبقرية الكاتب الناشئ الذى لم يتجاوز الرابعة والعشرين من عمره ، وبدأت تنجلى خصائص فنه وتتضح مواهبه وفى مقدمة تلك المواهب إحساسه المرهف وقلبه الشاعر وذكاؤه الحاد وبصيرته النافذة إلى أعماق الأشياء المحيطة بتفاصيلها ودقائقها وروحه الدائبة المتوثبة التى لا تعرف سأماً وحيويته الفكرية التى لا تقل عن حيويته البدنية .

أما فنه فكان قوامه الأصالة والصدق والسمو وتجنب ما لا عائدة منه فى التعبير والتصوير ، وكان يجمع فيه بين عاطفة الفنان ومهارة الصانع وتفطنه إلى كنه ما فى يده ؛ وكان يقبل على الكتابة فى تحمس شديد وإخلاص بالغ ، ثم يطيل النظر فيما يكتب فيمحو ويثبت ويحذف ويضيف حتى يستقر على وضع ترتاح نفسه إليه ويقرأ ما يكتبه على من يدخل عليه يتبين أثره فى نفسه ، كما كان ينفعل انفعالا شديداً إذ يتلو لنفسه ما كتب فتدمع عيناه ويهتز بدنه وترتعش يداه ، ثم يشيع السرور فى كيانه وتستقر الطمأنينة فى وجدانه .

كتب فى مذكراته فى هذه السن المبكرة يقول فى أوائل سنة ١٨٥١ « إن الخيال هو مرآة الطبيعة ، مرآة نحملها فى أنفسنا وفى هذه المرآة تصور الطبيعة ، وأجل الخيال هو أصفى المرايا وأصدقها وتلك هى التى نسميها العبقرية ... إن العبقرية لا تخلق وإنما هى تعكس ما ترى » وقال فى موضع آخر « إن الكتابة الأدبية ينبغى أن تكون أغنية منبعثة من صميم نفس الكاتب » .

لم يكن كتابه « عهد الطفولة » ترجمة لحياته ، ولم يكن كذلك عملا خيالياً بحتاً ، وإنما كان وسطاً بين هذا وذاك ، ولعله كان إلى وصف حياته وبيئته الأولى أقرب . قالت زوجته فيما بعد « كانت كل الصور فيه مشتقة من أعضاء أسرته ، وكان الإسكندر إسلنيف هو صورة جدى لأمى » .

ولم يعن تولستوى فى كتابه هذا بالحوادث فى ذاتها فليس فيه إلا الحياة العادية التى يحياها الناس كل يوم ، وإنما عنى بإبراز المشاعر والأحاسيس التى تثيرها الحوادث فيما صور من الأشخاص فكان عمله أقرب إلى التحليل النفسى الذى سوف تمتاز به القصة الروسية عما قريب بوجه عام وفى فن دستويفسكى بوجه خاص .

ولقد وفق تولستوى توفيقاً كبيراً فى تصوير الخلجات النفسية فى كتابه هذا حتى ما يظن قارئه (إن لم يكن يعرف) أنه

عمل مبتدىء، هـذا إلى دقة اللمسة الفنية والبراعة فى عرض الصور مع وضوحها وخلق المناسبات، واختيار ما يحتاج إليه السياق فى غير استطراد ممل أو على حـد تعبيره « استبعاد كل ما لا ضرورة له وكل ما هو سطحى أو ضعيف ».

وللـكتاب أهمية من ناحية أخرى إذ هو يرينا تأثره إلى حد ما بروسو وستندال ودكنز وبخاصة فى قصة دافيد كوبر فيلد التى هى فى الواقع حياة دكنز فى بيئته الأولى مقنعة كما شاء القصصى العظيم، وكانت هذه القصة كما ذكرنا تنشر تباعاً يومئذ مترجمة إلى الروسية فى مجلة المعاصر ...

وحفزه نجاحه فى كتابه الأول إلى أن يكتب « عهد اليفاعة » فأقبل على ذلك فى نشاط وأمل وغبطة؛ وكان أثناء كتابته « عهد الطفولة » قد كتب بعض الأقاصيص عن حياته فى الجندية ومنها « قطع الغابة » و « الغارة »، وقد أرسل هذه الأخيرة إلى مجلة « المعاصر » فنشرتها وقد اطمأنت إلى القصصى الشاب؛ ولـكن الرقيب شوه بعض أجزاء هذه الأقصوصة حتى لقد اشتكى مؤلفها قائلا « لقد قضى عليها الرقيب، فقد محا كل ما كان حسناً فيها أو بدله ».

وأقبل القصصى الشاب على مذكرته يثبت فيها ما يعتزم كتابته من قصص؛ وكلما طرأ على خاطره موضوع يصلح لقصة عجل بإثباته ودون ما يعن له من ملاحظات ليعود إليها فى حينها، وكلما أعجبته حادثة أو شخصية ممن يحيطون به كتبها مخافة أن ينساها ليجدها فيما بعد حين يأخذ فى بناء قصصه وهكذا بث نجاحه الأول فى نفسه كثيراً من الأمل والنشوة ...

***

أخذ يزداد سأم الفتى من القوقاز ومن حياة الجندية يوماً بعد يوم، منذ أن ذهبت عن تلك الحياة جدتها؛ واشتد ضيقه فى شهر أكتوبر سـنة ١٨٥٢ حتى إنه ليكتب فى يومياته إنه يعد سنى نفيه من ذلك التاريخ، ويقول فيما يُشعر بالأسى إنه لن يستطيع أن يعتزل خـدمة الجيش إلا سنة ١٨٥٥ « وعندئذ أكون فى السابعة والعشرين من عمرى، وما أكثر ما أكون من الـكبر فى هذه السن! ... ثلاث سنوات أخرى فى خدمة الجيش منذ اليوم؟ إن على أن أقضيها فيما يجدى ».

وفى مستهل سنة ١٨٥٣ يقول « يا للناس من أغبياء! إنهم جميعاً وبخاصة أخى لا يدعون الخمر، وهذا شىء أراه كريها ... إن الحرب أمر باطل ... هى شر لا ريب حتى إن الذين يخوضون غمارها ليحاولون تلقاءها أن يخنقوا ضمائرهم. أحق ما أنا فاعل؟ أرشدنى يا إلهى واغفر لى إن كنت أعمل باطلا » ...

والحق إنه لولا ما كان يصادفه فى القوقاز مما يكون مادة طريفة لفنه من الناس والحوادث والمناظر، ما استطاع صبراً على العيش هناك، ولا أطاق حياة الجنـدية وما فيها من خشونة وما كانت تبعثه فى نفس كنفسه من سأم وضيق بأيامها المتكررة المتشابهة ...

وبدأ يشـكو أسقاماً فى معدته وأمعائه وكان مرد ذلك إلى ما اعتاده من إسراف فى الطعام، فقـد كان من مرذول عاداته نهمه فى تناول أنواع من الأطعمة كان يحبها كالفطائر والمثلجات وأصناف الحلوى، وكان لا يستطيع أن يصد نفسه عنها إذا تهيأت له، أو يفطمها إذا غابت عنه، وإنمـا كان يسعى إليها سعياً حتى يظفر منها بأوفر نصيب وإن مسه الضر؛ وكان لا يكترث لنصح أو يشفق من أذى اتكالا على ما يحس من قوة بنيته وشـدة حيوانيته، ورغبة منه فى تعويض ما يبذله من طاقة فى تلبية نداء جسده ... ؛ ولـكن ذلك النهم قد أضر بمعدته ضرراً أخذ يزداد منذ كان فى القوقاز وسوف يتمكن منها حتى ليستعصى على العلاج حين يتقدم به العمر ...

وكذلك أخذ يشكو من الروماتزم والحمى والرعاف والتهاب الحلق فى كثير من الأحيان، ونجده يكتب إلى عمته تاتيانا ذات مرة يقول لها « لا تظنى أننى أخفى عنك شيئا ... إنى وإن كنت متين البنية أعانى دائمـا ضعف الصحة ».

وفى شهر مارس سنة ١٨٥٣ يكتب فى يومياته قائلا « إن الخدمة فى القوقاز لم تجر على إلا المصاعب والـكسل ومعرفة غير الأخيار ... إنه ينبغى أن أخلص منها أسرع ما أستطيع ... لقد فقدت ما كان معى من المـال جميعاً، ولا زلت مديناً بثمانين من الروبلات لأوجولين وستة ليانوفتش وخمسين لسكوفنين وثمـان وسبعين لقنسطنطينوف؛ وتبلغ جميعاً أربع عشرة ومائتين، وقد أنفقت فضـلا عنها ثلاثين ومائتين كانت كل ما أملك ... إن ذلك لسىء ».

(يتبع)

الخفيف

# الْكيا الهراس

للأستاذ برهان الدين محمد الداغستاني

٤٥٠ – ٥٠٤ هـ

**اسمه ونسبته :**

هو عماد الدين شمس الإسلام أبو الحسن على بن محمد بن على الطبرى المعروف بالكيا الهراس ، والكيابهمزة مكسورة بعدها لام ساكنة ثم كاف مكسورة بعدها ياء مثناة من تحت كلمة أعجمية معناها : الكبير القدر المقدم بين الناس [١] . والهراس بتشديد الراء لا تعلم نسبته لأى شىء [٢] .

**مولده ونشأته الأولى فى طبرستان :**

ولد الكيا فى طبرستان خامس ذى القعدة سنة خمسين وأربعمائة من الهجرة ونشأ فيها نشأته الأولى حتى بلغ الثامنة عشرة . ويقول مترجموه إنه تفقه فى بلده قبل الخروج إلى نيسابور . وليس فيما لدينا من المراجع ما يكشف عن حاله فى بلدته مدة ثمانى عشرة سنة التى قضاها فيها سوى هـذه النبذة القصيرة ولا تذكر شيئاً بعد ذلك عن أبيه وعائلته وبيئته كما أنها لا تذكر شيئاً عن شيخه أو شيوخه الذين تفقه عليهم ، وعلى كل حال فدراسته الفقهية التى تلقاها فى بلدته قد أعدته وهيأته لتلقى دروس شيخ الشافعية فى عصره إمام الحرمين الجوينى فى نيسابور والاستفادة منها بل جملته فى مقدمة تلامذته ومعيدى درسه . ونستطيع أن نفهم من هـذا أن دراسته الأولى كانت فى مستوى علمى متوسط – على الأقل – إن لم نقل فى مستوى عال وإلا لما تهيأ له أن يستفيد من دروس إمام الحرمين من يوم وصوله إلى نيسابور .

(١) هذا تفسير ابن خلكان فى وفيات الأعيان ( ١ : ٤٦٥ ) وأما غيره ممن تعرض لشرح هذه الكلمة فقد اقتصر على أن معناها : الكبير فى لغة الفرس ويقول ابن خلكان : ولا أعلم لأى شىء قيل له : الكيا .

(٢) طبقات الشافعية لابن شهبة ورقة ٣٠ مخطوط وشذرات الذهب لابن العماد ( ٤ : ٨ ) طبع القدسي – القاهرة .

**فى نيسابور :**

لا بد أن الكيا – وهو يطلب العلم فى بلده – بلغته شهرة إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى رئيس الشافعية فى عصره وتطلعت نفسه المتعطشة إلى العلم إلى لقيا هذا الإمام الجليل والأخذ عنه فارتحل وهو فى الثامنة عشرة إلى نيسابور.

يقول ابن عساكر فى تبيين كذب المفترى [١] : « ورد نيسابور فى شبابه وكان قد تفقه فحصل طريقة إمام الحرمين وتخرج به فيها وصار من وجوه الأصحاب ورؤوس المعيدين فى الدرس ، وكان يعيد الدرس على جماعة حتى تخرجوا به ، وكان مواظباً على الإفادة والاستفادة . ونقل السبكى فى طبقات الشافعية الكبرى [٢] عن الكيا نفسه قوله : كانت فى مدرسة سرهنك [٣] بنيسابور قناة لها سبعون درجة وكنت إذا حفظت الدرس أنزل القناة وأعيد الدرس فى كل درجة فى الصعود والنزول وقال : وكذا كنت أفعل فى كل درس حفظته ثم يقول السبكى : وفى بعض الكتب أنه كان يكرر الدرس على كل مرقاة من مراقى درجة المدرسة النظامية بنيسابور سبع مرات وأن المراقى كانت سبعين مرقاة .

وهذا الذى نقلناه يدلنا على أن الكيا فى نيسابور كان طالباً مجداً بكل ما تحتمله كلمة مجد من معنى ، وأنه ظل على جده واجتهاده فى طلب العلم حتى أصبح من كبار تلامذة إمام الحرمين وحتى إنه كان يقوم بإعادة دروس شيخه على كثير من زملائه الطلبة حتى

(١) ص٢٨٨ طبع القدسى دمشق وهذه النبذة عن الكيا نقلها ابن عساكر فى تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الامام أبى الحسن الإشعرى عن الشيخ أبى الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسى مؤلف تاريخ نيسابور كما نقلها عنه أيضاً ابن خلكان فى الوفيات والسبكى فى طبقات الشافعية .

(٢) ٤ : ٢٨١ طبع القاهرة .

(٣) مدرسة سرهنك هذه هى النظامية التى بناها نظام الملك أبو على الحسن بن على بن إسحاق الوزير الفارسي الكبير المولود سنة ثمان وأربعمائة والمقتول فى عاشر رمضان سنة خمس وثمانين وأربعمائة . بقى نظام الملك وزيراً ثلاثين سنة وزر لألب ارسلان السلجوقى حتى قتل سنة ٤٦٥ ثم لابنه ملكشاه إلى أن قتل هو فى عاشر رمضان سنة ٤٨٥ واشتهر نظام الملك بأنه أول من بنى المدارس فى الاسلام فقد بنى النظامية فى نيسابور لامام الحرمين ثم نظامية بغداد سنة سبع وخمسين واربعمائة وتمت فى ذى القعدة سنة تسع وخمسين واربعمائة تولى بناءها أبو سعيد الصوفى وبلغت نفقاتها ستين ألفاً من الدنانير . تولى التدريس فيها الشيخ أبونصر بن الصباغ الشافعى المتوفى سنة ٤٧٧ ثم الشيخ أبو إسحق الشيرازى المتوفى سنة ٤٧٦ ثم الشيخ =

تخرجوا عليه ، وعلى هذا النحو بقى فى نيسابور إلى أن توفى شيخه الجوينى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فارتحل عنها إلى بيهق .

**فى بيهق :**

خرج إلـكيا من نيسابور إلى بيهق وقد استكمل علماً فقد علمنا أنه كان من كبار تلامذة إمام الحرمين وأنه حصل طريقته فى إلقائه الدروس والبحث العلمى؛ ونرى أن الوقت كان ملائماً كل الملاءمة لهذا الطارق على بيهق ليظهر علمه ونبوغه . ولا شك أنه فعل ذلك حتى عظم قدره عند ولاة الأمور هناك . ولـكن المصادر التى بأيدينا لا تتكلم عن هذه الفترة من حياته من سنة ٤٧٨ التى مات فيها إمام الحرمين إلى ٤٩٢ التى دخل فيها بغداد إلا قليلا ، فابن خلـكان يقول : ثم خرج من نيسابور إلى بيهق ودرس بها مدة ثم خرج إلى العراق . وأكثرها يهمل هذه المدة الطويلة من حياته فلا يذكرها بخير أو بشر ، إلا أن ابن خلـكان كشف عن هذا الغموض قليلا حين نقل عن عبد الغافر الفارسى صاحب تاريخ نيسابور قوله : « ثم اتصل بخدمة مجد الملك بركيارق[1] ابن ملـكشاه السلجوق وحظى عنده بالمال والجاه وارتفع شأنه وتولى القضاء بتلك الدولة » .

وفى حوادث سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة من الـكامل لابن الأثير[2] ما يأتى : فى هذه السنة فى شعبان وصل إلـكيا أبو الحسن على بن محمد الطبرى المعروف بالهراس الفقيه الشافعى ولقبه عماد الدين شمس الإسلام ، برسالة من السلطان بركيارق إلى الخليفة الخ[3] .

ومن هذا نرى أن الـكيا قد عظم شأنه وأنه بعد أن درس مدة فى بيهق اختير قاضياً فى سلطنة بركيارق السلجوق وعظمت صلته بالسلطان وثقة السلطان به حتى اختاره للسفارة بينه وبين الخليفة فى بغداد .

**فى بغداد :**

قلنا إن الـكيا وصل بغداد فى شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة يحمل رسالة إلى الخليفة . ويقول ابن الأثير : واعتنى بأمره مجد الملك البلاسانى وقام له الوزير عميد الدولة ابن جهير لما دخل عليه[1] ثم لا نعلم شيئاً عن حياته فى بغداد إلى ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة لما ولى التدريس بالمدرسة النظامية فى بغداد يقول ابن شهبة فى طبقات الشافعية : وتولى النظامية فى ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة واستمر بها عظيم الجاه رفيع المحل يتخرج عليه الطلبة إلى أن توفى فى المحرم سنة أربع وخمسمائة .

**شيوخه وتلامذته :**

لا نعلم شيئاً عن شيوخ الـكيا الهراس إلا أنه تفقه فى نيسابور على إمام الحرمين وأخذ عنه طريقته فى الفقه والأصول والخلاف وأنه لازمه حتى مات ، ويذكر السبكى فى الطبقات أن الـكيا حدث عن إمام الحرمين وأبى على الحسن بن محمد الصفار وغيرهما ولـكنه لم يذكر غيرهما من شيوخه كما أن كل من رجعت إليهم من المؤرخين لم يذكروا من شيوخه إلا إمام الحرمين وأبا على الحسن بن محمد الصفار، وعلى الرغم من أنه تولى التدريس زمناً طويلا فى بيهق كما تقدم لا تذكر كتب التراجم أحداً ممن تلقى العلم عنه فى بيهق وإنما تقتصر على بعض من تلقى عنه فى نظامية بغداد مثل الحافظ الـكبير السلفى ، والمحدث الرحالة سعد الخير بن محمد الأنصارى الأندلسى البلنسى ، وأبى إسحق إبراهيم بن عثمان الغزى الشاعر المشهور .

ومهما يكن من شىء فإن الـكيا الهراس — وقد قضى أكثر عمره فى الاستفادة والإفادة — لا شك أنه خدم العلوم الإسلامية وخاصة الفقه والأصول خدمة جليلة حتى دعى شيخ الشافعية فى بغداد وتطلعت إليه العيون من كل صوب ولا شك أن الـكثير

---

= أبو سعد عبد الرحمن بن المأمون المتوفى سنة ٤٧٨ وابو القاسم الدبوسي والغزالى وابو بكر الشاشي والـكيا الهراس هذا وغيرهم من جلة العلماء فى كل عصر ومدارس أخرى فى اصبهان وهرات وكلها تدعى النظامية . على أن بناء المدارس كان معروفاً فى الاسلام قبل نظام الملك فقد كانت فى نيسابور مدرسة ابن فورك المتوفى سنة ٤٠٦ والمدرسة البيهقية نسبة إلى البيهقي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ .

(١) بركيارق بن ملـكشاه بن الب ارسلان السلجوقى مولده سنة أربع وسبعين وأربعمائة وتوفى سنة ثمان وتسعين وأربعمائة وأقام فى السلطنة اثنتى عشرة سنة وا شهراً .

(٢) ج ١٠ : ١٨

(٣) كان الخليفة فى هذه المدة هو المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدى بامر الله المتوفى سادس عشر ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وخمسمائة من الهجرة .

(١) كان ابن جهير هذا عظيم الـكبر يعد كلامه عداً وكان إذا كلم إنساناً كلمات يسيرة هنىء ذلك الرجل فلا عجب إذا اعتنى ابن الأثير وذكر قيامه لالـكيا لما دخل عليه .

من فقهاء الشافعية فى أواخر القرن الخامس وأوائل السادس تخرج عليه واستفاد منه وخصوصاً أيام توليه التدريس فى نظامية بغداد من ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة إلى وفاته سنة أربع وخمسمائة من الهجرة .

**الثناء عليه :**

يقول الشيخ محمد الأنصارى الهنسى فى الكافى[1] : أنه تفقه ببلده وقصد إمام الحرمين بنيسابور فلازمه حتى برع فى الفقه والأصول وكان هو والغزالى والخوافى[2] أكبر تلامذته ومعيدى درسه . وكان إماماً نظاراً ، قوى البحث ، دقيق الفكر ذكياً فصيحاً جهورى الصوت . وقال أبو طاهر السلفى : سمعت الفقهاء ببغداد يقولون : كان أبو المعالى الجوينى يقول فى تلامذته إذا ناظروا : التحقيق للخوافى ، والجريان للغزالى ، والبيان لإلكيا .

وصفه السبكى فى الطبقات : بأنه أحد فحول العلماء ورؤوس الأئمة فقهاً وأصولا وجدلا وحفظاً لمتون أحاديث الأحكام . وكان ثانى الغزالى بل أملح وأطيب فى النظر والصوت ، وأبين فى العبارة والتقرير منه ؛ وإن كان الغزالى أحدوأصوب خاطراً وأسرع بياناً وعبارة منه . وكان يحفظ الحديث ويناظر فيه وهو القائل : إذا جالت فرسان الأحاديث فى ميادين الكفاح ، طارت رؤوس المقاييس فى مهاب الرياح .

وقال فيه ابن شهبة فى طبقات الشافعية : إنه كان إماماً نظاراً قوى البحث دقيق الفكر ذكيا فصيحاً جهورى الصوت حسن الوجه جداً ، قدم بغداد وتولى النظامية فى ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة واستمر مدرساً بها عظيم الجاه رفيع المحل يتخرج عليه الطلبة إلى أن توفى . وقال ابن خلكان : وكان حسن الوجه جهورى الصوت فصيح العبارة حلو الكلام . ويقول ابن عساكر فى تبيين كذب المفترى : كتب إلى الشيخ أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل قال : إنه ورد نيسابور فى شبابه وقد تفقه وكان حسن الوجه مطابق الصوت للنظر ، مليح الكلام ، فحصل طريقة إمام الحرمين وتخرج بهفيها وصار من وجوه الأصحاب ورؤس المعيدين فى الدرس ، وكان ثانى الغزالى بل أملح وأطيب فى النظر والصوت وأبين فى العبارة والتقرير منه ، وهذا كان يعيد الدرس على جماعة حتى تخرجوا به وكان مواظباً على الإفادة والاستفادة[1] .

( له بقية ) **برهان الدين محمد الداغستانى**

(١) الكافى فى معرفة علماء المذهب الشافعى ورقة (٦٦) مخطوط

(٢) هو أحمد بن محمد بن المظفر الخوافى الامام المشهور أنظر أهل عصره وأعرفهم بطريق الجدل فى الفقه عرف بالعبارة الرشيقة المهذبة والتضييق فى المناظرة على الخصم والارهاق إلى الانقطاع توفى سنة ٥٠٠ من الهجرة وخواف قرية من أعمال نيسابور .

(١) يلاحظ القارئ للنبذ التى نقلناها من كتب التراجم فى الثناء على الكيا الهراس تشابهاً كبيراً بينها مما يجعله يجزم باتحاد مصدرها ثم تصرف فيه كل كاتب منهم بعض الشيء فى الأصل الذى وصله ، والذى ظهر لنا أن المصدر الأصلى لأخبار الكيا الهراس هو الشيخ عبد الغافر أبو الحسن بن اسماعيل مؤلف تاريخ نيسابور الذى كان موجوداً فى أواخر القرن الخامس وأول السادس وهي المدة التى كان فيها الكيا موجوداً وعن عبد الغافر نقل ابن عساكر وابن خلكان والسبكى وغيرهم ممن أتى بعدهم

# نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

## ٩٢٧ — حشو اللوزينج

ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب للثعالبى :

حشو اللوزينج يضرب مثلا للشىء يكون حشوه أجود من قشره وأفضل ، وذلك أن حشو اللوزينج خير منه فيشبه به الحشو فى الكلام يستغنى عنه وهو أحسن منه . ومن أشهر ذلك قول عوف بن محلم :

إن الثمانين وبلغتهـــا قد أحوجت سمعى إلى ترجمان[1]

فقوله ( بلغتها ) حشو مستغنى عنه ، ومعنى الكلام يتم بدونه ولكنه أحسن من جماته ... قال أبو سعد رجاء : دخلت يوماً على أبى الفضل بن العميد فقال لى : امض إلى أبى الحسين بن سعد فقل له : هل تعرف أن لقول عوف ( إن الثمانين وبلغتها ) ثانياً فى كون الحشو أحسن من المحشو . فسرت إليه وبلغته الرسالة فقال : سألنى عنه محمد بن على بن الفرات فسألت عنه أبا عمرو غلام ثعلب فقال : سألت عنه ثعلباً فلم يأت بشىء ، ثم بلغنى أن عبيد الله ابن عبد الله سأل المبرد فأنشده قول عدى بن زيد لابنه زيد بن عدى فى حبس النعمان :

فلو كنت الأسير ولا تـكنه إذن علمت معـــد ما أقول

قوله (ولا تـكنه) حشو مستغنى عنه ولـكنه فى الحسن نظير ( وبلغتها ) قال مؤلف الـكتاب ( الثعالبى ) : قد افتتحنا كتاباً صغير الجرم لطيف الحجم فى نظائر هذين الحشوين وترجمته بـ ( حشو اللوزينج ) فما أودعته إياه أن المأمون قال يوماً ليحيى ابن أكثم : هل تغديت ؟ فقال : لا وأيد الله أمير المؤمنين ![1] فقال المأمون ما أظرف هذه الواو وأحسن موقعها ... ومما عثر عليه من حشو اللوزينج فى شعر البحترى قوله للمتوكل :

وجزيت أعلى رتبـة مأمولة فى جنة الفردوس غير معجل

فقد تم الـكلام عند قوله فى ( جنة الفردوس ) وقال ( غير معجل ) أى بعد عمر طويل لأن الجنة إنما يوصل إليها بالموت .

وفى شعر لأبى الطيب :

وتحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل ما فيها وحاشاك فانيا

فقوله ( وحاشاك ) حشو فيه ما فيه من الحلاوة ، وعليه ما عليه من الطلاوة .

## ٩٢٨ — الشريعة تأبى التضييق والحرج

الاعتصام للشاطبى : ... إن عدّوا كل محدث العادات بدعة فليعدوا جميع ما لم يكن فيهم من المأكل والمشارب والملابس والـكلام والمسائل النازلة التى لا عهد بها فى الزمان الأول بدعاً ، وهذا شنيع ، فإن من العوائد ما تختلف بحسب الأزمان والأمكنة فيكون كل من خالف العرب الذين أدركوا الصحابة واعتادوا مثل عوائدهم غير متبعين لهم ، هذا من المستنكر جداً ... وأيضاً فقد يكون الزى الواحد والحالة الواحدة أو العادة الواحدة تعباً ومشقة لاختلاف الأخلاق والأزمنة والبقاع والأحوال ، والشريعة تأبى التضييق والحرج فيما دل الشرع على جوازه ، ولم يكن ثم معارض .

## ٩٢٩ — يعدل حيا وميتا

كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين : قال ( ابن الأثير ) ومن عدله أيضاً ( من عدل نور الدين ) وهو من أعجب ما يحكى أن إنساناً كان بدمشق غريباً استوطنها وأقام بها لما رأى من عدل نور الدين ( رحمه الله ) فلما توفى تعدى بعض الأجناد على هذا فشكاه فلم ينصف ، فنزل من القلعة وهو يستغيث ويبـكى وقد

(١) سمي العسكرى فى ( الصناعتين ) هذا النوع : الاعتراض ، وأورد هذا البيت وفى ( خزانة الأدب ) للحموى : ومن معجزه فى القرآن : فإن لم تفعلوا — ولن تفعلوا — فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة .

(١) فى ( البيان والتبيين ) للجاحظ : مر رجل بأبى بكر ( ض ) ومعه ثوب ، فقال : أتبيع الثوب ؟ فقال : لا ، عافاك الله . فقال أبو بكر : لقد علمتم لو كنتم تعلمون ، قل لا ، وعافاك الله .

شق ثوبه وهو يقول : يا نور الدين ، لو رأيتنا وما نحن فيه من الظلم لرحمتنا ، أين عدلك ؟ وقصد تربة نور الدين ومعه من الخلق ما لا يحصى ، وكلهم يبكي ويصيح ، فوصل الخبر إلى صلاح الدين فقيل له : احفظ البلد والرعية وإلا خرج عن يدك ، فأرسل إلى ذلك الرجل وهو عند تربة نور الدين يبكي والناس معه ، وطيب قلبه ، ووهبه شيئاً ، وأنصفه ، فبكى أشد من الأول ، فقال له صلاح الدين : لم تبكي ؟

قال : أبكي على سلطان عدل فينا بعد موته .

فقال صلاح الدين : هذا هو الحق ، وكل ما ترى فينا من عدل فمنه تعلمناه .

## ٩٣٠ — كان يحلق لحيته وشواربه

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوى : عبد الملك بن عبد الحق بن هاشم الحربى المغربى كان صالحاً معتقداً ، يذكر أن أصله من الينبوع ... وقد ولى بمكة مشيخة رباط السيد حسن بن عجلان ، ومات بها فى ليلة السبت ثامن شعبان سنة خمس وأربعين ، وبنى على رأس قبره نصب بل حوط نعشه ، وهو مما يزار ويتبرك . وكان يحلق لحيته وشواربه ...

## ٩٣١ — فى شعر البحترى

قال الصفدى فى شرح اللامية : انشدت يوماً بعض الأفاضل قول البحترى من قصيدته المشهورة :

وأزرق الصبح يبدو قبل أبيضه     وأول الغيث قطر ثم ينسكب

فقال بدل ينسكب : (ينهمر) فقلت : كيف تصنع فى الأول وهو قوله :

هذى مخايل برق خلفه مطر     جود ووري زناد خلفه لهب

فقال بدل لهب : ( شرر ) فقلت هذه القصيدة بائية ، فلم يحر جواباً لكنني اعترفت له بالإحسان لسرعة الجواب فى الثانى .

قلت . فى القصيدة هذان البيتان :

قلب يطل على أفكاره ويد     تمضى الأمور ونفس لهوها التعب

وما صحبتك من خوف ولا طمع     بل الشمائل والأخلاق تصطحب

و ( على أقطاره ) هى رواية الديوان ، وروى ابن الأثير البيت وفيه ( يطل على أفكاره ) ثم قال : فقوله (قلب يطل على أفكاره) من الكلمات الجوامع ، ومراده بذلك أن قلبه لا تملؤه الأفكار ولا تحيط به ، وإنما هو عال عليها ، يصف بذلك عدم احتفاله بالفوادح وقلة مبالاته بالخطوب التى تحدث أفكاراً تستغرق القلوب ، وهذه عبارة عجيبة لا يؤتى بمثلها مما يسد مسدها .

## ٩٣٢ — أيها الصدر قد اجتمع عندك رءوس أهل النار

النجوم الزاهرة لأبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى : وفيها ( سنة ٤٨٨ ) توفى عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بُندار القزوينى شيخ المعتزلة ، كان إماماً فى فنون ، فسر القرآن فى سبع مئة مجلد — وقيل فى أربع مئة وقيل فى ثلاث مئة — وكان الكتاب وقفاً فى مشهد أبى حنيفة ( ض ) وكان رحل إلى مصر وأقام بها أربعين سنة ، وكان محترماً فى الدول ، ظريفاً حسن العشرة ، صاحب نادرة . قيل : إنه دخل على نظام الملك الوزير وكان عنده أبو محمد التميمى ورجل آخر أشعرى ، فقال له القزوينى : أيها الصدر ، قد اجتمع عندك رءوس أهل النار . قال نظام الملك : وكيف ذلك ؟ قال : أنا معتزلى ، وهذا مشبّه ( يعنى التميمى ) وذلك أشعرى ، وبعضنا يكفر بعضاً . فضحك النظام . وقيل : إنه اجتمع مع ابن البراج متكلم الشيعة ، فقال فقال له ابن البراج : ما تقول فى الشيخين ؟[1] فقال سفلتين[2] ساقطين . قال : من تعنى ؟ قال : أنا وأنت ... وكانت وفاة القزوينى هذا فى ذى القعدة وقد بلغ ستاً وتسعين سنة ، ودفن بمقابر الخيزران عند أبى حنيفة ( ض ) .

---

(١) قصد ابن البراج من قصد فسمع ما سمع .

(٢) نطق بها قائلها عامية ، فى التاج واللسان : قال الجوهرى ولا يقال هو سفلة لأنها جمع والعامة تقول رجل سفلة من قوم سفل ، قال ابن الأثير : وليس بعربي ، وسأل رجل الترمذى فقال له : قالت لى امرأتى يا سفلة فقلت لها : إن كنت سفلة فأنت طالق ، فقال له : ما صنعتك ؟ قال : سماك (أعزك الله ) قال : سفلة والله فظاهر هذه الحكاية أنه يجوز أن يقال للواحد : سفلة فتأمل .

قلت : لقد لغا الترمذى بغير الحق ، فليس السماكون وأشباههم من السفلة بل هم من الأشراف والكرام العاملين ، إن فى الحرفة وفى العمل الشرف كله . والسفالة كل السفالة هى فى البطالة ، والسافل إنما هو الفارغ السبهلل .

فى التاج : قال السيرافى فى كل فارغ : سبهلل ، وفى النهاية فى حديث عمر : إنى لأكره أن أرى أحدكم سبهللا لا فى عمل دنيا ولا فى عمل آخرة يقال جاء يمشى سبهللا إذا جاء وذهب فارغا فى غير شيء .

# على مضجع الآمال ..!!

للأســـــتاذ محمد العلائى

« أستاذنا الجليل عميد الرسالة :

... وتلك قصيدة ثالثة أملتها ضجعة الأمل المحموم على سرير المحنة وأنا فى هـذه القرية المصرية التى نزلتها زائراً فأمسكتنى عليها سجيناً . والتى نزلتها مودعاً فأدركنى بها ما صنعت « وزارة المعارف » فى عهدها السابق بقضيتى حين أوقفت بعثتى إلى « لندن » وحين استباح الهوى الغاشم حرمة الضعف النبيل وظل الشجى يبعث الشجى حتى انكمشت مشاعرى وتراجعت عن هذا العالم الصاخب وتجمعت فى هذا البلد الصغير الذى استقبلت عليه مآسِيّ ودرجت على ربوعه أحلامى ... وظل الشجى يبعث الشجى حتى صدق الله وعده وأراد أن يمن على الذين استضعفوا فى الأرض ويجعلهم أئمة فزهق الباطل وجاء أستاذنا « السنهورى » إلى وزارة المعارف ... واستفاقت قضيتى من جديد ما بين عدالة الوزير الكريم وحصافة المستشار الجليل . وأستاذنا «اسماعيل القبانى» مستشار له كرامة ورجولة وله حقيقة أكبر من ظاهره وسأدخر شكرى للوزير الخير وللمستشار الحاسم ولأستاذنا « شفيق غربال » الوكيل الفاضل الذى ناصر قضيتى وهى فى وحدة الظلم وأيدها بكلمته وهى فى مطلع العدالة ... سأدخر شكرى لهؤلاء ... ولأساتذتى وأصدقائى الذين ذكرونى بالعطف والمودة يائساً ، وبالمعونة والتهنئة آملاً ، سأدخر شكرى لأولئك وهؤلاء حتى يعبر عنه ما سأبذل من واجب يشرف الاستعداد المصرى فى آفاق الغربة والمعرفة وما سوف أقدمه من جهد وتضحية فى قضية أبناء الظلام بعد رجعتى إلى الوطن المصرى الحبيب . والحبيب مهما نزفنا على أرضه من دماء ومهما تركنا عليها من شوق وأشلاء ... وليتقبل عميد الرسالة وأسرتها تحيتى ووداعى » .

« العلائى »

---

ما زال مرتجفَ الأحلام هيمانا ... حتى تساقط آمالا وأحزانا

وقلّب الشوكَ فى أغصانه يقظاً ... ومدّ أنفاسه للزهر وسنانا

وعانق الليل حتى اسود خاطره ... ولم يجد لبياض الصبح وجدانا

وكم تمنّى ولما جاء مورده ... ألفى الضمير بذات الماء غصانا

وكم تشكى ولما صد غايته ... ألفى مذاهبها ظلا وريحانا

يا مهد أحلامه ، ما كان مقدمه ... إلا وداعاً ، فألفى غير ما كانا !

وافاك يصنع من أشلائه أملا ... قبل الرحيل فذاق اليأس ألوانا

وافاك يدفن فى أرض الصبا شجناً ... فواجهته بملء الأرض أشجانا

يا مهد أحلامه . وافاك منفردٌ ... سقى الأجادب حتى عاد ظمآنا

ألقى الصلاة على الأقداس فاختنقت ... بها المعابد أوثاناً ورهبـــانا !!

---

تذكر الشاعر الوسنان وارتجفت ... ذات المشاعر ألواناً وأنغاما

يا مهد أحلامه ، ولّى وأتعبنى ... ليل الشباب . وضاع العمر أوهاما

يا ليت ليلك إذ خابت مشارقه ... أمست عليه صروف الدهر أحلاما !

نزلت أرضك أوجاعاً مضمدة ... فانساب أخطرها حساً وإلهاما !

رفّت ببابك أفراح الصبا قطعاً ... من الظلام ورف الشوق آلاما !

على ديارك ذكرى كلما ارتجفت ... تساقط الأمس فى واديك أياما !

والفجر مازال مسوداً بيا كرنى ... كالهم ناصية والموت أنساما !

لا ألمح الشمس فى واديه مشرقة ... ولا الصباح على الآفاق بسّاما

ولى الشباب وما زالت مصائبه ... على ربوعك أشلاءً وأسقاما

مضى الزمان بما أشجى وما برحت ... سود الليالى على ناديك أعلاما !!

---

يا مهد أحلامه . لا شيء فى خلدى ... إلا وذكرنى فى الأمس أشياء

تلك الروائح والأشلاء من أمد ... كانت بأرضك آلاماً وأهواء !

نزلت أرضك بالآمال فانقلبت ... على ربوعك يوم اليأس أرزاء !

نزلت أرضك بالآمال فانتثرت ... على الضفائر والأفواه أشلاء !!

وساورتنى على مغناك أخيلة ... وبعثرتنى على الآفاق أخطاء !!

وطالعتنى من الأيام أوجهها ... حتى شربت تراب اليأس صهباء !

وللنوائب كأسٌ بات شاربها ... يقلب النفس تبريراً وإرجاء !

والهم ينسج أحداثاً لينقضها ... ويفتن العقل تثبيطاً وإغراء !

ويجعل الصدق فى أفواهه كذباً ... واليمن مشأمة والعزم إعياء !!

والهم يجعل من ذات الرؤى حدثاً ... ويملأ الصمت فى الأسماع أنباء !

يا مهد أحلامه ، ماذا تملكني؟    وخالط النفس أجواء وأعماقا

أمست وأضحت كأن الأرض ما عرفت

يأساً ولا نظرت من قبل إخفاقا !

ماذا دهاها ؟ فصبت أمسها كسفاً

وأزهقت يومها في الأمس إزهاقا ! !

ليس الجديد قليلا في مدار كها..    حتى يجدد للأحزان آفاقا !

وليس حاضرها خِلواً فتملأه    ولا الضمير إلى ما كان مشتاقا !

هي الليالي وألوان الشجي رحم    والعرق يجمع في الآلام أعراقا

واليأس أوجمُه ما ناء حامله    وكان لولا جراح فيه سباقا !

والليل أجْمُه ما نام ساهره    وقام لا يرتجي للنور إشراقا !!

والنفس أبعد أشواطاً إذا عدمت    شوقاً فهاج على مثواه أشواقا !

والنفس أبلغ من أعماقها ألماً    إذا أطالت على المأساة إطراقا !

---

يا مهد أحلامه. طافت على خلدي    مواجع الأمس أرواحاً وأجساداً

كم جئت أرضك بالآمال هامدة    وبالوسائل أشباهاً وأضدادا

عجبت للدوحة السوداء ما برحت    كأن فيها على الأيام أحقادا !!

الأصل في أرضه ما زال منشعباً    والفرع في أصله ما زال ميادا !

يا دوحة في ضمير الليل ما شهدت    شمساً ولا نظرت للدهر أعيادا !

بات الفناء على واديك حشرجة    والظل أصبح في ساقيّ أصفادا !

سرب المكاره ما زالت عصائبه    على غصونك أزواجاً وأفرادا !

طوبى لروضك ما زالت حمائمه    أشهى وأوجع مما كان إنشادا !

طوبى لنسمتك السوداء ما تركت

على المذاهب لا ماء ولا زادا ! !

أحفاد خطبك لا طابت منابتها    أمست على نسب الأحزان أجدادا

---

يا مهد أحلامه، فاحت على خلدي    ريح الليالي تباريحاً وأوصابا !

أبى وفاؤك إلا أن تنسق لي    سود الأزاهر في لقياك ترحابا !

ما كاد يشرح آلام النوى جسدي

حتى صببت لذات النفس أكوابا !

هاج المساء وهاج الصبح ما شرقت

به ديارك أنفاساً وأعتابا ! !

عطر النوائب في مغناك أبهجني    ومد للنسمة السوداء أسبابا !!

وخايلتني على مغناك أزمنةٌ    فيها مواجعها أهلا وأحبابا !!

والتف بالنفس ماضيها وقلبني    على الفواجع محزوناً ومرتابا

ما ذا بأرضك أعرى النفس فارتجفت

على منابتها دوحاً وأعشابا

ماذا بأرضك ناداها وذكرها ؟    وفتح الواقع المشئوم أبوابا !

كأن بين خطوب الأرض قاطبة    وبين خطبك أرحاماً وأنسابا !

---

يا مهد أحلامه . ناداك مرتعد    يغشى العالم أجداثاً وأهوالا

وطاف بالأمس لا يلوي على طلل    إلا وكشف أطلالا وأطلالا !

وطاف بالأمس حتى جن رائده    وخاض ما فيه أشلاءً وأوحالا !

وخاض في لجة الأيام وانتفضت

موتى الأمانيّ في الأكفان أجيالا !

قامت تجر خطاياها ، ومن أمد    كانت تجر وراء الضعف أثقالا!

كانت تجدد أوجاعي وتجعلني    أخشى المغايب أسحاراً وآصالا!

كانت على النفس أرواحاً مدللة

فأصبحت في مهاوي الأمس أغوالا !

موتى الأماني لا أنسى تعثرها    بين المخاوف إدباراً وإقبالا

حملتها اليوم آلاماً على كبدي    وكنت أحملها بالأمس آمالا !!

وكنت أحملها للنفس أجنحة    فأصبحت في حنايا الصدر أغلالا

---

يا مهد أحلامه . وافاك مغترب    يشكو المذاهب أشواكاً وأزهارا

رأى الأصائل فارتابت مشاعره    فيما يراه تباشيراً وأسحارا !

ألقى عصاه على يومين فانتكست    به الأماني في مغناك أشعارا !!

ما كاد يعزف بلواه على وتر    حتى أهاج أنين اللحن أوتارا !

ولا تعمق في شط المنى خبراً    إلا وذكّره في اليم أخبارا !

ولا تأمل غصناً في بشائره    إلا تخوفه ظلا وأثمارا ! !

ولا أزاح ستار الغيب عن ظلَم    إلا وأسدل خوف النور أستارا !

ظن الظنون وذاق الناس واختنقت

منه الخواطر أشراراً وأخيارا

ما كان أكبره نفساً وأطهره    لو أن في البر أو في البحر أطهارا !

رأى القلوب عبيداً فانطوى ألماً    وغاظه أن يرى الأفواه أحرارا !

---

يا مهد أحلامه . ناداك مرتحل    صب الضمير على مغناك أسقاما!

ما بال دارك يا ابن الليل حافلة ؟    لم ترع شوقا ولم تستبق آلاما!

مابال روضك لاتصفو مشاربه؟ ولا يطيب على الآفاق أنساما

زلت أرضك والآمال فى غدها

فانساب رائدها فى الأمس أوهاما !

وارتد هامدها فى الوهم أخيلة والتف ذابلها بالنفس أنغاما !!

ومن توارى من الأيام مشأمة خال التراجع بالأشلاء إقداما !

وبات ينزف أوهاما ويسكبها ويستمد من التصميم إحجاما !

وراح بالنفس لا يدرى لها أفقاً وعاد يملؤها ظناً وأحلاما !

وراح يطلب للتبرير مستمعاً وعاد يمسخ ذات اليأس أحكاما !

وراح يسخر بالآمال نعمية وعاد ينظر للاخفاق بساما !

---

يا مهد أحلامه ما كان من ألم ولى وأورثنى فى النفس أشياء

والقلب أوسع للضراء تذكرة إذا تنسم فى الآفاق سراء !

والروح يذكر عند الظل حرقته كما يهيج رحيل الداء أدواء !

والهم أثقل خطواً قبـل مخرجه

والنفس أكثر بعد الشوط إعياء !

والليل يلبس ألباباً فيتركها لا تستطيب لذات الفجر أنباء

واليأس إن لمس الأعماق قادحه رد البشائر فى الأسماع أرزاء !

واليأس يطمس فى الميؤس حكمته

حتى يظن طنـين الهم آراء

واليأس ينسج أشلاء المنى عقداً ويملأ الأرض للميؤوس أعداء

واليأس ينفخ أوهام الفتى ورماً ويخلع القلب تخييلا وإيحاء

ويخنق النفس تبريراً وتغطية

ويقلب الكون فى الأذهان أخطاء !

---

يا مهد أحلامه . ناداك مرتحل أفنى الوساوس أجواء وأعماقا

مد الفؤاد إلى الآمال مختنقاً وكان فى سكرات اليأس خفاقا

وأغمض الشوق عن أقداـه ورعا وكان فى حمأة الأرجاس مشتاقا !

وأفرغ الكأس لما جاء واقعها وكان يشربها فى الوهم ترياقا !

من خالط الدهر لا يروى له خيراً ...

ولا يصـدق للآفاق إشراقا

ومن تعود شحّ الجدب آمله رأى المشيم بذات الخصب إغداقا

ومن توغل فى الإخفاق خاطره خال النجاح على الأهداف إخفاقا

ومن تمرس بالأشواق خافقه ألفى الحفيظة فى الأفواه أشواقا !

ومن تذوق للاغراق منقلباً ظن التبسم للأيام إغراقا !

ومن تجرع صاب الوهم فى أفق خاف الحقيقة آفاقاً وآفاقا

---

يا مهد أحلامه . ناداك مرتحل أبلى حوادثها فقداً وإيجادا !!

ولم يزل فى شعاب الأمس يذكرها

إن مس نازلة أو مس أعيادا !

يا بؤس دارك ما زالت نوائبها سوداً وأسودها ما زال وقادا !

لم يعل محنتها شيب وقد نظرت على الملاعب أبناء وأحفادا !

يا بؤس دارك لا يصفو لها خبر وإن صفا لم يجد للصفو أكبادا

تسد مسممها إن كان عارضها غيثاً وتفتحه إن كان إرعادا !

ياويح دارك قد فاحت سريرتها وأزبد الألم المكبوت إزبادا!

وجسم الأمل المحموم سامرها وماج منقلب الأيام أشهادا

واهتز فى دوحة الأشواك فارعها حتى اشرأب دفين الأصل ميادا

وأخرج الأمس ألفافاً وأحكمه على الشاعر والأهواء أصفادا !

---

يا مهد أحلامه . ناداك مرتحل أفنى الخواطر إنكاراً وإعجابا !

طالت مذاهبه وارتاب رائدها وأطنب الدهر فى نجواه إطنابا

واشتف أعماقه حتى تشربها فما أطاق لها شهداً ولا صابا !

واستل أنفاسه صبراً وتضحية وامتص خاطره بدءاً وإغرابا !

وضاع فى صخب الأقدار هامسه وانشق مرهفه عتباً وإعتابا

وراح فى غسق الأهواء مقتنماً وعاد فى وضح الأقداس مرتابا

جنى المصائب آمالا وأحرقها على المذاهب توديعاً وترحابا !

وأذهل الشوق عن أبواب واقعه وهام يطلب خلف الغيب أبوابا

ومال بالنفس عما لاح شاطئه ومد للشاطىء المجهول أسبابا

وأزهق العمر تفكيراً وتجربة وما تخير من دنياه محرابا !!

---

يا مهد أحلامه . وافى وطالعنى يوم الرحيل وهاج الشوق أهوالا

الحق أزهق أغراضاً ومزقها على المذاهب والأفواه أمثالا !

والخير أخمد أهواء وأركسها تحت الذلة أرداناً وأوحالا !!

والحق كالدهر إن أملى لباطلة وفّى وأوغل فى التشهير إيغالا

والخير أرزن مأساة فإن عصفت رد الحبائل فى الأشرار أغلالا

والنوم أبلغ للأقدار تذكرة والصمت أبعد فى الآفاق إرسالا

ومن ترامى على الأحداث مرتعداً ذاق المنى فشلا واليأس آمالا !

# الأدب والفن في أسبوع

**المرصد والجامعة :**

وافق مجلس الوزراء هذا الأسبوع على اقتراح لكلية العلوم بجامعة فؤاد الأول بضم المرصد الملكى بحلوان إلى الجامعة على أن يكون وحدة مستقلة ، وأن تتألف لجنة من القائمين بالمرصد الآن ومن رجال الجامعة لتقديم التفاصيل الخاصة بهذا المشروع وتقدير الاعتمادات اللازمة لتنفيذه .

وهذه فى الواقع خطوة طيبة كان من الواجب أن تتم منذ سنين ، وكانت المصلحة العلمية تقضى بتحقيقها من يوم أن قامت الجامعة وتهيأت المكانة اللازمة لكلية العلوم ، فإن المرصد لا يصح أن يقوم على أنه آلة تسجل ظواهر الجو المعتادة وكفى ، بل يجب أن يكون مركزاً علمياً للتجارب والإفادة فى تلك الناحية التى استغلتها العقول الكبيرة حتى جعلت لها السيطرة على جميع ظواهر الحياة .

ومن تفكر أفناه تفكره ... وخال ميسرة الأيام إقلالا !
ومن تعمق لا ينمو له أمل ... إلا تقصف أوهاماً وأقوالا !
وأحصف الناس لايدرى تمثره ... إن كان نازلة أو كان إقبالا !!

---

يا مهد أحلامه . نادى وخابلنى ... يوم الرحيل وماج الغيب أسرارا
ما بال أمسك ألقاه على خلدى ... شوكا وأنثره للدهر أزهارا !!
ومن تسامى عن الأوضاع منزلة ... ألفى سعادته بذلا وإيثاراً !
يا مهد أحلامه . ما كان أوجمها ... ذكرى وأعمقها عطراً وأخباراً
والنفس خاشعة الأهواء يلمسها ... نور فيملؤها شوقاً وأخطارا !
ومن تسامى عن الأوضاع معرفة ... رد الظلام على الأيام أنوارا !!
يا مهد أحلامه . ناداك مرتحل ... مد المشاعر للأنسام تذكارا
أودعت أرضك أخطاء ستجمعها ... بعد اغترابى آلاء وأثمارا !!
ومن تسامى عن الأوضاع تجربة ... لاحت مآثره للناس أوزارا !!
وأقرب الناس للأقدار منفرد ... يرعى الحياة كما لو كان مقدارا !

**محمد العلائى**

إن علم الظواهر الطبيعية أصبح دعامة من دعامات النهوض والقوة عند الأمم ، وقد أدى هذا العلم فى الحرب الماضية من الجهد ما غير مجرى الحوادث وحول دفة التاريخ ، فلعل أن تكون هذه الخطوة مقدمة لاهتمام شامل بهذه الناحية حتى تؤدى فيها الجامعة رسالتها العلمية .

**بعد المرحلة :**

أشرنا فى أعداد سابقة من الرسالة إلى تلك المرحلة الطويلة التى قام بها الأديب الفرنسى الكبير مسيو جورج ديهاميل فى بلاد الشرق العربى حيث طاف بسوريا ولبنان ومصر وبلاد شمال أفريقيا ، وقد جاء فى نبأ من باريس أن ديهاميل تقدم إلى الأكاديمية الفرنسية بتقرير واف عن نتائج رحلته وما تبينه فى بلاد الشرق من اتجاهات .

ولست أدرى ماذا قال الأديب الفرنسى الكبير فى بيانه أو فى تقريره هذا . فإن الأنباء البرقية لم تشر إلى شىء من مضمونه ، ولست أدرى هل كتب ديهاميل ما كتب بروح الأديب الإنسانى الذى عاش طول حياته ينشد الإنسانية المهذبة فأطرب أبناء الشرق والغرب ، أم بضمير السياسى المسعور الذى لا يرجو لأمته إلا أن تستعمر البلاد وتستعبد العباد وتظل قائمة وبيدها سيف الإرهاب والبطش تجره على رقاب الضعفاء .

إننا أبناء الأدب نرجو دائماً أن نظل أوفياء لرسالتنا ، محترمين لإنسانيتنا ، فلعل الأديب الفرنسى قد حدث «الخالدين» من أبناء أمته بما رأى من شنائع الاستعمار الفرنسى فى شمال أفريقية ، ولعله صور لهم ما رأى بعينيه من تلك المآسى الأليمة فى تونس ومراكش وغيرهما من البلاد التى اغتصب الفرنسيون أقواتها وتركوها نهباً للجوع ... وأن يكون فى هذا كله قد اعتصم بضمير الأديب الإنسانى لا بضمير الجلاد السياسى ، وإلا فعفاء على أدبه ، والمنة الأدب على شخصه ...

**يقظة الشباب العربى :**

عقدت رابطة الطلبة العرب بأكسفورد فى الأسبوع الماضى مؤتمراً عاماً حضره طلاب يمثلون جميع الأقطار العربية ، وقد عقد المؤتمرون عدة اجتماعات للبحث والتشاور ثم اتخذوا عدة قرارات

بعضها فى مجال العمل السياسى وبعضها يتصل بالنشاط الثقافى .

ففى مجال السياسة قرروا العمل على إدخال عرب شمال أفريقيا ممن يوصفون بالشعوب المنسية فى حظيرة الجامعة العربية ، والعمل على حصول فلسطين على استقلالها ووقف الهجرة اليهودية إليها ، ثم العمل على تحقيق الاستقلال التام لمصر والسودان .

وفى مجال النشاط الثقافى قرروا الموافقة على إنشاء مراكز اجتماعية وثقافية فى جميع عواصم البلاد العربية يطلق عليها إسم « البيت العربى » لتكون منازل للمسافرين من العرب وندوات علمية ثقافية لأبناء العروبة ...

وإن هذه اليقظة من الشباب العربى المثقف لتدعو إلى الاطمئنان والتفاؤل ، وتملأ النفوس بالغبطة والبهجة ، وإننا إذ نبارك هذه الروح نرجو أن تظل فى يقظتها متوثبة ملتهبة حتى لا يفسدها التراخى ولا يخدرها طول الوقت .

كانوا يقولون : [ آه لو علم الشباب ، وآه لو قدر المشيب ] ، ولكننا اليوم أصبحنا نجد فى الشرق العربى الشباب العالم القادر الذى يتبصر الطريق ، فلعل الله يحقق على يديه للعروبة ما تمنى الأدباء وتلهفوا عليه .

### تكريم مطران مرة ثانية :

أما التكريم الأول فهو الذى قامت به لجنة تألفت لهذا الغرض وقد كان من أمره ما نشرناه من قبل .

وأما هذا التكريم الثانى فقد قام به الاتحاد العربى فى داره بالقاهرة هذا الأسبوع فى حفل جامع حضره كثيرون من أعلام الأدب وأقطاب العرب ، وقد افتتح الاحتفال صاحب السعادة محمد على علوبة باشا رئيس الاتحاد بخطبة قيمة ضافية استهلها بقوله : « لنا الفخر أن نكون شرقيين منبع المدنية والآداب والعلوم التى اهتدى العالم بهديها ، وسار فى ضوئها . منا البابليون والأشوريون والفينيقيون والفراعنة ، وفينا ظهر الأنبياء عيسى وموسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين ، ولنا لغات راقية ممتازة فى مقدمتها اللغة العربية الشريفة التى نهضت بأعباء المدنية نحو العالم قروناً طويلة والتى يستطيع الإنسان أن يعبر بها عن كل إحساساته ومطالبه بما لا يجده فى لغة أخرى » .

وفى هذا النحى من الحديث أفاض علوبة باشا فى الإشادة بمجد الشرق عامة والإسلام خاصة ، ثم انتهى فى الحديث إلى الضعف الذى انتاب الشرق فى العصور المظلمة وما كان بعد ذلك من مصارعة بين الشرق والغرب فى ميدان الحياة فقال : « ابتلينا بالغرب ، فهدم مدنيتنا ، وأضاع حريتنا ، وقتل شخصيتنا ، وفى هذا الظلام الخانق تأخرت اللغة العربية ، وندر الشادون بها من فحول الأدباء والشعراء . ولكن بين الحين والحين كانت تظهر فى تلك التربة الخصبة حبات صغيرة تحاول استرداد مجد اللغة ، ومن هذه الحبات حبة نبتت فى جبل لبنان الأشم ثم أراد الله لها أن تنمو وتفرع وتثمر فى وادى النيل حتى صارت دوحة عظيمة ، وليست هذه الدوحة إلا شاعر العروبة الكبير الأستاذ خليل مطران بك » .

وتحدث علوبة باشا عن مطران الرجل ، وشاعريته العبقرية الفياضة ، وما له من آثار جليلة فى خدمة العربية والتراث الأدبى ، وأهاب بالشاعر الكبير أن يتوجه بشاعريته إلى إيقاظ المشاعر بالإشادة بمجد الشرق العريق وتذكير الأبناء بما كان للآباء من تراث عظيم .

وتعاقب الشعراء والخطباء بعد ذلك ، فأنشد شبلى ملاط بك جملة من القصائد والمقطوعات القديمة والحديثة ، وألقى الأستاذ حسين السيد زجلا رقيقاً والأستاذ موريس أرقش خطبة بليغة وأنشد بعض قصائد مطران الخالدة ، ثم ألقى الأستاذ جميل الرافعى بعض الكلمات التى قيلت فى تكريم مطران فى عدة مناسبات ، وكان هذا ختام الحفل لتكريم الشاعر الكبير .

وبعد ، فليس هذا كله بكثير على خليل مطران بل إنه بعض الدين الذى فى عنق أبناء العربية نحو شاعر العربية الذى غنى فأطرب وأنشد فأعجب ...

### مجمع للشريعة الاسلامية :

وضعت لجنة خاصة من هيئة كبار العلماء تقريراً اقترحت فيه إنشاء مجمع لبحث المسائل الدينية والتشريعية يسمى « مجمع فاروق الأول للشريعة الإسلامية » على غرار « مجمع فؤاد الأول للغة العربية » وقد استهلت اللجنة تقريرها بمقدمة أشارت فيها إلى الضرورة التى تدعو إلى قيام هذا المجمع فقالت : « إذا كان مجمع فؤاد الأول للغة العربية قد قضت به الضرورة ودعا إليه داعى

الإصلاح واستلزمته مقتضيات العصر وما وجد فيه ، فإن ذلك يوجب أيضاً أن يكون فى مصر وتحت ظلال الأزهر مجمع دينى علمى ينسب إلى الفاروق المظيم ... وإن مجال العمل فى مثل هذا المجمع الدينى العلمى لفسيح ، وإن الأمة الإسلامية لفى حاجة ماسة إليه لا تقل عن حاجة اللغة العربية إلى مجمعها الراهن ، بل تزيد أضعافاً ، فقد حدثت صور من المعاملات لم تكن ، وبانت حاجات للناس لم تبن ، ووفدت علينا تيارات فكرية تارة ، ونزعات اجتماعية ضارة ، ليس من الخير ولا من الرأى أن ننفض النظر عنها وأن نتركها حتى يستشرى داؤها ويتفاقم خطبها » ...

ثم تحدثت اللجنة عن الأغراض التى سينهض بها هذا المجمع فأوجزتها فيما يلى :

١ — دراسة ما يرد للازهر من أسئلة تتعلق بالأحكام الشرعية الاعتقادية والعلمية دراسة تتجلى فيها روح الشريعة الإسلامية فى وحدة العقيدة ورعاية المصالح .

٢ — بيان ما هو بدعة وما ليس ببدعة ، ووضع كتاب فى هذا الموضوع والإجابة عن الأسئلة التى تتعلق به ونشر المهم من البدع وإذاعته على الناس .

٣ — تفسير القرآن الكريم تفسيراً سهلا خالياً من الإسرائيليات وموافقاً لما تقضى به القواعد العربية والأصول الدينية والإجابة عن الأسئلة التى تتعلق بتفسير الآيات الكريمة ونشر المهم من ذلك وإذاعته على الناس .

٤ — وضع كتاب يحتوى على ما نسب إلى الرسول عليه الصلاة والسلام مع بيان مراتبه وشرح وجيز لما يحتاج إلى شرح من المقبول ، والإجابة عما يسأل عنه من تفسير الأحاديث أو تخريجها ونشر المهم من ذلك وإذاعته على الناس .

٥ — إحياء الكتب النافعة فى الشريعة الإسلامية وما له صلة بها إحياء يسهل معه الانتفاع بها .

٦ — إبداء الرأى فى الكتب التى يرى شيخ الجامع أخذ رأى المجمع فيها لشرائها لتدريسها فى مراحل التعليم بالأزهر والمعاهد الدينية وحل المشكلات العلمية العامة .

هذا هو الاقتراح الذى تقدمت به اللجنة لإنشاء مجمع للشريعة الإسلامية ، وهو اقتراح نوافقها عليه كل الموافقة ، ونرى معها أن الضرورة تقضى بإنشاء هذا المجمع فى أقرب فرصة ممكنة ، ولكننا نخالفها كل المخالفة فى أن تكون الأغراض التى أبدتها هى أغراض ذلك المجمع ومهمته ، لأنها كما يرى القارىء أغراض ثانوية ومن الواجب أن تضطلع بها هيئة كبار العلماء ودار الافتاء بالأزهر وإلا فلا حاجة تدعو إلى بقائهما ... وإنما يجب أن يكون المجمع المقترح مجمعاً للعالم الإسلامى عامة وأن يكون من أول أهدافه تحرير المسائل الخلافية التى فرقت الشمل وجعلت المسلمين جماعات ، ثم تنقية هذا الدين من شوائب النزعات المذهبية والاتجاهات الطائفية والتلفيقات الخرافية ورده إلى أصوله السمحة ؛ ونحسب أن الأذهان تهيأت فى العالم الإسلامى للاستجابة إلى هذه الغاية الشريفة التى هى غاية الإسلام الصحيحة القويمة ...

**انحطاط الفن السينمائى فى مصر :**

وأخيراً انتبهت وزارة الشئون الاجتماعية إلى أن الفن السينمائى فى مصر يمشى فى سيل من الفوضى وأن الأفلام التى تعرض على الشعب ليست إلا ألواناً من التهريج الفارغ حتى أصبحت الجماهير الشعبية تشعر نحوها بالغضاضة وعدم التقدير .

نقول تنبهت وزارة الشئون الاجتماعية إلى هذا فقامت إدارة الارشاد الاجتماعى وهى الجهة المختصة بالوزارة ببحث هذه الحالة وفحص العلة فيها ثم تقدمت إلى معالى الوزير بمذكرة ضمنتها ما ترى لعلاج هذه الحالة وملافاة ذلك النقص ، وهى ترى فى مذكرتها أن السبب فى تدهور الفيلم المصرى يرجع إلى ضعف القصة ، ولذلك نقترح أن تمتنع الوزارة عن الترخيص بتصوير القصص الضعيفة التأليف أو التافهة الموضوع على أن تتألف هيئة بالوزارة من الفنيين يكون لها الرأى فى تقدير القصص الصالحة للعرض بما يجتمع لها من براعة ونبالة الغرض وقوة الموضوع ، أشارت المذكرة إلى ما يجب على الوزارة فى منع الأفلام التى تسىء إلى سمعة مصر والبلاد العربية أو تسىء إلى صناعة السينما واقترحت توافر شروط خاصة فيمن يزاولون الأعمال الفنية الأساسية فى صناعة السينما ، كما رأت أن يظل باب المنافسة بين الأفلام الأجنبية والأفلام المصرية مفتوحاً إذ أن المنافسة داعية الاجتهاد وتحرى الإجادة ..

وكل ما نقوله فى التعليق على هذا هو أن الوزارة قد لمست الداء وتبينت الدواء فلعلها تكون حازمة فتنقذ مصر من هذه الفوضى التى تدلت بالفن إلى مدى سحيق !!

« الجاحظ »




**بل أى الأقوال أصدق ؟**

قرأت ما كتبه الأستاذ محمود أبو ريه فى عدد الرسالة الغراء ٧١٨ عن حكم الدكتور طه حسين بك للعقاد منذ ثلاث عشرة سنة وعن حكمه لمطران اليوم ، وأقول إن الدكتور قد حكم من قبل ذلك لشوقى وحافظ بما حكم به بعد ذلك للعقاد ومطران .

فالدكتور يقول فى الصفحات الأخيرة من كتابه « حافظ وشوقى » : « ... ... وكلا الشاعرين قد رفع لمصر مجداً بعيداً فى السماء ، وكلا الشاعرين قد غذّى قلب الشرق العربى نصف قرن أو ما يقرب من نصف قرن بأحسن الغذاء ...

هما أشعر أهل الشرق العربى منذ مات المتنبى وأبو العلاء من غير شك ، هما ختام هذه الحياة الأدبية الطويلة الباهرة التى بدأت فى نجد وانتهت فى القاهرة » ويستطرد الدكتور إلى أن يقول : « هما أشعر العرب فى عصرهما ... » .

وإنى إذ أضيف هذا الحكم القديم للدكتور إلى ما نقله الأستاذ أبو رية لا أود أن أعرض ذلك أمام الأدباء جميعاً ليروْا رأيهم فيه فحسب ، بل أعرض ذلك للدكتور نفسه قبل هؤلاء جميعاً ليعلن رأيه الفصل ، ويوفق بين ما أعلنه فى صراحة ووضوح وله منى أطيب التحيات والسلام .

(السودان — بربر) عز الدين الأمين

**عود إلى ترجمة :**

كتبت كلمتى السابقة فى الرسالة عن ترجمة كتاب السادهانا للأستاذ الأديب محمد محمد على وأبرزت بعض نواحى الخطأ فى هذه الترجمة . وأنا أشعر بأننى أؤدى واجباً نحو الأدب والفن لا يحسن السكوت عنه وقد قرأت فى عدد الرسالة الأخير رد الأستاذ على ما كتبت وكان بودى أن ينتهى الأمر عند هذا الحد ويترك إلى ذوق القارىء وتفكيره .

ولكن الكاتب الأديب قد عمد إلى تحريف الكلم . وقدم للقراء صوراً زائفة من القول يبرر بها أخطاءه التى أشرنا إلى بعضها فى الرسالة الغراء .

كتب شاعر الهند تاجور فصلا فى السادهانا بعنوان Soul Consciousness وترجمها معرفة الروح . وصححنا هذه الترجمة فقلنا الوعى الروحى ولكن الأستاذ رد على نقدنا بقوله « خطأ الأستاذ ترجمتى للجملة Consciousness of Soul بمعرفة الروح وترجمها بالوعى » ونحن نضع يدنا على يده ونقدمها للقراء متسائلين عن الذى دعاه إلى هذا التحريف فى كلام تاجور وهو تحريف يخل بالمعنى الذى رمى إليـه ، ويخالفه كل المخالفة . فالوعى الروحى هنا هو الضمير الروحى ومنه قوله تعالى « والله أعلم بما يوعون » أى يضمرون فى نفوسهم . والمقصود بهذا فى لغة الفكر : أن يعى الإنسان كل شىء عن طريق الروح وشتان بين هذا وبين معرفة الروح .

وخطأ ترجمة كلمة Reolisation of Cife بتحقيق الحياة التى ترجمها بكنه الحياة . ولم يجد سبيلا إلى هـذه التخطئة غير قوله : « ليست الحياة باطلة حتى يجعلها الكتاب حقيقة » وهذا نقد كان يجدر به أن يوجهه إلى مؤلف الكتاب لا إلى . والذى يعرف اتهام الهند عند الغربيين بالتجرد والزهد فى الحياة واعتبارها شيئاً باطلا ، يفهم قصد شاعر الهند بهـذا العنوان . وتدعيم الرأى فى هذا بأقوال مصلحى الهند وأنبيائها فى سياق الكتاب .

ولست أرى الرد على بعض المغالطات التى عمد إليها الكاتب فى تأويل بعض الأخطاء التى وقع فيها وأشرت إليهـا فى مقالى السابق فهذا ما لا يحتاج القول فيه إلى بيان .

وإذا كانت هذه الأخطاء قليلة فى رأى حضرة الكاتب الأديب فإن هذا القليل الذى ذكرناه يدل على الكثير الذى أهملناه .

محمد طاهر الجبلاوى

**إلى معالى عبد العزيز فهمى باشا :**

سيدى معالى الباشا

تفضلت فأهديت إلى كتابك القيم متوجاً بإهدائك البليغ الذى صغته من تواضعك الرفيع وعطفك السامى ، ففهمت أن أجيب عن هذا التكريم العظيم بالمثول بين يديك أرجو على الشكر مقدرة ، أو ألتمس عن العجز معذرة ... ثم انثنيت عن هـذا لأنه عمل لا ينسجم مع نبل لفتتك ؛ وأخذت أجيل النظر والفكر فى كتابك

وإهدائك ، فكان فضلها ونبلهما يخجلان كل ما ينثال على ذهنى من الصور والخواطر، فانتهيت ياسيدى إلى أن ألجأ من فضلك إلى فضلك ، محتمياً به منه ؛ وتلك هى السبيل التى سلكها كل من طوقتهم بجميلك ، وهديتهم إلى سبيلك ، تسدى إليهم المعروف ثم تمن عليهم بالإغضاء عن شكره . مد الله فى عمرك وظلك ، وأبقاك لبنى وطنك تلقى عليهم دروس الكرامة والوطنية والعزة.

ثروت أباظة

**حول أبى هريرة :**

كتبت كلمة نقد لكتاب أبى هريرة سلكت فيها جادة الإنصاف ، ووضعت توجيهاً جديداً لدراسة أبى هريرة دراسة عادلة ، ولكن هذا لم يعجب صاحب الكتاب ، ولم يعجب بعض إخواننا من الشيعة ، فحملوا علىّ فى بعض جرائدهم حملة ظالمة ، وقد رد على صاحب الكتاب بكلمة فى الرسالة لم يأت فيها بشىء نحو ذلك التوجيه الجديد فى دراسة أبى هريرة ، ولم يجد فيما يأخذه على إلا إسناد حديث دخول أبى هريرة على رقية إلى محمد بن خالد بن عثمان ، وقد كنت ذكرت معه بعض أسماء من كان يضع الأحاديث على أبى هريرة ، فسقط فى الطبع بعض هذه الأسماء ، وترتب على هذا إسناد ذلك الحديث إلى محمد بن خالد . والحقيقة أنه من وضع غيره لا من وضعه ، وقد ورد هذا الحديث بروايتين فى مستدرك الحاكم ، جاء فى إحداها محمد بن أحمد بن سعيد الرازى ، وهو من الضعفاء ، والمطلب بن عبد الله ، وهو من الضعفاء أيضا ، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وقد ضعفه النسائى والبخارى .

وجاء فى الرواية الثانية عبد المنعم بن إدريس عن وهب بن منبه ، وهو قصاص لا يعتمد عليه ، وقد ذكر أحمد بن حنبل أنه كان يكذب على وهب بن منبه ، وذكر البخارى أنه ذاهب الحديث

فلم يبق إلا تصحيح الحاكم لسند هذا الحديث ، ولا شك أن تصحيحه له يشمل أبا هريرة أيضا ، فلا يصح لصاحب كتاب أبى هريرة أن يعتمد عليه فى رأيه فيه ، وقد قال الحاكم عقب هذا الحديث : ولا أشك أن أبا هريرة رحمه الله تعالى روى هذا الحديث عن متقدم من الصحابة أنه دخل على رقية رضى الله عنها ، لكنى قد طلبته جهدى فلم أجده فى الوقت ، وهذا هو الإنصاف الذى يجب أن يدرس به أبو هريرة وغيره .

وقد جاءنى من حضرة الفاضل الشيخ عبد الرحمن الجحمونى أنه وجد هذا الحديث فى كتاب التاريخ الصغير للبخارى (ص ١٠٠) وأنه ذكر إسناده إلى المطلب بن عبدالله عن أبى هريرة ،ثم قال : ولا يعرف للمطلب سماع من أبى هريرة ، ولا تقوم به الحجة ، فأعلّه بالانقطاع . وقد ذكر هذا الأستاذ الفاضل أن الحاكم يروى فى كتبه ما لا يعقل ، وقد طعن فى بعض أحاديثه الإمام السيوطى فى كتابه ( اللآلى المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة ) وكذلك طعن فيه صاحب كتاب ( الصارم المنكى ) . وذكر الشيخ عبدالعزيز الخولى فى كتابه ( مفتاح السنة ) أن فى المستدرك للحاكم كثيرا من الموضوعات ، وطعن فيه صاحب المنار فى المجلد السادس منها ، والشيخ طاهر الجزائرى فى كتابه (توجيه النظر إلى أصول الأثر )

وما كان أحرى صاحب كتاب أبى هريرة أن يتناول دراسته بهذا التوسع الذى يجده فى دراسة هذا الحديث ، ويثبت منه أنه موضوع على أبى هريرة ، لا أن أبا هريرة هو الذى وضعه على النبى صلى الله عليه وسلم .

عبد المتعال الصعيدى

**تصويب :**

١ — جاء فى مقال الأستاذ أحمد رمزى بك : ( بين مصر ولبنان ) المنشور بالعدد الماضى فى التعليق على كلمة تنوخ . وتنوخ اسم حبشى والصواب اسم جنسى ، وورد فى المقال غالباً وصوابها غالياً .

٢ — جاء فى مقال الأستاذ على متولى صلاح أن قصيدة الأستاذ بشارة الخورى ألقيت فى تكريم شوقى والصواب أنها ألقيت فى رثائه




# الجاسوسة العاشقة

عن الانجليزية

للاديب شفيق اسعد فريد

كان مقهى فندق كوزمو بوليتان يعج بالجالسين حتى لقد تعذر على ( فانيا ) السير لضيق مسافة ما بين المناضد . وتوقفت الفتاة لحظة وقد بدا عليها التردد ، على أنها استأنفت التقدم ثانية حتى وصلت إلى منضدة كان يجلس إليها رجل منفرد . ولاح كأنها كانت على وشك السقوط إذ مدت يدها مسرعة إلى المنضدة ولم تلبث أن سقطت منها حقيبتها اليدوية على الأرض .

وانحنى الرجل يلتقط الحقيبة ثم وقف وقال وهو يقدمها إلى فانيا :

— أرجو المعذرة ... ولكن هل تتكرمين بالجلوس معى ياسيدتى ... يلوح أنه لانوجد أماكن خالية الليلة فى المقهى .

وابتسمت الفتاة دلالة على الشكران ثم جلست ... وقبلت قدح القهوة الذى طلبه لها ثم بدأت تشكره على تلطفه معها .

ولم يخف على رئيس الخدم ورجاله المنتشرين فى أرجاء المكان أن ( فانيا ) الجاسوسة فى قلم المخابرات السرية بموسكو قد عادت لاستئناف نشاطها ثانيا .

ولكن أن أندريه ليرو لم يكن يدرى ذلك برغم معلوماته الجمة عن الجاسوسية وعن حيل الأشخاص الذين ينتمون إلى أقلام المخابرات السرية .

لقد كان هو نفسه جاسوساً فرنسيا طاف بكثير من الممالك منتحلا شخصيات عديدة ومستعملا فى ذلك جوازت سفر تطابق الأسماء التى كان ينتحلها ... ومع ذلك فإنه لم يكن يدرى أن رفيقته ( فانيا ) من أخطر جواسيس موسكو .

لم يكن يدرى أن فانيا هى التى أدارت الحديث ثالث يوم من صداقتهما ناحية بولندا وزيارته إلى تلك المملكة ... لأنه كان يعتقد أنه هو نفسه الذى وجه الحديث إلى هذه الناحية الشيقة

لم يكن يدرى أن مرض خادمه فى الفندق فى اليوم الرابع من وصوله ومجىء خادم جديد بدلا عنه كان من صنع ( فانيا ) وأنى له أن يعرف ذلك وقد خرج فى اليوم ذاته فى نزهة فى السيارة استغرقت أكثر من أربع ساعات بعيداً عن المدينة ، كان أحد مهرة صانعى الأقفال يعمل خلالها بنشاط عجيب ويفتح جميع أدراج مكتبه فى الفندق على حين كان رجل آخر يلتقط صورا فوتوغرفية لجميع أوراقه ويعيدها إلى مكانها كأنما لم يحدث شيئا مطلقاً

حقاً لقد كانت ( فانيا ) ماهرة فى عملها كل المهارة ... ومع ذلك فإن أندريه ليرو لم يكن يأبه إلا للنظرة الساحرة التى كانت ترميه بها من وقت لآخر .

كانت فانيا تجلس فى غرفة استقبال أندريه ليرو فى فندق كوزموبوليتان بعد مضى أسبوعين على لقائهما .

ونظرت الفتاة إلى ساعتها اليدوية ... ( لم يبق غير دقيقة واحدة ) .

قال أندريه : إننى ذاهب إلى أمريكا أولا ، ثم أخترق القارة إلى سان فرنسيسكو ... ألا تشعرين بأنه يجدر بنا — إذا أردنا السعادة — أن نتزوج فى وارسو أو فى باريس أو فى أى مكان آخر ثم نرحل معاً ... كم هى جميلة حياة الأسفار حيث يتجول الإنسان فى ممالك غريبة عنه ... إننى أملك مالا كثيراً ... فهل تتزوجيننى يا فانيا ؟ .

ولم تستطع الفتاة أن ترفع بصرها عن ساعتها اليدوية ... وكانت تحاول أن تتجه بأفكارها اتجاها آخر بعيداً عن أندريه وعن حديثه ... وابتسمت ... وراحت تفكر فى زميلها كرجل يغازلها ويعرض عليها الزواج ولكن كرجل له أهمية عظمى فى مؤامرة أعظم ...

ولم تجب ، فاسترسل أندريه فى حديثه قائلا :

— فانيا ... أصغى إلى ...

وتوقف فقد اهتز باب الغرفة فى تلك اللحظة اهتزازاً عنيفاً تحت تأثير ضغط عظيم من الخارج ...

وسمع الاثنان صوتا خشناً يقول :

افتحوا الباب وإلا فسنحطمه فى أقل من خمس ثوان ...

افتحوا الباب ...

ولم ينتظر الآمر إذ يبدو أنه كان فى عجلة شديدة ... وأسرعت فانيا تحتمى بجانب أحد جدران الغرفة ... ثم دوت طلقة نارية لم يلبث بعدها أن تحطم قفل الباب وتناثر داخل الغرفة فى قطع صغيرة ... واهتز الباب اهتزازاً عنيفاً ثم فتح الباب على مصراعيه ...

ووقف ثلاثة من الجنود على عتبة الباب وقد رفعوا مسدساتهم فى أيديهم .

وتقدم أحدهم وقام بتفتيش الجاسوس الفرنسى تفتيشا دقيقا ثم قبض على كتفه فى شىء من العنف .

وفى تلك اللحظة دخل فورناشوف الغرفة .

كان فورناشوف هذا من كبار موظفى حكومة السوفييت على أن الجمهور لم يكن يدرى من أمره شيئاً فقد كان نادر الظهور أمام أفراد الشعب ، كما أن اسمه لم يكن يذكر فى الإدارة السرية فى الكرملين إلا فى ظروف خاصة .

هز فورناشوف رأسه فى إيماءة خفيفة إلى فانيا ولكنها كانت أبلغ من الكلام ...

كانت هذه الإيماءة الخفيفة تحوى كل معانى التهنئة ... حقاً لقد قامت الفتاة بدورها على ما يرام فسارت الأمور فى نصابها دون أن تحدث أى ثغرة بسيطة فى الخطة الموضوعة ...

وصاح فورناشوف يأمر الجند : خذوه خارجاً ...

كان أندريه ممتقع الوجه ولكنه لم يفه ببنت شفه ... وحين كانوا يسوقونه إلى الخارج ألقى على الفتاة نظرة عاجلة ولكنها كانت خالية من كل المعانى ... وسر الفتاة أنه لم يقل شيئاً وأدركت أن هذا الرجل العظيم لم يكن على شاكلة الآخرين الذين أوقعتهم فى حبائلها ... كانوا يثورون ويلعنون أما هذا الرجل الباسل فقد كان هادئاً برغم الخطر العظيم الذى كان يحدق به ...

ولم يتكلم فورناشوف أيضاً بل أومأ إلى أحد أعوانه بأن يجمع حقائب أندريه كما أرسل أحد الجنود لإحضار نجار يصلح الباب ... وغادر الغرفة فى النهاية وانصرفت فانيا على الأثر إلى منزلها .

وفى الصباح التالى كانت فانيا قد نسيت كل شىء عن أندريه وحين زارت فورناشوف فى مكتبه علمت أن قلم المخابرات قد أحرز نصراً عظيما بالقبض على أندريه .

قال فورناشوف : إننا نأمل أن تكشف لنا الأوراق التى عثرنا عليها مع أندريه عن معلومات ثمينة إذ يبدو أن فيها ما يشير إلى وجود رجل انجليزى فى المؤامرة ... وفى اعتقادى أن وجود الأصبع الإنجليزى فى المؤامرات ضد الروسيا قد أصبح من الأمور المألوفة ...

وقهقه ضاحكا إذ كان يشعر بالغبطة والانشراح ... والتقط قلماً من فوق مكتبه وراح يعبث به . وهتف : لقد نجحت نجاحا عظيما يافانيا فقد استطعت أن تقومى بدورك فى هدوء وسكينة دون أن تثيرى حولك ضجة تجذب أنظار الجمهور ... إن أحداً — غير موظفى قلم المخابرات السرية — لا يعلم أن شخصاً معلوماً قد اختفى من عالم الوجود كما حدث أمس وكما سيحدث قريباً جداً ... فقد وصل إلى علمى أن إنجليزياً على وشك الوصول إلى موسكو ولما كان أمر ذلك الإنجليزى يهمنى فسأعهد إليك بالمهمة الخاصة به فى الوقت المناسب ... ولكن تذكرى أننى لا أريد ضجة لا مبرر لها لأننى رجل سلام ... والآن يمكنك أن تنصرفى أيتها المواطنة على أن تعودى بعد أسبوع ...

كانت محادثتهما خالية من كل ما يشير إلى أندريه ... ولكن ما ذا يهمهما من أمره ... لقد لاقى جزاءه المحتوم مثل الكثيرين الذين سبقوه فى هذا المضمار ...

كانت الفتاة تدرك ماحدث للجاسوس المسكين فقد كانت تعرف فى مثل هذه الأمور ما لا يعرفه إلا القليلون .

وتمثلت فى ذهنها اللحظات السوداء التى تمر بالجاسوس بعد القبض عليه وقبل أن يساق إلى الموت ... وتراءى لها أندريه وقد ساقوه إلى مكتب المخابرات حيث مثل بين يدى رئيس المكتب الذى طلب اليه أن يتكلم ويبوح بكل مالديه من المعلومات واعدا إياه بالحرية المطلقة أو على الأقل بالحرية داخل حدود روسيا السوفيتية ... وتمثلت منظر الجاسوس وقد رفض التكلم لعلمه بغدر العارض، وعندئذ يسوقونه إلى سجنه المعتم حيث يوضع تحت المراقبة الدقيقة ... فإذا كان الفجر سيق الرجل فى دهليز طويل

ضيق ... ويبرز من إحدى المنعطفات رجل يسير بحذر وخفة ثم يرفع هذا الرجل يده وقد حمل فيها مسدسا يطلقه فى هدوء على الجاسوس المسكين فلا يلبث أن يخر صريعاً ...

وهكذا سوف تتخلص روسيا من أندريه ليرو الجاسوس الفرنسى الكبير ...

* * * *

كانت فانيا فى طريقها من محطة المترو إلى فندق كوزموبوليتان وقد تدثرت بملابس ثقيلة التماسا للدفء ... كانت متجهة بكل أفكارها إلى شخص معين يدعى اليوت فانجدون.

لقد زودوها بكل ما يلزمها من المعلومات عن هذا الرجل وأوصافه ولكنهم لم يخبروها أن هذا الشاب من الشبان القليلين الذى لا يفقدون رباطة جأشهم ابان أشد الأزمات خطورة وأنه أرسل من قبل الحكومة الإنجليزية فى مهمة تتعلق بالتجسس عن مشروع خطير قيل إن حكومة روسيا تقوم به فى الأوساط الهندسية — لأنهم لم يكونوا يعرفون ذلك هم أنفسهم ...

وتكرر حادث سقوط حقيبتها اليدوية للمرة الثانية كما تكرر وقوع الشاب الإنجليزى فى حبالها أيضاً ... ولعله كان من أعجب الأمور أن يقف الخادم بجوار فانيا حين سقطت الحقيبة ومع ذلك فإنه لم يكلف نفسه مؤونة التقاطها تاركا ذلك للشاب ... ولم يمض على ذلك الحادث غير نصف ساعة حتى كان اليوت فارنجدون يعبر للفتاة عن سروره لأن عثر على فتاة روسية ظريفة تستطيع التحدث باللغة الإنجليزية .

كان الاثنان يجلسان فى شرفة الفندق ثالث يوم على لقائهما ... قال اليوت :

— كان يجب أن ترتدى قبعة من تلك القبعات التى تغطى العينين والتى تلبسها السيدات هذه الأيام ومعطفا من الفرو السميك حتى تبرزى محاسنك الفاتنة يا فانيا .. إننى لا أعنى أنك لست جميلة ولكنى أعتقد أنك تكونين أجمل لو أنك ...

فقاطعته قائلة : اننى لا أدرك ما تعنى ... إن لدى معطفاً للشتاء كما لدى قبعة ... وفى اعتقادى أن رجال الإنجليز يعشقون الملابس لا النساء اللائى يرتدينها ...

فصاح اليوت : لا تكونى حمقاء ... اننى أخبرك بما سأبتاعه لك لو أنك سمحت لى بذلك الشرف ... تعالى نرقص مماً هذا المساء .

فهتفت فانيا : سوف نرقص هنا ثم نخرج فى نزهة قصيرة فى موسكو وعندئذ سوف تخبرنى عن قصة حياتك ... أليس هذا ما تفعله الفتيات الإنجليزيات ...

فقال فى هدوء : بلى .

* * *

والآن وقد مضت سبعة أيام على هذا الحديث فقد بدأت فانيا تشعر بشىء من القلق والاضطراب فقد تحاشى اليوت الكلام عن نفسه وعن المركز الخطير الذى يشغله فى قلم المخابرت السرية الإنجليزى ... أجل لقد تجنب الكلام عن نفسه بصفة خاصة حتى إنه لم يطلعها على أمر تلك المكالمة التليفونية التى تلقاها من بوخارست والتى استغرقت مدة ساعة بأكلها ما بين الساعة الواحدة صباحاً والساعة الثانية صباحاً ... فهل ياترى كانت تلك المحادثة الطويلة لسؤال اليوت عن جوموسكو ...

لقد قرر جاسوس المخابرات الروسية الذى استرق السمع ابان المكالمة أنها كانت عبارة عن تقرير بخصوص حالة أخى اليوت الصحية إذ مرض هذا الأخ فجأة فى بوردو ...

( البقية فى العدد القادم ) شفيق أسعد فريد



**اقصدوا :**

# متحف فـــؤاد الأول

## لسكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

### أمام مخزن بضائع محطة مصر

لتشاهدوا تطورات وسائل النقل البرية والبحرية والجوية فى مختلف الأزمان ولتروا أكبر وأدق مجموعة من النماذج والخرائط والصور المضاءة لتاريخ النقل فى مصر والخارج

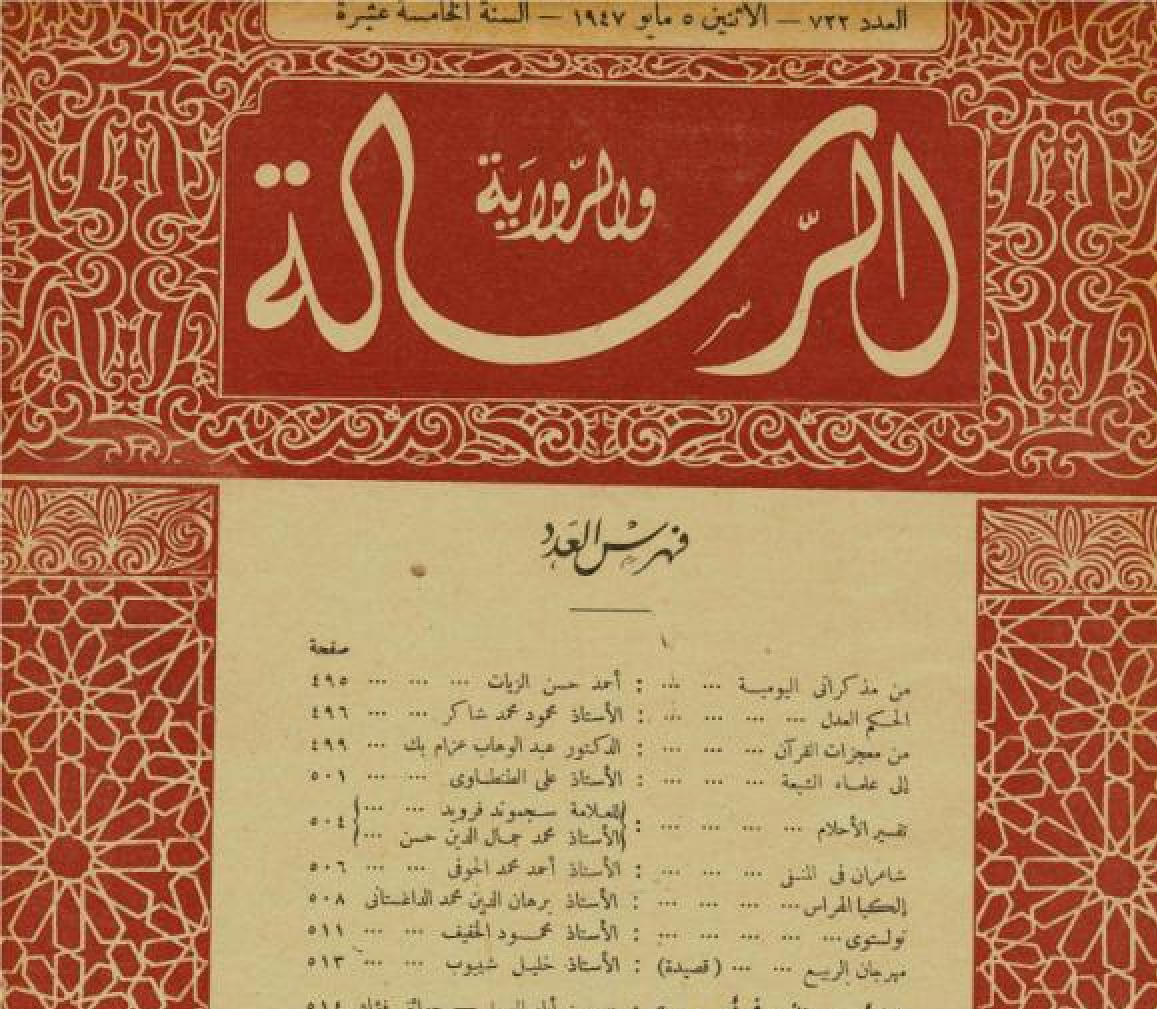
المتحف مفتوح للزيارة كل أيام الأسبوع ما عدا أيام الاثنين والعطلات الرسمية كما يأتى : —

فصل الصيف -- من أول مايو إلى آخر أكتوبر من الساعة ٠٠ ٨ إلى الساعة ٣٠ ١٣

رسم الدخول ٢٠ مليماً تليفون رقم : ٤١٩٦٤

مطبعة الرسالة

العدد ٧٢٢ — الاثنين ٥ مايو ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة




## فهرس العدد

صفحة

من مذكراتى اليومية ... ... : أحمد حسن الزيات ... ... ... ٤٩٥
الحكم العدل ... ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ... ... ٤٩٦
من معجزات القرآن ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام بك ... ٤٩٩
إلى علماء الشيعة ... ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ... ٥٠١
تفسير الأحلام ... ... ... : العلامة سيجموند فرويد ... ... / الأستاذ محمد جمال الدين حسن ... ٥٠٤
شاعران فى الشرق ... ... ... : الأستاذ أحمد محمد الحوفى ... ... ٥٠٦
إلكيا الهراس ... ... ... : الأستاذ برهان الدين محمد الداغستانى ٥٠٨
تولستوى ... ... ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ... ... ٥١١
مهرجان الربيع ... ... (قصيدة) : الأستاذ خليل شيبوب ... ... ٥١٣

« **الأدب والفن فى أسبوع** » : يوم من أيام المسلم — جوائز فؤاد العلمية — العقل المصرى — النهضة العلمية فى مصر — الفائزون بالجوائز — درجات المتفوقين — البراءة الملكية بالجائزة — مولانا أبو الكلام — وزارة للفكر — الشمس تغنى ... ... ... ... ... ... ... ... ٥١٤

« **البريد الأدبى** » : نهضة العراق الأدبية فى منهاج الوزارة العراقية الجديدة — إلى الأستاذ الطنطاوى — شعاب قلب — حول أطلق عليه ... ... ... ٥١٧

« **الكتب** » : يوم ميسلون — الأستاذ حبيب الزحلاوى — الشريد — الأستاذ محمد خليفة التونسى ... ... ... ٥١٩

« **القصص** » : الجاسوسة العاشقة (قصة) : بقلم الأديب شفيق أسعد فريد ٥٢١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٢٢ — الاثنين ٥ مايو ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة




فهرس العدد


صفحة

من مذكراتى اليومية ... ... : أحمد حسن الزيات ... ... ... ٤٩٥

الحكم العدل ... ... ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ... ... ٤٩٦

من معجزات القرآن ... ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام بك ... ٤٩٩

إلى علماء الشيعة ... ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ... ٥٠١

تفسير الأحلام ... ... ... ... : للعلامة سجموند فرويد ... ... / الأستاذ محمد جمال الدين حسن ... ٥٠٤

شاعران فى المتنبى ... ... ... : الأستاذ أحمد محمد الحوفى ... ... ٥٠٦

إلكيا الهراس ... ... ... ... : الأستاذ برهان الدين محمد الداغستانى ٥٠٨

تولستوى ... ... ... ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ... ... ٥١١

مهرجان الربيع ... ... (قصيدة) : الأستاذ خليل شيبوب ... ... ٥١٣

« **الأدب والفن فى أسبوع** » : يوم من أيام العلم — جوائز فؤاد العلمية — العقل المصرى — النهضة العلمية فى مصر — الفائزون بالجوائز — درجات المتفوقين — البراءة الملكية بالجائزة — مولانا أبو الكلام — وزارة للفكر — الشمس تغنى ... ... ... ... ... ... ... ٥١٤

« **البريد الأدبى** » : نهضة العراق الأدبية فى منهاج الوزارة العراقية الجديدة — إلى الأستاذ الطنطاوى — شعاب قلب — حول انطلى عليه ... ... ... ٥١٧

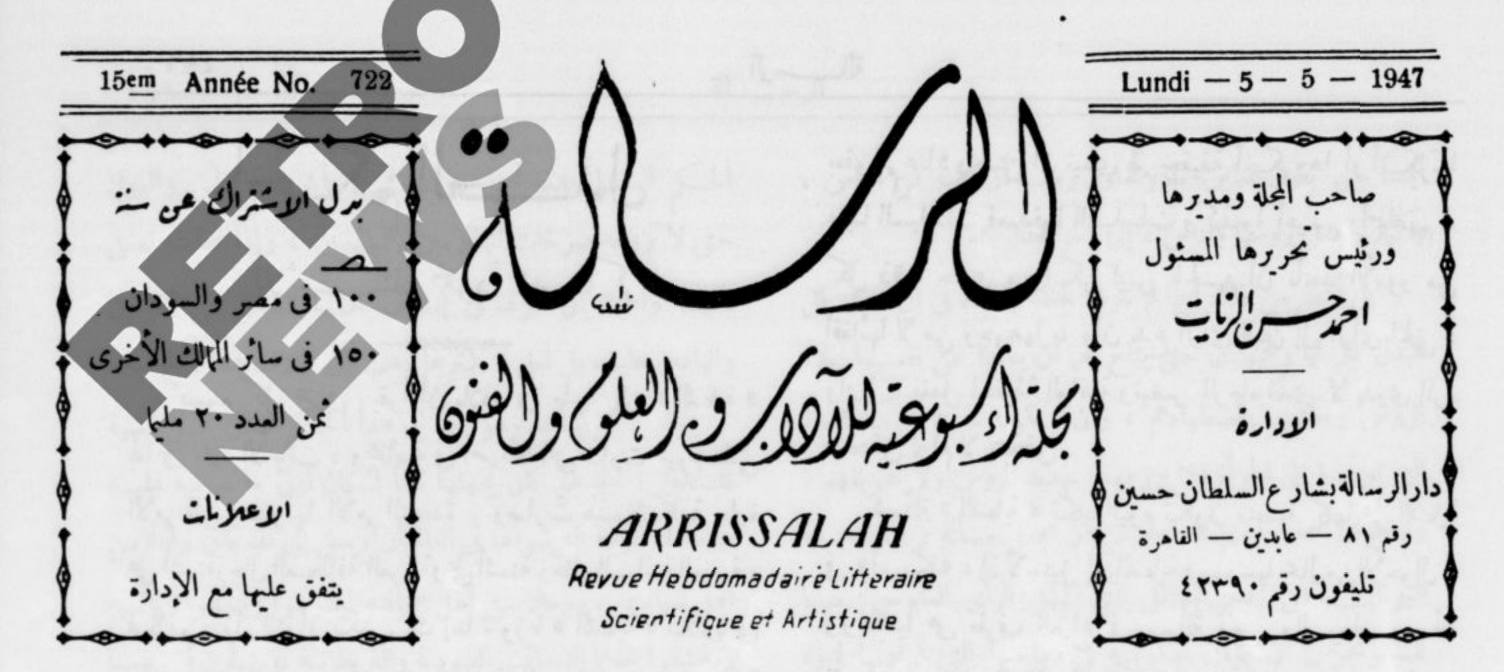
« **الكتب** » : يوم ميلون — الأستاذ حبيب الزحلاوى — الشريد — الأستاذ محمد خليفة التونسى ... ... ... ... ... ... ... ... ٥١٩

« **القصص** » : الجاسوسة العاشقة (قصة) : بقلم الأديب شفيق أسعد فريد ٥٢١


٢٨٠٣٦

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون






15em Année No. 722

Lundi — 5 — 5 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٢٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ جمادي الآخرة سنة ١٣٦٦ — ٥ مايو سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة


# من مذكراتى اليوميـــة

**يوم الأحد ٢٣ فبراير سنة ١٩٤٧ :**

اختلف أطبائى الخمسة فى شرح ما بى ، ولـكنهم اتفقوا على أن أذهب إلى حلوان فأنقع فى هدوئها ودفئها أعصابى وأوصابى . فنى صبـاح هذا اليوم العابس القَر انتقلت إلى هذه المدينة ونزلت فندقاً من فنادقها الـكبرى ، ثم قطعت ما بينى وبين دنيا الناس فلا أشغل ذهنى بفكر ولايدى بعمل — هذا الفندق الغريق فى الضوء والسكون أشبه الأشياء بالدير الجبلى فى روعته الأخاذة ووحشته القابضة؛وهؤلاء النازلون به المستشفون فيه أشبه الأحياء بالرهبان المنقطعين فى معيشتهم الرتيبة وعزلتهم الرهيبة . إنه كالدير فى غير بساطة ولا زهادة ؛ وإنهم كالرهبان فى غير ورع ولا عبادة . هم أزواج ومزاج من جاليات الأمم الذين انتجعوا مصر انتجاع البدْو مساقط الغيث ، ففيهم اليونانى والطليانى واليهودى ، وفيهم كذلك خلق عجيب من جيراننا الأدنين يلبسون القبعـة حتى لايقال إنهم مصريون ، ويتكلمون الفرنسية حتى لا يتهموا بأنهم شرقيون . وأ كثر هؤلاء الأخلاط كهول و كهلات يشكون ذات الصدر أو وهن الأعصاب أو وجع المفاصل أو داء الملوك ؛ فنهاجهم اليومى أن يغدوا إلى العين الـكبريتية فيستحموا ، أو إلى العين المدنية فيشربوا ، فإذا متع الضحى رجعوا فرادى و ثُناء حتى يتجمعوا حلقاً حول الموائد تحت مظلات الحديقة وفوق شرفات الفندق . فهنا جماعات العجائز السمان والعجاف جلسن يثرثرن وفى أيديهن إبرة الحياكة تدخل وتخرج ، وفى أفواههن آلة الـغيبة تتحرك و تَهرُج ، فلايزلن معظم النهار بين أيدٍ تحوك ، وألسنةٍ تلوك،وأهدافهن أعراض أولئك الحسان القليلات اللائى جلسن متفرقات يهدهدن أجسامهن وأحلامهن على الـكراسى الوثيرة الهزّازة .

وهناك جماعات الكهول الثقال والخفاف يتراطنون بفضول الـكلام وغث الحديث ولؤم الوقيمة ، وكل منهم يتفقّل مجوزه المراقبة من بعيد ليخالس النظر إحدى أولئك الجميلات المنفردات فلا يرى منها بالاً يبى ولا طرْفاً يجيب !

كان مرضى يمنعنى القرار فى مكان واحد ، فـكنت أسترق السمع حيناً إلى جماعة النساء ، فلا أجد حديثهن يخرج عن أن هذه الفتاة الداخلة عشيقة الغنى فلان تاجر القطن وقد أخفاها عن زوجه فى هذا الفندق ، وهو يزورها من الإسكندرية كل أسبوع فيقضى معها الليلة أو الليلتين ؛ وأن هذه المرأة الخارجة أرملة لعوب وصلت أسبابها بالمرابى الأرمل فلان ، فهو يلقاها كل عصر فى (دار الينبوع) أو فى (الحديقة الصينية)؛وأن هذه المستلقية على الـكرسى الطويل يهودية بذلت سر برها لصديق زوجها فانتحر الزوج وأفلس الصديق ؛ وهى الآن فى حضن صاحب سينما ....

ثم أسترق السمع حيناً إلى جماعة الرجال فلا أجدهم يخوضون

( البقية على الصفحة التالية )

احمد حسن الزيات

إلا في الهُجر والنكر ، ففلان أزرى بالسرقة ، وفلان يتجر بالفحش ، وفلان قضى بهذا الفندق شهرين ثم لم يعط الخدم يوم سافر إلا قرشاً صاغاً كان من نصيب الخادم الذي نقل له الحقائب . فإذا أفضى بهم الحديث إلى قضية المصريين والإنجليز مطوا الشفاه ، وعوّجوا الأفواه ، وقالوا على أنفسهم خِلطاً أسود من الغمز بنا والطعن فينا ، وأخونا الشرقي المقبّع الذي يناقلهم الحديث لم يرد أن يقول لهم ولنفسه : « حسبكم ! فإن لحم أشداقكم التي تلوونها بالبذاء ، وشحم أعناقكم التي تثنونها بالكبرياء ، هما من ضيافة هذه البلاد ! » ولكن المجتمع الأجنبي هنا كأكثر المجتمعات الأجنبية في كل مكان : نسيج من عمل الشيطان ، لحمته الجناية على الأخلاق ، وسَداه الزراية على مصر .

أحمد حسن الزيات

# الحكم العدل

للأستاذ محمود محمد شاكر

يسمع كل عربي ويقرأ أن بلاده في حاجة إلى « الدعاية » لها في بلاد الأجانب ، وبخاصة في أمريكا التي صارت اليوم ملتقى الأمم التي يسمونها الأمم المتحدة . وصارت هذه الكلمة حلوة على ألسنة رجال الصحافة العربية وعلى ألسنة رجال السياسة العربية ، فكلهم يقول لك أو يكتب لك إننا تعوزنا « الدعاية » لبلادنا في الخارج . ولا بأس في أن يستحلي رجال الصحافة ورجال السياسة كلمة يديرونها على ألسنتهم ، ويجدون في طعمها وفي نبرتها وفي جرسها لذة تحملهم على ترديدها واللجاج بها ، ولكن البأس كل البأس أن يفضي استحلاء هذه الكلمة إلى استحلاء صب الملامة والتأنيب على أنفسنا ، وتحت أثلاتنا بالتعنيف على ما نرتكب من تقصير في حق أوطاننا . ولو كان ذلك التقصير حقاً محضاً لا يمتوره رأي ينقضه ، لكان كثرة اللجاج فيه عملا لا خير فيه البتة . ومع ذلك فلنفرض أنه حق محض ، فما وراء ذلك ؟

نعم إنه لحسن أن نظهر الناس على وجه الحق في مطالبنا ، وعلى بشاعة الظلم المضروب علينا ؛ وحسن أن ندعو الناس إلى سماع حجتنا ؛ وحسن أن نزيل من أوهام أولئك الخلق ما علق بعقولهم عنا ؛ وحسن أن نبدي لهم حقيقة أنكروها أو أنكرتها علينا السياسات فصدقوا السياسات وكذبوا أعينهم وأسماعهم . كل ذلك حسن ، ولكن ليس بالحسن أن نأخذ الأمور من أقفائها لا من وجوهها ، وأن ندع الرأي البين إلى الرأي الخفي ، وأن نغفل الحقيقة الواقعة ونبصر الرجاء الذي لا يدري المرء أيتحقق له أم لا يتحقق .

فمسألة « الدعاية » تكاد اليوم تكون منصبة كلها على الدعاية في «أمريكا» ، إذ لا سبيل إلى الدعاية في روسيا بحال من الأحوال ، وبريطانيا هي طرف النزاع في مسألة مصر والسودان ومسألة فلسطين وفي سائر المسائل الشائكة التي يعاني العرب منها ما يعانون ؛ وكذلك شأن فرنسا في مسألة بلاد تونس ومراكش والجزائر ، فلم يبق إلا أمريكا ، وهي التي يدور حديث رجال الصحافة ورجال السياسة في وجوب الدعاية لقضايانا في أرجائها .

فلننظر إذن إلى جدوى هذه الدعاية علينا هناك ، وفي إمكانها قبل جدواها ، وفي حقيقتها قبل جدواها وإمكانها .

فأمريكا لم تزل تزعم منذ الحرب الماضية أنها نصير العدل والحق ، وأنها عدو البغي والعدوان ، وأنها صديق الأمم المستضعفة ، وأنها تبغض أشد البغض كل الاستعمار ، أي أنها الحكم العدل الذي لا يرى بغياً ولا عدواناً ولا مظلمة إلا نبض قلبه إشفاقاً ، وتحركت دماؤه اشمئزازاً وأنفة ، وأبى إلا أن يكون كما أراده الله أن يكون حكما عدلا لا يرده عن إقرار الحق والعدل جهد يبذله ، ولا دم يريقه ، ولا مال ينفقه في سبيل الحق والعدل والحرية .

وهي لا تزال تحقق ذلك — فيما ترى — بكل ما آتاها الله من قوة وحيلة ومعرفة ، فهي تتدسس إلى قلب روسيا لتكشف الغطاء عن هذا الوحش الباغي المستقر بين جنبيها ، والذي يخشى أن يكون أشد بغياً وعدواناً من الفريق الأول الهالك «ألمانيا» ، وهي تتسلل إلى خفايا السياسات في أرجاء أوربة لتظهر العالم على أساليب روسيا في العمل لإدخال كل أوربة في حوزتها وتحت سلطانها ، وهي ترسل جيوشاً لا تحصى من الخبراء والمخبرين ليستطلعوا طلع الحقائق التي تسترها روسيا في كل حنية من حنايا هذه الأرض ، وهي تؤوي إليها كل شريد أو طريد ناله من عسف الروس وبطشهم وتفسح له صدرها ، وتفسح له الصحف

أيضاً حتى يقول للناس ماذا تحاول روسيا أن تخبأ عن الناس ، وكيف تفعل روسيا بالناس ، إلى آخر هذا كله .

بل أعظم من ذلك أنها لم تتردد لحظة واحدة فى أن تبذل كل البذل لتركيا واليونان حتى يتاح لهما أن يصدا عن نفسهما بلاء الروس وبطشهم واضطهادهم ، وأن تكونا جبهة مزودة بالقوة التى تعينهما على الجرأة فلا يروعهما تهديد الروس ولا تخويفهم . ولم تتوان صحف أمريكا عامة عن أن تجعل مسألة تركيا ومسألة اليونان من أعظم المسائل التى تشغل الرأى العام حتى يتهيأ للكونجرس أن يؤازر حكومته فى سياستها التى أرادتها لدرء خطر الروس عن هذين البلدين .

كان هذا كله ليس يشك فيه أحد ، ورأت أمريكا أنها إنما تؤدى بذلك حق الإنسانية عليها ، وتؤدى حق المكانة التى تبوأتها عند الناس ، وتؤدى مايجب على الحكم العدل الذى لا يبغى إلا إقرار الحق والعدل ، وإزهاق الظلم والجور .

ولكن ما الذى فعله هذا الحكم العدل فى شأننا نحن العرب؟

كان أول مافعله أنه طلب باسم الحق والعدل أن تبيح فلسطين أرضها لصعاليك الأمم فتؤويهم وتمهد لهم أن يقيموا فى قلب بلاد العرب دولة يهودية تفعل بهذه العرب ما تشاء ، وسكتت باسم الحق والعدل عن المحرضين من يهود بلادها على انتزاع الأرض عامرها وخرابها من يد العرب لتكون فى يد صعاليك اليهود ، وغفلت باسم الحق والعدل عن شعب يسكن هذه الأرض منذ آلاف السنين تريد اليهودية أن تفقره وتذله وتنتزع منه أرض آبائه وأجداده بالجور والعدوان والنذالة الحديثة التى تسمى قوة المال . ثم أرسل الحكم العدل رسلا من عنده ليدرسوا القضية مع طائفة أخرى من البريطانيين ، فخرجت رسل الحكم العدل وهى ترى أن العرب أمة متأخرة ، وأنه لابد لليهود من أن يستعمروا هذه الأرض ليرفعوا عن هذه الأمة المتأخرة أساطير الجهل وغشاوة البؤس — ولو أفضى ذلك إلى أن يخوضوا فى الباطل خوضاً حتى يبلغوا الحق !

ثم جاءت مسألة مصر والسودان ، فإذا نحن نموج ونضطرب ونفزع من هول الغدر البريطانى وهذه المظالم الاستعمارية ، وإذا الحكم العدل يصم آذانه ويستغشى ثيابه باسم الحق والعدل حتى لا تروعه صرخات المظلومين والبائسين ، وإذا صحافته تضن بكلمة واحدة أن تقولها فى إنصاف هذا الشعب من الظالمين والباغين عليه ، بل لعل أكثرها ذهب إلى خلاف هذا وألح فيه .

وليس يقول أحد وهو يجد إن هذا الحكم العدل يجهل قضية فلسطين ؛ ولو هو كان يجهلها حقاً لكان أول ما تفرضه عليه هذه الحكومة التى تبوأها فى العالم أن يرسل إلى فلسطين رجالا من أهل سياسته ، ورجالا من أهل صحافته ليدرسوا وينبشوا وينقبوا ويكشفوا خفايا الدسائس اليهودية والبريطانية كما يفعلون فى روسيا وفى أوربة وفى سواهما من بلاد الله . وليس يقول أحد وهو يجد إن هذا الحكم العدل يجهل قضية مصر والسودان ، فلو كان حقاً يجهلها لفعل مثل ذلك حتى يتاح له أن يقف على أسرار هذه القضايا ليحكم بين الناس بالعدل والقسطاس ما دام مصراً على أنه حكم عدل لا يبغى من وراء عدله إلا إقرار الحق وإزهاق الباطل . ولو فعل لرأينا الصحف فى بلاده تملأ الدنيا عجيجاً وضجيجاً وبحثاً وتنقيباً وكشفاً عن خفايا السياسات كما تفعل فى مسائل روسيا وأوربة .

لا ، بل أكثر من ذلك أن لهذا الحكم العدل رجالا طالت إقامتهم فى مصر والسودان ، وفى فلسطين والشام ، منهم رجال الصحافة ومنهم رجال الجامعتين الأمريكيتين ورجال المدارس الأمريكية ، ومنهم رجال الشركات ومنهم غير هؤلاء ممن يذكرون بأسمائهم ومن لا يذكرون . فماذا يفعل هؤلاء جميعاً ؟ أى معروف يسدونه إلى البلاد التى طالت إقامتهم بين أهلها فعرفوهم وخبروهم ؟ أليس فيهم إنسان واحد فيه قدرة على أن يعرف خفايا الدسائس اليهودية والبريطانية فى بلاد مصر وبلاد الشام وفلسطين ؟ أليس لأحد منهم لسان ينطق بالحق دفاعاً عن أمم يكتم الاستعمار حقها ويبطش بها بطشاً وحشياً لا رحمة فيه ؟ كلا بل فيه ، ولكنهم حرب علينا ولا يريدون أن يقولوا لبلادهم ، وكأن بلادهم لا تريدهم أن يقولوا — وإلا ففيم صمتهم ، وفيم ممالأتهم لبريطانيا ويهودها وأفاقيها جميعاً من حثالات الأمم ؟ أم ترانا لا نستحق عدل الحكم العدل؟ أم نحن لسنا بأهل لأن تقال فى حقوقنا كلمة تجعل الحكم العدل

يتنبه إلى أن فى الدنيا شعباً تبلغ عدته أكثر من مائة مليون وعشرين مليوناً من الأنفس البشرية قد ضرب به الاستعمار اليهودى والبريطانى والفرنسى ضربات مبيرة مبيدة بغير شرف ولا ورع ولا إنسانية .

أيقال إن رجال الجامعات والمدارس ، وهم أهل العلم والثقافة والأدب ، ليسوا سوى جماعة يعيشون فى سراديب العلم والفلسفة لا يعرفون ما يجرى على أديم هـذه الأرض ؟ وأنهم لا يخالطون أحداً ولا يخالطهم أحد ؟ وأنهم رجال مقنعون بالأثواب الجامعية من فرع الرأس إلى إخمص القدم ، فهم عمى لا يبصرون إلا نور العلم ، وصم لا يسمعون إلا نداء الحقائق الخالدة فى الفلسفة ؟

كلا كلا ! إنهم يسمعون ويبصرون ولـكنهم لا يريدون أن يبينوا عما يسمعون وعما يبصرون ، فإذا أبانوا فلن يبينوا عن الحق ، بل يبينون عن خلافه مما سمعوه من أعوان بريطانيا وأشياع يهود ، ويطمنون فينا كل طعن ، ولا يرون بأساً من تعظيم أخطائنا وإخفاء صوابنا أو حقنا . بل يمنون علينا أن فعلوا لنا وفعلوا وهم يعلمون علم اليقين أننا لو قد كنا أحراراً فى بلادنا لعملنا لأنفسنا ما لا يستطيعون هم ولا سواهم أن يفعلوه لنا .

ثم فليخبرونا : أنحن الذين يجب علينا أن نتولى الدعاية لبلادنا فى بلادهم ؟ أيجب علينا أن نذهب إلى الحـكم العدل الذى يرسل إلى بلاد الله سوانا من يعرف خبايا أسرارها ، فنقول له بألسنتنا إن حجتنا كذا وكذا ، وفضائلنا كذا وكذا ، ونعدد له مناقبنا ووجوه حقنا ومظالم عدونا ، فإذا به يسمع لنا ويقنع بمـا نقول نحن ، وينسى كل ما تقول بريطانيا واليهود ، وإذا الرأى العام الأمريكى قد أصبح معنا ! !

كلا ليس بهـذا بمنطق ولا حق ، بل الحق هو أن الحـكم العدل هو الذى يجب عليه أن يتتبع حقائق القضايا ويرسل رجاله ورجال صحافته ليعرفوا ويسألوا ، ويجب عليه أن يطالب المقيمين من أهله فى بلادنا أن يقولوا الحق غير متجانفين ولا باغين ولا تابعين للأهواء والعصبيات ، وأن يتولى هو وصحافته بيان الحق فى ذلك كله حتى يستطيع أن يحكم بالعدل ، وإلا كان حكما لا يصلح للحكم .

أما دعاتنا الذين يحرضوننا على « الدعاية » لأنفسنا فى بلاد الحـكم العدل ، فليعرفوا أن الصحافة هنا لن تقبل منا أن ننشر ما نشاء إلا أن ندفع عليه مالا كثيراً ، وهم ينشرون لنا على أنه « إعلان » لا أكثر ولا أقل ، وأن القارىء سوف يقرؤه على أنه إعلان لا أكثر ولا أقل . فإذا كان لنا أن نرجو خيراً من الحـكم العدل ، فهو يوم يلين قلبه ويرق ويشعر أننـا أهل لأن ترفع عنا المظالم ، ويومئذ يرسل إلينا من يسألنا ويستخبرنا ويعود لقومه قضاة الحق أن أنصفوا مظلوماً طال ظلمه ، وأما قبل ذلك فلا . وإن كان هذا لا يمنع أن نبذل من الجهد ما نرجو أن يوقظ الحـكم العـدل من سباته الذى طال كما طال ظلمنا . وقبل ذلك فلنحذر أن نلوم أنفسنا على تقصير لم يكن ، لأنه ليس تقصيراً بل هو معرفة للحقيقة الظاهرة وهى أن الحـكم العـدل لا يريد أن يكون معنا نحن العرب دون النـاس جميعاً — حكما عدلا .

محمود محمد شاكر

---

# من معجزات القرآن

## تفسير الآيات الأولى من سورة الروم

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

لابد لتفسير الآيات الكريمة التي افتتحت بها سورة الروم من مقدمة تاريخية تبين الحوادث التي أشارت إليها هذه الآيات .

— ١ —

كان غربيّ آسيا ، في جملته ، متنازعاً بين الدول الفارسية المختلفة التي قامت في إيران وبين الدول الأوربيـة التي مدّت سلطانها إلى آسيا . وقد اسـتمر النزاع في هذه البقاع قروناً كثيرة أكثر من ألف عام .

فدولة الأكمينيين ، الدولة الفارسية الأولى التي أقامها كورش في منتصف القرن السادس قبل الميلاد وأزالها الإسكندر المقدوني حوالي سنة ٣٣٠ ق م ، هذه الدولة نازعت دول اليونان حقباً ، وحروب دارا وخلفائه في آسيا الصغرى وبلاد اليونان معروفة مشهورة .

والدولة الأشكانية التي نشأت في إيران بعد الإسكندر حاربت الرومان في هذه البقاع عصوراً طويلة .

والدولة الساسانية التي قامت في إيران سنة ٢٢٦ م وبقيت حتى أزالها الفتح الإسلامي نازعت الرومان ودولة الروم الشرقية التي تسمى الدولة البيزنطية ودام بينهما النزاع إلا فترات قصيرة حتى زالت الدولتان كلتاهما عن آسيا بالفتوح الإسلامية .

— ٢ —

والحادثات التي تشير إليها فاتحة سورة الروم هي خاتمة الجلاد الطويل والحروب المتمادية بين الدولتين .

وخلاصة هذه الحادثات على طولها واضطرابها فيما يأتي :

كسرى پرويز حفيد كسرى أنو شروان ، من أعظم ملوك الفرس وهو آخر ملوكهم العظام . ولي الملك سنة ٥٩٠ م بعد قتل أبيه هرمزد أثناء ثورة قائد فارسي عظيم اسمه بهرام چوبين .

ولما تولى پرويز العرش حاول إصلاح هذا القائد فاستعصى عليه وحاربه حتى اضطره إلى دخول مملـكة الروم ، وقد استنجد الأمبراطور موريس فأمدّه بجند رده إلى عرشـه فاستحكمت المودة بين الملـكين . فلما قتل موريس سنة ٦٠٢ م شن كسرى الحرب على فوكاس خليفة موريس . وتوالت وقائع زلزلت دولة الروم الشرقية زلزالا شديداً .

توالت هزائم الروم في آسيا الصغرى والجزيرة وشمالي الشام حتى فزع الروم ، واسـتغاثوا هرقل ( هركليوس ) ابن والي أفريقية فأقبل إلى القسطنطينية فاختير إمبراطوراً مكان فوكاس .

وحاول هرقل جهده أن يصد الفرس ، ولم يدخر وسعاً في حربهم فلم يستطع لهم رداً . وامتدت فتوح الفرس إلى الجنوب حتى استولوا على دمشق سنة ٦١٤ واتخذوها مركزاً سيروا منه الجيوش إلى أرجاء مختلفة حتى فتحوا بيت المقدس بجيوش جرارة فيها ستة وعشرون ألفاً من اليهود وبلغت كبرياء كسرى غايتها فأخذ الصليب الذي يزعم النصارى أن المسيح صلب عليه ، وكتب إلى هرقل كتاباً خلاصته :

« من كسرى پرويز رب الأرباب إلى عبده الحقير هرقل . تزعم أنك تعتمد على المسيح فلماذا لا يخلص المسيح بيت المقدس من يدي . ولماذا لم ينقذ نفسه من أيدي اليهود حينما صلبوه » .

ثم امتد الفتح إلى مصر فظفر بها الفرس بعد تسعة قرون من خروجهم منها أيام الإسكندر المقدوني .

وفي العام التالي صمم الفرس على فتح القسطنطينية ولم يكن بينهم وبينها إلا المضيق ، وحالفوا الأوار على أن يغزوها من تراقيا .

وزاد أمر الروم اضطراباً ، وبلغ يأسهم أن عزم هرقل على الفرار إلى قرطاجة لولا أن عرف الروم أمره فثار الناس واستحلفه البطريق في كنيسـة آياصوفيا ألا يبرح المدينة على أية حال .

في أثناء هذه الهزائم المتوالية اللاحقة التي توالت على الروم عشرين عاماً ، وحوالي سنة ٦١٥ حينما غلب الروم في أدنى الأرض

إلى بلاد العرب ، فى أرض الشام وهى الهزائم التى أهمت العرب نزلت الآية الكريمة :

ألم . غلبت الروم فى أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين الخ . وكان خبراً عجيباً ، أنكره مشركو العرب حتى راهنوا على كذبه .

روى الطبرى وغيره أن أبا بكر رضى الله عنه راهن أبىّ بن خلف على خمس إبل إلى خمس سنين فأمره الرسول صلوات الله عليه أن يزيد فى الرهان ويمد الأجل فراهنه على مائة ناقة إلى تسع سنين .

— ٣ —

فى سنة ٦٢٢ أعد هرقل العدد لحرب الفرس ، وتحمس النصارى لجاهدة العدو الذى استولى على بيت المقدس وأخذ الصليب الحقيقى ... وحقر النصرانية وسفه عليها هذا السفه ، وبذل القساوسة الجهد حتى صهروا آنية الكنائس من الذهب والفضة يتخذونها عدة للحرب .

ولم يكن لهرقل بقية من أمل إلا فى أسطول بقى لهم ، فأبحر فى جيش والفرس مشرفون على الخليج ينظرون إليه حتى نزل فى أسوس على ساحل الأناضول .

وكان هذا أول انتصار للروم بعد موت موريس أى منذ عشرين عاماً .

ثم توالى النصر فى آسيا الصغرى وأرمينية إلى أن عبر هرقل الفرات شطر الغرب والجنوب سنة ٦٢٥ .

وحاول كسرى برويز أن يوقع بالروم فى حاضرة ملكهم ، فحالف الأوار وسير جيشاً لمحاربة هرقل وآخر لحصار القسطنطينية سنة ٦٢٦ مع الأوار . فلقى الجيشان كلاهما الخيبة والهزيمة .

وأغرى هرقل الظفر المتتابع فعزم على أن يغزو كسرى فى مدينته دستكبرد وهى على تسعين ميلا إلى الشمال من المدائن عاصمة الدولة . وكانت وقعة الزاب فى ١٢ ديسمبر سنة ٦٢٧ ثم فر كسرى ، وقابلته العاصمة بالثورة عليه وخلعه . ثم حبس فى بيت الظلام ولا زاد إلا الخبز والماء . وبالغ ساجنوه فى إهانته . وقتل كثير من أولاده أمامه ثم قتل هو قتلة فظيعة . وذلكم كسرى برويز الذى أرسل إليه رسول الله كتاباً فمزقه « فقال اللهم مزق ملكه كل ممزق » .

وخلفه على العرش ابنه شيرويه ( قباذ الثانى ) فصالح الروم على أن يرد إليهم كل ما فتح الفرس من البلاد التى فى سلطان الروم ، وعلى أن يرد الصليب . وقد سار هرقل بالصليب إلى بيت المقدس فوضعه مكانه فى شهر سبتمبر سنة ٦٢٩ . وكان يوماً عند النصارى مشهوداً ، وتمت الغلبة للروم .

كان انتصار الفرس فى الشام حوالى سنة ٦١٥ وبعد بضع سنين شرع الروم يهزمونهم سنة ٦٢٢ وتوالت عليهم الهزائم حتى قتل برويز وصالح ابنه مصالحة المغلوب على أمره .

وذلك تأويل الآية الكريمة : « وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين » .

ونرجع إلى رهان أبى بكر وأبىّ بن خلف .

روى أن أبا بكر حين هاجر أخذ عليه كفيل وأنه حين انتصر الروم أخذ الرهن من أولاد أبىّ بن خلف .

وهنا نقول : لماذا اهتم العرب بحوادث الروم والفرس ولماذا أنزل فيها قرآن ؟ يقول المفسرون إن مشركى العرب فرحوا بانتصار الفرس وهم أصحاب أوثان كالعرب المشركين وبانهزام الروم وهم أهل كتاب كالمسلمين ، وقالوا للمسلمين سنغلبكم كما غلب الفرس الروم . فاهتم المسلمون وأخبروا رسول الله فنزلت الآية الخ .

ولا أحسب أن اهتمام العرب بالأمر كان لهذا بل أحسب ، والله أعلم ، أن العرب قلقوا لغلبة الفرس على الشام وهى منقلبهم للتجارة ، وقد ألفوا الروم فيها ، واتصلوا بهم بالتجارة وغيرها واتخذوا من عامتهم وخاصتهم أصدقاء وأعواناً ، وتجاراً يعاملونهم ويبايعونهم ، فكان الروم أقرب إلى عرب الحجاز ومن يتصل بهم من قبائل الشام وفلسطين ، وكان العرب بهم أعرف ، وبينهم وبين الروم من الأسباب ، ولهم فيهم من المنافع ما جعلهم يشفقون من غلبة الفرس على الشام ، وزوال سلطان الروم عنها ، ثم كان مع انهزام الروم انهزام حلفائهم وأنصارهم من عرب الشام ولهم بعرب الحجاز صلات .

( يتبع ) **عبد الوهاب عزام**

تعليق على كتاب :

# إلى علماء الشيعة !

للأستاذ على الطنطاوى

كان أهل القسطنطينية يتجادلون فى مسائل تافهة لا تقدم ولا تؤخر والعدو على الأبواب فضرب بهم المثل حتى قيل لكل جدال سخيف فى وقت عصيب : « جدال بيزنطى » . ونحن المسلمين اليوم ، يحيط بنا الأعداء من كل جانب ، وتنصب علينا المصائب من كل مكان ، ثم نختلف فى أبى بكر وعلى أيهما كان أحق بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى نتائج بنيناها على هذه المقدمة ، وفروع فرعناها عن هذا الأصل ، أطلنا الكلام فيها ، والجدال عليها ، حتى لم يبق فيها شىء يقال إلا قلناه ولا حجة إلا احتججنا بها ، وحتى صارت من الحديث المعاد ، والقول المملول ، وصرنا ( معشر أهل السنة ) نتمنى أن تطوى صحيفتها ، وينسخ حديثها ويتناسى حتى ينسى ، لذلك رحبنا فى مصر بالعالم الإيرانى محمد تقى قمى ، كما رحبنا من قبل فى الشام ومصر بسلفيه أبى عبد الله وعبد الكريم الزنجانيين ، ومكناه من افتتاح ( دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ) ، وسررنا حقيقة بتقرب إخواننا الشيعة منا ورجوعهم إلينا بعد إعراضهم عنا .

وجمهور أهل السنة لا يعلمون عن الشيعة إلا أنهم حزب سياسى ألف فى وقت من الأوقات لتأييد أحد المرشحين للخلافة ، اعتقاداً منهم بفضله ، وإيماناً بصلاحه ، ويرون هذا شيئاً طبيعياً ومفهوماً ، لا يخلو من مثله بلد فيه انتخابات عامة ، والحكومة فيه برأى الأمة لا بنص سماوى ، ولا بحق إلهى ، فن انتخبته الأمة ورضيت به فهو الحاكم الشرعى ... أما الشىء الذى لا يرونه طبيعياً ولا مفهوماً ، فهو أن يبقى فى أمريكا مثلا حزب لا يزال يسب لنكولن ، ويعادى الأمة الأمريكية كلها لأنها انتخبته ، وقدمته على خصمه الذى يراه هذا الحزب أصلح منه ، ويستمر على ذلك إلى الآن ، وقد مات لنكولن ، ومات خصمه ، وولى بعده رؤساء كثيرون وماتوا . أو أن يبقى فى المسلمين حزب يعادى الكثرة الكاثرة من سلف هذه الأمة وخلفها ، وينتقص جمهرة الأحياء والأموات منها ، لأن الخليفة الذى بايعته هذه الأمة سنة خمس وثلاثين للهجرة ، كان من حقه أن يبايع بها سنة عشر ، ويرى أن تأخير بيعته خمساً وعشرين سنة وتقديم ثلاثة رجال عليه ، أمر يستحق أن نتنازع (نحن) الآن عليه ، بعد ألف وثلاثمائة وخمسين سنة ، وبعد ما تبدلت الأرض ، وتغير وجه الدنيا ، مع أن هذا الخليفة نفسه قبل بتقديم الثلاثة عليه ، وبايعهم بالخلافة بيده ، وأعطاهم طاعته ، وأولاهم مودته ...

إن الأحزاب تتنازع وتختلف وقد يسب بعضها بعضاً ، ويبغى بعضها على بعض ، ويسلك كل منها إلى تقوية مرشحه أوعر الطرق ، فيمدحه بالباطل ، ويفترى على خصمه ، ويصمه بكل ما يشين ، ولكن تنقضى المعركة الانتخابية ، ويعود السلام ، ويرجع الجميع إخواناً متصافين ، يجمعهم العمل للوطن ، والسعى لإعلاء شأنه ، فما بالنا نشتغل اليوم بمسألة انتهت من ... ثلاثة عشر قرناً ؟!

شىء عجيب جداً !

على أن أهل السنة لا يطيلون النزاع فى ( أفضلية ) أبى بكر أو على ، ولا يرون لذلك خطراً فى الدين ، لأنه إن كان الفضل عند الله ، فالله أعلم به ، وهو لا يسأل عما يفعل ، ونحن لا دخل لنا فى القضية ، وإن كان فى الإدارة والسياسة ؛ فقد ولى الرجلان والحكم الآن للتاريخ وأهله . ولا طريق للاتفاق بيننا وبين الشيعة ، إلا :

١ — بأن ندع الكلام فى تفضيل بعض الصحابة على بعض لأن ذلك ليس من أركان الإيمان ، ولا من أسس الدين ، وليس له فى حياتنا نتيجة عملية .

٢ — وأن نجل الصحابة جميعاً ، ونكبرهم كلهم ، ولا نخوض فيما كان بينهم من حروب فتلك دماء طهر الله سيوفنا منها ( كما قال الإمام مالك ) فلنطهر ألسنتنا عن الخوض فيها .

٣ — وأن نرجع جميعاً إلى أصول الدين : إلى الكتاب

معتمدين فى تفسيره على المأثور كالذى نقله الطبرى فى تفسيره أولا ثم على المعقول الموافق للعربية ولأسباب النزول وإلى السنة الصحيحة وما بنى عليها من فقه ، وفرع من فروع ، وأن نترك كتب الخلاف التى تؤرث الأحقاد ، وتثير السخائم .

هذا هو الطريق الذى نراه ، ولعل ( دار التقريب ) ترى طريقاً أقصر منه ، وأسلم ، فنسلكه معها إلى هذه الغاية التى صار السعى إليها اليوم واجباً ، وأن يتعاون الشيعة والسنة على منع كل ما يصدع الشمل ، ويفرق الجمع ، ويلقى الخلف بين جماعة المسلمين كهذا الكتاب الذى كتبت هذه الكلمة تعليقاً عليه …

وهو كتاب أهدى إلى الرسالة للاطلاع والنقد ، اسمه ( تحت راية الحق فى الرد على الجزء الأول من فجر الإسلام ) مكتوب على غلافه ( لمؤلفه البحاثة المحقق الشيخ عبد الله السبيتى ) مطبوع فى طهران طبعاً سقيما ، أسلوبه ضعيف كثير الأغلاط ، له مقدمة ( بقلم صاحب السماحة العلامة الكبير حجة الإسلام الشيخ مرتضى آل ياسين الكاظمى ) ولست أريد تتبع كل ما فيه ولكنى أمثل عليه بهذا الذى أنقله منه بحروفه ، ولم أتعمد اختيار أشده وإنما أخذت ما وقع تحت نظرى منه :

قال فى صفحة ( ١٥ ) : إن تاريخ سقيفة بنى ساعدة يملى علينا درساً كاملا يوضح لنا به نفسية المهاجرين والأنصار وأنه لم تصف نفوسهم إلى حد وصل الدين ( كذا ) إلى أعماق قلوبهم . وقال فيها : والصحاح تحدثنا عن قول عمر ( إن النبى يهجر ) ذلك حينما قال النبى ( ص ) إيتونى أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ، فكل ذلك يشرف بالباحث على القطع بأن الدين لم يصل إلى أعماق قلوبهم ، ولم يفهموا الإسلام كما يريد الإسلام . وقال ( ١٥٤ ) : وحسبه أن يرى كعب الأحبار اليهودى الدساس إلى جانب عثمان وهو مستشاره . وقال ( ٥٠ ) : معاوية رأس النفاق — معاوية المستهتر . وقال ( ٨٥ ) معاوية رأس القاسطين . وقال ( ٧٩ ) : ورب رجال أقعدهم بغض أمير المؤمنين عن القيام بواجب الشهادة فأصابتهم دعوته كأنس بن مالك . وقال ( ٩٨ ) : أبو هريرة يحدث بالترهات ، ويختلق الخرافات . وقال ( ١٣٠ ) : حديث المنافقين كابن هند ( أى معاوية ) وابن النابغة ( أى عمرو بن العاص ) وابن الحكم وابن شعبة وأمثالهم ولا بحديث الكذابين الدجالين المخرفين كأبى هريرة … وقال ( ٤٠ ) : الشيخان ( أى البخارى ومسلم ) عنيا بأمور لا وزن لها ولا قيمة — ولسنا نعلم لو كان النجاح فى هذه الحرب ( الخندق ) لغير على أكان يهمله الشيخان فاتضح لك أن تلك الأقلام ( الكلام كله على البخارى ومسلم ) التى تسود تلك الصفحات كانت تمشى وراء الميول والأهواء والتبصبص ( كذا ) حول التيجان . وقال ( ٩٣ ) : على أن مسلماً فى صحيحه زاد فى اختصارها ( خطبة للنبى صلى الله عليه وسلم ) جرياً على مقتضيات السياسة التى تخرس الناطق وتصم السميع فحذف شطرها المختص بعلى عليه السلام كما لا يخفى ، ومما يدلك على أن السياسة لا دين لها ، وأنها تعمى البصر والبصيرة . وقال ( ٩٦ ) : كرر البخارى هذه السخافة فى مواضع عديدة من كتابه . وقال فيها : وقد أخرج البخارى من الغرائب والعجائب والمناكير ما يليق بعقول مخرفى البربر ، وعجائز السودان . وقال ( ١٠٠ ) : تراه ( أى البخارى ) يخرج من الأحاديث الموضوعة ما قد تقرب الواضع به إلى الظالمين الغاشمين تصحيحاً لما كانوا يرتكبونه من القتل والمثلة وسائر الأعمال البربرية . وقال ( ١٤٦ ) : إن الشيعة لا تعول على تلك الأسانيد ( أى أسانيد أهل السنة ) بل لا تعتبرها ولا تعرج فى مقام الاستدلال عليها فلا تبالى بها وافقت مذهبها أو خالفته . وقال فيها : إن لدى الشيعة أحاديث أخرجوها من طرقهم المعتبرة عندهم ، ودونوها فى كتب لهم مخصوصة وهى كافية وافية لفروع الدين وأصوله عليها مدار علمهم وعملهم وهى لا سواها الحجة عندهم ، فما أغناهم بها عن حديث غيرهم صح حديث الغير أم لم يصح . وقال ( ١٦٢ ) والتجسيم معروف عن الإمام أحمد بن حنبل وأصحابه — ولقد رأينا من قبل أن ابن تيمية الخ … وابن القيم رأيه ذلك أيضاً — : وقال ( ١٦٣ ) والتجسيم رأى محمد بن عبد الوهاب وعليه اليوم الوهابية جميعاً لا يتحاشون فى ذلك وقد نقله الشهرستانى عن أحمد بن حنبل وداود بن على الأصفهانى ( أى الظاهرى ) ومالك بن أنس ومقاتل بن سليمان وجماعة من أئمة

أهل السنة . وقال ( ١٦١ ) : والأشاعرة جميعاً على هذا الرأى — أفليس هذا هو القول بالتجسيم ؟! وقال ( ٦٤ ) : ومتى كانت الشيعة تعتبر تفسير الطبرى وتعتمد عليه ؟! وقال ( ٨٦ ) : ومتى كان ابن خلدون وغيره من علماء السنة ، اللهم إلا القليل ، لا يحمل حقداً ولا يتحامل عند يقف مؤرخاً للشيعة ومتى كان المؤرخ منهم لا يرتكب زوراً وبهتاناً عند سنوح كل فرصة ؟! وقال فيها : الاعتماد على ابن خلدون مثل من يريد أن يبحث عن الشريعة الإسلامية وصحة نبوة النبى فيعتمد على كتب النصارى قبل سبعة قرون الخ الخ .

ومؤلف الكتاب ( البحاثة المحقق ) لا يسوق هذا على أنه رأى له ، بل على أنه معتقد الشيعة ، وأنه المعتمد عندهم ، وأنا أصدقه فى ذلك ما لم أر علماء الشيعة يكذبونه فيه ، وينكرونه عليه ، وأقول :

إذا كان إخواننا الشيعة يعتقدون أن المهاجرين والأنصار لم تصف نفوسهم لفهم الدين ، ولم يصل إلى أعماق قلوبهم ، ونحن نراهم أئمة الهدى ، وورثة الرسول ... وإذا كانوا يسبون أكثر الصحابة ونحن نجدهم خلاصة الإنسانية ولباب البشر ... وإذا كانوا لا يقبلون أسنادنا ولا يحتجون بحديثنا ، ونحن نبنى على هذه الأسناد ديننا ، ونقيم على هذه الأحاديث شرعنا .. وإذا كانوا يرون الصحيحين مملوءين بالموضوعات والسخافات ، لا يليقان إلا بمخرفى البربر ومجاذ السودان ، ونحن نراهما أصح الكتب عندنا بعد كتاب ربنا ... ولا يعتبرون تفسير الطبرى وهو عمدة تفاسيرنا ... وكانوا يطعنون على أئمتنا ، ويصمونهم بالتجسيم وفساد المعتقد ... وإذا كان المؤلف قد صرح فى الصفحة (١٥) و ( ٦٤ ) و ( ١٣٢ ) أنه لم يقل كل ما عنده ، ولم يجهر بكل ما يعتقده ( لئلا يقوده البحث إلى نتائج غير صالحة قد لا تلتئم مع العصر الذى يطلب فيه الوفاق ) ، وإذا كان عنده ، أى عند الشيعة ، أكثر من هذا الذى قاله ... فكيف يا علماء الشيعة ، وكيف يا أعضاء دار التقريب ، وكيف يا محمد تقى قمى ، يكون الوفاق ، ويتم التقارب ؟

أو ليس من التناقض أن يأتى من إيران محمد تقى قمى ، ليعمل على التقريب بين المذاهب ، فينزل فى أفخم فندق فى القاهرة ويفتح داراً ينفق عليها وعلى موظفيها وزوارها أضخم النفقات ، فى الوقت الذى يطبع فيه فى طهران هذا الكتاب ؟ وهل وجدتم فى مصر أو الشام أو العراق كتاباً لسنى يسب فيه أهل البيت الأطهار ، أو يتعرض فيه لسيدنا على وذريته الطيبة ؟ فلماذا إذن افتتحتم دار التقريب فى مصر التى تحب عترة النبى صلى الله عليه وسلم وتتبرك بقبور الحسين وزينب ونفيسة ، ولم تفتحوها فى ( طهران ) حيث طبع هذا الكتاب الذى لم يترك مؤلفه أحداً من سلف هذه الأمة وخلفها حتى أصابه برشاش من أدبه السامى ؟

ألم يكفنا هذا الاختلاف أربعة عشر قرناً ؟ أما آن لنا أن نصطلح ونتفق ، ونجرد المسألة من ثوبها الدينى لتعود مسألة سياسية ، وقضية حزبية انتخابية ، لا أكثر ولا أقل ، ويرجع إخواننا الشيعة إلى حظيرة الجماعة ، فيترضوا عن الصحابة كلهم كما نترضى نحن عن آل البيت جميعاً ؟ ويجلوا أبا بكر وعمر كما نجل نحن علياً ؟

ماقول علماء الشيعة الأفاضل ؟ وماقول أعضاء (دار التقريب) ؟

( القاهرة ) **على الطنطاوى**

---

# ٥ – تفسير الأحلام

للعلامة سجموند فرويد

سلسلة محاضرات ألقاها فى ڤينا

للاستاذ محمد جمال الدين حسن

## الرقابة فى الأحلام :

استطعنا من خلال دراستنا لأحلام الأطفال أن نصل إلى معرفة شىء عن حقيقة الحلم وكيفية حدوثه وماهى خواصه الرئيسية ووظيفته . فرأينا أن الحلم يعمل كوسيلة لإزالة المؤثرات العقلية التى تقلق النوم . ونحن وإن كنا لم نتمكن بعد من الوصول إلى معرفة شىء عن أحلام البالغين ، اللهم إلا النوع الذى هو من نوع أحلام الطفولة ، إلا أن النتيجة التى وصلنا إليها ليست مما يستهان به ؛ فقد اتفق أننا فى كل مرة نتوصل فيها إلى تفسير الحلم تفسيراً واضحاً نجد أنه عبارة عن إشباع لرغبة . وهذا الاتفاق لا يعقل أن يكون عرضياً أو عديم الأهمية . أما الأحلام التى من نوع آخر فقد فرضنا ، اعتماداً على الشبه الذى بينها وبين زلات اللسان ، أنها عبارة عن بديل محرف لمحتوى مجهول لدينا . الخطوة التالية إذن هى أن نجتهد فى معرفة شىء عن ماهية هذا التحريف الذى ينشأ فى الأحلام .

هذا التحريف هو الذى يخلع على الأحلام هالة من الغرابة تجعلها بعيدة عن مدارك الفهم . وهناك أشياء كثيرة نريد أن نعلمها عنه ؛ أولا : كيف ينشأ هذا التحريف ؛ وثانياً : ما هى وظيفته ، وثالثاً : كيف يؤدى هذه الوظيفة .

دعونى أرو لكم أولا حلماً قصته علينا سيدة معروفة فى دوائر التحليل النفسانى وهى الدكتورة فون هج – هلموت Frau Dr Von Hug - Hellmuth وهذا الحلم كما تقول الدكتورة رأته امرأة عجوز ولكنها مثقفة ثقافة عالية ولها مكانة محترمة بين الناس وهى لم تقم بتحليله لأنه على حد قولها لا يحتاج إلى أى تحليل بالنسبة إلى المحلل النفسانى، كما أن الحالمة نفسها لم تقم بتفسيره ولكن طريقتها فى نقده وذمه تدل على أنها قد فهمت مرماه ، فقد قالت : « تصوروا امرأة فى الخمسين من عمرها لا هم لها بالليل والنهار إلا رعاية أولادها ، تحلم مثل هذا الحلم الفظيع الذى لا معنى له ! »

والآن دعونى أرو لكم هذا الحلم الذى يدور حول « الخدمة – الغرامية [1] فى الحرب »

قالت الراوية : رأت السيدة فيما يرى النائم أنها توجهت إلى المستشفى العسكرى الأول وأبدت للحارس الذى يقف بالباب رغبتها فى مقابلة كبير الأطباء ( وقد أعطته اسما لا تعرفه ) لأنها ترغب فى عرض خدماتها على المستشفى . وقد ضغطت السيدة على كلمة « خدمات » بطريقة فهم منها الحارس أنها تقصد بها « الخدمة – الغرامية » ولما كانت المرأة متقدمة فى السن فقد أفسح لها الحارس الطريق بعد قليل من التردد ، ولكنها بدلا من العثور على كبير الأطباء وجدت نفسها فى حجرة مظلمة تحتوى على عدد من الضباط وأطباء الجيش جلس بعضهم حول مائدة طويلة بينما ظل البعض الآخر واقفاً . وقد توجهت المرأة إلى أحد الأطباء وأفضت إليه باقتراحها ، ففهم الطبيب توا ما تقصد إليه . وقد كانت الكلمات التى استخدمتها فى الحلم هى : « اننى وكثيرات غيرى من نساء وفتيات ڤينا لعلى استعداد فى سبيل الجنود والضباط أو الرجال أن ... » وهنا انتهت الجملة بدمدمة غير واضحة . وقد ارتسمت على وجوه الموجودين علامات تجمع بين الخبث والارتباك رأت المرأة منها أنهم فهموا ما ترمى إليه فتابعت حديثها قائلة : « إنى أعلم أن هذا التصميم من جانبنا يبدو لكم شاذا غريبا ولكنى جادة كل الجد فيما أقول ، فالجندى لا يسأل فى المعركة إن كان يرغب فى الموت أو الحياة . ثم أعقب ذلك فترة رهيبة من السكون المطبق قطعه أحد الأطباء بقوله لها ، وقد تأبط خصرها بذراعه . « لنفرض يا سيدتى أننا حقاً قبلنا أن ... ( دمدمة ) » وهنا تخلصت المرأة من ذراعه وهى تتمتم « إنهم كلهم سواء » ثم أجابت : « يا للعجب ! اننى امرأة عجوز وقد لا يحدث لى هذا أبداً ؛ على أن هناك شرطاً يجب أن يراعى وهو

---

[1] بالألمانية Liebesdienst وهو اصطلاح معروف فى ألمانيا مأخوذ عن قولهم « الخدمة العسكرية »

مسألة السن ، بحيث لا يسمح لامرأة عجوز وشاب يافع أن ... ( دمدمة ) إن هذا يصبح فى غاية الفظاعة . » فهز الطبيب رأسه قائلا : « انى فاهم تماما ما تقصدين . » غير أن بعض الضباط ضجوا بالضحك فطلبت السيدة أن تؤخذ فوراً إلى كبير الأطباء الذى تعرفه حق المعرفة ، حتى يوضع كل شىء فى نصابه . ولكن الدهشة عقدت لسانها عندما اكتشفت أنها لا تعرف اسمه . غير أن الطبيب مع ذلك أرشدها إلى الطريق الذى يؤدى إلى الطابق العلوى فى أدب جم واحترام متناه وبينا هى تصعد درجات السلم إذ وصل إلى سمعها صـوت أحد الضباط يقول : هذا تصميم عظيم بلا شك . وسواء أكانت عجوزا شـمطاء أم صبية حسناء فلها الشرف المظيم على أية حال » . وهنا ملأها شعور بأنها لا تقوم إلا بتأدية أبسط ما يتطلبه منها الواجب ، فأخذت تصعد درجا لا نهاية له .

وقد تكرر هذا الحلم مرتين فى خلال بضعة أسـابيع مع تغييرات طفيفة هنا وهناك قالت عنها الحالة إنها عديمة الأهمية ولا معنى لها إطلاقا :

وهذا الحلم يشبه فى تسلسله أحـلام اليقظة ، غير أن هناك مقاطعة فى بعض المواضع . كما أن هناك كثيراً من النقط الغامضة كان من الممكن توضيحها إذا استفهمنا من الحالة عنها ، ولـكن هذه الخطوة لم تتخذ كما تعلمون . وإنما الغريب الذى يلفت النظر فى هذا الحلم هو وقوع كثير من الفجوات لا فى السرد بل فى المحتوى نفسه : فهناك آثار للمحو تبدو فى ثلاثة مواضع من المحتوى ، وحيثما توجد هـــذه الفجوات فالمحادثة تقاطع « بدمدمة » : وبما أننا لم نقم بتحليل هذا الحلم ، فليس لنا فى الحقيقة إذا توخينا الدقة أن نتكهن بشىء عن معناه . غير أن هناك تلميحات معينة مثل « الخدمة ـ الغرامية » يمكننا أن نستخلص منها بعض النتائج . كما أن الحديث الذى ينقطع قبل الدمدمة مباشرة لا يحتاج لإتمامه إلا إلى نوع واحد من التركيب . فاذا قمنا باتمام هذه الأحاديث فاننا نحصل على رؤيا خيالية مؤداها أن الحالة ، تلبية لنداء الواجب ، مستعدة لأن تهب نفسها لأشباع الرغبات الجنسية للجند على اختلاف درجاتهم . وهذا شىء فظيع حقاً فهو نموذج للرؤيا الجنسية المكشوفة . ولـكن الحلم لا يخبرنا بشىء من هذا ، فحيثما احتاج الأمر إلى هذا الاعتراف وجدنا فى المحتوى الظاهر دمدمة غير واضحة ، كأنما هناك شىء قد فقد أو قمع .

أظن من الواضح جداً أن السبب فى قمع هذه العبارات يرجع إلى طبيعتها البشعة . والآن أين نستطيع أن نجد شبيهاً لما يحدث هنا ؟ أظنكم فى غير حاجة إلى البحث بعيداً فى هذه الأيام [1] ، فأنتم إذا تصفحتم اليوم أى صحيفة سياسية وجدتم أن ههنا وهنا بعض الفقرات قد حذفت من الأصـل وظل البياض الناصع للصحيفة يطالعـكم بدلا منها . وهذا كما تعلمون من فعل الرقيب على الصحافة ، فحيثما وجدت هذه الفواصل البيضاء فمعنى ذلك أن شيئاً ما قد رفع من هذا الموضع لعدم موافقة الرقابة على نشره. وقد تأسفون على هذا العمل لأنه مما لا شك فيه أن هذا الموضع كان يحتوى على أهم ما فى الجريدة أو على «زبدة» الأخبار كما يقولون

ولـكن فى أحيان أخرى قـد يتنبه الـكاتب مقدما إلى العبارات التى من المحتمل أن تتعرض لقلم الرقيب ، فيقطع عليه خط الرجعة بأن يحور فى العبارة تحويراً يجعلها لا غبار عليها ، أو قد يكتفى بأن يلمح من بعيد إلى ما يريد أن يكتبه فعلا . وفى هذه الحالات لا توجد مواضع بيضاء خالية من الـكتابة وإنما فى امكاننا أن نستنتج من طريقة اللف والدوران التى يستخدمها الـكاتب أو من تعبيراته الغامضة أنه كان يكتب وهو يخشى قلم الرقيب .

والآن نستطيع أن نقول بالمثل إن الأحاديث التى حذفت من الحلم والتى جاءت متنـكرة على شـكل دمدمة كانت هى الأخرى ضحية لنوع من الرقابة : ونحن فى الواقع نســتخدم الاصطلاح « رقابة الأحلام » ونرجع جزءا من التحريف إلى فعلها به فحيثما توجد فجوات فى المحتوى الظاهر فاننا نعرف على الفور أن الرقابة هى المسئولة عن ذلك . بل إننا نذهب إلى أكثر من هذا ؛ فان رأينا وسط العناصر الواضحة الجلية من الحلم عنصراً غامضاً غير واضح المعالم أو لم تستوعبه الذاكرة جيداً قلنا إن هذا دليل على عمل الرقابة . على أن الرقابة قلما تتخذ هـذه الطريقة الواضحة المـكشوفة كما هو الحال فى الحلم الذى يدور حول « الخدمة الغرامية » وإنمـا تستخدم فى أغلب الأحيان الطريقة الثانية التى ذكرتها لـكم وهى التحوير فى العبارات أو الاكتفاء بالاشارة والتلميح بدلا من الافاضة والتصريح .

( يتبع ) **محمد جمال الدين حسن**

---

(١) الحرب العظمى الأولى

إلى طلبة التوجيهية :

# شـــاعران فى المنفى

للأستاذ أحمد محمد الحوفى

تمهيد — موضوعات القصيدتين — الصور والخيال — الأسلوب — كلمة عامة ....

— ١ —

شاعران مصريان معاصران تغنيا بمصر وأخلصا لها الحب ، فـكان جزاؤهما النفى ، أما أحدهما فمحمود سامى البارودى ، وأما الآخر فأحمد شوقى .

نفى البارودى إلى جزيرة سرنديب فى أعقاب الثورة العرابية ؛ لأنه أحـد زعمائها وقادتها ، ونفى شوقى إلى الأندلس فى أول الحرب العالمية الأولى ؟ لأنه يناهض الاحتلال البغيض ، ولأنه شاعر الخديو عباس وترجمانه ، وهوى مولاه وهواه مع تركيا ، وهى يومئذ فى صف ألمـانيا ضـد انجلترا ، وقد حيل بين الخديو ومصر فليبعد شاعره شوقى من مصر .

قضى البارودى فى منفاه سبعة عشر عاماً يتسلى فيها بالشعر ، وينفس به عن نفسه ، وقضى شوقى فى منفاه خمســة أعوام يردد النظر فى شعر الأقدمين ، ويصور ما يعتلج بنفسه من ألم وحنين . وتجلت فى شعر كل منهما نزعتـه وطبيعته ، فالبارودى يتحسر على أيامه الســعيدة بمصر ، ويكثر من ذكر الروضـة والمقياس والحسان المـائسات على الجسر ، ويود أن تـكتحل عيناه برأى مصر ، ويفتخر بشجاعته فى الحرب ، لأنه من رجال الجيش .

وشوقى يأسى على عهده النضـير بمصر ، ويتغنى بطبيعتها المزدانة الفتانة ، ويتوق إلى الرجوع إليها ، ويمجد ماضيها العظيم ويفخر بجلاله ، ويتحدث بآثارها الخالدة ، ولا ينسى مجد العرب والإسلام فى الشرق والغرب فينوه به ، منساقا فى ذلك مع ثقافته التاريخية الواسعة .

وإذا كانت النعم أحياناً تجنى من لهب الشدائد فإن نفى الشاعرين بلية أجنت الأدب حلو الجنى ، إذ أثرته بكثير من القصائد الجياد قـد بعثها عاطفة جياشة بالألم والحرمان والشوق واللهفة إلى الوطن والخلان .

ونحن الآن نوازن بين القصـيدتين المقررتين على طلاب التوجيهية فى هـذا العام موازنة تـكشف عن نواحى الاتفاق ومناحى الاختلاف .

— ٢ —

ليس فى القصيدتين وحدة ، فـكلتاهما ذات أغراض عدة ، ولـكنها مما يتداعى فى خاطر الشاعر إذ يذكر وطنـه ويحن إليه .

فالبارودى بدأ قصيدته بالشـكوى ، الشـكوى من الفراق المؤلم المسقم الذى لا يخففه عطف المواسيات ، حتى ليحسبن أنه مجنون لا يفيق ، لأنهن يجهلن داءه ، وما داؤه إلا تباريح الحب المهلك ، ثم يتـألم لأنه يكلف بحب من لا يهتمون بأمره ، وكرر الشـكوى من الأرق والوحدة حيث لا يجد صاحباً يبثه همه . قال :

ترحل من وادى الأراكة بالوجد     فبات سقيما لا يعيد ولا يبدى
سقيما تظل العائدات حوانيا     عليه بإشفاق وإن كان لا يجدى
يخلن به مســاً أصاب فؤاده     وليس به مس سوى حرق الوجد
به علة — إن لم تصبها ســلامة     من الله — كادت نفس حاملها تردى
ومن عجب الأيام أنى مولع     بمن ليس يعنيه بكائى ولا سهدى
أبيت عليلا فى (سرنديب) ساهراً     أعالج ما ألقاه من لوعتى وحدى
أدور بعينى لا أرى وجه صاحب     يريع لصوتى ، أو يرق لما أبدى

ولـكن شوقى بدأ بدءاً آخر ، فتخيل حماماً ينوح بوادى الطلح ، وناجاه بأن بلواهما متشابهة ، لأن اليد العاتية التى طيرت الحمام من واديه هى اليـد الناشمة التى حرمت الشاعر من وطنه وأهله ، وكلاهما فى وادى الطلح غريب ضائق الصدر يحز الألم فى نفسه ، ولا ينفك يشتاق إلى وطنه ولـكنه لا يستطيع الوصول إليه ، وهـذا الطائر صديق شوقى لأن الألم يربطهما ، وهو دائم الحنين والذكرى لواديه والحزن على فراقه ، قلق يتنقل من غصن إلى غصن فى فتور واسترخاء باحثاً عن مواس ولـكنه لا يجد ،

لأن لأمراض الجسوم أطباء ولكن أسقام الأرواح لا أساة لها ، وشوق يرمز إلى نفسه بهذا التصوير ، وهذا بدء يلائم الحال النفسية للشاعر المبعد من وطنه ، لأن الحمام من طبعه الحنين إلى وطنه وإلفه ، والشعراء إذا ما سمعوا حنينه هاجت ذكرياتهم فحنوا وأنوا . قال شوقى :

يا نائح الطلح أشباه عوادينا      نشجى لواديك أم نأسى لوادينا ؟
ماذا تقص علينا غير أن يداً      قصت جناحك جالت فى حواشينا
رمى بنا البين أيكا غير سامرنا      أخا الغريب وظلا غير نادينا
كل رمته النوى : ريش الفراق لنا      سهماً ، وسل عليك البين سكينا
إذا دعا الشوق لم نبرح بمنصدع      من الجناحين عى لا يلبينا
فإن يك الجنس يا ابن الطلح فرقنا      إن المصائب يجمعن المصابينا
لم تألُ ماءك تحنانا ولا ظمأ      ولا ادكاراً ولا شجواً أفانينا
تجر من فنن ساقاً إلى فنن      وتسحب الذيل ترتاد المؤاسينا
أساة جسمك شتى حين تطلبهم      فمن لروحك بالنطس المداوينا ؟

ثم يتفق الشاعران فى أن رأى كل منهما برقا يتلألأ حقيقة أو تخيلا ، فاهتاجه إلى مصر ، فالبارودى رأى برقا يلمع فيضىء الجبال والسهول ، فبات لياته أرقان يرقب النجوم التى أجهدها طول السرى كأنه ملدوغ أو فريسة فى مخالب الأسد ، وصور لألاء النجوم بالياقوت اللامع فى درع . قال :

ومما شجانى بارق طار موهناً      كما طار منبث الشرار من الزند
يمزق أستار الدجنة ضوؤه      فينسلها ما بين غور إلى نجد
أرقت له ، والشهب حيرى كليلة      من السير ، والآفاق حالكة البرد
فبت كأنى بين أنياب حية      من الرقط ، أو فى برثنى أسد ورد
أقلب طرفى ، والنجوم كأنها      قتير من الياقوت يلمع فى سرد

ولكن شوقى صور البرق بأن ناره تلمع مقتبسة من النار التى تشتعل فى أضالعه ، وصور المطر الذى يعقب البرق بأنه مستمد من غزير مدامعه ، فهو مؤرق طوال الليالى يراقب النجوم ، ويرعى عهد الحب لمصر ، حتى لقد ذوى ونحل ، فصار كزفرة حيرى فى الليل . وحمل هذا البرق وهذا المطر تحية إلى الوطن ، وصور المطر بأنه يجوب ظلمات البحر يحرسه جبريل من الأذى والعدوان حتى يصل إلى سماء مصر الأبية التى لا تقبل عطاء الغير وإن كان مطراً مباركا ، وحتى رويت بقطراته حدائق الوادى ومروجه وحقوله وريفه الجميل ، وطالبه أن ينزل على خمائل الوادى فى إيقاع رقيق كأنه تغريد وتطريب ، وأن ينزل سلاماً على النبات كما يتساقط الندى على أكمام الزهر ، وأن يوامى منازل الشاعر وأحبابه . قال شوقى :

يا سارى البرق يرمى عن جوانحنا      بعد الهدوء ويهمى عن مآقينا
لما ترقرق فى دمع السماء دماً      هاج البكا فخضبنا الأرض باكينا
الليل يشهد : لم نهتك دياجيه      على نيام ولم نهتف بسالينا
والنجم لم يرنا إلا على قدم      قيام ليل الهوى للعهد راعينا
كزفرة فى سماء الليل حائرة      مما نردد فيه حين يضوينا
بالله إن جبت ظلماء العباب على      نجائب النور محدواً بجبرينا
ترد عنك يداه كل عادية      إنساً يعثن فساداً أو شياطينا
حتى حوتك سماء النيل عالية      على الغيوث وإن كانت ميامينا
وأحرزتك شفوف اللازورد على      وشى الزبرجد من أفواف وادينا
وحازك الريف أرجاء مؤرجة      ربت خمائل واهتزت بساتينا
فقف إلى النيل واهتف فى خمائله      وانزل كما نزل الطل الرياحينا
وآس ما بات يذوى من منازلنا      بالحادثات ويضوى من مغانينا

ثم يتفقان فى الحنين إلى ملاعب الصبا ومراتع الشباب ، ويصور كل منهما حنينه تصويراً يوائم شاعريته ، فالبارودى يذكر جزيرة الروضة حيث داره ومنبت غرامه ومرتع لذاته وحياته الهانئة ، ويوازن بين حاله البائسة فى حاضره وحاله الناعمة فى ماضيه فتكاد تفارقه روحه ، ويدعو لهذا المنزل بأن ينزل عليه المطر غزيراً كما كان يدعو العرب ، محاكيا لهم فى دعائه ، على أن الروضة التى يحتضنها النيل من جهاتها الأربع فى غنى عن هذا المطر ، ويذكر بعض ما لقى من سعادة فى هذا المنزل والدنيا مواتية والحياة ناعمة ، وحبيبته وافية . قال :

خليلى هذا الشوق لاشك قاتلى      فميلا إلى (المقياس) إن خفتما فقدى
ففى ذلك الوادى الذى أنبت الهوى      شفائى من سقمى ، وبرئى من وجدى
ملاعب لهو ، طالما سرت بينها      على أثر اللذات فى عيشة رغد
إذا ذكرتها النفس سالت من الأسى      مع الدمع حتى لا تهنه بالرد

# إلكيا الهرّاس

للأستاذ برهان الدين محمد الداغستانى

٤٥٠ - ٥٠٤ هـ

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

**مناظراته :**

كانت مجالس المناظرة تعقد صدر الإسلام وعهد الأئمة المجتهدين للبحث فى العقائد ومسائل علم الكلام أو للمناقشة بين مجتهدين فى مسألة اجتهادية ثم تطورت المناظرات فى القرن الرابع الهجرى وما بعده — بعد أن ترك العلماء الاجتهاد المطلق فى الأحكام الشرعية وألزموا أنفسهم بمذاهب المجتهدين الذين كانوا قبلهم أمثال أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل وأقرانهم — وتغيرت مواضيعها فأصبحت مسائل فقهية خلافية بين الأئمة المجتهدين وكانت أكثر المناظرات تدور عليها بين أتباع المذاهب .

فمع أنه تخرج من علماء الإسلام وفقهائهم فى القرن الرابع وما بعده من لا يقل عمن تقدمهم من المجتهدين علماً بأصول التشريع والاستنباط لكن لم تكن لهم الجرأة الكافية للظهور بمظهر الاستقلال ولم تكن لهم الحرية الواسعة التى تمتع بها أسلافهم فقيدوا أنفسهم بنصوص المتقدمين لا يتعدونها وقصروا هممهم على تعليل الأحكام التى وصلتهم من أئمتهم وترجيح بعض الروايات على البعض الآخر واعتنى كل فريق منهم بتأييد مذهب إمامه على مذاهب الآخرين وكثرت المناظرات فى ترجيح مذاهب الأولين بينهم ، وكان أكثر ما تعقد هذه المناظرات المذهبية بين الحنفية والشافعية لأن أغلبها كانت بالعراق وعلماء المذهبين فيها متوافرون والمنافسة بينهم شديدة .

ومن هــــذا القبيل ما يرويه ابن خلكان من أنه كان بين إلكيا الهراس والشيخ الإمام أبى طالب الزينبى وقاضى القضاة أبى الحسن بن الدامغانى — وهما من أكابر الحنفية يومئذ ببغداد — من المنافسة والتنافر بسبب الخلافات المذهبية وما يرويه السبكى فى الطبقات إذ يقول : وكانت فى إلكيا لطافة عند مناظرته . ربما ناظر بعض علماء العراق فأنشد :

ارفق بعبدك إن فيه يبوسة ... جبلية ولك العراق وماؤه

قيل أنشد هذا البيت فى مناظرته مع أبى الوفاء بن عقيل الحنبلى

**فتاويه :**

قلنا إن العلماء فى القرن الرابع وما بعده لم يجدوا فى أنفسهم الشجاعة الكافية لإعلان استقلالهم عن الأئمة المتقدمين فى الاستدلال من الكتاب والسنة بل قصروا أنفسهم على نصوص أئمتهم،ولكن هذا لم يحل بينهم وبين استنباط العلل للأحكام التى نص عليها المتقدمون فتسنى لهم بذلك قياس ما جدّ بعد ذلك من الأحكام على ما نص عليه من سبقهم وبذلك استطاعوا أن يفتوا فى المسائل التى كانت تعرض لهم فى مختلف الشئون وربما اختلفت أنظارهم فى علة الحكم الواحد فتختلف آراؤهم فى المسائل المستجدة تبعاً لذلك، وكانت مسألة يزيد بن معاوية وقتله الحسين رضى الله عنه مسألة مثارة فى كل مجلس وناد مدة الحكم العباسى فكان لا بد

---

فيا منزلا رقرقت ماء شبيبتى ... بأفنائه بين الأراكة والرند
سرت سحراً فاستقبلتك يد الصبا ... بأنفاسها وانشق فجرك بالحمد
وزر عليك الأفق طوق غمامة ... خضيبة كف البرق حنانة الرعد

وشوق يحن إلى مصر ، ويراها صورة من الجنة وإن تهاونت فى تخليصه ، وهو يحبها لأنها مدرج طفولته وملعب صباه ، ومهبط آماله ، ومجال عظمتــه ، ومولد أبنائه وأحبائه ، ومثوى أجداده وآبائه ، ويدعو بالخير لأيامه الماضية وحياته السعدة الموانية حيث كان هو وأحبابه جمال الحياة ، صلتهم حب ووفاء ، وزمانهم حافل بالسعادة والصفاء . قال :

لكن مصر — وإن أغضت على مقة —
عين من الخـــلد بالكافور تسقينا

على جوانبها رفت تمائمنا ... وحول حافاتها قامت رواقينا
ملاعب مرحت فيها مآربنا ... وأربع أنست فيها أمانينا
ومطلع لسعود من أواخرنا ... ومغرب لجدود من أوالينا
سقياً لعهد كأكناف الربا رفة ... أنى ذهبنا وأعطاف الصبا لينا
إذ الزمان بنا غيناء زاهيــة ... ترف أوقاتنا فيها رياحينا
الوصل صافية ، والعيش ناغية ... والسعد حاشية ، والدهر ماشينا

(البقية فى العدد القادم)

أحمد محمد الحوفى

أن يسأل كل عالم عن لعن يزيد وهل هو جائز شرعاً أم لا ، وقد سئل إلكيا نفسه عن لعن يزيد فقال : إنه لم يكن من الصحابة لأنه ولد فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأما قول السلف فى لعنه ففيه لأحمد قولان تلويح وتصريح ، ولمالك قولان تلويح وتصريح ، ولأبى حنيفة قولان تلويح وتصريح ولنا قول واحد التصريح دون التلويح وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالنرد والمتصيد بالفهود ومدمن الخمر وشعره فى الخمر معروف ومنه قوله :

أقول لصحب ضمت الكأس شملهم وداعى صبابات الهوى يترنم

خذوا بنصيب من نعيم ولذة فكل وإن طال المدى يتصرم

ولا تتركوا يوم السرور إلى غد فرب غد يأتى بما ليس يعلم

وأفتى الغزالى وابن الصلاح بخلاف رأى إلكيا لأنه وإن غلب الظن بقرائن الأحوال أن يزيد رضى قتل الحسين أو أمر به فلا يجوز لعنه ويجمل كن فعل كبيرة . وجواب الغزالى بكامله فى الجزء الأول ص ٤٦٦ من وفيات الأعيان وهو فى غاية الإبداع والرصانة .

ويقول الحافظ أبو طاهر السلفى : استفتيت شيخنا إلكيا الهراس ببغداد فى سنة خمس وتسعين وأربعمائة لكلام جرى بينى وبين الفقهاء بالمدرسة النظامية . وصورة الاستفتاء ما يقول الإمام وفقه الله تعالى فى رجل أوصى بثلث ماله للعلماء والفقهاء ، هل تدخل كتبة الحديث تحت هذه الوصية ؟ فكتب الشيخ تحت السؤال نعم ، وكيف لا وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : من حفظ على أمتى أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً .

ونقل النووى عن إلكيا فى موضع واحد من الروضة أوائل كتاب القضاء أن العامى يلزمه أن يقلد مذهباً معيناً ثم نقل عن ابن برهان عكسه ورجحه .

**مؤلفاته :**

لا يذكر المؤرخون شيئاً عن مؤلفات إلكيا إلا السبكى فقد ذكر أن من مؤلفاته شفاء المسترشدين فى مباحث المجتهدين وقال إنه من أجود كتب الخلافيات ونقد مفردات الإمام أحمد ، وكتاباً فى أصول الفقه لم يذكر اسمه .

وذكر ابن الملقن الأندلسى فى العقد المذهب [1] الرد على الإمام أحمد ومباحث المجتهدين وأحكام القرآن . ولسنا نعلم عن كتب إلكيا أكثر من ذلك ما عدا أحكام القرآن الذى ذكره ابن الملقن فإن منه نسختين فى دار الكتب المصرية نسخة بخط قديم أكثره غير منقوط تحت رقم (١٤٤) تفسير وأخرى منقولة عن النسخة السابقة مكتوبة بخط جميل تم نسخها يوم السبت ٢٧ جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وألف من الهجرة تحت رقم (٧١٠) تفسير ، ولكتاب أحكام القرآن هذا أهمية علمية كبرى هى التى حدت بى إلى كتابة هذا الفصل فى التعريف بالكيا الهراس والتنويه بكتابه أحكام القرآن .

* * *

تفسير آيات الأحكام نوع من أنواع التفسير نشأ مع نشوء المذاهب الفقهية فى الإسلام ، لجأ أصحاب المذاهب من الفقهاء إلى هذا النوع من التفسير لتأييد مذاهبهم التى ذهبوا إليها واقتصروا على تفسير الآيات التى تعرض للأحكام الفقهية من قرب أو بعد وفسروها على قواعدهم فى الفهم والاستنباط .

وفى كشف الظنون [2] أن أول من صنف فى هذا النوع من التفسير الإمام المجتهد محمد بن إدريس الشافعى المتوفى سنة ٢٠٤ ثم الشيخ أبو الحسن على بن حجر السعدى المتوفى سنة ٢٤٤ ثم الإمام القاضى أبو اسحق اسماعيل بن اسحق الأزدى البصرى المتوفى سنة ٢٨٣ ثم الشيخ أبو الحسن على بن موسى بن يزداد القمى الحنفى المتوفى سنة ٣٠٥ ثم الشيخ الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوى المتوفى سنة ٣٢١ ثم الشيخ أبو محمد القاسم بن اصبغ القرطبى النحوى المتوفى سنة ٣٤٠ ثم الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن محمد المعروف بالجصاص الرازى الحنفى المتوفى سنة ٣٧٠ ثم الشيخ الإمام أبو الحسن على بن محمد المعروف بالكيا الهراس الشافعى البغدادى المتوفى سنة ٥٠٤ .

* * *

وأهمية كتاب الأحكام لإلكيا تأتى بنوع خاص من ناحية أنه ألفه على طريقة الإمام الشافعى وعلى أصوله فى استنباط أحكام

(١) ورقة (٥٥) مخطوط .

(٢) ١ : ٤٥ طبع بولاق

الفقه من آيات الكتاب العزيز كما يقول فى مقدمته .

ولأنا لا نعلم عن كتاب الأحكام الذى ألفه الشافعى — كما يقول صاحب كشف الظنون — شيئاً ولأنه من ناحيـة أخرى ليس لدينا إلى اليوم كتاب مطبوع فى تفسير آيات الأحكام على طريقة الشافعى مع كثرة هـذا النوع من التفاسير فى المذاهب الأخرى، ولأن إلكيا الهراس كتب كتابه الأحكام بعد الاطلاع على كتب من تقدمه من الحنفية والمالكية فى الأكثر الغالب — نرى أن أحكام القرآن للهراس ذخيرة علمية يجب الانتفاع بها وحبـذا لو قام بطبعه ونشره من يهمهم نشر البحث العلمى فى هذا البلد فإنهم يؤدون بعملهم هـذا خدمة جليلة للفقه الإسلامى ويحيون أثراً قيما من آثار أسلافنا الأمجاد .

**وفاته ورثاؤه :**

توفى إلكيا الهراس وقت العصر من يوم الخميس مستهل المحرم سنة أربع وخمسمائة فى بغداد ودفن بباب أبرز فى تربة الشيخ أبى اسحق الشيرازى وكان مولده — كما تقدم — فى خامس ذى القعدة سنة خمسين وأربعمائة فيكون قد عاش ثلاثاً وخمسين سنة وقريباً من شهرين[1] وحضر دفنه الشيخ أبو طالب الزينبى وقاضى القضاة أبو الحسن بن الدامغانى — وكانا مقدمى الحنفية فى بغداد وكان بينه وبينهما فى حال الحياة منافسة وتنافر ممـا يكون بين الأقران فوقف أحـدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال ابن الدامغانى متمثلا :

وماتغنى النوادب والبواكى ... وقد أصبحت مثل حديث أمس

وأنشد الزينبى متمثلا :

عقم النساء فـلا يلدن شبيهه ... إن النساء بمثـله عقم

ونقل ابن خلكان عن ابن عساكر فى تاريخه الكبير ان تلميـذ إلكيا أبا إسحق إبراهيم بن عثمان الغزى الشاعر المشهور رثاه ارتجالا فقال :

هى الحوادث لا تبقى ولا تذر ... ما للبرية من محتومها وزر

لو كان ينـجى علو من بوائقها ... لم تكسف الشمس بل لم يخسف القمر

قل للجبان الذى أمسى على حذر ... من الحمام متى رد الردى الحذر ؟

بكى على شمسه الإسلام إذ أفلت ... بأدمع قل فى تشبيهها المطر

حبر عهدناه طلق الوجه مبتسما ... والبشر أحسن ما يلقى به البشر

لئن طوته المنايا تحت أخمصها ... فعلمـه الجم فى الآفاق منتشر

سقى ثراك عماد الدين كل ضحى ... صوب الغمام ملث الودق منهمر

عند الورى من أسى أبقيته خبر ... فهل أتاك من استيحاشهم خبر

أحيا ابن إدريس درس كنت تورده ... تحار فى نظمه الأذهان والفكر

من فاز منه بتعليق فقد علقت ... يمينـه بشهاب ليس ينكدر

كأنما مشكلات الفقه (يوضحها) ... جباه دهم لهـا من لفظه غرر

ولو عرفت له مثلا دعوت له ... وقلت دبنى إلى شرواه مفتقر

هذا فصل وجيز قصدت به التعريف بإلكيا الهراس والتنويه بأهميـة كتابه « أحكام القرآن » إلا أنه ضاق فلم يتسع لتناول أحكام القرآن إلا بقدر يسير . وأرجو أن تتاح لى فرصة التحدث عنه فى فصل آخر خاص به فى القريب العاجل إن شاء الله .

**برهان الدين محمد الداغستانى**



(١) غير واحد من المؤرخين قال إنه كان ابن أربع وخمسين سنة يوم وفاته وهنا تساهل يكثر مثله فى التراجم .

الأدب في سير أعلامه:

# ١٣ ـ تولستوى

« قمة من القمم الشوامخ فى أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه »

للأستاذ محمود الخفيف

## في القوقاز

قرأ ليو كثيراً فى القوقاز وهو منذ حداثته لا يسلو الكتب مهما صرفته عنها أهواء شبابه ؛ فاذا عاد إليها أقبل يقرؤها فى جد وعناية قراءة تدبر واستمتاع ، ولم يفته كتاب مما كان يصدر يومذاك فى روسيا أو فى أوروبا ، كذلك لم تفته صحيفة أدبية تعنى بألوان الأدب المعاصر وتهتم بنقده ، وكان فى مقدمة تلك الصحف مجلة « المعاصر » التى نشرت له أول آثاره ...

وكان لترجنيف جانب كبير من اهتمامه ، وكان ترجنيف الذى يكبره كما أسلفنا بعشرة أعوام قد نشر سنة ١٩٤٧ أول كتاب له وهو « مذكرات رجل صيد » الذى سبق أن أشرنا إليه ، فكان ليو يعيد قراءته بين الحين والحين ؛ ولعل ما استمتع به ترجنيف من ذهاب الصيت بكتابه الأول هذا قد ألقى فى نفس ليو تولستوى أحلام المجد الأدبى وبخاصة بعد أن صادف كتابه « عهد الطفولة » ما أشرنا إليه من نجاح.

وكان لجوجول كذلك منزلة عظيمة فى نفس تولستوى ، فكان يطيل التأمل فى قصة « الأنفس الميتة » وفى قصته الفكهة « فى » ...

ولم ينسه تولستوى عن الأدب الأوروبى فكان يقرأ آثار أعلامه جميعاً ، وكان يتتبع ما ينشر دكنز فى شغف كبير ويقدمه على كل قصصى سواه ؛ وكذلك كان عظيم الاعجاب بالكاتب الانجليزى ستيرن الذى ذكرنا اسمه قبل فيمن ذكرنا ممن قرأ الفتى آثارهم ؛ كان ستيرن من رجال الدين ولد سنة ١٧١٣ وتوفى سنة ١٧٦٨ فهو من أعلام القرن الخامس عشر وقد اشتغل بالأدب ، وامتازت مؤلفاته بروح الفكاهة والعاطفة، وبلغ فى قوة خلق الأشخاص وتصويرهم مالا ينيلغه إلا الأفذاذ القلائل ، فكان لآثاره ميزة الأصالة والنبوغ ، وقد نشر قبيل وفاته أشهر كتبه وهو « الرحلة العاطفية » ، وقد كان تولستوى شديد التأثر عظيم الانجذاب نحو هذا الكتاب ؛ يضعه فى مستوى آثار روسو من حيث قيمته فى ذاته ومن حيث أثره فى نفسه ...

وكثيراً ما كان الفتى يطيل التأمل فى ساعات فراغه ، أو عقب قراءته كتابا من كتبه ، وكثيراً ما كان يثبت تأملاته فى كراسته فكان لهذه الكراسة بذلك خطرها كمصدر من مصادر تاريخ حياته

وكان أول ما تأمل الفتى فى الدين ولما يمض عليه فى القوقاز غير أيام ، ولم تكن هذه أول مرة يتجه فيها تأمله هذا الاتجاه ، فقد سبقتها مرات ومرات ؛ وقد أشرنا قبل إلى ما ذكره فى مستهل كتابه « اعترافاتى » عن ذلك الصبى الذى تحدث إليه ذات مرة وهو فى نحو العاشرة عن الله ووجوده ، وكيف تلقى ذلك الحديث فى اهتمام وأفضى به إلى اخوته ... ومما ذكره كذلك فى مستهل ذلك الكتاب قوله « لقد عمدت ونشئت على العقيدة المسيحية الأورثوذكسية ؛ وقد علمت هذه العقيدة فى طفولتى وطول أيام يفاعتى وشبابى ؛ ولكنى عندما تركت الجامعة وأنا يومئذ فى الثامنة عشرة لم أعد أصدق شيئاً مما علمته.. وقد ذهبت المتقدات الدينية التى علمتها فى صغرى ؛ ونظراً لأنى منذ سن الخامسة عشرة بدأت أقرأ الآثار الفلسفية ، فان رفضى هذه المعتقدات كان أمراً شعوريا فى سن مبكرة جداً ؛ فمنذ سن السادسة عشرة انقطع ذهابى إلى الكنيسة وانقطع صوى ؛ ولم أصدق ما لقنت فى طفولتى ولكنى كنت أصدق شيئاً ما ؛ أما ما هو ذلك الشىء فما كنت أستطيع وقتها أن أقول ، لقد صدقت بالله أو على الأصح إنى لم أنكر الله ، ولكنى لم أستطع أن أقول أى إله هذا ، وكذلك لم أنكر المسيح ولا تعاليمه ، ولكن مم كانت تتألف تلك التعاليم ؛ ذلك أيضاً ما لم أكن أستطيع أن أقوله ...

وإذا رجعت إلى تلك الحقبة من عمرى أرى الآن فى وضوح أن إيمانى ، إيمانى الحقيقى الذى لم يكن لى غيره ، ذلك الذى كان يحفز حياتى بصرف النظر عن غرائزى الحيوانية هو عقيدتى فى بلوغ الكمال النفسى ، ولكن مم يتألف هذا الكمال وما غرضه ؟ ذلك مالم أستطع أن أبينه ، لقد حاولت أن أكمل نفسى عقلياً ، فدرست كل ما استطعت أن أدرس ، كل شىء ألقته الحياة فى طريق ، وحاولت أن أكمل إرادتى فوضعت

قواعد أخذت نفسي بأتباعها ، وكلت نفسي من ناحية البدن فدربت قوتي ونشاطي بكافة أنواع التمرينات ، وعودت نفسي التحمل والصبر بكافة ضروب التقشف ؛ واعتبرت كل أولئك وسائلي نحو الكمال ؛ وكان أول ما اتجهت إليه الكمال الأدبي ثم أعقب ذلك وحل محله الكمال من جميع الوجوه ، أو الرغبة في أن أكون أحسن حالا ، لا في نظري فحسب ولا عند الله وحده ، ولكن في نظر غيري من الناس ... وسرعان ما اتجهت محاولاتي بعد ذلك إلى رغبة أخرى هي أن أكون أقوى من غيري وأبعد منهم صوتاً ، وأعظم خطراً وأكثر ثراء ...

هذا هو مبلغ اهتمام الفتى بالدين وكل ما هو من الدين بسبب منذ حداثته ، أما اهتمامه به في القوقاز فتجد شاهداً عليه فيما أثبته هناك من تأملاته ومنها قوله بعد أن ذكر أنه لم ينل ليلته بسبب صلاته ونسكه لله « إذا أريد بالصلاة أنها استغفار أو شكران فاني إذاً لم أكن أصلي ؛ بل إن رغبة كانت تتملكني نحو شيء طيب سام . أما عن كنه ذلك الشيء فذلك ما لا أستطيع تفسيره ، ولو أنني أشعر شعوراً تاما ماذا يكون ذلك الذي رغبت فيه ؛ إن الذي رغبت فيه هو أن أذوب فأمتزج بذلك الجوهر المحيط بكل شيء وأن أستغفره عن آثامي ... لا ، ليس هذا ما رغبت فيه لأني شعرت إذ منحني هذه اللحظة المباركة أنه بهذا منحني كذلك المغفرة »

والذي يستخلص مما كتبه تولستوي حتى هذه السن أنه لم يفقد الإيمان لحظة بقوة مطلقة في هذا الوجود ، وكان مرد إيمانه إلى عاطفته وإن كان يشعر أنه لا يستطيع أن يصالح عليها عقله ومنطقه ، فلقد كان شديد الشك في صورة العقيدة كما تضعها الكنيسة الأورثوذكسية الروسية ، ولذلك عظم الصراع بين عاطفته وعقله ... وتراه يتساءل ذات مرة في دفتره معتمداً على العقل والقياس قائلا : حتى ولو أن الجسم والروح شيئان ، وأن الجسم يلحقه الفناء ، فماذا في ذلك من البرهان على فناء الروح ؟ لقد رأيت الجسم يموت ، وعلى ذلك أستخلص أن جسمي أنا سوف يموت ، ولكن ليس في ما يريني أن روحي سوف تموت ، وعلى ذلك فبناء على ما يقوم في فكري أقرر أنها خالدة »

وقال عن الصلاة في موضع آخر « هل الصلاة لازمة ؟ وهل هي ذات فائدة ؟ إن التجربة وحدها هي التي تريـنـــا مدى ما يكون في ذلك من اقتناع . إني أصلي هكذا . رب نجني من السوء ومن الغواية أن أفعل السوء ، وهب لي الخير أو هب لي القدرة على أن أعمل صالحا ؛ وسواء أكان خيراً أم كان شرا ما أعمل فان مشيئتك هي النافذة »

وعاد يبحث عن الله في قوله « هل لي أن أنجح نجاحا لا مرية فيه فأكون عن الله فكرة واضحة وضوح فكرتي عن الخير ؟ لقد باتت هذه الرغبة أقوى رغابي !

إن فكرة الإنسان عن الله هي وليدة تفطنه إلى ضعفه هو ... ولم يقنعني بوجوده وبصـــلتنا به شيء أقوى من هذه الفكرة : ألا وهي أن كل مخلوق قد وهب من المكنة ما يتفق مع ما يرغب فيه من مطالب ، لا شيء أكثر من ذلك ولا شيء أقل ؛ ولأي غرض وهب الإنسان قوة إدراك مثل هذه المسائل وهي العلة الأولى والأبد واللانهاية والقوة المطلقة ؟ إن المقدمة فيما أتحدث عنه هي فروض تؤيدها علامات ، وإن الإيمان حسب تقدم المرء يتمم صحة هذه الفروض » .

وتشتد حيرته بعد ذلك فيقول : إني عاجز عن أن أثبت لنفسي وجود الله ، أو حتى عن إيجاد قرينة مقنعة به ؛ كما أني لست أرى ثمة ضرورة حتمية لهذا الادراك ، إنه لأيسر وأبسط أن نتخيل الوجود الأبدي للكون بنظامه المجيب الذي لا يمكن تصور مداه ، من أن نتخيل وجود خالق له ... إن تطلع الجسم والروح إلى السعادة هو السبيل الوحيدة إلى تفهم أسرار الحياة ، وإذا تصادمت نوازع الجسم ونوازع الروح فيجب أن تهيمن نوازع الروح لأن الروح خالدة كالسعادة التي تنتجها ... وإن تحقيق السعادة هو السبيل لتقدم الروح ورقيها ... إني لست أفهم ضرورة وجود الله ، ولكني أومن به وأصلي له كي يعينني على أن أدركه » .

وستنطوي سنوات كثيرة قبل أن يغير تولستوي ما أثبته في كراسته في نوفبر سنة ١٨٥٢ وهو قوله « إني أومن بإله واحد لا تدركه الأبصار وأومن بخلود الروح وأومن بالجزاء على أعمالنا ؛ وما يضيرني أني لست أفهم خفايا الثالوث ومولد ابن الله ؟ إني أجل عقيدة آبائي ولست أجحدها » .

ويتأمل الفتى غير الدين في أمر يتصل بالأخلاق فيقول « إن الضمير خير رائد لنا وخير ما نعول عليه من هاد ، ولكن ما هي الشواهد التي بها نميز صوت الضمير من بين الأصوات الكثيرة التي تنبعث في أنفسنا ، على أنه الصوت الوحيد الحق ؟ ذلك لأن

# مهرجان الربيـــع ...

للأســـتاذ خليل شيبوب

مهرجان الربيع فى الأيام     فرحة الكون تجتلى كل عام
وشباب الدنيا يجدده الدهـ     ـر بفيض من الحياة سجام

ألهميني عروس شعرى شموراً     صافى البث صادق الإلهام
أتمل الربيع نوراً به ينفســـ     ـح العمر والزمان أمامى
يا ابنــة الفجر أيقظينى فإنى     أذهلتنى طوائف الأحلام
وانظرى فالحياة نظرة حب     وابسمى فالمنى ضـياء ابتسام
وأفيضى علىّ وصف محيا     ك أطوّع له عصى الـكلام
قد تولى الشباب وا كتهل القلـ     ـب ومالت به عوادى القام
وربيعى فى وجنتيك وعينيـ     ـك وفى الجيد واللمى والقوام
طالعى الأرض والسماء بنفع     منك يسرى مسارى الأنسام
وابعثى فى الفؤاد ضوء رجاء     منك يحيا به حياة سلام
واستمدى له من الشعر فناً     صادراً عن حقائق الأوهام

عادت الطير من مهاجرها حا     ملة ذكر أفقهـا المترامى
فروت للرياض عنها حديثاً     لحنته لها بغير نظـــام
وسرت فى النسيم ثرثرة تفـ     ـصح عما به من الإبهام
وجرى الجدول الصغير ضياء     سائلا منه يرتوى كل ظام
وزهت حوله الخمــــائل غناً     فتراها من عنبر لا رغام
ظللتها الأشجار فهى عروش     ظللتها خوافق الأعـــلام
موجتها أشعة الشمس إذ تمـ     ـزج فيها الصفاء بالاضطرام
وتغطى زمرد النبت بالتبـ     ـر وتسرى كالروح فى الأجسام
قد أفاقت هذى الطبيعة تزهى     بقواها من بعد ذاك المنام
وتناجت آفاقها مائجات     بالشذى والنسيم والأنغام
فى الصحارى والروض والبحر والشا     طى وبين الا كام والآجام
تتناغى أصواتها فى خرير     وحفيف ورنة وبغـام
لبست أبهـج البرود وحطت     عن وجوه الجمال كل لثام
وتحلت بالزهر سيان ما فتـ     ـح منه أو كان فى الأكمام
باللآلىء والدر شىء نثير     ونظيم ورونق وانســجام
فتراها روانيـاً كعيون     فترت بالدلال والإحتشام
وتراها بواسمـاً كثغور     سحرها مبعث الهوى والهيام
وتراها حيية كخـدود     هاج فيها الهوى ندى الضرام
وكأن الرياض منسج ألوا     ن ومسرى شذى ومسقى مدام
وتهاويل ساحر عبقرى     وتصاوير ملهم رسـام
كل لون وكل معنى وفن     وجمـال وصـبوة وغرام
فتن تشرح الصدور وتشفى     من جمود القـلوب والأفهام
هى فى اليوم باعثات الأمانى     وهى فى الليل ناعشات الظلام
وهى عود المغرد المتغنى     وليـاذ المرفرف النسام
تلك حور الجنان فى سبحات الـ     ـنور قد أرضعت ندى الغمام
والغصون الولدان طافت من الز     هر بجام على الطيور فجام
إنما هذه مقدمة الجنـ     ـة فى الأرض فادخلوا بسلام

كيف هذا الورى عن الحق يسهو     وهو لاه عن الهوى متعام
وهو يحيا على خلاف ويبقى     أبداً فى تنازع وخصـام
ينقضى الدهر بين حرب وسلم     مثل حرب فى شدة وعرام
طمع جر القوى فظن الـ     ـحق مستمسكا بحد الحسام
وضعيف آبى المهانة يرجو     مثلهم أن يعيش عيش الـكرام
عالم تستحل فيـه الخطايا     وتراق الدماء حول الحطام
قلق ساور الحيـاة وحق     ضاع بين السيوف والأقلام
ليتهم فى الربيع يستلهمون الرو     ض حتى يحيوا حياة الوئام
فى نعيم القلوب مؤتلفات     بين رعى الرضى ورعى الذمام
يا ابنة الشـعر رفرفى فى مجا     لى النور حيث الصفاء بحر طام
لا يفتنى ربيع حسنك فى قلـــ     ـبى إذا فاتنى ربيع الأنام

**خليل شيبوب**

---

الغرور يتكلم بنفس القوة .. إن الرجل الذى يكون غرضه فى الحياة سعادة نفسه هو رجل سوء ؛ وإن الذى يكون غرضه حسن رأى الناس فيه رجل ضعيف ؛ وذلك الذى يجعل غرضه إسعاد الآخرين رجل خير ؛ ولـكن الذى يجعل غرضه وجه الله هو رجل عظيم .. إن الشر فى رأى يتكون من اتباع السوء تجاه الآخرين والخير كامن فى محبة الخير لهم ؛ بهذا يتحدث الضمير أبداً ؛ وإن غرض الحياة لهو الخير وهو عاطفة موروثة فى النفس ، ورأى أن الوسيلة لنعيش عيشة طيبة هى معرفة الخير والشر ... وإنا لن نكون أخياراً إلا عندما توجه جميع قوانا دائماً نحو هذا الغرض »

( يتبع )     **الخفيف**

# الأدب والفن في أسبوع

## يوم من أيام العلم :

شهدت جامعة فؤاد الأول فى الأسبوع الماضى يوماً رائعاً من أيام العلم فى تقدير النبوغ وإكباره ، ولقد زاد فى روعة هذا اليوم وبهائه أن باركه الفاروق العظيم برعايته السامية وعطفه السابغ ، إذ وقف المليك العظيم فى لباسه الجامعى بين أبناء الجامعة ، أساتذة وطلاباً ، ورجال العلم والأدب : شيوخاً وشباناً ، يوزع جوائز فؤاد الأول على الذين استحقوها من العلماء البرزين ، ويسلم الدرجات العلمية للذين نالوها من المتخرجين المتفوقين ، وما الجامعة العظيمة إلا غرس فؤاد العظيم ومأثرته على العلم ، فلا غرو أن يكون الغرس موضع الرعاية من شبله ، وإنما الابن سر أبيه ...

## جوائز فؤاد العلمية :

ولقد افتتح الاحتفال معالى وزير المعارف عبد الرزاق السنهورى باشا بخطبة ضافية ألقاها بين يدى المليك المعظم نصير العلم والعلماء واستهلها بقوله : « مولاى . إن لوالدكم الراحل العظيم من الأيادى البيضاء على العلم ، ما جعل رجال العلم فى هذا البلد يختار يوم ذكرى وفاته ليكون موسماً للعلم ، فاختارت لجنة الجوائز هذا اليوم لتوزيع الجوائز العلمية التى تفضلتم بتخصيصها كل عام للفائزين من كبار العلماء والأدباء ، وهى الجوائز التى أطلقتم عليها اسم والدكم المعظم . كما اختارت جامعة فؤاد الأول هذا اليوم أيضاً لتوزيع درجاتها العلمية على النابهين من أبنائها الخريجين ... وسيتشرف بالمثول بين يديك يا مولاى لأخذ الجوائز العلمية ولتسلم الدرجات الجامعية كهول وشباب ، أما الشباب : فأولئك هم المتفوقون من الناشئين فى العلم ، وأما الكهول فأولئك هم النابغون فيمن نضج من العلماء » ...

## العقل المصرى :

قال معالى الوزير : « لقد أثبت علماؤنا اليوم يا مولاى أن العلم ليس وقفاً على الغرب ، وأن العقل المصرى إذا أطلق من عقاله وأفسح له المجال ، يثب ويرتفع ، حتى يصل إلى المستوى الذى وصل إليه علماء الغرب ، وهذه حقيقة تدل عليها مؤلفات علمائنا الذين فازوا بجوائز هذا العام ، وهى ليست إلا مثلا لمؤلفات كثيرة أخرى ، فالعالم المصرى يحق له اليوم أن يطالب بمكانه بين علماء الغرب ، وهو فى ذلك لا يستحدث جديداً ، بل يواصل تقاليد قد سلفت ، يوم كانت مصر هى منار العلم ومنبع المدنية ومقر الحضارة » ...

## النهضة العلمية فى مصر :

ثم قال : « والنهضة العلمية فى مصر هى عز الماضى ، وأمل المستقبل ، بنينا مجدنا بالعلم ، وسنعيد بناءه بالعلم ، وها نحن نمد النظر إلى آفاق بعيدة ، آفاق يشع منها النور قوياً وهاجاً ، ونرى النور يقترب منا رويداً رويداً ، وكلما اقترب زاد إشعاعا وقوة ، فهل يغمر مصر وهى تمشى إلى مستقبلها هذا النور المتألق ؟ لقد أخذت غياهب الجهل تنقشع عن سمائنا ، يبددها هذا النور الذى يقترب ، فليكن سيرنا نحو النور ، ولنمش إليه بخطوات ثابتة ، فإن هذا النور الذى نراه هو مرآة الماضى ، وعنوان الحاضر ورجاء المستقبل » ...

## الفائزون بالجوائز :

وتكلم بعد ذلك الأستاذ الكبير معالى أحمد لطفى السيد باشا رئيس لجنة الفحص لجوائز الآداب فأعلن أن اللجنة لم تفرغ من عملها بعد ولهذا قررت إعلان تأجيلها إلى العام القادم ، ثم تكلم معالى بهى الدين بركات باشا رئيس لجنة الفحص لجائزة القانون ثم سعادة الدكتور حسن صادق باشا رئيس لجنة الفحص لجائزة العلوم ثم قدم معالى وزير المعارف الفائزين بجائزة القانون إلى جلالة الملك وهما الدكتور محمد مصطفى القللى بك عميد كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول والدكتور محمد زهير جرانه المحامى فتسلما البراءة بالجائزة وقدرها ألف جنيه ، ثم قدم معالى الوزير الفائزين بجائزة العلوم وهم مصطفى نظيف بك والدكتور محمود الشيشينى الأستاذان بكلية الهندسة والدكتور محمد عبده السعيد الأستاذ بكلية الهندسة وعضو بعثتها إلى انجلترا .

### درجات المتفوقين :

وبعد ذلك تفضل جلالتـه بتسليم المتفوقين من الخريجين درجاتهم العلمية ، وقد قدمهم إلى جلالته الدكتور عبد الوهاب عزام بك نيابة عن مدير الجامعة بكلمة جامعة رائعة ختمها بقوله: « إن مصر والأمة العربية جماء تبنى اليوم تاريخاً وتنشىء أجيالا وتعد مستقبلا يكافىء مكانتها بين الأمم ومآثرها على الزمان. والله أسأل أن يرعاها ويسدد خطاها وأن يجعل عرشكم الزاهر مناراً لنا فى تاريخ مصر وتاريخ العرب كلهم ، وتاريخ الحضارة الإنسانية» وكان هذا الدعاء الصادق مسك الختام .

### البراءة الملكية بالجائزة :

ويهمنا أن نسجل فيما يلى نص البراءة الملكية بالجائزة التى منحت للدكتور مصطفى نظيف بك وهى نموذج للبراءات التى منحت لجميع الفائزين .

وهذا هو النص :

من فاروق ملك مصر بعناية الله تعالى

إلى صاحب العزة مصطفى نظيف بك الأستاذ بكلية الهندسة بجامعة فؤاد الأول .

بناء على ما أقرته اللجنة الدائمة لجوائز فؤاد الأول وفاروق الأول من استحقاقكم جائزة فؤاد الأول للعلوم عن سنة ١٩٤٧ لما امتاز به مؤلفكم « الحسن بن الهيثم — بحوثه وكشوفه البصرية » من دقة البحث .

قد أمرنا بإصدار براءتنا الملكية هذه من ديواننا بمنحكم تلك الجائزة وفقكم الله لخدمة العلم والوطن .

تحريراً بقصر القبة الملكى بالقاهرة فى اليوم السابع من شهر جمادى الآخرة لسنة ألف وثلاثمائة وستة وستين من هجرة خليفة المسلمين وفى السنة الحادية عشرة من حكمنا .

صدر بأمر مولاى الملك المعظم
رئيس ديوان جلالة الملك

### مولانا أبو الكلام :

اختارت حكومة الهند مولانا أبو الكلام آزاد ليكون سفيراً لها فى مصر ، وهو أول سفير تختاره لتمثيلها فى البلاد العربية ، وثانى سفير يمثلها فى العالم ، إذ اختارت أول سفير لها ليمثلها لدى الولايات المتحدة .

ومولانا أبو الكلام أحد الزعماء المسلمين البارزين فى الهند الذين قضوا حياتهم فى مجاهدة الاستعمار ومقاومة الطغيان والنضال فى سبيل الحرية نضالا أبياً شريفاً لم ينل منه سجن ولا تشريد ، ولم يفل من حدته وعد ولا وعيد ، ونحن إذا تجاوزنا عن الناحية السياسية فى حياة هذا الزعيم العظيم وهى موضع خلاف بينه وبين الزعماء الآخرين فإننا نجده زعيماً من زعماء الإصلاح الدينى الذين جاهدوا لنصرة الإسلام وعملوا على تقوية الروابط الإسلامية وانتصروا لها فى صدق وإخلاص وأبدوا فى ميدان الثقافة الإسلامية جهوداً مشكورة كان لها أعمق الأثر عند بنى قومه وأطيب الذكر فى العالم الإسلامى أجمع .

فمنذ عام ١٩١٢ وقف مولانا أبو الكلام وهو لما يزل فى مطلع شبابه ، يهيب بالمسلمين فى الهند أن يتحرروا من ربقة الجمود والتقليد ، وأن يكون طريقهم فى الدين التمسك بالكتاب والسنة ونبذ البدع والخرافات ، وتطهير الأعمال والعقائد من المحدثات ، ويصيح فيهم تلك الصيحة المأثورة : « إن الدين ما كان عليه الرسول وأصحابه والسلف الصالح من أمته ، لا ما قاله فلان وفلان وإن القرآن مهيمن على الكتب السماوية والعلوم البشرية فلا تشوهوا وجهه باليونانيات ولا بتخريفات المتفرنجين » .

وكان الرجل فى كل ما يكتب ويدعو إليه ينطق بتلك الروح القوية التى غرسها المصلح الكبير السيد جمال الدين الأفغانى فى النفوس ؛ فهو الذى يقول لأبناء وطنه « إن الإسلام من أوله إلى آخره دعوة عامة إلى البسالة والجرأة والتضحية والاستهانة بالموت فى سبيل الحق والقرآن ، وإن التوحيد يعلم المسلمين أن الخوف والخشوع لا يكون إلا لله الواحد القهار ، وأن المسلم الذى أمره ربه أن يرحب بالموت الأحمر ويتغلغل فى لجج الدواهى لا يقبل السكوت عن الحق ولا يغضى على المكروه » .

ولما قامت الحرب العالمية الأولى واشتبكت انجلترا فى ميدانها مع تركيا وهى أمة الخلافة يومذاك ، وقف مولانا أبو الكلام يدعو المسلمين فى الهند وفى الأقطار الإسلامية عامة أن يمتنعوا عن معونة انجلترا فى تلك الحرب التى تقوم بها ضد الدولة الإسلامية

الكبرى ، وطاف بالهند يلقى الخطب ويذيع البيانات فى هذا ، فلما أعيت انجلترا الحيل فى جذبه أو ردعه سجنته أربع سنوات ، وبعد عقد الهدنة أطلقت سراحه فخرج يدعو إلى وحدة إسلامية عامة بين المسلمين ، ويهيب بالدول الإسلامية أن تلتف حول دولة الخلافة لتعينها من كبوتها وتساعدها فى محنتها حتى ضجر به الإنجليز فأعادوه مرة ثانية إلى السجن .

فسر الزعيم أبو الكلام قدراً من القرآن الكريم تفسيراً علمياً عصرياً ، وترجم القرآن كله إلى اللغة الانجليزية ، وله مقالات إسلامية وبحوث ثقافية ضافية كان ينشرها فى مجلتى « الهلال » و « البلاغ » اللتين أنشأهما للدعوة إلى التحرر الدينى والتحرر السياسى ثم عطلتهما الحكومة لشدة أسلوبهما ، وعلى الرغم من هذه الغيرة الإسلامية الصادقة التى تفيض بها نفس ذلك الزعيم فإنه من أنصار الدعوة إلى توحيد الصفوف وجمع الشمل بين طوائف الهند ، فلا شك أنه سيكون خير سفير للهند فى أقطار العروبة .

### وزارة للفكر :

كتب مستر برنارد شو الكاتب الإيرلندى الذائع الصيت إلى جريدة « التيمس » يقترح إنشاء وزارة للفكر فى انجلترا ويقول فى رسالته : « إن التقدم الذى أحرزته آسيا الصحراوية التى تسكنها القبائل حتى توصلت إلى قلب المدنية إنما يرجع إلى الاشتراكية الزراعية والصناعية ... وإننا إذا ما وضعنا أسس الاشتراكية فلن يقف شىء فى سبيلنا غير الكسل الفكرى والسياسى ، وخوفنا وكراهيتنا للتفكير . لدينا وزارات لكل شىء ما عدا وزارة للفكر على أنها العامل الوحيد الذى يستطيع مسايرة المدنية الحديثة » .

وإنى لأعجب لذلك الكاتب الكبير أن يقصد إلى حصر التفكير فى حدود الرسميات وأن ينزعه من جو الصراحة والطلاقة حيث يعيش ليجعله فى رعاية الحكومة تصرفه وتمشى به كما تريد ، فإن ذلك فى الواقع قتل للتفكير ، وحجر على العقول الطليقة أن تثمر وتنتج .

وهل يعتقد برنارد شو أنه لو كانت هناك وزارات للتفكير فى العالم من قديم الزمان كان فى الإمكان أن يصل تطور الفكر إلى تلك الحال التى بلغها وكان العالم قد رأى ما نراه اليوم من ألوان الفكر المختلفة فى مناحى الحياة الاجتماعية والعلمية والأدبية والاقتصادية ؟! كلا ! ونحسب أن برنارد شو نفسه يعلم حق العلم أن تاريخ التطور فى التفكير ليس إلا نزعات ووثبات وصفت بالتمرد والتهور وقوبلت فى أول الأمر من الحكومات والوزارات بالمقاومة والصرامة ، وفى هذا السبيل كثيراً ما ذهب أصحاب الأفكار ضحية أفكارهم وتفكيرهم .

وشىء آخر نراه واضحاً ملموساً وهو يدحض ذلك الرأى الذى يراه برنارد شو ، ونعنى به تلك الهيئات الرسمية والمجامع الحكومية التى تتولى الإشراف على أى ناحية من نواحى التفكير ، فإننا نراها جامدة خامدة لا تسير إلا فى بطء ولا تنتج إلا فى ضوء المتابعة للتفكير الحر الخارج فى دائرة الرسميات ، ولهذا كثيراً ما كانت تلك الهيئات والمجامع هدفاً لسخرية الساخرين وضحك الضاحكين !

وزارة للتفكير ؟! كلا أيها الكاتب الكبير ، فإن هذا سيكون إيذاناً بوضع نهاية لإيجاد التفكير ...

### الشمس تغنى :

اكتشفت مصلحة الرادار فى الجيش البريطانى أثناء الحرب العالمية الماضية أن الشمس ترسل فى الفضاء موجات «راديوفونية» كالموجات التى ترسلها محطات الأذاعة اللاسلكية فى أنحاء العالم ...

وقد وقع هذا الاكتشاف مصادفة إذ كان البريطانيون يراقبون اقتراب طائرة مغيرة للعدو على أجهزة الرادار فى نطاق الأربعة أمتار والستة أمتار فأدهشهم أن استمعوا إلى أصوات موسيقية غريبة استمرت فى عزفها يومين ونصف يوم وكانت اتجاهات الرادار تشير طول هذه المدة إلى الشمس ، فلما انتهت الحرب قامت هذه المصلحة بعدة تجارب أثبتت أن الشمس ترسل فى الفضاء موجات « راديوفونية » على أبعاد مختلفة .

وقد أثارت هذه الظواهر اهتمام العلماء والباحثين ، فهم يجرون التجارب لكشف هذه الظاهرة العلمية واستغلالها ويقولون إنه ليس ببعيد أن نسمع صوت المذيع فى يوم من الأيام يقول : هنا راديو الشمس ، تسمعون الآن قطعة موسيقية تعزفها الشمس!

« الجاحظ »




## نهضة العراق الأدبية في منهاج الوزارة العراقية الجديدة

مما يلفت النظر في منهاج الوزارة العراقية الجديدة التي ألفها السيد صالح جبر احتواؤه على (١٤) مادة لتشجيع حركة نشر الفنون والآداب في العراق . وضعها دولة رئيس الوزراء كما قال لي في حديثه لما رآه من تأخر العراق عن بعض الدول العربية الشقيقة في الحركة الأدبية والثقافية في ميدان النهضة الأدبية في العصر الحديث في حين أن له من تاريخه الثقافي وقابليات أبنائه الفكرية وطبيعته الموحية ما يؤهله أن يكون عاملا هاماً في الحركة الأدبية المعاصرة . وسبب تأخر العراق الأدبي ناشىء من انصراف المسئولين الذين تعاقبوا على الحكم في العراق إلى حصر جهدهم في السياسة، في حين أن العمل الثقافي يجب أن يسبق غيره من الأعمال ويحظى بعناية المسؤولين لكي ينير لهم طريق السياسة ويمهد لهم إنشاء مجتمع صالح سعيد .

لذلك رأى في منهاجه هذه الناحية الهامة في بناء العراق الحديث وخصص لها المبالغ اللازمة في الميزانية لصرفها في هذه السبيل وتجنيد المخلصين من الأدباء والعلماء والكتاب والمثقفين في العراق والبلاد العربية للعمل معه في هذا الميدان ، وللاشراف على وضع دستور أدبي للعراق والعمل على نشر الثقافة العامة في الجمهور واستغلال القوى الأدبية للترجمة والكتابة والنشر

وسيعنى قبل كل شيء بإنشاء مئات المدارس القروية ورياض الأطفال والابتدائية والثانوية لكي تضم كل راغب في التعلم من أبناء العراق . كما أنه سيهتم بتوسيع المعاهد العالية ووضعها على أسس علمية رصينة والمباشرة بإنشاء الجامعة العراقية والإكثار من البعثات العلمية ورفع مستواها لتهيىء للبلاد ما تحتاجه من العلماء والأدباء والفنيين وتشجيع التعليم الحرفي والصناعي والزراعي والتجاري والفنون الجميلة وتوجيه معظم خريجي المدارس ولا سيما الابتدائية منها إلى هذا النوع من التعليم .

وسيهتم بتشجيع الثقافة العامة بين مجموع أفراد الشعب عن طريق المدارس المسائية والإذاعة والسينما والمعارض وإنشاء كليات شعبية لرفع المستوى الثقافي والمهني العام في البلاد وتوجيه التربية والتعليم في العراق نحو تنمية المواهب والقابليات لدى أبناء الشعب كافة لما فيه خير البلاد وإعمارها والعناية بالمبادىء السليمة والأخلاق قبل كل شيء .

وسيحرص على العناية بثقافة الطلاب بعد تخرجهم من المدارس وذلك بتأسيس نواد ثقافية لغرض الدرس والمطالعة والتفكير .

لقد حدثني دولة رئيس الوزراء بكل هذا وزاد عليه بأنه سيوعز بالمباشرة حالا بإنشاء مجمع علمي عراقي لتعضيد حركة الترجمة والتأليف والنشر وجعله صلة ثقافية بين العراق والبلاد العربية ، وتسهيل مهمة اللجنة الثقافية في الجامعة العربية بما تقترحه من أمور ثقافية تخدم الأغراض الأدبية في العراق وتساهم في نشر وإذاعة التفكير العربي .

وطلب مني دولته أن أذيع على صفحات ( الرسالة ) الغراء بأنه سيوعز بتصوير وجمع وشراء جميع المخطوطات العربية في المكاتب العامة والخاصة التي لها أهمية تذكر في أدبنا العربي للاستفادة من بعضها ونشرها ، كما أنه سيستعين بكل أديب وكاتب عربي يخدم هذه الأغراض ويكون ذا فائدة في نهضة العراق الأدبية والثقافية وذلك باستخدامه بأجور تتناسب ومكانته الأدبية والعلمية ليساهم مع أدباء العراق وعلمائه في تدعيم حركة نشر الثقافة بين العراقيين :

وسيكون ( المجمع العلمي العراقي ) على غرار ( لجنة التأليف والترجمة والنشر ) في مصر ومن جملة مهامه طبع مؤلفات الأدباء والشعراء والكتاب وإذاعتها ونشرها في العراق والعالم العربي ليساعد بذلك المؤلفين العراقيين الذين تقف نفقات الطبع والورق حائلا دون نشر أفكارهم وما يضعونه أو يترجمونه من كتب وأقاصيص :

لقد احتوى المنهاج الوزاري العراقي على الخطوط الرئيسية للمعلومات التي شرحها دولة رئيس الوزراء . ولا ريب أن حماسته في العمل والإنشاء ستعجل بتنفيذ هذا المنهاج الثقافي الضخم الذي تقوم لأول مرة ، وزارة عراقية بنشره وتتعهد بتطبيقه في العراق .

بغداد — مهدي القزاز

**إلى الأستاذ الطنطاوي :**

أخى الأستاذ على .

ذكرت فى مقالك الممتع الذى تحدثت فيه عن دمشق ( العدد ٧١٧ من الرسالة ) أن حمام سامى منسوب إلى البطل المشهور أسامة بن منقذ . فاسمح لى أن أبين لك ما يلى :

إن هذا الحمام لا ينسب فى الحقيقة إلى أسامة بن منقذ . بل ينسب إلى أمير آخر اسمه أسامة الجبلى . قال ابن كثير « أسامة الجبلى ... كان أحد أكابر الأمراء . وكان بيده قلعة عجلون وكوكب . اعتقله العادل بقلعة الكرك سنة تسع وستمائة . واستولى على حواصله وأملاكه وأمواله . وكان قيمة ما أخذه منه قريباً من ألف ألف دينار ؛ من ذلك داره وحمامه داخل باب السلامة . وداره هى التى جعلها البادرائى مدرسة للشافعية » اهـ .

أما أسامة بن مرشد ... بن منقذ ، فلم يدرك القرن السابع ، ولا أيام العادل . بل توفى أواخر القرن السادس ، أيام صلاح الدين سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، ولم يذكر أحد أنه بنى بدمشق حماماً .

انظر : تنبيه الطالب للنعيمى ( مخطوط ) المدرسة البادرائية — مختصر تنبيه الطالب للعلموى . ص ٣٥ ( مطبوعات مديرية الآثار العامة ) — البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ ، ص ٦٣ — النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٠٧ —

Ecochard et Le Coeur, les Bains de Damas, P, 22—Sauvaget, Un Beain damasquin du XIIIe siecle Paris 1930,

ولأخى الأستاذ ، خالص تحيتى[1] .

(دمشق) **صلاح الدين المنجد**

**شعاب قلب :**

أهدى الأستاذ حبيب الزحلاوى مجموعة قصصه ( شعاب قلب ) إلى الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك ، فكتب إليه الكتاب الآتى :

تحية طيبة وبعد فقد تفضلتم فأهديتم إلى مجموعة قصصكم ( شعاب قلب ) وتوفرت على التمتع بقراءتها ولم أقدم على كتابة هذا الشكر الواجب إلا بعد أن فرغت من قراءتها .

وقد كانت متعة كبرى فى خلال هذا الأسبوع الذى قضيته فى عمل متصل إذ حملتنى صورها إلى آفاق شتى من المعانى تتصل كلها بصميم النفس الإنسانية . وقد راعنى فيها أسلوب رصين متين فيه السلاسة وفيه الجزالة كما راعنى من صوره كثير مما يهز النفس ويدفعها إلى التأمل العميق . ولست أنسى أن أشير بنوع خاص إلى القصة الأولى « غريب » وإلى السادسة « هواجس » فإنها تجمع إلى الأسلوب المتين وضوح الصورة وحبك الحوادث واطراد السباق فى الأسلوب بغير ما يعوق مثول أهم الأشخاص دائماً فى « بذرة » الاهتمام .

فأهنئك على هذا المجهود الكبير وأرجو لكم دائماً حسن التوفيق ولك شكرى مكرراً وتحياتى خالصة .

**محمد فريد أبو حديد**

**حول ( انطلى عليه ) :**

فى بريد « الرسالة » الأدبى فى العدد (٧١٣) كلمة تحت عنوان « فى اللغة » بإمضاء « فلسطينى » يخطىء فيها استعمال الفعل ( انطلى عليه ... ) بمعنى جاز عليه ، ويقول وأنها جاءت عن طريق الترجمة ...

وعليه أقول : لو أننا تركنا المعاجم أو التعابير القديمة لوجدنا كلمة ( الطلاء ) وهو ما يطلى به الشىء أو يدهن ، لتغيير لونه الأصيل الباهت أو تضبيب معالمه ، ومن الممكن الجائز اشتقاق الفعل ( انطلى عليه الأمر ) بمعنى اغتر بطلائه دون أصله ، وظن خيراً ما يكمن تحته الشر كالنار فى الزند ... ومنه يقال ( انطلت عليه الحيلة) أى جازت عليه بغير تفطن إلى الأصل الذى غيبه الطلاء وإذاً ، فالتعبير على هذا الأساس صحيح لا غبار عليه ولا التباس فيه ... والسلام .

( الزيتون ) **عدنان**

**تصويب :**

جاء فى كلمة الأستاذ عبد المتعال الصعيدى المنشورة فى العدد الماضى تحت عنوان ( حول أبى هريرة ) أن حديث أبى هريرة : دخلت على رقية الخ جاء فى كتاب التاريخ الصغير للبخارى (ص ١٠٠) والصواب (ص ١٠)

(١) ولك يا أخى صلاح شكرى . ( على )




# يوم ميسلون

« تأليف الأستاذ ساطع الحصرى بك »

بقلم الأستاذ حبيب الزحلاوى

الأستاذ ساطع الحصرى مؤلف هذا الكتاب، علم من أبرز أعلام الرجال فى البلاد العربية، وعالم محقق مدقق، صبور على التتبع، مفطور على التقصى والتحليل، وضرب فاضل له فى المعارف رأى صائب سديد، وفى السياسة باع طويل، ودراية واسعة، ولباقة نادرة، ما وكل إليه شأن من شؤون الدولة إلا قام به خيرقيام، ولا أسند إليه عمل من الأعمال إلا بلغ به الغاية من التمام

من أحدث مؤلفاته كتاب «يوم ميسلون» وليوم ميسلون شأن أى شأن فى تاريخ الأمة العربية، فإن أحداثه الكبرى برغم أنها دكت عرشاً، وأنزلت بالشعب السورى هواناً، وأقامت بدلا من العرش وهو رمز الأمة، طودا للاستعمار البغيض جثم على الصدور، وثلم الكرامة الواعية. فإن تلك الأحداث على عنفها لم تكن عاجزة فقط عن قتل روح الأمة ومحو قوتها المعنوية بل كانت باعثاً من أكبر البواعث على الاستفزاز وعلى النشاط للجهاد ومحو آثار ذلك اليوم المشئوم، ودرء أخطار مثله.

قرأت الكثير مما كتبه الفرنسيون فى تبرير يوم ميسلون، وسمعت الكثير من أقوال رجال سورية العاملين، منهم الذين شاركوا فى التمهيد ليوم ميسلون، ومنهم من عمل ليتفادى أو يستبدل أحداث ذلك اليوم المشئوم، فلم أقع على ما يروى غلة متعطش إلى معرفة الحقيقة، ولكن هذا الكتاب، لا ينير فقط طريق المؤرخ، بل يعطيه الوثائق والأسانيد الصحيحة ويطلعه على حقائق كان بعضها خافياً على الكثيرين من رجال الحكم، وبعضها الآخر كان يعمل على اخفائه رجال الحكم أنفسهم، أو تجار الوطنية من عباد الوظائف الكبرى، وعلى طمس معالمه حتى لا تثلم زعامتهم، ولا يفتضح أمرهم عند سواد الشعب، الذى كان حتى الأمس القريب، يؤخذ بالتقاليد العتيقة البالية فيحترم فلانا الحاكم أو الزعيم لا لصفات تؤهله للزعامة أو الحكم، بل لأنه من آل فلان الحاكمين أو الأثرياء. ويمجد علانا الموظف لأنه يشغل مقعد الوظيفة

يقول المؤلف الفاضل «ان حوادث يوم ميسلون لم تكن بنت ساعتها، بل كانت صفحة من صفحات القضية السورية، والقضية السورية نفسها لم تكن قضية قائمة بذاتها، بل كانت جزءاً من القضية العربية، كما أن القضية العربية كانت وثيقة الارتباط بالمسألة الشرقية» ولكى يقيم المؤلف الدليل على هذه الارتباطات المتسلسلة أنشأ فصلا كان بمثابة تمهيد يبرز أطماع فرنسا فى سورية جعل مردها إلى الحروب الصليبية، كما كان بمثابة توضيح لسياستها الاستعمارية التى سلكتها فى الربع الأول من القرن الثامن عشر، وقد أخذت منذ ذلك الحين تبسط نفوذها على بلاد إسلامية واسعة الأرجاء، وتعلن أنها صاحبة امبراطورية إسلامية وإرث عظيم يؤول إليها من تركة الدولة العثمانية، ويستعرض المؤلف الفاضل ببراعة وإيجاز فصول اصطدام فرنسا الاستعمارية بالعقبات الدولية وتناحرها مع الإنجليز، أصحاب الامبراطورية التى لا تغرب الشمس عنها لامتدادها فى أصقاع الأرض، لينتهى إلى الاتفاق الذى تم بين الدولتين الحليفتين، فرنسا وانجلترا على تنفيذ معاهدة سايكس ـ بيكو بنصوصها وحذافيرها، وكان ذلك الاتفاق بمثابة مقدمة لحلول القضاء المشئوم يوم ميسلون.

فصول الكتاب متعددة متنوعة بارعة، ولعل أبرعها الفصل الذى تم فيه اختيار أعضاء مجلس المديرين زميلهم السيد ساطع الحصرى وقد حبذ الملك رأيهم للسفر إلى مقر قيادة الفرنسيين فى لبنان قبيل زحف الجيش الفرنسى على سورية للتفاهم مع الجنرال غورو المندوب السامي، خصوصاً وقد قبل وزير الخارجية السورية كافة المطالب الفرنسية: ففى هذا الفصل يصف المؤلف البارع الموقف أبلغ وصف، ويكشف القناع الشفاف عن مطامع الفرنسيين المستعمرين، وكيفية توسلهم بكل وسيلة تحقق أمانيهم وتدرجهم فى الطلب حتى يستوفوا أغراضهم تامة كاملة. ثم يفضح أذناب المستعمرين من أبناء سورية بسرد نتف من أعمالهم ولمحات من تصرفاتهم وسكوته المهذب عن ذكر

أسمائهم ، فتنطق الأعمال بلسان أوضح من تبيان الأسماء ، فلا يتمالك القارىء من استنزال لعنة يصبها على ذلك الزعيم الخسيس أو ذاك المتكالب على الوزارة أو الطامع فى وظيفة ، أو هذا المائع المتفلسف يلبس لكل حالة لبوسها

فى الكتاب فصول عدة لا محيد لكاتب تاريخ سورية من اقتباس بعضها بالنص ، والاستئناس والاسترشاد ببعضها الآخر لأنها بمثابة متون تحتاج إلى شرح وتفصيل

يرى المؤلف الفاضل أن واقعة ميسلون — وإن كانت بمثابة الفصل الأخير من رواية « المنافسة الدولية » التى حامت حول سوريه — فانها كانت فى الوقت نفسه بمثابة الفصل الأول من منقبة « المنافسة الوطنية القومية » التى قامت فى سورية ضد القوى الفرنسوية . فهذا القول صحيح لا غبار عليه ، وإننا نتمنى مخلصين أن تكون أعمال المتنافسين قد انتهت لتتجه الاتجاه الخاص فى بناء الملك على أوطد دعائم العدل والامن والقوة بشرط أن لا تأخذها نشوة الانتصار باجلاء الفرنسويين وتنام عن تقلبات السياسة وألاعيب عباد كراسى الحكم

يطول بى المقام لو وقفت حيال كل موضوع من مواضيع هذا السفر القيم ، ولكنى أدعو قراء العربية إلى اقتنائه ، ومن ثم أقف لأعترف بفضل مؤلفه الرجل الكريم الذى دون أحداث أمة ناهضة وعلم ناشئتها وما برح يعلمها كيف تزجر زعماؤها وكيف تهدى حكامها سبيل الحرية والاستقلال

**حبيب الزحلاوى**

# الشريد

( تأليف على بك حلمى )

للأستاذ محمد خليفه التونسى

بين يدى بهذا العنوان مسرحية ذات ثلاثة فصول كتبها على بك حلمى مدير جرجا .

١ — فالمؤلف — مع أنه من رجال الإدارة والشرطة — يمتاز باطلاع واسع عميق ، وهو — إلى ذلك — أديب يكتب المقالات ويدبج المسرحيات ، وأقرب الأمثلة إلينا بحثه الممتع « محمد والأمن العام » الذى نشرته الرسالة فى عدديها ( ٧١٠ ، ٧١١ ) وهذه المسرحية .

٢ — والمشكلة الكبرى التى تدور حولها هذه المسرحية هى مشكلة الطفولة المحرومة من عطف الآباء والأمهات وحمايتهم ، والطابع المصرى يبدو واضحاً راسخاً على كل ما فى المسرحية سواء فى ذلك موضوعها الأكبر ، والحوادث التى تظهر دقائقه ، والشخوص التى تظهر فيه ، وهذا امتياز كبير قل أن يتوفر اليوم فى إنتاجنا القصصى عامة والمسرحى خاصة ، فهو قصص عاطل من السمات والملامح المحلية حتى إن الناقد يبحث فيما يقرأ عن المؤلف والبيئة التى نشأ فيها قصصه والشخوص المفردة التى يعبر عن حياتها فلا يكاد يفوز — مهما جد — بطائل ، فمن الممكن أن يقع بعد ألف عام أو قبل ألف ، هنا أو فى أى مكان من الأرض أو غيرها حيث يمكن أن يكون بشراً ، فإذا ظفر الناقد بعد الكد بشىء من هذه السمات والملامح لم يجدها إلا حائلة حائرة مائعة ، مع أن الخصائص أول شرط من شروط الإنتاج الأدبى عامة والقصصى خاصة ، والخصائص فى مسرحية الشريد بارزة لا فى مشكلتها الكبرى وحوادثها وشخوصها الأساسية فحسب ، بل فى المشكلات الثانوية المنتثرة فيها دون قصد خاص إليها .

٣ — وقد جاءت هذه المسرحية فى إبانها ، فمشكلة الطفولة الشردة من مشكلاتنا القائمة بيننا الآن بكل متاعبها ، وأعباؤها لا تزال تثقل كواهل كثير من أولى الأمر فينا فى عدة وزارات ، كما تشغل عقول كثير غيرهم من محبى الإصلاح ودعاته .

وعلى الرغم مما قرأته من بحوث متعددة لكثير ممن كتبوا فى هذه المشكلة حكوميين وغير حكوميين — لم أستطع أن ألم بخفاياها وصعوباتها وطرق علاجها كما ألممت بها من هذه المسرحية فهى تصور أوضح تصوير حياة الأطفال المشردين بكل ما تزخر به من منغصات وأوجاع ، وما يتعرضون له من استغلال الزعار والشطار لهم ليعيثوا فساداً فى الأرض ، والتخفى وراء براءتهم والشفقة عليهم للعبث بقوانين المجتمع ونظمه وحماته توقياً من العواقب الوخيمة ، فهم يسخرونهم فى السطو والاختلاس والتجارة المنكرة بالأعراض والسلع المحرمة ؛ كى يضللوا حماة الأمن الذين لا يجدون فى هؤلاء الأبالسة الصغار غير أطفال ملائكة أطهار جنى عليهم آباؤهم وحرمهم المجتمع عنايته دون ذنب ، فهم لا يستحقون منهم إلا العطف والعون ، مما يتيح لفساد محركيهم فى الخفاء أن يستشرى ويتسع دون أن يفطن إليه الموكلون بدرئه .

ولا شك أن صلة المؤلف بهذه المشكلة أهم عوامل نجاحه فى تعرف حدودها وخفاياها وأساليب علاجها الميسورة .




# الجاسوسة العـــاشقة

عن الانجليزية

للأديب شفيق اســـعد فريد

( تتمة ما نشر فى العدد الماضى )

دخلت فانيا شرفة الفندق فانحنى لها الخادم باحترام بينما وقف اليوت لاستقبالها ... وقبل الشاب أناملها فى رفق ... وحين جلسا بادرها قائلا : —

— اصغى إلى يا فانيا ... يجب أن أرحل هذه الليلة ... إننى متأسف كثيراً لذلك ، بيد أن الأمر جد هام أعنى أن لدى أعمالا تستلزم رحيلى إلى الغرب ... فقد وصلنى اليوم خطابك ... فقاطعته قائلة : — أعمال ... لم أكن أدرى أنك قدمت إلى موسكو لأجل العمل . ولكن خبرنى، ألا ترجع ثانية لموسكو ... ؟ وهل أنت ذاهب بعيداً ... ؟

فأجاب : — إننى ذاهب إلى باطوم ... ولكننى سأعود ثانية فإن الأوامر التى عندى تقضى علىّ بالبقاء فى باطوم لمدة أسبوع ... سوف أشعر بكثير من الوحشة لفراقك يا فانيا ...

وشعرت الفتاة بشىء من الإضطراب إذ لم يبلغ سمعها أى نبأ عن وصول مثل هذا الخطاب ... وخطر لها أن تتحرى الحقيقة من أعوانها ... فاستأذنت الشاب لبضع دقائق .

ودخلت فانيا الغرفة السرية التى يحتلها مندوب قلم المخابرات السرية فى الفندق ... ونظرت إلى الرجل الذى كان يجلس إلى المكتب وقد ارتدى معطفاً غليظاً ... ثم قالت : —

— يقول الشاب إنه ذاهب إلى باطوم الليلة وذلك بناء على التعليمات التى أرسلت إليه فى خطاب وصله اليوم ... وسيعود إلى موسكو ثانية بعد أسبوع .

فهتف الرجل قائلا : ليس هناك خطاب أيتها المواطنة ... إننا ندرى كل شىء عن المحادثة التليفونية ... على كل حال ستذهبين إلى باطوم الليلة ... وسأنظر فى أمر جواز سفرك ... على أنى أعتقد أنه لمصلحة المهمة التى تقومين بها ينبغى أن تسافرى بالدرجة الثالثة ...

***

كان قطار الغرب مزدحما ازدحاماً شديداً فى تلك الليلة ... ولقد استطاعت فانيا أن تجد مقعداً خاليا بصعوبة شديدة ... وبعد أن وضعت السلة التى كانت تحملها فوق المقعد غادرت العربة ... ووقفت فوق الرصيف ترقب وصول اليوت ... ولم يمض أكثر من بضع دقائق حتى رأته يشق لنفسه طريقاً وسط الزحام الشديد ...

ووصل القطار أخيراً إلى باطوم بعد رحلة شاقة ... فغادرت فانيا العربة وراحت تراقب اليوت عن بعد ... واستمرت فى رقابتها حتى انصرف من المحطة واستقل سيارة ثم انطلق إلى فندق باطوم ...

وفى المساء تسلل شبح إلى ممر فندق باطوم ولم يلبث هذا الشبح أن دخل إحدى الغرف فى هدوء ... وتلفتت فانيا حولها فوجدت أن رجال قلم المخابرات قد زودوها بكل ما يلزمها فى عملها ... ولم تمض لحظة حتى طرق رئيس قلم المخابرات السرية فى باطوم الباب ... وحين دخل بادر الفتاة قائلا : —

— لقد كانت حيلة مرض الأخ الأصغر حيلة تدل على الذكاء النادر، على أننى واثق أن بين اليوت ومحادثه طريقة سرية للكلام، وفى اعتقادى أن كلمة بورد وتمنى باطوم وأن سان سباستيان مثلا يقصد بها سبستابول ... ياله من أمر مضحك ...

فقالت فانيا : ماذا تعتقد أنه سيحدث .. ؟

فقال الرئيس : أعتقد ... إننى متأكد مما سيحدث لأن من واجبنا معرفة الحقائق ... يوجد شخص معين فى باطوم يعرف الكثير من المعلومات الهامة عن أحد المشروعات الهندسية الكبيرة التى ستنفذها الحكومة على نهر فولجا ... إن هذا الرجل روسى لسوء الحظ ... ولما كانت معلومات هذا الرجل تهم الكثيرين من المهندسين الأجانب وبخاصة الانجليز منهم فقد جاء أليوت لمقابلة هذا الرجل للحصول منه على ما عنده من المعلومات .

ومع ذلك فإن الرجل لن يستطيع أن يبوح بهذه المعلومات إلا مرة واحدة ... وسوف نمكنك من سماع ما سيدور بين الرجلين من حديث بوساطة تليفون سرى أعد لك فى الغرفة رقم ١١٤ ... والآن أريد أن أوجه انتباهك إلى أننا نريد الرجلين معاً ... سوف نكون فى حاجة إلى شهادتك فيما بعد ...

***

تلفتت فانيا حولها فى اشمئزاز ، فقد شعرت للمرة الأولى بالكراهية للعمل الآلى الذى تقوم به ... والواقع أنها كانت تحس اضطراباً داخلياً لم تستطع مقاومته ... كانت تريد أن تطلق الجاسوسية ومؤامراتها وإيقاع الأبرياء فى حبائلها لتسوقهم إلى الهلاك ... أجل لقد شعرت بأنها امرأة شريرة ...

واستولى الإعياء عليها، وشعرت برعب عظيم يتسرب إلى قلبها ولكنها استطاعت أن تقاوم هذا الذعر وبدأت تفكر فى هدوء !

ودق جرس التليفون فجأة فأفاقت من تأملاتها ... وسمعت صوت عامل التليفون يعلن أن رجلا اسمه المستررا كوف قد اتصل بالمستر أليوت وطلب إليه أن يحدد له موعداً للمقابلة كى يطلعه على النماذج اللازمة ... ولقد حدد المستر أليوت الساعة السادسة للمقابلة فى الغرفة رقم ١١٠ ...

وبدا للفتاة أن وقت العمل قد حان ، فقد استقر رأيها على أمر معين وصممت على تنفيذه مهما كانت العقبات التى تعترض سبيل هذا التنفيذ ...

وتسللت فانيا من غرفتها إلى الشرفة فى هدوء ... وتقدمت إلى الغرفة رقم ٠٠ وطرقت النافذة فى رفق ، وحين فتح اليوت النافذة وضعت فى يده مذكرة صغيرة كانت قد أعدتها فى غرفتها ثم قفلت راجعة دون أن تلوى على شىء ...

كان قلبها يدق فى عنف ووحشية ... وشعرت بنوع من الحمى يدب فى جسدها ، ولكنها — مع ذلك — شعرت بشىء من الطمأنينة إذ حذرت الشاب فى الوقت الملائم .

وفى الساعة الثالثة سمعت فانيا وقع أقدام الشاب فى الدهليز وصوت أقدامه وهو ينزل الدرج ... وراحت تتساءل : ترى هل سيعمل بنصيحتها ..؟ وهل ستنقذه هذه النصيحة من مصيره المحتوم ؟ !

لم تكن ترتاب فى أنه إنما قدم إلى الروسيا ليبتاع معلومات لو أنها أذيعت لسببت متاعب جمة لحكومة السوفييت ... إنه أحد أعداء بلادها ويجب القضاء عليه بكل الوسائل الممكنة ... ولكن ... يا لله ... لقد أقدمت على خيانة وطنها خيانة عظمى دون أن تدرى لذلك سبباً ...

ودقت الساعة فى بهو الفندق معلنة الرابعة والنصف ومع ذلك لم يعد أليوت ...

وحين دقت الساعة الخامسة بدأت تتساءل: ترى هل هرب؟

ونظرت الفتاة إلى ساعتها فإذا بها السادسة إلا ربعاً ...

وما هى إلا لحظات حتى سمعت وقع أقدام فى الدهليز أعقبها طرق على بابها ...

ودخل الخادم لينبئها أن شخصاً جاء لمقابلة المستر اليوت فى غرفته وأن هـذا الرجل موجود فعلا فى غرفة الانتظار فى تلك اللحظة ...

كان هذا الإعلان نذيراً ببدء العمل ... فالتقطت فانيا سماعة التليفون ووضعتها فوق أذنها وراحت تصغى ...

كان الصوت واضحاً حتى لقد استطاعت فانيا أن تسمع صوت تحرك اليوت فى الغرفة .. وخطر لها أن تصيح لتحذره ولكن أنى لها ذلك ..

وسمعت الفتاة وقع أقدام فى الدهليز فعرفت أن المستررا كوف فى طريقه إلى مقابلة أليوت فى الغرفة رقم ١١٠ .

واستولى عليها الاضطراب حتى لقد سقطت منها حقيبتها اليدوية ... وفجأة سمعت الحديث الذى دار بين الرجلين ...

كان الصوت واضحاً عالياً ...

وراحت تصغى وقد أدركت أنها لن تستطيع الفرار من مواجهة الأزمة ...

كان اليوت يتكلم بصوت عال بكلام لا معنى له دون أن يجعل لرفيقه فرصة الكلام .

إذن فقد أدرك الشاب أن هناك من يسترق السمع ...

وأسرعت الفتاة فوضعت السماعة مكانها وهرعت نحو الباب وأشارت إلى الخادم إشارة فهم المقصود منها ...

وفجأة امتلأ الدهليز برجال قلم المخابرات السرية ... وحين

واجهها رئيسهم باسماً قال :

— هل سمعت ما فيه الكفاية أيتها المواطنة ؟

وصاح أحد الرجال فى تلك اللحظة :

— افتحوا الباب وإلا حطمناه …

وفتح الباب فجأة بينما اندفع الرجال داخل الغرفة .

كان اليوت باسماً على حين كان را كوف أبيض الوجه يرتجف من الخوف …

وفتش الجند الرجلين بسرعة وفى خشونة وعنف … بينما وقفت فانيا على مبعدة وقد أطرقت برأسها إلى الأرض .

وقال رئيس الجند : تعاليا معى لتوضحا مسلككما الحالى … لقد استطاعت هذه المواطنة أن تسمع الحديث الخطير الذى دار بينكما منذ لحظة .

ولاح لفانيا أنها تشاهد إحدى المهازل … ولم يبق لديها شك فى أنهما وقعا فى الفخ …

وأخيراً قالت فى صوت مبحوح : لقد سمعتهما يتحادثان أيها الرئيس،ولقد استنتجت من حديثهما أنهما يتكلمان طبقاً لطريقة خاصة ! . . لقد ذكرا أنهما يتوقعان محادثة تليفونية من بوردو بخصوص حالة أخى المستر اليوت الصحية …

ودق جرس التليفون فى تلك اللحظة فانصرفت أنظار الجميع إلى الآلة الصغيرة الموضوعة على منضدة بجوار السرير … وكاد أليوت يتناول السماعة حين منعه رئيس الجند من ذلك وتناول هو السماعة ثم قال رداً على المتكلم :

— ماذا تقول . . ؟ مكالمة خارجية . . ! مستعجلة . ! تقول إنها للمستر بارنجتون … حسن … ماذا ؟ من بوردو …!

والتفت رئيس الجند حوله فى غضب … وأخيراً قال لفانيا : هل تتكلمين الفرنسية . . ؟ حسن ! يمكنك أن تصغى للمتكلم … أخبريه أن المستر فارنجدون مريض أو بالخارج أو ما شابه ذلك .

ووضعت فانيا السماعة على أذنها وبدأت تصغى …

وقالت رداً على المتكلم :

— أجل … سوف أخبر المسيو اليوت … تقول إنه أحسن حالا … هذا بديع … لقد كان المسيو اليوت قلقاً على أخيه …

— حسن ! سأخبره بذلك يا سيدى … الوداع …

والتفتت إلى رئيس الجند وهى تقول :

— إن المكالمة من بوردو كما ذكرت وهى مكالمة خاصة للمستر اليوت … إنها تقرير عن صحة أخيه … يلوح أننا أخطأنا يا سيدى … ربما أخطأت فى إدراك مغزى حديثهما …

وبدا الغضب واضحاً على رئيس شعبة قلم المخابرات السرية فى باطوم وعض على شفتيه قهراً ثم ألقى نظرة غاضبة على اليوت والتفت إلى فانيا قائلا :

— حقاً … ربما اخطأت أيتها المواطنة … إن الإنسان معرض للخطأ … وعلى ذلك فهأنذا أتقدم للمستر فارنجدون باعتذارى وأنا جد واثق أنه يقدر المتاعب والأخطاء التى تعترض سبيل عملنا الدقيق … إننى أعتذر إليك للمرة الثانية يامستر اليوت

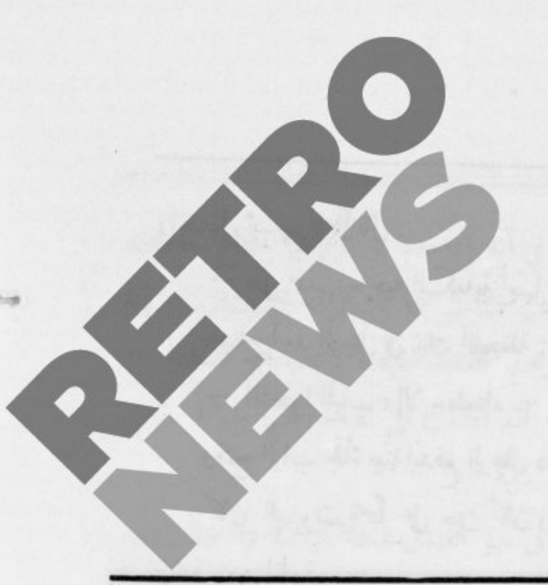
والتفت إلى را كوف قائلا : أما أنت فاتبعنى .

وحين غادر الجميع الغرفة التفت اليوت إلى فانيا وقال فى صوت رقيق : خبرينى لماذا أقدمت على هذه المخاطرة من أجلى ؟

فقالت : الواقع أننى لا أدرى يا اليوت … لقد شعرت بالملل فضحك …

وفجأة ضمها إلى صدره فى حنان ثم قال : والآن سوف نذهب معاً إلى بوردو …

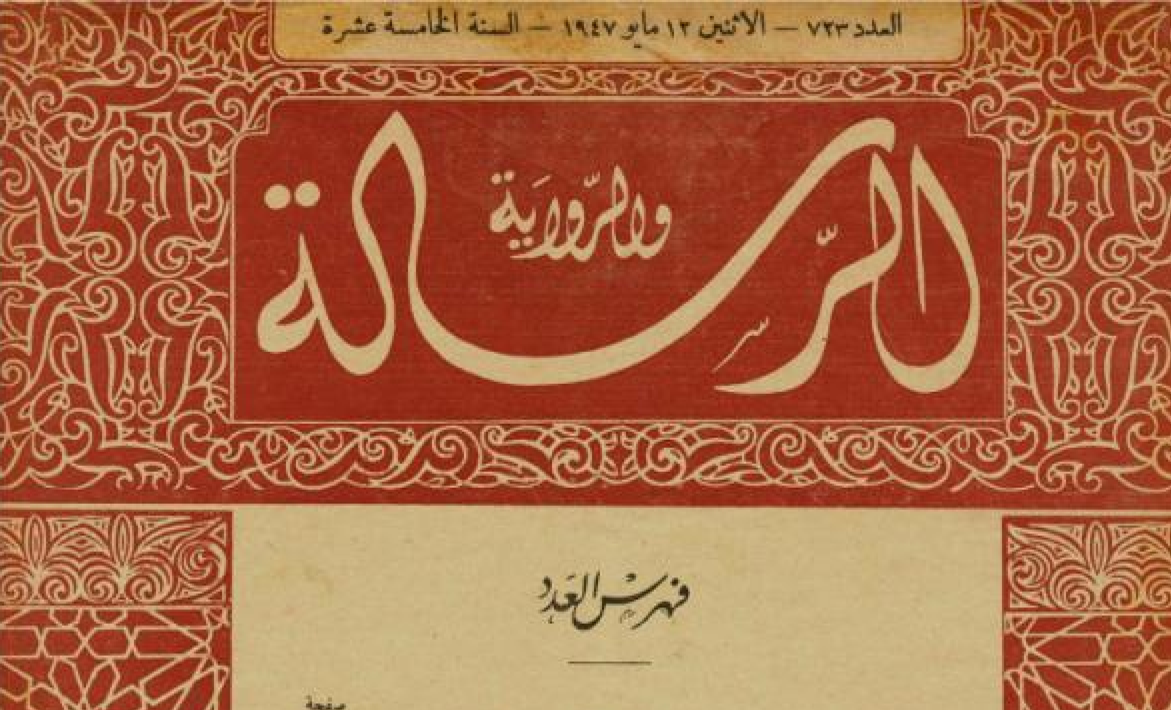
**شفيق أسعد فريد**






مطبعة الرسالة

العدد ٧٢٣ — الاثنين ١٢ مايو ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة




## فهرس العدد


صفحة

لوازم الحديث ... ... ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ... ... ٥٢٣
من معجزات القرآن ... ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام بك ... ٥٢٥
السعادة ... ... ... ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ... ٥٢٨
الذكرى العاشرة للرافعى ... ... : الأستاذ محمود أبوريه ... ... ... ٥٣١
هل الموت نتيجة لأزمة الحياة ... : الأستاذ نصيف المنقبادى ... ... ٥٣٣
شاعران فى المتنى ... ... ... : الأستاذ أحمد محمد الحوفى ... ... ٥٣٦
دمك يؤثر على تفكيرك ... ... : الأستاذ فوزى الشتوى ... ... ٤٣٨
من نشيد الحرية ... ... (قصيدة) : الأستاذ محمود الخفيف ... ... ٥٤٠

**« الأدب والفن فى أسبوع »** : قبر الكاظمى — برنارد شو والجاحظ ٥٤٢
نشاطنا الثقافى — الروابط الثقافية بين الأقطار العربية — شاعر وطباخ —
جائزة فؤاد الأول ... ... ... ... ... ... ... ... ...

**« البريد الأدبى »** : تعليق على تعليق — تحقيقات تاريخية — اقتراح ٥٤٥

**« الكتب »** : الله : تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد — بقلم الأستاذ ٥٤٧
محمود الخفيف — فى فلسطين العربية : تأليف الأستاذ محمد يونس الحسينى —
الحكر فى مصر : تأليف عثمان بك فهمى — بقلم الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

**« القصص »** : الاختيار الذى كسر قلبى : بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى ٥٤٩


مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون


العدد ٧٢٣ — الاثنين ١٢ مايو ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة

# الرسالة والرواية

## فهرس العدد

صفحة


لوازم الحديث ... ... ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ... ... ٥٢٣
من معجزات القرآن ... ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام بك ... ٥٢٥
السعادة ... ... ... ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ... ٥٢٨
الذكرى العاشرة للرافعى ... ... : الأستاذ محمود أبو رية ... ... ... ٥٣١
هل الموت نتيجة لازمة للحياة ... : الأستاذ نصيف المنقبادى ... ... ٥٣٣
شاعران فى المتنبى ... ... : الأستاذ أحمد محمد الحوفى ... ... ٥٣٦
دمك يؤثر على تفكيرك ... ... : الأستاذ فوزى الشتوى ... ... ٤٣٨
من نشيد الحرية ... ... (قصيدة) : الأستاذ محمود الخفيف ... ... ٥٤٠

« الأدب والفن فى أسبوع » : قبر الكاظمى — برنارد شو والجاحظ ٥٤٢
نشاطنا الثقافى — الروابط الثقافية بين الأقطار العربية — شاعر وطباخ —
جائزة فؤاد الأول ... ... ... ... ... ... ... ... ...

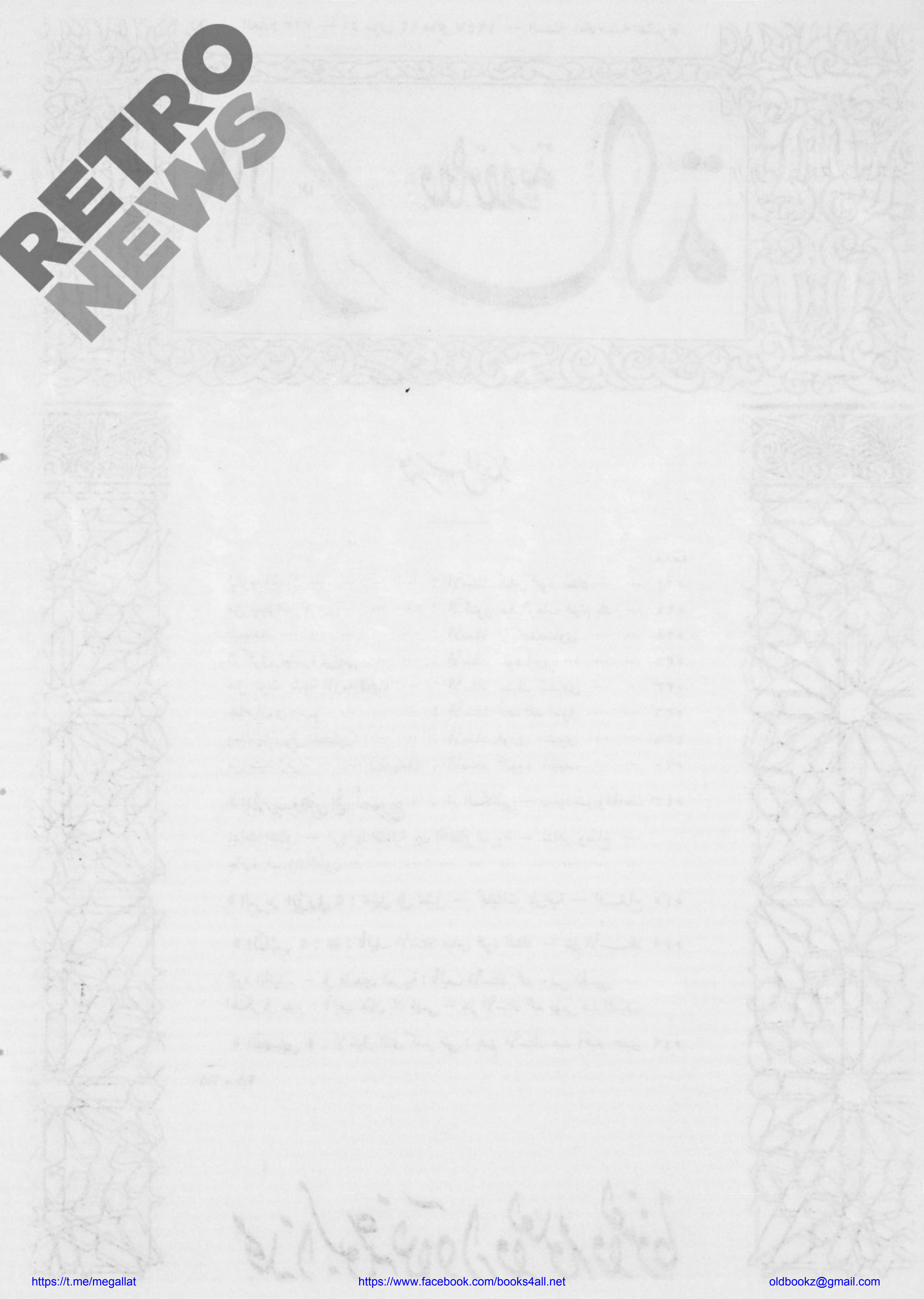
« البريد الأدبى » : تعليق على تعليق — تحقيقات تاريخية — اقتراح ٥٤٥

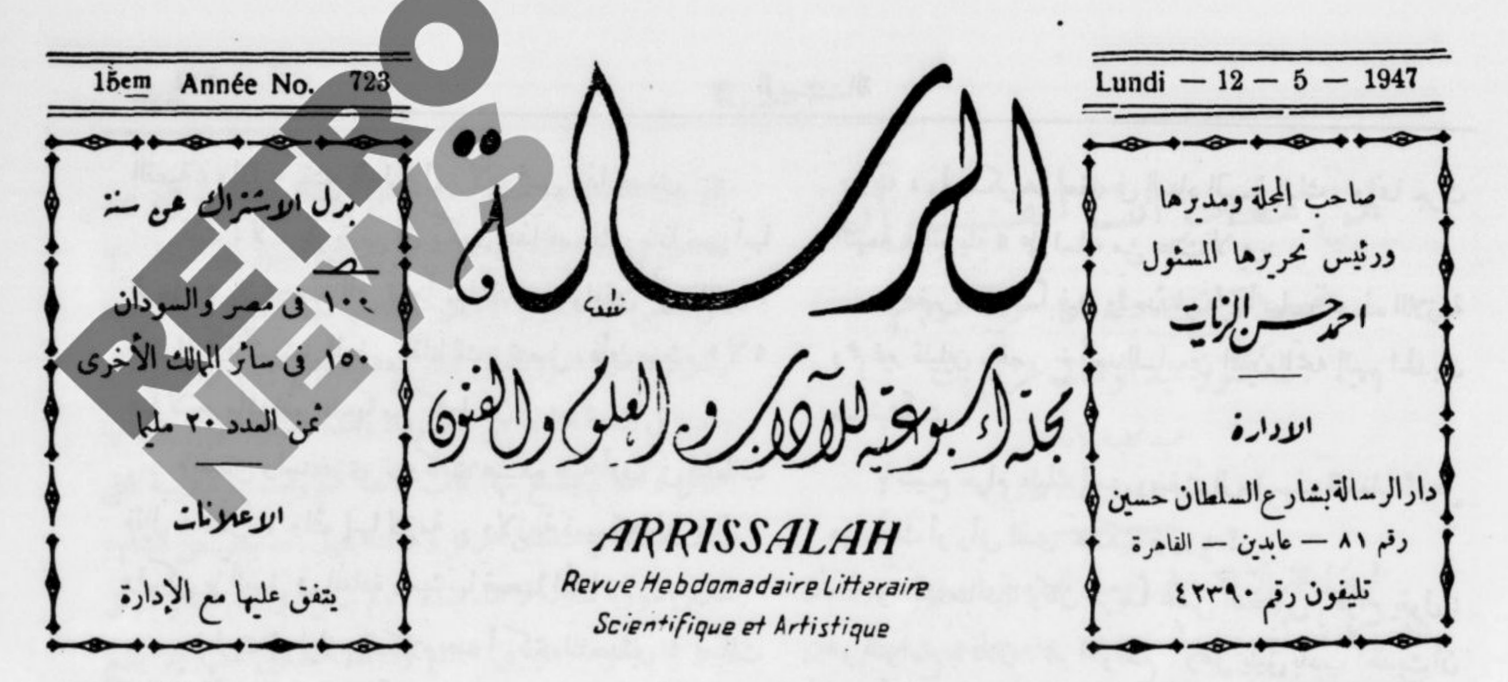
« الكتب » : الله : تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد — بقلم الأستاذ ٥٤٧
محمود الخفيف — فى فلسطين العربية : تأليف الأستاذ محمد يونس الحسينى —
الحكر فى مصر : تأليف عثمان بك فهمى — بقلم الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

« القصص » : الاختيار الذى كسر قلبى : بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى ٥٤٩


٢٨٠٣٨

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون






العـــدد ٧٢٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ جمادي الآخرة سنة ١٣٦٦ — ١٢ مايو سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

# لوازم الحـــديث

للأستاذ عباس محمود العقاد

كان الحديث عن آفاك الأرمنى الذى قيل إنه طبيب روحانى يشفى الأمراض المستعصية ويلمس المريض مرة أو مرتين فينهض سليما معافى .

وكان المتحدث رجلا يصدق من الغرائب والفارقات بمقدار ما فيها من مفاجأة الناس ومصادمتهم بالمستبعد المستغرب من الأمور ... له فى الحديث لازمة هى كلمة « لا » النافية . يقولها عشرين أو ثلاثين مرة فى الجلسة الواحدة ، ويقولها لمن يوافقه ومن يعارضه ، ولمن يقبل كلامه على علاته ومن يرفضه « على طول الخط » كما يقولون . ويخيل إليك وأنت تستمع إلى حديثه أنه يفضل إنكارك كلامه على موافقتك وتأمينك . لأن الإنكار يفتح له باب الجدل والاستمتاع بتلك الكلمة المحبوبة لديه ، البغيضة إلى الناس أجمعين ، وهى كلة « لا » النافية ومرادفاتها فى اللغة العربية .

قال : إن آفاك شفى مشلولا كسيحا لاينهض على قدميه .

قالها والتفت إلىّ متوقعاً أن أنكر منه هذا الخبر ، وأجزم باستحالته أو استبعاده .

فخيبت ظنه وقلت : يحصل . نعم يحصل وقد حصل فى الزمن القديم وفى هـذا الزمن . وقد حصل على أيدى الأطباء الذين لا ينتحلون لأنفسهم قدرة روحانية ولا كرامة من كرامات الأولياء . وحصل فى عهد العباسيين قبل هذا العهد الحاضر الذى عرف الناس فيه علم العلاج النفسانى وسلكوه فى عـداد العلوم الطبيعية . وذكرت قصة الجارية التى كان الرشيد يحبها فرفعت يدها ذات يوم فبقيت منبسطة لا يمكنها ردها ، وعولجت بالتمريخ والدهن فلم ترجع يدها إلى حركتها . فلما استدعى ابن بختيشوع لعلاجها قال للرشيد : إن لم يسخط علىّ أمير المؤمنين فلها عندى حيلة : تخرج الجارية إلى ههنا بحضرة الجميع حتى أعمل ما أريده فأمر الرشيد بالجارية فأحضرت ، وأسرع إليها الطبيب وأوثق يدها الطليقـة وأمسك ذيلها كأنه يريد أن يكشفها . فانزعجت الجارية وبسطت يدها المتقلة إلى أسفل . وكان ذلك شفاءها .

هذا وأشباهه جائز فى الطب مشاهد فى الواقع ، والمعول فيه على استفزاز القوى الحيوانيـة من طريق المؤثرات النفسانية . فإذا كان آفاك يملك القدرة على استفزاز هـذه القوى فى نفوس معتقديه فلا مانع عقلا أن يشفى بعض الأمراض بهـذا النحو من العلاج .

وليس المهم فى مقالنا هذا هو حديث آفاك الأرمنى وإن كان حديثه ليجرى الآن على كل لسان . وإنما المهم « لا النافية » على لسان صاحبنا الذى آمن بآفاك ليقولها ويسمعها من سامعيه ! .. فقد ظننت أننى أخذت عليه الطريق وانتزعت هذه الـكلمة من بين شدقيه . فإذا هى والله أول كلة علق بها على هذه

القصة ، وإذا به يفتح فاه ليقول : لا . ليس هذا قصدى ...

قلت : لا . بل ينبغى أن يكون هذا قصدك . ماذا تعنى أيها الرجل « بلا » هذه التى تفجأ بها الناس موافقين أو مخالفين ؟ قلت إن آ ثاك يشفى المرضى فقلنا لك : يحصل . فأين موضع « لا » هنا لا حرمك الله سماعها من كل لسان ؟

فانقبض واستخزى . وكانت عنـده بقية أدب فى الخطاب فقال معتذراً : والله إنها لازمة . ولازمة ذميمة والحق يقال . ولـكن ما العمل فى العادة وسيئاتها قبحها الله !

وخطرت لى لوازم الـكلام عند أكثر المتحدثين ؛ فسألت نفسى : أيها ياترى خير وأفضل . « لا » هذه التى تقال فى كل جواب ؟ أو « نعم » ومرادفاتها التى تعود بعض الناس أن يعقبوا بها على النقيضين فى مجلس واحد ؟

— حبذا لو خلت مصر من الأحزاب .

— صحيح .

— ولـكن الأحزاب ضرورية فى الأمم الديمقراطية .

— صحيح والله !

— إلا أن الديمقراطيـة قد تستغنى عنها فى بعض أوقات التطور والانتقال .

— معك حق . فهذا صحيح .

فكم من المتحدثين يستمع إلى أمثال هـذا التعقيب فى كل يوم وبين كل طائفة من الناس ؟ وكم تسوءهم هذه الموافقات وهم ينتظرون الشجاعة الأدبية من ذوى الرأى فـلا يرون بينهم وبين الجهلاء الإمعات من خلاف ؟

إن كانت هناك « نعم » شر من « لا » فهذه النعم شر من جميع اللاءات وجميع أدوات النفى على الإطلاق .

ومن اللوازم ما هو أعجب من الموافقة والإنـكار على هـذا المنوال ؛ لأنها لازمة تلقى على المستمع تهمة لا ذنب له فيها ولا مناص له من دفعها .

تلك هى لازمة « على رأيك » عند بعض الناس .

يحدثك عن رجل لا تعرفه ولعلك لم تذكره قط فى حياتك ، فإذا به يقول : « على رأيك إنه رجل لئيم » ... ويمضى فى تحميل رأيك المظلوم تبعات هجائه وإنحائه وأنت لم تر شيئا ممـا أتهمك رؤيته ، ولم يفكر هو بعقله فى إسناد التهمة إليك وإنما جرت التهمة « البريئة » على لسانه من حيث لا يريد .

وحضرت مجلساً فيه واحد من أصحاب هـذه اللازمة وهم غير قليلين . فصرخ أحد السامعين الذين اتجه إليهم الحديث مستغيثاً :

يا شيخ حرام عليك ! متى وصفت الرجل بهذه الصفات؟وهل هو رأيك أو رأيى الذى تحـكيه وترويه ؟

وضحك صاحبنا وكان ظريفاً حسن التخلص . فراح يقول : هو التواضع يا فلان . هو التواضع . وهل يليق بأدب الحديث أن أقول : هذا رأيى ! هذا رأيى ! فى كل ما أرويه وأحكيه ؟

ومن اللوازم ما يبعث الضحك ولا يبعث الفزع كهذه اللازمة التى يلازمها الاتهام ، بل قد يضحك الحزين إذا غلبت عنده روح الفـكاهة على روح الجد والصرامة .

من هذه اللوازم لازمة كانت لأحد القضاة المشهورين يرددها وهو ذاهل عمـا يسمع وذاهل عمـا يعنيه . وهى لازمة « براڤو براڤو » التى يتخلص بها من التفـكير فيما يقول .

ولقى شاباً كان يعرف أباه فسأله : أين أنت الآن ؟ قال : موظف فى هذا الديوان ...

قال : براڤو براڤو . وأين أبوك ؟

قال : تعيش ... مات منذ شهور .

فلم يلبث أن حيا أباه تحية الاستحسان المهودة . لأنه مات ! لـكن اللازمة البغيضة حقاً تلك اللازمة التى تضطرك إلى الجواب على كل فقرة من فقرات الحديث كأنك فى محضر تحقيق

— أخذت بالك ؟ « فاهمنى ؟ » .

ولا بد من الجواب ، ولا بد من انتظاره جواباً ملفوظاً لا يغنى عنه الإيماء ولا السكوت .

ومن هؤلاء من يبدى لك الرأى ثم يسألك :

هل أنا غلطان ؟

فتقول مثلا : معاذ الله . بل أنت على صواب .

فلا يكتفى بذلك ويعود سائلا : إن كنت غلطان قل لى . هل أنا غلطان بالله ؟

— لا لست بغلطان .

# من معجزات القـــرآن

## تفسير الآيات الأولى من سورة الروم

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

لم ينزل القرآن للأخبار بانتصار الروم فقط، بل للأخبار بأن الأمر كله لله وأنه سينصر المسلمين على ضعفهم وقلتهم فى بضع سنين كما ينصر الروم. فتبشير المؤمنين بنصر الله لم يأت فى الآية تبعاً كما يوحى كلام المفسرين بل كان الأخبار بانتصار الروم تمهيداً للتبشير بنصر الله المؤمنين. والاخبار بغلبة الروم وحده فيه معجزة واضحة، وبيان لصدق النبوة ولكنه مع هذا لم يكن القصد الأول من نزول الآية الكريمة.

وينبغى أن نذكر هنا أنه حينما تمت الغلبة للروم وذهب هرقل إلى بيت المقدس فى أعقاب ظفر توالى من القسطنطينية إلى بيت المقدس فى ذلك الحين ذهب جيش إسلامى صغير إلى البلقاء — التى تسمى اليوم شرق الأردن — فحارب جيشاً من الروم والعرب؛ وتلكم الوقعة المعروفة فى التاريخ الإسلامي باسم غزوة مؤتة. وقعت فى السنة الثامنة من الهجرة، وهذه الغزوة التى لم يبال بها هرقل ولعله لم يسمع بها كانت فاتحة الغزوات الإسلامية التى نزعت الشام من سلطان هرقل وجملته يقول وقد يئس من الشام: سلام ياسورية سلاماً لا لقاء بعده. ولم يكن بين تمام الظفر لهرقل وبين تمام الهزيمة عليه فى الشام وتسلط المسلمين عليها إلا بضع سنين، فبين غزوة مؤتة وبين واقعة اليرموك ست سنوات من السنة الثامنة بعد الهجرة إلى السنة الرابعة عشرة.

لله الأمر من قبل غلبة الفرس على الروم ومن بعدها بل له الأمر قبل كل شىء وبعده لاشريك له فى سلطانه. وبأمره غلب الفرس على الروم عشرين عاماً ولاء، ثم أديل للروم فى بضع سنين ثم أديل للمسلمين على الروم فى بضع سنين أخرى.

---

— لا لا. إن كنت غلطان فقل لى ولا تخف الحقيقة عنى. إننى رجل صريح. أليس هذا الواجب؟

ويكررها: أليس هذا الواجب؟ أليس هذا الواجب؟ حتى تفض المشكلة بقسم غليظ ... فيصدق أنك قد آمنت بأنه ليس «بغلطان».

وقد تكون اللازمة التى من هذا القبيل عقلية تأتى من نقص الوعى والإدراك ولا يقف بها الأمر عند حب التكرار والإعادة مع فهم الحديث المعاد.

تسأل أحدهم: هل لقيت فلاناً؟

فإذا هو قد أعد كلمة الاستفهام فى منتصف السؤال وبادرك مستفهماً: نعم؟

— هل لقيت فلاناً؟

— فلاناً؟

— أى نعم فلان!

— ماله؟ أو ما باله؟ أو علام تسأل عنه.

ولا يرى أنك تسأله عن لقائه إلا بعد السؤال الثالث أو الرابع على هذا المنوال. وهى عادة غالبة على الطبقة الجاهلة فى بلاد الريف على الخصوص مرجعها بطء الحركة الذهنية وإهمال الكلام واعتباره لغواً لا يرتبط بالتفكير ولا يحمل معناه إلا مع التوكيد والترديد.

وبعض هذه اللوازم لازم فى الحديث المفيد، لأنه يعينك على تتبع الحديث والوقوف على مراحله وغاياته. كلازمة «نهايته» فى موضعها الصحيح، أو لازمة «على كل حال» أو «لا تؤاخذنى» إذا كانت تهيىء الذهن حقاً لسماع شىء يحتاج إلى الاستئذان أو طلب السماح. فهذه اللوازم فى المحادثات أشبه بعناوين الفصول والأبواب فى الكتب والمخطوطات. ولكنها قد تتواتر وتتكرر حتى تفقد معناها ولا تتعدى أن تكون حشواً بغير دلالة ...

ومن قبيل ذلك فنان قدير فى فنه تلازمه كلمة «ثانياً» حين يقيم الأدلة على صحة فكرة أو مذهب من المذاهب الفنية. فإذا «بثانياً» هى أولا وثانياً وثالثاً ورابعاً إلى آخر العشرة، أو تزيد!

وكفى بمراقبة هذه اللوازم أنك تستمد منها سبباً للاصغاء إلى الأحاديث سواء منها ما استحق الإصغاء وما استحق الإعراض ... لأنك تسمع على الأقل «لوازم» تصلح للتفكهة وتصلح للدلالة على الفوارق بين «الشخصيات» والفوارق بين أساليب الألسنة وحركات العقول.

عباس محمود العقاد

على أن الله الذى له الأمر قد وضع للبشر سنناً للنصر والهزيمة من سار على سنن النصر انتصر ومن أخذ بسنن الهزيمة هزم . ليس الأمر متروكا للفوضى أو الاتفاق .

ويومئذ يفرح المؤمنون — إلى — لا يعلمون .

فى هذه الآية إخبار بأن المؤمنين سيفرحون بنصر الله حينما يغلب الروم الفرس . فهل نصر الله الذى يفرح به المؤمنون هو انتصار الروم . هذا بعيد ، وما للمؤمنين يفرحون بانتصار الروم وهم عدو لهم كسائر أمم الأرض التى كرهت هذا النور الجديد حفاظاً على تراثها من أديان وأباطيل ، ثم فى الآية : وعد الله لا يخلف الله وعده . فهل هو وعد الله المسلمين أن ينتصر الروم . لا . بعيد كل البعد أن يقال إن المسلمين يفرحون بانتصار الروم وقد وعد الله المسلمين ، انتصار الروم ، إنما الوعد لمن يعود إليه الخير من الواعد ، ولم يكن للمسلمين فى انتصار الروم خير .

بين جداً أن الآية تبشر المؤمنين بنصر قد وعدوه ، وأنهم سيفرحون بهذا النصر فى السنة أو السنين التى يغلب فيها الروم فما هذا النصر ؟

رجحت من قبل أن هزيمة الروم التى اهتم بها العرب فنزلت هذه الآيات وقعت حوالى سنة ٦١٥ ، فالنصر الذى يفرح به المسلمون حين يغلب الروم فى بضع سنين من هذه الهزيمة ، هو انتصارهم يوم بدر ، وكانت وقعة بدر فى السنة الثانية فى الهجرة أى سنة ٦٢٤ من الميلاد وبين ٦١٥ ، ٦٢٤ بضع سنين .

وقد روى أن خبر انتصار الروم بلغ المسلمين وهم فى غزوة الحديبية ، وكانت الغزوة سنة ست من الهجرة ، وهذه الرواية مردودة بدليلين :

الأول أن بين الحديبية وبين هزيمة الروم فى الشام أكثر من اثنى عشر عاماً ولا يقال لهذه المدة بضع سنين .

والثانى أن الحديبية لم تكن نصراً فرح به المسلمون بل كانت صلحاً رأى فيه رسول الله صلوات الله عليه وسلامه خيراً للاسلام وكانت عاقبته خيراً ، ولكن المسلمين حزنوا له حينما وقع ورأوا فيه ذلا لهم إذ رجعوا عن مكة وقد خرجوا لدخولها والاعتمار بها .

على أن انتصار المسلمين ، وظهور الإسلام قد بدأ بالهجرة وتوالى انتشار الإسلام ، وانتصار المسلمين فى الوقائع من بعد . فجائز ألا نخص النصر الذى يفرح به المسلمون بوقعة واحدة أو حادثة معينة، بل نقول قد وافق انتصار الروم أول عهد ظفر فيه المسلمون وعز دينهم وأول انتصار للروم وقع سنة الهجرة سنة ٦٢٢ م كما أسلفت .

تضمنت الآيات خبرين عن المستقبل صادقين ، انتصار الروم وانتصار المسلمين ، وتضمنت كذلك أنهما يقعان فى وقت واحد .

« ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » ولكن مشيئته جرت على أن ينصر من يأخذ بوسائل النصر ، وفى القرآن الكريم : « ولينصرن الله من ينصره » . « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » ، « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

فنصر الله لا يؤتاه من أساء عملا ، أو قعد عن التوسل إلى النصر بوسائله ، أو أخذ بأسباب الهزيمة ، سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تحويلا .

« وعد الله لا يخلف الله وعده » .

هذا هو الوعد الذى فى قوله : ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وهو مطابق لوعد الله العام وسنته الدائمة أن ينصر المؤمنين ويؤيد المجاهدين ، ويمكن الصالحين ، « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات — إلى — فأولئك هم الفاسقون » . « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » . « الذين إن مكناهم فى الأرض — إلى عاقبة الأمور » .

فلا يقعد أحد ويرجو ثواب الساعين ، ولا يفرط وينظر جزاء المجدين ، ولا يقصر ويبغ أجر المجاهدين ، « وأن ليس للانسان إلا ما سعى — إلى — الأوفى .

« ولكن أكثر الناس لا يعلمون — إلى — غافلون » .

أكثر الناس لا يعلمون سنن الله فى خلقه ، ونصره المؤمنين وتمكينه الصالحين وهم غافلون عن القوانين الإلهية ، والسنن التى يسير الخالق عليها عباده . وما قدره لأهل الخير وأهل الشر ، وأنصار الحق ، وأنصار الباطل . غافلون عن أن لله وعداً وأن وعده لا يخلف وسنته لا تبدل . عليها سارت الأمم ، وتعاقبت الدول ، وتقلبت الأمم ، وتغيرت الجماعات ، ولم تتبدل أو تتحول. أكثر الناس فى غفلة عن هذا . « لم يتفكروا فيها ولم ينعموا النظر وأخذوا الأمور بالظن ، وقاسوها بالوهم ، « وإن تطع أكثر

من في الأرض يضلوك عن سبيل الله » .

« إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون » .

أكثر الناس لا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا ، أمور من المحسات عرفوها بالممارسة ، والتعود ، وأدركوها بالتقلب في المعاش ، والتجربة . وهم في غفلة عن الحقائق الكبرى ، التي تتصل بالمبدأ والمنتهى والقوانين التي تسير الناس في الحياة ، والتي تقضي بين الحق والباطل والخير والشر ، وتفصل بين أمة مصلحة وأخرى مفسدة ، وجماعة يغلب فيها الحق ، وأخرى يسود فيها الباطل . وهم في غفلة عن الآخرة وما فيها من جزاء عادل ، وقصاص حق .

**عبد الوهاب عزام**

---

من أحاديث الإذاعة :

# السعادة ... ★

للأستاذ علي الطنطاوي

كنت أقرأ في ترجمة ( كانت ) الفيلسوف الألماني الأشهر ، أنه كان لجاره ديك ، قد وضعه على السطح قبالة مكتبه ، فكلما عمد إلى شغله صاح الديك ، فأزعجه عن عمله ، وقطع عليه فكره . فلما ضاق به بعث خادمه ليشتريه ويذبحه ويطعمه من لحمه ، ودعا إلى ذلك صديقاً له ، وقعدا ينتظران الغداء ، ويحدثه عن هذا الديك ، وما كان يلقى منه من ازعاج ، وما وجد بعده من لذة وراحة ، ففكر في أمان ، واشتغل في هدوء ، فلم يقلقه صوته ، ولم يزعجه صياحه ...

... ودخل الخادم بالطعام وقال معتذراً ، إن الجار أبى أن يبيع ديكه ، فاشترى غيره من السوق ، فانتبه ( كانت ) فإذا الديك لا يزال يصيح !

* * *

فكرت في هذا الفيلسوف العظيم فرأيته قد شقي بهذا الديك لأنه كان يصيح ، وسعد به وهو لا يزال يصيح ، ما تبدل الواقع ما تبدل إلا نفسه ، فنفسه هي التي أشقته لا الديك ، ونفسه هي التي أسعدته ، وقلت : مادامت السعادة في أيدينا فلماذا نطلبها من غيرنا ؟ وما دامت قريبة منا فلماذا نبعدها عنا ، إذ نمشي إليها من غير طريقها ونلجها من غير بابها ؟ إننا نريد أن نذبح ( الديك ) لنستريح من صوته ، ولو ذبحناه لوجدنا في مكانه مائة ديك ، لأن الأرض مملوءة بالديكة ، فلماذا لا نرفع الديكة من رؤوسنا إذا لم يمكن أن نرفعها من الأرض ؟ لماذا لا نسد آذاننا عنها إذا لم نقدر أن نسد أفواهها عنا ؟ لماذا لا نجعل أهواءنا وفق ما في الوجود إذا لم نستطع أن نجعل كل ما في الوجود وفق أهوائنا ؟

أنام في داري فلا توقظني عربات الشارع وهي تزلزل بسيرها الأرض ، ولا أصوات الباعة وهي ترعد في الجو ، ولا أبواق السيارات وهي تسمع الموتى ، وتوقظني همسة في جو الدار ضعيفة ، وخطوة على ثراها خفيفة . فإن نمت في الفندق لم يوقظني شيء وراء باب غرفتي . فإن كان نومي في القطار لم يزعجني عن منامي حديث جيراني إلى جنبي ، ولا صوت القطار وهو يهتز بي . فكيف احتملت هنا ما لم أكن أحتمله هناك ؟ وآلمني هناك ما لم يؤلمني هنا ؟

ذلك لأن الحس كالنور ، إن أطلقته أضاء لك ماحولك فرأيت ما تحب وما تكره ، وإن حجبته حجب الأشياء عنك ، فانت لا تسمع أصوات الشارع مع أنها أشد وأقوى ، وتسمع همس الدار وهو أضعف وأخفت ، لأنك وجهت إلى هذا حسك ، وأدخلته نفسك فسمعته على خفوته كما ترى في الضياء صغائر الأشياء ، وأغفلت ذاك وأخرجته من نفسك ، فلم تسمعه على شدته ، وخفي عنك كما تختفي في الظلام عظائم الموجودات . فلماذا لا تصرف حسك عن كل مكروه ؟ إنه ليس كل ألم يدخل قلبك . ولكن ما أدخلته أنت برضاك ، وقبلته باختيارك ، كما يدخل الملك العدو قلعته بثغرة يتركها في سورها . فلماذا لا نقوي نفوسنا حتى نتخذ منها سوراً دون الآلام ؟

أيها السادة المستمعون :

إني أسمعكم تهامسون . تقولون : « فلسفة وأوهام » . نعم ،

---

(★) حديث كتب لمحطة الشرق الأدنى ، فسجلته في مصر وأذاعته من يافا يومي (٧) و (٨) مايو ١٩٤٧ .

إنها فلسفة ، ولكن ليست كل فلسفة هذياناً . وإنها أوهام ، ولكن الحياة كلها أوهام تزيد وتنقص ، ونسعد بها ونشقى ، أو شيء كالأوهام :

يحمل الرجلان المتكافئان فى القوة الحمل الواحد ، فيشكو هذا ويتذمر فكأنه حمل حملين ، ويضحك هذا ويغنى فكأنه ما حمل شيئاً ، ويمرض الرجلان المتعادلان فى الجسم المرض الواحد فيتشاءم هذا ويخاف ، ويتصور الموت ، فيكون مع المرض على نفسه ، فلا ينجو منه ، ويصبر هذا ويتفاءل ويتخيل الصحة ، فتسرع إليه ويسرع إليها . ويحكم على الرجلين بالموت ، فيجزع هذا ويفزع فيموت ألف مرة من قبل الممات ، ويملك ذلك أمره ويحكم فكره ، فإذا لم تنجه من الموت حيلته ، لم يقتله قبل الموت وهمه ...

وهذا بسمارك رجل الدم والحديد ، وعبقرى الحرب والسلم ، لم يكن يصبر عن التدخين دقيقة واحدة ، وكان لا يفتأ يوقد الدخينة من الدخينة نهاره كله فإذا افتقدها خلّ فكرُه ، وساء تدبيره . وكان يوماً فى حرب فنظر فلم يجد معه إلا دخينة واحدة ولم يصل إلى غيرها ، فأخرها إلى اللحظة التى يشتد عليه فيها الضيق ويعظم الهم ، وبقى أسبوعاً كاملا من غير دخان ، صابراً عنه أملا بهذه الدخينة ، فلما رأى ذلك ترك التدخين ، وانصرف عنه ، لأنه أبى أن تكون سعادته مرهونة بلفافة تبغ واحدة ...

وهذا العلامة المؤرخ الشيخ الخضرى ، أصيب فى أواخر عمره بتوهم أن فى أمعائه ثعباناً ، فراجع الأطباء ، وسأل الحكماء فكانوا يدارون الضحك حياء منه ، ويخبرونه أن الأمعاء قد يسكنها الدود ، ولكن لا تقطنها الثعابين . فلا يصدق .

حتى وصل إلى طبيب حاذق بالطب ، بصير بالنفسيات ، قد سمع بقصته ، فسقاه مسهلا وأدخله المستراح وكان قد وضع له فيه ثعباناً فلما رآه أشرق وجهه ، ونشط جسمه ، وأحسّ العافية ونزل يقفز قفزاً ، وكان قد صعد متحاملا على نفسه يلهث إعياء ، ويئن ويتوجع ، ولم يمرض بعد ذلك أبداً .

ما شفى الشيخ لأن ثعباناً كان فى بطنه ونزل ، بل لأن ثعباناً كان فى رأسه وطار ، لأنه أيقظ قوى نفسه التى كانت نائمة ، وإن فى النفس الإنسانية لقوى إذا عرفتم كيف تفيدون منها صنعت لكم العجائب .

تنام هذه القوى فيوقظها الخوف ويوقظها الفرح ؛ ألم يتفق لواحد منهم أن أصبح مريضاً ، خامل الجسد ، واهى العزم لا يستطيع أن ينقلب من جنب إلى جنب ، فرأى حيّةً تقبل عليه ، ولم يجد من يدفعها عنه ، فوثب من الفراش وثباً ، كأنه لم يكن المريض الواهن الجسم ؟ أو رجع إلى داره العصر وهو ساغب لاغب ، قد هدّه الجوع والتعب ، لا يبتغى إلا كرسياً يطرح نفسه عليه ، فوجد برقية من حبيب له أنه قادم الساعة من سفره ، أو كتاباً مستعجلا من الوزير يدعوه إليه ليرقى درجته ، فاحسّ الخفة والشبع ، وعدا عدواً إلى المحطة ، أو إلى مقر الوزير ؟

هذه القوى هى منبع السعادة تتفجر منها كما يتفجر الماء من الصخر نقياً عذباً ، فتتركونه وتستقون من الغدران الآسنة ، والسواقى العكرة .

أيها السادة والسيدات : إنكم أغنياء ولكنكم لا تعرفون مقدار الثروة التى تملكونها ، فترمونها زهداً فيها ، واحتقاراً لها .

يصاب أحدكم بصداع أو مغص ، أو بوجع الضرس ، فيرى الدنيا سوداء مظلمة ، فلماذا لم يرها لما كان صحيحاً بيضاء مشرقة ؟ ويحمى عن الطعام ويمنع منه ، فيشتهى لقمة الخبز ومضغة اللحم ، ويحسد من يأكلها ، فلماذا لم يعرف لها لذتها قبل المرض ؟

لماذا لا تعرفون النعم إلا عند فقدها ؟

لماذا يبكى الشيخ على شبابه ولا يضحك الشاب لصباه ؟

لماذا لا نرى السعادة إلا إذا ابتعدت عنا . ولا نبصرها إلا غارقة فى ظلام الماضى أو متشحة بضباب المستقبل ؟

كل يبكى ماضيه ، ويحن إليه ، فلماذا لا نفكر فى الحاضر قبل أن يصير ماضياً ؟

أيها السادة والسيدات :

إنا نحسب الغنى بالمال وحده ، والمال وحده ؟ ألا تعرفون قصة الملك المريض الذى كان يؤتى بأطايب الطعام فلا يستطيع أن يأكل منها شيئاً ، فانظر من شباكه إلى البستانى وهو يأكل الخبز الأسمر بالزيتون الأسود ، يدفع اللقمة فى فمه ويتناول الثانية بيده ، ويأخذ الثالثة بعينه ، فتمنى أن يجد مثل هذه الشهية ويكون بستانياً ؟

فلماذا لا تقدرون ثمن الصحة ؟ أما للصحة ثمن ؟

من يرضى منكم أن ينزل عن بصره ويأخذ مائة ألف دولار؟ من يبيع قطعة من أنفه بأموال عبود باشا ؟

أما تعرفون قصة الرجل الذى ضل فى الصحراء ، وكاد يهلك جوعاً وعطشاً ، لما رأى غدير ماء وإلى جنبه كيس من الجلد ، فشرب من الغدير ، وفتح الكيس يأمل أن يجد فيه تمراً أو خبزاً يابساً ، فلما رأى ما فيه ، ارتد يأساً ، وسقط إعياء . لقد رآه مملوءاً بالذهب !

وذاك الذى رأى مثل ليلة القدر ، فزعموا ، أنه سأل ربه أن يحول كل ما مسته يده ذهباً ، واستجيبت دعوته ، فلمس الحصى فصار ذهباً ، ومس الخشب فصار ذهباً ، فكاد يجن من فرحته ، ومشى إلى بيته ما تسعه الدنيا ، وعمد إلى طعامه ليأكل فمس الطعام فصار ذهباً ، وبقى جائعاً ، وأقبلت بنته تواسيه ، فعانقها فصارت ذهباً ... فقعد يبكى يسأل ربه أن يعيد إليه بنته وسفرته وأن يبعد عنه الذهب .

وروتشلد الذى دخل خزانة ماله الهائلة فانصفق عليه بابها فمات غريقاً فى بحر من الذهب .

يا سادة : لماذا تطلبون الذهب وأنتم تملكون ذهباً كثيراً ؟ أليس البصر من ذهب ، والصحة من ذهب ، والوقت من ذهب ؟ فلماذا لا نستفيد من أوقاتنا ؟ لماذا لا نعرف قيمة الحياة ؟

كافتنى المحطة بهذه الأحاديث الأربعة من شهر ، فما زلت أماطل بها ، والوقت يمر ، أيامه ساعات ، وساعاته دقائق ، لا أشعر بها ولا أنتفع منها ، فكأنها صناديق ضخمة خالية ، حتى إذا دنا الوعد ولم يبق إلا يوم واحد ، أقبلت على الوقت أنتفع به ، فكانت الدقيقة ساعة ، والساعة يوماً ، فكأنها العلب الصغيرة المترعة جوهراً وتبراً ، واستفدت من كل لحظة حتى إنى لأكتب هذا الحديث والله ، فى محطة (باب اللوق) وأنا أنتظر الترام فى زحمة الناس وتدافع الركاب ، فكانت لحظة أبرك علىّ من تلك الأيام كلها ، وأسفت على أمثالها ، فلو أنى فكرت كلما وقفت أنتظر الترام بشىء أكتبه ، وأنا أقف كل يوم أكثر من ساعة متفرقة أجزاؤها ، لربحت شيئاً كثيراً . ولقد كان صديقنا الأستاذ الشيخ بهجة البيطار يتردد من سنوات بين دمشق وبيروت ، يعلم فى كلية المقاصد وثانوية البنات ، فكان يتسلى فى القطار بالنظر فى كتاب ( قواعد التحديث ) للإمام القاسمى ، فكان من ذلك تصحيحاته وتعليقاته المطبوعة مع الكتاب ، والعلامة ابن عابدين كان يطالع دائماً ، حتى أنه إذا قام إلى الوضوء أو قعد للأكل أمر من يتلو عليه شيئاً من العلم فألف (الحاشية) . والسرخسى أملى وهو محبوس فى الجب ، كتابه المبسوط ، أجل كتب الفقه فى الدنيا ، وأنا أعجب ممن يشكو ضيق الوقت ، وهل يضيق الوقت إلا الغفلة أو الفوضى ؟ أنظروا كم يقرأ الطالب ليلة الامتحان ، تروا أنه لو قرأ مثله لا أقول كل ليلة ، بل كل أسبوع مرة لكان علامة الدنيا ، بل انظروا إلى هؤلاء الذين ألفوا مئات الكتب كابن الجوزى والطبرى والسيوطي والجاحظ ، بل خذوا كتاباً واحداً كنهاية الأرب ، أو لسان العرب ، وانظروا ، هل يستطيع واحد منكم أن يصبر على قراءته كله ونسخه مرة واحدة بخطه فضلا عن تأليف مثله من عنده ؟

والذهن البشرى ، أليس ثروة ؟ أماله ثمن ؟ فلماذا نشقى بالجنون ولا نسعد بالعقل ؟ لماذا لا تمكن للذهن أن يعمل ولو عمل لجاء بالمدهشات ؟ لا أذكر الفلاسفة والمخترعين . ولكن أذكركم بشىء قريب منكم ، سهل عليكم ، هو الحفظ ، إنكم تسمعون قصة البخارى لما امتحنوه بمائة حديث خلطوا متونها وأسنادها ، فأعاد المائة بخطئها وصوابها . والشافعى لما كتب مجلس مالك بريقه على كفه ، وأعاده من حفظه . والمعرى لما سمع أرمنيين يتحاسبان بلغتهما ، فلما استشهداه أعاد كلامهما وهو لا يفهمه . والأصمعى وحماد الراوية وما كانا يحفظان من الأخبار والأشعار . وأحمد وابن معين وما كانا يرويان من الأحاديث والآثار . والمئات من أمثال هؤلاء ... فتعجبون ، ولو فكرتم فى أنفسكم لرأيتم أنكم قادرون على مثل هذا ولكنكم لا تفعلون .

أنظروا كم يحفظ كل منكم من أسماء الناس والبلدان ، والصحف والمجلات ، والأغانى والنكات ، والمطاعم والمشارب ، وكم قصة يروى من قصص الناس والتاريخ ، وكم يشغل من ذهنه ما يمر به كل يوم من المقروءات والمرئيات والمسموعات فلو وضع مكان هذا الباطل علماً خالصاً ، لكان مثل هؤلاء الذين ذكرت .

# الذكرى العاشرة للرافعى *

للأستاذ محمود أبو رية

مما يجب علينا لعظمائنا وعلمائنا الذين ينتزعهم الموت من بيننا، أن ننتهز كل مناسبة تمر بنا لنستعلن بفضلهم ، ونبعث التحية الطيبة إلى أرواحهم ، وفى ذلك وفاء لهم وإحياء لذكرهم حتى لا نرمى بعدم الوفاء ، ولا نزنّ بنكران الجميل

ولمناسبة انقضاء عشرة أعوام على وفاة أديب العربية وكاتبها السيد مصطفى صادق الرافعى رحمه الله نرى من الحق علينا أن نبعث إلى روحه الطاهرة بتحية مباركة طيبة ونرجو أن تفى هذه التحية ببعض ما له من فضل وما يستحق من تقدير

نبت الرافعى فى أكرم منبت وأزكى مغرس ؛ فبيت (الرافعى) مشهور فى الأقطار الإسلامية بأنه بيت علم وأدب وتقوى ، ولئن كان رحمه الله قد ورث عن آبائه الدين والتقوى ، فانه قد نشأ على حب الأدب العربى،فأقبل على دراسته دراسة استيعاب واستقصاء وتحقيق ، حتى تضلع من فنونه ، وتغلغل من أصوله ، ووقف على أساليب بلغاء العربية وأحاط بطرائقهم ومناحيهم حتى أصبح صدره خزانة أدب . وقد آتاه الله ملكة قوية فى البلاغة ، وحاسة دقيقة فى البيان ، وبهذه الدراسة المحيطة للأدب العربى ،والملكة القوية فى البلاغة ، والذوق الدقيق فى البيان ، استطاع أن يبتدع لنفسه أسلوباً خاصاً فى الكتابة العربية يباين أساليب الكتاب جميعاً إذ يجمع هذا الأسلوب بين البلاغة والحكمة والخيال ، هذا مع النكتة اللاذعة والكناية المستملحة . حتى لو أنك نصبت جملة من إنشائه بجانب جمل كثيرة من إنشاء غيره من كتاب العربية لبانت جملته منها جميعاً ، ولنادت على نفسها بأنها للرافعى ومن أسلوبه رحمه الله

لقد شبهوه بالجاحظ ، وكأنهم لما رأوا أسلوبه محكم النسج متخير اللفظ مصقول العبارة أنيق الديباجة ، قد خلعت عليه البلاغة زخرفها ، وكسته الفصاحة بجميل وشيها؛ قالوا إنه جاحظ هذا العصر . ولكن الجاحظ على إمامته فى البلاغة وبراعته فى

(*) توفى رحمه الله فى صباح يوم الاثنين ١٠ مايو سنة ١٩٣٧ .

---

أعرف نادلا كان فى (قهوة فاروق) فى الشام اسمه (حلمى) يدور على رواد القهوة وهم مئات يسألهم ماذا يطلبون : قهوة أو شاياً أوكازوزة أو ليموناً ، والقهوة حلوة ومرة ، والشاى أحمر وأخضر والكازوزة أنواع ، ثم يقوم وسط القهوة ويرد هذه الطلبات جهراً فى نفس واحد ، ثم يجىء بها فما يخرم مما طلب أحد حرفاً !

فيا سادة ، إن الصحة والوقت والعقل ، كل ذلك مال ، وكل ذلك من أسباب السعادة لمن شاء أن يسعد .

* * *

وملاك الأمر كله ورأسه الإيمان ، الإيمان يشبع الجائع ، ويدفىء المقرور ، ويغنى الفقير ، ويسلى المحزون ، ويقوى الضعيف ، ويسخى الشحيح ، ويجعل للانسان من وحشته أنساً ، ومن خيبته نجحاً .

وأن تنظر إلى من هو دونك ، فانك مهما قل مرتبك، وساءت حالك ، أحسن من آلاف البشر ممن لا يقل عنك فهماً وعلماً ، وحسباً ونسباً ، وأنت أحسن عيشة من عبد الملك بن مروان ، وهارون الرشيد ، وقد كانا ملكى الأرض . فقد كانت لعبد الملك ضرس منخورة تؤلمه حتى ما ينام منها الليل ، فلم يكن يجد طبيباً يحشوها ويلبسها الذهب ، وأنت لا تؤلمك ضرسك حتى يقوم فى خدمتك الطبيب . وكان الرشيد يسهر على الشموع ، ويركب الدواب والمحامل وأنت تسهر على الكهرباء ، وتركب السيارة . وكانا يرحلان من دمشق إلى مكة فى شهر وأنت ترحل فى أيام أو ساعات .

فيا أيها السادة والسيدات .

إنكم سعداء ولكنكم لا تدرون . سعداء إن عرفتم قدر النعم التى تستمتعون بها ، سعداء إن عرفتم نفوسكم وانتفعتم بالمخزون من قواها ، سعداء إن سددتم آذانكم عن صوت الديك ولم تطلبوا المستحيل فتحاولوا سد فمه عنكم ، سعداء إن طلبتم السعادة من أنفسكم لا مما حولكم .

أكمل الله عليكم سعادتكم ، وأسعد الله مساءكم ، والسلام عليكم .

(القاهرة) علي الطنطاوي

الترسل ، وطول نفسه فى العبارة ، وافتنانه فى تلوينها وابداع تصويرها ، كان عندما يستطرد إلى غير الغرض الذى ساق كلامه إليه ، ويذهب فى شعاب القول ههنا وههنا يؤدى به هذا الاستطراد إلى الخروج عن بلاغته العالية .

ومع أن الجاحظ حجة من حجج العربية وامام كتابها على مر العصور فانك لا تجد فى مطاوى كلامه قبساً من الحكمة . والحكمة من أقوى اداة الكاتب والشاعر

ولقد كان للرافعى خيال بعيد ينفذ به إلى أقطار المعانى الدقيقة فيستوحى منها الدرر ، ويحلق فى جواء التصورات البعيدة فيستنزل منها الغرر

ولا نقول هذا مجاملة له رحمه الله ، ولا يدفعنا إليه تشيع لما كان بينى وبينه من أواصر الصداقة والودة ، وإنما هو الحق والانصاف .

وقد كان الرافعى أستاذ مدرسة خاصة فى الأدب والكتابة، وكان فى الأخلاق الكريمة والتمسك بآداب الإسلام ومجد العرب أمة وحده ، لا يعنيه شىء فى الحياة إلا أن يحرس لغة القرآن ويحافظ على أساليبها ، ويبعث من تراثها ، ثم كان لا يفتأ يعمل على إحياء الآداب الإسلامية والأخلاق الدينية ، حتى ينشأ هذا الجيل على محبة لغته ودرس فنونها والتمرس بآدابها ثم يأخذ بأخلاق دينه وصالح عاداته . إذ كان يستيقن رحمه الله — وهو على حق — ان الأمة لا تنهض إلا باستمساكها بأصول لغتها وكريم أخلاقها ، ثم لها بعد ذلك أن تأخذ من العلوم والفنون النافعة فى الحياة ما شاءت وشاء لها نظام العمران

ولما انبعثت فتنة ( التجديد والمجددين ) منذ أكثر من ثلث قرن وكان أهلها يحاولون أن تكون الكتابة ( باللغة العامية ) وأن نهجر أدبنا القديم وتراثنا التليد كان هو أول من نازل دعاتها وظل وحده يناضل ويصاول حتى كتب له النصر وخرجت الأساليب العربية الصحيحة ظافرة تشرق على أسلات الأقلام

وما كانت هذه الفتنة لإصلاح يراد ولا كانت لتطور معتدل وإنما كانت ترمى إلى غرض بعيد ؛ ذلك أن القضاء على البلاغة العربية يؤدى لا جرم إلى هجر القرآن وعدم فهمه وبذلك يصبح هذا الكتاب المقدس للغة العربية كاللاتينية للغات الأوروبية ؛ ومتى صار القرآن كذلك فقل على الإسلام العفاء .

وظل رحمه الله رابضاً متحفزاً يحمى ذمار العربية ويذود عن حوضها إلى أن انقلب إلى ربه

وانى لأشهد أنه كان يتحرق على ماوصلنا إليه من ضعف فى الأدب ، وانحلال فى الخلق ، ويود لو تتاح له الفرصة ليطلع على الناس فى كل أسبوع بمقال فى إحدى الصحف يؤدى فيه شيئاً من رسالته حتى سنحت له فرصة الكتابة بمجلة الرسالة الغراء وارتقى منبرها فامتلأ قلبه فرحاً وقد بدا سروره فى خطاب أرسله إلى فقال [1]

« أما الرسالة فهم كتبوا إلى بعد أن ترك طه حسين ... وقد رأيت انى مخطىء فى الاقتصار على وضع الكتب ، وكان فى نيتى من زمن الكتابة أسبوعياً فى مجلة كبيرة كما أخبرتك فلما عرضت هذه الفرصة انتهزتها لأجرب هذه الطريقة ... ولعلى أوفق إن شاء الله بعونه تعالى فى المضى فى الكتابة والقوة بالله ، وسأنوع المواضيع كما رأيت ويدخل فيها فصول الكتاب النبوى بين الوقت والوقت إلى أن يتم وأنا أقاسى فى كتابته الآن عسراً شديداً من الحر والتعب وحالة المعيشة الحكومية لعنة الله عليها

« وهذا الموضوع صعب جداً يا أبارية ايس فى العربية مقال واحد منه . ومن يومين أطلعنى العريان على الجزء الأول للنظرات [2] فإذا فيه مقال عن الهجرة لا يساوى نصف مليم ! فادع الله لنا بالعون فى اقتحام هذه العقبة ... »

والكتاب النبوى الذى يشير إليه الرافعى فى هذا الخطاب هو كتاب كان يريد أن يضمه فى رسالة الرسول صلوات الله عليه ويجعل عنوانه ( محمد )

ولقد كان له غير ذلك آمال يريد تحقيقها وأعمال يود استكمالها ، ومن هذه الأعمال كتاب ( تاريخ آداب العرب ) الذى كان يقول عنه انه دين فى عنقه حتى يتمه. وقدانعقد الاجماع عندما ظهر الجزء الأول منه انه لم يؤلف فى موضوعه مثله

وممن أشادوا به الأستاذ الجليل أحمد لطفى السيد باشا فقد

(١) فى خطاب أرسله لى مؤرخ ١٩٣٤/٧/٤ .

(٢) كتاب النظرات للمنفلوطى رحمه الله .

عقد له صفحات كثيرة فى الجريدة ولولا اننا نؤثر الإيجاز لأتينا على ما كتبه هنا[1]

وعقد له الأمير شكيب أرسلان رحمه الله صفحة طويلة فى صدر جريدة المؤيد[2] جاءت فيها هذه العبارة « لو كان هذا الكتاب خطا محجوباً فى بيت حرام اخراجه منه لاستحق أن نحج إليه ، ولو عكف على غير كتاب الله فى نواشىء الاسحار لكان جديراً أن يعكف عليه »

ومن الكتب التى أتمها كتاب (أسرار الإعجاز) وكان رحمه الله يفاخر به وقد وضع أكثره . وكان يريد أن يضع « رسالة فى معارضة الدرة اليتيمة لابن المقفع بنفس الأسلوب وعلى الطريقة الأولى فى الكتابة العربية طريقة المتقدمين »[3]

وكتب إلى فى خطاب[4]

« وأنت قرأت الآم فرتر وهذا الكتاب مشهور فى لغات أوروبا وآدابها وأنا أريد معارضته وقد قام بذهنى انه لا راحة لى إلا إذا أخرجت مثله »

وقال فى خطاب آخر :

« ولا يزال فى فكرى أن أضع كتاباً صغيراً يكون أشبه بقصيدة واحدة فى معارضة سفر من أسفار التوراة كأناشيد سليمان مثلا »[5]

وقال فى خطاب[6]

« وأنا بحسرة من كليلة ودمنه[7] فلو وفقنى الله إلى اتمامه كتاباً برأسه لكان حادثاً فى تاريخ العربية كلها »

ولا استوفى هنا كل ما كان يريد عمله

ولقد كان له فى البحث والاستقصاء شأن عجيب فيوم أن غمره الجمال وأخذ يؤلف كتاب أوراق الورد بعد رسائل الأحزان أراد أن يعرف هل كتب ( اخوان الصفا ) فى الجمال

(١) يراجع بعض ما كتبه فى عدد الجريدة الصادرة فى ٤ مارس سنة ١٩١٢ .

(٢) جريدة المؤيد الصادرة فى ١٩ فبراير سنة ٩١٢ .

(٣) من خطاب خاص مؤرخ ١٠ ديسمبر سنة ١٩٢٥ .

(٤) من خطاب خاص مؤرخ ١٩٢١/١/٢٥ .

(٥) من خطاب مؤرخ ٥ يونيه سنة ١٩٣٦ .

(٦) من خطاب مؤرخ ١٢ سبتمبر سنة ١٩٢٦ .

(٧) نشر بعض فصول من هذا الكتاب فى كتابه (تحت راية القرآن)

فكتب لى فى خطاب مؤرخ ١٩ يوليو سنة ١٩٣٠

« ... أبحث فى إخوان الصفا هل كتبوا عن الجمال فإنى لم أقرأ فى هذا الكتاب إلا قليلا ولا وقت عندى لتصفحه ... »

كتب إلى فى خطاب آخر مؤرخ ٢١ نوفمبر سنة ١٩٣١ يقول

« أحب أن تراجع قسم المنطق من رسائل إخوان الصفا لمعرفة هل استعمل واضعو هذه الرسائل كلمة ( استنتاج ) أم لا فإن من مقالات المجموعة[1] مقالة عن هذه الكلمة وحل استعمالها . أما الكلمة نفسها فعثرت عليها فى كتابة ابن سينا وهذا يدل على أنه أخذها عمن قبله ، فلا بد أن تكون قد وردت فى رسائل إخوان الصفا » . وإن القول فى الرافعى وأدبه لطويل؛ وإنما هى سطور كتبناها لمناسبة انقضاء عشرة أعوام على وفاته رحمه الله

وإذا كان أقصى مايقال فى العظماء بعد وفاتهم أن يتحدث عن صفاتهم وأعمالهم ، وعما أصاب الناس بفقدهم ، وهل لهم خلف يعزى عنهم أو أنهم قد خلا مكانهم فإنى أقولها كلمة ولا أخشى فيها أحدا .

ذلك إن مكان الرافعى قد خلا وانه لم يخلفه فى إداء رسالته أحد . رحمه الله رحمة واسعة .

المنصورة **محمود أبو ريه**

(١) أى مجموع مقالاته وكان يسمى هذه المجموعة ( الورقات ) .

# هل الموت نتيجة لازمة للحياة؟

## الحيوانات والنباتات الخالدة — الشيخوخة وأسبابها

للأستاذ نصيف المنقبادى المحامى

« إلى ذكرى العالم البيولوجى المصرى الكبير الدكتور عثمان غالب باشا أقدم هذه الثمرة البسيطة من حديقة تعاليمه الفيحاء »

يعتقد جمهور الناس أن الموت نتيجة طبيعية لازمة للحياة ، وأن كل كائن حى لا بد من أن يموت . فإذا صحت هذه العقيدة فلا محل للبحث عن أسباب الشيخوخة ولا محاولة الكشف عن علاج لها لاتقاء حدوثها لأنها تكون حينئذ قضاء محتماً لا مفر منه . ولكن من ينعم النظر ويدقق البحث على ضوء الاكتشافات والحقائق العلمية الحديثة يتضح له أن تلك العقيدة لا تستند إلى أى سند علمى وأن سبب قيامها فى أذهان الناس هو ما يشاهدونه عادة فى الإنسان وفى باقى الحيوانات والنباتات المتعددة الخلايا نتيجة عوامل الشيخوخة التى سيأتى الكلام عنها .

وقبل أن نتكلم عن هذه العوامل ونبين أن الشيخوخة مرض كسائر الأمراض ينشأ عن تسمم تدريجى ناجم من نظام التغذية وجهاز التصريف الناقصين فى النباتات والحيوانات ( بما فيها الإنسان ) — نقدم من الآن الأدلة القاطعة التى تهدم تلك العقيدة من أساسها — عقيدة ضرورة الموت — ونعنى بذلك الحيوانات والنباتات الخالدة .

### الحيوانات والنباتات الخالدة :

كل من يفحص بالميكرسكوب قطعة من جسم إنسان أو من جسم أى حيوان أو أى نبات يتضح له أنها مؤلفة من خلايا صغيرة متلاصقة لا ترى بالعين المجردة وهى أشبه بخلايا النحل ولكنها غير منتظمة مثلها ، والخلية تتركب من مواد زلالية مخلوطة أو ممزوجة بمواد دهنية ومواد سكرية أو نشوية ، وفى وسطها نواة من مواد زلالية أخرى ، ولمعظمها غشاء أو غلاف يحيط بها من مادة زلالية وغيرها فى الحيوانات ، ومن مادة السيليلوز فى النباتات وهى من فصيلة السكر والنشاء ومادة الخشب .

وأصل كل فرد من النباتات والحيوانات ( ومنها الإنسان ) خلية واحدة تسمى فى علمى الحيوان والنبات « بالبيضة » ، وهى خلية ميكرسكوبية[1] تنتج من تلقيح بويضة الأنثى بخلية خاصة مشتقة من أعضاء التذكير فى الحيوانات والنباتات . وتأخذ البيضة بعد التلقيح فى النمو بطريق الانقسام نتيجة التغذى فتنقسم إلى قسمين يبقيان متلاصقين ، وينقسم كل منهما إلى قسمين آخرين وهلم جرا ، وعلى هذا النحو تتكاثر الخلايا المشتقة من البيضة وتنشأ منها مختلف الأنسجة والأعضاء فيتكون الجنين ثم الفرد الكامل .

غير أنه توجد كائنات حية مكونة من خلية واحدة وأعنى بها النباتات الأولية كالبكتريا والمكروبات ، والحيوانات الأولية الميكرسكوبية كالإميبا التى يسبب نوع منها مرض ( الدوسنطاريا ) وكجرثومة الملاريا وجرثومة مرض النوم وغيرها . وكيفية توالد وتكاثر هذه الأحياء ذات الخلية الواحدة هى أن تنقسم كل منها إلى قسمين ( وأحياناً فى بعض الأنواع إلى أقسام عديدة ) كما يحدث لخلايا الحيوانات والنباتات الأخرى المتعددة الخلايا وخاصة أثناء تكوين أجنتها ( جمع جنين ) على الوجه المتقدم بيانه . غير أن كل قسم جديد من أقسام الخلية الأصلية ينفصل هنا عن غيره ويصبح فرداً جديداً يحيا حياة مستقلة ويتغذى فينمو وينقسم بدوره إلى أقسام أخرى تصبح أفراداً جديدة ، وهكذا ، بحيث لا يموت ولا يفنى شىء من هذه الأفراد إلا بحادث مهلك كأن يجف الماء الذى تعيش فيه أو يفسد أو كأن تبتلعها حيوانات أخرى مع الماء وتهضمها .

ولكن يحدث أنه بعد عدة انقسامات تصبح الأفراد الأخيرة غير قابلة للانقسام كأنها شاخت أو هرمت ، وهذه أول صور الشيخوخة وأبسطها فى عالم الأحياء . ولا شك فى أن هذا العجز ناتج مما يتراكم داخل أجسامها من بقايا المواد الإفرازية السامة

(١) أما بيض الطيور الكبير المعروف للجمهور بهذا الإسم فهو أيضاً بيض بالمعنى العلمى ولكنه يحتوى على كمية هائلة من المواد الغذائية المختلفة التى يتغذى بها الجنين ويتكون منها أثناء نموه داخل القشرة الجامدة .

المتولدة من احتراق المواد الغذائية بعد هضمها وعدم تصريفها ( أى الإفرازات السامة ) إلى الخارج بأكلها ، ذلك الاحتراق اللازم لتوليد الطاقة (القوة والحرارة) الضرورية لعمليات الحياة ، ولهذا يعرّف الفسيولوجيون الغذاء بأنه وقود الماكينات الحية الحيوانية والنباتية . ولو استمر هكذا حال تلك الأفراد العاجزة عن الانقسام لماتت لا محالة كما يموت أفراد الأحياء العليا بالشيخوخة . غير أنه يكفى لاسترداد شبابها ونشاطها الانقسامى أن يلتصق كل فردين منها أحدهما بالآخر ويتبادلان نصف نواتيهما ثم ينفصلان فإذا بهما شباب ناهض قابل للانقسام من جديد . وهذه هى أول صورة من صورّ التلقيح فى عالم الكائنات الحية .

وليس التلقيح سراً من وراء الطبيعة فقد استعاض عنه البيولوجيون ( علماء الحياة ) وفى مقدمتهم چاك لوب بعض مؤثرات طبيعية أو كيميائية على الأفراد العاجزة عن الانقسام فيفصلون فرداً واحداً منها فى قليل من الماء ويضيفون إليه قليلا من بعض الأحماض أو القلويات الخفيفة أو يسلطون عليه تياراً كهربائياً ضعيفاً أو يرّجونه داخل أنبوبة صغيرة فيأخذ هذا الفرد الهرم فى الانقسام من تلقاء نفسه كما يحدث عقب اتصاله بفرد آخر مماثل له وتلقيح الواحد منهما بالآخر على الوجه المتقدم بيانه.

ويظهر أن فعل التلقيح الطبيعى وفعل هذه المؤثرات الاصطناعية إنما هو تنشيط تصريف تلك الافرازات السامة المتراكة داخل أجسام الأفراد التى شاخت وصارت عاجزة عن الانقسام أو إحداث تفاعلات كيميائية من شأنها إزالة تلك السموم الإفرازية ومحو آثرها .

وخلاصة القول أن الحيونات والنباتات الأولية ذات الخلية الواحدة هى كائنات حية لا تموت ولا ينعدم منها شىء ، فتى وصل الفرد منها إلى تمام نموه ينقسم إلى قسمين مستقلين يصبح كل منهما فرداً جديداً ينمو ثم ينقسم بدوره إلى أفراد جديدة ، وهكذا إلى ما لا نهاية له دون أن يموت أو يتلاشى شىء منها إلا بحادث مهلك كما تقدم فى ذلك القول. فهى أحياء خالدة بالمعنى الحقيقى ويمكن القول أن أفرادها التى تعيش الآن هى هى التى نشأت منذ نحو مائة مليون سنة عند ظهور الحياة على الأرض وما زالت حية تنقسم منذ ذلك الماضى البعيد المتغلغل فى القدم إلى اليوم وإن كان قد طرأ عليها أثناء ذلك بعض التغيير فى أشكالها بفعل العوامل الطبيعية جرياً على نواميس التطور والتحول . وإذا لوحظ أن هذه الكائنات الأولية ذات الخلية الواحدة هى أول ماظهر على الأرض وأنه مضت مئات الألوف أو الملايين من السنين قبل أن يتحول فريق منها إلى الحيوانات والنباتات المتعددة الخلايا — إذا لوحظ هذا يمكن القول أن الموت ليس نتيجة لازمة للحياة وأنه مرت على الأرض فترة طويلة من الزمن تنعم فيها الأحياء بالخلود ، وإنما طرأ الموت على الكائنات الحية فى طور من تطوراتها فى الوقت الذى أخذت فيه الاحياء ذات الخلية الواحدة تعيش جماعة متلاصقة لأسباب طبيعية محلية دعت إليها الظروف المستجدة ، ذلك لأن خلايا هذه الأحياء المتعددة — المتعددة الخلايا — ثابتة فى مكانها فى الأنسجة المختلفة ، لا تستطيع ( أى الخلايا ) أن تنتقل لتلتق بالخلايا الأخرى حتى تتلاقح وتتق الشيخوخة على ما تفعل الأحياء الوحيدة الخلايا ، خصوصاً وأن كل فريق من تلك الخلايا المجتمعة فى الحيوانات والنباتات العليا تخصص فى وظائف معينة من أعمال الحياة وتنوع فى شكله ليلائم وظيفته كخلايا الأعصاب وخلايا العضلات وخلايا الغدد وخلايا الجلد وغيرها فى الحيوانات ، وكخلايا الأنسجة المختلفة فى النباتات فصار غير صالح لأن يتلاقح مع غيره (وقد تخصصت فيها خلايا أعضاء التناسل للتلقيح لمصلحة مجموع الحيوان أو النبات وهى التى تضمن بقاء النوع وعدم تلاشيه — النوع فقط دون الأفراد ) .

فالموت يبدو لنا أنه نتيجة تطور الكائنات الحية من الأحياء الأولية ذات الخلية الواحدة إلى الأحياء الأرقى مرتبة وهى المتعددة الخلايا فهو الفدية التى ندفعها ثمنا لذلك الارتقاء ، ثمناً غالياً حقاً .

وهذا ما يقوله أستاذى المأسوف عليه العالم الكبير داستر Dastre الذى كان أستاذ علم الفسيولوجيا فى كلية العلوم بجامعة باريس ( السوربون ) وعضواً فى المجمع العلمى ( أكاديمى العلوم ) وعضواً فى أكاديمى الطب فى كتابه «الحياة والموت» صحيفة ٢٢٧ وما بعدها :

« ... ومن هذا يتبين أن الخلود هو من خواص الكائنات ذات الخلية الواحدة التى تتناسل بطريق الانقسام النصفى ، وأذا

لوحظ أن هذه الكائنات هى أول ماظهر من الإحياء على الأرض وأنها سبقت بزمن طويل الحيوانات والنباتات الأخرى المتعددة الخلايا فتكون النتيجة المنطقية البديهة أن الحياة ظلت مدة طويلة على الأرض دون الموت ، وإن الموت طرأ بعد ذلك نتيجة تطور الاحياء وتحولها من ذات الخلية الواحدة إلى المتعددات الخلايا »

* * *

ومما يؤيد هذا — أى عدم ضرورة الموت — التجارب القديمة المعروفة التى قام بها بعض من البيولوجيين على كثير من أنواع الديدان والحيوانات الجوفاء كأخطبوط الماء العذب بل وعلى حيوانات أعلى مرتبة ، بتقطيعها قطعاً تنمو كل قطعة منها وتصبح فرداً جديداً كاملا يحيا حياة مستقلة،وهكذا يصنعون من الحيوان الواحد عدة حيوانات ، ويكررون ذلك فى الأفراد الجديدة وهلم جرا . ويمكن مواصلة هذا العمل إلى ما لا نهاية له دون أن يتطرق الموت إلى تلك الأفراد ماداموا يقطعونها وهى فتية،وهذه العملية معروفة ومألوفة فى النباتات .

ويؤيد هـذا أيضاً التجارب والأبحاث العظيمة الشأن التى يقوم بها منذ سنين عديدة الدكتور كاريل فإنه يحفظ أجزاء حية صغيرة مفصولة حديثاً من أجسام الإنسان والحيوانات فى سوائل مغذية مطهرة تُجدد وتهوى باستمرار ، فتستمر حية يستعين بها الجراحون فى عمليات الترقيع وغيرها حتى أنهم وصفوا الدكتور كاريل « بأنه تاجر أنسجة حية » ، والأغرب من هذا أن تلك الأجزاء المحفوظة كثيراً ما تنمو وتتكاثر خلاياها بطريق الانقسام كما يظهر من فحصها تحت الميكرسكوب من حين إلى آخر بعد أن تكون قد فقدت تنوعها وعادت إلى شكل الخلايا الجنينية الأولى (الشكل البسيط الذى تكون عليه خلايا الجنين فى أول أطوار تكوينه) .

***

ويتصل بهـذا الموضوع بحث على جانب كبير من الأهميـة وهو أن تقسيم الكائنات الحية إلى حيوانات ونباتات ، وإلى فروع وصفوف ومراتب وفصائل أو أفراد إنما هو تقسيم اصطناعى من وضع الإنسان ، وإنه ليس للفوارق التى تفصل فى الظاهر بينها وجود مطلق حقيقى ثابت فى المكان والزمان ، فلا توجد فى الحقيقة والواقع إلا المادة أو مجموعة المواد الزلالية المعقدة التركيب المسماه « بالحية » وهى صورة من صور المواد الكيميائية الأخرى ومشتقة منهـا — تشتق على الدوام تحت أعيننا وعلى مرأى منا من الجادات ، من الهواء والأرض ، بفعل طاقة أشعة الشمس بواسطة الكلوروفيل ( المادة الخضراء النباتية ) . وقد ظهرت المواد المذكورة الموصوفة بالحية على الأرض منذ أن أصبحت هذه صالحة للحياة وستظل هكذا إلى أن تمسى غير صالحة لها ، كل هذا بفعل العوامل الطبيعية . وكل ما فى الأمر أن هذه المواد الحية الدائمة تبدو لنا فى صور مختلفة اختلافاً ظاهرياً وقتياً كما تبدو الجادات والمعادن فى أشكال متنوعة يتحول بعضها إلى البعض وهى فى مجموعها لا تفنى . على أن هذا موضوع عويص يضيق بنا المقام دون بسطه الآن .

**نصيف المنقبارى**
المحامى

( البقية فى العدد القادم )

إلى طلبة التوجيهية :

# ٢ - شاعران في المنفى

للأستاذ أحمد محمد الحوفي

تمهيد — موضوعات القصيدتين — الصور والخيال — الأسلوب — كلمة عامة .... ...

وفي كلتا القصيدتين فخر ، ولكنه أيضاً صورة من نزوع الشاعر وميله ، فالبارودي رجل الجيش والحرب يفتخر بشجاعته وبلائه في الحرب ، ولم تزايله حماسته في منفاه ، فسيفه هنالك صاحبه الوحيد ، يحمله جسمه القوى الشديد ، وهو سيف متعطش إلى الدم ، حتى ليشرئب من الغمد إذا لمسه البارودي متلهفاً إلى أن يضرب به . ويفخر بوفائه،وإقدامه ، وصواب رأيه إذا استبهم الصواب ، وربما كان غرضه هنا تعزيز رأيه الذي أبداه قبل الثورة العرابية متخوفاً من سوء عقباها ، ويكرر الفخر بشجاعته وتقدير الأبطال له حتى ليفدونه بأنفسهم ، وببلاغته وسحر شعره ، لكنه غالى في قيمة هذا الشعر إذ زعم أنه يضارع أبلغ شعر سابق ، ويكبر أن يشبهه شعر لاحق ، وجرته محاكاته للقدماء إلى تقدير لذاذة شعره بأنها ألذ من الحداء ، وختم الفخر بأنه قوال وفعال وغيره يقول ولا يفعل .

ونخره بنفسه وبشعره في مجال الشكوى تسرية عن نفسه من ناحية ، ومحاكاة لأبي فراس الحداني وهو أسير من ناحية . قال :

ولا صاحب غير الحسام منوطة  حمائله مني على عاتق صلد
إذا حركته راحتي للمة  تطلع نحوي يشرئب من الغمد
سجية نفس لا تخون خليلها  ولا تركب الأهوال إلا على عمد
وإني لمقدام على الهول والردى
بنفسي ، وفي الإقدام بالنفس ماردي
وإني لقوال إذا التبس الهدى
وجارت حلوم القوم عن سنن القصد
فإن صلت فدانى الكمى بنفسه  وإن قلت لباني الوليد من المهد
ولي كل ملساء المتون غريبة  إذا أنشدت أفضت لذكرى بنى سعد
أخف على الأسماع من نغم الحدا
والطف عند النفس من زمن الورد
مخدرة تمحو بأذيال حسنها
أساطير من قبلي ، وتعجز من بعدي
كذلك إني قائل ثم فاعل  فمالي ، وغيري قد يقول ولا يسدي

أما شوقي شاعر مصر المنوه بأمجادها ، المعتز بماضيها ، العليم بتاريخها فقد افتخر بسالف عهدها ، فالدهر منذ طفولته لم يحتفل بغير الفراعنة ، ولم يعرف أقوى منهم ، وهم صبر على النوائب وفيون بالعهد لا يتلونون كالحرابي،وهو هنا يشير إلى وفائه للخديو عباس ويعرض بمن تلون من أصدقائه أو يعرض بالإنجليز أصحاب السياسة المتقلبة ، والشمس لم تشرق على ملك عظيم كمصر ، وقد عبدت على ضفاف النيل ، ورأت ملوكا له أبناءها الفراعين ، وإنه لواد جيل خصيب تشرق الشمس عليه فتكسوه أشجاراً ووروداً وحريراً ، ونحن الفراعنة حكمنا الأرض قبل الرومان ، وكنا رواد العالم ، ولم يفت شوقي أن يعرج على الأهرام الخالدة ، فوصفها هذا الوصف البارع : بناها الدهر لا الإنسان الفاني ، وعمرت مقاصيرها أربعة آلاف عام تقوضت فيها عروش الملوك وهي باقية ، وكأنها وبحر الرمل حولها سفن واراها اليم إلا قلوعها ، وكأنها والضحا يتلألأ فوقها كنوز فرعون يزنها على موازين كبار فنطتها وتكومت فوقها . قال :

لم يجر للدهر إعذار ولا عرس  إلا بأيامنا أو في ليالينا
ولا حوى السعد أطغى في أعنته  منا جياداً ولا أرخى ميادينا
نحن اليواقيت خاض النار جوهرنا
ولم يهن بيد التشتيت غالينا
ولا يحول لنا صبغ ولا خلق  إذا تلون كالحرباء شانينا
لم تنزل الشمس ميزاناً ولا صعدت
في ملكها الضخم عرشا مثل وادينا
ألم تؤله على حافاته ، ورأت  عليه أبناءها الغر الياميـنا ؟
إن غازلت شاطئيه في الضحا لبسا
خمائل السندس الموشية الغينا

وبات كل مجاج الواد من شجر   لوافظ القز بالخيطان ترمينا
وهذه الأرض من سهل ومن جبل   قبل القياصر دناها فراعينا
ولم يضع حجراً بان على حجر   فى الأرض إلا على آثار بانينا
كأن أهرام مصر حائط نهضت   به يد الدهر لا بنيان فانينا
إيوانه الفخم من عليا مقاصره   يفنى الملوك ولا يبقى الأواوينا
كأنها ورمالا حولها التطمت   سفينة غرقت إلا أساطينا
كأنها تحت لألاء الضحا ذهباً   كنوز فرعون غطين الموازينا

وهذا الفخر بماضى الوطن من شاعر مبعد عنه حزن لما ألم به من أحداث وكوارث قوى الصلة بمحور القصيدة، وبنفسية الشاعر المكروب من الحاضر المتجهم، فيرجع إلى الماضى المشرق لأنه يجد فيه عزته وراحته وسلوانه.

وأخيراً يتحدان فى الغزل المصطنع من كليهما فى هاتين القصيدتين، فالبارودى ينعت حبيبته بالوفاء، ويصفها بالجمال وجهاً وخصراً، ويعرض حالة ماضيه إذ أمرته بنظرها الساحر فعلق بها وتبعها، فتظاهرت بالدهشة من حماقته كأنها لا تعلم أنها الجانية، ورجوها ألا تصد عنه حتى لا تعذبه وتقعده عن طلب المجد، وألا تظن أن فى قلبه قدرة على تحمل مزيد من الحب، ويصور مقدار خضوعه لها بأنها لو أمرته أن يهلك نفسه لفعل. قال:

فلست بناس ليلة سلفت لنا   بواديه، والدنيا تغر بما تسدى
إذ العيش ريان الأماليد، والهوى   جديد وإذ لمياء صافية الود
منعمة، للبدر ما فى قناعها   وللغصن ما دارت به عقدة البند
سبتنى بعينيها، وقالت لتربها   ألا ما لهذا الغر يتبعنى قصدى
ولم تدر ذات الخال — والحب فاضح —   بأن الذى أخفيه غير الذى أبدى
حنانيك إن الرأى حار دليله   فضل، وعاد الهزل فيك إلى الجد
فلا تسألى منى الزيادة فى الهوى   رويداً، فهذا الوجد آخر ما عندى
وهأنا منقاد كما حكم الهوى   لأمرك فاخشى حرمة الله والمجد
فلو قلت: قم فاصعد إلى رأس شاهق   وألق إذا أشرفت نفسك للوهد
لألقيتها طوعاً لملك بعدها   تقولين: حيا الله عهدك من عهد

وشوقى تغزل فى عجل بحبيبته التى يعف فى حبها، فهو يحن إليها حنيناً لا يشوبه تدلل، وهو غير مستطيع صبراً على فراقها، وهو جلد ولكن الحزن غلبه لأنه أبعد عنها بالنفى من وطنه وحصنه، وليله طويل لا نهاية له تتناوبه فيه الذكريات الحلوة والمرة فتميته وتحييه، وتكاد آلام الفراق ترديه، ولا يفتأ يبكى ويئن، ويراقب النجوم حتى ترثى له أو تمل مراقبته وتتعب من السير، ولكنه فى النهاية يتكلف الصبر أمام الأعداء حتى لا يشمتوا. قال:

يا من نغار عليهم من ضمائرنا   ومن نصون هواهم فى تناجينا
ناب الحنين إليكم فى خواطرنا   من الدلال عليكم فى أمانينا
جئنا إلى الصبر ندعوه كعادتنا   فى النائبات فلم يأخذ بأيدينا
وما غلبنا على دمع ولا جلد   حتى أتتنا نواكم من صياصينا
ونابغى كأن الحشر آخره   تميتنا فيه ذكراكم وتحيينا
نطوى دجاه بجرح من فراقكم   يكاد فى غلس الأسحار يطوينا
إذا رسا النجم لم ترقأ محاجرنا   حتى يزول ولم تهدأ تراقينا
بتنا نقاسى الدواهى من كواكبه   حتى قعدنا بها حسرى تقاسينا
يبدو النهار فيخفيه تجلدنا   للشامتين ويأسوه تأسينا

ويتفرد شوقى بتمجيده عرب الأندلس والبكاء على ملكهم المضيع، ولم يعرج البارودى فى قصيدته ولا فى غيرها على مجد المسلمين بالهند وأثرهم فى تحرير عشرات الملايين من أبنائها من الوثنية، وجوبهم البحار قبل كولبس وماجلان، وهى ينابيع ثرة بالذكريات يترع بها خيال الشاعر لو أنه مثقف وبصير بالتاريخ.

ثم يتميز بأن شكر لمصر برها به، وإرسالها الهدايا والأموال إليه، وأجاد تصوير حالها حين اضطرت إلى نفيه محبة له حريصة على سلامته.

ثم يفترق من البارودى بالتمهيد لموضوع قصيدته بمناجاة الحمام النائح ويختلف عنه أيضاً فى تخيله نسمة عبقة قد سرت من مصر إليه فأنعشته، ثم ينفرد بوصفه الرائع لجمال الطبيعة فى مصر، ووصفه أهرامها.

(البقية فى العدد القادم)

**أحمد محمد الحوفى**

هذا العالم المتغير :

# دمك يؤثر على تفكير عقلك

للاستاذ فوزى الشتوى

## مخك يتأثر بغذائك :

إلى أى مدى يظل عقلك أداة مفكرة تسيطر على عضلات جسمك ، إذا تعرض للحرارة أو البرودة أو نقص غذاؤه من الأكسوجين أو السكر أو الكلسيوم أو غيرها من المواد ؟

موضوع جديد ، واسع الآفاق ، عسير الفهم . ولكن العلماء يدركون أهميته البالغة ، ويعرفون أن المخ البشرى مثل جهاز اختبار محكم لا يكل لحظة عن الحركة . فهو يتلق المؤثرات الخارجية أو الداخلية المختلفة ، ويحللها واحدة واحدة ثم يعطى أوامره للاستجابة المناسبة لكل منها أيضاً . ودراسة هذه الحركة الدائمة تتبع علما حديثاً نسميه بكيمياء العقل . فكلما تغيرت نسب المواد الكيميائية فى المخ تغيرت أيضاً استجابات الإنسان ، وآراؤه ، وشخصيته وأخلاقه ، وقدرته العقلية من ذكاء أوغباوة

فهل تعرف مثلا أن مخ الوليد أفقر فى المواد الحديدية من مخ البالغ ؟ وأن قصر العقل عن أداء وظائفه إنما ينطوى على نقص فى عناصره المعدنية ؟

اكتشف إبراهام ميرسون وليو الكسندر الإخصائيان فى الأمراض العقلية هاتين الحقيقتين بتعريض أنسجة المخ إلى أشعة المرقب الطيفى الكاشفة : وقاس آخرون مواد العقل الكيميائية فى حالات اضطرابه فوجدوها ناقصة فى بعض أنواع الكبريت والحديد

## الماء فى المخ

وكميات الماء فى المخ عامل جوهرى فى أداء وظائفه وتقرير ملكاته . فإن زاد أو قل عن النسب المعقولة أدى إلى كوارث لا يقتصر أمرها على نقص القدرة العقلية بل يسفر عن هذيان وذهول وإغماء . فإن الماء فى المخ يحتفظ بالمواد الكيميائية فى محاليل ذات نسبة معينة من التركز ، وأى زيادة أو نقص فى كمية الماء تزيد تركيز المحاليل الكيميائية أو تنقصها مما يؤدى إلى اضطراب التفكير

وزيادة الحوامض أو القلويات فى المخ ذات تأثير وقتى فى الغالب ؛ ولكن المخ القلوى يعرض صاحبه للصرع ، ويقلبه بين حالات التشنج واضطراب الأفكار . أما المخ الحامضى فيعرض صاحبه لمرض السكر ، فعندما تتركز الجسيمات الحامضية يضعف المخ ويسفر عن الذهول ثم الإغماء أو يتوقف تماما عن كل نشاط

## الاكسوجين والذكاء :

والأكسوجين بالنسبة للذكاء من أهم العناصر فى المخ . وقد برزت هذه الحقيقة عام ١٨٦٢ حين قام العالم الطبيعى جليشر يصحبه كوكسول الإخصائى فى الناطيد برحلتهما المشهورة فى طبقات الجو العليا. فنى ٤٨ دقيقة صعد بهما المنطاد إلى ارتفاع ٢٨,٠٠٠ قدم . وعندئذ أدرك جليشر أنه لا يستطيع قراءة أرقام مقياس الحرارة أو ساعته . ولاحظ كوكسول حالة زميله فهبط بمنطاده وعندئذ استعاد جليشر قدرته العقلية

وتمادى هالدان وكالاس فى دراسة هذه الظاهرة فدخلا غرفة محكمة من الصلب ، وتولى آخرون إفراغها من هوائها حتى هبط الضغط داخلها إلى ٣٢٠ ملليمتراً من الزئبق أى ما يوازى ارتفاع ٢٤,٥٠٠ قدم . وعندئذ تعذر على هالدان أن يقرأ أو يبدى أية ملاحظة وكانت إجابته على أى سؤال يوجه إليه «دعه على ٣٢٠»

وبعد ساعة وربع استولى القلق على زملائهما خارج الغرفة فكتبوا رسالة وضعوها أمام نافذة الغرفة ولكن إجابتهما لم تتغير « دعه على ٣٢٠ » وكان من الجلى أن إجابتهما لم تكن سوى إجابة أناس تعطل تفكيرهم بسبب الحاجة إلى الأكسوجين

وخفف الصحب الضغط إلى ٣٥٠ ملليمتراً أى ما يوازى ارتفاع ٢١,٥٠٠ قدم . ومعنى هذا زيادة كمية الأكسوجين فى الغرفة وأن القوة العقلية تسترد جزءاً من قدرتها لا كلها، والدليل على ذلك ان هالدان أراد أن يرى شفتيه فى مرآة تناولها ولكنه بدل أن ينظر إلى سطح المرآة العاكس حدق فى ظهرها

وخفف الضغط مرة أخرى إلى ٤٥٠ ملليمتراً ( ١٤٫٥٠٠ قدم ) فانجلى ذهن هالدان تماما . ولكنه لم يحس بمرور الوقت كما أن ذاكرته لم تع شيئاً مما مر به فى تلك الفترة الطويلة

***بنام فى ثلاجة :***

وأجرى السير جوزيف باركروفت عدداً من التجارب ليعرف تأثير التبريد على المخ. وهو كما تعرف أحد العمليات الهامة فى الكيمياء . فخلع ملابسه ودخل ثلاجة رقد على أرضها ليرى النتيجة . وكان يعرف أنه يعرض نفسه باختياره للتجمد ليدرك استجابات العقل فى مثل هذه الحالة وكان يرقبه خارج الثلاجة أحد أتباعه ، فلما رآه يفقد وعيه لفه فى أغطية صوفية وأسقاه مشروبات ساخنة ليفيق . وقد كرر السير باركروفت تجربته . ووصفها بقوله ان ما أذكره عن محاولتى خفض درجة حرارة جسمى قليل . ففى كل من التجربتين اللتين قمت بهما أحسست بلحظة تغير خلالها كل مظهرى العقلى . فعندما كنت راقداً عارياً فى الثلاجة كنت أرتعش ، وكانت مفاصلى تنتفض رغما عنى فى محاولاتها القيام كما أحسست تماما بالبرد الشديد .

« وجاءت فترة مددت فيها ساقى ،وغادرنى الاحساس بالبرد وأعقبه شعور لطيف بالدفء . ولعل كلمة « تشميس » أو « اصطلاء » هى أنسب تعبير لحالتى فقد كنت أتشمس بالصقيع . وفى اللحظة التى توقف فيها ارتعاش جسمى بدأت الطبيعة البشرية فى قتال عنيف لتقاوم استمرار التجربة . استيقظت كل غريزتى وكان من الضرورى بذل جهد جبار حتى أستمر . ومضت هذه اللحظة فرضيت عن نفسى فى غبطة لأن تأثير الغريزة زال . وشعرت بأننى وصلت إلى ذروة الحالة التى يصل إليها المسافرون حينما يكرهون على النوم فى الصقيع فى أقسى برودته وهم واثقون انهم لن يستيقظوا أبداً »

« وأدركت تغييراً آخر فى حالتى العقلية العامة ، فإن الخجل الطبيعى من أن شخصاً يشترك فى التجربة سيدخل الغرفة ليجدنى عارياً قد اختفى تماماً . لقد تغير الحياء الطبيعى إلى شىء لا أدرى ما هو . ومن الجلى أن الإنسان يجب أن يكون شديد الحذر من انطلاق العقل . وهذه هى النقطة التى عرفتها فإن أرق أجزاء الجهاز العصبى المركزى كانت أول ما تعرض للأرهاق حتى زالت موازينها

***تأثير الحرارة :***

أما ما يحل بالمخ إذا حدث العكس ورفعت درجة الحرارة ، فكان موضوع التجربة التى قام بها هارفى ستون ، وأسفرت عن استرخاء العضلات والنعاس واسترسال العقل فى سبات عميق وما تحولت عنه إلى نوبات اضطراب وقلق

وقد وصف التجربة بقوله « إن قراءة كتاب أو الجلوس فى وضع واحد كانت من الأشياء المرهقة ، وكان البقاء فى وضع مريح يحتاج إلى قوة ارادة ملموسة . كما أن تلمس الراحة استلزم الحركة البطيئة الدائمة لكى يغير الإنسان وضعه »

وتؤثر كمية ثانى أكسيد الكربون التى فى الدم أيضاً على المخ . وقد جرب هالدان وعالمان آخران البقاء لمدة عشرين دقيقة فى جو نسبة ثانى اكسيد الكربون فيه ٧٫٢ فى المائة ، وهى تعد نسبة كبيرة ، فأحسوا بعوارض الإجهاد العقلى . فلم يكن فى وسع هالدان مثلا أن يركز تفكيره أو ينتبه إلى ما يدور حوله من حديث بغير عناء كبير . ولم يستطع قراءة جريدة ويدرك معنى عباراتها . كان تعباً كأنسان أقبل على الفراش بعد أن أمضى أسبوعاً بغير نوم . وكان يحس ذهنه كصفحة بيضاء لا تعى شيئاً مما يدور حوله

***يرى كل شىء مزدوجا :***

ويحدث أيضاً تفاعل كيميائى معروف بتأثيره السىء على المخ عندما تتمزق احدى الأوعية الدموية . وقد وصف الدكتور لوسيان كلارك ماحدث له فى إحدى هذه الحالات بأنه كان يقاسى من ارتفاع ضغط الدم الذى بلغ ٢٣٠ وهى نسبة كبيرة الارتفاع. وكان يتوقع أن ينفجر أحد الأوعية الدموية فى اى وقت .

وصدقت نبوءته فكتب يقول « فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٣٤ كنت عائداً بسيارتى من زيارة أحد مرضاى حتى وقفنى ضوء إشارة المرور ، فلما أردت متابعة السير ومدت يدى إلى مفاتيح السيارة رأيت يدين وبدل المفاتيح مفتاحين . وتولانى الاضطراب لمدة ثانية واحدة استعدت بعدها وعيي ، ولكنى أدركت ماحدث ،

# من نشيد الحرية

للأستاذ محمود الخفيف

بالشرق غنيت وكم هزني والهم الأسجاع قيثاربه
تعضنى الأغلال لكننى لا تعرف الأغلال أوتاريه
الحاضر المغلوب لم ينسنى روحاً به خالدة أيقظت ،
بعد سبات حالك ، دهره ،
منّى بها رقرقت أشعاريه

والغرب كم فى أفقه كوكب فى ظلمات أطبقت ، أومضا
يرقبــه المدلج إذ يطلب هدى له فى الدهر ممن مضى
لولاهم استوحش إذ يضرب فى فلوات شد ما أوحشت
والعيش داج حوله عابس
والدهر كم من أمل قوضا

كم من أبىّ عاف طعم الحياه ذليــلة مذعنة ضارعه
غبية دانت بشرع الطغاه راسفة فى جهلها راكعه
صماء ما إن أسمعتها شكاه خرساء ما أنت ولا استصرخت
عمياء ترعى الوهم منقادة
بلهاء فى بأسائها رائعة

سقراط كأس الموت فى كفه عن خمرها الشنعاء هل أحجما ؟
أعجله اليــأس إلى حتفه فأسلم الروح وما استسلما
مبتسم والموت فى جوفه الظلمة الخرساء فى حفرة ،
أحلى له من باطل غاشم
فى الأرض كم جرعه العلقما

وسيف روما الفاتح القاهر فتى الوغى فارسها قيصر
أرداه من شــيعته جازر من دمه خنجره يقطر
يقول هـــذا غاصب جائر أضله الطغيان عن نهجه
من حوله الحرية استصرخت
ألا فتًى ذو نخوة ينصر ؟

---

فأسرعت إلى البيت قبل أن يستفحل الأمر . وكانت عيناى طول الفترة تريان مختلف ألوان الأضواء . »

« كنت أرى كل شىء مزدوجا ولم أستطع القراءة لأن ارتباط الحروف أو الأرقام ببعضها ببعض لم يرسل أى معنى إلى ذهنى . حتى أدواتى الجراحية التى أستخدمها سنوات طوالا بدت غريبة أمام ناظرى . ومع أنى كنت أعرف طريقها فإنى لم أدرك طريقة استخدامها . وكانت الكتابة نوعا من المستحيلات .

كان من العسير أن أكتب سطراً واحداً فلما وفقت إلى كتابة حرف لم أجد له أى معنى . وفى هذه المرحلة بلغ الاضطراب والارتباك العقلى أشده . ولا ريب أنى فقدت توازنى الجسمانى ؛ فعند ما حاولت اجتياز الغرفة تعثرت بعدة أشياء واتجهت رغبتى إلى النوم طول الوقت .

**الذكاء ودم المخ :**

والتركيب الكيميائى للدم من العوامل الحيوية فى تغذية المخ ونشاطه أو ركوده ، وقد لجأ العلماء فى السنوات الأخيرة إلى عدة وسائل علمية لدراسة كيمياء الدم الذى يغذى المخ بأجراء عملية بذل يحصل بها على الدم من أوعيته قبل المخ وبعده مباشرة .

وقد وصل العالمان ابرهام ميرسون وهالوران إلى نتائج باهرة كشفت كثيراً من أسرار تغذية العقل . فوجدا مثلا أن السكر فى الدم يختفى بعد مروره بالمخ ، أى أنه يتغذى بالسكر ويمتصه ، فإذا زادت كميته أو قلت فى الدم فإن نشاط المخ يختلف أيضاً . وقد لوحظ أن مخ الأصحاء يستهلك مقداراً كبيراً من السكر ؛ فإذا قلت كميته فى الدم انخفض نشاط العقل أيضاً .

وأثبت التركيب المعدنى لدم المخ أهميته البالغة فى تقدير ذكاء الفرد ، فأعطانا مفتاحاً نتلمس به أسرار العقلية البشرية ، فالكلسيوم والفسفور ضروريان لحفظ النشاط العادى لجميع أنسجة المخ فإذا قلت كميتهما ظهرت عوارض البلادة الذهنية والخمول العقلى ؛ فإذا زادا عن المعقول تجاوز النشاط الذهنى حده العادى وربما بلغ حد الاضطراب مما دفع أطباء الأمراض العقلية إلى استخدامها فى علاج مرضاهم .

وقد لا نعبر فترة صغيرة حتى يحتل علم الكيمياء العقلية مكانه إلى جوار علم النفس ويساعد أخصائييه على فهم الطريقة الغامضة التى يعمل بها العقل البشرى الكثير الغموض .

فوزى الشتوى

ما عدمت فى دهرها نُصرةً وما خبت شعلتها الساطعه
تمثلت ثائرة مرة فى الحقل كانت زهرة وادعه
فانقلبت فى حقلها ثورة عذراء فى درع على ضامر
من حولها تحت غبار الوغى
أسنة ملء الفضا لامعه !

عن جانبيها جحفل واثب تلهبه الحرية الباسله
ساحرة كل لها خاطب ودونها نارٌ وغى آكله
النار ما إن هابها هائب كيف وهم فى غمرات الردى ،
روحها إنسية بينهم
فى درع (جندرك) لهم ماثلة !

تنقلت فى ظلمات العصور الشعلة الوهاجة العاليه
كم ذائدٍ فى كل عصر جسور فدى لها مهجته الغاليه
هيهات لا يطفىء ما فى الصدور قيد ولا خوف ولا غيلة
وكيف تخشى الموت نفس أبت
عيشتها فى ذلة جاثيه ؟

من الردى (لوثر) لم يفزع والغيظ نار حوله تضرم
ينزو به الخافق فى الأضلع لو لم يبح أرداه ما يكتم
يكرُّ كرَّ البطل الأروع بالرأى صوال على خصمه
وخصمه فى الرأى ذاك الذى
يجود بالغفران أو يحرم !

والمارد الجبار فى عصره الساحر المبتسم الناقم
يرتعد الطغيان من ذكره وما له من حربه عاصم
فى نثره الويل وفى شعره (ڤلتير) والدهر له منصت
ينقل للأجيال آياته
والظلم مستخذ له راغم

كأن فى أضلاعه جمرة بنارها كم مهجة أشعلا
فى كل قلب نافث ثورة ما كلَّ أو أبطأ أو بدلا
هاجر عن أوطانه هجرة نجّت من (الپستيل) آراءه
وا عجبا بالقلم المنتضى
بنيان هذا الحصن كم زلزلا !

وجاءت الرجفة من بعده وجن بركان بها يفهق
وأذهل الطغيان عن عهده لخوله الهول الذى يصعق
والدم موج جد فى مده يخوضه الغادون فى موكب
عروسه الحرية ، ادّاركت
من حولها ألوية تخفق

زلزلة فى الغرب قد جاوبت أختاً لها فى الأفق النازح
أختاً لها نازفة غالبت منذرها بالعاصف الجامح
بالموت إذ أنذرها حاربت فالعيش فى الأغلال موت وما
يخشى الردى إلا الذى يرتضى
قيوده فى عيشه الرازح

وهاجة شعلتها لاتنى تضىء لا يحجبها حابسُ
من موطن سارت إلى موطن خانقها من موتها يائس
نار سناها ليس فى الأعين ملء أبيّات النفوس السنا
أعظم ما ضوءاً لألاؤها
والليل مرهوب الدجى عابس

قيثارتى كم بطل خالد غير الذى غنيت ضاحى الكفاح
وكم شهيد نازف جاهد غاب اسمه وهو وضىء الجراح
وخامل تحت الثرى هامد كان طليق الروح ذا عزة
لو كشف الدهر مدى عزمه
شدا به العزم وغنى الطاح !

فى الأفق النازح لا تغفلى عن كوكب قيثارتى أبلج
عن نور (إبراهام) لا تذهلى فى كل دهر قبلة المدلج
الناشىء البادىء بالمعول محطم الأغلال فى قومه
هدية الغابة مبعوثها
أنداده الأمصار لم تخرج

غنى بأبراهام واستلهمى رسالة فى عرسها استشهدا
رسالة ابن الفطرة الملهم الصارم العزم الوثيق الفدا
الحامل الأعباء لم يسأم والفتنة السوداء من حوله
حتى محا الرقّ بياض الضحى
وألف الأبيض والأسودا

من بعده الشعلة حارت فما تلوح حتى يحتويها السحاب
ثم توارت بعد حين كما يموت فى الظلمة ومض الشهاب
الأفق الغربى قد أظلما لولا مصابيح به نورهم ،
باق على الدهر وأسماؤهم
حاضرة ما إن لها من ذهاب

فى الغرب عهد الموقنين انقضى كما انقضى فى الشرق وحى السماء
احتجب النور الذى أومضا وأعتم الليل ومات الرجاء
وا أسفا ! كم أمل قوضا وكم ترأى شفق كاذب
مخضبٌ منكدرٌ أفقه
البغى فيه والخنا والدماء

# الأدب والفن في أسبوع

**قبر الكاظمى :**

كان المغفور له الشاعر العربي الكبير السيد عبد المحسن الكاظمى قد أوصى قبل وفاته أن يدفن بأرض مصر وأن لا ينقل رفاته إلى العراق . وتنفيذاً لهذه الوصية قامت الحكومة العراقية من جانبها بتشييد مدفن له في مقبرة الامام الشافعي ، وقد تم بناء هذا المدفن في الأسبوع الماضي على وضع يليق بمكانة الشاعر الكبير وإكرام الحكومة العراقية لذكراه ونقل رفات الشاعر إليه في حفل حضره كثيرون من رجال الأدب وأبناء العروبة .

ولعل من المعروف أن الكاظمى رحمه الله قد نشأ في العراق من أسرة عريقة شريفة ، ولكنه غادرها في صدر شبابه هرباً من العسف والطغيان وجاء إلى مصر فوجد من أريحية بنيها عامة ومن رعاية المغفور له الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده ما جعله يؤثر الاقامة بها ويتخذ من أهلها أهلا وسكنا. وكانت له رحمة الله عليه صلة وثيقة بالمغفور له الزعيم الوطني الكبير سعد زغلول ، ولما قامت الثورة المصرية وقف الكاظمى ينصرها بشعره ، ويرسل القصائد العامرة في تمجيد سعد والاشادة بزعامته ، وله في ذلك جملة قصائد مطولة سماها بالملقات ...

كان الكاظمى مثال الشاعر العربي القديم في صفاء الفطرة وغزارة المادة وحضور البديهة ، وكان يرتجل القصيدة تزيد على المائة بيت دفعة واحدة فتأتى خالية من الحشو والفضول . وكان يترنم في الشعر بنغم يدوى حلو فيهز النفوس هزا ، وقد أخذ حافظ إبراهيم عنه هذه الطريقة فكانت قوام الروعة في إلقائه المعروف ، وعلى الرغم من بداوة الكاظمى في مظهره وفي طريقته فإن أسلوبه كان حلواً سائغاً خالياً من المماطلة والتعقيد ...

حقاً إن الحكومة العراقية قد أكرمت ذكرى هذا الشاعر الكبير بتشييد هذا الضريح ، وبما أغدقته من رعاية لابنته الوحيدة «رباب» وقد كانت (رباب) كل أمل للكاظمى في حياته ، فلعل حكومتنا تقوم من جانبها بإكرام ذكرى شاعر منح

---

استدبر النور فما استقبلا ... فجراً ولا بارقة أبصرا
يخبط في أوهامه معجلا ... يخطو وما يمشي سوى القهقرى
يعيش عيش الفيلة الأولا ... الناب والظفر تغطيهما ،
أغطية ما إن يرى مبصرٌ
أشق له منها ولا أخسرا

في شغل أفرله ما يفيق ... معبوده ذو وهج يبرق
النور ما يلقيه هذا البريق ... فليس ومض غيره يعشق
وهو شواظ من عذاب الحريق ... يهوى إلى لألائه دائباً
هذا الفراش المستهام الذى
يجذبه اللمح الذى يحرق !

وألقيت في السجن مكبولة ... حيرى به الحرية الراغمة
معصوبة في القيد مغلولة ... في أسرها جاثية قائمة
موصولة الثورة مذهولة ... تعجب ، من ألبسها غلها
وفيم هذا السجن تلقى به
بعد ضحى رفت به هائمه ؟

تصيح بالسجان إني هنا ... فانظر غداً إذ ترجف الراجفة
ما كان هذا السجن لي موطنا ... قد أزفت يا آسرى الآزفة
هذا ندائي الخافت استملنا ... أصغ له ... للريح مجنونة
صافرة من كل صوب ، أنت
تنبىء عما تحشد العاصفة

إني هنا لكنما تجتلى ... روحى في كل عتى طليق
في البحر ... في البيداء، روحى فلا ... توثق أو تخشى ظلاما يحيق
في هزمة الرعد إذا جلجلا ... في السحب السابحة استرسلت
في رعدة الأرض إذا زلزلت
في زفرة البركان عاتي الحريق !

روحى في رفرفة الطائر ... وفي تغنيه إذا حلقا
وجذوتى في مهجة الشاعر ... بنارها ضوءاً أو أحرقا
ويحك ! طال الأسر يا آسرى ... يا موثق الطين بأغلاله
الروح نور الله ... من غلها
هيهات يا آسر أن توثقا

مصر قلبه وخصها بشعره ، فتجمع كل آثار الكاظمى و اشعاره وتطبعها فى ديوان فإن الكاظمى يخلد بشعره أكثر مما يخلد بقبره .

**برناردشو والجاحظ :**

يشتغل الأستاذ أحمد حقى نائب مدير مكتب البعثات المصرية فى لندن بتلخيص مؤلفات الكاتب الإرلندى المعروف برناردشو وإخراجها فى كتاب جامع ، وقد أراد بهذه المناسبة أن يقابل الكاتب الكبير ليباحثه فى بعض الآراء ، فكتب إليه برناردشو يعتذر عن المقابلة ويقول له : إن المقابلات أمر خارج عن الموضوع ، فإنى رجل هرم ، وليس فى مقدورى استقبال الزائرين . ولا البحث معهم فى مؤلفاتى ، وما كتبته قد كتبته ، وأود الآن أن يقرأنى الناس لا أن يرونى ... »

وقد أذكرنى هذا بمحادثة مماثلة من كاتب العربية الكبير أبى عثمان الجاحظ ، فقد روى عن أبى طاهر انه قال : صرت إلى الجاحظ ومعى جماعة وقد أسن واعتل فى آخر عمره ، وكان يجلس فى منظرة له وعنده ابن خاقان جاره ، فقرعنا الباب فلم يفتح لنا ، وأشرف من المنظرة فقال : ألا إنى قد حوقلت وحملت رميح أبى سعد[1] فما تصنعون ؟ سلموا سلام الوداع ، فسلمنا وانصرفنا ...

فما أشبه صنيع برناردشو اليوم ، بصنيع الجاحظ بالأمس ، والناس هم الناس فى جميع الأزمان والأجيال ...

**نشاطنا الثقافى :**

يعنى معالى وزير المعارف عبد الرزاق السنهورى باشا برسم الخطة لإصدار سجل ثقافى تتولى إخراجه كل عام إدارة مختصة فى وزارة المعارف وتضمنه مظاهر النشاط الثقافى فى مصر ليكون تاريخاً لحياتنا الثقافية وما يجد فيها من تطورات واتجاهات ، وما يبدو فى مجالها من جهد وانتاج .

وانها لفكرة طيبة وخطوة موفقة ، لأن إصدار مثل هذا السجل فضلاً عما له من الفائدة التاريخية سيكون حافزاً لشحذ العزائم ، فسيقف الناس فيه على مدى النشاط الفكرى ، أى أنه سيكون بمثابة « صحيفة حساب » عن الجهد الثقافى فى عام ...

وحبذا لو أخذت جميع الهيئات والجماعات الثقافية والعلمية بهذه الفكرة ، فتقصد كل منها إلى وضع سجل سنوى يؤرخ مظاهر إنتاجها ومناحى نشاطها حتى تبرز وجودها أمام الناس ، على أن تتولى الوزارة تنسيق هذه السجلات الخاصة فى سجلها العام

**الروابط الثقافية بين الأقطار العربية :**

تبدى الجامعة العربية نشاطاً ملحوظاً مشكوراً فى توثيق عرى الروابط الثقافية بين الأقطار العربيـة ، وقد أشرنا إلى مظاهر هذا النشاط ومقاصده الطيبة فى أعداد « الرسالة » السابقة ، ويسرنا أن نشير اليوم إلى خطوة سديدة خطتها الجامعة فى هذا السبيل ، ذلك أنها قررت أخيراً إيفاد أساتذة محاضرين من مصر إلى عواصم الأقطار العربية الأخرى ، واستقدام أساتذة محاضرين من تلك الأقطار إلى مصر وإلى غيرها من الدول العربية لإلقاء محاضرات عامة تقوية للروابط الثقافية بين أقطار العروبة .

وإنها كما قلنا خطوة موفقة تدعو إلى الغبطة والاطمئنان على مستقبل العالم العربى ومستقبل الوحدة العربية ، فإن الوحدة الثقافية فى الواقع أساس الوحـدة السياسية ، ولن تجتمع كلمة العرب فى القصد إلى هدف سياسى واجتماعى موحد إلا إذا تقارب اتجاههم فى التفكير وتوحـدت وجهتهم فى الإدراك العقلى والثقافى ، غير أننا نعود إلى ما سبق أن حذرنا الأمانة العامة للجامعة العربية من الوقوع فيـه ، وهو الاقتصار فى النهوض بهذه المهمات على الرجال الرسميين والأساتذة الموظفين ، بل يجب أن تجعل ذلك ميـداناً مفتوحاً يجرى فيه رجال الفكر والثقافة المتحررين من ربقة الرسميات وتقاليد الوظائف لأن التفكير الرسمى أجدب ما يكون فى خدمة تلك الاتجاهات والنهوض — كما يجب — بمثل هذه المهمات ...

**شاعر ... وطباخ :**

قرأت فى إحـدى الصحف العربية التى تصدر فى المهجر الأمريكى نبأ طريفاً تقول فيه : « علمنا أن حضرة المواطن الفاضل الشيخ حسين أبو حمزة شاعر الجبل الفذ المشهور نزيل مدينة « جكسنفيل » قد افتتح مطعما جميلا فى تلك المدينة ، فنرجو الله

(١) أى يتكىء على العصا ماهر .

أن يوفقه فى تجارته وأن يدعه بلبلا غريداً فى حقل الشعر ...

وضحك صاحبى الذى كان يستمع لما أقرأ وقال : أظن أن شعر صاحبنا هذا تفوح منه روائح البهار والتوابل ، وأعتقد أنه مما تشتهيه البطون ... ثم اندفع يعلق على هذا الكلام فقال : لقد كان المرحوم الأستاذ محمد السباعى يقول : لا تقل يانسيم الصبا ويا ريح الغرام ، بل خير لك أن تقول : يا نسيم المطبخ ويا ريح الشواء ، وكان يقول أيضاً : لأجل أن تعيش لا تكن أديباً فحسب ، بل كن أديباً وصانع أحذية أو أديباً وبائع لعب أو أديباً وشيئاً من ذلك ... وتصور أنت أن أديباً من أدبائنا الكبار افتتح مطعماً أو احترف حرفة من هذا القبيل ، إن الناس لا شك كانوا ينظرون إلى هذا على أنه شىء غريب مضحك ...

قلت : أجل . إن هذا قد يبدو لنا أمراً غريباً عجيباً لأننا تعودنا أن ننظر إلى الأدب على أنه حرفة متميزة ، لا يصح أن تقرن بحرفة أخرى ، وأصبحنا ننظر إلى الأديب على أنه إنسان يعيش فى عزلة عن دنيا الناس ، فلا يصح منه ولا يليق به أن يسلك سبيلا فى الحياة من سبل الناس ، وهذا إسراف لا مبرر له ، وإجحاف لا إنصاف فيه .

إن الأدب يا صاحبى ليس حرفة فى ذاته ، وإن الأديب إذ يبتذل فنه فى سبيل العيش يكون قد تدلى إلى أسفل ، ونزل به إلى سوق التجارة ، وإنما الأدب إلهام وتضحية كما يقول تولستوى . وقد كان الجاحظ وهو أديب العربية يشتغل فى أول حياته ببيع الخبز والسمك على نهر سيحان ، وكان أبو هلال العسكرى يبيع البز فى الأسواق ، وكان الخبز أرزى يصنع خبز الأرز ، والحسين الجزار يشتغل جزاراً ، وهناك عشرات أمثالهم من الأدباء والشعراء كانوا يعيشون من البيع والشراء فى عروض التجارة وينتجون فى الأدب ويقولون الشعر ، فليكن يا صاحبى فينا الشاعر الطباخ والأديب الخباز والفنان النجار ، فإن هذا لن يضير الأدباء ولن ينقص من قيمة أدبهم ، وإنما الانحطاط الأدبى أن يجعل الأديب من أدبه مادة تجارة لكسب الرغيف ...

**جائزة فؤاد للآداب :**

عرف قراء « الرسالة » مما نشرناه فى العدد السابق أن الأستاذ الكبير معالى أحمد لطفى السيد باشا رئيس لجنة الفحص لجائزة فؤاد الأول للآداب قد أعلن فى حفلة توزيع الجوائز بالجامعة ان اللجنة لم تستطع إنجاز مهمتها لضيق الوقت ولهذا رأت تأجيل منح الجائزة إلى العام القادم ، ولكن بعض الصحف علقت بكلام كثير فى هذا الشأن وزعمت أن الأدباء الذين تقدموا لنيل الجائزة لم يستحق أحد منهم الفوز بها .

ولما كان صاحب « الرسالة » عضواً فى لجنة الفحص ، فقد سألناه كما سألنا غيره من الأعضاء عن الحقيقة فأكدوا لنا جميعاً أن الحقيقة هى أن وقت اللجنة كان أضيق من أن يتسع للمفاضلة بين ما أرسلته إليها وزارة المعارف وقد بلغ حوالى مائة كتاب فى أغراض مختلفة . وقد رأت اللجنه أن الأفضل أن تمنح الجائزة وقدرها ألف جنيه لتتويج مجموع إنتاج كاتب من الكتاب لا لمكافأة كتاب من الكتب فتكون جائزة فؤاد على غرار جائزة نوبل التى يكافأ بها كاتب أو عالم أو سياسى على مجموع عمله . أما مكافأة الكتاب الواحد فتكفيها الجوائز التى يمنحها سنوياً مجمع فؤاد للغة العربية وهى جوائز تتراوح قيمة كل منها بين المائة جنيه والمائتين واللجنة تسعى لدى وزارة المعارف لتحقيق ذلك .

وهناك ناحية أخرى يجب أن تكون موضع الاعتبار ، وهى فتح الباب للفوز بهذه الجائزة أمام أبناء الأقطار العربية الأخرى ، إذ لا يخفى أن هذا مما يرتفع بقيمة الجائزة ويتمشى مع الرغبة فى توثيق الصلات الثقافية بين الأقطار العربية . «الجاحظ»




## تعليق على تعليق :

هذا كتاب أرسله إلينا الأستاذ محمد تقى القمى السكرتير العام لجماعة التقريب تعليقا على مقال الأستاذ الطنطاوى المنشور فى العدد السابق .

« ... وبعد، فقد نشرت الرسالة فى عددها ٧٢٢ كلمة للأستاذ الفاضل على الطنطاوى بعنوان « تعليق على كتاب ، إلى علماء الشيعة » عرض فيها للخلافات الطائفية بين المسلمين ، وذكر أنها خلافات سياسية كان من الواجب أن تنتهى بانتهاء معاركها السياسية . ويقرر حضرته أن أهل السنة يتمنون أن تطوى الخلافات وينسخ حديثها وتتناسى حتى تنسى ، وعرج على كتاب « تحت راية الحق فى الرد على الجزء الأول من كتاب فجر الإسلام » واقتبس منه فقرات تمس أهل السنة ؛ وأظن أن عنوان الكتاب كاف للدلالة على أنه وضع منذ ست عشرة سنة رداً على مطاعن وجهها إلى الشيعة مؤلف فجر الإسلام[1] نفضل ألا نشير إليها حتى لا نثير مسائل نعمل للقضاء عليها . وقد تبين للمؤلف عدم صحتها لحذفها من الطبعة الثانية — ومعنى هذا أن الشيعة لم يعتدوا وإنما دافعوا عن أنفسهم فقط . ولو أن الأستاذ طنطاوى التفت إلى مقدمة الكتاب المذكور للعلامة آل يس الكاظمى وقد كتبه منذ ستة عشر عاماً لوجدفيها ما يصرفه عن تناول هذا الموضوع، ولتأكد أن علماء الشيعة ينفرون مما ينفرمنه، ويدعون لما يدعو إليه ، ويرغبون فى التقرب إلى أخوانهم السنيين . ولوجد أن الكاظمى نفسه أخذ على المؤلف إسرافه وأن كان التمس له بعض المعاذير .

وبصفتى عضواً فى جماعة التقريب وملما بأحوال النجف وإران أؤكد أن أحداً من علماء الشيعة لا تسمح له نفسه أن يهاجم المذاهب الأخرى — اللهم إلا أن يكون كاتباً يؤجره المستعمرون — الذين يريدون القضاء على فكرة التقريب بأى ثمن — وليس فى علماء الشيعة — والحمد لله — من يغريه المال ...

ولا يفوتنى أن أذكر أن ما ينصح به كاتب المقال وراه طريقاً للاتفاق بين الشيعة والسنة هو بعض ما تسعى إليه جماعة التقريب، وفى المادة الثانية من قانونها الأساسى ما يؤيد ذلك ، وأعتقد أن من السهل تحقيقه فى زمن قصير لو أعاننا رجال الفكر والعلم والقلم أمثاله .

أما نفقات « دار التقريب » فإن مصدرها تبرعات حضرات أعضاء الجماعة سنيهم قبل شيعيهم وسجلات الدار مفتوحة لكل من يريد الاطلاع .

ومع أنى أشكر لأخى الأستاذ طنطاوى حسن ظنه بجماعة التقريب واعتقاده أنها قادرة على رفع الخلافات الطائفية فى ثلاثة أشهر — أى من وقت تأسيسها إلى الآن — إلا إنى آخذ عليه ما ذكره من أنى أقدم لأصدقائنا الكثيرين من فاخر المآكل والمشرب فإنى أخاف أن يثوروا جميعاً علينا ، إذ لم يقدم إليهم سوى القهوة أو الشاى .

وأحب أن أقول لحضرته أنه لو عرف حياتى الخاصة فى إيران ما حسب أن نزولى بفندق الكونتيننتال فيه شىء من الترف أو الإسراف كما خيل إليه .

محمد تقى القمى
السكرتير العام لجماعة التقريب

## تحقيقات تاريخية :

للدكتور على إبراهيم حسن جولات فى التاريخ الإسلامى كان آخرها « دراسات فى تاريخ المماليك البحرية وفى عصر الناصر محمد بوجه خاص »[1] ، وهو كتاب قيم جدير بمؤلفه ولا تكفى هذه المجالة للالمام به أو الإشارة إلى قيمته ولكن ورد فيه بالصفحة ٢٩ بعض تعليقات منها ما جاء تحت رقم ٥ « والمعروف أن والد السلطان برقوق كان من فلاحى الدانوب » ولما كان المعروف لدى المعاصرين والمجمع عليه كما جاء فى ابن إياس وهو حجة لأنه جركسى الأصل أن السلطان برقوق مؤسس دولة الجراكسة كان من خلاصتهم. وفيه أيضاً : « حضر من بلاد الجراكسة والد الأتابكى برقوق تخرج الناس لملاقاته قاطبة فلاقوه فى البكارشة فى يوم الثلاثاء ٨ ذى القعدة سنة ٧٨١ » .

(١) الكتاب الذى أهدى إلينا مطبوع فى طهران سنة ١٩٤٥ . (على)

(١) مكتبة النهضة المصرية .

وفى وفيات ٧٨٣ « وفيها أنس بن عبد الله الشركسى والد برقوق الملك الظاهر كان كثير البر والشفقة لا يمر أسير مقيد إلا ويطلقه لا سيما إذا رأى الذين يعمرون بالمدرسة التى ابتدأ السلطان بعمارتها ، توفى فى شوال ودفن بتربة يونس ثم نقل إلى المدرسة ( يقصد البرقوقية ) فدفع ولده الظاهر إلى جلال الدين التبانى ألف مثقال وستمائة ذهباً ليحج عنه ويقال أنه جاوز التسعين » ( شذرات الذهب ) .

فمن أين جاءت مدام ديفونشير بأن هـذا الوالد من فلاحى الدنوب ؟ بينما إسم برقوق من الأسماء التى يحملها الجراكسة إلى الآن وتكتب Birkluk ويحمله ضابط من أصل جركسى وصل إلى رتبة جنرال فى الجيش التركى والتقيت به مراراً مدة خدمتى بأنقرة بالسفارة المصرية ، ولم أتمكن من تحقيق الناحية اللغوية لهذا الإسم ولكنى قرأت فى تعليقات الأمير شكيب أرسلان على ابن خلدون صفحة ١٠٢ » ومن أصناف الترك « الشاروق » أو « الجاروق » وكانوا يسكنون فى مدينة برقوق التى هى اليوم « ماد الباشى » .

وفى الضـوء اللامع : برقوق ابن انص الظاهر أبو سعيد الجركسى العثمانى نسبة لجالبه كان شهماً شجاعاً ذكياً خبيراً بالأمور . وساق كلاماً عن ترجمته حتى قال « وترجم له الفاسى فى مكة وله سيرة طويلة جمعها بعض أهل العصر فى مجلد » .

وفى كشف الظنون أن له سيرة جمعها ابن دقاق ثم العينى وذكره أى برقوق المقريزى فى عقوده وجاء فى خططه صفحة ٣٤١ جزء ٣ أنه أخذ من بلاد الجركس وبيع فى بلاد القرم .

وجاء عنه أنه تعلم الفقه وسائر العلوم الإسلامية حتى إن أستاذه « يلبغا »[1] لقبه بالشيخ . فمن أين أتى ذكر بلاد الدانوب ؟ وهل لدى مدام ديفونشير نص تاريخى يمكن الاستشهاد به ؟

لا يمكن إنكار حقيقة واقعة وهى أن بلاد الدانوب وبعض بلاد البلقان أتى عليها وقت ساد فيه الإسلام ربوعها وذلك قبل آل عثمان وقبل هجمات التتار أى فى أوائل القرن السابع الهجرى . وجاء فى تعليقات الأمير شكيب أن جميع البلاد إلى النصف الأول من القرن السادس عشر للمسيح من شبه جزيرة البلقان وشطوط البحر الأسود إلى الصين ممالك إسلامية متصلة كما ورد فى دائرة المعارف الإسلامية .

(١) الأتابكى يلبغا العمرى الناصرى .

وفى نص نقله الشيخ عز الدين عمر بن على بن ابراهيم بن شداد عن الأمير بدر الدين يسرى الشمسى أنه كان رفيق الملك الظاهر بيبرس فى بلاد القفجاق وهى الجزء الشمالى من البحر الأسود فلما زحف التتار من القوقاز عليها كاتب قبائل القفجاق أنس خان ملك الأولاق أن يعبروا نحو صوراق إليه ، والمفهوم أن بلاد الأولاق هى رومانيا الحالية أو الجزء الشمالى منها والتى عرفت فيما بعد بالإفلاق باللغة العثمانية ، كما أن المفهوم أن صوداق تقع فى شبه جزيرة القرم ، وأن الأسماء الروسـية والأجنبية مثل سباستيول وغيرها أطلقت حديثاً على بلاد إسلامية بعد ضمها إلى الروسيا .

فهل أخـذت مدام ديفونشير أن اسم أنص هو لكل من يسكن أو يأتى من نهر الدانوب ؟ أم كيف تنسب الظاهر برقوق إلى هذه الجهة وتاريخه العائلى معروف بالتفصيل بدليل مجىء والده وأخوته وأخواته وبعض أولادهم واستبطانهم مصر بعد سلطنته ؟ وجميع المصادر المعاصرة تقرر فى كل مرة يحضر فيها واحد منهم أو بعضهم بأن حضورهم من بلاد الجركس وأنهم كانوا مسلمين وماتوا مسلمين .

**أحمد رمزى**

## اقتراح :

يخطب الخطيب فيصفق الناس أو يدّعون فيعرف ما يحبون وما يكرهون ، ويغنى المغنى فيهتف السامعون أو يسكتون فيدرك إن كانوا يطربون أو يكتئبون ، وتصدر المجلات ويكتب الكاتبون . فلا يدرون أيرضى القارئون أم يسخطون .

فلماذا لا تسنّ الرسالة سنة جديدة يعلن بها القراء عما رضيهم ليصلوا إليه . ويعلم به الكتاب فيكثروا منه ؟ ثم إن الرسالة اليوم على أبواب تطور جـديد فى جوهرها ومظهرها . وإصلاح شامل تستكمل به قوتها . وتحتل مكانها فلماذا لا تشرك القراء معها ، ( وهى لهم وهم لهـا ) فى وضع منهاج هذا التطور ، ورسم طريق هذا الإصلاح . فتسأل كل قارىء (١) عما يعجبه من الرسالة لتزيده له (٢) ومايكرهه لتخلصه منه (٣) وما يؤمله لتحققه له . وتؤلف لجنة لفحص الأجوبة وترتيبها وإعلان نتيجتها ونشر الجيد المعلل المدلل منها ؟ ما هو رأى الرسالة ؟[1]

**على الطنطاوى**

(١) « الرسالة » : توافق على هذا الاقتراح .



# الله ...

تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد

بقلم الأستاذ محمود الخفيف

هـذا كتاب جليل القدر من ناحيتين : ناحية موضوعه وناحية كاتبه ...

ولست أجد في وصفه خيراً من أن أقول إنه كتاب عظيم ؛ والحق أن هذا الكتاب لو صدر في أي لغة لكان بين كتبها من أعلام الكتب ولأثار من اهتمام المفكرين والقراء ما هو خليق بأشباهه من الكتب الفذة ، وإنه ليسرني في هـذا المجال الضيق أن أتحدث حديثاً موجزاً عن هذا الكتاب هو أقرب إلى التحية منه إلى النقد .

يحق لكتاب العربية من زمن طويل أن يستبشروا بكل ما يكتب العقاد ، فقد اتفق له من الخواص ما يجعله بغير ريب من مفاخر جيلنا هذا ، بل ومن مفاخر الفكر العربي في تاريخه كله ، ومن هـذه الخواص أصالة الرأي واتساع أفق الثقافة ، وحدة الذكاء وقوة المنطق ، هذا إلى لقانة عجيبة يستشف بها الحجب وينفذ بها إلى الأعماق ، فإذا أضفت إلى هذا براعة أسلوبه وقدرته على التعبير القوي الموجز الذي لا يزيد ولا ينقص عن المعنى ، وذوقه وضلاعته في اختيار اللفظ المطلوب،تمت لك صورة العقاد الكاتب ، وإنك لتجد هـذه الخواص مجتمعة في أكمل صورها في هذا الكتاب الذي أتحدث عنه .

تبقى بعد ذلك صفة هامة من صفات الكتاب ، وهي الإحاطة المدهشة بنواحي الموضوع على دقته وعلى الرغم من تشعب مذاهب القول فيه . والواقع أن كل فصل من فصول هذا الكتاب يصلح موضوعاً لكتاب ، وإنك لتخرج مع هـذا من كل فصل بما تخرج به من كتاب كامل . فالأستاذ المؤلف يعرض ما دار من الآراء حول ما يطرق من الموضوعات ، ولا يكتفي بالعرض بل يأتي بكل ما يرد به على هاتيك الآراء،وهنا تبرز قوة منطقه وسعة أفقه وتمكنه مما يقول ، ولا يسعك إلا الإعجاب العظيم كما أنك تستشعر اللذة التي يبعثها اتساق الفكر وحسن السياق ... ، وتجد ذلك جليا في فصول الكتاب جميعاً وبخاصة « أصل العقيدة » وفي « براهين وجود الله »

خصصت لقراءة هذا الكتاب زمناً ما ، فما فرغت منه حتى عدت إلى قراءته ، ثم عاودت النظر أكثر من مرة في بعض فصوله مثل ذلك الفصل الجميل « الوعي الكوني » الذي تتمثل فيه أصالة العقاد ، ومثل « البراهين القرآنية » التي ترينا كيف يغوص العقاد فيخرج بما يطلب من المكنونات والخفايا ...

ولقد قرأت في الإنجليزية كثيراً من الكتب التي تناولت مثل هذا البحث ، وأشهد في غير مجانبة للحق أني ما ظفرت في أحدها بمثل ما ظفرت به في هـذا الكتاب من الإلمام والاستيعاب ، وإني لأعجب كيف يجتمع هذا كله بين دفتي كتاب لا تزيد صفحاته على ثلاثمائة ، ولكنه فن العقاد ...

وبعد فهذا كتاب ينبغي أن يقرأه المؤمن ليزداد إيماناً مع إيمانه ، والحائر ليجد سبيل هدايته ، والمتشكك ليطرح شكه ، والجاحد ليعلم علم اليقين أنه أسرف على نفسه بجحوده ؛ هذا ما تركته في نفسي قراءة هـذا السفر الجليل ، ولعلي بعد ذلك لم أوف على الغاية مما أحببت أن أقول .

ولا يفوتني أن أشير إلى شيء آخر راقني في الكتاب كله ، ذلك هو منطق ترتيب البحث وتأليف الكتاب ، فأنت تخرج من فصل إلى فصل كما تنتقل من فكرة إلى فكرة لها أوثق الصلة بها ، بحيث لا تستطيع أن تقدم منه فصلا على فصل ، يضاف إلى ذلك أنه ليس بين هذه الفصول المتساوقة ما يشعرك بأن في هذا الموضع أو ذاك فصلا ناقصاً كان يجب أن يكون ...

بحث الأستاذ في أصل العقيدة الإلهية وتطورها وتكلم عن الوعي الكوني كتمهيد للبحث في ذات الله ، وفكرة الوعي الكوني هـذه من أجل وأروع ما صور العقاد ؛ واستعرض الكاتب بعد ذلك الأديان القديمة في مصر والهند والصين واليابان

وفارس وبابل واليونان كلا منها فى فصل ، ثم عرض الأديان السماوية قبل الفلسفة وبعدها ؛ وألمع إلى التصوف ، وانتهى إلى براهين وجود الله العقلية منها والنقلية ، وختم كتابه الجليل بكلمة فى آراء الفلاسفة المعاصرين وفى العلوم الطبيعية وعلاقتها بالمباحث الإلهية ...

ومن هذا يدرك القارىء كيف كان بناء الكتاب على هذه الصورة من براعة المنطق .

تحيتى للأستاذ الكبير مشفوعة برجائى أن يزيدنا من ذخائره الطيبة الفذة التى نحن أحوج ما نكون إليها ، والتى يحق أن تفخر بها المكتبة العربية .

**الخفيف**

---

## فى فلسطين العربية

(تأليف الأستاذ محمد يونس الحسينى)

تعتبر فلسطين فى هذه الأيام مشغلة الأذهان فى العالم العربى ، لهذا تمتلىء النفوس للهفة إلى معرفة كل شىء عن تلك البقعة المقدسة التى هى مثار ذلك الخلاف المنيف ، وليس هذا الكتاب فى الواقع إلا تقريراً ضافياً وافياً عن طراز الحياة العربية القائمة فى فلسطين ، وقد قدم المؤلف الفاضل لشرح هذه الحقيقة فى كتابه بمقدمات تاريخية مفيدة عن بيت المقدس وعن فتح العرب لفلسطين وما كان لذلك القطر من شأن على عهود الدول الاسلامية المختلفة ، ثم انتقل من هذا إلى الحديث المستفيض عن الحياة الاقتصــادية والاجتماعية والثقافية على نهج علمى يعنى بالحقائق و إيراد الأرقام وعقد المقارنات ، ثم شرح الصلة بين هذه النواحى و بين مستوى المعيشة والحياة التى يحياها أبناء فلسطين العرب فى هذه الآونة .

فالمؤلف الفاضل قد سد بكتابه هذا حاجة عند أبناء العروبة وصور لهم ناحية كان من الواجب أن يقفوا عليها ويتفهموها لأنها فى الواقع الأساس لفهم المشكلة الفلسطينية والعمل على إنقاذ ذلك القطر العربى من براثن الاستعمار والطغيان وإنه لعمل يذكره له وطنه ويشكره لهسائر أبناء العروبة .

## الحكر في مصر

(تأليف عثمان بك فهمى)

والحكر فى مصر ناحية من النواحى التى تشغل الأذهان فى الدوائر القضائية والحكومية نظراً لكثرة ما يجد فيها من المشكلات ثم ما يكون فى ذلك من اختلاف فى الرأى والتقدير ، وقد عرض المؤلف الفاضل فى كتابه هذا إلى هذه الناحية فتناولها تناول الباحث المحقق والخبير المدقق ، إذ عنى بالحديث عن عقد الحكر وما يحدث من الخلاف فى تطبيقه وأتى فى هذا على وجهات النظر الواردة فى الفقه وفى القانون وفى العدل ، وصحح ما هو شائع فى التطبيق من الأخطاء الشائعة والاعتبارات التى تصطدم بالواقع وفازع وزارة الأوقاف ما تدعيه فى عقد الحكر منذ خمسين عاما وختم بحثه بالمطالبة بابعاد القضاء عن نظر مسائل الأحكار . وإن هذا الكتاب بموضوعه هذا وبما اشتمل عليه من الدقة والعمق فى البحث يهم رجال الفقه والقانون والمعنيين بمسائل الأحكار بصفة عامة بل انه يعتبر مرجعاً وافياً ومصدراً نافعاً فى الاعتماد عليه .

**محمد فهمى عبد اللطيف**

---




# الاختيار الذى كسر قلبى

معربة عن الانجليزية

بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى

« ماذا يجب أن تعمل المرأة إذا هى ووجهت بهذه المشكلة؟ بل ماذا تستطيع أن تعمل ؟ وهل هناك قانون يحدد الصواب والخطأ تستطيع أن تسترشد به ؟ »

سألتنى صاحبتى ، بعد أن خرجنا من دار السينما على أثر مشاهدتنا الرواية القوية « أنا كارنينا » :

— كيف استطاعت ذلك ؟ لقد كانت القصة رائعة حقاً وقد مثلت تمثيلا مدهشاً ، ولكننى لا أستطيع أن أصدق أن أية أمّ يمكن أن تتخلى عن طفلها جرياً وراء رجل ما، بلغ حبها ذلك الرجل ما بلغ من عنف ومن يأس !

فلم أقل شيئاً تعقيباً على كلمات صاحبتى ، ولكن يدى المخبأتين فى قفازيهما تشنجتا وانطبقت شفتاى انطباقاً محكما، ومن أين لها أن تتبين ذلك الألم الصامت الذى يمزق صدرى ويلهب رأسى ، فالنساء اللواتى يجتمعن فى الشرق الأقصى ويتحدثن ويشربن يصطنعن الصداقة ولكن لأغلبنا أسراراً يحتفظن بها فى أعماق قلوبهن لاتستطيع هذه الصداقد المزعومة أن تفض خاتمها .

لقد تزوجت من « رونى كولبرن » لأننى كنت أحب « تيد بورتر » حب جنون ويأس. وليس لهذا التصرف من معنى معقول، على أن أشد من هذا بعداً عن كل معنى معقول أن « تيد » كان يحبنى وكان ، بعد أن تنتهى السنوات الثلاث المفروض عليه أن يقضيها فى الخدمة فيما وراء البحار ، طليقاً من كل قيد يحول دون زواجه منى . ولقد انتظرته سنتين من هذه السنوات الثلاث قضيتهما فى التلهى والتروض مع الشبان الآخرين ، ولكننى احتفظت فى أثنائهما بشفتى وجسمى وقلبى « لتيد » بعد عودته .

لقد كان ذلك أمراً شاقاً على ، بعد أن نعمت سنتين بقرب « تيد » وجسمه وقبلاته وضمات ساعديه ، ولكننى ظننت أننى أستطيع تحمل هذه التجربة القاسية ، لقد كان ذلك واجباً على حتى أكون أهلا « لتيد » فلقد كان يحارب الوحدة وحرارة جو الحى ، لا يجد حتى فتاة تواسيه أو شراباً ينعشه ، لقد كان « تيد » قوياً، وكان الرجل الذى لايحب غير امرأة واحدة — وكنت أنا هى تلك المرأة !

كان الله فى عونى ! فلم أكن أرغب فى إنسان غير « تيد » ولكن لم يكن لى مثل قوته . وكان « رونى كولبرن » ، الذى قابلته فى أثناء السنة الأخيرة من افتراقنا — إذ لم يبق غير اثنى عشر شهراً يعود « تيد » فى نهايتها إلى الوطن — كان رونى هذ شديد الإصرار والالحاح. وكان طروباً جذاباً فى أسلوب شيطانى. وقد صمم على أن أكون له . ولعل جريان دمى كان يزداد سرعة كلما دنا موعد رجوع « تيد » لذلك أصبحت لا أملك شعورى كلما لمسنى « رونى » ، وحدث فى ذات ليلة قضيناها فى رقص وبهجة رائعين أن رجانى فى توسل أن أسمح له « بقبلة واحدة » وإذ مال رأسى إلى الوراء شعرت بشفتيه تضغطان شفتى فكأنما كانت هذه القبلة طعاماً قدم لجائع تقتله المسغبة .

ووقفنا هناك متعانقين فى الشرفة وهو لا يفتأ يقول :

— ليس يضيرنا أننا لم يعرف أحدنا الآخر إلا منذ شهر واحد. فهذا هو الحب ياعزيزتى «بام» وستتزوجين منى ... فى الحال.

وحاربت رغبته الملحة ثلاثة أسابيع كنت فى أثنائها أتقى الاجتماع به ما استطعت ، وقلت فى نفسى إننى مجنونة حمقاء . ولكن غيبة « تيد » قد طالت حتى أننى ، ولو حننت إليه وعلى الرغم من كل ما كان بيننا ، لا أستطيع أن أذكر حتى ولا شكل وجهه . أما « رونى » فكان قريباً منى ، وكان شخصاً حقيقياً أراه وألمسه وأشعر بوجوده وهل كان شيئاً غير الحب ذلك الذى سرى فى كيانى سريان الكهرباء عندما ابتسم لى وأمسك بى ؟

وانتصر «رونى» آخر الأمر ، وقضينا إحدى «العطلات» الأسبوعية مختفيين عن أعين الناس وتحت تأثير شعور لذ مبهج مخيف، أقسمت أيماناً لم أقصد إلى الوفاء بها ، وكل ما كنت

أعزى به نفسى فكرة يائسة سخيفة هى أننى إن كنت قد أخطأت فإننى أستطيع أن أسترد حريتى بالطلاق . فكان كل ما حدث حلماً جنونياً مرعباً ، تدرج من دهشة الذين علموا بأمر زواجى، إلى قضاء شهر العسل فى المسكن الذى استأجرناه خصيصاً له ، ثم بخروجنا أمام الناس متأبطين — فكان حلماً خاطفاً غير مكتوب له الدوام .

ولم يكن بد من أن أستيقظ من ذلك الحلم فأدرك أننى قد تزوجت من رجل غريب عنى فى كل شىء . لقد كان لطيفاً يسر الإنسان أن يكون معه ولكنه لم يكن « تيد » . ولقد كنت كذلك المرأة الوحيدة « لرونى » أيضاً ولكن على غير الطريقة العمياء المنطوية على الوله والعبادة التى كانت تظهرنى فى عين « تيد » مثالا لكل شىء جميل .

ولم يلبث « رونى » أن نظر إلىّ النظرة العادية إلى الشىء المألوف ، لا يقبلنى إلا نادراً إن خطرت له فكرة التقبيل على بال ، وكان من النادر أيضاً أن يقول لى إنه يحبنى ، ولم يقصد قط النظر إلى ملابسى أو شعرى ، ولم يكن ليبدى له من الإعجاب ما تشعر كل فتاة بأنه من حقها الواجب أداؤه لها .

وفى كثير من المرارة والألم ذكرت كيف لم أكن لأبدل ملبساً أو أضع دبوساً فى شعرى دون أن يهمس « تيد » فى دقة «يا للسماء ياحبيبتى كيف تستطيعين أن تنوعى جمالك بهذه الوسائل المديدة ؟ » . وذكرت كيف كان يندر أن يتركنى أغيب عن نظره ، وكيف كان دائماً إذا ما اجتمعنا لمس يدى أو شعرى أو شفتى ... يا لها من ذكرى ... فأواه يا تيد أواه ...

وبعد أسبوع واحد يصل « تيد » إلى الوطن وسيتجول فى الطرقات المألوفة لنا فى غير صحبتى ولعله يذهب لزيارة أمى ، رافع الرأس متألماً ومتذكراً — كما أتذكرانا هنا فى هــذه البلدة الصغيرة فى مقاطعة نور ثمبرلاند التى أخذنى رونى إليها بعدزواجنا .

لقد كانت الأزمة شديدة لذلك حمد « رونى » الله إذ وفق إلى مركز كاتب فى أحد الجراجات ، وهو عمل صغير يتقاضى أجراً عليه ثلاثة جنيهات فى الأسبوع ، فاستأجرنا لأقامتنا مسكنا رخيصاًوعشنا عيشة رثة .فأين الآن ما كنت أتوقع من حياةساحرة لقد أردت أن أعود إلى بيتى إلى أبى وأمى و « تيد » ولكن على الرغم من غضبى مما دفعنى إليه رونى ومن إهماله إياى بعد ذلك كنت أشفق عليه ، فلقد كان نصيبه من قسوة هذه الحياة مثل نصيبى منها : فمن شجار بيننا إلى حياة الفقر التى نحياها إلى اضطراره للعمل الشاق ساعات طويلة من اليوم . وكنت إذ ذاك كل شىء له فى الوجود .

إن الحياة لغز عسير الحل ، فقد كان يجب ألا أتزوج منه ، وكان يجب ألا أستسلم أبداً للشفقة فى بقائى معه حتى أصبح من العسير ، على كل حال ، أن أتركه ، لقد كان « تيد » فى حاجة إلىّ وكان مستعداً لأن يرجعنى إليه فى الحال ، وقد علمت ذلك من الخطاب العجيب الذى بعث به إلى متحدثاً فى موضوع زواجى وفيه يقول : « إن سعادتك هى كل ما أعيش له ، يا « بام » . ولن يحل أحد مكانك من نفسى ، وسأنتظرك إلى الأبد ، فإذا أردتنى مرة أخرى أو احتجت إلى ... »

إن أردته ؟ أو احتجت إليه ! إننى لم أكن أشد حاجة إليه مما أنا الآن ، ولكننى لم أكن لأستطيع الذهاب إليه وأنا أحمل جنين « رونى » فى أحشائى .

لقد فرح « رونى » بهذا الخبر ، وقال : « إن هــذا الوليد سيبقينا معاً » فخيل إلى أن هذه الكلمات معناها الحكم بالسجن الأبدى ، فشعرت بما يشبه الجنون ... الأمومة ... الرباط الوثيق ... وحماسة رونى الفرحة كل ذلك أثار عوامل غضبى . فقلت :

— وكيف يمكننا حتى أن نكفل هذا الوليد ؟

على أننا قد استطعنا ذلك على صورة ما . وقد أصاب رونى فى ذلك كما أصاب فى قوله إن الوليد سيبقينا معاً — فى بيت واحد ، فلقد بقينا معاً بالفعل سنتين على الأقل، سنتين امتزجت فى خلالها الفاقة فى حياتنا بنشوة السرور .

لقد أحببت أنا ورونى ابنتنا الصغيرة « سو » حباً مفرطاً ، ففى اللحظة التى وضعت فيها هذه الوليــدة التى لا يزيد حجمها على حجم القطيطة ، بين ساعدى ، تحللت جميع عوامل البغضاء والغضب التى تملكتنى تسعة أشهر طوال إلى شعور فياض بالرقة والمحبة . لقد كان صغر حجمها ! ومعجزة وجودها وجمالها ! كان كل ذلك باعث حب لا يطاوله حب ولا تدانيه أية عاطفة إنسانية .

كذلك قبضت « سو » على قلب « رونى » بقبضتها الصغيرة ،

فى حين أصبحت ، أنا التى كنت حبيبته من قبل ، ولا صفة لى إلا أننى أم ابنته ولا مهمة لى إلا السهر عليها والعناية بأمرها ، فقد انصرف حبه كله إلى أرجوحتها الصغيرة . فكان ينفق من المال مالا قبل لنا به على ابتياع اللعب والملابس الصغيرة ، وكان فى أغلب الأوقات يجلس فى الظلام إلى جانبها بعد أن تستغرق فى النوم ، وكان يقضى الوقت الطويل فى ملاعبتها معتقداً أنه وحده هو الذى علمها المشى والكلام ، وكان شديد التفاخر بأنها تشبهه بأنفها الشامخ ، وابتسامتها الساحرة ؛ فكانت حسبه من الحياة كلها ، وقد احتلت من نفسه مكمن العواطف والخيال ولم أكن أقل حباً لابنتى من أبيها لها . ولكنه كان حباً من طراز آخر . فلم يبد لى صواب القول بأن ثمرة الحب تضع حداً للاحساسات ، أياً كانت ، التى حملت اثنين على الاقتران أحدهما من الآخر . فقد خيل إلى أنه قد قدر لى أنا ورونى أن نعيش متلازمين إلى الأبد ، ولكى أرفه من حياتنا ظننت أنه يجب علينا أن نأخذ بهذه الفكرة ، وأقسم إننى قد حاولت ذلك ، ولكن جمود رونى وعدم قابليته لأن يفهم ما أنا محتاجة إليه غير البيت والطفلة والعلم بأنه مخلص لى وفى ، كل ذلك أشعرنى احتقاراً لنفسى حرمنى النوم . فكنت أبكي وأناقش وأتوسل ولكن ذلك كله لم يكن إلا ليزيد العلاقة بيننا سوءاً .

ثم إذا أدركت أن رونى لا يستطيع أن يغير ما به اعتزمت أن أكتفى بحب الأمومة . فيجب أن أكتفى بملاحظة « سو » وهى تنمو من طفلة قوية البنية صحيحة الجسم إلى بنية صغيرة مرحة حلوة المحيا ، ولقد علمتها بعض الأغانى والشعر الخفيف ، وكنت أروح معها كل يوم ماشيتين نجمع فى الشتاء أوراق الشجر الزاهية أو نتزلق على الجليد — وكنت أشعر بالكبرياء تملأ نفسى عندما يتلفت الناس إليها فيبتسمون معجبين بخطواتها القصيرة السريعة وشعرها الناعم الذى يتلاعب به الهواء وعينيها الجميلتين البراقتين . لقد كانت جميلة حساسة سريعة الحركة بشوشة الوجه شديدة المرح ... لقد كانت ابنتى .. وهى لى وحدى آه يا « سو » ... « سو » عانقى أمك يا ابنتى واملأى حياتها الموحشة سعادة وعزاء .

كان حب « سو » يعزينى فى أغلب الأحيان ، ولكنه لم يكن كل العزاء الذى تتعطش نفسى إليه ، فلقد كنت امرأة كما كنت أماً . وكنت لا أزال صغيرة جذابة كمثل ما كنت يوم تركنى « تيد » والآن أريد « سو » وأريد « تيد » ، ولكنى كنت أعلم — كمن وقع فى الفخ — أننى لن أستطيع أن أجمع بينهما . فإن رونى لن يتخلى عن « سو » أبداً، ولقد كان ينذرنى بذلك كلما حدثته فى أمر الطلاق فكان يقول : « حسناً يا بام لك أن تطلبى الطلاق إذا كنت غير قادر على إسعادك — ولكنك لن تأخذى سو أبداً » .

ومع ذلك كان تفكيرى فى «تيد» يعذب نفسى ، لقد كنت أحلم به فى الليل وفى النهار . لقد كنت أتساءل : أين هو ؟ وحيثما كنا نذهب — وكنا كثيراً ما نغادر البيت — كنت أبحث عنه بنظرى بين الجماهير ،حائرة ، آملة . يقفز قلبى كلما رأيت رجلا طويل القامة عريض الفك مجعد الشعر .. إذ كنت أتخيله « تيد » .

كنت أشعر أننى مندفعة فى طريق الجنون . ولو أننى عرفت على الأقل أخباره وطريق حياته لاطمأنت نفسى وهدأت أعصابى فصممت آخر الأمر على أن أكتب إليه ،معنونة الكتاب بعنوان بيته القديم الذى لا يزال فى رعاية أبويه اللذين لا شك فى أنهما يعرفان مقره الجديد وسيحولان الخطاب إليه .

(لها بقية) عبد الحميد حمدى






**مطبعة الرسالة**




## فهرس العدد


صفحة

من مذكراتي اليومية ... ... ... : أحمد حسن الزيات ... ... ... ٥٥١
هي الحرية ... ... ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ... ... ... ٥٥٢
بين الوحوش والبهائم ! ... ... : الأستاذ علي الطنطاوي ... ... ... ٥٥٤
القفجاق ... ... ... ... ... : الأستاذ أحمد رمزي بك ... ... ... ٥٥٧
الأخطل والمرأة ... ... ... : الأستاذ مهدي السامرائي ... ... ... ٥٦١
مؤتمر آثار الشرق ... ... ... : الدكتور جواد علي ... ... ... ٥٦٤
أدبيتنا الموسيقية ... ... ... : الأستاذ حسن كنعان ... ... ... ٥٦٥
جامعة عربية أم اتحاد فرنسي ؟ ... : الأستاذ عبد الهادي الغرابي ... ٥٦٦
هل الموت نتيجة لازمة للحياة ؟ ... : الأستاذ نصيف المنقبادي ... ... ٥٦٨
شاعران في المنفى ... ... ... : الأستاذ أحمد محمد الحوفي ... ... ٥٧٠

« **الأدب والفن في أسبوع** » : حول جائزة الآداب — الشعبة الثقافية ٥٧١
العالمية — الشاعر المكار — نواة الجيل الأدبي ... ... ... ... ... ٥٧٣
تحية الإمام ... ... (قصيدة) : الأستاذ أنور العطار ... ... ... ٥٧٤

« **البريد الأدبي** » : أبو هريرة والصعيدي — إلى الأستاذ علي الطنطاوي — ٥٧٥
كلمة صغيرة — إلى أصدقاء أحمد محرم ... ... ... ... ... ... ٥٧٦

« **القصص** » : الاختبار الذي كسر قلبي : بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي ٥٧٧


مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٢٤ — الاثنين ١٩ مايو ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة




فهرس العدد

صفحة

من مذكراتي اليومية ... ... : أحمد حسن الزيات ... ... ... ٥٥١
هى الحرية ... ... ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ... ... ٥٥٢
بين الوحوش والبهائم ! ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ... ٥٥٤
القفجاق ... ... ... ... ... : الأستاذ أحمد رمزى بك ... ... ٥٥٧
الأخطل والمرأة ... ... ... : الأستاذ مهدى السامرائى ... ... ٥٦١
مؤتمر آثار الشرق ... ... ... : الدكتور جواد على ... ... ... ٥٦٤
أنديتنا الموسيقية ... ... ... : الأستاذ حسنى كنعان ... ... ... ٥٦٥
جامعة عربية أم اتحاد فرنسى ؟ ... : الأستاذ عبد الهادى الشرايبى ... ٥٦٦
هل الموت نتيجة لازمة للحياة ؟ ... : الأستاذ نصيف المنقبادى ... ... ٥٦٨
شاعران فى المتنبى ... ... ... : الأستاذ أحمد محمد الحوفى ... ... ٥٧٠

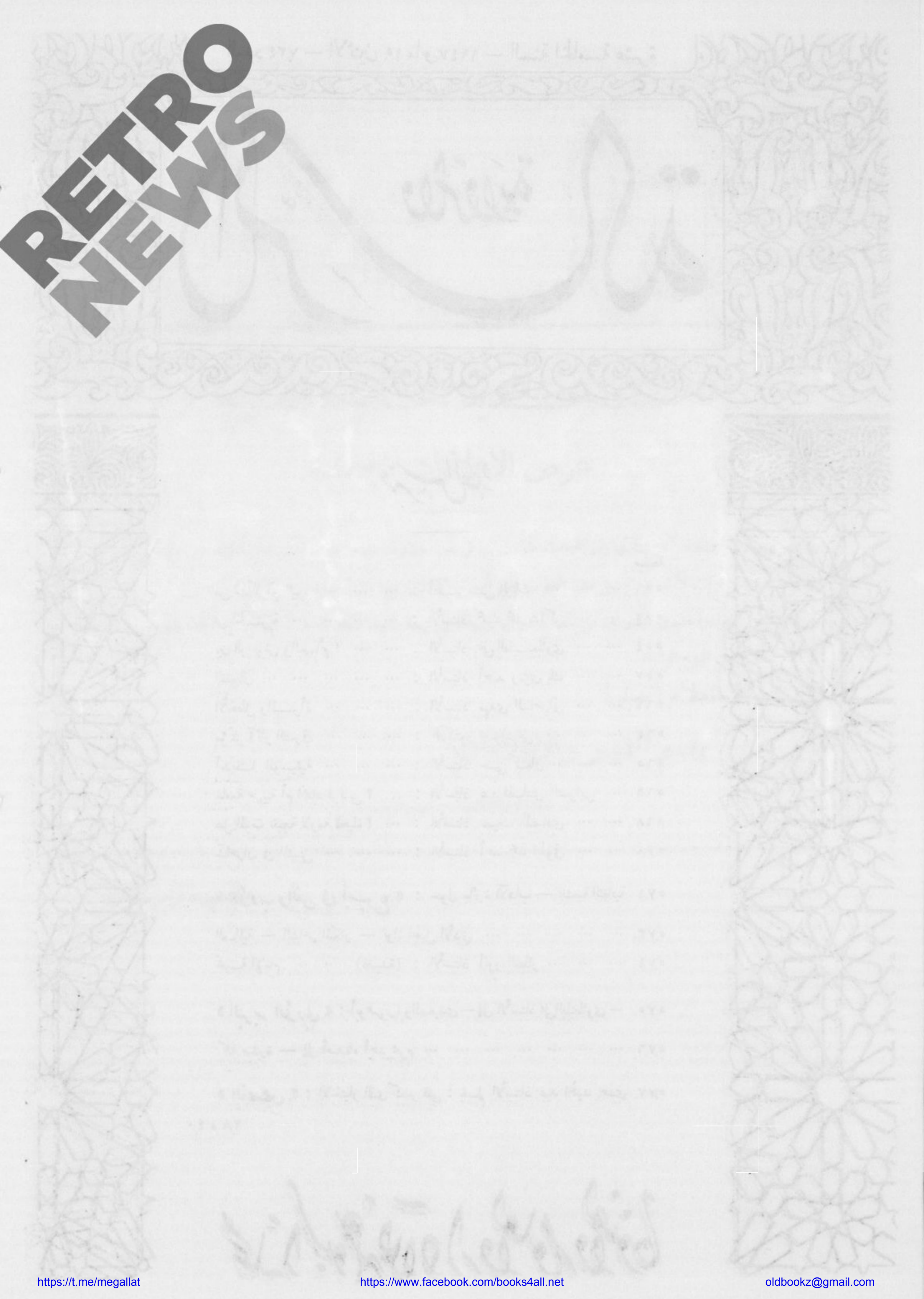
« الأدب والفن فى أسبوع » : حول جائزة الآداب — الشعبة الثقافية ٥٧١
العالمية — الشاعر المكار — نواة الجيل الأدبي ... ... ... ... ٥٧٣
تحية الإمام ... ... (قصيدة) : الأستاذ أنور العطار ... ... ... ٥٧٤

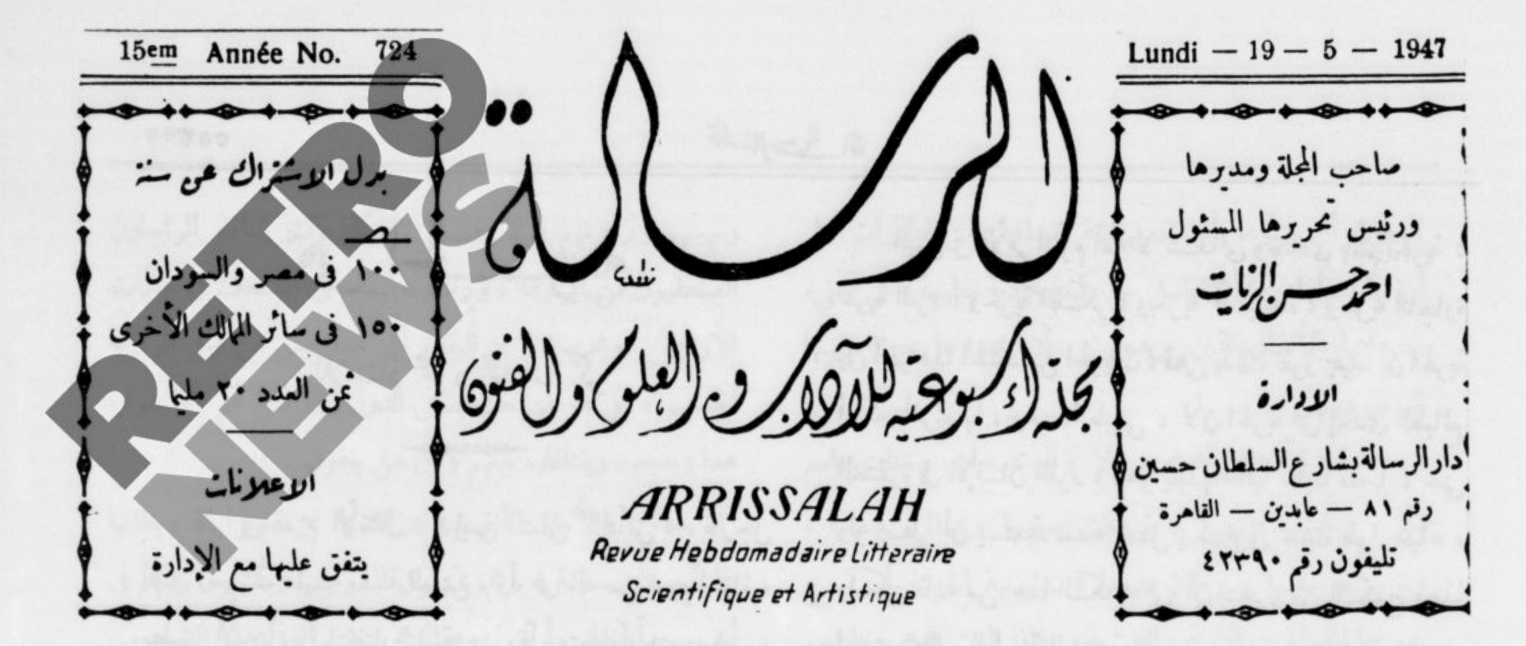
« البريد الأدبي » : أبو هريرة والصعيدى — إلى الأستاذ على الطنطاوى — ٥٧٥
كلمة صغيرة — إلى أصدقاء أحمد محرم ... ... ... ... ... ٥٧٦

« القصص » : الاختيار الذى كسر قلبى : بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى ٥٧٧

٢٨٠٤٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون





15em Année No. 724 — Lundi — 19 — 5 — 1947

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٢٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ جمادي الآخرة سنة ١٣٦٦ — ١٩ مايو سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

# من مذكراتى اليوميــــة

**حلوان فى يوم الجمعة ٢٨ فبراير سنة ١٩٤٧ :**

زوجة مدير الفندق يوغسلافية حسناء ، يحلو لها أن تلبس فى ساعات العمل القميص الرياضىّ الأبيض ، والبنطلون الرمادىّ الطويل ، وأن تسرح شعرها وتصففه على الأسلوب الغلامى الفاتن فتكون أشبه النـاس بأبناء الذوات حتى فى النتوءين الجميلين المكوَّرين فى أعلى البطن وفى أسفل الظهر . ثم يعجبها ويعجب الناس أن تمشى البخترةَ فى الشرفة أو فى الردهة أو فى البهو فتوزع التحيات والبسمات على من تعرف ومن لا تعرف من نزلاء الفندق . فأينما تمر ينبثق منها على القعود الجمودِ أشعة من الصِّبا والفتوة ، فلا تجد غافياً إلا صحا ، ولا غافلا إلا وعى ، ولا مغضياً إلا فتح عينيه ، ولا ساكناً إلا رفع يديه ، ولا شيخاً إلا تمنى أن تقف لحظة على طلله فتسأله كيف أمسى وكيف أصبح!

كانت تصدُّ عامدة عن الشباب وأشباه الشباب حتى لا تُفسر نظراتهـا وبسماتها بغير المحاملة التى تقتضيها طبيعة عملها من مواساة المريض ومؤانسة الوحيد ومباسطة المنقبض ؛ ولـكنها كانت تؤثرنى بقسط موفور من هذه المجاملة النزلة ، وتعلل هذا الإيثار بأننى مصرى وهى ترتاح لهذا الجنس ، وبأننى حي وهى تطمئن إلى هذا الخلق .

أقبلت علىّ ضحى اليوم إقبال الربيع فى لونه وحسنه وعطره ، وكان المرض ساعتئذ قد أحرج صدرى وأفرغ صبرى وتركنى لا أتقارُّ من الضجر ، ولا أنفرج من الضيق . فلم تكد تحيى وتجلس حتى أحسست فى جسمى ذلك الخَـدَر العجيب الذى يسكن الألم ويحرك النفس . ثم أخذت تساقطنى أعذب الحديث حتى جرى ذكر هـذه الطغمة التى تنعم بخير مصر وتنكره ، وتنتشى برحيق النيل ثم تعكره ؛ فقالت لا تعجب أن يجحد هؤلاء اللئام فضل مصر ؛ فإن منفعتهم قائمة على أن تظل موسومة بالعجز موصومة بالجهالة ! لقد خالطت بحكم عملى أنماطاً شتى من الأجناس فلم أجد أنبل فطرة ولا أسجح خليقة ولا أندى راحة من المصرى الأصيل القح . أتذكر ذلك الرجل البذىء الذى كنت تجادله بالأمس فى مشكلة فلسطين ؟ إنه أغنى أرمل فى يهود الإسكندرية . ومع ذلك طمع يوم نزل الفندق أن ينام دون أن يأكل ؛ فلما أبينا عليه ذلك اتفق مع يهودية مصدورة تقيم فى إحـدى الغرف المفروشة على أن تشترى غداءه وعشاءه بستين قرشاً ؛ ولها فوق البيعة أن تتمتع بشمس الفندق وحديقته وأثاثه وحفلاته ؛ وبذلك ينام هو بستين قرشاً ويأ كل بعشرين ، وتنام هى بعشرين قرشاً وتأ كل بستين ! فأين هذا الشحيح القذر وأمثاله منك وأنت لا تكاد تأ كل خمس ما تنفقه ، أو من المصرى الآخر م . باشا ، وطعامه يأتيه كل يوم من داره فيفرقه ؟ إن المصرى سمح سهل ، لا يساوم فى ( تعريفة ) الأجرة حين تعرض عليه ، ولا يراجع قائمة الحساب يوم تقدم إليه . فقلت لها : من هنا ياسيدتى جاءته الخيبة ! فلو أنه كان بخيلا لاستدرُّوا بالتقبيل كفه ، ولو أنه كان فظاً لاستماحوا بالتدليل عطفه !

احمد حسن الزيات

# هي الحرية

للاستاذ محمود محمد شاكر

قالوا في قديم الأمثال: «ليس التعلق كالتأنق» ، فالرجل الذي أنعم الله عليه بسعة العيش ، وأرخى باله من هموم الحياة ، مطيق أن يتأنى فيما يختار لنفسه متذوقاً ومتخففاً حتى يرضى ، أما الذي قدر الله عليه رزقه فهو كالسهم في الوتر المشدود ترمى به يد الحاجة إلى هدف يتخايل له أو يتحقق ، وهو لو أراد لما أطاق إلا الذي فعل لأنه مدفوع بالاضطرار . ورب سارق لم يجد من السرقة بداً لأنه دفع إليها بحاجة طبيعية لا يطيق أحد خلافها ، وهو التعلق بالحياة والإبقاء على النفس ، فهو يريد أن يطعم الغريزة التي تلهب أحشاءه بالجوع المهلك . ومهما تكن روادع نفسه ، ومهما تكن قوتها ، فهو منتهٍ إلى ساعة لا يجد عندها إلا أن يمد يده ليأخذ شيئاً يمسك عليه رمقاً يوشك أن يتبدد . وما مد الرجل يده ، ولكن الحياة هي التي مدتها ، فهو خليق أن لا يكون عندئذ مسئولاً عما فعل . وكذلك الشأن في أحداث كثيرة تكون في هذه الحياة الدنيا وفي هذا الناس ، فإن المجتمع الإنساني يعنف بأبنائه أحياناً ويعتسف بهم أضل المجاهل ، لأنه لا يبالي بأن يكفل لأبنائه جميعاً حاجتهم التي لا غنى لأحد منهم عنها ، ولأنه يغفل في فورانه عن الطبائع الأولى التي تتطلب زادها من الحياة ، والتي إذا فقدت هذا الزاد لم تبق على شيء ، ولم ترع شيئاً ، ولم ترعو عن شيء . وهذا ضلال قديم في نظام المجتمع الإنساني ، أراده الأنبياء بالإصلاح ، وأراده عقلاء المفكرين بالتغيير ، فأدركوا شيئاً ووقف بهم العجز عن كثير ، لا من عجز في هدايتهم أو آرائهم ، بل من عجز المجتمع عن أن يدرك سمو الأغراض التي رمى إليها الأنبياء والمفكرون .

وفي عصرنا هذا أمثال كثيرة على تغلغل الفساد والجهل والعسف وقلة المبالاة في قلب المجتمع الإنساني . أمثال يكون فيها الأفراد هدفاً منصوباً لاضطهاد جماعة الأمة أو الشعب ، وأمثال تكون فيها الأمة هدفاً لاضطهاد جماعة الدول أو الشعوب .

فليس في الأمم اليوم أمة لا تتداعى وتتنادى باسم الحرية : حرية الفرد ، وحرية الفكر ، وحرية العقيدة ، وحرية التجارة إلى آخر هذا الحشد من الحريات ، فهي بذلك تقرر جميعاً أن الحرية أكبر أغراضها ، وهذا طبيعي ، لأن الحرية هي إحدى الطبائع المستقرة في الإنسان الفرد ، وهو يطلبها طلباً حثيثاً ملحاً ، حتى ولو اضطر أن يستعبد نفسه لعمل يكدح في سبيله طول حياته ، ولكن غايته من هذا الكدح هي أن يتحرر من الكدح وهذا إحدى عجائب الطبيعة البشرية .

نعم إن الحرية غاية الفرد التي يسعى إليها وهو وحيد في مشاعره وفي بعض وجوده ، ولكنه إذا صار فرداً من جماعة كان للجماعة سلطان على هذه الحرية وتصرفها ، وهو شيء من حقها أيضاً . ولكنها إذا أرادت أن تتعسف وتحرمه حريته فقد أساءت من حيث أرادت الإحسان ، ولا تكون الجماعة رشيدة حتى تعرف أن الحرية حاجة طبيعية لا بد للفرد من الاستمتاع بها على وجه من الوجوه ، فلا بد إذن من أن تتيح أوسع ما يمكن من مجال تتصرف فيه الحرية على الأسلوب الذي يجعلها وافية بحاجته الطبيعية . ومن هنا يأتي الفرق بين نظام ونظام ، فيكون هذا بغيضاً مملولا ، وذاك محبباً مألوفاً .

والأمم اليوم في جماعة الدول بمنزلة الأفراد في الجماعة ، فلا بد للنظام الذي يراد أن يكون محبباً مألوفاً من أن يتيح للأمم جميعاً أوفر قسط من الحرية يتيح لها أن تتصرف على الأسلوب الذي يجعل الحرية وافية بحاجتها الطبيعية ، فإذا لم تفعل ذلك جماعة الدول انتفضت الأمم المسلوبة حريتها ورأت ذلك النظام بغيضاً مملولا ، وكرهته وكرهت أهله ، وصارت حرباً على الجور والعسف حتى تنال حريتها وتستمتع بها طبقاً لحاجتها الطبيعية . ومن أجل ذلك فيما زعموا ، أنشأوا هيئة الأمم المتحدة ومحكمة العدل الدولية .

ولكن ماذا نرى من فعل جماعة الدول اليوم ؟ إنها جميعاً قد أنكرت بأسلوب يجمع بين الخسة والمكر والنفاق ، أن تكون فلسطين المضطهدة أمة عربية مستقلة حرة كما تشاء الفطرة الإنسانية ، وأرادوها أن تكون يهودية تفتح أبوابها لأنذال أمم الأرض ، فهم يتدسسون إليها من كل حدب ومن كل فج ، وهم

يزعمون أن يغزوها بأجساد يهودية تتساقط من الطائرات على أرضها، وأرادوها أن تظل ساكنة هادئة مطيعة حتى تمتلىء جنباتها بالأنذال الذين يريدون أن يحولوها عن عربيتها إلى يهوديتهم.

وهذه الأمم التي كانت، ولا تزال تتداعى وتتنادى باسم الحرية، تسمع وتبصر، فيسكت بعضها ويمالىء بعضها، ويعاضد بعضها، وتأذن جميعها للصهيونية الخبيثة أن تزرع بذورها الخبيثة في الأرض الطيبة. فإذا قامت العرب تناديهم باسم الحرية حاوروها وداوروها وتنذلوا معها بكل أساليب الخسة والخداع والنفاق، لأنهم يريدون أن لا تكون الحرية حقاً لهؤلاء العرب، ويريدون أن تكون يهود عوناً لهم على سلب هذه الحرية من العرب، ولن يبلغوا بإذن الله ما يريدون.

ثم هذه مصر والسودان ظلت أكثر من خمس وستين سنة وهي تتفزع من ثقل النير المضروب عليها، فلما جاءت الساعة التي لا تطيق معها صبراً على ضروب الذل والهوان التي لقيتها من احتلال جيوش بريطانيا، ومن احتلال شذاذ الآفاق الذين نزلوا أرضها فرتعوا في نواحيها كما يرتع السوس في الصوف في الصيف، كما يقولون، ولما جاءت الساعة وطلبت الفطرة الإنسانية في مصر حاجتها من الحرية التامة التي تتنادى بها تلك الأمم، لاذت تلك الأمم بالصمت ولجأت إلى الخداع وتلفعت بالنفاق، ويوشك أن تنكر على مصر والسودان حقوقهما في هذه الحرية العامة التي ينبغي أن تستمتع بها البشرية كلها أمماً وأفراداً.

بل أعجب من ذلك أنها لجأت إلى أدنأ الأساليب يوم أرادت تفريق كلمة المصريين بأن يوقعوا الشقاق بين أهل دينين ظلا أجيالا يتعاشر أهلهما بالمعروف. فلما سقط في أيديهم وأخفق سعيهم وحبطت أعمالهم، انحازوا إلى أسلوب آخر هو تسليط جماعة من المرتزقة يقال لهم المراسلون الصحفيون، يذيعون عنا كل خبيث بكل لسان لا يرعون حرمة ولا ذمة ولا عهداً. وحرضوا أيضاً أعوانهم من الأجانب الذين عاشوا في مصر طويلا أو قليلا، ليجلسوا في المجالس ويذيعوا أن بلادنا وبلاد العرب جميعاً تسيء اليوم إلى الأجانب. ويعنون بذلك أنه منذ جلا الإنجليز عن جزء من مصر، صار المصريون وحوشاً مفترسة تعتدي على الأجانب وتهينهم وتزدريهم قولا وفعلا. وكل ذلك يتناقله المراسلون الصحفيون من المرتزقة، ويرسلونه ليذاع في الصحف في جنبات الأرض. ونحن نعلم علم اليقين أن هذا ليس من فعل المرتزقة أنفسهم، بل هو من حث بعض الدول وإغرائها لهم بأن يقولوا هذا ويذيعوه ويتناقلوه بينهم وبين من يلقون.

هذا، والأجانب أنفسهم قد عاشوا في مصر مع بريطانيا خمساً وستين سنة، وهم يمتهنون المصريين ويسيئون إليهم في أنفسهم وأموالهم وأرضهم وعقائدهم، حتى ألفوا هذا النوع من الغطرسة، فلما جئنا اليوم نأباها عليهم كما تأباها بريطانيا وأمريكا وكل بلد قل شأنه أو ارتفع، تصاخبوا علينا، وراحوا يبسطون ألسنتهم وأفعالهم فينا وفي أخلاقنا وعاداتنا، فإذا أراد أحدنا أن يكفكف من شر أحدهم، انطلق يزداد صخباً وجلبة يستصرخ الدنيا كلها على هؤلاء المتوحشين الذين يسمون المصريين. ومع ذلك فمصر منذ عشر سنوات هي مصر اليوم لم يزد ما كان يلقاه الأجانب أمس فيها من رد وقاحتهم وجرأتهم علينا، على الذي يلقونه اليوم من ذلك، ولكنهم سمعوا ألسنة هؤلاء المرتزقة تذيع عنا الأباطيل، فانطلقوا يتصايحون علينا كأننا صادرنا أموالهم وأجليناهم عن بيوتهم، ونصبنا لهم المشانق، وأعملنا فيهم استئصال الشأفة كما كان يفعل طاغية ألمانيا باليهود!!

ثم تأتي المرتزقة من المراسلين فتزعم أن بلادنا قد أصبحت متطرفة في الحماسة للحرية، وأن كلمة «مصر للمصريين» قد أصبحت أهم كلمة في مصر، ويقوم صعلوك منهم يقول: «ولذلك لا يعجب المرء كثيراً حينما يراهم (يعني المصريين) قد ضلوا الطريق! ولكننا نعجب حينما نتساءل: إلى متى سوف يستمرون في اندفاعهم الذي لا يكبح جماحه من أجل الحرية؟».

ونحن نأسف لأن الشعب المصري لا يزال هادئاً صابراً على كل هذه الوقاحة التي يصبها علينا مرتزق بين ظهرانينا، ونأسف لأن حكومتنا المصرية لا تزال هادئة صابرة، بل مجاملة أشد المجاملة لهذا النوع من المرتزقة. وكان خليقاً بأية حكومة في الدنيا — لا حكومة مصر — أن تعرف أولئك الذين أذاعوا أنباء غير صحيحة في طائفة من المسائل التي تتعلق بمصر، وأن تقول لهم إنكم كذبتم، فإما أن تكفوا عن إذاعة هذه الأكاذيب،

من أحاديث الإذاعة: (*)

# بين الوحوش والبهائم!

للأستاذ علي الطنطاوي

أيها المستمعون الكرام. أنتقل بكم هذه المشية إلى بقعة في مصر، جمعت فيها عجائب البلدان، وغرائب الحيوان، فوضع فيها البحر بحيتانه وتماسيحه، وأفراسه وسباعه، والبر بصحاريه وغاباته، وأسوده وفهوده، ووعوله وغزلانه، وأقيمت بها الذرى المخضرة من لبنان تتفجر منها الينابيع وتتحدر السواقي، وتغني عليها البلابل والشحارير، ومدت فيها القفار الجرداء من الجزيرة تسعى فيها المها وتتسابق العير، والأحراج الملتفة من الهند تمشي فيها الفيلة، والثلوج المبسوطة من القطب تخطو عليها الدببة. وعاشت فيها الحيات والثعابين إلى جنب الحمام والعصافير، وصحبت فيها المعزى الذئابُ، والثعالب الدجاجُ، والسباع البشرَ. وفيها (الجبلاية) هذا الجبل المسحور، تدخل منه إلى مسارب منحوتة في الصخر ولا صخر، وكهوف تتسلسل فيها العيون ولا عيون، وقاعات في باطن الأرض كأنما أعدت لتكون مخادع للحب أو محاريب للتأمل، وكأنما هي أحلام شاعر قد تحققت، وأمنية حالم قد تجسمت، وطرق ظاهرة وخفية، تنقلك في خطوات من حر الصيف إلى برد الشتاء، ومن جلوات الطبيعة في أعراس الربيع، إلى خلوات النفس في نشوات الرؤى، تلك هي (حديقة الحيوانات).

وهي بعد هذا كله معرض للانسان، ترى فيه طباعُه وأزياؤه، وخلائقه ولغاتُه، تسمع فيه أشتات الملاحظات، وعجائب التعليقات، تمشي مع الناس فتجد فيهم من يسير على هدى فيرى كل شيء ويقف عليه، ويخرج وما فاته مشهد، ولا ناله تعب،

(*) كتب الحديث لمحطة الشرق الأدنى فسجلته في مصر وأذاعته من يافا يومي (١٤) و (١٥) مايو.

---

وإما أن تغادروا بلادي. ثم ترفع كل الأدلة التي تفضح كذب هؤلاء الكذابين من المرتزقة إلى حكوماتهم، وأن تبرئ ذمتها من دخيل لا يرعى أدباً ولا خلقاً، ولا يعرف قدره ولا أقدار الناس!

إننا نطلب الحرية وسننالها، وسنكون أحراراً في بلادنا نسوسها بالسياسة التي ترتضيها لأنفسنا. ونحن لن نرضى لأنفسنا إلا الإنصاف، ننصف أنفسنا، وننصف من يعاشرنا من الأجانب. ولكن إذا ظن الأجانب أن هذا الإنصاف الذي لهم ينبغي أن يكون على ما تعودوه منذ خمس وستين سنة، من امتهان المصريين ومن الغطرسة عليهم، ومن بقائهم طبقة واحدة ترى أنها أنبل منا، وأشرف منا، وأحسن عقلا منا، وأولى بثروتنا منا، وأحرى بالامتياز من كل مصري يعيش على أرض مصر — فيومئذ سوف ننصفهم أيضاً، ولكن بما نرضى به نحن غضبوا أو رضوا، وضجوا أو سكتوا.

أما الدول التي تتنادى باسم الحرية، والتي تنكر على مصر والسودان، وعلى فلسطين، وعلى العراق، وعلى بلاد المغرب كلها — أن تكون أمماً حرة، فلتفعل ما تشاء، لأن هذه العرب لن تهادن إلا من يهادنها، ولن تجامل إلا من يجاملها، ولن تعاون إلا من يعاونها، ولن تمد يدها إلا إلى من يمد لها يداً نقية من الغدر والفتك والنفاق.

الحرية حق طبيعي، فنحن بالغوه ومدركوه شاءت الأمم أم أبت. والقوة الدافعة إلى طلب الحرية غريزة فطرية، فنحن خاضعون لها حتى تحقق غايتها شاءت هذه الأمم أم أبت. والإنصاف طبيعة فينا، فنحن سننصف أنفسنا وننصف من يعاشرنا، رضى بذلك من رضى وكرهه من كره. وهذا كله شيء ليس لنا فيه خيار، لأننا كدنا نموت ونريد أن نحيا. ونحن نتعلق في حياتنا هذه كالجائع المشرف على الهلاك حين يتعلق بكسرة خبز ورشفة ماء، هي الحرية، وأما هم فيريدون أن يتأنقوا ويتنبلوا ويتفاصحوا باسم الحرية التي يريدون بها حريتهم هم مقرونة بالاعتداء على سواهم من الشعوب المتعلقة بالحرية أمثالنا نحن.

وسوف يأتي على الناس يوم وتظهر العرب، وتعلم هذه الأمم كيف تكون الحرية، ثم تقودها إلى هذه الحرية مرغمة كما يقاد الجمل

محمود محمد شاكر

ومن يدع اللوحات الدالة على الطرق ، والحراس المرشدين إلى المسالك ؛ ويسير على غير الطريق ، فيدور دوران السانية ، فيتعب نفسه ، ولا يبصر شيئاً ، ولا يخرج بفائدة ، فكأنه الرجل الضال الذي يترك هَدْى الأنبياء ، وحكمة الحكماء ، ويتبع عقله الأعوج وهواه ، فلا يسعد في دنياه ، ولا يسلم في أخراه ، وتمر على حراس الحيوانات فتجدهم قد فرقت بينهم الحظوظ إذ ساوت بينهم الوظيفة ، فحارس القرد والفيل والدب الأسمر ، يلعب حيوانه فيقف عليه الناس ، وتلقى عليه القروش ، فيتسلى ويغتني ، وحارس الخنزير لا يلتفت إليه أحد .

زرت الحديقة ، ومشيت مع الناس أنظر كما ينظرون إلى أنواع الحيوان ، وأرى فيهم أمثالها ، ولكنها قد تلففت بالثياب ، ففيهم أسد له بطشته وإن لم تكن له لبدته ، وفيهم ثعلب له حيلته وإن لم تكن له فروته ، ودب له غلظته ، وحمار له غفلته ، وطاووس له خَيْلته[1] وذئب له عدوته ، حتى وقفت على الأسد وهو يدور في قفصه متألماً في صمت ، صابراً في استكبار ، كأنه النابغة من الناس حبسوه في ( قفص ) من وظيفة صغيرة ، أو إفلاس شامل ، أو قرية منقطعة ، يلحظ الناس بطرف عينه يقول : آه ، لو كنت طليقاً في البادية يا أيها الـ .. بشر ! ورأيت الحارس يخرجه إلى متنزّهه : إلى القفص الضيق ، بعد القفر الواسع ، والفضاء الرحيب ، يذله بعصاه ، ويستطيل عليه بسوطه ، كما يستطيل الفرنسي اللئيم على المغربي الكريم ، ويذله بسيف العدوان وقوة السلطان ، وسمعته يزأر مقيداً ، كما يصيح المصلح في أمة أفسدها التقليد ، فلا يفزع من زئيره إلا الصبية الصغار ، ولو زأر عند العرين لخلع هذي القلوب وزلزلها حتى قفزت من حناجر أصحابها .

ووقفت على الفيل وقد تواضع ، حتى غرّ الناس منه لينه فنسوا شدته ، وهان على أحدهم حتى أركبه صبيّته ، وصرّفه النيّال واتخذه لعبته ، كما يطيع الرجل امرأته ، فيضيع رجولته ويفقد منزلته .

ووقفت على دبين متجاورين ، أبيض كبير ، قد اتخذوا له في قفصه من الجبس كهيئة الجليد ، ووجهوا مسكنه إلى الشمال حتى يظل بارداً ، لا تدخله الشمس ، فيظنه موطنه ، وموطنه هناك على حدود القطب الشمالى .. ولكنهم لم يخدعوه ، إنه ينظر فيرى قوماً لا يشبهون قومه ، إذ لم تستعبدهم فئة قليلة منهم ولم تظلمهم باسم العدل ، ولم تحرمهم باسم حرية الكلام ، ولم تملك دونهم كل شيء وتستمتع بكل متعة ، بشريعة ماركس ودين لينين !

ودب أسمر صغير ...

يدور الأبيض النهار كله ، غضبان أسِفاً لا يهدأ ولا يستريح فلا يصل إلى شيء ، ويلعب الأسمر بكرة من الحديد ، ويراوغ الحارس ، ويضحك النظارة ، كلاهما سجين ولكن هذا ينسى سجنه ، وذاك يذكره أبداً ، كالناس منهم من يذكر المصيبة ، ويدنيها من خياله ، فيراها أبداً أمامه ، ومنهم من ( يخادع نفسه في الحقائق ) فتصفو له الحياة .

والأبيض على جمال شكله ونعومة جلده ، ثقيل سمج ، والأسمر على قبحه لطيف خفيف ، لأن الجمال جمال الروح ، لا جمال الجسد ، فرب حسناء تنبو عنها القلوب ، وغير ذات حسن تهواها الأفئدة ، وتعلق بها العيون .

ووقفت على القردة ، وهي تعيش العمر كله مجلس لهو ولعب تقلد كما يقلد ( قردة ) البشر ، ولكنها تقلد فيما ينفعها وهؤلاء يقلدون فيما يؤذيهم ، وعلى الببغاء وهي تردد ما يقال بلا فهم ، كهؤلاء الذين يعيدون علينا كل ما يقول الغربيون ، وعلى الحيات وهنّ ناعمات الملمس ، ناقعات السم ، كالصديق المخادع ، يُخاتلك ليخاتلك . ويسقيك من قوله العسل وفيه من قبح مقصده الحنظل

ومررت على فئات الحيوانات على اختلاف أشكالها وألوانها ، ومطاعمها ومشاربها ، من كل سائر أو سابح أو طائر ، مما يحارب بمخلبه ونابه ، كالشجاع الأبي ، وما يدافع بسمّه كالنمام المفسد ، وما يقاتل بثقل جسمه كثقال الروح من الناس والقنفذ وسلاحه شوكه كسليط اللسان ، بذيء المنطق ، والسلحفاة وسلاحها درعها كالمنطوى على نفسه ، المعتصم بصمته ، والطاووس وهو كالمرأة سلاحه جماله وحسن منظره ... والذي يعيش في الماء نظيفاً مطهراً كالسمك ، والذي يغتسل في اليوم عشر مرات كالدب ، والذي لا يطيب له العيش إلا في الأوساخ والقاذورات كالخنزير ، يلغ فيها

(١) الخيلة : الخيلاء والكبر .

كما يلغ المغتاب فى أعراض الناس ، وينغمس انغماس الفاسق فى حمأة الفجور ، وسبع البحر وهو أعلاها صوتاً ، وأضخمها زئيراً وأقلها غناء ، وأضعفها قوة ، كالجبان الفخور ، والجاهل المدعى ، وما ينحط على فريسته من علٍ كالنسر ، وما يأخذها قوة واقتداراً فى وضح النهار كالأسد ، ومايسلك إليها المسالك المظلمة ، ويتسلل صامتاً خلال الحجارة وفى أصول الجدران كالحيات ، وعلى الغزلان والعصافير ، وهى أبهى الحيوان فلا يقف عليها أحد لكثرتها ويقفون على حيوان قبيح لأنه نادر ، لأن قيمة الشيء بندرته لا بمنفعته ، ولولا ذلك لما كان الهواء أرخص شيء ، والألماس أغلاه .

... حتى مررت على طائفة من الحمير محشورة فى زريبة ، طائفة من حمير الشارع تأكل وتهز أذنابها ، تتلفت ترقب العصا تنهال عليها كما يرقب الذليل المهانة ، ويعجب إن افتقدها ، فلما لم ترها وعرفت أنها فى أمان منها بطرت بطر حديث النعمة ، وترفعت ترفع اللئيم يسود فى غفلة من الدهر ، ونسيت ما كانت فيه كما ينسى غنىّ الحرب عهد الفقر ، ويأنف من السيارة الفورد وكان لا يجد عربة الكارّو ، ويدخل أولاده المدارس الأجنبية وكان لا يعرف طريق الكتّاب

يستخشن الخزّ حين يلبسه وكان يبرى بظفره القلم

وفكرتُ هذه الحمير وقدرتُ ، فانتهى بها التفكير إلى أنها لم تعد حميراً وإنما صارت بشراً ، أليس فى البشر ( حمير ) ، فلماذا لا يكون فى الحمير بشر ؟

ومرّ حمار مسكين ، يجر عربة مثقلة بالحشيش لطعام حيوانات الحديقة فنظر إليها ، فلما رآها ... أجفل وارتدّ ...

ما هذا ؟ حمير مثله ؟ إنه يفهم أن يكون فى الحديقة نسور وصقور ، وفهود ونمور ، وزرافات ونعام ، وأن يكون فيها حمير الوحش لأنها غريبة المنظر ، بعيدة الموطن ، نادرة الوجود ، أما أن يكون فيها حمير مثله ، تسمّن وتخدم ولا تعمل ، فهذا ما لا يفهمه أبداً .

ووقف ونهق لها يحيّيها ، فترفعت عنه ، وتألمت من تطاوله عليها ، ومدّت شفاهها الرقيقة ، وضمت آذانها القصيرة ، ولوحت بأذنابها استنكاراً واستكباراً ، ونسيت أصلها وتجاهلت أخاها ، كما يفعل الموظف الصغير الذى يعيش بمال الأمة إذا وقف عليه أحد أبناء الأمة يسأل حاجة ، أنه يظنه يسأل صدقة ، أو يطلب إحساناً ، أوالشرطى حين يلقى البائع السيار من أهل بلده ، والترجمان المستشار حين كان يقابل واحداً من بنى قومه ...

فلما رأى ذلك منها ، بصق ومشى يلعن الحظ الذى جعل ( الحمير ... ) سادة ، وأقام ( الناس ) لهم خدما وخولا وبكى على خلائق الجنس ( الحمارى ) ، لقد ضاعت تلك الخلائق ، وهبطنا حتى صرنا مثل بنى آدم ، لانعرف أقدار أنفسنا ولا أقدار إخواننا .

***

وجعلت أعاود الحديقة ، وأكرر زيارتها ، فأرى هذه الحمير محشورة فى الزريبة ، تأكل وتشرب ، وتتعجب لماذا لا يقف عليها أحد ! إنها لا تلعب لعب القردة ، ولا تغنى غناء البلابل ، ولا تملك هيبة السبع ، ولا ضخامة الفيل ، ولكنّ لها فنّها وجمالها ، وما الفرق بينها وبينها ، ألا يقرأ الناس لأدعياء الرمزية ولصقاء الأدب ، ولصوص البيان ، كما يقرأون لأئمة البلاغة ، وملوك الكلام ؟ ولكن هذه (الفلسفة) لم تقنع أحداً فظل الناس معرضين عنها ، لا يحفلون بها . وماذا يبتغون منها ؟ وهل قلّت الحمير حتى ما تشاهد إلا بقرش صاغ ؟ إن الحمار يبقى حماراً ولو وضعته فى القصور ، وأركبته السيارات ، وكسوته الحرير ، وأطعمته الفستق المقشر ...

حتى كان أمس فرأيت القائمين على الحديقة ، قد عزموا على إخراج هذه الحمير منها ، كى يوفروا على أنفسهم ثمن طعامها ، وينتفعوا بجهدها وعملها ، ويجملوا الحديقة بإبعادها عنها ...

فعلمت أن هذه آخرة كل ( حمار ) يتجاوز قدره ، وينسى أصله ، فليعتبر سائر ( الحمير ) !

***

ياسيدات وياسادة . العفو إذا لم أجد ما أحدثكم به إلا حديث الوحوش والحمير ، فالحديث عنها ، أكثر فائدة ، وأسلم عاقبة من أحاديث الناس .

والسلام عليكم ورحمة الله .

**على الطنطاوى**

# القفجـــاق

للأستـاذ أحمد رمزى بك

« له براثن تحت إبطيه وصدر وجنبات عليها أطواق وأتراس ملونة ، ليس لأقمشة الترك والتتر أن تحاكيها ... ... » .

جحيم دانتى

القفجاق أو القبجاق أو الخفشاق أو القبجق كلمات وردت فى السكتب العربية القديمة ويعادلها بالأفرنجية Kaptehabr Riftchabr هل القفجاق اسم مكان أطلق على السكان ، أم هم قبيل من الناس أطلق اسمهم على الأراضى التى سكنوها فعرف المكان باسمهم ؟ هذا بحث يقصر عنه الجدل .

فن قائل إن القفجاق فى لغة الأتراك القدماء هو الصعيد المتسع أو الفيافى من الأرض الواسعة المنبسطة أى Steppes حيث يكثر المرعى وينبت الزرع ، ثم يأتى الجدب فتصبح الأرض كالصحراء ولذلك كثر ورود اسم صحارى القفجاق فى كتب العرب وعليه فسكان هذه البقاع هم أهل السهول والبوادى مثلهم كأهل البادية من العرب الذين وصفهم ابن خلدون فى مقدمته بقوله « لما اختصوا به من نكد العيش وشظف الأحوال وسوء المواطن » وعليه فالقفجاق قوم يعشقون الحرية ولا يخضعون لنظام ، اختلفوا عن غيرهم من سلالات الترك الذين هم أهل جماعة وسلطان ونظام ، الذين تجمع بينهم وحدة التعاون والخضوع للرآسة وما يمليه قانون الجماعة ، فإذا تركنا أهل المشرق فى آسيا جانباً يقول علماء الأجناس إن أهل فنلندة وبعض سكان اسكندنافيا والبشكاريين وفريق من سكان القوقاز المستوطنين هم أهل حضارة وباقى سكان هذه المناطق من أهل هجرة العناصر التركية الأولى فى فجر التاريخ : قفجاق .

ويقول الباحثون إن العناصر التركية البـدوية اتجهت فى هجراتها إلى ناحيتين : صحراء جوبى فى الصين وصحراء القفجاق فى الروسيا ، وأقام ملوك الصين سداً لحماية بلادهم . أما فى أوروبا فقد عبر القفجاق نهر الفولجا « أتل » ودخلوا السهول واتجهوا إلى الغرب فوصلوا إلى الدانوب جنوباً وإلى المجر وسهول بولونيا فأينما اتجهت جماعاتهم ووصلت سنابك خيلهم فهى امتداد للقفجاق

ويطلق اسم القفجاق على القبائل التى هاجرت ودخلت بلاد الرمال بألوانها المختلفة . الرمال السوداء والحمراء والبيضاء وغيرها قرة ، قزل ، آق ، باثان قوم ، وهى هذه السهول الواقعة بين الفولجا وجبال الـكربات . وفى مسالك الأبصار عن بلاد القفجاق إنها « كانت قبل استيلاء التتار عليها معمورة الجوانب وأنها لا تزال فى بقايا تلك العمارة والغراس » وعدد ما فيها من أنواع المزروعات والفواكه وأسماء بعضها بلغة القفجاق .




وفى أسماء البلاد ما يشير إلى ألوان الرمال التى مرّ ذكرها ، فنها مدينة آقجاكرمان الواردة بمسالك الأبصار وصبح الأعشى وهى Akrerman الحالية بقرب مدينة أوديسا الروسية وفى مقابلها صارى كرمان ، وفى القرم آق مشهد وآق شيار ( سباستبول ) وآق بلغات الترك معناه : أبيض ؛ ولو فتحت خريطة مفصّلة لأراضى الروسيا الجنوبية لهالك ما تجد من أسماء القرى والمحطات التى لا تزال تحمل أسماء مشتقة من لغة القفجاق سكان البلاد .

ويحاول بعض المؤلفين أن يجمع بين القازاق والقفجاق فيقول بأن القيرغيز وهم أهل بداوة إلى اليوم يطلقون قازاق على التائه أو الشـارد ، والقفجاق فى لغتهم هم الذين انقطعوا عن قومهم وانفصلوا وشردوا .

فالقازاق أو القفجاق هم الذين تركوا العشيرة الـكبرى وحكم عليهم بالتربة ، فإذا استقروا فى جهة ما وشغلوا أنفسهم بفلاحة الأرض : استفلحوا وظهرت عليهم مزايا الشعوب المستقرة ومظاهر ضعفها ، ولـكن إذا جاءت سنوات القحط وأجدبت الأرض أو أصابهم ظلم الحكام عادت إليهم غريزة الـكفاح الأولى ووقفوا أمام الطبيعة وأمام الإنسان ، فإن أخطأهم التوفيق بدأوا غربة جديدة وواجهوا مصاعب الزمن وتحكم الأقدار ، وهم فى

بلاد الروسيا وقد تغيرت مذاهبهم ولغاتهم ولكن يطلقون إلى اليوم على الدواب والمحاصيل وما تحت أيديهم من منقول كلمة « مال » وعلى سكنهم كلمة « ازبة » وهي عزبة عندنا .

وليس ممنى رجل السهول والبادية أنه يأنف من سكنى المدن بل هو يفرح بحياة الاستقرار ويضع مزايا البداوة في تحسين حياته الجديدة ، فالقفجاق قوم أشداء طوال القامة أعصابهم قوية ذوو شدة ومراس على الحروب ، ولكن الأقدار لم تكن تسمح للرجل منهم بحياة الراحة في صحاريه التي تحيط بها الأطماع ، فما إن يهاجم في عقر دياره أو تأتي سنوات القحط حتى يبدأ الهجرة إما شارداً من عدو أو باحثاً عن الكلأ ويسير في هذا الطريق الصعب الشاق الذي يذكرنا بتغريبة بني هلال فيأخذ في البكاء على الأطلال والغابات ومساقط المياه ، ولهم حوادث سجلتها الأغاني الشعبية ، ولا يزال قوزاق الدون ينشدون جاعات ذكرى هذه الهجرات ويبكون الأطلال ويرسلون التحية للأسير الغائب والابن الضائع والفتاة المسلوبة ، ولكن بلغة غير لغة آبائهم وأجدادهم . وإن حملت أغانيهم وعبرت عن مشاعرهم تلك النغمة الحزينة التي لازمتهم من أواسط آسيا حيث مشرق الشمس ومنبع مرج الدنيا .

ولقد أخرجت المطابع العربية بمصر الكثير من الكتب والأبحاث التي عرضت لتاريخ مصر الإسلامية ، وكان من الطبيعي أن يتعرض واضعو هذه المؤلفات إلى بعض المسائل الجغرافية أو الأمور المتعلقة بشؤون الأجناس ، فكان مما رأيت أن البعض أخذ لفظ جبال القبق على أنه القفجاق ، وأن القفجاق هم سكان القوقاز بل رأيت خريطة جغرافية وضع راسمها جبال القفجاق على أراضي القوقاز ، ولما كان القبق وباب الأبواب والدربند في البلاد الواقعة بين بحر الخزر والبحر الأسود وهي المعروفة بسكانها من الجراكسة والكرج والداغستانيين وغيرهم وهي غير صحاري القفجاق الواقعة حول شبه جزيرة القرم والممتدة من نهر الفولجا شرقاً ، رأيت أن أجمع بعض ما عثرت عليه في الكتب العربية تأكيداً لذلك .

فقد ورد في صبح الأعشى عند كلامه على بلاد الدشت قوله «وهي صحاري في الشمال وتضاف إلى القبجاق بفتح القاف وسكون الباء الموحدة وفتح الجيم وألف بعدها قاف وهم جنس من الترك يسكنون هذه الصحارى أهل حل وترحال على عادة البداوة » وفي كلامه عن القفجاق قال «هذه المملكة متسعة الجوانب طولاً وعرضاً كبيرة الصحراء قليلة المدن وبها عالم كثير لا يدخل تحت حصر»

ونقل عن صاحب التعريف : أن صاحبها في الأيام الناصرية ( يعني الناصر محمد بن قلاوون ) هو السلطان أزبك خان ، وما زال بين ملوك هذه المملكة وبين ملوكنا اتحاد قديم وصدق وداد من أول الدولة الظاهرية بيبرس وإلى آخر الوقت . وفي مادة تركستان عدّد ياقوت أصناف الترك وذكر القفجاق تحت اسم خفشاق ، وفي المسعودي أنه كان في البلغار من قديم الزمن دار إسلام ومستقر إيمان نقل ذلك صاحب المسالك وأضاف « أما الآن فقد تبدلوا بإيمانهم كفراً وهم يدارون سلطان القفجاق لعظيم سلطانه وأخذه بخناقهم لقربهم منه .

ويقرر الأصطخري أن لغة البلغار والخزر تفترق عن لغة الترك ، وأن لهجات القيرغيز والقبجاق تركية محضة وهذا يتفق مع أبحاث العلماء الأوروبيين الذين وصلوا ما بين القيرغيز والقبجاق كما قلنا . ويقرر الأمير شكيب أن لغة الترك الرحالة الساكنين حول نهر الأتيل وهو الفولجا ، أنقى من لغات أهل المدن وهو قول صريح في أن لغة القفجاق كانت من أنقى لغات الترك .

ويقرر علماء العرب أن نهر أتيل هو المركب عليه مدينة سراي وهي تقع جنوبي ستالينجراد وهو ينبع في ذيل جبل قاقونا ثم يتجه جنوباً آخذاً بغرب في صحارى القفجاق على شمالي معادن الفضة حتى يصب في بحر طبرستان .

وفي ياقوت عند كلامه على مدينة « كرش » بلدة صغيرة على ساحل بحر الأزرق أهلها قبجاق كفار ، ويقابلها من البر الآخر الطامان . وفي كلامه على « كفا » يقول «هي على ساحل بحر القرم وهي شرق صوداق وعليها سور من لبن ومن شماليها وشرقيها صحراء القبجاق . وعنه حينما تكلم على حملات التتار « وقتلوا القبجاق في بواديهم حتى انتهوا إلى بلغار في نحو عام واحد » .

ومدينة « كفا » هي الميناء الذي كان أهل جنوا والبندقية ينقلون منه فتيان المماليك من أهل هذه البلاد لتسليمهم إلى ملوك مصر مدة دولتي المماليك البحرية والجراكسة ، ولقد وصل الظاهر

بيبرس إلى تسهيل هذه التجارة باتفاقه مع ميخائيل باليولوج ملك بيزانطة للترخيص بمرور السفن عبر البوسفور فى ذهابها إلى البحر الأسود وعودتها إلى مصر .

وجنى أهل جنوا والبندقية أرباحاً طائلة من هذه التجارة كما كانوا يتاجرون بالرقيق الأبيض من فتيان الشرق إلى أوروبا ، ومن نقل فتيان المجر والصقالبة وغيرهم من أوروبا إلى الشرق ، وقد عثر على سجلات بالأثمان التى كان يباع بها الرقيق ، وأن عدد المماليك الواردة من نواحى البحر الأسود لمصر كان لا يقل عن ٢٠٠٠ مملوك تضم كل سنة إلى جنود سلاطين مصر .

وليس هنا موضع بحث هذه الناحيـة فقد يتسع البحث ويعرض لموضوع تنظيم هذه التجارة والاتفاقات التى كانت قائمة والقواعد التى كان معمولا بها وهذا مما يخرجنا عن موضوعنا .

ولكن أهم ما يربط التاريخ المصرى بالقفجاق هو ما جاء بصبح الأعشى نقلا عن مسالك الأبصار وهو « ومنهم معظم جيش الديار المصرية من ملوكها وأمرائها وجندها ، إذ لما رغب الملك الصالح نجم الدين أيوب فى مشترى المماليك منهم ، ثم صار من مماليكه من انتهى إلى الملك والسلطنة ، فالت الجنسية إلى الجنسية ، ووقعت الرغبة فى الاستكثار منهم حتى أصبحت مصر بهم آهلة المعالم ، محمية الجوانب فهم أقار موا كبها وصدور مجالسها وزعماء جيوشها وعظماء أرضها » .

« وحمد الإسلام مواقفهم فى حماية الدين حتى إنهم جاهدوا فى الله أهليهم » .

إذ يظهر أن جل المماليك الذين أطلق عليهم اسم البحرية كانوا من قبائل القفجاق مثل بيبرس وقلاوون وفارس الدين أقطاى وغيرهم فأحاطوا أنفسهم بمماليك وأمراء من جنسهم .

ويفسر النزاع الذى قام بين المعز وهو تركمانى وبين المظفر قطز وهو خوارزمى بعد ذلك وبين البحرية من جهة أخرى هو اتفاق الجنسية بين المماليك البحرية وتفاهمهم وتعاونهم وعدم وجود قوة منظمة متماسكة تقف فى سبيلهم ، ولذلك وصلوا إلى فرض إرادتهم على من نازعهم من الأجناس التركية الأخرى وبرزوا فى التاريخ .

وللمماليك البحرية موقفان : أحدهما فى المنصورة والثانى فى عين جالوت ، وفى الثانى يقول صاحب مسالك الأبصار « وكفى بالنصرة الأولى يوم عين جالوت فى كسر الملك المظفر قطز عساكر هولاكو بعد أن عجز عنهم عساكر الأقطار واستأصلوا شأفة السلطان جلال الدين محمد بن خوارزم شاه » وقتلوا عساكره مع أن الجيش المصرى بالنسبة إلى العساكر الجلالية كالنقطة فى الدائرة والله يؤيد بنصره من يشاء » .

وفى تاريخ المماليك الأتراك فترات غامضة يفسرها لنا النزاع القائم بين الأجناس المختلفة ، فالمعز أيبك التركمانى اعتمد على البحرية فى وقت ما ثم حاربهم ، وقطز وهو خوارزمى حاربهم وصالحهم ثم قتلوه ، وحاول زين الدين كتبغا أن يوجد حوله عصبية من جنسه فضاع الملك منه ، وكان بيبرس الجاشنكير من البرجية فلم يثبت له ملك ، وتمسك الأمراء ببيت قلاوون لأن الغالبية منهم وهم من جنس واحد مع أولاد المنصور قلاوون وهكذا عاش هذا البيت رمزاً للرئاسة مدة أطول من غيره .

وفى الجزء الرابع من صبح الأعشى : « أما فى زماننا فإنه منذ قام السلطان الملك الظاهر برقوق من جنس الجركس رغب فى مماليك من جنسه وأكثر من المماليك الجراكسة حتى صار منهم أكثر الأمراء والجند ، وقلت مماليك الترك من الديار المصرية حتى لم يبق منهم إلا القليل من بقاياهم وأولادهم » .

ويؤكد هذا النص ما سقناه من الحديث ، وإن بحث المشاكل التى قامت بين أمراء المماليك يجب أن يكون قائماً على النصوص وعلى الاستقراء والبحث فى كتب التراجم مع الإلمام بأجناس الترك والجركس وعصبياتهم .

فى القرن السابع الهجرى أتم جونى ابن جنجيزخان فتح بلاد المسلمين وأخضع إيران واتجهت كتائبه شمالا إلى القوقاز حيث اقتحم الدربند وباب الأبواب ، وفى الشمال التقى على نهر الدون بقبائل تركية هى القفجاق فخضعت لأول وهلة للفاتحين كأبناء عمومة وأخوة ، ولكن المعاملة القاسية التى لقيتها أفنت غيرهما من سكان بحر الأزق ( أزوف ) أن الأفضل لها وأسلم هو أن تتجه غرباً ، وكان ذلك من أسباب مطاردتهم والفتك بهم وتشريدهم لإعادة القطيع الضال إلى حكم الخان الأعظم . وترتب على هذه المطاردة أن توجه قائدان جوبى وساباوتاى بحملة إلى وادى الدنيبر فأتموا إخضاع الجزء الجنوبى من روسيا الحالية وهو المسمى بأراضى القفجاق

في هذه الأثناء أي سنة ٦٣٩ كانت إحدى قبائل القفجاق لا تجد مأوى أمامها ، فاتجهت إلى القرم بجواد صوداق حال البحر بينها فكاتبت أنس خان ملك الأولاق ليعبروا البحر إليه فراراً من جحافل التتار ، فأجابهم إلى ذلك وأنزلهم وادياً بين جبلين وكان عبورهم إليه سنة ٦٤٠ فلما أطمأن بهم المقام غدر بهم وشن الغارة عليهم فقتل منهم وسبى ، وكان من بين السبي غلامان هما بيبرس الملك الظاهر وبدر الدين بيسرى الشمسي ناقل هذا الحديث ، وكان عمر بيبرس أربعة عشر عاماً فكان أن بيع في مدينة سيواس وأخذ إلى حلب وانضم في مصر إلى جماعة من جنسه القفجاق يعملون في خدمة سلطان مصر .

أما في بلاد القفجاق فاستمرت المطاردة ضد القطيع الشارد إلى أن جاء الأمر من جنجيزخان باستدعاء قائديه ، ومات الخان الأعظم فإذا حفيده على عرش أراضي القفجاق وما يستجد من الفتوحات .

والآن بعد مضي مئات السنين على هذه الحوادث يرقد الملك الظاهر في مدرسته بدمشق وتزول من الوجود دول التتار وعظمة الخان ، ولكن ملايين الخلق من القفجاق والعناصر المغولية والأسيوية قد استوطنت روسيا الأوروبية منذ قديم الزمن وتركت عوائدها وتقاليدها وأثرت الحياة الفكرية والتكوين العقلي وصبغت اللغة والأناشيد ، إن هذا التأثير كان قوياً عميقاً لدرجة أكثر من أن يعترف بها الروس أو يحاول أن يشعر بها أو يسلم بها الباحثون في شؤون روسيا من أهل أوروبا الغربية لأنها تقلب المقاييس والقواعد .

ذلك لأن روسيا بأكملها خضعت لخانات المغول الذين حكموها وامتد سلطانهم إلى ما وراء غاليسيا وأتى وقت لم يبق للروس غير نوفوجورود ، ثم خضعت هي بدورها ، ولذلك يقول الدكتور رابوربورت Rapporport صاحب « تاريخ روسيا » ومؤلف كتاب « لعنة آل رومانوف » .

« موسكو وارثة المغول ، كان القيصر الوارث الروحي لأمراء المغول الذي تجري دماؤهم في عروقه ، إن جودونوف كان مغولياً وكان القياصرة يفخرون بأنهم أصحاب عرش القفجاق » .

وفي تعليقات الأمير شكيب على ابن خلدون يقول « أما الروس فكانوا يفرقون دائماً بين القفجاق وغيرهم ، فكانوا يطلقون من أواسط القرن الثاني عشر المسيحي على جميع أصناف الترك ما عدا القفجاق سرنيكلوبوركي أي « الطرابيش السود » وهذا دليل على أنهم قدماء في تلك الأرض .

في القرن السادس الهجري وصل أحد أمراء القفجاق إلى جند من أجناد المسلمين فقال واحد منهم « رزقه الله الإسلام » فأسلم القفجاق ودخلوا الدين الحنيف . والآن في القرن العشرين نقول « هل يأتي وقت يذكرون فيه أنهم كانوا مسلمين » مرة أخرى « رزقهم الله الإسلام » .

**أحمد رمزي**

# الأخطل والمـــرأة

للأستاذ مهدي السامرائي

يستلهم كثير من الشعراء والأدباء قصائدهم وأخيلتهم من شياطين مختلفة . والمرأة من هذه الشياطين التى توحى لهم بمختلف الفرر والأفـكار ، ولـكن أثرها فيهم يختلف من فرد لآخر كل حسب نوع تأثره بها .

والأخطل من الشعراء الذين أثرت فيهم المرأة ، ولـكن أثرها فيه كان سلبياً حتى إنه وقف منها موقفاً أقرب إلى العداء منه إلى المحاباة والتلطف . فهناك كثير من الشذرات موزعة فى أنحاء ديوانه صرح الأخطل فيهـا بآرائه فى خلق المرأة ونفس المرأة وعقل المرأة وموقف المرأة من الشباب والشيب ، ولـكنها آراء لا ترضى كثيراً من النساء والمتعلمات منهن خاصة . والحق إنه كان متحاملا عليها شديداً فى القسوة معها .

لم يكن يرى الأخطل فى المرأة إلا ألعوبة يلهو بها كيف شاء ومتى أراد ، فعندما تلعب برأسه بنت الحان وعندما تداعبه شياطينها وعند ما يأخذ السكر منه مأخذه ، هناك يتذكرها فيقصدها ليقضى منها وطراً من لذاذة ولعب حيث يقول :

ولقد شربت الخمر فى حانوتها      ولعبت بالقينات كل الملعب

فهو لا يرى فى المرأة إلا دمية لحية يقضى معها لياليه ، وإلا وسيلة من وسائل لهوه عندما يكون ناعم البال مرتاح الفكر .

فلهوت ليـــلة ناعم ذى لذة      كقرير عين أو كناعم بال

ويبـدو أن المرأة أذاقت الأخطل مر الفعال وسقته كأس الأهوال فهو حتى فى نومه وأحلامه لا يرى منها غير الويل والثبور إذ يقول :

طرق الـكرى بالغانيات وربما      طرق الـكرى منهن بالأهوال

ولا يكتفى بهذا وحسب ، بل يصفها بالتلون والتبدل ويشبهها بجنية مروّعة تذيق الرجال طعم الأهوال .

فتبدّلت لتروعنا جنيــة      والغانيات يرينك الأهوالا

فهو من أعداء المرأة القدامى حاربها بكل قوة ، وكشف عن جانب الشر فى نفسها ولم يكن يؤمل منها غير الشر وغير الجنة ، وغير اللوعة والهول ، قريبة وبعيدة ، حاضرة وغائبة ، حية أو ميتة :

فلو كان مبكي ساعة لبكيتها      ولـكن شر الغـانيات بديل
وكنت صحيح القلب حتى أصابنى      من اللامعات المبرقات خبول

وإنى لأعجب كثيراً من نساء العصر الأموى إن سكتن عن الأخطل وهو يعلن عليهن حرباً عواناً ويهيب بالرجال أن يبتعدوا عنهن وأن يكفوا عن وصالهن إذ هن لا يبيتن لهم غير الحيـلة والغواية وما هن إلا بلاء ابتـلى به الرجال وغول يقض عليهم حياتهم .

وهن على أحبالهن يصـدننى      وهن بلايا للرجال وغـول
«وإن امرءاً لا ينتهى عن غواية      إذا ما اشتهتها نفسه لجهول »

هـذه الحـكمة التى يقدمها الأخطل لأبناء جنسه لا ترضى المرأة فى أى عصر من العصور ولا فى أى حال من الأحوال ، إذ لا شك أنها لعنة فى الصميم من حياتها ، فلو كف الرجال عنها وانتهوا لبارت وثقلت على أهلها ولأصبحت حياتها مملة خالية من الأمل لا يمكن أن تطاق . ويكشف لنا الأخطل عن ناحية خفية من نفسية المرأة فـكأنه اطلع على خفايا هذه النفس ونفذ إلى قرارها ، فعلى الرغم من بعد غور المرأة وكتمانها الشديد لدفائن قلبها لـكنه استطاع أن ينفذ ببصيرته القوية إلى أعماقها وأن يستشف من وراء ظل حركة تأنيها معنى بعيداً لا يصل إليه إلا من عرف المرأة معرفة جيدة وإلا من ذاق منها مرارة العذاب والصد ، فقوله :

المهديات لمن هوين مسبة      والمحسنات لمن قلين مقالا

يدل على أنه عرف أساليبها الملتـوية ، تلك الأساليب التى تستعملها مع من تحب ومع من تكره ، ويدل أيضاً على أنه قد درس هذه النفسية التى لا تريد إلا أن تبطن غير ما تظهر وتظهر غير ما تبطن .

والأخطل لا يتحرج من وصف المرأة بالمكر والخديعـة إذ يظهر أنهـا قد لعبت به كل ملعب وأذاقته من أحابيلها وحيلها ما جعله يفرّغ ثورته المـكبوتة ضدها بقوله :

ما إن رأيت كمكرهن إذا جرى فينا ولا كحبالهن حبالا

كما أنه لا يتحرج من وصفها بالجهل ، ولكن أى جهل هذا الذى يصفها به ، إنه جهل أشد من العلم والذكاء فعلا وأقوى من المكر والثقافة تأثيراً ، إنه جهل يرمي أقوى الرجال تحت أقدامها صريعاً مجندلا بسهامها النارية مفكراً بإيماءاتها الخفية :

يعددن من هفواتهن (١) إلى الصبى

سبباً يصــدن به النواة طوالا

ويذهب الأخطل إلى أبعد من ذلك فى إظهار معايب المرأة الخلقية فيصفها بالماطلة فى العهود ، وبعدم الوفاء بالوعود ، فهى مشهورة بالخلف ، معروفة بالمطل فيقول :

وإذا وعدنك نائلا أخلفنه ووجدت عند عداتهن مطالا

وأروع من هذا المعنى فى وصفه لهذا النوع من خلف بعض النساء قوله :

إذا مطل الدين الغريم فإنها على كل أحيان تحل ديونها

والأخطل لا ينى عن التهجم على المرأة ونعتها بسرعة التبدل وكثرة التحول فهو يقول :

رعين عهدك ما رأينك شاهداً وإذا مذلت يصرن عنك مذالا

فما دمت بقربها تقدم لها فروض الحب والطاعة ، وما دمت حاضراً بين يديها تطرى جمالها وتصفها بكل ما فى قاموس الجمال من أوصاف ، فهى تحبك وهى باقية على عهدك وإلا فنصيبك النسيان إن قصرت فى ذلك أو نأيت قليلا عنها .

ويلتفت الأخطل التفاتة أخرى تدلنا على ما فى نفسه من نقمة على المرأة وحقد عليها فهو يصف غرابة تصرفها مع الرجل وشذوذ سلوكها معه ، فهى تتخاذل أمام من يظهر لها الضغينة ، وتتفانى فى حب من يمتنع عليها ويظهر لها الجفوة ، ولعل هذا يعزى لضعفها الطبيعى من جهة ولروحها الخيالية من جهة أخرى ، فالرجل الذى لا يظهر لها ضعفاً ولا يبدو أمامها متخاذلا لا شك يشعرها بقوته وسلطته ، كما أنه إذا ما ابتعد عنها ولم يتقرب كثيراً منها ستبقى تنسج حول شخصه أخيلتها وتتصور فيه فتى أحلامها فيزداد حبها له ويكثر تعلقها به . والأخطل يصور لنا ذلك بقوله :

إذا احتثها الركبان كان ألذها

إلى ذى الصبى ذو ضغنها وحزونها (١)

أما رأى الأخطل فى عقل المرأة فرأى يكاد يغضب كل النساء ، والمتعلمات منهن كما قلت خاصة ، فهو لا يرى فيها غير ضعف العقل وخطل الرأى وقلة التفكير ، فالمرأة فى نظره لا تصلح للحياة العقلية ولا تصلح لإبداء الرأى السديد ولكنها حاذقة فى تسديد السهام إلى القلوب ، ماهرة فى اللعب بالعقول عن طريق العيون :

يبرقن بالقوم حتى يختبلنهم ورأيهن ضعيف حين يختبر

وأكثر من هذا سخرية بعقل المرأة وحطاً من قيمته ذلك الكيل العجيب الجائر الذى يزن به الأخطل عقل المرأة فهو يقول :

وإذا وزنت حلومهن إلى الصبى رجح الصبى بحلومهن فمالا

***

يوضح لنا الأخطل ناحية أخرى من نواحى نفسية المرأة ، تلك هى موقفها من الشيب والشباب فيصور لنا فرار الغوانى من هؤلاء المساكين الذين بلغوا من العمر عتياً والذين استنزف كر السنين منهم ماء الحياة وسطر مر الأعوام فى وجوههم تجاعيد الكوارث والأحداث فهو يقول :

يا قاتل الله وصل الغانيات إذا أيقن أنك ممن قد زها الكبر

أعرضن لما حنا قوسى موترها وابيض بعد سواد اللمة الشعر

لا يرعون إلى داع لحاجته ولا لهن إلى ذى شيبة وطر

يظهر أن الأخطل كان تبع نساء ولكنه ليس موفقاً كعمر ابن أبى ربيعة ، فهو لم يقعد عن متابعتهن وعن مضايقتهن حتى فى أيام شيخوخته حتى اضطررن آخر الأمر إلى طرده بقسوة واستهزاء فهو يخبرنا عن ذلك بقوله :

يقلن لا أنت بعل يستقاد له ولا الشباب الذى قدفات مردود

وقول الأخطل :

هل الشباب الذى قدفات مردود أم هل دواء يرد الشيب موجود

يحمل المرء على الرثاء لحال هذا الشيخ الذى يبكى صباه ويحن لأيام شبابه ويفتش عن ذلك الدواء الذى أعيا العلماء والأطباء إيجاده ، ويجد المرء نفسه أكثر من هذا عطفاً على الأخطل حينما يسمع قوله :

---

(١) الهفوة : الجهل .

(١) الحزون السيء الخلق ويقال فى الأصل للشاة السيئة الخلق .

أعرضن من شمط فى الرأس لاح به ... فهن منه إذا أبصرنه حيد
قد كن يعهدن منى مضحكا حسنا ... ومفرقا حسرت عنه المناقيد
فهن يشدون منى بعض معرفة ... وهن بالود لا بخل ولا جود

فقوله : « وهن بالود لا بخل ولا جود » مما يبعث فى النفس الرثاء لحال ذلك المسكين الذى تقف الغوانى منه هـذا الموقف الحيادى ، فهو من قلة الأهمية ومن التفاهة بحيث لا يثير فى نفوسهن حباً ولا بغضاً كما لا يثير فى قلوبهن تلك العواطف المضطربة والأحاسيس المتباينة ورجل كهذا حرى بالرثاء والعطف .

ويصف لنا الأخطل منظراً لا يخلو من ظرف ودعابة مع مافيه من مرارة ، منظر تلكم النسوة اللواتى اجتمعن يهمهمن ويهمسن وقد علت وجوههن الكدرة وأصبن بالهم والحزن لدخول الأخطل عليهن وهو فى حالة شيخوخة وتضمر وهزال فيقول :

ورأين أنى قـد علتنى كبرة ... فالوجه فيـه تضمر وهموم
وطوين ثوب بشاشـة أبلينه ... فلهن منـك هساهس وهموم

وأخيراً وبعد أن يئس الأخطل من وصل المرأة ، وبعد أن عجز فى هـذا الميدان لا يريد إلا أن يبث الدعاية السيئة ، ويأبى إلا أن يحرض الرجال فى الابتعاد والكف عنها فيقول :

فدع الغوانى والنشيد بذكرها ... واصرف لذكر مكارم ومقال

ولكنى متأكد أنه لم يقل ذلك إلا بعـد أن عجز عن جلب ودها إليه وإلا بعد أن خابت سياسته معها .

***

حاولت أن أجد الأسباب المبررة لهذا الموقف العدائى الذى يقفه الأخطل من المرأة فلم أجد سوى خبرين قد يمكن أن نستشف من ورائهما شيئاً عن ذلك العداء ، أحدهما خبره أو قصته المشهورة مع زوجة أبيه تلك التى يقول فيها :

ألم على عنبات العجـوز ... وشكوتها من غياث لمم
فظلت تنـادى ألا ويلها ... وتلعن واللعن منها أمم

وقد كانت زوجة أبيه تناصبه العداء وتسىء معاملته وتؤثر أبناءها بالعطف والحب كما تؤثرهم بأطايب الطعـام والشراب وتحرمه هو من كل ذلك ؛ فلا شك أن هذه القسوة فى المعاملة من زوجة أبيه قد أثرت فى نفسه تأثيراً بالغاً وتركت فى قلبه جروحاً لم تندمل فنقم على المرأة متمثلة فى زوجة أبيه فأراد أن ينتقم منها فصور لنا ما رأيناه فيها من مساوىء ومعايب .

والخبر الثـانى الذى يفسر لنا ثورة الأخطل على المرأة هو ما رواه صاحب الأغانى فى الجزء السابع من كتابه قال : « طلق أعرابى امرأته فتزوجها الأخطل ، وكان الأخطل قد طلق امرأته قبل ذلك ، فبينا هى معه إذ ذكرت زوجها الأول فتنفست فقال الأخطل :

كلانا على هم يبيت كأنمـا ... بجنبيه من مس الفراش قروح
على زوجها الماضى تنوح وإننى ... على زوجتى الأخرى كذاك أنوح

من هذا الخبر يمكننا أن نستنتج أن الأخطل لم يكن موفقاً فى حياته الزوجية ، فهو لم يسعد مع زوجته الأولى ولم ينجح فى حياته معها فاضطر إلى تطليقها ، كما أنه لم يستطع أن يرضى الثانية أو يجلب ودها وحبها فينسيها زوجها الأول فهى تعيش معه بجسمها ولكنها تعيش مع مطلقها بروحها وقلبها ، ولا شك أن هذا يدلنا على أن الأخطل كان فاشلا مع المرأة ، لم يحذق ذلك الفن الصعب « فن سياسة المرأة » وربما يكون هـذا الفشل الواضح فى حياته الزوجية مما جعله ينقم على المرأة نقمته المرة التى رأيناها فى شذراته السابقة والتى لا نوافقه فى أكثر آرائه فيها .

( العراق ) مهدى السامرائى

---

# مؤتمر آثار الشرق

للدكتور جواد على

قررت اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية عقد مؤتمر فى مدينة دمشق فى شهر أغسطس أو أوائل شهر سبتمبر من سنة ١٩٤٧ لدراسة آثار الشرق الأدنى يُدعى « مؤتمر آثار الشرق » وقد عينت اللجنة التحضيرية التى وضعت منهج المؤتمر أغراضه بما يأتى :

١ — الاهتمام بالثقافة الأثرية وتبادل الآراء العلمية والفنية .

٢ — المحافظة على تراث الشرق العربى ووضعه فى الإطار اللائق به .

٣ — تقوية الصلات بين أمم الشرق ، وتذليل العقبات فى سبيل تحقيق التعاون فيما بينها من الناحية الأثرية .

وقد تصفحت التقرير الذى وضعته اللجنة التحضيرية ليكون جدولاً لأعمال المؤتمر فلم أجد فيه — وآسف لذلك — أية إشارة إلى عرب ما قبل الإسلام . كما أننى لم أجد فى قائمة الموضوعات العامة التى ستبحث فيها المحاضرات التى تلقى فى المؤتمر أية محاضرة قد تناولت تاريخ ما يسمى « بالجاهلية » أو « العصر الجاهلى » وكل ما وجدت هو أن سلسلة المحاضرات بدأت بالعلاقات بين مصر والشرق الأدنى ، ثم تطرقت إلى العلاقات بين بابل وآشور والشرق الأدنى ، فأثر الفنيقيين فى حضارة الشرق الأدنى ، فالعلاقات بين الشرق الأدنى والإغريق . ثم انتقلت رأساً إلى موضوع أثر العقائد الدينية فى حضارة الشرق القديم ، ثم إلى حظ الشرق من الحضارة الإغريقية فى العصور الهلينية فيدخل فى ذلك حظ مصر من تلك الحضارة ثم حظ سوريا فبابل ، ثم تنتقل السلسلة إلى مظاهر الحضارة الإسلامية فى دول الشرق العربى وتلك طفرة عجيبة بالطبع ، وتنتهى بموضوع الحفائر الأثرية فى ممالك الشرق العربى فموضوع ترميم الآثار .

وكنت أطمع فى أن أرى للتاريخ العربى القديم المحل الأول فى قائمة الموضوعات التى ستدرس فى هذا المؤتمر ، إذ أن اللجنة الثقافية التى وكلت إلى اللجنة التحضيرية أمر تهيئة خطط المؤتمر هى مؤسسة من مؤسسات الجامعة العربية ، وأنها وضعت نصب عينها إحياء التراث العربى القديم وحرصت على ذلك فى كل مناسبة . فالأولى بها أن تعنى بتاريخ عرب ما قبل الإسلام فتجعله الهدف الثقافى الأول نظراً إلى أن التاريخ العربى القديم يكاد يكون حتى اليوم فى حكم المجهول ، ولأن الآثاريين الغربيين لم يتمكنوا من التنقيب فيه لأسباب كثيرة ، منها أن الدول العربية التى تشتمل على المناطق الآثارية ، لم تسمح لهم بالعمل ، خوفاً من النفوذ الأجنبى ومن تسرب تلك الآثار إلى الخارج ، وإن اللجنة الثقافية ستنتهز هذه الفرصة فتثير لذلك هذا الموضوع فى مؤتمر الآثار لتحث الدول العربية على العناية بآثار العرب وبتاريخ العرب القديم ، ولتطلب إلى حكومات الجامعة القيام بحفريات علمية بنفقتها أو بنفقة الجمعيات العلمية الأوربية التى توافق على التنقيب بإشراف الجامعة . أو أنها ستسعى لأن تسهل لمن تخصص من أبناء دول الجامعة العربية بتاريخ العرب القديم الدخول فى مناطق الآثار لدراستها والكتابة عنها والقيام بحفريات علمية فيها إن أمكن ذلك من الوجهة العلمية والمادية .

وقد قام نفر من العلماء المستشرقين فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين أمثال « هاليفى » و « أرنو » و « كلامر » وغيرهم بزيارة مختلف أنحاء بلاد العرب المجهولة وفى ظروف حرجة فتعرضوا إلى مختلف الأخطار والمهالك فعادوا بأنباء مهمة تشير إلى وجود أماكن آثارية على جانب كبير من الأهمية . وقد نقلوا معهم بعض الألواح والأحجار المكتوبة التى عثروا عليها على سطح الأرض وهى توجد اليوم فى المتاحف الآثارية الكبرى وهى تؤيد هذه النظرية وتتحدث عن حضارة عربية قديمة أصيلة.

وقد بذل هؤلاء العلماء جهوداً كبيرة حتى تمكنوا من حل رموز الحروف اليمانية القديمة المسماة بالحروف الحميرية .واستطاعو بعد معرفتها أن يقرأوا ما هو مكتوب فنشروه ، وقد دل ما نشر حتى الآن وهو قليل بالطبع على أن الحضارة اليمانية قديمة قدر عمرها بعض العلماء بما يزيد على ألف وثلاثمائة عام قبل المسيح .

كما أنهم بحثوا فى النصوص الآشورية والبابلية والمصرية وفى التوراة ، وفى النصوص السريانية واليونانية واللاتينية فكونوا من هذا البحث مقدمات لمن يريد فى المستقبل الكتابة عن تاريخ عرب ما قبل الإسلام .

ولا يمكن أن يكتب للأمة العربية تاريخ قديم إلا إذا سهلت الدولة العربية للمستشرقين وللشبان العرب الذين تخصصوا بتاريخ ما قبل الإسلام الدخول فى المناطق الآثارية وقاموا

# أنديتنا الموسيقية

للأستاذ حسني كنعان

كانت الموسيق قبل ربع قرن ، تصدر فى بلاد الشام عن مصر بطريق أسطوانات الحاكى ، وكان الموسيقيون لدينا يجهلون النوتة الغربية ، فيضع أحدهم الحاكى أمامه ويدير مفتاحه وينقل عنه الأغنية أو الدور أو البشرف أو الدولاب أو السماعى كما يسمعه دون تحوير أو تبديل . وكان أرباب هذه المهنة محتقرين لدينا حتى أن الأب إذا علم أن ولده قد ظهرت فيه مخايل المواهب الموسيقية تبرأ منه وأخرجه من داره ، ولبثت الحال على ذلك حتى انبثق فجر النهضة الكبرى فى بلادنا عقب الحرب العالمية الأولى فتأسس أول ناد للموسيقى فى دمشق ضم الصفوة المختارة من رجالات الفن عندنا ، فيهم المحامى والطبيب والموظف والتاجر والمزارع والصحفى وغيرهم ممن كان يمنعه الحياء ومسايرة البيئة من الظهور ، وبعد أن تمرّن أعضاؤه على القطع الموسيقية الصامتة والغنائية والموشحات وسواها ، وحذقوها على أساتذة فنيين معروفين بخبرتهم الواسعة وكفاءتهم ، بدأوا بإقامة أول حفلة موسيقية على مدرج الجامعة السورية الفخم فلم يبق أحد فى دمشق ممن حضرها إلاّ وقد سرّ بما سمع وبما شهد من تنسيق وابداع وانسجام بين أعضائها الذين ظهروا على المرسح بمظهر من يبغى اعزاز هذا الفن وإزالة ما علق فى نفوس القوم من احتقار أربابه وأشياعه ، ولا تزال ذكرى هذه الحفلة عالقة فى النفوس برغم بُعد العهد بها . وأطلق على هذا النادى اسم « النادى الموسيقى السورى » وهو أقدم أنديتنا ، وقد قام بفضل أموال أعضائه المشتركين ، وريع حفلاته وكان رئيسه الفخرى وهو أحد الرجال الوطنيين المعروفين ، لا يألو جهداً فى جمع الإعانات له وإقامة حفلات خاصة لعظماء الرجال الذين يؤمون سوريا للاصطياف أو فى مناسبات خاصة ، أذكر أن المرحوم طلعت حرب باشا باعث نهضة مصر الإقتصادية قد دعى مرة إليه ، وأقيمت له حفلة رائعة خرج منها مغتبطاً مسرورا ، وجادت يداه رحمه الله باعانة مالية كان لها الوقع الحسن والأثر الحميد .

بقى هذا النادى محلقاً فى سماء الفن حقبة من الزمن ،إلى أن أصابه ما يصيب كل حى فى هذا الوجود من ذرور قرن الخلاف والشقاق بين أفراده . وظهر فيه داء الغرور والمنافسة فتفرق أعضاؤه بعد اتفاق ، واختصموا بعد وئام ، وكانت عاقبة ذلك أن

---

بحفريات علمية باشراف تلك الدولة أو الدول العربية على أن يحفظ ما يستخرج من آثار فى متحف الدولة أو فى متحف جامعة الدول العربية مثلا. وانى أرجح فكرة اشتراك دول الجامعة كلها فى نفقات الحفر حتى لا تتسرب الآثار إلى الخارج فتنتقل إلى المتاحف الأوربية أو الأمريكية ، وأن تكون عمليات الحفر باشراف المتخصصين العرب .

ولما كان المؤتمر لم يعقد بعد وأن هناك متسعاً من الوقت لتدارك الحال أرجو من اللجنة الثقافية أن تهتم بهذه الناحية اهتماماً كبيراً بأن تجعل فى رأس المواد التى ستدرس فى المؤتمر موضوع دراسة الآثار العربية القديمة ، وأن ترجو من دول الجامعة ولا سيما اليمن والمملكة السعودية بذل العناية لخدمة التاريخ العربى القديم ، وأن تطلب من المتخصصين العرب أو المستشرقين التطوع للقيام بحفريات علمية أو دراسة الاطلال الموجودة تمهيداً للقيام بالحفر ، وأن تمنع الناس من نبش تلك الاطلال لسرقة الآثار أو هدمها لاستعمالها مادة للبناء . فالعبث بهذه الآثار عبث بتاريخ الأمة العربية الذى نريد إحياءه . وأن تقوم الجامعة بتخصيص المبالغ لإرسال المتخصصين إلى مواقع الآثار كما فعلت فى إرسال نفر من العارفين بالمخطوطات إلى سوريا ولبنان لتصور ما هو موجود من المخطوطات .

وأن تخصص فى قائمة المحاضرات مكاناً للتاريخ العربى قبل الإسلام وأن نرجو بهذه المناسبة من الذين سيمثلون دول الجامعة فى مؤتمر الآثار توجيه أنظارهم نحو خدمة كل أثر عربى قديم ، وأن يكون لآثار العرب نفس الحظ الذى نالته الآثار القديمة الأخرى فى الأقل ، وإن كنت أطلب المزيد لأنه تاريخنا المباشر ، ولأنه يوازى الآثار الأخرى فى القدم والدرجة ، إذ أن من العار على العرب أن يتركوا متاحفهم خالية من آثارهم وهى كثيرة مطمورة فيتصور العالم أنهم أمة همجية لم تكن لها تاريخ قبل الإسلام وانهم كانوا عالة على حضارات الأمم الأخرى أو أنهم كانوا نقلة تعوزهم قوة الإبداع والابتكار .

جواد على

٢٨٠٤١

من وراء السور الحديدي

# جامعة عربية أم اتحاد فرنسي؟

للأستاذ عبد الهادي الشرايبي

يتحدث الرأى العام الفرنسى حكومة وشعبا ، فى صحفه ومجتمعاته عن الاتحاد الفرنسى الذى أحدثه الدستور الجديد[1] وحار فى كيفية تطبيقه على بلدان ما وراء البحار . كأنما يحاول بذلك أن يسدل الستار على تاريخ الاستعمار القاتم المظلم ، ليبدله بلون آخر قد يكون أشد هولا ، وأشنع عاقبة .

إن نقطة الضعف فى هذا القرار هى أنه لم يحترم إرادة هذه الشعوب ، ولم يستشرها ليأخذ رأيها بالموافقة أو الرفض ، حتى إذا شرع فى تطبيقه كان مبنيا على أساس متين ، واستطاع أن يؤتى ثماره المطلوبة . على أن الحكومة الفرنسية ، فيما يظهر ، كانت أعمق تفكيرا ، فلم تقدم على اتخاذ هذا القرار إلا بعد أن خبرت الرأى العام فى هذه البلاد ، وخرجت مقتنعة بغرام شعوبها بالحكم الفرنسى ، وهيامها بكل ما تقدمه إليها الدولة الفرنسية ، وما « تضحى » به فى سبيل سعادتها وتطورها من مال ورجال وعتاد !

أما الشعب المغربى فإنه بدوره يزداد كل يوم إيماناً بفوائد هذا « الاتحاد الفرنسى » وما سيجره إليه فى مستقبل الأيام من خير ورفاهية ونعيم . خصوصاً بعد « حوادث الدار البيضاء » التى تركت ألسنة الناس تسبح بحمد الإدارة الفرنسية ، وحسن تصرفها ، وسداد موقفها ! ! فقد فتحت هذه الحوادث الأعين ، وعرفت الناس مزايا الدخول فى « الاتحاد الفرنسى » عن طيب خاطر ، وأنهم سيعيشون فى عهده فى ظلال الأمن والطمأنينة والسعادة والسلام ! إن هذا الحدث الجديد الذى يراد ربط مصيرنا به ، يتطلب منا أن نقف عنده قليلا ، وندرسه على ضوء التفكير السليم ، والمنطق الصحيح . فالشعب المغربى ، ككثير من الشعوب

(١) (الرسالة) : جاء فى المادة الستين من دستور الجمهورية الفرنسية الرابعة عن الاتحاد الفرنسى مانصه : «يتكون الاتحاد الفرنسى من الجمهورية الفرنسية المشتملة على فرنسا ذاتها والمقاطعات والأراضى فيما وراء البحار من جهة ، أو من الأراضى والدول الشريكة فى الاتحاد من جهة أخرى » .

---

انقسم النادى إلى أندية عدة ظهرت باسم « الرابطة الموسيقية » و « دار الألحان والتمثيل » و « المعهد الموسيقى » و « دار الموسيقى الوطنية » و « معهد الآداب والفنون » و « ندوة أصدقاء الفنون » بيد أن هذه الأندية جميعاً لم تؤلف فيما بينها وحدة فنية عامة ، فأعضاؤها على كثرتهم ، من الهواة الذين يتخذوا الفن ألهية خاصة ، وقد سعى الكثيرون من الذين يغارون على هذا الفن ، إلى توحيد هذه الأندية فما قدر أحد منهم على ذلك ، ولذا أخذت هذه الأندية تنحل الواحد إثر الآخر بسبب الضائقة المالية ، ولم يبق منها ثابتاً قوياً إلا الأقل ، وانقلب بعضها إلى دور للعب الورق والنرد وغيرها من ألعاب المقاهى ، ولو أن أولى الأمر مدوا يد العون لهذه الأندية وساعدوها بالمال والرجال لعاشت فى تقدم وازدهار ولضارعت بنهضتها أندية العالم الكبرى ، لأن مواهب رجال الفن عندنا مشهود لها بالسمو والقوة ، وقد زادت قوة فى هذا العهد الاستقلالى الجديد بعد أن ذهب الأجنبى عنا لا رده الله ، ومما يسرنا اليوم أن نرى القائمين على محطة الاذاعة فى دمشق قد افتتحوا مدرسة فنية لتعليم ناشئة البلاد النوتة الموسيقية على أحدث الطرق ، وإحياء موات الموسيقى القديمة والموشحات الأندلسية الرائعة ، وتعاقدت مع أساطين الفن فى دمشق وحلب الذين يندر وجود مثلهم فى الأقطار العربية الشقيقة ، وكل من ينبغ من طلاب هذه المدرسة يؤخذ فوراً إلى محطة الإذاعة ليذيع منها فنه ويظهر مواهبه ، وهذا مما يبعث على التنافس الحميد بين الطلاب ، ونحن نرجو أن تعيد دمشق مجد الأندلسيين الزاهر فى مختلف الضروب الموسيقية والأصوات والأنغام ، والرقص المسمى رقص « السماح » وبطل هذه النهضة عندنا هو نائب دمشق السيد فخرى البارودى الذى يشتغل اليوم فى وضع مؤلف قيم شامل فى الموسيقى العربية ، ومدير الاذاعة الفنان السيد شفيق شبيب ، والمدير العام الشاعر المعروف الأستاذ سليم الزركلى . وحبذا لو أن محطة الاذاعة فاوضت الأستاذ توفيق الصباغ نابغة « الكمان » لا فى سورية وحدها بل فى الشرق العربى كله ، وهو الذى عرفته مصر فى المؤتمر الموسيقى الذى انعقد فى عهد جلالة الملك فؤاد رحمه الله . وكان جلالته معجباً بمواهب الأستاذ ، فالأمم لا تنهض إلا إذا قدرت نابغيها حق قدرهم وأحلتهم المنازل اللائقة بهم .

دمشق

حسنى كنعان

الإسلامية العربية التى أريد لها أن تسمى« شعوب فرنسا ما وراء البحار» هو الآن فى مفترق الطريق . وأمامه : أن يختار الانضمام إلى جامعة دوله العربية ، أو الاندماج فى « الاتحاد الفرنسى » وشعوب فرنسا ما وراء البحار .

أما جامعة الدول العربية فتربطنا بها ، أو تربطها بنا ، روابط متينة راسخة الاعراق والأصول ، روابط كونتها مختلف العوامل النفسية ، والتاريخية ، والجغرافية ، على ممر العصور والأحقاب وجمتنا بها عوامل لا انفصام لها ، ولا يمكن أن تعمل فيها يد الدهر ، مهما كانت قاسية : فالدين واحد ، وهو الذى جمع الهندى والمغربى والصينى واليوغوسلافى فى صعيد واحد ، وهو الذى وجههم جميعاً إلى قبلة واحدة ، ووحدهم فى عقيدة واحدة . والتاريخ قد جمعنا فى البأســـاء والسراء ، فتنعمنا بأيام عزه وازدهاره ، كما تحملنا آلامه واقتسمنا مرائره وشدائده .

أما الوضع الجغرافى فإنما هو سلسلة واحدة متصلة الحلقات أبدعتها يد الإله متماسكة البناء . ممتدة من ضفاف البحر الأحمر إلى شواطىء المحيط الأطلسى ، وهى وضعية اقتصادية وسياسية ممتازة قلما ظفرت بها أمة من أمم الأرض .

أما العوامل النفسية التى كونها القرآن ، ومتنت عراها تعاليم الإسلام ، وصهرتها حوادث الأيام ، فاننا نلمس آثارها فى كل يوم ، ونشاهد نتائجها عند كل حادث . فوقائع فلسطين ، ومعارك الهند الصينى والهند الهولاندية ، تدمى قلوب المغاربة ، كحوادث المغرب ، والدار البيضاء ، عند شعوب الشرق الأدنى والأقصى. وقدنشأعن هذه العوامل الكثيرة المختلفة، عوامل سياسية ربطت مصير الأمم العربية بعضها ببعض ، وجعلت سعادة البعض منها متوقفة على سعادة الكل ، بحيث لا يطمئن لاحداها خاطر ، ولا يقر لها قرار ، مهما نالت من أسباب السيادة والعزة ، إذا كان البعض الآخر لايزال أنينه يتردد صداه فى أنحاء المعمورة ، تحت وطأة الاستعمار الثقيلة .

هذه طائفة من الأسباب التى تربطنا بجامعة الأمم العربية ، وتجعل مصيرنا مرتبطاً بمصير أخواتنا الشقيقات ، بلاد الشرق العزيزة ، فلنلق الآن نظرة أخرى على ما يمكن أن يربطنا بالاتحاد الفرنسى من أسباب وما يمكن أن يجمعنا به من علائق ومصالح .

أما صلاتنا بهذا الاتحاد ، أو بالأحرى ، بالدولة المبتكرة له ، فتبتدىء منذ نيف وثلاثين سنة . وإن نظرة عجلى على هذه الفترة من تاريخنا القومى كافية لبيان ماهية هذا الاتحاد ، وشرح الأسس التى يراد بناؤه عليها . فهى فترة مهولة ، مليئة بالنار والدم والحديد ، وبمعارك وحروب ، وسجون ومناف ، وأنواع من الارهاق والعسف ، لم يشهد لها التاريخ مثيلا حتى فى العصور التى تسمى « مظلمة » !

هذه نظرة قصيرة على كلا الاتجاهين ، وعلى الطريقين المفتوحين أمامنا . فما الذى يختاره الشعب المغربى من ذلك : سبيل « الجامعة العربية » أم سبيل « الاتحاد الفرنسى » الجديد ؟

لقد تفضل جلالة مولانا الملك ، ترجمان الأمة الصادق ، ولسانها الناطق ، فأجاب عن هذا السؤال الذى يختلج فى صدر كل مغربى ، وقلب كل عربى ، فى تصريحه الأخير لرجال الصحافة ، قبيل مغادرته لمدينة طنجة . قال جلالة الملك المحبوب : « ... ومن جهة أخرى ، فإن المغرب يحرص أشد الحرص على تمتين صلات الود مع جميع البلاد التى حاربت من أجل الحرية ، ولا تزال تواصل الكفاح فى سبيل نجاح قضيتها . ان المغرب ليأمل بكل ما أوتى من قوة ، أن ينال حقوقه كاملة . ومن الواضح الجلى أن المغرب بلد عربى ، مرتبط مع بقية بلاد الشرق العربى بروابط قوية متينة ، وإنه يرغب فى أن تتقوى هذه الروابط يوما بعد يوم ، خصوصاً منذ أن أصبحت « الجامعة العربية » مؤسسة تلعب دوراً هاما فى السياسة العالمية . وإننا لمقتنعون بأن الصلات الثقافية ستساهم بقسط وافر فى تحقيق هذا الاتحاد . وهذه هى الأسباب التى تحدو بنا إلى إنشاء مؤسسات للتعليم العالى لإنارة عقول الشعب المغربى ، تكون برامجها مستمدة من برامج التعليم فى جامعات القاهرة والشام ولبنان والعراق .

إن همنا الأكبر منذ اعتلائنا العرش المغربى هو أن نمنح رعايانا نعمة التمتع بالحقوق الديموقراطية التى يصبون إليها . وإن أملنا لقوى فى الحصول على هدفنا الأسمى الذى سنواصل السعى لإدراكه»

هذه تصريحات جلالة الملك المفدى لرجال الصحافة الأجنبية . وهى كما ترى – قد حددت الاتجاه ، وكانت القول الفصل فى هذه المسألة التى أثارت مخاوف وشكوكا ، سرعان ما انقشعت وتبخرت فى مهاب الرياح . فما على شعبنا العزيز ، إلا أن يقتفى الطريق التى اختطها له جلالة العاهل المعظم ، والرائد الخبير ، ويسير على النهج الذى سنه له . واضح المعالم ، موفق الخطى .

المغرب الأقصى — عبد الهادى الشرايبي

# هل الموت نتيجة لازمة للحياة؟

## الحيوانات والنباتات الخالدة — الشيخوخة وأسبابها

للأستاذ نصيف المنقبادي المحامي

( بقية ما نشر فى العدد الماضى )

### الشيخوخة وأسبابها :

رأينا فيما تقدم أول مظهر من مظاهر الشيخوخة فى الحيوانات والنباتات الأولية ذات الخلية الواحدة وهو عجزها عن الانقسام إلى أن تتلاقح فتعود إلى شبابها ، وقد بينا أن هذا ناتج من تراكم بعض المواد الافرازية السامة داخل أجسامها وعدم تصريفها فى الحال بأكملها إلى الخارج لنقص فى تكوين الكائنات الحية وعلى الأخص نظام التغذية والتصريف .

وما يحدث للخلايا المنفردة يحدث للخلايا المجتمعة فى النباتات والحيوانات العليا ومن بينها الإنسان. فإن الدم فى الحيوانات والسوائل المماثلة له فى النباتات تنقل إلى جميع الخلايا المواد الغذائية وهذه تحترق ببطء أى تتأكسد داخلها فتتولد الطاقة ( القوة والحرارة ) التى تستعين بها الكائنات الحية على القيام بمختلف وظائف الحياة . ونقول إجمالا إن بقايا احتراق المواد الزلالية هى التى تسم الجسم تدريجيا وتسبب الشيخوخة .

وتفصيلا لهذا الإجمال نقول إن المواد الغذائية مهما تنوعت مظاهرها تنقسم ثلاثة أقسام : المواد الهدروكربونية مثل السكر والنشاء ، والمواد الدهنية ، والمواد الزلالية مثل اللحوم والبيض والجبن والخضروات البقولية كالفول والعدس والفاصولية والبسلّى وغيرها .

فالمواد النشوية السكرية والمواد الدهنية نظراً لأنها مكونة من هدورجين وأوكسيجين وكربون تحترق داخل الجسم احتراقاً كاملا فتتحول إلى ماء لا ضرر منه وإلى غاز حامض الكربون تفرزه الرئتان بأكمله على أغلب الظن . فهذه المواد لا تلحق فى الغالب ضرراً بالجسم، ولكن قد تتولد منها أثناء احتراقها التدريجى مواد كيميائية ضارة تشترك فى تسميم الجسم بطريقة غير محسوسة فى الفترة القصيرة التى تمكث فيها قبل أن تحرق هى أيضاً بدورها.

أما المواد الزلالية فإنها الفاعل الأصلى حقاً فى ذلك التسمم التدريجى الذى يسبب الشيخوخة فالموت ، فهى أهم غذاء وفى الوقت نفسه أكبر عدو لنا لأنها مواد رباعية يدخلها الازوت إلى جانب العناصر الثلاثة سالفة الذكر ولهذا فإنه يتخلف عنها عند احتراقها فى الجسم — عدا الماء وغاز حامض الكربون — مواد أخرى تشمل الازوت وهى المواد الإفرازية المعروف بعضها مثل المادة البولية والحامض البولى وأملاحه ومثل الصفراء وأحماضها وأملاحها . وهى جميعها سامة وضارة وكثير منها غير قابل للذوبان فى الماء فلا يفرز بتاتاً ويتراكم داخل الخلايا وفى الأنسجة المختلفة وعلى جدران الشرايين فيصلبها وبالتالى يقلل من قدرتها على تأدية وظائفها ويؤثر تأثيراً سيئاً فى الجهاز العصبى وفى جميع الأعضاء الأخرى ويضعفها فتنحط ولا تقوى على القيام بأعمال الحياة وهذه هى الشيخوخة بعينها : تصلب عام فى الشرايين ، وتيبس فى الأنسجة ، وقصور فى وظائف الأعضاء الخ .

يضاف إلى هذا السبب فى تسمم الجسم سبب آخر وهو تخمر فضلات الطعام فى الأمعاء ، ونتيجة هذا التخمر هى تولد مواد عفنة سامة يمتصها الجسم مع المواد الغذائية النافعة خصوصاً وأن الامعاء عضو ملائم للامتصاص أكثر من غيره

ويضاعف أسباب الشيخوخة المتقدم بيانها فعل كريات الدم البيضـــاء التى كشف عن وظائفها متشنكوف نخطا بالعلوم البيولوجية والعلوم الطبية خطوات واسعة عظيمة النفع نظرياً وعملياً . فإن من يفحص تحت الميكروسكوب نقطة من دم الانسان أو أى حيوان يجد أنها مكوّنة من سائل شفاف تقريباً يشتمل على كريات حمراء عديدة هى التى تكسب لونه الأحمر وكريات بيضاء أقل عدداً . ومن أهم صفات الكريات البيضاء أنها تفترس بشراهة كل ما يقابلها فى الجسم من الباكتيريا والميكروبات والجراثيم الحيوانية الأخرى .

غير أن فعل الكريات البيضاء غير مقصور على افتراس الميكروبات والجراثيم والمواد الغريبة عن الجسم بل إنها لا تحترم حتى زميلاتها من الخلايا الأخرى فى مختلف أنسجة الجسم لأنه لا عقل لها يجعلها تميز بين النافع والضار فهى تحاول على الدوام التهام كل

مايقابلها لأنها حيوانات حقيقية مفترسة لا تقف شراهتها عند حد. غير أن الخلايا والأنسجة حين تكون فى كامل صحتها وعنفوان شبابها تصد بسهولة تلك الكريات الشاغبة الجشعة بأن تفرز عند اقترابها منها مادة كيميائية تمنعها من الاعتداء عليها، ويتم ذلك بطريقة آلية طبيعية. ولكن خلايا الجسم وأنسجته، متى أضعفتها تلك السموم التى تتراكم فى الجسم تدريجياً على النحو المتقدم بيانه، لا تقوى على الكريات البيضاء وتضعف مقاومتها لها فتنخر الكريات البيضاء فى جميع الأنسجة كالعضلات والغدد والأعصاب والمخ فتزيد الجسم هبوطاً بعد أن تكون تلك السموم قد أنهكته، وتجتاز تلك الكريات البيضاء الشرايين الرفيعة الشعرية وتتكدس فى جميع أنحاء الجسم وتتكون منها أنسجة جامدة وحتى جذور الشعر لاتسلم من اعتدائها فتسبب الشيب سامحها الله

والذى يراه البيولوجيون (علماء الحياة) أنه متى اهتدى العلماء في المستقبل إلى وسيلة لتطهير الأمعاء والدم تطهيراً تاماً أولا بأول عقب كل أكلة دون المساس بعمليات التغذى المختلفة أمكن التغلب على الشيخوخة فتطول حياة الإنسان إلى مائتين أو ثلثمائة سنة أو أكثر. وقد تكون الفيتامينات الجديدة والمطهرات المدهشة التى اكتشفت أخيراً كالسلفيناميد والبانيسيلين مقدمة لذلك الاكتشاف العظيم الذى يصبو إليه الناس من قديم الزمان. وقد يستنبطون عقاقير تنشط بعض الغدد الصماء المعروفة أو غدداً جديدة يكشفون عنها فيما بعد فى مجاهل الجسم فتفرز هرمونات من شأنها تطهير القناة الهضمية كلها والدم والأنسجة تطهيراً تاماً مستمراً من تلك السموم مع تصريفها بأكلها فى الحال إلى الخارج أولا فأولا

ولكن تبقى عقبة كؤود لا أرى وجهاً للتغلب عليها وهى وضع الكبد ونظام صرف افرازه. فإن البول الذى تفرزه الكليتان يجتمع فى المثانة ويصرف إلى الخارج رأساً. أما الصفراء التى تفرزها الكبد فانها لسوء حظ الإنسان والحيوانات لا تنصرف إلى خارج الجسم مباشرة بل تصب مع شديد الأسف فى الأمعاء وتبقى فيها فترة من الزمن قبل أن تصل إلى الخارج عن طريق المستقيم، بل إن الأمعاء مملوءة على الدوام بالصفراء التى تفرزها الكبد باستمرار فتمتص (أى الامعاء) كميات منها (أى من الصفراء) وهى مادة سامة ضارة كل الضرر بالجسم [1]، ولولا ذلك لكان هناك أمل أن يصل العلم يوماً من الأيام إلى قهر الموت نفسه ومنعه منعاً باتاً، وذلك أمر لا يراه العلماء مستحيلا من الوجهة النظرية بدليل الحيوانات والنباتات الأولية ذات الخلية الواحدة الخالدة التى تقدم لنا الكلام عليها. وقد رأينا كيف أن البيولوجيين عالجوا الشيخوخة التى تطرأ عليها عقب الانقسامات المتكررة وأعادوا إليها شبابها ونشاطها الانقسامى الذى يضمن لها الخلود. والذى نقصده بالخلود هنا هو أن تبقى حية لا تموت إلى أن تمسى الأرض غير صالحة للحياة بفعل العوامل الطبيعية بعد عدة ملايين من السنين على ما يقدرون

**غريزة الموت:**

ويتوقع متشنكوف أنه متى تغلب العلم على الشيخوخة وباقى الأمراض وعاش الانسان حياة طويلة لا تقل عن المائتين أو الثلثمائة من السنين عيشة سليمة من كل علة أو ضعف فانه حين يصل إلى آخر هذا العمر الطويل يشعر بحاجة إلى الراحة النهائية ويستقبل الموت بهدوء وارتياح كما يشعر المرء فى آخر النهار بالحاجة إلى النوم ويرتاح إليه. وهذا ما يسمونه بغريزة الموت، تحل فى آخر الحياة محل غريزة حب البقاء. وحين تنشأ هذه الغريزة فى البشر يكون العلم قد قهر آخر عدو للانسان وهو الموت، إذ يكون الناس قد حلوا قبل ذلك المعضلة الاجتماعية الكبرى الخاصة بتوزيع العمل وخيرات الطبيعة بين الناس توزيعاً عادلا مع تحديد النسل، وتكون الغريزة الاخلاقية قد تأصلت فى النفوس بمرور الزمن الطويل كما هو الحال فى النمل فتمتنع الجرائم والحروب وترتقى الأخلاق وتعم الفضيلة ويكون الطب قد تغلب على جميع الأمراض، بل إن الطب الوقائى سوف يمنعها قبل وقوعها فيعيش البشر فى سلام ونعيم دائمين، ذلك النعيم الذى ظلوا العصور الطويلة يحلمون به ولن يحققه لهم إلا العلم

**نصيف المنقبارى**

---

(1) صحيح ان الصفراء تمهد إلى هضم المواد الدهنية وتطهر الامعاء إلى حد ما من جراثيم التخمر ولكن هذه فوائد لا تذكر بجانب الاضرار المهلكة التى تلحق بالجسم من امتصاصها داخل الامعاء. ولو كانت الطبيعة جادت علينا بقناة تنصرف منها الصفراء رأساً إلى الخارج كالبول لتطورت الحيوانات فيما يتعلق بفسيولوجية هضم المواد الدهنية وتطهير الامعاء من جراثيم التخمر تطوراً آخر ولاسترحنا من ذلك التسمم القاتل

إلى طلبة التوجيهية :

# شاعران فى المنفى

للأستاذ أحمد محمد الحوفى

(تتمة ما نشر فى العددين السابقين)

— ٣ —

شوقى أثرى صوراً ، وأطرف خيالا ، وأبرع معنى ، فنحن لا نجد فى معانى البارودى مبتكراً مستحدثاً ، وإنما هى معان شائعة سبق بها ، وطالما كررها فى شعره وهو بسرنديب .

ونزعته إلى محاكاة الأقدمين غالبة على تصوره ومعانيه ، حتى إن بعضها لا يلائم العصر الذى عاش فيه كالدعاء للمنزل بالسقيا ، وهو دعاء يلائم الصحراء حيث الجفاف وندرة الأمطار ، وبأن تهب عليه ريح الصبا ، وهى ريح كان يستطيبها أهل الحجاز لأنها تهب لطيفة من الشرق ، وطالما تغنى بها الشعراء ، ولكن ريح الشرق فى مصر سموم ورمال ، ومثل تعبيره عن مصر بوادى الأراك وليس الأراك من شجرها ، وذكره شجرة الرند وليست من نباتها ، وتقديره إطراب شعره بأنه ألذ من الحداء وقد انقضى زمن الحداء ونعم الناس منذ زمن بعيد بالموسيقى والغناء ، وفى بعض معانيه ضعف مثل قوله لسيفه :

أقول له والجفن يكسو نجاده دموعاً كرفض الجمان من العقد

فليس فى تشبيه دموعه بحبات اللؤلؤ براعة ، لأن هذا التشبيه يستجاد من شاعر يشبه دمع محبوبته قاصداً الجمال والنفاسة ، ولكن البارودى فى حال باك حزين لا يلائمه إلا تصوير الدموع بأنها حارة تكوى ، أو غزيرة لا تنقطع كاصور شوقى ، على أن البكاء ليس من مفاخر الرجال . وفى خياله تناقض مثل شكواه من الوحدة وأنه لا يرى صديقاً بعد عدة أبيات من تقريره أن المائدات يعدنه ويعطفن عليه .

ولكنا نجد فى صور شوقى ومعانيه ما يهز النفس ، كتصويره حال الطائر الغريب اللهفان إلى وطنه ، الظمآن إلى مائه يجرر ساقيه وذيله باحثاً عن دواء ، وكتصويره حال مصر نفته مرغمة وهى تحبه وتود سلامته وتأمل عودته بحال أم موسى ألقته فى اليم واثقة به مسلمة أمرها وأمره لله ذى الرحمة ، ضارعة إليه أن يكلأه بعنايته ، وكطلبه من المطر أن ينزل على مصر برداً وسلاماً فى نغم رتيب وإيقاع عجيب ، وكوصفه للأهرام هذا الوصف البارع .

على أن قصيدته لم تخل من تراكيب قليلة متأثرة بالتصور القديم مثل قوله للبرق :

بالله إن جبت ظلماء العباب على نجائب النور محدواً بجبرينا

يقصد بنجائب النور النور المشبه للنوق المسرعة ، وليس هذا بشىء .

ومثل قوله : « ريش الفراق لنا سهماً » وليس السهم المريش ولا غير المريش من أدوات القتال فى العالم المتحضر .

— ٤ —

أجاد شوقى فى اختيار المفردات وصوغ التراكيب إجادة أشاعت فى القصيدة موسيقى ورنيناً ، وأجاد اختيار القافية نونا بعدها ألف لينة تلائم الحنين والألم ، وأجاد البارودى فى انتقاء كلماته ، وجنح إلى الجزالة والفخامة وإن حرمت قصيدته موسيقية شوقى ، على أنه استعمل كلمات مبهمة المعنى مثل « لا يعيد ولا يبدى » .

— ٥ —

وبعد فكل من القصيدتين مرآة لنفس قائلها ، تتجلى فى قصيدة البارودى صرامته وشجاعته وجنديته واعتداده بنفسه وبآبائه المماليك ، وولعه بمحاكاة الأقدمين فى أساليبهم ومعانيهم وأخيلتهم .

وتتجلى فى قصيدة شوقى ثقافته التاريخية ، وحبه لمصر ، واعتزازه بماضيها المجيد ، وفخره بماضى العرب ، وتغنيه بجمال الطبيعة فى مصر ، وكلفه بموسقة أسلوبه ، وابتداع معانيه وافتنان خياله .

على أن قصيدة شوقى خير من قصيدة البارودى فيما اتفقتا فيه من أغراض ، ومتفردة ببعض أغراض ، وإذا كان شوقى قد تتلمذ للبارودى فقد بزه ، وما أهنأ للأستاذ أن يفوقه تلميذه .

أحمد محمد الحوفى
المدرس بالسعيدية الثانوية

# الأدب والفن في أسبوع

### حول جائزة الآداب :

أثير في أول الأمر بعض الغبار حول قرار لجنة الفحص لجائزة فؤاد الأول للآداب الذي أعلنه معالي رئيسها الأستاذ الجليل أحمد لطفي السيد باشا في حفلة توزيع الجوائز بالجامعة ، قال معاليه إن الوقت لم يتسع أمام اللجنة للمفاضلة فرأت تأجيل منح الجائزة إلى العام القادم .

وكاد يسكن ذلك الغبار لولا أن أثاره عالياً كثيفاً الأستاذ عباس محمود العقاد في مقال عنوانه « علامة الاستفهام في قرار لجنة الآداب » نشرته « أخبار اليوم » وجه فيه الأستاذ الكبير النقد إلى تصرف اللجنة ، لأنها قبلت العمل وأجابت الدعوة وهي تعلم الموعد المقرر وتعلم المهمة المطلوبة ، وتساءل : « ولماذا لم تتنح عن العمل منذ اللحظة الأولى إذا كانت قد علمت أنها لا تستطيع الوصول فيه إلى نتيجة ؟ » .

ومما قاله الأستاذ العقاد أن اللجنة تشهد على نفسها أنها لم تطلع على ثقافة وطنها اطلاعاً يكفي للفصل فيها ، وإن اللجان التي تقبل أمثال هذه المهام ينبغي أن تكون مرجعاً يستفاد منه العلم بحركة الثقافة الأدبية في بلادها ؛ ورد على اعتذار اللجنة بتنوع الموضوعات الذي يحتاج إلى وقت أوسع للموازنة والتمييز ، بأن تعدد الموضوعات هو الذي أعان لجنة العلوم على الفصل فيما عرض عليها، فاختارت لجائزة هذا العام موضوعاً خصته بالتفضيل وتركت الباب مفتوحاً للموضوعات الأخرى في الأعوام المقبلة. ولو صنعت لجنة الآداب مثل هذا الصنيع لما كان أيسر عليها من تخصيص هذه السنة بجائزة الشعر أو بجائزة القصة أو بجائزة البحوث والدراسات وما إليها ، فيتسع وقتها للفصل والتمييز .

وخلص الأستاذ العقاد بعد ذلك وبعد عبارات « حريفة » وجهها إلى اللجنة ، وبعد أن ذكر أنه في خلال السنوات الخمس التي قررها المرسوم أصدر ثمانية عشر كتاباً جديداً ، لا تقدر اللجنة أن تسقطها من الحساب أو تهملها في ميزان الترجيح ، خلص الأستاذ بعد كل ذلك إلى « أن قرار اللجنة معناه تفسير المرسوم على معنى لا يفهم له معنى سواه : وهو أن الجائزة مشروطة في هذا التفسير بأن يعطاها صاحب الآثار الأدبية في السنوات الخمس الأخيرة ما لم يكن شخصاً يسمى عباس العقاد ... » .

وقد سمعت في بعض المجالس الأدبية تعليقات على هذا الموضوع فوجدت كثيرين يوافقون الأستاذ العقاد على صميم نقده ، وإن كان الكثيرون لا يرون رأيه في الإعلان عن إنتاجه بنفسه مع تقديرهم له وإحلاله محله اللائق به ، أما اتهامه اللجنة بالقصد إلى مجاوزته في منح الجائزة فهو من قبيل الحكم على النيات .

### الشعبة الثقافية العالمية :

كانت بعض المدن الأوربية في أثناء الحرب الماضية موئل كثير من رجال الأمم التي غلبت على أمرها ، وفيهم وزراء المعارف في هذه الأمم ورؤساء الهيئات الثقافية والتعليمية ، فكان ذلك داعياً إلى التفكير في تكوين هيئة ثقافية عالية تكون شعبة من هيئة الأمم المتحدة ، وولدت هذه الفكرة في لندن سنة ١٩٤٥ وتألفت الشعبة فعلا ووسعت مدى الانضمام إليها بإباحته لمندوبي الأمم غير المشتركة في هيئة الأمم المتحدة ، وواصلت نشاطها في سان فرانسيسكو ، حتى اقتنعت هيئة الأمم بفكرتها واعتمدتها من شعبها بمقتضى المادة (٥٧) من ميثاقها . ثم انتقلت الشعبة بعد ذلك إلى باريس حيث أخذت في تنظيم أعمالها ووضع الخطط التي تكفل تأدية رسالتها .

وفي مساء الإثنين الماضي وبنادي الخريجين المصري تحدث الدكتور محمد عوض محمد بك رئيس قسم العلوم الاجتماعية بتلك الشعبة في « رسالة الشعبة الثقافية في هيئة الأمم المتحدة » فبين أغراضها التي تتلخص في تثقيف الناشئة والكبار تثقيفاً إنسانياً يرمي إلى خدمة قضية السلم العالمي ببث الأفكار الصحيحة والتقريب الثقافي بين أبناء العالم ، لا فرق في ذلك بين الشعوب

والأجناس ، فتنتفى الأفكار المخطئة ويجنب الناشئون التربية التى تحض على كراهية الشعوب الأخرى ، مما كان يؤدى إلى سوء التفاهم فالحروب .

وقال المحاضر إن هيئة الأمم إذا كانت تعالج المشاكل السياسية والاقتصادية فإن الشعبة الثقافية تريد وقاية العالم من هذه المشاكل .

ثم أفاض الدكتور عوض فى الحديث عما قامت به الشعبة فى باريس فقال إنها جعلت لكل فرع قسما مختصاً ، فهناك قسم الصحافة والإذاعة والسينما ، وقسم التربية ، وقسم الآداب والفنون ، وقسم العلوم الاجتماعية ، وقسم العلوم الطبيعية ، وأخذ كل قسم يبحث فيما خصص له ، ومن الأمثلة التى ذكرها لنشاط هذه الأقسام وبيان عملها موضوع الأدب المقارن الذى اقترح أن يكون به قسم الآداب والفنون ، وذلك بأن يقوم الأساتذة المتمكنون فى أكثر من أدب واحد بدراسة مقارنة بين الآداب المختلفة ونشر هذه الدراسة بمختلف وسائل النشر

ومن تلك الأمثلة ما اقترح أيضاً من إنشاء معهد دولى للدراسات المختلفة ، وعقد مؤتمرات سنوية تمثل فيها الهيئات الثقافية فى أنحاء العالم .

وقد أجاب المحاضر عن سؤال عن علاقة لجنة التعاون الثقافى فى الجامعة العربية بالشعبة الثقافية العالمية بأن الجامعة العربية هيئة سياسية والشعبة ثقافية بحتة ، وكل ما يمكن أن يكون من الصلة بينهما أن تدعى لجنة التعاون الثقافى العربية إلى مؤتمرات الشعبة الثقافية العالمية ، وتكون هذه المؤتمرات فرصة للعمل على تحقيق الأهداف الثقافية المشتركة .

**الشاعر المطار :**

هو الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى ، وقد وصفه بالمكر الأستاذ عباس محمود العقاد فى مناقشة دعابية دارت بينهما فى « أخبار اليوم » حول ما كان قد أعلنه الأستاذ المازنى منذ سنين من إنكار الشاعرية على نفسه وبراءته من الشعر والشعراء ، فقد خاطبه الأستاذ العقاد واصفاً ذلك بأنه « مكرة صغيرة صنعتها أنت أيها الصديق بيديك وانتظرت عاقبتها حتى الآن أربع سنوات أو خمس سنوات » وقال له : « ولعلك قدرت أن الناس لا يسمعونك تنكر الشاعرية على نفسك وتتأخر من صف إلى صف ومن رعيل إلى رعيل ، حتى يتسابقوا إليك فى الصف الثانى ، أو الصف الثالث ، أو الرابع ، ليجدوك قابعاً هناك تنتظر المطاردين والكاشفين ، فما هو إلا أن يلمحوك فى زاوية من الزوايا حتى يلقوا عليك القبض ويسلسلوك ويحملوك إلى الطليعة فى أول الصفوف . ثم يمثلوا معك دور ( الشاعر على رغم أنفه ) كما مثلوا دور الطبيب على رغم أنفه فى رواية موليير »

ورد الأستاذ المازنى على ذلك بإقراره إذ قال : « كل ما قاله صديقى الأستاذ العقاد صحيح ، ولست أستثنى قوله إنى مكار وإنى شاعر »

ثم علل الأستاذ المازنى كفه عن قرض الشعر بأنه كان بطىء النظم ، ولم يكن يرضى عما يقول ، وأنه أساء الظن بصدق سريرته فيما نظم من الشعر وتوهم أن العواطف التى وصفها والتى ولدت ما أعرب عنه من آراء لم تكن صادقة وإنما كانت تقليداً لا أكثر ، وأنه كفر بالخلود وبالأدب كله « وطلع فى دماغه » أن ينكر أنه أديب

أفيكون الأستاذ المازنى قد رجع عن تجريد نفسه من الشاعرية إذ يعترف الآن بأنه شاعر ؟ وكل ما فى الأمر أنه مورط بما أقره من مكره الذى كانت نتيجته كما قال الأستاذ العقاد : « أن يصغى الناس إلى المطيبين فى ركاب المغنيات والمغنين ، ولا يصغوا إلى المازنى فى أغانيه وأناشيده ، ولا إلى المازنى فى مترجماته التى لو نظمها الخيام أو هاينى أو شكسبير عربية فصيحة لما جاوزوه فى التجويد والإتقان »

ولكن هل يستطيع الأستاذ المازنى أن يتلافى « مكرته » ويخرج من ورطته فيعود إلى قرض الشعر ؟ ما أحسبه يستطيع ، فقد اكتفى الناس منه واكتفى هو أيضاً بما بلغه من الشأن فى الكتابة ، وذلك حسب الناس وحسبه ، وهو الذى طغى على شعره ، ولولاه لكان من المحتمل أن يتلمسوه حيث يقبع هاربا ويحملوه إلى الطليعة فى أول الصفوف ليقوم بدور « الشاعر على رغم أنفه »

**نواة الجيل الأول :**

خصت مجلة « المصور » الأدب بصفحة من صفحات عددها الخاص ( المجتمع المصرى ) كتبها الدكتور طه حسين بك تحت عنوان « بعض بيئاتنا الأدبية » ويعتبر هذا المقال – على وجازته – الفصل الأول فى تاريخ أدبنا الحديث . فهو يحدثنا عن نواة النهضة الأدبية التى نبتت فى مستهل القرن العشرين ، والتى اطرد نموها حتى أثمرت الأدب العربى الحديث الذى أصبح بعد أدبا من الآداب العالمية الكبرى

يحدثنا الدكتور طه عن البيئة الأدبية الأولى التى اتخذت لها مكاناً مختاراً فى الممر الضيق الذى يفصل بين إدارة الأزهر القديمة وبين الرواق العباسى فى مدخل الجامع الأزهر حيث كان يجلس جماعة من الأدباء الأزهريين يعرف الناس منهم فى هذا الجيل « محمود حسن الزناتى ، وأحمد حسن الزيات ، وطه حسين » كانوا يختلفون إلى ذلك الممر قبل أن يرتفع الضحى لينتظروا درس الأستاذ المرصفى فى الأدب ، وبعد صلاة العصر لانتظار درس الأستاذ الامام فى البلاغة وتفسير القرآن الكريم

يقول الدكتور : « وكانت هذه الجماعة تتحدث حين تلتق بما تسمع من الأستاذين – أحدهما أو كليهما – أحاديث الاعجاب والاكبار ، وبما تسمع من الأساتذة الآخرين فى الفقه والنحو والمنطق والأصول ، أحاديث السخرية والعبث ! ثم كانت تعلق على إقبال المقبلين وانصراف المنصرفين ، وعلى ما يكون بينهم من تفاوت فى الاشكال والأزياء والسمات ، تذهب فى هذا كله مذهب النقد أو مذهب العبث والتشنيع ، لا تحفل بشىء ولا تأبه لأحد ، ولا تتحرج من لفظ ! »

واتصلت هذه البيئة ببيئة أدبية جديدة من طراز آخر ، هى « الجريدة » التى كان يديرها أستاذ الجيل احمد لطفى السيد باشا الذى كان يحدثهم عن مونتسكيو ، وروسو ، وفولتير ، وجول سيمون . وكانت « الجريدة » ملتقى الشباب من الأزهر ومن المدارس العليا ، يزخر بهم مكتب مديرها معممين ومطربشين ، يقول الدكتور « وكذلك التقى الشباب الناشىء بعضهم ببعض فأخذت الأسوار تنهار بين العمائم والطرابيش ، والتقوا بالشباب الناضج والكهول والشيوخ من أعلام الحياة المصرية على اختلاف فروعها ، فأخذ دم جديد يدور فى جيل جديد من المصريين »

ويتقدم الزمن وتتعاقب السنون فتتخذ هذه البيئة الجديدة لنفسها نادياً آخر فى دار آل عبد الرازق التى أثرت فى الحياة العقلية المصرية أقوى أثر وأبقاه

ولا شك أن خريجى هذه البيئة فى مقدمة الذين قادوا الحركة الفكرية ووجهوا النهضة الأدبية فى صدر هذا القرن – لذلك رأينا أن نسجل هنا بعض ما تضمنه من حديثها مقالُ الدكتور طه حسين بك الذى أحسنت به « المصور » إلى المجتمع الأدبى فى عددها « المجتمع المصرى »

« العباس »

# تحية الامام

## للأستاذ أنور العطار

« ألقيت فى الحفلة الكبرى التى أقامها النجف احتفالا بالوفد الثقافى السورى فى آذار ( مارس ) ١٩٤٧ »

سلام على النجف الأطيب      سلام على ورده الأعذب

على مهده عالم الذكريات      ودنيا توقد كالكوكب

وكون كآذار جمُّ العبير      أنيق كنضوره الأهدب

تنشقْ ففى الترب مسك الخلود      تهادى ، وفى الجو عطر النبى

وُطف بالهدى والندى والعلاء      وبالحدث الطاهر الطيب

وسلم على العبقرى الهمام      على نبعة الخير من يعرب

وسلم على أرج الكائنات      وريحانة الشرق والمغرب

هنا الحسب السمح عم الفضاء      وأسنت به مقلة الغيهب

سرى العبق الطهر ينثنى الصرود      ويورق نديان فى السبسب

يموج من النور فى موكب      ويندى من الطيب فى موكب

يطوف على الناس مثل الصباح      إذا افتر عن مبسم أشنب

ويختال فى الكون مثل الربيع      يرن بفينانه المعشب

وعرج على موئل النعميات      على الأريحى النجيد الأبى

أخى الحزم والعزم والمكرمات      أخى النائل الأطول الأرحب

وهم بالبيان السنى الشهى      وأعذبْ بمنهله أعذب

وزد مورداً حافلا بالخلود      وما شئت من ممتع مطرب

* * *

على ! ويا سحر هذا النداء      وأعجبْ بروعته أعجب

تحن إليك القلوب اللهاف      حنين الصغار لصدر الأب

إذا أغطش الليل كنت الشعاع      وكنت رجاء الغد الأصعب

وكنت الحنان ورمز الندى      وكنت المعين على المنصب

ولم لا وأنت رفيق النبى      وأنت شذا الطهر من يثرب

وأنت قريش العلى والبطاح      وأنت مدى السؤل والمأرب

* * *

فيا ساكنى النجف المستحب      سلام القريب إلى الأقرب

سلام الشآم كشدو الهزار      على حافة الجدول المذهب

بنى الجود والخلق المستطاب      من الأفرخ الزغب والشيب

رفاق الكفاح رعاة الذمار      حماة المسالك والمشعب

صبغتم طريق البقاء الحبيب      بهذا الدم الثائر المغضب

فكنتم ضحايا النضال الطويل      مشيتم على حده المرهب

وطهرتم الوطن المستضام      من الصل ينفث والعقرب

نقمتم على الظلم والظالمين      وثرتم على الغاصب الأغلب

فيا ثورة النجف اليعربى      غضبت وحقك أن تغضبى

يسيل الفرات بها صاخباً      ونهر العلى إن يثر يصخب

ولولاك ما كان فجر الخلاص      ولم يجل عن دارنا الأجنبى

سأذكر ما عشت هذا الجهاد      وأفنى بملهمه الملهب

وأحيا لهذا الحمى نغمة      وقلبىَ إما يهِمْ يطرب

فيا طير هذا الغناء الرقيق      فإن شئت ترتيله فاندب

ويا جفن هذا سبيل البكاء      فإن رمت ترويحة فاسكب

ويا قلب هذا قريض الخلود      فاما استباك العلى فاكتب

ويا نفس من ورده فانهلى      ويا فكر من مائه فاشرب

* * *

شباب الحياة شباب الجهاد      يشق المتاعب بالمنكب

مضى يستهين بغلب الصعاب      ويدفع بالناب والمخلب

تدرع بالحزم يوم الهياج      وأزرى برهقه المتعب

وما الحق إلا الطماح الصراح      بغير الرجولة لم يطلب

إذا ما توانيت عنه استبيح      وإن تنف عن صونه يسلب

فشيد منار العلى بالدماء      وبالمثل الرائع المعجب

( دمشق )      **أنور العطار**




**أبو هريرة والصعيدي :**

كان الأستاذ عبد المتعال الصعيدي نشر - في العدد ٧١٥ من الرسالة الغراء - كلمة حول كتابنا « أبو هريرة » فأجبناه بما نشرته الرسالة - في عددها ٧١٨ - جنحنا في جوابه إلى الدعة لا نسأله عن شيء مما غالط به أو غلط فيه كالعصمة التي حمل بها حملته على غير روية ، فان العصـمة من الذنوب - التي تثبتها الأمامية للأنبياء وأوصـيائهم - شيء ، والعصمة من الجرح المسقط لعدالة المجروح - التي يثبتها أهل السـنة لكل صحابي شيء آخر

واليوم وافانا العدد ٧٢١ من الرسالة فإذا به - يعترف بالغلط في نسبة وضع الحديث إلى محمد العثماني المذكور فقال : والحقيقة أنه من وضع غيره لا من وضعه .

ثم ضعف سنده بما لا تتنزه عن مثله أسانيد كثير من الصحاح ، على أنه لم يستند في تضعيفه إلى أئمة الجرح والتعديل وإنما أرسل تضعيفه كسائر مرسلاته .

ونحن نستند في تصحيحه إلى أمامين مسلمي الامامة في الجرح والتعديل عند أهل السنة ، حجتين عندهم في السنن لا يدافعان ، الحاكم في المستدرك ، والذهبي في تلخيصه ( ص ٤٨ من الجزء الرابع ) .

والأسـتاذ لا يجهل دأب الذهبي في تعقب الحاكم وافراطه بتضعيف كثير من صحاح المستدرك واسقاط بعضها بأقل شبهة ، لـكنه مع ذلك لم يتعقبه في هذا الحديث بل صرح بصحته عن أبي هريرة . فقال : صحيح منكر المتن فإن رقية ماتت وقت بدر وأبو هريرة أسلم وقت خيبر ا هـ .

وما كان الذهبي ولا الحاكم مع حسن ظنهما بأبي هريرة ليثبتا عنه هذا الباطل لو وجدا إلى حمله على غيره سبيلا ، لكنها الأمانة لا يحمل وزرها الا من ( كان ظلوماً جهولا ) .

وقد حاول الحاكم صرف الباطل عن أبي هريرة - كما جاء في كلمة الأستاذ - لـكنه لم يفلح .

نقل الأستاذ أن كلا من الامام السيوطي والشيخ الخولي وصاحب المنار والشيخ الجزائري طعنوا في بعض أحاديث المسـتدرك ونحن نقول : انهم طعنوا في البعض من حديثه ، لـكنهم لم يذكروا هذا الحديث بسوء ، ولو كان ضعيفاً لنبهوا إلى ضعفه ، ولو كان من الأحاديث الموضوعة لنظمه السيوطي وغيره في سلك الموضوعات ، ما علمنا أحدا من أئمة الحديث فعل ذلك .

أما ما نقله الأستاذ عن الفاضل الججموني - من انقطاع الحديث لأن المطلب بن عبد الله لا يعرف له سماع عن أبي هريرة - ففيه نظر ، وقد قيل ان الذي لم يدرك أبا هريرة انما هو المطلب ابن عبد الله بن المطلب بن حنطب ، وراوي الحـديث إنما هو المطلب بن عبد الله بن حنطب ، فهما - على الأصح - اثنان يروي الأول منهما عن أنس وجابر وابن عمر وعائشـة وأبي هريرة ، وروى عنه الأوزاعي وعمرو بن أبي عمر ، وقد وثقه أبو زرعة والدارقطني وحديثه ثابت في السنن الأربعة وغيرها .

وهب أنا صرفنا النظر عن هذا الحديث ولوازمه الباطلة فما رأى الأستاذ وسائر المنصفين فيما يلزم أبا هريرة من أحاديثه الثابتة عنه في الصحيحين ؟ وحسبهم منها ما اشـتمل عليه كتابنا « أبو هريرة » في جميع فصوله فليمعن به الأسـتاذ ، وليدع توجيهه الجديد جانباً وليسـلك جادة العلماء المنصفين ( الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ) والذي دعانا إلى هذا إنما هو الذود عن السنة المقدسة والغيرة على الإسلام والمسلمين بتمحيص الحق المتصل بحياتنا العلمية والعقلية اتصالا مباشراً ، ان أريد إلا الاصلاح ما استطعت

صور - لبنان عبد الحسين شرف الدين

**إلى الأستاذ على الطنطاوي :**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فإنني من المعجبين بك وبما تـكتبه ، وبهذا الأسلوب السهل السلس الذي يجري من النفس مجرى الطبع والذوق السليم . هـــذا أما من حيث

مناقشتك للآراء فهى مناقشة القاضى العدل الذى ينظر إلى كل شىء فاحصاً مدققاً ثم يناقش على أساس راسخ وعلم غزير .

وإن حميتك العربية وفضائل الإسلام التى تتدفق فى عروقك والخير الذى ترجوه للمجتمع الإسلامى من الاتحاد هو الذى دفعك لنقد هـذا الكتاب ( فى مقالة بالعدد ٧٣٢ بعنوان إلى علماء الشيعة ) بالرغم من أن هـذا الكتاب هو طبعة ثانية لكتاب صدر منذ ستة عشر عاماً . فإن مجرد وجوده دون هـذا التعليق كان دليلا على أن النزاع سيظل قائماً والجدل سوف لا ينتهى إلى حد . ولهـذا فقد أحسنت يا سيدى صنعاً . وإن حرصك يا سيدى على الوحدة والتئام شمل المسلمين فى هذا الظرف العصيب لما هو جدير بالتقدير ولكن قل من يعرف المواقف وما تقتضيه فى هذا الزمن .

وإن رغبتك يا سيدى فى نبذ الجدل بين السنيين والشيعيين لما يقتضيه الموقف فى هذه الظروف الحاضرة ، ولكن هنالك فى التاريخ الإسلامى سابقة هى أن العالم الإسلامى اتحد فى ظرف عصيب على يد شخصية بارزة ألا وهو البطل صلاح الدين الأيوبى — طيب الله ثراه — اجتمع العالم الإسلامى كله من سنيين وشيعيين لمواجهة خطر داهم ، ألا وهو الخطر الصليبى . وهذا الخطر يهدد الأمم العربية اليوم ولكن بصورة أخرى . فالقوى الاستعمارية تريد أن تكيف العالم كما تريد . وتريد أن تجعل فلسطين العربية طعما خالصاً لليهود ! لا لشىء سوى أن الدول الكبرى تريد أن تهىء لليهود وطناً فى أرض مقدسة ليست لليهود وحدهم وتأبى أن تستقل فلسطين العربية دماً ولحماً .

لقد أحسنت يا مولاى بقرع جرس الخطر وبالنداء للوحدة والتكتل . فعسى أن يفيق القوم من سباتهم العميق ويهبوا ليحملوا السلاح للدفاع عن فلسطين وليستعيدوا مجدهم التالد الخالد .

ويا حبذا لو ذكر لنا أستاذنا العلامة المحقق أحمد رمزى بك طرفاً من حياة صلاح الدين وتوحيده شمل العالم الإسلامى ومقاومته للصليبيين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

شلبى أحمد عبد القادر
كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

**كلمة صغيرة :**

كان بودى أن تكون كلمتى فى الرد على الأستاذ طاهر الجبلاوى هى الأخيرة . لولا شبهة صغيرة أتى بها فى رده الأخير، رأيت أن أوضحها إظهاراً للحق - فقد أراد الأستاذ أن يثبت صحة ترجمته Consciousness of soul بالوعى الروحى بأن الوعى هنا بمعنى الضمير استشهاداً بالآية الكريمة «والله أعلم بما يوعون» أى يضمرون ... وليسمح لى الأستاذ أن أقدم أمامه هاتين الحقيقتين الواضحتين :

١ - الوعى ليس مصدر « يوعى » أى يضمر بل هو مصدر «وعى» وهو فى الأساليب الحديثة يأتى بمعنى الانتباه مثل الوعى القومى - ولا يأتى بمعنى الضمير ، وفى ذلك مراعاة لمعناه الأصيل فى اللغة العربية

٢ — ليس فى الفصل كله جملة واحدة تؤيد رأى الأستاذ فى أن الروح يجب أن يدرك ضميرها الأشياء ، والفصل كله يؤيد رأيى فى أن الخطوة الأولى لمعرفة الحقائق هى معرفة الروح ، فليتفضل الأستاذ بمراجعته مرة ثانية قبل أن يتهمنى بالتزييف والتحريف ! ! .

وقد ختم الأستاذ كلمته باتهام مبهم لوح فيه بأخطاء فى ترجمتى لسادها نا غير موجودة ، وهذا الكلام المبهم مما لا يرد عليه ؛ لأنه يحتاج إلى دليل يؤيده .

هذه كلمة صغيرة فى هـذا الموضوع . وأؤمل أن تكون الأخيرة .

أسيوط محمد محمد على

**الى أصدقاء أحمد محرم :**

المرجو من أصدقاء ومقدرى فضل شاعر العربية المغفور له أحمد محرم أن يرسلوا مشكورين ما قد يكون فى حوزتهم من آثاره الأدبية ( شعراً ونثراً ) — ما نشر منها بالمجلات والجرائد وما لم ينشر إلى الأستاذ محمود أحمد محرم بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول .




# الاختيار الذي كسر قلبي

معربة عن الانجليزية

بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى

تتمة ما نشر فى العدد الماضى

وفى الحق كان هذا الخطاب أول ماشعرت به من عوامل الارتياح منذ أشهر طوال . فلقد أخبرته فيه بما يحيط مركزى من حرج يدعو إلى اليأس . خبرته بمبلغ حبى ابنتى حباً يحول بينى وبين اللحاق به ولكننى اعترفت له بأننى كنت شديدة الحماقة فى تصرفى الذى أدى بعد الواحد منا عن الآخر ، وقلت إننى أود على الأقل أن أتعزى فى شقائى بمعرفتى أحواله ولقد كنت أعلم على كل حال أنه قد انتظرنى وأنه لم يستبدل بى أحدا . وطلبت منه أن يبعث برده على خطابى إلى شباك البريد .

قضيت أسبوعين فى عذاب متواصل تتناوبنى على التوالى عوامل الخوف والشعور بالجريمة واليأس والأمل ، إذ كنت أذهب كل يوم إلى دار البريد لأسأل سؤالى المألوف : « هل جاءتنى خطابات » ؟ وأتلقى الجواب المألوف أيضاً : « لا ، يا سيدتى »

وأخيراً جاء الرد ، فكان أشبه بالمعجزة أن أقرأ العنوان وكلمات « تيد » مكتوبة بخطه الذى ألفته زماناً طويلا فكان من أعز الأشياء على نفسى . وكأنما كانت تلك الكلمات صوتاً خارجاً من القبر وقد استهلها بقوله « عزيزة نفسى » وقد قال لى فى ذلك الخطاب إن شيئاً واحداً كان ثابتاً فى حياته التى اكتنفها الاضطراب ، وأنه كان متنقلا من مكان إلى مكان وكان خطابى يتبعه حيثما ذهب . وأنه قد عاد الآن إلى لندن ، وسيغادرها بعد قليل ليبحر مرة أخرى إلى الشرق الأقصى . وقد رجانى أن أذهب إليـه ، وأن لا أكلف نفسى أكثر من حمل طفلتى معى .

وتبادلنا المراسلات شهراً كاملا محاولين أن نصل إلى حل لمشكلتنا . وقد خيل إلى أننى بمشورى عليه مرة أخرى أستطيع أن أتحمل حظى فى الحياة . ولكننى لم ألبث أن أدركت أن هذا الوضع الذى أريد وضع الأمور فيه غير عادل ولا مقبول ، فهناك فى لندن يقيم الرجل الذى أشتاق لقاءه وهو ينتظرنى ويرجونى أن أذهب إليه . فلم أضيع الحياة الوحيدة الصالحة لى احتفاظاً بعقد زواج مجرد من الحب ؟

ومع ذلك لم أكن لأستطيع التفكير فى هجر ابنتى « سو » وكنت أعلم أننى إذا حاولت أخذها من « رونى » فإنه يقدم على كل مستحيل للحيلولة دون ذلك .

وهناك إلى جانب ذلك شعورى الشخصى بروح العدل والإنصاف لا يسمح لى بأن آخذ منه الشيء الوحيد الذى يعيش من أجله فى هذا العالم وما كانت القسوة لتبلغ بى إلى حد أن آخذ « تيد » ولا أترك « لرونى » شيئاً . كذلك لم أكن لأسمح لنفسى بأن أعرض « سو » للحياة فى مركز حربى ببلاد نائية ، حتى لو استطعت أن أخرج بها من هذه البلاد .

احتفظت بخطابات « تيد » وكنت أكرر قراءتها المرة بعد الأخرى باحثة عن حل لهذا الإشكال ، وكنت فى كل يوم أعتزم أن أحرق هذه الخطابات ، ولكنها كانت جميلة جداً ، وكان حرقها فى نظرى أشبه بالتخلص من الحب الذى كنت متعطشة إليه ، بعد أن أصبح بين يدى . فكان احتفاظى بهذه الخطابات هو الغلطة الكبيرة الثالثة التى ارتكبتها . فقد كنت أدرك جيداً الخطر من وجودها عنـدى ، وكنت فى خوف دائم من أن يعثر « رونى » عليها ولو أنها كانت محفوظة فى صندوق القفل .

وفى يوم من الأيام انحنيت فوق الصندوق أبحث عن شىء من القصاصات لأجمل منها ملابس لعرائس « سو » وكانت « سو » إلى جانبى فالت إلى نصفها داخل الصندوق وقالت بلهجة الطفولة المذبة « ورق » .

ولم تسترع هذه الكلمة نظرى بادى الأمر ، ولكن بعد بضع دقائق كانت « سو » جالسـة على الأرض تعبث ببعض الأوراق عند ما دخل رونى الغرفة .

فأغلقت الصـندوق مسرعة وقد دق قلبي دقاته العنيفة وهو يقول :

— لقد عدت لأخبرك أنني لن أحضر الغداء اليوم هنا .

ثم حمل « سو » بين يديه وقبلها ، وهو يقول :

— كيف حال ابنتي الصغيرة . أترسمين ؟ ألا فدعي أباك يرى ما عملت »

وعلى حين فجاة وفي ثورة جنونية عرفت ما كان في يدها ، فصحت في حماقة بالغة :

— لا . . أريد أن أقول . . إنها لا شيء . . هاتها لي »

فنظر روني إلى نظرة غريبة .. ثم أنزل « سو » إلى الأرض فاستمرت ترقص وهي متعلقة بساقيه ، ونظر إلى الخطاب الذي أخذه من ابنته ، فحاولت أن أختطفه من يده ولكنه أمسك بيدي ورفع يدي على رأسي ، وكان لون وجهينا قد استحال إلى صفرة الموت وثقل تنفسنا ، وقال في إيجاز :

— لقد اشتبهت في شيء من هذا القبيل منذ عهد بعيد ثم ترك يدي وبدأ يقرأ الخطاب ، فانحنيت على الصندوق وخبأت وجهي بكفي واندفعت في بكاء عنيف ، علماً بأن ما وجدت كان الخاتمة والبداية . فقد كان علمه بما بيني وبين « تيد » عذاباً لي وراحة في وقت واحد . فمعناه مواجهة الحقيقة ثم الاستقرار على أمر

ثم قال وقد تجهم وجهه وتقلصت شفتاه واشتعلت عيناه بنار الجرح الذي أصابه :

— حسناً ، ولعل الخير في أن تذهبي ، ألا ترين ذلك ؟

فضممت « سو » بين ساعدي وضغطت جسمها الصغير الدافئ إلى صدري ، وقلت في لهجة منقطعة بالتنهد :

— لا أستطيع أن أتركها وأبتعد عنها .

فعانقتني الطفلة وهي تقول بلهجة الطفولة المرحة :

— لا تبكي يا أمي .. لا تبكي .. وانظري «سو» فهي تحبك لا تبكي ...

فانتزع روني الطفلة مني وقال في لهجة مخيفة :

— لا بد من أن تفارقيها ، فإنك لن تأخذيها معك ولن تبقى هنا معها ... إذهبي إليه إن كنت تمنين به فوق ما تمنين بأهلك ! إنك تحبينه ، فلن تبقى هنا تخادعينني !

فقلت متوسلة :

— أرجوك يا روني ... أرجوك أن تفهم !

فأجاب في ثبات :

— إني فاهم ... لقد كنت تحبينه دائماً ... ولم تحبيني قط !

فاذهبي إليه ... ولكنك لن تأخذي « سو » أبداً .

فقلت باكية : إن لي فيها النصف . فقال :

— إنها لن تعرف لها أباً غيري ... وسأقف معك أمام أية محكمة في البلاد يا « بام » وسأبرهن على أنك أم غير صالحة لكفالة ابنتك . وسأعمل الآن كل شيء لإبعادها عنك .

فتدلت شفة « سو » السفلى واضطربت وانحدرت الدموع على وجنتيها الصغيرتين . فأمسك روني بها ولكنها مدت إلى يديها الصغيرتين وهي تبكي وتقول :

— لا تبكي يا أمي ... أرجوك لا تبكي ...

وإني لأستيقظ في بعض الليالي فأتخيلها أمامي وأسمع كلماتها الأخيرة لي : « لا تبكي يا أمي ! » ولعل هذا هو السبب الذي لا يعينني على البكاء .

حمل « روني » ابنته إلى الغرفة الثانية ، وسمعته يكلمها في رقة وهو يلفها في معطفها المصنوع من الصوف الأحمر ويلبسها قبعتها الجميلة ويداعبها ويسألها هل تحبه وتحب الخروج معه .

ثم سمعتها تتحدث فرحة مبتهجة ... والحق أنهما سيعيشان معاً عيشة سعيدة ، فلقد كان أباً صالحاً جداً وكانت الطفلة تحبه حباً مفرطاً .. فهما يستطيعان أن يعيشا من غيري .

ووضع « روني » « سو » في الردهة ثم عاد فوقف بباب غرفتي وقال :

— سأعطيك ورقة طلاقك ولكني سآخذ « سو » مني اليوم . فاسحبي من البنك أي مبلغ من المال شئت ، وخذي أي شيء آخر تريدينه .

أي شيء آخر أريده ؟ وأي شيء يمكن أن أريده غير ابنتي ؟ فشعرت بأن قلبي قد جمد في صدري وقلت باكية :

— ألا تريد حتى أن أبقى هنا !

ولقد كنت حتى تلك اللحظة مستعدة للبقاء معه إذا هو قبل ذلك . فهز رأسه وقال :

لم يعد ذلك الآن بممكن ، فمن الخير « لسو » أن تعيش بعيدة عن أم لا تستطيع حتى أن تخلص لزوجها .

وسمعت صوت خطاهما وهما يجتازان الردهة ، ثم سمعت صوت إغلاق الباب وصوت تحرك السيارة ، ثم وثبت إلى النافذة كمن أصيب بفاجعة مفاجئة وأزحت الستار ، فرأيت وجه ابنتي الصغير ملتصقاً بالزجاج الخلفي وقد تفرطح أنفها وهي ترسل لي بيدها قبلة

فى الهواء قبل أن يبتعدا عن نظرى .

فاستولى الخبل على نفسى وأسرعت إلى آلة التليفون وطلبت لندن ثم بدأت أعد حقائبى ، وكان كل ما أخذته مما يتصل بابنتى التى لا أحب شيئاً فى الوجود حبى لهـا حذاء من أحذيتها الصغيرة وصورتها الفوتوغرافية ... وتركت صورتى الفوتوغرافيـة وقائمة مشوشة بما يلزمها من طعام ، وحمام ، ودواء إذا أصابها برد .

وكتبت فى آخر القائمة بخط مضطرب : « وغطّيها فى الليل »

وكان من عادة الطفلة أن تتقلب ليـلا فيجىء رأسها مكان رجليها وتنفض الغطاء عن جسمها ، وكان نوم « رونى » عميقاً ، فليساعده الله فى أن يعمل لها كل ما كنت أعمله أنا .

ودق جرس التليفون دقاً شديداً وأخيراً سمعت صوت « تيد » المحبوب الذى كدت أنساه ، فلمـا سمع بأننى قد أصبحت آخر الأمر له ابتهج وصاح .

— لا تشحنى شيئاً فى القطار ، إنك ستركبين الطائرة ياحبيبتى ؟ وسأرسل لك المـال اللازم بالتلغراف ... آه ... يا بام ... سأعد الدقائق عداً ! .

فلأسرع ... نعم فلأسرع ... بمغادرة البيت ولأنهب الطرقات فى إحدى سيارات الأجرة . . ولأمض لا أتلفت ورائى إلى لعب ابنتى المبعثرة فى أرض الغرفة . .

ولأنظر إلى الأمام . . إلى تيـد ! . . تيد : الذى يستطيع حبه أن يعيدنى « الفتاة » التى كنت من قبل . . جميلة محبوبة ! آه . . ياتيد . . تيد . . إنك ستنسينى كل هـذه السنوات . . . ستنسينيها نسياناً تاماً فلا يصحبنى شىء منها ! .

ولقد حاول « تيد » فعـلا أن ينسينى أيام المتاعب . ومن حسن الحظ أننا أبحرنا فى الحال ، فالبحر ، والبلاد الجديدة وليالى شهر العسل فى المناطق الاستوائية كل ذلك كان حلماً ساحراً . وشفاهه العاطشـة وساعداه القويتان الضاغطان ، واجتماعنا معاً ناسين العالم كله ، وهو يرينى هـذه الأراضى الجديدة التى يقيم فيها . . هذه هى السعادة ، هذه هى الجنة . .

ولكن الطلاق من «رونى» والزواج فى اطمئنان من الرجل الذى أحببته ... لم يكن كله ليمحو عن رأسى ذكرى هاتين السـنتين اللتين عشتهما أما لطفلة صغيرة ... لا أدرى أين هى الآن ومع من هى ، وماذا هى فاعلة ؟ وهل لا تزال تصلى الصلاة التى علمتها ؟ وهل أوصيت فى القائمة التى تركتها بأن تستحم مرتين فى اليوم ؟ ومن الذى يتولى أمر استحمامها بينما يـكون « رونى » فى عمله بعيداً عن البيت ؟ أهى خادمة ؟ إن قلبى ليرتجف رعباً عندما أتصور إحدى الخادمات تزجر ابنتى فى خشونة وعنف . . .

والآن تكاد « سو » تبلغ السنة الثالثة من عمرها . . أو هى تقرب من السنة الرابعة . . . ومن الذى يغطيها فى الليل ؟

وغالباً ما أستيقظ فى الليل على حين فجأة وقد خيل إلى أننى سمعت تنفسها المرتجف الذى يدلنى على أنها تشعر بقسوة البرد .

ومازلت أتوهم مثل هذه الأوهام ، وإن كانت ابنتى قد أشرفت الآن على السنة السادسة من عمرها .. فهى على أهبة الذهاب إلى المدرســـة .. على أن « تيد » الذى كان يشعر باضطراب نفسى ، لم يكن ليبتعد عنى كثيراً فهو دائماً إلى جانبى يحاول أن يواسينى ويهدىء من روعى .. وعلى الرغم من أننى من أجله أحاول أن أنسى ، فإننى لا أستطيع النسيان ولا تزال سعادتنا يظللها شبح آلامى وعذاب نفسى .

ليس فى الوجود شىء كامل . وليس فيهـــا شىء كاف لإقناع النفس . فكما كنت من قبل أشتاق إلى « تيد » أنا الآن أشتاق إلى « سو » ، وكما كان رأسى يداعبه الأمل فى أن أجتمع « بتيد » ها هو ذا رأسى اليوم يداعبه الأمل فى أن أجتمع يوما بابنتى ... وحيثما ذهبنا ، وبخاصة الآن بعد أن عدنا إلى انجلترا ، تصفحت وجوه الأطفال ، أبحث عن طفلة براقة العينين ، راقصة الساقين ، يداعب الهواء حلقات شعرها الجميل . وقد تكون فى مكان يبعد أميالا عديدة عن مقامى ، وقد تكون على مقربة منى تمر بى فى الطريق .

لقد كتب علىّ أن لا أعرف شيئاً من أمرها ، ولعلى لن أعرف منه شـيئاً أبداً ... وكل ما أستطيع أن أفعله هو أن أصلى من أجلها وأن أدعو الله « أن يحفظها ... وأن يغطيها فى الليل »

**عبد الحميد حمدى**



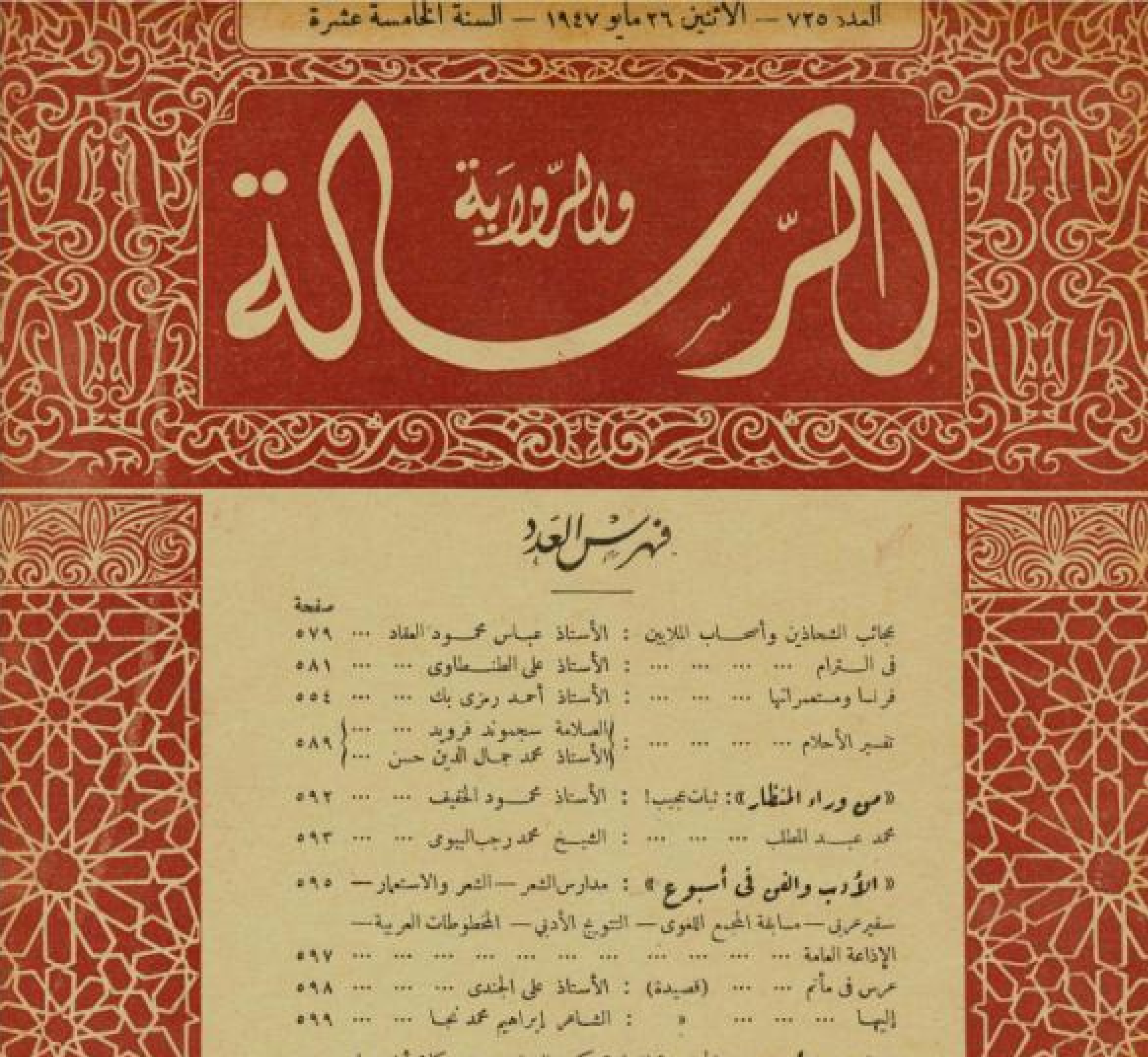
# سكك حديد الحكومة المصرية

## خط مصر – بلبيس – الزقازيق – المنصورة

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه إبتداء من ١٠ مايو سنة ١٩٤٧ امتد مسير قطار الركاب رقم ٢٨٢ (الذى يغادر المنصورة فى الساعة ٣٠ ٨ إلى الزقازيق) بين الزقازيق والقاهرة فيصلها فى الساعة ٢٥ ١٤ ويغادر القاهرة قطار علاوة برقم ٢٧١ فى الساعة ٤٥ ١٩ إلى الزقازيق فيصلها فى الساعة ٠٥ ٢٢ وفقاً للمواعيد المبينة بالاعلان المعروض بالمحطات .

مطبعة الرسالة

العدد ٧٢٥ — الاثنين ٢٦ مايو ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة




## فهرس العدد


صفحة

عجائب الشحاذين وأصحاب الملايين : الأستاذ عباس محمود العقاد ... ٥٧٩

في الـغرام ... ... ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ... ٥٨١

فرنسا ومستعمراتها ... ... ... : الأستاذ أحمد رمزى بك ... ... ٥٥٤

تفسير الأحلام ... ... ... ... : العلامة سجموند فرويد ... ... / الأستاذ محمد جمال الدين حسن ... ٥٨٩

« من وراء المنظار » : ثبات عجيب ! : الأستاذ محمود الخفيف ... ... ٥٩٢

محمد عبد المطلب ... ... ... : الشيخ محمد رجب البيومى ... ... ٥٩٣

« الأدب والفن في أسبوع » : مدارس الشعر — الشعر والاستعمار — سفير عربي — مسابقة المجمع اللغوى — التتويج الأدبي — المخطوطات العربية — الإذاعة العامة ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٥٩٧ / ٥٩٥

عرس في مأتم ... ... (قصيدة) : الأستاذ على الجندى ... ... ... ٥٩٨

إليها ... ... ... « : الشاعر إبراهيم محمد نجا ... ... ٥٩٩

« البريد الأدبي » : الجمهورية اللبنانية تكرم النشاشيبي — كلمة أخيرة في أبي هريرة — إلى الأستاذ على الطنطاوى — في العروض — منذئذ — خطأ عروضي شائع ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٦٠١ / ٦٠٠

« الكتب » : « الحجاج في الميزان » : تأليف الأستاذ عبد الحميد الشيمى ... ٦٠٢
بقلم الأستاذ على الطنطاوى — « معرض الأدب والتاريخ الإسلامى » : تأليف الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ... بقلم الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى — « نظرة العجلان في أغراض القرآن » : تأليف الأستاذ محمد كمال الخطيب المحامى ، « ألغاز الحياة والموت » : ترجمة الأستاذ على عبد الجليل راضى ... بقلم الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ... ... ... ... ... ٦٠٣

المترو ... ... (قصة) : للقصصى النمساوى أيرفين ريجر ٦٠٤


مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون





العدد ٧٢٥ — الاثنين ٢٦ مايو ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة


## فهرس العدد


صفحة

عجائب الشحاذين وأصحاب الملايين : الأستاذ عباس محمود العقاد ... ٥٧٩

فى الترام ... ... ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ... ٥٨١

فرنسا ومستعمراتها ... ... ... : الأستاذ أحمد رمزى بك ... ... ٥٥٤

تفسير الأحلام ... ... ... ... : العلامة سجموند فرويد ... ... / الأستاذ محمد جمال الدين حسن ... ٥٨٩

«من وراء المنظار» : ثبات عجيب! : الأستاذ محمود الخفيف ... ... ٥٩٢

محمد عبد المطلب ... ... ... : الشيخ محمد رجب البيومى ... ... ٥٩٣

« الأدب والفن فى أسبوع » : مدارس الشعر — الشعر والاستعمار — سفير عربى — مسابقة المجمع اللغوى — التتويج الأدبي — المخطوطات العربية — الإذاعة العامة ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٥٩٧ ٥٩٥

عرس فى مأتم ... ... (قصيدة) : الأستاذ على الجندى ... ... ... ٥٩٨

إليها ... ... ... « : الشاعر إبراهيم محمد نجا ... ... ٥٩٩

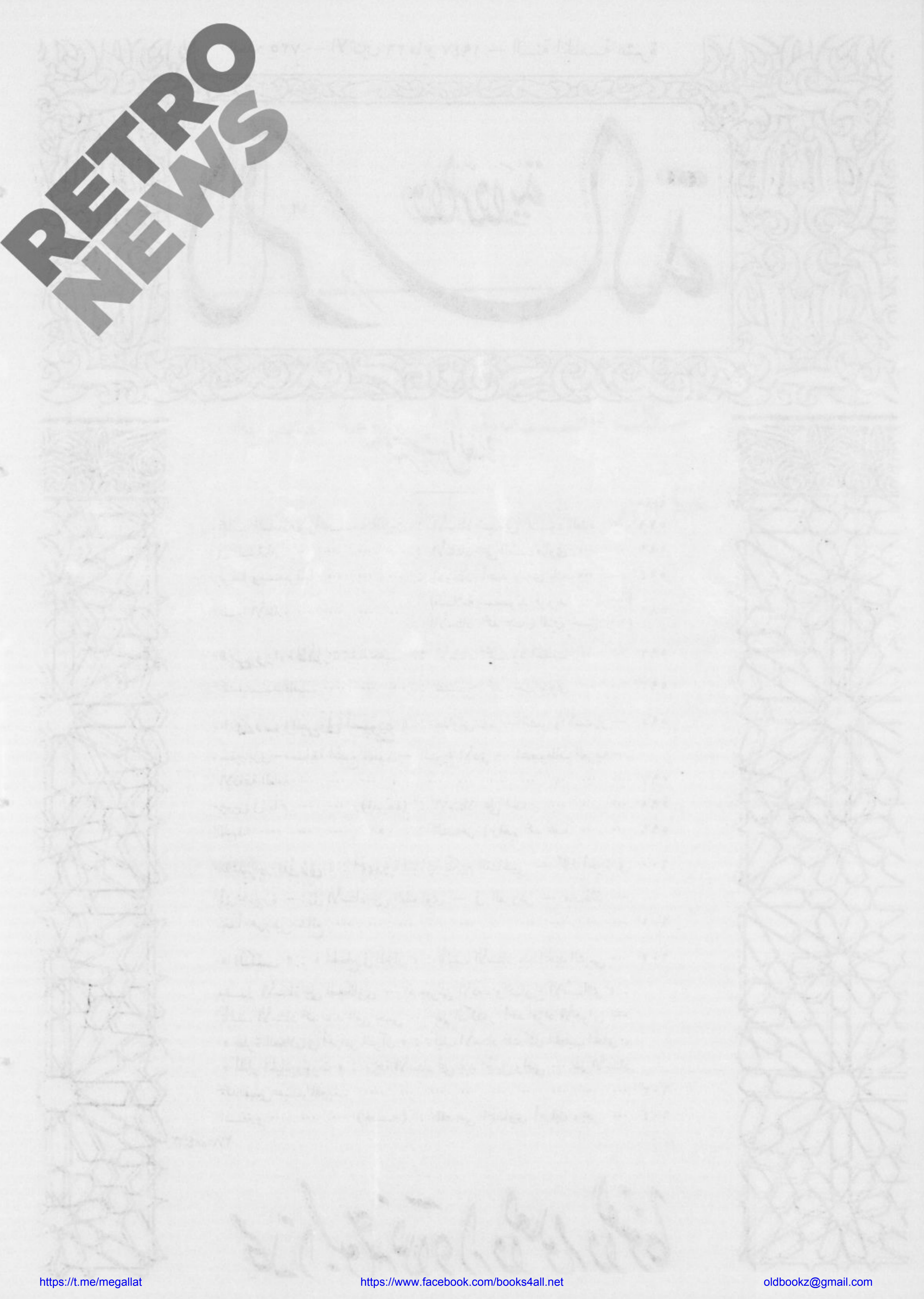
« البريد الأدبى » : الجمهورية اللبنانية تكرم النشاشيبى — كلمة أخيرة فى أبى هريرة — إلى الأستاذ على الطنطاوى — فى العروض — منذ ثم — خطأ عروضى شائع ... ... ... ... ... ... ... ... ٦٠٠ ٦٠١

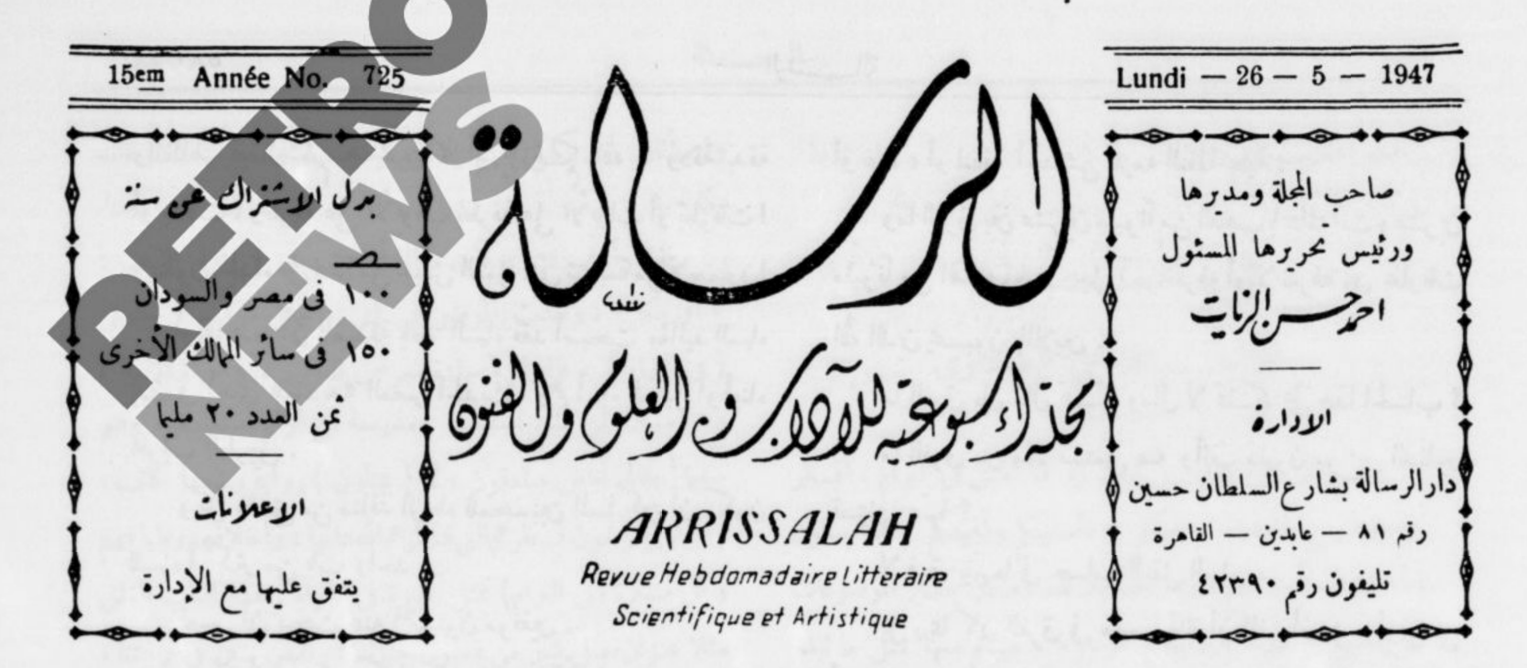
« الكتب » : « الحجاج فى الميزان » : تأليف الأستاذ عبد المجيد الشيمى ... بقلم الأستاذ على الطنطاوى — « معرض الأدب والتاريخ الإسلامى » : تأليف الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ... بقلم الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى — « نظرة العجلان فى أغراض القرآن » : تأليف الأستاذ محمد كمال الخطيب المحامى ، « ألغاز الحياة والموت » : ترجمة الأستاذ على عبد الجليل راضي ... بقلم الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ... ... ... ... ... ... ... ... ٦٠٢ ٦٠٣

المترو ... ... ... (قصة) : للقصصى النمساوى أيرفين ريجر ... ٦٠٤


٢٨٥٤٢

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون






العــــدد ٧٢٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٦ رجب سنة ١٣٦٦ — ٢٦ مايو سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة




# عجائب الشـــحاذين
## وأصحاب الملايين !

للأستاذ عباس محمود العقاد

هذه العجائب وتلك — كلتاهما من عجائب أميركا .

وهى بلاد العجائب بغير حدود من السكان ولا من طبقات السكان ؛ فإنها لتجود بالعجائب فى الشمال وفى الوسـط وفى الجنوب ، وإنها لتجود بها على أيدى « المتسولين » كما تجود بها على أيدى أصحاب الملايين .

وأعجب العجائب حقاً ما جاء من الوسط على رواية بعض الأنباء البرقية . ولا عجب ... فإنك لتستطيع أن تقول « أعجب العجائب الوسط » كما تقول خير الأمور الوسط . فلا تعدو الصواب .

وبلاد المكسيك هى البلاد الوسطى بين الشمال والجنوب فى القارتين الأمريكيتين .

وعجيبتها المروية هى عجيبة الشحاذين ، وهى أعجب ما سمعناه من بلاد العجائب فى هذه الأيام .

روى عن صحيفة « اليونفرسال جرافيكو » المكسيكية أن الشحاذين فى عاصمة المكسيك قد اتفقوا على الحد الأدنى الذى ينبغى أن يقبلوه ليكون لهم عمل مجد على قدر المستطاع . وقرروا أن يرفضوا نصف المليم ولا يمدوا أيديهم إلى مادون خمسة مليمات ، وعليهم أن يرفضوا الصدقة إذا نقصت عن القيمة المقررة على الوجه الذى يرونه بالغاً فى التأنيب والملامة . حسبما يقتضيه الموقف أو يقتضيه الحال » .

هذا هو الخبر العجيب !

وهو ولا شك من « علامات الزمن » كما يقولون . لأننا فى زمن الإدعاء والطلب بالحق وبالباطل : كلٌّ يزعم له حقاً وكل يطالب بحق ، حتى من لا عمل له ولا معول له على نفسه . وما من أحد قط يذكر الواجب عليه أو ينظر إلى حقوق الآخرين .

وقد كانت مصر تدعى من قديم الزمن ببلاد العجائب ، أو تدعى على الأصح ببلاد المفارقات .

وكان أهل مصر يقولون على سبيل الإغراب فى الدلالة على التبجح والصفاقة : « حسنة وأنا سيدك ! » ويخيل إليهم أنها غاية الغايات فى الإدعاء وقلة الحياء . ولكنه عصر غابر وعجائب تاريخية وأزمنة متأخرة ... وما هى فى حساب بلاد العجائب على الطراز الحديث إلا من وقائع الصحافة وأخبار كل يوم !

ترى ماذا يكون لو قوبلت هذه « الحقوق » بالرفض والإهمال من فريق « المغتصبين » ؟

أيضرب أصحاب الحقوق ؟

لو فعلوا لكان خطراً جسيما على المحسنين . لأنهم يبحثون عن أبواب السماء فلا يجدونها ، ويدورون على أبواب الوجاهة

والمظاهر فيقال لهم « يحنن » أو يرزقكم الله . ودقة بدقة أو بدقات ، وطرقة على الأبواب بطرقة على الأبواب أو بطرقات ! ويكون الجزاء على هذا من جنس العمل ، فى شريعة من لا يعملون!

وإذا صح أن الصدقة باب السماء فقد أصبحت مقاليد السماء إذن فى أيدى «سدنة» العصر الحديث ، وهم أبناء السبيل أو أبناء محراب الطريق .

وكل ما بقى من منافذ الرجاء للمحسنين المساكين أن يكون للسماء أكثر من باب واحد .

فعسى أن يبحث عنه المحسنون موفقين .

وعسى ألا يسبقهم كهان السبيل على الأبواب .

ومتى أصبحت « الشحاذة » على هذا المنوال فلسوف يصبح كل محسن فى العصر الحديث على غرار ذلك المحسن الوحيد الذى قال فيه الشاعر العربى :

تراه إذا ما جئتـــه متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله!

***

تلك هى أعجوبة الشحاذين .

أما أعجوبة أصحاب الملايين فمن محاصيل الشمال فى تلك البلاد التى فاضت بجميع أنواع المحاصيل .

وأما بطلها العجيب فهو رجل يدعى « البرت لايت » باع مصانعه وقصوره وسياراته وقبع هو وزوجته فى خمس حجرات مزرية فى أقليم فلادلفيا ... وقال لمن سألوه : ولم اكتفيت بهذه الحجرات الخمس وهى من مساكن أصحاب الكفاف ؟

فقال : إنها جهد ما تستطيع الزوجة العاملة أن تتولاه بالخدمة والرعاية ، وهى مع ذلك كافية للمأواه ومأوى ذويه الأقربين .

لو كان هذا الرجل فى الشرق لحجروا عليه ، واتهموه بالجنون المطبق ولم يكن قصاراه من التهمة أنه مخلوق عجيب .

على أنه فى الحق عجيب بين الناس لأنه نادر المثال بينهم ، لا لأنه غير مفهوم أو لأنه منحرف عن منهاج العقل السليم .

فالعقل كل العقل ما صنع وحده .

والعجب كل العجب ما يصنعه جميع الناس فى كل مكان .

لأن الناس لا يعجبون لرجل يودع عشرين مليوناً من الذهب فى مصرف من المصارف ولا يحتاج إلى درهم منها لنفقة يومه أو غده ، أو لنفقة أحد ممن تلزمه النفقة عليه .

وما الفرق بين عشرين مليوناً من الذهب باسمك أنت وعشرين مليوناً من الذهب باسم رجل آخر تعرفه أو لا تعرفه بين مخلوقات الله الذين يحسبون بالملايين .

ما الفرق بين مال تملكه ومال لا تملكه على هذا الحساب ؟

ما الفرق بين مليم تستغنى عنه وألف مليون من الدنانير تستغنى عنها ؟

لا فرق بينهما فى حساب العقل السليم .

بل ربما كان الفرق فى هذه الحالة أن المليم أفضل وأوفر من ألف المليون .

لأن هم المليم فى التفكير والحساب أهون من هم الألوف والمئات والعشرات .

وكل ما هنالك أنه تنافس على الهباء أو بطر ومزاح فى تلفيق المخاوف والأخطار .

تنافس على الهباء ليقال إن صاحب الألف أغنى من صاحب المائة أو العشرة .

وبطر أو مزاح فى تلفيق المخاوف والأخطار ، لأنك تضحك من تلك المخاوف والأخطار لو لم تكن قادراً على توهم الحاجة واختلاقها من العدم ، وأنت لا تخلقها من العدم لو استغنيت عنها واستغنيت عن تلك الأموال .

غنى من الوهم تدفع به حاجة من الوهم . فأنت فى غناك وفى حاجتك من الواهمين .

وإنما الغنى الصحيح كل مال تحوّل فى نفسك إلى إحساس صحيح . فلا قيمة لمال لا يمثله فى خزانة النفس رصيد من الإحساس ، وكل ما فى خزائن الأرض من الذهب والفضة هو ما لك أنت إذا كان قصاراك من المال أن تجمعه فى خزانة أو تكتبه فى أوراق المصرف بحروف اسمك بدلا من سائر الحروف .

أكان « ألبرت لايت » عجيباً كما وصفته الصحف ووصفه قراء الخبر فى المغرب والمشرق ؟

نعم إذا كان العجيب هو النادر المخالف للمألوف .

وكلا وألف مرة كلا كما يقول خطباء الحماسة إذا كان العجيب هو الشائع المخالف للمعقول .

من أحاديث الإذاعة(*)

# فى التـــــرام

للأســـتاذ على الطنطاوى

يا سادتى ويا سيداتى . كنت راكباً أمس فى الترام ، أفكر فى موضوع أتحدث به إليكم ، فأسليكم وأفيدكم ، فلا يكون الحديث لذيذاً بلا نفع ، ولا نافعاً بلا لذة ، فكان يطيّر الموضوعات من رأسى ، هواء بارد يلفح الوجوه ، فيبلغ منها مثل ما تبلغ السياط ، فقمت إلى الباب لأغلقه فاستعصى علىّ ، فشددته فتأبى فجربت فيه الوسائل فما أجدت ، فتركته وقعدت . وصعد شاب مفتول العضل ، عريض المنكبين ، بادى القوة ، فجذبه فما استطاع فأمسكه بكلتا يديه ، ووضع قوته كلها فى ساعديه ، حتى احمر وجهه وانتفخت أوداجه ، والباب على حاله ، فأغضى بصره حياء منا أن ينظر فى وجوهنا وقعد . وركب بعده شيخ وكهل وامرأتان ، لم يكن فيهم إلا من جرب مثلما جربنا ، وخاب كما خبنا ...

فلما رأيت ذلك ، قلت مقالة أرخميدس فى أول الدهر : « أوريكا » ، وجدت الموضوع إنى سأجعل موضوع حديثى ( فى الترام ) ، فالترام يا سادة معرض الناس ، ومرآة الأمة ، وهو مسلاة لمن نشد تسلية ، ومدرسة لمن أراد استفادة ، وهو سينما أبطالها أناس صادقون ، لا ( يمثلون ) رواية وضعها كاتب ، ولكن يعرضون فِطَرهم التى فَطرهم الله عليها ، وأخلاقهم وطباعهم وكل صغيرة (فى الترام) تمثل كبيرة فى الحياة : هذا الباب المغلق مثلا عنوان فصل كبير من فصول حياتنا ، ونقص بيّن فى تربيتنا ، إذ ربما كان دفاع الباب أقلّ من قوة اثنين منا ، ولكنا أتيناه متفرقين ، كما نفعل فى كل أمر نرومه ، وإصلاح نطلبه ، نعمد له فرادى ، ونقصده أشتاتاً ، فلا نصل إلى مقصد ، ولا نبلغ غاية ، قد استقرت ( الفردية ) فى سلائقنا ، فترى الواحد منا يعمل ما لا تعمله الجماعة ، فإذا اجتمعنا أضعف بعضنا بعضاً ، أو استبد بعضنا ببعض ، وإذا نحن أردنا التخلص من هذا ، قفزنا من أول الخط إلى آخره ، فجاوزنا حد الاعتدال ، وتعدينا نطاق الممكن ، وأردنا أن نبنى الدار قبل أن نعدّ الحجارة ، ونصلح الأمة قبل أن نصلح الأفراد ، كأن الأمة مخلوق مستقل ، له طول وعرض وعمق وارتفاع . لا يا سادة ، ما الأمة إلا أنا وأنتم وهم وهنّ ، فإذا لم يصلح كل منا نفسه لم يكن للأمة صلاح .

هذا عيب كبير فينا دل عليه الحادث الصغير ، وما أكثر ما تدل الصغائر !

ركبت الترام مرة ، وكان مزدحماً يغصّ براكبيه ، فلا تبصر لون أرضه ، ولا تعرف من الازدحام طوله من عرضه ، وكان على المقعد إلى جنبى شيخ مسنّ أحسبه قد دخل فى السبعين ، وكان معه لبن سائل فى صحن ضحل لا غطاء له ولا قمر ، فكلما اهتز الترام ، أو تحرك الناس ، طار رشاشه على ثوبى الذى كنت أتجمل به أيام الحرب ، ولا أجد وأنا موظف السبيلَ إلى غيره ، فكنت أضم ثيابى إلىّ ، وأحاول أن ابتعد عنه ، ليدرك أذاه لى فيدفعه عنى ، فلا يدرك ولا يبالى ، فقلت له : « يا عمّ ، قد آذيتنا ... ولوثتنا بالحليب ... » فما كان منه إلا أن صرّخ تصريخاً جمع على أهل الترام ، وقال :

(*) كتب هذا الحديث لمحطة الشرق الأدنى . فسجل فى مصر وأذيع من يافا يومى (٢١) و (٢٢) مايو .

---

ولك أن تقول إن بلاد العجائب فيها مائة وعشرون مليوناً عجيبون ورجل واحد غير عجيب .

فيقول الناس كلهم : عجيب عجيب ، ولا تسلم أنت يومئذ من تهمة العجب أو من تهمة الجنون .

على أن المرأة هنا أعجب من الرجل والله .

ولو لم تكن أعجب منه لأخذت بتلابيبه وجرته إلى القضاء وملأت عليه الدنيا صخباً ولجباً كما فعلت امرأة الفيلسوف الروسى تلستوى ، أو كما فعلها من قبلها نساء الأجاويد من العرب ، وكلهن يلمن على ترك الغنى وكسب الدعة والثناء .

رجل عجيب وامرأة أعجب ، وعالم أعجب من الرجل والمرأة معاً لأنه يعجب فى غير عجب ، وكان من حقه أن يصنع كما صنعا فلا يبتلى بشحاذين من ذلك الطراز ، ولا بنزاع على الحقوق من قبيل النزاع الذى يقود إلى مثل ذلك الإدعاء ، فلا يسمع معه صوت للواجب ولا للانصاف .

عباس محمود العقاد

— « اتق الله ، ما هذا الكفر ؟ ما هذا الجحود ؟ ألا تعرف قدر النعم ؟ إنه حليب طاهر ، هل هو نجاسة ؟ حرام عليك » .

فتركته ودخلت بين الناس ، ووقفت مع الواقفين ، وقد كادت تتلامس الوجوه ، وتتلاقى الأنفاس ، وكدت أختنق ، وإذا بشاب على آخر طراز … فى فمه سيكار أسود ضخم كأنه ذنب العَنْضرَفُوط[1] ، يخرج منه دخان كأن رائحته ضراط الخنافس ، فوقف أمامى ، حتى أوشك أن يحرق بناره أنفى ، فقلت له : « انتبه يا أخى » ، فصاح : « وأين الحرية الشخصية ؟ وبأى حق تكلمنى ؟ » وأمثال هذا الهذيان …

فرأيت فى ذلك مثالا لعيب آخر من عيوبنا ، إننا نأخذ المسائل مقلوبة ، ونفهمها على أضدادها ، فلا الشيخ فقه الدين وعرف الحلال من الحرام ، قبل أن يعظ ويفتى ، ولا الشاب عرف المدنية ، وأدرك أحوال أهلها ، قبل أن يهذى ويتفلسف ، الدين يحرم إيذاء الناس ، والمدنية تمنع التدخين فى الترام ، ولكنا نأخذ ما لا نعرف ، ونخوض فيما لا نعلم ، فكان فى حياتنا الشىء وضدّه ، اجتمعت فيها المتناقضات ، وائتلفت المختلفات ، كما يكون فى عصور الانتقال كلها …

وصعدت الترام مرة عجوز متصابية متبرجة ، كأنّ وجهها خريطة حربية ، من كثرة الخطوط المرسومة عليه والألوان ، ففوق عينيها خطان أسودان مقوّسان ، وعلى خديها بقعتان حمراوان ، وشفتاها كأنهما قد غمستا بالماء المغلى فاحترقتا ثم نزفتا ، فاجتمع عليهما الدم متجمداً فظيعاً ، فلم تعودا شفتين ولكن صارتا والعياذ بالله ، آفتين مشوّهتين ، وأظافر يديها كأظافر ذئبة افترست حَمَلا ، فهى طويلة محمرّة مخيفة ، فوقفت فى غرفة الرجال وهى مملوءة بالناس ، وإلى جنبها غرفة النساء فارغة مفتوحاً بابها ، فنظر الناس إليها متعجبين ، ثم ردّوا أبصارهم عنها منكرين ، فقالت : « ما فيكم واحد مؤدب ، يقوم للست ؟ عيب الشوم » .

فقال لها أحد الحاضرين . « تفضلى ، هذه غرفة النساء خالية » فنفضت يدها فى وجوهنا . وقالت :

— أنتم (متأخرين) كثير ، (متوحشين) ما تعلمتم التمدن .

ورأيت مرة شابين دخلا علىّ غرفة الترام ، يلبسان أردية بلا أردان ، وسراويل تكشف السيقان ، فألقى أحدهما بنفسه على المقعد فاضطجع اضطجاع العروس على سريرها ، ورفع الثانى رجلا فوق الرجل فعل الراقصة على مسرحها ، ثم تحدثا حديثاً مخلوطاً فيه العامية بالفرنسية بالانكليزية ، بالضحكات الحليمة ، والإشارات المخنثة ، تحدثا فى الأدب ، فكان من رأيهما أن الزيات والعقاد والمازنى تحتاج كتاباتهم إلى ترجمان ، لصعوبتها وأنها لا تفهم بلا قاموس ، ثم ذكرا الامتحان والدروس ، مع الحب والغرام ، وأماكن اللهو والتسلية … حتى أنى لم أعد أطيق الصبر فنزلت وركبت تراماً آخر …

هذان مثالان لطبقة من نسائنا ورجالنا ، يبديها الترام إن أخفتها البيوت ، طبقة هى فى الأمة كالديناميت فى البناء ، والسم فى الجسم ، والقذى فى العين ، وهى وإن تكن نادرة فينا . ولم تكن تخلو أمة من مثلها — لا ينبغى للمصلحين منا أن يغفلوا عنها ، ويهملوا إصلاحها ، لأننا أمة تستعيد اليوم حريتها ، وتبدأ جهادها وتسعى لتصل ما انقطع من أمجادها ، ولا ينال المجد إلا بشباب أولى خلق وعلم ، ونساء أولات عقل وعفاف .

ولكنّ فى الترام ، فى مقابل هذه الصور التى تؤلم وتسوء صوراً تسرُّ وتفرح ، لقيت فيه أمس فلاحاً من فلاحى مصر بجلبابه و ( طاقيته ) وزنّه ، وكان معى صديق يتكلم فى الجلاء عن مصر ، وفى جامعة الدول العربية ، فاندفع والله هذا الفلاح فى حديث عن السياسة والنزاع بين الدول الكبرى ، وموقف هذا الشرق الأدنى ، وما يتوقع له ، وفصّل القول فى حالة مصر والشام والعراق والمغرب والحجاز واليمن ، فكانت محاضرة مرتجلة استمرت أكثر من نصف ساعة ، مشى فيها الترام من الفسطاط إلى شبرا ، لو أن سياسياً دعا الناس إلى أفخم ناد من النوادى ، فألقى عليهم مثلها لخرجوا معجبين .

ولقيت فى الترام فلاحاً آخر ، مرّ به جابى الترام فناداه ، « يا أفندى » فقال له : « ما فيش أفندية دى الوقت ، الفلاحين هم أسياد البلد » ! يقظة عجيبة ، وكلام عظيم ، وسيكون أعظم يوم يصير الفلاحون أسياد البلد حقاً ، يوم لا يبقى فى مصر شركة أجنبية ، ولا مصرف أجنبى ، يوم لا يبقى فى مصر شحاد مصرى ، يوم يكون المصريون أعلم من الأجانب وأنظف منهم وأحرص على الصحة وأفهم للحياة وأسبق إلى المغامرة ، وسيجىء هذا اليوم قريباً بحول الله .

أيها السادة والسيدات .

(١) من نوع الحرباء والحرذون .

إن الترام يكشف أخلاق الناس، وطبائع البلدان، وهو مدرسة يرى المرء فيها القبيح من جاره فيتركه، والحسن فيتعلمه ويستمتع الملاحظ المدقق بعد هذا كله بفصول (الفلم) البشرى المعروض عليه

هذا فصل من الرواية: رفيقان يدعان الأمكنة الخالية، ويجلسان حولك هذا عن يمينك وهذا عن شمالك، ويتحدثان فى أمورهما الخاصة بهما، من فوق رأسك، لا يحفلان بك ولا يباليانك، كأنما أنت كرسى أو متكأ أو كأن أذنيك شباك يتكلمان منه ...

وهذا فصل آخر: رجل طويل عريض، لا يطيب له أكل (بذر البطيخ) إلا فى الترام، فلا يزال يقضمه بأسنانه، ويقذف قشره بلسانه، فإن لم يصب به الناس، آذاهم بقبح منظره، وسوء أدبه ...

وهذا رجل يأتيك من خلفك وأنت واقف فى زاوية الترام، يرجوك أن تفسح له ليمرّ، فإذا انزحت له أخذ مكانك وتركك حائراً لا تدرى أين تقف!

وهذا عامل بثيابه الملوثة بالزيت المعدنى، أو الملطخة بالطين، يحتك بك وأنت بثيابك البيض فلا يدعك حتى ينقل إليك زيته وطينه، فإن تكلمت قال: ليه؟ هوّ احنا مش بنى آدم!

وهذه امرأة ضخمة عريضة القفا، تصعد ومعها ولد على ظهرها، وولد تسحبه بيدها، وسلة كبيرة فيها سمك وبصل وكراث، فتقعد على الأرض، فتشغل مكاناً كان يقف فيه عشرة رجال، ثم لا تزال تسب هذا لأنه داس على ثوبها، وتشتم ذاك لأنه مسّ ولدها.

وهذا عجوز ثرثار، لا يفتأ الطريق كله، يذم هذا الشعب لأنه لم يتعلم أن النزول يكون من مقدم الترام، والركوب من آخره ويعجب من جهله وقلة تربيته، ولا يزال كذلك حتى يصل إلى محطته، فينسى محاضرته الطويلة، وينزل من خلف لا من قدام

وهذا رجل منتفخ كأنه الديك الرومى، مزهوّ كالطاووس يقعد أمامك فلا يرضيه ألا يمتد ويبرز بطنه ويؤخر رأسه ويرفع رجله فى وجهك، حتى يقابلك نعلها، ويكاد يمسك طرفها ... ثم إنه إذا لمح الجابى أسرع بالنزول ولم يدفع ثمن التذكرة!

وهذا شيخ له عمامة وعذبة، لا يحب أن يذكر الله إلا على سبحة طويلة يرفعها بيده حتى يراها الناس كلهم، ولا يتمسك بسنة السواك إلا فى الترام، فيخرجه من جيبه طويلا ثخيناً، فيستاك به على أبشع هيئة، ثم يمصره بأصابعه ويبصق على الأرض وإذا انتقده أحد، نادى: يا ضيعة الدين، ويا بوار الأخلاق ...

وهذا فصل آخر (يمثله) السائق، يقف فى المحطة يشترى طبق الفول ورغيف الخبز، ويتباطأ بعدها فى سيره لياً كله، حتى إذا وجد أنه تأخر وفاته الموعد، أسرع إسراع المجنون، ولم يمهل المرأة حتى تركب ولدها وتركب بعده، فيبقى الولد فى الترام خائفاً يصيح ويبكى يكاد يلقى بنفسه، وأمه تعدو وراء الترام، والناس يصرخون من كل جانب ...

وفى الترام دليل على طباع كل قطر، ونموذج من حياته، ففى الشام عراك على النزول والصعود، وتسابق فظيع إلى المقاعد لأن فيه شعباً حديث عهد بالجهاد والنضال، ولأن الترام له أول وله آخر، فالناس يركبون معاً وينزلون، وفى مصر تدور أكثر الترامات، دوران السواقى، وتكر كرّ الأيام، لا أول لها ولا آخر، والناس ينزلون ويصعدون فى كل مكان، وفى مصر شعب وادع أنيس فإذا فرغ مقعد فى الدرجة الأولى رأيت كلاً يدعو الآخر إليه. والفرق فى الشام وبيروت بين ركاب الدرجة الأولى والثانية قليل لا يكاد يظهر فى زىّ ولا حديث، وهو فى مصر ظاهر بيّن، لأن شمار مصر التفاوت فى كل شىء، فليس فى الشام ساحله وداخله، أغنياء من الوزن الثقيل ولكن ليس فيه أيضاً إلا القليل من الفقراء المدقعين، وليس فيه علماء كبار جداً، ولكن ليس فيه أيضاً أمية طاغية، وجهالة منتشرة، أما مصر ففيها أشد الغنى وأشد الفقر، وفيها العلم والجهل، والقصور والأكواخ، بل إن فيها شارعاً واحداً، فى أوله الملاهى والمسارح فكأنك منه فى باريز وفى أوسطه البنوك والمصارف، فكأنه من نيويورك. وآخره شارع من شوارع الرقة أو الميادين

والترام فى الشام هدف كل مظاهرة، وغاية كل إضراب، فإن كان للشعب احتجاج على الحكومة، كسر الترام، وإن كان للطلاب مطلب من المعارف أحرقوا الترام، وإن شكا الناس من سوء الخبز، أو كثرة الضرائب حطموا الترام، لأنه رمز السيادة الاقتصادية الأجنبية، وأهل الشام لا يحتملون لأجنبى سيادة لا فى الحكم ولا فى المال.

إن حديث الترام طويل، ووقت الحديث القصير، وقد استنفدته كله وزدت عليه، وأنا أرجو إن أمللتكم عفوكم، وأشكر لكم على سماعه صبركم، والسلام عليكم.

(القاهرة) **على الطنطاوى**

القسم الأول :

# فرنســــا ومستعمراتها

للاستاذ أحمد رمزى بك

هذا بحث تحليلي للاستعمار الفرنسي ومتاعبه يعرض له بطريقة إجمالية ، ويستعرض بعض النواحي التاريخية والاقتصادية وأحياناً العسكرية مع الإشارة إلى الوضع الشاذ الذى كانت فيه المستعمرات الفرنسية بين ألمانيا والحلفاء مدة الحرب الماضية . وقد شجعني على نشره المقال الشائق الذى كتبه الأستاذ إسماعيل مظهر بجريدة الكتلة يوم السبت ١٧/٥/١٩٤٧ تحت عنوان أعصر جديد ؟ أم عودة إلى عصور العبودية ؟ وما جاء بالرسالة تحت عنوان من وراء السور الحديدى « جامعة عربية أم اتحاد فرنسي » .

إن ما لقيته قضية فلسطين فى أمريكا وأمام مجلس الأمن تجربة قاسية للعرب ، لأن الانتصار على الخصم يستلزم فهم الخصم والإلمام بأساليبه ، وفى هذه الكلمة أفكار وآراء قد لا تعجب بها ولكنها فى صميم الدفاع عن قضية المغرب وحق شعوبه لأنها مستقاة من أقوال الخصم وهى مدعاة لفهمه ولن تنتصر على خصمك إلا إذا فهمته .

## فرنسا ومستعمراتها :

كانت فرنسا دولة استعمارية كبرى فى القرن الثامن عشر ، خضعت لسلطانها مساحات واسعة فى أمريكا الشمالية وأكثر من منطقة غنية من مقاطعات الهند ، ولكنها فقدت هذه المنزلة فى حروب القرن الثامن عشر والثورة الفرنسية ، فأخذت تجاهد طول المائة سنة الماضية لكى تسترجع مقامها كدولة استعمارية . ولقد برهنت تجارب أكثر من قرن على تعذر تحقيق السيادة البحرية لفرنسا وكان ضياع المستعمرات البعيدة فى أمريكا والهند كافياً لإقناع الفرنسيين أنه بغير أسطول قوى لا يمكن ضمان الدفاع عنها أمام القوة البحرية برغم جهود القواد والحكام وعبقريتهم . فكان مما فكر فيه نابليون أن يختصر الطريق البحرى الذى يفصل فرنسا عن الأراضى التى تخضع لها ، فقاد حملة مصر مؤملا أن يجعل منها قاعدة للتوسع الاستعمارى الفرنسي بالمشرق ، وكانت بريطانيا تعرف أن هذه الضربة موجهة إليها فى الهند فوقفت أمامه وقطعت الطريق البحرى عليه وأجبرت جيشه على الجلاء ، فالحملة الفرنسية هذه على مصر كانت مدرسة وتجربة برهنت على أن الفن الحربى الحديث قد جعل من السهل التغلب على جيوش المسلمين فى أراضيهم ، ثم فتحت الأذهان إلى استعمار الجزء الأفريقى المقابل لأوروبا ، فهى فاتحة الاستعمار الفرنسي فى القرن التاسع عشر .

ولا ننس أن فرنسا حينما ألجئت إلى إخلاء مصر كانت تفكر فى العودة إليها وتأسيس الامبراطورية الاستعمارية عن طريق البر إن أمكن ، أو قل على الرمال التى أراد أن يسير عليها لويس التاسع لفتح مصر فلقى حتفه فى تونس ، ولذلك اتجهت أنظار رجالها إلى بقعة من الساحل الأفريقى تكون أقرب إليه وأبعد عن إثارة شكوك ومخاوف بريطانيا فلم تجد أقرب إليها من الساحل المغربى بالجزائر إذ هو أسهل طريق للعبور إلى أفريقية وأسلم ما يصلح لاتخاذ مرافئه مثل الجزائر ووهران وغيرها كرؤوس جسور للزحف إلى الداخل ، وقد خدمتها الظروف حينما اشتد العداء بين مصر وتركيا فانقسم الشرق على نفسه وخلا لها الجو فى الجهة التى تطمع بامتلاكها . حينئذ قذفت بجيوشها بين ١٨٣٠ و ١٨٤٧ على القطر الجزائرى فى الوقت الذى كانت جيوش مصر وتركيا تتقاتل فيما بينها قتالا كانت نتيجته أن انتهى بالفشل للجانبين ، بينما اندفعت هى بقوة لترسيخ أقدام جنودها على الأرض الأفريقية التى حملت أعلام دول الموحدين والمرابطين وكانت فى وقت ما موئلا للعروبة والإسلام . فأخذت تحارب أهلها وتشتتهم . ولما انتهت حروب الأتراك والمصريين لم يكن بوسع أحد الطرفين أن يمد يد المساعدة أو يجهر بالدعوة لنصرة المجاهدين من قبائل الجزائر المدافعين عن بلادهم ، فكان أن سلم الأمير عبد القادر للفرنسيين ، وإذا نحن أمام أول هزيمة للاسلام بشمال أفريقيا ، وإذا نحن فى بداية الأرزاء التى أعقبت توغل الفرنسيين فى المغرب ونتج عنه تأسيس امبراطورية ضخمة فى بلاد عربية .

## أوربا تشجع فرنسا فى توسعها خارج القارة الأوربية :

وكانت فرنسا فى القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر أقوى أمم أوروبا وأكثرها سكاناً إذ بلغت ٢٥مليون نسمة ، وهو عدد عظيم لما كانت عليه أوروبا فى ذلك الوقت ، وبذلك تفاءل الساسة الأوروبيون بالاتجاه الجديد الذى سارت فيه ووجدوا أن من مصلحة السلام والأمن فى القارة الأوروبية تشجيع هذا التوسع والتزام سياسة الصمت إزاء هذا العدوان لأنه سيؤدى إلى إشغال قوى فرنسا البرية وإلى توزيع جهود هذه الأمة الحربية

فى ناحية لا تضرهم، خصوصاً إذا وجد ضباط الجيش ورجال الجندية الذين أسكرتهم ذكريات الانتصارات الماضية مجالا لنشاطهم فى بلاد بعيدة عن أوروبا بعـد أن دوخوا أمما كثيرة بحروب دامت جيلين ، وقد تم لهم ما أرادوا وقنعت فرنسا .ورجالها بهذا الدور وزاد تمسكهم به خصوصاً بعد هزيمتهم فى حرب ١٨٧٠ مع ألمانيا .

### فرنسا تجعل من أراضى أفريقيا معسكراً لتموين جيوشها وضباطها

فكان أن أصبحت فرنسا بعد عدة سنوات تملك الشاطىء الأفريقى وتسيطر على مناطق وأقاليم متسعة فى الصحراء تتنقل فيها كتائبها ويتلقى قوادها وضباطها بأنحائها أساليب القتال المختلفة ويأخذون دروساً عملية باتخاذ الحروب ضد الأهالى صناعة دائمة فيدخلون الجديد كل سنة على كتب التدريب والقيادة وأنظمة تعليم عساكر المستعمرات من الجنود الملونة .

وجاءت الحرب العظمى سنة ١٩١٤ وفرنسا ثانى دولة استعمارية فى العالم ، فخاضت غمارها وأعلامها تخفق على الـكتائب المؤلفة من جنود المغرب ومدغشقر والهند الصينية والسنغال تسوق الآلاف منها إلى الموت وتدفع بهم إلى الصفوف الأمامية . ثم أمضيت معاهدة الصلح فإذا بمناطق شاسعة من أملاك ألمـانيا الأفريقية تدخل ضمن نطاق الامبراطورية الفرنسية إما عن طريق تعديل الحدود أو عن طريق الانتداب جزاء وفاقاً على الجهود الحربى الذى بذله جنود المستعمرات من السمر والسود فى كفاحهم لتحرير العالم . فإذا نظرت إلى خريطة لأفريقيا تجد الامبراطورية الفرنسية كتلة ضخمة ملونة بلون واحـد تقع جنوب فرنسا وكأنها جزء متمم لهـا أو امتداد لأراضيها لا يفصلها عنها غير البحر الأبيض المتوسط ، ولـكنه طريق سهل قريب لأنه يجمع بين الشاطئين فى ساعات معدودة ، وهذه الامبراطورية أو المجموعة من المستعمرات تبـدو أمام الناظر والبحر يحيط بها من ثلاث جهات : المتوسط فى الشمال ، والمحيط الأطلسى فى الغرب والجنوب ، ويفصلها عن بعضها الصحراء الـكبرى وهى فى صمتها وتحديها للانسان لا تزال كالربع الخالى فى جزيرة العرب تسخر من الإنسان الذى لم يفك أسرارها بعـد ولم يخضعها لإرادته ، فقد فـكر المستعمرون فى استثمار أراضيها وفى اختراقها بعدة طرق ممهدة للسيارات أو إنشاء خط حديدى يقطعها من الشمال إلى الجنوب ، ولم يتحقق للآن شىء من ذلك لأن مجهودات فرنسا محدودة ، وهى لن تسمح لغيرها من الدول أن يتولى هـذا العمل عنها . ويخيل إلى الباحث أن هذا العمل الاستعمارى الذى بدأ بعـد حروب نابليون طفرة فأصبح حقيقة فى عصرنا الحالى يبدو كعمل عظيم ساهمت فيه أمة برجالها ودمائها وتفكير أبنائها ، وإنه إن دل على شىء فهو يدل على عبقرية الذين جاهدوا فى إنشائه وجمعوا بصبر شتاته فحققوا لبلادهم حكم امبراطورية موحدة كافية لإسعاد أى بلد أوروبى يمكنه أن يتحول باستغلال خيرات هـذه الأمبراطورية وثرواتها وأراضيها إلى بلد عظيم فى الصف الأول من العالم .

فهل وصلت فرنسا إلى أن تحـكم بعقل وحكمة ودراية هذه الأمبراطورية وأن تحسن سياستها مع الشعوب التى تسكنها فتسعدها وتزيد من عـدد سكانها وتأخذ بيدهم فى طريق الحضارة والعلم والحكم الذاتى حتى تجنى ما فى هذه الأراضى من الخيرات والثمرات ؟ .

الواقع أن فرنسا لم توفق كثيراً فى مضمار الاستعمار كما يفهمه العالم الغربى ، وإن وفقت فلشىء لا يتناسب مع جهودها أو هو ضئيل بجانب ما كان يمكن أن تصل إليه ، ذلك لأنها بقيت ولا تزال تعيش على أساليب المـاضى فى إدارة مستعمراتها وفى علاقاتها مع البلاد الخاضعة لها، وإلا فلماذا يواجه الباحث فى أنحاء امبراطوريتها ما يشعره أنه داخل حصن كبير أو معسكر من المعسكرات وحوله نطاق من الأسلاك الشائـكة يحرسه جنود من السنغال يسيطر عليهم رجال أشداء كل همهم قطع كل العلائق بين هـذه البلاد والعالم الخارجى ولا يعرفون سوى قانون البطش فى عـلاقاتهم مع السكان ؟ .

لماذا يلازم الناس هذا الشعور دائمـا ؟ لأن عيوب الإدارة الفرنسية للمستعمرات ظاهرة واضحة ملموسة وموقف الحكومة المركزية وممثليها يشعرك باستمرار أن فرنسا لم تنجح كأمة حاكمة ، ولذلك لم تستطع أن تقدم دليلا واحـداً على رغبتها فى تحرير الشعوب المظلومة ، ولا فى الأخذ بيدها فى طريق العلم والنور ، ولا فى إعطائها ما تطلب من حرية أو حـكم ذاتى أو اشترا كها فى إدارة الأمور العامة أو تسليمها إلى أهلها ، كما أنها لم تقدم للعالم برنامجاً إنسانياً يمكن أن يحقق شيئاً من ذلك .

إننا لا نقر الاستعمار على أى وجه من الوجوه ، ونراه نـكبة على البلاد والأمم التى أصيبت به ، ولـكننا مع ذلك ننقل عن كتاب الغرب وعن الفرنسيين أنفسهم ما يعترضون به على هذه الإدارة

ونتساءل مع الباحثين لماذا تطور العالم ووقفت فرنسا جامدة لا تتقدم ؟ ولماذا غمرت الدنيا موجات التحرر فى إفريقيا وآسيا وتسللت إلى الأراضى الفرنسية ، وفرنسا واقفة لم تتغير ولم تستفد شيئاً من دروس الماضى ؟ ثم كيف تقدم على إقرار سياسة الإدماج والاتحاد فى وقت تبدو فيه عوامل التفكك والانهيار ملموسة واضحة ؟ أليس فى فرض سياسة الاتحاد دليل على إفلاس السياسة التى اتبعتها الحكومة الفرنسية والتى كانت ترمى إلى إلغاء الجنسيات والقوميات فى بعض الجهات وصهرها فى بوتقة واحدة ؟

**نظريات استعمارية :**

يقول الباحثون فى الاستعمار وشئونه إنه كمشروع تجارى يجب أن ينتهى بالكسب على أقصر سبيل وأهون طريق ، فليس من مصلحة الدولة الحاكمة أن تتحمل تكاليف إدارة المستعمرة وحفظ الأمن فيها ، بل هى تساعد على أن تقف المستعمرة معتمدة على مواردها الخاصة ، ويكره المستعمر استعمال العنف والقوة ، ويعد التلويح بهما ضعفاً ، والالتجاء إليهما مخاطرة يتحاشى الوقوع ما أمكن فيها ، فهو كالتاجر الذى يحاسب على الدانق ويحسب للمستقبل ألف حساب ، ولذلك يعتمد فى حكم الشعوب على نفسيتها وفهمها ليستغل غرائزها لصالحه ، ولا يلجأ إلى السلاح إلا فى الوقت المناسب وبالقدر اللازم ، وهو أسرع الناس إلى إزالة أثر القوة من نفوس المحكومين . هذه هى تجارب الأمم التى سارت فى هذا النشاط شوطاً بعيداً ، فهل اتبعت فرنسا أو أخذت بهذه السياسة ؟ إن التقاليد التى وضعتها حكومات فرنسا المختلفة فى سياستها الاستعمارية كانت جامدة ، وصعب فى كثير من الأحيان على المسئولين تغييرها واستبدالها . نعم عملت أحياناً للخروج عنها شخصيات قوية فرضت إرادتها مثل ليوتى فى مراكش ، ولكن سرعان ما عاد الروتين الاستعمارى إلى قواعده وفرض إرادته من جديد . ومن عيوب الاستعمار الفرنسى أن فرنسا بدأت حملاتها بتكاليف باهظة ، أى أن كل قطر أو بقعة من الأرض دخلتها أو بسطت حمايتها عليها كلفت دافعى الضرائب الفرنسيين مبالغ لا يستهان بها ، وقد جاءت تكاليف الفتح ثقيلة لأن الطبيعة الفرنسية تريد أولا الغلبة والنصر ، فهى قد حكّمت السيف ، حيث يلزم السيف ، ووضعت السيف أيضاً حيث كان يلزم غير السيف ؛ وفى ذلك مخالفة لقواعد الاستعمار الذى يسمّن البقرة ليستدر أكبر كمية من ألبانها . أما هى فخيثما حلت تحمل الأهالى الكثير من الفقر والفاقة والعنت والتشريد .

ولقد عهدنا المستعمر يتخذ له بطانة من أهل البلاد المستعبدة يروضهم على أغراضه ويوسوس لهم بما يريد ، فإذاهم طوع إشارته ، يصل بواسطتهم إلى أهدافه وأغراضه من غير أن تظهر نياته أوتشمر بأنفاسه ، ومن دون ضجة ولاجلبة . وللاستعمار الفرنسى من يخدمه بإخلاص من زعماء البلاد الخاضعة له ، ولكن فرنسا اعتادت أن تضع على أكتاف رجال فرنسيين من العسكريين والمدنيين العبء الأكبر من المسئوليات ، وأن تسند إليهم مباشرة سلطات التشريع والإدارة والتنفيذ ، فإن أساءوا التصرف تحملت هى عبء الأخطاء ، وخسرت عطف الناس بالدفاع عن رجالها ، بينما قواعد المستعمرين تحتم على الدولة الغاصبة أن ترسم الخطط الكبرى ، وأن تترك أمور التنفيذ لأهل البلاد يتولونها بأيديهم حتى إذا أخطأوا ، وغالباً هم مخطئون ، تبرأت السلطات منهم وألصقت الأخطاء بهم وأتت بفريق جديد يتولى تمثيل نفس الدور . وهذا النظام الأخير يجعل عيوب الإدارة الاستعمارية ملصقة بأهل البلاد دائماً ، بينما النظام الفرنسى يضع العيوب على رأس الدولة المستعمرة ويحمّلها الأخطاء والأعباء كما قلنا .

**تأخر المستعمرات الفرنسية فى ميدان الحضارة وأسبابه :**

وهناك ظاهرة أخرى لها أهميتها ، وتكاد تنفرد بها المستعمرات الفرنسية وما يشبهها من ممتلكات بعض الدول الأوربية التى احتفظت بمستعمراتها كتراث تاريخى لماض قديم ، وهذه الظاهرة هى أن التقدم المادى الذى صحب العالم فى السنوات الماضية والذى فرض نفسه على أغلب المستعمرات فى قارات العالم لم يشمل الإمبراطورية الفرنسية ، ولذلك إذا تحدث الفرنسيون عن مجهودهم الاستعمارى وملأوا العالم بكتبهم ونشراتهم ، فهو مجهود عظيم من وجهة نظرهم وحدهم ، ولكنه مجهود متواضع إذا قيس بما قامت به الأمم الاستعمارية الأخرى . فإذا نزلت بشمال أفريقيا ، وهى من البقاع الخصبة الغنية بمواردها وثرواتها المعدنية وقارنت

ما عملته فرنسا هناك بالمجهود الذى بذله الاستعمار فى نواح مماثلة ، لوجدت أن مجهودها لم يصل إلى الدرجة التى تسمح بها حضارة القرن العشرين ، وبما تضعه بين يدى الإنسان من وسائل تمكنه من السيطرة على الطبيعة ومن إخضاعها لإرادته .

تعليل هذا الوضع :

ويعللون هذا النقص بأن فرنسا بلد زراعى فى حياته الاقتصادية ، وهذا الوضع ينقص من طاقة فرنسا وإمكانياتها كدولة عظمى ، ثم هى وطن الملكيات الصغيرة ، ولذلك يبرز فيها عامل اقتصادى هام هو عامل الادخار أو التوفير النقدى الشعبي الذى يعتمد فى تراكمه وازدياده عاماً بعد عام على ملايين من الناس . وقيل إن هذه الأمور مجتمعة تؤثر فى سياسة الدولة حينما تواجه عملها فى المستعمرات لاستغلال مواردها ، وذكر بعض الكتاب أن فرنسا كانت تحسن صنعاً لو أنها من البداية فتحت أبواب امبراطوريتها لنشاط الدول الصناعية الكبرى مثل أمريكا الشمالية ، أو بعض الدول الأوربية ، ولكن رجال الحكم وأساطين الاستعمار حرصوا منذ زمان طويل على وضع المراقيل الجمركية والتشريعية لمنع حدوث هذا النشاط ، بل أقفلوا حدود امبراطوريتهم وجعلوا منها مناطق محرمة وممنوعة لأى تنافس يأتى إليها من الخارج

ولا نشك فى أن فرنسا كانت بلداً صناعياً من الدرجة الأولى وكان هذا فى القرن الماضى ، ولكن ظهور الصناعة الضخمة وتطورها السريع فى بلدان أوروبية أخرى جعل منها بلداً صناعياً فى الدرجة الثانية . ولقد ذكرنا فى بحث سابق أن التركيز الاقتصادى بين الدول الصناعية والمستعمرات أو بين المستعمرات وبعضها يعتمد على التفوق الصناعى والمقدرة الرأسمالية والإنتاج الواسع وهى مجتمعة تمهد للدولة صاحبة الشأن أن تسير بالمستعمرات ومناطق النفوذ نحو التكتل الذى يجعل من هذه الدولة قوة عالمية . أما الاستعمار الفرنسى فلا يزال فى الدور البدائى الذى لم يتطور بهذه الوثبة ، ولعل شعور الفرنسيين بذلك هو الذى أملى على رجال السياسة مشروع الاتحاد الفرنسي الذى يحاولون تنفيذه .

فرنسا بلد زراعى :

وإذا نظرنا لحالة فرنسا كبلد زراعى نجد أنها من أغنى البلاد الأوروبية ، بل إحدى الدول القليلة التى تعد فى حالة استكفاء بالنسبة لغيرها ، ومعنى ذلك أنها لا تعانى مشاكل ومتاعب لإطعام سكانها؛ فهى ليست بحاجة إلى مضاعفة المساحات المزروعة فى مستعمراتها ، فإذا كان هناك بعض الأثر للتطور الإنتاجى الزراعى وزيادته ، ويبدو هذا ملموساً فى بعض المناطق أو مكللا نسبياً بالنجاح فى المزارع التى يملكها الفرنسيون بالمستعمرات ، فأنه محدود الغاية والوسائل

رؤوس الأموال :

أما أثر رؤوس الأموال وكونها مجمعة من التوفير الشعبى فيبدو فى اتجاه أصحابها إلى تفضيل القروض الخارجية للدول الأجنبية الصديقة لتصورهم بأن فى ذلك ضمانات أكبر من المجازفة فى صرفها على مشروعات فيها روح المغامرة بأراضى المستعمرات وهى قاعدة مستمدة من طبيعة الشعب وعقليته .

فرنسا كبلد صناعى :

ونعود إلى الناحية الصناعية إذ هى العامل الأساسى الفعال لكل سياسة استعمارية موفقة نظراً لما تحويه أراضى القارات البعيدة من مواد أولية ضرورية للصناعات ، ولأن عظمة الدول الصناعية بنيت على ما تقدمه أراضى مستعمراتها من خامات رخيصة قد تذهب أحيانا إلى تمكين كل واحدة من احتكار بعض هذه المواد وحرمان بقية العالم منها . فإذا نظرنا إلى حالة فرنسا بعد أن انتهت الحرب العظمى الأولى نجد أنه طرأ عليها بعد سنة ١٩٢٠ تغيير بعيد المدى ، فقد بدأ يسيطر على مقدراتها طائفة من أصحاب الصناعات الكبرى يدعمهم رجال المال ، واعتمدوا على ما يبثونه فى الجماهير من آراء وأفكار عملوا على أن تصبح بالتكرار راسخة ، وأهمها فكرة أمن فرنسا وضمان حدودها ، أى إيهام الشعب بوجود خطر دائم يهدد كيانه ليبذل مجهوداً فى ناحية معينة أو ليستعد لتلبية التضحيات التى يتطلبها العمل لدرء هذه الأخطار .

فرنسا قبل الحرب العالمية الأولى و بعدها :

ولم تكن فرنسا قبل سنة ١٩١٤ فى حالة تمكنها من منافسة الدول الصناعية الكبرى التى نضجت أو أتمت بناء هيكلها الآلى الضخم لا فى السوق العالمية ولا فى طريقة استغلال واستثمار أملاكها ، وكانت تلجأ إلى وسائل شاذة لحماية تجارتها فى الأراضى المملوكة لها ، فما بالك وقد بدأت بعد الحرب مباشرة تحمل أعباء إنشاء صناعة على نمط الصناعات الثقيلة — يقصد بها صناعات الحديد والفولاذ والصناعات الكيماوية الكبرى — ولو أن التعبئة المالية والفنية والإنشائية للوصول إلى هذه الغاية كافية لأن تستنفد مجهودات جيل بأكمله .

وقد بدأ هذا المشروع يسير سيره الطبيعى من يوم استرجاع مقاطعتى الألزاس واللورين إذ جعل ضم هاتين المقاطعتين بين يدى رجال الصناعة بعض ما كان ينقصها من مواد الصلب والحديد ، ويا حبذا لو ضم إليها جزء آخر من أراضى ألمانيا وهو الروهر إذن لحصلت فرنسا على ما تحتاجه من الفحم الحجرى .

يلتمس الكتاب الفرنسيون بعض العذر لبلادهم فى تقصيرها الاستعمارى الذى ينسبونه إلى أن هذا المشروع الصناعى الكبير الذى جعل رؤوس الأموال تتجه إلى تحقيقه اتجاها ترك النشاط فى أراضى المستعمرات قاصراً على الضرورى اللازم ، وعليه تأخر تنفيذ المشروعات الكبرى التى وضعت لاستغلال أراضى جبال أطلس بمراكش ونظر إليها وإلى غيرها نظرة ثانوية أو تأجل تنفيذها باعتبار أنها تكميلية للبرنامج الصناعى فى أراضى فرنسا الأوروبية .

وعليه فهم لا يسلمون بالنقص الذى بدا من ناحية بلادهم ويقولون ولو أن الفترة بين الحربين نقلت الدول الكبرى الصناعية مرحلة نحو التكتل والتماسك مع المستعمرات بل ذهبت إلى إدخال الصناعات فى أراضى المستعمرات نفسها كما حصل فى الهند واستراليا وأفريقيا الجنوبية وبقيت فرنسا تدير مستعمراتها بأساليب قديمة إلا أنها حسناً فعلت لأنها انتظرت الوقت المناسب لكى تستفيد من تجارب غيرها ولكى يحين الوقت الذى تندمج فيه هذه الأقطار فى نظام اتحاد فرنسى يشبه من بعض الوجوه نظام الاتحاد السوفيتى : وحينئذ تظهر للعالم فرنسا الاستعمارية القوية التى لم تضع منها سنوات الانتقال بل كانت تحضر برنامجا صناعياً للمستعمرات سوف تدهش العالم المتمدين به .

أحمد رمزي

---

وزارة المعارف العمومية

المراقبة العامة للثقافة

( جوائز فاروق الأول لسنة ١٩٤٨ )

تعلن وزارة المعارف أن الموضوعات التى سيمنح المصريون عن الانتاج فيها جوائز فاروق الأول لسنة ١٩٤٨ هى :—

١ — علوم الحياة — مثل النبات والحيوان والفسيولوجيا والطفيليات والتشريح البشرى والحيوانى والطب وفروعه والأحياء المائية .

٢ — العلوم الكيميائية — مثل الكيمياء العضوية وغير العضوية والكيمياء الحيوية والكيمياء الصناعية والكيمياء الصيدلية والتغذية .

٣ — العلوم الجيولوجية — مثل الجيولوجيا وعلم الطبيعيات الأرضية ( الجيوفيزيقا ) والتعدين .

ويشترط فى الانتاج الذى يقدم للمسابقة : —

١ — أن يكون ذا قيمة علمية أو فنية ممتازة تظهر فيه دقة البحث والابتكار ويهدف خاصة إلى ما يفيد مصر والانتاج القوى ، وتقدم العلوم .

٢ — أن يكون قد سبق نشره . ولم يمض على نشره لأول مرة أكثر من خمس سنوات من تاريخ الإعلان .

٣ — أن يكون باللغة العربية الفصحى ويرسل الأنتاج من أربع نسخ إلى المراقبة العامة للثقافة بوزارة المعارف فى موعد غايته ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤٧ .

وقيمة كل جائزة من الجوائز الثلاث ١٠٠٠ جنيه ، وسيكون موعد منح هذه الجوائز يوم ١١ فبراير سنة ١٩٤٨ لمناسبة عيد الميلاد الملكى السعيد .

٧٢٥٤

# ٦ - تفســـــير الأحلام

للعلامة سجموند فرويد

سلسلة محاضرات ألقاها فى ڤينا

للاستاذ محمد جمال الدين حسن

## الرقابة فى الأحلام :

وهناك طريقة ثالثة تستخدمها الرقابة فى الأحلام لا يوجد لها مثيل فى حالة الرقابة الصحفية . ولكنى أستطيع أن أوضح لكم هذه الطريقة بالرجوع إلى الحلم الوحيد الذى استطعنا أن نحلله إلى الآن وهو الحلم الذى يدور حول « الثلاث تذاكر التى ثمنها فلورن ونصف » . رأينا أن المحتوى الباطن لهذا الحلم تبرز فيه صفة « التسرع والتبكير » . وقد كان معناه : « لقد كان من الحماقة أنى تزوجت « مبكراً » » ، كما كان من الحماقة أن تحجز المقاعد « مقدماً » وكما كان من الحماقة أيضاً أن « تتسرع » أخت زوجى بإضاعة نقودها كلها على قطعة من الحلى . » ولكن هذه الصفة الرئيسية لم يبد لها أثر مطلقاً فى المحتوى الظاهر ، وإنما كان الحلم كله مركزاً فى الذهاب إلى المسرح وأخذ التذاكر . وقد كان لإزاحة هذا التركيز وإعادة ترتيب العناصر من جديد أثره فى انعدام الشبه بين المحتوى الظاهر والمحتوى الباطن للحلم بحيث لا يتسنى لأحد أن يشك مطلقاً فى تستر أحدهما وراء الآخر . وهذه « الإزاحة » تعتبر من أهم الوسائل التى يستخدمها التحريف ، وهى السبب الذى يضفى على الحلم هذه الهالة من الغرابة التى تجعل الحالم نفسه يتردد فى الاعتراف به على أنه إحدى بنات أفكاره .

وعلى هذا فالحذف والتحوير وإعادة ترتيب العناصر ، هذه كلها هى الأساليب التى تتخذها الرقابة فى الأحلام وهى الوسائل التى تستخدم فى التحريف . والرقابة نفسها هى المولد أو هى أحد المولدات التى ينشأ عنها التحريف . أما التحوير والتغيير فى الأوضاع فتدخل عادة تحت عنوان « الإزاحة » .



ولننظر الآن إلى الرقابة فى الأحلام من الوجهة الديناميكية بعد أن المنا ببعض الملحوظات عن أوجه النشاط فيها . لعلكم لا ينشط بكم الخيال فتصورون الرقيب لأنفسكم على هيئة قزم عبوس الوجه قابع فى إحدى خلايا المخ حيث يقوم بتأدية أعباء وظيفته ، أو تتخيلون أن هناك « مركزاً عصبياً » تنبعث منه تأثيرات رقابية معرضة للزوال إذا زال هذا المركز أو أصابه عطب . ولكن يكفينا فى الوقت الحاضر أن ننظر إلى الرقابة على أنها اصطلاح نافع يعبر عن علاقة ديناميكية ، على أن لا تعوقنا هذه النظرة عن البحث لمعرفة أى نوع من النزعات له هذا التأثير وأيها يخضع له ، كما أنه يجب علينا أن لا نعجب إذا اكتشفنا أننا ربما نكون قد تمرضنا للرقابة من غير أن نتعرف عليها . وهذا ما حدث فعلا . فأنتم تذكرون أننا أثناء قيامنا بتطبيق طريقة الترابط المطلق ، اكتشفنا أن هناك « مقاومة » ما تمترض الجهود التى نبذلها للنفاذ إلى المحتوى الباطن للحلم من خلال الظاهر . وقلنا إن هذه المقاومة تختلف من ناحية الشدة فتكون فى بعض الأحيان ضعيفة جداً فلا تحتاج إلى مجهود كبير لتفسير الحلم وتكون فى أحيان أخرى كبيرة جداً فنحتاج إلى سلسلة طويلة من الأفكار المترابطة وإلى التغلب على كثير من الاعتراضات التى تواجه هذه الأفكار . وهذه الظاهرة التى لاقتنا على شكل « مقاومة » أثناء التفسير نعود فنقابلها مرة أخرى على شكل « رقابة » فى تكوين الحلم ؛ وما المقاومة فى الواقع إلا الرقابة فى شكل ملموس وهى تثبت لنا أن تأثير الرقابة لا ينعدم بعد القيام بعملية التحريف بل يظل قائماً كنشأة دائمة تعمل على إبقاء التحريف على حالته الراهنة . وكما أن المقاومة تختلف فى الشدة باختلاف عناصر الحلم ، فكذلك تختلف أيضاً درجة التحريف الذى ينشأ عن الرقابة . فالمقارنة بين المحتوى الظاهر والمحتوى الباطن تحرينا أن بعض العناصر الباطنة قد حذفت تماما من المحتوى الظاهر أو حورت تحويراً طفيفاً أو كبيراً ، بينما ظل البعض الآخر على حالته التى كان عليها من غير تبديل أو تغيير ، بل ربما ازداد وضوحاً عن الأول .

قلنا إننا نريد أن نبحث لمعرفة أى نوع من النزعات له هذا التأثير الرقابى وأيها يخضع له والجواب على هذا السؤال ؛ الذى

يعتبر جوهريا ، الوقوف على معنى الأحلام أو ربما الحياة البشرية بأمرها ، يكون من الأمور السهلة إذا فحصنا سلسلة الأحلام التى بحثنا فى تفسيرها . فسنرى من ذلك أن هـذه النزعات هى التى يحكم عليها الشخص الحالم فى حالته اليقظة بأنها جزء من نفسه لا ينفصل عنها . فمن المؤكد أن الشخص الذى لا يريد أن يعترف بالتفسير الصحيح لحلم من الأحلام التى رآها هو ، فإنما يفعل ذلك مدفوعاً بنفس العوامل التى تولد الرقابة وتتسبب فى وقوع التحريف فى الحلم حتى يصعب تفسيره . فالمرأة التى فى الخمسين من عمرها مثلا قد أصابها الفزع والذهول لبشاعة الحلم الذى رأته رغمـا عن أنه لم يفسر لهـا ، فما بالكم إذاً لو كانت الدكتورة فون هج — هلموث قد أفضت إليها بطرف من معناه الذى لا يخفى ! هـذه المرأة أنكرت الحلم ولم تعترف به مدفوعة بنفس الأسباب التى أدت في الحلم إلى استبدال العبارات الجارحة بدمدمة غير واضحة .

أما النزعات التى تخضع لتأثير الرقابة ، فإننا إذا اختبرناها بنفس هـذا المقياس من النقد التحليلى فإننا نجد أنها عبارة عن نزعات لا تقبلها النفس لأنها تجرح شعور الإنسان من الوجهة الأخلاقية أو الإجتماعيـة ، وتدور فى أغلب الأحيان حول أشياء لا يجسر المرء على التفكير فيها أو على الأقل يشعر باشمئزاز كبير إذا مرت بخاطره . وهذه الرغبات التى تؤثر فيها الرقابة فتبدو فى الحلم بشكل محرف هى فوق كل شىء إظهار للأنانية الفظيعة التى لا حد لها . « فالذات » ( Ego ) يبدو أثرها دائمـا فى كل حلم وهى تلعب فيه الدور الرئيسى وإن استطاعت فى بعض الأحيان أن تتنكر تنكراً تاماً بالنسبة إلى المحتوى الظاهر للحلم . وهذه « الأنانية المقدسة » ( Sacro Egoismo ) للأحلام ليست فى الواقع عديمة الصلة بالحالة العقلية التى تلزم للنوم أى قطع كل صلة بيننا وبين العالم الخارجى .

والذات التى تطرح عنها كل القيود الأخلاقية تحس أنها قد أصبحت على وفاق مع الرغبات التى يتطلبها الدافع الجنسى فى الإنسان ، وهى الرغبات التى لا تقرها التربية الثقافية والتى تتنافى مع القيود التى تفرضها علينا الأخـلاق القويمة . فالطاقة الجنسية ( Libido ) لا يحول حائل بينها وبين الأشياء التى يقع عليها اختيارها لجلب اللذة ، بل هى فى الحقيقة تفضل الأشياء المحرمة كزوجة رجل آخر مثلا ، أو ما هو أشد حراماً كتلك الأشياء التى اتفق البشر جميعاً على تقديسها كالأم والأخت فى حالة الرجل ، والأب والأخ فى حالة المرأة . وهذه الرغبات التى نعتقد أنها غريبة عن الطبيعة البشرية تظهر قوتها فى قدرتها على توليـد الأحلام .

والبغض والكراهية أيضا من الأشـياء التى تنطلق فى الحلم من غير قيد ، فالرغبة فى الأخـذ بالثأر أو تمنى الموت لمن هم أقرب الناس إلينا وأعزهم علينا فى الحيـاة كالآباء والأبناء ، والأخوة والأخوات ، والأزواج والزوجات ليست قطعاً من الأشياء الغريبة غير المألوفة . هذه الرغبات التى تخضع للرقابة يبدو أنها تنبع من جحيم حقيق فنحن عند ما نقف على ممناها فى أثناء اليقظة يبدو لنا أنه لا توجد رقابة كافية لردع هذه الرغبات . على أن الأحلام ليست مسئولة عن هـذا المحتوى الأثيم ، فأنتم بالتأكيد لم تنسوا بعد أن وظيفة الحلم التى لا ضرر منها بل النافعة هى المحافظة على النوم من عوامل القلق والإزعاج . فالإثم والفجور ليسا من طبيعة الحلم ، وأنتم فى الواقع تعلمون أن هناك أحلاماً تعمل على تصريف رغبات مباحة ، أو حاجات جسمية ملحة . وصحيح أنه لا يوجد تحريف فى هذه الأحلام ولـكن ذلك لأنها لا حاجة لهـا به فهى تستطيع أن تؤدى وظيفتها من غير أن تجرح الشعور الأخلاق أو الثقافى للذات . تذكروا أيضا أن درجة التحريف تتناسب مع عاملين فهى من ناحية تزداد كلما كانت الرغبات التى تحت المراقبة أشد بشاعة ولـكنها كذلك تزداد كلما كانت مطالب الرقابة أشد صرامة . ولهذا فالرقابة الصارمة فى الفتاة المحافظة التى تربت تربية قويمة قد تسبب تحريف أحلام نراها نحن رجال الطب ، تصريفاً مباحاً لرغبات جنسية لا ضرر منها ، وقد ترى الفتاة نفسها هذا الرأى عند ما يتقدم بها العمر عشر سنوات أخرى .

وفضلا عن ذلك فنحن لم نتقدم بعد فى طريق النجاح لدرجة تجعلنا نستشيط غضباً للنتيجة التى وصلنا إليها من عملية التفسير فأغلب الظن أننا لم نفهمها بعـد كما يجب ، ولـكن يتحتم علينا قبل كل شىء أن نعمل على تحصين هذه النتيجة ضد الهجمات التى قد تتعرض لها ، فإنه لا يصعب عليكم أن تدركوا النقط الضعيفة التى فيها . فنحن بنينا طريقتنا فى التفسـير على فروض فرضناها

من مبدأ الأمر وهى : أن الأحلام ليست خالية من المعنى ، وأن النظرية القائلة بأن العمليات العقلية قد تكون لاشعورية لبعض الوقت ، كما هو الحال فى التنويم المغناطيسى ، يمكن تطبيقها أيضاً فى حالة النوم الطبيعى ، وأخيراً أن من الممكن تحديد كل الأفكار المترابطة . فلو أننا تمكنا بمساعدة هذه الفروض من الوصول إلى نتيجة معقولة لحق لنا أن نستنتج من ذلك أننا كنا على صواب فى فرضها . ولكن ما هو العمل والنتيجة التى وصلنا إليها كما ترون ؟ أظن أنه يبدو طبيعياً فى هذه الحالة أن تقولوا : « هذه النتائج من التفاهة بمكان فهى مستحيلة الوقوع أو على أقل تقدير بعيدة الاحتمال ، فلا بد إذاً من وجود خطأ ما فى الفروض التى فرضناها ؛ فإما أن الحلم ليس ظاهرة عقلية كما تخيلنا ، أو أنه لا توجد أفكار لاشعورية لا ندركها فى حالتنا الطبيعية ، أو أن هناك عيباً ما فى طريقة التفسير . أليس من الأفضل إذاً بل من الأسهل علينا أن نسلم بصحة هذا الافتراض بدلا من الموافقة على هذه النتائج البشعة التى تمجها النفس والتى نعترف بأننا وصلنا إليها عن طريق الفروض التى فرضناها ؟ » .

أجل يا سادة ، إنى أوافقكم على أنه أفضل وأسهل ، ولكن ليس معنى ذلك أنه أصح . وعلى هذا فلننتظر قليلا ، فالمسألة لم تنضج بعد للحكم عليها ، وتعالوا بنا قبل كل شىء نقوى الاعتراضات التى تواجه طريقتنا فى التفسير . فنحن لا نبالى كثيراً إذا كنتم لم تستسيغوا النتائج غير السارة التى وصلنا إليها ، وإنما المشكلة التى تواجهنا حقاً هى أن كثيراً من الحالمين لا يقرون بالنزعات والرغبات التى ننسبها إليهم عند ما نقوم بتفسير أحلامهم بل ينكرونها إنكاراً باتاً مبنياً على أساس متين . فقد يقول أحدهم : « ما هذا الذى تزعم ! أتريد أن تبرهن لى على أن ما أنفقته على تعليم أخى وعلى بائنة أختى كان على غير رغبة منى ؟ أيعقل هذا وأنا الذى قضيت عمرى كله أجد وأعمل لأرعى إخوتى وأخواتى ولم يكن لى هم فى الحياة إلا أن أقوم بواجبى نحوهم كأخيهم الأكبر حتى أفى بالعهد الذى أخذته على نفسى أمام والدتى وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة ؟ » وقد تقول امرأة : « ما هذا ؟ أتريد أن تفرض علىّ أنى أرغب فى موت زوجى ؟ حقاً إن هذا كلام فارغ لا يصدق . فنحن لسنا سعداء فى حياتنا الزوجية فحسب ، ولو أنك قد لا تصدق هذا ، ولكن بموته سأفقد كل شىء أمتلكه فى هذه الحياة الدنيا . » أو قد يجيب شخص آخر بما يأتى : « أتريد أن تزعم أننى أضمر لأختى شعوراً بالرغبة الجنسية ؟ ولكن هذا مضحك حقاً فهى لا شىء بالمرة بالنسبة إلىّ ، فنحن لم نكن على وفاق فى يوم من الأيام ، بل إنه قد مضت علينا سنوات لم نتبادل فيها كلمة واحدة » .

على أنه ما زال فى إمكاننا أن لا نهتم كثيراً إذا لم يستطع هؤلاء الحالمون أن ينكروا أو يعترفوا بما ننسبه إليهم من نزعات ورغبات ، فقد نستطيع أن نقول . إن هذه هى بالذات الأشياء اللاشعورية التى لا يعلمون عنها شيئا . ولكنهم عند ما يحسون فى أعماق قلوبهم بعكس الرغبة التى ننسبها إليهم بناء على التفسير ، وعند ما يبرهنون لنا بسيرتهم وسلوكهم الدائم فى الحياة أن الرغبة العكسية هى الغالبة عليهم فمن المؤكد أننا لن نحير جواباً .

أيكون الوقت قد حان إذاً لكى نطرح كل الجهود التى بذلناها فى تفسير الأحلام كشىء أدى بنا إلى نتيجة تافهة ( reductio ad absurdum ) .

(يتبع) محمد جمال الدين حسن




# ثبـــــات عجيب

أفٍّ لهـذا المنظار ! أزلت عنه التراب والصدأ ووضعته على أنني بعد طول غيبة ، فعاد يريني من دنيا الناس ما يسوؤني فى الكثير مرآه ، وإن كان ليسرني أن أراه ...

ولا يعجبن القارىء من هذا التناقض . فإن عجب فليعجب من هـذا المنظار الذى يقع بى على ما يضحك فى ذاته وإن كان خليقاً بأن يستل من النفس كل ما أوصى به الله من صبر . وأكثر ما يريني منظارى ما يتصل بأقوى سبب بالتحمس والتحمسين . والمصريون كما أعلم وتعلم أيها القارىء الكريم قوم شديدو التحمس سريعو الانفعال ، وإن كانوا رقيق الحاشية أسخياء الطبع مرحى النفوس . فما أسرع ما ينقلب الرجل الذى تمازحه وبمازحك فى مثل ارتداد الطرف إلى نمر هائج لأقل بادرة منك فى الحديث . وإننا لنتحمس فى كل فصل ... فى الشتاء وفى الربيع وفى هذا الحر الذى يزهق النفوس وكثيراً ما يكون التحمس لغير سبب ظاهر ، وهذا عندى أدعى صوره إلى إثارة الضحك كتحمس هذا الذى أريد أن أحدثك عنه ...

هو شاب فى نحو الخامسة والثلاثين ، بادى الفتوة ، مهندم الثياب ؛ تطالعك فى وجهه لأول وهلة أمارات الجد ، وترى فى جلسته ونظراته شيئاً من الصلف والصرامة ؛ وتحس من عضلاته المفتولة وصدره العريض المرتفع أنك أمام مصارع محترف ...

جلس فى « المترو » على مقعد فى الدرجة الأولى ، ولم يبلغ الزحام فى ذلك الصباح ما يبلغه أكثر الأيام من شدة : فالممر بين صفى المقاعد خال من الناس ، والباب إلى الدرجة الثانية لا يقف فيه أحد ... وفى مثل هذه الحال لا يتساهل محصلو الأجرة فى أن يركب الراكب حينما اتفق له ...

وكان صاحبنا يطالع إحدى صحف الصباح ، وكنت على مقعدى تلقاءه ، أنظر إليه من وراء منظارى ، ولست أدرى لم ألقى فى روعى أننى أمام متحمس من طراز عجيب ؟ ... أكان ذلك لما يبدو من صرامته وصلفه ودلائل قوته ؟ أم كان مرد ذلك إلى ما كان يرتسم على وجهه من علامات الاشمئزاز والنفور كلما نقل بصره فى الصحيفة من عنوان إلى عنوان ؟ فلقد رأيته لا تتشكل أساريره قط بما ينبىء عن ارتياح لشىء مما يقرأ ...

ومهما يكن من شىء فإنى شعرت بأنى حيال متحمس من متحمسينا الأشداء ...

وجاء محصل الأجرة وهو كهل نحيف يردد لفظيه المتادين : ورق ... تذاكر ؛ ويزيد عليهما بين حين وحين قوله : فلوس ، وينقر بقلمه على ظهور المقاعد أو على ظهر الخشبة التى تحمل تذاكره ...

ومشى نحو صاحبنا ، فلما بلغه كان قد بلغ فى ندائه قوله : فلوس . وناوله الفتى بطاقة يقرض منها بمقصه خانة فيساوى ذلك قرشاً ونصف قرش ، ولم يكن فى البطاقة إلا الخانة الأخيرة فقال محصل الأجرة لصاحبنا « ادفع الباقى » فلم يرد الفتى وعاد إلى صحيفته ينظر فيها كأن لم يحدث شىء

ونفخ المحصل فى زمارته فوقف « المترو » ، واشتد الغيظ بالركاب جميعاً ، وصارت القضية على تفاهتها من قضايا الرأى العام ، ولكن فى مجالها الضيق هذا ... وأصر صاحبنا إصراراً شديداً وثبت ثباتا عجيباً لا يكترث لشىء ! ...

وخطر لأحد الركاب حل سلمى فتقدم بالباقى إلى المحصل ؛ وهنا وثب الفتى من مقعده ينتهر هذا المتدى على كرامته ويطلب إليه أن يضع نقوده فى جيبه . ونطق فإذا هو تخم اللفظ ينطق الزاى ظاء والتاء طاء والدال ضاداً ، وكان كلما انطلق منه لفظ تراجع المسكين الذى تقدم بالنقود خطوة وقد رد نقوده لتوه إلى جيبه وأخرج يده يقلبها فى الهواء بيضاء من فرط خوفه ، أما المحصل فقد رضى من الغنيمة بالإياب ؛ ونظرت ونظر الركاب فإذا ثلاثة أرباعه فى الدرجة الثانية وما بقى منه ففى الدرجة الأولى ، ولعله كان يتأهب ليغلق من دونه الباب ...

وذكرتنى ثورة هـذا التحمس بمـا كنت أقرأه عن « الدوتشى » إذ كان يرعد فى وجـه موظفيه ... وجلس هذا « الدوتشى » المصرى لا يكترث لشىء ولا يجرؤ أحد أن يكلمه كلمة ... وكم بيننا من أمثال هـذا البطل ممن لا يحسبون لأحد

أعلام معاصرون :

# محمـــد عبد المطلب

## ١٨٧٠ – ١٩٣١ م

للشيخ محمد رجب البيومى

يرى المتجول فى مديرية جرجا قرية « باصونة » الصغيرة ، حل بها لفيف من العرب الخلص الذين ينتمون إلى قبيلة جهينة وهى إحدى القبائل العريقة التى نزحت من الجزيرة العربية إلى مصر فى حقب مختلفة ومازالت تنتقل فى ربوع الوادى حتى استقر بها المقام فى أعلى الصعيد

ومنذ ثمانين عاما كان بهذه البلدة الهادئة بيت مرموق المكانة يقصده الوافدون للتبرك بصاحبه الصوفى الزاهد « عبد المطلب واصل » فهو شيخ وقور تنتظم فى بيته حلقات الذكر وتهب لديه النفحات الروحية الصافية ، ثم هو عالم متفقه فى دينه يعظ الناس كل مساء بما وعاه من الكتاب والسنة ، فيهز أوتار القلوب . ويأخذ بمجامع المقول ، هذا إلى عربيته الخالصة ونسبه الصريح

وولد شاعرنا الكبير سنة ١٨٧٠ فى هذا البيت الطيب ، فتربى تربية دينية قويمة . وطبع منذ نعومة أظفاره على الخلال العربية الحميدة ، وطبيعى أن يسلمه والده إلى معلم القرية فيحفظ القرآن الكريم ، ويلم بقواعد القراءة والكتابة ، حتى إذا فرغ من ذلك أمكنه من الفقه الإسلامى والحديث النبوى فارتشف ما قدر عليه من معينهما الرائق ، ثم أنس من نفسه المرفة فجلس يعظ الناس مكان والده ، وهو يعد فى مبدأ العقد الثانى من حياته الزاهرة ، فكان من يسمعه فى هذه السن الباكرة يؤخذ بلباقته الفائقة ، ويدعو له بالنجاح والتوفيق

وكان العارف بالله الشيخ اسماعيل أبو ضيف شيخ الطريقة يزور مريده « عبد المطلب واصل » فى « باصونة » من حين إلى آخر ، فشاهد نجله الصغير يعظ الجمع الحافل كمادته ، وهو لا يزال طرى الأملود غض الإهاب ، فتوسم فيه النجابة والذكاء ، وزاد به إعجابه فعرض على والده أن يصحبه إلى القاهرة حيث يرتشف العلم الغزير من منهله الرائق بالأزهر الشريف ، وكانت فكرة حميدة تلقاها الوالد بالترحاب والقبول ، ولم يمض زمن وجيز حتى كان الواعظ الصغير طالبا بالأزهر يقضى فيه بياض نهاره ، فإذا جنه الليل توجه إلى منزل حاضنه الشيخ اسماعيل فلازمه حتى الصباح

وإذا كان الفتى قد شهد مجالس التقوى فى صورة مصغرة عند والده بالصعيد فإنه فى منزل حاضنه الأكبر الشيخ أبى ضيف يرى الصورة المكبرة لهذه المجامع العامرة ، ويستمع إلى القصائد الصوفية التى تنشد فى الحلقات كل ليلة ، فيحس لها رنينا مشجيا يدعوه إلى تفهمها واستظهارها حتى كونت لديه ملكة حساسة تطرب للتوقيع الجميل ، وتتذوق المعنى الرائع ، ومهما يكن من

---

حساباً مهما بلغت شناعة ما يصنعون ...

وكنت أكتم ضحكى تلقاءه ، وأخشى أن يغلبنى ، فأتأهب لألحق بالمحصل وأوصد من خلفى الباب ؛ ثم أشغل نفسى بالتفكير فى أمره ، فأقول لو أن لهذا « الدونشى » ولأمثاله من المتحمسين الأشداء مثل هذا الثبات فى الجد من الأمور ، أو مثل هذا الرفض والإباء إذا دعاهم رؤساؤهم إلى غير ما يحبون ، لأخرجت أمتنا من الأبطال ما لم تخرج أمة مثله فى غابر الزمن وفى حاضره ، ولكن أكثر تحمسنا يأتى حين لا نخشى قوة ، وكثيراً ما يكون فى التافه من الأمور ..

وظل هذا « الدونشى » على ثباته وإصراره ، وظل القطار فى موضعه والناس فى العربات الأخرى ينظرون فى ساعاتهم ويطلون من النوافذ ويظهرون أشد علامات التبرم والسخط ، ويطل بعضهم من الباب ينظرون إلى هذا الذى لا يبالى بشىء .

وجاء قطار آخر وتشاور المحصلون فيما بينهم ؛ ثم انطلق بعد حين ذلك القطار الذى يحملنا ويحمل الدونشى حتى وقف على إحدى المحطات ، فنزل مزهواً بالنصر ومشى مرفوع الهامة موفور الكرامة إلى حيث يتضاءل ويتصاغر بين يدى رئيسه .

**الخفيف**

٢٨٠٤٣

شيء فقد كانت هذه المقطوعات الصوفية أول حافز دفعه إلى الانكباب على الدواوين الشعرية فى ميعة صباه يستوضح غامضها ويتفهم معانيها حتى خلقت منه فيما بعد شاعراً فحلا جزل العبارة فخم الأسلوب !

ولقد كان الطالب الأزهرى مبرزا بين لداته ، مشمولا بعطف أساتذته ومشايخه . إذ أن المبادىء الفقهية التى حصلها عند والده قد مهدت له أسباب التفوق والنبوغ ، ودفعته إلى التحصيل فى لذة وشوق ، فأخذ يستوعب كل ما يلقى عليه أتم استيعاب حتى نضج عقله فى مدى سبع سنوات قضاها فى الأزهر المعمور ، ثم هو لا يكتفى بما يأخذه من دروس قيمة فى اللغة والدين بل رتب لنفسه جزءا خاصاً من روائع الشعر العربى يحفظه يوماً بيوم ، حتى خرج من الأزهر إلى مدرسة دار العلوم سنة ١٨٩٢ م وعنده من غرر القوافى ثروة ثمينة ساعدته على النظم فى مختلف الأفانين الشعرية ، وجعلته يثق بنفسه ويعتد بملكته أكمل اعتداد

ولقد هيأت له الظروف فى سنته الأولى بدار العلوم فرصة طيبة لمع فيها نجمه ، فقد وقف يرثى فقيد المعارف على باشا مبارك فى حفل عام أقيم لتأبينه فأتى بالرائع المعجب من الأبيات الرصينة ، وخرج أساتذته وزملاؤه الذين سمعوه ينثرون عليه أكاليل الثناء ، ويضربون به المثل فى قوة الشاعرية وصفاء القريحة ، مما حفزه بقوة إلى الإطلاع الدائب ، والإنتاج الثمين

وكان المرحوم الأستاذ الشيخ سليمان العبد إذ ذاك مدرساً فى دار العلوم وله ميل شديد إلى النظم . فكان لا ينشىء قطعة إلا عرضها على تلميذه مستنيراً برأيه أمام زملائه ، وكثيراً ما ينزل على إرادته فيحذف ويثبت كما يملى عليه تلميذه الناشىء ، فإذا ما نشر قصيدته ـ وكان دائماً يكتب فى الوقائع المصرية ـ قرأها على تلامذته معترفا بما لعبد المطلب من أثر جميل

قضى الشاعر أربع سنوات فى دار العلوم وتخرج منها فى سنة ١٨٩٦ متوجا بالنجاح ، فنجا من قيود الدراسة التعليمية ، وهى كما نعلم — محصورة فى علوم خاصة ومناهج محددة ، قد لا يكون للشاعر فى بعضها رغبة ملحة أو حاجة ماسة ، أما الآن فهو حر فيما يقرأ ويدع ، وهنا نجد عبد المطلب قد عكف على الكتب الأدبية القديمة يستخلص لبابها ويستظهر أشعارها ، ويروى أخبارها ، ومن حظه أن عين مدرساً بمدرسة سوهاج الإبتدائية وبها يومئذ صفوة مختارة من عشاق الأدب ورواد المعرفة ، أذكر منهم المرحومين الأستاذ عبد الرحمن قراعه ، وعبد الله بك الطوير وعلى بك الكيلانى ، فنشأت بينهم وبين الشاعر صداقة وليدة تمهدها الأدب بمائه العذب حتى غدت دوحة مورقة وارفة فكانوا يعقدون مجالس السمر الأدبى حافلة بالنادرة الطريفة والملحة البارعة ، فإذا جاء دور الشعر فمحمد راويته الفذ وصناجته الحكيم ، وكثيراً ما يقترحون عليه أن ينظم فى معنى معين فيتحفهم بما يريدون مستعينا ببديهته المواتية وقريحته المتوقدة ، وكان الشيخ قراعة أحبهم إلى قلب شاعرنا المجيد ، وإنك لتجد فى ديوانه قصائد عديدة ممتازة قالها فى صديقه الوفى تنطق بالود الخالص ، وتنبىء عن الحب الأكيد ! . .

ولقد نظم الشاعر فى هذا العهد طائفة محمودة من الشعر السهل الواضح تتناسب مع تلامذته فى المدرسة الابتدائية ، فجذبهم إلى الشعر يتذوقونه ويحفظونه بعد أن كانوا لا يجدون منه غير المغلق المستعصى على مداركهم الناشئة مما خلف الأولون ، فكان عبد المطلب بهذا أول من خط الصحيفة الأولى فى كتاب الشعر المدرسى فى وقت صدف فيه التلاميذ عن كل ما يتصل إلى العربية بسبب . وإنك لتقرأ أبياته فى ذلك ، فتراها جليلة الغرض، رائعة المغزى ، سهلة التناول ، سلسة النسج كأن يقول

إن كنت تبغى المعالى ... فالعلم أهدى سبيلا
فأحقر الناس من قد ... طوى الحياة جهولا
تراه بالجهل يمشى ... بين الأنام ذليلا
نحن الذين اتخذنا ... نور العلوم دليلا
لعلنا فى المعالى ... بها نجر الذيولا

وهو لا يكتفى بحثهم على العلم فى هذا النسق الجميل ، بل يجذبهم إلى الأدب بنوع خاص فهو عنده كل شيء فى الحياة ، اسمعه حين يصف لتلامذته القلم فيقول

إذا اهتز فى طرسه معجبا ... أذل شعوبا وأحيا شعوبا
فيسعد قوم به تارة ... وقوم به يصطلون الخطوبا
وطورا تراه يفض الجموع ... وطوراً تراه يثير الحروبا
وطورا ينادى الورى سائلا ... وطوراً يرد عليهم مجيبا

وفى ديوانه مقطوعات عامرة من هذا الطراز الرقيق ، ويقينى أنه أول من حفز صديقه وتلميذه الأستاذ الهراوى إلى سد هذا الفراغ فى الأدب ، فنظم ما نظم من شعر الأطفال ترضية لأستاذه الحبيب

(البقية فى العدد القادم)

محمد رجب البيومى

# الأدب والفن في أسبوع

مدارس الشعر :

نلاحظ في الأنباء الأدبية الواردة إلينا من بعض الشقيقات العربية في هذه الأيام ، وفيما يكتب عن الحالة الأدبية فيها ، كثرة ما يقال من مثل « أدباء الجيل الجديد » و « شعراء المدرسة الحديثة » ، وقد يقابل هذا بنحو « الأدب القديم » و « الأدباء المحافظون » .

وأكثر ما نجد ذلك في الحجاز ، وقد وفدت علينا أخيراً طائفة من دواوين الشعر من إنتاج صفوة من الشباب الحجازيين الناهضين ، حوت شعراً جديداً جذب الأنظار إلى منازل وحي الشعر العربي الأصيل . وليس عجيباً أن تتردد بينهم كلمة الجديد وكلمة القديم ، لأن جيل الكهولة هنالك لم يكد يجاوز حدود عزلته للمشاركة في نهضة الأدب العصرية في سائر البلاد العربية .

وفي مصر لا نزال نرد الشعراء إلى مدارس تنسب إلى الجديد وإلى القديم ، ولكن ذلك خفت حدته في السنوات الأخيرة وقلّ ترداده ، وكان أمره مستشرياً في أوائل هذا العصر ردَّ فعل لعصر الجمود السابق له ، ثم تهيأت الأذهان واستقرت بها الحقائق الأدبية العصرية ، فتدانت المدارس واجتيزت الحدود ولم تعد بينها فروق كبيرة ، وأصبح الاختلاف بين الخصائص الشخصية أكثر من الاختلاف بين الخصائص المدرسية .

لذلك لم يكن الناس يتوقعون ما قاله الأستاذ العقاد عن لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية في الحفل الذي أقيم منذ أسابيع لإعلان نتيجة المسابقات الأدبية ، فقد نسب الأستاذ الشعراء إلى مدرستين : ابتداعية حديثة ، واتباعية سلفية ، على أن الأستاذ نفسه أشار إلى متاخمة المدرستين واقتراب خصائصهما .

وقد قرأت أخيراً من الدواوين الحجازية الجديدة ما يسوغ لي أن أسجل هنا أن الشعر الحجازي الجديد لا يلتزم حدود مدرسة معينة ، وهو يسير في ركب الأدب العربي الحديث مقارباً ومؤاخياً ، وأن الشعراء الشباب هناك ليس بينهم وبين أمثالهم في مصر وفي سائر البلدان العربية كبير اختلاف إلا فيما لا بد منه من بعض السمات المحلية .

الشعر والاستعمار :

ذكرنا مقال الأستاذ أحمد أمين بك الذي كتبه في عدد ( الثقافة ) الأخير بعنوان « الأدب يناهض الاستعمار » والذي بين فيه أن سقوط أمم الشرق في يد الغرب جعل الناس يشعرون أن الحرب الحقيقية بين المستعمَرين والمستعمِرين بدأت بدخول الأجانب بلادهم ، لا أنها انتهت بدخولهم ، فكان الأدب هو وحده المعبر عن شعورهم ، ثم بين اتجاه البارودي في شعره إلى مسائل عامة يعرض فيها قضية الوطن واستثارة الهمم ، وكذلك شوقي وحافظ اللذان أذكت زيادة الوعي القومي في عصرهما حرارة الوطنية في شعرهما ، وكان يناهض الاحتلال إلى جانبهما شعراء آخرون أمثال أحمد الكاشف وأحمد محرم وأحمد نسيم ومحمد عبد المطلب ومحمد الهراوي

ذكرنا ذلك بما يلاحظ على شعرائنا الأحياء من ضآلة نصيبهم في ذلك المضمار وقعودهم عن مكافحة الاستعمار ، وخصوصاً في هذه الآونة التي استفحلت فيها المنازعات بيننا وبين المستعمرين ، وبلغ فيها الوعي القومي مبلغاً كبيراً

فهل ترجع قلة محصول شعرائنا في هذا الميدان إلى قصور شاعريتهم ، أو ترجع إلى أن الشعر يتجه ، في آخر اتجاهاته ، اتجاهاً غنائياً ، فلا يحفل بحماس الوطنية ولا بمشاكل السياسة ؟؟

سفير عربي :

حدثنا الأستاذ محمود تيمور بك عن زيارته لدار الكتب الأهلية في نيويورك في أثناء رحلته إلى أمريكا في العام الماضي ، قال يصف تلك الدار : « إنها مبنى عظيم يحتوي على حجر رحبة وقاعات فسيحة ، وقد جبت أرجاءها فاستهوتني تلك الطرافة والتجديد في كل ركن ، وذلك التيسير وسرعة الإفادة في كل

موضوع ، وزهانى أن تقع عينى هنالك على قسم عربى ملحوظ الجانب بين سواه من الأقسام ، هذا سفير الشرق العربى يتربع هنا فى مهابة وإجلال ... ألا تراه أعز مكانا وأحمد أثرا من مقاعد تعد للشرق فى هيئة الأمم أو مجلس الأمن أو غيرهما من هيئات السياسة والشئون المالية ومجامع الشرف والتكريم ؟»

والأستاذ تيمور يعمل فى تأليف كتاب عن هذه الرحلة اسمه « أبو الهول يطير » يفرغ منه قريبا .

مسابقة المجمع اللغوى :

اجتمعت لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الاثنين الماضى ، ونظرت فى موضوع المسابقات الأدبية لسنة ١٩٤٧ — ١٩٤٨ ، وقد تناقشت اللجنة فى موضوعات الشعر والقصة والبحوث من حيث التقييد والإطلاق، وكان بعض الأعضاء قد اقترح أن تعين موضوعات جائزة الشعر والقصة مثل البحوث ، ولكن رئى عدم الأخذ بهذا لأن تحديد الموضوع وإن كان مقبولا فى البحوث الأدبية فإنه لا يستحسن فى الشعر والقصة ، إذ لا شىء أفسد لهما من صنعهما عن طريق التعمل والتكلف

واقترح أحد الأعضاء النص على أن الإنتاج المقدم للجنة يجب ألا يكون قد سبق تقديمه للمجمع ولا لأية هيئة علمية أخرى ، لأن مثل هذا الإنتاج لا ينبغى أن يجاز مرتين ، وما دامت هيئة علمية محترمة قد سبق أن أجازته فمن الحرج مخالفتها ، فنوقش هذا الاقتراح بأنه يجب قصر النص على أن لا يكون الانتاج مما سبق أن أجازه المجمع ، أما ما سبق لهيئة علمية أن أجازته فلا ينبغى أن يكون هناك مانع من قبوله ، وقد جرت على ذلك المجامع الأوربية ثم استقر الرأى على أن ما يقدم للمجمع يجب ألا يكون مما سبق أن أجازه المجمع. أما النص على ألا يكون مما سبق أن أجازته هيئة علمية محترمة فلا يذكر وتترك المسألة مطلقة

وقد تقرر تخصيص مبلغ مائتى جنيه لأحسن إنتاج من الشعر العربى الفصيح ، ومبلغ مائتى جنيه لأقوم قصة وضعت بالعربية الفصحى لا تقل عن مائتى صفحة من القطع المتوسط ، على ألا يكون كل من الشعر والقصة قد سبق تقديمه للمجمع

وتخصيص مبلغ ٤٠٠ جنيه للبحوث الأدبية على أن توزع على النحو الآتى :

ا — ٢٠٠ جنيه لأحسن بحث بالعربية الفصحى عن البيئة الأدبية فى المدينة أيام بنى أمية

ب — ٢٠٠ جنيه لأقوم بحث بالعربية الفصحى عن مهيار الديلمى وشعره

على ألا يقل البحث المقدم عن مائتى صفحة من القطع المتوسط وترسل إلى المجمع نسختان من الإنتاج الأدبى المقدم ، مطبوعتان أو مكتوبتان على الآلة الكاتبة فى موعد لا يتجاوز نوفبر سنة ١٩٤٧

التتويج الأدبى :

كان مجمع فؤاد الأول للغة العربية قد قرر فى سنة ١٩٤٥ « أن يتخذ سنة جديدة فيتوج أعظم الآثار الأدبية كل عام بتقديره ومنح صاحبه جائزة كما سيصنع مع الأستاذ خليل بك مطران »[1] وتم فعلا بعد ذلك تتويجه للأستاذ خليل بك مطران ومنحه جائزة ٨٠٠ جنيه . وكان ضمن قراراته فى المسابقة الأدبية الماضية تتويج الإنتاج القصصى للأستاذ محمود بك تيمور ومنحه جائزة مائة جنيه

وقد نظرت لجنة الأدب أخيراً فى هذا الموضوع فرأت عدم تتويج أحد فى هذا العام، وقررت مبدأ جديداً . أن يكون التتويج معنوياً لا مادياً أى تقديراً أدبياً فحسب ، فلا يمنح المتوج جائزة مادية ، على أن يكون التتويج حسب مشيئة المجمع واختياره من تلقاء نفسه ، لا بناء على طلب صاحب الآثار الأدبية

المخطوطات العربية :

من مشروعات اللجنة الثقافية بالجامعة العربية إنشاء معهد لإحياء المخطوطات العربية ، ويجرى العمل فى سبيل تصوير المخطوطات العربية القيمة وجمعها فى هذا المعهد .

وهذا مشروع جليل يستحق أكبر العناية ، فلا تزال فى

(١) نص قرار المجمع سنة ١٩٤٥

المكتبات العربية أسفار مخطوطة عظيمة الشأن ، منها مراجع يلقى الدارسون عناء كبيراً فى نبش قبورها ، كالمنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، وكالمغرب فى حلى المغرب .

وتلك المراجع المخطوطة هى أهم ما يستعين به من يضع مؤلفاً فى أحد الموضوعين اللذين قررت اللجنة الثقافية وضع جائزتين للتأليف فيهما ، وهـذا الموضوع هو « تاريخ الأمة العربية من سقوط بغداد إلى أول القرن الثالث عشر الهجرى » فجل تاريخ هذه الفترة مما حوته المخطوطات .

وقد أنشأت الجامعة المصرية منذ سنوات كرسياً للأدب المصرى ، والمقصود أدب تلك العصور ، ولا شىء أعون على دراسته من إحياء تلك المخطوطات ، فغاية ما نرجو أن يكون حظ الجامعة العربيـة من التوفيق فى ذلك أحسن من حظ الجامعة المصرية .

**الإذاعة العامية :**

وأخـيراً وافق مجلس الوزراء على مذكرة وزارة الشئون الاجتماعية الخاصـة بإعادة تنظيم محطة الإذاعة ، بعد أن آلت إدارتها إلى الحكومة . ومما تضمنته هذه المذكرة تأليف لجان ثقافية وفنية لاقتراح ما يذاع من الموضوعات واختيار المحدثين والفنانين وما إلى ذلك .

والمأمول من هذا التنظيم الجديد أن يحقق ما يرجى من محطة الإذاعة بحيث يقوى برامجها ويتلافى عيوبها التى استهدفت للنقد فى الأيام الأخـيرة . ومهما يكن من شىء فإنا لا نستطيع أن نستمر على غض الطرف عن هـذه العامية المتفشية فى الإذاعة المصرية ، فى التمثيليات وفى الأحاديث ... وليس الأمر مقصوراً على العامية منها ، بل نسمع كثيراً من المحدثين بالعربية يلحنون ويخطئون فى النطق وفى التعبير ، وكثيراً ما يقع ذلك ممن يدعون من الوزارات المختلفة للتحدث فى موضوعات فنية . فلم لا تكون هناك رقابة لتصحيح لغة الأحاديث وتمرين المحدثين على النطق الصحيح ما داموا لا يهتمون بتقويم ألسنتهم فى لغتهم كما يهتمون بتقويمها فى اللغات الأجنبية ! .

وقد انفردت محطة الإذاعة المصرية من بين سائر المحطات العربية بالإكثار من الإذاعة العامية ، فلا تكاد تجد فى محطة غيرها حديثاً ولا تمثيلا إلا بالعربية الفصيحة .

فيجب أن يلتفت القائمون على أمر الإذاعة فى عهدها الجديد إلى أنه ، قبل تقوية صوتها ليسمع جلياً فى العالم العربى كله ، يجب أن يكون هذا الصوت بلسان عربى مبين .

« العباس »

---

**من صور المجتمع المصرى :**

# عرس فى مـــأتم

للاستاذ على الجندى

كانت الجنازة تسير فى خطى وئيدة إلى مدينة الأموات ! وفى أذيالها نوائح متشحات بالسواد ، يتبارين فى شق الجيوب ولطم الخدود ! ومن بينهن فتاة فى طراءة السن ، بيضاء اللون ، فاحمة الذوائب ، ساجية العينين ، مخطفة الخصر ، تأطر فى مشيتها وتبالغ فى الإرنان والنحيب ! وتحيل على وجنتيها باللطم فيكاد يبض منهما الدم ! حتى شق ذلك على صواحبها فقلن لها : ارحمى شبابك يا « جل » .

وقد كنت أظن بادىء النظر أنها تصدر فى ذلك عن كبد حرى وفؤاد مقروح ، ولكنى رأيتها فى سر من رفيقاتها تثنى سالفتيها ، وتخزر عينيها ، وتفتر عن بسمات الدل والإغراء ! فأيقنت أن هـذا الدمع زيف ، وأن ذلك الحزن مصنوع لا مطبوع ! يا للمفارقات العجيبة ! !

قطعة زاخرة من الحياة تدلف فى ركاب الموت ! ونغم حلو شهى يرتفع بين النشيج والعويل ! وبسمة وضيئة ترف على عبوس الأحزان ! !

لقد استطاعت هذه الحسناء اللعوب أن تذهل الناس عن جلال المـوت ! ولـكنها استطاعت كذلك أن تصلهم بالصانع الحكيم الذى أبدع هذه الدمى الفاتنة فأدقها وأجلها !

وقد أوحى إلى هـذا المشهد الفريد هـذه الأبيات ولـكن أشهد أن ما بقى فى نفسى من ذلك أعظم وأجل !!

---

لا تنـوحى كما ينـوح النساء أنتِ نور ، وهن طين وماء
إنتِ عرس تطني على المأتم الصا خب منه الأنغام والأضـواء
أنت تحت الخشوع فى موكب المو ت دلال ، وفتنة شـــعواء
أنت بين النحيب ، واللوعة الحرى م نعيم ، وبهجــــة ، وصفـاء
أنت بين الأحزان ، والألم المشـ بوب زهر ، وخمرة ، وغنـاء
اتق الله فى خـدودِك ، فالور د من اللطم جذوة حمراء
اتق الله فى عيونِـك فالـــنر جس أدمت أجفـانه الأنداء
وبلاء أن يذبل النرجس الغض م ويلهـو بوردتيك الفنـــاء
كيف نأسى مَن وجهها فى الأسى البـ رح روْح(١) ، وســـلوة ، وعزاء

(١) راحة .

كيف تبكى من ثغرها لمعة البـ ـشر إذا جـد بالحزين البكاء
لا تقولى : أبكى رياء ، فمـا يحـ ـسن من حسنك البرىء الرياء
لا تقولى : هى المداراة ، فالنا س جميعاً — إذا سلمت — هباء
ماعهدنا أن يخمش (البدر) خديـ ـه وأن تسكب الدموع (ذكاء)
جلتِ الصنعة العلية أن يلـ ـطم وجـه يشع منـه الضياء
فابسمى للحياة ، فالحسن بسا م ، وقبح أن تمـبِس الحسناء
وامرحى فى الشباب فالفطرة البيـ ـضاء تأبى أن تستكين الظباء

***

أى نعش سارت تشيعه الشمـ ـس وتسعى وراءه الجـوزاء
شـــغل الحامليه ظبى رخيم لاعب بالعقول كيف يشـاء
قد ضمنا أن ينزل « الخلد » ميت لمست عود نعشه « حوْراء »
كيف لم تعبق الجنازة(١) مسكا من شذاها ، وتورق « الحدباء »

***

حسبكِ الله ! قد نسينا بك المو ت ، وللموت حولنا ضوضاءِ
بين سود الثياب ، والفاحم الفيـ ـنان وجـه ، له الوجوه فداء
عجب الناس أن يروا فى الضحا الما تع بدراً تحفـــه ظلماء
ومهـــاة تحت الأسى تتثنى خوط بانٍ تهزه النكباء
كلما ماس عطفها انسدل الشعر م فغطى على الصباح المســاء
وتنزت رمانتان من العا ج ، وماجت حقيبة بجـراء
ترسل الصوت كالبغام ، وترنو بعيون ، تفتيرها صهباء
وتندى خـــدودها عبرات تصف الحزن ، وهى منه براء
تصنع الدمع صنعها الدل ، والتمـ ـثيل فن تجيـده « حواء »
وهى حيناً تجلو جُمَانَ لِثات تتمنى سـلافها النـــدماء
بسمات بين الدموع كما افترت م عن البرق مزنة وطفاء
كل شىء فيها يناديك أن تخـ ـلع ثوب الوقار حتى البكاء
ومن الغانيات مَنْ كلها فن م أنيـــق ، وكلهـا إغراء
ما عليها لو حجَّبت ناظريها فاستراحت من الجوى الأبرياء
دينها الفتك ! لا السوابغ حرز من ظباها — ولا التروس وقاء

***

سمت طرفى الإغضاء عنها ، فماصا نى ، وصعب عن مثلها الإغضاء
ليت شعرى ما رابنى من جمال هو لله حجـــة بيضـــاء

(١) بالكسر : الميت .

# إليهـــا . . .

للشـــاعر إبراهيم محمد نجا

طائر الليل وراء الأفـق طارا    وبدا الفجر كأحلام العذارى
فتعـــالى خففى من لوعتى    أو فزيديها — إذا شئت — أوارا
إن تكن نارك تكوى مهجتى    حبذا نارك فى المهجة نارا
أنا يا هند خيـــال شارد    سئم الناس ، كما عاف الديارا
عشت فى الدنيا غريباً حائراً    هائماً فى كل واد ، مستطارا
يستوى عندى يومى وغدى    وكذا أمسى ليلا ونهارا
ملك اليأس زمامى ، فأنا    لا أسير اليوم إلا حيث سارا
لا تلومينى ؛ فكم من أمل    طاف حولى وتغنى ، ثم طارا
معزفى باك ، وقلبى خافق    لج فى المـاضى حنيناً وادكارا
فتعـــالى يتغنى معزفى    بالهوى طوعاً، وبالحسن اختيارا
أو فعودى بى إلى الماضى الذى    غاب خلف الأفق عنا وتوارى
كلمـــا نبـّه قلبى طيفُـه    لم يطق قلبى من الشوق اصطبارا
أين منى الآن أفق ضـاحك    كان للحب مراحاً أو مطارا ؟
أين منى الآن وكر هادىء    حوله الجدول ينساب نضارا ؟
ملك الحب كســاه مطرفاً    وكسته ربة الطهر شـــعارا
طالما زرناه يا هنـــد معا    ورجعنا منه لم نخلع عـذارا
وغرسنا بذرة الحب به    ثم عـــدنا نجتنيناها ثمارا
حبذا الحب ملاكا طاهرا    لا يرى إثما ، ولا يبصر عارا
حبذا الحب منارا فى الدجى    يسكب النور على دنيا الحيارى
حبذا الحب نسـيما عاطرا    يرتقى بالروح حتى يتوارى
حبـذا الحب عيونا تلتقى    فى ظلال الشوق سرا أو جهارا

***

تلك دنيا بعد العهد بها    ونأت عنا مقاما ومزارا !
أفما زالت على عهد الهوى ؟    أم أحال الدهر مغناها قفارا ؟
أين منى الآن روح طاهر    كان فى ظلمـاء أيامى منارا ؟
أين منى الآن جسم باهر    يأسر اللب انعطافاً ونفارا ؟
أين منى الآن ثغر ســاحر    طاب كالزهرة عطراً وافترارا ؟
يسكب الحسن عليـــه نوره    والفراشات إليـــه تتبارى
رفرف الحب عليـــه طائراً    والمنى رفت حواليـــه إطارا
أين منى الآن شعر ناعم    ضـلّ قلبى فى ثناياه وحارا ؟
كلمـــا مرت عليه نسمة    داعبته ، فتمالى واسـتدارا
أين منى الآن صوت حالم
يترك الأطيار فى الروض سـكارى ؟
لى منـــه نشوة ما تنتهى    أترانى أحتسى منـه عقارا ؟
أين ؟ ... لاشىء سوى دمع الأسى
وطيوف اليأس فى قلبى حيـارى !

***

من لباك ليس يرقا دمعـــه    ومحب ضيع العمر انتظارا ؟
طالمـا حن إلى المـاضى الذى    غاب خلف الأفق عنه وتوارى
آه يا قلبى ! كفانا حيرة !    وكفانا أيها القلب عِثارا !
طُوى الماضى ! فيا قلبى اتئد !    عبثا تطلب للمـاضى انتشارا !
لم يعد ماضـــيك إلا ذكرا    فانحَ فى الماضى حنيناً وادكارا

ابراهيم محمد نجا

---

رب حسن هدى إلى خالق الحسـ    ـن حيارى لم يهـــدهم أنبياء
ودعاء باسم المــلاحة يزجى    قد تلقته بالقبـــول السماء
شق الناس بالجمال ، ويشقى    — تحت ظل السعادة — الأغبياء
ليت من أشعلوا الإسيطة ناراً    عرفوه ، فـلم يصبنا البلاء
لو دروا سِرّه أظلهمو السلـ    ـم ورفّت عليهمـــو النعماء

على الجندى

---




**الجمهورية اللبنانية تكرم النشاشيبي :**

سبقت الجمهورية اللبنانية إلى تكريم إمام العربية فى هذا العصر العلامة المحقق الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى فأهدت إليه وسام الاستحقاق اللبنانى المذهب تقديراً لجهاده الأدبى الدائب المثمر فى سبيل وحدة العرب ونهضة العربية. وليس بدعا أن يسبق لبنان دول العروبة إلى أداء هذا الواجب لرجل قصر جهده وفكره ووقته وماله على خدمة الأدب العربى زهاء أربعين عاماً ، فإن لبنان يجرى فى هذا السبق على أعراق آبائه . فقد كانوا حين تَترَّك العرب وجعلوا يدرّسون نحو العربية وصرفها باللغة التركية فى مدارس العراق والشام ، يتعصبون هم للغة القرآن فيجددون قديمها ، وينشرون أدبها ، ويصدرون الصحف بها ، ويصنفون المعاجم لها ، ورحم الله آل البستانى وآل اليازجى !

**كلمة أخيرة فى أبى هريرة :**

قرأت ما كتبه الأستاذ عبد الحسين شرف الدين فى العدد ٧٢٤ من مجلة الرسالة ، فوجدته يدعى أنا معشر أهل السنة نذهب إلى عصمة الصحابة من الجرح المسقط لعدالة المجروح ، وهذا ليس بصحيح ، لأن العصمة خاصة عندنا بالأنبياء ، وعدالة الصحابة عندنا لا ترجع إلى عصمتهم ، لأنه يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم ، وإنما ترجع إلى ما كان من تحرزهم فى دينهم ، وما يأخذه أخواننا من الشيعة عليهم يرجع إلى رأيهم فى الخلافة ، ومثل هذا لا تسقط به عدالة .

ثم وجدته يعود إلى حديث دخول أبى هريرة على رقية ، وإلى تصحيح الحاكم لسنده ، مع أن البخارى أعله بالانقطاع ، ومع أنى أثبت له ضعف هذا السند فى روايتى الحاكم ، واعتمدت فى هذا على كتاب ميزان الاعتدال للذهبى ، وقد ذكر الأستاذ أنى ضعفت هذا السند بما لا يتنزه عن مثله أسانيد كثير من الصحاح ، وفاته أنه يكفر أبا هريرة بهذا الحديث ويتهمه بوضعه ، ولا يصح تكفير مثل أبى هريرة إلا إذا لم يكن مطعن ما على غيره ، فإذا كان هناك مطعن ما على غيره لم يصح تكفيره ، لأن التكفير لا يثبت إلا بقاطع فيه .

على أن تصحيح الحاكم لسند ذلك الحديث لا يفيد الأستاذ فيما يريده من إثبات وضعه ، ومن أن واضعه أبو هريرة ، لأن الحديث الذى يصح سنده دون متنه لا يكون موضوعاً ، وإنما يكون فى متنه غلط أو نحوه ، كما تقرر هذا فى علم مصطلح الحديث ، أما طلب الأستاذ أن ينظر فى غير هذا الحديث من كتابه فيمنع منه أن مجلة الرسالة لا تتسع له .

**عبد المتعال الصعيدى**

**إلى الأستاذ الطنطاوى**[1] **:**

أتقول - أيها الأستاذ الفاضل - إن « مؤلف الكتاب - السبيتى - لا يسوق ما ساقه على أنه رأى له ، بل على أنه معتقد الشيعة وأن المعتمد عندهم ، وأنت تصدقه فى ذلك ما لم ترَ علماء الشيعة يكذبونه وينكرونه عليه » .

فتعالَ معى - حفظك الله - لأدلك على الشباب المثقف فى مدينتنا - التى تُعَدُّ أهم مراكز الشيعة فى العراق - لترى أنه لا يعير هذه التقاليد والعقائد اهتمامه بل هو راغب عنها ، ثائر عليها ، لا يهتم بهذه النعرة - الطائفية الأثيمة - الجالبة الشر إلينا وعلينا ، لأنه عرفها من عمل « المستعمر » الغاشم وأذنابه ، ودرى أنها ليست نتيجة للتفكير .

وكُنْ على يقين ثابت من قولى من أن هذا الكتاب - تحت راية الحق - الذى كان بين يديك قبل مدة وقرأته وعلقت عليه ، لم يقرأه شباب الشيعة المثقف عندنا ، ولا يحاول أن يطّلع على كتاب - كهذا - يحوى بين دفتيه سفساف الأمور ، وأشياء لا تجلبُ للمسلمين سوى الضرر . وأنهم عجبوا منك حينما طرقت هذا الموضوع ، فى صحيفة تخدم الأدب والعلم والفن ! وحقيق بنا أن نعجب !

***

(١) تعليق على مقال « إلى علماء الشيعة » الذى نشره فى عدد الرسالة ٧٢٢ .

عفواً ، « إن إخوانكم الشيعة لا يعتقدون أن المهاجرين والأنصار لم تصف نفوسهم لفهم الدين ، ولم تصل إلى أعماق قلوبهم ، وهم يرونهم — كما ترونهم — أئمة الهدى وورثة الرسول » والشباب الواعى لا يسب الصحابة لأنه يراهم « خلاصة الإنسانية ولباب البشر » ولأنه واثق أن الدين الحنيف قام على أكتافهم وشُيِّدت دعائمه ببذل جهودهم المشكورة .

وبعد فإننى لم أرد — بهذا المقال — الدفاع عن الشيعة بل إنما أردتُ أن أقول الحقيقة ، وأدعو المسلمين كافة إلى نبذ أمثال هذه الكتب المفرقة ، فحسبنا هذا الاختلاف أربعة عشر قرناً .

فقد اتحد أقوامٌ من أديان مختلفة وانضموا تحت لواء واحد ، وبقينا نتنازع ، وانقلبنا شِيعاً بعد أن كنا كالبنيان المرصوص وأُصبنا بما أُصبنا .

أليس من العيب علينا ألا نتحد وكلنا يَدين بدين محمد !

( كربلاء — العراق ) **جواد صالح الطعمة**

### ١ — فى العروضه :

فى « الرسالة » الغراء فى عددها (٧٢٣) قصيدة حرة سابغة للأستاذ الكبير الشاعر الناثر محمود الخفيف استوقفنى فيها ما أردت إثباته للحقيقة .

يقول الأستاذ :

وهّاجة شعلتها لا تَنى تضىء لا يحبسها حابسُ
من موطن سارت إلى موطنٍ خانقها من موتها يائس
نار ســـناها ليس فى الأعين ملء أبيّات النفوس السنا
... ... الخ

والشاهد أن الأستاذ أسّس فى الشطر الأول من البيت الأول « بألف التأسيس » فى كلمة ( لا تنى ) وأغفله فى البيتين التاليين وهو ما لا يجوز فى شِرعة العروضيين أهل السبق والرتق والأذن الواعية .

هذا ، وللأستاذ الموقّر تحية المقدِّر ، والسلام .

### ٢ — منذئذ :

عرضت لى هذه الكلمة فى مجلة « العالم العربى » ووقفت عندها موقف الشاك فى غير إثم ...

فأنا أعرف أن « حينئذ وعندئذ ويومئذ وليلئذ ... » كلها تحدد الزمان حيال أمر مضى أو انقضى .. أما ( منذئذ ) هذه فأمرها غير أمر أخواتها وإن وقع الشبه ..

« فمنذ » كلمة تحدد الزمان لأمر حدث فى الماضى واستمر حتى ساعة الخطاب .. تقول : ما عرفت طعم الكرى منذ رحل أو مذ رحل .

وأما ( منذئذ ) فأنا أسأل عنها العارفين شاكراً ... والمرء جاهل ما عاش ...

( الزيتون ) **عدنان**

### خطأ عروضى شائع :

نشر الأستاذ مختار الوكيل قصيدة فى هلال مايو ، بعنوان : « إلى أخى » وهى مهداة لكل أخ فى جنوب الوادى ، ومطلع هذه القصيدة :

أخى قد شاء رب الكو نِ أن يُجَمِّع قلبـــانا

وهذا المطلع كما هو ظاهر من بحر الهزج (مفاعيلن مفاعيلن) (وكذا عجزه !) بينما البيت الذى يليه من مجزوء الوافر وهو :

فأســكننا بوادٍ فا ضَ بالخـــيرات ألوانا

لأن وجود التفعيلة (مفاعلتن) فيه تكفى لجعله من ذلك البحر .

وأكثر أبيات القصيدة خليط من بحرَى الهزج ومجزوء الوافر وهو خطأ يقع فيه كثير من الشعراء المحدثين .

( فلسطين ) **خليل ابراهيم الخطيب**

### فى مقال الفنجاوي :

وقع فى مقال الأستاذ رمزى بك المنشور فى العدد الماضى خطأ مطبعى فى كتابة هذين الإسمين فننعيد نشرهما مصححين :

كابتشاك Kaptchak
وكيبتشاك Kiptchak




# الحجاج فى الميزان

( تأليف الأستاذ طه عبد المجيد الشيمى )

تاريخنا لم يكتب بعد ، وما هذه الكتب التي بين أيدينا إلا مصادر له ، على أنها مصادر يصدر عنها الخير والشر ، والصحيح والباطل ، وسبب ذلك أن علماءنا لم يعنوا بنقل التاريخ . عنايتهم بنقل السنة ، ولم يتعبوا أنفسهم في تصحيح إسناده ، وتمحيص رواياته كما أتعبوا أنفسهم فيها - وأن التاريخ دوّن فى عهد العباسيين فكان فيه من التحامل على بنى أمية خاصة شىء كثير ، لا سيما وأن أكثر الطعن فيهم ينقله مؤلفونا المعاصرون عن مثل المسعودى واليعقوبى وهما شيعيان متهمان ببغض بنى أمية ولا بد من إعادة كتابة هذا التاريخ من جديد .

وهذا الكتاب محاولة صالحة لدرس حياة الحجاج دراسة أراد المؤلف أن ينصفه فيها ويدفع عنه تهم أعدائه ، ففعل ولكنه بالغ فى ذلك حتى كان نظره إليه نظره إلى صديق يمدح لا مؤرخ ينقد ويزن .

والكتاب للأستاذ طه عبد المجيد الشيمى من علماء الأزهر فى مائة صفحة من القطع الصغير يطلب من دار مجلة الإسلام فى شارع محمد على بمصر.

علي الطنطاوي

# معرض الأدب والتاريخ الاسلامى

( تأليف الأستاذ محمد عبد الغنى حسن )

قال لى صديق الأستاذ محمد عبد الغنى حسن وهو يقدم إلى كتابه الأخير أكتب عن هذا الكتاب وانقده ما وسعك النقد. فقلت له لقد قرأت هذا الكتاب يوم صدر ، ولم يكن فى عزمى أن أقرأه كله ، ولكنني ما كدت أقرأ الصفحات الأولى منه حتى مضيت فى قراءته إلى آخره ، لأنى وجدت فيه متعة ولذة ومهولة مع براعة الاستهلال وحسن الانتقال ، ولا أذكر أنى وجدت فيه مآخذ تستوقف النظر . فإن كتبت عنك فلا بد لى من الرجوع مرة ثانية إلى الكتاب لألتمس فيه المغامز التماساً ، فلا تكلفنى شططا .

قال : بل اكتب .

فقلت كما قال أرسطو : أحب أفلاطون وأحب الحق ، ولكن حبى للحق أعظم .

الكتاب يقع فى ٢٣٤ صفحة ، وفيه هذه الموضوعات : قصة الأساطيل الإسلامية ، ارتياد جزيرة العرب ، التجارة الإسلامية على مر العصور ، الوزارة والوزراء فى الإسلام ، مكتبات عربية فى الشرق والغرب ، دور التحف العربية ، الرحلات العربية ... ثم أربعة عشر موضوعاً خلاف ما ذكرنا ، وهذا هو السبب الذى جعل المؤلف يصوغ عنوانه « معرض الأدب والتاريخ الإسلامى » .

وأول ما يستوقف القارىء هو هذا العنوان .

هل الإسلامى صفة للتاريخ أم صفة للأدب والتاريخ . إن كانت الصفة للتاريخ فقط فالعنوان صحيح ، وإن كانت لهما معاً ، فالواجب أن يقال : معرض الأدب والتاريخ الإسلاميين .

ولست حجة فى اللغة العربية وقواعدها ، ولكن العقل السليم يقتضى ما ذكرت ، على الرغم من أن اللغة تتسع لكثير من التخريج والتأويل .

ثم قال فى قصة الأساطيل الإسلامية : « ومن العجب أن عمر بن الخطاب الفاتح العظيم ، لم يحب ركوب البحر ، بل على الضد من ذلك صرف المسلمين عنه . وكتابه إلى معاوية يؤيد هذا ، فقد أقسم بالله الذى بعث محمداً بالحق لا يحمل فيه مسلماً أبداً . وذلك حينما اقترح معاوية وألح فى الاقتراح على عمر ركوب البحر وغزو الروم فى حمص .

« وعجيب جداً أن يكون هذا موقف عمر من البحر وهو الذى دوخ البلاد فتحاً وغزواً ، ولعله أراد أن يركز قوة المسلمين فى البر حتى يتهيأ لهم مع الزمن ركوب البحر » .

وإذا كان الأستاذ عبد الغنى قد اعتمد على هذا النص الموجه إلى معاوية، فهناك نصوص أخرى تفيد غير هذا المعنى. من ذلك — وأنا أرجع الآن إلى الذاكرة — قول عمر « علموا أولادكم الرماية والسباحة ». والسباحة لا تكون إلا بحراً لا براً، وقد قال عمر ذلك فى معرض الفروسية وتربية العرب على الحرب والقتال. والذى ينصح بالسباحة لا يمتنع من النصح بركوب البحر.

ومن جهة أخرى لا ينبغى تفسير التاريخ بالنظر إلى وثيقة واحدة. والواقع فى المسألة أن الحروب التى قام بها عمر فى فارس والشام، ما كانت تقتضى ركوب البحر، ولو أن الله مد فى حياته، لفعل كما فعل عثمان بن عفان.

وقال الأستاذ عبد الغنى عند الكلام على « التجارة الإسلامية على مر العصور » ما يأتى « وكانت روح الإسلام المتحرجة من التجارة باقية عند الأمويين، ولم تترك لهم المنازعات السياسية والحزبية مجالا للبيع والشراء. فلما جاء العباسيون تغيرت نظرة الناس إلى الأشياء وأصبح التاجر الغنى موضعاً للتبجيل والاحترام ».

ويبدو كذلك أن هذا الحكم سريع لا يستند إلى الواقع من التاريخ. فالقول بأن المنازعات السياسية والحزبية لم تترك للأمويين مجالا للبيع والشراء، قول يصح بالنسبة إلى الدولة العباسية فقد كثرت فيها المنازعات السياسية والحزبية.

ومهما يكن من شىء فهذه وجهات من النظر فى تفسير التاريخ، ولن نجد فى التاريخ تفسيراً واحداً.

ولا أحب فى ختام هذه الكلمة أن أذكر المواطن التى أعجبتنى فى هذا الكتاب، وأن أنبه عليها، حتى لا يقال هذه تحية صديق

**أحمد فؤاد الأهوانى**

## ١ – نظرة العجلان فى أغراض القرآن

( تأليف محمد كمال الخطيب المحامى )

إذا كان القرآن الكريم قد ظل على طول القرون مقصد العلماء يتناولونه من سائر نواحيه بالدراسة والبحث، فإن هذا الكتاب يلم بناحية فنية من تلك النواحى إذ قصره مؤلفه الفاضل على البحث فى وحدة الموضوع فى السور وتناسب الأغراض بين الآيات، وعلى هذا تحدث عن جميع سور القرآن مبتدئاً بفاتحة الكتاب حتى بلغ النهاية، وهذا الذى عناه المؤلف مما تناوله المفسرون ورجال البلاغة ولكن فى مواضع متفرقة وفى مناسبات استطرادية. فكان من الفضل للمؤلف أن جمل من ذلك وحدة شاملة هى موضوع كتابه النافع وإن كان قد اضطر إلى إجمال الكلام إجمالا لا يشبع.

أما مؤلف هذا الكتاب فهو الأستاذ محمد بك كمال أحمد الخطيب المحامى ومدير مجلة التمدن الإسلامى التى تصدر بدمشق، وهو معروف بصدق الغيرة الإسلامية، وليس كتابه هذا إلا مظهراً من مظاهر هذه الغيرة الكريمة. ولا شك أن كتابه بما له من جلالة الموضوع سيقع عند القراء موقع الرضا والتقدير.

## ٢ – ألغاز الحياة والموت

( ترجمة الأستاذ على عبد الجليل راضى )

الخلق. الروح. البعث. الذرة. الأثير. الأحلام. الضمير، هذه الموضوعات التى تتصل بعالم الكون وعالم الإنسان قد حيرت الأفهام وأرهقت عقول العلماء على أنها لا تزال مورد التساؤل والاستفهام، ومبعث الحيرة والارتباك.

ولقد أحسن الأستاذ الفاضل على عبد الجليل راضى إذ عنى بنقل ما كتبه العلماء الإخصائيون فى هذه الموضوعات وما وصلوا فيها من آراء هى نتيجة الدراسة العميقة والخبرة التى تقوم على مدلول التجربة ومنطق العقل، كما أحسن إذ عنى بتبسيط المسائل المعقدة وشرح الاصطلاحات الغامضة، فجاء كتابه هذا ثمرة طيبة فى الإفادة بالموضوعات العلمية والتعريف بهذه الناحية التى لا تزال مجهولة من الشبان وطلاب المعرفة.

**محمد فهمى عبد اللطيف**




# المترو

للقصصي النمساوي أيرفين ريجر

كان الحر لافحاً خانقاً عند ما توقف شاب وفتاة وسط الساحة الكبيرة في « محطة الشرق » بباريس يطلقان حولهما نظرات قلقة حائرة. كان من السهل إدراك أنهما أجنبيان قدما إلى باريس من بعيد، وأنهما فلاحان كما تدل عليه ملابسهما. كانا بولنديين مهاجرين قدما إلى باريس ليبحثا عن عمل في فرنسا

كان الإعياء يبدو عليهما من أثر الرحلة الطويلة. وكانت الفتاة شاحبة اللون تحيط عينيها الوضاءتين هالات سود. ولكن نظرتها كانت تنم عن الاستسلام المطلق والثقة العمياء بالشاب القوي العريض المنكبين

ووضع الشاب الأمتعة التي كان يحملها كلها وحده. ثم أخرج ببطء من جيبه الداخلي محفظة كبيرة من الجلد وجذب منها ورقة قدمها لأحد المارين الذي ألقى عليها نظرة عاجلة وقال (متروبورت دو كلينيا نكور) ولم يفهم الشاب الأجنبي وسار وراء المار ورفيقته وراءه يستوضحه فأجاب بنفس العبارة

وعرض الشاب نفس الورقة على شيخ قصير القامة يحمل منظارا. ولاحظ العجوز أن الشاب والفتاة أجنبيان يبدو عليهما الوجل والاضطراب فأشار إليهما بمتابعته فقفلا ونزلا وراءه السلم الذي يوصل إلى ممر طويل تحت الأرض كتب على مدخله عبارة (مترو) وبعد بضع خطوات رأيا لافتة كتبت عليها عبارة (مترو بورت دو كلينيانكور)

واشترى العجوز تذكرتين وناولهما للشاب مبتسما وسار في سبيله. وتقدم (بوجدان) يحمل الأمتعة نحو الممر تتبعه (تيريز). لم يكن السير سهلا فقد كان يخرج من تحت الأرض هواء ساخن يخنقها، وكانت الممرات تتقاطع تملؤها الجموع الإنسانية الحاشدة. لذا كان يحدث من لحظة إلى أخرى أن يفصل بين بوجدان وتيريز بالرغم منهما بعض المارين المسرعين في طريقهم. وكان بوجدان يخترق الجموع بجسمه المارد كباخرة عاتية لا تعبأ بما يعترضها من الأمواج. أما تيريز فكانت تجري وراءه بقدر ما تستطيع. وعند ما وصلا إلى نهاية السلم وجدا أمامهما أفريزا تمتد تحته قضبان حديدية وسط ظلام دامس. ما أغرب هذا العالم الذي يجري تحت الأرض! وعبر بوجدان بابا وتوقف قطار كهربائي يحمل معه صوتاً أشبه بصوت الرعد. ثم فتح أبوابه وألقى إلى خارجه جموعا إنسانية أخرى وفي نفس اللحظة أغلق باب الافريز صاداً عن المرور تيريز التي كانت تجاهد الزحام بكل قواها دون جدوى؛ فاضطرت أن تنتظر على السلم مع مئات غيرها. وأصابها الذعر حين رأت بوجدان مدفوعا بجهود نافد الصبر يدخل عربة القطار دون أن ينظر حوله. فصرخت صرخة تمزق القلب « بوجدان! بوجدان! » وفي نفس الوقت أغلقت جميع أبواب القطار ثم دوى صوت صفارة تبعها في الحال تحرك القطار الذي انزلق كالسهم في النفق الأسود المظلم.

بقيت تيريز وحدها يحيط بها جمهور متباين الوجوه، يتكلم لغة لا تفهمها، وامتلأ الرصيف بالخلق يضحكون ويمزحون ولا يأبه أحد لها. ووصل قطار جديد يشبه تماما ذلك الذي ركبه بوجدان منذ دقيقتين وفغرت الأبواب أفواهها واندفعت الجموع. ما العمل؟ هل تنتظر؟ هل تتبع الجموع في سيرها؟ وبغير وعي انساقت تيريز مع الحشود الإنسانية في طريقها كما فعل بوجدان. وبدأت رحلتها في أنحاء باريس تحت الأرض دون أن تعرف إلى أين تذهب. كانت واقفة وسط عربة القطار الذي يخترق الظلام نحو المجهول. أين بوجدان؟ هل هناك أمل في العثور عليه؟ وتملكها الخوف. إلى أين يقودها ذلك القطار الذي يجري في الظلام كالصاعقة، ودار رأسها ولم تعد تستطيع احتمال هذا القلق وهذه الوحدة. ووقف القطار فنزلت منه كمجنونة وسارت يدفعها هذا ويرتطم بها ذاك صاعدة سلما لا ينتهي. ثم أنعشها هواء ناعم ووضحت أمامها الوجوه وعادت إليها الحرية. كانت لا تصدق عينيها. أهي في حلم؟ ما هذه الأضواء العديدة الصارخة؟ ما هذه الموسيقى؟

وجدت نفسها في شارع على جانبيه منازل عالية . تصطف تحتها المطاعم والمقاهي الزاهية بالأنوار . المكتظة بالناس المرحين في ثياب العيد .

ماذا يريد منها هذا الشاب ؟ لقد مس ذراعها فرفعت رأسها ونظرت إليه بدهشة أضحكته . إنه يتكلم تلك اللغة الأجنبية . ولاحظت أن صوته ناعم رقيق برغم أنها لم تفهم كلمة واحدة مما تفوه به ، وهزت رأسها وافتر ثغرها عن ابتسامة اعتذار أضاءت وجهها المبلل بالدموع . وأدرك ( رونيه ) أنها جميلة وهو ينظر إلى خصلة الشعر الذهبية التي تبرز من تحت المنديل الذي يعتص شعرها . وأدرك أنها أجنبية وربما كانت ألمانية . لقد تعلم بعض كلمات ألمانية أثناء اعتقاله مدة الحرب فجمع شتات ذاكرته ووجه إليها عبارة صغيرة آتت ثمارها فقد كانت في وطنها بولونيا تعيش قرب الحدود الألمانية. ما أسعد أن يجد المرء في هذه البلدة الغريبة شخصاً يركن إليه ويضع فيه ثقته ! لقد فتحت له قلبها وقصت عليه كيف أن والديها لم يقبلا الإنصات إلى حديثها عن بوجدان فهربت معه إلى خارج وطنها ، وكيف أنها قدمت إلى فرنسا تبحث عن عمل . وكيف فقدته في محطة المترو وهي قاب قوسين أو أدنى من هدفها كان يجب أن تأكل الفتاة شيئاً لتسترد قواها فذهبا إلى أحد المطاعم المحيطة بهما وجلسا في الشرفة يحيط بهما جمهور كبير يأكل أشهى الطعام ويشرب أفخر الشراب ، كانت تيريز قد جففت دموعها ولكنها كانت خجلة من ملابسها المتواضعة وسط هذا الجمع المتأنق الفاتن ، لقد أخذ بوجدان معه جميع ملابسها ونقودها. كانت تنظر إلى رونيه مذهولة لفرط ظرفه ورقته اللذين لم تر لهما نظيراً . وأراد رونيه أن يهدىء من روعها ويرفه عنها فقال :

هذه هي مونمارتر ، هي من أبهى أحياء باريس واليوم يوم عيد . إنك سعيدة الحظ بوصولك إلى باريس في هذا اليوم . يوم ١٤ يوليو . انظري كيف يضحك الناس وكيف يرقصون . إنها ليلة الحرية .

واستحوذت على تيريز عاطفة جديدة . عاطفة حب الحياة . وتملكتها رغبة في الاستقلال والتحرر لم تشعر طول حياتها بمثلها ، كانت كأنها تريد أن تقبل كل هذه الجماهير التي لا تعرفها.

***

ومرت الشهور والأعوام ولم يعد بوجدان جاورونسكي . لقد اشتغل عاملا في المناجم في بلدة مارل لي مين بأقليم بادوكاليه ، وكان إذا ما حل المساء وذهب إلى الحانة وأمامه كأس النبيذ قص على رفاقه ذلك الحادث الغريب الذي فقد به تيريز في المترو يوم وصولهما إلى باريس وأن بحثه عنها ذهب كله أدراج الرياح فلم يرها منذ ذلك اليوم . كان يقول :

لقد تبعتني مغلقة العينين . كانت طوع بناني . مطلقة الثقة بي . وهذا ما يجعل الأمر مرعباً . لم يكن معها فلس واحد . كان معي كل أوراقها ، وكل ملابسها .

وأجاب عامل كان النبيذ قد أدفأه قليلا :

نعم ! وباريس مدينة خطرة ! لا ترقب الخير لفتاتك !

وتظاهر بوجدان بعدم السماع ثم قال :

لقد جبت كل مكان في باريس . لم أترك شارعاً ولا ميداناً لم أبحث فيه . وبعد بضعة أيام ابتدأت تنفد نقودي وتتلف أحذيتي ولم يكن لدى أصدقائي عمل يهدون إلي به . وكانت المشكلة الكبرى مشكلة اللغة وعندئذ جمعت ما تبقى معي من النقود وسافرت إلى مارل مع رفيقين ، وما بقي بعد ذلك تعرفونه .

ومر الزمان وبوجدان يعيش في مارل لي مين ، يحيا حياة العزلة والهدوء لا يشرب كثيراً ولا يمرح إلا قليلا . كان لا يعبأ بأي شيء منذ فقد تيريز . وإذا كانت ذكراها لا تفارقه وطيفها لا يبرح خياله ، فانه كان يذهب بين وقت وآخر إلى المنزل رقم ١٣ حيث تقيم بائعات اللذة ؛ وإن مغامرته مع ( ألين ) لا دخل فيها للهوى والغرام لقد كانت سيئة الخلق ولكنها كانت تصلح له جواربه. كان لا يحب غير تيريز . كان يعرف ذلك ويعرف أنه لن يحب غيرها . ومن أجلها يتحمل هذه الحياة المريرة الخطرة في المنجم . من أجلها يدخر النقود إذ سوف يراها يوماً من الأيام ولا يريد أن يبدو أمامها بمظهر المتسول . سوف يقدم إليها أوفر الأعذار فقد وهبته كل شيء وأساء هو استخدام ما منحته إياه من ثقة . سيبحث دون ملل أو وهن .

***

في ذلك الوقت كانت تيريز تحيا حياة دعة في باريس . كانت منذ وقت طويل زوجة رونيه ولها منه طفلان : جورج وأخته

الصغيرة انيتيت . ومع ذلك لم تنس الليلة الرهيبة ، وهل يمكن أن تنساها ؟ هل للسعادة أو الراحة أن تمحو هذه الذكرى الدفينة ؟

كانت تيريز دائماً مع رونيه زوجة أو على الأصح صديقة مخلصة ، ولو أن ذلك لم يكن بالأمر الهين . كان واجباً عليها قبل كل شيء أن تنسى عاداتها وأن تكتسب عادات جديدة وأن تتعلم لغة أجنبية . وسرعان ما أصبحت الفتاة القادمة من صميم الريف باريسية بغير صعوبة . كان ذلك واجباً بعد أن قطع عليها سبيل التقهقر . فقد ولى بوجدان وفصل بينها وبين منزل والديها . فوالداها لن يغتفرا لها هربها . وقريتها تضمر لها السخط والحنق .

وعاشت تيريز نموذجاً للزوجة المقتصدة المدبرة . كانت أكبر عون لزوجها ، تساعده فى كل أعماله حتى صارا يأملان بأن يكون لديهما بعد ست سنوات سيارة . وبعد عشرين سنة منزل صغير ذو حديقة تقوم هى بزرع الخضروات فيها كما كانت تعمل فى أوائل شبابها قبل تلك الساعة الرهيبة التى جعلت من حياتها حياتين مختلفتين تماماً .

* * *

ومرت عشر سنين منذ هذا الفراق الاضطرارى وتيريز تحتفظ دائماً بسر غريب . وفى بعض الأيام كانت تدفعها قوة داخلية إلى الاقتراب — دون أن يعلم أحد — من المكان الذى اختفى فيه صديقها فجأة . كانت تقاوم هذه القوة المجنونة بكثير من الفوز أحياناً . بيد أنها كثيراً ما كانت تضعف وعندئذ تقفز إلى أول سيارة تصادفها مسرعة إلى محطة الشرق كمسافرة كاد يفوتها القطار . فتعبر الردهة الواسعة — باحثة فى كل مكان على مقربة من السلم المشئوم . وتنتظر صابرة رغم أنها واثقة من أنه سوف لا يأتى أيضاً هذه المرة كما فعل فى المرات السابقة . وفجأة تفيق من جنونها وتعود إلى الواقع . فتقفل راجعة إلى منزلها يغمرها الخجل .

وفى ذات ليلة من ليالى الصيف الحارة عاودتها ( الأزمة ) كما كانت تسميها بصورة قوية جارفة لم تعهد مثلها من قبل . أحست بأنها تكاد تختنق . بأنه ينتظرها . وأنها ليست مخدوعة هذه المرة فعليها أن تهرول إليه . نزلت إلى الشارع وكان الليل قد أسدل أستاره واتجهت إلى محطة المترو المجاورة للمنزل مخترقة الجموع كمجنونة . ووصلت إلى محطة الشرق . أين هو ؟ هل تبحث عنه على الأفاريز الداخلية أم عند شباك التذاكر كما فعلت مراراً دون جدوى ؟ وارتبكت عيناها وسمبت عليها الرؤية وظلت هكذا نصف ساعة يدفعها المارون من كل جانب وتخنقها أحاديثهم وأنفاسهم الساخنة . وبلغ ذعرها أوجه حين سمعت صوتاً يناديها وشيئاً يمسك بذراعها . كانت أصابع من حديد ! من يكون هذا الوقح ؟ واستدارت بسرعة فرأت بوجدان . هل هو حقاً ؟ وغشى عينيها حجاب قاتم السواد . وصرخت

وعندما عادت إلى رشدها وجدت نفسها مستلقية على أريكة من القطيفة الحمراء . لقد حملها بوجدان إلى مقهى صغير أمام المحطة . كانت القاعة ذات المرايا العديدة خالية من الناس إذ جلسوا جميعاً فى الشرفة يستنشقون الهواء الرطب وبلل بوجدان جبهة تيريز بالماء البارد وطلب لها فنجانا من القهوة . وأخيراً فتحت تيريز عينيها ونظر هو إليها متأملا . وانفرجت شفتاه بحركة عصبية فلمعت أسنانه الكبيرة تحت شاربه . لم تغيره السنون . أما هى فقد أصبحت شيئاً آخر ، لقد أصبحت سيدة وقورة حسنة الهندام . كان ينظر إليها معجبا بقبعتها المصنوعة من الخوص الأزرق التى تطفر من تحتها خصلة من الشعر الأصفر الذهبى . وبسترتها الجميلة وقفازها الجلدى وجوربها الحريرى الشفاف وحذائها اللامع . من الذى اشترى لها أو منحها كل هذه الأشياء الجميلة ؟ وأفسد هذا الخاطر سعادته العظمى برهة من الزمن ولكن السرور غمره ثانية . فقد عادت وعاد كل منهما للآخر من جديد . وليس فى الوجود قوة تستطيع أن تفصل بينهما

وكما تحطم الأمواج المكبوتة زمانا طويلا ما يعترضها من سدود ، كذلك انفجر بوجدان شارحاً همومه وآلامه ، واصفا أمله وثقته اللذين لازماه طول عشر سنين .

وبلغ التأثر أقصاه بتيريز وانسابت دمعة على خدها ونظرت إليه فأدركت أنه كبر فى العمر لقد فقد شعره بهجته ، ووجهه ما كان عليه من اشراق فى الزمن السالف ، ثم يداه المجعدتان ! ما أبغضهما إليها الآن بعد أن كانت فيما مضى ترتعش لمجرد لمساتها. ورغم كل هذا فهاهى تجد تدريجيا على ذلك الوجه الخشن الذى أفلت منه الشباب « بوجدان » الأيام الماضية . تجد القسمات التى

أحبتها والتى ستحبها دائماً .

ومرت الساعات دون أن يشعرا . كانا يضحكان ويتمازحان . وفجأة ارتجفت تيريز وألقت نظرة على ساعتها . لقد بلغت الساعة التاسعة وعاد رونيه إلى المنزل منــذ وقت طويل ولا بد أنه قلق لتأخرها . وأحست تيريز بوخز ضمــيرها حين تذكرت أن ( اتيينت ) لا تنام إلا إذا طبعت على شفتيها قبلة الليل . ووقفت دفعة واحدة وقالت :

— الوقت متأخر . هلم بنا !

فأجاب بوجدان بهدوء :

— هيا بنا يا تيريز . تعالى نأخــذ أمتعتى من مخزن المحطة فهناك أيضاً كل حاجاتك .

ثم نظر إليها وقال بلهجة الانتصار :

— سنقضى هــذه الليلة فى باريس القذرة . ولــكن غداً صباحاً سنعود فى أول قطار إلى وطننا . سأشترى حقلا صغيراً ونعيش فى هدوء .

ووقفا على باب المقهى ونظرت إلى يديه المنهكتين وكأنها تريد تقبيلهما وقالت :

— بوجدان إنك لا تزال كما كنت عنــيداً ونحن لم نعد صغاراً . ماذا كان يحدث لو لم تــكن وجدتنى ؟ .

— ما أعجب هــذا السؤال ؟ لو لم أكن وجدتك ؟ هذا محال . كنت أنفق كل نقودى أثناء بضعة أيام فى هذه المدينة اللعينة .

ورفعت رأسها وقد عـــلاها الرعب ناظرة إلى وجهه المتجهم وقالت :

ثم ما ذا ؟

ثم ما ذا ؟ لا أدرى ، لحتى لوأردت العودة إلى المنجم فسوف لا أجد عملا . لقد استغنوا عن جميع العمال البولونيين بسبب الــكساد . وأخيراً هناك الفرقة الأجنبية .

وعبرا معاً متشابكى اليدين ميدان المحطة الواسع المزدحم . كان بوجدان يسير متردداً ينقاد وراءها كطفل فى هذه المدينة التى يكرهها والتى تحبها هى . باريس التى جعلت منها السنون وطناً لها . باريس التى تحتمــل مرارتها وتفهم عظمتها . إن بوجدان هو الشباب والوطن والحب ولــكن الأعوام علمتها شيئاً آخر وهو الواجب . فهى تستطيع أن تهجر رونيه ولــكن ماذا تصنع بطفليها ؟ إنهما فلذات كبدها .

ووصلا إلى الساحة الــكبرى ، إلى نفس المــكان الذى قابلا فيه منذ عشر سنوات ذلك السيد العجوز اللطيف المعشر بالقرب من سلم المترو . كانت تيريز تندم فى تلك اللحظة لأن كلا الرجلين كان طيباً ، فليتها كانت تــكره أحدهما . لم يكن أمامها لحظة واحدة لتضيعها . وخاطرت تيريز وكذبت على الرجل الذى تحبه وقالت :

بوجدان ! اذهب وأحضر أمتعتنا . إنى أنتظرك هنا ، واستدار بوجدان بسرعة وابتعد بخطواته الواسعة الحاسمة التى كانت تحبها فيه وقت شبابها . كانت تتبعه بنظراتها وفى استطاعتها أن تناديه أو تلحق به . واختفى بوجدان . كان أمامها دقيقتان قبل أن يعود . واقتربت — وكأن قوة خفية تدفعها — من السلم الذى يقود إلى تحت الأرض حيث فقدت بوجدان منذ عشر سنوات ووضعت قدمها على أول درجات السلم واندفعت مع الجموع ممزقة القلب ولــكن ثابتة الجنان ، ممزقة الرابطة التى كانت لا تزال تربطها ببوجدان أثناء أحلامها .

ولم تره بعد ذلك أبداً ...

---



العدد ٧٢٦ — الاثنين ٢ يونية ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة



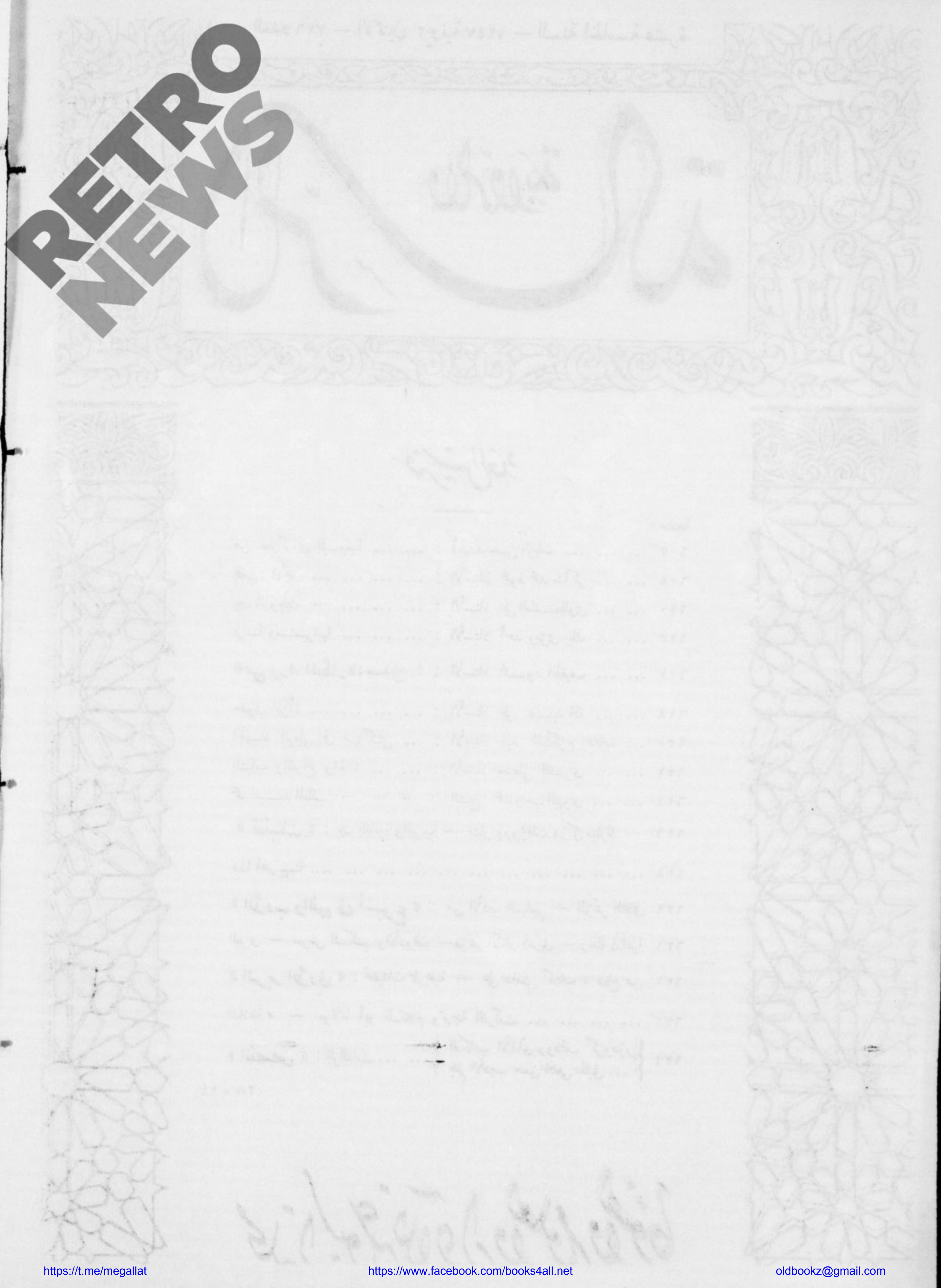

فهرس العدد

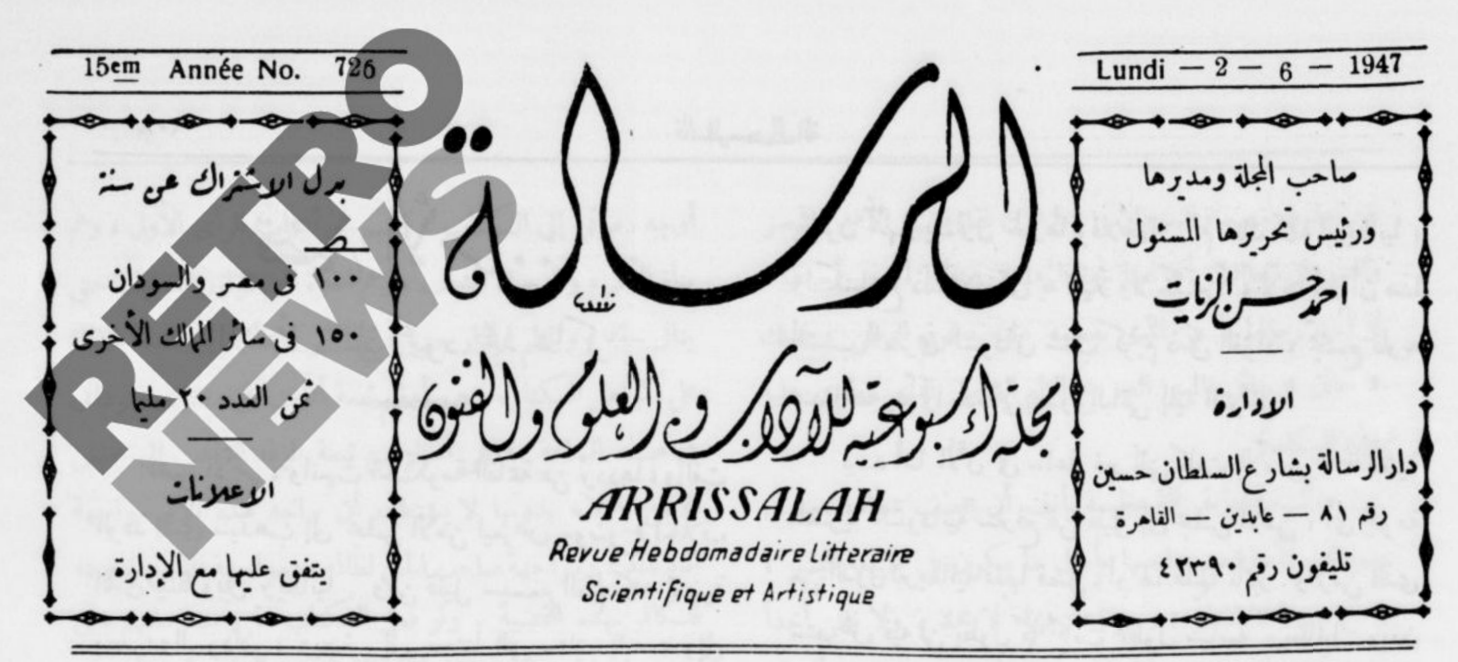
صفحة

من مذكراتي اليومية ... ... : أحمد حسن الزيات ... ... ... ٦٠٧
قضى الأمر ... ... ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ... ... ٦٠٨
بين الزوجين ... ... ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ... ٦١٠
فرنسا ومستعمراتها ... ... ... : الأستاذ أحمد رمزى بك ... ... ٦١٣
«من وراء المنظار»: مذياع ! : الأستاذ محمود الخفيف ... ... ٦١٧
حقوق المرأة ... ... ... ... : الأستاذ على عبد الله ... ... ٦١٨
الجهاد الوطنى فى مراكش ... : الأستاذ عبد الكريم غلاب ... ٦٢٠
الشباب والفراغ والجدة ... ... : الأستاذ مصطفى القونى ... ... ٦٢٢
محمد عبد المطلب ... ... ... : الشيخ محمد رجب البيومى ... ... ٦٢٤
« تعقيبات » : بين العامية والعربية — بشار وروزفلت وزكى مبارك — ٦٢٦
هذا أمر يهمنا ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٦٢٨
« الأدب والفن فى أسبوع » : من الأدب السياسي — المؤتمر الثقافى ٦٢٩
العربى — معرض الكتب والأدوات — مؤتمر الآثار العربى — رحلة إذاعية ٦٣١
« البريد الأدبى » : تحقيقات تاريخية — على هامش كتاب « دفاع عن ٦٣٢
البلاغة » — مولانا أبو الكلام وترجمة القرآن ... ... ... ... ٦٣٣
« القصص » : الوالدان ... ... { الكاتب الألمانى رودلف كرودزر بقلم الأديب حسن فتحى خليل ... } ٦٣٤

٢٨٥٤٤

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون


RETRO
NEWS




العـــــدد ٧٢٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ رجب سنة ١٣٦٦ — ٢ يونية سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة


# من مذكراتى اليوميـــة

**حلوان فى يوم الأحد ٢ مارس سنة ١٩٤٧ :**

ذهبت صباح اليوم إلى نبع حلوان الجديد فإذا عليه أمة من الناس يستقون ويشتفون ، بعضهم من مخلَّفى الجيش ، وبعضهم من مرفَّهى العيش ، وكلهم من الممعودين أو المكبودين أو الممرورين(١) فلا تعرف فى وجوههم نضرة الشباب ، ولا على جسومهم بضاضة العافية .

انبجس هذا النبع منذ سنوات فى هذه البقعة التى انطمس فيها معنى الوجود ، فلا حياة ولا موت ، ولا سكون ولا حركة ، ولا أمسِ ولا غد ، فأصبحت بعد نبوغ هذا النبع وما جر إليها من النفع، مهوى الشعراء ومَراد الأصحاء ومَلاذ المرضى!

كذلك بنو آدم والدنيا ! جنادب(٢) فى أجادب ! فلولا الينبوع الذى ولد الواحة ، والنهر الذى خلق المملكة ، والنبى الذى منح الجنادب أجنحة الملائكة ، والحاكم الذى وهب الأجادب خصب الفراديس ، لما أخلد بعض إلى بعض ، ولما امتازت أرض من أرض!

الأرض لولا الرياض واحدة والناس لولا الفَعال أمثال(٣)

تقطع الناس فرقاً حول الينبوع يتساقون أقداحه الفاترات العِذاب . وقد لاحظت أن الذى قسم هذا الجمع إلى هذه الفرق إنما هو الدين لا الجنس ولا الوطن ولا اللغة ؛ فاليهودى مع اليهودى ، والمسيحى مع المسيحى ، والمسلم مع المسلم . ينظرون إلى الماء بعين واحدة ، وينظرون إلى السماء بعيون متعددة ! فأين هذا من اجتماع الحجيج حول زمزم ؟ إنهم هناك يجتمعون على ينبوع من الإيمان القوى المتحد يجرى فى أفواههم دعاء وأملا ، ويسرى فى دمائهم شفاء وقوة .

ذلك ما أكد لى للمرة السبعين أن الدين أقوى العوامل الروحية والاجتماعية أثراً فى توثيق العلائق بين معتقديه ، وتوهينها بينهم وبين منكريه . فإذا شاء ربك أن يجعل الناس أمة واحدة أرسل إليهم ذلك الرجل المنتظر فيجمعهم بالرضا أو بالكره على الدين الذى يكفل التعاون بالمؤاخاة ، ويضمن العدالة بالمساواة ، ويحفظ الكرامة بالحرية ، ويرفع الإنسانية بالإيثار . فإذا ما تم له ذلك عمد إلى سماسرة الدين وتجار السياسة وعباد الطمع فأقام لهم المشانق فى الساحات العامة من المدن المقدسة . يومئذ تنكسر حدة العصبية ، وتنقمع شهوة المنافسة ، وتنقطع أسباب الحرب ، ويغنى الناس عن هذه المؤتمرات والمجتمعات التى يقيمها ذؤبان البشر للحرية والديمقراطية وهى فى الواقع أسواق دولية للرقيق تباع فيها الأمم الصغيرة بالمساومة أو بالمزايدة ! !

الينبوع وميدانه الرحب ، وفندقه الفخم ، وحديقته المنمنمة ، ومشربه الريان ، ومسبحه العريان ، تعج بالناس ولكنى وحيد . والسماء الصحو ، والنسيم الفاتر ، وسفح المقطم الحادر الضحيان ، وشاطىء النيل الأشجر الفينان، تغرى كلها بالنشاط ولكنى مريض. وليس للوحيد المريض إلا أن يعود إلى مثواه عسى أن يجد فيه لساناً حلواً فى فم جميل يؤانسه ، أو قلباً طيباً فى صدر نبيل يواسيه !

احمد حسن الزيات

(١) الممرور : من هاج به خلط المرارة .
(٢) الجنادب : صغار الجراد (٣) الفعال بالفتح : الكرم والخير .

# قضى الأمر ...

للأستاذ محمود محمد شاكر

قضى الأمر ، وانتهت الحكومة القائمة عن ترددها ، وألفت الوفد الذى سيذهب إلى مجلس الأمن ليعرض موضوع الخلاف الذى بيننا وبين بريطانيا . وعن قليل سيسمع العالم كله لقضية مصر والسودان ، ويصغى إلى حجتنا التى ستاق إليه ، وإلى حجج بريطانيا فى دفاعها عن الذى تدعيه . ولو كان الأمر أمر عدل وإنصاف وبعد عن التحيز وأنفة من الظلم ، لما بالينا أن ندعو حكومتنا أوشعبنا إلى خطة سوى عرض القضية كما هى ، بلاحاجة إلى تتبع سوءات بريطانيا وعورات أفعالها . ولكن لا عدل ولا إنصاف ، بل هو التحيز والظلم . هذا ما ينبغى أن نتوقعه بعد الذى كان من موقف الأمم الغربية والأمة الروسية من أعظم قضايا الشرق وأوضحها برهاناً وأبينها حجة ، أعنى قضية فلسطين .

ولسنا نقول هذا تثبيطاً لوفدنا أو لشعبنا ؛ كلا فإن القضية المصرية السودانية قضية للجهاد لا للسياسة . فلنفرض أن الأمم ظلمتنا وتحيزت لبريطانيا فجارت علينا وضلعت معها فلن يضيرنا ذلك ، بل هو الداعى الأعظم إلى الاستماتة فى الجهاد إلى أن ننال حقنا غير منقوص ولا مهتضم . ولكن هذا الأمر المخوف أو المتوقع يوجب علينا أشياء لا مناص لنا من المحافظة عليها والحرص على أدائها .

فقد كان من سياسة بريطانيا قديماً أن تمزق وحدة هذا الشعب وتوقع بين أبنائه العداوة والبغضاء وقد فعلت ، فصارت أحزابنا أحزاباً تسيّرها شهوات رجال يتطلعون إلى مناصب الحكم كما يتطلع الظمآن إلى الماء أو سراب الماء وكان من سياستها أن تلاين وتساير حتى يصبح السودان شيئاً قائماً بذاته أو كالقائم بذاته ، ففعلت . وكان من سياستها أن تغرى شهوات قوم من أهل السودان بالحكم أو السلطان ، ففعلت ، وانقسمت فئة من أبنائه مضللين بوعود كاذبة لن تتحقق ، وخرجت عن بقية الشعب مؤزرة بالمال ففجرت ومردت ، وبريطانيا من ورائهم تنفخ فى نيرانهم حتى يأتى اليوم الذى يجعلونهم فيه حرباً على بلادهم وهم يظنون أنهم يعملون لخيرها وفلاحها . تم ذلك كله لبريطانيا ، ولكننا مع ذلك لا نبالى به قليلا ولا كثيراً ، لأننا نعلم أن هذا الشعب المصرى السودانى شعب كريم ذكى الفؤاد ، يجتمع قلوبه عند المحنة يداً واحدة على عدوه الباغى إليه الغوائل .

بيد أننا الآن فى ساعة غير التى كانت بالأمس ، فالقضية المصرية السودانية سترفع عن قليل إلى مجلس الأمن ، أى مجموعة من الدول لبريطانيا عليها فضل ، أو لها عليها تأثير . والزمن الذى ستعرض فيه لن يطول كما كانت تطول سياسة بريطانيا . وإذن فقد أصبح واجبنا نحن أن نتآزر ونتداعى ولا ندع هذه الفرصة تفلت منا ونحن عنها غافلون .

ليكن الوفد الذاهب إلى مجلس الأمن وفداً لم تجتمع له الصفات التى تنبغى أن تجتمع لوفد مصر ،وليكن رئيس الحكومة الذى سيرأس الوفد رجلا غير الذى كانت ترجوه بعض الأحزاب ، وليكن أعضاء الوفد رجالا غير الذين كنا نتوقع أن يكونوا — ليكن كل ذلك ، ولكن أليسوا مصريين سودانيين يجاهدون ما استطاعوا فى سبيل حق مصر والسودان فى الحياة الحرة التى تنبغى أن تكفل لكل حى ولكل أمة ؟ أليسوا رجالا منا قد انبروا للمحاماة عنا فى مجلس يخشى أن يكون أقرب إلى عداوتنا منه إلى صداقتنا ؟ أليس مطلبهم هو مطلب مخالفيهم من سائر الأحزاب فيما يخص قضية مصر والسودان ؟ بلى ، وما أظن أحداً من مخالفيهم يستطيع أن يقول خلاف هذا أو يدعى نقيضه .

وهذا المجلس الذى هو أقرب إلى العداوة منه إلى الصداقة ، لن يفرق بين مصرى نختلف عليه أو مصرى نتفق عليه . وبريطانيا لن تكون أقل عنفاً ولجاجة إذا كان الذى يرتفع بالقضية إلى مجلس الأمن إنساناً اتفق المصريون والسودانيون عليه ، لأنها تريد بكل ما تبذله أن تأكل حق هذا الوادى وتحيف على مستقبله ، لا تبالى بما يسمى أقلية أو بما يسمى أكثرية . وإذن فالعقل قاض علينا بأن نلقاها ونلقى مجلس الأمن يداً واحدة وعلى قلب رجل واحد أياً كان هذا الرجل . ونحن نعلم أن هذه دعوة قد كثر الداعون إليها فباءوا بالخيبة مرة بعد مرة ، ولكن كان العذر عندئذ قائماً ، فإن الحكومة لم تكن قد ارتفعت إلى مجلس الأمن بعد ، وكان هناك مجال لشهوات الأحزاب أن ينال أحدها فضل التقدم للدفاع

عن حقوق مصر والسودان أما الآن فقد قضى الأمر ، فمصر والسودان تطالب أحزابها بحقها عليها ، فإذا أحجم أحدها ، أو أحد رجالها ، عن الذى تقضيه عليه حقوق الوطن ، فذلك « خائن » خائن بالمعنى الصريح التام الشامل الذى تنطوى عليه هذه الكلمة .

وكلمة الخيانة كلة عظيمة نأنف أن يتصف بمعناها مصرى سودانى لأنها تصم صاحبها بأنذل ما يكون فى طبيعة البشر ، وهى جريمة لا تغتفر ، وجزاؤها جزاء لا يحد . ولا نظن أحداً أحب أن يعرض نفسه لها راضياً عامداً قط ، بل الظن أنه إنما يخطىء وجه الصواب فيقع فى أقبح العيب ويخوض فى أشنع العار . وقد جاءت الساعة التى توجب على كل مصرى سودانى أن يقف ساعة ساكناً هادئاً مفكراً متورعاً خشية أن يقع فى هذه الخطيئة أو يلم بهذا الإثم ، وأن يحرر نفسه لحظة من شهواتها الجامحة ، وينفض عن قلبه غبار أعوام من الأحقاد الحزبية والسخائم الوزارية ، ليتطهر لوطنه ولبلاده ، وليستهدى بهدى الوطن فى ساعة المحنة . إنها أعظم خطيئة يقارفها مصرى سودانى منذ اليوم ، لأنها خذلان لوطنه فى ساعة يرى فيها الأعداء يتناهشونه من كل مكان ، ويريدونه بالشر من كل ناحية ، ويكيدون له أخبث الكيد فى كل أرض .

ولن يضير أحداً أن يكون له رأى يخالف هؤلاء الرجال الذاهبين إلى مجلس الأمن فى شئون لا علاقة لها بمجلس الأمن ، فيدع عناد الرأى إلى مناصرة الحق — بل إلى مناصرة وادى النيل فى حقه الطبيعى الذى لا يعرف الرجال وآراءهم وسياساتهم ، بل يعرف حقه على أبنائه من أى رأى كانوا ، وفى أى زمن ولدوا ، وعلى أى دين نشأوا . أقول هذا وأنا غير يائس من أن تجتمع كلة هؤلاء المختلفين على هذا الحق البيّن الذى لا ينازع فيه عاقل .

وأنا أدعو « الكتّاب » الذين أنتسب إليهم بهذا القلم ، أن يجتمعوا على رأى واحد ، ويقوموا مرة واحدة لدعوة الشعب إلى الطريق الحق ، وأن يبرئوا أقلامهم من الأحقاد الصغيرة التى أنشأتها بينها بريطانيا يوم مزقتنا أحزاباً ، ليملأوها بالحقد الأعظم على العدو الأعظم الذى لم يدع لنا عرضاً إلا هتكه ، ولا فضيلة إلا لوثها ، ولا كرامة إلا تهجم عليها بالتحقير والتشنيع . وإنما أوجه دعوتى إلى الكتاب ، لأنهم هم أصحاب الرأى الأول ، وهم بناة الأمم ، وهم حياة الشعب ، وهم القوة التى تؤازر الضعيف حتى ينال حقه ، وتلطم الجبار حتى يدع الحق لأهله . إن التبعة الملقاة على كواهل الكتاب ، هى أعظم تبعة ألقيت على مصرى سودانى فى هذه الساعة ، فهى أعظم من تبعة الوفد الذاهب إلى مجلس الأمن ، لأنه بدونها لا يستطيع أن يواجه هذه الأمم مواجهة الند للند ، ومواجهة صاحب الحق لظالمه ، ومواجهة المؤمن بقضيته للكافر بهذه القضية . ولو فعل الكتاب ما يوجبه عليهم حق مصر ، فلن يستطيع مخالف أيّا كان أن يفتّ فى عضد الذاهبين بقضيتنا إلى مجلس الأمن ، وليس اليوم يوم لهو ولا لعب ولا شهوات ، بل هو يوم الجد والصبر والزهد ، وظنى بالكتاب أنهم أسرع الناس إلى معرفة مفصل الصواب فى كل أمر ، فلن يخطئوا أن يعرفوا ذلك وترى مصر والسودان يهمس لهم داعياً مؤلباً حافزاً على العمل لتحرير بلادهم من نير العبودية .

وأنا مؤمن بأننا سننال حقوقنا كلها كاملة ، شاء مجلس الأمن أم أبى ، وبأننا صائرون إلى ساعة تجتمع فيها القلوب المصرية السودانية على كلة واحدة ، شاء رؤساء أحزابنا أم أبوا ، وبأن المستقبل قد بانت لنا معالمه ، فإن عميت عنه عيون قد تقادم عليها الزمن فخبا ضوؤها ، ففى الوادى عيون ناظرة مبصرة لم تطمس نورها حزازات الماضى ولا شهوات الحكم ، وأنهم هم الذين سيحكمون على الرجال حكما لن يرد . إنهم مصر والسودان أيها الساسة ، فاحذروا مصر والسودان وأحكامها عليكم ، فمن وضعته فهو الموضوع إلى يوم الفصل ، ومن رفعته فهو المرفوع إلى آخر الدهر !

محمود محمد شاكر

من أحاديث الإذاعة(*)

# بين الزوجـــين

## للأســـتاذ علي الطنطاوي

يا سادتي ويا سيداتي . قعدت لأكتب هذا الحديث ، فما بدأت به حتى هبت العاصفة في بيت الجيران ، وعلت الأصوات ، وزمجر الرجـل وصخب ، وولولت المرأة وعيّطت[١] ، وقام الشيطان يهيج للشر ويضحك ، ثم هدأت العاصفة فجأة كما هبت فجأة ، وأعقبها سكون ثقيل ، سمعت له دوياً في أذنيّ شغلني عن الـكتابة ، فقمت أنظر ما ذا جرى . فإذا الزوج قاعد في ركن المنزل ينظر في جريدته عابساً ، ولا أظنه يفقه منها حرفاً ، والمرأة في الركن الآخر تطرز ولا أحسبها تلتي لتطريزها بالا ، هو يندب حظه يحسب أنه وحده الخائب في زواجه ، وهي تبكي جدّها تحسب أنها وحدها التي فقدت سعادتها ، ورأيت الولد قد ملّ هـذا السكون ... فمشى إلى أبيه خائفاً يترقب ، فقال له :

— بابا . اعطني شكولاته

— فصرخ به زاجراً : قل لأمك . أتريد أن أخدمكم في السوق وفي البيت ، وأن أعمل عمل الرجل والمرأة ؟ !

فابتعد عنه الولد ، ونظر إلى أمه ، فصاحت به من غير أن ترفع رأسها عن شغلها :

— ابتعد عني وإلا كسرت رأسك ، أنت أصل السبب ، يا ضيعة تعبي ، أشقى من الصباح إلى المساء فلا أجد من يقول لي : الله يعطيك العافية !

فهمّ الرجل بالانفجار ، ثم تماسك وتجلد ، وسكت على غيظ ومضض ، ومشى الولد إلى الأريكة فتكوّم عليها ، ودس وجهه في وسادتها ، وراح يبكي بكاء خافتاً متصلا موجعاً !

وعاد البيت ساكناً كما كان ، ومرت دقائق ، لمحت فيها على وجه المرأة ظلال نزاع عنيف في نفسها ، بين شفقتها على ولدها ، وغيظها من زوجها ، ثم رأيتها تثب فجاءة ، فتمضي إلى غرفتها فتنبطح على سريرها وتنشج ... ويرفع الرجل رأسه ، متعجباً منها ، ويضيق صبره عن هذه المسرحيات ( تمثل ) في بيته ، وهو يريده بيتاً فيه الهدوء والمحبة ولا يفهم سر بكائها وهي — عنده — الظالمة ، فيمضي إليها بعد تردد ، حتى يقوم أمام السرير منتصباً مربد الوجه ، كأنه القائد العسكري في جنده ، أو النائب العام في مقعده ، ويقول لها بصوت بارد كالثلج متماسك كالجلمد :

— وما آخرة هذه المساخر ؟

وكانت تظنه قد جاء يواسيها في كربتها ، ويعطف عليها ، ويحاول أن يفهم ألمها ، ويزيح همها ، فلما سمعت ذلك منه ، فقدت عقلها ، فصاحت :

— مساخر ؟ أنتم الرجال ليس عنـدكم وفاء ، ليس لـكم قلوب ، إنكم ...

فنسي أنه أمام امرأة ، وأنه أمام زوجة ، وحسب أن الذي يقول له هذا الـكلام قرن له أو خصم ، فأجابها جواب الأقران ، وكلها كلام الخصوم ، ولم يبق بينها وبين الطلاق إلا شعرة واحدة .

فقلت لهما : بسّ ، انتظروا ، قولوا ، ما هي الحـكاية ؟

فنظرا إليّ ، وحسباني ( وأنا قريبهما ) عفريتاً قد نبع من الأرض ففزعا منه ، ثم اطمأنا إليّ وعرفاني ، وانطلقا يتكلمان بصوت واحد كلاماً متواصلا متداخلا ، تتلاحق كلماته ، كأنه السيل انهدم سدّه فاندفع ، أو لسان النار غفلت عنه فاندلع ، وما فهمت الحـكاية حتى كادت نفسي تزهق ...

و ( الحـكاية ) التي سببت هذه النكبة ، وكادت تهدّ بيت الزوجية ، وتطلق الزوجة وتشرد الولد ، أنه جاء من عمله فوجد الصبي على الباب ، والباب مفتوحاً ، وليس عنده أحد يمنعه أن يمشي فيضل في الحارة ، أو تدعسه[١] سيارة ، أو تلفحه الشمس ، أو يصيبه المرض ، وتخيل ألف مصيبة قد حاقت بالصبي ونزلت به فاستحال حبه له حنقاً على أمه التي أهملته ، وتركته على شـفا

(*) سجل في مصر وأذيع من محطة الشرق الأدنى يومي (٢٨) و(٢٩) مايو

(١) (عيط) في الشام صاح وفي العربية كذلك (تقريباً) وفي مصر بكى.

(١) دعسته السيارة : وطئته ؛ أما قولهم دهسته فهو من الغلط .

الملاك ، ودخل مغضباً محنقاً ، وبدأها باللوم قبل السلام ، وكانت قد نظفت الدار وأعدت الطعام ، و( لبست ... ) تنتظر وصوله ، لتسعد بقربه ، وتجد مكافأتها فى شكره إياها ومسرته منها ، فلما رأته مخاصماً تبدد أملها ، وخاب ظنها ، وسيطر عليها الغضب ، حتى أعماها عن حادثة ( الباب المفتوح ) والخطر المرتقب ، فلم تر فيها إلا حادثة تافهة ، لم ينشأ عنها شىء ولم يأت منها ضرر .

وبدأ من هنا الخلاف ، وتطاير الشرر

ياسادتى وياسيداتى: هذه صورة ترون كل يوم أمثالها ، فاسمحوا لى أن أجعل حديثى هذه المشية تعليقاً عليها ، وبياناً لها ، وليست صورة غريبة عنكم ولا نادرة ، بل الغريب النادر أن تخلو دار منها ؛ وأنا قاض شرعى عملى أن أرى دائماً دخائل البيوت ، وأن أطلع على أسرار الأسر ، فصدقونى إذا قلت لكم ، إنى لا أعرف زوجين لا يختلفان ، ولكن خلاف الأزواج كحريق فى كومة من القش ملقاة فى رحبة الدار ، إذا أطفأته أو تركته ينطفئ خمد بعد لحظة ، وحمل الريح رماده ، فلم يرزأك رزءاً ، ولم يعقبك أذى ، وإن هجته أو أدنيت منه ثوبك ، أو قربته من بيتك ، احرق الثوب وخرب البيت ، ولقد كان بينى وبين زوجتى اليوم خلاف كهذا ، فقلت لها :

— تعالى أعينينى على كتابة مقالة ؟

وكانت هذه المقالات ضرتها ، فحسبتنى أسخر منها ، واندفعت تريد أن ( تقول ) ... فما زلت بها أكلها بجد ، حتى بدا عليها الاهتمام وقالت :

— وكيف أعينك ؟

قلت : تقولين لى كيف يختلف الأزواج ؟

ومضينا نستعرض حوادث الاختلاف بيننا ونحلل أسبابها فانتهينا إلى الضحك منها

يا سادة ويا سيدات : إنه قد يكون بين الزوجين اختلاف مفهوم على مال أو عقار ، ولكنه نادر وأكثر الخلاف تافه مضحك ، ليس له إلا عندهما قيمة أو خطر ، وأنا أفهم أن تهتم المرأة بهذا ، ما دامت تريد أن تشغل عقلها كما تشغل يدها ، وما دامت لا تجد مشكلة علمية أو أدبية تبحث فيها وليس لها إلا مشاكل البيت — ولكن ما بال الرجل يهتم بها ويبالغ فى تقديرها ؟

تقولون : كيف نصنع ليسود البيت السلام ويشمله الهدوء ؟

أنا أقول لكم ؛ مقالة مجرب حكيم ، فاستفيدوا إن شئتم من حكمتى وتجربتى

هذه ( أقراص ) سهلة البلع ، عظيمة النفع ، فيها شفاؤكم من هذا الداء :

أولها : أن الزواج يبدأ بالحب والعاطفة ، والحب أوله حلاوة وآخره مرارة ، فهو يعمى البصر ، ويصم الأذن ، ويغطى العيوب ، فإذا زال الغطاء ، ولا بد يوماً أن يزول الغطاء ، وبدا المحجوب من العيوب ، وظهر المستور من الأمور ، وافتقد الزوجان لذة الحب فلم يجداها ، انتهى شهر العسل ، وبدأت سنوات العلقم ، فتجرعا العمر كله مرها ، وقاسيا ضرها . والدواء ألا يرقب الزوجان المحبة والعشق ، فالحب عمره كعمر الورد ، لا يعيش إلا أمداً قصيراً ، ومن طلبه بعد عشر سنين من الزواج كان كمن يطلب من وسط القبر من العظام والرم البادة الحسناء والفاتنة الهيفاء . لا ، ولكن مودة وإخلاص وحب كحب الأصدقاء والإخوان .

وثانيها : أن الرجل يغتفر لصديقه ما لا يغتفر لزوجته ، ويحمل منه ما لا يحمل منها ، ويتسامح معه فيما لا يتسامح فيه معها ، وما ذلك إلا لأنه يصدق هذه الخرافة التى تقول إن الرجل والمرأة كلاهما مخلوق واحد ، فهو يريد منها أن تفكر برأسه ، وهى تريد منه أن يحس بقلبها ، مع أن الناس كخطوط مستطيلة وفيها اعوجاج يسير ، فإذا كانت متباعدة بدت للعين متوازية متوافقة ، تضيع من البعد هذه الفوارق الصغيرة بينها ، فإذا تدانت وتقاربت ، بانت الفجوات ، فأنت تصحب الصديق عشرين سنة ، فلا ترى بينك وبينه اختلافاً ، ثم ترافقه أسبوعاً فى سفر ، تنام معه وتأكل وتشرب فترى فى هذا الأسبوع ما لم تره فى السنين العشرين ، فتشنؤه وتبغضه وقد كنت تحبه وتؤثره .

والله لم يخلق اثنين بطباع واحدة ، لا الصديقين ولا الزوجين ، فليـكن الزوجان متباعدين قليلا ، حتى لا يظهر الاختلاف بينهما ، وليـكن بينهما شيء من الـكلفة والرسميات ... كما يكون في عهد الخطبة وأوائل الزواج ، ولتكتم عنه بعض ما في نفسها ، وليكتم عنها بعض ما في نفسه ، فإنه ما تكاشف اثنان إلا اختلفا . وما زالت الـكلفة إلا زالت معها الألفة ، لأن المرء يتظرف ليظرف ، ويتلطف ليلطف ، ويساير الناس ليحبه الناس ، فإن لم يفعل ثقل عليهم ، وأنا أعرف رجالا من أهل النكتة والظرف ، يحرص الناس عليهم في مجالسهم لخفة أرواحهم ، وحلاوة أحاديثهم ، إذا دخلوا بيوتهم كانوا أجهم الناس وجهاً ، وأيبسهم لساناً ، وأثقلهم نفساً ، وما ذاك إلا لإسقاط الـكلفة ، وإذهاب المجاملة .

وثالثها : أن الرجل يمشي في الطريق فلا يرى إلا نساء في أحسن حالاتهن ، قد طلين وجوههن ، وجمّلن ثيابهن ، ثم يدخل داره ، فيرى زوجه على شر هيئة ، وأقبح صورة : مصفرة الوجه ، قذرة الثـوب ، منغمسة في أوضار المطبخ ، أو غارقة في غبار الـكنس ، فيظن أن نساء الطريق من طينة غير طينتها ، وأن عندهن ما ليس عندها ، فيميل إليهن وينصرف عنها ، والدواء أن تكون المرأة عاقلة ، فلا تجعله يراها إلا في الهيئة التي تخرج فيها من بيتها ، وتستقبل عليها ضيفها ، ولا تدعه يبصرها ناعسة ولا يراها بغير زينة ، ولا يطلع عليها في مباذلها وأعمالها .

ورابعها : أنه لا بد لـكل شركة أو جماعة من رئيس ، فإن كان في المركب رئيسان غرق المركب ، ولو كان في السماء والأرض إلـهان فسدت السماء والأرض ، فلا بد من ترئيس أحد الزوجين والرجوع عند الاختلاف إلى رأيه ، واعتراف الثـاني برياسته ، وعلى الرئيس بعد أن يكون حاكما بعدل ورفق ، وعلى المرؤوس أن يكون طيّعاً بفهم واحترام .

وخامسها : لا بد لدوام المودة من اغتنام الفرصة لإظهار العاطفة المـكنونة بحديث حلو ، أو مفاجأة منـه : هدية ولو صغرت ، وطرفة ولو قلّت ، واهتمام منها بصحته وراحة نفسه ومطعمه وملبسه وكتبه ، وأن يصبر كل منهما على غضب الآخر وتمتعبه

يا سادة : إن مشاكل البيت هينة سخيفة ، ولـكنها إن استفحلت نغّصت العيش وسودت وجه الدنيا ، ولم ينفع معها ملك ولا مال ، فلقد كان الامبراطور نابليون الثالث يجد من مكارهها ما لم ينجه منه ملـكه . وكان الرئيس لنـكولن يلقى من متاعبها ما لم يخلصه منه سـلطانه ، وإني لأستأذن السيدات المستمعات بأن أختم هذا الحديث بكلمة لامرأة مثلهن هي ( آن شرر ) . قالت :

« إن بين كل عشر نساء تسعاً يحرصن على مضايقة الرجل ، وتنكيد عيشه ، ولهن إلى ذلك وسائل لا تحصى ، وهن يعتقدن أنه لا عمل للرجل إلا الثنـاء على جمالهن يومه كله ، وامتثال أوامرهن ، وإجابة رغباتهن ، وإذا رأينه مقبلا على قراءة أو كتابة أو عمل له ، اقتحمن عليه مكتبه ، ونفضن في وجهه من المنغصات ما يحيل عزلته سجناً ، وحياته جحيما »

فيا سيداتي المستمعات : أرجو أن لا تكون فيـكم واحدة من هؤلاء !

( القاهرة ) **علي الطنطاوي**

---

القسم الثانى

# فرنســـا ومستعمراتها

بقـــلم أحمد رمزى

فرنسا والحرب العالمية الثانية : بين الديموقراطية والفاشية

كانت فرنسا فى وسط برامجها لتنفيذ هذه الطفرة الصناعية لـكى تعوض ما فات منها حينما قامت الحرب العالمية الثانية ، جاءت هذه الحرب وهى منقسمة فى الداخل ، فالروح الرجعية التى تفشت فى عدة بلاد بأوروبا وأفريقيا وآسيا وأخذت فى فرنسا مظهر العنف فى مظاهرات الـكونـكورد سنة ١٩٣٣، وهذه الروح لم تـكن قد ماتت فى سنة ١٩٣٩ بل كانت تمثل مصالح وأغراض تلك الفئة التى أشرنا إليها من أساطين الصناعة الذين أخذوا على عاتقهم تنفيذ هذه البرامج . وكانت هذه الفئة تؤمن بضرورة مسالمة برلين وروما[1] ، لا حباً فيهما أو رضوخاً لإرادتهما بل لأن الوطنية تملى بأنه يجب تحمل كل شىء فى سبيل السلم حتى تستكمل فرنسا بناءها الصناعى ولو كان فى ذلك الخروج من ميثاق عصبة الأمم أو إهمال المحالفات والضمانات القائمة .

صداقة بريطانيا :

يقابل هذه الروح تيار الديموقراطية ممثلا فى روح الجماعات والأحزاب السياسية والبرلمان ، وكانت جميعاً لا ترغب فى الاندفاع على طريق غير مأمون العاقبة : يفقد فرنسا مركزها الأدبى كدولة عظمى إذا حنثت بالمواثيق والضمانات المأخوذة أو ضربت بالمحالفات والمعاهدات عرض الحائط ويفقدها صداقة حليفتها بريطانيا، تلك الصداقة التى بنيت عليها سياسة فرنسا منذ الاتفاق الودى عام ١٩٠٤ وأكسبتها المواقف الاستعمارية فى مؤتمر الجزيرة ١٩٠٧ وأيام حادث الغدير فى مراكش سنة ١٩١١ ، وكانت العامل الأساسى لـكسب حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ .

أثر بريطانيا فى سياسة فرنسا :

وكانت هناك دواع تملى باستبقاء تلك الصداقة من الجانب البريطانى نفسه ، فقد ظهر جلياً بعد تقدم الطيران وموقف إيطاليا المعادى أن أراضى الأمبراطورية الفرنسية ستكون فى السلم والحرب الممر الطبيعى للطائرات البريطانية إذا تحاشت البحر الأبيض المتوسط : لم يكن من السهل إهمال علاقات هذا الجوار وما تمليه المصالح المشتركة للبلدين وما يفرضه تماشق حقوق الارتفاق بين الأمبراطوريتين ، ولهذا لم تترك السياسة البريطانية هذه الناحية تسير طبقاً للأقدار بل مالت بقواتها وعبأت أساليبها المختلفة وعضدت الاتجاه المضاد للحركة الأولى ، وكان أن حكمت فرنسا حكومات بقيت حريصة على محالفة بريطانيا ، وترتب على هذا أن دخلت فرنسا الحرب العالمية الثانية بجانب الأمبراطورية البريطانية .

ومن هنا نفهم حقيقة العرض الذى تقدم به تشرشل قبل تسليم يونيه ١٩٤٠ واقترح فيه إدماج الأمبراطوريتين فى اتحاد واحد وهو العرض الذى توهم فيه الـكثيرون بأنه كان عرضاً خيالياً لا يستند إلى أساس .

الحرب العالمية الثانية ٣٩ — ١٩٤٥ والمستعمرات الفرنسية :

جاءت الحرب فمرت شهورها الأولى وتحملها الناس ، ثم اشتدت وطأتها على فرنسا وظهرت عيوب الأنظمة الفرنسية وتفكك الأحزاب الحاكمة وخيانة رجال الصناعة وقواد الجيش ، وتوالت الهزائم واضطرت فرنسا للتسليم عقب قتال لم يدم طويلا ، وكان أن طرأ حادث غريب فى تاريخ العالم جاء نتيجة لإبرام عقد الهدنة بين فرنسا وألمانيا عام ١٩٤٠ ، وهو أن يحتل العدو بلداً أوروبياً أو جزءاً منه بجيوشه وتبق أراضى المستعمرات من غير احتلال ، وليس فى ذلك من عجب إذا كانت الهدنة لوقف القتال

---

[1] يقول أندريه فيليب إنها تعاونت مع المحورمدة الحرب وحصلت بذلك على أرباح طائلة

**La droite industrielle a Collaboré avec L'ennemi et a realisé dans ses opérations de Coquets Bénéfices**

ثم تعقبها مفاوضات الصلح وينتهى الأمر بابرامه عقب فترة قصيرة من الزمن كما حدث سنة ١٨٧٠ . أما أن تعقد الهدنة ويتضح من شروطها استثناء الأمبراطورية الفرنسية وبقاء جيوش الجمهورية معبأة للدفاع عنها ويستمر ذلك شهوراً ثم سنوات ما دامت الحرب قائمة ، فأمر جديد أثار الكثير من المشاكل كلما بعدت نهاية الحرب .

فهناك فريقان يتحاربان حرباً مميتة ، وهناك أمبراطورية لدولة قبلت التسليم ، فما هو حكم الأراضى التى سلمت أهى دار حرب وقتال أم هى على الحياد ؟ لا شك فى أن القسم الفرنسى الذى يشغله العدو بجيوشه هو دار حرب .

فما هو موقف القسم غير المحتل وأهم جزء فيه تلك الأمبراطورية بأقاليمها المتسمة ؟

هدنة سنة ١٩٤٠ ومستعمرات فرنسا :

كنت فى بيروت عند بداية الحرب وبعد عقد الهدنة ، ولقد شعرنا وشعر الناس جميعاً أن الحياد الذى أرادت فرنسا أن تظهر به غير موجود ولا يمكن التمسك به نظرياً أو عملياً فقد كانت الطائرات الإيطالية والألمانية تضرب فلسطين وكان بعضها يصاب بنيران المدفعية فيضطر للهبوط فى أراضى سوريا ولبنان فاتخذت السلطات الفرنسية معها فى الحوادث الأولى الاجراءات التى ينص عليها باب الحياد فى القانون الدولى ، وكان للألمان لجنة عليا فى فيسبادن تشرف على أمور الهدنة وتفسير شروطها . أبلغت هذه اللجنة الحكومة الفرنسية رسمياً أن شروط الهدنة مع ألمانيا لا تجعل من فرنسا ومستعمراتها بلداً محايداً ، وما يسرى على المستعمرات يسرى على الأراضى المشمولة بالانتداب : وبناء على ذلك أفرجت السلطات العسكرية الفرنسية عن الطائرات والطيارين وسمحت بالمرور والنزول فى المطارات ، فكان من بريطانيا أن قذفتها بالقنابل ووجهت حملتها لاحتلال أراضى سوريا ولبنان .

حالة شاذة :

هذه الحالة الشاذة لأوضاع الأمبراطورية الفرنسية طول مدة الحرب أوجدت فى أراضيها نوعاً من الحكم استفاد منه الفرنسيون للوقوف بين الفريقين المتحاربين ، ولو أنه أدى فى النهاية إلى خسارة أسطولهم واحتلال الألمان والطليان لتونس : إلا أن هذه الحالة لفتت أنظار الفرنسيين جميعاً للامبراطورية وأثرها وأهميتها وماينتظر منها وأنها قوة المستقبل ودرع الشعب الفرنسى وغير ذلك مما كانت تردده الصحف وتذيعه الأنباء المختلفة من محطات اللاسلكي .

انقسمت فرنسا إلى فريقين : حكومة فيشى وحركة الجنرال ديجول ، واتفق كلاهما على أمر واحد هو الاحتفاظ بوحدة الأمبراطورية وعدم التفريط فى أى جزء منها ، وترجع الأخطاء وأعمال العنف التى ارتكبها ممثلو فرنسا فى القطرين الشقيقين سوريا ولبنان إلى تمكن هذه الفكرة منهم تمكناً أعماهم عن تلمس الحقائق ومواجهة تطور العالم الجديد .

وأغرب من ذلك أن الحلفاء حينما وجهوا حملتهم إلى شمال أفريقيا قام الكتاب الفرنسيون بحملة قلمية فى أنحاء العالم تقول : إن الأمبراطورية وشعوبها قد قامت بأسرها لشد أزر الجنرال ديجول ، وأنها سارت تحت لوائه لإنقاذ أراضى الوطن المحتلة ؛ واتخذوا هذه الدعاية دليلاً على نفوذ فرنسا وقدرتها الاستعمارية ، بل من هنا أخذوا ينادون بما صمموا عليه من إدخال سياسة الاتحاد الفرنسى وفرضها بقولهم إن المستعمرات قد حملت عبء القتال عن الوطن الأوروبى المحتل فهى إذن ساهمت فى تحريره ومن حقها أن تندمج فيه وتكوّن وحدة معه وننقل هنا ما كتبه بول أميل فيار ، لأن مرة سلم الوطن الأم وبقيت فرنسا تحارب فى مستعمراتها [١] :

Pour La premiére fois en effet La Métropole est Occupée et La France se bat dans ses Colonies Powl Emile Viourd

لماذا لم تحتل ألمانيا الأمبراطورية الفرنسية :

إن السياسية التى أملت على المانيا ترك الأمبراطورية الفرنسية

---

(١) راجع : Essai d' ure Organisaton Constétutionnelle de La Communité Francaise

تحت إشراف فرنسا بعد تسليمها لا تزال غامضة بل هي إحدى المعميات التي سيتساءل عنها مؤرخو الحرب طويلا . فقد تكون هناك عوامل عسكرية أو سياسية فرضت هذه السياسة ، ومن المحقق أن هناك مفاوضات وأشياء لا يزال العالم يجهلها تماماً .

فمن قائل إن التسليم قد تم على يد رجال يؤمنون بعظمة فرنسا إذا تخلصت من أنظمتها الدستورية واتجهت اتجاهاً فاشياً ، فمن الطبيعي تشجيع هذه الحركة وإعطاء هؤلاء الناس بعض التساهل بترك المستعمرات لهم ، ومن قائل إن الغرض الأساسي الذي رمى إليه هتلر هو أن يجعل الأمبراطورية الفرنسية يوماً ما في صفه أمام الأمبراطورية البريطانية في أفريقية . وذلك لأن :

### لفرنسا سياسة أوروبية وللمستعمرات سياسة أمبراطورية :

يقول أصحاب هذا الرأي إنه إذا كان لفرنسا سياسة في القارة الأوروبية تعتمد على الأمن والضمان وهي تحتم التحالف مع بريطانيا وغيرها ، فإن للامبراطورية بحكم موقعها الجغرافي ونفوذها وحاجاتها الاقتصادية سياستها الخاصة بها .

ويظهر ذلك جلياً في أن الفرنسي في القارة الأوروبية يعالج المشاكل بروح تختلف عن روح الفرنسي المقيم بالمستعمرات الذي يفكر بالأسلوب الأفريقي الاستعماري وينظر إلى عظمة فرنسا في إمبراطوريتها نظرة بعيدة عن تطور السياسة الأوروبية وما تفرضه من محالفات وصداقات .

فإذا تركنا جانباً المستعمرات البعيدة مثل مدغشقر والهند الصينية ، تبدو الأمبراطورية الفرنسية لقول هؤلاء كوحدة جغرافية لها أهمية كبرى وهي في نظرهم كائن حي له ما لفرنسا من مشاكل متعلقة بالأمن والحماية والجيش والبحرية .

وقد تتفق السياستان وقد تختلفان في الشؤون الخارجية ، أما في الشئون الداخلية فقد ظهر أثر الرجال الفرنسيين المقيمين بالمستعمرات في محاربة كل إصلاح يرمي إلى إشراك الوطنيين في الحكم ، بل فرضوا إرادتهم وأجبروا الحكومة المركزية على تغيير سياستها مراراً ولذلك توهم المختصون بشؤون الاستعمار ألا مخرج لهم من هذا التعارض سوى سياسة الاتحاد التي تجعل من فرنسا والأمبراطورية كتلة واحدة في الخارج والداخل .

وكان من رأي الذين لمسوا هذا النزاع القائم أن المشاكل الإقليمية والحربية في سيرها وتطورها تواجه في النهاية مصالح الأمبراطورية البريطانية في أفريقيا وأكبر ضربة لهدم التحالف الفرنسي البريطاني تأتي من تشجيع فرنسا للأخذ بسياسة إمبراطوريتها في الأمور الخارجية وبنوا نظريتهم على :

### المتناقضات القائمة بين إمبراطوريتين عالميتين :

فقالوا إن سياسة الوفاق والصداقة سهلة وتبدو ضرورية في أوروبا ولكنها صعبة وغير محتملة في أفريقية أو إذا سار التحالف بانسجام هنا فإنه لا يسير أشواطاً بعيدة في أفريقية من غير أن تبرز المتناقضات : وهي الأمور التي تتطور إلى مشاكل أو أزمات فيستعصى حلها لأن مردها إذا إلى السياسات العليا أو إلى القواعد الثابتة الملازمة لطبائع الأشياء : وعلى هذا الضوء تبدو حوادث سوريا ولبنان سنة ١٩٤٣ ، ومشاكل بريطانيا في طرابلس الغرب وبرقة ، في الوقت الحاضر وتعذر إيجاد حل لها .

### أمل ألمانيا في استغلال التنافس بين الدولتين :

كان الألمان على إلمام تام بالحالة النفسية والعسكرية في الجيش الفرنسي ، وبما يمكن أن تؤديه الفرق المكونة من الجنود الأفريقية ، وهم على علم بطاقة هذه الشعوب ومقدار صلاحيتها للحروب الحديثة ، ولكنهم أبقوا مع ذلك على وحدة الأمبراطورية الفرنسية وتركوها بيد الفرنسيين لأنهم توهموا أن التنافس بين البريطانيين والفرنسيين قد ينقلب إلى عداء ، وقد مرت حوادث كانت نتيجتها التصادم والقتال ولكن الأمبراطورية الفرنسية لم تتحرك بل إن القتال الذي نشب في سوريا ولبنان انحصر هناك .

أما من الناحية الفرنسية فقد تمكن الأمل من القواد والساسة لدرجة أنهم توهموا بأن لديهم القوة الكافية للدفاع عن الأمبراطورية إذا هوجمت وحشدوا وحداتهم البحرية في شمال

أفريقيا أملا فى الخروج إلى السلم بالسيادة على البحر وحدود المستعمرات كما كانت قبل الحرب : بل كانوا يجاهرون بأنه إذا لزم الأمر أن يقبلوا التضحية عند إقرار السلم مع ألمانيا فلتكن التضحية من الأراضى الأوروبية إذا ضمنوا المحافظة على وحدة أملاكهم الأفريقية التى هى المدى الحيوى التاريخى للشعب الفرنسى .

ومن الغريب أن هذا الأمل الألمانى وهذا المنطق الفرنسى ترك شمال أفريقيا فى حالة مهلت للحلفاء احتلالها واتخاذها بموانئها لجمع قواتهم التى زحفت إلى قلب أوروبا ، فكان أن ساهمت الأمبراطورية الفرنسية فى تحرير أوروبا بل فى تحرير العالم ولكن كبقعة متسعة من الأرض استعملت كمسرح للحوادث والمعارك ليس إلا …

**الحلفاء يسيطرون على أملاك فرنسا ثم يعيدونها اليها :**

تمزق السور الفولاذى لأول مرة عند دخول الحلفاء وقواتهم أراضى شمال أفريقيا ، فرأى أهل مراكش وتونس والجزائر جنوداً من عناصر أخرى غير فرنسية ، ولا بد أنهم لمسوا وعاينوا أشياء جديدة ، ولكن البلاد التى خضعت لسنوات عديدة لأعمال العنف والتشريد كانت تتمخض بانبعاث جديد ووثبة شاملة ، ولم تكن حملة الحلفاء لتخلق هذا الوعى القائم لولا أن لهذه الشعوب من الشخصية والتاريخ ما يجعلها تحس وتشعر بالرسالة التى تحملها للعالم . وجاءت حملة الحلفاء لهذه الأرض بأساطين العالم وكانت مقر مؤتمرات : وعرف الناس جميعاً أن أراضى تونس والجزائر ومراكش كانت وديعة فى يد الحلفاء وقد أعيدت لفرنسا بعد أن تعهد رجالها لروزفلت أن تسير هذه البقاع فى ركب الحضارة نحو الحرية وتقرير المصير كغيرها من بقاع الدنيا التى يسكنها الإنسان لا الحيوان .

أعود إلى الوراء ؟ أم عصر جديد ؟ هذه كلمة الأستاذ إسماعيل مظهر حينما عرض إلى مشروع الاتحاد الفرنسي ونحن نتفق معه فى صيحته ونقول :

إن الخطر الذى يبدو لنا هو أن توفق فرنسا فى إقناع العالم أن الاتحاد الفرنسى هو مشروع إنسانى يدعو إلى رفع مستوى شعوب الأمبراطورية ، ويعدّ تنفيذه تحقيقاً لما وعدوا به روزفلت فى اجتماع الدار البيضاء ، أو مرحلة فى طريق الرقى الاجتماعى .

ولكن فكرة الاتحاد قديمة وسنعرض لها فى الجزء الأخير من هذا البحث ونبرهن أنها أخطر بكثير مما نتصور ، وأنها ضربة موجهة لاستقلال الشعوب وحريتها ومستقبلها ، وأنها أخطر طعنة يوجهها الاستعمار الأوربى فى أفريقيا موطن الشعوب المظلومة

**أحمد رمزى**

---

## من وراء المنظار

## مذيـــــاع ... !

سوف لا تضحك يا قارئى من هذا الذى أكتب ، بل أنك ستتحمس أشد التحمس مع قوم انقلبوا جميعاً على الرغم مما كانوا فيه من ألم وعذاب وضعف من أكبر المتحمسين . وحسبك أن تعلم بادىء الأمر أنى أنا الذى طالما تفكهت بكل من يتحمس وضحكت ملء نفسى قد بت فى الحماسة أشد الناس أجمعين !

هذا شاب يضطجع على سرير ، بيده مجلة ينظر فيها وقد لمح منظارى على غلافها بعض الصور المغرقة فى المجون والفتنة ، وبجانبه مذياع لا يبعد عن أذنه إلا بقدر ما بين عينيه والمجلة ، والمذياع يرسل صوته كما لو كان فى مقهى من أشد المقاهى جلبة وصخباً ، وصاحبنا يقرأ ويسمع ويمتع بالجمال العارى ناظريه لا حرمه الله منهما ولا حرمه من ظرفه وأناقته وحسن ذوقه — كما يمتع بالموسيقى واللحن الصاخب أذنيه .

ولعلك تقول وما ذا فى ذلك من غرابة ؟ وما ذا فيه من بواعث التحمس حتى تستعدى عليه القراء على هذا النحو ؟ ألا فاعلم رعاك الله ووقاك السوء وجنبك وإيانا مواطن التحمس أن هذا الشاب الظريف كان يضطجع على سرير فى أحد المستشفيات، إى والله فى مستشفى يحيط به فى الحجرات المجاورة مرضى منهم من يتلوى على سريره من فرط ما به ، ومنهم من يطلب غفوة تنقذه من عذابه ، ومنهم من اشتد به الصداع حتى أذهله عما بقى من صوابه ، ومنهم من يتراءى له شبح الموت فى كل شىء ، ومنهم من يطلب الهدوء حتى ليتضجر من وقع أقدام ممرضته أو من مجرد فتحها باب غرفته وإنها لتتنقل كما يتنقل الخيال فى الحلم !

والمذياع يجلجل صوته بكل ما هب ودب ، وقد أحضره هذا المريض الظريف ، شفاه الله ، من بيته ، وكانت حجرته لسوء حظ هؤلاء المساكين من حوله فى مفرق الطرق من ممرات المستشفى ، وكان بابها مفتوحاً إلى آخر ما ينفتح ، كما كان صوت مذياعه بالغاً فى الارتفاع آخر ما يمكن أن يرتفع .

وضج المرضى أو ضج من يستطيع منهم أن يحتج ، أما الذين برحت بهم الأوصاب فكانوا يتململون من هذا الطرب المفاجىء الذى نزل بهم فإذا هو يضاف إلى ما يلاقون من ألوان العذاب !

وغمزت أيديهم الأجراس ، وهى من نوع عالى الصوت ، فأضيفت نغماتها إلى نغمات المذياع ، واختلط بهذا كله استنكار الزائرين واستغاثة بعض من استطاعوا المشى من المرضى ، فهذا يصفق بيديه ، وذاك يتسخط ويتكره ويستعيذ بالله ، وذلك ينادى المسؤولين ؛ وتألفت من أولئك جميعاً ضجة لن يكون فيما يصور الخيال أشد منها نكراً ولا أبغض نشوزاً .

كل ذلك وصاحبنا لا يكترث لشىء ، كأنه وحده فى البحر أو فى الصحراء . وطرقت الباب أستأذن عليه ، ودخلت الحجرة فنظر إلى مستفهماً بهزات من رأسه المضطجع على الوسادة ، فوقع فى نفسى أنه ثقيل السمع فهو لذلك يعلى صوت المذياع ، ودنوت منه ورفعت بالكلام صوتى فخبس صوت المذياع واستمع إلى ، فرجوت منه وأنا أدعو له بالشفاء أن يغض من صوت مذياعه رحمة بالمرضى وبخاصة مريض كنت أعوده وقد اشتد به الألم ولا يفصل بينه وبينه إلا جدار الحجرة الرقيق .

ونظر إلى مستنكراً — كما فهمت — تطفلى وتهجمى على حجرته واعتدائى على حريته ، ولم يزد على أن أدار مفتاح مذياعه فأعاده أشد مما كان إن كان فيه فضل لزيادة !

ونظر فى صحيفته كأن لم يكن أمامه أحد ! وللقارىء أن يتخيل نفسه فى موضعى ، ثم لينظر مبلغ ما فى نفسه من تحمس حتى لمجرد هذا الخيال ! لقد فكرت أن أنتزع المذياع من مكانه فألقى به فى الحديقة ، ولو أنى فعلت ذلك ما فثأ ما كان فى نفسى من غضب . على أن مدير المستشفى قد جاء بعد ساعة فأمر بانتزاع هذا المذياع وحرم دخوله إلى حيث كان ... وكفى الله المؤمنين القتال ... نحن لعمرك ولعمرى أيها القارىء قوم كثيرو العيوب الاجتماعية ، ولتتحمس ما شئت إن أنكرت منى هذا القول ، وأكثر هذه العيوب ذيوعاً وأرذلها فيما أرى وقماً عدم مبالاتنا أو ما أسميه على التحديد عدم اهتمامنا بالغير ، ما دمنا قد أرضينا أنفسنا ، وما نظن أن فى الأمم من هم مثلنا فى عدم الاهتمام بالمحيط الاجتماعى، وقلما نعنى بما تقضى به اللياقة أوقلما نفطن إلى أن هناك شيئاً يدعى اللياقة . أقول هذا وليغضب القارىء العزيز ما شاء له غضبه ، فأنا متحمس كما ذكرت على غير عادتى ، وإن كنت ضناً بصحتى أدعو الله مخلصاً ألا يرينى بعد اليوم ما يعود بى إلى مثل هذه الحماسة !

**الخفيف**

# حقـــــوق المرأة

للأستاذ علي عبد الله

يخيل إليّ أن الذين يطالبون بحقوق المرأة ... ويريدون لها أن تشترك في السياسة ، وتعطى صوتها في الانتخابات النيابية ، إنما يتآمرون عليها ويعملون على تضييع حقوقها ، وإفسادها بإخراجها عن طبيعتها ووظيفتها التي خلقت لها

لأن الله خلق المرأة لتكون أنثى ، وجعل وظيفة الأنوثة من أهم وظائف الحياة ، وأتاح للمرأة أن تبدع فيها وتنتج ماشاء لها الإبداع والإنتاج ؛ وهيأ لها كل فرصة للبلوغ بهذه الأنوثة إلى قمة المجد والعظمة

ولذا كان كل تصرف أو عمل يراد به إبعاد المرأة عن عملها ، وإخراجها عن دائرة اختصاصها ، وإشراكها مع الرجل فيما هو من عمل الرجولة محاولة طائشة ليست من مصلحة المرأة في شيء

إنهم يطلبون مساواة المرأة بالرجل ! ! فإذا فرضنا أن هذه المساواة قد تمت ؛ بل لنفرض أن المرأة قد أصبحت رجلا بالفعل !! فهل تكون أسعد حظاً وأكبر شأناً أو أعظم منزلة مما هي الآن ؟

ما أظن ذلك أبداً ، وما زالت المرأة في نظري تعتز بجمال الأنوثة ، وتباهي بالطرف الكحيل ، والخد الأسيل ، والخصر النحيل ، ولو أنك شبهت امرأة برجل مرة واحدة لاعتبرت ذلك إهانة لها وتجريحاً لجمالها ! !

ولعل الذين يطالبون بمساواة النساء بالرجال لايدرون أن من الخير للمرأة أن تبقى كما هي وألا تؤدي من الأعمال إلا مايتفق مع رقة الأنوثة وسحر النساء ، وأنها في أنوثتها أفضل ألف مرة مما لو كانت قريبة من الرجولة

ولا شك أن طلب النساء المساواة بالرجال كطلب الرجال المساواة بالنساء ، فإذا أمكن أن يستقيم هذا المنطق مع منهاج الحياة الاجتماعية أمكن للمطالبين بحقوق المرأة أن يحققوا مطالبهم ! !

إنني أعتقد أن المرأة ليست في حاجة إلى شيء من الحقوق حتى تطالب به ! فهي فيما أرى متمتعة بكافة الحقوق التي منحتها إياها الطبيعة والشريعة ، وهي مساوية لحقوق الرجل تماماً ، وكل مافي الأمر أن هذه الحقوق تختلف باختلاف الجنسين ، وقد فرض الله لكل منهما ما يتفق مع فطرته وقدرته وخلقته ، وبذلك يمكن النظر إلى ما للرجل وما للمرأة عن طريق الموازنة والتعادل ، لا عن طريق المساواة وتوحيد الأعمال ، لأن هذا يفسد نظام المجتمع ويضع الأمر في يد غير أهله ، وقد يسر الله كل جنس لما خلق له

وبشيء من الموازنة بين ما قررته الشريعة للنساء وللرجال نجد المرأة في الكفة الراجحة ، ونرى أنها حين تطلب المساواة بالرجل تنزل عن شيء كثير من امتيازاتها

هذا عقد الزواج الذي يجمع بين المرأة والرجل ، يلتزم فيه الرجل بالمهر والنفقة بجميع أنواعها : نفقة السكن والغذاء والكساء وما يتبعها من ملحقات ، وهو مع ذلك كله لايعطي الرجل أكثر من حق الاستمتاع بالمرأة استمتاعاً عاطفياً بحتاً مجرداً عن الماديات والخدمة والتسخير

وقد حددت الشريعة هذا المعنى بنص الآية الكريمة ( ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون )

وإذاً فالعلاقة بين الزوجين يجب أن تقوم على أساس سكون النفس وارتياحها واطمئنانها ورضاها ، ولن يتأتى هذا السكون إلا بتجاوب الشعور ، وتبادل العاطفة وتقارب الثقافة وتكافؤ التربية . وأضافت الشريعة إلى هذا كله وجوب توفر المودة والرحمة ، وكلها صفات عاطفية مجردة عن المنفعة والانتفاع ، وهذا نوع عجيب من السمو رفع المرأة إلى أرقى المراتب ووضع العلاقة الزوجية في أسمى الدرجات

لقد كانت المرأة في الجاهلية تباع وتشرى ، وتكره على الزواج والبغاء ، وتورث ولا ترث ، وتمنع من التصرف في مالها ، وكان قدماء الرومان يشكون في أنها إنسانة ويعتقدون أنها حيوان نجس لم يخلق إلا للخدمة ، وكان بعضهم يغالي في اتقاء شرها ويرى تكميم فمها لمنعها عن الكلام كالكلب العقور أو الجمل المعضوض ! ! وأغرب من هذا أنه كان يباح للوالد ذبح ابنته أو دفنها في التراب وهي على قيد الحياة دون أن يؤخذ بجزاء أو قصاص ( وإذا بُشرَ أحدهم بالأنثى ظلّ وجههُ مسوداً وهو كظيم

يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هُون أم يدسه في التراب ألا ساءَ ما يحكمون ) وكانوا يقولون في مأثور الحكم ( دفن البنات من المكرمات ) ومن أغرب ما يرويه لنا التاريخ عن فرنسا التي وضعت دستور الحرية للعالم ... أنها لم تقرر أن المرأة إنسانة إلا سنة ١٥٨٦ ، أما الإسلام فقد نسخ هذه الأوضاع وساوى بين الرجل والمرأة بقوله : ( ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلقَ منها زوجها ) ( من عملَ صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياةً طيبة ) (ياأيها النبي إذا جاءكَ المؤمنات يُبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهنَّ ، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن فبايعهنَّ واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم) ( ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف . وللرجال عليهن درجة )

هذه الآيات الكريمة تبين لنا بمنتهى الوضوح أن المرأة لها مثل ما للرجل من الحقوق في القيمة لا في النوع ، وليس للرجل عليها غير درجة واحدة ، هي حق الرعاية والحماية والولاية ، وهو حق تقرره طبيعة الحياة ، إذ لا بد لكل أسرة من راع يتولى أمرها ويحمل المسئولية عنها ،والرجل في هذا المقام أولى بالرعاية لأنه صاحب الفضل والجهد والنفقة والمسئولية

( الرجال قوَّامون على النساء بما فضلَ الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم )

حتى هذه الدرجة التي جعلها الله للرجل على المرأة ، لم يشأ أن يجعلها خالصة له بدون عوض ، فكلفه بالسعي وأعطاه حق القيادة ، وألزمه النفقة ، وخصه بالولاية والقوامة ، وجعل له الضعف في الميراث وحمَّلَهُ تكاليف المهر والإنفاق ، فتعادلت الكفتان ، وعرف كل فريق حقه ، ولم يعد لأحدهما أن يبغي على الآخر

وإذاً فما بال المرأة تحاول العدوان على الرجل وتريد أن تسلبه وظيفته وتزاحمه فيما هو من شأنه ؟ ! وهل هي بهذه المساواة التي تطلبها تريد أن تشترك في الإنفاق ودفع الصداق ، والكفاح في الحياة من أجل مطالب الأسرة ؟ أم أنها تريد الاشتراك في التشريع والحكم والنيابة دون أن تشترك في الأعباء والتكاليف ! !

وهبها استطاعت أن تحاكي الرجل في كل شيء ، وتشاركه في كل أمر ، فهل تعتقد أن هذا يحقق لها المساواة ؟ وهل في استطاعتها أيضاً أن تجعل الرجل يحمل ويلد ويرضع أم تقف عاجزة أمام هذه الفوارق الطبيعية التي لا حيلة لأحد فيها ؟ !

وإذا فرضنا أننا أعطينا المرأة حق التصويت في البرلمان ، فسيتبع هذا إعطاؤها حق النيابة ، وحين يصبح النساء أغلبية في المجلس تقضي التقاليد البرلمانية بتأليف الوزارة منهن ، وليس ببعيد أن نرى في مصر بعد تنفيذ هذا الاقتراح وزارة من الجنس اللطيف !

وأنا مطمئن إلى أنه سيكون من أول ما تقرره هذه الوزارة اللطيفة ... إلغاء الضرائب المفروضة على الوارد من أدوات التجميل والجوارب ( النايلون ) وأقلام الشفاه الحمر وزجاجات العطور ، وأصباغ الأظافر ، وإنشاء المعاهد العالية لابتكار الأزياء وخياطة الملابس وابتداع أنواع من الأحذية تزيد الأقدام جاذبية وإغراء

ولا ريب أن وجود النساء في البرلمان يجعل لهن حق التشريع ووجودهن في الوزارة يعطيهن سلطة التنفيذ وبذلك تنعكس الآية وتكون النساء قوامات على الرجال

ألا ليت الذين يتعلقون بهذا الخيال يعلمون أن العالم في حاجة إلى الأنوثة كما هو في حاجة إلى الرجولة ، وأن لكل منهما اختصاصاً فرضته الطبيعة على الجنسين ؛ فمحاولة خلط عمل النساء بعمل الرجال محاولة طائشة تؤدي إلى انهيار النظام الاجتماعي وفساد الأسرة وخراب البيت !

والبيت مملكة قائمة بذاتها تحتاج إلى مجموعة كبيرة من القوى والجهود لتنظيمه وتدبيره ، وتوزيع الزمن والجهد والثروة على ما تتطلبه من متاعب الحمل والرضاع والتمريض ومشا كل الطاهي والنظافة والتدبير وشواغل التعليم والتربية والتوجيه والتوفيق بين رغبات الأطفال ، ومشا كل العيال ، وحقوق رب البيت في الراحة والسكون والمتاع والاستجمام

هذا هو عمل المرأة في البيت وهو عمل ليس هيناً ولا سهلاً ، فإذا أرادت أن تخدم وطنها فهذا هو السبيل الصحيح ، وإذا شاءت أن ترفع الأنوثة إلى ذروة المجد وقمة العظمة ، فليكن ذلك من طريق الإبداع في تنظيم البيت وتحويل هذه المملكة الصغيرة إلى جنة وارفة الظلال ، مخضرة المعشب يجد الأطفال فيها حنان الأمومة وجمال العطف ويشعر الزوج في ظلها ببرد الراحة ، ونعيم العافية وصفو العيش الرغيد !!

(المنصورة) **علي عبد الله**

# الجهاد الوطني في مراكش

للأستاذ عبد الكريم غلاب

في جمع ضم نخبة ممتازة من أصحاب الدولة والمعالي من مصريين وشرقيين وعرب تحدث متحدث عن مراكش وما تلاقيه في سبيل الحصول على استقلالها ، فرد عليه أحد أصحاب المعالي قائلا : إننا لا نسمع إلا قليلا عن الحركة الوطنية في مراكش ، ولذلك لا نستطيع أن نقوم نحوها بشيء جدي .

ذلك حديث صاحب المعالي ولست أدري أأنكر عليه حديثه أم أسرد عليه بعض الحقائق التي تبرهن له على أن مراكش جاهدت في سبيل استقلالها جهاد المستميت ، وضحت في سبيل قوميتها تضحية لا أحسب أن أمة شرقية ضحت أكبر منها .

والحقيقة أن مراكش وقعت تحت الحماية الفرنسية ، ويكفي أن أقول « الحماية الفرنسية » ليدرك إخواننا العرب في الشرق ما تعانيه هذه الأمة من بطش وجور واضطهاد ، وليدركوا أيضا – إن كانوا قد سمعوا أو رأوا ما وقع في سوريا ولبنان طول ربع قرن – ما يتجرعه المراكشيون في سبيل كيانهم الوطني ؛ مع ما يوجد هناك من فارق جوهري بين الحالة في الشرق والحالة في مراكش . وهذا الفارق هو أن مراكش وقعت في الركن الغربي لشمال أفريقيا ، وبذلك أصبح في إمكان الفرنسيين أن يقفلوا الأبواب في وجهها ، ويكتموا أنفاسها حتى لا يسمع صوتها أحد في الشرق أو الغرب . وقد تم لها ذلك فما إن تتحرك البلاد حتى تقفل جميع الحدود ، وتمنع إدارة البرق من أن ترسل أي رسالة إلى الخارج وبذلك يتم للفرنسيين أن ينفردوا بمراكش فيقضوا على حركتها بالحديد والنار – ويخمدوا أنفاسها إلى حين ، وبذلك لا يدري أحد ماذا جرى في مراكش .

ألست ترى معي أن صاحب المعالي معذور في قوله إن حركة مراكش لا يسمع لها صوت ؟ وسنحاول في هذا الحديث أن نلخص جهاد المراكشيين في سبيل استقلالهم وحريتهم .

يبدأ تاريخ الجهاد الوطني منذ فكر الأجانب في احتلال مراكش ، وقد فطن لذلك المراكشيون فكانت ثورة المولى عبد الحفيظ وتوليته العرش سنة ١٩٠٧ قائمين على أساس إبعاد خطر الأجانب عن البلاد والقيام بالإصلاحات الداخلية التي يتطلبها العهد الجديد كما ورد في الوثيقة التي بويع على أساسها . وقد قام المراكشيون في ذلك العهد ضد المولى عبد العزيز وعملوا على خلعه لأن النفوذ الأجنبي بدأ يتسرب إلى البلاد في عهده . ولما أخفق المولى عبد الحفيظ في إبعاد الفرنسيين عن البلاد وإخراجهم من مدينتي « وجده » و « الدار البيضاء » وأكره على إمضاء معاهدة الحماية سنة ١٩١٢ ، قامت ثورة في مراكش كلها وخاصة في العاصمة « فاس » التي حدثت فيها مصادمات عنيفة بين الشعب المراكشي والجيش الفرنسي . وهذه المصادمات – وإن انتهت بالإخفاق – إلا أنها دلت على ما في الشعب المراكشي من حيوية كادت ترغم الفرنسيين على الجلاء عن العاصمة ، لولا الإمدادات القوية التي تلقاها المرشال « ليوطي » قائد الحملة الفرنسية .

والمؤرخون الفرنسيون الذين تحدثوا عن هذا العهد يقدرون هذه الحوادث التي يسمونها « أيام فاس السوداء » .

ولئن استسلم المراكشيون في المدن الكبرى لأنهم غلبوا على أمرهم تحت مدافع الفرنسيين وبنادقهم . فقد استمرت الحرب في القبائل الجبلية وخاصة في الجنوب . استمرت حرب العصابات بين الفرنسيين والمراكشيين اثنتين وعشرين سنة فلم تستسلم حاميات الجنوب إلا في سنة ١٩٣٤ .

وفي هذه الفترة قام الأمير عبد الكريم الريفي ليخلص البلاد من يد الاسبانيين والفرنسيين ، ولا نريد أن ننوه بانتصاراته المديدة ، وبما لاقته الجيوش الاسبانية ، والفرنسية على يديه ، فإن القراء في الشرق العربي يعرفون هذه الحروب ويقدرونها ، وهم يعرفون أن عبد الكريم بطل مراكش لم يعمل على بناء مراكش الحديثة فحسب ، ولكنه ساهم في بعث الروح العربي في الشرق أيضاً . ويكفي أن نقول إن انتصاراته أقضت مضجع أوروبا كلها ، وجعلت مجلس النواب في كل من فرنسا واسبانيا يطالبان بسحب الجيوش من مراكش ، والتسليم للأمير عبد الكريم ، وقد كادت تقوم ثورة شعبية في اسبانيا لتنقذ

البلاد من ويلات الحرب الريفية التي استمرت زهاء خمس سنوات كاملة.

ولم يكد الأمير عبد الكريم يلقى سلاحه حتى تلقفته منه الحركة الوطنية السلمية التي أعلنت ابتداء جهادها في مايو سنة ١٩٣٠. قامت هذه الحركة لتعمل على تخليص البلاد من نير الاستعمار الفرنسي والإسباني، فأخذت تعمل جاهدة لتحقيق المطالب القومية للشعب المراكشي. وقد تمثلت هذه الحركة في حزب واحد هو «كتلة العمل الوطني» وكان لهذه الكتلة برنامج وطني يشمل الإصلاحات الضرورية التي يجب على كل من فرنسا واسبانيا أن تعالج بها الحالة في مراكش. وما كادت الكتلة تعلن عن وجودها حتى التف حولها الشعب، وأصبح الفرنسيون يدركون خطرها على مشروعاتهم الإستعمارية، ومن ثم أخذوا يقاومونها مقاومة أدت إلى اصطدامهم بالشعب مرات عديدة، وكان من نتيجة ذلك أن سقط في ميدان الجهاد عدد كبير من المجاهدين المراكشيين.

وكانت سبيل الفرنسيين في محاربة الحركة الوطنية تقوم على إقفال الأبواب في وجه الوطنيين ومنعهم من كل عمل من شأنه أن يقوى نفوذهم في الشعب. فقد كانوا ممنوعين من إصدار صحيفة عربية واحدة تعبر عن آرائهم كما منعوا من فتح نواديهم، ومن إعلان صوتهم بأي طريقة من طرق الإعلان. جاهد الوطنيون ليزيحوا عنهم هذا النير، ولكن الفرنسيين كانوا يمعنون في طرقهم الاستعمارية، وهذا ما جعلهم يصطدمون بالشعب المراكشي فسلطوا جند السنغاليين المعروف بقسوته ووحشيته على الشعب الأعزل ... وأخيراً أصدرت السلطة قراراً بحل كتلة العمل الوطني وأغلقت نواديها وصحفها، وقبضت على زعمائها، وبقي زعيم الكتلة محمد علال الفاسي في منفاه بالكابون في افريقيا الإستوائية منذ سنة ١٩٣٧ إلى الآن

وهكذا أصبحت مراكش مباءة للثورات الجامحة في سبيل الحرية. ولكن لم يكن جهاد الحركة الوطنية ثوريا يعمل على زحزحة النفوذ الأجنبي بالثورات فحسب، ولكنه كان جهاداً يقوم على أسس متينة لبناء صرح الأمة المراكشية. فرجال الحركة رأوا أن الإدارة الفرنسية لا تقوم بشيء يذكر في سبيل التعليم، ولذلك قاموا بحركة تعليمية واسعة النطاق، ففتحوا المدارس الحرة في جميع أرجاء البلاد رغم ما قاسوه من محاربة الإدارة الفرنسية لهم؛ وبذلك أنشأوا جيلا متعلما من الشباب، وكان مجهودهم في سبيل التعليم أضخم من مجهود الإدارة برغم الأموال التي خصصتها الإدارة في ميزانيتها للتعليم. وقاموا أيضاً بحركة تحريرية اجتماعية فجندوا الشباب لمحاربة الجهل والفقر ولتنوير أذهان الشعب، وحملوا حملة منكرة على بعض العادات والتقاليد التي يغذيها الاستعمار الفرنسي. ثم قاموا بحركة خطيرة وهي اقتحام مناطق جبال الأطلس التي منع الفرنسيون دخولها إلا بجواز سفر. وبذلك فضحوا (السياسة البربرية) التي اتبعتها فرنسا في هذه المناطق والتي تقوم على فصل جنوب مراكش عن شمالها. وقد ساعدت الحركة الوطنية في بعث النشاط الأدبي والفكري في مراكش فقاموا باصدار مجلات وكتب أدبية تعرضت هي الأخرى للمصادرة والتعطيل. ومما يذكر للحركة الوطنية بالفخر أنها أنشأت صحفاً ونوادي وجمعيات في قلب باريس للدفاع عن مراكش. وكان لمجلتي «مغرب» و «أطلس» الفرنسيتين اللتين كان يحررهما الشبان المراكشيون في باريس أثر كبير في الرأي الفرنسي فأوجدت نوابا ووزراء فرنسيين يعطفون على الحركة المراكشية.

وقامت الحرب الأخيرة فقام المراكشيون يساعدن دول الحلفاء ويبذلون أبناءهم الذين حاربوا في كل الميادين الهامة ببسالة شهد لهم بها مستر تشيرشل في إحدى خطبه، وقدمت الحكومة المراكشية أموالا طائلة مشاركة منها في المجهود الحربي. ثم قدمت لفرنسا المحاربة وللجنة التحرير الفرنسية قروضا كبيرة استعانت بها في استرجاع بلادها المحتلة. وقد سخرت جيوش الحلفاء أرض مراكش وموانئها ومطاراتها واستفادت من منتجاتها الضخمة. كل ذلك ظنا من المراكشيين بأن الحرب ستخلق مبادىء جديدة وستتيح للشعوب الصغيرة أن تتمتع بمبادىء ميثاق الأطلنطي. ولذلك اتحدت كلمة الأمة تحت زعامة «حزب الإستقلال» الذي قدم وثيقة لدول الحلفاء ومن ضمنهم فرنسا، طالب فيها باستقلال مراكش، وتوحيد أراضيها، وإقامة نظام ديمقراطي دستوري؛ كان ذلك في يناير سنة ١٩٤٤ ولم تكد تعلن هذه الوثيقة حتى

# الشباب والفراغ والجدة

للأستاذ مصطفى القونى

[ هذه الكلمة هى خاتمة الفصل الأخير من الطبعة الثانية من كتاب « الأثمان : عرض جديد لأصول علم الاقتصاد » الذى طبع فى دار الرسالة وظهر فى هـذا الأسبوع عن مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ]

يصل المجتمع إلى أقصى قدر من الرفاهيـة الاقتصادية إذا استغل موارده على النحو الذى يتيح له أقصى قدر من الشباب والفراغ والجدَة . ونعنى بالجدَة الثروة . ونعنى بالفراغ أن يقصر وقت العـمل بالقدر الذى يهيىء للناس التمتع بثمرات عملهم . ونعنى بالشباب علو مستوى الصحة العامة ، لأنه لا خير فى العيش إذا فسدت آلته ، وآلة العيش صحة وشباب .

والمشكلة الإقتصادية هى مشكلة قلة الوقت والموارد ، فاذا استطاع المجتمع أن يستغلها أفضل استغلال خفف من حدة قلتها وفاز من القليل بالـكثير .

ولـكن الثروة والفراغ والقدرة على الاستمتاع وإن كانت نعمة حين تتاح للناس فى مجموعهم ، فإنها تنقلب نقمة إذا اختص بها أفراد دون آخرين ، نقمة تفسر قول من قال :

« إن الشباب والفراغ والجِدَه مفسدة للمرء أىّ مفسده ! »

ولنرو الآن طرفاً من مفاسد تباين ثروات الناس وتباين دخولهم .

إن ثروات بعض الناس تغنيهم عن السعى لـكسب أرزاقهم ، ويعيش مثل هؤلاء عيشة بطالة اختيارية . وليس للبطالين مايشغلهم غير الجرى وراء حوافز الاستمتاع ومثيرات الشهوات ، فهم يخلقون لأنفسهم « حاجات » ثم يجرون وراء إشباعها . ويقبـل البطالون على شرب الخمر ، مثلا ، تزجية للفراغ وهرباً من السأم والملالة ، ولـكن غيرهم يحاول أن يجرى مجراهم فتشيع المفاسد بين العامة الذين يحاولون أن يتشبهوا بالخاصة وإن لم يكونوا مثلهم (١)

ومن هنا كان توجيه جانب من نشاط المجتمع الاقتصادى إلى إشباع « حاجات » البطالين ومن يجرون مجراهم . والنشاط الاقتصادى ، أو السعى للرزق ، عبارة عن صنع أشياء أو أداء خدمات يطلبها أناس ويدفعون نظيرها « ثمنا » . وإقبال الناس على شرب الخمر يدفع غيرهم إلى التوسل للعيش بالخدمة فى المواخير وطالب القوت ما تعدىّ .

وبعض من ينظرون فى كتب الاقتصاد نظرات عابرة ، ينعون على الاقتصاديين اعتبارهم الرغبات المحرمة والسافلة « حاجات » وينعون عليهم وصف ما يسد هـذه الرغبات بصفة « المنفعة » . ولـكن الاقتصاديين يحللون النظام الاقتصادى ، بما فيه من خير وشر ، ويحاولون تفسير دوافع السعى للرزق وغايات هذا السعى . ويسعى المرء للرزق بالقيام بعمل «يطلبه» غيره ويدفع فيه «ثمنا» وتدفع الناس ثمناً لما يطلبونه لأنهم يرون فيه منفعة ، أى صلاحية لسد رغبة ؛ وقد تـكون هذه الرغبة عالية أو سافلة ، حلالا أو حراماً ، خيراً أو شراً ، ضرورة أو ترفاً . وإهمالنا دراسة الحاجات التى يجرى بعض الناس وراء إشباعها ، بالرغم من أن

(١) انظر ارفنج فيشر : مبادىء الاقتصاد الأولية ، ص ٤٩٤ وما بعدها .

---

جند الفرنسيون جنودهم ، وقبضوا على زعماء الحزب وشردوهم ونفوهم ، ثم أطلقوا يد السنغاليين فى كل المدن والقرى ، فتلوا مأساة يندى لها جبين الإنسانية ، ومنعت الإدارة الفرنسية عن المدن والقرى مواد التموين الضرورية والماء والنور . ولـكن المراكشيين ثاروا فى وجه الفرنسيين وحلفائهم السنغاليين ، فوقعت معارك طاحنة سقط فيها مئات المراكشيين ضحية دفاعهم عن حريتهم واستقلالهم ، وحكم بالإعدام على كثير من الوطنيين وبالنفى والسجن مع الأشغال الشاقة على كثير غيرهم ولا يزال زعيم الحزب أحمد بلا فريج منفياً بجزيرة كورسيكا برغم إصابته بأمراض خطيرة . ولـكن الحركة لم تمت بل ازداد الشعب إيمانا بحقه فى الحياة الحرة الـكريمة ولا يزال يعمل برغم ما ينتابه من نكبات إلى أن يصل ، وسيصل ...

عبد الكريم غلاب

فى هذا الجرى خروجاً على مبادىء الدين والخلق ، نقول إن إهمال هذه الحاجات هروب من الواقع الذى نتناوله بالتحليل للكشف عن علله وأسبابه وهل يتورع من يقومون ، فى المعامل ، بتحليل فضلات الإنسان أو الحيوان ، عن مسها لقذارتها أو لنجاستها ؟

ولنعد إلى مساوى تباين ثروات الناس . إن الإفراط فى الغنى كالإفراط فى الفقر ، نقمة على صاحبه . وإن أحس الفقير ألم الجوع فان الغنى قد يصاب بالتخمة . وإن لم يجد المعدم ما يستر عريه فان إفراط الثرى فى التأنق يحمله هماً كان حرياً به أن ينأى عنه . وإن كانت مساكن العامة تزدحم بهم ازدحاماً ، فان عناية الخاصة بمساكنهم الرحيبة تشغل بالهم بما لا طائل وراءه .

وانقسام الشعب شعبين ، أغنياء وفقراء ، جناية على الأخلاق ، وبنات المعدمين فريسة سهلة لإغراء المثرين وسماسرتهم الذين يتوسطون بين من يبعن أجسادهن وأرواحهن وبين من يشترونها .

وتحاول الديمقراطية السياسية أن تسوى بين الناس ، وإن اختلفت أقدارهم فى المجتمع ، وذلك بأن تجعل لكل فرد صوتاً واحداً فى انتخاب السلطات الحاكمة . ولكن الناخبين عرضة لإغراء مرشحى المجالس النيابية الذين يحاولون ، وقد ينجحون ، شراء أصواتهم بالمال . وليس من السهل سيادة الديمقراطية ما لم تدعم الديمقراطية السياسية ديمقراطية اقتصادية .

ثم هناك ما يجرى من سباق بين المثرين : سباق غايته الخيلاء والزهو الذى لا ينتهى إلى نهاية . وتسابق أفراد الطبقات الموسرة فى مظاهر الغنى مصدر هم لهم ، لأن كلا يسابق ويخاف أن يسبقه غيره . ومن سلع الترف ما يكاد يكون كل الغرض منه مجرد الزهو ، ومن السيدات من تقتنى جواهر نادرة ، تخاف عليها من السرقة فتصنع لها من الحلى المصطنعة نسخة تطابق الأصل ، وتخزن الجوهر النادر فى خزانتها وتتحلى فى زينتها بالحلى الزائفة . ومن جامعى روائع فن التصوير من يستأجر خبيراً يتعرف له أصالة الصور التى يقبل على شرائها ، لأنه يشتريها لا عن إحساس بجمالها وإنما عن اعتزاز بمقدرته على شرائها .

وقد يرد على ما قدمناه من أمثلة على مساوىء توزيع الثروة ، بأن الإقبال على شراء شىء ، أياً كان هذا الشىء ، يدفع إلى عمالة بعض الناس ويسرع من دوران عجلة النشاط الاقتصادى ويشيع الرخاء . ولكن ليس سواء أن يعمل أناس فى صنع الخمر أو أن يعملوا فى صنع الخبز . وليس سواء أن يشتغل المرء بتجارة الماشية أو بتجارة الرقيق وإنه لإسراف ، ومفسدة أى مفسدة ، أن نحول بعض موارد المجتمع من إنتاج ما يسد الحاجات الضرورية لجمهرة الناس إلى إنتاج ما يشبع نزوات البطالين والمترفين .

وتقليل التفاوت بين الدخول يقلل من الظلم الاجتماعى ويهيىء الفرصة لزيادة رفاهية المجتمع . والقضاء على تباين توزيع الثروة ، وعلى تفاوت الفرص ، قد يكون عن طريق الثورة كما قد يكون عن طريق التطور التدريجى ، ولكل من السبيلين أنصار .

وتتدخل الحكومة محاولة إصلاح ما فسد ، وتفرض ضرائب على الموسرين والقادرين على تحمل عبء الضريبة ، وتنفقها على ما يعود بالخير على الجميع . وكلما زاد تدخل الحكومة فى هذا الشأن قل المدى بين الثروات المختلفة والدخول المختلفة ، وسار المجتمع خطوة نحو تحقيق العدالة الاجتماعية .

مصطفى الفونى

---

أعلام معاصرون:

# محمـــد عبد المطلب

## ١٨٧٠ – ١٩٣١ م

للشيخ محمد رجب البيومى

( بقية ما نشر فى العدد الماضى )

ولقد انتقل رحمه الله إلى عدة مدارس ابتدائية وثانوية حتى اختير أستاذاً بمدرسة القضاء الشرعى ، وكانت شهرته قد طارت إليها بما نشره من حين لآخر فى الصحافة ، فاستقبل بالتجلة والترحيب ووجد نفسه أمام عقول مستنيرة تفهم آراءه وتسير معه فى اتجاهه ، فأخذ يغرس فى نفوسهم حب الأدب والفضيلة ويدفعهم إلى التعصب للعربية فى وقت هوجمت فيه من أعدائها المتعصبين . ولقد غالى فى ذلك مغالاة عدها الكثيرون رجعية وجمودا فكان لا يحفل بما تخرجه المطبعة العربية من الكتب الحديثة بل يحث على الانتفاع بالآثار الأدبية القديمة أولا وقبل كل شىء ، فإذا ما درست دراسة وافية كان المجال فسيحا لغيرها ، ثم شفع القول بالعمل فأخذ ينهج فى إنتاجه نهج القدامى من فطاحل العصر العباسى ، فكان يبتدىء قصائده بالغزل الرائق ، مكثرا من الغريب المجلجل ، مستعينا بخياله البدوى فى التوليد والتصوير ، وتلك منة كبرى أسداها إلى الأدب العربى ، فهو يذكر الناس بين الفينة والفينة بمن ينسج على منوالهم فيفيئون إلى الدواوين القديمة باحثين مستفيدين ، ولا شك أن الأدب العربى كان فى مبدأ هذه النهضة محتاجا إلى المحافظ أكثر من احتياجه إلى المجدد ، وإلا فكيف نتشدق بالابتداع والتجديد ، وتراثنا الرائع القويم لا يزال فى ظلمات النسيان تشيح عنه الوجوه وتستعجمه الأفهام ! !

وأحب أن أكشف عن حقيقة مطموسة ، فالذائع المشهور أن أمير الشعراء، هو أول من كتب الروايات المسرحية الشعرية ، فقد أصدر أولى رواياته « كليوباتره » سنة ١٩٢٨ م ثم أعقبها بعدة روايات مشهورة ، والواقع أن عبد المطلب قد سبقه إلى ذلك بعشرين عاماً ، فقد نظم فى سنة ١٩٠٩ وما بعدها بضع روايات شعرية ذات فصول ومناظر تمثيلية ، وقد جعلها متينة الحوار، سريعة الحركة ، حسنة المفاجأة . وكلها عربية بدوية تتخذ أسماء لامعة فى تاريخنا الادبى « كالمهلهل » و « امرىء القيس » و « ليلى العفيفة » ومن المؤسف حقاً أنها لا تزال فى غمرة الجحود مخطوطة بدار الكتب المصرية ، ولعلنا نجد من يخرجها للناس فى ثوبها اللائق ، فهى وحدها الدليل على تجديد عبد المطلب وتنبهه إلى عنصر هام من عناصر الشعر قد أثبتت الحياة مزيد احتياجنا إليه ، فليت الذين يرجفون بجفاف الشاعر وجموده يلتفتون إلى هذه المأثرة الخالدة ثم يحكمون !! .

وأنت إذا نظرت إلى المآخذ التى توجه إلى شعره تجدها منصبة على تغلغله فى الأخيلة الصحراوية ، وهيامه بالأماكن البدوية وإكثاره من الغريب الفحل ، مما يعتبر محاكاة وترسما لا تجديداً وابتداعاً ، وفى رأيى أن عبد المطلب بالذات غير ملوم فى ذلك ، لأنه عربى صريح نشأ فى بيت يفخر بانتمائه إلى الجزيرة العربية ، فهو حين يهتف بنجد والعقيق وسلع إنما يعبر عن وجد مشبوب ، ويحن حنيناً محرقاً إلى أماكن يعتز بها مدى الحياة ، فلا عليه إذا جال فى هذا الميدان وصال ، وأحرى بنا أن نوجه هذا النقد إلى غيرى كالبارودى مثلا ممن لا ينتمون إلى الجزيرة ولا يشعرون نحوها بعاطفة وانجذاب ! !

وإذا كنا نعد من حسنات الفرزدق على اللغة العربية أنه أحيا ثلثها فى شعره ، فلماذا ننكر على عبد المطلب إكثاره من الغريب المستساغ فى وقت جاهر فيه أعداء اللغة بعجزها عن مسايرة الحياة ، ألا يكون ذلك توجيها صالحاً منه إلى تحصيل اللغة ودراسة معاجمها الواسعة حتى تسعفنا بما نفتقر إليه من كلمات ! !

هـذا وقد شاءت الظروف السياسية أن ينتقل من مدرسة القضاء الشرعى إلى مدارس وزارة الأوقاف !! فحيل بينه وبين العقول الممتازة التى كانت تنتفع بآرائه وتوجيهه ، ووجد نفسه أمام طائفة أخرى لا تزال فى الدور الأول من التعليم !!

وقد اعتبر الفقيد وجوده فى مدارس الأوقاف محنة قاسية قابلها بالصبر الجميل ، على أنها كانت فى الواقع محمدة جليلة . فقد خلص من دروسه العميقة فى القضاء الشرعى، وعكف على الإنتاج

الأدب الرفيع، وكانت الحرب العظمى الأولى فى ذلك الوقت مندلعة اللهيب . ثم تلتها الثورة المصرية الصاخبة ، فوجد الشاعر من أحداث زمانه ميادين شاسعة يحلق فيها بخياله الجموح ، وحين نطالع ديوانه نجده حافلا بالقصائد السياسية التى تعتبر فى الواقع وثائق تاريخية صحيحة يحتج بها الباحثون ، فما من عاصفة سياسية هبت بمصر إلا خلدها عبد المطلب فى شعره الرائع — إلى جانب ما كان يكتبه من مقالات طنانة الدوى عميقة التأثير — ولعلك تسأل معى لماذا لم تذكر سياسياته الشعرية كما ذكرت سياسيات حافظ إبراهيم ؟ والجواب على ذلك أن الشعر السياسى شعر شعبى لا يدور على الألسنة إلا إذا كان سهلا واضحاً يفهمه العامى قبل المثقف . وقد كان حافظ رحمه الله يأتى فى السياسيات بنوع خاص مما يناسب عقل الجمهور ، فطار شعره السياسى كل مطار . ورواه الريفيون فى القرى قبل المثقفين فى الأندية ، أما عبد المطلب فقد كان محافظاً على نسجه الرصين وجزالته القوية ، فنجا شعره من العامة وظل منهلا رائقاً يرده المثقفون ، وإذا شئت الدليل على ذلك فاقرأ قصيدة حافظ فى سعد زغلول يوم اعتدى عليه ومطلعها

الشعب يدعو الله يا زغلول ... أن يستقل على يديك النيل

ثم اقرأ قصيدة عبد المطلب فى هذا الموضوع

رمى وسهامُ الله فى نحره رد ... فلا تأس حاطتك العناية يا سعد

فإنك بلا شك ستسايرنى فيما أقول

وأود أن أنبه القارىء إلى قصيدة عبد المطلب فى الحرب العظمى فهى وحدها كافية للتدليل على مذهبه فى الشعر . ولقد عبر فيها عن إحساس الشعب المصرى أصدق تعبير ، فكانت سوطاً ناريا يلهب ظهور الإنجليز ، وقد مكثنا سبعين عاماً نضج من المغتصبين ونرى بأعيننا كتائب الاستعمار رائحة إلى الحانات والمواخير ، ينتهكون الحرم ، ويصرعون العفة ، ولكن لم نجد فى شعرائنا مَن صوَّر هذه المناظر المخجلة فى جزالة لفظ وقوة أسر ، غير عبد المطلب حين قال :

تبصر خليلى هل ترى من كتائب ... دلفن بها كالسيل من كل مودق
سراعاً إلى الحانات تحسبهم بها ... نعاماً تمشى رزدقاً خلف رزدق
يهولك مرآها إذا اصطخبت بهم ... مواخير تجلو فاسقات لفسَّق
إذا أجلبوا فيها حسبت ضفادعاً ... تجاذبن إيقاعاً على صوت نقنق
زعانف شتى من طويل مشذب ... طرى القرى عارى الأشاجع أعنق
ترى منه فى بحبوحة الأمن باسلا ... وإن يدعه الداعى إلى الكر يحبق

والقصيدة كلها وقد جاوزت المائتين تضرب على هذا الوتر الرنان ، وطبيعى أنها لم تنشر فى حينها بل ظلت فى مدرجة النسيان حتى قرأناها بالديوان !! والعجيب أن عبد المطلب — بعد انتقاله من سوهاج — لم ينشر خرائده تباعا فى الجرائد اليومية كما فعل قرناؤه بل ظل محتفظاً بها فى مسوداتها غير اليسير مما أنشده فى المحافل العامة وسارعت الصحافة إلى تدوينه !! ولعلك تقف معى من هذا على تواضعه الجم وعزوفه عن الشهرة ، ولا أدرى أى ذخيرة غالية قدمها الأستاذ الهراوى إلى العربية يوم جمع قصائد الفقيد فى سفر خاص فكانت كأس النديم وعبير المشتاق

على أن مدة الشاعر لم تطل بوزارة الأوقاف ففى سنة ١٩٢١ تقلد وزارة المعارف المرحوم جعفر والى باشا وكان ذا اتصال حميد بأرباب الفكر وحملة اليراع، فاغتنم عبد المطلب هذه السانحة وتقدم إليه آملا فى الأخذ بيده ، وكان الوزير الأريحى عند ظنه الحسن به فقد استصدر أمراً من مجلس الوزراء بنقله إلى التدريس فى دار العلوم مع إعفائه من الكشف الطبى إذ كان الشاعر يشكو ضعفاً فى قوة إبصاره، ولا تسل عن فرحته بالعودة إلى وسط ممتاز يشجعه على الدرس الجيد والبحث المفيد ، ولم يرغير الشعر مكافأة طيبة يهديها إلى معالى الوزير فشكره بقصيدة عامرة قال فيها

أنا الروض حياه ولىٌّ بديمة ... عليه بأسباب الحياة استهلت
عداه الردى أحيا لمصر وأهلها ... مآثر من عهد ابن يحيى تولت
(جزى الله عنا جعفراً حين أزلقت ... بنا نعلنا فى الواطئين فزلت)

ولم يلهه التدريس بدار العلوم عن الاتصال بالجمهور عن طريق الصحافة، فقد كان ينشر أبحاثه الأدبية دراكاً ، وحين ظهر كتاب الشعر الجاهلى للدكتور طه حسين سارع إلى نقده فى جريدتى الأهرام والمقطم ، ثم تشعب به النقاش فخاض المعركة الحامية بين الجديد والقديم . وأخذت الردود الكثيرة تتوالى على نقده وهو يناقشها مأخذاً مأخذاً حتى عد عند الكثيرين عميداً للمدرسة القديمة الاتباعية ، ولقد طبعته هذه المهادة بطابع خاص ، فكان يتعمد فى أكثر إنتاجه أن يكون كما عهده الأدباء فى صدر شبابه جزلا فخلا . وأذكر أنه ما أقيمت حفلة أدبية إلا ودعى إليها عبد المطلب باعتباره ممثلا للمذهب القديم أصدق تمثيل . وكان السامعون ينتظرون الديباجة العربية منه فى شوق وانجذاب ، ففى الحفلة التى بويع فيها شوقى بأمارة الشعر وقف عبد المطلب يلقى قصيدته فهمس أديب كبير فى أذن شوقى امرؤ القيس! امرؤ القيس!

وتكلم عبد المطلب فضج الحفل بالتصفيق الشديد ! !

ولقد كان مظهره فى الجامعة المصرية يوم ألقى قصيدته العلوية سنة ١٩١٩ رائعاً جيلا فقدركب ناقته ومضى ينشد طويلته متشبهاً بأجداده البادين، وكان الحفل الحاشد مأخوذاً بما يرى ويسمع، فمن تدفق فى البيان وطرافة فى الموضوع، إلى غرابة فى المنظر وبعد فى الاتجاه، ولقد طال نفَسه فيها حتى جاوزت قصيدته أربعمائة بيت تقرؤها فى متعة وارتياح فلا تجد غير القوى الرصين ! !

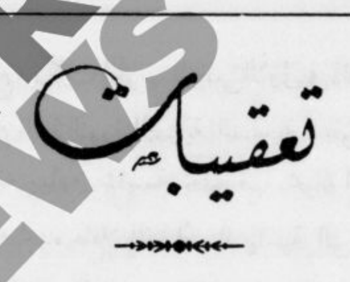
أما أخلاقه الرفيعة فقد كانت دينية مثالية تبحث عنها فلا تجدها عند الذين يتظاهرون بالورع ويتشدقون بالعبادة وليسوا من ذلك فى قليل أو كثير، فعبد المطلب قد درس التعاليم الإسلامية ثم طبقها على نفسه واتخذها منهجاً يسير عليه. فكان عف اللسان، صلب العقيدة، راسخ الإيمان طاهر الذيل، متمسكا بتقاليد قومه، راغباً فى الزهد الصوفى الذى ورثه عن أبيه، وقد اشترك فى جمعيات إسلامية كثيرة. كالمواساة الإسلامية والشبان والهداية، والمحافظة على القرآن الكريم باذلا لها ما يستطيع بذله من مال وعتاد

قال شيخنا الأستاذ الاسكندرى « وكان شديد العصبية لسلف هذه الأمة وقوّادها وعلمائها وشعرائها فلا يكاد يسمع بحديث مزرٍ عليها أو غاض من كرامتها حتى يغضب لها غضبة الليث الهصور وينبرى له تزييفاً وتهجيناً نظماً وكتابة وخطابة »

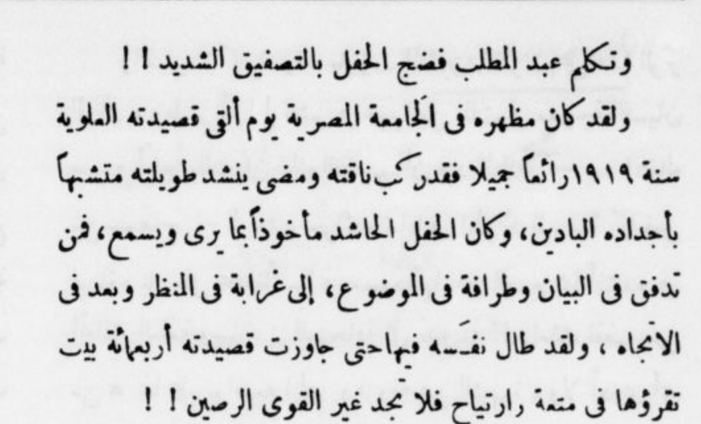
هذا وقد انتدب فى سنة ١٩٢٨ للتدريس فى تخصص اللغة العربية بالأزهر الشريف، وظل به حتى لقى ربه راضياً مرضياً عنه بما قدم لدينه ولغته من العمل الصالح، وكان قد أحيل إلى المعاش من دار العلوم قبل وفاته بشهر واحد. وحين جاءه اليقين خرجت الدنيا تشيعه فى حفل مهيب التقى فيه أصدقاؤه بتلامذته العديدين باكين منتحبين، ورأى الناس الوفاء للأدب والعلم متمثلاً حول نعشه فى جمع حاشد وصفه الهراوى فقال :

لقـد مشت الدنيا وراءك خشعاً
وما كنت فى سلطان حل ولا عقد
ألا إنها كانت قلوباً تداعت
على الود تمشى حول نعشك فى حشد

**محمد رجب البيومى**



# تعقيبات



## بين العامية والعربية :

تقدم الأستاذ محمد فريد أبو حديد عضو المجمع اللغوى وعميد معهد التربية إلى المجمع ببحث مطول عن موقف اللغة العامية من العربية الفصحى عرض فيه لخصائص العامية وما لها من الآثار الجليلة فى معارض الكلام كالزجل والموشحات والقوما والدوبيت، وتناول ما كان لها من تطور فى الشرق وفى بلاد الأندلس ثم فى باقى الجهات الأخرى، وانتهى من ذلك إلى القول بوجوب دراسة العامية والاهتمام بها ووضع الوسائل للتقريب بينها وبين الفصحى حتى تلتقى لغة الكتابة ولغة الكلام.

وليست هذه الدعوة التى يرتفع بها صوت الأستاذ أبو حديد اليوم بالأمر الجديد، ولعلها دعوة قديمة بالية ارتفع بها الصوت فى مصر منذ أكثر من خمسين عاماً، وثارت فيها مجاجة الكلام واشتجرت حولها أقلام الباحثين، وقد استطاع أساتذة ذلك الجيل أن يصفوا حسابها وأن يفرغوا من تفنيدها وأن يأتوا فى ذلك بما لا مزيد عليه.

كان رأس تلك الدعوة رجل انجليزى موظف فى مصر يدعى « ويلكوكس »، وكان هذا الرجل داهية، درس اللغة العربية، واللغة العامية أيضاً وكان عمله الأصيل فى شئون الرى والصرف، ولكنه أثار بين المصريين الدعوة إلى العامية بحجة أنها لغة الكلام، وأنها قريبة من الأفهام، ومن العجيب أن ذلك الرجل أنشأ مجلة يومذاك سماها « الأزهر »، وكان يصطنع الغيرة على العربية وعلى الاسلام وعلى المصريين فيما يدعو إليه، وتحت ستار تلك الغيرة كان يحاول أن يسدد الطعنة النجلاء إلى العربية وإلى الاسلام وإلى المصريين.

وبيننا كثيرون يذكرون أن الأستاذ الجليل أحمد لطفى السيد باشا كان له مجال فى معرض تلك الدعوة، فقد كتب مقالين فى « الجريدة » أيام كان يقوم على تحريرها يدعو فيهما إلى تمصير

اللغة » ، فانبرى كثير من الباحثين لمناقشة دعوته وتفنيد حجته ، وكأن الرجل قد اقتنع بما بدا له فى معرض المناقشة إذ سكت عن تلك الدعوة إلى اليوم ، بل لقد وقف بعد ذلك يدعو إلى الفصحى ويحبذها فى عدة مناسبات ...

وأنا فى الواقع لا أدرى ما ذا يريد الأستاذ أبو حديد بالتقريب بين العامية والعربية ، وماذا يقصد بأن « تلتقى لغة الكتابة ولغة الكلام » ؟ !

إن موضوع القضية باطل ، لأننا إذ نقول العربية فانا نقصد إلى لغة موحدة الألفاظ والدلالات عند جميع أبناء العربية والذين ينطقون العربية ، أما العامية فانها تتوزع فى الألسن إلى لهجات عديدة بل إلى لغات تختلف فيها الألفاظ ودلالاتها إلى حد كبير ، ليس فى الأقطار العربية فحسب ، بل فى القطر الواحد منها ، وأظن الأستاذ يعلم الفرق الكبير بين العامية فى شمال مصر والعامية فى جنوبها ، فأية عامية من هذه كلها يريد أن يتخذها أساساً تلتقى به لغة الكلام مع لغة الكتابة .

فى جميع أمم الدنيا لغة للكلام ولغة للكتابة ، ويوم أن كانت العربية فى أهلها فطرة وسجية كانت هناك لغة للكلام ولغة للكتابة . إنه رأى غريب مريب ، يعود فيرفع رأسه بعد أن قطعه أساتذة الجيل السابق . والعجيب أن يحفل المجمع بهذا الرأى الذى لا طائل تحته وأن يأمر بطبع هذا الكلام لبحثه وإبداء الرأى فيه ، كأن هذا المجمع قد فرغ من أداء واجبه نحو العربية فما بقى عليه إلا العناية بالعامية . ومن يدرى لعل الشيوخ الأجلاء يقترحون أن يكون اسم مجمعهم « مجمع اللغة العربية والعامية » ! !

### بشار وروزفلت وزكي مبارك :

يبدو صديقنا الدكتور زكى مبارك فى كتاباته التى يكتبها فى هذه الأيام على نهج جديد ، وطريق كثير الدروب والتعاريج ، فهو يكتب كما يتحدث ، وهو لا يرتبط مع القارىء بوحدة الموضوع ولكنه يستطرد ثم يستطرد ، فيخرج من كلام إلى كلام ، ويورد كل ما يبدو من الروايات والذكريات ، وهو فى هذا يعتمد على الذاكرة أكثر مما يعتمد على المراجعة ، والذاكرة مهما كانت قوة وحفظاً لا تصدق صاحبها فى كل الأحيان .

وطريقة تشقيق الكلام والاستطراد هى الطريقة التى ابتدعها وآثرها كاتب العربية الكبير شيخنا أبو عثمان الجاحظ ، وليس من قصدى أن أستطرد بالقارىء إلى الحديث عن هذه الطريقة ، ولكنى أريد هنا أن أشير إلى مقال قرأته للدكتور يوم الثلاثاء من الأسبوع الماضى فى جريدة « البلاغ » فوقفت فيه على روايتين جديرتين بالتصحيح تقديراً للأدب وإكراماً للتاريخ .

أما الأولى فقد قال الدكتور وهو يتحدث عن شهر كانون : « وكان الشاعر بشار بن برد متهماً بالزندقة ، فأراد أحد الصوفية أن يحبب إليه الإيمان فقال : إن المؤمن الصادق فى الجنة غرفة عرضها ألف ميل وطولها ألف فرسخ ، فقال بشار : هى إذن أبرد من كانون الثانى » ، وليست الرواية هكذا ، ولكنهم قالوا : « ومر بشار بقاص فسمعه يقول : من صام رجباً وشعبان ورمضان بنى الله له قصراً فى الجنة صحنه ألف فرسخ فى مثلها ، وكل باب من أبواب بيوته ومقاصيره عشرة فراسخ فى أمثالها : فالتفت بشار إلى قائده وقال : بئست والله هذه الدار فى شهر كانون الثانى » ... وإذن فلم يكن هناك صوفى يعظ بشاراً بهذا الكلام الملفق ، وقد كان على الدكتور ، وهو مؤلف فى التصوف ، أن يتحرى الرواية من هذه الناحية فضلا عن الناحية الأدبية ... هذه واحدة ...

أما الثانية فقد قال الدكتور وهو يتحدث عن الشيخ على يوسف صاحب المؤيد : « وكانت للشيخ على وقفة جريئة فى وجه الرئيس روزفلت جد روزفلت الذى كان رئيس جمهوريات الولايات المتحدة قبل سنين ، وخلاصة القصة أن روزفلت زار أسوان وأظهر عجبه من أن يتمجد المصريون بقصر أنس الوجود . فثار شوقى الشاعر فنظم الضادية وفيها يقول :

شاب من حولها الزمان وشـابت
وشبـــاب الفنون ما زال غضا

وثار الشيخ على يوسف فشواه بمقالة فى جريده المؤيد ... »

وليست القصة هكذا أيضا ، ولم يكن الأمر أمر أنس الوجود ، وإنما القصة أن روزفلت زار السودان وخطب فى أحد المعاهد المسيحية هناك فاتهم المصريين بالتعصب الدينى ، وأشاد بأيادى الانجليز على تقدم مصر ، وعجب للمصريين الذين يكفرون بتلك الأيادى والنعم ، ثم دعا المصريين إلى ترك التشدق بالقديم البالى والنظر إلى إصلاح حالهم الراهنة ، فكان أن غضب المصريون

لأنفسهم ، وثاروا عليه ثورة عنيفة فى دفع تلك الافتراءات التى كان روزفلت يردد فيها كلام المعتمد البريطانى ، وكان الشيخ على يوسف ممن حركوا القلم فى هذه الثورة ، وكان شوقى يومذاك موظفاً ولكنه خرج عن دائرة « الموظف » كما يقول ونظم قصيدته الضادية فى تمجيد حضارة الشعب الذى كفر به روزفلت وقدم لتلك القصيدة بمقدمة قال فيها : « قمت أيها الضيف العظيم فى السودان خطيباً ، فأنصفت العصر ، وانتقصت مصر ، وأقبل أهلها بعضهم على بعض يتساءلون : كيف خالف الرئيس سنة الأحرار من قادة الأمم وساسة الممالك أمثاله ، فطارد الشعور وهو يهب ، والوجدان وهو يشب ، والحياة وهى تدب ؛ فى هذا الشعب ، ومن حرمة العواطف السامية ، ألا تطارد كأنها وحوش ضارية » . إلى آخر تلك المقدمة التى تعتبر آية من آيات شوقى الخالدة .

وثار حافظ إبراهيم أيضا ، وتناول روزفلت بقصيدة من قصائده الوطنية النارية ، ولكن هذه القصيدة لا توجد فى ديوانه الذى طبعته الوزارة ، وقد سبق أن نشرتها فى « الرسالة » مع بعض القصائد والمقطوعات المنسية لحافظ إبراهيم ...

**هذا أمر يهمنا :**

تنشر جريدة « المصرى » سلسلة من التحقيقات الصحفية عن الحالة فى بلاد المغرب الأقصى قام بها الأستاذ إبراهيم موسى الصحفى المعروف ، وقد عرض الأستاذ فى كتاباته إلى الحديث عن الحياة الثقافية وما يفرض عليها من الحجر الاستعمارى فى تلك البلاد فقال : « ووجدت مع أحد الزعماء كتباً مصرية قديمة من النوع المستعمل ، وكانت عليها كتابة تدل على أنها لرجل آخر فى طنجة من ثلاث سنوات ، وكان الزعيم المغربى شديد الفرح بها ، وقد دهشت حين علمت أن سبب فرحه هو أنه هربها معه من طنجة لأن الفرنسيين لا يسمحون بدخول الكتب العربية إلى المغرب إلا إذا كانت توافق مزاجهم ، وقليلا ما يجدون ما يلائم هذا المزاج الرقيق ... »

ثم قال الكاتب : « وقال لى هذا الزعيم إنك لا تتصور مقدار العذاب الذى يعيش فيه رجال الصحافة والعلم فى هذه البلاد ، إذ لا ينشر كتاب ولا صحيفة بدون رقابة ، وكثيراً ما تخرج الصحف ونصف صفحاتها بيضاء ، وقد كتب عليها — حذفته الرقابة — بل لا يمكن أن يقبل كتاب فى مطبعة قبل تسليم النسخة الأصلية إلى الرقابة ، وحدث مرة أن الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله المحرر بجريدة العلم وضع كتابا فى الجغرافيا فبقيت النسخة الخطية فى الرقابة سنتين — نعم سنتين — بقصد التعطيل ، ثم أفرج عن الكتاب بعد تعديلات ومساع كثيرة ، ومن أمثلة هذه التعديلات أنه كان فى الكتاب فصل اسمه « المغرب فى عهد الاستقلال » ، ويقصد الكاتب بذلك العهد السابق للعهد الفرنسى ، فأصرت الرقابة على تغيير العنوان إلى — المغرب قبل الحماية — ولما رضى المؤلف بذلك سمحوا بطبع الكتاب ... »

قلت : وهذه حال تهمنا ، فمن الواجب على رجال الأدب والعلم وحملة الأقلام فى مصر وفى جميع العالم العربى أن يفزعوا لها ، وأن يقفوا منها موقفاً حازماً لأنها مصادرة للحياة الفكرية . ومصادرة للكتب العربية ، وجميع الآثار التى نخرجها حتى لا تجد طريقها إلى تلك البلاد الشقيقة ...

نعم ، إن من الواجب على الجامعة العربية أن تفزع لهذه المسألة ضمن ما تعنى به من الحالة القائمة فى المغرب الأقصى ، وضمن ما تعنى به من الشئون الثقافية العامة فى البلاد العربية ، ولكن علينا نحن أن نفزع لهذه المسألة بالذات ، لأنها مسألتنا ، ومسألة الثقافة العربية ، والأمر فيها يسير علينا إذا حزمنا لها الرأى والأمر ، وذلك بأن نعمد إلى مقاطعة الكتب الفرنسية فى جميع الأقطار العربية ما دامت فرنسا تقصد إلى منع الكتاب العربى من الدخول إلى أى قطر من الأقطار التى تقع تحت نفوذها ، فإذا عمدنا إلى هذا صادقين فستكون فرنسا هى الخاسرة . وستضطر اضطراراً إلى النزوع عن تلك الخطة الشنعاء .

فهل أنتم يا أبناء الثقافة العربية ويا حملة الأقلام فاعلون ، غضباً لكرامتكم ورعاية لمصلحتكم ؟ ؟

« الجاحظ »

# الأدب والفن في أسبوع

### من الأدب السياسي :

دعت رابطة الطلبة السودانيين في مصر مكرم عبيد باشا لاختتام موسمها الثقافي ، بمحاضرة عن « الوحدة الطبيعية الوطنية بين مصر والسودان » فلبى الدعوة ، وكان يوم الخميس موعد إلقاء هذه المحاضرة بدار جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة ، وقد قدمه رئيس الرابطة بكلمة وصفه فيها بقوله « أديب ملك من البيان عنانه ، وخطيب فاق بفنه أقرانه ، وثائر حر أعجب بل أدهش خصومه وأعوانه »

وهذا الوصف من التقديم هو الذي يلائم المقام في هذا الباب الأدبي ، فالذي يعنينا هنا هو مكرم عبيد الأديب الذي يسترعي انتباه الأدباء ومحبي جمال الكلام بما يكتب ويخطب . ولما كانت هذه المحاضرة من إنتاجه الأدبي السياسي ، فقد رأينا أن نلم هنا ببعض أجزائها ونقطف شيئاً من ثمراتها

بين مكرم باشا العوامل الأساسية التي تقوم عليها وحدة وادي النيل، فعد منها «النيل نهراً» و«النيل شعوراً» ثم قال في بيان العامل الثاني : « ووحدة النيل شعوراً هي عنصر الوحدة المنوية بين أبناء النيل ، ولست في هذا أتمثل أو أتخيل ، بل أحلل التحليل العلمي الذي لا جدال فيه ولا دجل . فما من شك أن الطبع وليد الطبيعة ، وإذا جمعت بيننا وحدة الطبيعة ، فقد جمعت بيننا حتما وحدة الطبع . نعم إن هناك وحدة اللغة ووحدة الدين ، ولكن هذه قد توجد بين البلاد المستقلة بعضها عن بعض ، أما وحدة الطبع ، مستمدة من وحدة الطبيعة ، فهي الوحدة الأصلية التي تجعل من أبناء البلاد شعباً واحداً ، فإذا ما أضيفت إليها العناصر الإضافية كالدين واللغة والمصالح الاقتصادية كانت الوحدة مكتملة الأسباب أصولا وفروعا

« ولقد أجمع علماء التاريخ والآثار وفي مقدمتهم السيوماسبرو على أن المصري والسوداني متفرعان في مجموعها من جنس واحد وأصل واحد ، رغم أن الشمس لم توزع سخاءها عليهما بقدر واحد ... ! »

ودلل على التشابه في اللهجة الإقليمية فقال : « كنت منذ أيام قليلة أتحدث إلى بعض إخواننا السودانيين ، فراعني من هذا الحديث ، لا وحدة التفكير فحسب ، بل وحدة التعبير ، حتى إن لهجتهم في الحديث لا تختلف عن لهجة أبناء الصعيد ، مما أخجلني ـ وأنا رجل صعيدي « تبحرت » ـ فجعلني أعود معهم إلى القاف الصعيدية الجيمية ، بدلا من القاف الملطفة الألفية التي تعودناها في لغة عاصمتنا الرشيقة ...

« ولما كان أهالي الوجه البحري والصعيد شعبا واحداً وإن اختلفت بينهما اللهجة الإقليمية ، فلست أرى فارقا ـ حتى من هذه الناحية الفرعية التفصيلية ـ بين الصعيد الأدنى في مصر ، والصعيد الأعلى في السودان »

وقال معقبا على ما حدث أخيراً في الخرطوم من محاكمة الأستاذ أحمد كامل قطب رئيس حزب الفلاح الاشتراكي المصري متهما بالحض على كراهية الحكومة البريطانية والحكومة السودانية في محاضرة ألقاها بنادي الخريجين هناك ، وقد هتف أمام القاضي بعد أن حكم عليه بالسجن أربعة عشر يوما ، قائلا : « الله أكبر، ويحيا ملك مصر والسودان ، ويسقط الاستعمار »

قال مكرم باشا معقبا على ذلك : « نعم أيها السادة، الله أكبر، والله أكبر ، والله أكبر ، فلست أعرف نداء جمع بين حكمة الدين وحكمة الدنيا كهذا النداء ، الذي يتلاقى فيه الجزاء مع العزاء .. فلو أن في الدنيا كبيراً فالله أكبر ، ولو أن بين الظالمين ظالماً يرى نفسه كبيراً فالله منه أكبر ، ولو أن بين الشعوب شعبا كبيراً يرهق شعباً صغيراً فالله من الكبير أكبر

« إذن فلا تهنوا ولا تحزنوا ، وإذا ما أصابكم عسف أو عنت فلا تفقدوا ميزانكم بل زنو ثم وازنوا ... نعم وازنوا بين عادل سرمدي وبين ظالم وقتي أبى واستكبر ، وفاته أنه مهما كبر فالله أكبر »

### المؤتمر الثقافي العربي :

تضمن ميثاق الجامعة العربية النص على التعاون الثقافي بين

بلادها ، وتوحيد الاتجاه التعليمي فيها ، وألفت الإدارة الثقافية بها للعمل على تحقيق ذلك ، وأخيراً قررت دعوة الأمم العربية المشتركة في الجامعة العربية وغيرها ، إلى مؤتمر ثقافي عربي ينعقد بلبنان في سبتمبر القادم للنظر في توحيد اتجاهات الثقافة العربية والعناية بموادها وأساليب تعليمها في اللغة وفروعها ، والتربية الوطنية ، والتاريخ ، والجغرافيا ، في مراحل رياض الأطفال والتعليم الأولى والابتدائي والمتوسط والثانوى

ووجهت الدعوة إلى وزارات المعارف في كل من البلاد العربية ، لتتولى كل وزارة منها الاتصال بالهيئات الثقافية والتعليمية في بلادها لتعيين من يمثلها في المؤتمر ، على أن يكون الممثلون الذين يؤلفون هيئة المؤتمر من الهيئات الرسمية ، أما الهيئات الأخرى فلها كما للأفراد المهتمين بالشئون التعليمية والثقافية ، أن يكتبوا بآرائهم ومقترحاتهم إلى الإدارة الثقافية لتنسيقها وعرضها على المؤتمر ولهم أن يحضروا اجتماعات المؤتمر متتبعين مستمعين

وقد ربطت بالدعوة بيانات بالموضوعات التي يرجى البحث فيها للمؤتمر ، في المواد الدراسية المتقدمة ، ومن هذه الموضوعات في « اللغة العربية وفروعها » ما يأتي :

(١) كيف يحقق بث الفكرة العربية بطريق كتب المطالعة ؟

(٢) كيف نعالج صعوبات وجود اللغة العامية بجانب اللغة الفصحى ؟

(٣) تيسير القراءة والكتابة للمبتدئين ووسائل تحقيقها

(٤) هل يدرس تاريخ الأدب مستقلا أو في ثنايا دراسة النصوص الأدبية بالتعريف بأصحابها وعصرها الخ

(٥) في اختيار النصوص الأدبية ، هل ترتب على حسب العصور أو الموضوعات أو يتدرج فيها من حيث السهولة والصعوبة دون تقيد بعصر ؟

(٦) كيف تستغل دراسة الأدب إلى حد ما في بث الروح العربية ؟

(٧) القراءة خارج المدرسة

(٨) استغلال الوسائل الحديثة في ترقية اللغة العربية كالإذاعة والتمثيل والمناظرات والمجلات والصحف ودور الكتب

ومن موضوعات التربية الوطنية :

أساليب إعداد المواطن العربي ليكون مواطناً صالحاً في مجموعة البلاد العربية كما هو مواطن صالح في قطره الذى ينتمى إليه

ومن موضوعات التاريخ :

(١) هل يدرس في التعليم الابتدائي تاريخ قطر الطالب فقط ، أم تاريخ الأمة العربية كلها ، أم يجعل تاريخ القطر محوراً لدراسة التاريخ العربي ، أم تدرس سير أبطال العرب وعظمائهم فقط ، أو يدرس تاريخ المدن ونحو ذلك

(٢) وسائل الاستفادة من التاريخ العربي لتقوية الروح العربية الحق

ومن موضوعات الجغرافيا :

الأسس والمبادىء العامة التي يحدد على أساسها القدر الذى لابد من أن يحصله المواطن العربي من جغرافية البلاد العربية ، وموضع هذا بالنسبة إلى جغرافية العالم كله ، ومبلغ التعارض بين هذا وبين الفكرة الدولية التي يتجه إليها العالم الآن

ويطلب في كل مادة بيان المنهج المثالى الذى يقترحه الباحث فيها ، ومبلغ اتفاقه مع المناهج المقررة الآن فعلا في بلاده

وقد وصلت إلى الإدارة الثقافية كتب كثيرة تتضمن آراء ومقترحات مختلفة في تلك الموضوعات،وهي تعمل في تنسيقها بطريقة تسهل عرضها على المؤتمر . وكان موعد تلقى هذه الردود قد انتهى ، ولكن رئى مده إلى منتصف يونية الحالى نظراً لحالة بعض البلاد النائية

*معرض الكتب والأدوات :*

وفي خلال المدة التي يجتمع فيها المؤتمر الثقافي ، وفي البلد الذى يكون الاجتماع به ( وسيكون في لبنان ولم يعين بعد ) يقام معرض للكتب المدرسية المؤلفة في مواد الدراسة المشتركة والتي هي موضوع نظر المؤتمر ، وللوسائل العملية لتعليم فروع اللغة العربية المختلفة ، ووسائل الإيضاح لمادتي التاريخ والجغرافيا كالصورات والمجسمات والأجهزة ، التي من صنع الأفراد ودور النشر والشركات

وتقدم نسختان من الكتب واثنان من الأدوات للادارة الثقافية قبل منتصف يولية القادم

**مؤتمر الآثار العربي :**

وقد استقر الرأى على عقد مؤتمر للآثار فى البلاد العربية بسوريا ( أحد بلدانها ولم يعين بعد ) فى ٢٣ أغسطس القادم

وقد وجهت الدعوة إلى الحكومات العربية لكى تعين ممثليها الرسميين الذين سيمثلونها فى هذا المؤتمر . والمفهوم بوجه عام أن هذا المؤتمر سيتناول بالبحث أسباب التعاون فيما يتعلق بالشئون الأثرية وتنظيم عمليات التنقيب عن الآثار وترتيب المتاحف

**رحلة إذاعية :**

كان مكتب الإذاعة البريطانية بالشرق الأوسط قد رأى أن يقوم بتسجيلات ثقافية وموسيقية فى بعض البلاد العربية ، إلى جانب ما يقوم به من هذه التسجيلات فى مركزه بالقاهرة ، لتذاع فى برنامج محطة لندن للاذاعة العربية

وفى الأسبوعين الماضيين قام بهذه الرحلة الثقافية الفنية الأستاذ يحيى شرارة مدير القسم العربى بالإذاعة البريطانية والأستاذ إيفان جست ممثل محطة لندن فى الشرق الأوسط، وهو ابن الأستاذ جست المستشرق المعروف وصاحب كتاب « ابن الرومى - حياته وشعره » ومما يذكر استطراداً أن هذا الكتاب موضوع باللغة الإنجليزية ولم يترجم إلى العربية . وقد أثبتت به نصوص الشعر باللغة العربية .

وكان مع الأستاذ يحيى والأستاذ إيفان موظفون آخرون وآلات للتسجيل، وقد قصدوا أولا إلى عمان عاصمة شرق الأردن، حيث سجلوا أحاديث لبعض الأدباء هناك ، منها « الأدب فى شرق الأردن » و« نهضة الشعر الحديث فى شرق الأردن » ومما وقفنا عليه أن دعائم هذه النهضة الشعرية هم الشباب الذين يتابعون قراءة ما يصدر فى مصر من الصحف والمؤلفات بشغف ، ويتأثرون بها ، وهم يغشون مجلس جلالة الملك عبد الله الذى يطارحهم الأشعار ويناقلهم الأحاديث الأدبية ، ومما سجلته إذاعة لندن فى شرق الأردن ، كلمة لجلالته بمناسبة عيد استقلال شرق الأردن

ثم قصدوا بعد ذلك إلى بغداد ، فقاموا بتسجيل أحاديث ، منها « الصحافة فى العراق » و « المرأة والمجتمع العراقى » و « البترول فى العراق » و « مجموعة من الأشعار يختارها ويلقيها ناظموها » وبين هؤلاء الشعراء الذين ألقوا ما اختاروه من أشعارهم ، شاعرات عراقيات تألقن هناك فى ميدان الشعر ، منهن الآنسة عاتكة الخزرجى والآنسة نازك الملائكة

وسجلوا مجموعة كبيرة من الأغانى والموسيقى ، وقد روعى فى هذه المجموعة أن تمثل الفن العراقى القديم الذى يقوم على الأغنيات القديمة كالتى يكثر فيها ترديد « جانم باللى » كما تمثل الفن العراقى الحديث الذى تغنى فيه الأناشيد والأشعار الحديثة ، أما الموسيقى فلا تزال فى العراق عربية شرقية لم تتغلغل فيها نزعة التفرنج الموسيقى على الرغم من شيوعها فى موسيقى الأفلام المصرية الطاغية على السوق هناك ، والفلم العراقى لم يولد بعد ، وهناك شركة أجنبية تحاول إنتاج أفلام عراقية ، ولا يقدر لها النجاح ، لأن اللهجة العراقية غير مفهومة تماما فى خارج العراق ، والاستهلاك المحلى لا يكفى ، ولست أدرى لم يقال بعدم نجاح هذه الأفلام ان أنتجت باللغة العربية !

« العباس »

# البريد الأدبى

## تحقيقات تاريخية :

بين يدى ديوان « صرَّدر » طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ( ١٩٣٤ ) فى الصفحة الرابعة وفى السطر الثانى هذا البيت من الشعر :

جيوش من الأقدار تفنى عُداته
بلا ضرب إيثاخ ولا طعن أشناس

وفى الحاشية رقم (٢) « إيثاخ وأشناس كذا بالأصل ولعل الأولى « أثباج » جمع « ثبج » وهو بين الكاهل إلى الظهر والثانية لم نوفق إلى مراد الشاعر منها .

وصحة البيت :

جيوش من الأقدار تفنى عُداته
بلا ضرب إيتاخ ولا طعن أشناس

وإيتاخ وأشناس كلاهما من مشاهير قواد المعتصم الذين أبلوا أحسن البلاء فى حروب الروم وفتح عمورية (٢٢٣هجرية — ٢٢٤) وضربت بقيادتهم وشجاعتهم الأمثال .

قال الطبرى : كان على مقدمته أشناس ويتلوه محمد بن ابراهيم، وعلى ميمنته إيتاخ وعلى ميسرته جعفر بن دينار بن عبد الله الخياط صفحة ٢٦٤ الجزء السابع .

قال ابن الأثير : وفى هذه السنة ٢٢٣ هجرية . خرج توفيل ابن ميخائيل ملك الروم إلى بلاد الإسلام وأوقع بأهل زبطرة وغيرها ، وكان سبب ذلك أن بابك لما ضيق الأفشين عليه وأشرف على الهلاك كتب إلى ملك الروم يعلمه أن المعتصم قد وجه عساكره ومقاتلته إليه حتى وجه خياطه يعنى جعفر بن دينار الخياط وطباخه يعنى إيتاخ ولم يبق على بابه أحد؛ فإن أردت الخروج فليس فى وجهك أحد يمنعك . «ص ١٧٦ جزء ٦ طبعة أميرية»

**أحمد رمزى**

## على هامش كتاب « دفاع عن البلاغة » :

سيدى الأستاذ العقاد :

لو لم تكن حبسة المرض قد حجبت الأستاذ الجليل أحمد حسن الزيات ، لجعلته الخصم والحكم فى كلمتى هذه ، ولسرنى منه أن يرمينى بالدواة والقلم والرسالة ؛ ولكن لأمر ما لجأت إليك أيها الأستاذ الكبير ، وأنت عندى شيخ النقد النزيه ، وعصارة الأدب فى هذا العصر .

قرأت كتاب « دفاع عن البلاغة » للاستاذ أحمد حسن الزيات فأكبرته ووجدت له شأناً أعظم من شأن غيره من مؤلفات البلاغة ، وعز على أن يأتيه النقص من أحد جوانبه ، ضنا بأدب الزيات أن يعتوره غبن فى الأجيال المقبلة .

قال الأستاذ — نفعنا الله بعلمه — فى كتاب دفاع عن البلاغة صفحة ٧٢ المطبوع سنة ١٩٤٥ ما يأتى :

« إن بلاغة التوراة والانجيل فى العبرية لا مساغ للشك فيها ؛ ولكنك تقرأهما فى العربية فلا تجد أثراً لهذه البلاغة ؛ ذلك لأن الذين ترجموهما إلى لغة القرآن لم يكن لهم بآدابها علم ، فوضعوا لفظاً مكان لفظ ولم يضعوا أسلوباً مكان أسلوب ؛ فجاءت الترجمة موضوعية عجماء لا تشبه لغة من لغات الناس فى لون ولا طعم ولا شكل . » انتهى

يشعر الأستاذ الجليل بقوله هذا أن الانجيل قد كتب باللغة العبرية . والأنجيل مكتوبات متى ومرقس ولوقا ويوحنا ؛ وربما تناول أيضاً باقى أسفار العهد الجديد معرب Evangelion باليونانية ومعناه بشارة أو خبر مفرح .

والنصرانية تعتبر الأناجيل الأربعة سندا تاريخيا تغترف منه براهين تاريخية لتأسيسها ونظامها الداخلى . وما كانت الأناجيل كتاب بلاغة فى العبرية عند أصل وضعها .

فإن متى صاحب السفر الأول من الإنجيل قد كتب سفره ما بين سنة ٤٤ — ٥٠ م بلغة التخاطب الشائعة فى عهد المسيح بين يهود فلسطين، وتلك اللغة هى السورية الكلدانية أو الآرامية.

والانجيل الثانى ينسب إلى مرقس ، وعلماء آباء النصرانية مجمعون على أن مرقس كتب فى رومية للرومانيين تعاليم بطرس الرسول وكتب باللغة اليونانية بعد سنة ٦٢ م .

والسفر الثالث من الإنجيل يعزى إلى لوقا ، وقد كتبه فى

رومية زهاء سنة ٦٢ م باللغة اليونانية أيضاً .

أما السفر الرابع من الانجيل فقد كتبه يوحنا فى أواخر القرن الأول من الميلاد يوم كان فى جزيرة باطمس ويروى فى أفسيس ؛ وقد اتخذ اليونانية أداة لكتابته .

يظهر مما سبق أن الأناجيل قد كتبت فى غير العبرية ، ولم تترجم من العبرية إلى العربية . أما بلاغتها فى العبرية بعد أن ترجمت إليها فسألة ليس من السهل الجزم بها ، ولا يتأتى لمن يجهل العبرية أن يتهجم على مثل هذا الشأن .

عند مايتناول القارىء قطعة للأستاذ الجليل أحمد حسن الزيات يحسب أن أمة كبيرة تقمصت فرداً واحداً ؛ فكأن ما ينفحنا به قلمه يمثل لنا أن جماعة عديدة من أمراء الكتاب وقادتهم ، يعملون الفكر ، ويسددون المنهج لاخراج الكلمة ، فيقدرون لكل عبارة قدراً ، ولا ينشرون حرفاً قبل أن يعرضوه على مقاييس محكمة من فصاحة فى اللفظ ، وبلاغة فى المعنى ، وشمل للحقائق ؛ أما القطعة التى سبقت الاشارة إليها من كتاب دفاع عن البلاغة صفحة ٧٢ فقد خرجت عن طريقة الزيات إلى طريقة من لا أدرى .

فهل يجيز أيها الأستاذ العقاد — شملنا الله بعدلك — قوله إن بلاغة التوراة والانجيل فى العبرية لا مساغ للشك فيها . ولكنك تقرأهما فى العربية فلا تجد أثراً لهذه البلاغة ؛ ذلك لأن الذين ترجموهما إلى لغة القرآن لم يكن لهم بآدابها علم ... ؟

أفلم يكن للشيخ إبراهيم اليازجى علم بآداب اللغة العربية ؟ أو ليست أسفار العهد القديم والعهد الجديد ، المنسوبة إلى الآباء اليسوعيين فى بيروت ، من تعريب الشيخ إبراهيم اليازجى ؟ فقد نشرت خبر ذلك مجلة الأجيال الجزء الثانى من السنة الثانية ؛ ونشرته جريدة الأيام التى كانت تطبع فى نيويورك فى العدد الصادر بتاريخ ١٦ شباط سنة ١٨٩٩ ؛ ونشرته جريدة البشير فى العدد الصادر بتاريخ ١٦ حزيران سنة ١٨٨١ ؛ وأعادت نشره مجلة الضياء فى أربع صفحات بتاريخ ١٥ إبريل سنة ١٨٩٩ ؛ وذكرته الكتب المدرسية المعنية بتاريخ الآداب العربية .

ومما يشهد به التاريخ أيضاً أن فارس الشدياق قد ترجم العهدين العتيق والجديد بعناية الجمعية الانجليزية ونفقتها ؛ وطبع العهد الجديد عن هذه الترجمة سنة ١٨٥١ — ثم طبع العهدان أيضاً سنة ١٨٥٧ وذلك فى مدينة لندن .

أما النسخة التى قام بترجمتها مرسلو الأمير كان فى بيروت فقد وقف عليها المعلم بطرس البستانى وكرنيليوس فان ديك .

« ومن الذين كان الاعتماد عليهم فى ضبط الترجمة على قواعد اللغة العربية وفصاحتها الشيخ ناصيف اليازجى اللبنانى والشيخ يوسف الأسير الأزهرى . » راجع كتاب مرشد الطالبين صفحة ٢٧ ـ المطبعة الأميركية ـ بيروت .

فهؤلاء جميعاً كانوا وما زالوا يعدون من أولى العرفان الراسخين فى علوم العربية وآدابها .

فنرجو منك أيها الأستاذ العقاد أن تكشف لنا عن هذه الحقيقة وتعلل قول الأستاذ الزيات أمير البلاغة وصاحب الدفاع عنها بكلمة انصاف ترد الفضل لذوى الفضل والسلام

( نابلس ) **أبو بكر النمرى**

أستأذن صديقي الأستاذ العقاد فى أن أقول للكاتب الفاضل إنى ذهبت فيما كتبت مذهب الإسلام وما كان لى غير ذلك .

فن القرآن — وهو عند المسلمين مصدر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه — يخبر أن الله أنزل التوراة والانجيل على موسى وعيسى بلسان قومهما وكان العبرية . وما كان من عند الله كان جاريا على سنن الكمال اللفظى والمعنوى ما فى ذلك شك . والترجمة العربية الأمريكية التى قرأناها للعهدين القديم والحديث هى على ما وصفت من ركاكة الأسلوب وغثاثة العبارة ، ولا يجوز أن يأتيها ذلك النقص إلا من جهة النقل

أما ترجمة اليازجي والشدياق فليستا فى أيدى الناس ، وإذا صح أنهما صحيحتان بليغتان ، فإن ذلك يؤيد قولى ولا ينقضه ، وللأستاذ النمرى بعد ذلك جزيل الشكر على حسن ظنه بالكتاب وصاحبه « الزيات »

## مولانا أبو الكلام وترجمة القرآن :

جاء فى العدد ٧٢٢ من الرسالة تحت توقيع الجاحظ مانصه :

( فسر الزعيم أبو الكلام قدراً من القرآن الكريم تفسيراً علمياً عصرياً ، وترجم القرآن كله إلى اللغة الإنجليزية إلى آخره )

والحقيقة أن مولانا أبو الكلام آزاد قد فسر القرآن الكريم باللغة الأردية URDO تفسيراً علمياً عصرياً ولكنه لم يترجم القرآن إلى اللغة الإنجليزية كما ذكر الجاحظ لأنه لا يعرف هذه اللغة ولا يفهمها . أما ترجمة القرآن من العربية إلى الأوردية فهى أحسن التراجم وأصدقها فى هذه اللغة .

والسلام عليكم أولا وآخراً .

( الكويت ) **عبد الحميد يوسف القناعى**




# الوالدان

للكاتب الألماني رودلف كرودزر

بعد أن أحيل القاضي هجنوير إلى المعاش اشترى قطعة أرض في الريف واعتزل حياة المدينة التي كانت مسرحاً لآلامه وهمومه حيث توفيت زوجته قبل الحرب، كما أن ولده الوحيد انتظم في سلك الجندية وذهب إلى الميدان دون رجعة ولم يعد يؤنسه في وحدته الآن إلا خادمه العجوز.

مضت عشرون عاما وبدأ الماضي يمّحي بصوره المحزنة من مخيلة الرجل ونفض عنه غبار أعوام مضت قاسى فيها الأهوال ولكن الماضي جاء يقرع بابه بقوة يلح في الدخول.

كان ذلك في يوم من أيام أغسطس وكان القاضي واقفاً في حديقة داره بين الأوراد الجميلة التي يتعهدها بنفسه حين جاءه الخادم ومعها بطاقة باسم رجل انجليزي يدعى جيمس مارلو من جلوسستر. أما حرفته فلم يكن لها ذكر في البطاقة.

لم يعرف الرجل من يكون ضيفه وذهب إليه في حجرة الاستقبال فتقدم الانكليزي في أدب جم واحترام زائد وهو يقول في همس بأنه سعيد لتشرفه بمعرفة والد الكابتن فرانز هجنوير؛ فدهش القاضي. من أين عرف ذلك الرجل اسم ولده؟ ولما أخبره هجنوير بأن ابنه قد توفي في الحرب كست وجه الرجل الغريب السبعيني الطويل القامة موجة من الحزن والأسف لأنه شعر بالألم الذي ارتسم على وجه القاضي لتجديده تلك الذكرى الحزينة اعتذر من ذلك ثم أوضح شخصيته. فهو والد ضابط انجليزي يدعى هاري مارلو، وإن كان فرانز قد مات في الحرب بطلا شهيداً، إلا أن هاري مات بعد أن حوكم عسكريا لما أبداه من جبن أمام العدو وبعدما جردوه من رتبته الشريفة.

قام الرجل العجوز المهدم وقطع الغرفة جيئة وذهابا وهو يشرح كيف استنكر ذلك من ولده والا لعدا شرف عائلة مارلو في التراب. حاول أن يعرف السبب الذي حوكم ابنه من أجله، لأنه عاد منفردا إلى فرقته بينما كان بقية جنوده يقاتلون في الميدان؟ لقد ظل أمر عودته سرا مكتوما بينه وبين نفسه ولم يكتشفه أحد.

هذه هي المشكلة. إنه يعرف ولده جيدا فهو شجاع إلى أقصى حدود الشجاعة، ولا يظنه على ذلك الجبن والخور. جعل يبحث عشرين عاما ليقتنع بأن ولده لم يفعل ذلك إلا لسبب جوهري عظيم، ولكنه كان يقابل دائما من الناس بالشفقة والرثاء لتقدم سنه وبأجابات كلها سلبية؛ فلم يرتح إلى جواب منها يشفي به غليل نفسه. لقد ضحى ماله وكهولته ليعرف السر ولكن دون جدوى إلى أن طرق الباب عليه أخيراً فرانز هجنوير. فقد سمع اسمه من جندي انجليزي قال بأن أسيرا ألمانيا مات قبل نهاية الحرب كان دائم التحدث عن الكابتن هجنوير الذي كان يقاتل في سالي في اليوم الثامن عشر من أكتوبر عام ١٩١٦ في معركة السوم.

حينئذ تذكر القاضي بأن خطابا غريبا كان قد وصله من ابنه في ذلك الحين فقام وأتى به كان مؤرخا في التاسع عشر من أكتوبر عام ١٩١٦ في بلدة سالي وقرأ مارلو الخطاب وكان فيه:

والدي العزيز

أكتب إليك الآن لا لأذكر لك شيئا عن شجاعتي في الميدان أو كيف استولينا على حصن من حصون العدو بل لأطلعك اليوم على حادث غريب. فلقد هاجمنا الأعداء وتمكنا من التقدم في صفوفهم. وكان ضابطهم شابا شجاعا من فرقة جلوسستر جعل يقاتل حتى نفد منه الرصاص، ولما وجدته أعزل هجمت عليه وكدت أقتله إلا أن أحد جنوده دفعني على الأرض؛ وحينئذ تيقنت بأني سأموت وأغمضت عيني وأنا أسلم أمري إلى الله. إلا أني حين فتحتهما وجدت ذلك الضابط وقد ألقى بسلاحه ولم يرغب في قتلي وأنا فاقد الحيلة. ولما حاول أحد جنودي قتله من خلفه أنقذته وتمكنت أن أدعه يفر من الأسر. وبذلك خنت زملائي وجنودي ووطني كما فعل هو من قبل ... »

وضع الرجل الإنجليزى الخطاب بيد مرتعشة وحل الصمت بينهما طويلا ثم قفزت تلك الصورة أمام القاضى . ولده يكاد يشرف على الموت لولا شفقة ذلك الضابط الإنجليزى ورحمته له . كما تراءت له خيانة ولده ومساعدته لعدوه على الفرار . واختلط كل شيء فى رأسه وسط ذلك الظلام الذى بدأ يغمر الحجرة التى لا ينيرها سوى تلك الذؤابات الباقية من الشموع .

كان للجو الغريب الذى عاش فيه الرجلان فى تلك اللحظة كل الرهبة . فها هو الخطاب ملقى على المكتب وقد اصفرت أوراقه ، وها هى الذكريات تتعاقب على مخيلتهما ؛ وهاهما ولداهما قد عادا إلى الحياة وارتسمت صورهما واضحة أمام عينيهما . صورة البطولة والشجاعة والاقدام والشفقة والرحمة والخيانة العظمى .

شعر الرجلان بأنهما يجهلان كل شيء عن الحرب مع أنهما عاشا فى لهبها أربعة أعوام . ولكن هل هذا الذى حدث يعد عملا شريفا أو تشتم منه رائحة الجبن والخيانة حقا ؟ هل للحياة تلك المنزلة الغالية فى الميدان حتى أن ضابطا يلقى بسلاحه حين يجد عدوه فاقد الحيلة أمامه .. إنهما لا يعرفان شيئا عن قانون الإنسانية والشباب والحياة . أما القاضى فكل مايذكره الآن هى تلك الكلمات الأخيرة من خطاب ولده .

« لقد ارتكبنا خطأ واحدا بأن ألقينا سلاحينا » .

انتشر الظلام فى الحجرة ولم يقو أحدهما على إنارتها لأن تلك الذكريات البعيدة وذلك الصوت الذى يتكلم من وراء السنين يجب أن يهيأ له الجو الصامت المظلم حتى تسبح روحاهما فى ذلك العالم حيث فلذتا كبديهما .

امتدت خيوط القمر المكتمل قرصه وأنارت أجزاء من الحجرة كما نبح الكلاب وتمايلت أغصان الشجر إلا أنهما لم يشعرا بكل ذلك ، بل كان عالمهما الذى يعيشان فيه بعيداً حيث الظلام والنار والدخان والدماء .

وأخيرا قال مارلو . إذن لم تكن تلك هى الحياة التى وهبها الكابتن هجنوير إلى ولدى بل كانت الطريق إلى الموت بمحض إرادته ، كما أن حياة هجنوير لم تكن إلا قرضا سرعان ما استعادته قوة غاشمة .

فقال القاضى : نعم هو ذلك الأمر .

ولم يشعر إلا وهو يضع يده فى يد الرجل الذى أمامه وكأنهما صديقان قديمان عزيزان . وعاد يقول لعل هناك شيئا من العدل يغشى ذلك الحادث . العدل الذى لا نعرفه ونحن فى دنيانا ، والذى يشعرون به هم فى ميدان القتال .

فقال مارلو : وتلك المحاكمة . أكانت عادلة ؟

فقال القاضى : أما عن المحاكمة فإن ولدك هو الذى حكم على نفسه ولا يدرى أحد إن كانت عادلة أو ظالمة .

وكأن الرجل قد اقتنع بذلك الرأى . فنهض واقفا وهو يطيل النظر فى وجه القاضى الهادىء .

كان السكون يعم السكون فى الخارج ، والنسيم يهب رقيقا ، ورداء الليل الأسود يغطى الطبيعة فيزيد أسرارها رهبة ؛ ولمح القاضى بعض التغير يطرأ على وجه ضيفه . وكأنه شعور الراحة بعد طول عناء .

وأخيرا قال القاضى : أنا لم أفهم لم يصرح مارلو بالأمر حين حوكم فهو محق بعض الحق فيما فعل .

لم يشعر الرجل الإنجليزى إلا وهو يتناول الخطاب ثانية ، وأدرك القاضى للتو الكلمات التى يقرؤها الرجل فاذا به يهمس بها تلك الكلمات العذبة الصادرة من قلب يشعر بما للحرب من أهوال وفظائع ، وكأن نيرانها قد اشتعلت فى أفق يومهما ذاك . كلمات ولده التى تقول « لم أر فى حياتى من هو أكبر إقداما وأكثر شجاعة من ذلك العدو الشاب » .

كفى مارلو تلك الكلمات وليحاكموه ما شاءوا . كفاه فخرا شهادة مثل هذه من عدوله لدود . عاد السكون بينهما إلا أن القاضى قال :

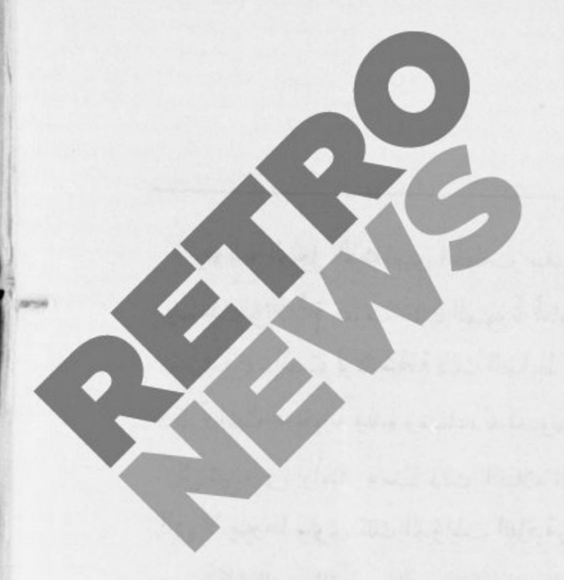
إنه لمن دواعى سرورى حقا أن أضع بين يديك ما يزيل عنك وحشة وشكا مريبا عشت تحت رحمتهما عشرين عاما كاملة ، ولا أظن أحداً يمكنه أن يتهم ولدك بالجبن والخوف بعد الآن . فلمعتْ عينا الرجل برغبة حادة شعر بها القاضى فإذا به يقول :

لتأخذ ذلك الخطاب ولتفعل به ما تشاء .

فما كان من الرجل الإنجليزى إلا أن نهض واقفا وأمسك بالخطاب ثم أدناه من لهب الشمعة فاشتعل وسرعان ما تساقط الرماد . حدث ذلك وهما باقيان على صمتهما ونور القمر يرافقهما .

ولم يشعرا إلا ويد كل منهما فى يد الآخر . فقاما فى صمت إلى الحجرة المجاورة وقد اشتبكت ذراعاهما . وأدارا النظر فيها فقابلتهما صورة الكابتن هجنوير بقامته المديدة وابتسامته العذبة .

**حسن فهمى خليل**






مطبعة الرسالة



العدد ٧٢٧ - الاثنين ٩ يونية ١٩٤٧ - السنة الخامسة عشرة




## فهرس العدد


صفحة

| | | |
|---|---|---|
| كتابان قيمان ... ... ... ... | الأستاذ عباس محمود العقاد ... ... | ٦٣٥ |
| بين أدب المرأة وأدب الرجل ... | السيدة الفاضلة منيبة الكيلاني ... | ٦٣٧ |
| فرنسا ومستعمراتها ... ... ... | الأستاذ أحمد رمزي بك ... ... | ٦٤٠ |
| من دمشق إلى « دير الزور » | الأستاذ على الطنطاوى ... ... | ٦٤٢ |
| لبنان والعربية ... ... ... | الأستاذ السهمي ... ... ... | ٦٤٥ |
| تفسير الأحلام... ... ... ... | العلامة سجموند فرويد<br>الأستاذ محمد جمال الدين حسن | ٦٤٧ |
| الشيخ شامل زعيم القوقاز وشيخ المجاهدين: | الأستاذ برهان الدين الداغستاني ... | ٦٤٩ |
| « من وراء المنظار » : حجرة<br>التحمس ! | الأستاذ محمود الخفيف ... ... | ٦٥١ |
| الشعر ... ... ... ... | الأستاذ حامد بدر ... ... ... | ٦٥٢ |
| تحية بغداد ( قصيدة ) ... ... | الأستاذ أنور العطار ... ... | ٦٥٣ |

« الأدب والفن فى أسبوع » : القراءة الأدبية فى المدارس — قصص من السودان — أى الجيلين خير؟ — سر الزخرفة العربية — العامية وبرنامج الإذاعة — المحاضرات بالمصطاف ... ... ... ... ... ... ... ٦٥٤ – ٦٥٦

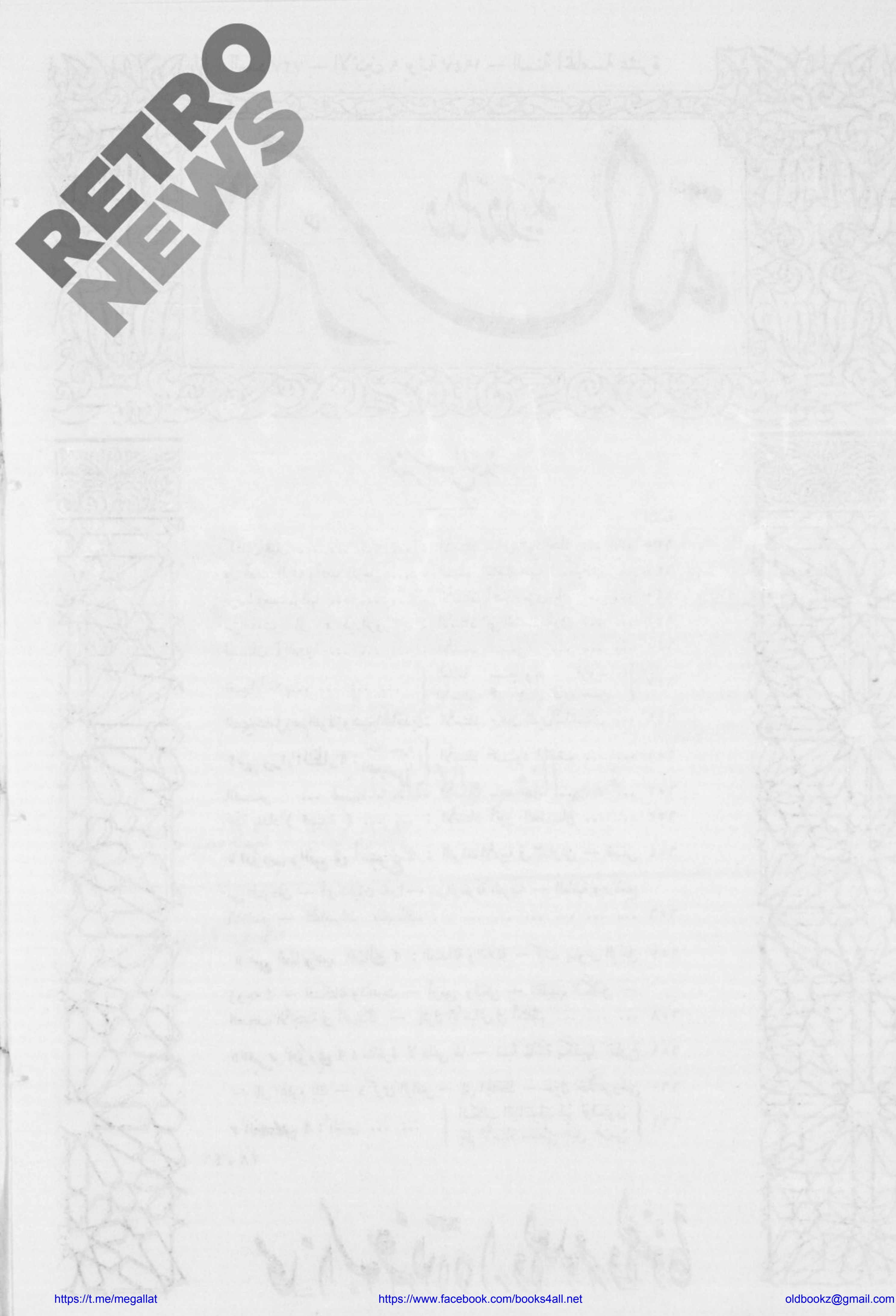
« من هنا ومن هناك » : الصداقة والعلاقة — كيف يسوس الرجل زوجه ؟ — الكتابة والحديث — أرمنى وقبطى — الطبيب الكامل — الصحف الأجنبية فى أمريكا — يقول الأحباش فى أمثالهم ... ... ... ٦٥٧ – ٦٥٨

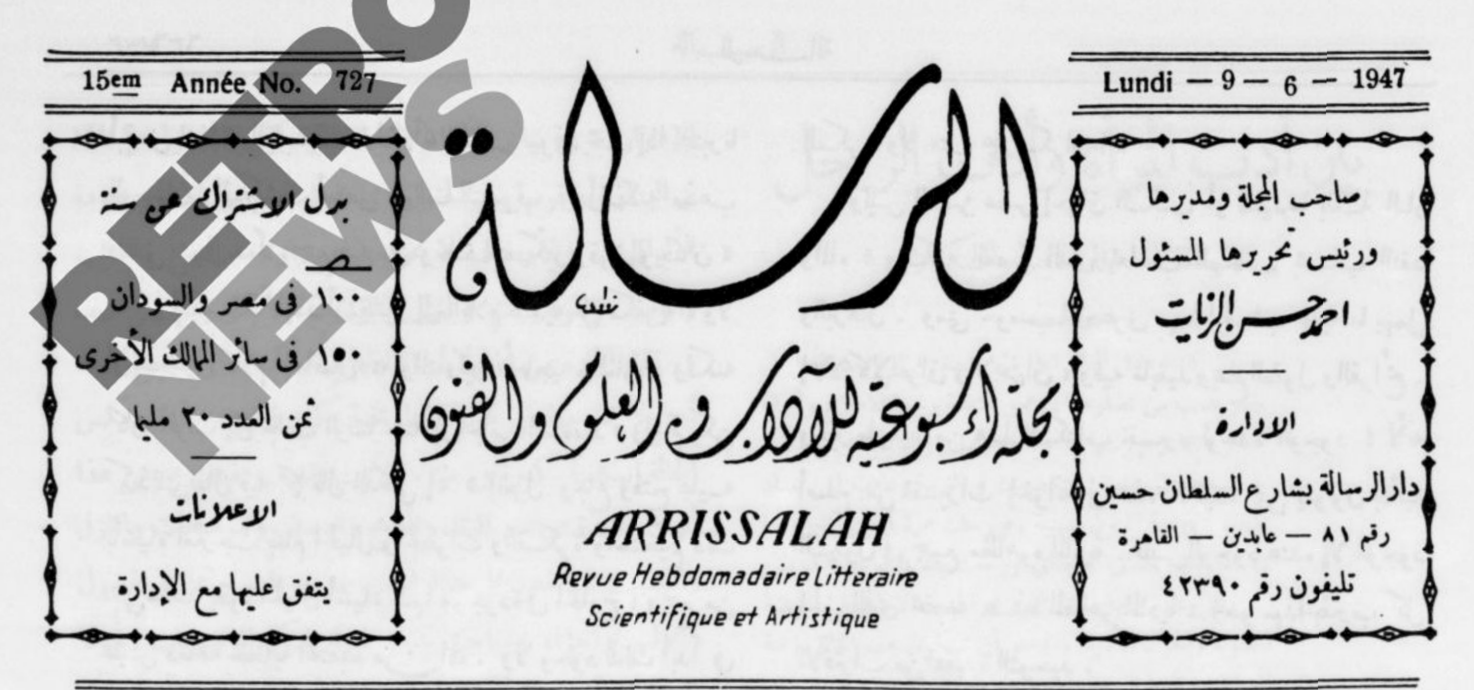
« البريد الأدبى » : مناظرة لا داعى لها — نسبة خاطئة يكذبها التاريخ — إلى الجارم بك — ذكرى الرافعى — إلى الجاحظ — حول خطأ عروضى ٦٥٩ – ٦٦٠

« القصص » : إلياس ... ... ... — الكاتب الفيلسوف ليو تولستوى بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى ... ٦٦١


٢٨٠٤٦

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون






15em Année No. 727

Lundi — 9 — 6 — 1947

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٧٢٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ رجب سنة ١٣٦٦ — ٩ يونية سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة




# كتابان قيمان

للأستاذ عباس محمود العقاد

سألتنى مجلة « المصور » فى إبان الحرب العالمية : ما هى الاتجاهات التى ستغلب على الحركة الفكرية فى العالم بعد الحرب الحاضرة ؟ فكان رأيى أن الحركة الفكرية فى العالم كله ستتجه بعد نهاية الحرب إلى وجهتين متناقضتين فى الغاية متفقتين فى السبب ، وهما النزعة الروحية الدينية ، والنزعة الجنسية الحسية .

وهما كما قدمت متناقضتان فى الغاية ولكنهما متفقتان فى السبب ، لأنهما ترجمان إلى القلق الذى يعتور النفوس البشرية فى إبان الزلازل المنيفة ، ولم يزل من دأب النفوس البشرية أن تعالج قلقها بطمأنينة الروح وثقة العقيدة ، أو بإغراق الحس فى المتعة الجسدية .

وندع العالم وحركاته الفكرية بعد الحرب لأنها مما يطول شرحه ولا يجزىء فى بيانه مقال واحد .

ولكننا نلتفت حولنا فى مصر فنرى مصداق ذلك فى الوجهتين المتناقضتين معاً لهذا السبب بعينه . فأما النزعة الحسية فيكفى أن ينظر القارىء إلى الصور العارية التى تنشر فى الصحف لغير مناسبة ليستدل منها على ما وراءها من النوازع النفسية ، فإن شاء أن يتجاوز ذلك إلى قراءة الموضوعات التى تقترن بتلك الصور أو الروايات والأقاصيص التى تدور عليها علم أن المصدر واحد والتعبير بالحروف والكلمات يوافق التعبير بالخطوط والأشكال

وأما النزعة الروحية فهى واضحة فى انتشار الجماعات الدينية والعناية بالبحوث التى تنصرف إلى حقائق الأديان والعقائد .

وأمامنا منها الآن كتابان قيمان هما اللذان نخصهما بهذا المقال ، وهما كتاب « فصوص الحكم » لابن عربى ، وكتاب « الوجود » للأستاذ محمود أبو الفيض المنوفى . وكلاهما بحث عميق فى حقيقة العقيدة وسر الوجود على الإجمال .

## ١ — فصوص الحكم :

وقد قام على تصحيح كتاب الفصوص ومراجعته والتقديم له الدكتور أبو العلا عفيفى أستاذ الفلسفة بجامعة فاروق الأول بالإسكندرية .

والدكتور أبو العلا عفيفى عالم ثبت متمكن من موضوعه . يعجب غاية الإعجاب بابن عربى صاحب الكتاب ، ولكن إعجابه به لا ينسيه أمانة العرض وإقرار الحق فى نصابه . فهو يذكر ما للمؤلف وما عليه ، ويقدره بميزانه الصحيح فيقول « إنه فيلسوف آثر أن يهمل منهج العقل الذى هو منهج التحليل والتركيب ويأخذ بمنهج التصور العاطفى والرمز والإشارة والاعتماد على أساليب الخيال فى التعبير . ولهذا لا أرى من الصواب أن نصف مذهبه بأنه مذهب فلسفى بحت إذا اعتبرنا التفكير والترابط المنطقى

أخص صفات الفلسفة ، ولا بأنه مذهب صوفى بحت إذا اعتبرنا الوجدان والكشف أخص ميزات التصوف . ولكنه مذهب فلسفى صوفى معاً ، جمع فيه بين وحدة التفكير وقوة الوجدان »

ولم ينس الأستاذ أن يشير إلى كلام ناقديه بل مكفريه ، ولا أن يشير إلى كلام المدافعين عنه والمتأولين لأحاجيه وألغازه ، ولكنه كان أقرب إلى جانب الرضا منه إلى جانب السخط ، ولو لم يكن كذلك لقال فيه كما قال الذهبي إنه « انعزل وجاع وفتح عليه بأشياء امتزجت بعالم الخيال والخطرات والفكرة واستحكم ذلك حتى شاهد بقوة الخيال أشياء ظنها موجودة فى الخارج ، وسمع من طيش دماغه خطاباً اعتقده من الله . ولا وجود لذلك أبداً فى الخارج » .

وقد صدق الذهبي كما صدق الدكتور أبو العلا . ولكن الذهبي كان فى صدقه أقرب إلى جانب السخط منه إلى جانب الرضا . ولا بد من الموازنة بين الجانبين .

ونحن مع اعتقادنا أن ابن عربى لم يكن بالفيلسوف المحض ولم يكن بالمتصوف المحض ، ومع إعجابنا ببعض سبحاته الروحية وشعورنا بصدق ما وصف به من طيش الدماغ — نعود فنقول إن الفلاسفة المتجردين للفلسفة فى هذا الزمان لم يبلغوا فوق مبلغه من التفرقة بين إله العبادات وإله الحقيقة المجردة ، وليس رأى « برادلى » الذى يعرفه الدكتور عفيفى جيد المعرفة من جملة أقواله فى التفرقة بين الحقائق والمظاهر إلا صورة جديدة من رأى ابن عربى فى هذا الكتاب بعينه وهو كتاب الفصوص .

ومهما يكن شأن ابن عربى بين الإعجاب والانتقاص فالحقيقة التى لا مراء فيها أن مذهبه مذهب يدرسه الباحثون ولكنه لا يصلح لجمهرة المتدينين . وحسبك أن رجلاً مثل ابن خلدون فى سماحة عقله وسعة نظره يقول بإحراق كتبه وكتب أمثاله ومحو أعيانها دفعاً للمفسدة . وأحسبه لو عاد إلى مصر فى هذه الأيام لما نجا من شدة المصريين فى المحافظة ، ولا حرم من عطف الفكاهة المصرية . فقد أوشك قديماً أن يقتل فى مصر لولم ينقذه الشيخ أبو الحسن الجانى الذى أبت عليه سليقة النكتة أن ينقذه من لذعاتها . فسأله : كيف يحبس من حل منه اللاهوت فى الناسوت ! فقال الرجل وهو لا يصدق بالنجاة : يا سيدى ! قلت شطحات فى محل السكر . ولا عتب على سكران ! »

وليس العصر عصر إحراق الكتب أو تفنيدها بلغة النار والماء ؛ ولكنه العصر الذى يحاسب الكاتب بحساب النقد والبرهان . ومتى حوسب ابن عربى بهذا الحساب ففيه ما يهمل إهمالا كالإحراق والإغراق ، وفيه ما يفيد ويمتع العقول والقرائح .

وخير ما يفيد من هذا الكتاب تفسيره لوحدة الوجود ؛ لأنه أصلح من تفسيرات إخوانه فى هذه العقيدة ممن يقولون بتأليه الكون فى جميع مظاهره المادية . فليس الوجود عنده إلا الوجود الحق الذى تحجبه هذه المظاهر المادية ، وهو بهذا يقترب كل الاقتراب من عقيدة التوحيد .

٢ — **الوجود** :

والكتاب الثانى الذى سماه السيد أبو الفيض المنوفى « بالوجود » هو ألزم الكتب لمن يتوخى البحث المصرى فى وحدة الوجود وفى حقيقة الوجود على الإجمال .

وهو كتاب مدروس أو « مخدوم » كما يقال فى اصطلاح المؤلفين . لم يصدر باللغة العربية كتاب يحوى ما حواه فى هذا الموضوع ، ولم يكن معول المؤلف فيه على المراجع العربية وحدها بل لعل اعتماده على مراجع الفلسفة الأوربية بين قديمها وحديثها أظهر من اعتماده على مراجعنا المعهودة . لأنه قصد فيه إلى إقناع المحدثين الذين يلهجون بفلسفة العصر وأساليبه ويعرضون عن القديم لقدمه من غير بحث فيه ولا اطلاع عليه .

وأجل ما فى الكتاب — وليس هو بالنسق النادر فيه — كلامه عن عالم العناصر الذى هو العالم البرزخى بين المادة والقوة ، فمن هذا العالم البرزخى نتحقق « أن الشىء المنظور يتحول إلى غير المنظور ويصبح هو والفكر والروح فى الخفاء سواسية ... ولا نظن أنه يوجد فرق بين النور والقوة إلا فى الألفاظ ؛ لأن الطاقة يستوى فيها أن تكون إشعاعاً أو حركة أو حرارة أو مغناطيس أو كهرباء أو غير ذلك ، ولا فرق أيضاً بين الحرارة والنور المنظور والنور غير المنظور إلا فى طول الموجات وقصرها » .

ومصدر الوجود كله على هذا النحو هو النور ، ثم النور الإلهى وهو نشاط محض . ولا فرق بين الوجود والعدم إلا فى خاصة

« النشاط » الذى لايقاس دائما بمقياس المحسوسات . بل يتعداها إلى ما وراء الحس والعقل والخيال ...

هذان الكتابان — كتاب الفصوص وكتاب الوجود — هما من مظاهر النزعة الروحية التى توازن عندنا تلك النزعة الجسدية ، كما تتمثل فى الصور المثيرة والأقاصيص الماجنة والشواغل الحسية ، وكفى بأمثال هـذه المباحث عدلا كافياً للموازنة بين النزعتين . فإنها لدليل على يقظة الجانب الرفيع من ملكات الإنسانية بين المصريين وبين قراء العربية على التعميم . وما أحوجنا اليوم إلى اليقظة فى هذا الجانب الرفيع !

عباس محمود العقاد

# بين أدب المرأة وأدب الرجل

للسيدة الفاضلة منيبة الكيلانى

[ كاتبة هذا المقال الطريف سيدة عراقية حديثة قل فى مصر نفسها من تضارعها فى عمق الثقافة وسعة الاطلاع وأصالة الفكر . تلقت دروسها الثانوية فى بغداد، والجامعية فى بيروت، ثم سافرت إلى انجلترا فتخصصت فى التربية وعادت إلى بغداد فعينت بمدرسة الفنون البيتية . ثم رحلت مرة أخرى إلى انجلترا فى بعثة المعهد الثقافى البريطانى ورجعت بعد ذلك إلى التدريس

وللأستاذة منيبة نشاط محمود فى الخدمة الاجتماعية والنهضة النسوية والحركة الأدبية ، نرجو أن تكون هذه المقالة فاتحة لتسجيل آثاره على صفحات الرسالة ] .

**١ — أدب للرجل وأدب للمرأة :**

يرى الناظر فى كتب الأدب وتاريخه أن الكتاب اصطلحوا على تقسيمات وأنواع للأدب نحتوها من عصور الأدب أو من خصائصه بالقدر الذى يتعلق بعرضه لا بجوهره ، فقال الأقدمون منهم مثلا بوجود أدب جاهلى وأدب مخضرم وأدب إسلامى ، وفصلوا الأخير منه بحسب ما حكم الأمة العربية أو بحسب ما تنقلت إليه الحكومات العربية من حواضر وبلدان ، فوسموا بعضه بالأدب الأندلسى ، وسموا بعضه بالأدب العباسى ، وغير ذلك من التسميات التى استندت فى الأكثر على هذه الاعتبارات التاريخية والجغرافية المحض . وأشاح المحدثون عن مثل هذه الاعتبارات لأن الفنون الأدبية تنصاع إلى العـــوامل التاريخية بقدر ما تؤثر تلك الاعتبارات فى مبانى الألفاظ واتجاه التراكيب اللفظية وإيغالها فى البداوة أو قربها من الحضارة مما يجعل فنونها فى الأولى متعددة الألوان والأوصاف لا يخرجها عن الرثاء والمديح والعتاب والوصف والموشحات والغزل والتشبيب إلا بالقدر الذى عرف فى تلك الفترة من مدلولات الألفاظ وتحكم العادات فيها ... أعنى لا يخرجها عن القيود التاريخية كبير فرق ، بينما تنعكس الحالة انعكاساً كبيراً فى ضوء الأدب نفسه ، فيتفرع عن هذا ألوان جديدة هى غير الرثاء والمديح والوصف والموشحات والغزل والتشبيب ... فهى على هذا ليست موضوعات وإنما هى فصول وأبواب وأجزاء ومباحث تدخل فيها تلكم الموضوعات دخولا ثانوياً لا أقل ولا أكثر . فمن ذلك أن ينقسم الأدب غير انقسامه الأول إلى أدب واقعى Realist ومثـــالى Idealist ورمزى Symbolist أو إلى أدب صـوفى ومكشوف أو إلى أدب مأساة Tragedy وأدب ملهاة Comedy ، وإلى أدب تحليلى أو وجدانى أو مسرحى ، أو إلى أدب ابداع Romantic وأدب اتباع Classic ، وإلى أدب فلسفى وقصصى ، وأدب تبشير وأدب سياسة وكثير من غيرها مما يكبر عن التقسيم الأول ويطول عليه بسبب أن ذلك التقسيم صادر على سبيل الحصر وهذا صادر على سبيل الاطلاق .

وكما أن لذلك التقسيم أنصاراً ومنتقدين فإن لهذا أنصـاراً ومنتقدين ؛ وكما أن ذلك التقسيم على شدة وضوحه وتعين حدوده موضع لبعض الانتقاد ما دام يستمد فوارقه وضوابطه عن طريق التبعيض والتكتيل ... فهو لا قبل له بما يضطلع به التقسيم الأساسى الذى يحتوى فى بطونه وثناياه ألوان الأدب وأفاعيل الزمان وأشتات الموضوعات وأصناف الأبواب السالفة الذكر، ومن أجل ذلك أضحى لزاما أن يبدأ التقسيم هذا من مبدأ الأمر ليدخل فى كل قسم سائر ما فى هذه المقدمة وغيرها من التفاصيل ، وعلى أن يكون التقسيم من الناحية الثانية معترفاً به دون جدال فما هو يا ترى ؟ أهو الأدب الحزين والأدب المرح ؟ أهو الأدب الجاهلى والأدب الإسلامى ؟ الجواب على هذه جميعاً ( كلا ) بل هو - أدب المرأة وأدب الرجل - وفى اللحظة التى نقرر فيها هـذا التقسيم نرى أنه استوعب تقسيم الأوائل والأواخر بدون استثناء ، كما أنه احتوى مادة لا تنضب من عصارة الأدب ، فاحتوى خصائص

ينفرد بها أحد النوعين ، واحتوى بالإضافة إليها ما يسود النوعين على حد سواء ، فينصرف تارة إلى ما يتعلق بتراث المرأة ، وينصرف أخرى لتراث الرجل .

وبعد فلئن صح أن الأدوار التاريخية من جاهلية وإسلامية ، وأدوار الحكم الإسلامي من أموى وعباسى وأندلسى، قد فرقت أنواع الأدب بعضها عن بعض، فإن تلك الأدوار ذاتها قد أثرت تأثيرات متفاوتة فى الرجل والمرأة ، فجاء أدبهما جد مختلف ولو فى دور واحد لفرط ما أثرت عوامل الدور الواحد فى كل جنس دون صاحبه ، فجاء أدب المرأة منذ أقدم عصوره أصدق أنباء وأكثر انطباقاً على الواقع ، وتكفل أدبها بأسباغ الألوان الحسان والدقة البالغة والجمال الرفيع على أدب الرجل ، وأضحى بعد ذلك يحمل راية الإباء والأنفة والشمم . وجاء أدب المرأة يشد من أدب الرجل ليجعل منه أكثر موافقة ومسايرة للزمن ، وليلهب نشاطه الفكرى والاجتماعى ، ويأخذ من الصراحة بنصيب ، ومن التلميح بنصيب ، مما قد لا يدركه الرجل على وجهه بعد أن أثملته الفتوح وبهرت عينيه ثروات الزمان فى قبضة يده يصرفها كيف أراد . وجاء أدب المرأة للعقل ، وأدب الرجل للعاطفة ، عند ما تطيش الحلوم ، وتراش السهام ، ويدبر المنطق وتقبل بدوات الثأر ، وتغرورق العيون من رثاء أو عتاب أو ثكل ، فيعمل الرجل بعاطفته ويفكر بقلبه ، وتسكت هى بفكرها وتتكلم بعقلها فتتم نقصه وتضفى على أدبه اللون القوى المتيد الذى يعوزه . وجاء أدب المرأة بعد هذا لحسن حظها فاقداً بعض الحلقات الموفورة فى أدب الرجل، فليس فيه التعريض ولا رمى المحصنات الغافلات ، ولم يحو التشكك ولا التجنى ولا الوسواس ، ولو حوى بعضها جدلا لما كانت من العمق والنور والاثم بالقدر الذى احتواه نتاجه . وجاء أدب المرأة كذلك منحدراً عن أساتيذ لم يعرفهم الرجل ، فقد انحدر بعضه عن تعدد الزوجات وأحاسيسها ، والطلاق وظله الثقيل ، والحجاب غير الشرعى ، والجهل والأمية المفروضة ، وزحمة المسترخصات من الجوارى والقيان المزاحمات للبيت الشريف والزوجية المقدسة ، والعضل .

وجاء أدب المرأة متجهاً غير اتجاه أدب الرجل ومتأثراً بهذا العصر وفنونه وعلومه وخصائصه تأثراً غير تأثره ، وهذه كلها أبحاث سنقوم على شرحها والتمثيل عليها واثباتها فى حلقات هذه السلسلة حتى تستقيم منها دراسة لموضوعنا قائمة على أسس غيرما تعارفه بحاث الأدب حتى الآن .

هذه الفروق التى ذكرتها تتوفر فى كل فن من فنون الشعر ولكنها أول ما تتوفر فى الوصف ؛ فانظروا كيف تكون .

قال شاعر الفلاسفة أبو العلاء المعرى فى صباه :

علِّلانى فإن بيض الأمانى ... فنيت والظلام ليس بفان
إن تناسيتما وداد أناس ... فاجعلانى من بعض من تذكران
رب ليل كأنه الصبح فى الحسـ ... ـن وإن كان أسود الطيلسان

ويقول فيها وهو من رائع القول :

ليلتى هذه عروس من الز ... نج عليها قلائد من جمان
وكأن الهلال يهوى الثريا ... فهما للوداع معتنقان
ثم شاب الدجى وخاف من الهجـ ... ـر فغطى المشيب بالزعفران

هذا من وحى الصبا ؛ وأروع منه عندى قول جحناء بنت نصيب وقد افتر الضحى عن نهار بسام وجاءت مع أبيها نصيب فأنشدت المهدى الخليفة العباسى هذا الوصف على قافية شاعر الفلاسفة ووزنه وقصيدته ومعناها :

رب عيش ولذة ونعيم ... وبهاء بعشرق الميدان
بسط الله فيه أبهى بساط ... من بهار وزاهر الحوذان
ثم فيه من ناضر العشب الأخضـ ... ـر تزهو شقائق النعمان
مده الله بالتحاسين حتى ... قصرت دون طوله العينان
حفلت حافتاه حيث تناهى ... بخيام فى العين كالطيلسان
زينوا وسطها بطارمة مثـ ... ـل الثريا يحفها النسران
ثم حشو الخيام بيض كأمثا ... ل المها فى صرائم الكثبان
يتجاوبن فى غناء شجى ... « أسعدانى يا نخلتى حلوان »
فبقصر السلام من سلم الله ... وأبقى خليفة الرحمن
ولديه الغزلان بل هى أبهى ... عنده من شوارد الغزلان
يا له منظراً ويوم سرور ... شهدت لذتيه كل حصان

أحاط المعرى ما وصف بتعقيد ، وأشاح عما يصف إلى ما يصوغ به الوصف ، وجاءت هذه الشاعرة بالقول سافراً ، ووضعت فيه تفاصيل البناء ، واقتبست غناء المغنيات ، ودعت للخليفة ، ولم يفتها فى وسط هذه الفتنة أن تجعل اللذتين لذة الناظر ولذة السرور مقصورة على الحصان من النساء فأفردت بذلك غريماتهن من المسترخصات على أنهن لهو وعبث ومتاع ، فلا لذة لهن من هذا القبيل . أليس هذا بعد الذى أوضحت أصدق إنباء وأكثر بياناً وتبياناً ؟

وليس هذا فى مجال الوصف فقط فقد يصف الشاعر الفلق

الذى طبقت شهرته الآفاق مشهداً محزناً ختفوقه بذلك شاعرة ليست لها شهرته وليس لها طول باعه .

هذا الشاعر ابن الرومى ، والمشهد المحزن هو موت ولده ، والشاعرة امرأة لا اسم لها ، ومنظرها المحزن موت ولدها فى سفرها معه .

هذا ابن الرومى يقول وأروع ما يقول هو :

توخى حمام الموت أوسط صبيتى فلله كيف اختار واسطة العقد
ألح عليه النزف حتى أحاله إلى صفرة الجادى عن حمرة الورد
وظل على الأيدى تساقط روحه
ويذوى كما يذوى القضيب من الرند

ويناجيه فيها بقوله :

أرى أخويك الباقيين كليهما
يكونان للأحزان أورى من الزند
إذا لعبا فى ملعب لك لوّعا
فؤادى بمثل النار عن غير ما قصد

وتقول هذه المرأة :

ما كان إلاّ أن هجعت له وبى فأغنى مطلع الفجر
إذ راعنى صوت هببت به وذعرت منه أيما ذعر
وإذا منيته تساوره قد كدّحت فى الوجه والنحر
وإذا له علق وحشرجة مما يجيش به من الصدر
والموت يقبضه ويبسطه كالثوب عند الطى والنشر
فدعا لأنصره وكنت له من قبل ذلك عُدة النصر
فعجزت عنه وهى زاهقة بين الوريد ومدفع السَّحر
فمضى وأى فتى فجعت به جلت مصيبته عن القدر
لو شاء ربى كان متعنى بابنى وشد بأزره أزرى
بُنيت عليك بُنى ـ أحوج ما كنا إليك ـ صفائح الصخر

أى إعجاز هذا ؟ لقد وصفت الحشرجة والنزع والوفاة وعادت وهى أشد ما تكون لوعة إلى صوابها وعرفت أن ربها اختار لها هذا فكانت أصدق إنباء وكانت أكثر دقة وكانت قصيدتها للعقل والإيمان .

٢ — صراحة أدب المرأة :

إن الصدق فى الإنباء والدقة فى التعبير إنما يجيئان من توفر الإنسان على ما هو فى سبيله من الشأن والنظر إليه من ناحية الواقع المجرد ، وذلك حال المرأة فى تلك العصور ، فإن انكبابها على ما هى بسبيله ، وقصورها عن مجاراة الرجل فى مجال نشاطه خارج البيت ، أتاح لها أن تتوفر على الموضوعات التى تضطلع بها غير توفره ، وتصدر فيها عن حكمة وروية غير حكمته ورويته التى أبطرتها كثيرا التوسعات العسكرية ، والفتوحات ، وسلطان الحكم والظفر ، وهكذا كان الرجل يفتقر إلى مقطوعات من أدب المرأة تمعر بها جهاته وتكفكف غلواءه ؛ فلقد وجدت السيدة زبيدة زوج الرشيد لزاما عليها أن توصى على بن عيسى وقد أمره الأمين بالشخوص لقتال المأمون بالوصية التالية التى تعتبر وثيقة خطيرة فى السياسة فضلاعن كونها قطعة رائعة من الأدب فتقول له :

« يا على ، إن أمير المؤمنين وإن كان ولدى وإليه انتهت شفقتى ، فإنى على المأمون منعطفة مشفقة لما يحدث عليه من مكروه وأذى ، وإنما ولدى ملك نافس أخاه فى سلطانه . فاعرف لعبدالله — المأمون — حق ولادته وأخوته ولا تجبهه بالكلام فإنك لست نظيراً له ، ولا تقتسره اقتسار العبيد ، ولا توهنه بقيد أو غل ، ولا تمنع عنه جارية أو خادماً ، ولا تعنف عليه فى السير ، ولا تسايره فى المسير ، ولا تركب قبله ، وخذ بركابه إذا ركب ، وإذا شتمك فاحتمل منه » .

بهذا القدر من الحدود وضعت السيدة زبيدة قائد جيش ولدها الأمين الذاهب لقاتلة المأمون غريمه على العرش ... وبهذا الخطاب الرائع كبحت سورة نفسه وأعلنت أدبها المتجاوب الأجزاء المتماسك الأطراف ، وأعربت عن سموه . وبهذا الأمر السامى أثبتت أن أدب المرأة للعقل لا للعاطفة ، وأنه صادق فى الإنباء ، دقيق فى الأداء ، وإلا كان فى بعض هذا الذى قالت كفاية ، وبهذه الوصية الدقيقة المحددة وضعت سياسة العقيدة التى تدين بها بقولها « وإن كان ولدى ، وإليه انتهت شفقتى ، فإنى على عبد الله منعطفة مشفقة لما يحدث عليه من مكروه ...

وليست السيدة زبيدة وحدها ذات المقام المرموق فى السياسة والأدب ، ولا عقيلات الخلائف أو بنات القصور ، بل قد يتوفر هذا الضرب من الكلام الحكيم والرأى الثاقب فى فتاة من عامة الناس لا صلة لها ببلاط الملك ولا سلطان الحكم مما يؤيد أن المسألة إنما هى أدب المرأة على أشد ما يكون الاطلاق شمولا .

قصة امرأة من الخوارج أرسلت أسيرة للحجاج بها وهى

القسم الثالث :

# فرنسا ومستعمراتها

للأستاذ أحمد رمزى بك

إن العالم الإسلامى فى يقظته وفى كفاحه مع الاستعمار البريطانى والأوروبى والصهيونى يواجه ثلاث هيئات اتحادية : الاتحاد السوفييتى فى الشمال والاتحاد الفرنسى فى المغرب والاتحاد الهندوكى فى الهند . وكل اتحاد منها يعطى لنفسه مظهر حركة تقدمية[1] يصبغها بصبغة التحرر[2] ويريد كل منها أن يقنع العالم أن هذا الاتحاد أو الضم جاء وليد إرادة شعبية ، وأنه فى مصلحة هذه الأمم وفى الهند يأخذ الاتحاد شكل حركة قومية كبرى . ولو كان الأمر قاصراً على المناطق التى يســود فيها الروس والفرنسيون والهندوس لما أثار ذلك اعتراض أحد من الناس .

ولـكن الباحث المدقق لا تغريه الألفاظ والمظاهر ، إذ يتبين له أن كلا منها ينتزع أقطاراً شاسعة ويحاول أن يضم أمماً إسلامية لا تمت بصلة إلى الاتحاد الذى يفرض نفسه فرضاً عليها ولذلك لا تلبث أن تنكشف حقيقة هذه الأنظمة الاتحادية حينما يتعلق الأمر بمستقبل الشعوب الإسلامية وحريتها ، إذ تبدو لنا هذه الأنظمة فى ثوب قوات رجعية[3] تعسفية[4] ، لا تمنح للمسلمين حريتهم وحقهم فى تقرير مصيرهم ، بل تجعل للتحكم والسيطرة والاستغلال الاقتصادى شكلا جديداً براقاً لا يغتر به إلا الواهمون .

فالاتحاد الفرنسى يحاول بقوة التشريع ضم أراضى شمال أفريقية وسكانها وهم أكثر من عشرين مليونا ، لهم تاريخهم وثقافتهم وشخصيتهم ، بدون أن يسمح لهم بأبداء رأى فى هذا الاتحاد ، والاتحاد السوفييتى يضم أكثر من أربعين مليونا من المسلمين الأسيويين لا يسمع لهم صوت ولا يسمح لهم بالاتصال بالعالم الخارجى ، والاتحاد الهندى يمنع إنشاء دولة الباكستان الإسلامية ولا يسلم بها .

ولا يمكن للعرب فى أفريقيا والمسلمين فى آسيا قبول وضع من الأوضاع يجعل منهم أقلية فى بقعة من بقاع الأرض : لأن تجارب الماضى كانت شديدة الوقع عليهم ، ولذلك فهم لا يسلمون للأقدار أن تتحكم فيهم مرة أخرى ، ثم هم أصحاب مجد وتاريخ وصولة على هذا الـكوكب الأرضى ، وهو تاريخ حافل بأيام العراك والـكفاح والنصر والهزيمة ، وهو فى قوته وبروزه وأثره ، لا يمكن أن يقارن بتاريخ أى أمة من أمم الأرض مهما علا كعبهـا فى الحضارة ، وقد ألقى علينا هذا الماضى درساً قاسياً لا يمكن أن ننساه ، فنحن قد فقدنا ملايين من العرب فى إسبانيا وجزائر صقلية وسردينيا وكريت ومالطة ، كانوا عرباً دخلوا هذه البلاد واستوطنوها ، ثم زالت أيامهم فأدمجوا بالسيف فى جنسيات وأديان أخرى ، ولا تزال دماء العروبة فى عروقهم إلى اليوم ، وهناك ملايين من المسلمين كانوا سادة فى القرم ورومانيا والبلقان فأين هم اليوم ؟ إنهم يوم أن أصبحوا أقلية أفناهم الظلم والاستبداد .

ولهذا فـكل اتحاد يفرض بالقوة على أقطار المغرب وشعوبه العربية ، ويحول بينهم وبين جامعتهم هو حركة استعمارية رجعية تعسفية تستهدف إفناء العروبة والإسلام والوقوف أمام نهضة الشعوب العربية فى مراكش وتونس والجزائر وإضعافها كقوة فعالة فى تاريخ العالم . ولذا وجب على كل فرد منا أن يفهمها على حقيقتها وأن يشعر بالأخطار التى تهددنا من هذه الناحية ، وأن نحشد كل مالدينا من القوى الروحية والعقلية للوقوف أمامها حتى يشعر العالم أجمع أنه ليس فى عزمنا نحن معاشر الأمم الإسلامية والعربية أن نفنى بهذه السهولة من الأرض فتذهب ريحنا لدى الصدمة الأولى .

***

(١) progressiste . (٢) emancipation .
(٣) retrograde . (٤) aggressif .

---

تعرف من ستقابل ، وقيل لها وهى فى طريقها إليه : «أى أم علقمة والله لو وافقته فى المذهب لنجوت من أذاه » فقالت : « قــد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين » .

وجاءت ديوان الحجاج وقد استحال كل ما فيه إلى وجوم ، ووقفت وهو جالس فانتهرها قائلا : «لقد خبطت الناس بسيفك يا عدوة الله خبط العشواء» . فقالت : «لقد خفت الله خوفاً صيرك فى عينى أصغر من ذباب » وكانت منكسة . فقال : « ارفعى رأسك وانظرى إلى » فأجابت : « أكره أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه » . فقتلها .

( البقية فى العدد القادم )

منيرة الكيلانى

ولقد عرضنا فى القسمين المتقدمين لمصاعب الاستعمار الفرنسى ولسنا تأخره عن ملاحقة العالم ، وكشفنا عن إفلاس فرنسا كدولة حاكمة ، وقلنا إن هذه الأمور جهر بها كتاب الغرب وسلم بها الفرنسيون أنفسهم أو فريق منهم ، وكنا نقدم للقارىء ما يجول بنفسية الفرنسيين من آمال وسط هزائمهم وبعد أن ظهر للعيان تقصيرهم ، وكنا نرمى بهذا أن نضع الحقائق مجردة أمام القارىء حتى يكون على علم بأقوال الخصم ، وما يدخلها من غرور ووعيد وغايتنا من ذلك أن يفهم العالم العربى أن محاربة الاستعمار تستلزم الوقوف على أساليبه والالمام بطرقه وأن الدول الغاصبة مهما كانت سياستها غاشمة ومع مابين أيديها من وسائل القمع ، تحاول أن تفرغ هذه السياسة فى قالب يقبله العقل ويسلم به ، فعلى الذين نصبوا أنفسهم للجهاد أن تتسع صدورهم لأقوال الخصم وأن يروضوا أنفسهم على الحقائق وإن كانت مرة ليتسنى لهم تحقيق ما رسموه لأنفسهم ومبادئهم من أهداف .

والدول الاستعمارية لا تفهم ما نقرره لأنفسنا بل لاتسلم به ، وإنما لديها المنظمات التى توافيها بكل صغيرة وكبيرة عنا ، وهى لا تنوى أن تتنازل عن أملاكها ومستعمراتها أو تفرط فى حق من حقوقها ، إلا بالقدر الذى تنتزعه الشعوب منها ، وهذه فى تقدمها وسيرها نحو الوعى القوى واليقظة تؤمل فى أن تتشبع بالحقائق ، حتى لا تذهب جهودها وضحاياها هباء ، ثم هى تروم أن تحقق لها مجداً وأن تسير فى طريق التحرر والخلاص وأن تعالج مشاكلها على ضوء العلم ووضع الأمور فى نصابها ، فعلى المتصدرين للحركات العامة أن يهيئوا أنفسهم للقيادة ، ولا يكون ذلك بغير العلم والبحث والدرس ، وتتبع الدول الاستعمارية والكشف عن أغراضها ومراميها والوقوف موقف الحريص على حقوق هـذه الشعوب بل موقف المتيقظ للدفاع عنها أمام الضمير العالمى .

وقف فى القرن الماضى بعض كتاب الانجليز يتحدثون عن أعباء الرجل الأبيض ومسئولياته إزاء الشعوب المحكومة فقالوا إنه يحمل عبئاً ثقيلا هو قيادة هذه الشعوب نحو الحضارة والتقدم ، وفى نفس الوقت أطلق كتاب أوروبا على دولة آل عثمان اسم رجل أوروبا المريض . فمن كان ينتظر بعد مضى سنوات أن تتبدل أحوال الكون وأن تصبح الأوضاع مقلوبة ؟ فإذا بالامبراطورية الفرنسية هى الرجل المريض الذى تخشى الدول الغربية وفاته ، وإذا من أعباء الرجل الأبيض ممثلا فى الحكومات الانجلوسكسونية بريطانيا وأميركا ؛ حماية امبراطورية مريضة فى حالة النزع ، والمحافظة على وحدتها ، وأحيانا مجاملتها على حساب حرية الأمم المغلوبة على أمرها .

إن الأسلحة والمعدات الحربية التى تسلمتها من هذه الدول لم تستعملها فى قتال الألمان وتحرير البلاد منهم ، وإنما وجهت إلى صدور الشعوب المظلومة فى مدغشقر والهند الصينية ، وهذا العتاد سيستعمل يوما ضد أمم العروبة فى المغرب ، فما الثمن الذى قبضه الرجل الأبيض ؟ : هو تحطيم السور الفولاذى حول المستعمرات أمام نشاطه وفتح حدودها واعتبارها أسواقاً تجارية له ، وماذا كسبت فرنسا الأم الحنون ؟ كسبت المجد الدائم وهو أن تمر العمليات بطريق باريس بدلاً من أن تتجه رأساً إلى أراضى المستعمرات ، وفى سبيل ذلك يسلم الرجل الأبيض ببقاء فرنسا مدة أخرى فى شمال أفريقيا محتفظاً لنفسه بحق الرجوع مرة ثانية إليها إما لتحريرها أو للمساعدة فى تهدئتها .

* * *

فى الوقت الذى كان رجال فيشى يفضلون فيه التضحية بأراض من فرنسا محافظة على وحدة أملاكهم الأفريقية ، كان الفرنسيون الأحرار يفكرون تفكيراً استعمارياً من نوع آخر ، فقد عقدوا قبل نهاية الحرب مؤتمراً لهم فى مدينة برازافيل بأفريقيه جمع عدداً من حكام المستعمرات تبادلوا الرأى فيما بينهم واتخذوا قرارات بشأن سياسة المستقبل بعد أن استعرضوا مسائل هامة : منها العمل على رفاهية السكان الوطنيين ورفع مستواهم المادى مع تحسين حالتهم الاجتماعية والفكرية ، وعرضوا لمسائل التعليم وأثر الدين وتوزيع العدالة ، ثم بحثوا مسائل الحكم الذاتى والإدارة المباشرة وغير المباشرة ، واتخذت قرارات سرية نحو وحدة الامبراطورية والسير بها فى طريق الاتحاد الفرنسى ، وهذه القرارات هى التى نقلوها معهم إلى الجزائر وأدمجوها فى مشروع الدستور الجديد ، فعلى الذين يدرسون هذا الاتحاد أن يرجعوا إلى بحث قرارات هذا المؤتمر الاستعمارى وسنأتى على شىء من ذلك فى القسم التالى .

أحمد رمزى

في بلاد العرب :

# من دمشق إلى «دير الزور»!

« تحية إلى إخواني هناك وتلاميذي »

للأستاذ علي الطنطاوي

إلى دير الزور ...

استعدوا يا سادة ، فقد أزف الرحيل ، وشدت الأهداج ، فودعوا الأحبة والصحاب إن كنتم تطيقون الوداع ، وخذوا طريقكم إلى (المرجة) ففيها الموعد الفجر ، وأسرعوا لا يشغلكم جمال الغداة ، ولا سِحْر السَّحَر ، ، وإن ملأ السماء والأرض والنفس خشمة وفرحة وبهاء ، فحرام على ذي الأعمال ، أن يفتنه عنها الجمال ...

ها نحن أولاء في (المرجة) ، وها هو ذا صوت المؤذن يمشي في الفضاء مشي البرء في الأجسام ، والطرب في الأعصاب ، فيكون لهذه الدنيا نوراً وطهراً وعطراً ، وها نحن أولاء نصلي الصبح في (جامع يلبُغا) الذي سرق نصفه العثمانيون فجعلوه مدرسة ، كأن الأرض قد ضاقت بالمدرسة حتى ما يتسع لها إلا الجامع ، ولكن اللصوص لم يكونوا حذاقاً ، ولم يستطيعوا طمس الآثار ، فنسوا (المئذنة) لم يسرقوها فلبثت قائمة تشهد عليهم ، كشهادة (منارة سوق الغزل) على أهل بغداد ، أنهم سرقوا (المسجد الجامع) الذي كان قطب الأرض ، وأكلوه ، وادعوه أنهم ما رأوه ..

وها نحن أولاء نخرج فنرى السيارة وعليها الأحمال ، ولكن ما لها لا تمشي ؟ ألم يأن الأوان ؟ ألم يؤكدوا لنا أن الرحلة الفجر ؟ لقد مضت نصف ساعة ، ومضت ساعة ، وملأت الشمس الدنيا ، وأمتع الضحى ، وهي واقفة ، ترقب أحد البكوات حتى يصحو وتفرك الجارية رجليه ويغتسل ويأكل ويلبس ويجيء مبتختراً .. فلما ذا منعونا نحن المنام ، وألزمونا الحضور في الغلس ، في برد كانون ، وقرّ الليل ؟ وما هذه الخصومات والمعارك ، وهذه الألفاظ الوسخة التي يقذف بها السائق ومعاونوه في وجوه الركاب ، لأنهم طالبوا بحقهم وأبوا الظلم ؟ وما لشركة (نِرْن) الإنكليزية تسير سياراتها كما تسير عقارب الساعة ، لا يسبق عقرب ولا يتأخر ولا يقفه شيء ؟ أكتب علينا أن نظل أبداً أهل خلف في المواعيد ، وكذب في الأحاديث ، وفوضى في المعيشة ، لا نحن اتبعنا ديننا ، دين الصدق والنظام ، ولا نحن قلدنا الأوربيين في فضائلهم ؟ ما قلدناهم إلا في الرذائل والموبقات !

***

لقد دنا المسير ، و (رغت)[1] السيارات ، فاستنجدوا بقرائحكم لتسعفكم بالقول المحلّى واللفظ المعسول ، واعتصروا العيون واستمطروها الدمع ، فما يحلو بغير الدموع الوداع ، وما وصفه شاعر إلا (زعم ...) أنه بكى ، فكأن الشعراء ... إذا أزمعوا وداعاً وضعوا البصل في عيونهم ... وإلا فكيف تجود بالدمع عند كل طلب كأنها (حنفيّات) الحمام ، أو كأنها مُقل الحِسان ؟

وخذوا مقاعدكم قبل أن يشتد الزحام . ولكن من أين ندخل وهذه السلال والصرر والحقائب بين الأرجل ووسط الممرات ؟ وما هذا الضيق في المقاعد ؟ هل هي رحلة دقائق من دمشق إلى دمّر ، أو من مصر إلى المعادي ؟ إنها رحلة يوم كامل بليله وأكثر نهاره أفنمضيه محبوسين في هذا الصندوق ، مقيدين بالأصفاد ، لا نستطيع أن نحرك يداً ، ولا نمد ساقاً ، ولا نتلفت ؟ أنقاوم الشركات الأجنبية ونحاربها بمثل هذه السيارات ؟

يا قوم إنكم بمثل هذا تجعلون الناس يترضون عن الأجانب ، ويلعنون لأجلكم كل شيء وطني !

***

لقد جرت السيارة وباسم الله مجراها ومرساها ، ها هي ذي تخترق شارع فؤاد الأول ، وتقطع شارع بغداد أفخم شوارع دمشق وأطولها ، الذي فتح من ربع قرن ولم يبن فيه إلا خمس بنايات ، لأن البلدية أرادت عمران دمشق ، فوضعت للبناء فيه شروطاً لا يمكن معها البناء ، إلا إذا قامت حرب عالمية ثالثة ، وصار كل الشاميين لصوصاً أي (أغنياء حرب) ...

لقد بلغنا (جسر تورا) فودعوا دمشق بنظرة أودعوها حبة

---

(١) الرغاء للابل .

القلب ، وقرارة اللب ، فما تلقون إذا فارقتم دمشق مثل دمشق ، وأين ؟ أين مثل فتونها وسحرها ؟ وأين مثل تقاها وطهرها ؟ أين قبة تنطح النجم كقبتها ؟ أين فى الأرض غوطة كغوطتها ؟ أين نهر يسيل شعراً وذهباً كبرداها ؟ أين مثل ربوتها وشاذرانها ومزتها وميزانها ؟ أين فى الدنيا ربيع كربيعها ، وزهر كزهرها ، وثمر كثمرها ، وكروم ككرومها ؟

تزودوا منها بالنظرات تكن لكم فى طريقكم زاداً وفى غربتكم أنساً ...

***

هذه (دوما) قصبة الغوطة فيها خمسة وعشرون ألف ساكن قل فيهم من يتفرغ للعناية بدار لذلك ترون دورهم زرية منخفضة السقوف ، ضيقة الأبواب ، وقل فيهم من يعتنى بثوب أو يحرص على علم ، ما لهم هم إلا الزراعة فهم أقدر خلق الله عليها ، وأصبرهم على مكارهها ، لأنهم يشتغلون لأنفسهم وذراريهم ، لا لـ ( بك ) من البكوات ، ولا لخواجة من الخواجات ، وقل فيهم من لا يملك قطعة من الأرض ولو صغرت ، يعيش بها ولها ويموت عنها ، ليس فيهم أسرة يستعبدها الملاك هذا الاستعباد ( الحر ) ... ويظلمها هذا الظلم ( القانونى ) ... فينظر إليها كما ينظر إلى حميره وأبقاره ، ويعاملها معاملتها ، فيسكنها فى مثل زرائبها ، ويطعمها قريباً من طعامها ، ولا يراها أعلى قدراً منها ، يشغلها السنة كلها تكد وتشقى ، لتقدم له ثمن سكرة من سكراته ، أو ليلة (حمراء!) من ليلاته ، تريق عرق جباهها على أقدام عشيقاته ، وتبذل حياتها ابتغاء مرضاته ، ثم لا تنجو من غضباته ونزواته !

إنها أرضهم هم ، وهم أصحابها ، ولذلك ازدهرت وأينعت حتى صارت أجمل أرض فى الوجود . فانظروا إليها من حولكم ، إلى هذا البحر يموج بالأشجار ، تمايل أغصانها ، وتتعانق أفنانها ، تتوجها إذا جاء الربيع ألوان الزهر ، فتكون ابتسامة الزمان على فم الثرى ، وتثقلها إذا حل الصيف أنواع الثمار ، من المشمش عشرين نوعاً ، حبه كالتفاح استدارة وبهاء لا كمشمش مصر الذى يشبه فى صغره حب الخردل ، ومن التفاح أربعين نوعاً ، والكمثرى عشرين ، والعنب خمسين نوعاً معدودة عداً ، والدراق والخوخ والجانرك والسفرجل والجوز واللوز والتين والزيتون أنواع شتى وأشكال ، وإلى السواقى تمشى فيها تحمل الحياة من بردى إلى هذه الأرض المباركة ، يميد على حوافيها الحور ويرقص الصفصاف ، وتنساب عروق البطيخ والشمام والقثاء والخيار ، وتضحك من حولها حقول القمح ، ومزارع ( الخضار ... ) . هذه هى الغوطة : بستان واحد ، مساحته أكثر من ثلاثمائة مليون متر مربع ، متصل الظلال ، متلاقى الأغصان ، كل شبر منه ثروة وجمال ، وكنز لا ينفد على الإنفاق .

لقد جازت ( السيارة ) دوما ، فانظروا إليها فقد كادت تختفى مناراتها ، كما اختفت دمشق إلا جبليها الخالدين ، قربيى الدهر حليفى الخلود : قبة النسر من الأموى ، وهامة الصخر من قاسيون .

وهذى كروم دوما ، يضل البصر فى رجاها[1] ويقصر عن مداها ، فيها ( العنب الدومانى ) الذى سارت بذكره الركبان ، فمن لم يأكل منه لم يأكل عنباً إلا على المجاز ...

ولكنكم مررتم بالغوطة وكرومها فى الشتاء ، فدهشتم وما رأيتم إلا حطبها ، فكيف لو جزتم بها الربيع فشاهدتم البهى من زهرها ، أو سلكتموها فى الصيف فجنيتم الشهى من ثمرها ؟ إذن لقلتم : لا رب إلا الله ، ولا بستان إلا الغوطة !

***

لم يبق الآن أمامكم إلا الصحراء ، ولكن هذه الصحراء كانت يوماً من الأيام سهولا ممرعة ، وكان أكثرها منازل عامرة وكانت تفيض بالخيرات وتزخر بالظلال ، أيام الملوك الغر الميشمين سادة الدنيا ، بنى أمية ، الذين حملوا راية الإسلام إلى أقصى المشرق وإلى أقصى المغرب ، من أطراف الصين إلى أواسط فرنسا ، فنصبوها على قبة الفلك ، ودعموها بالعدل والنبل والفضل ، فما كانوا فاتحين كالفاتحين ، يغلبون بالقوة ، ويملكون بالسطوة ، فان زالوا زالت آثارهم ، ولكن كانوا مجاهدين ، وكانوا بانين ، وكانوا عبقريين ، فجعلوا هذه البلاد كلها إسلامية عربية إلى يوم القيامة . وكان لهم الفضل على مسلم ، فى هاتيك الأقطار حتى تقوم الساعة ، رحمهم الله وغفر لهؤلاء المؤرخين الذين حاولوا أن يتقربوا إلى أعدائهم باطفاء هذه الشمس التى بهرت العيون ، فجمعوا غبار الطرق وجعلوا

---

(١) الرجا : واحد الأرجاء .

ينفخونه عليها حتى تمزقت صدورهم ، والشمس ساطعة لم تنطفىء ، ومن ذا يطفىء نور الشمس فى رأد الضحى ؟

رحمهم الله ، فقد جعلوا هذه المدينة لما نزلوها سيدة المدائن ، ورفعوا قدرها حتى ذلت لها نهاوند ودانت قرطبة وخضعت سمرقند وطأطأت لها القسطنطينية ، فأضعنا نحن من بعدهم عزها . إن الأرض تعمر أبداً وبلادنا تمشى إلى الخراب ، إنكم ستمرون الليلة على المدينة التى قارعت روما يوم كانت روما عاصمة الأرض ، ونازعتها مجدها وسلطانها ، فلا ترون فى مكانها إلا قرية اسمها ( تدمر ) ، أفرأيتم كيف نمشى إلى الوراء ؟ إن ديار الشام التى يسكنها اليوم بساحلها وداخلها ، وشمالها وجنوبها ، خمسة ملايين كان فيها يوماً من الأيام خمسة وعشرون مليوناً . وكان فى العراق مدينتان متجاورتان ، فى كل منهما مليونان ، وأهل العراق كله اليوم خمسة ملايين . وإن بين هاتين المدينتين اليوم على الطريق جسراً قائماً فى الفلاة ، كان تحته نهر اسمه دجيل ملأ الشعراء بذكره الأسماع ، يسقى مدينة اسمها حربى زخرت بأخبارها صحف التاريخ ، فمحيت المدينة وجف النهر ولم يبق إلا جسر قائم فى الفلاة . وكان فى البصرة عشرة آلاف قناة ، فلم يبق فيها اليوم إلا مائة وثمانون قناة .

نعم لقـد عدنا إلى الوراء ولـكن عهد التأخر قد انقضى . لقد وقفت القافلة تجمع شتاتها ، وتمد عدتها ، لتمشى فى طريق المجد كما مشى الأجداد ...

لقـد عرفتنا المصائب فى فلسطين والمغرب ومصر والشام ، أن الطريق من هنا : إلى الشرق ... من الشرق يطلع فجر الخلاص ، أما الغرب فلا يجىء منه إلا ليل الظلم وسواد الاستعمار ...

هذه حقيقة تدرس فى المدارس الأولية ، ولـكن فى الناس جهلاء لم يتعلموها بعد !

***

يا إخواننا . إن هذه السفرة ستعلمكم الصبر . إنكم ستتحدثون حتى تملوا الحديث ، وتسكتون حتى تكرهوا السكوت ، وتأكلون حتى تعافوا الأكل ، وتجوعون حتى تشتهوا الطعام ، وتنامون حتى تشبعوا من المنام ، وتستيقظون حتى تتمنوا الهجوع ، وأنتم محبوسون فى هذا الصندوق ، مصفدون بالأغلال ، فأين هذا من رحلات الأجداد على الإبل ، يستمتعون بالحرية والانطلاق والتأمل؟ تقولون أنـكم اختصرتم الزمان ... وما ذا فى اختصار الزمان ، إلا الإسراع إلى القبر ؟

إنـكم تشكون والسيارة تمشى لـكم على الطريق الآهـلة ، وأنتم قعود تأكلون وتشربون ، فـفكروا فى بطل الدنيا سيف الله ( خالد ) وصحبه : كيف قطعوا هذه البادية على الإبل لا يعرفون على طريق ولا يجدون ماء ولا زاداً كافياً ، والعدو محيط بهم ، فلما وصلوا إلى الشام لم يغتسلوا ويعدوا أرجلهم ... ولـكنهم نازلوا جنود سيد الكتائب قيصر ، وانتزعوا منه الظفر ، وأخذوا منه البـلاد ، فبقيت خالصة لأمة محمـد ، لن تغدوا لغيرهم أبداً ، لا للانكليز ولو غلبوا عليها حيناً ، ولا لليهود ، ولا للامريكان ... أولئك هم الرجال حقاً !

***

وبعد فهذى هى الدير ، تبدو مناراتها من وراء البادية ، كما تبدو الميناء من وراء البحر ، فحث المطى يا أيها السائق ، واسقها ( البنزين ) ، فقد مل السَّفر ، ونفد الصبر ، واشتد الشوق ...

وأعظم ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الخيام من الخيام

هذى هى الدير قد وضحت ، أفلا تحسون أنكم مقبلون على مدينة عراقية ، أليس لمناراتها رشاقة مآذن بغداد ، وإن لم يكن لها ثوبها المزركش الذى تخطر فيه ، وتاجها الذهبى الذى تميس تحته أليس فراتها هو الفرات الذى يجرى فى العراق وإن لم تزن كتفيه الروابى المخضرَّة ، ولم يستنقع فيه النخيل ، ولم تمرح على صفحته الزوارق الشعرية ، ولم يؤكل فى القهوات المطلة عليه السمك المسقوف؟

هذى هى الدير ، فدعونى يا رفاق أفارقكم لأحدث القراء ( حديث الدير ) ... فان فيهم من لم يسمع من قبل باسمها !

**على الطنطاوى**

# لبنـــان والعربية

للاستاذ السهمى

يقول أمير الشعراء أحمد شوقى (رحمه الله) فى لبنان وبيروت فى عبقرية لبنانية :

بلغ السها بشموسه وبدوره لبنان وانتظم المشارق صيته
لبنان والخلد اختراع الله لم يوسم بأزين منهما ملكوته
هو ذروة فى الحسن غير مرومة وذرا البراعة والحجى بيروته

ويروى ياقوت فى معجم البلدان لأحمد بن الحسين بن حيدرة مقطوعة فيها هذا البيت فى مياه لبنان :

وكيف التذاذى ماء دجلة معرقاً وأمواه لبنان ألذ وأعذب

ويذكر شاعرنا أبو الطيب تفاح لبنان فى عضدية عبقرية :

حيث التقى خدها وتفاح لبنان (م) وثغرى على حيـــاها

ويقول النشاشيبى فى بيروت فى خطبة[1] :

بيروت مثقفة العرب .

بيروت موقظة العرب من بعد طول هجوعهم .

بيروت منبعث الأضواء والأنوار .

بيروت فلك الشموس والأقمار .

بيروت دار أحمد فارس والأحدب والأسير .

بيروت دار اليازجيين : ناصيف وخليل وابراهيم .

بيروت دار البستانيين : بطرس وسليمان وعبد الله .

بيروت دار أديب إسحاق وأحمد عباس .

بيروت دار الحورانى والشرتونى وصروف وضومط .

بيروت دار شكيب أرسلان وأمين الريحانى ومحيى الدين الخياط ومصطفى الغلاييني .

بيروت هى التى نزل على أهلها ، على كرام ، الأستاذ الإمام محمد عبده (رضى الله عنه) وأملى فيها رسالته البليغة فى التـوحيد بل معجزته .

فى بيروت تثقفت واهتديت وانبعث داعى الإسلام والعربيّة والوطنية ، وجيت جندياً من جنود سـيدى [ محمد بن عبد الله ] عليه صلوات الله .

المدرسة البطريركية[1] للروم الـكاثوليك مدرستى .

ضوأت لى بيروت عن طريق فشيت ، وهدتنى بيروت هداها فهديت ، ورحت أقول فى قصيدة[2] :

حنـــانيك يا ربماً به نلت منيتى
وأبعدت فى الشرق الخطير لى الذكرا
إذا النـــاس ضلت فى مجاهل غيها
وساءت مساعيها فلا تعرف البرا
فإنى بأرض الشام أخدم أمتى وأرجو لها فى كل واقعة نصرا
أخوض غمار الـكون بالعـلم والتقى
ولا أسأل القوم العظام لى الأجرا

بيروت مدينة تهذيبى .

والعربية هى التى يقول فيها النشاشيبى :

اللغة هى الأمة ، والأمة هى اللغة ، وضعف الأولى ضعف الثانية ، وهلاك الثانية هلاك الأولى . وكل قبيل حريص — وقد كان فى هذه الدنيا — جد حريص على أن يستمر كونه ، وعلى أن لا يبيد[3] ، فهو مستمسك بلغته للاحتفاظ بكينونته . واللغة ميراث أورثه الآباء الأبناء ، وأحزم الوراث صائن ما ورث ، وأسفههم فى الدنيا مضيع .

وإنا أم اللسان الضادى — لعرب ، وإن لغتنا هى العربية وهى الإرث الذى ورثناه ، وإنا لحقيقون والآباء هم الآباء واللغة هى تلك اللغة بأن نقى عربية الجنس وعربية اللغة ، نقى العربيتين مما يضيرهما أو يوهنهما .

ولو كان المورثون صغاراً ولو كان الميراث حقيراً لوجب علينا إكبارهم وإعظامه ، فكيف والتاريخ يقول: إن الآباء كانوا كراماً ، وإن الآباء كانوا عظاماً . وكان لهم الخلق المتين الجيد ، وكان لهم

---

(١) سنة ١٣٥١ .

(١) درس العربية فى هذه المدرسة الشيخ ناصيف اليازجى والشيخ خليل اليازجى والشيخ ابراهيم اليازجى والشيخ سعيد الشرتونى والشيخ ابراهيم الحورانى والشيخ عبد الله البستانى .

(٢) سنة ١٩٠٥ .

(٣) يرى الصولى فى ( أدب الـكتاب ) أن تكون ( لا ) مقطوعة من ( أن ) أجود .

السلطان القوى والسؤدد ، وكانوا الأئمة فى العلم وكانوا الأئمة فى الحكمة . فاقرأ كتب علمهم ، واقرأ كتب حكمتهم .

والزمان يقول : إن العربية خير ما صنعت يداى ( وإن الدهر لصنَع ) وإنها لخير طرفة أطرفتها الناس ، والزمان بالخير — وإن جاد — شحيح . فالعربية الصنع العبقرى للدهر ، والعربية هى الدرة اليتيمة أو كنز الزمان ضن به كل الضن ثم سخا .

وإذا كان للنفوس العربية فى الجزيرة وهى نفوس تجسمت من القوة أو تكونت منها القوة ، وهى نفوس تعالت وتعززت فنشأت فى الدنيا ألفاظ العلو والعزة وهى نفوس صفت وصرحت ، وما صفاء سواها وصراحتها إلا كدر ولبس — إذا كان لهذه النفوس فضل على لغتها إذ كانت منجمها الذى منه بدت فلهذه اللغة البينة المحكمة فضل على تلك النفوس ، فقد أعطى بيان اللغة وإحكامها أهل اللغة ما أخذته منهم ، وقد أحسن الألماس[1] الشع إلى منجمه ، فهذا كون ذاك ، وذاك نور هذا .

وإن العربية لو لم تكن الإبداع كله ولو لم تكن الجمال الأجل، ولو لم تكن اللغة المصطفاة ، ولو لم تك لغة معجباً ، ما اختارها الدهر لقرآنها و [ الله أعلم حيث يجعل رسالته ] ولم تستطع ألفاظها الاستقلال بمعانيه ، وكل معنى فيه يأبى أن ينزل إلا فى أكرم لفظ ، وكل مقصد من مقاصده لا يقبل إلا أعجب أسلوب . ولن ينزل أهل السماء إلا فى ذروة العلياء . و ( الكتاب ) — وإن علا — حتى أظل ( سدرة المنتهى ) قد أدناه وقد جلاه نور بيانه حتى أرانا إياه ، والشمس قد علت وقد ابتعدت ، وهل يحيي وهل يضيء هذى الأرض إلا الشمس .

ويقول النشاشيبى فى رثاء كبير عراقى فى خطبة[2] :

قالوا : ابكه وإلا غضبت عليك عربيتك .

أعوذ بمحمد ، أعوذ بالعربية من غضب العربية .

وهى لى فى حياتى ومماتى إلا هى ؟

وهل معتصمى وشرفى ومجدى فى الوجود غير عربيتى ؟

وهل سموت وكرمت عند العظماء وعند الفضلاء وعند الملوك إلا بها؟

أنا لا أشترى رضاها هذى الدنيا بحذافيرها ( استغفر الله ) ولا الآخرة .

أعوذ بالعربية من غضب العربية .

أنا خادمها ، أنا عبدها ، أنا عبد لغتها ، أنا عبد قرآنها ، أنا عبد محمدها .

أنا سيد لكل حر سيد بهذه العبودية .

أعوذ بالعربية من غضب العربية .

وقد شاء فى هذا الشهر حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية ( الشيخ بشارة الخورى ) ووزيره الأكبر حضرة صاحب الدولة الأستاذ ( رياض الصلح ) وحكومته ، وحضرة أمير النثر والناثرين وسيد البلغاء صاحب ( الرسالة ) الأستاذ ( أحمد حسن الزيات ) أن يمطوا خادماً من خدام هذه العربيــة — وهو الذى تلوت قوله آنفاً — ( وسامين )[1] فأعطوه . واليقين كل اليقين أنهم نظروا إلى إخلاصه فى حبها لا إلى مقدرته ؛ فالرجل عند التحقيق ليس هناك ، وهو صاحبى ، وأنا من أعرف الناس به . والمنصف يقول الحق ويقضى بالعدل ولو على نفسه [ يا أيها الذين آمنوا ، كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم ] .

السهمى

(١) راجع الرسالة ( ٧٢٥ ) الصفحة ( ٦٠٠ ) إن قول صاحبها فى دولة الفضل وسام كبير .



(١) الهمزة واللام فيه أصليتان لا كما ظن صاحب القاموس فعد ذلك لحناً . وقد وجدت الألماس فى فائق الزمخشرى ونهاية ابن الأثير .
(٢) سنة ١٣٤٨ .

# ٧ - تفسير الأحلام

للعلامة سيجموند فرويد
سلسلة محاضرات ألقاها في ڤينا
للأستاذ محمد جمال الدين حسن

كلا أيها السادة، فالوقت مع هذا لم يحن بعد. فحتى هذا الاعتراض القوى قد ينهار من أساسه إذا صوبنا إليه سهام النقد الحادة. فنحن إذا فرضنا أن هناك نزعات لاشعورية تكمن في الحياة العقلية، ثم اتضح أن عكس هذه النزعات بالضبط هو الذى يغلب على الحياة الشعورية، فليس معنى هذا أننا أخطأنا التقدير، فربما كان هناك متسع في العقل البشرى للنزعات المتضادة وللمتناقضات تكمن كل بجانب الأخرى. بل من المحتمل أن تغلب إحدى النزعات هو الذى يستلزم أن تكون النزعة العكسية لاشعورية. وعلى هذا فالاعتراضات التي تواجهنا كلها تتلخص في أن النتائج التي وصلنا إليها في تفسير الأحلام نتائج معقدة غير مستساغة. فأما كونها معقدة فإن في استطاعتنا أن نرد على ذلك بأن نلفت نظركم إلى أنكم مهما كنتم مغرمين بالبساطة والسهولة فلن تستطيعوا بذلك أن تحلوا مشكلة واحدة من مشاكل الأحلام، وعلى هذا يجب عليكم أن تشرعوا في تهيئة عقولكم من الآن لتقبل نتائج صعبة معقدة. وأما كونها غير مستساغة فإنكم ترتكبون خطأ كبيرا عندما تجعلون من ميلكم للشيء أو عدمه مقياسا تحكمون به على الأشياء أحكاما علمية. فماذا يهمنا إذا كنتم ترون أن النتائج التي وصلنا إليها في تفسير الأحلام نتائج غير سارة أو حتى على أسوأ الفروض نتائج بشعة تعافها النفس؟ إن الواجب يقتضى منا أن نطرح الميل والنفور جانبا إذا أردنا أن نقف على الحقيقة في هذه الحياة. فإذا جاء أحد علماء الطبيعة فأثبت لكم أن الحياة العضوية قمينة بأن تختفى من وجه البسيطة عما قريب، أيجد أحدكم من نفسه الجرأة على مواجهته قائلا: «كلا ياسيدى هذا لن يكون لأنى أكره هذا النظر كرها شديدا»؟ أظنكم لن تقولوا شيئا من هذا القبيل حتى يأتى عالم آخر فيثبت للأول أنه قد أخطأ في التقدير أو في الحساب. والواقع أنكم عندما تنكرون كل ما هو بغيض بالنسبة إليكم فإن ما تقومون به هو تكرار لعملية بناء الحلم وليس فهما لمرماه أو وصولا إلى معناه.

وعلى هذا أظن أنكم ربما تأخذون على أنفسكم أن تغضوا النظر عن الطبيعة الجارحة للرغبات التي تخضع للرقابة في الحلم ثم تحولون دفة المناقشة إلى أنه من غير المعقول أن نسلم بوجود مثل هذا الجزء الكبير من الشر في الطبيعة البشرية. ولكن هل تحقق تجاربكم في الحياة صدق هذه العبارة؟ إنى لن أقول شيئا عن هيئة الواحد منكم في نظر نفسه. ولكن هل صادفتم من النية الحسنة بين رؤسائكم ومنافسيكم، ومن الشهامة والكرم بين أعدائكم، ومن الحسد القليل بين زملائكم ما يدفعكم إلى الشعور بأنه يتحتم عليكم أن تحتجوا إذا قلنا إن الأنانية الوضيعة تلعب دورا كبيرا في الطبيعة البشرية؟ أو ولا تلمسون كيف يعجز الرجل العادى أن يملك زمام نفسه في كل ما يمس حياته الجنسية؟ أو هل تجهلون أن كل ما نراه في الحلم من انغماس في الضلالات أو إفراط في الشهوات ما هو إلا جرائم تحدث فعلا كل يوم، يرتكبها الناس وهم في تمام اليقظة؟ إن التحليل النفساني لا يفعل في هذه الحالة أكثر من أنه يعزز القول القديم لأفلاطون وهو أن الأخيار هم أولئك الذين يكتفون بأن يروا في أحلامهم ما يرتكبه الأشرار فعلا في حياتهم اليومية.

والآن دعوا الأفراد وانظروا إلى هذه الحرب الضروس [1] التي ما تزال تدمر أوربا: فكروا في هذه القسوة والوحشية الطاغية كيف انتشرت في أرجاء العالم المتمدن. أتعتقدون حقا أن في استطاعة حفنة من الرجال الفاسقين الذين لا مبدأ لهم في الحياة أن يقودوا العالم إلى هذا الشر المستطير إذا لم يكن ملايين الناس الذين اتبعوهم شركاء لهم في الجرم أيضا؟ أتجدون من أنفسكم الجرأة بعد ذلك على أن تنكروا وجود عنصر الشر في الطبيعة الإنسانية؟

أظنكم بعد هذا توافقون على أنه لا حاجة بنا إلى أن نطرح النتائج التي وصلنا إليها في تفسير الأحلام، حتى ولو أننا قد لا نستطيع أن نمنع أنفسنا من الشعور بأنها نتائج غريبة. وربما كان في

(١) الحرب العالمية الأولى

إمكاننا فيما بعد أن نصل إلى تفهم معناها عن طريق آخر ، ولكننا في الوقت الحاضر سنكتفي بأن نتمسك بالنتيجة الآتية وهي أن التحريف في الأحلام ينشأ عن الرقابة التي تفرضها بعض النزعات المعروفة للذات على الرغبات التي تجرح الشعور والتي تعتلج في صدورنا أثناء النوم . ومن الواضح أننا إذا سألنا أنفسنا عن مصدر هذه الرغبات التي تستوجب الزجر ولم لا تظهر إلا أثناء الليل ، فسنجد أننا مازلنا في حاجة إلى البحث الطويل وإلى الأجابة على أسئلة كثيرة . على أنه من الخطأ ألا نوجه إلى إحدى النتائج التي تتضح من هذا البحث ماتستحقه من الالتفات . فهذه الرغبات التي تظهر في الأحلام والتي تقلق نومنا تكون مجهولة لدينا ولا نعلم عنها شيئا إلا بعد القيام بتفسير الحلم ، وعلى هذا فهي تستحق أن يطلق عليها « لا شعورية في الوقت الحالي » بالمعنى الذي استخدمنا به هذا الاصطلاح من قبل ولكنا يجب أن نعلم أيضا أنها أكثر من « لا شعورية في الوقت الحالي » لأن الحالم كما رأينا مرارا ينكرها إنكارا باتا حتى بعد أن يقف على معناها عن طريق تفسير الحلم . وهذه الحالة تكرار للحالة التي صادفتنا من قبل عندما كنا نقوم بتفسير زلة اللسان « تفيقوا »[١] حيث أكد لنا الخطيب في حنق أنه لم يشعر نحو رئيسه بعدم الاحترام بتاتا لا في ذلك الوقت ولا في أي وقت آخر . وبالرغم من هذا فقد تجاسرنا على الشك في قيمة هذا التأكيد وفرضنا بدلا من ذلك أن الشاب كان على جهل مستديم بوجود هذا الشعور في نفسه . ونحن نجد أنفسنا في مثل هذا الوضع في كل مرة نقوم فيها بتفسير حلم من الأحلام التي تعرضت لدرجة عالية من التحريف . وعلى ذلك فإن في إمكاننا الآن أن نفرض أن هناك نزعات وعمليات في الحياة العقلية لا نعرف عنها شيئا . وهذا يعطي كلمة « لا شعوري » معنى جديدا فقد أصبح لا داعي كما رأيتم لأن نلصق بها الصفة « في الوقت الحالي » أو « مؤقتا » لأنها قد تعني أيضا « لا شعوريا مستديما » وهذه النقطة قد نعود إلى مناقشتها مرة أخرى فيما بعد .

( يتبع ) محمد جمال الدين حسن

(١) روى فرويد قصة هذه الزلة في محاضراته عن « سيكولوجية الأخطاء » فقال : « أقام أحد الشبان حفلة غداء لتكريم رئيسه ، وبعد أن تناول المدعوون الطعام وقف الشاب خطيباً بينهم يشيد بأخلاق رئيسه ، وأخيراً = رفع الكأس في يده ليقول : « أيها السادة إني أقترح على (auf) حضراتكم أن (auf) تشربوا ( an-zustossen ) نخب رئيسنا » . ولكن لسانه زل فقال : « أن تفيقوا ( من الفواق auf-zustossen ) وقد أرجع فرويد هذه الزلة إلى أن الشاب كان يضمر لرئيسه رغبة لا شعورية في السخرية منه . ولكن الشاب أنكر ذلك إنكاراً باتاً وقال إن لسانه زل نتيجة لتشابه الكلمتين في المقطع الأخير ( zustossen ) ولاستخدامه المقطع الأول ( auf ) قبل ذلك مرتين أثناء الحديث . غير أن فرويد يقول إن الزلة لم تكن نتيجة للتشابه بل إن التشابه كان الوسيلة التي مهدت الطريق لظهور الرغبة اللاشعورية إلى منطقة الشعور .

من قادة الإصلاح فى القرن الثالث عشر :

# الشيخ شــامل

زعيم القوقاز وشيخ المجاهدين

١٢١٢ – ١٢٨٧ هـ : ١٧٩٧ – ١٨٧١ م

للأستاذ برهان الدين الداغستانى

الداغستان :

تشغل بلاد الداغستان معظم القسم الشرقى من بلاد القوقاز ، وتمتد على الساحل الغربى لبحر قزوين . ما بين مصب نهر «ترن» شمالا وشبه جزيرة «أبشرون» جنوباً ، وتحدها قمم جبال القوقاز العالية مثل «البرز» و «قازبك» وممر «دريال» الشهير وبعض بلاد الكرجستان غرباً ، ومجرى نهر «ترن» شمالا وجمهورية اذربيجان جنوباً — هذه البلاد هى التى تسمى بالداغستان ، ومعنى الداغستان : بلاد الجبال . وليست هـذه المنطقة كلها جبالا كما يتبادر لأول وهلة ، ولكن طبيعة الجبال هى الغالبة فيها .

كانت هذه المنطقة المجاز الذى يجتازه الفاتحون الآسيويون إذا أرادوا الإغارة على أوروبا وبلاد الروسيين ؛ ويعبره الروسيون والتتار من الشمال إلى الجنوب إذا أرادوا التوغل فى آسيا . ولذلك كانت — دائماً — محط أنظار كل الفاتحين ، والغزاة من قديم العصور إلى يوم الناس هذا .

وما كاد المسلمون يبدأون عهد الفتوح أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى وصلت طلائعهم الظفرة إلى هذه البلاد سنة ٢٢ من الهجرة يوم جاء سراقة بن عمرو ، وبكر بن عبدالله ، وعبدالرحمن ابن ربيعة مع إخوانهم المجاهدين . ثم تتابعت الجيوش الإسلامية إلى هذه البلاد ، وتلاحقت وكانت «دربند» — عاصمة الداغستان — ثغراً من ثغور المسلمين التى يرابط فيها فى سبيل الله

أطماع الدول الكبيرة فيها :

استقر الحكم العربى الإسلامى فى هذه البلاد ، وسارت فى طريقها المهيأ لها فى هذه الحياة ، حتى إذا زال عنها سلطان العرب السياسى حافظت هى على تراث العرب الروحى : الإسلام وتعاليم الإسلام ، فكانت تستقل بشئون نفسها حيناً ، ويحتلها فاتح جديد أحياناً . حتى كان أواخر القرن العاشر الهجرى ، فاحتلها العثمانيون فى عهد «مراد الثالث» وهنا بدأت صفحة جديدة من تاريخ هذه البلاد ، فقد نبه احتلال العثمانيين لها أطماع الروسيين من الشمال ، وحفز الإيرانيين من الجنوب ، فصارت مثار أطماع هذه الدول الثلاث ، فكانت تحتلها هذه فترة ، وتلك فترة أخرى . وهكذا إلى سنة ١٢٣٢ هـ — ١٨١٦ م حيث تنازل الإيرانيون عن كل حق لهم بهذه البلاد وحكمها للروسيين ، واحتلها هؤلاء .

أثر هذا الاحتلال الجديد فى أهل البلاد :

وكان طبيعياً أن يكون لهذا الفاتح الجديد أثره وتأثيره فى البلاد وأهل البلاد ، فأخذ يتودد إلى الأهالى ويستميلهم بكل ما وسعته الحيلة من ترغيب وترهيب ، ويظهر أن سياسة الترغيب هذه لقيت نجاحاً إلى حد ما ، وقد صور الشيخ محمد طاهر القراخى الداغستانى هذه الفترة تصويراً دقيقاً إذ يقول : [١]

« وفى هذه الآونة — حوالى سنة ١٢٤٠ هـ (١٨٢٤م) — زاد اتصال الأهالى الداغستانيين بمستعمريهم طمعاً فيما يملكونه من مال وسلطان ، أو يمنحونه من قلادة أو وسام . وكان من أول نتائج هذا الاتصال أن ابتعد المسلمون شيئاً فشيئاً عن أحكام دينهم الذى أشربوا حبه ، وتغلغل فى أعماقهم ، ونسوا أوامره ونواهيه وأصبحوا مسلمين بأسمائهم فقط . وكانت البلاد فى هذه الفترة خالية من العلماء العاملين ، والمرشدين المخلصين الذين يحسنون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

فانتهز هذه الفرصة بعض الجهال المتزيين بزى العلماء ، وعلى الخصوص قضاة وحكام منطقة « الركستان » وأخذوا يتصلون بالجماهير ليلقوا فى نفوسهم أن سياسة الحكومة القيصرية ، واستعمارها لبلادهم — ولعلهم كانوا يعتقدون ذلك ؛ — هو عين العدل والإنصاف !!.

(١) فى مقدمة كتاب له عن الشيخ شامل وغزواته .

وكان لعمل هذه الطائفة أثره الكبير في وسط الجماهير من المسلمين ، فازدادت صلاتهم بالمستعمر ، وأخذوا يرسلون شبانهم ليقوموا ببعض الوظائف والأعمال والدواوين الروسية ، ثم تطورت الأمور إلى أبعد من ذلك ، وصاروا يحبذون السياسة الروسية التى تنتهجها نحو بعض الممالك الإسلامية ، وجندوا أبناءهم فى الجيوش الروسية الموجهة لغزو بلاد المسلمين » .

مولد الشيخ شامل :

فى مطلع هذه الحوادث وفى هذا الجو المضطرب المتقلب ، ولد شامل سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧ م) فى قرية « كمرا » من قرى منطقة « آوار » من بلاد الداغستان ، ونشأ بها كما ينشأ لداته ، وتعلم فى مدارس المساجد المنتشرة فى قرى الداغستان ودساكرها وأخذ بحظ لا بأس به من الدراسات الدينية والعربية ، وكانت الطريقة النقشبندية قد بدأت بالانتشار فى تلك الجهات على يد السيد جمال الدين القموقى والشيخ محمد اليراغى ، فانتظم فى سلك مريدى تلك الطريقة الصوفية ، فصار العالم الدينى الصوفى فى آن واحد . ولما بلغ شامل الثلاثين من حياته سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) واستد ساعده . ظهر فى قرية « كمرا » العالم المجدد المصلح الشيخ الغازى محمد الكمراوى الذى هاله ماوصلت إليه حال البلاد والعباد من التأخر الدينى ، والفساد الخلقى ، وقام يدعو الناس إلى الرجوع إلى دينهم ، والتمسك بآداب وأحكام الإسلام ، فكان « شامل » من أول التابعين له والداعين بدعوته ، ولازمه ملازمة الظل ، وأصبح أحد مريديه ، وأعوانه المقربين إليه .

واستمرت هذه الدعوة الاصلاحية اللينة المسالمة تسير فى طريقها المسلوكة تلقى القبول والسمع تارة ، والرفض والاباء والسخرية والازدراء تارات .

وفى سنة ١٢٤٥ هـ (١٨٢٩ م) قرر (الغازى محمد الكمراوى) على أنه لابد لكل دعوة إصلاحية جديدة من قوة تسندها ، وإلا فلا أمل فى نجاحها ، ولذلك بدأ يجند بعض الذين استجابوا لدعوته ويخوف بهم المخالفين له والباغين عليه . وفى هذه المرحلة أيضاً نجد « شاملا » أحد قواد الفرق التى كان يبثها الغازى محمد ، ويبعثها إلى الجهات للاغارة والتأديب .

وكثرت مصادمات الغازى محمد الكمراوى مع العصاة والمخالفين الخارجين على أحكام الدين . ومع رجال الدولة المستعمرة ، فكان يحالفه الظفر والنصر فى بعض الأوقات ، ويخونه الحظ فى أحيان ؛ ولكن « شاملا » فى كل الحالات كان الرفيق الملازم ، والمريد المخلص لأستاذه وقائده . ولما حاصر الروسيون الغازى محمد الكمراوى وأصحابه فى قرية « كمرا » فى يوم الاثنين الثالث من جمادى الآخرة سنة ١٢٤٨ هـ (٢٨ أكتوبر سنة ١٨٣٢ م) كان « شامل » مع الذين لازموه ، ودخلوا معه أحد المنازل فى القرية وتحصنوا فى داخله ، فلما اشتد الحصار ، وضيق الروسيون الخناق قام الغازى محمد ، وقذف بنفسه على الروسيين ، وقاتل حتى قتل أمام باب ذلك المنزل وسيفه فى يده . ورأى « شامل » استشهاد قائده ، فقام فى رفاقه خطيباً ، وقال ما مؤداه : « إذا كان الغازى محمد وقع شهيداً ، فلا ينبغى لنا أن نضيع وقتنا بالبكاء عليه ؛ ولعلنا نسير فى الطريق التى سار فيها ونلحق به ... إن حور الجنة ينتظرن ذهابنا إليهن شهداء أبراراً . فبدلا من أن نموت كما يموت الجبناء فى مكان مغلق مسدد نخرج ونقاتل حتى تأتينا الشهادة ، ونموت كراماً » . ثم شد يده على حسامه ، ورفع صوته بكلمة التوحيد — لا إله إلا الله — وقذف بنفسه إلى حيث الموت الشريف ، أو الحياة الكريمة ، وقاتل « شامل » قتال المؤمن الموقن بما عندالله للمجاهدين من إحدى الحسنيين . وأصيب فى أكثر من موضع واحد من جسمه ، ولكنه كان مؤمناً بالله وطالباً للشهادة فى سبيله ، فلم تخر عزيمته ولا ضعف ولا وهن ، فظل يحارب ويقاوم ، وانجلت المعركة ، ونجا شامل بنفسه ، ولكنه ما كاد يبعد عن هذا الجحيم ، ويسير فى شعب من تلك الشعاب بضع خطوات حتى خارت قواه ، وضعف جسمه ، فلم يستطع مواصلة السير ، وقضى ليلته على قمة جبل هناك ، تحت رحمة المقادير معرضاً لتقلبات الطبيعة القاسية فى تلك الأصقاع .

كان الهواء قاسياً قارساً ، وكان « شامل » عارى الرأس ، مجروح الصدر ، ملطخاً بالدم جميع أجزاء جسمه ، ولكنه لم يك ليشتكى من هذه الحال التى صار إليها أو يتألم ، بل انه كان يشكر الله سبحانه ويحمده على لطفه فى القضاء !! ...

وفى اليوم التالى أتته النجدة ، فجاء بعض أعوانه ، وأركبوه فرساً وساروا به الى حيث أهله وعياله وأسرته .

وبقى شامل طريح الفراش أسير الجراح ثلاثة أشهر كاملة ، لايبرح بيته ، ولا يستطيع الوقوف على قدميه .

(يتبع) برهان الدين الداغستاني




# حجرة التحمس !

ما دخلها قط إنسان إلا انقلب بعد دقائق مهما بدا من هدونه أول الأمر متحمساً من أشد التحمسين ؛ شهدت ذلك بنفسي وأنا قابع في ركن منها أتفرج من وراء منظاري على ما لم أستمتع بمثله في أية دار من دور اللهو ...

هي حجرة في ديوان إحدى الوزارات كتب على بابها : « المستخدمين » هكذا بالجر ! دخلتها والحر شديد وبنفسي ضيق وضجر فسرعان ما روح عني الضحك المتصل حتى لقد أنساني ضجري كما أنساني ما جئت له ...

الحجرة صغيرة مزدحمة بالقماطر أو ما يسميه الموظفون بالمكاتب ، وعلى كل قمطر ماعدا واحداً أضابير من الورق يعلم الله مبلغ ماقضته كل ورقة حيث رأيتها من عمر ...

وأمام كل قمطر — ماعدا واحداً غير ذلك الذي خلا من الورق — موظف ، وهم جميعاً فيما يخيل إلى من أعمارهم دون الأربعين وفيهم من هم دون الثلاثين ...

وكان أحدهم يقضم قضمات من رغيف أمامه ويأتدم بقطعة من الجبن ؛ وكان آخر يطالع في جريدة ؛ وكان ثالث يشرب القهوة ، واشتغل أربعة بأوراقهم ، وبقي واحد لا يعمل شيئاً قط فليست أمامه ورقة وليس في يده قلم أو صحيفة أو شيء مما يؤكل أو يشرب وكان ينظر في ساعته بين حين وحين ليرى متى ينصرف . . . وفهمت أنه من « المحاسيب » الذين يعينون لا ليعملوا ولكن ليرتزقوا ...

ودخل كهل هادىء الحركة فقصد أحد القماطر ورفع صاحبه رأسه فتجهم وتنكره إذ رآه ، مع أن القادم كان يبسم له ويظهر الاحترام ويختار أرق الكلام ؛ ولكن سرعان ما ارتفع صوته وهو يقسم بالله العظيم ثلاثاً ويهز سبابته كما يفعل الخطيب أنه جاء من أجل مسألته ما لا يقل عن ثلاثين مرة ، ولا يدري ما يعمل بعد ذلك . وبلغ به التحمس أن أعلن أنه ذاهب من فوره إلى المدير ، وقالها بلهجة من ينذر بالموت كأن الذهاب إلى المدير عنده فيه القضاء على الموظف المسكين ، وخرج من الحجرة ، وما استدار ليخرج حتى أخرج له ذلك الموظف لسانه وضحك هو وزملاؤه ملء أشداقهم ...

ولم يكد يبتعد خطوة حتى دخل شاب يمسح العرق عن جبينه وصفحة وجهه بمنديله ، ودنا من موظف آخر وسأله لعله يذكر موضوعه ، فقال له في دماثة متكلفة وهو يكتم ضحكه « أيوه ياسعادة البيه ، مر علينا بعد ثلاثة أيام تجد كل شيء على ما يرام »؛ وتحمس سعادة البك تحمساً صامتاً تجلى في احمرار وجهه وإرساله الزفرات وانصرف ليعود بعد ثلاثة ايام ؛ وتفكه الموظفون بالسخرية من سعادته والتهكم عليه .

ودخل ثالث فسأل أحدهم عن أمر فقال له « عند فتحي افندي في الحسابات » ، فخرج ثم عاد بعد قليل ليقول إن فتحي افندي لا علم له بالأمر ، فقال له « اترك لي المسألة ومر بعد يومين أو ثلاثاً تجدها خالصة » ففكر صاحبنا في الأمر قليلا ثم بدا له فتحمس وصاح قائلا « ماهذا ؟ أديوان حكومة هو أم دكان ؟ ودق القمطر بيده قائلا إنه ذاهب إلى المدير ، وانطلق والتحمس ملء بدنه ، وتحمس الموظفون في الضحك منه . .

ودخل رابع تبدو عليه الرزانة والتؤدة ، فسأل عن عبدالمنعم افندي من يكون فدله أحدهم عليه ، فمشى إليه في عسر بين القماطر وأخرج علبة سكاره ومد بها إليه يده وألح حتى تناول واحدة ، ثم كلمه في صوت خافت ، فتظاهر أنه يفكر ثم قال : مر غداً فإن عمر افندي غائب وهو الذي عنده مسألتك . فقال لقد جئت مرتين وعملي في حضن الجبل وأنا قادم هذه المرة في « تكسي » وهو عند الباب يدور عداده فهلا صنعت معروفاً فأعنتني ، فأجابه لا يمكن حتى يحضر عمر افندي ، وانصرف عنه إلى أوراقه ، فهزّ صاحب « التكسي » رأسه مرات وتنهد ثم قال وقد انقلب هدوؤه ثورة ، وإنه ليدق القمطر بيده دقات عنيفة : ماهذا ، مرة عمر افندي في

البنك ومرة عند المدير ومرة فى أجازة ... هذا لعب ومسخرة وقلة ذوق ... وبدأ التحمس فى جميع حركاته وإشاراته ... وانطلق من الحجرة يتوعد ويتهدد .

وجاء الخادم يطلب عبد المنعم افندى لمقابلة المدير ، فذهب إليه ثم عاد بعد دقيقة ففتش فى قمطر عمر افندى وأخذ منه أوراقاً ، وخرج ثم رجع بعد قليل يقول لزملائه « خلصنا منه يا سيدى ، وأمضى المدير أوراقه وبلاش غلبة ونفخة كدابة »

ودخل بعد لحظة شيخ معمم ذو لحية لحيا بتحية الإسلام ثم ضم أطراف جبته بيده ومضى إلى أحدهم ينفذ فى عسر بين القماطر ، فقال له هل وجدت الورق ؟ فقال : لا زلت أبحث عنه . وما كاد ينطق بهذا حتى صرخ الشيخ قائلا ما هذا ؟ حتى متى تسخر من ذقنى هذه يا ولد ؟ ونهض الأفندى مغضباً يدق القمطر بقبضته ويقول عيب ياسيدنا الشيخ لو لا أنك كوالدى ... ودق الشيخ بقبضته قائلاً العيب أن تكذب وأن تضيع الأوراق وتستخف بمصالح الناس وأوقاتهم ، وعاد الموظف يدق بيده دقات ويقول عيب يا سيدنا الشيخ ، والشيخ يعقب كل دقة منه بدقة من قبضته القوية حتى أيقنت أن القمطر لا شك متحطم ؛ ولكنى لم أحفل بالقمطر وإنما خشيت أن تنقلب الدقات لكمات أولطمات ، فقد بلغ تحمس الشيخ أقصاه وجحظت عيناه واصفر وجهه ودنا من الفتى ولولا أن سحبه إخوانه سحباً من وجه الشيخ لأهوى عليه بكلتا يديه ؛ وخرج الشيخ وهو يستنزل خيبة الله عليه .

وساد فى الحجرة الصمت لحظة ، ولم يفطن الموظفون إلى وجودى إلا وهم فى هذه الحال من الخزى والغم ، فسألنى أحدهم ما طلبى ، فأشرت إلى مكتب عمر افندى ، فقال إنه لن يحضر اليوم ؛ ومعنى ذلك أن أنصرف ؛ فنهضت للخروج وإنى لأقسم للقارىء بمحرجات الأيمان غير متحمس ، أنى ذهبت إلى تلك الحجرة من أجل مسألتى أكثر من خمسين مرة فى مدة سنتين ، وقضاؤها والله لا يستغرق ساعة ؛ ولم أستدر عند الخروج ، بل خرجت بظهرى مخافة أن يسروا عن صاحبهم بحركة منهم يكون فيها الزراية علىّ .

**الخفيف**

*خواطر مسجوعة:*

# الشــــعر . . .

إذا جاد الفكر ، بالمعنى البكر ، وكان الترجمان أميناً عادلا ، فألبس المعنى لفظاً معادلا ؛ واشترك القلب مع القلم فيما كتب ، وسرت الحياة فى كل وتد وسبب ؛ فحكى البيان ، حديث الوجدان ، وارتسم الإحساس ، على القرطاس ، وبرز السر المكتوم فى در منظوم ... فذلك هو الشعر ، وذلك هو السحر !

وما لا تنبض بالحس قوافيه ، فهو نظم مزهود فيه ، وما لا يصور حقيقة الحياة ، فهو من البضاعة المزجاة !

وليس بحراً ما لم تسمع تصفيق لجته ، وتسبيح موجته ، ولا بيتاً ما كانت دعامته واهية ، وأركانه متداعية !

والإحسان فى غير ما أطاع ، ليس بمستطاع . فالشعر يقرض قرضا ، وليس يفرض فرضا ؛ فإن اغتُصب ، أخطأ ولم يصب . وما يدعو ولا يدعى ، فهو إلى الاجادة أدعى ؛ فما دعاك فأطعه ، وما لم يدعك فدعه ؛ وإلا فإنك تمانى ما تمانى ، فى اغتصاب الألفاظ والمعانى ؛ مضللا فى الفيافى ، زاعما أنك رب القوافى !

والشعر أنفاس طروب ، أو نفثات مكروب ؛ فآناً تشمه نفحا ، وآناً تحسه لفحا ، وله فى الحالين هزته المؤثرة ، وقوته المعبرة . فكم أيقظ غافياً ، وأسكر صاحياً ! وكم ثورة أقامها ، وثورة أنامها ؛ فجرد سيف الناصر ، وأغمد سيف القادر . وكم هز بالبيت محفلا ، وأعز به جحفلا ! وكم أعد به جيلا ، وسد به قبيلا ! وكم حمى وأجار ، فى غير تلك الديار ! !

(الزنكلون) حامد بدر

# تحيـــة بغـــداد

للأســـتاذ أنور العطار

« ألقيت في الحفلة الكبرى التي أقامتها دار المعلمين العاليــة ببغداد احتفاء بالوفد الثقافي السوري في آذار (مارس) ١٩٤٧ »

بغداد بالعابق المخضوضر النادي ردى عليَّ رياحيني وأورادي
وألهميني حر القول ، خالصه ونضرى في ثنايا الحفل إنشادي
هبي لي الشــــعر أنغاماً مسلسلة
تهدى إلى الصيد من صحبي وأندادي
الساهرين على عقد قد انتثرت حباته بين أغوار وأنجاد
تخطفته رياح الأرض واطرحت نضيده صولة المستأسد العادي
جارت على سلكه نأياً وتفرقة وروعتـــه بتعذيب وإبعاد
بني العراق مثال الحب من عقدوا
على هوى العرب أكباداً بأكباد
تمرسوا بالوفاء المحض واتشحوا من الوداد بألطاف وأبراد
يا نفحة الضاد هبي في أباطحنا وزودينا العلى يا نفحة الضاد
عنا لها الدهر مزهواً بها فرحاً وظل مسترسلا في ركبها الحادي
لأنت زاد الأولى ازدان الزمان بهم
يا طيبـــه في اجتناء الحمد من زاد
وأشرق في سماء العرب وائتلق كالشمس في موكب بالنور وقاد
صوت العروبة دوى ملؤه أمل يجيش كالسيل في رغو وازباد
يهيب بالقوم قد ألوى الزمان بهم فأصبحوا نهبة للرائح الغادي
إن لم تثوروا على الباغين قد نكثوا فلستم في قراع الخطب أحفادي

***

ياجيرة العرب صان الله عقدكم وأسعدته الأماني أي إسعاد
يا نسمة من جنان الخلد طيبة ونفحة من روابي الشام والوادي
يا دمعة الحب تهمي رقة وأسى كالعامري يبكي في سفح توباد
فكانت الشمر والأشواق دمعته تصور الوجد من خاف ومن باد
حيّ الأخلاء والألاف قد درجوا ولم يكن طيفهم يوماً بمرتاد
نذراً علي - وقد عادت سوانحهم - لأصدحن بناياتي وأعوادي

***

ياحسن «دجلة» مسكوباً بها «بردى»
غني لها الكون ميّاداً بميّاد
ويا سنا «بردى» بالشط منطلقاً ينساب في نغمات البلبل الشادي
نهران إلفان ضمّ الحب شملها جلا عن الشعر في وصف وتعداد
يا رشفة منهما بالروح نسألها تحيي السقيم وتشفي غلة الصادي

***

في ظل بغداد طاف العرب وائتلفوا
وحققوا الوحدة الكبرى بميعاد
تمازجوا في إخاء رائع عجب كما تمازج أرواح بأجساد
بغداد في الشام ألحان مرتلة تلذ ، والشام من أنغام بغداد

***

آمنت بالوطن المنصور جانبه آمنت بالعرب أمجاداً بأمجاد
صاغوا من الخير دنيا لا كفاء لها يقصها الدهر آباداً لآباد
طافوا على الأرض بالآيات ساطعة وزينوها بتبيان وإرشاد
هم المنار يسير السالكون به ويهتدون بنور المرسل الهادي
العرب في ثورة للمجد شاملة علياء من صنع أبطال وآساد
حراس وحدتنا الكبرى ومن سفكوا
أرواحهم بورك المفديّ والفادي

***

يا فرحة الملتقى أذكيتني طرباً وجئت أحلى المنى في أرض أجدادي
تركت قلبي مغموراً بنشوته سكران تصبيه أفراحي وأعيادي

(دمشق) أنور العطار

# الأدب والفن في أسبوع

**القراءة الأدبية في المدارس :**

وافق معالى وزير المعارف على اعتماد الكتب الآتية للقراءة الأدبية بالمدارس الثانوية فى العام الدراسى القادم :

« الأيام — الجزء الأول » للدكتور طه حسين بك ، و « الصديقة بنت الصديق » للأستاذ عباس محمود العقاد ، و « نداء المجهول » للأستاذ محمود تيمور بك ، و « الشاعر الطموح » للأستاذ على الجارم بك ، و « عنترة » للأستاذ محمد فريد أبو حديد بك .

وذلك على أن يصرف إلى كل طالب كتاب من هذه الكتب على حسب مايتقرر من طريقة التوزيع ؛ وقد قصد بذلك أن تتصل أفكار الطلبة بالجو الأدبى العام ، فيقرأوا كتباً مؤلفة للجميع لا خاصة بالمدارس ، ولأول مرة تمنح المدرسة تلاميذها كتباً لم توضع عليها العبارة المشهورة المألوفة « قررت وزارة المعارف استعمال هذا الكتاب بمدارسها » ، ولم يثبت على غلافها عديد من أسماء المؤلفين ، ثم أعضاء اللجنة التى راجعت الكتاب ، وقد بلغت هذه الأسماء فى بعض الكتب ثلاثة عشر ، وكم ناء بها كتيب صغير !

وسينفذ هذا القرار الأخير القاضى بتقرير تلك الكتب الأدبية العامة لجميع تلاميذ المدارس الثانوية ، بشراء ما يلزم لهم منها ، أى أن وزارة المعارف ستنزل إلى السوق الحرة كأى من الناس فتشترى لتلاميذها هذه الكتب بأثمانها ، فتخرج بذلك على ما تتبعه من طبع الكتب المدرسية المقررة بالمطبعة الأميرية وتسعيرها على حسب نفقات الطبع المرتفعة ، تلك الطريقة التى يستفيد منها المؤلفون ، لا من حيث المكافأة القليلة التى ينالها كل منهم ، بل من طبعها للمدارس الحرة بنفقات أقل من نفقات المطبعة الأميرية وبيعها بالسعر الرسمى المقرر ، مما كان يؤدى إلى كثرة المؤلفين والمراجعين للكتاب الواحد .

ولا شك أن قرار وزارة المعارف الأخير ينطوى على كثير من المزايا الأدبية ، فى تثقيف الطلبة ، والخروج بهم عن نطاق المواد الدراسية المحدودة ، وتعويدهم القراءة الأدبية النافعة ؛ وينطوى أيضاً على رغبة مشكورة فى تشجيع المؤلفين ، وإن كان الذين اختارت لهم الوزارة كتباً فى غنى عن التشجيع ، ولعله كان يصادف موقعه لو كان بينهم من هو أحوج إليه مع جدارته ولايستطيع أحد أن يقول إن الإنتاج القيم محصور فى طبقة معينة من المشهورين أو غيرهم .

**قصص من السودان :**

لست أدرى أكان مقصوداً ، أم جاء عفواً ، ولكنه على أيها كان جميلا ، أن يحاضر الأستاذ إسماعيل الأزهرى رئيس الوفد السودانى ، بجمعية الشبان المسيحية ، بعد محاضرة مكرم عبيد باشا فى جمعية الشبان المسلمين .

وكان السودان موضوع كل من المحاضرتين ، وكان حسناً ومفيداً أن يتحدث الأستاذ الأزهرى عن السودان حديثاً يتناول فيه مختلف الشئون من ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية ، ولا أدل على مبلغ الحاجة إلى مثل هذا الحديث مما بدأ به الأستاذ إذ قال إنه اجتمع فى مصر منذ قليل بشاعر مصرى زار السودان أخيراً ودار بينهما حديث قال فيه الشاعر إنه عند ما هم بالرحيل إلى السودان جعل يفكر حائراً : بأى لغة يخاطب القوم فى السودان ؟ وكيف يتفاهم معهم ؟ ولكنه ما حل بالخرطوم وأم درمان حتى ألفاهم يتكلمون لغة عربية لا تقل إبانة عن لغة شمال الوادى ، بل إنه لقى هناك من الشعراء من طارحوه الشعر وجاروه فى ميدان القريض ، ولما عاد إلى مصر كان من نتاجه قصيدة رائعة نشرت بصدر الأهرام . ولم يسم الشاعر ، ولكن كان مفهوماً أنه الأستاذ محمد الاسمر .

كان هذا الاستهلال ذا مغزى ، فإن إخواننا بالجنوب يعتبون علينا لجهل أكثرنا بهم ، وأظن أنا أعتبناهم ، فقد أصبحنا فى السنوات الأخيرة غير ما كنا .

وأخذ الأستاذ الأزهرى فى حديثه عن شئون السودان . ومما يناسب المقام هنا ما ذكره من الجهود الثقافية التى بذلها المؤتمر السودانى إذ قال إنه أنشأ فى خمس السنوات الأخيرة من المدارس الابتدائية بمختلف البلدان السودانية ضعف ما أنشأته الحكومة السودانية منها فى خمسين سنة !

ولما كان عنوان المحاضرة الذى نشر بالصحف « قصص من السودان » فقــد كنا نتوقع أن نسمع قصصا حقيقية ، ولـكن كان المراد من كلمة « قصص » شئوناً تتضمن وقائع تحـكى فى سياق الـكلام .

**أى الجيلين خير ؟ :**

دعت مجلة « الهلال » إلى ندوتها ثلاثة من أعلام الأدباء ، هم الأســتاذ عباس محمود العقاد واحمد أمين بك والدكتور أحمد زكى بك ، للمناقشة فى هذا الموضوع « أى الجيلين خير .. القديم أم الجديد ؟ » ، ونشرت هذه المناقشـــة فى العدد الصادر أول الشهر الحالى .

رأى الأستاذ أحمد أمين أن الجيل الحاضر خير فى جملته من الجيل الســابق ، وأن مجموعة الأخلاق أرق الآن مما كانت فى الجيل الماضى ؛ ووافقه الأستاذ العقاد على تفضيل الجيل الحاضر فى بعض نواحى الخلق ، ولا سـيما الأخلاق التى تتعلق بالحرية الشخصية ، ولـكن من المشكوك فيه أن تكافىء قوته ما زاد عليه من الواجبات والتكاليف ، لأن مشكلات الحياة العالمية العامة ، والوطنية الخاصة ، ومعضلات الأخلاق والعقيدة ، التى تواجه الجيل الحاضر ، لم يكن لها نظائر واجهت الأجيال الماضية .

ويرى الدكتور زكى أن الجيل الحاضر من حيث النوع ، ومن حيث الـكم أيضاً ، لا يمكن أن يقل عن الجيل الماضى بل يزيد فى العلم والثقافة والحضارة ، ولـكنه يرى — من الجهة الروحية — أن فى أرواح القلائل من الجيل الماضى ما هو أرفع وأثمن مما فى أرواح الـكثيرين من الجيل الحاضر ، ومثل لذلك بالتضحية فقال « كنا قبلا نضحى لأجل التضحية وحبا فيها ، وطلباً لهدف واحد ، بغير من أو غرور ، ولا نطلب على ذلك أجراً ، بل ننتظر من وراء ذلك الغرم ، ثم تطور معنى التضـحية ، فصارت تضحية نرجو بها الثمن ، إما معجلا أو مؤجلا ، ثم تطور معناها مرة أخرى ، فصارت فى هذا العصر تضحية لها ثمن مضمون ... »

وتستمر المناقشــة متفرعة من هذه الأصول ، إلى أن يقول الأستاذ العقاد : « وأيا كان الأمر فى الجيلين ، القديم والحديث ، فما لا شك فيه أن الإصلاح الإنسانى ، سواء كان فى أمة واحدة أو فى أكثر من أمة ، متوقف دائماً على التضامن بين الجيلين .

وتنتهى المناقشــة برجائهم ألا تخلو الأمة المصرية والأمم الشرقية عموما ، من صالحين بين الشيوخ ، وصالحين بين الشباب ، لتقوم دعائم الإصلاح على هؤلاء وهؤلاء .

وهكذا قال الجيل القديم – ممثلا فى أولئك الثلاثة الأعلام – كلمته فى المفاضلة بين الجيلين ، ويستطيع القارىء أن يستخلص من جملة آرائهم رجحان كفة الجيل الجديد ، ولـكن الجيل الجديد لم يعلن رأيه فى هذا الموضوع فى جلسة ذات محضر ينشر كما حدث فى « الهـلال » فليت ثلاثة أدباء من الجيل الجديد يفعلون ، ليسمع الآباء كلمة الأبناء .

**سر الزخرفة العربية :**

ألقى الدكتور بشر فارس مساء الخميس الماضى محاضرة فى « سر الزخرفة العربية » بالمعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، وكانت هذه أول محاضرة يلقيها بالمعهد بعد تعيينه عضواً مصرياً فيه من الحـكومة الفرنسية .

بيّن المحاضر أولا أن الزخرفة العربية فن له ذاتيته الابتداعية ولم يخضع للفن الفارسى الجامد ولا للفن اليونانى المتناهى الوحدات ، لأن الفن العربى زاخر بالحركة والحياة ، وهو إلى ذلك لا تنتهى حدوده ، بحيث لو وضعت بجانب الزخرفة مثيلاتها اتحدت معها .

ثم تســاءل : لماذا كان للزخرفة العربية تلك الخصائص ، ولماذا برع المسلمون — من عرب ومستعربين — فى الزخرفة وخصت بهم زخرفتهم ؟

أورد الرأى المشهور القائل بأن الفنانين المسلمين ركزوا جهدهم الفنى فى الزخرفة لما حرم عليهم تصوير كل ذى روح ، ثم فند هذا القول بأنه ليس فى أصول الإسلام رأى قاطع بهذا التحريم ، وعلى فرض أى الأمرين ، الإباحة أو التحريم ، فقد وجدت صور كثيرة ذات أرواح ، إنسانية وحيوانية ، صورت فى العصور الإسلامية .

وانتهى من ذلك بأن أرجع سر الزخرفة العربية وبراعة المسلمين فى أشكالها وألوانها إلى جملة العقيدة الإسلامية فى تفتيشها عن الله وخضوعها لحـكمه وتعظيمها له ، فكان الفنانون يتجهون

إليه فيما يرسمون ، وكانوا يجملون برسومهم المساجد والمصاحف ابتغاء الغبطة فى السماء التى هى خير وأبقى من متاع الدنيا .

ولم يكن فن الزخرفة قاصراً على الأشكال والألوان ، بل كان أيضاً فى الخطوط كالخط الكوفى مثلا الذى كان له حظ كبير من الفن الزخرفى تم له من الفكرة الإلهية ، إذ كانت تكتب به آيات القرآن الكريم ؛ وقد انحدر عن هذه الفكرة أيضاً تحسين الخط العربى فى العصور الإسلامية الأخيرة ، فقد كان الخطاطون يبتغون الثواب من الله على كتابتهم المصاحف بالخط الجميل

**العامية و برنامج الإذاعة :**

أخذنا على محطة الإذاعة المصرية ـ فى عدد مضى من الرسالة ـ الإكثار من الإذاعة العامية فى التمثيليات والأحاديث ، سواء العامى منها والعربى « المكسر »

وفى الأسبوع الماضى اطلعت على إجابة للأستاذ محمد فتحى بك المراقب العام للاذاعة المصرية ، عن أسـئلة وجهتها إليه مجلة « دنيا الكواكب » اللبنانية ، منها هذا السؤال . « نطالع فى الصحف المصرية شكوى مستمرة من ضعف برنامج الإذاعة المصرية ، فما هى الطرق الفعالة لملافاتها ؟ »

أجاب الأسـتاذ فتحى بأن الجمهور متباين المزاج مختلف الطبقات ، ومن الصعب إرضاؤه كله ببرنامج واحد ، وإن الاذاعة فى بريطانيا واجهت هذه المشكلة وعمدت إلى حلها بأن قسمت الشعب البريطانى إلى ثلاث فئات ، عامة ، ومتوسطة ، وعالية ، ثم خصت كل فئة من هذه الفئات ببرنامج على محطة مستقلة إلى أن قال : « ونحن لو اتبعنا هذه الطريقة لاستطعنا أن نقضى على تلك الشكوى المستمرة قضاء مبرما فاستطعنا إذا وجدنا ثلاث محطات أن نقدم لكل من طبقات الشعب الثلاث برنامجاً خاصاً يتوافق مع مستواه وتفكيره ، حيث نقدم للأولى رقصاً بلدياً وزجلا وحديثاً باللهجة العامية وأحاديث دينية ، بينما نقدم للطبقة الثانية وهى طبقة المثقفين برنامجاً يشتمل على معالجة الحالة السياسية والأخبار الدولية والمواضيع الاجتماعية والأبحاث والروايات الأدبية ، وفى الوقت نفسه نذيع للطبقة العالية برنامجاً يحتوى على موسيقى كلاسيكية وأحاديث وقصصاً لبرناردشو وشكسبير وأعلام الفلسفة »

فترى هذا الحل المترتب على الإمكان يتضمن إرضاء طبقة الشعب بالتحدث إليه باللهجة العامية ، فهل هذه الطبقة تشكو من العربية حتى نترضاها بالعامية ؟ أو من الحق أن الشعب يستثقل العربية الفصيحة ؟ إننا نعتقد أن أسماع الشعب لا تنفر إلا من الأساليب غير البينة والإلقاء الردىء ، وأنه من الممكن أن تجتذب الأسماع بالبيان السهل الواضح والإلقاء الحسن ، وإذا كنا نكتب الحكايات والقصص للأطفال بلغة عربية فصيحة سهلة فيستسيغونها ويقبلون عليها ، أفلا نستطيع أن نخاطب الكبار فى الإذاعة بمثل لغة الأطفال على الأقل ؟ وكيف إذن يكون تثقيف الجمهور ورفع مستواه ؟

على أن للشكوى من برنامج الإذاعة وجهاً آخر غير تباين الأذواق الذى عنى الأستاذ فتحى وجود ثلاث محطات لمواجهته بتنويع البرامج ، ذلك الوجه هو قصور المحطة ذاتها وضنها على تحسين البرنامج وتجديده ، ويتلخص ذلك فى تكرار التسجيلات بل دوامها وخلودها . . وفى اختيار الأرخص والمرضى عنه ، ولقد كان من المخجل — على سبيل المثال — أن تريد المحطة إحياء ذكرى شوقى فلا يكون ذلك إلا بإدارة « اسطوانات » قديمة لعبد الوهاب من شعر أمير الشعراء !

**المحاضرات بالمصطاف :**

حل الصيف ، واشتد القيظ ، واتجهت الأنظار إلى المصايف ، وفى مقدمتها الاسكندرية ، وقرأنا فى الصحف أن بلدية الاسكندرية قد اهتمت بتيسير وسائل الاصطياف فى هذه المدينة وضواحيها ، وأنشأت مكتباً لذلك ، وقد أذاع هذا المكتب بياناً بالحفلات الكبرى التى تقرر إقامتها فى هذا الصيف ، وهى حفلات رياضية وتمثيلية وموسيقية .

قرأت ذلك فى الصحف ثم رجعت البصر إلى القاهرة ، فأسفت لأنها تكاد تخلو فى الصيف من النشاط الفكرى الذى كان يجرى قبل هجوم الحر فى أنديتها ومجتمعاتها ومعاهدها محاضرات ومناظرات فى مختلف الفنون والشئون .

ثم استمعت إلى الدكتور ابراهيم جمعة مدير نشر الثقافة بوزارة المعارف يحدث بالمذياع يوم الاثنين فى « الاصطياف فى الاسكندرية قديماً » سمعته يقول إنه كان بشاطىء الاسكندرية فى




**الصداقة والعلاقة :**

قال أبو حيان التوحيدى : سألت أبا سليمان المنطق عن الفرق بين الصداقة والعلاقة فقال : « الصداقة أذهب فى مسلك العقل، وأدخل فى باب المروءة، وأبعد من نوازى الشهوة، وأنزه عن آثار الطبيعة، وأشبه بذوى الشيب والكهولة، وأرى إلى حدود الرشاد، وآخذ بأهداب السداد، وأبعد من عوارض الغرارة والحداثة. فأما العلاقة فهى من قبل العشق والمحبة والكلف والشغف والتتيم والتهيم والهوى والصبابة والتدانف والتشاجى، وهذه كلها أمراض أو كالأمراض بشركة النفس الضعيفة والطبيعة القوية، وليس للعقل فيها ظل ولا شخص، ولهذا تسرع هذه الأعراض إلى الشباب من الذكران والأناث وتنال منهم وتحول بينهم وبين أنوار العقول وآراء النفوس وفضائل الأخلاق وفوائد التجارب، ولهذا وأشباهه يحتاجون إلى الزواجر والمواعظ ليفيئوا إلى ما فقدوه من اعتدال المزاج والطريق لوسط، على أن العشق والمحبة وما يحويهما فيه كلام من نحو آخر ... » .

**كيف يسوس الرجل زوجه :**

وقفنا فى هذا على كلمة للشيخ الرئيس أبى على بن سينا كأنه كتبها لهذا العصر، وليست هذه الكلمة إلا دلالة على أن ما بين المرء وزوجه إنما هو هو فى كل زمان وفى كل عصر.

قال الشيخ الرئيس :

« جماع سياسة الرجل أهله ثلاثة أمور لا ندعه، وهى الهيبة الشديدة، والكرامة التامة، وشغل خاطرها بالمهم. أما الهيبة فإن الزوجة إذا لم تهب زوجها هان عليها، وإذا هان عليها لم تسمع لأمره ولم تصغ لنهيه، ثم لم تقنع بذلك حتى تقهره على طاعتها فتعود آمرة ويعود مأموراً ... وذلك هو الانتكاس والانقلاب، والويل حينئذ للرجل ماذا يجلب له غرورها وطغيانها ويسوقه إليه غيها وركوبها هواها من العار والشنار والهلاك والدمار. فالهيبة رأس سياسة الرجل أهله وعمادها، وهى الأمر الذى ينشد به كل خلة ويتم بتمامه كل نقص ولا يتم دونه أمر فيما بين الرجل وأهله، وليست هيبة المرأة لبعلها شيئاً غير إكرام الرجل نفسه وصيانة دينه ومروءته وتصديق وعده ووعيده

أما كرامة الرجل أهله فمن منافعها أن الحرة الكريمة إذا استجلت كرامة زوجها دعاها استدامتها لها ومحاماتها عليها وإشفاقها من زوالها إلى أمور كثيرة جميلة لم يكد الرجل يقدر على إصارتها إليها من غير هذا الباب بالتكلف الشديد والمؤونة الثقيلة، على أن المرأة كلما كانت أعظم شأناً وأفخم أمراً كان ذلك أدل على نبل زوجها وشرفه وعلى جلالته وعظم خطره. وكرامة الرجل أهله على ثلاثة أشياء : فى تحسين شارتها وشدة حجابها وترك إغارتها ...

وأما شغل الخاطر بالمهم فهو أن يتصل شغل المرأة بسياسة أولادها وتدبير خدمها وتفقد ما يضمه خدرها من أعمالها . فإن المرأة إذا كانت ساقطة الشغل خالية البال لم يكن لها هم إلا التصدى للرجال بزينتها والتبرج بهيئتها ... » .

**الكتابة والحديث :**

يقول الكاتب الأمريكى المعروف أوليفار هولمز فى كتابه حديث المائدة : « الكتابة كالرمى بالنشاب، قد تصيب من قارئك موضع الفهم وقد لا تصيبه، ولكن الحديث كالتمرن على الرمى، متى كان الغرض أمامك وفى الوقت متسع ضمنت لنفسك الإصابة »

---

العصر الرومانى حمامات وأحواض للسباحة، يأخذ الجسم حقه من الرياضة فيها، ثم يستريح فى بعض الحجرات التى زودت بالفرش والكتب، أو فى الحدائق ذات الجواسق الجميلة، أو فى استماع المحاضرات العامة ببعض القاعات التى أعدت لهذا الغرض فى أبنية الحمامات.

فيا ليت بلدية الاسكندرية أو أية هيئة أخرى تلتفت إلى ناحية الثقافة فى المصطاف، فتعيد إليه ما كان فى العصر الرومانى من تنظيم المحاضرات العامة، مستغلة فى ذلك وجود بعض رجال الأدب والفكر هناك، ويا ليتنى أكون معهم فأفوز فوزاً عظيماً.

« العباسى »

**أرمني وقبطي :**

جاء في كتاب مختصر تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي :

« وفي سنة ٥١٥ للهجرة مات بمصر الأفضل أمير الجيوش شاهنشاه أحمد بن أمير الجيوش بدر الأرمني وكانت ولايته ٢٨سنة على الديار المصرية ، واستولى الآمر على حواصله كلها ولم يسمع في الدنيا بمثلها كثرة ، فكانت دوابه تقدر بأثني عشر ألف ألف دينار ، وكان لابن المواشي التي له يغل في العام ثلاثين ألف دينار » وذكر ابن خلكان أن الأفضل « خلف ألف ألف دينار ومائتين وخمسين أردب دراهم وخمسة وسبعين ألف ثوب ديباج » .

وجاء في كتاب الذيل لتاريخ الدول « وفي سنة ٧٠٣ قبض السلطان على الوزير علم الدين بن زنبور وصودر بعد الضرب والعذاب فكان المأخوذ منه من النقد مايزيد على ألفي ألف دينار ، ومن أواني الذهب والفضة نحو ستين قنطاراً ، ومن اللؤلؤ نحو أردبين ، ومن الحياصات الذهب ستة آلاف ، ومن القماش المفصل نحو ألفين وستمائة قطعة ، وخمسة وعشرين معصرة سكر ومائتي بستان وألف وأربعمائة ساقية ، ومن الخيل والبغال ألف ، ومن الجواري سبعمائة ، ومن العبيد مائة ومن الطواشية سبعون إلى غير ذلك ، وكان علم الدين هذا قبطياً ثم ارتد عن دينه ... » .

**الطبيب الكامل :**

قال علي بن رضوان الطبيب المتوفى سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة في كتابه الأصول :

« الطبيب على رأي بقراط هو الذي اجتمعت فيه سبع خصال

الأولى : أن يكون تام الخلق صحيح الأعضاء حسن الذكاء جيد الروية عاقلا ذكوراً خير الطبع .

الثانية : أن يكون حسن الملبس طيب الرائحة نظيف البدن والثوب .

الثالثة : أن يكون كتوماً لأسرار المرضى لا يبوح بشيء من أمراضهم .

الرابعة : أن تكون رغبته في إبراء المرضى أكثر من رغبته فيما يلتمسه من الأجرة ، ورغبته في علاج الفقراء أكثر من رغبته في علاج الأغنياء

الخامسة : أن يكون حريصاً على التعليم والمبالغة في منافع الناس .

السادسة : أن يكون سليم القلب عفيف النظر صادق اللهجة لا يخطر بباله شيء من أمور النساء والأحوال التي شاهدها في منازل الأغنياء فضلا عن أن يتعرض لشيء منها .

السابعة : أن يكون مأموناً ثقة على الأرواح والأموال لا يصف دواء قتالا ولا يعلمه ، ولا دواء يعالج الأجنة ، وأن يعالج عدوه بصدق نية كما يعالج حبيبه ... » .

**الصحف الأجنبية في أمريكا :**

ظهر من إحصاء أخير أذيع بأمريكا أن عدد الصحف الأجنبية اليومية والأسبوعية والشهرية التي تصدر هناك يبلغ ١٠١٠ صحيفة تطبع في ٣٩ لغة مختلفة ، منها ١٣٠ صحيفة باللغة الأسبانية و ١١٥ باللغة الألمانية و ١٠٢ باللغة الإيطالية و ٧٩ باليونانية و ٥٦ باللغة العبرية و ٥٤ بالمجرية و ٥٢ بالتشكوسلوفاكية و ٤٣ بالفرنسية و ٤٢ بالسويدية و ١٤ باللغة الصينية و ١٢ باللغة العربية و ٩ باليابانية

وينشر العدد الأكبر من هذه الصحف في ولاية نيويورك إذ يبلغ مجموع الصحف الأجنبية التي تصدر فيها ٢٩٠ صحيفة وتحتل شيكاغو المكان التالي إذ يصدر فيها ٩٤ صحيفة ومجلة

**يقول الأحباش في أمثالهم :**

- إذا قال لك السيد إن نصف الليل هو الظهر فاحلف له أنك رأيت الشمس .
- إذا رأيت الملك راكباً حماراً فقل له ما أجمل هذا الجواد .
- متى رأيت الكلب غنياً فقل له يا سيدي الأسد .
- الوطن قبل الروح لأنه مقر راحتك .
- فرق الذين تريد أن تحكمهم .
- حين تكون البضاعة مرغوبة يكون المشتري أعمى .
- صناعة الحلاقة تتعلم على رؤوس اليتامى .
- الله قريب من رأس الضيف .
- هب ما عندك لضيفك .




## مناظرة لا داعي لها :

أنا ما كتبت كلتي ( إلى علماء الشــيعة ) لأجدد شقاقا ، ولـكن لأحدث وفاقا ، وما أردت أن أثيرها داحسية بين السنة والشيعة ، ولـكن أردت أن ننسى أننا كنا سنة وشيعة ونعود أمة واحدة ، تستقى من النبع الصافي ، وترد المورد العذب ، وتسلك الطريق المستقيم ، وتدع السبل المنحرفة ، وتأخذ الدين من الـكتاب وما أثر من تفسيره ، والسنة وما صح من أخبارها ، وتعرف لسلف هذه الأمة فضلها علينا وعلى الإنسانية كلها ، وما ظننت أني قلت شيئاً يسوء مسلماً ، وكيف وأنا أدعو إلى الوحدة ، وأرجو الوئام ؟

لذلك قرأت بعجب بالغ هذا السيل من المقالات الذي اندفق على الرسالة من العراق : مقالة من القرنة بامضاء ( عبد الحسين الراضي ) يقول فيها . « ليكف ( أحمد أمين ) عن النبز واللمس يـكف السبيتي وغيره » . ومقالة من بغداد بامضاء ( عبد الأمير السبيتي ) ينكر عليّ قولي إن الشيعة حزب سياسي نشأ لتأييد أحد المرشحين للخلافة ، ويدلني على كتب سبق أن قرأت أكثرها لأرى « إذا كان الشيعة جمعية سياسية أم أنها أكثر الطوائف الإسلامية تمسكا بمبادىء محمد وأشـــدها التصاقا بالدين الحنيف الخ » ويسألني لماذا لم أثر على أحمد أمين لما ألف فجر الإسلام وثرت على السبيتي لما رد عليه . أي لما سب الصحابة والأئمة وطعن في الصحيحين ... ويقول عني ما نصه : « لو نظر إلى الـكتاب ( أي كتاب السبيتي ) بغير العين التي نظر إليه بها لرأى المؤلف معتمداً في كل ما كتبه ( في كل ما كتبه . . . ) وقاله على كتب معتبرة عندكم معشر أهل السنة ( ؟ ! ) وعززها بأدلة معقولة ( ؟ ! ) ثم يسب في المقال معاوية وأبا هريرة ومروان أكثر مما سبهم صاحب الـكتاب . ومقالة من بغداد بامضـاء ( رشيد عباس الصفار ) ينكر علي فيها قولي إن الشيعة حزب سياسي ويفيض في ذلك ، ويطعن في بيعـة أبي بكر ، ويعجب من تسامح إخوانه أهل السنة « في إطلاق إسم الصحابي بصورة موسعة على كثير ممن يبرأ منهم جل الشيعة ويمقتهم كثير من أهل السنة أمثال ... أبي هريرة الوضاع ومروان بن الحكم عدو الإسلام .. ومعاوية داعي البغي والشقاق والمغيرة .. وعمرو بن العاص وكثير ممن لا يوثق بهم » .. ويقول بأن الشيعة « لا يمكنها الأخذ بمصنفات أهل السنة مع وجود تفاسيرها المعتبرة وأحاديثها المأثورة عن أهل البيت الطاهر الخ » وسبب ذلك « تسامح أهل السنة في تخريج كثير من الأحاديث في صحاحهم وغيرها عن كثير من الخوارج والشـذاذ والمبتدعة والوضاعين الخ كمروان وأبي هريرة والمغيرة الخ » ثم يتكلم عن مسألة سب الصحابة فيقول « ثم على فرض جراءة بعض الشيعة على انتقاص بعض الصحابة أيكون ذلك سبباً لتكفيرهم أو خادشا في إسلامهم ؟ »

وسائر المقالات لم تخرج عن هذا ، ولا يخلو شيء منها من التعريض بي أو التصريح بغمزي وأنا أسامح من سبني ، ولن أقول في الوضوع أكثر مما قلت ، ولا أظن أن هذه المناظرات مكانها الرســالة ، التي أنشئت لغير هذا إنما مكانها (دار التقريب ...) التي (قالوا) إنها فتحت له . وأنا أعلن أني لم أرد الخلاف ولا الانتقاص، وما أردت إلا الإتفاق بإخلاص . وشرعت طريقاً إليه لا مناص لمن أراده من سلوكه . ولـكن ما ذا أعمل إذا كان إخواننا هؤلاء لا يريدون سلوك الطريق ؟ !

**علي الطنطاوي**

## نسبة خاطئة يكذبها التاريخ :

استوقفت نظري في صـفحة ٣٤٨ من كتاب القضايا الـكبرى للأستاذ عبد المتعال الصـعيدي . عند قوله — وكان ابن تيمية يخطب يوم الجمعة ونزل درجة من درج المنبر وقال إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا .

وهذه المسألة ذكرها ابن بطوطة في رحلته وعنه نقلها المتحاملون على شيخ الإسلام ، وقد قال المحققون إن ابن بطوطة قدم الشام وشيخ الإسلام مسجون فكيف رآه يخطب بل هذا كذب مراد به الطعن على شيخ الإسلام ابن تيمية . وهذا لا يقول به شيخ

الإسلام لأنه من مذهب المجسمة وابن تيمية ينكره أشد الإنكار — تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

ليس كمثله شيء وهو السميع البصير — ورجائي إلى الأستاذ أن يراجع ذلك ثم يوافينا برأيه السديد الموفق إن شاء الله

عبد الله البكري

### الى الجارم بك :

أوردتم في كتيبكم الأخير « الشاعر الطموح » الأبيات الآتية منسوبة إلى « سيف الدولة » وهي في وصف قوس قزح :

وساق صبيح للصبوح دعوته ... فقام وفي أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم ... فمن بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفاً ... على الجو دكناً والحواشي على الأرض
يطرزها قوس الغمام بأصفر ... على أحمر في أخضر تحت مبيض
كأذيال خود أقبلت في غلائل ... مصبغة والبعض أقصر من بعض

والحقيقة أنها للشاعر ابن الرومي وهي من أروع ما أنتجته قريحته في وصف الطبيعة . وقد جاءت في ديوانه الذي عني به الأستاذ كامل الكيلاني .

هذا إلى أن حضرتكم قد ذكرتموها في كتاب المطالعة التوجيهية في باب المقارنات الشعرية مقرونة بنادرة بين ابن الرومي وابن المعتز في المفاضلة بينهما .

« القاهرة » جميل

### ذكرى الرافعي :

لما كنت أعرف مكانة الرافعي في الأدب وأعلم بلاءه وجهاده في سبيل الاسلام فقد كنت أنتظر ذكرى وفاته العاشرة وأنا راج أن يكون أصدقاؤه وتلاميذه قد أعدوا لإحيائها عملا لا كلاما فيتداعوا لنشر كتبه التي طال على إهمالها الزمن فيطبع « أسرار الاعجاز » و « أغاني الشعب » و « مجموعة » شعره الكبرى وجزءاً رابعاً لوحي القلم فإن هناك ما يقوم به من مقالاته المبعثرة في كثير من الجرائد والمجلات وكتبه الخاصة إلى أصدقائه ، كنت أرجو أن يكون هذا أو بعضه فإن لم يكن فأحاديث عن فنه وجهاده من مثل الأستاذ شاكر أو الأستاذ الطنطاوي وإنهما ليكتبان الآن في كل شيء وليس فيما يكتبان فيه ما هو أجل من الرافعي ومعانيه : الدين والأدب الفني الرفيع والعزة الاسلامية

فلما جاءت الذكرى كتب الأستاذ أبو رية كلمة يشكر عليها فقد كانت صريحة منصفة إلا أنه لم يشر بشيء عملي مع أنه ذكر اسم الكتاب العبقري « أسرار الإعجاز »

إن الورق رخيص والكتب من كل لون تنشر ويدعى لها ، فهل كل هذه الكتب أثمن من كتب الرافعي ؟ وهل كتبه أهون من أن تصدر مع هذا السيل من الكتب ؟

« الرمل » محمود الطاهر الصافي

### إلى الجاحظ :

قرأت ما كتبته في الرسالة تعقيباً على إحدى مقالاتي في البلاغ . والحق معك . فإليك تحيتي وثنائي .

زكي مبارك

### حول خطأ عروضي :

أرجو أن تأذنوا لي بهذا التصويب حول ما نشرتم للأستاذ خليل ابراهيم الخطيب عن (الخطأ العروضي الشائع) في العدد رقم ٧٢٥ من الرسالة الغراء ، فقد قال الأستاذ إن قصيدة الأستاذ مختار الوكيل التي مطلعها :

أخي قد شاء رب الكو ... ن أن يجمع قلبانا

قال الأستاذ إن هذا المطلع من بحر الهزج وإن البيت الذي يليه من مجزوء الوافر . والحقيقة هي غير ما بين الأستاذ الخطيب والقصيدة كلها من مجزوء الوافر الذي يجوز فيه تسكين اللام في (مفاعَلتن) فتكون (مفاعَلْتُن) كما ورد في قصيدة شاعر النيل حافظ ابراهيم التي مطلعها :

(سكتُّ فأصغروا أدبي) ومنها البيت الآتي :

فهبوا من مراقدكم ... فإن الوقت من ذهب

وعلى هذا لا يقال إن قصيدة حافظ خليط من الهزج والوافر بل هي كلها من مجزوء الوافر (مفاعلتُن مفاعلتَن) ويجوز فيه تسكين اللام — ولكم يا سيدي ألف شكر .

نظام مدني

(الرسالة) : مطلع القصيدة من بحر الهزج بدليل الكف وهو حذف السابع الساكن في التفعيلة الثالثة . ولم نر فيما قرأنا من الشعر الصحيح النقص في مفاعلتن وهو اجتماع العصب والكف : أي تسكين الخامس المتحرك وحذف السابع الساكن .




# إليـــاس

« إلى الذين يجدون سعياً فى سبيل السعادة »

للكاتب الفيلسوف ليو تولستوى

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

يحكى أنه كان يعيش فى بلدة « يافا Ufa » واحد من البشا كرة يدعى « إلياس » ... قضى أبوه نحبه بعد أن متع ناظريه بزوجة ولده — دون أن يخلف له شيئاً من الأرض يأتى له بريع من الرزق يعيش هو وامرأته عليه . فلم يدع له سوى سبعة من الخيول والأفراس وبقرتين وعشرين رأساً من الغنم ...

فشمر إلياس عن ساعد الجد ... وكان ماهراً فى رعاية الحيوان بارعاً فى تربيته ذا جلد ومثابرة ، فراح يتولى ماشيته بعنايته ، ويهيء لها من المرعى والمأوى كل ما يدخل فى طوقه ...

وكان — هو وزوجته — يعملان سحابة يومهما وجنحاً من ليلهما ... ينهضان على تبكير مع الغسق ... وهما آخر من يأوى إلى مضجعه فى المشى . وأقاما على تلك الحال حتى بارك الله فى ما شيتهما ، وضاعفها . فزادت وتكاثرت عاماً إثر عام ، وأتيح لهما وفر فيما يملكان من ثروة ومال ...

وحينما وافت السنة الخامسة بعد الثلاثين على تمها صار لإلياس من الخيول مائتان ، ومن البقر مائة وخمسون ومن الغنم ألف ومائتان ...

فاستأجر رجالا يحملون عنه عِبءَ الرعى ويقومون على معونته ... وأتى بأجيرات من النساء يحلبن له ماشيته ويمخضون ألبانها ويستخلصون منها الزبد والسمن والجبن «والكميس [(١)]»

(١) شراب روسي يتخذ من لبن الأفراس بعد أن يخمر حيناً .

فأيسر « إلياس » ... وأخصب جانبه وأرغد عيشه ، وراح يعيش فى بلهنية ودعة ... فعظم مقامه بين جيرته ، وذاع شأنه بين من يقطنون فى واديه . وأخذ كل امرىء يغبطه ويتحدث عنه — وفى نفسه حسد — « إن إلياس رجل بخيت ذو جد جلب عليه كل ما يراود أمل الإنسان من رغبات ... فهو — دون ريب — سعيد بهذه الدنيا هانىء بها

تقاطرت على « إلياس » جموع الزوار من كل حدب ... فكان يتلقى كل واحد منهم بالترحيب والتكريم ، وينحر لهم الخراف ويهيء لهم موائد حافلة باللذيذ الفاخر من الطعام والشراب ويقدم له ما راق لهم من « الكميس » والشاى ...

كان لإلياس ولدان وبنت زوجهم جميعاً ... وحينما كان فى أيام فقره وعسره كان هؤلاء الأبناء عونا لأبيهم فى رعاية قطمانه وحتى إذا ما زخرت خزائنه بالمال سرت إلى نفوسهم عوامل الفساد والتلف . فأقبل واحد منهم على الخمر يعب كؤوسها حتى يضل منه الوعى ويحمل مخموراً إلى داره . ولم يلبث أن قتل فى عراك بين أبناء الحيء من ذوى النفوس الشريرة .

أما الآخر فقد تزوج بامرأة رقيعة خرقاء ، جعلت تسعى بالباطل بين الولد وأبيه حتى أوغرت نفسيهما وأضغنت قلبيهما . فافترقا بعد أن تخلى « إلياس » لإبنه عن جواد وقطيع من الغنم

لم ينقض حين على ذلك حتى تفشى المرض بين الماشية ، فأورد كثيراً منها مورد الهلاك والفناء ... وساء الحصاد فى هذا العام ولم تأت الأرض إلا باليسير ... فحصد الموت بعض ما تبقى من الجوع . ثم أغارت قبائل « القرغيز » على أملاك « إلياس » فاستحوذت على البقية الباقية من حيواناته ...

وبين ليلة وضحاها أصبح إلياس ، فإذا بأمواله قد عبثت بها يد الزمان ، وأدبرت عنه الدنيا وهى ساخرة فى حين ضعف فيه جسده ووهنت قواه ... فباع أثاث داره ثم لم يلبث أن باعها هى الأخرى .

وبات هو وزوجته — وكانت تدعى «شام شماجى» — على الطوى وليس لهما من موئل يأويان إليه ، فقد رحل ولدهما وزوجته عن البلدة ، وماتت ابنتهما منذ زمن بعيد . فلم يجد الزوجان إلى جانبهما فى خريف العمر من يسعى عليهما بالقوت ...

وكان لهما جار يدعى « محمد شاه » ليس بالغنى وليس بالفقير بل يحيا حياة ذات رخاء ويسر ... فعطف عليهما ورحم كبرهما إذ كان ذا قلب يفيض بالحب وعروق تنبض بالرحمة . فطاف بعقله ما كان عليه « إلياس » من كرم وجود . فقال له : —

تعال وأقم معي يا إلياس أنت وزوجك العجوز ... وما عليك سوى أن تفلح حديقة البطيخ في الصيف ، وفي الشتاء تطعم الماشية وترعاها ... إذا وسع مقدورك هذا !! أما زوجتك الفاضلة « شام شماجي » فسوف تحلب الأفراس وتستخرج لنا من ألبانها « كيسا » طيب المذاق بديع الصنع .

وسأهيء لكما من الملبس والطعام ماتقر به عيونكما وترومانه فإن أعوزتك حاجة بعد ذلك تخبرني بأمرها ، وإني لأعدك بأن أتيحها لك ما وجدت إلى ذلك سبيلا ...

أقبل « إلياس » وامرأته على العمل في خدمة جارهما . ولعلهما صادفا في أول الأمر صعوبة ، وشقت عليهما الخدمة . بيد أنهما لم يمكثا غير قليل حتى تعودا ذلك ، واستقر بهما المقام عنده يعملان له ما يسعهما ...

وقد كان يتسرب الألم والرثاء إلى قلب « محمد شاه » حينما يبصر بهما بعد غناهما العريض وعلو منزلتهما ، ينحدران إلى مثل هذه الحال . لقد حز في نفسه هذا ولكنه أفاد منهما إذ أطلق لهما حرية الأمر ، فلم يسعهما سوى أن يتفانيا في خدمته بإخلاص وجد

وذات يوم نزل في ضيافة « محمد شاه » نفر من ذوي قرابته وصديق له من رجال البحر فذبح « إلياس » لهم شاة وسلخها وبعد أن أنضجها على النار ، بعث بها إلى الأضياف فأكلوا منها ما طاب لأنفسهم ...

وبينما هم قعود على البسط الثمينة يتناقلون الحديث ويرشفون كؤوس « الكميس » مر بهم إلياس — وقد فرغ من عمله — فلما أبصره « محمد شاه » قال لواحد من أضيافه : « هل لمح طرفك هذا الرجل الذي مر بنا منذ لحظات ؟ ! »

فأجابه الضيف في عجب : « أجل . ! فما الذي يدعو إلى سؤالك هذا ؟ ! »

— « لقد كان أغنى إنسان في هذه الناحية من الأرض ! . إنه يدعى إلياس . أما سمعت بذلك الاسم من قبل ؟ ! »

— « لقد طرقت سمعي أخبار عنه مؤكداً . . إني لم أره قبل الآن ولكن شهرته ذاعت في كل البقاع ! . »

— « هذا حق .. بيد أنه الآن صفر اليدين ذو متربة وعسر . فهو يقيم معي هنا يعمل في أرضي ويرعى أغنامي ، أما زوجته فتحلب ماشيتي وأفراسي ! . . »

فأدرك الدهش ذلك الضيف ومط شفتيه وهز رأسه وهو يقول : « الأيام دول من سره زمن ساءته أزمان . فبين عشية وضحاها يصير المرء من أعلى عليين إلى أسفل سافلين !

هل ترى المصيبة تقض مضجع هذا المسكين وتجعله يندب حظه على ماضاع من بين يديه ؟ ! »

— « ومن يدريك ؟! إنه يعيش في هدوء وسكينة يحسن القيام بعمله » فعاد الضيف يقول : « بودي أن أتحدث إليه حيناً هو وزوجته ، أفيمكنني هذا ؟ »

— « ولم لا ؟ ! » وراح السيد ينادي على إلياس : « ياأبت . هيا اشرب معنا قدحاً من الكميس . وادع زوجتك إلى هنا كذلك . »

فدلف إلياس مع زوجته إلى الحجرة ... وبعد أن ألقى تحيته على الأضياف جلس على قرب من الباب ، وراح يتمتم بصلات خفية في صوت خفيض ... أما زوجته فتجاوزت المكان إلى ستر في ركن منه حيث جلست خلفه مع سيدتها ...

وقدم « محمد شاه » إلى إلياس قدحاً من أقداح « الكميس » فتناوله ولسانه يلهج بعبارات الشكر والحمد ، وبعد أن تمنى للحاضرين صحة وعافية راح يترشفه على مهل ، ثم وضعه جانباً . فقال له الضيف الذي كان يروم رؤيته . « حسن يا أبتاه . أحسب أن حديثنا سوف يثير في نفسك لواعج الحزن والأسف ويبعث في نفسك ذكرى ما كنت تتملكه من دور وضياع ومواش ذهبت هباء مع الريح .. لعلك آسف وضيق النفس بما أنت فيه الآن !

فوضحت على ثغر إلياس ابتسامة هادئة وقال في صوت رزين « لو أني أخبرتك ما هي السعادة ، وما هي عثرة الحظ ... لأثار ذلك دوافع الشك في نفسك ! . فيحسن بك إذن أن تسأل زوجتي . فكل ما في قلوب النساء يجري طلقاً على ألسنتهن ... ولسوف تنبئك عن بينة بجلية الأمر ! .. »

فاستدار الضيف نحو الستار .. وهو يقول : « هلا تخبرينا يا جدتي العجوز ... كيف أن سعادتكم السابقة تقرن بما يكتنفكم الآن من بؤس وشقاء ؟ ؟ »

فارتفع صوت « شـام شماجى » من خلف الستار : هذا ما يدور بخلدى ! لقد عشت أنا وزوجى العجوز خمسين عاماً نسعى فى سبيل السـعادة وننقب عنها ، فلم ندرك لها أثراً ... ولـكنها الآن فى هاتين السنتين الأخيرتين — منذ أن ودعنا الغنى ورفعة الشأن ، وأصبحنا نعمل كأجيرين بلغنا السـعادة وعرفناها على حقيقتها وصرنا ننعم بها كل صباح ومساء ... فلسنا نبغى أسعد من أيامنا هذه ! . »

فرانت الدهشـة والعجب على وجوه الأضياف وكذلك صاحب الدار الذى قام فحسر الستار عن مكان المرأة العجوز وهى جالسة ، وقد عقدت يديها على صدرها وراحت تتبسم لزوجها فابتسم هو الآخر لها .

وبعد أن مضت برهة من الصمت تعلقت فيها الأنفاس عادت تقول فى صوتها الهادىء : « إنى لا أحدثـكم بغير الحقيقة ... وما فى قولى مبالغة بل هو الحق الخالص ... لقد أبلينا ربع قرن من الزمن ونحن نسعى إلى السعادة ... وعلى قدر ما كنا أغنياء كانت محرمة علينا . أما الآن وقد صرنا أجيرين لا نملك من متاع الدنيا شيئاً أحسسنا بالسعادة التى لا نود بديلا منها ... »

فقال لها ذلك الضيف متســـائلا : « بالله خبرينا ما هذه السعادة التى تشملك أنت وزوجك فى إعسـاركما بعد اليسر وإدبار الدنيا عنـكما بعد إقبالها عليـكما ؟ ! »

— « أصبت ! . حينما كنا أغنياء كان لدينا من المشاغل ما يصرفنا عن ائتناس الزوج بزوجته وتآلف روحينا . وعبادة الله عز وجل ... لقد كان الناس يفدون علينا فنسهر على خـدمتهم وتوفير مايثلج قلوبهم خشية أن تتناولنا ألسنتهم بالسوء ويتحدثون عنا بما نكره ... فإذا ما رحلوا كان علينا أن نراقب عمالنا ومن يقومون على خدمتنا حتى لا تنزع بهم دوافع الشر إلى خيانتنا فيما نعهد به إليهم ...

كما أننا كنا نحاول أن ننقص أجورهم ونفيد منهم أكثر مما نستحق . فارتـكبنا الخطيئة الأولى .

ثم إننا كنا — إذا ما جن الليل — نبيت ونحن أيقاظ خشية أن تفترس الذئاب والوحوش بعض الأغنام أو يعمد فريق من اللصوص إلى سرقتها فى غفلة من حراسها . وننهض بين حين وآخر لنطمئن عليها ... وغير ذلك مما كان ينشأ من المشاكل ، ثم أضف إلى ذلك ما كان ينشب بينى وبين زوجى من شجار ونزاع ... فهو يريد شيئاً وأنا أود ما هو ضده فنخطىء ثانية ...

وهكذا كنا لا نكاد نتجاوز صعوبة حتى نقابل أخرى ... ونستدبر خطيئة حتى نواجه ثانية فمشنا لا نجد إلى السعادة سبيلا ! »

— « حسن .. والآن ! . »

— « الآن .. حينما أفيق أنا وزوجى « العزيز » فى الصباح بعد نوم هادىء مطمئن لا ينغصه الخوف ولا الفزع .. نتبادل كلمات الحب وعبارات الود ... وبدأنا نحيا فى هدوء وسـلام لا تعكر صفوه تلك الأسباب التى كانت تثير النزاع والشقاق بيننا .

ليس علينا من واجب سوى خدمة ذلك السيد الـكريم الذى أحسن إلينا ... فنحن نتفانى فى العمل لصالحه ... حتى لا يحس فى وجودنا مضرة به أو ثقلا عليه ... ونتناول غداءنا هنيئاً مع أكواب « الـكميس » ... وقد توفرت لدينا الأخشاب التى نطعمها النار ونستمتع بدفئها إذا ما اشتدت وطأة البرد ويأتينا سيدنا بالثياب ذات الفراء التى تعوزنا .

أما الوقت فقـد بتنا نجد فيه ما يتسع لحديث كل منا إلى الآخر فى ود .. و .. غزل .. فنفـكر فى أنفسنا ونتعبد متقربين إلى الله نسأله الصفح والغفران عما ارتـكبناه من الخطيئات .. نعم لقد سعينا خمسين عاماً فى سبيل السعادة فلم نجدها إلا الآن ! . »

فضحك الأضياف .. ولـكن إلياس ما لبث أن قال لهم فى صوت ذى جرس هادىء وإن شاعت فيه رنة العتاب :

« ليس ثمت مجال للضحك ! . أيهـا الرفاق .. فليس هـذا الحديث مثاراً للضحك والهزل .. بل عبرة وعظة .. إنها حقيقة الحياة .. لم ندركها إلا حينما توج رأسينا المشيب ..

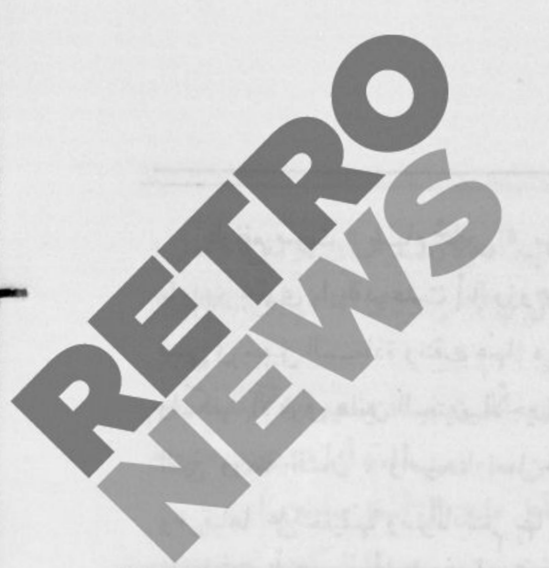
لقـد كنا نحن كذلك سخفاء وحمق حينما بكينا طويلا على ما ضاع منا من ثروة وعلو شأن ... ولـكن الله — تعالت قدرته هدانا الآن إلى الحقيقة .. فما أجلها وما أجلها ..

إنا لا نذكر هذه الحقيقة لـكم ابتغاء السلوى والعزاء لنـا ولـكن نجلوها على أسماعكم لهدايتكم وخيركم ! . »

فقال « الملاح » وقد اغرورقت عيناه بالدموع : « إنك لعلى حق يا إلياس .. إنه حديث الحـكمة والوعظة .. وقد جاء ذكره فى الـكتب المقدسة التى نزلها الله ليهدى بها عباده .. »

وأمسك الأضياف عن الضحك . واستغرقوا فى فكر عميق .

(القاهرة) مصطفى جميل مرسى





مطبعة الرسالة



العدد ٧٢٨ - الاثنين ١٦ يونية ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة



فهرس العدد


صفحة

أسد إفريقية ... ... ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ... ... ٦٧٠

تحقيقات تاريخية ... ... ... : الأستاذ أحمد رمزى بك ... ... ٦٦٥

إنذار ! ... ... ... ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ... ٦٦٨

بين أدب المرأة وأدب الرجل ... : السيدة الفاضلة منية الكيلاني ... ٦٧٠

مشروع التقسيم ... ... ... : الأستاذ فؤاد طرزى ... ... ... ٦٧٣

نشيد فلسطين ... ... ... ... : الأديب حنا فارس مخول ... ... ٦٧٥

الشيخ شامل زعيم القوقاز وشيخ المجاهدين : الأستاذ برهان الدين الداغستانى ... ٦٧٧

ليالى الحصاد ... ( قصيدة ) : الأستاذ محمود الخفيف ... ... ٦٨٠

« **تعقيبات** » : مسابقة فى غير ميدان — هذه الألفاظ الأثرية — ٦٨١

الشيوعية فى هوليود — الشعر والغناء ... ... ... ... ... ... ٦٨٢

« **الأدب والفن فى أسبوع** » : التربية ورفع المستوى الاجتماعى — ٦٨٣

توفيق الحكيم يرد الوسام الفرنسي — الأدب المصرى القديم — شيء جديد — قروى فنان — النجوى الموسيقية — أفلام ثقافية عربية — مطبوعات الدول العربية ... ... ... ... ... ... ... ... ٦٨٥

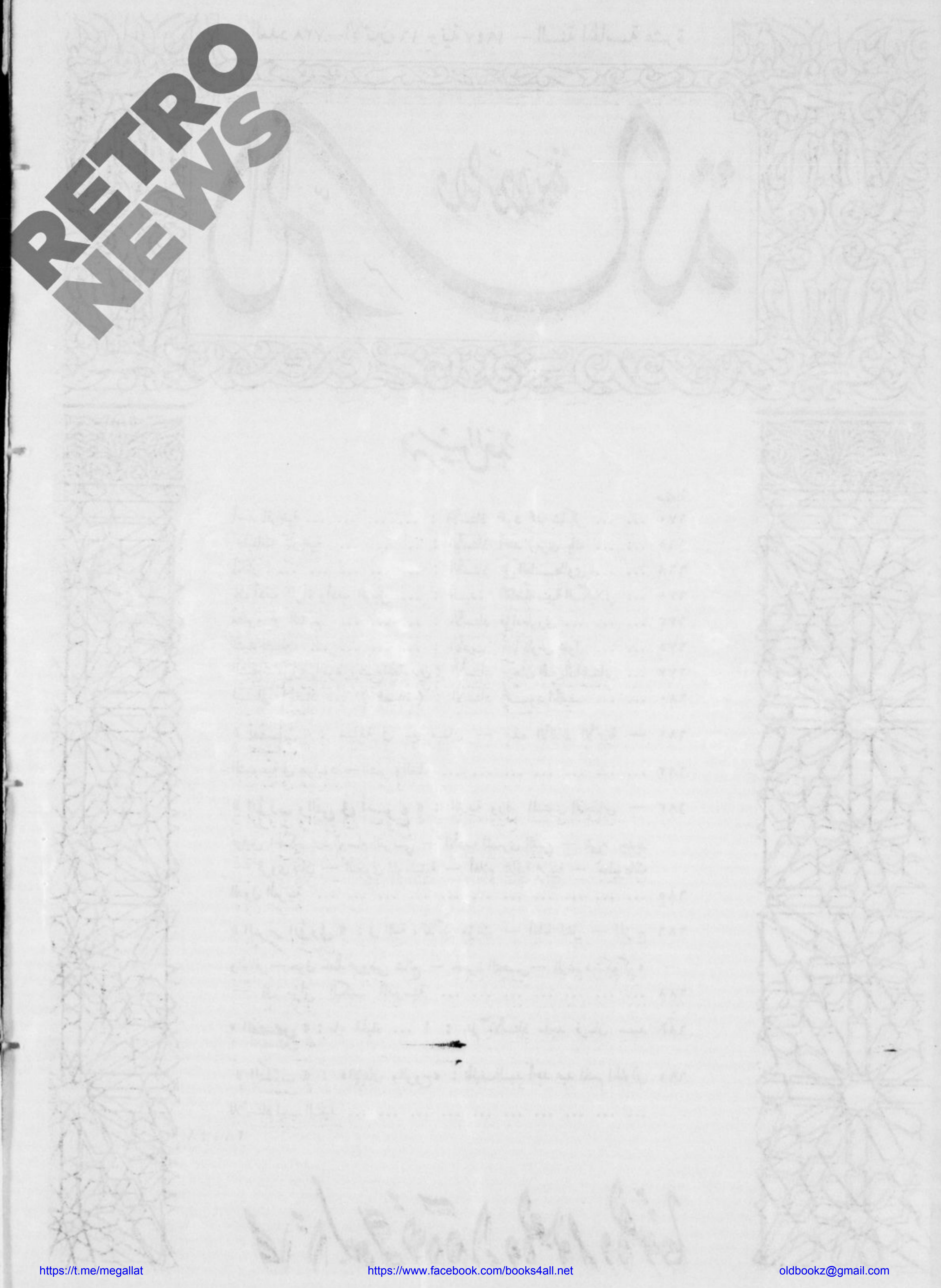
« **البريد الأدبى** » : فى اللغة ، تذكير مؤنث — أمانة النقل — الهزج والوافر — حول خطأ عروضى شائع — حجرة التحس — الزعيم « شكوكو » — إلى مؤلفى الكتب المدرسية ... ... ... ... ... ... ٦٨٨

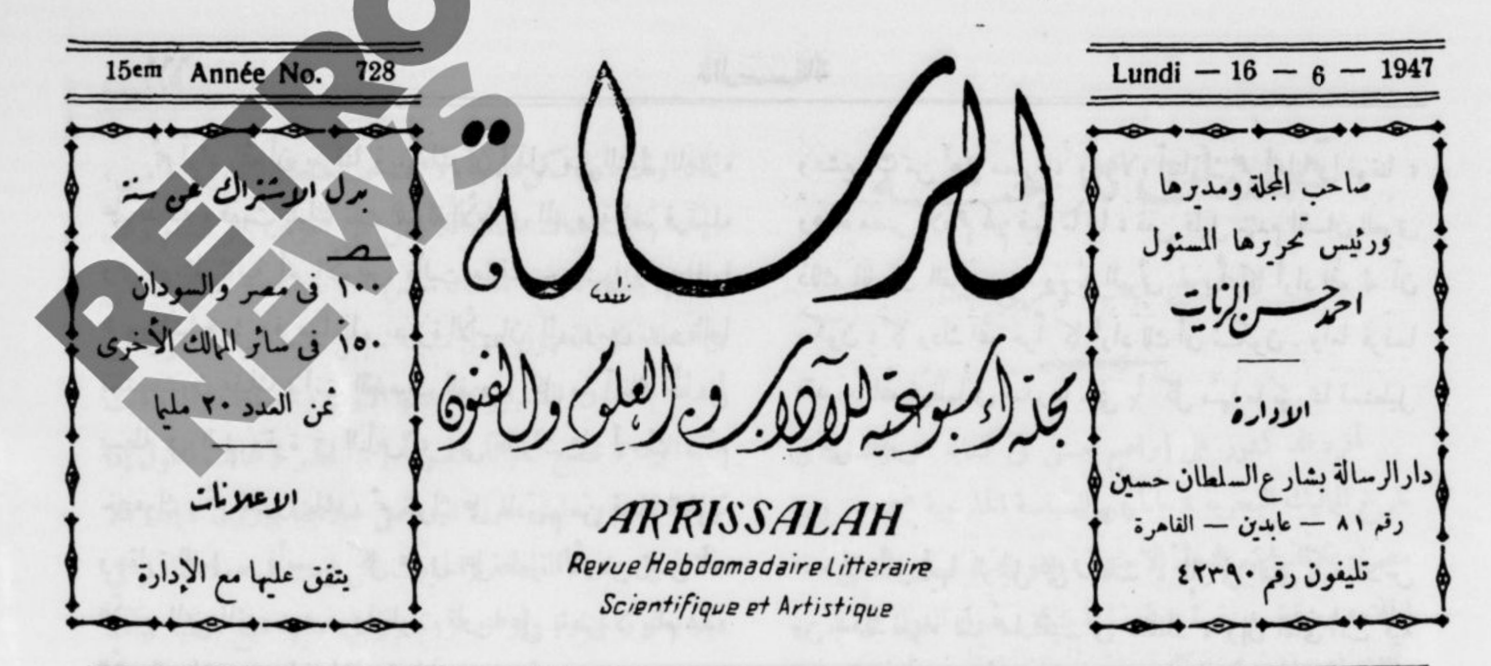
« **القصص** » : ماء الحياة ... ! : بقلم الأستاذ ماجد فرحان سعيد ٦٨٩

« **الكتب** » : « الإيمان والروح » : تأليف السيد أحمد عبد المنعم الحلوانى ٦٩١

للأستاذ لبيب السعيد ... ... ... ... ... ... ... ... ...


٢٨٥٤٨








العـــدد ٧٢٨ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٧ رجب سنة ١٣٦٦ — ١٦ يونية سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

# أســـد إفريقيـــة

للأستاذ محمود محمد شاكر

إلى أسد إفريقية الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي .

السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبعد :

ملأت فضائلك البلاد ، ونقبت
في الأرض ، يقذفها الخبير إلى العمي

فكأن مجدك بارق في مزنة ... قِبَل العيون ، وغرة في أدهم
واليوم مقذ للعيون بنقعه ... لا يهتدي فيه البنان إلى الفم
لم يبق غير شفافة من شمسه ... كمضيق وجه الفارس المتلثم

فأنت ، أبقاك الله ومتعك بالعافية ، قد كنت في تاريخ العرب الحديث نفحة علوية من مجد آبائنا الغر الميامين ، وكنت في ضمير كل عربي صدى للأماني البعيدة التي لا تزال ترددها دماؤنا في أبداننا العربية الحية ، وكنت قبساً من فضائل أسلافنا يحدث عن نفسه بلسان عربي مبين ، وكنت برهاناً جديداً لأهل البغي على أن العربي لا يذل أبداً ولا ينام على الضيم يراد به . ثم كتب الله لك بعد عشرين سنة من الأسر أن تعود كما كنت عربياً حراً حمى الأنف ذكي الفؤاد ، تأنف لأمتك وعشيرتك أن يروا ميسم ذلهم وهوانهم على جبين أكرمه الله بالنصر مرة ، وامتحنه بالأسر تارة أخرى . فعش في حمى مصر أيها الرجل أميراً على قلوب مليون نسمة من العرب وأربعمئة مليون من المسلمين ، وجزاك الله عما قدمت للعرب أكرم جزاء وأوفاه .

***

كنت يومئذ في العقد الثاني من عمري شاباً ينبض بين جنبيه قلب يتلفت إلى مجد آبائه ويحن إلى تاريخهم حنيناً طويلا كأنه لوعة ثكلى على وحيدها ، وكانت مصر كلها لا تزال ترسل الصرخة إثر الصرخة طالبة أن تنال في الحياة حريتها التي استلبها البغاة الطغاة شياطين الأرض ، وكانت الدماء في أبداننا تريد أن تطفئ ظمأ الأرض المصرية بما يجري على ظهرها من دماء الشهداء حتى تمحو عار الاحتلال عن هذه الأرض المطهرة ، ولكن زعماءنا أبوا إلا السلم وطمعوا أن ننال حقنا بالمفاوضة ، أي بخديعة الغاصب حتى ينخدع لنا فيترك لنا ما سلب .

ثم أصبحنا يوماً فإذا بنا نسمع عن « أسد الريف » الذي هب من غابه ونفض نواحيه وزمجر واجتمع للوثبة ، وإذا هو يضرب يميناً وشمالا لا يدع للأسبان متنفساً حتى اضطرهم إلى أقبح مواطن الذل تحت قدميه ، وأوردهم شرائع العار شلا وطرداً حتى سجدت له تلك الجباه المتغطرسة في حمأة من الضراعة والذل . كانوا يريدون أن يسوموا أهل مراكش أن يسجدوا لهم في مثلها ، فأبيت إلا أن تمرغهم أقدارهم تحت هاتين القدمين الطاهرتين النبيلتين ، فأتم لك الله النصر عليهم كما شاء .

ثم أراد الله أن يعرفنا ويعرفك أن أنذل من النذل ناصره على نذالته ، فهبت إليك تلك الدولة الأخرى المعروفة باسم فرنسا، وهى يومئذ ثانية أمم الأرض فألبت عليك جيوشها وجحافلها « وبيتانها » ؛ وفزعوا إلى نصرة الأسبان المهزومين ، وظلوا يستجيشون عليك ، أنت الضعيف الفرد ، كل ما آتاهم الله من بسطة فى العلم وقوة فى البأس ، حتى غلبوك على أمرك ، ثم خدعوك ، ثم غدروا بك ، ثم نفوك على عادتهم من فساد الطوية وحقارة الفعل . فأصبح كل عربى على ظهر الأرض يحس أنه الأسير المنفى المغدور به ، وانطوت قلوبنا على بغض لا ينام لهذه الأمم التى لا شرف لها ولا ذمة ولا عهد .

ثم تقضت الأعوام وشارفتُ الأربعين ، وإذا أنت حر طليق فى أرضى وبلادى . فما كدت أسمع ذلك حتى انطوت أيامى وعدت كما كنت فى نحو العشرين ، شاباً يحس دماءه تغلى لهذا النبأ كأننى انطلقت من الأسر وخرجت من المنفى لأعيش حراً طليقاً كما تعيش أنت اليوم فى مصر . ومصر هى أم المروءات ، فإن ساء ذلك فرنسا أم الغدر والخيانة ، فإننا لن نفارق أخلاقنا وأخلاق آبائنا لكى نعينها على آثامها ومساوئها ، بل سنرد عليها بغيها مهما لقينا فى ذلك من سوء أخلاقها وقبح فعالها .

ونحن لا نعلم علماً يقيناً ماذا فعلت بك هذه الأمة الحريصة على ابتذال عرضها بين الأمم ، أيام كنت فى منفاها ، ولكن كفانا طول الاستقصاء أن نعلم أنها حرمت على تلك الألسنة العربية الصغيرة فى أبنائك أن تعرف منطق آبائها وأسلافها ، فقد اضطرتها بجبروتها وقسوتها أن تتجافى عن الكلمة العربية التى تمثل للعربى أمجاد أمته فى ألفاظ من نور هذه اللغة الشريفة .

وسيقولون إنك أنت الذى أردت لأبنائك أن ينشأوا على ذلك اللسان الفرنسى ، ولكن كذبوا فما من عربى يطيق أن يدع أبناءه الأحرار فى أسر لغة أخرى غير اللغة الحرة التى عاش عليها آباؤهم وأجدادهم . ولست أشك فى أنهم قد اتخذوا لذلك كل وسيلة حتى لم يدعوا لك حيلة تدفع بها عن قلبك حسرة الأب العربى وهو يرى أبناءه ينشأون غرباء عن لسان أمهاتهم اللائى أرضعنهم بدَرّ عربى حر آب للضيم طالب للعزة والشرف والنبل .

وقد أراد الله غير ما أرادوا ، فها أنت اليوم بين أهلك وعشيرتك من أهل مصر ، وهؤلاء أبناؤك هم أهلنا وإخوتنا ، وهذه مصر بلادهم لهم فيها ما لنا ، فمن قليل يهدم اللسان العربى ذلك اللسان الفرنسى ، ويرتد العربى عربياً كما أراد الله له أن يكون ، كما ردك الله حراً كما أراد لك أن تكون . وأما فرنسا فقد رد الله غيظها فى صدرها حتى يأكل منها ما بقى مما تستطيل به على الناس .

***

لا تأس أيها الرجل على ما فات ، فإن فى الذى لقيه الناس من بعدك لعزاء لك عما لقيت فى منفاك ، وإن الذى أنت فيه اليوم لهو نعمة من الله بها عليك لتحمل مرة أخرى سيف الجهاد فى سبيله وفى سبيل أمته التى أنزلت بها فرنسا من بطشها ومظالمها ما لا قبل لأحد بالصبر على مثله . وقد ردك الله إليها لترى رأى العين ماذا فعل بعدك هؤلاء القوم بقومك ، ولتشهد مصارع الأحرار من أنصارك ، ولتملأ قلبك من القوة التى تفل الحديد وتنسف الجبال وتجتاح الجيوش — قوة الإيمان بالله الذى لا يخذل من نصره ونصر أولياءه بالحق فى يوم الجهاد .

إن فرنسا لم تدع فى تونس والجزائر ومراكش مكاناً إلا نفثت فيه من سمها ، أو ضربت فيه بإبرتها ، أو تدسست إليه بغدرها وجهالتها . إنها أمة لم ترع ذمة للانسانية ولا للمروءة ولا للشرف ولا لشىء مما يصير به الإنسان حياً متميزاً من سائر الوحوش والضوارى — أمة تفترى على الناس افتراء مقيتاً ثم تتبجح على الناس باسم الحرية والإخاء والمساواة ، أمة من الأذلاء لم يكد النازى يغزو بلادها فى الحرب الماضية حتى ألقت سلاحها وسجدت على مواطىء قدميه تمسح عنهما غبار الغزو ضارعة متذللة ، أمة لم تأنف آلاف مؤلفة من أبنائها أن تطلب التجنس بالجنسية الألمانية يوم أصابتها هزيمة واحدة فى أول حرب تهزم فيها ، ولم تستنكف نساؤها أن تفتح الأغلاق للغزاة غير متورعات ولا كريمات .

إننا أيها الأمير نبغض هذه الأمة كأشد ما يبغضها دمك الذى يجرى فى عروقك ، لأننا إخوة جمعتنا رحم واحدة هى العروبة ؛ ونحن لا نخصها وحدها بهذا البغض ، بل نبغض كل أمة على غرارها قد استحلت مرعى البطش واستطابت ثمار البغى والعدوان .

# تحقيقات تاريخيـــة

للأستاذ أحمـد رمزى بك

أفرد الدكتور على إبراهيم حسن فى كتابه « دراسات فى تاريخ المماليك البحرية » باباً عن السياسة الخارجية ضمنه حروب مصر وعلاقاتها مع الدول الأجنبية ، وهو بحث شيق دل على سعة اطلاعه وتدقيقه حينما عرض لما يتعلق بدول المغول فى فارس والقفجاق والهند ، ولكنى دهشت حينما أفرد قسما لدولة سماها أرمينية وأدخل فى حروب مصر معها فتح ملطية وآمد وغيرها من البلاد الإسلامية إذ قال فى صفحة ١٦٨ « إلا أن الأرمن قد عاودوا العصيان فأرسل إليهم الناصر حملة وأمر تنكز بالانضمام إليها ، فخرج فى أول محرم سنة ٧١٥ وحاصر ملطية ودخلها فى يوم الثلاثاء ٢٣ محرم من تلك السـنة . » وفى صفحة ١٦ « توالت انتصارات جنـد الناصر ففتحوا مدينة عزقية من أعمال آمد فى سنة ٧١٥ ثم فتحوا آمد بعد ذلك وقد ساعدت الأحوال السيئة فى بلاد أرمينية الناصر محـمداً على غزوها فقد تولى عرشها الملك ليو الخامس » .

والمعروف أن أرمينية الجغرافية لم يكن لها وجود سياسى فى ذلك الوقت، ولم تكن ملطية ولا آمد تحت سلطان الملك ليو الخامس، وإنما كانت هناك مملكة للأرمن على أطراف بحر الشام وكان صاحبها يطلق عليه « متملك سيس » وقد انحصر ملك الأرمن فى منطقة من السهول حول مدينة سيس تحيط بها الحصون التى أنشأها المسلمون والصليبيون واحتلها الأرمن وتحصنوا فيها ، وكانت هذه الإمارة تخضع أحياناً خضوعاً إسمياً لمصر وتحالف المغول إذا جاءوا للفتح وتدارى ملوك الروم من سلاجقة وتركمان ، إذن فلا علاقة بين هـذه القاطعة والحروب التى قامت فى عهد الناصر فى ديار بكر والجزيرة وأرض الروم وترتب عليها فتح ملطية وآمد وغيرها فقد حضر أبو الفداء تجمع عسكر مصر والشام فى حلب ولازم الحمـلة فى خروجها لفتح ملاطية وحدثنا عن المراحل التى قطعها الجيش المصرى من عينتاب إلى نهر المرزبان وصحته مرزمان إلى رعبان فالنهر الأزرق قال « وجعلنا حصن منصور على يميننا » ثم إلى زبطرة حتى حصار ملطية ولم يذكر لنا الأرمن فى طريقه ولا فى عودته كأصحاب دولة وسلطان وإنما ذكر فى ملطية حاكما اسمه جمال الدين الخضر وهو من بيت بعض أمراء الروم . وأما كن هذه المواقع التى مرت بها الحملة فى سيرها وعودتها معروفة على الخرائط وهى بعيدة عن أراضى ملك الأرمن فى سيس . وما قلناه عن ملطية ينصب على آمد الواقعة على نهر دجلة وبينها وبين « ليو الخامس » متملك سيس مراحل وأراضى شاسعة منها ما هو تحت

---

فنحن العرب لم نولد لنعيش ، بل ولدنا لنعيش أحراراً فى الدنيا ، ولنعلم أهل الدنيا معنى الحرية ، وكيف تكون الحرية . ولئن قعد بنا اليوم عجز عن تعليم هذه الناس ، فمن قريب سوف يأذن الله لنا بأن نأخذ بالأسباب التى تتيح لنا أن نعلمهم ماخلقنا من أجله ، وعن قريب تنقشع عن عيون كثيرة ضلالات كثيرة أوهمتها أن العرب أمة متخلفة قد نفض الزمن منها يديه فصارت كلا وعالة على أهل الأرض .

إن العربى من أمثالك هو الذى سيشهد تراب هذه الأرض فى يوم يرونه بعيداً ونراه قريباً ، أن فضائل البشرية كلها لم تزل حية على فطرتها الأولى فى هذه القلوب الزكية المطهرة ، قلوب العرب ، وأن العالم سيكون أسرع تقبلا للمعانى العربية فى الحرية والإخاء والمساواة من تقبله لتلك المعانى الفرنسية التى تلفعت بالجشع واللؤم والغدر والخداع . وأن العربى هو وحده الذى يستطيع أن يحقق على هذه الأرض معنى الحرية والإخاء والمساواة لأنه حر بالفطرة لم يألف ذلا قط ، ولأنه أخ لمن آخاه لأنه لايعرف الغدر ، ولأن الناس عنده سواء لأنه لا يفتات على أحد ولا يفترى على سواء من الناس .

وأنت أيها الأمير سيف من سـيوف الله ، ونحن جند من جنود الله فمش بيننا سيفاً مصلتاً مسلولا على أعناق البغاة والطغاة والظلمة ، حتى يأتى اليوم الذى كتب الله لك أن تكون فيه ذبحاً لعدونا وعدوك ونصراً لأمتنا وأمتك ، ومخرجاً لبلادنا وبلادك من ظلمات الأسر إلى نور الحرية .

والسلام عليك ورحمة الله .

محمود محمد شاكر

حكم مصر ، ومنها ما هو على حدودها فى الولايات التى كانت خاضعة أو متحالفة مع خانات أو إيلخانات مغول فارس ، وهى بقاع إسلامية لم يكن للأرمن وملكهم شأن بها . ودليلنا على صحة ما سقناه قول صاحب البداية والنهاية عند ذكره فتح ملطية « وقد كانت ملطية إقطاعاً للجوبان أطلقها له ملك التتار فاستناب بها رجلا كردياً فتعدى وأساء وظلم فكاتب أهلها السلطان الناصر وأحبوا أن يكونوا فى رعيته » . صفحة ٧٣ جزء ١٤ .

وفى أبى الفداء ما يشرح شكوى أهل ملطية إذ قال « إن المسلمين الذين كانوا بها اختلطوا بالنصارى حتى إنهم زوجوا الرجل النصرانى بالمسلمة وكانوا يعدون الإقامة للتتر ويعرفونهم بأخبار المسلمين » صفحة ٩١ جزء ٤

ويظهر أن قاضى ملطية وكان أول من تلقى جند الناصر وطلب منهم الأمان لبلده له يد فى هذه الشكوى التى جمل من ضمن ما جاء فيها ما يبرر استفزاز حمية الناصر الدينيــة وإن كان أبو الفـداء يضيف إلى ذلك سبباً آخر هو تمرض أهل ملطية لجند مصر المقيمين فى القلاع الشمالية مثل قلعـة الروم وبهنسى وكختا وكركر فى غدوهم ورواحهم . ويذكر المقريزى فى السلوك ( صفحة ١٣٤ جزء ٢ للدكتور زيادة ) إن التعرض كان ضد الفداوية من أهل مصياب الذين أرسلهم النـاصر لاغتيال قراسنقر المقيم بمدينة مراغة وإن الكردى الذى تغلب على ملطية وجبى أموالها قبض عليهم وترتب على ظهوره أن نائب ملطية من جهة جوبان ويقال له بدر الدين ميزامير بن نور الدين خاف أن يأخذ الكردى نيابة ملطية منه فكاتب الناصر واتفق معه على تسليم البلد إليه ، وقد خص فتح ملطية بصفحة فيها تفاصيل عن تسليم المدينة واحتفال نائبها والتشاريف والخلع التى وجهت إلى أعيانها ، ولم نجـد فيها ولا فيما لدينا من المراجع إشارة أو كلمة يفهم منها أن ملطية كانت تحت حكم « ليو الخامس » .

ونحن نلتمس للدكتور على إبراهيم حسن عذراً لأن السيروليم موير فى كتابه « تاريخ المماليك فى مصر » ذكر فى الصفحة ٨١ ( طبعة مصر مترجمة ) « أرسل السلطان الحملات على بلاد الأرمن التعسة وحصرت عساكره ملطية » ، وجاء من بعـده الأستاذ أنور زقلمة فوضع كتاباً عن « تاريخ المماليك » طبعة مصر كتب فى صفحة ٦٤ منه « وعاد الأرمن مرة ثالثة للعصيان عام ١٣١٤ فى عهد الناصر فأرسل لهم حملة قوية حاصرت مدينة ملطية » . وفى ذلك ما يشعر بأنهم ينقلون جميعاً عن مصدر واحد وصاحب هذا المصدر إما اختلط عليه الأمر ولم يفرق بين ولاية سيس وأرمينية الجغرافية أو فهم من وجود طائفة من الأرمن فى ملطية أنهم أصحاب الأمر والنهى فيها ، أو هو على علم تام بهذه الحقائق ولكنه كغيره من كتاب الغرب الذين لا يملكون التحرر من تقاليـد الحروب الصليبية ولذلك ينظرون دائماً بمنظار مكبر إلى كل ما يذكرهم بآثارها ، ولما كانت ولاية سيس من تلك البقايا فهم يحمّلونها برغم أنف الزمن دوراً مهماً فى التاريخ والحروب والعلاقات السياسية ويضيفون إليها بلاداً إسلامية طال عهدها بالإسلام وأهله ، ويكبر على أنفسهم الاعتراف بأنها ولاية صغيرة فى كيليكية .

وواجب علمائنا فى التاريخ وضع الأمور فى نصابها وإعادة الحق لذويه ، ودولة المماليك من الدول الإسلامية التى لم ينصفها التاريخ وتعرضت لشتى الهجمات من مؤرخى الغرب ، ولكن الدكتور على إبراهيم حسن أنصفها فى كتابه وأنصف مصر ، وكان كتابه من دلائل النهضة القائمة والوعى التاريخى لإعادة القيم الحقيقية لذلك العصر فله عظيم الشكر والثناء

وقد اطلعت بعد كتابة ما تقدم على تحديد نيابة حلب فى عهد الناصر كما جاء فى مسالك الأبصار ونقل ذلك صاحب صبح الأعشى فإذا فيه « ولاية حلب متصلة ببلاد سيس والروم وديار بكر وبرية العراق وتحدها من الشمال بلاد الروم مما وراء البهنسى وبلاد الأرمن على البحر الشامى » ...

ويفهم من ذلك أن بلاد الأرمن يقصد عند ذكرها الأراضى الواقعة على خليج الاسكندرونة والبحر الأبيض المتوسط وهى التى يطلق عليها اسم كيليكية أو ولاية ادنه التركية حالياً والتى يخترقها نهرا سيحان وجيحان من الشمال إلى الجنوب : وعرفت بهذا الاسم فى هذا العصر الذى نتحدث عنه وإلا فهى قديماً بلاد الثغور والعواصم وفيها قبر المأمون بطرسوس وضمت إلى مصر من عهد أحمد بن طولون ولها تاريخ طويل ومعارك وأيام .

ولما استملكها الأرمن بعد الحروب الصليبية تعرضت لهجمات المصريين فانتزع الملك الظاهر بيبرس قلاع بغراس والبهنسى ودربساك سنة ٦٦٨ ثم فتح الأشرف خليل بن قلاوون قلعة الروم ٦٩١ وهى نهاية ماوصل إليه ملك الأرمن شرقاً ، وافتتح الناصر الحصون الواقعة فى الشرق من جيحان ، ثم جاء الأشرف شعبان ففتح عاصمتهم سيس وبقية ما حولها من البلاد على يد قشتمر المنصورى نائب حلب وبذلك أصبحت ولاية أدنه بأكلها تحت حكم مصر حتى الفتح العثمانى .

وجاء ذكر الحصون والقلاع التى تسلمها الناصر من ملك الأرمن فى كتب التاريخ وليس بينها خبر عن ملطية أو آمد ، ونظرة بسيطة إلى خريطة مفصلة لتلك المنطقة تجعلنا نتحقق من مواقع القلاع التى ضمها الناصر من بلاد الأرمن وهى تكون مع الأراضى تقريباً مايشبه المثلث قاعدته خليج الاسكندرونة بين بياس وإياس ودأمة الهارونية ( نسبة لهارون الرشيد ) وهى جميعاً شرق نهر جيحان . ويقول أبو الفداء « وهو ملك كبير وبلاد كثيرة » .

ويقول صاحب السلوك « وأقطع السلطان أراضى سيس لنائب حلب ونائب الشام وغيرهما من الأمراء وأقر فيها جماعة من التركمان والأجناد ، فاستعملوا الأرمن فى الفلاحة وعمل فى كل قلعة من قلاع الأرمن نائب ورتب فيها عسكر »

ولكن الكتب التى أخذت من المصدر نفسه تقول بجلاء عسكر مصر ومنها كتاب الدكتور على إبراهيم حسن الذى يقرر فى صفحة ١٦٩ « ثم جلت جيوش الناصر بعد أن جمعت كثيراً من الأسلاب والغنائم » والحقيقة أن الجلاء كان عن الأراضى الواقعة بين النهرين أى شمال المصيصة وأدنة .

أما ما كان شرق جيحان فهو الذى تناوله الأقطاع ، ودليلنا على ذلك أن ملك الأرمن بعث بمفاتيح القلاع إلى القاهرة : وهى إياس (٣قلاع) والهارونية والنقير و كودا والحيمصة ونجيمة » كما جاءت فى كتاب تاريخ سلاطين مصر والشام . ويضيف أبو الفداء مرفندكار والمصيصة و كوبرا . ويقول «ضرب المسلمون برج إياس الذى فى البحر واستنابوا بالبلاد المذكورة نواباً ...

ومع بقاء ملك الأرمن فى عاصمته سيس حتى عهد الأشرف شعبان تحت حماية ملوك مصر بقيت بلاده معرضة لهجمات التركمان وعسكر ابن قرمان من آسيا الصغرى ، ولذلك نجد أن كتب التاريخ تحدثنا باحتلال جند الناصر لبعض القلاع الواقعة على سفوح جبال طوروس أو التى تعترض الطرق الموصلة للجبال ، نذكر على سبيل المثال قلعة كولاك فى شمالى طرسوس على خط عرض واحد مع الهارونية وهى فى نهاية الغرب من ولاية ادنة ، وهناك «بارى كودوك» افتتحها باى دمير الخوارزمى فى عهد الناصر وهى إلى الشمال من طرسوس ، ومنها « قلعة لؤلؤة » وهى شمالى كولاك .

ولا أجد تفسيراً لاحتلال هذه المناطق غير أن ملك الأرمن سلم بما بين يديه من الحصون التى على الشرق بشرط حمايته من الغرب باحتلال الحصون والمضايق التى يتسرب منها التركمان وعسكر ابن قرمان من الجهة الشمالية والغربية لمهاجمة بلاده .

إن التاريخ علم يتقدم مع الزمن شأنه شأن غيره من العلوم وقد يأتى لنا المستقبل بنصوص تفسر لنا كل ذلك فلا أجزم بشىء نهائى ...

**أحمد رمزى**

---

# انـــذار !

للأستاذ على الطنطاوى

ركبت مع زميلى فى البعثة القضائية السورية الأستاذ محمد نهاد القاسم ، زورقاً فى النيل حملنا من ( جسر اسماعيل ) إلى ( مصر العتيقة ) بأجرة فاحشة قبضها منا صاحب الزورق ، وبعث معنا شاباً فى نحو التاسعة عشرة ، قوى الجسم ، ودبع النفس ، فأعمل المجاديف ساعة كاملة ، حتى هبط الليل ، وغسله العرق ، ونحن لم نصل ، فأشفقنا عليه وجربنا أن نسعده فا أفلحنا ، وكدنا نقلب الزورق به وبنا ، فيسبح فينجو ونلقى نحن حتفنا ، فكففنا ، واكتفينا من الترفيه عنه بعمل بألسنتنا ، والمواساة باللسان أقل الإحسان ... حتى دنا الحديث من أجرته ، فسألناه :

— كم تأخذ ؟

— قال : أربعون قرشاً .

— قلنا : فى اليوم ؟

— فصاح مستغرباً : فى اليوم ؟ كل ثمانية أيام !

— قلنا : أوليس لك أسرة ؟

— قال : أم أعولها .

— قلنا : أوتكفيك ؟

— قال : تكفينى ؟! أبداً .

— قلنا : فلماذا لا تطلب زيادة ؟

— قال : يضربنى عمى أحمد ويطردنى ، ويخبر زملاءه فلا يشغلونى وأنا لا أعرف إلا هذه المهنة .

— قلنا : وكم يحصل هو ؟

— قال : هو هو ... كثير ... كثير ... عنده عشرة زوارق تمشى النهار كله ، كل ساعة أجرتها من عشرة إلى عشرين قرشاً

وتركناه وصعدنا إلى البر ، ونحن لا نزال نفكر فيه : شاب طويل عريض ، كيف يعيش مع أمه بخمسة قروش فى اليوم ؟ والفرّاش والآذن ؟ كيف يعيشان بثلاثة جنيهات فى الشهر ؟ والمؤذن ؟ والإمام ؟ والشرطى ؟ والعسكرى ؟ ماذا يصنع هؤلاء ؟ هل فكر فيهم أحد ممن ولّاهم الله أمر هذه الأمة ، وائتمنهم على مالها ، وجعل إليهم المنح والمنع ، والرفع والوضع ؟

هل سأل واحدهم نفسه وهو يتخير أطايب الطعام من فوق مائدته ماذا يأكل هؤلاء المفلسون ؟

هل فكر وهو ينتقى بهى الحلل من خزانة ثيابه ماذا يلبسون؟

هل خطر على باله وهو يفسد أخلاق أولاده بالترف ، ويتلف صحتهم بالسرف ، أن لهؤلاء بنين وبنات لا تكفى رواتبهم لسد جوعهم بالخبز القفار ، وستر عوراتهم بالخام ؟ رواتبهم لا تكفى للطعام والثياب فكيف إذا ولدت المرأة وجاءت نفقات الولادة؟ فكيف إذا مرض الصبى وأقبلت مصروفات العيادة ؟ فكيف إذا خطبت البنت وكانت تكاليف الزواج ؟ فكيف إذا دخل الأولاد المدرسة وطالبتهم بثمن العلم ؟ . فكيف إذا اشتهوا أن يتشبهوا بأبناء الناس يوماً ... فأرادوا أن يأكلوا الحلوى الحلال أو يطلبوا اللهى المباح ؟؟ أم قد حرمت هذه المتع على الفقراء ، وكتب عليهم أن تكون حظوظهم من دنياهم كحظوظ البهائم : ملء المعدة بأرخص الطعام ، وستر الجسم بأيسر الثياب ، والاستكنان بشر المساكن ؟ وأن تكون معيشتهم أقل من معيشة كلاب الأغنياء ؟

قرأت فى جريدة ( العلم الأخضر ) نقلا عن العدد ٦٧٣ من ( مجلة الاثنين ) أن (روى) كلب الوجيه الأمثل ... فلان بك ... يفطر كل يوم بكيلو من اللبن ورغيفين من خبز ( الفينو ) و ( باكو ) من الشكولاتة ثمنه بين ثمانية قروش وخمسة عشر قرشاً ويتغدى برطل ونصف رطل من اللحم المسلوق مع طبق مترع بالثريد ، وأن له طبيباً خاصاً ... وخادماً أجرته عشرة جنيهات فى الشهر عمله أن يصحبه فى سيارته الخاصة به ... فى نزهتيه اليوميتين وأشياء أخرى من هذه البابة ، يتمتع بها هذا الوجيه الأمثل ، كلبه الدلل ، لا يصل إلى مثلها عشرة فى المليون من بنى آدم الذين يقطنون هذا الوادى ... فلم أجد فى العربية على سعتها ، وعلى طول اشتغالى بها ، كلمة تليق بهذا السفيه المبذر الكافر بالنعمة وبالإنسانية وبالوطن ، لأقولها له ... ولم أدرِ كيف أخاطب هذا المجتمع الذى بلغ الفساد فيه ، والانتكاس فى أوضاعه أن صارت الكلاب تأكل ( العيش الفينو ) وكثير من الناس يتمنون الخبز الأسود ... وتركب السيارات وهم يمشون حفاة ... وتنام على الحرير وهم يهجعون على التراب ... ويقوم عليها طبيب

خاص وهم غرقى فى الأمراض ... لا يجدون الطبيب ...

هذه حال لا يرضى بها الله ، ولا العقل ، ولا الشرف ، وأنا أخاف والله أن تفتح علينا باباً من الشر لا يسد وتأتينا إن لم تتنبه لعلاجها بالداهية الدهياء، بالشيوعية المدمرة، التي تأكل أخضرنا ويابسنا ، وتمحق غنينا وفقيرنا ، فتكون لنا الراحة الكبرى التي لا ألم بعدها : راحة الموت .

هذه حال لا يمكن أن يحتملها بشر ، فإن كان من بيده الأمر لا يمشون فى الطرقات ، ولا يخالطون الناس ، ولا يعرفون من الدنيا إلا القصر والسيارة والملاهي والرحلات ، فليسألوا : ما بال الفقراء ؟ ماذا يصنعون ؟ وما شأن صغار العمال والموظفين وكيف يعيشون ؟ وليعلموا أن عمر كان يخاف أن تضيع شاة على شاطىء الفرات فيحاسبه الله عليها ، أفلا يخافون أن يسألهم الله عن أمة بقضها وقضيضها ستضيع على شاطىء النيل : سيقتلها الجوع فى أخصب أرض ، والمرض تحت أصفى سماء ، والجهل فى أول دار للعلم والحضارة ؟

لقد كانت مصر طبقات يستعبد بعضها بعضاً ، فسوى بينها الإمام العبقرى الهادى عمرو بن العاص ( تلميذ محمد ) وقطع هذا النظام الذى وصلته يد الدهر من عهد الفراعنة الأولين ، إلى عهد الإسكندر ( تلميذ أرسطو ) ، إلى أيام البطالسة والرومانيين ، وأفاض على الناس الهدى والعدل والنور ، فأحبوا لفعله الإسلام ، ودخلوا فيه وتركوا له ديناً كان لهم ، وأقبلوا عليه علماً وعملاً ، حتى كانت مصر مثابة الإسلام ، ومشرق أنواره ، ومورد علومه أفقدر عليها أن تعود القهقرى إلى عهد الجاهلية الأولى ؟ أترجع نظامَ الطبقات الذى مات ؟ أيكون فيها سادة وعبيد ؟ ويعلو بعض أهلها على بعض كأنما لم يفتح مصر عمرو ، ولم يركز فيها راية محمد ، ولم تكن مصر أم دنيا الإسلام ؟

أنا لا أدعو إلى المساواة المطلقة بين الناس فذلك ما لا يكون ولا يزال فى الناس غنى وفقير ما دام فيهم عامل وخامل ، وذكى وبليد ، لن يكونوا أبداً سواء فى أرزاقهم ومعايشهم إلا إذا استوى الجنسان وتحقق حلم المدافعين عن ( حقوق ... ) المرأة فانقلبت رجلا ، ونبت لها شاربان و ... لحية !

ولكن أدعو إلى تقريب المسافة بين طبقات الناس ، عاليها ودانيها ، وأن تضمن الحكومة لكل إنسان حقه الطبيعي فى الطعام واللباس والمسكن ، وألا تقر فى موازنتها راتباً لموظف مهما نزلت درجته ، لا يكفل هذا الحق له ولأسرته ، ولو كان كناس الطريق ، أو ناطور الراحيض ، وأن تسوى بين الناس ( المساواة الممكنة ) التى حققها الإسلام فى أول الدهر فى عهد الشيخين ، والشيوعية فى ذنب الزمان فى أيام ستالين ، وإن اختلف نوعهما ، فكانت تلك مساواة فى السعادة ، وهذه هى المساواة فى الشقاء !

لقد نشأت فى الشام ، وسحت فى البلاد ، فرأيت فى كل بلد أغنياء وفقراء ، وسعداء وأشقياء ، ولكن لم أر أبدا مثل الذى رأيت فى مصر !

فا هذا التفاوت بين البشر فى مصر ؟ ما هذا الوضع الذى يجعل من الناس واحداً يملك مليوناً ومليوناً لا يملكون واحداً ؟ وألفاً يشتغلون لرجل ، والرجل لا يعمل عملا ؟ وإنساناً يظن نفسه من الغنى والكبر إلهاً ، وأناسىَّ تحسب أنها من الفقر والضعة بهائم ؟

متى كان هذا فى طبع العربى ؟ متى كان فى شرع المسلم ؟

متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟

يا ناس . راقبوا الله ، فإن هذا ظلم ، والله لا يرضى لعباده الظلم ولا يقرهم عليه ، ولكنه يمد للظالم ثم يأخذه ... فاتقوا إخذة الله

يا ناس . اعقلوا ، فإن هذا باب الشيوعية فإن لم تغلقوه دخلت عليكم فأهلكتكم .

يا ناس . ارحموا ، فإن هؤلاء ناس مثلكم ، لا تحسبوهم بهائم لئلا يصنعوا فيكم صنيع البهائم ، فيثوروا عليكم رفساً ونطحاً وعضاً ولدغاً ، فلا تملكوا دفعهم ، ولا النجاة منهم ...

لا ، لا تحقروهم ، فإن الدجاجة إذا هبت تحمى فراخها استانت فانقلبت صقراً ، والقطة إذا ضويقت وغضبت صارت نمراً والماء إذا اندفع كان سيلا مدمراً ، والهواء إذا انفجر كان إعصاراً مخرباً ، ولولا الضغط ما ثقب المسمار الخشب ، ولا أطلق المدفع القنبلة ، ولا زلزلت الأرض ، ولا انفتحت البراكين ، ولا ثارت الشعوب .

فارحموهم ترحموا أنفسكم ! واعدلوا فيهم تدفعوا عنكم يوماً أسود لا تعلمون إذا حل عم ينجلى سواده ! وقوا مصر إن كنتم تحبون مصر ، جائحة مهلكة ، وداهية مكفهرة ، أولها الشيوعية وآخرها ما لا يعلمه إلا الله ! وهذا إنذار !!

على الطنطاوى

# بين أدب المرأة وأدب الرجل

للسيدة الفاضلة منيبة الـكيلانى

( تتمة ما نشر فى العدد الماضى )

يقابل هـذا من أدب الرجل فى أبدع صوره وأبهى معانيه قول المعتمد بن عباد وقد حال حاله وتحالفت عليه صعاب الأمور وأخذته الأعادى من كل حدب وصوب ونصح له الناصحون أن يسايرهم ويخضع لهم فانبرى يقول :

قالوا الخضوع سياسة   فليبدُ منك لهم خضوع
وألذ من طعم الخضوع   على فمى السم النقيع
إن يستلب منى العدا   ملكى وتسلمنى الجموع
فالقلب بين ضلوعه   لم يسلم القلب الضلوع
لم أستلب شرف الطباع   أيسلب الشرف الرفيع
شيمَ الأولى أنا منهم   والأصل تتبعه الفروع

هذا الـكلام الجميل من لغة التفاخر والعزة والأنفة وكبر النفس ولـكنه مع هـذا ليس من لغة الخصومة السياسية وليس من لغة الحرب الشعواء التى تنطوى عليها عبارة « أنت أصغر فى عينى من ذباب » . هذا كلام حرب ذهبت فى ساحتها هذه المرأة وهى تخط بدمها أن أدبها للعقل وأنه أصدق أنباء وأدق تعبيراً وأكثر صراحة .

ومما يقيم الحجة البالغة أيضاً على أن أدب المرأة واقعى صريح دقيق الأداء وأنه للعقل وليس للعاطفة ، فن المدح . فهـذه ليلى الاخيلية ازدهاها حزم الحجاج وشدة بأسه فراحت تؤبده وتصوره أبرع صورة فتقول :

إذا نزل الحجاج أرضاً سقيمة   تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذى بها   غـلام إذا هـز القناة سقاها
أحجاج لا تمط العصاة مناهم   ولا الله يعطى للعصاة مناها

وبذلك خرج أدبها هذا عن كونه مدحاً يسبح فيه بسجايا الممدوح ممـا توفر فيه أو لم يتوفر ، أو مبالغات بعضها آخذ بأعناق بعض ، أو كلاماً معقداً ؛ أقول خرج إلى كلام على قدر المعنى قررت فيه خصيصة الحجاج وامتدحته فى شطر واحد من بيت فقال :

« غلام إذا هز القناة ثناها » . ولم تقل كما قال المتنبى :

لم يخلق الرحمن مثل محمد   أبداً وظنى أنه لا يخلق

وأعتقد أن هذا كلام ينطوى على لغة العاطفة وما تحتويه من مبالغات واضحة .

وللقارىء مقارنة أخرى بين شاعر وشاعرة فيها تعزيز جديد لصحة ما ذهبت إليه — من أن لغة المرأة فى استنهاض الهمة وتحريك الروح الخامد أقوى أثراً ، وأكثر صراحة ، فهذه عفيرة بنت عفان تستنهض الهمة بكلام من الجمر ووابل من الحمم إذ تقول :

وإن أنتمو لم تغضبوا بعد هـذه   فـكونوا نساء لاتعاب من الـكحل
ودونـكمو طيب العروس فإنما   خلقتم لأثواب العروس وللغسـل
فبعـداً وسحقاً للذى ليس دافعاً   ويختال يمشى بيننا مشـية الفحل

وهـذا لقيط بن يعمر الايادى يحذر قومه أيضاً ويستنهض هممهم بلغة متجاوبة المعانى فخمة الألفاظ إذ يقول :

قوموا قياماً على أمشاط أرجلـكم   ثم افزعوا قد ينال الأمر من فزعا
ماذا رد عليكم عز أولكم   إن ضاع آخره أو ذل واتضعا

* * *

وليست السيدة زبيدة وحدها أو عفيرة بنت عفان أو ليلى الأخيلية آيات لإقامة الحجة على أدب للمرأة صراح قراح ، بل هناك غيرهن فى أقوالهن الدقة فى التعبير والصدق فى الأنباء والشرف فى المقصد ؛ فقد كانت السيدة عتبة بنت عفيف الطائى أم حاتم كثيرة المال ، مبسوطة اليد ؛ فلما خشى إخوتها الفقر عليها حجروا مالها إلا قطعة من الإبل ، فنحتها سائلا سألها ، وقالت :

لعمرك قدما عضنى الجوع عضة   فآليت أن لا أمنع الدهر جائعا
فقولا لهـذا اللائمى اليوم أعفنى   وإن أنت لم تفعل فعض الأصابعا
فماذا عساكم أن تقولوا لأختكم   سوى عذلـكم أو عذل من كان مانعا

وماذا ترون اليوم الإطبيبة فكيف بتركي يا ابن أم الطبا ثما

ولما جيء بسفانة ابنة حاتم أسيرة للنبي صلى الله عليه وسلم انطلقت تقول له من أدب المرأة هذا المقال :

« يا محمد ، هلك الوالد وغاب الوافد ، فإن رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب! فإن أبى كان سيد قومه ، يفك العانى ويقتل الجانى ويحمى الذمار ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشى السلام ويحمل الكل ويعين على نوائب الدهر ، وما أتاه أحد فى حاجة فردّه خائباً ، أنا بنت حاتم الطائى » .

ويكفى هذا الكلام إثباتاً أنه من أدب العقل، وأنه الذروة فى دقة التعبير وصدق الأنباء . إن جواب النبى عليه كان :

« هذه صفات المؤمنين حقاً — خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق » .

## ٣ — الحلقات المفقودة فى أدب المرأة

هنالك حلقات من الأدب توفرت فى أدب الرجل وفقدت من أدب المرأة فقداً تاماً فجاء أدبها بهذا الفقد أكثر نبلا وأوفر فضلاً وأصدق فناً. وليس بضائرها أن يعرى أدبها من هذه الحلقات وأن لا تعرفها أو تدين بها وهى برهان جديد على أن للمرأة أدباً يختلف عن أدب الرجل أشد الاختلاف ، ذلك أن الرجل أفرد فى أدبه باباً للتحذير من المرأة والتنبيه على أنها شيطان رجيم . وتلمس أدب الرجل من هذا المنى أفانين الكلام وضروبه فزور الأحاديث ونحت الأمثال وقرض الشعر وصفف السجع جاعلا من كل ذلك مثلبة للمرأة ومنقصة لها من حيث بقى كلام المرأة صافياً لا تشوبه أمثال هذه الأكدار .

ولقد تطاول هذا الأدب على الحديث فدس على النبى صلى الله عليه وسلم أن المرأة قرارة اللؤم ودارته ومنبت الشر ونبعته ؛ ولم يكتفوا بهذا على شدة وقعه بل أضافوا إليه أحاديث أخرى استنبطوها من عند أنفسهم .

منها : « أوثق سلاح إبليس النساء » . ومنها : « النساء حبائل الشيطان » و « شاوروهن وخالفوهن » . و « إياك ومشاورة النساء فإن رأيهن إلى أفن وعزمهن إلى وهن » . لقد أراد أدب الرجل أن يصف المرأة بمثل هذه الأوصاف على لسان رسول الله وهذه الأوصاف وإن كانت بعيدة عن الواقع ولا تصبر أبداً على محك المنطق فإنها أبعد ما تكون عن بلاغة الرسول الكريم وماجاء فى أحاديثه صلى الله عليه وسلم عن المرأة .

وعزز أدب الرجل هذه الجهة بأن أورد على لسان أمير المؤمنين على كرم الله وجهه أن قال: لا تطيعوا النساء على حال، ولا تأمنوهن على مال، ولا تذروهن يدبرن العيال . لا دين لهن ولا عقل لهن . ينسين الخير ويحفظن الشر » الخ …

فإذا عرفنا أن الامام عليه السلام أمير البيان — وأن نماذج كلامه البليغ مثبتة فى نهج البلاغة ، وهى ترتفع فى جملتها عن مثل هذا الشتم أمكن القول بأن هذا أدب من جملة الحلقات التى أراد الرجل أن يستكمل بها فنون القول مما انعدم فى أدب المرأة وأنفت اللجوء إليه . وليس هذا فقط فقد جاء الرجل بما ينسبه إلى العقلاء والفلاسفة والشعراء ليأخذ على المرأة سائر مناحيها ، فزعم أن الأقدمين قد قالوا « لا تدع المرأة تضرب صبياً فإنه أعقل منها » . وأن سقراط رأى امرأة تحمل ناراً فقال : نار تحمل ناراً ، والحامل شر من المحمول » .

هذه نماذج من أقوال الرجال تدون فى كتب الأدب على أنها فن من فنونه ، وعندى أنها فن من فنون القراض والمثقب والمبرد لا أقل ولا أكثر مما لم يرد فى أدب المرأة جميعه .

وليس هذا فقط بل جاء فى هذا الضرب من الأدب كلام وجيع مؤلم ؛ فقد قال أحدهم :

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن جزوعا إذا بانت فسوف تبين
وان هى أعطتك اللبان فإنها لغيرك من خلانها ستلين
وخنها وإن كانت تفى لك إنها على مدد الأيام سوف تخون
وإن حلفت لا ينقض النأى عهدها فليس لمخضوب البنان يمين

يقابل هذا فى أدب المرأة أدب واحتشام وصمت واحترام ، إذ هو حلقة مفقودة لديها لا تعرفه ولا تحسن صوغه ولا تتقن فنه ، وذلك عندى نقص يفوق كل تمام .

ولم يقتصر هذا اللون من الأدب على مهاجمة المرأة بالتهمة فقط ، بل استهدف القضاء المبرم على خصائصها ؛ فقد جاء على لسان شاعر الفلاسفة أبى العلاء المعرى قوله :

علموهن الغزل والنسج وخلوا كتابة وقراءه
فإن صلاة الفتاة بالحمد والاخلاص تغنى عن يونس وبراءه

إن هذا فضلاً عن كونه وضعاً شاذاً فهو لون من الأدب بقيت المرأة تجهله وستجهله دائماً ما دامت قد خلقت لرسالة فى الحياة سامية القصد رفيعة الجد، وكان عليها أن لا يتجسد عندها هذا الفرق لولا ما تفرع عنه بالفعل، ومن هذا أن القرآن الكريم أباح النظر إلى وجه المرأة فصيروا وجهها عورة، وفرض عليه النقاب حتى أصبح كفها عورة وحتى صوتها، وإن كان فى قراءة القرآن، وتعدى الأمر إلى أكثر من هذا أيضاً فاعتبروا اسمها عورة، وضرب عليها الذل والهوان إلى هذه الدرجة حتى أن المتنبى وهو من نعرف شعراً وأدباً عندما أراد أن يرثى خولة بنت سيف الدولة لم يستحسن أن يورد اسمها الذى كان عورة بل استبدله بوزنه فقال:

كأن مغلة لم تملأ مواكبها ديار بكر ولم تخلع ولم تهب

هذا هو الذى حز فى نفس المرأة كثيراً، فقد أزيحت من المجتمع وضربت عليها الذلة والمسكنة وباءت بغضب على غضب، وحيل بينها وبين ما يقوم حياتها وبذلك هزل أدبها وذبل كيانها وغاض معينها وصوح زرعها، ومع ذلك لم تشحذ من البقية الباقية أدباً استفزازياً أو سلاحاً انتقامياً، بل تجملت بالصبر الجميل، وتذرعت بأن للبلوى حيناً وأن لديجور ليلها انبلاجاً.

وإذا صح أن الشر يستشرى ويتكاثر ويتضاعف وتتفرع عنه فروع فإن هذا الأدب قد استشرى وتكاثر فأورث الأدب العربى والأدباء نوعاً من الثبور كانوا عنه جميعاً فى مأمن وغنى، فلم يعد الرجل يكتفى بواحدة من النساء ولم يعد يفهم من المرأة إلا أنها سائمة. وهذه أمثلة توضح ما جاءت به هذه الحلقات من الأدب المفقودة فى أدب المرأة من وبال على المرأة:

وضع أبو الحسن بن عبدون البغدادى المتطبب رسالة ضافية الذيل يصنف فيها النساء اصنافاً، صنفاً يصلح للخدمة وصنفاً لاحتمال الأذى وصنفاً يموت عند الولادة وصنفاً يقرع بالعصا قرعاً، وإلى غير ذلك مما اعتبر به المرأة حديقة حيوان يجب أن تدرس أوصافها على هذا السبيل المستغرب، وانبرى ابن عبدون هذا فى كتابه رشيق العبارة سجاعاً كأنه يضع فصل الخطاب فى هذا الشم المقذع حتى إذا انتهى حمد الله وأثنى عليه إذ وفقه إلى ذكر بعض خصائص النساء.

ومثل آخر، فقد خرج دعبل ومعه أعرابى ونبطى إلى موضع يقال له بطياثا من أمصار دجله متنزهين فأكلوا وشربوا

فقال دعبل : نلنا لذيذ العيش فى بطياثا.
فقال الأعرابى : لما حثثنا قدحاً ثلاثا
فقال النبطى : وامرأتى طالقة ثلاثا

وهكذا بلغ من استهتاره أن أضاع امرأته لأجل قافية!

هذه نماذج من أحوال المجتمع لما تفشى فيه أدب ليس للمرأة فيه نصيب، وهذه صور من الأدب المخطر الذى لم تأخذ المرأة بأسبابه فأضحى حلقات مفقودة فى أدبها، وهو فى حد ذاته نقص يفوق كل تمام، وهو البرهان الأكبر على أن للمرأة أدباً غير أدب الرجل وعلى أن أدبها للعقل.

منيرة الكيلانى

في المسألة الفلسطينية :

# مشروع التقسيم

للأستاذ فؤاد طرزي

يقول الكولونيل (جول) في كتابه الذي أصدره عن سوريا عام ١٩٤٥ بصدد فلسطين ما يأتي :

« ولو تحرينا الدقة لوجدنا أن اهتمام بريطانية بفلسطين لم يكن في يوم من الأيام ناشئاً عن رغبة في مساعدة اليهود أو تحقيقاً لرسالة المسيح ، بل كان نتيجة مباشرة للمناورات الاستعمارية التي ترمي على الدوام إلى خدمة المصالح البريطانية. ففلسطين تقع بين مصر والشام ، وهي على طريق الهند ، فمن المحال أن تغفل قدرها الحكومة البريطانية . وعلى هذا نخلق مشكلة تشيع الاضطراب فيها بطريقة نموذجية لتبرير بقاء قوات مسلحة هناك تحافظ على مصالح الامبراطورية » .

وعلى ضوء هذا التفسير العملي الذي يعرضه خبير بريطاني مطلع ، يمكننا تقدير كل ما تضمه بريطانية من حلول لمشكلة فلسطين . فهي ترعى دوما مصالحها في هذه القضية وتنكر مصالح الطرفين المتنازعين بله المصلحة المالية أيضا ، وتحاول بكل وسيلة أن تمد من أجل المشكلة وتطيل في عمرها لتحتج بها في بقاء قواتها العسكرية المرابطة هناك تحافظ على مناطق نفوذها في الشرق الأوسط بأسره .

ومشروع التقسيم الأخير الذي اقترحته الدوائر الرسمية البريطانية ، ولوحت به مجلة الأيكونغست اللندنية التي تعبر بصورة غير مباشرة عن آراء ١٠ داوننج ستريت ، والذي أيده السير هربرت موريسن أحد الوزراء البريطانيين المسئولين علنا في مجلس العموم ، نقول إن هذا المشروع ليس إلا شكلا جديدا من أشكال أنصاف الحلول التي اعتادت بريطانية أن تقترحها بين آونة وأخرى لتشغل القوم وتكسب الزمن .

وهذا المشروع هو نفس المشروع الذي اقترحه دولة نوري السعيد في الكتاب الأزرق الذي رفعه عام ١٩٤٣ إلى المستر كيسي وزير الدولة البريطانية في الشرق الأوسط . ويتضمن إنشاء حوزة[1] أو حوزات يهودية مع التمتع بحقوق خاصة — على نحو الحقوق التي كانت ممنوحة للموارنة في لبنان — داخل الدولة الفلسطينية ، أو دولة عربية كبرى تشمل سوريا وشرق الأردن؟ ولكن السيد نوري السعيد ، كما جاء في مقترحاته ، لا يضمن نجاح فكرة التقسيم إلا إذا طبقت بعد ضم فلسطين إلى دولة عربية كبرى ( يقصد سوريا الكبرى ) ، لذلك نراه يقول في كتابه المذكور ما يلي بالنص : « ... فإنشاء دولتين أو أكثر مستقلة استقلالا تاما ومتكونة من أقاليم فلسطينية صغيرة يقتضي إنشاء حدود مصطنعة متعددة مع إحداث جيوب يهودية متعددة في الدولة العربية ، ومعنى ذلك إنشاء مجاز دولي واحد على الأقل ويحتمل إنشاء أكثر من مجاز واحد . أما إذا أدمجت فلسطين كلها في دولة سورية واحدة تكون حدود الحوزات اليهودية حدودا إدارية فقط ، وقد تتألف حينئذ المناطق اليهودية من عدة أقضية يتمتع فيها اليهود بحقوق خاصة ، أو أنه يمكن باتفاق يتم بين جميع الفرق تعيين منطقة مجتمعة معينة لليهود تدار إدارة شبه مستقلة . وعلى العرب القاطنين فيها والحالة هذه أن يرضوا بالبقاء تحت هذا الحكم أو أن توجد لهم أرض في مكان آخر » .

والحكومة البريطانية ، في الواقع ، تؤيد هذا المشروع وتضحي في سبيله إذا ما جد الأمر حتى بمصالح اليهود ، لأنها في هذه الدولة الكبرى تستطيع أن تجد لها ثغرة تنفذ منها لتوطيد مركزها في سوريا ولبنان وهما الدولتان اللتان تخلصتا إلى غير رجعة من النفوذ الأجنبي . فبريطانية التي حاولت جاهدة طرد الفرنسيين من الشرق الأدنى تتلهف أن تحل محلهم وتسيطر على جميع سواحل البحر الأبيض المتوسط ، هذا البحر الذي تريده « بحرا انجليزيا » كما أراده موسوليني « بحيرة إيطالية » .

وهذا المشروع أيضا ، كغيره من المشاريع البريطانية ، يدركه الفساد من أوله إلى آخره وتعترضه سلسلة من العقبات التي لا يمكن التغلب عليها .

تخيل أيها القارىء أن أمامك الآن خريطة جغرافية للبلاد

---

(١) جاء في الكتاب الأزرق أن الحوزة أرض أو منطقة تقرر ضمن دولة أو بلاد تخصص لسكنى شعب خاص فيها .

العربية ، ثم ضع يدك على بقعة صغيرة عليها فى القسم الجنوبى من الشاطىء الشرقى للبحر المتوسط تحيط بها أراض شاسعة من الأراضى العربية المسلمة تبتدىء من مراكش مخترقة تونس وطرابلس ومنحدرة نحو البلاد العربية الأصلية ثم صاعدة إلى شرق الأردن وسوريا ولبنان والعراق . وهذه البلاد التى طفت بها والتى تحيط البقعة الصغيرة التى تحت اصبعك تشكل مجموعة قوية من البلاد العربية التى يبلغ عدد سكانها حوالى الخمسين مليون نسمة . وعلى هذه البقعة الصغيرة التى تسمى (فلسطين) ، والمحاطة بالعرب من كل جوانبها ، يريدون إنشاء دولة يهودية مستقلة استقلالا تاما أو استقلالا ذاتيا خارجة عن نطاق الامتداد الجغرافى الذى يحتويها ومنفصلة عن مجموعة البلدان العربية . فهل من المتوقع أن ينجح مشروع كهذا ؟

يقول البريطانيون نعم . ويقول الصهيونيون لا . فهم لا يرضون بهذا الحل المتواضع ولا يقبلون بشبه دولة ضيقة المساحة . وإن أهدافهم قد قرروها فى عدة مؤتمرات من مؤتمراتهم : ففى مؤتمر بلتيمور الذى انعقد فى الولايات المتحدة عام ١٩٤٢ طالبوا بهجرة غير محدودة وبترك الحرية لهم فى التوسع داخل فلسطين إلى ما لا نهاية . وفى المؤتمر الصهيونى العالمى الذى انعقد فى لندن فى أيار عام ١٩٤٥ وضعوا قرارين رئيسيين : إنشاء دولة يهودية خالصة فى فلسطين ، وتخويل الوكالة اليهودية كل الصلاحيات الضرورية لجلب أكبر عدد ممكن من المهاجرين . وفى مؤتمر بازل الأخير طالبوا من جديد بكل هذا .

وإذا كان هناك من بين الصهيونيين من يوافق على مشروع التقسيم فإن الجميع يرومون الامتداد والتوسع لا على حساب فلسطين بل على حساب البلدان المجاورة أيضا ، ولا يمنع ذلك قرار تصدره الحكومة البريطانية تعين فيه حدود الدولة العربية وحدود الدولة اليهودية ، فقد سبق أن أصدرت عدة قرارات توجتها بألفاظ الشرف البريطانى والضمير البريطانى وختمتها بإقرار برلمانها ، ولكنها لم توف المهد فى أى قرار من تلك القرارات ، فكانت تصدر اليوم لتنقض غدا . وآخر قراراتها مشروع الكتاب الأبيض الذى أقره مجلس العموم عام ١٩٣٩ . كما أن الهدف الصهيونى أبعد من أن يرضى بشبه دولة صغيرة المساحة ، لأن الفلسفة الصهيونية ليست قائمة على أسس دينية أو إنسانية بل على دوافع استعمارية توسعية ، وهذا ما قرره جون هوب سمبسن الذى ترأس وفدا إلى فلسطين لرفع تقرير عنها حيث قال : « إن الحجة الإنسانية والحجة الدينية تفسدهما الحقيقة المؤسفة وهى أن الهجرة اليهودية اليوم لا تتألف من اليهود الذين يرغبون لأسباب دينية فى العودة إلى أرض صهيون ابتغاء إقامة حياة يهودية لا يشوبها الظلم والاضطهاد ، بل هى مؤلفة من أغلبية من اليهود بعيدة عن التعصب الدينى ومتحمسة بروح الوطنية السياسية ومصممة على تحقيق السيادة فى فلسطين أرض العرب منذ ١٣٠٠ سنة على الأقل » .

والعرب يقولون إن إنشاء دولة يهودية فى فلسطين ، يترك فيها الحكم لليهود وحدهم ، منفصلة عن الاتحاد العربى لا يقبله عرب فلسطين ولا عرب الأقطار العربية ، كما أنه يناقض الوضع الجغرافى القائم، وهذا ما قرره نخبة من أفاضل العلماء والجغرافيين، فإن أعظم خبير بجغرافية فلسطين وهو السير جورج آدم سمث قد فطن إلى ذلك وشرحه فى مؤلفه المعروف « جغرافية الأراضى المقدسة التاريخية » . فهو يقول فى صفحة ٥٨ من كتابه : «لا يمكن أن تقوم فى فلسطين دولة مستقلة ومنفصلة عما يحيطها ، فالحيوانات والنباتات فيها تمثل عصورا جيولوجية عديدة ، وهى تتصل بسلالات النبات والحيوان فى أراض كثيرة ، وأن الاتصال الجنسى والدينى والثقافى بينها وبين أجزاء البلاد العربية الأخرى سيسحق كل دولة تقام بالقوة وبالطرق الصناعية » .

وهذا ما يقوله السير جون كارستنك أستاذ علم الآثار القديمة فى جامعة ليفربول ومدير الآثار القديمة فى فلسطين فيما بعد : «مادام أن ليس لفلسطين حدود خاصة من جوانبها الثلاثة فليس من الممكن أن تصبح مهدا لدولة مستقلة لا تتصل بالأمم التى تحيط بها ومقرا لعنصر أجنبى غريب » .

وإقامة دولة مستقلة فى فلسطين غير داخلة فى الجامعة العربية يجر إلى نتائج خطيرة يستطيع الباحث بقليل من التبصر أن يراها واضحة فى الأفق . فالجامعة العربية حركة طبيعية تسير بالبلاد العربية نحو التجمع لا التوزع ونحو الانضمام لا التفرق ، ومتى

# نشيد فلسطين

للأديب حنا فارس مخول

لقد كانت فلسطين مهبط الوحى والإلهام منذ أقدم العصور . فيها وُلد أكثر قادة البشرية ، ومنها انبعث نور الهداية إلى سائر أنحاء العالم . ولعل جمالها واعتدالها هما اللذان مهدا لهذا الوحى واستنزلا ذلك الإلهام ...

وفلسطين دون غيرها هى قبلة أنظار الطامعين ، والكعبة التى يقدسها أتباع الديانات السماوية الثلاث . وهى على كل حال بلاد عربية فوق كل اعتبار ، إنها عنق الجامعة العربية الذى ضيق عليه الخناق ، ولكنها مع كل هذا بدون باعث للنشاط ، وبدون محرك للهمم ، وحافز للعمل ... إنها بدون نشيد !

أجل ليس لنا — والله — نشيد نردده فيذكى الحية فى نفوسنا ، وينفض عنها غبار الخوف ، وصدأ الخمول ، ويرسم لنا هدفاً معيناً تجاهها ، يلخص واجبنا تجاه الوطن والمواطنين ... والإنسانية !

يقولون : إن نشيد « المارسيليز » هو الذى قهر أوروبا لا نابليون ، وأن النشيد الاسكتلندى هو الذى قضى على نابليون لا ولنجتون ... ولكن أين منا النشيد الذى يشعرنا بأننا أمة تحيا وتستحق الحياة ؟!

إن شعراءنا — وهم كثر بحمد الله — قد قصروا هممهم على الغزل والتشبيب والتغنى « بيوم النصر » ... يوم نصر أعدائنا ، وفشل قضيتنا !!

إن شعراءنا فى واد ، ونحن فى واد ... ليس فيهم من حاول شيئاً من هذا سوى المرحوم ابراهيم طوقان ... ونشيد طوقان على علاته هو خير نشيد لنا فى الوقت الحاضر ، ولكن فيه مواقف ضعف تحول دون صلاحيته لأن يكون النشيد القومى المنشود !

إنه كان يناجى موطنه ويتمنى أن يراه فى علاه يبلغ السماك ..

موطنى

الجلال ، والجمال ، والسناء ، والبهاء فى رباك

---

ما بلغت هذه الحركة غايتها ووجد فى قلب الوطن العربى حاجز يقف دون اتمام مرحلة التطور كان عليها إما أن تقف ، وهذا لا يمكن أن يتصور ونحن أمام ظواهر طبيعية لا تعرف الأناة ، وإما أن تعبر هذا البرزخ الاصطناعى فى صميم تكوينها الجغرافى فتحدث مأساة عنصرية جديدة من المآسى التى زخر بها التاريخ ، لأن الصهيونيين سوف لا يسلمون بالأمر الواقع ويندمجون فى الشعب العربى بل سيقاومون ما يرى العرب أنه مسألة حياة أو موت بالنسبة لهم

إن تقسيم فلسطين مشروع خائب ، وقد سبق السير رونالد ستورس الزمن وصرح بذلك أمام لجنة التحقيق الانكلواميركية التى ألفت أخيرا ، والسير المذكور من أشد انصار الحركة الصهيونية وقد ظل حاكما للقدس مدة اثنى عشر عاما ، فإذا تكلم لمصلحة العرب فإن لكلامه قيمة .

قال : « إن كل حل يقسم فلسطين بين العرب واليهود لا يمكن أن ينشر لواء الأمن والسلام فوق ربوع الشرق الأوسط ، بل على العكس سيحكم عليه باضطرابات مستمرة لا تنقطع ، وسيؤدى إلى أعظم مأساة عرفتها تلك البلاد . إن فلسطين قد ساهمت مساهمة فعالة فى حل مشكلة الحرب ضد السامية فقبلت ما يقارب الثلاثة أرباع المليون من المشردين فى حين أن بريطانية وأميركة اللتين تحملان على عاتقها تدبير الملجأ لليهود لم تساهما مثل هذه المساهمة . إن المشكلة الفلسطينية يجب أن تعتبر منتهية ويجب أن يشترك العالم بأسره فيساهم فى قبول البقية الباقية من المهاجرين . لقد أيدت الحركة الصهيونية طيلة حياتى ، وقد آن الأوان أن أقول إنى لا أزال أؤيدها ولكن لا على حساب العرب . وإن الذى أقرره هنا هو ثمرة تجاربى الخاصة التى حصلت عليها فى اثنى عشر عاما قضيتها حاكما للقدس » .

إن فكرة التقسيم مشروع فاشل ، وإن الحل الوحيد للمشكلة هو أن توقف الهجرة فى الحال وأن تمنح فلسطين استقلالها وتنضم إلى الجامعة العربية ويعيش اليهود فيها كما يعيش إخوانهم فى البلاد العربية الأخرى كأقلية لها ما للأكثرية من حقوق وواجبات ، وبعد ذلك يشترك العرب جميعا مع العالم فى تحمل نصيبهم عند إيجاد حل لمشكلة الاضطهاد العنصرى .

(بغداد) فؤاد طرزى

والحياة ، والنجاة ، والهناء ، والرجاء في هواك

هــل أراك

سالماً منعماً وغانماً مكرماً

هل أراك . في علاك . تبلغ السماك ؟

مــوطني

ولكن في تمنيه شيئاً من التساؤل وضعف الأمل ... لقد أظهر حبه له ، ورسم خطوط هذا الحب بعبارات عاطفية وشعور فياض ، ولكن ليس هذا دستوراً نعمل بمقتضاه ... إننا نريد الشاعر الذي يقول : سأراك . بل يجب أن أراك في علاك تبلغ السماك ! لا : هل أراك ؟ ! إننا نريد الشاعر الذي يطمئن إلى عودة هذا الوطن الجريح إلى أبنائه ، بكل شبر فيه .. بصميمه ...

وقد حاول طوقان ذلك،فوعده بتناسي الأشخاص والأحزاب

مــوطني

الشباب لن يكل همه أن تستقل أو يبيد

نستقي من الردى ولن نكون للعدى كالعبيد

لا نريد

ذلنــا المؤبدا وعيشنا المنكدا

لا نريد . بل نعيد . مجدنا التليد

مــوطني

الحسام واليــراع لا الكلام والنزاع رمزنا

مجدنا وعهــدنا وواجب إلى الوفا يهزنا

عــزنا

غاية تشرف وراية ترفرف

يا هناك . في علاك . قاهراً عداك

مــوطني

أجل إن طوقان وعده بتناسي الأشخاص والأحزاب ، والعمل في سبيله حتى يستقل ، ولكن ليس يكفي أن نستقل داخلياً ، فالنشيد القوي يجب أن يشعر المواطن بالطموح وواجب التقدم ، ويبشره بالمستقبل اللامع والمكانة المحترمة في قافلة الإنسانية

إذن لا نريد نشيداً يشعرنا بالعبودية — ولو في معرض الإباء — ويروي لأبنائنا بعدنا قصة ذلنا — غير المؤبد — وعيشنا المنكد ... لا نريد نشيداً يصلح ليومنا ، ولا يصلح لغدنا !!

إننا بحاجة إلى نشيد يهز الأعطاف دون أن يدمي القلوب ، ويجرح العزة ... نريد نشيداً يتفجر قوة وحمية ... نريد نشيداً كمعلقة عمرو بن كلثوم أو قصيدة بشر بن عوانه ... نريد القوة لأننا في عصر القوة !! ويجب أن نشعر بأننا أمة فوق الأمم ، أو في طليعة الشعوب ، والماضي يشهد ، والحاضر يبشر ، ونور الشيوخ ، ونار الشباب يثبتان ويؤكدان !!

وقد كانت مصر شعرت بالحاجة إلى نشيد قوي ، فكانت مسابقة ، وكان نشيد ! ! وفلسطين هي النقطة الحساسة في جسم البلاد العربية ... فهل نتوجه بندائنا إلى والد العرب الذي ولدوه ، إلى الجامعة العربية ، أم إلى الهيئة العربية العليا في فلسطين؟ لعلهما تشعران بالمسئولية فتعملا على تحقيق هذه الأمنية ! !

***

وفلسطين فوق هذا لا علم لها ، وإن شئت تفصيلا فقل : ليس لسكانها الأصليين ، ليس لعربها علم ... لأن اليهود الطارئين — وهم قلة بحمد الله — لهم نشيدهم القوي « الهاتكفا » ، ولهم علم يرفعونه في جميع المناسبات ... أما نحن فنزين دورنا ومحالنا التجارية وأنديتنا و ... بالأعلام العربيــة في أعيادنا القومية . ولا أقول بالعلم العربي — لأننا لم نتخذ حتى الآن علماً واحداً في جميع أقطارنا ... إننا نرفع العلم المصري أو العراقي .أو اللبناني أو السوري أو أي علم من أعلام الدول العربية ، ولنا الشرف في ذلك لأن العرب في القطر الواحد إخوان العرب في القطر الثاني ، فأي علم عربي هو علمنا ... ولكننا على كل حال وحدة نريد استقلالها . ووضعها الشاذ يستدعي حشد جميع بواعث الهمم لمجابهة الموقف الرهيب . فلماذا لا يكون لنا علم نرمز به إلى آمالنا وأهدافنا ، يرف فوق رءوسنا ، وبه — بعد الله — نعتصم ، والأقلية الطارئة علينا ، لها علم ؟!

أنكون كالقرعاء التي تباهي بشعر ابنة أختها — على خشونة الشل — ؟ لا — والله — بل يجب أن نتساوى مع العرب المستقلين في جميع بلدانهم ، ولن نرضى أن نكون عالة عليهم فكفاهم من همومهم ما يثقل كواهلهم !

وإذن فلنتقدم إلى المسئولين بهذا الاقتراح،أو — إن شاءوا — فبهذا النداء ، راجين أن يحققوا آمال ما يزيد على المليون من عرب فلسطين ، والملايين من عرب العالم ولهم الشكر المقدم !

**حنا فارس مخول**

قادة الإصلاح في القرن الثالث عشر :

# الشيخ شـــامل

## زعيم القوقاز وشيخ المجاهدين

١٢١٢ — ١٢٨٧ هـ : ١٧٩٧ — ١٨٧١ م

للأستاذ برهان الدين الداغستاني

### شامل تحت قيادة حمزة بك :

وبعد أن استشهد الغازى محمد الكمراوى فى معركة يوم ٢ جمادى الآخرة سنة ١٢٤٨هـ اجتمع العلماء والأعيان، وأصحاب الشأن فى ولاية «آوار» وانتخبوا حمزة بك خلفاً للغازى محمد الكمراوى وقائداً لحركة الاصلاح الدينية، وحاملاً لعلم الثورة الوطنية، وسلك حمزة بك طريق سلفه من أخذ الناس باللين والهوادة، ودعوتهم بالحسنى إلى اتباع أحكام الدين، ورعاية آدابه، فأخذ يطوف القرى والدساكر مرشداً ناصحاً، يدعو إلى دين الله والعمل به، ولكنه أيقن — كما أيقن سلفه من قبل — أن الدعوة التى لا تظاهرها القوة وتسندها، حقيقة بالفشل، فبدأ يجمع المتطوعين، وينظم صفوفهم، ويوجههم إلى المعاندين الذين كانوا يحولون بين الدعوة الاصلاحية وذيوعها، وهنا أيضاً نجد شاملا يشد أزر حمزة بك ويعضده، ويلازمه فى جميع حملاته التأديبية، ومعاركه الحربية التى خاضها، فإنه كما كان القائد المحنك، والمريد المطيع لدى الغازى محمد الكمراوى ظل كذلك مع حمزة بك أيضاً حتى قتل هذا غيلة بينما كان ذاهباً لأداء فريضة الجمعة فى قرية «خنزاخ» فى أواخر سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م).

### شامل فى قيادة الحركة الدينية الوطنية :

بعد اغتيال حمزة بك فى أواخر سنة ١٢٥٠ هـ اتجهت الأنظار إلى شامل ليقوم بقيادة الحركة التى بدأت من نحو خمس سنوات بقيادة الغازى محمد الكمراوى، ولكن شاملا لم يكن بالرجل الطامع فى قيادة أو رياسة، وحسبه أن يقوم بواجبه كيفما اتفق، بل كان بوده أن يظل بعيداً عن مشاغل القيادة ومشاكل الرياسة، وما يتصل بها من مطامع ومتاعب، ولذلك ثار وغضب لما فوتح فى أمر اسناد الرياسة إليه، ولكن إصرار العلماء والأعيان وأصحاب الشأن فى منطقة «آوار» مهد الحركة الثورية وإجماعهم على ضرورة قيامه بقيادة هذه الحركة — جعل شاملا يستجيب لصوت الواجب، ورضى أن يتولى الامامة — كما كانوا يسمونها — بعد سلفيه الغازى محمد وحمزة بك.

إن تولى شامل قيادة الثورة الوطنية الدينية فى الداغستان كان نقطة التحول فى هذه الحركة، فقد تبدل فيها كل شىء وتغير، وانتشرت روح الحركة والنشاط فى كل اتجاه، وظهرت نواحى العظمة والعبقرية فى هذا القائد الجديد سريعاً، فدبت الحركة وظهر النشاط فى الثورة والثوار، واشتعلت نار الحماسة فى صدور أولئك الجبليين من أهل القرى والأكواخ، وتحولت الثورة التى سارت خمسة أعوام فى بطء وهوادة إلى حرب منظمة، وقيادة محكمة وجنود مدربين، وأنظمة مالية وقضائية كأحسن ماتكون الأنظمة المالية والقضائية فى البلاد، وأنشأ الإدارة المدنية فى كل مدينة أو قرية وقعت تحت سلطانه.

كان كل شىء قبل تولى شامل الرياسة يسير على الفطرة والطبيعة الهادئة البدائية، لا أثر للنظام والإحكام فيه، كان واجباً على المتطوع أن يكفى نفسه ويمونها بما هى فى حاجة إليه من غذاء وكساء وسلاح، فوق ما يصاب به فى نفسه وماله، وما يلحقه من جراء اشتراكه فى الثورة من متاعب وخسائر.

ولم يكن لهؤلاء المتطوعين نظام يسيرون عليه، وتدريب يمدهم للأعمال الحربية، فكان كل واحد منهم يقوم بما يستطيعه تحت مسئوليته وعلى حسابه، وعلى الوجه الذى يتراءى له

وكما لم يكن هناك — قبل رياسة شامل — نظام للمتطوعين وتدريبهم فإنه لم يكن عندهم ما يسمى بالإدارة المالية المنظمة لحركة الثورة، فكل شىء كان يسير — كما قدمت — حسب الظروف، وعلى أساليب فطرية أولية، لا أثر فيها للدقة، ولا للنظام والأحكام.

فلما تولى شامل قيادة الثورة أنشأ — أول ما أنشأ —

بيت المال على حسب نصوص الشريعة الإسلامية ، وعين لهذا البيت الجباة والأمناء والعاملين ، وجعل للمتطوع حقا معلوماً فى الغنائم ، فكان يخمس كل ما يصل إلى يده من أموال الأعداء ، فيضم خمسه إلى بيت المال ، ثم يقسم الأخماس الأربعة الباقية بين المجاهدين المحاربين ، وأحيا بذلك سنة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين فى قسمة الغنائم بين بيت المال والمجاهدين تطبيقاً لكتاب الله الكريم وعملا بما جاء به « واعلموا أن ما غنمتم من شىء فإن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير » ( ٤١ — ٨ ) .

فكون بذلك أساس النظام الاقتصادى ، وأمن الناحية المادية فى الثورة ، كما أغنى المجاهدين المتطوعين ، وسد حاجاتهم بما ينالونه من الغنائم ، ولم يكتف بذلك بل وجه نظره إلى نظام الجيوش وتدريب المتطوعين على نظم القتال والحروب ، كما عنى العناية البالغة بأمر أسلحة هؤلاء المتطوعين ، وعمل على إبلاغها إلى الحال التى تصلح للقتال بها مع جيوش الروسيين ذات العدد والعدد .

ومع أن هم شامل كله أو جله كان منصرفاً إلى الناحية الحربية وإعداد المحاربين ، وتهيئة كل الأسباب التى تمكنهم من القيام بواجبهم الوطنى على الوجه الأكمل ، فإنه مع ذلك لم يكن ليهمل النواحى الدينية والعمرانية ، فقد كان معنياً جداً بتوطيد نظام القضاء الشرعى فى تلك البلاد ، فكان يعين فى كل قرية يستولى عليها قاضياً شرعياً يفصل بين أهلها فيما يعرض لهم من أحكام دينهم ، ويقيم حدود الإسلام ، وينفذ أحكامه فيهم .

وليس هذا فقط ، فقد كان يوجه إلى الأقاليم والمناطق التى تخضع له « نواباً » عنه يقومون بالإدارة الدنية فى تلك الجهات ويشرفون على جميع شئونها . وكانت مهمة هؤلاء النواب فى أقاليمهم شبيهة بمهمة المحافظين والمديرين ، فكانوا مسئولين عن جباية أموال بيت المال ، وتنظيم حركة المتطوعين ، والمحافظة على السلام والأمن العام ، وحماية السلطة القضائية ، وتنفيذ أحكام القضاة ، وعلى العموم فقد كان هؤلاء « النواب » يقومون فى أقاليمهم بمهمة الحكام لهم ما للحكام من إشراف على مصالح الإقليم ورعاية حقوق الناس وصون أموالهم ونفوسهم ، وتنفيذ الأحكام التى يصدرها القضاة الشرعيون .

وإذا نحن تركنا الناحية المدنية من إنشاء بيت المال وتنظيم الإدارة وما إلى ذلك ، ووجهنا نظرنا إلى الناحية الحربية وأثر شامل فيها . وجدنا الفرق كبيراً والبون شاسعاً بين العهد الذى سبق شاملا والعهد الذى نشأ بعد تولى شامل للقيادة . فالثورة فى عهد الغازى محمد الكمراوى وحمزة بك كانت أشبه ما تكون بتلك الحركات السلبية التى تظهر فى كل بلد على أثر احتلال جديد من فاتح أجنبى ، تظهر هنا مرة ، وهناك مرة أخرى ، وتظهر فى آن لتختفى فى أحيان ولكن الحال فى عهد شامل من سنة ١٢٥٠ — ١٢٧٦ هـ ( ١٨٣٤ — ١٨٥٩ م ) تغيرت تغيراً كبيراً ، فقد أصبحت الثورة حركة عامة شاملة ، وأصبح لها قيادة رسمية ومقر يصرف الأمور ، ويوجه الحركات ، ويتلقى الأنباء ، ومعتقلات لإيواء الأسرى ، وسجون لحبس الخارجين على أحكام الشريعة ، أو من صدرت ضدهم أحكام قضائية .

وأنشأ الشيخ شامل حكومة وطنية فى الداغستان . كانت فى كثير من الأوقات — مدى ربع قرن — تبسط سلطانها على أغلب البلاد الداغستانية ، وتنفذ فيها أحكام الشريعة الإسلامية .

وإن مما يبعث على العجب والإعجاب معاً أن يستطيع الشيخ شامل الصمود أمام قوات القيصرية الروسية خمسة وعشرين عاماً ونيفاً يناضل فى سبيل دينه ووطنه من غير أن يكون له سند يسنده ، أو معين يعينه غير إيمانه بالله ، وقوة عزيمته ، وصبره ومصابرته على المكاره والشدائد فى سبيل الله . وإذا كان فى هذا الصبر وذلك الصمود أمام قوات تلك الأمبراطورية العظيمة مدى ربع قرن ما يثير الإعجاب ويبعث على العجب ، فإن ما سجله التاريخ لهذا المجاهد البطل من انتصارات باهرة على كبار القواد الروسيين فى معارك مشهورة فاصلة — نعم إن تلك الانتصارات العجيبة تعيد إلى الذهن ذكرى فتوحات الغزاة المسلمين فى عصر ظهور الإسلام وانتشاره والصدر الأول من حياة المسلمين .

على أنه — رحمه الله وأحسن إليه — لما اضطر إلى التسليم آخر الأمر لم يرض أن يسلم نفسه إلا على شرط أن يسلم هو ومن معه

من قواده ومرافقيه إلى خليفة الإسلام والمسلمين فى القسطنطينية .

ولا يتسع هذا المقال الوجيز الذى أكتبه بمناسبة ذكرى وفاته السادسة والسبعين لذكر كل ما ينبغى ذكره من أعمال هذا المجاهد العظيم ، ولذلك سأقتصر على بعض الخطوط والظلال التى تصوره بصورة إجمالية، وتعطى القارىء فكرة عامة عنه ، كما أذكر بعض الأعمال والحوادث الهامة التى وقعت فى عهده ملتزماً فى ذلك غاية الإيجاز :

١ — على أثر تولى شامل قيـــادة الثورة وقيامه ببعض الاصلاحات والتنظيمات أوعزت الحكومة الروسية إلى أحد صنائعها شمخال[1] غمزانش ، وكلفته الاتصال بشامل بقصد استمالته إلى جانب الروسيين ، وإغرائه وإطماعه فى إمارة الجبل ، فاتصل الشمخال بالشيخ شامل ، وطلب منه أن يتوجه إلى مقر والى القوقاز فى مدينة « تفليس » حتى يعينه هذا الوالى الروسى أميراً على بلاد الداغستان ، إلا أن الشيخ شامل كان يعتبر نفسه أميراً وإماماً لبلاد الداغستان بمبايعة الداغستانيين له وتوليتهم إياه بعد اغتيال المرحوم حمزة بك سـنة ١٢٥٠ هـ ولذلك لم يعر هذا العرض التفاتاً وضرب به عرض الحائط . وفى سنة ١٢٥٣ هـ ( ١٨٣٧ م ) تكررت هذه المحاولة لاستمالة الشيخ شامل ، وإنهاء حال الثورة فى بلاد الداغستان ، فقد اتصل القائد الروسى الجنرال « كلك » بالشيخ شامل وعرض عليه الذهاب إلى « تفليس » لمقابلة والى القوقاز ، وأكد له أن الوالى سيعينه أميراً على جميع المسلمين فى الداغستان ، ورفض الشيخ شامل هذا العرض أيضاً لأنه كان يعد نفسه أميراً منتخباً من الأهلين بكامل حرياتهم ، فلم يرض لنفسه أن يتلقى الإمارة من يد عدوه ومستعمر بلاده ، وعقد العزم على مواصلة القتال حتى يقضى الله أمره ، ثم تكررت هذه المحاولة سنة ١٢٥٥ هـ ( ١٨٣٩ م ) من جانب الروسيين ولكنها فشلت أيضاً .

٢ — فى أوائل سنة ١٢٥٨ هـ انتصر الشيخ شامل على القائد الروسى الجنرال « كرف » انتصاراً باهراً . فى معركة فاصلة حاسمة واضطر هذا القائد الروسى إلى الانسحاب العام ، ولجأ إلى قلعة « شورا » الشهيرة . وكان لهذا النصر وقعه الحسن بين إخوان

(١) لقب يطلق على بعض حكام الأقاليم والرؤساء هناك .

شامل ومريديه ، فاقترحوا عليه أن يبعث وفداً من قبله لمقابلة خليفة المسلمين السلطان عبد المجيد خان فى القسطنطينية ، وبعد إلحاح شديد نزل شامل على إرادة أعوانه ، وألف وفداً من ثلاثة أشخاص اختارهم لهذه السفارة بينه وبين الخليفة ، وحملهم عريضة كتبها باسمه واسم اخوانه المجاهدين الداغستانيين إلى مقام الخلافة العظمى . ولسنا ندرى مضمون هذه العريضة ، و الغاية المرجوة منها ، ولكنها على كل حال لا بد أن تكون عرضاً لأحوال المسلمين فى الداغستان ، وربما كانت متضمنة طلب العون والمساعدة المادية أو الأدبية على الأقل من خليفة المسلمين .

وسافر هذا الوفد إلى بلاد الجركس فى طريقه إلى القسطنطينية ثم جاوزها إلى بلاد « أبازه » على ساحل البحر الأسود ليركبوا من هناك أحد المراكب البحرية إلى عاصمة الخلافة . إلا أن أخبار هذا الوفد كانت قد سبقته ، فوجد العيون والأرصاد فى كل مكان فلم يستطع أعضاؤه ركوب البحر لأن عيون الروسيين كانت ساهرة ، وأخيراً استطاع أحد الأعضاء « الشيخ الجركوى » أن يتسلل إلى أحد المراكب بدعوى أنه من الحجاج القاصدين إلى الديار الحجازية وحمل بين طيات ثيابه عريضة الشيخ شامل ، وأوصلها إلى رجال ديوان الخليفة غير أنه لقى مطلا وإهمالا غريباً ، ووعوداً كاذبة . وقضى نحبه بعد مرض يسير قبل أن ينال رد الخليفة على عريضة قائده وإمامه الشيخ شامل . وبذلك أسدل الستار على هذه الرواية

( يتبع ) برهان الدين الداغستانى

# ليالى الحصاد

[ إلى أستاذنا صاحب الرسالة الذى وصف الحصاد
فلم يدع فضلا لنثر ولا لشعر ]

للأستاذ محمود الخفيف

طربت فأشرعت مزماريه ... أدير إلى الريف ألحانيه
أغنى بأيامه الضاحكات ... وليلاته الحلوة الساجيه

وإنى لأهفو إلى ذكره ... وأملأ قلبى من سحره
أعيش أويقاتىَ الماضيات ... وأنهل لذاتها ثانيه

وإنى على البعد غرِّيده ... يجدد لحنى ترديده
أغنى بما قر فى مسمعى ... أرجع أصداءه الغاليه

أرقرق فى اللحن ضوء القمر ... وسحر العشايا ونفح البُكر
وفيض المنى من ليالى الحصاد ... وروح الهناءة والعافيه

ليالى الرضا والصبا والوداد ... ورجع الهوى فى أغانى الحصاد
على الأرض منها غناء يروق ... وفى الجو أطيافها شاديه

هلم فما الليل ليل الرقاد ... ولا قامه قائم من مهاد
هلم نجدد عهود الهوى ... ونغنم صبابته الباقيه

هلم فقد طاب ليل الحقول ... ولذ السرى بين تلك السهول
وأطلق فيها نسيم العشاء ... أوائل أنفاسه الصافيه

دعانى فتى مستفيض الجذل ... تهلل فى مقلتيه الأمل
تريك إلى وجهه نظرةٌ ... دلائل عيشته الراضيه

تحدث عيناه عن حبه ... وما أودع الحب فى قلبه
وتحلو أحاديث أحلامه ... كما رقت النسمة الوانيه

مشينا ... يغنى وأصغى له ... فيطرح قلبى أثقاله
يغنى بحاضره المستهام ... وأذكر أيامى الماضيه

تحلق للسمر الحاصدون ... وصفق للزامر السامرون
وطافت بهم نفحات الشباب ... فلم تخل من مرح ناحيه

يردد يا ليل شادٍ هنا ... ويهتف ذو صبوة ها هنا
وهذى الطبيعة يقظانةٌ ... كأن لم تبت ليلة غافيه

طربت لصوت سرى من بعيد ... رخىِّ الهتاف شجىِّ النشيد
تهلل فى خاطرى لحنه ... وندى بشكواه أجفانيه

جليلة، هاتى شكاة هواك ... صفى كيف كان تجنى فتاك
غناؤك فى الليل حلو الصدى ... تطوف به النسمة الساريه

على القرب لحن ولحن بعيد ... وشاد تحدى وشاد يجيب
وتهتف زمارة ها هنا ... وأخرى تجاوبها شاديه

وكل فتى بات يشكو الهوى ... وبرح الضنى والنوى والجوى
أغانيهمو من مراح الشباب ... وأحلام أيامه اللاهيه

وكم صاح من طرب ساهر ... يغنى له حاصد شاعر
وكم فصل اللحن إنشاده ... ورتل أرغوله القافيه

أطل على الأفق ملك السماء ... ندىُّ المحفة كابى الضياء
على ذهب الحقل من تحته ... جرى ذوب فضته الكابيه

وقاموا صفوفاً إلى السنبل ... تندى وأحصد للمنجل
ولذ التسابق للحاصدين ... سيوف مناجلهم ماضيه

تجز المناجل سُوق الحصيد ... وفى الليل يسرى رنين الحديد
وخشخشة ها هنا وهنا ... تموَّج نائية دانيه

ومن كل صوب وركن غناء ... ورجع يروق بأقصى الفضاء
وقد رقرق الفجر أنفاسه ... ولاحت خيوط له قانيه

تورَّد فى الشرق لون الشفق ... وهل به النور ثم اندفق
وسالت على حُزم الحاصدين ... خيوط مذهبة جاريه

هنا وهناك يرى الحاصدون ... أطلت ذكاء وهم قاعون

# تعقيبات

**مسابقة في غير ميدان :**

اختار المجمع اللغوى للمسابقة الأدبية التى يجريها للعام المقبل موضوعين : أحدهما «الحياة الأدبية فى المدينة على عهد الأمويين» وثانيهما « كتابة بحث عن مهيار الديلمى » الشاعر المشهور .

والحياة الأدبية فى المدينة موضوع أخلقه كثرة الكلام فيه والحديث عنه ، وفيه من البحوث القديمة والحديثة والدراسات المطولة والمدرسية شىء كثير جداً ، وكله ميسر للقارئين جداً ، ومهيار الديلمى شاعر كبير حقاً ، ولكن حسبه حظوة أن قامت دار الكتب بطبع ديوانه الضخم طبعاً فاخراً ، وقررت الوزارة دراسته فى مدارسها وسار من أشعاره وأخباره كثير فى ألسنة الناس وإنما الشأن فى مسابقة كالتى يجريها المجمع أن تكون فى موضوعات يرود فيها الباحث مجاهل جديدة ويكشف فيها عن آثار لا تزال مطمورة ، وعندنا فى الأدب العربى عصور مغلقة أمام الباحثين ولا تزال ثروتها الفكرية مدفونة وهى تنتظر الجهد لكشفها وإخراجها ، فمثلا الأدب المصرى حتى فى أزهى عصوره لا نعرف منه إلا شذرات طفيفة ، والأدب الأندلسى لا نقف فيه إلا على جلة أخبار محفوظة ، والأدب العربى فى شمال إفريقية من عهد عقبة بن نافع إلى اليوم لا ندرى فيه كثيراً ولا قليلا ، فكان الأجدر بالمجمع أن يجعل ميدان المسابقة فى تلك الميادين التى يجدى فيها السباق على الأدب والبحث ، أما المسابقة فى البحث عن مهيار وعن الحياة الأدبية فى المدينة فإن من اللائق أن تكون مسابقة لتلاميذ المدارس إذ يراعى نحوهم تيسير البحث عليهم ...

فهل لرجال المجمع أن يعيدوا النظر فى اختيار الموضوع ، وأن يراعوا فى ذلك إيثار النواحى التى لا تزال مجهولة غامضة ...

**هذه الألفاظ الأثرية :**

فى العدد الذى وصل أخيراً من مجلة « الغرى » التى تصدر فى النجف مقال بعنوان « أسماء منتخبة لمعان مستحدثة » بقلم الشيخ أحمد رضا ، مهد له الشيخ بمقدمة قال فيها : « عهد إلى الجمع العلمى العربى وأنا من أعضائه الأقدمين بتأليف معجم لغوى يلائم روح العصر تنسيقاً وترتيباً ويكون جامعاً لمتن اللغة دون شروح أو تعاليل لأنها ليست من هم الطالب المعجل الذى يطلب معنى الكلمة العربية كما سمعت من العرب ، وليس من همه أن يبحث عنها كيف استقرت على صيغتها المسموعة عنهم ، وإنما ذلك شأن الباحثين المتخصصين فى فلسفة اللغة وتطورها فأنجزته والحمد لله حاوياً للمواد الواردة فى أشهر كتب الأئمة ... ثم رأى المجمع أن أوجزه بكتاب مختصر يكون نجدة للناشئين المتأدبين ولا سيما الطلاب فى المدارس ، فقصدت إلى ذلك وألحقت ما أثبت عليه بأسماء منتخبة لمسميات حديثة تراءت لى أثناء مراجعاتى اللغوية »

ثم أورد الشيخ بعضاً من هذه الأسماء التى انتخبها وهى «الدرمك» للدقيق الحوّر الأبيض المعروف بالفاخر ، و « الدغرى مصدر دغر » للحرب الفاجئة المروفة بحرب الصاعقة ، و «المدغرة» للحرب المضوض التى شعارها دغرى ، و «المربقة» للساندوتش ، و «الدلق» للروب يلبسه القضاة والمحامون ، و «النيم والنامة » للبيجامة ، و « الربيدة » للدوسيه ، و « التلاء » للجواز المؤقت ... إلى آخر الألفاظ التى أوردها الشيخ وكلها من هذا القبيل ...

وكل هذا عناء لا طائل تحته ، والواقع أن رجال اللغة عندنا يشقون على أنفسهم كثيراً ويتحملون كل هذا العناء استجابة

---

وراقت أهازيجهم فى الصباح وطابت منى الرزق والعافيه

ألا كم مهرت بتلك الرحاب
وكم أسكرتنى الليالى العذاب
وكم ذقت فيها كؤوس الهوى
على عفة صنتها ، غاليه !

ليالى المنى والصبا والوداد
ورجع الهوى فى أغانى الحصاد
على الأرض منها غناء يروق وفى الجو أطيافها شاديه

**الحقيف**

لفكرة متسلطة على أذهانهم وهى التدليل على أن اللغة العربية غنية بمادتها بحيث تكفى ألفاظها لكل معنى مستحدث وفى كل غرض جديد، فهم يرجعون إلى القواميس يلتقطون منها تلك الألفاظ الجفوة الميتة ويضعونها للمعانى الحديثة فى حياة الناس، وما مثلهم فى ذلك إلا كمثل رجل ينزل إلى السوق إلى اليوم فيصر على أن يتعامل بالدراهم وبالدنانير التى ضربت على عهد الرشيد، ويزعم للناس أن الدرهم لا يزال درهما، والدينار لا يزال ديناراً!

فالأمر فى وضع الألفاظ اللغوية وانتخابها ليس مجرد إيجاد تلك الألفاظ فحسب، بل إيجاد الألفاظ التى تصلح للحياة، فيتفاهم بها الناس فى أحاديثهم، ويتعامل بها الكتاب والشعراء فى ألفاظهم وتعابيرهم، ومَن مِن الكتاب والشعراء يطيق ذوقه أن يستعمل الدرمك، والدغرى والمدغرة والدلق والمربقة ...

فلعل رجال اللغة يقدرون هذا ويصرفون إليه جهدهم، وإلا فليوفروا على أنفسهم وعلى الناس العناء والشطط ...

**الشيوعية فى هوليود:**

فى الأنباء الواردة من أمريكا أن اللجنة الفرعية التى تألفت من أعضاء مجلس النواب هناك للتحقيق فى الأعمال التى يقوم بها غير الأمريكيين اكتشفت «أن الشيوعية قد تأصلت جذورها فى هوليود وفى صناعة الأفلام ..»

وقد أدلى المسترجيمس مكدويل عضو اللجنة بأن الشيوعيين موجودون فى جميع فروع صناعة الأفلام، فنهم مهندسو المناظر، ومنهم الفنانون، ومنهم المصورون والمخرجون، ومنهم الكتاب والمؤلفون، وقد كشف التحقيق عن وجود حلقة من الشيوعيين تتسرب إلى داخل البلاد عن طريق المكسيك ...

وهكذا أصبحت هوليود مدينة الحب والجمال، والفن والمال وهى أيضاً مباءة للنزعات السياسية والاتجاهات المذهبية، كأن السياسة الملونة تأبى إلا أن تعكر كل مورد، وتستغل كل أسلوب للتأثير فى أذهان الناس.

ما أشبه استغلال الدعاية الشيوعية لهوليود بالمؤامرة التى صنعها الألمان فى الحرب العالمية الأولى فى مصانع الذخيرة للحلفاء ومحاولة حشو القذائف بالرمل، إنه فى الواقع استغلال خطير، لأن هوليود كما معروف تتسلط على العالم بفنها، وبأفلامها، وإن مما يؤلم أن يصير الفن أداة للسياسة، وأن يصبح سلاحاً للدعايات المذهبية مهما كان لونها، ومهما كان هدفها، إنما الفن صوت الإنسانية الخالص من شوائب الأغراض، فمتى يمضى الفن إلى هذه الغاية مترفعاً عن أوضار الدعاية ومآرب السياسة ...

**الشعر والغناء:**

يشتغل المطرب المعروف محمد عبدالوهاب فى هذه الأيام بتلحين قصيدة «مضناك جفاه مرقده» للمغفور له أحمد شوقى بك، وهذه القصيدة التى عارض بها أمير الشعراء قصيدة الحصرى المشهورة: «ياليل الصب متى غده..»

وإن مما يدعو إلى الاغتباط أن يتجه كبار المطربين والمطربات عندنا إلى الغناء فى الشعر الرفيع، واختيار القصائد الممتعة والمقطوعات الرائعة لتشنيف الأسماع وإشباع العواطف، فقد كان الغناء عندنا ابتذل فى الكلام التافه الرخيص والتعابير العامية المكشوفة، وكنا كلما شكونا من هذا وطالبنا أهل الطرب بالترفع عن هذا التخنث احتجوا بأن هذا هو الذى يطلبه الجمهور ويفهمه ويقبل عليه، فلما غنى عبد الوهاب فى شعر شوقى، وغنت «أم كلثوم» سلو قلبى . لم يطرب الجمهور، بل لم يطرب العالم العربى أجمع مثل ما طرب لهما فى هذا، حتى أصبح العامة يستظهرون هذه القصائد والمقطوعات ويرددون نغماتها فى غدوهم ورواحهم، ولا شك أن لهذا أثره الطيب فى تقويم الألسن وتهذيب العواطف

حدثنى الشيخ محمد الخضرى رحمة الله عليه قال: لقد سمعت عبده الحمولى يغنى فى حشد يبلغ الألوف، فرأيته يتلاعب بألبابهم ويهز عواطفهم، ولكنه من الأسف كان يغنى فى كلام مبتذل، فهجمت عليه فى عنف وقلت أيها الرجل: إن قيادة هذه الجماهير فى يدك، وأنت تستطيع أن تسير بهم فى طريق الخير والتهذيب فلملك تفعل ...

وهكذا يجب أن نفهم أن الغناء أسلوب من أساليب التهذيب وأنه فى هذا أداة ساحرة مؤثرة، ولهذا يعنينا أن نسجل هذا الاتجاه الحميد الذى يتجه إليه المطربون عندنا بالغناء فى الشعر الجميل ...

«الجاحظ»

# الأدب والفن في أسبوع

**التربية ورفع المستوى الاجتماعي :**

أقامت الجامعة الأمريكية في مساء الخميس حفلتها السنوية النهائية لتوزيع الأجازات العليا على الطلبة المنتهين في قاعة يورت التذكارية . وكان من مواد هذه الحفلة بحث قيم للدكتور جون س . بادو رئيس الجامعة الأمريكية بالقاهرة في « التربية ورفع المستوى الاجتماعي » أبان فيها ما يسود العالم من القلق الاجتماعي، وما يشاهد في مصر من سوء الحالة المعيشية ، وذكر أن ما تبذله الحكومة من العناية لحل المشاكل الاجتماعية يجب أن تؤازره الطبقة المتعلمة التي تتخرج في المدرسة ، فيجب أن تعنى المدرسة بتلك المشاكل أجل العناية ، فتربي في تلاميذها الوعي الاجتماعي ليحفزهم إلى تحمل نصيبهم في دفع البؤس عن مواطنيهم ، وليكون هدفهم المساهمة في رفع مستوى المجتمع المصري إلى مستوى أعلى وأفق أوسع ، لأن هذا هو مقياس نجاح التربية لا جواز الامتحانات ونيل الشهادات . ومن واجب المدرسة أن تجعل المسئولية الاجتماعية من أهم ما تعنى به من التربية في منهاجها ، فيوجه المدرسون إليها عنايتهم ضمن ما يعنون به من المواد الدراسية ، وذكر كيف استطاع أحد أساتذة اللغة اليونانية أن يجعل من دراسة الآداب اليونانية القديمة حافزاً للاهتمام بشئون المجتمع وحاجياته ، لأنه كان يربط قصص الماضي وأساطيره بالوقت الحاضر ومشاكله .

ونقول إن هذا المثل الطيب ينفع احتذاؤه نفعاً كبيراً في دراسة الأدب العربي الحديث في مدارسنا عند البحث في سير رجاله وآثارهم في النهضة الحديثة وخاصة ما واجهوه من المشاكل التي لا تزال نواجهها أو نواجه أمثالها ، فنخرج بذلك عن النطاق المضروب حول « التاريخ الموجز لحياة الشخصية ، ومعرفة أسماء أهم آثارها ، ثم حفظ شيء من نظمها أو نثرها » .

ولا شك أن ذلك يبعث في الدراسة الأدبية الحركة والحياة ، إلى ما يؤتيه من الإلمام بالمسائل القومية ، وما يحققه من الوصول إلى هدف التربية في الوعي الاجتماعي .

**توفيق الحكيم يرد الوسام الفرنسي :**

ذكرت « أخبار اليوم » أن الأستاذ توفيق الحكيم أرسل إلى سفير فرنسا كتاباً يرد به إلى فرنسا وسامها « أوفيسيه دا كاديمي » الذي منحته إياه الجمهورية الفرنسية في أول مارس سنة ١٩٣٨ تقديراً للأدب ، لمناسبة ترجمة بعض كتبه إلى الفرنسية ؛ ونشرت نص هذا الكتاب ، وهو يتضمن أنه حمد لفرنسا ذلك التقدير ، ثم شاءت الأيام أن تفجعه في عاطفة الإعجاب التي يكنها لها . فالأدب من أهم خصائصه « الحرية والإنسانية » ، ولم يكن يتوقع أن فرنسا تعتدي على الإنسانية إلى حد حبس الطعام عن أفواه جياع لا حول لهم ولا طول ... وكان حظ الحرية مماثلا ، فقد غضبت فرنسا لأن مصر تركت للأمير عبد الكريم حرية اختيار نزوله ومقامه ، وهو ليس بمذنب ولا بمجرم ، إلى أن قال :

« فما معنى الأدب إذن في رأي فرنسا ... إذا لم يكن للحرية والإنسانية عندها من معنى ... » ؟

وقد أحسن الأستاذ الحكيم بذلك ، وكان فيه لبقاً واعياً .. فإنه لم يخسر إلا شيئاً تافهاً لا قيمة له ، إلى جانب ما كسبه من إرضاء شعوره ، فضلا عما يجره هذا الصنيع من جميل الذكر ، وما يحدثه من حسن الأثر !

ألا ليت « المتفرنسين » كلهم توفيق الحكيم !

**الأدب المصري القديم :**

نشرت مجلة « مسامرات الجيب » مقالا للعالم الأثري المعروف الأستاذ سليم بك حسن بعنوان « أدبنا المصري أقدم أدب في العالم » تضمن معلومات مهمة ، منها تصحيح لبعض القضايا الأدبية المشهورة ، مثل الدرامة التمثيلية التي تعزى نشأتها إلى بلاد اليونان ، وكذلك القصص الخرافي ؛ فينفي سليم بك أولية اليونان في ذينك الفنين ، ويقول بأن الأدب المصري القديم أول

أدب ظهرت فيه الدرامة التمثيلية والقصص الخرافى ، ويقول « كان المصرى أول من قص القصص ، ومنه تعلم العالم القصص وفنونه فلا تكاد تقرأ فى كتاب من الكتب الغربية قصصا إلا وتجد أنه يرجع إلى أصل مصرى قديم مع بعض التغيير والتبديل حسبما تقتضيه البيئة والأحوال ، ولا أدل على ذلك من أن بعض قصص ألف ليلة وليلة مصرية فى عنصرها الأصلى . وقصة يوسف عليه السلام نجد مثيلتها فى القصص المصرى القديم وهى قصة الأخوين » .

فإذا كانت لنا تلك الأوليات فى فنون القصص ، إلى أدبنا العربى وفنونه ، فقد جمعنا المجد من أطرافه .

**شئ جديد :**

لم أجد لهذا « الشىء » اسماً فيما نعرف من أنواع الأدب ، فهو ليس بنظم لأنه لا يخضع لوزن ، ولم يكتب كما يكتب النثر ، بل وضع فى هيئة الشعر ، يشغل السطر منه فراغ بيت موزون ، ويتحد كل سطرين فى قافية ، ويأخذ كل أربعة أسطر حيزا محدودا ، ليتكون من الجميع « رباعيات » فهو كلام مقاسٌ مقفى ... فماذا يكون ؟

هو « رباعيات عمر الخيام بقلم توفيق مفرج » وقع فى يدى هذا الأسبوع ، وكنت قرأت عنه فى بعض الصحف الكبيرة ثناء وحمدا ، فجعلت أقرأ ما احتواه ، فإذا هو على النسق الذى قدمت صفته ، وهاك « الرباعية » الأولى :

« انهض ! فالصباح قد قذف بالشمس إلى الفضاء
فهرب الليـــلْ ، واختفت نجوم السماء
والشماعْ ، يتساقط كنصال السهـــام
فيصيبْ أعالى الحصون ، والجبال ، والآكام »

وقد استرعى نظرى ضبط آخر كثير من الكلمات بالسكون كما فى هذه السطور ، فلم هذا التسكين ؟ أهو لضرورة وزن يخضع لتفاعيل جديدة ؟

لقد قرأنا ترجمات لرباعيات الخيام نظمها السباعى ورامى والزهاوى وغيرهم ، نظما عربيا معقولا ، فما هذا الذى صنعه صاحب (أحدث ترجمة !) لرباعيات الخيام ؟

عدت إلى صدر الكتاب فلمحت أربعة أبيات ... معذرة ! أربعة أسطر ، يهدى بها الكتاب ، ونصها :

« إلى التى على، ( كذا ) البيت بالحب والهناء
إلى المرأة الفاضلة جنة الأرض والسماء
إلى زوجتى التى أوحت إلى الشعر والغناء
أقدم هذا الكتاب ميثاقا للحب والوفاء »

إذن فالرجل بعد هذا شعرا ... ليس فحسب ، بل شعرا وغناء !

وعلى هذا النمط من « الشعر » ترجم رباعيات الخيام . ولا شك أن له أن يفعل ، تمتعا بحق « الحرية الشخصية » ولكن الذى لا يجوز السكوت عليه هو تورط كبريات الصحف فى المجاملات على حساب الأدب ، إلا أن يكون الزملاء يكتبون عن الكتب من بعيد دون تجشم قراءتها ومعرفة أى شىء هى ...

**قروى فنان :**

هو عبد الغفار دراج من قرية « جاجون » بمركز دسوق ، قال محرر جريدة « النداء » إنه سمع به ورأى له صوراً بارعة ، فقام برحلة إلى قريته ( جاجون ) والتقى به هناك فى ( الجرن ) وأراد المحرر أن يتحقق صدق ما بلغه عن فن عبد الغفار فدفع إليه صورة جلالة الملك وطلب منه أن ينقلها أمامه ، فجلس عبدالغفار إلى « طبلية » وبدأ العمل ... ورسم صورة الملك كما رسم غيرها رسما جيدا ؛ وقد رأينا مجموعة من تصويره منشورة بالنداء ، منها صورة جميلة لقروى شيخ جلس القرفصاء يدخن فى (الجوزة) وأمامه إبريق الشاى على موقد وبجواره جرة ودجاج وباقى أمتعة بيته ، وقد بدا الهـدوء والدعة على وجه الشيخ العائد من حقله ليستمتع بالراحة فى بيته ويرسل متاعبه مع دخان النرجيلة إلى الفضاء

وعبد الغفار لا يقرأ ولا يكتب ، وهو فى الثامنة والثلاثين من عمره ، وقد هوى الرسم من صغره ، وبدأ بمحاكاة صور المجلات التى كانت تقع فى يده ، ثم أخذ يرسم القرويين من أبناء بلده ويبيع لهم الصورة بقرش .

وقد رأى صاحب « النداء » أن يضمه إلى قسم التصوير بالجريدة ... وهكذا يبدأ « الأستاذ عبد الغفار دراج » مرحلة جديدة من حياته ، فيصبح فنانا صحفيا ... يقوم دليلا حيا على ما فى ريف مصر من مواهب إلى ما فيه من خيرات .

**النجوى الموسيقية :**

النجوى تعريب كلمة ( سرناد ) ومعناها موسيقى المساء ، والأصل فى هذه الموسيقى أن تكون تأليفا غنائيا غزليا يغنى أو يعزف ليلا تحت نافذة المحبوب أو فى الخلاء القريب من مكان المحبوب .

وقد تحدث عن هذا النوع من الموسيقى الأستاذ عبد الحميد توفيق زكى المشرف على البرامج الموسيقية فى الإذاعة المدرسية ، فذكر أن النجوى دخلت الموسيقى المصرية على ثلاثة أطوار : الطور الأول تلك الأغانى المصرية الحديثة التى منها الجزء الأول من أغنية « عند ما يأتى المساء » للأستاذ محمد عبد الوهاب ، والطور الثانى يتمثل فيما قامت به الجمعية المصرية لهواة الموسيقى من ترجمة بعض المؤلفات الموسيقية العالمية لإدخال أنواع جديدة فى التآليف الموسيقية المصرية ، ومنها النجوى التى مطلعها : « يا ليالى كم ينادى عاشق أسير » . أما الطور الثالث فهو محاولة تلحين أغان خفيفة مصرية ذات طابع شرقى ، ومع ذلك تؤلف على القواعد الموسيقية العالمية ، وقد نجح فى هذه المحاولة اتحاد الموسيقيين الجامعيين .

ثم قدم الأستاذ مغنيا قال إنه سيصاحب بالغناء قطعة من النوع الأخير عنوانها «ذكريات» إذا أصغى إليها المستمع ، بغض النظر عن مصاحبة الغناء لها ، أحس المعنى الذى تعبر عنه . ثم عزفت الموسيقى ، وغنى المغنى ، ولكنا لم نستطع أن نغض السمع عن الغناء ، لنعيش لحظة فى جو الذكريات ، لأن المغنى كان صاحبا كالحاضر ، فجعلنا نتطلع إلى المستقبل الذى يعقب انتهاءه .

**أفلام ثقافية عربية :**

كانت إحدى شركات السينما العربية قد اتصلت بإدارة الثقافة بالجامعة العربية ، بغية الظفر بتأييد الجامعة الأدبى فيما يتعلق بالأفلام الثقافية العربية المؤلفة والمعربة ، مما سوف تخرجه تلك الشركة .

وقد عرض ذلك الطلب على المكتب الدائم للجنة الثقافية بجلسته الأخيرة ، فوافق على توصية الدول العربية الأعضاء بتيسير عرض ما عسى أن تنتجه تلك الشركة من أفلام ، على شريطة أن تعرض الشركة ما تريد تشجيعه من الأفلام عرضا مفصلا على الإدارة الثقافية ، لتتولى عرض ما يصلها من الشركة على المكتب الدائم لاتخاذ ما يراه بشأنها .

**مطبوعات الدول العربية :**

كانت وزارة المعارف العراقية قد اتصلت بالأمانة العامة للجامعة العربية ، بشأن طلب بعض الأشخاص والهيئات الحصول على المطبوعات الرسمية التى تصدرها حكومات الدول العربية الأعضاء كالإحصاءات والنشرات ، وكثير من هؤلاء الطالبين قد يكونون غير معروفين لديها حتى تجيب طلبهم .

وقد عرض هذا الموضوع على المكتب الدائم للجنة الثقافية فاستقر الرأى على وجوب استفسار الوزارة التى يطلب منها مثل هذه المطبوعات ، عن مكانة الطالب ، من مفوضية البلد الذى ينتمى إليه .

وقرر المكتب أيضا أن توصى الأمانة العامة وزارات معارف الدول الأعضاء ، بتبادل الكتب والمطبوعات الرسمية الخاصة بالإحصاء والتعداد وما إلى ذلك ، فيما بينها .

« العباسى »

---




## في اللغة ، تذكير مؤنث :

عمل حضرة صاحبة الجلالة ( فوزية ) وصاحبات السمو والنبل وسائر ذلك القبيل الكريم في ( مبرة محمد علي الكبير ) ونظائرها — هو عمل رجال بل عمل أبطال ؛ فقول جرائد ومجلات ( فلانة عضوة في المبرة ، وهن عضوات فيها ) — شيء نكر ، وإزعاج عظيم لأرواح الراقدين في ( الجزيرة ) من العرب الخلص في الجاهلية والاسلام ، فما أنث العضو في وقت من الأوقات أحد . وأبشع من تأنيث هذا الفرد تأنيث مجموعه . فاستعذ بالله من كلامهم وقل — إما شئت أن تقول — : فلانة عضو في المبرة وهن أعضاء فيها . وقس على هذا العمل أشكاله ، وصف أهله بأوصاف الرجال ، فقل : محامي فلان فلانة ، ولا تقل : محامية ، وفلان طبيب فلان أو طبيب دار الشفاء[1] وفلانة أستاذ تلك المدرسة أو الكلية أو الجامعة ، وإذا حكم القضاء أن يجئن إلى القضاء بعد حين طويل ( طوله الله ) أو قصير ( لا سمح الله ) فقل : فلانة هي القاضي في دار القضاء ، وكانت فلانة هي القاضي في تلك الدعوى . وإياك وأن تقول : كانت القاضية ... وفي دار الندوة أو مجلس النواب يوم يجيء ذاك الأجل — وتراه بعيداً وأنهن ليرينه قريباً — هي نائب بين النواب لا نائبة ، والنائبة في الكتاب والحديث — مصيبة ...

فإذا لغوت ( أي تكلمت ) بمثل ذلك وسطرت أحسنت ولم تسيء ، وسلكت سبيل أهل التحقيق . قال الإمام صاحب ( المخصص ) :

« ومما وصفوا به الأنثى ولم يدخلوا فيها علامة التأنيث وذلك لغلبته على المذكر — قولهم : أمير بني فلان امرأة ، وفلانة وصي بني فلان ، ووكيل فلان . وكذلك يقولون : مؤذن بني فلان امرأة ، وفلانة شاهد بني فلان . ولو أفردت لجاز أن تقول : أميرة ووكيلة ووصية ، وأنشد قول الشاعر :

فليت أميرنا وعزلت عنا  مخضبة أناملها ، كعاب

وربما أدخلوا الهاء فأضافوا ، فقالوا فلانة أميرة بني فلان ، وكذلك وكيلة ووصية . وسمع من العرب وكيلات ، وهذا يدل على وكيلة ، قال عبد الله بن همام السلولي :

فلو جاءوا ببرّة أو بهند  لبايعنا أميرة مؤمنينا

وقال : هي عديلي وعديلتي بدليل ما حكاه أبو زيد من قولهم عديلات » .

فدع الجائز ( ولو أفردت لجاز ) ودع القليل ( وربما أدخلوا الهاء ) وذكرْ ، ذكر في كل حال ، ولا تؤنث ، وأرض الجماعة بما لا يغضب اللغة .

أعط — يا أخا العرب — ما أعطت العربية ، وامنع ما منعت فإذا أنت عادل حق عادل في أحكامك وكلامك ...

**السهمي**

(١) في ( صبح الأعشى ) : « وفيها أي دلي — بتشديد اللام — ( أو دهلي ) » ألف مدرسة ، منها مدرسة واحدة للشافعية وباقيها للحنفية ، وبها نحو سبعين بيمارستانا وتسمى بها دور الشفاء » ( قلت ) هذه التسمية الهندية : دار الشفاء خير من البيمارستان أو المارستان كما كنا نقول من قبل وخير عندي من المستشفى كما يقولون في هذا الزمان .

## أمانة النقل :

كنت أقرأ في كتاب ( عثمان بن عفان ) الذي أصدره في هذه الأيام الأستاذ صادق ابراهيم عرجون المدرس في الأزهر الفصل الذي عقده لتحقيق مقتل عمر ، فأجد كلاماً أحس أن فيه رائحة من كتابي ، ولا أجد الدليل عليه ، حتى إذا بلغت آخر الفصل ألفيته يقول : « وقال الأستاذان الفاضلان مؤلفا كتاب سيرة عمر » ويسرد ما يملأ صفحة من كلامي . فتألمت لا لأنه أخذ من كتابي ولم يعز إلي[1] فقد غصب كثيرون من هذا الكتاب ، وجعلوه نهباً مقسماً وحمى مستباحاً ، وفيهم من يعد من كبار المؤلفين ، ولا لأن اسم كتابي ليس ( سيرة عمر ) ولا يعرف أحد من القراء من هما ( الأستاذان الفاضلان ) مؤلفاه . بل لأني رأيت أن أمانة النقل قد فقدت حتى من الأزهر . وقد كنا نعده دارها ومستقرها ، ونرى أهله أهلها ، يحرصون عليها ، ويعرفون لها قدرها ، هذا والكتاب مع ذلك كتاب جيد جداً في بحثه وأسلوبه . أشهدها شهادة لله وللعلم .

**علي الطنطاوي**

(١) ولم يسم ، ولم يذكر الكتاب في ثبت المصادر ...

## الهزج والوافر :

اطلعت على ما علقت به (الرسالة) فى هامش البريد الأدبى على كلمة الأستاذ نظام مدنى فى العدد ( ٧٢٧ ) فى صدد بيت الأستاذ الشاعر مختار الوكيل وهو قوله :

أخى قد شاء رب الكو ن أن يجمع قلبانا

وتقول (الرسالة) إن « مطلع القصيدة من بحر الهزج بدليل الكف وهو حذف السابع الساكن فى التفعيلة الثالثة . ولم نر فيما قرأنا من الشعر الصحيح النقص فى مفاعلتن وهو اجتماع العصب والكف : أى تسكين الخامس المتحرك وحذف السابع الساكن » .

هذا ما عقبت به الرسالة ، ولتقرير الحقيقة نقول :

صحيح أن الوافر لا يدخله الكف وهو حذف السابع (المتحرك) إلا أن الوافر نفسه يدخله من الزحاف المركب (النقص) وهو اجتماع العصب والكف أى إسكان اللام وحذف النون من مفاعلتن ، ثم إن النقص لا يدخل إلا على الوافر فقط كما نص على ذلك العروضيون .

فبيت الأستاذ الشاعر صحيح ، وتعقيب الأستاذ المعقب أيضاً صحيح ، وغاية ما فى الأمر أن استعمال الزحاف المركب — على صحته — قبيح للشعراء المحدثين . والسلام ...

(الزيتون) عمر نان أسعد

( الرسالة ) لا زلنا نقول إن الكف وهو حذف السابع (الساكن) إنما يدخل مفاعيلن فى الهزج ولا يدخل مفاعلتن فى الوافر . وإذا أجازه العروضيون قياساً فقد منعه الشعراء سماعاً . وإذن يكون الفارق بين مجزوء الوافر وبحر الهزج هو حذف النون من مفاعيلن أو تحريك اللام فى مفاعلتن ؛ فحيثما وجدت النون محذوفة فهو الهزج ؛ وحيثما وجدت اللام متحركة فهو الوافر ... وإذا اتفق فى القصيدة كلها أن دخل مفاعلتن العصب فسكنت اللام ولم يدخل مفاعيلن الكف فبقيت النون حملت على الهزج ، لأن هنا الوزن أصيل فيه . والشعراء المحدثون يخلطون بين البحرين فيجمعون بين مفاعيلن المحذوفة النون وبين مفاعلتن المفتوحة اللام

## حول خطأ عروضى شائع :

ذكر الأستاذ خليل ابراهيم الخطيب فى العدد ٧٢٥ أن قصيدة الأستاذ مختار الوكيل التى مطلعها :

أخى قد شاء رب الكون أن يُجَمِّعَ قلبانا

مزيج من الهزج والوافر ، وقد بين الأستاذ نظام مدنى فى العدد ٧٢٧ أنها من مجزوء الوافر ولكن الرسالة علقت على هذا القول بأنها لم تر فى صحيح الشعر دخول النقص على الوافر ، ولكنى وجدت فى قصيدة جزيرة المشاق من ديوان الشوق العائد للأستاذ على محمود طه هذين البيتين :

ليالى الصيف فى كَبْرى أم الفتنة فى البحر
تنفّس جوه عطراً يفضضه سنا البدر

فإما أن يجوز دخول النقص على الوافر وإما أن تصبح قصيدة الأستاذ على محمود طه هى الأخرى مزيجاً من الهزج والوافر وللرسالة جزيل الشكر .

محمد الأنور الحلبى

( الرسالة ) البيت الأول من الهزج قطعاً لحذف السابع الساكن من التفعيلة الثالثة ، والبيت الثانى من مجزوء الوافر قطعاً لتحرك الحرف الخامس فى التفعيلة الأولى والثالثة .

## حجرة التحمس :

سيدى صاحب — من وراء المنظار —

... ما إن قرأت مقالتكم (حجرة التحمس) وأنا مضطجع فوق حشيتى المتواضعة بقاع الريف ساعة القيلولة حتى انتفضت واقفاً وأمسكت بقلمى لأشكرك على تصوير الواقع من حياتنا المقلوبة الأوضاع فى شتى مظاهرها فأنت فى غنى عن شكر أمثالى الذين تحصرهم القرية بحدودها الضيقة فى كل مجال ! وإنما لأقول لك يا سيدى الفضال إن هؤلاء هم الموظفون الذين تشفق عليهم الدولة وترثى لحالهم فتغدق عليهم العلاوات والدرجات وتبتكر القوانين التى تقرب إليهم آمالهم ورغباتهم — أما المعلم الأولى الذى يسوس الأطفال الصغار ( عفاريت الإنس ) فى نهاره ، ويقود الكبار فى مكافحة أميتهم فى ليله ! هذا المعلم الذى يضع بيده الحجر الأول فى تربية الأمة وتنشئة أجيالها القادمة تقف له الدولة بالمرصاد فتحرمه من كل ما تبذله لهؤلاء الموظفين وأمثالهم صغاراً وكباراً ! !

ترى متى يعرف لصاحب الفضل فضله ، ويعطى لكل ذى حق حقه ، على أسس المساواة والعدالة بين الجميع ؟ !

( دميرة ) خورشيد عبد العزيز




# ماء الحيـــاة . . !

[ مترجمة عن الإنجليزية من كتاب
Grimm's Fairy Tales ]

للأستاذ ماجد فرحان سعيد

في قديم الزمان عاش ملك أضناه المرض حتى يئس من الحياة ، وكان له أولاد ثلاثة ، خرجوا إلى حديقة القصر ، وطفقوا يجهشون بالبكاء ، حزناً عليه . وبينما هم كذلك ، جاءهم شيخ وقور ، بلغ من العمر عتياً ، وسألهم عن سبب كآبتهم ، فأعلموه أن والدهم مشرف على الموت ، وما من حيلة تنفع في شفائه . فقال الشيخ : « لكم في شفائه ، طريقة واحدة فقط ، وهي أن تسقوه من ماء الحياة » .

ذهب الولد الأكبر إلى والده الملك ، وطلب إليه أن يأذن له بالبحث عن ماء الحياة ، إذ هو المنقذ الوحيد من دائه العضال . فقال الأب : « لا بد لك يا بني من تجشم الصعاب والأخطار في سبيل الحصول عليه ؛ فأرح نفسك من هذا العناء » ولكن الابن ظل يلح عليه حتى أذن له . فذهب في طريقه ، وهو يقول في ضميره : « إن أحضرت الماء ، فسأكون حتما أعز إخوتي لدى والدي ، وسيوصي لي بالمملكة من بعده » . وظل يهيم على وجهه ، حتى التقى به قزم وسأله : « إلى أين أنت ذاهب يا أخي ؟ » . فأجابه الأمير بلهجة تنم عما في نفسه من الكبرياء : « هذا لا يعنيك !! » وتابع سيره . ولكن دبيب الانتقام دب في صدر القزم . وبينما كان الأمير يجوس خلال ممر ضيق ، لاحظ أنه كلما تقدم في الممر أخذ الممر يضيق به أكثر فأكثر ، حتى انتهى إلى نقطة لم يستطع فيها الحراك ... وانتظره والده طويلا ولم يرجع . وطلب

---

**الزعيم « شكوكو » :** [ مهداة إلى أستاذنا الخفيف ]

إن المتجول في أحياء القاهرة يرى باعة يحملون تماثيل للمغنى الشعبي الهزلي « شكوكو » فكأن الشعب المصري يريد أن يقول بلسان الحال : إن زعماءنا خطبوا طويلا فنسى الشعب ما قالوا ، وغنيت أنت فحفظ الناس ما قلت وصنعوا لك التماثيل .

غن . وأسمعه أنغام الحرية ليصنع تماثيله للشهداء .

وردد على أسماعه ألحان الاتحاد ليؤلف بين الزعماء .

وابعث فيه سحر سلطانه ليفخر بأنه سيد الملوك والرؤساء وهزه بأنين أحزانه ليتحرر من هذا البؤس وهذا الشقاء .

وإني أقسم لئن فعلت لتكونن أخطر على انجلترا وعلى أوضاعنا المقلوبة من ألف زعيم . لقد أكرمك الشعب يا صاحب التماثيل ، فهل أنت ممن يعرفون الجميل؟ **فتحي السماني محمد**

**إلى مؤلفي الكتب المدرسية :**

لمناسبة انعقاد المؤتمر الثقافي العربي الأول بلبنان في ٢ سبتمبر القادم للبحث في توحيد اتجاهات الثقافة العربية والعناية بموادها وأساليب تعليمها في نواحي اللغة العربية والمواد الاجتماعية في مراحل رياض الأطفال والتعليم الأولي والابتدائي والمتوسط والثانوي .

يسر الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية أن تدعو حضرات المؤلفين ودور النشر والمكتبات في جميع الأقطار العربية إلى الاشتراك في هذا المعرض ، بأن يرسلوا إليها :

أولا — نسختين من الكتب المؤلفة في اللغة العربية بفروعها المختلفة لمراحل التعليم المتقدمة الذكر بما في ذلك الكتب المختصة بتيسير الكتابة والنحو البلاغة وغيرها .

ثانياً — نسختين من الكتب الموضوعة في مواد التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية في هذه المراحل التعليمية .

ثالثاً — الوسائل العلمية لتعليم فروع اللغة العربية المختلفة ووسائل الايضاح لمادتي التاريخ والجغرافيا كالمصورات والخرائط والمجسمات والأجهزة التي من صنع لأفراد ودور النشر والشركات .

وترجو إدارة الثقافة أن يصل إليها ذلك قبل منتصف شهر يوليو ( تموز ) سنة ١٩٤٧ وأن يرسل باسم مدير الادارة الثقافية بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية بشارع البستان بالقاهرة .

وسترد المعروضات لأصحابها بعد انتهاء المؤتمر عن طريق الادارة الثقافية ، إلا إذا شاء المؤلف إهداء النسختين أو إحداهما لادارة الثقافة بالجامعة العربية لحفظهما لديها تسجيلا لحركة التأليف المدرسي في هذه المواد ، ورغبة في التعريف بها ، وإشاعة الانتفاع منها في أوسع نطاق .

الأمير الثانى من والده أن يأذن له فى البحث عن الماء ، إذ قال فى نفسه : « إن يكن أخى قد مات ، فسأرث المملكة بدلاً منه » . وظل يستعطف والده حتى أذن له فى الذهاب . فسار هذا فى أثر أخيه ، والتقى بالقزم نفسه . فابتدره القزم بالسؤال : « إلى أين أنت متوجه أيها الشاب ؟ » . فأجابه الأمير : « ليس من شأنك أن تعرف هذا أيها القزم الحقير ! » . ومضى فى طريقه . فاستعمل السحر معه ، وكانت عاقبته وخيمة كعاقبة أخيه من قبله ، إذ وصل إلى أخدود ، أراد أن يتقدم فيه فلم تطاوعه قدماه .

ولما لم يرجع الولد الثانى ، اضطرب فكر والده عليه . فتوسل الأمير الصغير إلى والده أن يسمح له بالذهاب ؛ فرأى الوالد نفسه مضطراً على إجابة طلبه . وعندما التقى القزم بالأمير الصغير ، وسأله عن طريقه ، أجاب : « إننى أبحث عن ماء الحياة ، إذ به وحده يستطيع والدى أن ينقه من علته » . فقال له القزم : « وهل تعرف مكان وجوده ؟ » فأجاب الأمير : « كلا ! » . فقال القزم : « إذاً سأدلك عليه لأنك سلكت معى سلوكا لائقاً ، مغايراً لسلوك أخويك المتعجرفين . إن ماء الحياة يتفجر من النبع الذى يجرى فى ساحة القلعة المسحورة ، تلك القلعة التى لن تستطيع اختراقها ، إن لم أعطك قضيباً من الحديد ، ورغيفين من الخبز . أما القضيب ، فاطرق به ثلاثاً على باب القلعة الحديدى فيفتح لك . وفى المدخل سترى أسدين فاغرين شدقيهما تستطيع أن تأمن شرهما ، بأن ترمى لكل منهما رغيفاً . ثم أسرع وأحضر قليلا من الماء قبل أن تعلن إشارة الوقت الساعة الثانية عشرة . إياك أن تتأخر ! لأنك إن فعلت فسيوصد الباب ولا تستطيع الخروج ! » .

فشكره الأمير ، وأخذ منه القضيب والرغيفين ، وجعل يطوى الأرض حتى حطت به النوى إلى القلعة المسحورة ؛ فعمل بموجب إشارة القزم . ودخل من الباب إلى قاعة جميلة واسعة ، حيث كان يجلس عدد من الأمراء المسحورين ؛ فنزع الخواتم التى تحلى أصابعهم ؛ وأخذ سيفاً مرهف الحد ، وقليلاً من الخبز المطروح هنالك . ثم دلف إلى الغرفة المجاورة ؛ وإذا به أمام فتاة فاتنة تتموج كالطيف ، نظرت إليه من وراء جفون ترتعش بالميل والانعطاف ؛ ثم أخبرته أن مملكتها ستؤول إليه ؛ وإذا ما رجع إليها بعد سنة كاملة ، فسيزف إليها ويعيش معها سعيداً موفوراً .

ثم دلته على موقع النبع الذى يجرى منه ماء الحياة . ورأى فى الغرفة المجاورة سريراً مريحاً استتاق عليه لأنه كان متعباً ؛ واستسلم لنوم هادىء عميق . ولكنه استفاق على صوت الساعة ، عند ما أعلنت الثانية عشرة إلا الربع ؛ فأسرع إلى النبع ، وملأ كوباً صغيراً كان موجوداً هناك بالماء . ثم أسرع الخطو إلى الباب ؛ وما كادت رجله تطأ العتبة ، حتى دقت الساعة معلنة الثانية عشرة تماماً ؛ فأوصد الباب بقوة عظيمة جداً ، أطارت قطعة من كعب حذائه وهو خارج .

وبالرغم من كل هذا ، فقد كان مسروراً لنيله أمنيته . فعاد أدراجه إلى القصر ، والتقى فى الطريق بصاحبنا القزم . غير أنه لم يكن راضياً عن الرجوع إلى القصر دون أخويه ؛ ولذا سأل القزم أن يدله عليهما . فأجابه قائلا : « إن أخويك محصوران بين جبلين عقاباً لهما على كبريائهما ؛ أولم تسمع أن عاقبة الكبرياء وخيمة ؟! » فألح الأمير على القزم بتلبية طلبه حتى فعل ذلك ؛ إلا أنه حذر الأمير من أخويه ، إذ يضمران له السوء ولا يقيمان للأخوة وزناً .

وعندما رجع إليه أخواه ، أخذ السرور يتموج على قسمات وجهه ، فقص عليهما تفصيل ما حدث . وركب كل من الأمراء الثلاثة جواده ، حتى وصلوا إلى مملكة كبيرة ، أضنى الجوع والحرب السواد الأعظم من سكانها ، وأيقن ملكها أن لا مهرب له من الاغتيال . فذهب الأمير الصغير إلى هذا الملك ومد إليه يد المعونة فاستطاع الملك أن يسد جوع السكان ، وأن يرد الأعداء على أعقابهم خائبين . وبعد أن تم له ذلك أخذ الأمير السيف وما بقى من الخبز وركب مع أخويه حتى وصلوا إلى مملكتين أخريين ، فعمل فيهما الجوع والحرب فعلته الشنعاء كما فى المملكة الأولى . وبالطريقة نفسها رد الأمير عادية الدمار عن هاتين المملكتين .

ثم ركبوا السفينة يؤمون مسقط رأسهم . وفى ذات ليلة ، انثالت على أحد الأخوين الأكبرين الخواطر السود ، إذ قال للآخر : « لقد حصل أخونا الصغير على ماء الحياة ؛ وهذا يعنى أن والدنا سيورثه المملكة ، وسيقضى على حظنا وأمانينا ! ! » . فاضطرمت فى صدريهما فكرة الانتقام ، وتآمرا على اغتيال أخيهما . وبينما كان نائماً فى ذات ليلة ، أفرغا ماء الحياة من كوبه ، وملآه بدلا من ذلك بماء شديد الملوحة . ولدى أوبتهم لقصر أبيهم تناول

الأمير الصغير الكوب ، وقدمه لأبيه ؛ وما كاد الوالد يرشف جرعة منه حتى اشتدت عليه وطأة المرض ، وساءت حالته ، وبينما الوالد كذلك جاء الولدان الآخران وأخذا يتقولان على أخيهما ويتهمانه بتسميم الماء . ثم قدما لأبيهما ماء الحياة الحقيق ؛ وما كاد يرشف قليلا منه حتى تماثل ، وأخذ وجهه يتلألأ بالنضارة والنشاط كأنما عاد إلى صباه . وذهب الأخوان الأكبران إلى الصغير وخدعاه بقولهما : لقد حصلت فى الحقيقة على ماء الحياة ولكن بما أنك فرطت فى الحيطة والحذر ، فلقد أفرغنا الماء من كوبك دون أن تدرى ؛ وزيادة على ذلك فسيحاول أحدنا فى غضون هذه السنة أن يستولى على قلب أميرتك . ولكن حذار من أن تخوننا ؛ وإلا فلن نتردد فى القضاء عليك ! وإنك تعلم أننا لا نوعد إلا تحقق الوعيد ! ! » .

وما كان من الأخوين إلا أن أوغرا صدر والدهما عليه حتى أصدر الحكم بقتله ؛ فأمر صياده الخاص بتنفيذه ، وبعد أن توغل الأمير والصياد فى الغابة ، لاحت أمارات الحزن على محيا الصياد فسأله الأمير عما به ؛ فأجابه الصياد : « من المفروض على أن لا أجاهرك بالسر ؛ ولكنى أرانى مدفوعاً إلى الإفضاء به ، من تلقاء عاطفتى وشفقتى عليك ! » . فقال له الأمير : « قل بشجاعة ما تشاء فليس عليك من بأس ! » . فأجابه الصياد ، مصعداً زفرة عميقة : « لقد عهد إلىَّ والدك الملك بقتلك ! » . فاعترى الحزن الأمير آنئذ ، وقال والخوف يكاد يعقل لسانه : « أناة أيها الصياد ! إن روحى عزيزة على ، فارحمنى يرحمك الله ! » . وقرت فى نفسه فكرة التنكر بزى الصياد ، ففعل . وقفل الصياد راجعاً إلى القصر ؛ أما الأمير فتوغل فى الحرج ...

وبعد مدة قصيرة ، وردت ثلاث عربات مثقلة بالذهب والحجارة الكريمة إلى قصر الملك ؛ وقد بعثها الملوك الثلاثة للأمير الأصغر ، اعترافاً بفضله عليهم عند ما أعطاهم السيف الذى هزموا به الأعداء ، والخبز الذى ردوا به عادية الجوع الفاتك . وتجاوبت فى نفس الملك آنئذ أصداء فكرة فقال : « لعل ابنى يكون بريئاً ؟ ! » وعض بنانه من الندم على إعدامه . ولكن الصياد كان فى حضرته فصرخ بحدة قائلا : « إن ابنك لا يزال حياً يا مولاى ، إذ لم يطاوعنى قلبى على تنفيذ أمرك ! » .. وقص عليه ما جرى . فسرى عن الملك ، وتقشعت آخر سحب الكآبة عن وجهه ، وأمر بأن ينادى فى طول البلاد وعرضها بأنه قد سمح لابنه بالعودة إلى كنفه .

وفى ذلك الحين كانت أميرة القلعة المسحورة ، قد أمرت أن تفرش الطريق إلى قلعتها بالذهب الخالص الوهاج ؛ وأمرت حشمها أن يسمحوا بالدخول فقط لمن يمشى على الذهب ، وأن يرجعوا كل من يطرق جانب الطريق . وعندما حان الوقت الذى ذكرته الأميرة لعريسها المنتظر ، طافت فى نفس الأمير الأكبر الذهاب إلى القلعة ، والإعلان بأنه عريس الأميرة . فامتطى جواده يؤم القلعة ؛ وعندما وصل على مقربة منها ، ورأى الطريق الذهبية أشفق أن يمشى عليها ؛ ولذا جنح إلى الجهة اليسرى وعندما وصل إلى الباب أشار الحراس عليه أن يعود أدراجه . وبعد ذلك ، ركب الأمير الثانى فى طريقه إلى القلعة . وعندما خطا جواده على الطريق بقائمتيه الأماميتين خشى أن يمشى فوقها ، ولذا جنح إلى الجهة اليمنى ولدى وصوله إلى الباب ، رفض الحراس أن يدخلوه ، وأمروه أن يرجع من حيث أتى : وأما الأمير الصغير الذى ظل طوال هذه المدة يجول فى الأحراج مهدهداً آماله بالصبر ، فتذكر أن الوقت قد أزف ؛ ولذا ركب جواده ومشى على الطريق الذهبية وعندما بلغ الباب انفتح له على مصراعيه ، واستقبلته أميرة القلعة بكل ترحاب . وبعد مدة قصيرة احتفل بزواجها احتفالا رائعاً ؛ ثم أخبرت الأميرة زوجها أن والده قد عفا عنه ، وأنه جد مشتاق لرؤيته : فذهب فى الحال إلى أبيه ، وقص عليه كيف خانه أخواه وكيف هدداه بالقتل إن باح لأحد بشىء مما فعلاه . ولما اطلع الملك على جلية الأمر عزم على معاقبة الأخوين . فلما علما بذلك لم يبق أمامهما إلا أن يهجرا البلاد إلى غير رجعة

ماهر فرحان سعيد
القدس كلية تراسانطا




# الايمان والروح

[ تأليف السيد أحمد عبد المنعم الحلوانى ]

لم أكد أقرأ كلمة إهداء هذا الكتاب، وهى بالطبع فاتحته، حتى لقيت موجة من الروحانية تجتاح نفسى، وحتى تبين لى أن مؤلفنا بلغ مستوى صوفياً لا يبلغه السالك هوناً. قال المؤلف:

الإهداء: إلى الذى أحبه بروحى وعقلى ومخى وعظامى ودمى،
وأهتف باسمه ما تردد فى نفس من ذات روحى ومن أعماق نفسى
وله محياى ومماتى، وفى جاهه وكنفه أعيش، وبسابغ كرمه أحيا
إلى ملك الملوك السبوح القدوس، ربنا ورب الملائكة والروح
وإلى الذين يحبونه فيحبوننى وأحبهم بحبه، وفى ظلاله نحيا فى الحياتين حياة السعداء، ونصل إلى روح الحقيقة فنجتلى من نورها بهجة الجمال ورحيق الوصال.

ويبسط المؤلف منهجه فى التفكير فيقول إن من عادته أن يدون أفكاره ويبحث معتقده فى شىء بنفسه أولا، ثم يبدأ فى القراءة لغيره، ثم يمحص ما يقرؤه لئلا يفوته الانتفاع بما لم يصل إليه فكره، وحتى يوازن بين ما وصل إليه وما وصل إليه غيره، ويجتهد أن يصل إلى الصواب ما استطاع.

ويذكر أنه لم يرد بكتابه كتاب علم جاف، بل أراد به كتاب إيمان وروح.

وهذا المنهج -- وقد التزمه المؤلف بالفعل -- منهج بالغ السلامة، وحقيق بأن يفيد كل قارىء ويظفر برضاه.

وقد بدأ المؤلف بالحديث عن المعرفة الفطرية وكيف يستدل على وجود الله من صنعه سبحانه، ثم تحدث عن أن الإنسان بطبعه متعبد يطلب معبوده؛ وقد ضمن حديثه لفتة طيبة عن كيف أن الإنسان لا يملك جسده.

وفى فصل عنوانه « الحب نعمة وجمال » أذكرنا مؤلفنا بروائع الصوفية الأسلاف فى المحبة والشوق. وتلا هذا فصل فى التوحيد عنوانه « الإيمان بالغيب » ومن بعده فصل جمع فيه المؤلف أسباب انحراف الناس عن الحق وقد عرض بعده لحكمة إرسال الرسل، وتكلم عن عناية الله بخلقه ومنابع الهدى وموارد الفكر الإنسانى. وأردف هذا ببحث عن الروح، خلص منه إلى نتيجة تنزل على اللباب من التصوف الصحيح. ثم كتب عن المواهب والاكتساب والفيض الإلهى كتابة طواها على توجيهات خلقية عميقة الوقع فى النفس.

وأورد المؤلف بعد هذا مجموعة من الشعر المرتجل لصوفى صالح هو « الشيخ على عقل » وهو شعر فيه قوة إيمان وحرارة قلب، وفيه حب لسيدنا رسول الله (ص) وفيه وعظ مؤثر. وإننا لنستشف قيمة هذا الشعر إذا عرفنا أن الشيخ يرسله فى مجالس الذكر إرسالا يتعب الراغبين فى متابعته من الكاتبين.

ويمضى السيد الحلوانى فيكتب عن النوم والأحلام وتعبيرها والعوالم غير المنظورة، وهو فى كتابته يحمل على الشعبذات والأباطيل حملا، ويبدى نفوراً شديداً من كل ما قد يرده الاسلام الحق.

فأما الفصلان الأخيران من الكتاب فعن الساعة الرهيبة ساعة النزع الأخير، وعن حياة الروح بعد الموت، وهما فصلان يهزان الأنفس الزائغة ويفتحان الأعين الغافلة.

وكتابة المؤلف ليست من طراز ما يكتبه بعض محترفى التصوف مما لا يصلح إلا للعقول البسيطة والقلوب الغريرة. هى كتابة متعالية حقاً فى فكرها وإن تكن متواضعة أحياناً فى مظهرها. وهى كسائر الانتاج الصوفى الناجح، مسرح ما أجدر الضاحى فى معترك الحياة أن يتفيأ ظله، وحرم آمن ما أحوج الخائف من الشهوات المجنونة أن يقصد إليه.

هذا، وقد قدم الكتاب بكلمة بليغة الدكتور عبد الوهاب عزام، وهو ما هو فى خدمة قضايا الايمان والروح.

**لبيب السعيد**

نائب الشيخة اليومية بالدقهلية






مطبعة الرسالة



العدد ٧٢٩ — الاثنين ٢٣ يونية ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة




فهرس العدد


صفحة

مناكفة المرأة ... ... ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ... ٦٩١

فرنسا ومستعمراتها ... ... ... : الأستاذ أحمد رمزى بك ... ... ٦٩٣

وقفة على القسطاط ... ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ... ٦٩٦

من البطل فوزى القاوقجى... ... } ... ... ... ... ... ... ... ٦٩٩
إلى الشاعر على محمود طه... ...

تفسير الأحلام ... ... ... } العلامة سجموند فرويد... ... } ٧٠١
الأستاذ محمد جمال الدين حسن ...

«من وراء المنظار»: بين معمم ومقبع ومطربش ... : الأستاذ محمود الخفيف ... ... ٧٠٣

الشيخ شامل زعيم القوقاز وشيخ المجاهدين : الأستاذ برهان الدين الداغستانى ... ٧٠٤

وإذا أتى يوماً ... ... (قصيدة) } عن فون بروك ... ... ... } ٧٠٧
الأستاذ محمد على مخلوف ... ...

العبقرى المجهول ... ... ... : الأستاذ حامد بدر ... ... ... ٧٠٨

« الأدب والفن فى أسبوع » : رسالة الأدب وجائزة فؤاد الأول — ٧٠٩
قضاة الغرام — باسم أدباء العرب — الفنيون وتيسير الكتابة العربية —
المؤتمر الثقافى العربي — مؤتمر الآثار العربى ... ... ... ... ... ٧١١

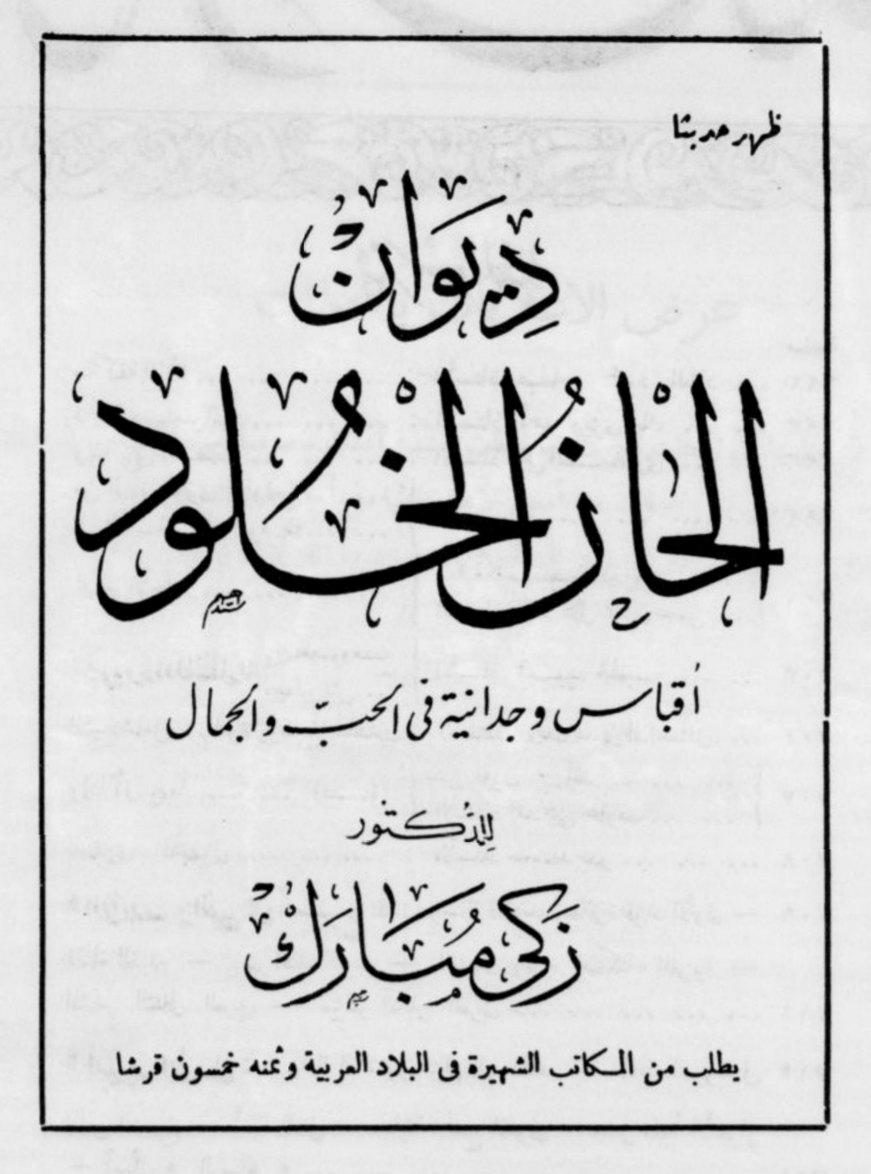
« البريد الأدبى » : رحلة الدكتور عزام إلى الهند — أدباء العروبة فى ٧١٢
مجلس الشيوخ — أمانة النقل — مسابقة المجمع اللغوى — مصر ملجأ الأحرار
— أسأل « الرسالة » ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٧١٤

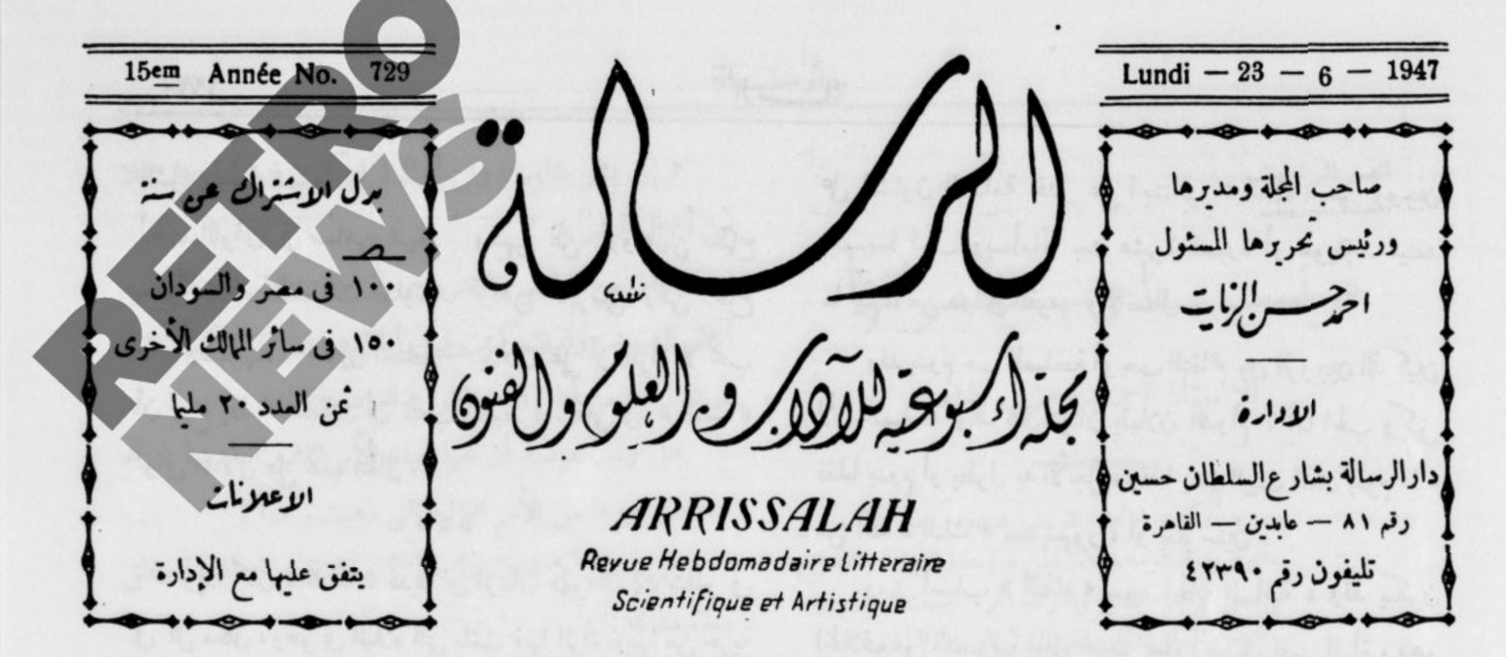
« القصص » : السيدة أيدس ... : بقلم السيدة الفاضلة منيبة الكيلاني ٧١٤

« من هنا ومن هناك » : اللهم عفوك — يد ... وشكرها — ٧١٨
واحدة بواحدة — نصيحة للمؤلفين — أى الحكمين أقسى ؟ — المبدأ
الأول للحكمة — الأموات يحكمون الأحياء — العمل للعمل — وظيفة
الضحك — أيد ثلاثة — يقول زنوج أفريقيا فى أمثالهم ... ... ... ٧١٩


٢٨٠٥٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون





15em Année No. 729

Lundi — 23 — 6 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٢٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ شعبان سنة ١٣٦٦ — ٢٣ يونية سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة




# مناكفة المـــرأة

للأستـــاذ عباس محمود العقاد

« النك » عند العامة هو معاودة المرأة الكلام الذى تقصد به الإساءة وتغمغم به غالباً كأنها تزعم أنها تخاطب نفسها وهى تخاطب من تعنيـه ويستمع إليها فى تلك اللحظة . وأكثر ما يكون « النك » من قبيل الغمز أو التصريح الذى تجرح به غرور الرجل أو تتناول به موضع الضعف منه وهو يتحاشى أن يصاب فيه ، ولا سيما أمام المرأة التى يهمه أن يظهر لها فى مظهر القوة والرجاحة على الأقران .

والعامة يحكون بكلمة « النك » صوت المرأة وهى تلح فى تلك الغمغمة كأنها تعاود الطرق أو الدق على نغمـة واحدة لا تسأمها وهى موجبة للسآمة .

ولهذا تتفق الكلمة وما يقابل معناها فى بعض اللغات الأوربية ، لأن صوت الطرق أو الدق واحد فى جميع الآذان . فيقول الإنجليز مثلا « Nag » ليعبروا بها عن مناكفة النساء من هذا القبيل .

ويظهر أن المادة فى اللغة العربية تتسع لكثير من الكلمات فى هذا المعنى وما قاربه من معانى الدق والوخز والمناكفة . فإذا صح أن الكلمات كلها ثنائية فى نشأتها الأولى ثم زيد عليها حرف أو حرفان للزيادة فى معناها فعندنا من هذه المادة ومن هذا الباب كلمات « نكأ ونكت ونكث ونكز ونكش ونكف » متقاربة فى معنى الوخز والتجريح كأنه يأتى من الضرب بأداة تحدث ذلك الصوت المكتوم .

والنك قديم فى العالم كقدم لسان المرأة . ما نظن أن أذن آدم أخطأته من لسان حواء ، ولا نظن أنه يضل سبيله بين الألسنة والأسماع حيث يوجد الرجال والنساء .

فن «النك» كلام امرأة الأخطل وهى تذكر زوجها القديم وهو يجيبها بذينك البيتين :

كلانا على هم يبيت كأنما بجنبيه من مس الفراش قروح

على زوجها الماضى تنوح وإننى على زوجتى الأخرى كذلك أنوح

ومن النك كلام الأعرابية التى كانت تحدث صاحبها عن زوجها الأول ويسألها بماذا تذكره من أحواله التى لا تنساها . فلما قالت إنه خرج ذات يوم فرمى وطرد وقنص وعاد وعليه الغبار والدم «فضمنى ضمة ، وشمنى شمة ، فليتنى مت ثمة » ذهب الأبله يحكيه وعاد وعليه الغبار والدم ، فضم وشم ، فتمنت الموت ثم ، ولكن من الأسف والغم ، وتركته وهى تقول : ماء ولا كصداء !

ومن « النك » كل ما حكاه أجواد العرب وشعراؤهم عن تبكيت نسائهم لهم وملامتهن إياهم على تضييع المال وعجزهم عن محاكاة الأنداد والأمثال .

ويلتبس «النك» بأسلوب آخر من أساليب المنايظة النسائية وهو أسلوب التدلل والاستزادة فى مقام الرضى والمحبة ، وقد عناه

الشاعر بقوله :

أحب اللواتى فى صباهن غرة وفيهن عن أزواجهن طماح
مسرّات حب مظهرات عداوة تراهن كالمرضى وهن صحاح

ولكنهما — وإن اختلفا — يدلان على أن المرأة لا تحب أن تريح إذا استطاعت أن تتعب وتغيظ !.. فهى فى « النك » أو فى الدلال على هذه الحال .

***

وإذا كان « النك » قديماً فى الزمان فهو كذلك شائع فى فى كل مكان ، وهو فى البلاد التى بلغت فيها المرأة غايتها من حرية الزواج والطلاق لا يقل عنه حيث لا تملك المرأة حقاً من حقوق الزواج والطلاق .

فلا عجب أن يكون موضع بحث متجدد بين علماء الأوربيين بل بين علماء الأمريكيين فى الشمال وفى الجنوب ، حيث أصبحت المرأة غنية عن «النك» بسرعة النظر فى أمر الطلاق، فلو شاءت لطلبت الطلاق واستغنت به عن المناكفة واللدغ باللسان ... ولكنها تشاء حيناً ولا تشاء فى أحيان . لأن مضغ الكلام لذة تطلب لذاتها كمضغ اللبان !

وآخر ما قرأناه من البحوث فى هذا «النك» الذى لا يفرغ ولا ينتهى بحث طريف نشرته « خلاصة المجلات » الأمريكية Magazine Digst وأثبتت به أن لغة «النك» واحدة فى جميع اللغات ، وأن العلم بأسبابه يفيد فى بلادنا كما يفيد فى جميع البلاد .

فمن أسبابه « الجوع الجنسى » وقد يتعرض له الزوجان وهما صحيحان وكلاهما صالح للزواج والنسل ولكنهما لا يتلاءمان فى خصائص البنية الجنسية أو فى خصائص المزاج .

ومن أسبابه « زواج الحب » كما يسمونه إذا كان قصارى مايعرفه الزوجان من الحب أن يحب أحدهما الآخر ، ثم لا يصنعان شيئاً غير قضاء الوقت فى هذا الحب المتبادل .

ويقول الكاتب فى شرح هذا السبب إن المهم فى الحب بين الزوجين أن يشتركا فى حب أشياء كثيرة ، لا أن يحب أحدهما الآخر وكفى .

فالزوجان اللذان يشتركان معاً فى حب الموسيقى أو حب الرياضة الخلوية أو حب الحدائق والأزهار أو حب المطالعة والتعليق على الشئون العامة أقدر على اجتناب « النك » من زوجين يجمعهما الحب ويسأمانه بعد عشرة قصيرة أو طويلة . فينفد ما بينهما من دواعى القرب والاتصال .

وقد يدوم حب المصلحة أو حب التفاهم بين الزوجين الذكيين لأن المصلحة والذكاء شيئان يقبلان الدوام ، أما الحب وكفى فقلما يدوم أو يطول به الأجل ، وقلما يسلم البيت الذى يقوم عليه من آفة « النك » بعد شهور ، أو بعد سنين .

ومن أسباب « النك » سوء الحالة المالية ، وقد يكون الخلاف على التصرف بالمال عرضاً لداء آخر فى نفس المرأة ، وهو عرض الشعور بالنقص أو الشعور بالحرمان .

وإذا أصيبت المرأة بشعور النقص لسبب من أسبابه الكثيرة فقد تظهر هذه الآفة منها فى مظاهر شتى بعيدة كل البعد من مظاهرها المألوفة .

قد تظهر منها مثلا فى فرط النظافة أو فرط الحركة والاهتمام بالتنظيم والترتيب ونقل الأثاث والتنقل بين المساكن لغير سبب مفهوم .

وقد تظهر منها فى التوجس والعبادة وتصديق الخرافات وخوف العقاب على المحرمات أو ماتتوهم أنه من المحرمات. فلا تزال « تنك » فى موضوع من هذه الموضوعات ، وهى تغالط نفسها فى الحقيقة ولا تقبل التسليم بينها وبين ضميرها بالسبب الصحيح ، ولو عرفت السبب الصحيح .

والفراغ طبعاً من أسباب « النك » التى لا تفرغ ؛ لأنه يملأ الوقت ويثير الحس ويعوض الزوجين عن الشواغل والأعمال التى تقضى فيها أكثر الأوقات .

وسوء الصحة من أقوى هذه الأسباب . فإن الشكوى من عادات المرأة المتأصلة فى طباعها ، فإذا تحركت فيها بواعث الشكوى من المرض أو الاعتلال فوق هذا الباعث الأصيل غلبتها الطبيعة والعلة معاً فعجزت عن السكوت والتمست لها متنفساً فى الإعادة والإبداء والمناكفة والإيذاء .

وقياساً على هذا يحسب « للنك » سبب يتكرر كل شهر مرة ، ويتساوى فيه جميع النساء . ولا بد فيه من نوبة غم أو لغط أو صياح تخلقها المرأة خلقاً إن لم تسعفها بها الحوادث والمناسبات

وقلما تتوالى الحوادث والمناسبات عن الإسعاف بمثل هذه النوبات في وقت من الأوقات .

* * *

هذه جملة صالحة من أسباب « النك » عند جميع النساء في جميع البلدان ، وبين جميع الأجناس .

ونحن نعرفها فنستفيد ولا شك من هذه المعرفة كما نستفيد من كل معرفة .

ولكن هل معنى ذلك أننا نقضي على الداء إذا عرفنا حقيقة الداء ؟

كلا . فهما يطل الكاتبون والقائلون من « النك » في هذا الموضوع فالنك نفسه باق إلى آخر الزمان ، ما بقي للمرأة لسان وللرجل أذنان تسمعان أو لا تسمعان .

عباس محمود العقاد

القسم الرابع:

# فرنسا ومستعمراتها

للأستاذ أحمد رمزي بك

• فكرة الاتحاد الفرنسي قديمة : عبر عنها جبريل هانوتو بقوله : وحدة الامبراطورية وحدة الارادة والتشريع والعمل، وحدة الشعور والارادة الحرة . ليست بالعنف والقوة والفتح ولكن باللين والترغيب تتم الوحدة الفرنسية » .

وتتميز آراؤه بخطورتها على الأمم المغلوبة وأثرها في نفوس الفرنسيين وسرعة تغلغلها في أوساطهم

جبريل هانوتو من كبار رجال فرنسا ، ظهرت مزاياه وشخصيته في أعماله وكتاباته وأقواله ، فإذا هو يؤثر في جيل بأكمله من الناس ، كتب كثيراً عن تاريخ فرنسا وأمجادها ، وعرف الناس ما لم يعرفوا عنها ، وكتب عن تاريخ الأمة المصرية ، وأشرف على إخراج كتاب على الأسلوب الذي يروق له وللمستشرقين ، وهو رجل دائم الإنتاج ، لم يترك عملا من أعمال الخلق إلا كتب فيه ، ولا نشاطاً إلا جال فيه وصال . كان من أولئك الذين يعملون بالمثل اللاتيني القائل :

« إني بشر مثلهم ، ولن أترك ( ليكون غريباً ) عني عملا من أعمال البشر » !

فكان من الطبيعي والضروري أن يلفت الاستعمار الفرنسي أنظار الشيخ ، ولذلك كتب فيه وأطال ، وهو القائل في كتاب له عنوانه « من أجل الامبراطورية الفرنسية » :

هل ترغب فرنسا أن تحيا حياة الأمم الفتية الناهضة ؟ أم ستلحق بغيرها من الأمم الفانية التي ذهبت ريحها ؟

هل ستفنى كما فنيت بيزنطة ؟ وهل تتبع قرطاجنة وتلقى مصيرها ؟

إذا عاشت فرنسا بعظمتها وقوتها وأمجادها ، وهذا ما لا أشك فيه ( هذا قوله هو ) فلتكن متجهة بنشاطها وفكرها وعبقريتها إلى مستعمراتها

هناك تبرز شخصيتها الخالقة وتنمو علائقها مع تلك العائلة التي جمعتها حولها : عائلة المستعمرات الفرنسية

كانت صيحة وبرنامجاً قذف بهما هذا الشيخ الفاني فتلقفهما رجال الاستعمار ، قال هذه الكلمة بعد أن أمضى السنين يدرس ويبحث ويقيد ويسجل

وخطر هانوتو أنه رجل من رجال الفكر والدهاء ، يجمع بين البحث والعلم والفلسفة ، ينظر للاستعمار نظرة المحلل الطاغية الذي لا تتطرق الرحمة إلى قلبه

أتدري بمن أشبهه ؟ بهذا الفريق أو الرعيل من دهاة العرب الذين نبغوا في العصر الأول من الهجرة ، فقادوا الحركات الكبرى أو مهدوا لها بفكرهم وعقلهم : هذا الفريق الذي فيه معاوية وعمرو بن العاص ، إننا لن نجد اليوم بين مجموعة الدول العربية من تسمو به كفايته إلى هذا الفريق من السلف الخالد .

أما هانوتو فكان داهية من دهاة الفرنسيين ، تلمس روحه وأنفاسه في كل جهة بدون أن تظهر شخصيته ، فهو من أولئك الذين يضعون الخطط لبلادهم لسنوات بعيدة ، ويرسمون لحكوماتهم برامج السير مع الأمم التي نكبت بالاستعمار ، وهو مثل من كثير غيره ، ولكن لكثرة ما قرأت عنه أراني في حل إذا وضعته في صف دوفرين السفير البريطاني في اسطانبول وملنر صاحب المشروع المشهور ، وكلاهما من دهاة الاستعمار

البريطانى الذين وضعوا الخطط الطويلة المدى لبلادهم ، ولا نزال نحن بمصر نجاهد للخروج من نطاق تقرير دوفرين عن الشئون الدستورية ، ونكافح للخروج من دائرة ملنر فى الناحية السياسية.

ولا تعجب من تقرير ذلك ، فإن الاستعمار الأوربى فى نكباته ومصائبه لا يعد شيئاً بجانب مقدرته على التطور والظهور بألوان مختلفة ، وهو أكبر نشاط إنسانى قام به البشر منذ الخليقة إلى اليوم ، بل هو دعامة المدنيــة الحالية ومظهر قدرتها وتفوقها ، بل لا نبالغ إذا قلنا إن مظاهر الترف ومستوى الحياة لدى جماعات من الأوربيين سوف تنهار أو تهبط بتفكك الروابط مع المستعمرات، ولذلك نجد الدول الأوربية أشد تمسكا بهذه الروابط من أى عهد مضى . ونرى أنها تجتهد أن تسالم الحركات القائمة وتسايرها وتخضع لبعض مطالبها ، حتى تحتفظ بما لها من سيطرة على هذه الشعوب

وهذا الاتجاه هو أخطر ما يواجه الأمم الإسلامية الناشئة ، لأننا لن نتغلب على الاستعمار إلا إذا فهمنا هذا النوع من العمل الإنسانى ، ولن نصل إلى الخروج عن نطاقه إلا إذا بعث الله لنا من أنفسنا رجالاً أقوياء أشداء يدفعون عنا ويلاته بعزيمتهم وقوتهم ولهم من الفكر والمضاء فى الحق ما يمكنهم من نقلنا من حالتنا التى نحن فيها إلى حالة تقرب من المنطق والمعقول ، أو تكون أقرب إليهما من الحالة التى نعيش فيها اليوم .

وأعود إلى هانوتو فأقول إنه قد لا يكون أول من نادى بفكرة الاتحاد الفرنسى ، فقد يكون هناك غيره ممن تقدمه ، ولكنى أعجب به من ناحية أنه من فلاسفة ومفكرى الاستعمار ، الذى لمسوا تقدم الدنيا وتنبهوا لما قد تأتى به الأيام ، فتقدموا بآراء ومشاريع وأفكار لم تكن بعيدة عن الحقيقة .

ثم هو مع دهائه وفكره وبصيرته لم تشغله مظاهر الدنيا والثراء وحب النفوذ ، كما شغله حب بلاده ورغبته فى بقائها ، فتحكم على ربوع المستعمرات وفى رقاب أهلها ، وهو حينما يكتب وينشر آراءه وسمومه لا يهمه شخصه : وإنما يؤمن بشىء واحد هو بقاء سيطرة فرنسا على مستعمراتها .

فهو يؤمن بأن بقاء الجماعات متوقف على الأنظمة[1] التى تربطها ، وهذه يجب أن توضع على أسس صالحة قوية ، بل إن الأنظمة هى روح الجماعات ، بقدر صلاحها تصلح الجماعة ، وإذا فسدت انهار كيان الجماعة .

ولهذا فالإمبراطورية فى نظر هؤلاء كائن حى يجب أن يعيش وينمو ، وإن قوته مستمدة من الأنظمة التى تربط المستعمرات بالوطن الأم ، وإن أنظمة الحكم يجب أن تطرد مع الزمن حتى لا يعتورها ويصيبها الجمود ، وهو علة المجتمعات والداء العضال الذى يصيب الامبراطوريات ويقضى عليها كما قضى على ملك روما وبيزانطة وغيرهما .

فهذه الفلسفة الاستعمارية لم تقف عند حد النظريات ، بل أخذت تحلق فى العلاقات بين الدولة الحاكمة والأمم المغلوبة ، وتتخذ طريق التجربة والاستقراء فى مختلف النواحى

وحقيقة للعالم هى : أن السيطرة الأوروبية سواء كانت فرنسية أو غيرها سادت العالم وشعوبه واحتلت المكان الأول وفرضت إرادتها أينما حلت ، إلا فى الجهات التى ساد فيها الإسلام فهناك واجهت المصاعب واضطرت أن تسير على حذر وعلى قدر ، ولذلك تلقى الإسلام والعرب أكبر الطعنات فى التاريخ ، وفى سبيل هدمه أعطى ذلك اللون البراق للمدنيات القديمة التى انقرضت فى مصر وبابل وأشور وفارس ، وهذا يفسر لنا تهجم هانوتو وغيره على العرب وطعنه على تاريخهم ووصفه للاسلام بأنه عدو للعلم والمدنية .

لأن الضعف يوجد تسليما وخضوعاً ، وهذا ما تم فى ربوع أفريقية السوداء ، أما حيث ساد الإسلام فقد وقف المسلمون يقارعون الاستعمار وجهاً لوجه ، وبقى خطر الدعوة المحمدية ماثلا أمام المستعمرين ، ولذلك كثر أعداؤنا لأننا أقوياء : والقوى يخلق أعداء لنفسه ، ومن هؤلاء جبرييل هانوتو الذى تولى يوماً الإمام محمد عبده دفعه عن الإسلام فى كتاب له مشهور ومواقف مشهودة أمامه .

ويذكرنى هذا بما قرأته فى مقدمة كتاب الإسلام وسياسة الخلفاء الذى كتبه أريكو انساباتو « يقف العالم الإسلامى فى مواجهة أوروبا موزعاً بين أملاك الدول المختلفة والقوميات الحديثة يقاوم بشدة وعنف وعناد معتمداً على وحدته الدينية وصبغته العالمية التى تعطى لحركاته مظهراً ينفرد به عن غيره »

---

(١) Institutions

فالسياسة الاستعمارية وقفت إزاء المسلمين حائرة ، وهى التى انتهت إلى اعتبار الإسلام عدواً لدوداً للاستعمار الأوروبى ووصفته بالرجعية والتأخر لأن قناته لم تلن لجبروت الدول الاستعمارية .

وعلى هذا رسمت الخطط لاستبعاد الإسلام ما أمكن من المناطق التى قد يسود فيها : وفى هذه الناحية بالذات ظهرت قرارات لمؤتمر برازافيل تتفق مع قرارات حكومة السودان بشأن التضييق على حرية العبادة ومنع تغلغل الإسلام فى إفريقيا الوسطى وهذا مما جعل للاسلام قضية سوف نعرض لها يوماً لعرضها على الضمير العالمى .

ولم تـكن فرنسا بحاجة إلى إعلان الاتحاد الفرنسى والدعوة إليه لو كان الأمرمتعلقاً بالمستعمرات الإفريقية وحدها ، أما والأمر متعلق بشمال إفريقية حيث يسود الإسلام ، ولذلك قامت أمامها العقبات وحشدت القوات .

وقد كان من أيسر الأمور عليها فرض الثقافة واللغة والدين والأسماء الفرنسية وإيهام الجنود السود أن آباءهم من بلاد الغال وأنهم فرنسيون دماً وروحاً وفيهم من يصدق ويتحمس لذلك .

أما والإسلام والعروبة بالمرصاد ، هنا يبدو الاتحاد متردداً يسير بخطوات وئيدة ، ويستنير بآراء هانوتو وغيره ، وفى ذلك يقول صاحب كتاب الإسلام وسياسة الخلفاء : « إن للاسلام سياستين : واحدة استعمارية تتعلق بالمستعمرة ، وأخرى عالية تتبعه وتلاحقه فى مشارق الأرض ومغاربها » . وهما يلتقيان فى ناحية واحدة وهى إبعاد الأخطار ما أمكن ؛ تلك الأخطار التى يسببها للدول الأوروبية وجود ملايين من المسلمين على الأرض ، يمثلون فى إفريقية خطراً لا يستهان به نظراً لازديادهم عاماً بعد عام .

فى القرون الماضية فقدت فرنسا مستعمراتها لأن البحر كان فاصلا والمسافات بعيدة ، واليوم تحاول فرنسا فرض إرادتها على أقطار شاسعة ، فإذا بالإسلام أبعد غوراً من البحار والمحيطات : وهى لن تقدر عليه لأنه من نور الله .

ولذلك ستسير شعوب الجزائر وتونس ومراكش نحو التحرر والخلاص برغم المصاعب التى تقيمها فرنسا وحكوماتها المختلفة واتحادها ووحدتها : لأنها شعوب عربية إسلامية قوية لا تلين .

لقد استعرضت فرنسا أنواع الاستعمار المختلفة فبدا لها الاستعمار السوفييتى الروسى بلون خلاب ، وخيل إليها أنه قد قضى نهائياً على نفوذ الإسلام من ربوع آسيا الوسطى ، وفى هذا خطأ كبير فارادت أن تستعين بأساليبه فى هذه الناحية وفى بعض النواحى الأخرى ، ولذلك ترغب أن تؤسس اتحادها على شكل يشبه اتحاد روسيا وسنعرض بعد قليل للاتحادين فى مقال لاحق بإذن الله .

أحمد رمزى

---

# وقفة على الفسطاط !

للأســـتاذ على الطنطاوى

قرأت فى مذكرات حضرة صاحب السمو الملكى الأمير محمد على المطبوعة فى مصر فى ٩ ربيع الأول سنة ١٣٦٦ هـ أنه كان يتولى رياسة لجنة حفظ الآثار العربيـة ، فقررت اللجنة سنة ١٣٢٩ هـ ( إصلاح جامع عمرو وتجديده اهتماماً به من جهة أنه أول مسجد أسس فى الإسلام بمصر ، وأنه مشرق أنوار العلوم الإسلامية بمصر منذ القدم ) ، ولئلا ( تماب بقلة الاكتراث بمفاخرنا التاريخية ) .

واهتم بذلك الأجانب ، وكتب إليه أساتذة كبار محبذين ومشجعين ؛ وكاد يتم الأمر لولا أن أكثر الأعضاء المسلمين فى اللجنة غابوا عن الجلسة التى عينت لإتمام المشروع فصارت ( الأغلبية ) للأجانب .

قال الأمير : « فلما بدأت فى تبادل الآراء مع الأعضاء فى مسألة إصلاح الجامع ، قام هرتس باشا — مهندس الأوقاف إذ ذاك — وسألنى : ما ذا تعملون في حيطان سـور الجامع ؟ فقلت : حيث أن السور متهدم متخرب ، وأنه جدد مراراً ، ولم يبق له منظر جذاب ، نريد أن نعمل سوراً جيداً فخماً يتناسب واسم الجامع . فأظهر أسفه لهذا العمل ، وقال ، أننا إذن سنكسر ما فيه من طوب أحمر أثرى ، وأن هذا خسارة لا تعوض ، لأنها آثار قديمة ستتلف بهذا العمل !

وبعد ذلك سأل مسيو ديمول الممثل الألمانى لصندوق الدين قائلا : ما ذا تعملون فى البواكى ؟

ثم سأل المستشرق السويسرى بورك هارت : ما ذا تعملون فى عمدان الجامع ؟

وبعد ذلك قام المسيوفارنال الممثل الإنكليزى لصندوق الدين وسأل : ما ذا تعملون فى البوابة الكبيرة ؟ »

وذكر الأمير جوابه لكل منهم ، وهو جواب مقنع ، ولكن القوم لم يقتنعوا !

قال : « ثم زاد امتعاضى وقلت لجميع الجالسين : أما يندى جبينكم خجلا من هذا الوضع أيها الجماعة ؟ إن الدين الإسلامى لا يسمح لغير المسلم أن يتدخل فى أمور مساجد الله ، والحكومة المصرية سمحت وتساهلت إلى حد أن تتدخلوا فى شـؤون نحو مائتين وخمسين مسجداً فى مصر دون حق شرعى ، والمسلمون لما أرادوا تعظيم شأن جامع مَن أدخل الدين الإسلامى فى بلادنا ، تحجمون وتوقفون عملنا ، وعلى هذا إنى متنازل عن رياسة هذه اللجنة ... » . وتنازل الأمير ، ووقف العمل !

***

قرأت هذا ، فأحببت أن أزور الجامع ، ولم أكن زرته ، وهو قريب من الروضة حيث أقيم ، فسألت فوجدت أنه لا يصل إليه ترام ولا سيارة ، مع أن كل مكان فى مصر ( إلا هو ) تمشى إليه سيارة أو ترام ، فذهبت أخوض فى التراب ، فى طرق مهملة ، ومسالك معطلة ، حتى وصلت إلى الجامع ، وهو قائم كالشيخ المريض المدنف ، وسط المشش و ( الفواخير ) و ( الجيَّارات ) والجبانات !

قلت : أهذا هو جامع عمرو ؟ قالوا : نعم . قلت : وهذه هى ( الفسطاط ) ؟ قالوا : نعم !

الفسطاط ، أول بلدة للمسلمين فى مصر ، يهملها المسلمون ، حتى تعود مقابر للنصارى ؟

الفسطاط ، منزل الفاتحين الذين نشروا فى مصر حضارة الإسلام ، يمحى منها كل مظهر للحضارة ، فلا يكون فيها إلا ( الفواخير والجيارات ) ، وتذهب منها معالم الحياة ، فلا تكون إلا داراً للموتى ؟

هل يدرى هؤلاء الذين يروحون ويغدون على هذه البقعة المتروكة ، وهل يدرى أولئك الذين لم يزوروها ولم يروها أنه من هنا سطع النور الذى أضاء مصر بضوء الإسلام ، ومن هنا انبجس المعين الذى روى العطاش من أبنـاء مصر وإفريقية ، ومن هنا مشت الراية الإسلامية حتى رفرفت على نصف دنيا الماضى من البحر الأحمر إلى ما وراء البيرنة ، ومن هنا خرج الصوت الذى ألغى نظام الطبقات ، وساوى بين الناس فى مصر ، وأعطاهم الحرية فى دينهم ودنياهم ، وأنها هنا ولدت مصر زعيمة العروبة

ومثابة الإسلام ؟ فمن الذى كاد لهذه البقعة الطاهرة حتى صارت أوحش بقعة فى مصر وأحطها وأبعدها عن الحضارة والنظافة والبهاء ؟ ما الذى صرف الناس عنها ، فلا يؤمها مصرى ليذكر مشرق شمس الهداية منها على بلاده ، ولا يستطيع أن يصل إليها سائح ليرى فيها آثار أمجد ذكرى فى تاريخ مصر ؟ أيتخرب المسجد ويهمل الحصن ولا تشفع لها روعة البطولة ، ولا خشمة الإيمان ، ولا عظمة العلم ؟ !

أما والله الذى لا إله إلا هو ، لو كانت هذه المآثر لغيرنا ، لأمة تحس وتشعر وتقدر أمجادها ، لجعلت بقاعها كلها كعبات يحج إليها ، ومنابر تتلوعلى الناس سور البطولة فيصغى إليها الناس كأنها القرآن ، ولخلدت كل مكان مرّ منه عمرو ، وكل طريق سلكه ، وكل قلعة افتتحها ، من العريش إلى الفرما إلى أم دُنين ( قرب حديقة الأزبكية ) ، إلى ساحة المعركة فى عين شمس ، إلى ميدان الوقعة الكبرى ، التى كان فيها النصر عند حصن بابليون ( قصر الشمع ) عند جامع عمرو ، واعبدت هذا الطريق ، طريق الفتح ، وظللته بأشجار النار ، وكنّفته بالورد والفل ، ولجعلت فى كل قرية وكل بلدة مدرسة باسم عمرو ، تعرف الناس بعمرو ، والدين الذى جاء به عمرو .

إن فتوح المسلمين أعجوبة التاريخ ، ومعجزة الدهر ، ولكن ليس فيها ما هو أعجب من فتح مصر ، فقد حيّر من الوجهة الحربية العسكريين ، وأدهش بنتائجه المؤرخين .

لقد كان جيش عمرو يوم صدم مصر ، أربعة آلاف ، وما أربعة آلاف فى جنب مصر وملك مصر ، ولو أطبق عليهم أهلها بأجسادهم لطحنوهم ، ولوضاربوهم بالحجارة لقتلوهم ، ولو حصروهم من بعيد لأهلكوهم ، ولكن أربعة آلاف فتحت مصر ، فتحتها بعبقرية قائدها ، فتحتها بخلائقها وبإيمانها . ومن كان معه الإيمان لا يقف له شيء .

ولقد فتح مصر من قبله فاتحون ، العرب ( الهكسوس ) أبناء الجزيرة ، والفرس ، واليونان ، والروم ، فكان فى مصر غالبون ومغلوبون ، غرباء حاكمون ، ومصريون محكومون ، ولبث الفتح ما لبثت القوة ، فلما زالت زال ، وعادت البلاد لأهلها فلما فتحها عمرو ، صارت لقومه إلى آخر الدهر .

ولقد دأب الروم وهم آخر من حكمها عاملين بالترغيب والترهيب ، يستخدمون العطايا والمنايا ، لحمل المصريين على مذهب فى النصرانية غير مذهبهم فما استطاعوا . وهم جميعاً أهل دين واحد ، واستطاع عمرو أن يدخلهم بطوعهم ورضاهم فى الإسلام ، فيكونوا هم أهله ، وتكون بلادهم بلاده ، وهذه هى طريقة الفاتحين المسلمين ، لم ينقلوا الإسلام إلى البلاد التى فتحوها ، ولكن نقلوا أهلها إلى الإسلام[1] : أراهم فضله ، وأذاقهم عدله ، أعطاهم الحرية فى عباداتهم ، وأعاد لهم بطريركهم بنيامين الذى طرده الروم ، ورفع المظالم عنهم ، ومنع بعضهم أن يستعبد بعضا ، وحفر لهم الخليج فى سنة واحدة ، من النيل إلى البحر الأحمر ، استعملهم فيه بالأجرة لا بالسخرة ، وجعله لهم لا لغيرهم ، فكان للخير والبركات ، لا كقناة السويس التى هى فى أرضنا وليست لنا — فكانت هذه الأعمال خطباً ومحاضرات فى الدعوة إلى الإسلام ، ما سمعها المصريون حتى انقلبوا جميعاً مسلمين ، وكذلك تكون الدعوة : بالأعمال لا بالأقوال .

***

لقد رأيت مرة رواية مسرحية فى جمعية إسلامية مثّل فيها الممثل عمراً . رجلا قيئاً ثعلبياً محتالا يتدسس فى القوم ، ويسترق الأخبار ، ويوقع الشر ، ويتعمد الكذب ، فعلمت أن هؤلاء الذين هداهم الله بعمرو ، لا يعرفون من هو عمرو !

أولا تخبرونى من قال لكم إن عمراً كان بهذه الخلائق ؟ ما الذى غركم بتمثيله ؟

أليس على الممثل أن ( يندمج فى دوره ) ويفهمه ويستعير روح من يمثله ؟ فهل تستطيعون أن تمثلوا أبا جهل فى فضائل جاهليته ، قبل أن تقدموا على تمثيل عمرو فى عبقرية إسلامه ؟

لقد كان عمرو شريفاً فى الجاهلية والإسلام ، وكان صادقاً صريحاً ، وكان شاعراً فصيحاً ، وكان أبياً عزوفاً لا يرضى بالدنية من عمر ، وهو من هو ، ورد عليه الكلمة بمثلها حين راسله فى أمر خراج مصر ، وكان فقيهاً فى دينه ، أسلم طائعاً مختاراً ، فتوافقت على ورود شرعة الإسلام يومئذ عبقريتا عظيمين من عظماء الناس كلهم لا العرب وحدهم . ومارِدين من مردة القيادة

(١) الكلمة لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وقد كنت عقدت عليها فصلا فى الرسالة فى السنة الماضية .

والحروب ، سيد القواد خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، هداه إلى الإسلام نطق سديد ، لم يدخله فيه طمع ولا طبَع ، ولم تدفعه إليه رغبة ولا رهبة ، وكان صادقاً فى إسلامه ، قوياً فى إيمانه ، حتى ولاه الرسول صلى الله عليه وسلم حَطْم رب من أرباب الباطل ، فاختاره لهدم سواع ، وأقره على إمارة سرية فيها سادة الإسلام ومشايخه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ، وجعله رسوله إلى ملك عمان ، وأمينه على الصدقات فيها ، وشهد له « أنه من صالحى قريش » ، وقال فيه : « نعم أهل البيت عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله » ونظر إليه عمر ، فقال : « ما ينبغى لأبى عبد الله أن يمشى على الأرض إلا أميراً » وقال قبيصة بن جابر : « صحبت عمرو بن العاص فما رأيت رجلا أبين قرآناً ، ولا أكرم خلقاً ولا أشبه سريرة بعلانية منه » وكان عمر إذا رأى رجلا عيياً يتلجلج فى كلامه يقول : « أشهد أن خالق هذا وخالق عمرو ابن العاص واحد »[1] .

وكان مشهده يوم بلغه انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملأ الأعلى ، مشهداً يلين القلوب الجامدة ، وما يفجع ولد بأبيه ، أو محب بحبيبه ، فتكون لوعته عليه ، وحسرته لفقده ، أشد من حسرة عمرو ولوعته .

وكان يوم الردة سيفاً من سيوف الله التى رجعت الإسلام إلى موطنه بعد ما كادت تشرده عنه الخطوب ، وأعز الله به الدين ، وقمع الثائرين . ثم رمى به الصديق الروم ، وقدمه على ( من هم أقدم منه سابقة وحرمة )[2] وجعله أحد القواد الأربعة ، فتجلت عبقريته حتى رجع الثلاثة إلى رأيه ، وبلغ الرأى أبا بكر فأقر ما رأى ، وكان فى اليرموك ثانى الأبطال ، بعد نابغة المعارك خالد ، وكان بطل أجنادين ، فضرب الله به أرطبون الروم بأرطبون العرب ، فكان أرجح منه فى الميزان ، وكانت عبقريته أبقى على وجه الزمان ، حتى قال عمر : غلبه عمرو ، لله عمرو !

أما النبل فى سلائقه ، والسمو فى خلائقه ، وقوة جنانه ، وفصاحة لسانه ، فاسألوا عنها كتب الرجال ، فما يتسع لها المقال .

***

(١) تخريج الأحاديث فى الإصابة لإمام الحفاظ ابن حجر

(٢) من كلام أبى بكر له فى وصيته العجيبة التى تشهد لنا أننا نحن أهل البطولة وأهل الحضارة لاهؤلاء الغربيون !

هذا هو عمرو وما عرفتموه ، فرأيتم ما كذبه عليه المؤرخون يوم التحكيم ، ولم تقرأوا الحقيقة التى رواها المحدثون[1] وهم أوثق نقلا ، وأصدق قولا ، وحسبتم أنه من دهاة العرب ، فحسبتم الدهاء لا يكون إلا بالكذب والاحتيال والدس والوقيعة . لا يا سادة إن من تخرج فى مدرسة محمد ، وكان رسولَ رسولِ الله ، لا يكون دساساً ولا كذاباً ، « إن المؤمن لا يكذب » ، هكذا قال الرجل الذى قال : « ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام »[2] محمد رسول الله !

هذا هو عمرو . أى فاتح صنع مثلما صنع عمرو ؟ أى قائد كان أعظم بركة فى ظفره من عمرو ؟ أى مصلح كان أبقى أثراً فى إصلاحه من عمرو ؟

إنه ما شهد فى مصر مسلم أنه لا إله إلا الله ، ولا قام متبتل فى صلاة ، ولا قعد واعظ فى مصلاه ، ولا قاض إلى منصته ، ولا مدرس إلى أسطوانته ، ولا عمل مصرى من خير إلا وعمرو شريكه فى ثواب عبادته ، لأنه السبب فى هدايته ، ومن سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة !

عمرو بنى جامع ابن طولون ، وشاد الأزهر ، وعمر هذه المدارس ، وأقام هذه المساجد ، وأنشأ كل مظهر للاسلام فى مصر . ما كان لولا عمرو !

عمرو هو الذى رد برابرة الشرق فى عين جالوت ، وبرابرة الشمال فى المنصورة ، وكان له فضل كل نصر ، كتبه الله للاسلام فى مصر !

هذا هو عمرو ، فهل تلبى مصر فى إصلاح جامعه دعوة الأمير؟ وهل أعيش حتى أرى هذه البقعة أزهى بقعة فى مصر وأبهاها ، يعمر فيها الجامع حتى يصير أزهر ثانياً ، وهو ( كان ) أول أزهر فى مصر . تمتد من حوله الشوارع الفساح ، والحدائق والجنات ، وترجع هاتيك المآثر ظاهرة ، ومن حولها القصور العامرة ، ومنازل الكبراء ، ومراكز الجمعيات الإسلامية ، والقوضيات العربية .؟

هل ترجع للفسطاط عهودها الخاليات ؟

**على الطنطاوى**

(١) انظر القواصم والعواصم للقاضى أبى بكر ابن العربى

(٢) الاستيعاب للحافظ الأندلسى ابن عبد البر

# من البطل فوزى القاوقجى

## إلى الشـــاعر على محمود طه

« كان الأستاذ الشاعر على محمود طه قد حيا بطل العروبة القاوقجى بقصيدة من عيون الشعر نشرتها البلاغ ، فلما قرأها القائد الشجاع تحركت فيه بلاغة البطولة فبعث إلى الشاعر الكبير بهذه الرسالة » :

تحية عربية . وبعد فقد قرأت قصيدك ، وأطربنى شعرك ، وسألت نفسى ، هل أنا جدير بمثل هذا التكريم يزجى إلى شعراً حراً ؟ وأعدت تلاوة القصيد فإذا بى أجد فى كل بيت روح معركة ، أو صدى حق ناقم ، أو صورة نضال باسل ، وأيقنت أن هذا المجد يضفيه على مثل هذا الشعر العبقرى أجدر به أن يدخر ليوم الفصل ، يوم المعركة الكبرى لانقاذ فلسطين كلها ... يومئذ « لا يمرح الباغون فيها » ، ويومئذ يقول شاعرنا الكبير مايشاء

أخى ؛ ما أشبه هذه الأمة بالكنز الدفين ، تراكمت فوقه على ممر السنين طبقات من تراب تملوها أشـواك وأعشاب ذهبت بمعالمه وعفت آثاره ، يوم توارى وجه الأمة الصحيح ، وغر الأجنبى العدو ، هذا الوجه السطحى المصطنع للأمة ، فاستهان بها ، واستحوذ على القادة يأس ، فضلوا هم عن حقيقة أمتهم ، ولم ينفذوا إلى غورها حتى ظن الظانون أنها مسكنة قد ضربت عليها ... رأيت كيف يبسط الظلم على هذه الأمة جناحيه ، ويطلق يديه فى بلادى فيستنزف ثروتها ، ويوهن أخلاقها ، ويدوس كرامتها . ورأيت كيف يتزاحم وجوه وأعيان وسراة ، بالمناكب على أبواب المستشارين ، وكيف تمرغ على أقدامهم بعض الجباه تستجدى العطف من الطاغية والرحمة من الضارى ، فثارت نفسى أولا ، وأوحت إلى الثورة ... ولكن أين العدة ؟ وأين التكافؤ بيننا نحن الضعاف القلة . وبين العدو الكثير ؟

ورحت أفتش عن القوة ، وأسأل أين تكون المعجزة . واستلهمت التاريخ وبطولة الأجداد ، ثم اهتديت إلى أن الوجه الصحيح لهذه الأمة قد توارى تحت كثيف من غبار الدهر . فأخذت أنتزع الأعشاب وألتقط الأشواك وأزيح التراب حتى تجلى لى ذلك الكنز الثمين ، ورأيت وجه الأمة الصحيح ، إنه هو الشعب العربى ، إنه هو المادة الأصيلة التى صنع منها بناة الأمبراطورية العربية أركان مجدها . مددت يدى نحو الكنز وتناولت حفنة واحدة من أبناء هذا الشعب ممن يصدق فى كل واحد منهم قولك :

حوارى على كفيه قلب ... أبى غير الشهامة والكرامه

وأيقنت أن فى هذه الحفنة من القوة المدخرة ما تسقط معه حجة التكافؤ مع الخصم . فثمة شىء يقال له إيمان وكرامة لا يستقيم معه حساب العدد والعدة . ولكننى تلفت يومذاك أنشد القدوة فى هذه الدنيا . تطلعت نحو الترك ... هذا عظيم .. ولكنه وجـد بقايا جيش وأنقاض مملكة ، أى وجـد مادة الجهاد ميسورة ؛ وأما نحن فلا شىء عندنا . وأخيراً لذت بالتاريخ العربى وإذا بى أجده حافلا غزيراً . فهنا خالد ، وهناك أبو عبيدة ، وهنالك أسامة ، وكل شبر من بلادنا ينطق بآثارهم ، وأين سرت تقاطع آثارنا آثارهم ، فسمعت فى ضميرى أصواتهم تهيب بى إلى الواجب . وبهذه الحفنة التى احتفنتها من الكنز كنت أثب من قطر عربى إلى قطر عربى آخر ، وأكون حيث تقضى النجدة العربية أن أكون . ولطالما قطعت المفازات . واجتزت السباسب ، وخضت فى لهيب من الصحراء يشوى الوجوه ! وطالما وجدتنى فى متاهات البادية قد استبد بنا العطش ، ننشد أثراً ينم على الحياة فلا ماء ولا ظل ولا أنيس إلا هذا القرص الشمسى ، ويا له من أنيس ، يبعث بالأشعة لتسلق الرؤوس ، وما عرفت أن الأشعة ذات ثقل تنوء به المناكب إلا فى تلك البوادى ، وما عرفناها تأكل الظهور أكلا إلا فى تلك الأيام ، حتى لكاننا نعيش فى أتون يتسعر لظى ... أما خيولنا ، فكانت تقاسمنا الضراء والبأساء . ولطالما مدت أعناقها تنشد ظلا أوماء ! لقد جفت مشافرها وضمرت أجسامها ضمور أجسامنا . وكان الفرسان وهم يسبحون فى اللهيب خرساً لا ينبسون بشكوى ، ولا يكادون يقتربون بعد ذاك الجهد من مواطن القتال ويزدلفون من ساحة الجلاد حتى تفتر شفاههم وتنبسط أسارريهم وتتردد أهازيجهم . وترى الفارس منهم كما وصفه المتنبى :

قح كأن صهيل الخيل يقذفه ... عن سرجه مرحاً بالفر أو طربا

ويتبينون فى الأفق سواداً عظيما ، إنه جيش العدو المرم فما تهن عزائم الحفنة ، وإنما تمتد أعينهم امتداد بنادقهم نحو العدو . ويسود صمت ، ليس صمت رهبة ، ولكنه إيذان للبنادق بأن تتكلم . ثم تنفجر القنابل فالسماء تمطر ناراً . وتنشب المعركة

ويستحر القتال ، وأين تطلعت تجد ناراً ولهيباً ، وسواداً وغباراً ، والمركة يجن فيها كأنها إعصار فيه نار ، وعدتنا هي عدتنا . أما الخصم فقد امتلأت يداه بأدوات القتال ، ومع ذلك لا يلبث أن ينفد صبره ، ويرتقب دنو الظلام لينجو بنفسه . وما يكاد الظلام يرخي سدوله حتى يلوذ به ، ويتستر وراءه . وتقف رحى المعركة ، ونتعقبه ، ثم نعود إلى الساحة نتفقد شهداءنا ونحصى قتلاهم . فإذا النسبة بين شهدائنا وقتلاهم ، هي النسبة بين عددنا الضئيل ، وعددهم الجسيم .

وهنا تنطلق الأنشودة الشعبية التي طالما هزت مشاعرنا :

يا دار لنا حقك علينا

وهنا نشعر بأننا قد دفعنا قسطاً من حق الوطن،وأن الجثث المتناثرة في ساحة المعركة هي الإيصال الشرعي . وكم من أقساط دفعناها في ميادين سورية وجبال فلسطين وبطاح العراق .

وهل الدار إلا الوطن العربي ؟ وهل الحق الذي لها علينا إلا الجهاد في سبيل إنقاذها ؟

***

لقد مرت بي الطائرة في سماء فلسطين ، ثم أنزلتني في مصر العربية ، ورأيت فيها ما رأيت . فما استطعت أن أخاطبها بغير أنشودتنا في المعارك :

يا دار لنا حقك علينا

وشاء الزمن المادي أن يحيينا ، فمد الله في العمر ، ويممت شطر الشام ، البلد العربي السيد المستقل ، فما كدت أكحل العين برؤية الراية العربية خفاقة ، وما كدت أرى ابتسامة العز ترتسم على أول وجه لقيته حتى نسيت كل ألم أصابني في هذه الدنيا وما عانقت أخاً إلا أحسست أنني أضم إلى صدري هذه الأمة كلها . وماذا كنت أسمع في ساعات اللقاء من إخواني المجاهدين الذين رافقوني في ساحات النضال ؟ هذا مجاهد يقول وهو يعانقني لا تنسني هذه المرة ، وآخر يقسم إنه منتحر إذا لم ترافقني في معركة فلسطين المقبلة . وهذا شيخ آخر يقول وهو يعانقني : لقد غدوت شيخاً ، ولكن لدي ثلاثة أولاد ، وهؤلاء سيؤدون الواجب الملقى علي ، فينوبون عني ... الأول فتح عينيه على أصوات مدافع ميسلون ، والثاني خرج إلى هذه البسيطة يوم كانت دمشق تلتهب بنار قنابل الفرنسيين في أوائل الثورة ؛ أما الثالث وهو صغير ، فقد ولد يوم الجلاء على أصوات الزغاريد وصيحات الابتهاج ؛ لقد أحسست وأنا أستمع إلى هذا الشعور أن ديناً جديداً وواجباً جديداً ملقيان على كاهلي ...

وهذا ما حبب إلى الحياة ، لا خشية الموت ، وطالما اندفعت نحوه ، وقد تخطاني كثيراً وبالغ في التخطي ، وأنشبت أظفاره في جسمي في تسعة وأربعين مكانا ... ولم يظفر بأمنيته . ولكنني أحببت هذه الحياة لأتمكن من أداء الأقساط الباقية والمستحقة .

إن سعادتي وافتخاري بانتسابي إلى هذا الشعب العريق لا حد لها . ولهذا الشعب نذرت دمي متطوعاً مبتهجاً

هذا ما أوحت به إلي قصيدتك وإني أودعك مردداً قولك الحق:

هو السيف الأصم إذا تغنى صنى متجبر ووعى كلامه ...

المحب

**فوزي القاوقجي**

---

# ٨ - تفسير الأحلام

للعلامة سجموند فرويد

سلسلة محاضرات ألقاها فى ڤينا

للأستاذ محمد جمال الدين حسن

الرموز فى الأحلام :

رأينا أن التحريف الذى يعوقنا عن الفهم الصحيح للأحلام ينشأ عن النشاط الذى تبذله الرقابة للتغلب على الدفعات اللاشعورية لرغبات لا تقرها الذات ، بيد أننا لم نجزم بأن الرقابة هى العامل الوحيد المسئول عن التحريف ؛ والواقع أن دراسة أخرى للأحلام ترينا أن هناك عوامل غيره تشترك فى هذا التأثير ، بمعنى أنه حتى على فرض أن الرقابة رفعت عن الأحلام فإننا مع ذلك لن نتمكن من الوقوف على معناها ولن يأتى المحتوى الظاهر مطابقا للمحتوى الباطن .

وهذا العامل الآخر الذى يتسبب فى غموض الأحلام والذى يساعد على زيادة التحريف ، يتجلى لنا عندما نلاحظ أن هناك ثغرة فى طريقتنا التى استخدمناها فى التفسير . فقد سبق أن سلمت لكم بأن هناك حالات قد لا يجد فيها الأشخاص الذين نحللهم أفكارا مترابطة لديهم لبعض عناصر الحلم . ومن المحقق أن هذه الحالات لا تقع بالكثرة التى يزعمونها ففى معظم الأحيان قد نتمكن من الوصول إلى تبيان الأفكار المترابطة بالكد والمثابرة ، ولكن هناك مع ذلك بعض حالات معينة يخفق فيها الترابط اخفاقا كليا ، أو نجد أن الشىء الذى نستخرجه أخيرا بالعنوة ليس هو ما نحن فى حاجة إليه . وهذه الحالة عندما تقع أثناء العلاج بالتحليل النفسى فأنها تدل على مغزى معين لا يهمنا فيما نحن بصدده هنا ؛ ولكنها تقع كذلك فى أثناء القيام بتفسير أحلام الأشخاص العاديين أو عندما نقوم بتفسير أحلامنا الخاصة . فإذا اقتنعنا فى مثل هذه الحالات بأنه لا فائدة ترجى من الحث والإلحاح ، فإننا قد نكتشف أخيرا أن هذه الحالات المتشابهة تظهر على غير ترحيب منا كلما كانت بعض العناصر الخاصة تحت الاختبار ؛ ومن ثم نبدأ فى إدراك أن هناك قاعدة جديدة تعمل عملها بينما كنا نظن فى مبدأ الأمر أننا صادفنا فقط حالة شاذة أخفقت فيها طريقتنا فى التفسير .

وهذا يؤدى بنا إلى محاولة تفسير هذه العناصر « الخرساء » والاستعانة على ترجمتها بالرجوع إلى مصادرنا الخاصة . ولا شك فى أننا سندهش كثيرا عندما نجد أننا سنتمكن ، فى كل مرة نقدم فيها على هذه الطريقة ، من الوصول إلى معنى مقنع بينما يظل الحلم مفككا لامعنى له ما دمنا لم نعقد العزم على استخدامها . وتجمع كثير من أمثال هذه الحالات المتشابهة يشد من أزرنا إذ أننا قد أقدمنا على التجربة فى مبدأ الأمر فى تهيب ووجل .

وبهذه الطريقة سنصل إلى ترجمة ثابتة لسلسلة من عناصر الحلم ، كما هو الحال فى الكتب العامية عن الأحلام حيث نعثر على مثل هذه التراجم لكل شىء يحدث فى الحلم تقريبا . ولعلكم لم تنسوا بعد أننا عندما كنا نطبق طريقة الترابط المطلق لم نكن نقابل مثل هذه التراجم الثابتة لعناصر الحلم .

أظنكم ستقولون الآن إن هذا النوع من التفسير يبدو لكم أنه أقرب إلى الشك وأكثر تعرضا للنقد من طريقة الترابط المطلق السابقة ، ولكن مهلا ! فنحن لم نفرغ بعد كل ما فى جعبتنا ؛ فنحن عندما يتجمع لدينا من التجارب الواقعة عدد لا بأس به من أمثال هذه التراجم الثابتة ، فإنه يتحقق لدينا بصفة قاطعة أنه كان فى إمكاننا فعلا أن نملأ هذه الثغرات فى التفسير إذا رجعنا إلى مصادرنا الخاصة ، وإننا كنا فى الحقيقة سنصل إلى معناها فى غير ما حاجة إلى الأفكار المترابطة للشخص الحالم .

وهذا النوع من العلاقة الثابتة بين عنصر الحلم وترجمته يطلق عليه علاقة « رمزية » أما العنصر نفسه « فرمز » للفكرة اللاشعورية التى يعبر عنها الحلم . تذكرون أننى سبق أن قلت لكم عندما كنا نبحث فى العلاقات المختلفة بين عناصر الحلم والأفكار الباطنة التى تستتر وراءها أن هناك ثلاثة أنواع من هذه العلاقات وهى : الاستعاضة بالجزء عن الكل ، والإشارة أو التلميح ، والتمثيل البصرى . وقد قلت لكم عندئذ إن هناك علاقة رابعة ولكنى لم أبين لكم نوع هذه العلاقة ، أما الآن فإننى أقدمها إليكم وهى « الرمزية » . وهذه العلاقة يرتبط بها كثير من النقط الهامة التى تصلح للدراسة ، وعلى هذا فسنوجه إليها التفاتنا قبل أن نضع أمامكم ملاحظاتنا الخاصة عن الموضوع . فالرمزية قد تكون

أهم جزء فى نظريتنا عن الأحلام .

نرى قبل كل شيء أن الرمزية بما أنها علاقة ثابتة لا تتغير بين الرمز والفكرة التى يرمز إليها ، فهى بذلك تحقق على نحو ما الفكرة القديمة والفكرة العامية عن تفسير الأحلام ، وهى الفكرة التى بعدنا عنها كثيراً فى طريقتنا فى التفسير . فالرموز قد تجعل من السهل علينا فى بعض الأحيان أن نفسر الحلم دون استجواب صاحبه الذى لا يستطيع فى الحقيقة أن يدلنا بأية حال من الأحوال على ماهية هذه الرموز . فإذا قدر لنا أن نقف على معنى الرموز التى تظهر كثيراً فى الأحلام ، وأن نلم بشيء عن شخصية الحالم والظروف التى تحيط بحياته ، والتأثيرات العقلية التى أعقبها حدوث الحلم ، فإننا غالبا مانجد أنفسنا فى مركز يسمح لنا بتفسير الحلم فوراً ، أو قل ترجمته من أول نظرة . ومثل هذه المهارة بلاشك ترضى غرور الشخص الذى يقوم بالتفسير كما أنها تستأثر بإعجاب الحالم ، فثمت فرق شاسع بين هذه الطريقة السهلة وبين الطريقة الشاقة التى تعتمد على استجواب الشخص الذى رأى الحلم . ولكن حذار من الاندفاع وراء هذا الرأى ، فالشعوذة ليست جزءاً من العمل الذى نقوم به ، كما أن هذه الطريقة التى تعتمد فى التفسير على معرفة بالرمزية ، لا تستطيع بأية حال من الأحوال أن تحل محل طريقة الترابط المطلق أو حتى تقارن بها ، فهى متممة لها والنتائج التى تستخلص منها لا تصبح ذات فائدة إلا إذا طبقت بالاشتراك مع الترابط المطلق . وفضلا عن ذلك فيجب أن لا يغيب عن بالكم أنكم لا تقومون فقط بتفسير أحلام الأشخاص الذين تعرفونهم حق المعرفة ، بل المفروض أنكم كقاعدة عامة لا تعلمون شيئاً عن آثار اليوم السابق التى حركت الحلم وأن الأفكار المترابطة للشخص الحالم هى المصدر الوحيد الذى نستطيع أن نحصل منه على معرفة ما نسميه بالحالة العقلية .

ومما يستحق النظر بوجه خاص أن هناك معارضة قوية ضد هذه الفكرة القائلة بوجود علاقة رمزية بين الحلم واللاشعور ؛ فكثير من الأشخاص الذين اتصفوا بحصافة الرأى وممن سايروا التحليل النفسى فى كثير من النقط الأخرى قد عادوا فتنصلوا من آرائهم عند هذه النقطة . وهذا السلوك قد يستغرب كثيراً عندما نتذكر شيئين اثنين ، أولا أن هذه الرمزية ليست ملكا للأحلام ولاهى وقف خاص عليها ، وثانيا إن استخدام الرموز فى الأحلام ليس من اكتشافات التحليل النفسى ولو أن هذا العلم لا تعوزه الاكتشافات الغريبة . وإذا كان لأحد فى العصر الحديث أن يدعى الأسبقية فى هذا المضمار ، فهو بلا شك الفيلسوف « شرنز » وقد جاء التحليل النفسى فعزز اكتشافه ، وإن كان قد عدل فى بعض النقط الهامة .

أظنكم ترغبون الآن فى معرفة شيء عن طبيعة الرمزية فى الأحلام وتودون الاطلاع على بعض الأمثلة . وإنى ليسرنى أن أقدم لكم كل ما أعلم عن هذا الموضوع ، ولكنى أعترف أمامكم أن معلوماتنا فى هذا الشأن أقل مما كنا نرغب فيه .

العلاقة الرمزية فى أساسها علاقة مقارنة ولكنها ليست مقارنة من أى نوع كان ، فنحن نشتبه فى أنها تخضع لشروط معينة ولو أننا قد لا نستطيع أن نحدد بالضبط نوع هذه الشروط . فليس كل ما يمكن مقارنته بشيء أو حادث ما يظهر فى الأحلام على شكل رمز له ، كما أننا نجد من ناحية أخرى أن الأحلام لا تستخدم الرمزية لأى شيء كان بل تستخدمها فقط لعناصر خاصة من الأفكار الباطنة ؛ أى أن هناك تحديدا من الناحيتين . ويجب علينا أن نسلم كذلك بأننا لا نستطيع فى الوقت الحاضر أن نحدد بالضبط معنى الرمز كما نتصوره ، فهو يبدو أحيانا كاستعاضة عن شيء أو تمثيل له ، بل كثيرا ما يقترب جدا من الإشارة والتلميح . وقد يكون من السهل علينا فى بعض الأحيان أن نتبين على الفور المقارنة التى بنيت عليها الرموز ولكن هناك حالات أخرى نحتاج فيها إلى البحث والتدقيق لمعرفة العامل المشترك الذى يدخل فى هذه المقارنة المفروضة . وهذا العامل قد يظهر لنا إذا أعدنا النظر مرة أخرى ، كما أنه قد يظل محجوبا عنا إلى الأبد وإذا كانت الرموز عبارة عن مقارنة فعلا ، فإن مما يستلفت النظر حقا أن هذه المقارنة لا تتضح لنا من عملية الترابط المطلق ، وأيضا إن الحالم لا يعرف عنها شيئا وإنما يستخدمها فى غير وعى منه ، بل إنه ليذهب إلى أكثر من هذا فيأبى أن يعترف بها عندما نوجه نظره إليها . ومن هذا ترون أن العلاقة الرمزية عبارة عن مقارنة من نوع خاص طبيعته غير واضحة لنا تماما ، وربما كان فى استطاعتنا فيما بعد أن نعثر على بعض الأدلة التى تلقى قليلا من الضوء على هذه الصفة المجهولة .

( يتبع ) محمد جمال الدين حسن




## بين معمم ومقبع ومطربش !!

الحر شديد تلفح زفراته الوجوه ، والترام مزدحم بالناس قعوداً ووقوفاً ، وما منهم إلا من ملأ الفتور بدنه كأنما أخذتهم جميعاً سنة فهم صامتون مطرقون . وليس ما يدب فيه النشاط والقوة إلا هذا الترام السريع الذى ينحدر إلى القاهرة من مصر الجديدة منطلقاً كالسهم ، يهز ركابه الوسنانين هزات قوية تنفض عنهم بعض فتورهم وتكاد تلقى بالجالسين منهم على أطراف المقاعد إلى أرض العربة فى منعرجات الطريق …

وفى زاوية من العربة جلس ثلاثة : معمم على أحد المقاعد يواجهه على المقعد المقابل مقبع ومطربش .

أما المعمم فهو فى حدود الأربعين أنيق الثياب جداً ، نظيفها كأنما هو قادم بها من فوره من دكان الخياط . ولست أدرى ما ذا يصنع يوم العيد ليشعر الناس أنه « غيّر » ملابسه ؛ ممتلىء البدن ، أبيض الوجه فى حمرة ، متورد الوجنتين ، تنبئك ملامح وجهه بأنه فكه خفيف الروح ، وتحدثك عيناه ولفتاته ونظراته فيمن حوله — على الرغم من الفتور الذى لحقه كما لحق غيره — أنه « ابن بلد » بأوسع معنى لهذه الكلمة .

أما المقبع فهو عُتُلٌّ فى نحو الستين ، ثقيل الظل جامد الطبع فيما يبدو من ملامحه وهيكله جميعاً ، وبخاصة حاجباه الكثيفان ومنخاراه الواسعان وعيناه الضيقتان وفمه الذى ما إن رأيته حتى جزمت بأنه لم يبتسم مرة فى سنواته الستين ، ولو طلب إلى أن أؤدى يميناً عن هذا لأديتها فى غير حرج .

أما الطربش فأرجو أن تعفينى من وصفه فذلك هو أنا صاحب المنظار ...!

وحدث بين هؤلاء الثلاثة ما بعث الركاب جميعاً من سنتهم وما أضحكهم على الرغم من الحر والغبار وجهد اليوم …

مد القبع إحدى رجليه فوضعها على المقعد حتى مس حذاؤه ملابس المعمم أو كادت ، فنظر إليه هذا نظرة استنكار عله يسترد رجله ويبعد ذلك الحذاء الذى خيل إلى لكبره أنه مركب من مراكب الأطفال ؛ ولكنه لم يتحرك ؛ فقال له المعمم : « من فضلك يا خواجه » وأشار إلى حذائه ؛ فنظر إليه القبع متثاقلا وقال : « لا … أنا حر » ونطق الحاء خاء فازداد ثقلا على ثقل .

وازداد وجه المعمم حمرة ورأيته أخذ يتحمس ، ولكنها حماسة من يعرف كيف يسلك فى مثل هذا الموقف ما يشا كله من مسلك :

— أنت حر فى بيتك ولكن هنا لا … ونطق المعمم كذلك الحاء خاء كأنما هو حيال نص لا يملك له تبديلا …

ولم يلتفت المقبع إليه فازداد جوداً على جود !

ولم يرع هذا المتل إلا رجلا الشيخ جميعاً تمتدان فتستقران لا على المقعد ولكن فى حجره وقد ضغط الشيخ بنمليه على بطنه وهو يقول « أنا كان حر » وأصر على جعل الحاء خاء .

وضحكت حتى تندت عيناى وضحك من شهدوا المنظر جميعاً وطار عنهم فتورهم ؛ ونهض القبع كأنما لدغته عقرب ، وهو يرطن بلغته ، وكأنما فمه بالوعة غصت بالماء وقد انتفخ شدقاه فازداد غلظاً على غلظ .

ونظر إلىّ المعمم وهو بين الضحك من فعلته وما أثارته من ضحك عام وما كللت به من نجاح أعجبه ، وبين الغيظ مما يرطن به المقبع ، وقال لى « ترجم حرفياً ما يقول لألقى به تحت الترام » فأحجمت وما زدت على أن ضحكت . فقال الشيخ وقد حبس ابتسامته وبدا الجد فى وجهه : « أتمتنع عن ترجمة ما يقول هذا الخنزير ؟ . أهذه غيرتك على كرامة بنى وطنك ؟ » .

ورأيتنى على رغمى قد دخلت خصما ثالثاً فى القضية !

ونظرت إلى الشيخ وقلت : أفتراني يرحمك الله أتبين شيئاً مما يقول ؟ ومع ذلك فهل تظنه يتمدحك ويثنى عليك ؟

وأعجب الشيخ ردى فابتسم أو كاد ثم عاد إلى عبوسه وتقطيبه ، على أنه ما لبث أن ضحك مع من ضحكوا لهذا الرد .

ورأيت أنى أحرجت الشيخ إذ حرمته مما أراد أن يتعلل به من جهله بما يقول خصمه وكفى الله المؤمنين القتال … وصار لزاماً أن يلقى بذلك القبع تحت الترام وإلا فقد قبل شتائمه وأنقذ القبع من الموت المحتم تحت عجلات الترام أو قل أنقذ الشيخ من حرجه وقوف الترام على آخر محطة بحيث لم تعد عجلاته تفعل شيئاً !

فادة الإصلاح فى القرن الثالث عشر :

# الشيخ شامل

## زعيم القوقاز وشيخ المجاهدين

للأستاذ برهان الدين الداغستانى

٣ — كان الحاج جبرائيل من أهل قرية « جرقط » صانعاً ماهراً يجيد صنع كل ما تقع عينه عليه ، وفى ذات يوم من الأيام قصد إلى ساحل البحر الأسود ، وركب إحدى البواخر ، وتوجه إلى الحجاز ، وأدى فريضة الحج ، ثم رجع إلى مصر وأقام بها فترة رجع بعدها إلى القسطنطينية ومنها إلى بلاده الأصلية فى الداغستان حيث كان الشيخ شامل فاتصل به وعرض عليه خبرته ومهارته الصناعية ، واقترح أن يقوم بصب المدافع وصنعها محلياً ، ومقاتلة الروسيين بنوع أسلحتهم ، وأظهر شامل — رحمه الله — خوفه من الفشل فى هذا المشروع ، وعارض فيه بادىء ذى بدء؛ ولكنه — تحت تأثير الالحاح والاغراء — قبل المعاونة والمساعدة ورضى بالمساهمة فى هذا المشروع ، وقدم كل عون ممكن لهذا الصانع الماهر الوطنى المخلص ، وقام الحاج جبرائيل بأول محاولة لصنع المدافع ، فجمع بقايا المدافع المحطمة التى تركها الروسيون فى بعض المعارك السابقة ، وأذابها ، ثم صب منها مدفعاً جديداً ، ولكن هذا المدفع لم يقو على تحمل أول تجربة أجريت له ، فتحطم بعد قذف القنبلة الأولى منه ، وكان فى هذا الفشل الحافز الذى حفز شاملا واخوانه والحاج جبرائيل ومهارته ، وأعيدت المحاولة ، ونجحت ، ومن يومئذ أصبح فى امكان الشيخ شامل وجنوده الاعتماد على قوة المدفعية ومقابلة الروسيين بنفس سلاحهم الذى يقاتلونهم به .

وكان لصنع المدافع فى بلاد الداغستان ونجاحها ، واستعمالها فى المعارك التى وقعت بعد ذلك أثر كبير سواء فى تقوية الروح المعنوية بين المجاهدين المسلمين أو فى إيقاع الخوف والرعب فى قلوب أعدائهم من الروسيين ، وأهل البلاد الضالعين مع الروسيين . وكان ذلك حوالى سنة ١٢٥٩ هـ و سنة ١٨٤٣ م .

٤ — كان الشـــيخ شامل — من يوم صنع المدافع فى الداغستان واستعمالها فى الحروب — يسير من نصر إلى نصر ، وذاعت شهرته ، وقويت شوكته ، وهابه خصومه بعد أن أوقع بهم فى عدة معارك فاصلة ، كان لها وقع عظيم فى نفوس الفريقين المتحاربين ، ولجأت القوات الروسية إلى قلاعها وحصونها .

فى هذه الأثناء كان زعماء الجراكسة وأعيانهم يرسلون الرسل والكتب متتابعة بدعوة الشيخ شامل إلى بلادهم . لمساعدتهم على رفع نير الاحتلال الروسى عن رقابهم ، مظهرين الطاعة والاخلاص له ولدعوته الدينية الوطنية التى رفع رايتها فى ربوع بلاد الداغستان .

وفى أوائل سنة ١٢٦٢ هـ ( ١٨٤٦ م ) عزم الشيخ شامل على اجتياز الحدود والذهاب إلى بلاد الجركس ، فجمع جمعاً عظيما من الجند الخيالة والرجالة وأخذ معه سبعة مدافع ثقيلة ، ومقداراً وافراً من المهات والأسلحة الحربية ، واجتاز نهر « ترن » ونزل فى بلاد « قبرطاى » الواقعة فى الشمال الغربى للداغستان ، وأخذ ينشر تعاليمه ومبادئه عن طريق الوعظ والارشاد ، وأقبل عليه الأهلون مرحبين وأظهروا استجابتهم لدعوته وموافقتهم لها، وبينما كان الشيخ شامل يقوم بهذه المهمة وينظم الحياة الدينية والمدنية فى تلك البلاد . جاءه النذير بأنه وقع فى كمين دبره له الروسيون . إذ قطعوا عليه خط الرجعة ، وسدوا المسالك وأقفلوا الجسور التى تصل ما بين بلاد الداغستان وأقاليم الجراكسة ، فأسرع شامل بالعودة من حيث أتى ، وبعد تصادم قوى بينه وبين الروسيين وتراشق بالمدافع استطاع الشيخ شامل أن ينقذ قواته ويجتاز بها نهر « ترن » ، ورجع إلى بلاده منهوك القوى ، بعد أن خسر فى هذه الرحلة كثيراً من قواته ومهماته ، وكاد يصاب بهزيمة منكرة لولا حزمه وقوة احتماله ، ولولا مهارة الحاج يحيى قائد المدفعية فى جيش شامل الذى استطاع أن يستخدم ما معه من المدافع الثقيلة أحسن استخدام فى الوقت المناسب .

---

وانطلقت وأنا أدير فى رأسى هذه القضية الصغيرة التى فسرت لى تفسيراً عملياً معنى الحرية ، وظلت ساعة لا تبرح خيالى رجلا الشيخ يضغط بنعليهما على بطن ذلك المقبع الذى ظن أنه لايزال لقبعته ما كان لها قبل من هيبة !

الخفيف

٥ — كان لهذه الحادثة أثر بعيد فى المعارك التى تلتها ، فقد قويت الروح المنوية فى الجيوش الروسية المحاصرة فى القلاع المتناثرة هنا وهناك ، فقاموا بعدة كرات على قوات شامل ، ووقعت بين الفريقين مصادمات عنيفة ، وأخذت الحرب فى بلاد الداغستان صبغة رسمية ، واسترعت اهتمام العالم أجمع ، وحشدت القيصرية الروسية أعظم قوادها ، وأرسلت إلى الميدان جموعاً كبيرة من خيرة جنودها ونظم كبار شعرائها القصائد الطوال فى دعوة الناس إلى الجهاد فى الداغستان ولكن شاملا كان مع كل ذلك — كالعهد به — يعمل فى صمت وهدوء وبنفس الايمان والثقة بالله ، وبنصره لعباده المخلصين .

ولما رأى مبلغ ما كان لصنع المدافع من نفع وتأثير حربى أخذ يشجع كل تفكير فى صنع شىء جديد يمكن الاستعانة به فى مقاومة العدو ، وفى سنة ١٢٦٦ هـ ( ١٨٤٩ — ١٨٥٠ م ) تمكن الصناع الداغستانيون من صنع البارود فى بلادهم ، وأعدوا كل ما يلزم لهذه العملية من آلات وممدات ، وأصبح فى امكان المجاهدين المسلمين استخدام البارود فى حروبهم ضد الروسيين من ذلك التاريخ ، كما يستعملون المدافع المصنوعة فى بلادهم وبالأيدى الداغستانية من نحو ثمانية أعوام .

٦ — اتسع نفوذ الشيخ شامل فى جميع بلاد الداغستان ، وسارت بأخباره الركبان ، وكثرت مصادماته الناجحة ضد الروسيين ، وفى أوائل فصل الخريف . فى اليوم العاشر من المحرم سنة ١٢٧٠ هـ ( ١٣ اكتوبر سنة ١٨٥٣ م ) قام الشيخ شامل بحركة جريئة أوقعت الرعب فى قلوب حاميات الروس فى بلاد القوقاز كلها ، ففى ذلك اليوم ساق سيلا عظيما من قواته ومدفعيته ، واجتاز بها حدود بلاد « الكرج » وحاصر قلعة « زنطة » حصاراً محكما قوياً ، واضطر حاميتها إلى التسليم فى النهاية ، ثم بعث البعوث والسرايا إلى القرى المتناثرة فى تلك الجهات ، فأغارت عليها ، وأخذت الأسرى وغنمت الأموال الكثيرة . ثم رجع إلى مقر قيادته فى داخل حدود الداغستان بعد أن قتل من الأعداء نحو ( ٢٫٠٠٠ ) قتيل وأسر نحو ٨٩٤ أسيراً ، وغنم من الأموال والأسلحة مقداراً عظيما . وكان بين الأسرى الجنرال « جوجوزه » قائد حامية « زنطة » وبين السبايا زوجته وبنته وكثيرات غيرهن من كرائم العقيلات ، وبنات الأشراف .

بقى هؤلاء الأسرى عند الشيخ شامل نحو تسعة أشهر ، وجرت المخابرات والمفاوضات بين الشيخ شامل والقيادة الروسية العليا لمبادلتهم بالأسرى المسلمين الذين كانوا فى أيدى الروسيين .

وفى النهاية تم الاتفاق بين الطرفين على طريقة هذا التبادل ومكانه ، فقد اتفق الفريقان على اختيار موقع « أنصنفر » على ضفة نهر « مجك » . كما حصل الاتفاق على مبادلة الجنرال « جوجوزه » بابن الشيخ شامل جمال الدين الذى كان رهينة فى أيدى الروسيين من نحو ستة عشر عاماً ، ثم مبادلة كل مسلم روسى ، وجعل لكل أسير زائد وللسيدات والأولاد من السبايا فداء محدود ، وفى أواخر سنة ١٢٧٠ هـ ( ١٨٥٤ م ) تم هذا التبادل فى « انصنفر » على ضفاف نهر « مجك » ، وأخذ المسلمون أموالا كثيرة فداء الأسرى الزائدين والسبايا من النساء والأولاد . وكان يوماً مشهوداً عم فيه البشر بين الجميع .

٧ — بعد تبادل الأسرى فى أواخر سنة ١٢٧٠ هـ تحاجز الفريقان بعض الشىء ، وخمدت نار الثورة الوطنية ، والحركة الدينية الاصلاحية التى أشعلها الغازى محمد الكمراوى منذ نيف وخمس وعشرين سنة ، وكانت هذه الحادثة أشبه بهدنة غير رسمية بين الفريقين . كان قد مضى على نشوب هذه الثورة فى تلك البلاد أكثر من ربع قرن من يوم أن رفع الغازى محمد الكمراوى علم الثورة ، وكان مضى عليها أكثر من عشرين عاماً من يوم تولى الشيخ شامل قيادتها .

فلما رجع أولئك المجاهدون إلى قراهم وضياعهم بعد طول الغياب عنها ، والتنقل بين مختلف البقاع وتلك البلاد الجبلية الوعرة رأوا ما عم قراهم من الخراب والدمار ، وما حل بأهليهم من الفاقة والفقر وسوء الحال الاقتصادية ، لأن أكثر القرى كانت قد خلت من الرجال الأشداء القادرين على الأعمال الزراعية ، وتولى هذه الأعمال الشاقة النساء ومن هم فى حكم النساء من الشيوخ الفانين والأولاد الضعاف ، فساءت حال الزراعات ، ونقصت الحاصلات وانتشر الفقر والضيق .

ثم إنهم نظروا فوجدوا أنهم فى ثورة متصلة الحلقات من نحو

ربع قرن من غير أن تمتد اليهم يد بالعون والمساعدة من خارج حدودهم ، ومن غير أن يستطيعوا حتى الاتصال بخليفة المسلمين ليعرضوا عليه حالهم ، وما يعانونه من الشدة وسوء الحال .

لابد أن هؤلاء المجاهدين — أو أغلبهم — فكروا فى هذا كله ، فرأوا سوء الحال المنذر بأسوأ مصير ، فوهنت عزائمهم وتراخت وبدأ الناس يتسللون من حول شامل شيئاً فشيئاً ، ثم بدأت الحرب المعروفة بحرب القرم بين الروس والحلفاء : (الأتراك والانكليز والفرنسيين ) . فى النصف الثانى من سنة ١٢٧٠ ﻫ ، واستمرت إلى النصف الثانى من سنة ١٢٧٢ ﻫ ، ولكن الشيخ شاملا لا يستطيع انتهاز هذه الفرصة المواتية . لما قدمنا من الأسباب ، ولم يستطع الحلفاء ، مد يد المساعدة للشيخ شامل لأن الطريق بينه وبينهم كانت مقفلة تماماً .

أقول هذا على الرغم مما جاء فى « لاروس » فى أثناء ترجمة الشيخ شامل من « أن الحلفاء لم يقصروا فى تقديم المعونة إلى شامل ، اذ كانوا يقدمون إليه ما يحتاجه من لوازم حربية » .

أقرهذا لسببين اثنين: الأول ان الطريق بين الحلفاء والشيخ شامل كانت مغلقة تماماً من جميع الجهات ، فلم يكن من الممكن الاتصال به من الخارج .

والسبب الثانى هوأن الذين أرخوا لثورة الشيخ شامل وذكروا دقائقها ، وتتبعوا تفصيلاتها لم يذكروا شيئاً عن هذا العون المزعوم . على أنه لو كان حديث هذا العون صحيحاً لرأينا شيئاً من الحياة والانتعاش فى الثورة إبان حرب القرم ، ولكن على العكس من ذلك تماماً نجد شيئاً من الهمود والجمود يعم أرجاء البلاد طول تلك المدة . إذا صرفنا النظر عن بعض الحوادث المتفرقة التى وقعت هنا وهناك فى فترات متقطعة . مما لابد من مثله بين فريقين طال أمد القتال بينهما أكثر من خمسة وعشرين عاماً .

٨ - لما انتهت حرب القرم ، ووقع الروسيين شروط الصلح مع الحلفاء فى باريس فى ٣٠ مارس سنة ١٨٥٦ م و ٢٢ رجب سنة ١٢٧٢ ﻫ تفرغوا لقتال شامل ، ووجهوا كل همهم للقضاء عليه ، وانهاء حال الثورة فى جبال القوقاز التى طال عليها الأمد، ولهذا نجد الروسيين يجهزون قوة عسكرية كبيرة مكونة من نحو ( ٦٠٫٠٠٠ ) رجل ويرسلونها إلى القوقاز ، ثم تتابعت حملاتهم العسكرية بعد ذلك كما نشط جواسيسهم ودعاتهم لاستمالة بعض القبائل والأعيان إلى جانب الروسيين بما كانوا ينثرونه من الأموال الطائلة . فلما كان أواخر سنة ١٢٧٤ﻫ .(١٨٥٨م) كان كثير من أهل الجهات النائية قد خرج على الشيخ شامل ، وأخذ بقوم ببعض الخدمات للقوات الروسية ، كشق الطرق وحراستها وما إلى ذلك ، وفى شهر رجب سنة ١٢٧٥ ﻫ ( فبراير سنة ١٨٥٩م) جاء الروسيون بقوة كبيرة ، وحاصروا شاملا وأنصاره فى مقر قيادته فى قلعة « بكى درغية » .

ضيق الروسيون الحصار على شامل وأصحابه ، وقاتلوه قتالا شديداً إلا أنهم لم ينالوا منه نيلا لحصانة القلعة وشدة دفاع المجاهدين وبعد نحو أربعة أشهر من هذا الحصار تراجع الروسيون وفكوا الحصار عن القلعة ومن فيها ، فانتهز الشيخ شامل هذه الفرصة ، وخرج مع جميع أصحابه ، ونقل كل ما أمكن نقله من المدافع والمهمات والأرزاق ، وذهب إلى قرية « ايشجيلى » ورابط فيها إلا أن الروسيين لاحقوه هنا أيضاً ، وهاجموه وأحاطوا به ، وبعد أن استمر القتال بين الطرفين نحو شهرين اضطر الشيخ شامل — تحت تأثير قلة رجاله وسلاحه الذى بقى لديه — إلى الانسحاب من هنا أيضاً ، واتجه بأهله وعياله ومن رافقه من مخلصى أصحابه إلى قلعة « غونيب » الحصينة ، وتحصن فيها ، كان ذلك فى أول المحرم سنة ١٢٧٦ ﻫ ( ٣١ يولية سنة ١٨٥٩ م ) .

٩ — تحصن الشيخ شامل بقلعة « غونيب » الحصينة ، ثم لحق به بعض المجاهدين المخلصين حتى بلغ عددهم نحو ثلثمائة رجل من المحاربين غير النساء والأطفال من آل شامل .

ولكن ما ذا عسى أن يصنع هؤلاء الثلثمائة رجل أمام هذه الجيوش الجرارة التى أحاطت بالقلعة إحاطة السوار بالمعصم ؟ فى هذه الأثناء صدرت إرادة قيصر الروس إلى قائد قواته فى القوقاز بضرورة القبض على الشيخ شامل حياً مهما كلف ذلك من ثمن. ولهذا أخذت القوات الروسية تضيق الخناق على قلعة « غونيب » وفى الوقت نفسه طلب قائد الحملة الروسية من الشيخ شامل التسليم ، ووعده بالابقاء على حياته هو ومن معه من المجاهدين ، والنساء والأطفال .

(البقية فى العدد القادم) **برهان الدين الداغستاني**

# وإذا أتى يوماً ..

مترجمة عن فوند بروك

للأستاذ محمد على مخلوف

فى الربوة الغنـــاء قد أبصرتها يوماً تســير
يهفو النسيم بشـوبها فتثور كالطفل الغرير

هى فى الخمـــائل زهرة رفت ، فحياها الربيع
تصبو القلوب إلى الجما ل وتفتدى الحسن البديع

وقفت ترجى أن يعو د مع المساء حبيبها !
ترنو إلى الشمس الـكئيـ ـبة والحنين يذيبها

وتقول : مالك لا تعو د فتطارد الحزن العميق ؟
هل عاقك الداء الممض أو انحرفت عن الطريق ؟

أو قد مللت وحطمت يمناك مصباح الغرام ؟
أنسيت أنى فى انتظا رك – يا حبيبى – منذ عام ؟

عد يا حبيبى ... إننى دون العذارى لا أخون
قلبى يعيذك أن تـكو ن مصدقاً فيه الظنون

هذا جمـــالى ... منحة عظمى حبتك بها السماء
فذق النعيم ... فطالمـــا قد ذقت فى الحب الشقاء

عينى يلوح الصفو فيـ ـها مثل مرآة الأمل
ثغرى ترف على لما ه العذب أزهار القبل

عد يا حبيبى ... فالحيا ة قصيرة أســبابها
سلب السعادة من يديـ ـنا خلسة ســلابها

لـكن من تهـواه آ لى مغضــباً ألا يعود
كم بات يبكى من نوا ها . والنجوم له شهود

قد سار لا يدرى أينـ ـعم أم يعذب فى الحياه !
لفت أعاصـــير الزما ن شـبابه ولوت خطاه

فى مجهل العيش الجديـ ـب رمت به كف القدر
والبؤس ليـل مظلم لا نجم فيـــه ولا قمر

بين الضباب ، أقام ينـ ـشد حلمه ... بين الضباب
ظمآن يشرب فى صحا رى الوهم من نهر السراب

هيهات أن يتفاهم الـ ـعشاق إن صدق الوداد
فالحب إما صح بيـ ـن اثنين لجا فى العناد

« والعقم فى دنيا الهوى الـ ـعذرى غاية كل جود »
فإذا قضيت وما قضيـ ـت لبـانة نلت الخلود

خفت لمخدعهـــا وأد معها من البلوى تسيل
لم تلق فى الروض البهـ ـيج حبيبها النائى الجميـل

نضت الثياب الحمر ... آ ه من الثياب وما تبيح
وتخاذلت فوق الفرا ش كأنها ظبى جريح

حنت إلى الماضى البعيـ ـد ... وأين ماضيها البعيد ؟
وأدته أحداث الليـــا لى ، وهو فى الدنيا وليد

دب السقام إلى الجميـ ـلة فامحى طرس الشباب
يا رحمتا للحسن يهـ ـوى مثلما يهوى الشهاب

راحت تقول لأختهـــا والليل قد أرخى السدول
إنى سأقضى ... فاحفظى أختاه عنى ما أقول :

إن عاد يوماً ذلك الـ ـقاسى وساءل : أين « مارى » ؟
قولى له ماتت ... وكنـ ـت لشمسها الغيم الموارى

وإذا شدا يوماً بألـ ـحان الصبابة أو ترنم
قولى له : إنى بصر ت بطيفها حياً وسلم

لا تسأليه كيف يشـ ـدو فى حبور وابتهاج
عما قليل سوف يصمـ ـت حين ينطفىء السراج

قالت لها ... وإذا أتى يوماً إلى الروض النضير
وجثا هنـــاك على بسا ط العشب يستاف العبير

ماذا أقول ؟ أأسكب الـ عبرات للذكرى الحزينه ؟
أم أجمل الزهرات إكـ ليلا يزين به جبينه ؟

قالت لها ... غنى له أنشودة القلب الـكسير
فإذا بكى ... قولى : لقد ذكرتك فى النزع الأخير

قالت : فإن نسى الغرا م وعهده ماذا أقول ؟
قالت لها : قولى له كل النجوم إلى أفول

وإذا أراد زيارتى لا تصحبيه إلى المقابر
فلهـــ له يفضى إلـ ـى بما يكن من الخواطر

وإذ رأيت بنـــانه مرت على خصل جميـله !
قولى له ... يا طالمـــا داعبت «مارى» فى الخميله

وقضت ... وعاد ... فجن من هول الفجيعة فى فتاته
ما زال يلثم قـــبرها حتى تخلص من حياته

(القاهرة) **محمد على مخلوف**



خواطر مسجوعة :

# العبقرى المجهول ... !

كأنك سائلى أيها الفطِن ، عن كائن لم يكن ... أو كأنك تقول : من العبقرى المجهول ؟ وما هو يا صاحبى سوى إنسان ، محتجب فى عالم النسيان ، غفل عنه التعداد ، ولم تشعر له الدنيا بميلاد ، فضاع فى أمته ، وحار فى منبته ، كشباب أذبله اليأس ، أو عقل سلبته الكأس ، أو روض فى مجهل ، أو علم فى سفر مقفَل ، أو بدر حجبه السحاب ، أو نضار غطّاه التراب ، أو در فى صدف ، لم يُكتشف ، أو سر خطير ، فى ضمير ، أو غناء ، فى أذن صماء ، أو بذر طيب ، فى واد مجدب ، أو عقد مضىء فى جيد أمَة سوداء ، فهى برغم ضوئه كالليلة الليلاء ..!

يعيش فى هذه الدنيا حراً مقيداً ، أبياً مهدداً ، بريئاً مظلوماً ، حياً معدوماً ، لا يلقى إليه العالم بالا ، وإن أضفى عليه من أدبه جمالا ، صنيعه مجحود ، وفضله محسود ، كالوردة ذات الشذى ، لم تسلم من الأذى ... ! !

ولن يؤثر قوم المادية الفانية ، على الروحية الباقية ، إلا إذا رضوا أن يعيشوا مع الماشية ، سواسية ! ولن يسود الناس ، من يقتل الإحساس ، ويطفىء النبراس ، ويبنى على غير أساس !

وليست الحياة أن تتنفس كما تتنفس الآلة بضغط البخار ، وإنما الحياة أن نشعر بأننا نحيا حياة الأحرار ... وكلما سما الشعور ، امتد أفق النور ، والقضية بالعكس ، إذا انحدر الحس . فإن نصيب الأصم من الغناء ، كنصيب الأعمى من الروضة الغناء ، ونصيب المزكوم من العطور ، كنصيب الأمى من هذه السطور !

والشعب الذى له من الحياة نصيب ، لا يهون فيه أديب ، وإنما يهون فى شعب محتضر ، كما تهون الدنيا على المنتحر !

(الزنكلون) **حامد بدر**

# الأدب والفن في أسبوع

## رسالة الأدب وجائزة فؤاد الأول :

كتب « ا . ح » مقالا بمجلة « الصباح » عنوانه « الأدباء المعاصرون في مصر — وهل فهموا رسالتهم الفكرية ؟ » قال فيه إن بعض كبار كتابنا من المشتغلين بالأدب والتأليف ، ثار في الأيام الأخيرة ، لحرمان الأدباء من جائزة فؤاد الأول الأدبية .ومن حق كل متفوق أن يحنق لذلك ، بعد أن منح الجائزة رجال القانون والعلوم .

ولكنه يرى أن تلك الثورة لا تمنع من تقرير حقيقة اجتمع الرأى عليها « وهي أن أدباءنا على كثرة ما ألفوا من كتب ، وما أصدروا من مؤلفات ، لا يزالون بعيدين عن فهم رسالتهم الحقيقية في المجتمع »

ويحدد الكاتب رسالة الأدب التي يرى أن الأدباء لا يزالون بعيدين عنها ، فيقول : إن الأدب هو الحياة ، وكل أدب لا يصور حياتنا ، ولا يتصل بها اتصالا يهدف إلى تجديدها ، من حيث التنبيه إلى ما فيها من أخطاء ونقص ، والدعوة إلى إصلاح عيوبها أو التحذير من أخطاء هذه العيوب — هو أدب زائف لا يمس حياتنا ، ولا يؤدى الخدمة المنشودة منه ، إنه يكون أدبا غير متفاعل مع عواطفنا ، قليل الاهتمام بهمومنا ومشكلاتنا الروحية »

ثم يتساءل : هل في كتب الأدب الكثيرة التي أنتجها رجال الفكر في مصر ما حقق رسالة الأدب على هذا الأساس ؟

وهو يرى إلى أن أكثر تلك الكتب ألف في البحوث الأدبية عن آداب العصور الماضية ، وأن توجيه أكبر الجهد إلى ذلك دون ابتكار أدب تجد فيه الأمة ما يحفزهمتها للنضال من أجل الحرية أو إرشادها إلى الطريق القويم الذي تسلكه في الحياة — إنما هو قصور في تأدية رسالة الأدب على حقيقتها ، وعندما نستطيع إنتاج أدب يتسم بالخلق والابتكار ، ويعالج مشاكلنا الكثيرة ، ويصحح أوضاع حياتنا المقلوبة ، ويتجه بمجتمعنا نحو الرقى

عندئذ نستطيع أن نغضب إذا حرم أدباؤنا من أي جائزة رصدت للمتفوقين منهم في أي فرع من فروع رسالتهم السامية ...

وهذا الذي كتبه كاتب الصباح « كلام جد » عبر فيه عما يشعر به الكثيرون ، فإننا إذا أحصينا إنتاجنا الأدبي المعاصر نجد أكثره إما دراسات لأدب العصور العربية الماضية ، وإما دراسات ومترجمات من الآداب الأجنبية ، فأما الأدب الذي يصور حياتنا ويعبر عن ذات أنفسنا فهو قلة ، مع أنه هو الأدب الأصيل ، وما البحوث والدراسات إلا خدمة له ، وليست الترجمة إلا « استيراد » له من الخارج .

وقد كان لنا العذر في قلة إنتاج الأدب الأصيل في الصدر الأول من هذا العصر ، لأنه كان عصر نهضة ، والنهضة تحتاج إلى كثرة النقول ودراسة الآثار ، لنتزود منها ونبنى على نافعها ، أما الآن فلا عذر لنا في كثرة الدوران حولها ، وإهمال أنفسنا ، فلا نبنى لزماننا كالذي بنى أسلافنا لزمانهم ...

هذا من ناحية الموضوع العامة ، أما ناحيته من حيث استحقاق جائزة فؤاد الأول الأدبية فثمة أمران يرجحان كفة الأدب الأصيل : الأول هو ما قدمناه من بيان أهميته ، الأمر الثاني يمكن استخلاصه من المرسوم الملكي الصادر بإنشاء جوائز فؤاد الأول وفاروق الأول ، فقد جاء فيه : « يشترط في الإنتاج الذي يقدم في المسابقة في كل عام أن يكون ذا قيمة علمية أو فنية ممتازة تظهر فيه دقة البحث والابتكار [ ويهدف خاصة إلى ما يفيد مصر ] والانتاج القومى » والشرط ينصب على الآداب والعلوم والقانون ، وجميعها لا بد أن تهدف إلى ما يفيد مصر ، ولا شك أن الأدب الذي يعالج مسائل مصر ويصور حياة مصر وينبعث من البيئة المصرية ، هو أقرب الآداب إلى فائدة مصر . وصحيح أن المرسوم نص على أن جائزة الآداب تشمل « الآداب البحتة مثل الأدب القصصي ، الأدب التصويري ، الأدب الاجتماعي ، الشعر ، البحوث الأدبية ( النقد ، البحوث اللغوية الدراسات الإسلامية الأدبية ) والتاريخ والجغرافيا والفلسفة والآثار »

ولكنه إلى تقديمه الآداب البحتة ، قيد الجميع بأن تهدف خاصة إلى ما يفيد مصر . وستجتمع لجنة جائزة الآداب وتنظر في

كل ذلك لتقرر منح الجائزة لمن يستحقها فى العام القادم بعد أن أجلتها هذا العام ، ولا إخالها إلا مرحبة بمعرفة اتجاه الرأى الأدبى العام ، وتقدر ما يبدى من الآراء التى يراد بها وجهة الأدب الخالصة

**قضاة الغرام :**

أرادت مجلة « الاثنين » أن تستفتى الأدباء فى مشكلة من أهم المشاكل التى تشغل بال الرأى العام فى هذه الأيام ... هى مشكلة غرام ! فقد ساءت العلاقة بين شـــاب وفتاة ، وتكرر وقوع الاعتداء من أحد الطرفين على الآخر ، فأصبح الأمن بذلك مهدداً فى عالم الغرام ... ولم يستعن الفتى بخبراء ، ولم ينتظر قرار هيئة مستشارين ، بل أسرع فى كتابة العريضة ورفعها إلى « الاثنين » يقول إنه أحبها ، وأحبته ، وهو رقيق الحال ممتاز بكرامته ، وهى ربيبة نعمة وجاه « واعتدى المال على الفقر مرة واثنتين وثلاثاً ، وثارت الكرامة وتطلبت الاعتذار ... ولكن الفتاة لم تعتذر ، لأنها لم تتعود الاعتذار . وإنه لفى حيرة لا يدرى أيكون أكثر شقاء بالصفح والغفران ، أم بالقطيعة والهجران ... »

وتلفتت « الاثنين » -- أو الاثنان -- حولها ، تبحث عمن ينظر القضية ومن لها غير الأدباء ؟ أليسوا أساة القلوب وقضاة الغرام ؟ ومتى تلجأ إليهم إن لم يكن هذا وقتهم ! وفيم تحكمهم إن لم يحكموا فى هذا الأمر الجلل ؟ أفى كهربة خزان أسوان ولا يتصل لمثل هذا بهم شغل ؟ أم فى مسائل تتصل بأدبهم ولكنها تشق على الأذهان الناعمة ... ؟

وأصدر الأدباء ، فلان وفلان وفلان ، حكمهم ، فمنهم من رأى أن كل شىء يهون إلا الشرف ، ومنهم من قال : لغة الحب الضنى ! ومنهم من أنشد : « ليس لمخضوب البنان يمين »

وهكذا عولجت المشكلة وانتهت القضية واستتب الأمن فى عالم الغرام !

ولكن هل ينبغى أن تقصر العناية على هذه المشاكل « الحيوية » ؟ وهل يصح ألا يدعى الأدباء إلى غير ذلك مما يهم الناس ... ؟

**باسم أدباء العرب :**

من الانباء الأخيرة أن أحد أعضاء المؤتمر الدولى لنادى القلم المجتمع فى زوريخ ، اقترح اتخاذ قرار بالثناء على الشعب اليهودى والإنحاء باللائمة على خصوم الصهيونية والرغبة فى معاملة الوطن القومى لليهود على قدم المساواة مع سائر دول العالم ، فقابلت كثرة المؤتمر هذا الاقتراح بالتصفيق

غير أن الأستاذ كميل أبو صوان مندوب لبنان ( وهى الدولة العربية الوحيدة الممثلة فى المؤتمر ) قد احتج على هذا الاقتراح باسم الأدباء العرب ، مما أدى إلى نقاش عنيف بين أعضاء المؤتمر انتهى برفض الاقتراح لأن قانون المؤتمر يحرم التعرض لأية مسألة سياسية

وهذا -- دون شك -- عمل رائع من الأستاذ كميل أبو صوان ، ومما يزيد روعته أنه أدى إلى رفض الاقتراح الذى أريد به تأييد الصهيونية .

**الفنيون وتيسير الكتابة العربية :**

لما كان تيسير الكتابة العربية موضوع مسابقة جائزتها ألف جنيه ، وقد دخل فيه نحو مائتى متسابق بينهم فنيون وفنانون لهم قيمتهم ، وهم مختلفون فى منازعهم ، حتى إن مجمع فؤاد الأول للغة العربية القائم ببحث هذا الموضوع ، تلقى رسائل فيه من أمريكا ومن روسيا ومن الهند وغيرها من سائر الأقطار والأصقاع ، ولأهمية هذا الموضوع وخطورة أثره ، رأى المجمع ألا تنفرد لجنة تيسير الكتابة العربية بالحكم على هذه المشروعات ، وأن ترجىء نظرها حتى تسمع رأى حكام فنيين فى الخط وفى الطباعة ، فقد يعجب اللجنة مشروع يصعب تنفيذه فى العمل ، فتبطل قيمته ، وتنعدم جدواه ، وقد يروق اللجنة مشروع من وجهته العامة ولكنه فى أداء مقتضيات الكتابة العربية ناقص أو عسير التحقيق ، ورأت اللجنة أن أعضاءها وإن كان لهم بصر بالكتابة العربية ، وسابق نظر فى المشروعات والمقترحات التى بسطت للتيسير ، فإنهم ليسوا بالفنيين المتجردين لشـ ـئون الخط والطباعة

لذلك كله قرر مجلس المجمع ، فى جلسته التى ختم بها دورته الماضية ، تأليف لجنة من فنيين فى الخط وفى الطباعة اختار لها المدير العام لمصلحة المساحة رئيساً ، ويتكون أعضاؤها من كبير الخطاطين بمصلحة المساحة ، والأستاذ سيد ابراهيم الخطاط ،

والشيخ محمد نخر الدين بك، ومدير المطابع والتوريدات بمصلحة السكة الحديد، ورئيس مطبعة دار الكتب، والأستاذ شفيق مترى صاحب دار المعارف . وضم إليهم الأستاذ شارل كونتز مدير المعهد الفرنسى بالقاهرة باعتباره فنياً فى الخطوط السامية وأحد الذين تتبعوا تطور الكتابة العربية، ليقارن بين الخطوط المقترحة وبين الخطوط السامية

وتعقد هذه اللجنة بدار المجمع اجتماعات أسبوعية توالى فيها النظر فى المقترحات المقدمة . وينتظر أن تقدم تقريرها فى هذه المهمة إلى المجمع قبل انتهاء عطلة الصيف حتى يستطيع المجمع أن ينظر فيها فى مقتبل دورته القادمة ...

**المؤتمر الثقافى العربى :**

عرف القراء مما كتبناه فى عدد مضى من الرسالة أن اللجنة الثقافية بالأمانة العامة للجامعة العربية دعت إلى عقد مؤتمر ثقافى بلبنان فى سبتمبر القادم تنفيذاً لسياسة التعاون الثقافى بين الدول العربية . ونذكر اليوم، إلى ما بيناه فيما مضى، أن المؤتمر سينعقد فى فندق بيت مرى الكبير ويبدأ فى اليوم الثانى من سبتمبر ويستمر إلى التاسع منه، وسيكون تحت رعاية فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية ، أما رئيس المؤتمر فهو وزير التربية الوطنية (المعارف) اللبنانية، ويرأس معاليه أو من ينوب عنه حفلات الافتتاح والختام والمحاضرات العامة . أما الاجتماعات التى تخصص لمناقشة مقترحات اللجان الفرعية الفنية وأخذ الآراء فيها، فينيب معاليه عنه فى رياستها رئيس اللجنة الفرعية المختصة لعرض وجهة نظر اللجنة وتوجيه المناقشات واتخاذ القرارات ...

وقد نشرت بعض الصحف أن المؤتمر ستشترك فيه بعض السيدات المثقفات . وقد عرفنا أن الأمانة العامة لم تتلق بعد أسماء سيدات لهذا الغرض، ولكن إذا رأت إحدى الهيئات الرسمية أن يكون من ممثليها سيدات فإنها لا تمانع فى ذلك، كما أنها لا تمانع فى حضور سيدات مثقفات من غير الهيئات الرسمية جلسات المؤتمر مستمعات كغيرهن من الرجال ...

وقد تلقت الإدارة الثقافية بالجامعة العربية من جامعة فؤاد الأول أن مجلس إدارتها وافق على إيفاد حضرتى الدكتور محمد عبد المنعم الشرقاوى والأستاذ أحمد محمد الشايب لحضور المؤتمر الثقافى، وتلقت من وزارة المعارف العراقية أن ممثلى العراق فى المؤتمر هم الدكتور جواد على والدكتور مصطفى جواد والأستاذ إبراهيم شوكت، ويمثل فلسطين السادة وصفى العنبتاوى والدكتور إسحاق الحسينى والأستاذ أحمد خليفة من كبار رجال التعليم بحكومة فلسطين ...

والمفهوم أن قرارات المؤتمر سترسل إلى الدول العربية للعمل على تنفيذها، وأنه وإن لم يكن هناك إلزام رسمى بذلك إلا أن الفكرة العامة من حيث الرغبة فى الاتحاد والتقارب الثقافى بين الأمم العربية، تكسب تلك القرارات نوعاً من الإلزام الأدبى ...

**مؤتمر الآثار العربى :**

وقد عرف القراء أيضاً نبأ انعقاد مؤتمر للآثار العربية بسورية قبل انعقاد المؤتمر الثقافى بلبنان ...

ونضيف إلى ما سبق أن مؤتمر الآثار سيعقد بدمشق ويبدأ فى الثالث والعشرين من أغسطس القادم وينتهى فى آخره، بحيث يبدأ على أثره المؤتمر الثقافى بلبنان فى أوائل سبتمبر كما تقدم

وسيكون مؤتمر الآثار العربى تحت رعاية فخامة رئيس الجمهورية السورية، ويرأسه معالى وزير المعارف بسورية ...

ويمثل جامعة فؤاد الأول فى المؤتمر الدكتور زكى محمد حسن والدكتور أحمد بدوى، ويمثل دار الآثار العربية بالقاهرة الدكتور محمد مصطفى أمين الدار، ويمثل العراق السادة فؤاد سفر وطه باقر وبشير فرنسيس ... وقد أبرقت وزارة المعارف السورية إلى الإدارة الثقافية بأن مندوبها الرسمى الأول هو الأمير جعفر الحسنى، وأن المندوب الثانى هو السيد سليم عادل ...

« العباس »




**رحلة الدكتور عزام إلى الهند:**

ابتداء من العدد المقبل سننشر المقال الأول من رحلة الهند للدكتور عبد الوهاب عزام بك ، وهى مقالات تتسم بالبلاغة والجمال والسمو والصدق ككل ما يكتبه الأستاذ ، فضلا عن ظهورها فى الوقت الذى تنشأ فيه بالهند دولة الباكستان الإسلامية. وأكثر الناس لا يعرفون من روح الهند وأسرارها ما يساعدهم على إدراك هذا النظام الجديد وتأثيره فى مستقبل الإسلام وأهله .

**أدباء العروبة فى مجلس الشيوخ:**

نشرت الصحف اليومية أن الشيخ المحترم «فريد أبو شادى» طلب إلى مجلس الشيوخ استجواب رئيس الوزراء عن التصرف الذى وقع لحساب جامعة أدباء العروبة .

وقد أشار الشيخ إلى هذه التصرفات فى كتابه إلى رئيس مجلس الشيوخ « ... من استغلال النفوذ ، وتسخير مواصلات الدولة ، وإذاعتها لهذه الهيئة المسماة أدباء العروبة » .

ولقد مر الناس على ذلك فكان مجال تعليق ، وموضوع أحاديث ... وإذا كان من حق الشيوخ والنواب مراقبة الحكومة فإن من حق الأمة مراقبة هؤلاء ، ومناقدتهم أحياناً ، ومناقشتهم فيما يند عن المعقول من رقابة أداة الحكم فى هذا البلد .

وليس مما يدخل فى نطاق المعقول ، ولا مما يستساغ أن يؤخذ على الحكام استغلال نفوذهم فى الصوالح العامة ، وإنما يكون ذلك حيث يستغل الحاكم سلطانه فى أموره الشخصية، ومصلحته الفردية

وليس كثيراً على الأدب أن يتوكأ على نفوذ الدولة ، وأن تسخر له مواصلاتها ، وإذاعتها ، ولعل الأقرب إلى الواقع أن نقول : إن المواصلات والإذاعة هما اللتان سخرتا الأدباء فى هذه الحفول الأدبية .

ثم إن أدباء العروبة لم يمسوا ميزانية الإذاعة المحدودة ، ولم ينالوا كثيراً من وقتها الثمين الذى تدبره الأقدار فى مصر لإذاعة « من فوق لتحت » وأمثال هذه الأشياء الرخيصة المريضة التى تبهظ ميزانية الإذاعة ، وتستنفد وقتها .

إن نهوض الفن فى الأمم يقترن عادة ببذل عظيم تقدمه الأمة راضية للفن ، وفى التاريخ الأدبى قديمه وحديثه شواهد كثيرة تطالعك فى عصور النهضات الأدبية بما كانت تصنعه الأمم للفنون حتى تأخذ سبيلها إلى الرقى ، والحياة .

هذا ما يقع فى كل بلاد الله ... أما فى مصر فيستجوب شيوخها الحكومة عن التصرفات التى تقع لحساب الجوامع الأدبية

ولقد كنت أفهم أن يتكلم الناس فى المادة الأدبية التى قدمتها هذه الجماعة من حيث هى فن ... فأما الفكرة الجليلة التى يضطلع بها الرجل الجليل ابراهيم دسوقى أباظة فإن مكارمها تعتبر غميزة لثقافة هذا البلد ووعيه وشعوره .

ولقد كنت أفهم أن يستجوب الشيوخ الحكومة عن مدى مساعدتها لهذه الجماعات الأدبية ، وعن الوسائل التى أعدتها الحكومة لضمان حياتها ، فأما هذا الاستجواب فإنه إن دل على شىء فإنما يدل على أننا لا نزال فى حاجة إلى جهود كبيرة قبل أن نصل بالأدب فى مصر إلى المكان اللائق به .

طاهر محمد أبو فاشا

**أمانة النقل:**

تحت هذا العنوان قرأت فى مجلة الرسالة كلمة للأستاذ على الطنطاوى عرض فيها لكتاب ( عثمان بن عفان ) وإنى أستميح الأستاذ أن أقول له : إن أمانة النقل لم تفقد من الأزهر ، وإن الأزهر لا يزال دارها ومستقرها ، وإن أهله أهلها ، يحرصون عليها ، ويعرفون لها قدرها ، لأن مؤلف كتاب (عثمان بن عفان) وهو من أبناء الأزهر ، قرأ فيما قرأ كتاباً مطبوعاً ذائعاً بين الناس ، وعلى طرته عنوانه « سيرة عمر بن الخطاب » ... تأليف الشيخ على الطنطاوى ، وأخيه ناجى الطنطاوى ، ونقل منه إلى كتابه (عثمان بن عفان) فى فصل تحقيق مقتل عمر ما رآه عاضداً لرأيه ، مؤيداً لمذهبه ، مصدراً نقله بقوله : « وقال الأستاذان الفاضلان صاحبا كتاب سيرة عمر فى تعليقة فاحصة » وذلك بعيد قوله : «وإلى هذا ذهب كثير من المؤرخين القدامى والمحدثين» فأين وجد الأستاذ فقدان أمانة النقل من الأزهر؟ فهل يفهم قارىء كتاب (عثمان بن عفان) بعد هذا التصريح الصريح باسم الكتاب المنقول منه ، ووصف صاحبيه بالفضل — وهما له أهل — ووصف الكلمة المنقولة بما ينبه على قدرها فى موضوعها ، هل يفهم ذلك

القارىء من هذا الصنيع فقدان أمانة النقل من الأزهر ؟

ولعل الأستاذ يقصد :

أولا – إلى اختصار إسم الكتاب من « سيرة عمر بن الخطاب » إلى « سيرة عمر » وهذا اختصار لا يرتفع إلى هذه الجفوة التي اختار لها الأستاذ عنوان كلمته ، لأنه ليس في الإسلام إطلاقاً « عمر » بالاطلاق، يؤلف كتاب في سيرته غير عمر بن الخطاب فاروق الإسلام

ثانياً – إلى عدم ذكر اسم المؤلف ، وأنا قد اكتفيت بالوصف المقرون باسم الكتاب ، وهو معين عند القراء لصاحبه ، ومبدد – في الأقل – لشبهة فقدان أمانة النقل .

أما أن الأستاذ وجد في فصل تحقيق مقتل عمر من كتاب (عثمان بن عفان) كلاماً أحس أن فيه رائحة كتابه ، ولا يجد الدليل عليه ، فهذا هذا منذ عرف الناس العلم والبحث ، ولا ينسى الأستاذ أن كتابه معقود في أصله على الأنقال التاريخية من مصادرها التي تتداولها الناس أو تحضنها المكتبات العامة والخاصة

وأما أن الأستاذ تألم لأن كثيرين ، وفيهم من يعد من كبار المؤلفين ، غصبوا من كتابه ، وجعلوه نهباً مقسما ، فهذه جناية لم يشهدها الأزهر ، بيد أن الأستاذ جعله سبابة التندم .

هذا وإني لأشكر للأستاذ شهادته العظيمة لكتاب ( عثمان ابن عفان ) حسبة لله وللعلم .

**صادق ابراهيم عرجون**

## مسابقة المجمع اللغوي :

قال الكاتب الجليل الأستاذ ( الجاحظ ) في تعقيباته البليغة على أحداث الأدب إن المجمع اللغوي لم يصب في اختيار موضوعَيْ المسابقة الأدبية للعام المقبل . وهما ( الحياة الأدبية في المدينة في عهد الأمويين ، وكتابة بحث عن مهيار الديلمي ) لأن هناك من الموضوعات القيمة ما هو أولى بأن يكون ميداناً للمسابقة .

والأستاذ الجاحظ على حق في هذا القول . غير أني كنت أوثر أن لا يجيز مع المجمع اختيار موضوع بعينه للمسابقة ، أياً كان شأنه . فأن في تحديد الموضوع حجراً على حرية الكتاب في تخير الموضوعات التي يحسنون الكتابة فيها . وهذا الحجر يجعل المسابقة امتحاناً مدرسياً تختبر به معلومات التلامذة من طريق القاطرة ( الجاشني ) لا كشفاً أدبياً عن مدى ما وصل إليه الكتّاب في نواحي النبوغ المختلفة ، حيث تتعدد وجوه الفائدة بتعدد وجوه البحث .

وإلا فأيهما أنفع للمجتمع ، مائة كتاب تكتب في غرض واحد ، أو مائة كتاب تكتب في مائة غرض من أغراض الأدب؟

لا شك في أن تحرر الكاتب في اختيار موضوعاته أضمن لإجادة الكتابة فيها . فلو أن كتاباً ككتاب ( الله ) مثلا – وهو ما هو بين الكتب – اقتُرح موضوعه على مؤلفه الأستاذ ( العقاد ) – وهو من هو بين الكتّاب – لما وصل به العقاد إلى هذه الغاية التي ليس بعدها غاية . وقِسْ على ذلك سائر الكتب التي كتبها كاتبوها مختارين فوصلوا بها إلى حد التفوق

بل إني لأجد المثل في نفسي وفي نفس المجمع اللغوي . فقد تفضل المجمع فمنح ديواني جائزة الشعر الأولى في هذا العام ، وتفضل الأستاذ الجاحظ فعقب على هذه الجائزة بما أنا مدين له بالشكر عليه ولكنني أشك كل الشك في أني كنت أظفر بهذه الجائزة لو أن المسابقة كانت قصيدة واحدة اقترح المجمع موضوعها على المتسابقين . فقد يكون الموضوع غير حبيب إلى نفسي ، فلا يسلس فيه شعري ولا يتفوق . فليت المجمع الموقر يطلق الكتابة في المسابقة من قيد الموضوع كما أطلق الشعر . ثم يستعرض كتب العام ، والخمسة الأعوام فما رآه منها بالغاً حد التفوق أجاز كاتبه أو توجه مشكوراً

**محمود عماد**

## مصر ملجأ الأحرار :

كان لهبوط البطل الأمير عبد الكريم الخطابي وادي النيل رنة فرح وسرور شملت البلاد كلها من أقصاها إلى أقصاها – وقد وجد في رحاب جلالة الفاروق كل عطف وتقدير ، كل ذلك جعله يلهج بالثناء على مصر وأهلها .

ومصر الكريمة وعلى رأسها مليكها الشاب – وقد أعز الله الإسلام بها – ترحب بكل لاجىء عربي كريم ولو كره المشركون ، حيا الله مصر ومليكها .

ذكرتني هذه المناسبة الكريمة بقصيدة مخمسة طويلة نشرتها مجلة المقتطف سنة ١٩٠٦ لشاعر بغدادي لم يذكر اسمه بل رمز إلى اسمه بحرف ج ... ويغلب على ظني – من أسلوبها السهل الممتع ، أنها للشاعر العراقي المبدع جميل صدقي الزهاوي ، تحت عنوان « أنت يا مصر ملجأ الأحرار » مطلعها :

إن سجع الحمام في الأسحار وهبوب النسيم بعد القطار
وبريق الندى على الأزهار وخرير الماء الزلال الجاري
موحيات إلى بالأشعار




# السيدة أيدس

عن الإنكليزية

بقلم السيدة الفاضلة منيبة الكيلانى

تستدير من حول مقاطعة كنت « Kent » فى أنكلترا قطعة من الأرض وتستنيم إلى ساحل البحر فيما يشبه فى علم الجغرافيا الرأس وتقوم عليها قلعة من قلاع القرون الوسطى وتحدق بهذه القلعة آجام تمد الصناعة بالكثير من الأخشاب وتمد الصيد بالوفير من الطيور والحيوان .

وتستدير هنا وهناك برك من الماء اللجينى تضاحك الشمس عامة النهار وتغازلها ساعتى المغيب والشروق بمايصبى بنات الهديل فى أيام الربيع فتتسارع من غصن إلى غصن ترتل النشيد الذى يملأ النفس خشوعاً .

ولفرط ما تشابكت أشجار الكستناء وتعانقت أغصان السنديان فقد أضحى الدرب الذى يسلكه السالك إلى بيت السيدة أيدس تسوده الظلمة حتى قبل أن يحلولك الأفق بوقت طويل وقبل أن يمحو الليل خطوط الشفق . أما القمراء وما فيها من سحر وفتون فما كانت لتعرف هذا الدرب ولا تستطيع أن تنفذ إلى ثناياه مهما كانت أشعتها خارقة ، غير أن الصمت والهدوء الذى يستفز الخاطر استفزازاً كانا يعرفان درب منزل السيدة أيدس ويخيمان فيه طويلا ...

ولقد كانت الليلة التى نسجل أحداثها إحدى ليالى نوفمبر وقد انتشر الثلج من ذلك العام ، والدرب ساكن هادىء كأنه قد تردى بأكثر من ثوبه المعتاد صمتاً ، فما كان ليسمع فيه أبداً غير وقع أقدام الرجل الذى يسلكه فى تلك الساعة وغير نباح كلب ليس بالبعيد ، ولقد كان وقع الأقدام لفرط السكون من جهة ولطبيعة الدرب من جهة أخرى يأتى بصدى غريب كأنه وقع لأقدام متأثرة ملحاحة تريد القبض على السالك ، وتغذ السير

---

شاعر بالعراق ينظم شعرا فيرى دون نشر ما قال عسرا
فيهادى به على البعد مصرا حيث يلقى الشعر المهذب نشرا
إن مصراً ريحانة الأمصار

تبلغ النفس عند مصر مناها طيب الله بالسلام ثراها
بلدة صيِّب النجاح سقاها يجد الحر مأمناً فى ذراها
أنت يا مصر ملجأ الأحرار

يا ربوع الهوى عليك السلام أنت للنفس مقصد ومرام
فى حماك النزيل ليس يضام لأولى العلم فى ذراك احترام
واعتبار فى الجاه أى اعتبار

( شطانوف ) **محمد منصور خضر**

## أسأل الرسالة :

نعم أسأل ( الرسالة ) السؤال الأخير حول «الهزج والوافر» فأقول: هل الوافر يلحق به من الزحاف المركب — صلح أم قبح — ( النقص ) وهو اجتماع العصب والكف أى إسكان اللام وحذف النون من مفاعلتن ، أم لا ؟

... لأن الجواب على هذا السؤال هو مدار البحث والجدل فى أمر منصوص ومتوارد فى كتب الأقدمين من العروضيين .

أنا لا أنكر أن الوافر لا يلحق به الكف — فى حالة الزحاف المفرد — كما تقول ( الرسالة ) وإنما أقول إن الوافر يلحق به من ( الزحاف المركب ) النقص وهو اجتماع العصب والكف وهو شرط أساسى فيه على المراقبة . أما ( الهزج ) فأمره بسيط ، إذ أن أهم ما يميزه عن الوافر هو ( القبض ) وهو حذف الياء من مفاعيلن أى الخامس الساكن ، هذا إذا صرفنا النظر عن الكف فأيما بيت رأيت فيه القبض فاحكم للتو بأنه من الهزج لا الوافر لأن القبض خاص به _ ثم يبقى جواب الرسالة على السؤال لفض الإشكال وحسم الجدال . والسلام

( الزيتون ) **عدنان أسعد**

( الرسالة ) الكف لا يدخل مفاعلتن فى الوافر لامع العصب ولا بدونه. ولذا أجازه العروضيون قياساً فقد منعه الشعراء عملا والشعر العربى كله جاهليه وإسلاميه بين يدى الأستاذ ، فإن وجد شاهدا واحدا صحيحا على وقوع ( النقص ) فى الوافر تامه أو مجزوئه انحسم الجدل فى الجواز والمنع؛ وبقى الكلام فى الحسن والقبح

للحاق به ، وكلما أراد الرجـل أن يخفف الوطء ويقلل من وضع القدم ألفى أن الصوت لا يخف فإن هناك من الأغصان اليابسة والأوراق المبعثرة وغيرهما مما يقبل الانقصام تحت قدميه المنذعرتين ما يكفى لمضاعفة الصوت . وليس هذا وحده بل إن هذه العقبات قد أكدت على السالك واعترضت سرعته فحدت منها ، ولم يكن شأنه ليحتمل شيئاً من ذلك …

ولقد بلغ أخيراً دار السيدة أيدس وهو كوخ قد انتبذ مكاناً قصياً فى آخر الدرب ، فلما بلغـه استأنى لحظة ثم عبر البقعة المعشوشبة مما يلى شباك الـكوخ الذى لم يكن عليه ستار فـكان النور ينبعث من زجاجه إلى الخارج .

واستطاع أن يبصر بالسيدة أيدس تنحنى فوق الموقد وتخرج منه إبريق الشاى أو شبهه وتؤجج النار ، فساورته بعض الفـكر وتردد بين أن ينفذ إليها من الشباك أو أن يعوج إلى الباب فينسل إلى داخل الـكوخ من هناك، وثابت حيث يقف ، فبان شعره الأحمر وقامته الممشوقة وأثوابه المتواضعة ووجهه الـمكدود الذى يعرب عن أنه من صنف العمال أو الأجراء الذين لا يصيبون من أعمالهم فوق ما يمسك الرمق كثيراً . ولم يفتح عليه تدبره الموضوع من حيث ولوج الباب أو الشباك برأى فقد كان مضطرباً ، ولـكنه وطد العزم هـذه المرة فجأة على أن ينفذ من الباب فى حكمة وأن يفعل ذلك من دون أن يقرعه وبدون أن يستأذن وهكذا فعل .

ولما سمعت السـيدة أيدس تلك الحركة استدارت مسرعة وقالت : ما ذا : أهذا أنت يا بيتر كروج ؟ لم أسمعك تقرع الباب

قال : إننى لم أقرع الباب يا سيدتى إذ أنى لم أرد أن يسمع ذاك أحد قط

قالت : ولـماذا ؟

قال : لقد نزلت بى نازلة ، وكانت يداه ترتجفان ولونه ممتقعاً

قالت : فما ذا صنعت ؟

قال : لقد قتلت يا سيدتى أيدس

قالت : أأنت فعلت هذا ؟

قال : نعم أنا الذى أطلقت الرصاص !

قالت : أو قد مات ؟

قال : لست أدرى .

وسادت لحظات من السكون حيث يقفان من مطبخ الـكوخ حتى أنذرهما ابريق الشاى بصوت غليان الماء ، فدلفت إليه السيدة أيدس على غير وعى وأزاحته عن النار قليلا …

وكانت السيدة أيدس هذه نحيفة يبدو عليها أنها تنازعتها الأسقام زمناً ، وهى صـغيرة الحجم سمراء البشرة يكسو وجهها الناشف عددلا يحصى من التجاعيد الصغيرة ، على أنها وإن لم تكن تتجاوز الثانيـة والأربعين من العمر فإن الأيام قد قست عليها قسوة أخرجتها من معانى ذلك العمر إلى معان أخرى، إذ أن العمل الذى كانت قد وكلت به فى تلك المقاطعة لم يكن راحماً ولا مجاملاً .

التفتت السيدة أيدس إلى بيتر كراوج وقالت له: وما ذا عساك تريد منى أيها الفتى ؟

قال : هاهم أولاء على أثرى وعجلت إليك لأستخفى عندك ؛ فلعلك مخبئة إياى فى ركن من الـكوخ لا تمتد إليه أبصارهم ، حتى إذا ما ولوا الأدبار خرجت من هنا آمناً وانصرفت بعيداً عنهم .

قالت : ومن هم ؟

قال : حراس الغابة .

قالت : ويك! أونكون قد قاتلت الحراس وأصبت منهم واحداً؟

قال : أجل فقد دانيت حروف الغابة أريد أن أنتزع منها ما يمسكنى . فشعر بى هؤلاء العسس وكانوا أربعة وكنت وحيداً ، فلجأت إلى بندقيتى فسوبتها إليهم وأطلقت منها رصاصة ثم هربت ، وهاهم أولاء على أثرى كما قلت ، ويغلب على ظنى أنهم منى جد قريبين

ولقد سكتت السيدة أيدس لحظات كأنها تفكر ، وسكت هو كأنه يستعطف ؛ ثم بادهها بالـكلام قائلاً : إن كنت يا سيدتى لا تريدين قبول رجائى من أجلى فليكن ذلك من أجل صديق ( توم )

قالت : ولـكنك لم تـكن من أصفياء ( توم ) أو المقربين إلى نفسه

قال : بلى لقد كنت ، وهو أوفى أصدقائى ، ولو كان حاضراً لما وسعه إلا أن يذود عنى ويعهد لى من داره ما أشتهى مخبأ ومكاناً

قالت : إننى لا أستطيع أن أنفى هذا ، فقد كان (توم) يمنحك من ظنه فوق ما تستحق فلا تثريب عليك فى البقاء حتى يعود توم على الأقل فيسمع منك ما تقول ، ويقول لك ما يجب أن تسمع ، وسيعود بعد ساعة أو نحوها فما ذا أنت فاعل بعد ذلك ؟

قال : لا أدرى ولـكنى لا يزال أمامى متسع من الوقت للتفـكير فى الموضوع .

قالت : هنا يصفو لك التفـكير ( وفتحت له مكاناً فى ركن المطبخ صـغيراً ) ولن يخطر ببال غرمائك إذا جاءوا أنك ثاو فى

هذا المكان ولا سيما إذا قلت لهم بأنني لم أبصر بك هذا المساء .

قال لها : أنت عظيمة يا سيدتي ، وإنني أعلم أنني لا أستحق منك تلك الرعاية ولا ذلك العطف ، وما كان أسعدني لو كانت لي أم من نوعك ، إذن لكنت غير ما أنا عليه الآن …

لم تقل السيدة أيدس شيئاً بل أغلقت الباب عليه فأضحى في ظلام دامس لا ينفذ إليه من نور المطبخ إلا شعاع واهن منحدر من أحد شقوق الباب ، ومن هذا الشق ذاته كان بيتر يرى الوالدة تهيء عشاء وحيدها (توم) الذي يأتي بعد ساعة من المزرعة التي يعمل فيها . وقد بكّر (بيتر) يصور لنفسه جيئة صاحبه من عمله وما سيكون له من رأي في الذي اقترفه ؛ ولكنه أيقن بأنه لن يلقى عطفاً حبته به أمه أبداً ؛ وعلى الأخص فإن الصداقة التي تربطهما ليست من النوع الذي يسوغ مثل هذه الأفاعيل وإن كان كل منهما قد شق لنفسه في الحياة طريقاً يختلف عن الآخر …

أقام بيتر في زاويته بين الأكياس المكدسة ثم استلقى بينها ، ثم أخذته الأفكار ، ثم سطعت رائحة الطعام من المطبخ تسيل لعابه وتوقظ فيه الجوع ، على أنه انبعث فيه أمل في أن يطعم بعض هذا الذي يشم عند ما يؤوب (توم) . ولن تنكر السيدة أيدس عليه هذا على وجه التأكيد بعد أن علمت مبلغ جوعه وعرفت بعد الشقة التي وطد العزم على قطعها …

وهنا أخذت الوقائع تتجلى له بصورة مؤلمة ، وهنا أيضاً سمع وقع أقدام أذهلته وأعادته إلى نفسه الخائفة ، فاحتقن وطفت ضربات قلبه إذ لابد أن يكون هؤلاء القادمون هم الحراس الموتورين وقد عرفوا مكمن الجاني فجاءوا يأخذونه من بيت صديقه وهم يعلمون أن هذه الصداقة تبرر العطف عليه . وقد أضاع اتزانه فانكمش في ركن ضيق من الزاوية انكماشاً ، وأخذ يلوم نفسه على اللجوء إلى هذا الكوخ الذي يرد على بال المتعقبين قبل أي مكان غيره . ثم ارتجف وتحشرجت أنفاسه وازدحمت الزفرات في صدره ولكن وقع الأقدام تعدى الكوخ ولم يقرع بابه ، وجاء من بعدهم السكون الذي هو في أكثر الأحوال أبلغ عبارة من الضوضاء

أطلت السيدة أيدس من جانب الزاوية عليه وقالت إنهم جماعة القلمة وقد رأيتهم في طريقهم يحملون مشاعلهم ، فلعل الصواب أن تنسل الآن من الطريق المعاكسة إلى (كنت) حيث تأخذ القطار الذاهب إلى لندن فهذا خير لك وأبقى . وإن القطار ليبرح موضعه في الساعة العاشرة من هذا المساء …

قال : إن هذا الذي ترينه مصيب ولكني لا أملك من أجر السفر قرشاً

فلم تقل له شيئاً بل دلفت إلى أحد أدراج خزانة المطبخ وأخرجت له منه شيئاً من المال وقالت هذه سبعة دراهم تعينك على بلوغ لندن وتمنع عنك الطوى قليلا ، فاحتار الفتى كيف يشكرها ولكنها قالت لا تشكرني فإنني إنما أفعل ذلك من أجل (توم) وهذا يكفي إذ أنه كان يحبوك بعطفه دائماً ، وإنني لأرجو الله مخلصة أن لا تذوق من بعدها محناً أخرى . بل إنني شاعرة ببرد الطمأنينة لأنني أدرى أنه لم يكن أحد ليعلم بأنك قد مررت بهذا الكوخ وهو بعينه السبب الذي يحدوني أن أستحثك على الخروج من هنا قبل أن يعود (توم) ، وإنني لأخشى أن يصحبه أحد أصحابه فينشأ لك طارىء من المحنة أنت عنه في غنى … ثم إني أريد أن تعلم أنني لم أكن لأشجع نفسي على مخالفة ضميري في عصيان القانون في إيوائك لأنني أعلم بأن مقاتلة الحرس والدفاع عن النفس دونهم لا تشبه قتل إنسان بريء لا شأن له ، وعلى كل حال فإني أريد أن أنصرف عن هذا الموضوع وأضرب عنه صفحاً .

وقامت تفتح له باب الكوخ ليخرج ، ولكنها ما كادت تفعل حتى بدأت أصوات الأقدام تسمع بوضوح في نقطة قريبة .

قالت السيدة أيدس : لعل هذا توم ؛ ولكن لا فإن أصوات الأقدام تؤكد بأن العدد أكثر من واحد نخير لك أن تعود إلى زاويتك فإني أسمع كلاماً . اربض هناك حتى يمروا هذه المرة أيضاً

ذهب (بيتر) إلى حيث كان قابعاً بين الأكياس ، وتدانت الأصوات رويداً رويداً فتصور لحظة أنها ستمر كما حصل في المرة الماضية ولكنها تلبثت قليلا لتتجاوز القطمة المشوشبة من خارج الباب ، وبعد لحظة سمع الباب يقرع . . إذن هذا توم بعينه .

ارتعد بيتر من الخجل والقلق ، وألصق عينه بخصاص الباب وحدج المطبخ فألفى السيدة أيدس تدلف نحو باب الكوخ وما كادت تفتحها حتى دخل رجل إلى الداخل وسد الباب من ورائه فعرفه بيتر، أنه (فدل) أحد الحراس الأربعة ، فجمد بيتر وتصلبت ساقاه فقد عرفوا مأواه وتأثروه وافتضح أمره فليس هناك من جدوى في استخفائه أبداً . على أنه لم يعد مستخفياً بعد الذي كان فما باله لم يختر مكاناً أحسن من هذا وأضمن لإفلاته ؟ وما باله لم يدفع عن نفسه خيراً من هذا لدفع ، وهنا وهنت ساقاه عن حمله

فجلس على الأكياس إعياء وغماً ...

وكانت سحنة الرجل فى المطبخ تدل على أنه يعالج أمراً صعباً ويلوك كلمة جليلة على النفس المسكينة التى تواجهه فوقف صامتاً يطوى بيدين عصبيتين قبعته .

قالت له : ما ذا جرى ؟

قال : أريد أن أحادثك يا سيدتى

فأرهف بيتر أذنيه وتمنى أن لو استطاع أن يسكت قلبه ليتم له السماع ، ولكن مخاوفه وهنت عند ما تصور أن السيدة لن تفضح أمره مادام قد استشفع لها بابنها (توم) قال : لقد حملت إليك أنباء سيئة ، فانحرفت ، وقالت ما ذا تعنى وأخذت سمتها نحو الباب فتشبث بها الرجل وقال لا تفعلى يا سيدتى حتى أبسط لك الأمر ...

قالت له السيدة أيدس أسرع أيها الرجل فيما تقول ودفعته جانباً ، ولكنه أخذ يتكلم متلعثما مسرعا ويقول: حدث فى أطراف الغابة نزاع، وذلك أن رجلا من السراق كان يريد أن يصطاد بعض الأرانب، وكان (توم) مع الحراس، وهنا كان الظلام حالكا فأطلق السارق بندقيته ولاذ بالفرار .

وأودى التعب بالمتكلم فاستأنى قليلا .. أما بيتر فإنه استحال إلى إنسان من الخشب فى الزاوية التى وقف فيها ، وقبل أن تقول السيدة كلمة خرج الرجل وأشار لجماعته فدخلوا يحملون جثة ووضعوها فى وسط المطبخ .

قالت أيدس : أهو ميت ، وعلمت وقد تبعثر الدمع من عينيها أن نعم . أما بيتر فقد عز عليه الدمع بل استيأس وقنط ورأى أن قد حصحص الحق ولا سبيل إلى الهرب ...

ورأى بيتر أن الحياة جميلة فى تلك اللحظة ولاسيما إذ تكون من مقوماتها فتاته التى يحبها ، ولكن حياته لم تعد بعد اليوم ملكاله بل هى ملك للسيدة أيدس تفعل بها ما تريد ...

كانت السيدة أيدس تجلس على الكرسى المجدول من السعف قرب الموقد وقد أعانها أحد الرجال على الجلوس وتقدم الثانى يصب لها من قارورة صغيرة نوعا من الشراب لعله ينعشها قليلا .

وقالوا لها بعد هذا إنهم لم يروا القاتل ولكنهم استطاعوا أن يظفروا ببندقيته التى أذهله عن أخذها هول الأمر وهى بعينها بندقية بيتر ولعله فعل فعلته غير عامد إذ أنه كان صديقا لتوم .

كان بيتر حينئذ منتصب القامة ينظر من شق الباب فرأى السيدة أيدس تتحامل على نفسها وتقوم على قدميها وتقف على رأس المائدة وتنظر فى وجه الرجل الميت الذى انعكست عليه كل معانى الخلود ، ثم رآها تنظر إلى الرجال الذين تراجعوا للذهاب إلى صميم الغابة للتفتيش عن بيتر الجانى الأثيم . ثم رآها بعد هذا كله تمد يدها إلى جيب صدارها فتخرج مفتاح الباب الذى يتوارى بيتر وراءه ..

لقد سأل الرجل مدام أيدس هل رأت بيتر ذلك المساء فأجابت لا لم أره منذ يوم الثلاثاء ، فقال لها محدثها إذن سنفتش عنه وسنأتيك بمزجين أيضا فأشارت برأسها بالإيجاب .

قالت السيدة أيدس لفدلر وكان آخر من بقى لديها : ساعدنى على حمله إلى الداخل ، إلى الفراش ، إلى غرفة نومه . وتعاونت هى وهو على وضعه فى سريره وخرج فدلر .

انتظرت السيدة أيدس حتى انعدمت حركة الأقدام فى الدرب خارج كوخها ، وحينئذ جاءت إلى الزاوية التى يستكن فيها بيتر وهنا أخذته الرعدة من جديد ، لقد كان الأمر فوق أن يحتمل وكان الأشهى له أن يموت قبل أن تقع عينه على هذه السيدة ... سمع المفتاح يدور فى القفل ولكنها لم تدخل هذه المرة ، بل فتحت عليه بابه فقط ثم تراجعت وأغلقت عليها الباب الذى يضم توم .

عرف ( بيتر ) ما ذا يجب أن يفعل فإن الشىء الوحيد الذى أرادته السيدة أيدس هو الشىء الوحيد الذى يستطيع أن يفعله .. فتح الباب بصمت وسكون وخرج ...

منير الكيلانى




**اللهم عفوك :**

فى مسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى : « حكى الصابى عن بعض الرسل قال : دعينا إلى باب مسعود ، يعنى ابن محمود ابن سبكتكين بغزنة ، فشاهدنا بالباب أصناف العسكر وملوك جرجان وطبرستان وخراسان والهند والسند والترك ، وقد أقيمت الفيلة عليها الأسرة والعماريات الملبسة بالذهب مرصعة بأنواع الجواهر ، وإذا بأربعة آلاف غلام مرد وقوف سماطين وفى أوساطهم مناطق الذهب ، وبأيديهم أعمدة الذهب ، ومسعود جالس فى سرير من الذهب لم يوضع على الأرض مثله ، وعليه الفُرُش الفاخرة ، وعلى رأسه تاج مرصع بالجواهر واليواقيت ، وقد أحاط به الغلمان الخواص بأكمل زينة ، ثم قام مسعود إلى سماط من فضة عليه خمسون خواناً من الذهب ، على كل خوان خمسة أطباق من ذهب فيها أنواع من الأشربة ، فسقاهم الغلمان ، ثم قام مسعود إلى مجلس عظيم الأقطار ، فيه ألف دست من الذهب ، وأطباق كبار خسروانية ، فيها الكيزان ، وعلى كل طبق زرافة من الذهب ، وأطباق ذهب فيها المسك والعنبر والكافور ، وأشجار الذهب مرصعة بالجواهر واليواقيت ، وشموع من ذهب فى رأس كل شمعة قطعة من الياقوت الأحمر تلمع لمعان النار ، وأشجار العود قائمة بين ذلك ، وفى آخر المجلس رحى من ذهب تطحن المسك والكافور والعنبر ، وفى ناحية من المجلس بحيرة فى جوانبها من الجواهر والعنبر والفصوص شىء يقصر الوصف عنه . وذكر أشياء أخر تحير الأسماع » ...

**بر . . وشكرها :**

كان عبيد الله بن عباس ابن عم النبى صلوات الله عليه من أكثر الناس جوداً وأعظمهم سخاء وبذلا ، وهو أول من مدَّ الموائد على الطرق ، ومن جوده أنه أتاه رجل وهو بفناء داره فقال يا ابن عباس إن لى عندك يداً سابقة وقد احتجت إليها ، فصعد فيه بصره فلم يعرفه ثم قال : وما يدك عندنا ؟ قال الرجل : رأيتك فى مرة واقفاً بزمزم ، وغلامك يمتح لك الماء منها ، والشمس قد صهرتك ، فظللتك بطرف ردائى حتى شربت قال ابن عباس إنى لأذكر ذلك ، وإنه ليتردد بين خاطرى وفكرى ، ثم قال لقيّمه : ما عندك ؟ قال : مائتا دينار وعشرة آلاف درهم ، قال ادفعها إليه ، وما أراها تفى بحق يده عندنا ...

**واحدة بواحدة :**

التقى برنارد شو الكاتب الساخر المعروف مرة بالممثل الهزلى المشهور شارلى شابلن ، فقال شو : إننى شديد الإعجاب بك يا مسيو شابلن ولكننى لم أشهد قط فلماً من أفلامك ، فرد عليه شابلن فى سرعة قائلا : وأنا كذلك شديد الأعجاب بكتاباتك ولكنى لم أقرأ منها شيئاً أبداً .

وكان المرحوم الشيخ عبد العزيز البشرى جالساً مع بعض أصحابه فأقبل عليهم صديق فصافحهم جميعاً إلا الشيخ عبد العزيز ، فقال له أحد الحاضرين لماذا لم تسلم على الشيخ فقال : لا مؤاخذة لقد كنت أحسبه امرأة ! فرد الشيخ عبد العزيز : ولكنى يا أخى كنت أحسبك رجلا ...

**نصيحة للمؤلفين :**

قال أبو عثمان الجاحظ : « ينبغى لمن كتب كتاباً أن لا يكتبه إلا على أن الناس كلهم له أعداء ، وكلهم عالم بالأمور ، وكلهم متفرغ له ، ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غفلا ، ولا يرضى بالرأى الفطير ، فأن لابتداء الكتاب فتنة وعجباً ، فأذا سكنت الطبيعة ، وهدأت الحركة ، وتراجعت الأخلاط ، وعادت النفس وافرة أعاد النظر فيه ، فتوقف عند فصوله توقف من يكون وزن طبعه فى السلامة أنقص من وزن خوفه من العيب ، ويفهم معنى قول الشاعر :

إن الحديث تغر القوم خلوته حتى يلج بهم عى وإكثار

ويقف عند قولهم فى المثل : كل مجر فى الخلاء يسر ، فيخاف أن يعتريه ما اعترى من أجرى قوسه وحده أو خلا بملعه عند فقد خصومه وأهل المنزلة من أهل صناعته ، ليعلم أن صاحب القلم

يعتريه ما يعترى المؤدب عند ضربه وعقابه ، فما أكثر من يعزم على خمسة أسواط فيضرب مائة ، لأنه ابتدأ الضرب وهو ساكن الطباع فأراه السكون أن الصواب فى الإقلال ، فلما ضرب تحرك دمه ، فأشاع فيه الحرارة ، فزاد فى غضبه ، فأراه الغضب أن الرأى فى الإكثار ، وكذلك صاحب القلم ، فما أكثر من يبتدىء الكتاب وهو يريد مقدار سطرين ويكتب عشرة ، والحفظ مع الإقلال أمكن ، وهو مع الإكثار أبعد » ...

### أى الحكمين أقسى :

لما حكم القضاة على سقراط الحكيم بالموت قال لهم : « لقد حكمتم على بالموت لأننى لم أعلقكم ولم أخاطبكم بالكلام الذى تودون سماعه ، ولكننى غير نادم على ما فعلت . حكمتم علىّ بالموت والحق قد حكم عليكم بأنكم أشرار ظلمة » ...

### المبدأ الأول للحكمة :

قيل لأحد الحكماء : من أى إنسان ينبغى أن تؤخذ مبادىء الحكمة فقال : من الأعمى لأنه لا يضع قدمه على الأرض إلا بعد أن يتحقق موضعه بعصاه ...

### الأموات يحكمون الأحياء :

يقول جوستاف لوبون فى كتابه روح الاشتراكية : « إذا اجتمع عدد من الناس ليعالجوا مسألة سياسية أو دينية أوخلقية ، فالأموات هم الذين يتباحثون لا الأحياء ، وذلك لأن الأحياء إنما يتكلمون بروح أجدادهم وما سمعوه عنهم ، فليس كلامهم فى الحقيقة إلا صدى لنداء الأموات الذى لا مفر للأحياء من الإصاخة إليه » ...

### العمل للعمل :

يقول الكاتب الأمريكى امرسون : « الطبيعة تقول للإنسان اعمل يا بنى . اعمل فى كل حين . اعمل سواء أكنت مأجوراً أو غير مأجور . كل ما عليك أن تعمل وجزاؤك لن يضيع ... اعمل مهما كان نوع العمل ومهما فشلت فلا تجبن ولا تيأس . إنك للعمل خلقت وبالعمل ستفوز ، وأقل جزائك على عمل تنجزه أنك أنجزته » ...

### وظيفة للضحك :

قال المسيو دى فارينى : « إن الضحك احتجاج على عمل مناقض لأصول الاجتماع وتنبيه إلى سلوك النظام المتبع ، فهو إذن ذو وظيفة اجتماعية إصلاحية ، ولذلك انفرد الإنسان به دون الحيوان » .

### أيد ثلاثة :

قال يونس النحوى: « الأيدى ثلاثة . يد بيضاء ويد خضراء ويد سوداء ، فاليد البيضاء هى الابتداء بالمعروف ، واليد الخضراء هى المكافأة على المعروف ، واليد السوداء هى المنّ بالمعروف » .

### يقول زنوج أفريقيا فى أمثالهم :

* إن ما يقال أمام أسد ميت لا يمكن أن يقال أمام أسد حى .

* الملك محق فى كل ما يقول سواء أكان باطلا أم حقاً .

* قد يكون من الحقيقة قولك إنك قتلت فيلا ، أما أن تقول إنك حملته فكذب .

* العالم يقوم على ثلاثة أشياء : زرع الذرة ، وحصدها ، وأكلها .

* لا يتحول الرغيف إلى تمساح وإن أبقيته فى الماء عشر سنوات .

* إن ما يرضمه العجل هو ما أكلته البقرة .

* من لا يملك شيئاً لا يعاديه أحد .

* لسانك أسد فإن أطلقته قتلك .

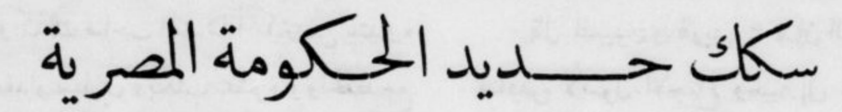
* لا تعاشر من لا تعرف طباعه .

* الذكاء أفضل من القوة .

* حب امرأتك ولكن لا تأمن جانبها .

* الرجل الصالح لا يهجر أصدقاءه فى محنهم .

« الجاحظ »



# سكك حـــديد الحكومة المصرية

## تسيير قطار اكسبريس بين القاهرة ودمياط (رأس البر) عن طريق بلبيس

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه إبتداء من ١٢ ولغاية ٣٠ يونية سنة ١٩٤٧ يسير قطار اكسبريس (درجة أولى وثانية وثالثة وعربة بولمان) بين القاهرة ودمياط ( طريق بلبيس ) ثلاث مرات فى الأسبوع يغادر القاهرة فى الساعة ٤٥ ٧ ويصل إلى دمياط فى الساعة ٥٠ ١١ أيام الثلاثاء والخميس والسبت ويعود من دمياط فى الساعة ١٥ ١٧ ويصل إلى القاهرة فى الساعة ٢٠ ٢١ أيام الأربعاء والجمعة والأحد
وسيسير يومياً إبتداء من أول يولية سنة ١٩٤٧ لحين صدور إعلان آخر
وذلك وفقاً لمواعيد الآتية :

| المحطات | | ٩٣٩ اكسبريس درجة ١ و٢ و٣ وعربة بولمان | |
|---|---|---|---|
| مصر . . . | قيام | ٤٥ | ٧ |
| بلبيس . . . | » | ٤٨ | ٨ |
| الزقازيق . . . | وصول | ٠٨ | ٩ |
| | قيـام | ١٨ | ٩ |
| أبو كبير . . . | » | ٤٤ | ٩ |
| كفر صقر . . . | » | ٥٦ | ٩ |
| السنبلاوين . . . | » | ١٧ | ١٠ |
| المنصورة . . . | وصول | ٣٨ | ١٠ |
| | قيـام | ٤٥ | ١٠ |
| شربين . . . | » | ١٠ | ١١ |
| دمياط . . . | وصول | ٥٠ | ١١ |

| المحطات | | ٩٤ اكسبريس درجة ١ و٢ و٣ وعربة بولمان | |
|---|---|---|---|
| دمياط . . . | قيام | ١٥ | ١٧ |
| شربين . . . | » | ٥٨ | ١٧ |
| المنصورة . . . | وصول | ٢٢ | ١٨ |
| | قيـام | ٣٠ | ١٨ |
| السنبلاوين . . . | » | ٥٣ | ١٨ |
| كفر صقر . . . | » | ١٦ | ١٩ |
| أبو كبير . . . | » | ٢٩ | ١٩ |
| الزقازيق . . . | وصول | ٥٣ | ١٩ |
| | قيـام | ٠٠ | ٢٠ |
| بلبيس . . . | » | ٢٠ | ٢٠ |
| مصر . . . | وصول | ٢٠ | ٢١ |

مطبعة الرسالة



العدد ٧٣٠ — الاثنين ٣٠ يونية ١٩٤٧ — السنة الخامسة عشرة




فهرس العدد


صفحة

الجامعة الإسلامية هى الغاية ... ... : أحمد حسن الزيات ... ... ... ٧١٩

رحلة إلى الهند ... ... ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام بك ... ٧٢٠

شعب واحد، وقضية واحدة! ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ... ٧٢٢

تحية البطلين ... ... ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ... ... ٧٢٤

فرنسا ومستعمراتها ما بين الاتحادين الفرنسي والسوفييتى ... ... ... : الأستاذ أحمد رمزى بك ... ... ٧٢٧

اللغة العامية والحروف اللاتينية ... : الأستاذ السهمى ... ... ... ٧٣١

الفلاسفة الإسلاميون بين المعتزلة والأشاعرة ... ... ... ... : الأستاذ على مصطفى الغرابى ... ٧٣٣

منطق الحاجة ... ... ... ... : الأستاذ طاهر محمد أبو فاشا ... ٧٣٤

«من وراء المنظار»: أنا وكيل نيابة!... : الأستاذ محمود الخفيف ... ... ٧٣٥

الشيخ شامل زعيم القوقاز وشيخ المجاهدين : الأستاذ برهان الدين الداغستانى ... ٧٣٦

ذكريني ... ... ... ... ... : الشاعر إبراهيم محمد نجا ... ... ٧٣٨

« **تعقيبات** » : المسرحية الشعرية بين شوقى وعبد المطلب — الثقافة المصرية ٧٣٩

والعنصر المصرى ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٧٤٠

« **الأدب والفن فى أسبوع** » : الموشحات — لون من الشعر المصرى ٧٤١

— التغزل فى القدم — مصطلحات المجمع اللغوى — التربية الفنية ... ٧٤٣

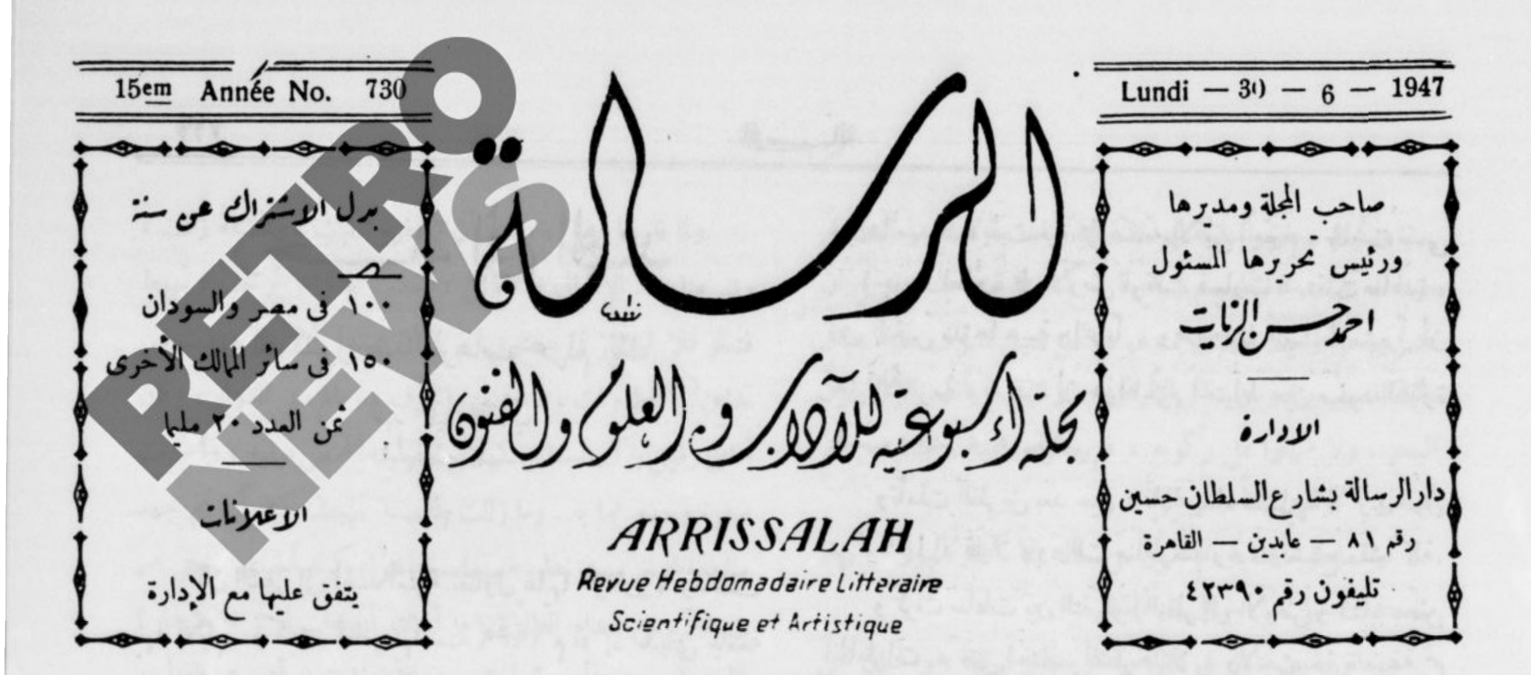
« **البريد الأدبى** » : ضمير قلق — السيد عدنان يجيب — أمس بين الاعراب والبناء — إلى الأستاذ على الطنطاوى — إصلاح بيتين لأبي العلاء ٧٤٤

— إلى الأستاذ جيل — تاريخ النوبة ... ... ... ... ... ... ٧٤٥

« **القصص** » : هل كان حلماً ؟ ... الشاعر الفرنسى جى دو موباسان بقلم الأديب جمال الدين الحجازى ٧٤٦


٢٨٠٥٢

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون




العـــدد ٧٣٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ شعبان سنة ١٣٦٦ — ٣٠ يونية سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

# الجامعة الإسلامية هى الغاية

نشأت جامعة الدول العربية ، وكان نشوؤها ضرورياً وإن أشار به ( إيدن ) . وقامت دولة الباكستان الإسلامية ، وكان قيامها طبيعياً وإن سعى له ( مونتباتن ) . تلك لأن العروبة فى يقظة ، وهذه لأن الإسلام فى انبعاث . ويقظة العروبة هبّة من الروح العالمى الذى دفع الأقوياء إلى الحرب ، والضعفاء إلى التعاون ، والأشتات إلى الوحدة ؛ وانبعاث الإسلام أثر لتناقض المذاهب وتعارض الشرائع وافتقاد الإنسانية لذلك النظام الإلهى الذى يسدد خطاها ويحفظ عليها قواها . وما كان فضل إنجلترا فى هذين الحدثين العظيمين إلا فضل القابلة : سهلت الولادة ولكنها لم تخلق الوليد . وسيحذو المسلمون فى الصين حذو المسلمين فى الهند وإندونسيا ، فتنشأ الدولة الإسلامية الثانية فى القوة والعدد ؛ ثم تنكفىء تركيا إلى الشرق ، ويرجع ساستها إلى الإسلام ، فيكون منها لكتلة الدول المحمدية رَوح ومدد . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، إذ يرون كلمته هى العليا ، وعقدته هى الوثقى ، وحزبه هو الغالب .

فالجامعة الإسلامية ، أو البانسلامِزْم كما يسميها الغربيون ، هى الغاية المحتومة التى ستتوافى عندها أمم الإسلام فى يوم قريب أو بعيد . ذلك لأنها النظام السياسى الذى وضعه الله بقوله : « إنما المؤمنون إخوة » ، ثم شرع له الحج مؤتمراً سنوياً ليقوى ؛ وجعل له الخلافة رباطاً أبدياً ليبقى . وهذا النظام الإلهى أجدر النظم بكرامة الإنسان ، لأنه يقوم على الإخاء فى الروح ، والمساواة فى الحق ، والتعاون على الخير ، فلا يفرق بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون ، ولا بين طبقة وطبقة .

وظلت الجامعة الإسلامية ، فى ظلال إمارة المؤمنين وإمارة الحجيج ، قوية شاملة حتى خلافة المتوكل ؛ ثم وهى السمط فانفرط العقد ، واضطرب اللسان فتفرقت الكلمة . فلما تبوأ الترك عرش الخلافة استطاعوا أن يبرموا الخيط ولكنهم لم يستطيعوا أن ينظموا فيه الحب . فبقى المسلمون عباديد لا ينظمهم سلك ولا تؤلف بينهم وحدة . ثم أدركت الشيخوخة دولة العثمانيين فى أواخر القرن التاسع عشر ، فتعاوت على جسدها الواهن المنحلّ ذئاب الغرب ، فلوح لهم عبد الحميد بالجامعة الإسلامية ذياداً عن ملكه ، فهرّوا هرير الكلاب المذعورة ، وصور لهم هذا الذعر أن الجامعة هى التعصب وسفك الدماء ، فصدقوا وهمهم وكذبوا الواقع . وكان الاستعمار يومئذ قد توقح وفَجر ، فنشأت العصبية الوطنية فى الأقطار الإسلامية لدرء خطره ، أو تخفيف ضرره ؛ والوطنية لا تعارض الجامعة ، ولكنها تفارقها فى الطريق لتلاقيها عند الغاية .

إن أوربا التى مزقتها الأطماع وطحنتها الحروب ، سترحب اليوم بالجامعة الإسلامية ؛ لأنها وحدها تملك غرس الوئام فى النفوس ، وإقرار السلام فى العالم . إنها تقوم على الإيمان المحض ، وتنزل فى خير مكان من الأرض ، وتشمل مئات الملايين من الناس ، وتهيمن على الموارد الأولى للاقتصاد ، وتدين بالآداب السماوية المثلى للاجتماع ، وتشرق أعمالها فى الصفحات العظمى من التاريخ ، فمن المحال أن تظل نهباً مقسماً بين فرنسا الحمقاء ، وإنجلترة المتطفلة ، وهولندة الأنثى !

احمد حسن الزيات

# رحـــلة إلى الهند

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

— ١ —

كان السفر إلى الهند أمنية تطاول عليها الزمان ، وماطلت بها الأيام . وكدت أظفر بها سنة ١٩٣٩ م ، إذ ندبتني جامعة فؤاد لتمثيلها فى مؤتمر للمستشرقين كان يقدر أن يجتمع فى حيدرآباد صيف ذلك العام ، ولكن الحرب العاتية التى ثارت حالت دون الأمنية .

وكان شوقى إلى الهند يزداد كلما زادت معرفتى بها ، والتقائى بأهلها ، واطلاعى على لغاتها وآدابها .

فلما دعت الجامعة الملية الإسلامية إلى احتفال لها فى دهلى وجاءت الدعوة إلى جامعة فؤاد ، كما بلغتنى دعوة خاصة ، وجدتها فرصة تغتنم ، لولا أن الوقت كان قد ضاق عن التأهب لمثل هذه الرحلة . فاعتذرت جامعة فؤاد .

ثم جاءت الدعوة إلى مؤتمر العلاقات الأسيوية ، وانتهى الأمر إلى أن ندبتنى الحكومة لشهود المؤتمر رقيباً . وكان هذا الندب قبيل الموعد الذى ضرب للسفر على غير اختيار ، وإنما حددته مواعيد الطائرات . فلبيت على بعد الشقة ، وهيبة الطريق ، وضيق الوقت ، استجابة لما فى النفس من تطلع إلى الهند وحرص على زيارتها .

— ٢ —

ذهبنا إلى مطار ألماظة والساعة واحدة بعد ظهر يوم الثلاثاء الثامن عشر من آذار (مارس) سنة ١٩٤٧ آخذين أهبتنا للسفر على إحدى طائرات الشركة الإنكليزية . فأُخبرنا ، بعد أن حان الوعد ، أن الرياح غير ملائمة ، وأن السفر أرجئ إلى صباح الغد ، وجعلت الساعة الخامسة موعداً لرجوعنا إلى المطار .

وأخذنا مكاننا فى الطائرة والساعة خمس ونصف ، وأغلق الباب ومر بنا أحد ضباط الطائرة يقول : احزموا أوساطكم ، وأشار إلى أحزمة مثبتة على المقاعد .

قلت : إن هذا أوان الحزم . وتوقعت أن تميد الطائرة فى سيرها ميداناً لا يثبت فيه على مكانه إلا من احتزم ، فجاشت نفسى وجرت الطائرة على الأرض فوقفت فسارت فاستقلت صاعدة ، وفى النفس ملؤها هيبة وإعجاباً . ومر علينا الضابط مشيراً أن نحل الأحزمة ، فعرفت أن هذا الحزم احتياط حين صعود الطائرة فحسب ، فسرّى عن نفسى .

وتأملت الطريق بعد حين ، فإذا بيداء متشابهة لا ترى العين من معالمها إلا قليلا ، وتوالت مناظر متقاربة ، وأشباح متشاكلة .

وكرت ساعات بين التفكر والنظر إلى الأرض وكتابة بعض الخاطرات ، حتى اختلف المنظر قليلا ، ولاحت حفرة ضيقة ثم اتسعت ، وبدا عمران وأبنية ، فظننت أنها قرية فى الصحراء ، وشرعت أفكر ما عسى أن تكون هذه القرية الصحراوية ! فقطع علىّ الفكر قناة ماء طويلة متعرجة عرضها فى رأى العين خطوة واحدة ، فعجبت من هذه القناة أيضاً ! ولم أملك أن سألت رفيقاً أمامى : ما تظن هذه ؟ قال : أظنها الفرات . وما فكرت أنا فى الفرات لتوهمى أنا منه جد بعيدين ، وما قدرت أن الطائرة طوت ما بين النيل والفرات فى أقل من أربع ساعات . فرحت بالفرات وأخذت أتأمل قراه وزروعه ، وهجمت الطائرة على ماء وسيع تختلف على السير أشكاله ومناظره ، فعرفت أنه البطائح التى تسمى فى العراق اليوم « الأهوار » ، وما قدرت من قبل أن هذه « الأهوار » تمتد هذه المسافات الشاسعة وتساير الطائرة قريباً من نصف ساعة .

شغلتنى الأهوار بألوانها وأعشابها وقصبها ، وما يبدو للعين خافتاً من جزرها ودورها ، حتى حومت الطائرة هابطة ، حتى استقرت على أرض البصرة ، وكانت الساعة عشراً بحساب مصر وإحدى عشرة بتوقيت العراق . ليس بين القاهرة والبصرة فى سرعة الطائرات إلا أربع ساعات ! إنها لإحدى الكبر !

اطمأنت نفوسنا بالقرار على الأرض ساعة تغدينا فيها ، ثم استأنفنا الطيران صوب كراتشى ، والمسافة بينهما نحو ألف وأربعمائة ميل . وقد توجهت الطائرة إلى الجنوب الشرقى على طريقها المعتاد ، وبعد برهة أطلعنا ضابط على الخريطة كدأب ضباط الطائرات مع مسافريها ، وأخبرنا أنا نجتاز الآن الرأس البارز فى الخليج الفارسى شرق جزيرة العرب

قلت : كيف وليس هذا طريقنا المخطوط على الخريطة ؟ قال : الرياح غير ملائمة هناك ، فعدلنا إلى هذا الطريق .

ورأيت صخوراً عاتية موحشة اجتزناها ، فسايرنا الساحل حيناً ، ثم عبرنا الخليج ، فسايرنا أكثر الوقت ساحل إيران المشرف على المحيط الهندى ، وهو ساحل ضيق تشرف عليه جبال عالية تفصل بينه وبين سائر الأرض . ولهذا لم يألف الإيرانيون البحر ، ولا مرنوا على ركوبه ، فلم يكونوا فى تاريخهم من أمم البحار ، المولعين بالأسفار فيها .

والساحل متشابه ، لم أتبين من معالمه إلا آثار سيول أوأنهار متمعجة تسيل من الجبال إلى البحر .

وما زلنا بين تأمل فى الأرض التى نطير فوقها ، والجبال التى نحاذيها ونساميها ونعلوها ، والبحر الذى نسايره حتى ستر الليل المشاهد إلا أشباحاً خفية . فكان مسرح الطرف بين الظلام الذى نعلوه ، وبصيص الكواكب التى نعلونا .

ولاحت كرتشى فى ظلام الليل فى أضوائها منتشرة على البر والبحر ، فكانت منظراً عجيباً مؤنساً فى هذا السفر الموحش ، وبشرى بالوصول منيرة فى العين والقلب ، ورأيت على مقربة من الساحل جبلا فى البحر عالياً عليه منارات ومصابيح زادفى جلال المرأى وجماله .

ودوّمت الطائرة كثيراً حتى توهمت أنها لا تهتدى إلى مهبطها ، ثم أسفّت حتى لمست الأرض وزافت[1] حتى استقرت عليها .

ولله ما أجل أن يحس الراكب وقع عجلاتها على الأرض بعد أن انقطعت بينه وبين الأرض الأسباب ، وتداولته الرياح ساعات طويلة . وكانت الساعة ستاً بتوقيت البصرة ، وثمانياً ونصفاً بتوقيت الهند .

— ٣ —

استرحنا ليلتنا فى فندق قريب من المطار ، وغدونا إلى الطائرة فاستقلت والساعة ثمان وربع تؤم بنا دهلى ، فطرنا فوق صحراء السند ، وأرض أخرى معمورة لم نر فيها إلا قرى صغيرة يكاد البصر لا يدركها .

وقد وجدت فى مذكرتى هذه الجملة :

« نحن الآن على بعد مائة وسبعين ميلا إلى الجنوب الغربى من دهلى ، والارتفاع عن البحر تسعة آلاف قدم ، وعن الأرض ثمانية آلاف وخمسمائة ، والساعة عشر ونصف ، (يا لطيف يا سلام) »

(١) زافت الحمامة : مشت تسحب ذنبها على الأرض .

ولما قاربنا دهلى ، وظننا أن السفرة انتهت ، والمشقة زالت ، وشرعنا نعد الأميال والدقائق ، أخذت طائرتنا ترجف ؛ تهبط فتعلو فلا تستقر فى مستوى . وكان هذا أول ما عهدت من تدئين[1] الطائرات ، فأخذ منى الخوف ، وبلغ منى الدوار ، وكان أمامى رفيق ركب معنا فى كرتشى ، فرأيته أغمض عينيه ، واعربت صفرة وجهه عما به . وما زالت طائرتنا تهبط كثيراً ، ثم تجهد صاعدة لتبلغ مستواها ، فيهبط بها الهواء كرة أخرى ، حتى مر بى شاب من خدام الطائرة ، فلم أملك أن قلت له : ما هذا ؟ قال : يا سيدى نحن هابطون بعد دقائق قليلة . وأشرت إلى أحد الرفقاء سائلا متململا فقال : نحن فى إقليم جبلى ، والهواء حار ، ومن هذا كان هذا الاضطراب .

هبطت الطائرة فى دهلى بعد أن فعلت بنا ما فعلت ، وختمت رحلتنا بما أرهبنا ...

( للكلام صلة ) عبد الوهاب عزام

(١) دئن الطائر : طار وأسرع السقوط فى مواضع متقاربة وواتر ذلك (لسان العرب)

# شعب واحد، وقضية واحدة!

للأستاذ محمود محمد شاكر

يقول العربي الأول :

وحولي من هذا الأنام عصابة تَوَدُّدها يخفى ، وأضغانها تبدو
فما العيش إلا أن تصاحب فتية طواعن ، لا يعنيهم النحس والسعد
إذا عربي لم يكن مثل سيفه مضاء على الأعداء أنكره الجد
يضارب حتى ما لصارمه قوى ويطعن حتى ما لذابله جهد

فهذا العربي الذي اكتنفته عصابة شر أخرجت له أضغانها ، قد كاد يمثل لنا أمر العرب كلهم في أيام الناس هذه . فما من أمة من الأمم الغربية وأشباهها إلا أحاطت بنا عداوتها من كل جانب ، تسر ذلك حيناً وتستعلن به أحياناً كثيرة . وليتها رأت ذلك حسبها من وغر الصدور ، بل جاوزت ذلك إلى الاستخفاف بمئة مليون من الناس خلق الله ، تنظر إليهم كما ينظر السيد إلى عبده ورقيقه ، وتعاملهم كما تعامل المرأة الطاغية أمَة جعلها الله تحت يدها ، فهي تسومها الخسف كأشد ما يبغى الضعيف حين يستمكن له سلطان وبطش . وقد مضت العبر بأن هؤلاء القوم لا يكادون يفهمون إلا اضطراراً ، وبالقهر والغلبة ، كما لم يفهم السادة يوم استبدوا أن الرقيق لن يصبروا طويلا على الذل ، حتى جاء اليوم الذي حمل الرقيق على الركب الوعر فثاروا واستنقذوا حريتهم قوة واقتداراً . وكذلك نحن لن نبلغ شيئاً في إفهام أولئك القوم أن عملهم سيء العاقبة ، مهما توسلنا إلى إفهامهم بالدعاية والمناشدة ، بل لن نبلغ شيئاً إلا يوم يستوى لدينا بحق معنى الموت ومعنى الحياة الحرة ، فضلا عن معنى الموت ومعنى الحياة الذليلة .

فمن العبث إذن أن ندعو هؤلاء القوم إلى سواء بيننا وبينهم ، لأن القوة قد أسكرتهم فأطاشت حلومهم ، وتركتهم لا يدركون إلا ذلك المعنى الخسيس للحياة ، معنى الفائدة العاجلة بغير نظر إلى عدل ولا نصفة . وهم قوم تقوم حضارتهم على تزييف الشرور حتى تبدو في صورة الخير ، وتدليس شريعة الوحش حتى ترى شريعة إنسان أنعم الله عليه بالعقل والعاطفة ليوازن بينهما موازنة تجلب عليه السعادة في الدارين . ومن العبث أن نحتال عليهم بما يسمونه « السياسة » ، فالقوى وحده هو الذي يعرف كيف يستفيد من « السياسة » أما الضعيف فاعتماده على السياسة وبال مستطير الشر، يهدمه ويصرعه ، ويمكن لعدوه أن يفترس منه حيث شاء وكيف شاء .

فلا مجازلنا نحن العرب إلا أن نعرف أنفسنا ، وأن ندرك حقيقة حياتنا ؛ وأن نؤمن بأن القوى لا ينال منا بقوته بل باستسلامنا ، وأنه لا يحيف علينا ببطشه بل بتهاوننا واستصغارنا لشأن أنفسنا ؛ وأن أجهل الجهل أن يظن ظان أن مئة مليون من خلق الله يمكن أن يفنوا على بكرة أبيهم بسطوة ساط أو بغى باغ ، وأنهم هباء لا يزن في ميزان القوة جناح بعوضة ، وأنهم غنم مسيرون يهاهي بهم راع عنيف تسوقهم عصاه إلى حيث أراد . نعم لا معدى اليوم لكل عربي من أن يحس في قلبه مؤمناً بما يحس ، أنه خلق لعصيان أمر الرعاة الطغاة ، وأنه مأمور من عند من خلقه أن يثبت في مكانه لا يطيع عصا الراعي ولا زجرته ولا زئيره ولا إرهابه ، وأنه مكلف يحمل أمانة من لدن دبت على الأرض قدم عربية ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها من عجم ومن عرب

فالعربي اليوم هو أعظم الناس حملا للتكاليف ، لأنه يحمل وزر ما هو فيه من ضعف ينبغي أن ينفض عن نفسه آصاره ، ويحمل حق أجيال مقبلة توجب عليه أن يعمل ويمهد لها في هذه الأرض ، ويحمل أيضاً أمانة آباء وأجداد وأسلاف مهدوا له هذه الدنيا التي يسكنها من أطراف الهند إلى أقصى مراكش ، ومن حدود تركيا إلى أقصى السودان . هذا ، وهو يعيش في عالم عدوٌّ له قد قبض على زمام الكون ، واستولى على عناصر القوة ، ونال أسباب السماء وأطاعته نواحي الأرض . فأى تكليف أشق من التكاليف الذي يحمله هذا النبيل المسكين الذي يعيش في الدنيا مشرداً مضطهداً مجهولا مهضوم الحق مرمياً بملفقات العيوب ؟

وأول ما يجب على هذا العربي منذ اليوم أن يضع بين يديه صورة أرضه التي توارثها عن آبائه بالحق الذي لا ينازعه فيه منازع إلا مستطيلا أو متهجماً : أرض تبلغ مساحتها مساحة قارتين من قارات

الدنيا ، ثم يقول لنفسه : هل يستطيع أحد أن يبيدنى ويبيد أهلى وعشيرتى ويستأثر بهذه الأرض يفلحها أو يعمرها أو يقيم فيها للانسانية حضارة أو دولة ؟ وهل يستطيع أحد أن يقسرنى قسراً على مالا أريد أن أفعله مما يحب هو أن يتم له ؟ وهل يستطيع أحد أن يأخذ قلبى من بين جنبى ليصرفه فى هواه كما يشتهى أو يريد ؟ وجواب ذلك كله « كلا ! » ولا ريب . ففيم إذن أخدم نفسى لمن لا يريد إلا إذلالى ، والفت فى عضدى ، وأكل أرضى وما أنبتت من نبات وحيوان وإنسان ؟

فهذا شأن الفرد الواحد ، فما ظنك إذن بمئة مليون يكونون على قلب هذا الفرد الواحد ، يداً واحدة ، ورأياً واحداً ، وعملا واحداً ، وإصراراً على أن لا ينازعنا أحد فى حق نحن أصحابه وحماته والمكلفون بحياطته ورد العادية عنه ؟ فإذا آمن العربى بهذه العقيدة التى لا مناص له عن الإيمان بها ، فهل يدور فى وهمك أن أحداً يجرؤ على غصب العرب على مالا يريدون ، أو حملهم على شىء يصرون إصراراً على أن لا يقبلوه ؟

إن قضية العرب قضية واضحة بينة المعالم : هى أننا لا نريد إلا أن تكون بلادنا جميعاً مستقلة حرة ، لا يحتل عراقها جندى واحد ، ولا تخضع جزيرتها لسلطان ملوك البترول ، ولا ينال نيلها من منبعه إلى مصبه سلطان بريطانى أو غير بريطانى ، ولا تقع شامها ولبنانها تحت سطوة غاصب ، ولا يعيث فى أرجاء مغربها فرنسى خبيث القول والفعل مجنون الإرادة . وهذا كله شىء لا يملك كائن من كان أن يجبرنا على خلافه أو على الرضى به.

ونحن العرب قد أصبحنا دولا لكل دولة منا سياسة يخشى أن تكون ناظرة إلى استجلاب منفعة خاصة ببلد دون بلد ، ويخشى أن تكون كلمتنا فى قضية العرب لا تزال محصورة فى دائرة أصحاب الأقلام دون أصحاب الحكم والسلطان ، ويخشى أن تكون أعمالنا مفرقة لا تجتمع إلى نهاية واحدة فى وقت واحد . وإذن فلابد منذ اليوم أن نسن لأنفسنا سياسة جديدة فى كل شأن من شئون العرب ، تجتمع بها كلمتنا وأهدافنا وأعمالنا حتى تبلغ الغاية جملة واحدة ، ويداً واحدة وفى وقت واحد . وينبغى أن لا نرضى منذ اليوم أن تفرق قضية العرب وتجعلها قضايا ممزقة : هذه قضية مصر والسودان، وتلك قضية فلسطين ، والأخرى قضية طرابلس وبرقة ، والرابعة قضية تونس ، والخامسة قضية الجزائر ، والسادسة قضية مراكش ، والسابعة قضية العراق ... بل إن هذه القضايا كلها قضية واحدة لا تنفك منها واحدة عن أختها أبداً

والعمل لهذه القضية الواحدة ينتظم أفراد العرب ، من ملوك إلى وزراء إلى ساسة إلى أصحاب الأعمال إلى جماعات المثقفين إلى عامة النـاس ، ويحمل عبئها كتاب العربية لأنهم هم اللسان الناطق بما يتلجلج فى صدور هذه الفئات كلها ، وهم المسددون لخطوات الشعب ، وهم بناة المبادىء والمدافعون عنها والداعون إليها ، وهم الذين يحملون الحكومات العربية على انتهاج خطة واحدة ، وعلى الإيمان بمبدأ واحد ، وعلى الوقوف فى ساعة العسرة موقفاً لا ترتد عنه قيد أنملة لإيمانها بأن العرب قوة لا تلين لغامز، وبأنهم أهل أرض تقع فى قلب العالم لا يطيق معتد أن ينال منها نيلا ، إذا ثبتت له كعادة آبائهم وأجدادهم فى الدفاع عن الحوزة والحمى .

ونحن العرب نجهل اليوم أننا قوة كأقوى ما فى هذه الأرض ، يجهل ذلك أفرادنا متفرقين . ويجهله حكوماتنا موزعة الأهواء والأهداف ، ويجهله ساستنا بما كتب الله عليهم من محنة هذه السياسة . فنحن اليوم أحوج ما كنا وما نكون إلى معرفة حقيقة هذه القوة ، وإلى إدراك ما تقتضيه هذه القوة أيضاً .

فالرجل الذى يعرف أنه قوى ينبغى أن يجعل قوته عملا ظاهراً لا يرتد مخافة إرهاب أو نكبة أو شر يلاقيه . فإذا شـاء رجال العرب وأماثلهم أن يصبحوا فى تاريخ العرب مجداً لا يتكسف ضوؤه أبد الآبدين ، فليستلهموا تاريخ أسلافهم الذين خرجوا من أرضهم وديارهم شعثاً غبراً جياعاً ، ولكنهم خرجوا أيضاً مؤمنين بأن كلمة الله هى العليا ، وأن حقهم وإن قل ناصره، أقوى من باطل سواهم وإن كثر أعوانه والعاملون له وعليهم أن يزأروا زئير الأسد فى غابه ، حتى يستيقظ النائم ، ويتأهب الأعزل ، ويجتمع التفرق ، وعليهم أن يحاصروا عدوهم بالمدافعة عن حقهم ، قبل أن يحاصرهم بالتهجم على حقوقهم . وعليهم أن يعلموا علم اليقين أن العربى حين يمد يده إلى سيفه ، فهو يمدها إلى قوة زاخرة لا تزال تنحدر إليه منذ آلاف السنين بمدد لا ينضب من العزة والشرف والمجد الذى تناله يد المتطاول .

إننا قوة لن يتجاهلها أحد مهما بلغت قوته إلا كنا شجى فى حلقه ، لا مجازاً وبلاغة ، بل هى الحقيقة المجردة عن كل مبالغة

# تحيــة البطلين

للأســتاذ علي الطنطاوي

إلى البطلين العربيين اللذين اعلما أهل الأرض أن في الوجود شيئاً أقوى من الحديد، وأمضى من السيف، وأحمى من النار وأنكى من القنبلة الذرية، هو الإيمان

اللذين تخلفا عن بدر والقادسية واليرموك ليظلما في الغوطة ونابلس والريف، فيكتبا بالدم على جبهة الثرى، أن العزيز لا يذل وسليل من حكموا الدنيا لا يحكمه في بلاده أجنبي ولا غاصب.

اللذين أثبتا للعالمين أن العرب الذين سادوا في أول الدهر سيسودون في آخره.

إلى القائدين العبقريين: عبد الكريم الخطابي وفوزي القاوقجي

تقدير الأدب للبطولة، وتحية القلم للحسام

***

أما عبد الكريم فلم أره ولا أحب أن أراه لتبقى له في نفسي هـذه الصورة العلوية الخالدة، لا تفسدها معالم اللحم والدم في الإنسان الذي يأكل كما يأكل الناس ويشرب، ويرضى ويغضب ويجد ويلعب، وليكون اسمه أبداً في ذاكرتي مع أسماء العباقرة الخالدين، القادة السادة الهداة، خالد وعمرو وقتيبة وابن القاسم وابن نافع وطارق، الذين أفاضوا على الحرب الحق والرفق فجعلوها مقدسة مشروعة، وأثاروها لله لا للكسب، وللخير لا للشر، فاستولدوها الحياة والحضارة والسلام، وما كانت تلد إلا الموت والخراب والانتقام

وأما فوزي فقد عرفته في بغداد، قبل أن تعرف بغداد بطولته ويشهد العراق عبقريته. فكنت أزوره في داره في الكرادة أنا وأنور العطار ويزورنا في مثوانا في الفندق، وأضرب معه في آفاق الأحاديث، وأراه مسترسلا على سجيته، منطلقاً مع طبيعته، وأتحرى خلائقه، وأتقرى سلائقه، فأراه يعلو في نظري إن طالما زلت الخلطة بالرجال، ويكبر إن صغرتهم، وأنا أشهد أني لم ألق في عمري من (الرجال)، وقد قاربت الأربعين، وقد سكنت الشام والعراق ومصر والحجاز إلا (رجالا) لايشغل عدهم أصابع اليدين وأشهد أن من أكملهم رجولة، وأفتاهم فتوة، وأظهرهم قوة، في جسمه وعقله وقلبه وضميره: فوزي القاوقجي

عظيمان جهلا نفسيهما، فحسبا أنهما اثنان من الناس خلقا ليعيشا كما يعيش الناس ويموتا كما يموتون، لا تحتفل بمولدهما الدنيا ولا تضطرب لموتهما الأرض، ولا يحس بهما التاريخ، وتلفتا يفتشان عن مهنة يعيشان منها فوجدا في قلبهما الميل إلى الجندية لأنها مهنة البذل والبطولة والنبل وخوارق العادات، ولكنهما لم يجدا في أمتهما الجيش العربي، فتطوعا لخدمة الجيش الأجنبي... وتحركت العظمة الفطرية فيهما فكانا ضابطين نابغين، ولكنها ظلت حبيسة في سجن الوظيفة، مقيدة بقيد القانون، حتى جاء اليوم المقدور، فنقبت السجن، وحطمت القيد، وانطلقت تملأ الأرض، وتترع الزمان.

أخوان ائتلفا ولم يتمارفا، وتكلما وما كان بينهما كلام، وتواعدا وبينهما بحر العرب[1] بعرضه، على أن يلتقيا في مصر، فجاءاها بعد ما زرعا طريقيهما إليها مفاخر للعرب وأمجاداً، وبعد ما حارب هذا بشعب أعزل، وقبائل بدوية، دولتين عظيمتين: فرنسا وأسبانيا حشدتا له مائتين وخمسين ألفاً، ونازلهما فأنزل بهما الهزائم وجرعهما

(١) هو بحر العرب لا البحر الأبيض المتوسط.

---

إننا قوة سوف تجبر بريطانيا وروسيا وأمريكا وسائر أمم الغرب على أن تعرف أن العرب، قد أفاقوا في العصر، وأنهم قد عزموا على أن ينالوا حقهم أو أن ينتزعوه انتزاعاً من كل من تسول له نفسه أن يهتضم حقوق الناس ويأكل أموالهم ويعيث في بلادهم فساداً وطغياناً وشراً. إننا نحن العرب أمة واحدة في دول متعددة، وسنكون أمة واحدة تحمى حقوق الضعفاء من أي الناس كانوا.

إننا نحن العرب أمة قوية وإن ظن الناس بنا الضعف، ونحن أصحاب هذه الرقعة من الأرض، سوف تكون خالصة لنا دون الناس لا تشاركنا فيها دولة بريطانية؛ أو دولة صهيونية أو دولة فرنسية.

وعن قريب سوف تقول حكومات العرب كلها، وسوف يجتمع رأينا على أننا لن نرضى بأن نجعل قضيتنا أجزاء يتلعب بها هذا ويلهو بها ذاك، إنها قضية واحدة، يرفعها شعب واحد، مطالباً بحق واحد، هو أننا أحرار في بلادنا.

محمود محمد شاكر

شراب الموت ، وقارع ذلك دولتين عظيمتين : إنكلترا وفرنسا وفل جيوشهما فى الشام وفلسطين والعراق . وبعد ما أثبتا للدنيا أن العربى لا يستعبد ولا يهون .

لقد عاد فوزى إلى وطنه سورية على رغم فرنسا ، فلما لم يرفيها مستشاراً فى دائرة وكانت الدائرة هى المستشار ، ولا شاهد قلمة فرنسية على رابية ، ولا داراً فرنسية فى شارع ، ولا لوحة فرنسية على متجر ، بكى فرحاً ، بكى (الرجل) الذى لم يبك وهو بين شقى الرحى التى تديرها يد الموت . واستقر عبد الكريم فى مصر على رغم فرنسا ، فلما رأى الملك العربى ، والجامعة العربيـة ، والشعب العربى ، بكى فرحا ، بكى (الرجل) الذى لم تبكه خمس وعشرون سنة فى منفى سحيق وضعته فيه فرنسا التى أقسمت له بشرفها أنها لن تأسره ... فلما تمكنت منه كان وفاؤها له ، على مقدار شرفها ...

لقـد شهد الرجلان مئات المعارك ، وحملا مئات الجروح ، ولقيا مئات الشدائد ، وها هو ذا فوزى يفتش عن ميدان جديد للجهاد ، وعبد الكريم يستجم ليعود إلى النضال -- وكذلك تـكون الرجال

لم يرض فوزى أن يكون كهؤلاء الذين جنوا على الجهاد لما تسموا كذبا بـ (المجاهدين) ... وما جاهدوا ولـكن قتلوا الثورة ، وفرقوا أهلها ، وسرقوا أموالها ، وعادوا اليوم يأكلون ويشربون ، وينعمون ويتمتعون باسم الجهاد الذى لم يكونوا من أهله — فعاف المناصب والرواتب ، وعزف عن الأموال ، وآثر أن يبق كما كان مجاهداً حقاً ، لا يلقى سلاحه ، ولا يغمد سيفه ، حتى لا يبقى فى الوطن الأكبر شبر واحد يحتله مستعمر — وكذلك تكون الرجال

هذان هما القائدان البطلان ، فتقدما يا أيها البطلان القائدان فهـذا هو الجند معداً ، وهذا هو الجيش لا ينقصه إلا القائد ...

هـذا الشعب كله جيش معد ، لا يمل الجهاد ، ولا يضن بالضحايا ، ولا يعرف الونى ، ولا يدركه الكلال ، فادعواه باسم الوطن ، باسم الأرض ، باسم العرض ، باسم الدين ، وانظرا كيف يلبى هذا الشعب الدعاء ...

هـذا الشعب لا أعنى (كباره ...) الذين فتنتهم المناصب ، ولا تجاره الذين تعبدتهم المكاسب ، ولا فساقه الذين عاشوا لتقليد الأجانب فى البلايا والمصائب ، وكانوا فى جسم أمتهم حيات وعقارب ، ولـكن أعنى الشباب ...

إن الشباب هم أرباب المثل العليا ، هم الأطهار ، هم بناة الوطن هم الذين إذا جد الجد سدوا آذانهم عن أصوات المفرقين الهدامين فلم يكن فيهم من حزبيين ، يتقاتلون ليخسر الوطن ويربح الزعماء ولـكن عرباً مجاهدين ، كارهين للاستعمار والمستعمرين ، ثائرين على الظلم والظالمين ...

أولئك الشباب الذين تعلموا منكما أيها البطلان كيف يتخذون قضية فلسطين والمغرب عقيدة ويجعلونها لهم دينا ، لا يرون لمن يقر الاستعمار فى بلاده وهو يقدر على دفعه إيمانا ، ولو صلى وصام وحج وزكى ، لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

لقـد أقسم هؤلاء الشباب ليبذلن الدماء والمهج ، وقاموا للنضال ولـكنهم افتقدوا القائد فقعدوا . فتقدما للقيادة يا أيها البطلان يا بطل المشرق ويا بطل المغرب

واعلما أنكما حاربتما عدواً قوياً ، بأمة كانت غافلة ، وقد ضعف اليوم العدو ، وتيقظ الغافلون ، فحاربا مرة ثانية وثالثـة وتاسعة وعاشرة ، حاربا إذا لم تعطيا الحق كاملا فما فى الدنيا شريف يزدرى الحرب فى سبيل الحق والحرية والشرف ، وقد حارب الفرنسيون لما وطئت بلادهم ، وإن كانوا فى الحرب نعاما تحسن الفر لا أسوداً تجيد الكر ، وحارب الانكليز ، وحارب الأمريكيون ، وحاربت قبائل البور ، وحارب أهل الحبشة ، وحارب هنود أميركا يوم دخلوها عليهم ... وحاربت كل أمة على ظهر الأرض . وكانت هذه الحرب المقدسة خلقاً فى طبع كل أبىّ شريف لا يكون من يفقده أبياً ولا شريفاً ، لا يكون إلا كلباً ، بل إن الكلب يحارب دون وجاره ، وكل حيوان حى يدافع عن ذماره ، حتى الخنزير البرى ... فهـل يريد أنصار المفاوضات والمحادثات أن نـكون أقل من الخنازير ؟

كلا ، وأنف الـكاره فى الرغام . كلا ، ولـكن أكرمَ من كل كريم ، وأعز من كل عزيز ، وأسمى من كل بشر أظلته السماء وحملته الغبراء . وإلا فما نحن لأولئك الأجداد ، ولا نحن لرمال الجزيرة ، ولا نحن لمن حملوا نشيد (الله أكبر) ومشوا حتى صكوا

به سمع الزمان ، وراعوا به جن الفلا ، وملأوا به كل سهل وجبل حتى دانت لهم الأرض ومن عليها ، ولا نحن لمحمد .

كلا ، نحن سلائل الفاتحين ، في عروقنا دماؤهم ، وفي صدورنا قلوبهم ، ولنا عزتهم ، ولئن فقدنا السلاح فما فقدنا العقل الذي يصنعه ، ولا اليد التي تشحذه ، على أنه إذا أعوزنا السلاح أخذناه من يد عدونا وجالدناهم به . وكذلك فعلنا

لن نهاب بعد اليوم غربياً ، ولن نثق به أبداً .

لقد مات العهد الذي كنا نخاف فيه أن يغضب صعلوك من المنتسبين إلى فرنسا فتغضب الامتيازات .

لقد قضى العهد الذي كنا نرى فيه فرنسا وأخواتها أم الحرية والديمقراطية والمدنية وحقوق الإنسان .

لقد أبدت الحقائق وجوهها التي كانت مبرقعة ورآها الناس كلهم إلا هؤلاء العميان الذين طمست أبصارهم وبصائرهم المدارس الفرنسية في الصغر ، والمواخير الفرنسية في الكبر ، وهم بحمد الله أقل من القليل .

لقد رأى الناس فرنسا على حقيقتها أمة همجية تمنع الخبز عن الجائعين ليموتوا جوعاً ، وإنكلترا تنصر الصهيونيين على الفلسطينيين والهولنديين على الجاويين ، وأمريكا تقول لصاحب البيت ، أخرج ليدخل اللص ويأخذ دارك . ولكن خسأ اللص وخسأ من ينصره إن دون الحمى آساداً

أنتم أيها الأمير كيون لا تدركون ماهي قوانا لأنكم لا تعرفون إلا المادة . إنكم لم تسمعوا بأخبار الفتوح الأولى في الشام والعراق ومصر والأندلس ، ولا بأخبار الفتوح الآخرة في الغوطة والرميثة وجبل النار وريف المغرب ، فاسألوا عنها فارس والروم وإسبانيا وفرنسا وإنكلترا ...

إنكم تحسبون قضية فلسطين كقضية سرقة في شيكاغو ، تدخلون بالرشاشات فتنهبون المخزن ...

كلا ، والحي القيوم ، لن تكون لليهود دولة في فلسطين ولن يكون للفرنسيين اتحاد مع المغرب ، حتى لا يبقى في هذه البلاد كلها حي يمشي . لن يأخذوها حتى يروا ويرى من يعيهم يوماً يذهل له كتاب التاريخ ، ويصيبهم من هوله الجنون . يوماً لا ترون فيه تاجراً في دكانه ، ولا موظفاً في ديوانه ، ولا تلميذاً أو مدرساً في مدرسته ، ولا قاضياً في محكمته ، ولا امرأة في دارها . وإنما ترونهم يسيرون إليكم جميعاً يقاتلونكم إن عجزوا عن السلاح بأيديهم ، وصدورهم ، ويستنزلون غضب الله عليكم ، فأبيدوهم يومئذ بقنابلكم الذرية ، إذا محيت الإنسانية من الأرض ، واستبيح قتل الشعوب ، وإذن فستنبت الأرض التي تسقيها دماؤهم أمة جديدة تقاتلكم دون أرضها وحماها .

ويلكم إن الله في الوجود ، ما استقال ولا أحيل على المعاش ؛ وإننا مع الله نستعينه عليكم ، والله أكبر منكم ، هذا نشيدنا الذي يهوّن علينا كل خطر ، ويصغر كل عدو مهما تكبر : الله أكبر

لقد علمنا ديننا أن نستوهب الحياة بطلب الموت ، وحبب إلينا نبينا الشهادة . نلاحقها إذا هربت منا ، ونفتش عنها إذا ضلت عنا . فبماذا تخيفون أمة تريد الموت ؟

نحن نريد الموت ونسعى إليه ، قد أعددنا الجيش للجهاد . وهيأنا القوى للجلاد ، فتقدما يا أيها البطلان القائدان ، تقدما فاقتحما النار ، وخوضا البحار ، فإننا معكما لن نرجع ولن نلقى السلاح ولن ندع الجهاد ، حتى لا يبقى في دنيا الإسلام ، وأرض العرب ، علم لأجنبي ، أو حكم لمستعمر ، والله معنا . والله أكبر!

**علي الطنطاوي**

القسم الخامس :

# فرنسا ومستعمراتها

## ما بين الاتحادين الفرنسى والسوفيتى

للأستاذ أحمد رمزى بك

ما كنت أعتقد حينما كتبت الكلمة الثالثة عن الاستعمار الفرنسى والتى أشرت فيها إلى ثلاث هيئات اتحادية تقف أمام الأمم الإسلامية وحريتها أن تبرز التناقضات بهذه السرعة ، فقد وضعت الاتحاد الهندوكى بجوار الاتحاد الفرنسى والاتحاد السوفييتى وقلت عنها إن كلا منها يعطى لنفسه مظهر حركة تقدمية يصبغها بصبغة التحرر ويريد أن يقنع الضمير العالمى أن الاتحاد هو وليد إرادة شعبية ، وأنه فى مصلحة الأمم والشعوب الداخلة فيه ، ويعلم القائمون بأمر كل منها أن هذا بعيد عن الحقيقة بعداً تاماً ، ولذلك سيكون كفاح الأمم الإسلامية فى طريق الاستقلال والتخلص من هذه السيطرة الاتحادية المفروضة عليهم شديداً فى الهند والمغرب ، قاسياً جداً فى أواسط آسيا :ولكنى مؤمن وواثق بأنهم سيتغلبون لا لأن الحق معهم وكفى ، بل لأن قوانين الكون اللازمة لطبيعة الأشياء وتجارب التاريخ معهم ، وستذهب قوات الطغيان التى تستعبد المسلمين أو تحاول ذلك هباء منثوراً وتندك صروح بنيت على تضليل الناس .

ومن قبيل هذه الثورة القائمة علينا ، البرقية التى جاءت بأن البنديت نهرو يحذر الأمم العربية ويقول « إننا لن نعترف باستقلال أية دولة تقام فى الهند ، وسنعتبر الاعتراف من أية دولة أجنبية بهذا الاستقلال عملا لا ينطوى على الصداقة » .

وفى بعض ما ورد بالجرائد المصرية مقال عنوانه « الباكستان خير أم شر » ويقول بأن استقلال المسلمين فى الهند يتعارض مع العالمية التى هى من مظاهر الكون . ونحن لا نعارض هذه العالمية ولكننا نفرض استقلال البلاد الإسلامية كشرط أساسى للتعاون الاقليمى ثم التعاون العالمى وإلا تعرضت الجماعات الإسلامية للزوال وضاعت شخصيتها وانهد كيانها .

وأعود إلى فرنسا وأمبراطوريتها ، وما تنويه من فرض الاتحاد والإدماج على شعوب العروبة والإسلام ، بعد أن رأينا رجال الفكر يسبقون التاريخ فى هذه الناحيه ويرسمون خطط السيطرة والغلبة ، فقد ذكرنا فيما تقدم إشارة عن مؤتمر برازافيل الاستعمارى الذى عقد بإفريقيا عام ١٩٤٤ ، وجمع أساطين الاستعمار ودهاته واستعرض برامج المستقبل ، وأشار بتأكيد سياسة الاتحاد بين فرنسا وما تملكه من الأراضى الواسعة فى إفريقيا وآسيا وصهرها فى كتلة واحدة .

ويهمنا أن نتتبع المسائل العامة التى دارت المناقشات حولها فقد برزت هناك فكرتان : فكرة التعاون ، وفكرة الإدماج ، ولكل من الفكرتين أنصار وخصوم .

ومعنى التعاون إعطاء الأمم أو الأقاليم شيئاً من الحرية والحكم الذاتى بالتدريج ، ثم دعوتها إلى التعاون مع الدولة صاحبة السيادة فى نطاق اقتصادى كما هو الحال فى بعض المستعمرات البريطانية . ومعنى الإدماج أن تفرض على الشعوب المحكومة أنواع من الارهاب والترغيب تنتهى إلى إيجاد شعور يقول بأن مصلحة المجموع أن يندمج مع الأمة الحاكمة فى جنسية واحدة .

ويقول خصوم التعاون إنه فى النهاية يؤدى مع الزمن إلى حياة الدومنيون الاستقلالية ، وهذا لا يتفق مع المنطق الفرنسى الذى يميل إلى المركزية ولا يسلم بتوزيع السلطات ، وفى النهاية يعرض الكيان الإمبراطورى إلى الانهيار .

ويقول منتقدو الإدماج ، إذا سرنا خطوات كبيرة فى سبيل ذلك وتكلم خمسون مليوناً لغتنا وأخذوا بثقافتنا ودخلوا مجالسنا النيابية وحصلوا على حقوق المواطنين وضعنا مستقبلنا بين أيدى ناخبين أجانب من شعوب ملونة منحطة ، وقد تغمرنا موجات فكرية وثورية لا نقدر على كبحها ، أو قد تتحالف هذه العناصر مع عوامل الهدم الفرنسية وتميل مع أحزاب اليسار لتفرض إرادتها ؛ حينئذ يفلت الزمام من الأيدى الفرنسية الرشيدة العاقلة وتعرض حياة الأمة إلى أخطار جسيمة .

خرج مؤتمر برازافيل إلى الأخذ بحل وسط يجمع بين التعاون والإدماج : فسياسة التعليم بنيت على إدماج الشعوب فى الثقافة الفرنسية ، إذن يجب أن تشتد هذه السياسة التعليمية وأن يكون هدفها إضعاف اللغات القومية وخصوصاً اللغة العربية . وفى المستعمرات الإفريقية تقرر منع التبشير باللغات القومية وجعل

تدريس قواعد الدين الكاثوليكي باللغة الفرنسية .

ولن أطيل على القارئ سرد بقية القرارات فهي مطبوعة إذ ماذا يهمنا من أمر البلديات وطريقة انتخاب المجالس العامة بالمستعمرات وزيادة سلطة الحكام والتصديق على الميزانيات والقروض ، ما دامت السيطرة المركزية لوزير المستعمرات قائمة ومادامت سياسة المؤتمر ترمى إلى تأكيد السيادة الفرنسية وتثبيت الرأى النهائى للجاليات الأوروبية فى مستقبل المستعمرة ، وجعل الكلمة العليا للكولون الفرنسى باعتباره ممثلا للأمة الحاكمة صاحبة الأمر والنهى والسيادة .

فالسياسة التعليمية اتجهت اتجاهاً إدماجياً مسترشدة بالنظم الروسية التى تستعين بالمدرسة على إخراج جيل من الناس يؤمن بالثورة وتعاليمها ، كذلك المعلم الفرنسى من واجبه أن يفرض لغته ليخرج طائفة تفكر فرنسياً وتنطق بلسان فرنسى وتؤمن بعظمة وأهمية الحصول على الجنسية الفرنسية والافتخار بأن الفرد الأسود هو فرنسى أسود ، وأن اللون لا يمنع أنه من سلالة الغاليين سكان فرنسا الأصليين وهذا نهاية مايصل إليه الغرور الاستعمارى

ولكن سياسة الإدماج تواجه الشعوب الإسلامية ، والإسلام والعروبة فى عالم الاستعمار وباء يصعب مواجهته ، ويستعصى التخلص منه ، فهو راسخ فى عقول ملايين من الناس وهو كالنار تحت الرماد ، وقد أمضى الاستعمار مع الإسلام عشرات السنين وكما خيل إلى المستعمرين أنهم فضوا مشاكله وقضوا عليه ، برزت لهم الأدلة على أنهم ما زالوا بعيدين عن زمن القضاء على حيويته ، وأنهم على ما أوتوا من قوة البطش وسعة السلطان ، أعجز من أن يكسبوا أمامه المعركة النهائية والقول الفصل .

من هنا فكرت فرنسا فى إيجاد مركز دائم للشؤون الإسلامية بمدينة الجزائر وأطلقت على هذه الإدارة : وزارة تنسيق الشئون الإسلامية . ولنلاحظ أن الاصطلاح الفرنسى يعتبر المسلمين كطائفة مهما كان عددهم كبيراً أى أن هؤلاء الناس لا يكونون أمة من الأمم وليس لهم وطن ولا رابطة مع الأرض التى يعيشون عليها : فهم رعايانا المسلمون ، وهم مسلمون وكفى ، وهذا رأيهم وهو خطير فى نظرى .

وتولى هذا المنصب فى الجزائر صديقنا الجنرال كاترو وهو الذى عرفناه فى سوريا ولبنان مندوباً سامياً ، ولمسنا فى شخصه اجتماع القائد والسياسى معاً ، وبرهن على أنه صاحب عزيمة ودهاء وفكر ومقدرة ، وهو يتظاهر بأنه صديق للاسلام والمسلمين وأنه يعطف على أمانيهم المشروعة ويدفع الظلم عنهم ، ويمثل فى الوقت الحاضر فرنسا بموسكو عاصمة السوفييت ، قلت دائماً إن رجلا له مزايا كاترو وإلمامه وفهمه لشؤون الدنيا ودرايته بمشاكل الاستعمار لايترك الوقت يمر أمامه من غير أن يشغله ببحث شؤون الإسلام فى روسيا . نعم قد يكون اختياره كسفير لبلاده من قبيل الإبعاد السياسى فى وقت ترفض العقلية الفرنسية وضع العسكريين فى الصف الأول ، ولكن لكاترو منزلته ورأيه وشخصيته . وللاتحاد السوفييتى سياسة مرسومة تجاه المسلمين ، حقيقة إن الناس قلما يتعرضون لها ، ولكن أعين الاستعمار لا تغفل عنها ، لأن روسيا فى توسعها وانتشار نفوذها واجهت المسلمين كما واجهت فرنسا الإسلام من قبل ومن بعد .

ولكن تجارب روسيا مع المسلمين غير تجارب فرنسا ، فالأخيرة تحيا تحت سلطان الحروب الصليبية وتقاليدها إلى اليوم وهى حروب اشترك فيها غيرها من الشعوب وكانت نهايتها محزنة لأن السيوف التى انتصرت هى سيوف المسلمين ، ومع هذا تقلب الكتب الفرنسية الحقائق وتجعل من الهزائم الفرنسية مفخرة للشعب ودوافع للعمل والجهاد ضد المسلمين .

أما روسيا فقد عاشت قروناً محكومة بالمسلمين ولاقت منهم شدة وعنتاً ، وبين الكنيسة البيزنطية والمسلمين عراك طويل ، ولم تبدأ حملات روسيا بجد ضد الأراضى التى يسكنها المسلمون إلا فى عهد كاترين الثانيـة ، إذ دخلت أقاليم إسلامية كبيرة تحت حكمها ، وكانت أساليب الحكم الروسية سهلة واضحة : ذبح المسلمين وتشتيتهم أو تركهم إذا قبلوا الدخول فى المسيحية ، ولقد دخل ملايين منهم فى الجنسية والديانة ، ومن بقى محتفظاً بديانته سراً أعلن إسلامه بعد ثورة ١٩٠٥ و ١٩١٧ .

ولما اتسع ملك الروس فى آسيا الوسطى وقفقاسيا أخذوا يفكرون فى إيجاد سياسة إسلامية ، وأخذوا يقلدون الدول الاستعمارية الغربية ، ولكن ثورة البلاشفة قضت على القيصرية وأعلنت حقوق الشعوب وحريتها وسمحت للمسلمين باقامة شعائرهم الدينية بعد أن كانوا محرومين منها ، ثم عادت فأعلنت الحرب على الأديان كلها ، وكان من الطبيعى أن يحارب الإسلام كغيره وهو قوة عالية ثورية شأنه شأن الحركة الشيوعية إذ يحمل كل منهما لواء العالمية ، وتفنى فيه القوميات والعنصريات والطائفية . فالشيوعية

تحاول التغلب على الإسلام فى الجهات التى ساد فيها ، ولها أساليبها الخاصة فى هذا المضمار ، التى جاءت نتيجة للتجارب التى بدأها لينين فى سياسة التقارب مع الأمم المغلوبة فى ١٩٢٠ و ١٩٢٢ ثم انتهت إلى تحطيم الجمهوريات الوطنية وفرض الأنظمة الشيوعية والدخول فى سياسة اتحادية تخضع أراضى السوفييت كلها لسلطة موسكو المباشرة .

وكان أن واجه الشيوعيون مشكلة حكم إمبراطورية استعمارية تحت نظام جمهورى اشتراكى وخطوا فى السنوات الماضية خطوات جبارة فى طريق استغلال واستثمار أراضى البلاد الإسلامية باسم جديد وأنظمة جديدة ، وفرنسا من ناحيتها تحكم ملايين من الشعوب الملونة والأمم الإسلامية وتحاول أن تحتفظ بسيادة الجمهورية المركزية على أقاليم شاسعة : فهما تلتقيان فى معالجة مشاكل متشابهة تلتقى عند هدف واحد هو المحافظة على وحدة إمبراطورية استعمارية بأى ثمن .

وإذا سرنا فى المقارنة من الناحية الداخلية نجد أن فرنسا تحكم بلاداً لها شخصية أو شبه سيادة مثل مراكش وتونس وبعض أقاليم الهند الصينية ، ولديها بقاع يحكمها أمراء وسلاطين بافريقيا ، أما الاتحاد السوفييتى فبعد أن حطم ممالك بخارى وخوارزم[1] وحكم الاقطاعيين الذين عاشوا تحت ظلال القيصرية ، عاد فأنشأ جمهوريات ذات سيادة إسمية فى أذربيجان وتركستان وأزبكستان وتاجيكستان والقرغيز ، وأعطى لأقاليم أخرى نظام الحكم الذاتى مثل الداغستان وبشكيريا وغيرها .

وهذه الأقاليم التى عددناها إسلامية وأهلها مسلمون ومعظم أقاليم الإمبراطورية الفرنسية أو أهمها من بلاد الإسلام ويسكنها المسلمون ، ولذلك يحلو لرجال فرنسا أن يقولوا عن بلادهم إنها دولة إسلامية كبرى ، والسوفييت وإن كانوا لا يقرون بالأديان ، فأنهم مع ذلك على اتفاق مع الاستعمار الفرنسى فى مواجهة المسألة الإسلامية باعتبارها معضلة تتطلب الحل ولها مشاكلها ومتاعبها ومضاعفاتها ولذلك تحتاج إلى دراسة وبحث ، ولهذه سياسة خاصة بها : أى أن للاسلام سياسة مرسومة فى كل من روسيا وفرنسا ترمى كل منهما إلى أهداف مختلفة ولكنهما تلتقيان فى نهاية واحدة وكلاهما يسير على منهج الإدماج ونقصد به صهر القوميات فى

(١) إمارة خيوة فى عصر القيصرية .

كتلة واحدة ، ولكن الاتحاد يسير على نمط خاص به ، فهو يفرض اللغة الروسية مع الفكرة الاشتراكية والفلسفة الماركسية ويقدمها فى قالب واحد ، وسار فى هذا أشواطاً حتى فى الجمهوريات المسيحية ، لأن حكومة الأتحاد قررت تشتيت مجلس السوفييت المحلى فى بلاد الكرج ( جورجيا ) لأنه عارض سياسة الاتحاد وقرر التمسك باللغة القومية وجعل لها المقام الأول فى التعليم وللروسية المقام الثانى ، ثم يتفق مع السياسة الفرنسية فى إحياء لغات اندثرت وثقافات اندرست حين يهاجم الوحدة الإسلامية فى آسيا الوسطى باسم الفن والتاريخ والثقافة[1] .

ويشبه هذا النشاط سياسة فرنسا فى التفرقة بين العرب والبربر حتى تظهر ثقافات متباينة فى كل رقعة ويفقد الإسلام تلك الوحدة التى اشتهر بها وعرفت عنه .

فلهذا وغيره يبدو الاتحاد السوفييتى فى أنظمته وكيانه كوحدة استعمارية تسيطر على أقطار المسلمين وتفرض عليهم حكما خاصاً كأنموذج صالح لفرنسا يصح أن يحتذى فى أشياء . والفرنسيون أذكياء وأهل منطق ، يعرفون تماماً أن الأنظمة والدساتير لاتبنى الممالك وإنما القوة الدافعة هى التى تحميها : والقوة الدافعة فى أراضى السوفييت هى الحزب الشيوعى الذى يستند على قوته الثورية وأنه حزب عمالى ترتكز عليه الدولة وتخضع لمشيئته ويسيرها كما يشاء .

ولا تملك فرنسا هذه القوة المتصفة بالبطش والفتك ، إذ هى لا تزال تأخذ بأنظمة الدساتير الديموقراطية وتمدد الأحزاب ، وهناك مسائل أخرى تفترق عن السوفييت فيها ، أهمها أنها تحترم الملكية الفردية وتشجع الشركات والأفراد فى تولى الإنتاج الزراعى والصناعى ، بينما الاتحاد السوفييتى لا يعترف بالملكية للفرد وإنما يأخذ بالاشتراكية ويجعل حق الملكية للدولة أو يعترف بالملكية التعاونية ، وقد يلتقى النظامان فيما يخص الملكية بأراضى بعض المستعمرات ؛ إذ يحرم التشريع الفرنسى على الأهالى ملكية الأرض ويسمح بها لشركات الاستثمار وللمستعمرين البيض ، ولا نعرف مقدار حظ المسلمين فى المزارع التعاونية بالروسيا فقد تكون بأكلها فى أيدى الروس فهى لا تختلف إذن عن شركات الاستثمار الكبرى فى المستعمرات الفرنسية ، ولكن الثابت

(١) من أكبر وسائل محاربة القومية والإسلام محطة الإذاعة التى بأغانيها ولغتها العامية تتفق مع الاستعمار فى هذه الناحية

لدينا هو أن الأهالى المسلمين محرومون من حق الملكية فى جمهورياتهم فهم إذن كأهل المستعمرات الفرنسية السود فى هذه الناحية . ولم يكن تطبيق النظام الاشتراكى أو التعاونى لصالحهم بل لتقوية الجاليات الروسية وزيادة إفقارهم وضرب الذلة والإملاق عليهم .

هذه نظرات أولية تمكننا من تلمس بعض ما يقال له فوارق وبعض ما يلتقى النظامان الاستعماريان فيه من نواح . ولا نقدم جديداً حينما يتعلق الأمر بالأنظمة إذ هى الأسس التى يقوم عليها الاتحاد ، وفرنسا تقدر الفوارق والاتجاهات فى الاتحاد السوفييتى ولكنها تعجب من الأنظمة كدعامة للوحدة ، فدستور السوفييت يقول : —

« بأن الدولة اتحادية تقوم على أساس الاتحاد الاختيارى بين الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية المتساوية فى الحقوق » .

وهذا نص مشجع لأن تأخذ به فرنسا فى نظامها الجديد خصوصاً وأن معنى الاختيار غير معلوم لدى الروس .

إذ لا يذكر العالم أن إحدى الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى جاءت إلى الاتحاد وانضمت إليه باختيارها ، وإنما دخلت الاتحاد بعد معارك دموية وقتال استمر طويلا ، ولذلك لن يكون هناك اختيار فى الاتحاد الفرنسى كما قلنا .

وينص الدستور السوفييتى على حق تقرير المصير ويعترف لكل جمهورية بأنها ذات سيادة ، ولكنه يقيدها فى المادة ١٤ من الدستور نفسه وفيها كل ما يهدم شخصية واستقلال وسيادة الجمهوريات المقول بأنها مستقلة وذات سيادة . وهذا النص يجعل حق تقرير المصير غير موجود ، ولذلك سنراه فى دستور الاتحاد الفرنسى وستأخذ به حكومة الهند عند مواجهة دولة باكستان الإسلامية ، وستتمسك به كل دولة اتحادية حينما ترمى إلى السيطرة والتحكم فى مصير الأمم الإسلامية .

فمن المفيد أن نعرض هذه المادة مع بعض التفصيل ليستيقظ الغافلون بمصر : فهذه المادة تجمع طائفة من الأمور الهامة الحيوية لكل شعب منها ما هو سياسى وعسكرى واقتصادى ومنها ما هو ثقافى وتشريعى . فإذا بحثت عن الباقى من سيادة جمهوريات الاتحاد المستقلة وجدته ضئيلا بحيث لا يصح أن يقارن بالسيادة التى تتمتع بها أية ولاية داخل نظام الولايات المتحدة الأمريكية .

فإذا سلمنا بأن حكومة الاتحاد ترى أن من حقها عقد المعاهدات وحصر التمثيل السياسى فيها وتسلم قضايا السلم والحرب وتنظيم الدفاع وقيادة القوات المسلحة وحماية سلامة الدولة المستقلة ، فإن هذه المادة تضيف أشياء أخرى تجعل النشاط الاقتصادى بأكمله خارج نطاق الجمهورية المستقلة ، وبهذا يصبح الاستقلال وهمياً ولا فائدة منه ؛ إذ تخضع المشاريع الصناعية والزراعية وإدارة المصارف ووسائل النقل والمخابرات ونظام النقد والتأمين وعقد القروض وكل ما يتعلق باستثمار الأراضى واستثمار الغابات ومساقط المياه فى يد حكومة الاتحاد .

وعلاوة على ذلك يسلب من الجمهوريات سلطتها على كل شؤون التعليم والثقافة ، ويسلبها حقها فى التشريع الداخلى الصرف ، إذ تبقى سلطة حكومة الاتحاد هى العليا فى كل ميادين المعارف والصحة ، ويخضع المحاكم والقوانين من مدنية وغيرها حتى قانون الجنسية وإقامة الأجانب وتنقلاتهم لحكومة الاتحاد ؛ هذا مع قرار الاتحاد بأن لكل جمهورية دستورها الخاص بها ، وهنا تهزأ حكومة السوفييت بالعالم حينما تقول :

إن لكل دولة من الجمهوريات المستقلة مطلق الحرية فى أن تنفصل عن الاتحاد السوفييتى .

ومن قبيل تحصيل الحاصل أن يقرر الدستور السوفييتى أنه فى حالة التعارض بين القانون الخاص بأية جمهورية مستقلة والقانون الاتحادى وجب على الحكومة المستقلة تنفيذ قانون الاتحاد ، فلا توجد هيئة عليا كما هو الحال فى الولايات المتحدة الأمريكية للفصل فى تنازع الاختصاص أو تفسير الدستور .

من هذا نفهم ولع الفرنسيين بالاتحادية وأنهم بعد أن قلبوا أنظمة الاستعمار وأساليبه من أمريكية وبريطانية وبرتغالية وهولندية وجدوها لا تشفى غليلهم ووجدوا مع اختلاف الأهداف فى نظام الاتحاد السوفييتى ما يصح الأخذ به والسير عليه ، إذ فيه تأكيد لسيطرتهم وإبقاء لحكمهم .

ولذلك لم نخطىء النظر حينما جاهرنا بأن الأنظمة الاتحادية الفرنسية وفى بلاد السوفييت وما يجول بخاطر الهندوس من إنشاء دولة اتحادية بالهند ، أنظمة وأسس رجعية تعسفية ، حينما يتعلق الأمر بمستقبل الشعوب الإسلامية وحريتها ، لأنها تمطى للاستغلال الاقتصادى والسيطرة والتحكم ثوباً جديداً .

**أحمد رمزى**

# اللغة العامية والحروف اللاتينية

للأستاذ السهمى

ذكرنا حديث الاستاذ البارع (الجاحظ) فى الرسالة (٧٢٦) ص (٦٢٦) عن قصة هذه العامية ذات العمى والبكم والصمم بمقال فائق للعلامة اللغوى الكبير الشيخ ابراهيم اليازجى ترجمته أو عنوانه (اللغة العامية واللغة الفصحى) كتبه سنة (١٩٠٢) مظهراً فيه نيات أبناء (جُنْبُل) الخبيثات المخيفات ومذكراً ومنذراً. وقد رأيت أن أروى فى (رسالة العربية) الهادية الكريمة جملا من ذلك المقال المحقق المحكم وهو أكثر من ثلاثين صفحة. وليعلم من يتجاهل أو يجهل أن الذى نزّل وحفظ قرآنه، حافظ أبد الأبيد لسانه.

قال الشيخ ابراهيم اليازجى:

« نشر بعضهم من سنوات رسائل متتابعة يدعو فيها علماء العربية وكتابها إلى استبدال اللغة العامية من اللغة الفصحى واعتمادها فى الكتب والجرائد وغيرها ورسم لها حروفاً جديدة تكتب بها هى الحروف اللاتينية ... وقد انتهى إلينا بعض ما نشره من تلك الرسائل وفيه أمثلة من حكايات وغيرها باللغة العامية المصرية كتبها بالحروف المذكورة فكانت نوعاً من الكرشونى. (١)

وإذا قرئت جاء لفظها أشبه بلفظ رجل افرنجى يتعلم العربية ولا سيما فى أمر الحركات التى عبر عنها بأحرف المد فاذا نطق بها العربى توهم سامعه أنه يقلد كلام أحد الإفرنج المقيمين فى هذه الديار. وأغرب من ذلك أنه زعم أن تعلم هذه الحروف أسهل تناولا على الأمى من أبناء مصر وأنها أفضل ذريعة لتعميم القراءة فى القطر ... »

« ... على أن الأمر طوى من ذلك الحين ولم يصادف من أحد اهتماماً إلى أن ظهر فى هذه الأيام كتاب ألفه المستر (ولمور) أحد قضاة محكمة الاستئناف الأهلية على الطريقة المذكورة جمع فيه ما تسنى له من قواعد اللغة العامية المصرية على وجه يقرب من الأجنبى تناولها والتكلم بها ...

« .. ولكن المؤلف وبعض اخوانه ممن علقوا التعاليق وممن قرظوه فى جرائدهم لم يقفوا عند هذا الغرض من صنيع المؤلف ولكنهم ذهبوا إلى ما وراء ذلك من وجوب نسخ اللغة الفصحى فى البلاد واحلال اللغة العامية مكانها مع كتابتها بالحرف اللاتينى على مثل ما ذهب إليه صاحب الرسائل المقدم ذكرها. »

« ... ويؤخذ من كلام المؤلف وبعض الجرائد الإنكليزية فى القطر الإيماء إلى لزوم ادخال هذه الطريقة فى المدارس أى مدارس الحكومة مع جعل التعليم اجبارياً بحيث أنه لا يمضى زمن قصير حتى يعم استعمالها فى البلاد وتكون الضربة القاضية على اللغة الفصحى وأسفارها ... (١)

« ... ولكن ذلك (الفرق بين العامية والفصحى) وهم دسه على أولئك القوم الجهل بلغة البلاد؛ لأنهم لو كانوا يعرفون العربيـة كما يعرفها أهلها لعلموا أن معظم الفرق بين اللغتين مقصور فى الغالب على اهمال علامات الإعراب من اللسان العامى بحيث أصبح مسموع اللفظين متبايناً على الجملة. الا أن هذا إنما تتنكر به اللغة فى سماع الأجنبى لا فى سماع أهلها ... ومن أعظم الشواهد على ذلك أن فى العامة من يقرأون ويسمعون الجرائد وكتب الروايات والأقاصيص الحديثة والقديمة من مثل سيرة بنى هلال وعنترة وألف ليلة وليلة وغيرها ويفهمونها ويروونها مع أن جميعها مكتوبة باللغة الفصيحة ... »

قلت: يدل كلام الشيخ ابراهيم على أن العامة فى مصر كانوا يفهمون اللغة الفصيحة سنة (١٩٠٢) فهل تقهقروا، هل تأخروا هذا التأخر الفظيع فى الفهم والرواية سنة (١٩٤٧) — بعد هذا الدهر الطويل وبعد هاتين الحربين المدهشتين، وبعد أن تبدلت الأرض غير الأرض والسماوات — حتى تقول رجال الاذاعة فى العامة والمساكين مقولتهم التى أشار إليها الأستاذ الالمعى (العباس) فى الرسالة ٧٢٧ ونقدها محسناً ومصيباً.

أيتها الحكومة المصرية، حرمى حرمى فى داريك: دار الاذاعة ودار التمثيل وغيرهما من الدور اللغة العامية؛ إنك إلا تفعلى تحرجى ... (٢)

« ... وأما مسئلة الكتابة وعدم وجود صور لأصوات الحركات فى رسم الهجاء العربى فما لا يبالى به بالقياس إلى الأمة نفسها إن كان النظر إليها مجرداً ... إن للحركات عندنا مقادير لا تتعداها فاذا رسمت بالحروف كما هو الشأن فى اللغات الأوربية

(١) هو العربى المكتوب بالحرف السريانى (الضياء)

(١) قلت: لقد تفاحشت نيتهم المستفظعة. غمر البحر جزيرتهم!!

(٢) (إنك إلا تفعلى تحرجى) شطر بيت للعرجى (تحرجين) تأثمين

جاء لفظ الكلمات منكراً ، وربما التبس بعضها ببعض فلم يبق فرق بين سلم مثلا وسالم وسليم إذ يكون بعد السين ألف وبعد اللام ياء فى الشكل ، وقد يجىء ما هو أنكر من ذلك كما فى مثل قتل وقاتل لما هناك من الاختلاف الفاحش فى المعنى ، وحينئذ لا يبقى غنى عن وضع علامات تميز الحركة من الحرف فعاد الأمر إلى الشكل وهو يغنى وحده بدون الحروف . وذلك فضلا عما فى التزام التحريك فى الرسم سواء كان بالحرف العربى أم اللاتينى من إطالة هجاء الكلمات واقتضاء الكتابة زمناً أطول إلى ضعف آخر فى الأقل . فجملة ما يقال إن الحركات فى العربية لا تكتب إلا بصورة حركات لأن لفظها ليس لفظ الحروف الكاملة ولا هى داخلة فى بنية الكلمات وإنما الغرض الأصلى منها الانتقال من مقطع إلى مقطع ، لكن غاية ما هناك أنه يمكن استنباط طريقة تمكن الطالع من وضع الحركات على وجه أسهل ؛ وحينئذ لا يشكل إلا الحرف الذى يمكن التباسه ولو على الأجنبى » .

« بقى أنه على تقدير خروج هذا الرأى إلى الفعل فان ما يتخلص منه الأجنبى يقع فيه الوطنى بل يقع فى أشد مضضاً منه على ما سنذكره . ونعنى بالوطنى هنا المسلم الذى هو العنصر الغالب فى البلاد ، فإنه مع تعليمه قواعد اللغة العامية لا يستغنى عن تعلم اللغة الفصحى لإحكام قراءة القرآن وتلقى الحديث وفهم نصوص الشرع المبنية عليهما . ولابد لبلوغ هذه المنزلة من قراءة كتب النحو والبيان واللغة وسائر علوم الأدب . وهذه كلها إن لم يتعلمها فى مدارس البلاد لزمه أن يتعلمها فى مدارس أخرى خاصة أو يدرسها فى منزله وكلاهما لا يستطيعه إلا الأغنياء فضلا عما فيه من المشقة وإضاعة الزمن . وكذلك يلزمه أن يتعلم قراءتين احداهما بالحرف العربى لتلاوة القرآن لأنه لا يجوز له أن يكتبه بحرف أجنبى ... والأخرى بالحرف اللاتينى المصطلح عليه فى البلاد لمطالعة ما ينشر فيها من الكتب والجرائد ولدراسة العلوم العصرية التى يرام كتابتها باللغة والحرف المذكورين [١] على ما أشير إليه فى التأليف [٢] ولا نخال التسليم بذلك كله من الأمور المستسهلة . ومن هنا يعلم المؤلف وغيره أن العربية لا تقاس فى ذلك بالطليانية واليونانية إذ ليس فى هاتين اللغتين شىء من الأمر الدينى الذى أشرنا إليه ، بل فيما حدث أخيراً فى أمر ترجمة الأنجيل إلى اليونانية الحديثة عبرة كافية مع انتفاء المحذور الذى ذكرناه. وبقى وراء ذلك كله ما يترتب على هذا الانقلاب من الخسران الجسيم بضياع ما لا يحصى من كتب العلم والتاريخ وغيرها بحيث يتعذر نقل الكتب بأسرها إلى الحرف الجديد ولا يبقى سبيل للأعقاب إلى تناول ما فيها إذا تغير الحرف الذى يقرأون به » .

« ولذلك فالذى نراه لواضعى هذه الطريقة أن يقتصروا فيها على تعليم الأجنبى لغة البلاد ولا يتجاوزوا إلى ما وراء ذلك من شؤون الأمة فإن محاولة هذا الاحداث فيها ليس فى شىء من الحكمة ولا هو من الأمور التى يساعدها الامكان »

قلت : قد كان لقوم دنلوب فى أيام الشيخ سلطان فعبر فى الجمل الأخيرة عن مراده بهذا التعبير ، والمقصود متضح ، وفحواه أن الإقدام على هذا الاجرام سيدفع الأمة إلى الثورة . وإنا لنعلن أن من يثورون على أجنبين أو أجنبيين وكافرين يريدون سوءاً بلغتهم ، ولغة بلادهم ، ولغة آبائهم وأجدادهم ، ولغة آدابهم ، ولغة علومهم ، ولغة دينهم ، ولغة قرآنهم ، ولغة نبيهم — إن من يثورون على ذلك العدو اللمين سيثورون على عربيين مصريين، وعلى مسلمين مؤمنين ، وعلى أولياء وقديسين ، وعلى من هم فوق الأولياء والقديسين إن أرادوا أن يكيدوا لهذا اللسان المبين كيد الدنلوبيين .

[ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، ولو كره الكافرون ]

صدق ( الكتاب ) ومنزله

روى كلام اليازجى عن ( ضيائه ) : **السهمى**

---



---

(١) أى اللغة العامية والحرف اللاتينى.

(٢) يعنى الشيخ كتاب المستر ( ولمور ) وهو المقصود بقوله ( ومن هنا يعلم المؤلف )

# الفلاسفة الاسلاميون
## بين المعتزلة والأشاعرة

للاستاذ علي مصطفى الغرابي

هذه هى المدارس الثلاث « مدرسة المعتزلة والفلاسفة الإسلاميون والأشاعرة » التى حملت لواء التفكير العقلى للثقافة الإسلامية تحت ظل الإسلام وفى كنفه ، ثلاث مدارس كبرى لها مجهود جبار أخرج لنا هذا الكنز الثمين للثقافة العقلية الإسلامية. وكانت غاية هذه المدارس الثلاث واحدة، وهى الوصول إلى معرفة موجد هذا الكون ، وعلاقة موجده به ، وإلى تعليل وقوع الخير والشر فيه ، وكذا علاقة الانسان بهذا الموجد ، وإلى أى مدى تمتد قدرة الانسان ، وهل للانسان استقلال بأفعاله أو هو مظهر من مظاهر قدرة الله لا غير ، ولا شأن له فى نفسه .

هذه هى المشاكل التى تعرضت لها هذه المدارس ، واختلفت حلولها لها تبعا لاختلاف مناهجها فى الوصول إلى هذه الغاية . وبمقدار قرب المنهج الذى سلكته كل واحدة الوصول إلى غايتها أو بعده من منهج الأخرى كانت أوجه الشبه بينهم قربا وبعداً .

ولأجل أن يكون حكمنا صحيحاً يجب أن نتعرف نشأة كل واحدة باختصار لنكشف عن بيئاتها التى كان لها التأثير على ثقافاتها ، لهذا سنضطر إلى الكلام على نشأة كل واحدة باختصار ولنبدأ أولا بمدرستى المتكلمين لاتصال حياتهما الثقافية اتصالا وثيقاً

**نشأة المعتزلة :**

فى درس الحسن البصرى الذى جلس يلقى دروسه الشفوية الجامعة بين أصول الدين وفروعه ، وبين الدين من جانب ، والسياسة من جانب آخر فى مسجد البصرة ، ومن بين تلامذته ، وفى أواخر القرن الأول الهجرى وأوائل الثانى منه ، نشأت فكرة الاعتزال ، أو بذرت أول بذرة لهذه الدوحة العظيمة التى صارت فيما بعد مدرسة كبرى من مدارس الثقافة الاسلامية

كانت هذه الفكرة فى أول أمرها بسيطة ، خلاف قام بين الأستاذ وتلميذه ( واصل بن عطاء ) على مرتكب الكبيرة من المسلمين حين جاءه رجل يسأل عن شأن مرتكبها — حيث كانت هناك طائفة تقول « بكفره » وهم الخوارج وأخرى تقول بإيمانه — وهم جمهور المسلمين — وثالثة تركت أمره إلى الله سبحانه ولم تحكم عليه بإيمان ولا كفر ، وقبل أن يجيب الحسن البصرى أستاذ واصل والذى كان يسمى صاحب الكبيرة « منافقاً » أجاب واصل بأنه « فى منزلة بين المنزلتين ، فليس بمؤمن ولا كافر ، لأنه لم يجمع كل أجزاء الإيمان حتى يكون مؤمناً ، ولم يفقد كل أجزائه حتى يكون كافراً ، فالأولى أن يسمى ( فاسقاً ) لا مؤمناً ، ولا كافراً ، ولا منافقاً ، — وسيبقى هذا الرأى أصلا من أصولهم المجمع عليها . وعندئذ قام واصل إلى اسطوانة من مسجد البصرة وأخذ يقرر على بعض زملائه من تلامذة الحسن بعض أفكاره ، ويقال إن الحسن لما رأى منه ذلك قال . « اعتزلنا واصل » فسموا ( معتزلة ) لهذا ، وهناك آراء أخرى فى تعليل اطلاق هذا الاسم عليهم ، فى هذا الوقت لم يكن واصل يفكر أن خلافه هذا مع أستاذه سيكون مدرسة من مدارس الاسلام الكبرى وأنه سيتفرع منها مدارس أخرى — على حسب التأثير الذى تأثرت به كل مدرسة من الثقافات الأجنبية المختلفة ، حتى أصبحت طبقات هذه الطائفة ( المعتزلة ) عشرين طبقة بينها خلاف فى بعض الفروع هو أساس تفرقها ، وإن كانوا جميعاً على أصول سنذكرها فيما بعد .

وإذا بحثنا عن منشأ هذه الفكرة — فكرة مرتكب الكبيرة — نجد أن الخلاف السياسى الذى قام بين المسلمين بعد قتل « عثمان رضى الله عنه » هو السبب فى وجودها حيث أخذت كل طائفة تخطىء الأخرى معتقدة أن الحق فى جانبها ...

إذن كانت مهمة هذه المدرسة فى أول نشأتها الدفاع عن رأى سياسى سببه الخلاف بين المسلمين ، ولما مرنت هذه المدرسة — وبعبارة أخرى مرن أصحابها — وآنست من نفسها القدرة عليه ، وعلى الجدل ضد الخصوم — وإن كانوا من طوائف أخرى لا تدين بدين المسلمين — لما مرنت على هذا قامت بواجبها بجانب الجيش الذى يدافع عن هذه الدعوة الإسلامية بالسيف ، ولكن كان دفاع هذه الطائفة بالحجة والدليل ، دخلت أمم كثيرة تحت لواء الإسلام ، وكانت هذه الأمم أصحاب عقائد دينية وثقافات فكرية ولهم شبه : إما نشأت فى دينهم الجديد وبقيت معهم بعد إسلامهم ، وإما نشأت من مقارنة دينهم الجديد بدياناتهم التى ورثوها عن أسلافهم . ومن يقوم بالدفاع والإجابة على هذه الشبه ؟ قام بهذا المعتزلة ، وأبلوا فى هذا بلاء حسناً ، ولهذا سنجد من

أصولهم التي لا بد منها لمن يستحق أن يلقب بلقب بـ « معتزلى » ( مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ) . وأظن أن هـذا المبدأ لم تـكن له هذه القيمة وهذا الشأن عندهم إلا من وظيفتهم هذه ! ولـكن متى يكون الجيش المدافع قويا أمام من يهاجمـه ؟

حينما يكون مسلحاً — طبعاً — بسلاح خصمه ، ولقد كان هذا الخصم مزوداً بالفلسفة الأغريقية التى كانت قائمة على الجدل المنطق المنظم والعقـل الحر ، والتى انتفعت بها جميع الأمم على اختلاف أجناسها وعقائدها ، فبينما نجد اليهود — من عهد فيلون — الذى عاش مابين سنة أربعين قبل الميلاد وأربعين بعده ، قد مزجوا الدين بالفلسفة حتى ادعوا أن الفلسفة الأغريقية والديانة الموسوية من أصل واحد ، إذ بنا نرى الأفلاطونية الحديثة التى بدأت بتاريخ أفلوطين المتوفى سنة ٢٧٠ م ، تمزجها بالدين المسيحى مزجا ، وإذا بالنساطرة واليعاقبة الذين ورثوا نظريات هذه المدرسة ( الأفلاطونية الحديثة ) والذين كانوا يقيمون فى بلاد فارس والعراق وسوريا حين الفتح الإسلامى ينكبون على دراسة الفلسفة حتى كانوا واسطة فى نقلها للمسلمين . وسنتكلم فى مقال آخر عن موقف المعتزلة من هذه الفلسفة

علي مصطفى الغرابي

أستاذ فى الفلسفة وعلم الكلام ومدرس بكلية أصول الدين

# منطق الحاجة ...

للأستاذ طاهر محمد أبو فاشا

« عند ما تروج الصناعة ، تدفع السوق رجال الأعمال إلى محاسبة العامل « بالقطعة » فتجاوز هذا طاقته فى سبيل كسب مضاعف يدفع ثمنه من صحته وشبابه :

مؤامرة يدبرها الفقر ، والجهل ... على حساب الصحة العامة ... فليسمع المسئولون » .

ذلك الجهاز الآدمى الذى يدور بقوة الحاجة مجهوداً مكدوداً يوشك أن يعطب حتى يزيته الفقر وتسوطه الحاجة ... فينكفىء على رماد الشباب ، وينطوى على أجر الصحة ، وينبسط على ثمن الرغيف.

فى هذا البلد نماذج كثيرة لهذه الأجهزة الآدمية ... نماذج حية لا تؤجر على العمل ، ولـكن تحاسب على (الإنتاج) . سخرها الفقر ، وتافه الأجر ، وفساد التدبير ، وعقم التفكير ... حتى أصبح العامل آلة مسحورة مسخرة فى هدم شبابه من وجه الأصبوحة إلى فحمة الليل . . فإذا أحس الوهن دافعه بالمنبهات ، وأسكته بالدوافع التى تصرخ فى جوفه وبيته وولده ، ويستجيب شبابه لإرادته ، حتى يأتى اليوم الذى يسقط فيه البطل الفريس ، فيستنجد إرادته ، ويستعدى صحته .. فتخذله الصحة ، ويسلمه الشباب ، وبذوى المسكين ، وينكر من أمره ذلك الفتور ، ولـكنه يخدع نفسه ، ويتحامل عليها ، ويتململ ، ويتمايا ... وهو ماض فى عمله ، يسرف فى صبابة من الحرارة بقيت فى جسمه المنهوك ، ويعانى لدغات الشك ، وتطارده أشباح الرعب والحرمان !

ويذهب ما بقى من هذا العامل إلى الطبيب ، فيطلب إليه هذا ألا يجهد نفسه !

لا يجهد نفسه ؟ !

يا إلهى : كذا يقال للعامل المصدور ، كأنما بيده أن يستريح وأن يجهد ، وكأنه يستطيع أن يكبت صراخ الجوع الذى تصطك به أمعاء عياله !

وهنا يهاجم الخوف الراعب قلب العـامل العليل فى عنف وشدة ، فيخاف يومه ، ويرهب غده ، ويعيش فى جو من الشك ، وترتفع ثقته بالنـاس ، ويلح عليه الإلحاد بالأوضاع ، والـكفر بالحياة ... ثم لا يجد العيان يده التى تنتج الذهب ، وتنال التراب ... وقد تكون يده مبلولة بشىء من المال ، فتجف بعد قليل ، فينظر إلى ما زاد على الحاجة من ملبسه فيستغنى عنه ، ثم يتعلل بالغنى عن الضرورى فيبيعه ، فإذا لم يجد من أخلاقه ما يباع التفت إلى أثاث بيته فتخفف ، ثم باع ما زاد ... ثم ما لم يزد !

صورة أليمة لا نجمع عناصرها من مادة الخيال ، ولـكن ننقلها من « خريطة » الواقع : أعرف بضع حالات من هذا النوع فى هذا البلد ، وما أعرفه ليس كل ما هو كائن ... فما ذا فعل الناس من أجل الناس ، بل ما ذا فعلوا من أجل أنفسهم فى وقت يثير فيه البيناوات حروب الأوضاع والأشكال ؟ !

أجيبوا أيها المسلمون الذين يؤدون زكاة الصحة والمال ! !

طاهر محمد أبو فاشا




# أنا وكيل نيابة . . . !

أعيذ فطنتك أيها القارىء أن تحسبنى ظفرت فجأة بهذا المنصب الخطير الذى يجعل لى من السلطان أن أقبض على من أشاء فى أى وقت أشاء ، فما كنت وربك إلا صاحب هذا القلم المتواضع وصاحب هذا المنظار اللعين الذى يأبى إلا أن يقع بى على ما لست أحب ... ولكنه عنوان اقتضاه المقام

هذه مواقف ثلاثة من مواقف التحمس ، ولكنه تحمس رسمى والعياذ بالله ، فيه قبض وتحقيق وحبس ، أو هكذا ظهر لى ولمن شهده من الناس . ولقد سمعت هذه العبارة التى جعلتها عنواناً لكلمتى هذه بنصها وحروفها فى كل من هاتيك المواقف الثلاثة

شهدت الموقف الأول وسمعت هذه العبارة وهممت أن أكتب ولكنى آثرت العافية وأنف المنظار فى الرغام ؛ ثم لم يكد يمضى يومان حتى وقع منظارى على الموقف الثانى وسمعت نفس الكلمة ، فجمعت أطراف شجاعتى ، ولكنى ما كدت أشرع القلم حتى عدت فآثرت العافية واستعذت بالله من الشيطان الرجيم ... ويأبى منظارى اللعين إلا أن يرينى الموقف الثالث حيث سمعت العبارة بنصها ، وعندئذ لم يبق لى إلا أن أشهد على نفسى بالجبن أو أكتب ، فآثرت الثانية ، فوالله للضر مع الشجاعة خير من العافية مع الجبن . وما كانت العافية لتدوم يوماً لجبان ...

أما الموقف الأول فكان فى عاصمة إحدى المديريات ، وهناك سيارة عامة كبيرة ، لا يريد سائقها أن يبرح بها مكانها إلا أن تمتلىء بالركاب حسب العدد المقرر ، ولم يكن ينقصه لتمتلىء إلا ثلاثة أو أربعة ؛ وجاء شاب حدث فى نحو الخامسة والعشرين يخطر فى مشيته خطرة من يريد أن يشعر الناس بعظم مكانته ، وكان الوقت موعد الانصراف من الدواوين ، فما أن وضع رجله على سلم السيارة ليركب حتى أهاب بالسائق أن ينطلق بالسيارة ثم أثبت فى وجهه نظرة حادة إذ رأى منه شيئاً من عدم المبالاة ؛

ورد السائق بقوله « حاضر لما يتم العدد » ؛ وثار الشاب وصاح بالسائق : « هيا . اسمع الكلام » ؛ ولم يزد السائق على أن ينظر إليه متعجباً ؛ ودق الشاب بيده على زجاج السيارة وهو يقول فى تحمس شديد « أتدرى من يكلمك ؟ أنا وكيل النيابة الـ ... » وقال السائق وقد داخله شىء من الرهبة « يا سيدى حاضر كلها نفرين أو ثلاثة »

ووثب الشاب من مكانه ونادى أحد « الكنستبلات » وأمره بالقبض على السائق معلناً له وظيفته . وما كان أشد عجب هذا الشاب وعجب الركاب والسائق قبلهم جميعاً بالضرورة حين سمعوا هذا الشرطى يقول « وإيه يعنى وكيل نيابة ! » ... وكأنما سرت هذه الكلمة عن الناس فانبعثت ضحكاتهم على الفور عالية مجلجلة ...

ونادى الشاب وقد بلغ حنقه غايته أحد العساكر ، وكان هذا يعرفه فأسرع نحوه وحياه التحية العسكرية فأصدر إليه أمره بالقبض على « الكونستابل » بتهمة إهانة النيابة وسبقهما إلى مقر التحقيق ونجا السائق المسكين . وهكذا مصائب قوم عند قوم فوائد.

وأما الموقف الثانى فقد شهدت شاباً كذلك يثب فى أول ميدان باب الخلق فيدرك الترام ويتعلق به ، ثم يقف بباب الحريم لا يتزحزح ولا ينحرف ، يميل طربوشه ويبرز طرف منديله فيتدلى على صدره ، ويضبط ربطة عنقه ويصف شعر فوديه ، ويرسل النظرات الحادة إلى داخل المكان ، حتى جاء المحصل فنبهه فى هدوء إلى ما لا يحمد من وقفته هذه ، فقال فى غضب وعنف وتحمس شديد « موش شغلك . . أسكت » ؛ ونفخ المحصل فى زمارته متحمساً كذلك فوقف الترام ؛ واشتدت حماسة المحصل واستغنى عن التلميح بالتصريح . وجن جنون ذلك الشاب ونزل وأمسك بذراعه وهو يقول « أتدرى من تكلم .. أنا وكيل نيابة » ... وأخذ المحصل شىء من الخوف إذ أشار هذا الشاب إلى أحد العساكر ليقبض عليه . وتدخل بعض الناس ، وقبل الشاب بعد لأى شفاعتهم وترك المحصل قائلا له فى كبرياء الظافر الذى يعفو عن قدرة « أما بارد قليل الأدب ، صحيح » ... وتعلق المحصل بالترام وهو يقول إذ يدق كفاً

فادة الاصلاح فى القرن الثالث عشر :

# الشيخ شامل

## زعيم القوقاز وشيخ المجاهدين

للأستاذ برهان الدين الداغستانى

[ تتمة ]

ولما أبى الشيخ شامل التسليم اقتحم الروسيون الحصن من الخلف ، واستطاعوا التسلل إلى داخله ، فانسحب الشيخ شامل إلى مسجد الحصن وواصل القتال . وهنا طاب الروسيون منه التسليم للمرة الثانية ، ووعدوه — إن هو سلم نفسه — أن يسلموه هو ومن معه إلى خليفة المسلمين فى القسطنطينية من غير أن يصيبهم أذى .

وكان لهذا العرض الأخير فعل السحر فى نفوس المجاهدين من إخوان الشيخ شامل ، فألان من جانبهم ، فأخذوا يحبذون التسليم ، ويلحون على الشيخ شامل أن لا يفوت هذه الفرصة النادرة ، فنزل الشيخ شامل على إرادتهم ، وسلم نفسه مع نحو عشرين شخصاً من صادق أعوانه إلى القائد الروسى الجنرال « باريبا تنسكى » كان ذلك فى اليوم الثامن من شهر صفر سنة ١٢٧٦ هـ ( ٦ سبتمبر سنة ١٨٥٩ م ) .

وبذلك انتهت هذه الثورة الاصلاحية الوطنية التى استمرت أكثر من ثلاثين سنة ، ونقل الشيخ شامل ومن معه من أعوانه وأهله وعياله إلى « بترسبورغ » — لينغراد — عاصمة القياصرة المقدسة ، وقابل قيصر الروس إسكندر الثانى ، فرحب به القيصر وأكرم وفادته ، وأمنه وجميع من كانوا معه على نفوسهم . إلا أنه — على الرغم من الوعد الذى أعطى للشيخ شامل قبل أن يسلم نفسه — لم يسمح له بالسفر إلى خارج الحدود الروسية وألزمه بالإقامة فى مدينة « كالوغا » مدة ، ثم نقله إلى مدينة « كييف » وظل على هذه الحال نحو عشر سنين .

١٠ — كان الشيخ شامل لا يفتأ يطالب قيصر الروس اسكندر الثانى بانجاز الوعد الذى وعد به قبل أن يسلم نفسه بتسليمه إلى خليفة الإسلام والمسلمين ، ولكنه لما طال به الأمد ، ولم يجد أذناً صاغية . بعث إلى القيصر يطلب منه أن يسمح له بالسفر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ، وبعد أخذ ورد . قبل القيصر أن يأذن لشامل وأصحابه بالسفر إلى الحجاز عن طريق القسطنطينية .

---

بكف « أأنا البارد القليل الأدب؟»

ولست أدرى أكان ( صاحبنا ) كما ادعى وكيل نيابة حقاً أم أنه يهوش بذلك على الناس ؟

ويأتى بعد ذلك ثالث المواقف أو ثالثة الأثافى ؛ فنحن فى سيارة عامة فى أحد شوارع القاهرة ، ليس فيها إلا من هو ذاهب إلى عمل أو حريص على ميعاد . وكان فى المقعد الأمامى شاب كذلك تبدو عليه سيماء الهدوء والرزانة فطلب إلى السائق الوقوف بالسيارة لينزل ، فقال السائق « ما فيش محطة هنا » فقال الشاب « محطة إيه ؟ إسمع . نزلنى » ؛ ولم يسمع السائق ولم يقف ؛ فصكه الشاب على صدره صكة جمع فيها كل تحمسه وأفرغ كل غيظه وهو يقول « استنى يا حمار »

ووقف السائق سيارته والتفت نحو الشاب وفى وجهه مثل نظرات الجنون ، فقال له الشاب « إوع تتكلم ... أتدرى من أنا ؟ أنا وكيل نيابة ... تعرف شغلك بعدين »

ووقف المحصل بينهما يخشى أن يفضى الأمر إلى شر خطير والسائق يقول إفرض انك حتى رئيس نيابة ... تضرب الناس بدون سبب ؟ » والركاب يتفرجون وما فيهم إلا من ضاق ذرعاً بهذا الصلف وبهذه الوقفة التى لا يدرى أحد متى تنتهى ؛ وأحسست أنا ثلاثة أمثال ضيقهم وقد شهدت المنظر ثلاث مرات

وكان السائق هو القابض هذه المرة ، إذا أنه لم يجد متنفساً لغيظه إلا أن يقسم يميناً بالطلاق ألا يدع هذا الأفندى إلا فى القسم ولو قطعت رقبته ... ولم يبق محل لشفاعة الشافعين ، بعد أن نطق السائق بهذه اليمين . ومضيا معاً إلى القسم ، ومضينا نحن الركاب يبحث كل منا عن وسيلة أخرى يصل بها إلى حيث يريد

وبعد فأنا أؤكد لك أيها القارىء أنى لم أزد شيئاً على ما شاهدت ، وإلا فإنى مستعد أنا الواضع اسمى أدناه لأن أتلقى قرار القبض على بتهمة أنا والله منها برىء وهى « إساءة استعمال قلمى أو على الأصح منظارى ...

الخفيف

وفى سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م أى بعد عشرة أعوام من تاريخ التسليم خرج الشيخ شامل من الحدود الروسية، وجاء القسطنطينية ولقى من السلطان عبد العزيز خان خليفة المسلمين ما هو جدير به من الإعزاز والتكريم ، ثم واصل سفره إلى الحجاز لأداء فريضة الحج .

وهناك ما يبعث على الظن بأن الشيخ شاملا عرج — فى طريقه إلى الحجاز — على مصر، وأنه شهد حفلات الخديو إسماعيل التى أقامها بمناسبة افتتاح قناة السويس ، أو شهد بعضها على الأقل، ولقى من الخديو إسماعيل ترحيباً عظيما ، وتقديراً كبيراً .

وبعد أن وصل إلى الحجاز وأدى فريضة الحج فى أواخر سنة ١٢٨٦ هـ اختار المدينة المنورة للاقامة، واتخذها موطناً لسكناه ولم تطل إقامته فى مدينة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فقد فارق هذه الدار الفانية ، وانتقل إلى جوار ربه ، قبيل غروب شمس يوم الأربعاء ٢٥ من ذى القعدة سنة ١٢٨٧ هـ ( ٢٨ مايو سنة ١٨٧٠ م ) ودفن فى البقيع بجوار قبة العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم .

١١ — مات الشيخ شامل بعد أن عاش نحو خمسة وسبعين عاماً ، وبعد أن ملأ الدنيا دوياً ، ونشر قضية بلاده أمام الرأى العام العالمى، وجعل العالم كله يتحدث عن القوقاز وقضية القوقازيين، وإذا كان لم يستطع أن يصل ببلاده إلى ما كان يرجوه لها من الاستقلال والتقدم ورغد الحياة ، فإنه بذل كل ما ملك ، ولم يأل جهداً ، ولم يدخر وسعاً حتى انتقل إلى جوار ربه راضياً مرضياً ، ولكن أثر جهاده وتضحياته ظل خالداً ، وأثمر ثمره ، فقد تنبه الروسيون لما يعانيه أهل القوقاز من المصاعب والمتاعب وما هم فيه من سوء الحال ، وعلموا أن للقوقازيين وللقوقاز قضية لا بد من النظر إليها بعين الاعتبار .

وقدر الروسيون جهاد شامل وبسالته ، فأنشأوا فى « تفليس » عاصمة القوقاز العامة متحفاً عاماً لآثار القوقاز والقوقازيين وأودعوه كل ما عثروا عليه من آثار الشيخ شامل ، كالأسلحة التى كان يحارب بها والأعلام التى كان يحملها جنوده وقواده ، وبعض الوثائق والمستندات التى تبودلت بينه وبين القيادة الروسية فى القوقاز . وكان هذا المتحف ، فى الجملة ، مشتملا على كل ما وجد من آثار شامل .

وقد زار هذا المتحف ووصفه أحسن وصف سعادة رشاد بك المستشار بالمحاكم الأهلية المصرية قبل الحرب العالمية الماضية فى كتابه « سياحة فى روسيا » الذى نشره مقالات متفرقة فى « المؤيد » ، ثم جمعها فى كتاب .

وبعد الانقلاب الشيوعى فى سنة ١٩١٧ م واستتباب الأمر للشيوعيين ، وجهوا نظرهم إلى القوقاز ، وأنشأوا فيه أربع جمهوريات كان أحد هذه الجمهوريات الأربع جمهورية داغستان . وهى جمهورية ذات استقلال ... ذاتى فى شئونها الداخلية ضمن نطاق اتحاد الجمهوريات السوفياتية العام ، وكان من أهم ما عنيت به هذه الجمهورية الناشئة أن أسست متحفاً خاصاً بالشيخ شامل فى مدينة « محاج قلعة » جمعت فيه كل آثار هذا المجاهد المظيم ، والبطل الوطنى المخلص .

ويرى زائر هذا المتحف الآن أعلاماً بالية عليها كتابات عربية واضحة مثل : « لا إله إلا الله . محمد رسول الله » و« نصر من الله وفتح قريب » وما أشبه هذا مما كان يكتب على أعلام الشيخ شامل . كما يرى الكتب والرسائل التى تبادلها مع الروسيين وهى مكتوبة بالخط العربى واللغة العربية الفصحى .

ويرى إلى جانب ذلك كله قطع الأسلحة ونماذجها المختلفة مما كان يستعمل إبان الثورة الداغستانية التى حمل رايتها الشيخ شامل أكثر من ربع قرن . رحمه الله رحمة واسعة ، وأحسن إليه ، وبل ثراه بفيض من رضوانه .

**برهان الدين الداغستانى**

---

# ذكريني

للشاعر إبراهيم محمد نجا

إلى «الواحة» التي فارقتها نزوعا إلى الجنات الوارفات، والروضات الظليلات، فلما أخفق مسعاي، عدت أبحث عنها في صحراء الحياة، فما وجدت لها أثراً!

ذكريني فقد نسيت حياتي	حين ماتت في مهدها أمنياتي
وأعيدي لي الغناء؛ فقد صر	ت حزيناً مستغرقاً في شكاتي
إن أتى الليل، فالسهاد موافٍ	أو بدا الصبح، فالملال مواتِ
سئمت نفسي الشكاة، وضجت	من لهيب الحرمان والحسرات
ومشى في دمى الفناء ودبت	في حياتي أشباح وادي الممات
أدركيني قبل الممات؛ فإني	رغم ما ذقته أحب حياتي!

كان قلبي يعيش عيش الحيارى	يقطع العمر هائماً في الصحارى
ظامئاً يتبع السراب، فطوراً	يتراءى، وتارة يتوارى
ظل حيران مقفر العمر حتى	نضّر الله ليله والنهارا
فتجليتِ واحة تنضح الظـ	ـلّ ونبعاً يشفي الصدى والأوارا
فهفا نحوك الفؤاد مشوقاً	كالمحب الغريب وافى الديارا
فإذا فيك كل ما كان يبغي	فيه أيامه مني وانتظارا

عاش قلبي لديك عيشاً رغيداً	يتغنى مع الحياة سعيدا
غير أن الملال غشاه يوماً	فاشتهى أن يعيش عيشاً جديدا
وعنى نهراً كبيراً عميقاً	وسهولاً فسيحة ونجودا
وبساتين يذهب الطرف فيها	أينما شاء لا يلاقي حدودا
فهو ما عاش لا يحس ملالا	أو يرى نفسه تريد المزيدا
هكذا كلف الحنين إلى المجـ	ـهول قلبي ألا يطيق القعودا

فمضى يقطع الفضاء الرحيبا	حينما الشمس أوشكت أن تغيبا
فإذا الواحة الحزينة تبكي	ذلك الطائر العزيز الحبيبا
وتناديه في ابتهال حزين	يجعل القلب موشكاً أن يذوبا:
«عد إلى وكرك الحزين المعنّى	إنه لم يزل أنيقاً رطيبا
كيف ترضى بأن تظل بعيداً	كيف ترضى بأن تعيش غريبا؟
آه قد ضاع في الفضاء ندائي	أيها الغائب الذي لن يؤوبا»

أين تمضي بموكب الآمال	يا شقيق الأوهام، أين الخيال؟
ذهبت حقبة، ومر زمان	بينما لا تزال رهن الرمال
تارة تهبط الوهاد، وطوراً	تتسامى إلى متون الجبال
أين تمضي، وما ظفرت بشيء	بعد طول المسير والترحال؟!
هذه هوة يروح بها المو	ت ويغدو في موكب الأهوال!
فانظر الآن كيف ضيعك الشو	ق إلى عالم بعيد المنال!

أيها القلب قد خدعت خداعاً	حينما همت في الفيافي انتجاعا
وأضعت الشباب مني هباء	أترى ترجع الشباب المضاعا؟
وجعلت الأوهام ينهبن عمري	فغدا بينهن نهباً مشاعا!
عجباً! كيف تترك الماء صفواً	ثم تطوى إلى السراب البقاعا؟!
كيف تمضي وما ترد نداء؟!	كيف تمضي وما تقول وداعا؟!
عد إلى وكرك القديم مشوقاً	قبل أن تمضي الليالي سراعا

عاد قلبي إلى الوراء حزيناً	يقطع البيد باكياً مستكينا
ورد الأوهام عنه فتمضي	ليت قلبي يرد عنه السنينا!
آه! طال المسير من غير جدوى	فاشتهى القلب أن يعود دفينا
وبدا اليأس في الرمال يغني	لحنه الموحش الكئيب الحزينا!
وأظل المساء قلبي، فما تسـ	ـمع إلا نواحه والأنينا!
أيها القلب قد تحيرت حتى	صرت يا قلب في الرمال سجينا!

أنا ما زلت في ربيع الحياة	كيف أرضى بهذه التضحيات؟!
كيف أحيا هنا مع اليأس وحدي	مبعداً عن مطارح الصبوات؟!
كيف أحيا مقيداً بنواحا	تي، وكيف العزاء عن أغنياتي؟!
كيف أسلو التي أظلت حياتي	بظلال من الهوى ساحرات؟!
بين أحضانها وجدت لروحي	مأمناً من مصارع اللهفات
وعلى مهدها استراح شبابي	بعد ما هام في لهيب الفلاة

أين يا ليل واحتي الخضراء؟	أين يا ليل ظلها والماء؟
قد تولى الضياء، وهو أنيسي	كيف أمضي، وقد تولى الضياء؟
أتغنى، فما تفيد الأماني!	وأنادي، فما يفيد النداء!
أسفاً للشباب ماتت لياليـ	ـه، فات الهوى، ومات الرجاء!
أسفاً للحياة أمست فناء	قبل أن يدرك الحياة الفناء!
إنني ها هنا سأدفن نفسي	فاسكبي الدمع، واندبي يا سماء

ابراهيم محمد نجا

# تعقيبات

## المسرحية الشعرية بين شوقي وعبد المطلب :

قال الشيخ محمد رجب البيومى فى الترجمة التى نشرها فى عدد سابق من الرسالة لفقيد الشعر والأدب المغفور له الشيخ محمد عبد المطلب : « وأحب أن أكشف عن حقيقة مطموسة ، فالذائع المشهور أن أمير الشعراء هو أول من كتب الروايات المسرحية الشعرية ، فقد أصدر أولى رواياته ( كليوباترة ) سنة ١٩٢٨ ، ثم أعقبها بعدة روايات مشهورة ، والواقع أن عبد المطلب قد سبقه إلى ذلك بعشرين عاماً ، فقد نظم فى سنة ١٩٠٩ وما بعدها بضع روايات شعرية ذات فصول ومناظر تمثيلية ، وقد جعلها متينة الحوار ، سريعة الحركة ، حسنة المفاجأة ، وكلها عربية بدوية ، تتخذ أسماء لامعة فى تاريخنا الأدبى كالمهلهل وامرىء القيس وليلى المغيفة ... فليت الذين يرجفون بجفاف الشاعر وجوده يلتفتون إلى هذه الناحية ثم يحكمون » ...

وأنا أحب أن أقول للشيخ رجب ، إنه قد تجافى عن الحقيقة فيما كتب ، فإن الشيخ عبد المطلب لم يسبق أمير الشعراء فى هذا بعشرين عاماً ولا بعشرين يوماً ، وإن رواية « كليوباترة » التى أخرجها شوق للناس عام ١٩٢٨ م ليست بأولى رواياته ، بل إن أول رواية مسرحية شعرية أخرجها هى رواية على بك الكبير ، فقد ألفها وهو طالب فى باريس عام ١٨٩٣ م ، ثم طبعها الطبعة الأولى بعد ذلك بسنوات وهو موظف بالديوان الخديوى ، وسماها يومذاك «رواية على بك أو فيما هى دولة المماليك» ، ثم أخرج بعد ذلك الرواية التى عرفت فيما بعد برواية قمبيز ، كما ألف عدة روايات شعرية ونثرية لا أذكر اسمها الآن ، وقد كان لشوق رحمه الله عناية بهذه الناحية القصصية فى صدر حياته ، ثم انصرف عنها إلى القصيد فى فنون الشعر المختلفة ، ثم كان أن رد عليها شيخوخته واستغل فيها المرحلة الأخيرة من حياته مما عرفه الناس عنه ، ولكنهم لم يذكروا فى ذلك جهده الأول .

فشوق ( لاشك ) هو أول شاعر عربى مصرى قد راد هذه الناحية أمام الشيخ عبد المطلب وغيره من الشعراء ، وهو لاشك قد تأثر فى هذا بما وقف عليه فى الأدب الفرنسى ، على أنه ليس بأول شاعر عربى قد نحا هذا النحو فى العربية على الإطلاق ، وغاية ما حققته فى ذلك رواية باسم « المروءة والوفاء أو الفرج بعد الضيق لناسج بردها وناظم عقدها الشيخ خليل اليازجى اللبنانى» وهى رواية أتم نظمها سنة ١٨٧٦ م ومثلها سنة ١٨٧٨م وطبعت الطبعة الأولى سنة ١٨٨٤ م ، قال مقدم الرواية : « ... وهى رواية تاريخية تمثيلية شعرية غنائية دل بها على مقدرته فى النظم وسعة معرفته بالأنغام ، وقد اختار موضوعها من أشهر وقائع ملوك العرب فى الجاهلية وأجدرها بالتمثيل . إذ جمعت يوم البؤس والنعيم وظهر فيها الفرج بعد الضيق ، وقد شخص فيها غوائل السكر وقباحة الظلم وإكرام الضيف وكرم الأخلاق عند العرب ومثل فيها المروءة فى قراد الكلبى والوفاء فى حنظلة الطائى والظلم فى النعمان بن ماء السماء وأظهر بعد ذلك فضائل الدين المسيحى فى فرضه الوفاء وحب الأعداء ولو تحت السيف ... »

والحقيقة التى لا مناص من الاعتراف بها هى أن الشيخ خليلاً قد راد أمام شوق الأخذ بتغيير البحور وتنويع القوافى حسب تنويع الفصول والمناظر ، وهى حسنة يذكرها الباحثون لشوقى ، وإنما صاحب الفضل الأول فيها هو الشيخ خليل اليازجى

وتفكهة للشيخ رجب نقول إن الشيخ اليازجى قد ابتدأ روايته بمقدمة شعرية طويلة عنونها بعنوان « خطبة الرواية » ، وضمنها ذكر الفوائد التى تنطوى عليها الروايات التمثيلية ، وما يجب من الشروط فى تأليفها ، وما ذكره الباحثون فى تقسيمها ، وهى « خطبة » طويلة ابتدأها بقوله :

بحمد الله أخلصت ابتدائى ... ومدح أولى الهدى والأولياء
وبعد فإنما المرآة تبنى ... لوجه المرء إذ هو فى خفاء
وأخلاق الفتى أخفى وجوهاً ... عليه فتلك أحوج للمرائى
فأنشئت الروايات ابتناء ... لهذا الأمر يا خير ابتناء
وتلك بطبعها نوعان : إما ... على التاريخ أو ذات ابتداء
فتاريخية تدعى لهذا ... وإنشائية حسب البناء

وإنشائيـة الثنتين أولى بهـذا القصـد من ذات انتماء
لأن بها المؤلف لم يقيـد بتـــاريخ يراعى باقتفاء
وتاريخيـة الثنتين يبنى بهـــا تمثيل حادثه لداء
ويشرط أن يكون بها ندور لموضوع جـديد باعتـناء
وأن تأتى بقبض أو ببسط لنفس الشاهـدين على السواء
إلى آخر ذلك الشعر الذى هو أشبه بشعر المتون

**الثقافة المصرية والعنصر المصرى :**

وجاء من لندن أن الأستاذ أحمد خاكى وكيل مكتب البعثات أيضاً ألقى محاضرة فى فرع لندن للجمعية الإمبراطورية الملـكية تحدث فيها عن المظهر المزدوج للثقافة المصرية فقال : « إن الثقافة المصرية مزيج من ثقافات متعددة مشتقة من مدنيات كثيرة نهضت فى مصر ، ثم اندثرت بعد أن تركت آثارها فى العادات والتقاليد والفـكر والفن ، وقد تمخضت هذه الثقافة عن نوع من الثقافة اكتسب الروح المصرية برمتها . . ! ! »

ثم تحدث الأستاذ المحاضر عن المصرى المعاصر فقال : « إنه سليل عنصر عريق متغلغل فى عصور ما قبل التاريخ، ولم تستطع العناصر المتعددة التى احتلت مصر أن تقضى على شىء من مظاهره ولا ان تستأصل حبه لوطنه وكراهيته للغزاة والفاتحين لبلاده ! »

قالت الوكالة البرقية التى عنيت باذاعة هذا الـكلام ، « وقد قوبلت بالضحك ملاحظة أبداها المحاضر وهى أن المصريين استطاعوا أن يمتصوا جميع الأجناس التى جاءت إلى بلادهم ماعدا البريطانيين .. ! ! »

وليس من شـك فى أن الثقافة المصرية مزيج من ثقافات متعددة كما قال الأستاذ خاكى ، وهذه حقيقة أصبحت تصدق على جميع الثقافات فى جميع الأمم ، فالثقافة الإنجليزية ، والثقافة الفرنسية ، والثقافة الايطالية ، وجميع الثقافات فى مختلف الأمم كلها أمشاج مختلطة . وعندى أن امتزاج الثقافات لا يتحقق بالغزو والفتح فحسب ، بل هو يتحقق أكثر بالرغبة فى المعرفة واللهفة على تحصـيل العلم ، وبالاختلاط لتبادل المنفعة ، ولولا خوف الإطالة لذكرت عشرات الأمثلة التى تؤيد هذا ، على أن هذا ليس موضع النظر ، بل إنى أقصد إلى الكشف عن الحقيقة فيما يعنيه الأسـتاذ خاكى بقوله « وقد تمخضت هذه الثقافات عن نوع من الثقافة اكتسبت الروح المصرية برمتها » فماذا يريد بالروح المصرية ؟ إذا كان يريد الروح الفرعونية وهو ما يدل عليه كلامه فإن الأمر ليس كذلك ، وليس يستطيع باحث أن يدلل على مظهر هذه الروح فى ثقافتنا الحاضرة ، والحقيقة أن الشعب المصرى القوى بروحه قد امتص الشعب العربى الفاتح ، ولقد زادت مادة هذا الامتصاص عن طاقته حتى انقلبت شخصيته فإذا هى شخصية إسلامية وإذا به يبدو بهذه الروح فى طليعة الشعوب العربية

لقد وقف الشعب المصرى موقف العداوة والمناجزة والنفور من جميع الشعوب التى غزت أرضه واستولت على بلاده . وكانت هذه حاله مع الرومان والفرس والترك والفرنسيين والانجليز إلا مع العرب فإنه لم يلبث أن نظر إليهم نظرة المواطن الأصيل . وسرعان ما اختفت شخصية الشعب المصرى وثقافته تحت شـــدة هذا الاختلاط ، وكان هم مصر أن تجد نفسها فى مقدمة الأمة الاسلامية ، ولقد توالت الفتوح الأجنبية لمصر ولـكنه ظل يغالبها بهذه الروح المكتسبة ، وهى الروح التى يجب أن يعتبرها الباحث الروح المصرية وأن تكون مناط الحـكم فى هذا المقام .

« الجاحظ »

# الأدب والفن في أسبوع

**الموشحات :**

نشرت « الراديو المصرى » حديثاً فى الموشحات الأندلسية للدكتورة سهير القلماوى ، بينت فيه نشأة فن الموشح فى الأندلس ، وتتبعت مراحل تطوره المختلفة ، إلى آخر عهد العرب باسبانيا ، ومما يعد جديداً فى هذا الموضوع ما ذكرته من أثر الموسيقى فى فن التوشيح إذ قالت : « وفى عصر ملوك الطوائف برزت مدينة أندلسية بمنيف أثرها فى الحياة الاجتماعية كلها وفى الناحية الفنية منها خاصة ، تلك هى مدينة أشبيلية بما قد عرف عن أهلها من ميل للفن وما قد شهروا به من إتقان لفن الموسيقى وشغف الشعب كله بها ، وأثرت تلك البيئة المفعمة بالموسيقى فى هذا الفن أبلغ الآثار ، فقد قدمت له فنوناً من التجديد والحياة لم يكن ليعرفها شعر حديث ولا قديم »

وانتقلت بعد ذلك إلى ما نشأ عن هذا التأثر من استئثار الموسيقى بالشعر كما استأثر به فن البديع فى الشرق ، وكلف الوشاحون بالموسيقى حتى أغفلوا المعنى فى سبيلها ، ويبلغ هذا الكلف حد التكلف الذى يميل بالموشح إلى الافتعال والتعسف ليخرج أنغاماً وألحاناً ، ولكن سرعان ما تقوم حركة بين الشعراء لمقاومة هذا التكلف ، فيأخذون من هذا التيار ما قد أتاح لهم من مميزات موسيقية تجد فيها المعانى الشعرية حياة جديدة ، وخاصة فن الغزل لملاءمة طبيعته للموسيقى ، ويزدهر الموشح فى الغزل حيناً ، ولكن قوماً يخرجون به إلى المدح والوصف والهجاء والرثاء وسائر أغراض الشعر ، فيحملونه ما لا يطيق ، ويصل التوشيح بذلك إلى طور آخر من أطوار التكلف ، لأن موسيقاه السهلة اللينة المتجددة تلائم أنواعاً من المعانى دون سواها ؛ ولكن هذه المحاولة تنكشف عن كسب جديد لفن الموشح ، فقد فتحت له آفاق الوصف ووصف الطبيعة بالذات على نحو لم يكن يعرفه الشعر العربى ، وإذا هذه الطبيعة المتقلبة الفائرة بالحياة لا يلائمها إلا مثل هذا الشعر الفائر القوى بموسيقاه ، وتبدأ حركة شعراء الطبيعة منذ ابن سهل قوية ولكنها تشتد وتزداد على الأيام قوة حتى تصل عند آخر شعراء غرناطة ، عند ابن زمرك ، إلى أقصى درجات قوتها وجودتها »

وتتوالى الأحداث على الدولة العربية بالأندلس فتنتزع منها بقاع يشعر الشعراء بالحنين إليها وإلى عودهم فيها ، ويمتزج هذا الحنين بالشعور بجمال الطبيعة ، فينفتح باب من الشعر لا يليق به شىء مثل الموشح . وكأن الدكتورة سهير تضيف بذلك موضوعاً للشعر غير الموضوعات المعروفة عند شعراء العرب والتى يقال إن الأندلسيين لم يخرجوا عنها ، وإنما كان تجديدهم فى الوزن والقافية ، ذلك الموضوع هو الحنين إلى الوطن الممتزج بوصف جمال الطبيعة

وأعود إلى ما بدأت به الدكتورة بحثها من الكلام على أولية فن الموشحات : فقد ناقضت ابن خلدون فى نصه على أن المخترع له هو مقدم بن معافر ، وقالت إن الأندلسيين عرفوا قبله تخميس الأبيات فى آخر العصر الأموى وأول عصر ملوك الطوائف الذى عاش فيه المخترع ، ولكنها لم تأت بمثل لذلك تستند إليه مناقضتها ، ولعلها استخلصت ذلك من أقوال بعض المؤلفين ، وقد ذكر ابن بسام فى « الذخيرة » اسماً آخراً لمخترع الموشحات هو محمد بن حمود العمرى الضرير . على أن التخميس لا يلزم أن يكون توشيحاً .

**لون من الشعر المصرى :**

نشرت « الأهرام » الأبيات التالية للأستاذ محمد الأسمر تحت عنوان « عذراء قنا » :

عذراء من أرض قنا شريفة المحـلة
ألفيتهـا عريانة لم تستتر بحـلة
قبلتهـا فقهقهت ضاحكة من قبلتى
ولم أزل ألثمهـا حتى شفيت غلتى
حبيبتى تلك وما عنيت غير ( قلتى )

وهذه الأبيات الظريفة تمثل الروح المصرية الفكهة ، كما

يمثلها قول الشعبيين فى ( القلة ) أيضاً :

« جايه من الترعة فى الضحك والسكركرة »

« والبوسة منها حلوة زى السكرة »

وكما مثلها منذ قرون الشعراء المصريون من أمثال البهاء زهير وأبى الحسين الجزار والسراج الوراق ؛ ومما يلاحظ شبه أبيات الأستاذ الأسمر بما كان يقوله الشعراء فى تلك العصور فى وصف الأشياء التافهة كقول أحدهم فى مسبحة :

وسبحة مسودة لونها يحكى سواد القلب والناظر
كأننى عند اشتغالى بها أعــد أيامك يا هاجرى

ولقد كان بعض المتصدين لتاريخ الأدب يعيبون هذا اللون من الشعر ، لأنه يقال فى الأشياء التافهة ، وفاتهم أن كل شيء يصلح موضوعا للأدب مادام موضع حس الأديب ومناط شعوره.

**التغزل فى القدم:**

قرأت فى مجلة « آخر ساعة » تحت عنوان « قدم تبتسم » ما يلى :

« تقول فلورا تريستان : لم أر بين الشعراء على كثرتهم من عنى بالتغزل فى قدم محبوبته ... هذا العضو الذى لولاه ما اندفعت صاحبته إليه . ولكن هناك بيتاً واحداً من الشعر قاله فكتور هوجو فى هذا الصدد :

« كانت قدمها تبدو باسمة بالقرب من قدمى »

لقد وجد إذن من تغنى بقدم محبوبته ، ولكن ما أقبح الصورة ! من يتصور قدماً تبتسم ؟ إن نعلا فاغراً فاه قد يستطيع أن يتثاءب ... ولكن القدم لا تبتسم »

وليست الصورة قبيحة ، لأن الشاعر يريد بابتسام القدم أنها مشرقة ناضرة ، والنعل الفاغرة فاها قد يصح تثاؤبها إذا لوحظ فى صورتها التثاقل والتراخى، لأن مدار الاستعارة على ملابساتها، ولكن الصورة ، وإن نفيت عنها القبح ، ليست بشىء

ثم أقول : وكذلك أهمل شعراء العرب التغزل فى القدم ، ولم يخطر ذلك ، فيما وقفنا عليه ، إلا لنصيب بن رباح إذ قال :

تخطو على الأرض، ليت القلب منبسط
تخطو على جانبيه هــذه القدم

إذا مشت تركت أقــدامها أثراً
فوق الثرى كاد مثل الركن يستلم

وهناك شيء مثل هذا ، فى الشغف بالقدم ، ولكنه غزل عملى ، إن صح أن يكون الغزل عملا ؟ ذلك أن المأمون قبل قدم جاريته « عريب » فقالت له : والله يا أمير المؤمنين لولا ما شرفها الله من وضع فمك الكريم عليها لقطعتها .وحلفت ألا تغسل هذه القدم إلا بماء الورد وقالوا إنها برت فظلت حياتها لا تغسلها إلا بماء الورد .

**مصطلحات المجمع اللغوى :**

يتساءل كثير من الناس عن الكلمات العربية التى يضعها مجمع فؤاد الأول للغة العربية فى العلوم والفنون والشئون المختلفة ، وبين هؤلاء المتسائلين من يتهم المجمع بالكسل والتقصير فى مهمته ، وقد يكون لهم العذر فى ذلك ، لأنهم لا يكادون يرون شيئاً من أعماله وآثاره ، ولكن ليس معنى ذلك أنهم على حق فى كل ما يرمون به المجمع ، فهو يعمل وإن كان بطيئاً متوانياً ، فلم تذهب دوراته الماضية عبثاً ، بل أنتج وإن كان نتاجه يجمع إلى القلة العزلة والانزواء .. بدليل أنه لم يصل إلى أولئك المتسائلين لأنه لم ينشر كما يجب أن ينشر ، وخاصة بعد أن توقفت مجلة المجمع عن الظهور من جراء الحرب الماضية ، ولعلها تستأنف الظهور قريباً ، فقد أعدت مواد العدد الخامس ، ويقال إنه قد بدىء بطبعه .

وضع المجمع مصطلحات عربية تزيد على عشرة آلاف مصطلح فى الكهربا واللاسلكى ، والاقتصاد السياسى ، والطب والرسم والموسيقى والطبيعة والكيمياء والهندسة والقوانين وعلوم الأحياء وفن العمارة والشئون العامة . وقد استخدم بعض هذه المصطلحات فى الكتب المدرسية ، وشاع كثير منها فى البلاد العربية حتى إن وزارة العدل العراقية أدخلت مصطلحات القانون المدنى التى وضعها المجمع فى قانونها الجديد ، ولذلك طبعت هذه المصطلحات مستقلة فى كتيب نشرته فى العراق ...

أما مدى انتشار هذه المصطلحات فى مصر فليس يعدو مجموعة منها ( هى ما تم من سنة ١٩٣٤ إلى ١٩٣٩ ) طبعتها وزارة المعارف وتبيعها لمن يطلبها ، وأكثر الناس لا يعلمون بها ، وليس

هناك من الكسب ما يغرى المكاتب ودور النشر بنشرها .

وهناك مصطلحات وضعتها اللجان الفرعية ولم يقرها المجمع بعد ، وقد رأى أن تعرض هذه المصطلحات على الهيئات العلمية المختلفة ، وأن تتلقى اللجان ما يرد من الملاحظات عليها ، وخصوصاً المصطلحات التى وضعتها لجنة المصطلحات الطبية بالمجمع فى علوم التشريح ووظائف الأعضاء والأنسجة وأمراض الجلد وغيرها لأن هذه المصطلحات الطبية التى تبلغ نحو أربعة آلاف مصطلح قد لا يتسع وقت المجمع للنظر فيها ، فيكتفى ببحث اللجنة إياها على ضوء ما تتلقاه من ملاحظات الهيئات العلمية ، للوصول إلى اللفظ العلمى الصحيح ؛ وذلك أن المجمع رأى أن تعرض اللجنة عليه المصطلحات الطبية الشائعة التى تتناولها أقلام الكتاب والأدباء ، أما المصطلحات التى تتعلق بالتفصيلات الفنية فإن لم يتسع لها وقت المجمع يكتفى فيها بعمل اللجنة . ولذلك كتبت اللجنة إلى الهيئات العلمية أنها لا ترى مانعاً من أن يستعمل المؤلفون فى كتبهم هذه المصطلحات بشرط أن ينصوا على نسبتها للجنة حتى لا يظن أنها من قرارات المجمع النهائية ...

**التربية الفنية :**

نشرت « الأهرام » أن وزارة المعارف تعد مرسوماً بإنشاء لجنة استشارية للفنون الجميلة ، تختص بإنشاء متاحف الفنون الجميلة والإشراف الفنى على تنظيمها وتنسيق معروضاتها واقتناء الطرف وحفظها وترميمها ، وتنظر فى سياسة تعليم الفنون الجميلة فى مصر وفى الخارج وتعمل على الاشتراك فيها ، وتقدم الإعانات للجمعيات الفنية لتشجيعها ، وتنشىء الجوائز والمكافآت للفنانين ، وتعمل على حماية الآثار والمواقع التاريخية والمناظر الطبيعية والميادين العامة وما يقام فيها من نصب وتماثيل ومنشئات تذكارية ، وتضع الاقتراحات والرغبات المتصلة بوسائل تشجيع رجال الفنون من أبناء البلاد ، وتربية الملكات الفنية وتهذيب الذوق عند الجمهور .

وهذا البرنامج الضخم يتلخص فى كلمتين هما « التربية الفنية » وليس هذا التلخيص للتقليل ، إنما المقصود حصر الفكرة للدلالة على عظم شأنها ، فتربية الشعب ، جمهوراً وتلاميذ مدارس ، تربية فنية قوامها إبراز المواهب وتمهيد الملكات وترقية الذوق العام ، ليست بالأمر الهين اليسير الذى تستطيع أن تستقل به اللجنة المزمع إنشاؤها بوزارة المعارف ، بل هو يحتاج إلى جهود أكبر من ذلك ، والمأمول أن تكون هذه اللجنة أولى الخطوات فى هذا الطريق ...

إن هذا الشعب تكمن فيه بذور الفن ، وإننى أعتقد أن الإنسان على العموم فنان بالطبع ، فهو إن لم يكن منتجاً ، متذوق لجمال أى ناحية من نواحى الفنون ، وليس أصلح للناس ولا أنفع لهم من استغلال طبائعهم الفنية فى ترقيتهم وتهذيب نفوسهم ...

ومما يؤسف له أن الحياة الفنية أصبحت عندنا فى غاية الاضطراب والفوضى ، تكثر فيها العناصر الدخيلة التى يعوزها الاستعداد أو تنقصها الدربة ، ومن وراء ذلك ملكات مقبورة ومواهب مهملة ...

وإذا كانت الدولة تنفق مبلغاً كبيراً من المال فى استقدام الفرق الأجنبية لترقية فن التمثيل وإرضاء أذواق الطبقة العالية ، فإن الطبقات الأخرى من الشعب لأحوج إلى هذه العناية بدلا من أن تتركها فريسة للمتجرين بالفنون ، الهابطين بها فى سبيل الإثراء وجمع الأموال ...

وأظن أنه قد مضى ذلك العهد الذى كنا فيه نجمل الأحياء التى ينزل بها (الخواجات) ونزين الطرق التى يسلكونها ، وندع المواطنين تقذى الأتربة عيونهم ، وتملأ روائح العفونة أنوفهم ، ويهاجمهم الذباب من كل حدب وصوب . مضى ذلك العهد ولكننا صرنا إلى حال لا يهتم فيها بالأجانب ولا بالمواطنين !

ولا سبيل إلى تهذيب ذوق الجمهور إلا بالنظافة وتعويده على الإحساس بالجمال ، والشعور بجمال المحسّات طريق إلى إدراك الجمال المعنوى ، وهذه هى غاية التربية الفنية المنشودة ، ومن وسائلها تحقيق برنامج اللجنة الفنية التى تنشئها الآن وزارة المعارف والتى نرجو لها التسديد والتوفيق .

« العباس »




**ضمير قلق :**

ذلك هو الضمير الثاني الذي نراه اليوم كثيراً في هذه الجمل (هذه مسئلة لها خطورتها ، وهذا كلام له وزنه ، وهذا فعل له وزنه ) وما إليها ...

فإن الملكية التي تثبتها إضافة الهاء إلى كلمة خطورة ، وكلمة وزن ، وكلمة وزر سبق أن أثبتتها الهاء المجرورة باللام قبل هذه الكلمات ، فاستغنت الجملة بالجار والمجرور عن هذه الإضافة ، التي هي — ولاشك — سقطة سقطها أحد الكتاب المتأخرين فتبعه فيها كثيرون بدون تحرز .

وإلا فماذا ينقص المعنى إذا كتبت الجمل هكذا ( هذه مسئلة لها خطورة ، وهذا كلام له وزن ، وهذا فعل له وزر ) ؟ ؟

لم ينقص المعنى شيء . وما الضمير الثاني المضاف إلا ضميراً قلقاً نابياً ، لا أحسبه عرض لي في كلام عربي قديم . إلا أن يكون قد عرض لغيري من القراء الأجلاء فيتفضل بالإرشاد .

**محمود عماد**

**السيد عدنان يجيب :**

ما نظن السيد عدنان أسعد بقصد الجد بهذه المجادلة العروضية ، فقد طلبنا منه في العدد الماضي من الرسالة أن يأتينا بشاهد واحد من الشعر الجاهلي أو الإسلامي على أن الكف يدخل الوافر وحده أو مع العصب ، فماذا صنع ؟ أعياه أن يقع على هذا الشاهد الواحد في دواوين الشعر الجاهلي والإسلامي فعمد إلى كتب العروض فالتقط منها الشاهد الواحد الذي افتعلوه حين أعجزهم أن يجدوه ، وافتعال الشعر في شواهد النحو واللغة والعروض معروف ، وجاء به فرحاً يقول : « أكتفي بإيراد شاهدين اثنين لا شاهد واحد — وإن توفرت لدينا الشواهد ( ! ) — أما الشاهد الأول فقد قال الشاعر العربي ( ؟ ) :

لسلامة دارٌ بحفيـــر كباقي الخلَق السُّحق قفار

فمن هذا الشاعر العربي ياسيد عدنان ؟ وفي أي عصر كان ؟ وما بقية قصيدته التي منها هذا البيت ؟ وما ميزة هذا البيت على ما ( توفر لديك من الشواهد ) حتى تشرفه بهذا الاختيار ؟

وأما الشاهد الثاني فلم يأت به لا من الشعر الجاهلي ، ولا من الشعر الإسلامي ، ولا من الشعر العباسي ، وإنما أتى به من الشعر المصري ، وهو الذي يخلط فيه أهله بين الهزج ومجزوء الوافر ، وكان التنبيه عليه مثار هذه المناقشة !!

بمثل هذا الجدل يا سيد عدنان ، لا يظهر حق ولا ينحسم خلاف ...

**أمس بين الإعراب والبناء :**

جاءتنا كلمة من بغداد بإمضاء ( محمود شبلي أحمد مدرس اللغة العربية ) يقول فيها :

« نشرتم في الرسالة الغراء عدد ٧٢١ في مقالتكم الافتتاحية في السطر الثامن العبارة الآتية : ( ولا أمسٌ ولا غدٌ ) ولكن ليعلم أستاذنا الجليل ، أن أمس هي ظرف زمان مبني على الكسر ، هذا ما ذهب إليه أكثر النحاة ... وأن معنى كلمة أمس هذه تدل على البارحة . أما إذا دخلت عليها أل التعريف ، فإنها تدل على ما قبل البارحة ، أي على الماضي سواء البعيد أم القريب ، على شرط ألا ينسحب معناها إلى البارحة . وما يؤلمني أن ذلك كيف كان عليكم خافياً وحضرتكم أحد أعلام اللغة العربية في القرن العاشرين ... » .

نقلنا كلام الأستاذ المدرس بنصه ورسمه لتطمئن حماة العربية على أنها لا تزال والحمد لله بخير ! وبحسبنا أن ننقل للأستاذ المدرس ما يعرفه المدرسون جميعاً من حكم أمس : أمس ظرف زمان ؛ فإذا أريد به اليوم الذي قبل يومك بليلة بني على الكسر ؛ وإذا أريد يوم من الأيام الماضية ، أو كسِّر ، أو صغِّر ، أو دخلته ال ، أو أضيف ، أعرب بإجماع . تقول آماسٌ ، وأميسٌ ، وليس للمجنون أمسٌ ولا غد ، وأمسُ العرب خير من يومهم

**إلى الأستاذ علي الطنطاوي :**

هالتك ياسيدي الفاضل حالة مصر الاجتماعية فأرسلت إنذارك مدوياً كالصاعقة مزمجراً كالإعصار ؛ هالك ياسيدي هذا التفاوت

الـكبير بين البشر فى مصر فى نظرة عامة فـكيف بك لو عرفت تفاصيل الجزئيات فى قرى الدوائر الزراعية الـكبرى فى بلادنا ؟ إن كل قرية من هذه القرى تـكافح الآن دودة القطن بأبنائها وبناتها بين لفح الهجير وإلهاب (الخولى) بعصاه الغليظة لأجسامهم المهزولة المعروقة …

أتدرى لحساب من كل هذا العذاب ؟ إنه لحساب رجل واحد يملك القرية بقضها وقضيضها ويصيف خارج البلاد دون أن يترك فى قريته أثراً اجتماعياً يعود بالنفع على من يجوعون ليشبع ويعذبون لينعم ! فتابع نذرك يا سيدى لعلهم يتعظون ويعتبرون …

خورشيد عبد العزيز

( الرسالة ) : جاءتنا كلمات كثيرة بهذا المعنى فاكتفينا بهذه الكلمة

**إصلاح بيتين لأبى العلاء :**

فى العدد ٧٢٨ نشرت الرسالة مقالا للأديبة الفاضلة السيدة منيبة الـكيلانى عنوانه : بين أدب المرأة والرجل ؛ ولقد راقنى هذا المقال فتتبعته ، فعثرت فيه على بيتين من الشـعر لأبى العلاء المعرى يحتاجان إلى إصلاح : أولهما يحتاج إلى كلمة تتمم نقصه . والثانى به زيادة يجب حذفها ؛ لان النظم من الخفيف ، ولإصلاحها يكونان هكذا :

علموهن الغزل ، والنسج،والرد ن ، وخلوا كتابة ، وقراءه !
فصلاة الفتاة بالحمد ، والإخ لاص تجزى عن يونس وبراءه

وبالرجوع إلى هذا العدد يتبين للسيدة الفاضلة صحة ما قلنا ، وللرسالة الغراء وافر شكرى .

محمد غنيم

**الى الأستاذ جميل :**

قرأنا ملاحظتـكم المنشورة بأحد أعداد «الرسالة» الغراء عن الأبيات المنسوبة إلى سيف الدولة إذ حققتم أنها لابن الرومى كما هو مثبت بديوانه …

ولـكن فى قول ابن خلـكان فى الجزء الأول من الوفيات ما يلفت النظر ، إذ نسب الأبيات إلى سيف الدولة الحمدانى فى ترجمته له ، وقال أيضاً ما صورته :—

(وقيل إن هذه الأبيات لأبى الصـقر القبيصى ، والأول ذكره الثعالبى فى يتيمة الدهر … وهذا من التشبيهات الملوكية التى لا يكاد يحضر مثلها للسوقة ) .

فما رأى الأستاذ فى هذه الرواية ؟؟

( مكة ) عبد الغنى قسنى

**تاريخ النوبة :**

يسأل أحد القراء عن كتاب فى تاريخ النوبة ، ونحن نعرف أن للأستاذ محمد كامل حته كتاباً عنوانه ( صفحات مطوية من تاريخ النوبة ) وهو بالطبع أدرى بمراجع كتابه ، فليتفضل بإجابة السائل مشكوراً .




# هل كان حلمـــــا ؟

للشاعر الفرنسي جي دو موباسان

بقلم الأديب جمال الدين الحجازي

لقد أحببتها بجنون ، وما أدري لماذا يحب الإنسان؟ وما أغرب أن ترى شخصاً واحداً في الحياة يملك عليك مشاعرك ، واسماً واحداً في الحياة تردده شفتاك ، اسماً يتردد باستمرار ويصعد من أعماق النفس إلى الشـفاه ، اسماً يردده المرء كثيراً ويتمتم به في كل مكان كالصلاة !

وسأقص عليك قصتنا :

لقد قابلتها وأحببتها ، وهذا كل ما حصل وكنت طوال العام أحيا بين أعطافها وأتمتع بدلالها ورقتها ، ولم أعبأ آنذاك أكنت في نهار أم ليل ، أكنت حياً أم ميتاً في هذه الحياة ...

ثم ماتت . كيف ؟ ذلك مالم أدرك كنهه ولم أعرف عنه شيئاً ولـكني أذكر أنها أتت إلى البيت ذات مساء في ليلة اشـتد مطرها وهي تقطر ماء ، فأصابهـا البرد في اليوم التالي ولزمت الفراش أسبوعاً ...

أما ماذا حصل فلا أذكره الآن ! وكل ما أذكره أن الأطباء كانوا يجيئون ويصفون لها العلاج الذي لم تقو على تجرعه إلا بمعونة صويحباتها . كانت يداها ساخنتين وجهها تكاد تتقد من الحرارة ونظراتها حزينة ساهمة ، ولما تـكلمت معها أجابتني ، غير أني لا أذكر ما تحدثنا به ، لقد نسيت كل شيء ، أجل كل شيء . ثم ماتت ، وإني لأذكر تماماً نظراتها الساجية وأتذكر قول الممرضة « آه » وعندها فهمت كل شيء . . . ولا أعرف شيئاً آخر سوى قول القس لي : أسيدتك ! فظهر لي كأنه أهانها ، وجاءني آخر وكان لطيفاً رقيق القلب وحدثني عنها فذرفت الدمع حزناً ...

وعندما رأيت صويحباتها يسرن مع الجنازة ، وليت الأدبار ، وسرت في الشوارع شارد الذهن ، وفي اليوم التالي ذهبت إلى باريس . ولمـا رأيت غرفتي هناك ، ورأيت فراشنا وأثاثنا وكل ما تبقى من الأشياء بعد موتها ، وجدتني غارقاً في بحر من الأحزان ، فهممت أن أفتح النافذة وألقي بنفسي منها إلى الشارع إذ لم أستطع البقاء طويلا بين هذه الأشياء التي تذكرني بها ، وبين هذه الجدران الأربعة التي ضمتها في يوم من الأيام ... ولما توالت على هذه الذكريات تناولت قبعتي وسرت . وعندما وصلت إلى الباب ومررت بالمرآة الـكبيرة المعلقة في القاعة تذكرتها عندما كانت تقف أمامها للتزين ...

وقفت قليلا أمام المرآة مرتجفاً وقد تسمرت عيناي في زجاجها ، ولما لمستها وجدتها باردة ، وقد أظلم زجاجها فعاد لا يعكس .. أتراه أظلم لفقد صاحبته ! ما أسعد الرجل الذي يستطيع أن ينسى كل شيء يمر حوله .. آه كم أقاسي ...

خرجت من منزلي ولم أدر إلى أين ؟ ولم أشعر إلا بقدمي تقوداني إلى المقبرة ! وهناك وجدت قبراً عادياً عليه صليب رخامي أبيض ووجدت هذه الـكلمات محفورة عليه :

« لقد أحبت وكانت محبوبة وماتت » إنها في القبر ! وألقيت بصري على الأرض وبقيت على هذه الحالة مدة طويلة إلى أن خيم الظلام على المكان . ورغبت في أن أقضي الليل باكياً بجوار قبرها ولـكنني خشيت أن أرى فأطرد من المقبرة ، فما العمل ؟ آه إنني لداهية ! لقد أخذت بالتجوال حول مدينة الموتى . سرت هنا وهناك . يا إلهي ما أصغر هذه المدينة إذا قورنت بمدينتنا الأخرى التي نحيا بها ! ومع ذلك فـكم يزيد الموتى عن الأحياء ! إننا نقتني القصور الفخمة في دنيانا ، ونشرب المـاء الصافي من الينابيع ، ونمتع أنفـسنا بشرب الخمور المعتقة ولـكن الموت يزيل هذا كله ! وتضمنا الأرض في جوفها ويصيبنا العدم ! !

وفي آخر المقبرة وجدت قبوراً قديمة يدل شكلها على أن الموتى بها قد ماتوا منذ عهد طويل لالتصاق قبورهم بالأرض ، وقد تداعت الصلبان ...

وكنت وحيداً فاستلقيت تحت شجرة خضراء ، وأخفيت نفسي بين فروعها الغليظة ، وهناك انتظرت طويلا كربان تحطمت سفينته ...

لمـا اشتدت حلـكة الظلام ، قمت وسرت بهدوء تام في أرض الموتى وتجولت مدة طويلة ولـكنني لم أهتد إلى قبرها ... فسرت ماداً ذراعي ناظراً إلى القبور ، متحسساً بيدي ولـكن

دون جدوى لقد تحسست الحجارة والصلبان ، وقرأت الأسماء بأصابعي بتمريرها على الحروف فلم أعثر على قبرها …

ولم تكن الليلة مقمرة ، وكنت خائفاً جداً ، إذ وجدتني بين صفين من القبور … قبور فى كل مكان ، ولا شىء غير القبور ! جلست على أحدها متهالكا إذ لم أستطع السير أكثر من ذلك ولأن ساقى لم تقويا على حملى فكنت أسمع دقات قلبي وسمعت صوتاً آخر ، ماذا ؟! إن الصوت غامض غير واضح ، أتراه صوت نفسى فى هذا الليل البهيم ! تلفت حولى ولم أدر كم بقيت على هذه الحالة فتملكنى رعب شديد وأحسست كأننى متأهب للموت .

وفجأة أحسست بأن حجر الرخام الذى كنت جالساً عليه يتحرك !! أجل كان يتحرك ويرتفع ، وقد هالنى ما رأيت ، فقفزت إلى قبر آخر … وعندها رأيت الحجر الذى كنت جالساً عليه فى القبر يرتفع ويظهر منه الميت عارياً وقد رفع الحجارة بظهره ! لقد رأيته بوضوح وتمكنت من قراءة هذه الكلمات :

هنا يرقد جاكوس أوليفانت الذى توفى عن خمسة وخمسين عاماً . لقد أحب عائلته وكان محسناً شريفاً ومات … رحمه الله …

قرأ الميت ما كتب على قبره ، فأخذ حجراً مدبباً من الأرض وأخذ يحك به الأحرف المكتوبة على قبره بعناية وكتب بدلا منها بمظمة كان يحملها بين أصابعه بأحرف مضيئة لامعة ، كتلك التى يكتبها الأولاد على الجدران برؤوس عيدان الثقاب :

« هنا يرقد جاكوس أوليفانت الذى توفى عن خمسة وخمسين عاماً ، لقد تعجل موت أبيه لأنه طمع فى ثروته ، وعذب زوجته وأولاده ، وغش جيرانه ، وسرق كل شىء استطاع سرقته ، ومات بائساً » .

ولما أتم كتابته وقف ثابتاً لا يتحرك وهو ينظر إلى عمله وتلفت حولى فوجدت جميع القبور مفتوحة وقد خرج منها جميع الموتى وأزال كل منهم تلك الأكاذيب التى خطها أقاربه على قبره واستبدلها بالصدق والحقيقة !

كان هؤلاء الموتى يعذبون الناس فى حياتهم ، ويأكل الحقد قلوبهم ، ويسرقون ويغشون ويرتكبون كل خطيئة … هؤلاء الآباء الطيبون ، هؤلاء الزوجات المخلصات ، هؤلاء الفتيات العفيفات ، كل أولئك كان يكتب على قبره فى وقت واحد الحقيقة … الحقيقة المفزعة التى كان يجهلها أو يتجاهلها كل إنسان حينما كانوا فى حياتهم الدنيا …

وقد اعتقدت بأنها هى الأخرى لا بد أن تكون قد كتبت شيئاً على واجهة قبرها . فسرت بين صفين من القبور المفتوحة إلى قبرها غير خائف ، تأكدت من وجودها وعرفتها حالا . وعلى الصليب الرخامى الذى كان مكتوباً عليه قبل قليل .

« لقد أحبت وكانت محبوبة وماتت » .

رأيت مكتوباً بدلها :

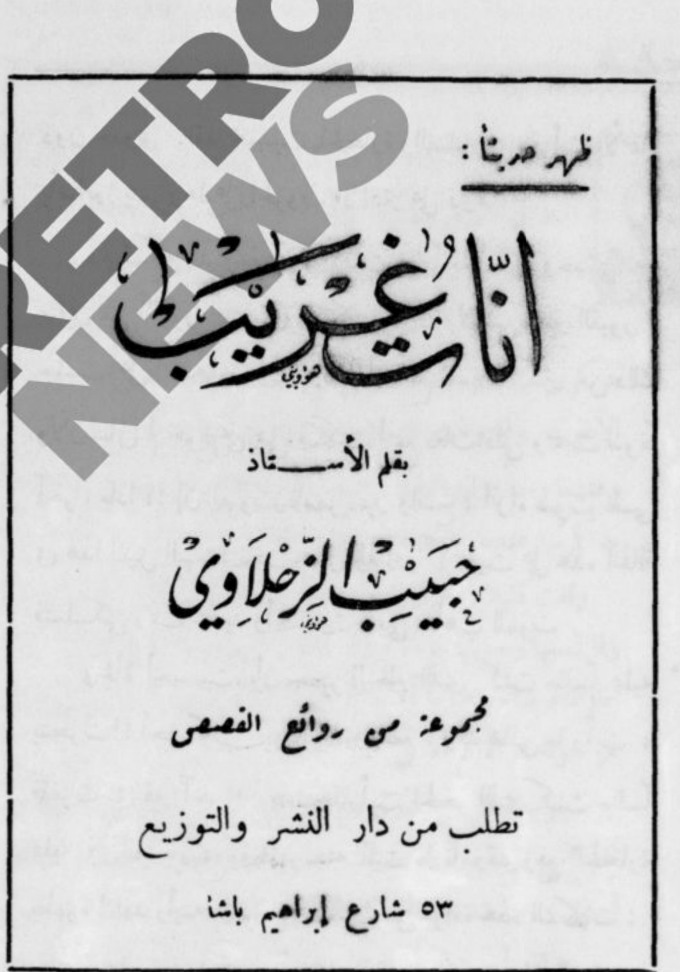
« بينما كانت ذاهبة فى يوم ماطر لتخون حبيبها ، أصابها البرد فماتت » .

… وعند مطلع الفجر وجدت ملقى على القبر لا حراك بى .

( القدس ) **جمال الدين الحجازى**

الندوة الأدبية

---






مطبعة الرسالة